الكلام ومحرر الحاشية بيان ابن ١٢١

ما يتعلق بالاستعاذة واحوال الشيطان والجن ص ٢

الحكمة في افتتاح الله تعالى كتابه بحرف الباء ص ٥

الاسم الاعظم ص ٦

٧	سورة الفاتحه
١٩	سورة البقره
٣٠٥	آل عمران
٤٠٩	سورة النساء
٥٢٦	سورة المائده
٦١٤	سورة الانعام
٧٠٠	سورة الاعراف
٨٢٠	سورة الانفال
٨٦٧	سورة التوبه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اظهر من نسخة حقائقه الذاتية الكمالية نقوش العوالم والاعلام واخرج من نون الجمع الذاتى انواع الحروف والكلمات والكلام انزل من مقام الجمع والتنزيه قرءآنا عربيا غير ذى عوج وجعله معجزة باقية على وجه كل زمان ساطعة البراهين والحجج والصلاة والسلام على من هو فاتح باب الحضرة فى العلم والعين واليقين سيدنا محمد الذى كان نبيا وآدم بين الماء والطين وعلى آله واصحابه المتخلقين بخلق القرءآن ومن تبعهم باحسان الى آخر الزمان (وبعد) فيقول العبد الفقير سمى الذبيح الشيخ اسماعيل حقى الناصح المهاجر كلاءه الله من فتن الغدايا والعشايا والهواجر لما اشار الى شيخى الامام العلامه واستاذى الجهبذ الفهامه سلطان وقته ونادرة زمانه حجة الله على الخلق بعلمه وعرفانه مطلع انوار العناية والتوفيق وارث اسرار الخليفى على التحقيق المشهود له بسر التجديد فى رأس العقد الثانى من الالف الثانى معدن الالهام الربانى السيد الثانى الشيخ الحسيب النسيب سمى ابن عفان نزيل قسطنطينيه امده الله وامدنا به فى السر والعلانيه بالنقل الى برج الاولياء مدينة بروسا صينت عن تطاول يد الضراء والبوسا فى العشر السادس من العشر العاشر من العقد الاول من الالف الثانى ولم اجد بدا من الوعظ والتذكير فى الجامع الكبير والمعبد المنير الشهير وقد كان منى حين انتواء الاقامة ببعض ديار الروم بعض صحائف ملتقطة من صفحات التفاسير وادوات العلوم مشتملة على ما يزيد على آل عمران من سور القرءآن لكنها مع الاطناب الواقع فيها كانت متفرقة كايادى سبا جزؤ منها احوته الدبور وجزؤ منها احوته الصبا اردت ان الخص ما فرط من الالتقاط واخلص الاوراق المتفرقة من مساحات الالفاظ والحروف والنقاط واتم اليها بذ اتمام اسنح لى من المعارف واجعله فى سمط ما انظمه من اللطائف واسرد بانملة البراعه وان كنت قليل البضاعة قصير الباعه ما يليه الى آخر النظم الكريم ان امهلنى الله العظيم الى قضاء هذا الوطر الجسيم وابيض للناس قدر ما حررته بين الاسابيع والشهور وافرزته بالتسويد اثناء السطور ليكون ذخرا للآخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون وشفيعا الى حين لا يجدى نفعا غير الصاد والنون واسأل الله تعالى ان يجعله من صالحات الاعمال وخالصات الاثار وباقيات الحسنات الى آخر الاعمار فانه اذا اراد بعبد خيرا حسن عمله فى الناس واهله لخيرات هى بمنزلة العين من الراس وهو الفياض (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم) اعلم ان الحكمة فى التعوذ الاستيذان وقرع الباب لان من اتى باب ملك من الملوك لا يدخل الا باذنه كذلك

من اراد قرآءة القرءآن انما يريد الدخول فى المناجاة مع الحبيب فيحتاج الى طهارة اللسان لانه قد تنجس بفضول الكلام والبهتان فيطهره بالتعوذ قال اهل المعرفة هذه الكلمة وسيلة المتقربين واعتصام الخائفين وعتى المجرمين ورجعى الهالكين ومباسطة المحبين وهو امتثال قول رب العالمين فى سورة النحل فاذا قرأت القرءآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فالاستعاذة مقدمة على القرآءة عند عامة المسلمين وقولهم الجزآء متأخر عن الشرط فيلزم ان يؤخر الاستعاذة قلنا المعنى اذا اردت القرآءة وهو تأويل شائع جار مجرى الحقيقة العرفية ثم المختار قول الجمهور وهو اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو اثبت رواية وفى الحديث هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ وان كان استعيذ بالله اوفق دراية لمطابقته المأمور به فى قوله فاستعذ واول ما نزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الاستعاذة والبسملة وقوله تعالى اقرأ باسم ربك (اعوذ) بمعنى التجئ بناه ميخواهم او اعتصم نكاه داشت ميخواهم او استجير امان ميخواهم او استعين يارى ميخواهم او استغيث فرياد مدد ميخواهم والعوذ والعياذ مصدران كاللوذ واللياذ والصوم والصيام وقول القائل اعوذ اخبار عن فعله وهو فى التقدير سؤال الله عز وجل من فضله اى اعذنى يارب وفى العدول الى لفظ الخبر فائدة التفاؤل بالوقوع كانه وقع الاعاذة فيخبر عن مطاوعه وسره ما فى التفسير الكبير ان بين الرب وعبده عهدا قال الله اوفوا بعهدى اوف بعهدكم فكانه يقول انا مع نقص البشرية وفيت بعهد عبوديتى وقلت اعوذ بالله او استغفر الله فانت مع كمال الكرم والفضل اولى ان تفى بعهد الربوبية وتعيذنى (بالله) مذهب اهل الحقائق فيه عدم الاشتقاق لانه لا سبيل الى كنه معرفته ولذا قال السعد التفتازانى فى حواشى الكشاف اعلم انه كما تحيرت الاوهام فى ذاته وصفاته فكذا فى اللفظ الدال عليه من انه اسم اوصفة مشتق او غير مشتق علم او غير علم الى غير ذلك قال مولانا جلال الدين قدس سره ✱ ذات اورا در تصور كنج كو ✱ تا در آيد در تصور مثل او ✱ واعلم ان كلمات الاستعاذة ثلاث صفاتية وافعالية وذاتية كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك فاختير اسم الجلالة الجامع لتتناول عبارة الاستعاذة انواع الاستعاذة قال فى التفسير الكبير الشرور اما من الاعتقاديات ويدخل فيها جميع المذاهب الباطلة وعقائد فرق الضلال الاثنين والسبعين فرقة واما من الاعمال البدنية فمنها ما يضر فى الدين وهو منهيات التكاليف وضبطها كالمتعذر ومنها ما ضرره لا فى الدين كالامراض والآلام والحرق والغرق والفقر والعمى والزمانة وغيرها من البلايا والنوازل ويقرب ان لا يتناهى فاعوذ بالله يتناول الاستعاذة من كلها فعلى العاقل اذا اراد الاستعاذة ان يستحضر هذه الاجناس الثلاثة وانواعها المتناولة فاذا عرف عدم تناهيها عرف ان قدرة الخلق لا تفى بدفعها فحمله عقله ان يقول اعوذ بالله القادر على كل المقدورات من جميع المخاوف والآفات قيل كل العلوم فى الكتب الاربعة وعلومها فى القرءآن وعلومه فى الفاتحة وعلومها فى البسملة وعلومها فى الباء ففى التفسير الكبير لان المقصود من العلوم وصول العبد الى الرب فباء الالصاق فى بالله تلصقه اليه وسيجئ اسرار الباء فى البسملة ان شاء الله تعالى (من الشيطان) اى المبعد من رحمة الله تعالى عن ابن عباس رضى الله عنه لما عصى لعن وصار شيطانا فدل على انه انما سمى بهذا الاسم بعد لعن الله له واما قبله فاسمه عزازيل او نائل وانما لم يقيد المستعاذ منه بشئ من قبائحه ومضاره كالهمز واللمز واللمس والوسوسة والنزغة وغيرها لتذهب الهمة كل مذهب ليستعاذ من شره عموما قال فى روضة الاخيار الشياطين ذكور واناث يتوالدون ولا يموتون بل يخلدون والجن ذكور واناث يتوالدون ويموتون والملائكة ليسوا بذكور ولا اناث ولا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون فثبت بهذا ان للشيطان والجن حقيقة ووجودا ولم ينكر الجن الا شرذمة قليلة من جهال الفلاسفة والاطباء ونحوهم (حكى) ان الامام الغزالى محيى السنة كان مفتى الثقلين فسألهم يوما عن الحوادث قالوا ان الزمخشرى صنف كتابا فى التفسير وبلغ الى النصف فطلب منهم ان يأتوا به فاتوه فكتب جميع ما الفه ثم وضعوا النسخة فى مكانها فلما جاء الزمخشرى اليه اراه اياه فتعجب الزمخشرى وتحير وقال ان قلت هو لى وانا خبأته وما اطلع عليه احد غيرى فمن اين جاء هذا وان هو لغيرى فالتوارد فى اللفظ والمعنى والوضع والترتيب فى هذا القدر من الكتاب لا يقبله العقل قال الامام هو لك وقد وصل الينا من ايدى الجن وكان الزمخشرى ينكر الجن فاعترف فى مجلسه ولا يلزم من هذا علم الجن بالغيب كما لا يخفى قال تعالى تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ثم حقيقتهم

عندمن لم يقل بالمجردات هى اجسام هوآئية وقيل نارية قادرة على التشكل باشكال مختلفة كصور الحيات والعقارب والكلاب والابل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير والطير وبنى آدم لها عقول وافهام تقدر على الاعمال الشاقة كما كانوا يعملون لسليمان عليه السلام المحاريب والتماثيل والجفان والقدور وعند من قال بها مجردات ارضية سفلية وذلك لان المجردات اعنى الموجودات الغير المتحيزة ولا الحالة فى المتحيز اما عالية مقدسة عن تدبير الاجسام وهم الملائكة المقربون ويسميها المشائيون عقولا والاشراقيون انوارا عالية قاهرة اومتعلقة بتدبيرها ويسميها المشائيون نفوسا سماوية والاشراقيون انوارا مدبرة واشرفها حملة العرش وهم الآن اربعة ويوم القيامة ثمانية ثم الحافون حوله ثم ملائكة الكرسى ثم ملائكة السموات طبقة طبقة ثم ملائكة كرة الاثير والهوآء الذى فى طبع النسيم ثم ملائكة كرة الزمهرير ثم ملائكة البحار ثم الجبال ثم الارواح السفلية المتصرفة فى الاجسام النباتية والحيوانية وهذه قد تكون مشرقة الهيئة خيرة وهى المسماة بصالحى الجن وقد تكون كدرة شريرة وهى الشياطين كذا فى تفسير الفاتحة للفنارى والظاهر ان المراد بالشيطان ابليس واعوانه وقيل عام فى كل متمردعات مضل عن الجادة المستقيمة من جن وانس كما قال الله تعالى شياطين الانس والجن (الرجيم) اى المرمى من السموات بالقاء الملائكة حين لعن اوالمرمى بشهب السماء اذا قصدها وهذه صفة مذمومة للشيطان وله فى القرءآن اسماء مشئومة وصفات مذمومة فاجمع مساويه هو الرجم لانه جامع لجميع مايقع عليه من العقوبات فلذلك خص به الابتدآء من بين تلك الاسماء والصفات يقال ظهور حقيقة الاستعاذة لايمكن بمجرد القول بل لابد من حضور القلب وموافقة القول بالحال والفعل وان لايقول لسانك اعوذ بالله وفعلك وحالك اعوذ بالشيطان وذلك بمشاركة النفس مع الشيطان فى ارتكاب المعاصى والطغيان واستعاذة العارف من رؤية غير الله تعالى وحجاب الكثرة فان الشيطان يهرب من نور العارف (حكى) ان اباسعيد الخراز قدس سره رأى ابليس فى المنام فاراد ان يضربه بالعصا فقال يا اباسعيد انا لا اخاف من العصا وانما اخاف من شعاع شمس المعرفة اذا اطلعت من سماء قلب العارف قالوا فى الاستعاذة من الشيطان اظهار الخوف من غير الله وهو يخل بالعبودية قلنا اتخاذ العدو عدوا تحقيق للمحبة والفرار من غير الله الى الله تتميم للعبودية والامتثال لامر الله تقديم للطاعة والخوف ممن لايخاف الله اظهار للمسكنة كما قيل اخاف من الله اى من عذابه وغضبه واخاف ممن يخاف الله اى من سوء دعائه واخاف ممن لايخاف اى من سوء افعاله قال المولى جلال الدين قدس سره ✻ آدمى رادشمن پنهان بسيست ✻ آدمى باحذر عاقل كسيست ✻ وفى التفسير الكبير ان اعوذ بالله رجوع من الخلق الى الخالق ومن الحاجة التامة لنفسه الى الغنى التام بالحق فى تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات ففيه سر ففروا الى الله وان فيه دلالة ان لا وسيلة الى القرب من حضرة الرب الا بالعجز والعجز منتهى المقامات قال الحسن من استعاذ بالله على وجه الحقيقة وهو مايكون بحضور القلب جعل الله بينه وبين الشيطان ثلثمائة حجاب كل حجاب كما بين السماء والارض وعن ابن عباس رضى الله عنه قال خرج النبى عليه الصلوة والسلام ذات يوم من المسجد فاذا هو بابليس فقال له النبى ما الذى جاءبك الى باب مسجدى قال يا محمد جاءبى الله قال فلماذا قال لتسألنى عما شئت فقال ابن عباس رضى الله عنه فكان اول شئ سأله الصلاة فقال له ياملعون لم تمنع امتى عن الصلاة بالجماعة قال يا محمد اذا خرجت امتك الى الصلاة تأخذنى الحمى الحارة فلا تندفع حتى يتفرقوا وقال عليه السلام لم تمنع امتى عن العلم والدعاء قال عند دعائهم يأخذنى الصمم والعمى فلا يندفع حتى يتفرقوا وقال عليه السلام لم تمنع امتى عن القرءآن قال عند قرآءتهم اذوب كالرصاص قال لم تمنع امتى عن الجهاد قال اذا خرجوا الى الجهاد يوضع على قدمى قيد حتى يرجعوا واذا خرجوا الى الحج اسلسل واغلغل حتى يرجعوا واذا هموا بالصدقة توضع على رأسى المناشير فتنشرنى كما ينشر الخشب والشيطان مسلط على طبيعة بنى آدم بالاكل والشرب فاذا تركهما الانسان فقد اجتهد فى قطع شهوة البطن وشهوة الفرج فلا يكون اذا مداخل للشيطان اصلا واما النفس فسبب اصلاحها هو الصلوات الخمس لان فرضيتها لاصلاح النفس لان فيها تذللا بثلاث طبقات بعقد اليدين بين يدى الملك الاعظم وبالركوع له وبالسجود فالنفس تصلح بالخضوع والخشوع والتذلل قال وهب بن منبه لما خرج نوح من السفينة جاء ابليس عليه اللعنة فقال نوح ياعدو الله اى اخلاق بنى آدم اعون لك ولجنودك على ضلالتهم وهلاكهم

قال ابليس اذا وجدنا من بنى آدم شحيحا حريصا حسودا جبارا عجولا تلقفناه تلقف الاكرة فان اجتمعت فيه هذه الاخلاق سميناه شيطانا مريدا لان هذه الاخلاق من اخلاق رؤس الشياطين وفى الخبر ان ابليس عليه اللعنة يرفع الدنيا كل يوم فى يديه فيقول من يشترى مايضره ولا ينفعه ويهمه ولا يسره فتقول اصحاب الدنيا نحن فيقول لا تعجلوا فانها معيوبة فيقولون لا بأس به فيقول ثمنها ليس بدراهم ولا دنانير ثمنها نصيبكم من الجنة وانى اشتريتها باربعة اشياء بلعنة الله وغضبه وعذابه وقطيعته وبعت الجنة بها فيقولون يجوز لنا ذلك فيقول اريد ان تربحونى على ذلك وهو بان توطنوا قلوبكم على ان لا تدعوها ابدا فيقولون نعم فيأخذونها فيقول الشيطان بئست التجارة (قال الحافظ) مجو درستى عهد از جهان سست نهاد ✻ كه اين عجوزه عروس هزار داماد ست (قال الشيخ سعدى) برمرد هشيار دنيا خسست ✻ كه هر مدتى جاى ديكر كسست ✻ منه برجهان دل كه بيكانه ايست ✻ كه مطرب كه هر روز در خانه ايست ✻ نه لايق بود عشق با دلبرى ✻ كه هر بامدادش بود شوهرى ✻ وسئل النبى عليه السلام عن وسوسة الشيطان فقال عليه السلام السارق لايدخل بيتا ليس فيه شئ فذلك من محض الايمان وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه الفرق بين صلاتنا وصلاة اهل الكتاب وسوسة الشيطان لانه فرغ من عمل الكفار لانهم وافقوه والمؤمنون يخالفونه ويحاربونه والمحاربة تكون مع المخالفة حكى ان رجلا من اهل خراسان خرج نحو العراق وكان يتردد الى عالم من علمائها حتى علمه اربعة آلاف حديث من الحكمة فلما اراد الانصراف الى وطنه استأذن من استاذه فقال له الاستاذ اعلمك كلمة خير لك من احاديثك قال وماهى قال هل يكون فى خراسان ابليس قال نعم قال وهل يوسوسكم قال نعم قال وما تصنعون فى وسوسته قال نرده قال ان وسوس ثانيا قال نرده قال اذا آذاكم عدو الله وشغلكم عن الطاعة فلا تشتغلوا برده ودوسته ولكن كونوا معه كالغريب مع كلب الراعى واستعيذوا بالله وانه كلب من الكلاب عصمنا الله واياكم من كيده وشره (بسم الله الرحمن الرحيم) الاصح المقبول عند متأخرى الحنفية ان البسملة آية فذة ليست جزأ من سورة انزلت للفصل والتبرك بالابتدآء كما بدئ بذكرها فى كل امر ذى بال وهى مفتاح القرءآن واول ماجرى به القلم فى اللوح المحفوظ واول مانزل على آدم عليه السلام وحكمة تأخرها عن الاستعاذة تقدم التخلية بالمعجمة على التحلية والاعراض عما سوى الله على الاقبال والتوجه اليه (بسم الله) كانت الكفار يبدؤن باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات والعزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عزوجل بالابتدآء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل فلذلك قدر المحذوف متأخرا اى باسم الله اقرأ او اتلو وغير ذلك مما جعلت التسمية مبدأ له قالوا اودع جميع العلوم فى الباء اى بى كان ما كان وبى يكون مايكون فوجود العوالم بى وليس لغيرى وجود حقيقى الا بالاسم والمجاز هو معنى قولهم مانظرت شيأ الا ورأيت الله فيه او قبله ومعنى قوله عليه السلام لاتسبوا الدهر فان الدهر هو الله فان قلت ما الحكمة والسر فى ان الله تعالى جعل افتتاح كتابه بحرف الباء واختارها على سائر الحروف لاسيما على الالف فانه اسقط الالف من الاسم واثبت مكانه الباء فى بسم فالجواب الحكمة فى افتتاح الله بالباء عشرة معان احدها ان فى الالف ترفعا وتكبرا وتطاولا وفى الباء انكسارا وتواضعا وتساقطا فمن تواضع لله رفعه الله وثانيها ان الباء مخصوصة بالالصاق بخلاف اكثر الحروف خصوصا الالف من حروف القطع وثالثها ان الباء مكسورة ابدا فلما كانت فيها كسرة وانكسار فى الصورة والمعنى وجدت شرف العندية من الله تعالى كما قال الله تعالى انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلى ورابعها ان فى الباء تساقطا وتكسرا فى الظاهر ولكن رفعة درجة وعلو همة فى الحقيقة وهى من صفات الصديقين وفى الالف ضدها اما رفعة درجتها فبانها اعطيت نقطة وليست للالف هذه الدرجة واما علو الهمة فانه لما عرضت عليها النقط ماقبلت الا واحدة ليكون حالها كحال محب لايقبل الا محبوبا واحدا وخامسها ان فى الباء صدقا فى طلب قربة الحق لانها لما وجدت درجة حصول النقطة وضعتها تحت قدمها وما تفاخرت بها ولا يناقضه الجيم والياء لان نقطهما فى وضع الحروف ليست تحتهما بل فى وسطهما وانما موضع النقطة تحتهما عند اتصالهما بحرف آخر لئلا يشتبها بالخاء والثاء بخلاف الباء فان نقطتها موضوعة تحتها سوآء كانت مفردة اومتصلة بحرف آخر وسادسها ان الالف حرف علة بخلاف الباء وسابعها ان الباء حرف تام متبوع فى المعنى وان كان تابعا صورة من حيث ان موضعه بعد الالف فى وضع الحروف وذلك لان الالف فى لفظ الباء يتبعه بخلاف لفظ الالف فان الباء لايتبعه والمتبوع

ج ب ل

فى المعنى اقوى وثامنها الباء حرف عامل ومتصرف فى غيره فظهر لها من هذا الوجه قدر وقدرة فصلحت للابتداء بخلاف الالف فانه ليس بعامل وتاسعها ان الباء حرف كامل فى صفات نفسه بانه للالصاق والاستعانة والاضافة مكمل لغيره بان يخفض الاسم التابع له ويجعله مكسورا متصفا بصفات نفسه وله علو وقدرة فى تكميل الغير بالتوحيد والارشاد كما اشار سيدنا على رضى الله عنه بقوله انا النقطة تحت الباء فالباء له مرتبة الارشاد والدلالة على التوحيد وعاشرها ان الباء حرف شفوى تنفتح الشفة به ما لم تنفتح بغيره من الحروف الشفوية ولذلك كان اول انفتاح فم الذرة الانسانية فى عهد ألست بربكم بالباء فى جواب بلى فلما كان الباء اول حرف نطق به الانسان وفتح به فمه وكان مخصوصا بهذه المعانى اقتضت الحكمة الالهية اختيارها من سائر الحروف فاختارها ورفع قدرها واظهر برهانها وجعلها مفتاح كتابه ومبدأ كلامه وخطابه تعالى وتقدس كذا فى التأويلات النجمية واسم الله ما يصح ان يطلق عليه بالنظر الى ذاته او باعتبار صفة من صفاته السلبية كالقدوس او الثبوتية كالعليم او باعتبار فعل من افعاله كالخالق ولكنها توقيفية عند بعض العلماء كما فى شرح المشارق لابن الملك ثم المختار ان كلمة الله هو الاسم الاعظم فان سأل سائل ان من شرط الاسم الاعظم ان من دعا الله به اجاب واذا سئل به اعطى فنحن ندعو به ونسال فلم نر الاجابة فى اكثر الاوقات قلنا ان للدعاء آدابا وشرائط لا يستجاب الدعاء الا بها كما ان للصلاة كذلك فاول شرائطه اصلاح الباطن باللقمة الحلال وقد قيل الدعاء مفتاح السماء واسنانه لقمة الحلال وآخر شرائطه الاخلاص وحضور القلب كما قال الله تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين فان حركة الانسان باللسان وصياحه من غير حضور القلب ولولة الواقف على الباب وصوت الحارس على السطح اما اذا كان حاضرا فالقلب الحاضر فى الحضرة شفيع له قال الشيخ مؤيد الدين الجندى قدس سره ان للاسم الاعظم الذى اشتهر ذكره وطاب خبره ووجب طيه وحرم نشره من عالم الحقائق والمعانى حقيقة ومعنى ومن عالم الصور والالفاظ صورة ولفظا اما حقيقته فهى احدية جمع جميع الحقائق الجمعية الكمالية كلها واما معناه فهو الانسان الكامل فى كل عصر وهو قطب الاقطاب حامل الامانة الالهية خليفة الله واما صورته فهى صورة كامل ذلك العصر وعلمه كان محرما على سائر الامم لما لم تكن الحقيقة الانسانية ظهرت بعد فى اكمل صورته بل كانت فى ظهورها بحسب قابلية كامل ذلك العصر فحسب فلما وجد معنى الاسم الاعظم وصورته بوجود الرسول صلى الله عليه وسلم اباح الله العلم به كرامة له (الرحمن) الرحمة فى اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها والمراد بها ههنا هو التفضل والاحسان او ارادتهما بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه البعيد او القريب فان اسماء الله تؤخذ باعتبار الغايات التى هى افعال دون المبادى التى هى انفعالات فالمعنى العاطف على خلقه بالرزق لهم ودفع الآفات عنهم لا يزيد فى رزق المتقى لقبل تقواه ولا ينقص من رزق الفاجر لقبل فجوره بل يرزق الكل بما يشاء (الرحيم) المترحم اذا سئل اعطى واذا لم يسأل غضب وبنى آدم حين يسأل يغضب واعلم ان الرحمة من صفات الذات وهو ارادته ايصال الخير ودفع الشر والارادة صفة الذات لان الله تعالى لو لم يكن موصوفا بهذه الصفة لما خلق الموجودات فلما خلق الخلق علمنا ان رحمته صفة ذاتية لان الخلق ايصال خير الوجود الى المخلوق ودفع شر العدم عنهم فان الوجود خير كله قال الشيخ القيصرى اعلم ان الرحمة صفة من الصفات الالهية وهى حقيقة واحدة لكنها تنقسم بالذاتية والصفاتية اى تقتضيها اسماء الذات واسماء الصفات وكل منهما عامة وخاصة فصارت اربعا وتتفرع منها الى ان يصير المجموع مائة رحمة واليها اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله مائة رحمة اعطى واحدة منها لاهل الدنيا كلها وادخر تسعا وتسعين الى الآخرة يرحم بها عباده فالرحمة العامة والخاصة الذاتيتان ما جاء فى البسملة من الرحمن الرحيم والرحمة الرحمانية عامة لشمول الذات جميع الاشياء علما وعينا والرحيمية خاصة لانها تفصيل تلك الرحمة العامة الموجب لتعيين كل من الاعيان بالاستعداد الخاص بالفيض الاقدس والصفاتية ما ذكره فى الفاتحة من الرحمن الرحيم الاولى عامة الحكم لترتبها على ما افاض الوجود العام العلمى من الرحمة العامة الذاتية والثانية تخصيصها او تخصيصها بحسب الاستعداد الاصلى الذى لكل عين من الاعيان وهما نتيجتان للرحمتين الذاتيتين العامة والخاصة انتهى كلامه قالوا لله تعالى ثلاثة آلاف اسم الف عرفها الملائكة لا غير والف عرفها الانبياء لا غير وثلاثمائة فى التوراة وثلاثمائة فى الانجيل وثلاثمائة فى الزبور وتسعة

وتسعون فى القرآن وواحد استأثر الله به ثم معنى هذه الثلاثة آلاف اسم فى هذه الاسماء الثلاثة فمن علمها وقالها فكأنما ذكر الله تعالى بكل اسمائه وفى الخبر ان النبى عليه السلام قال ليلة اسرى بى الى السماء عرض على جميع الجنان فرأيت فيها اربعة انهار نهرا من ماء ونهرا من لبن ونهرا من خمر ونهرا من عسل فقلت يا جبريل من اين تجئ هذه الانهار والى اين تذهب قال تذهب الى حوض الكوثر اما انا لا ادرى من اين تجئ فادع الله تعالى ليعلمك او يريك فدعا ربه فجاء ملك فسلم على النبى عليه السلام ثم قال يا محمد غمض عينيك قال فغمضت عينى ثم قال افتح عينيك ففتحت فاذا انا عند شجرة ورأيت قبة من درة بيضاء ولها باب من ذهب احمر وقفل لو ان جميع ما فى الدنيا من الجن والانس وضعوا على تلك القبة لكانوا مثل طائر جالس على جبل فرأيت هذه الانهار الاربعة تخرج من تحت هذه القبة فلما اردت ان ارجع قال لى ذلك الملك لم لا تدخل القبة قلت كيف ادخل وعلى بابها قفل لا مفتاح له عندى قال مفتاحه بسم الله الرحمن الرحيم فلما دنوت من القفل وقلت بسم الله الرحمن الرحيم انفتح القفل فدخلت فى القبة فرأيت هذه الانهار تجرى من اربعة اركان القبة ورأيت مكتوبا على اربعة اركان القبة بسم الله الرحمن الرحيم ورأيت نهر الماء يخرج من ميم بسم الله ورأيت نهر اللبن يخرج من هاء الله ونهر الخمر يخرج من ميم الرحمن ونهر العسل من ميم الرحيم فعلمت ان اصل هذه الانهار الاربعة من التسمية فقال الله عز وجل يا محمد من ذكرنى بهذه الاسماء من امتك بقلب خالص من رياء وقال بسم الله الرحمن الرحيم سقيته من هذه الانهار وفى الحديث لا يرد دعاء اوله بسم الله الرحمن الرحيم وفى الحديث ايضا من رفع قرطاسا من الارض مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا له ولاسمه عن ان يدنس كان عند الله من الصديقين وخفف عن والديه وان كانا مشركين وذكر الشيخ احمد البونى فى لطائف الاشارات ان شجرة الوجود تفرعت عن بسم الله الرحمن الرحيم وان العالم كله قائم بها جملا وتفصيلا فلذلك من اكثر من ذكرها رزق الهيبة عند العالم العلوى والسفلى وكتب قيصر ملك الروم الى عمر رضى الله عنه ان بى صداعا لا يسكن فابعث لى دواء ان كان عندك فان الاطباء عجزوا عن المعالجة فبعث عمر رضى الله عنه قلنسوة فكان اذا وضعها على رأسه سكن صداعه واذا رفعها عن رأسه عاد صداعه فتعجب منه ففتش فى القلنسوة فاذا فيها كاغد مكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ الاكبر فى الفتوحات اذا قرأت فاتحة الكتاب فصل بسملتها معها فى نفس واحد من غير قطع وعن محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم حالفا عن جبريل عليه السلام حالفا عن ميكائيل عليه السلام حالفا عن اسرافيل عليه السلام قال الله تعالى يا اسرافيل بعزتى وجلالى وجودى وكرمى من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة اشهدوا على انى قد غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت عنه السيئات ولا احرق لسانه بالنار واجيره من عذاب القبر وعذاب النار وعذاب يوم القيامة والفزع الاكبر وتلقانى قبل الانبياء والاولياء اجمعين

(سورة فاتحة الكتاب)

وجه التسمية بفاتحة الكتاب اما لافتتاح المصاحف والتعليم وقراءة القرآن والصلاة بها واما لان الحمد فاتحة كل كلام واما لانها اول سورة نزلت واما لانها اول ما كتب فى اللوح المحفوظ واما لانها فاتحة ابواب المقاصد فى الدنيا وابواب الجنان فى العقبى واما لان انفتاح ابواب خزائن اسرار الكتاب بها لانها مفتاح كنوز لطائف الخطاب بانجلائها ينكشف جميع القرآن لاهل البيان لان من عرف معانيها يفتح بها اقفال المتشابهات ويقتبس بسناها انوار الآيات وسميت بام القرآن وام الشئ اصله لان المقصود من كل القرآن تقرير امور اربعة اقرار بالالوهية والنبوة واثبات القضاء والقدر لله تعالى فقوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم يدل على الالوهية وقوله مالك يوم الدين يدل على المعاد وقوله اياك نعبد واياك نستعين على نفى الجبر والقدر وعلى اثبات ان الكل بقضاء الله تعالى وسميت بالسبع المثانى لانها سبع آيات او لان كل آية منها تقوم مقام سبع من القرآن فمن قرأها اعطى ثواب قراءة الكل او لان من فتح فاه بقراءة آياتها السبع غلقت عنه ابواب النيران السبعة هذه وجوه التسمية بالسبع واما بالمثانى فلانها تثنى فى كل صلاة او فى كل ركعة بالنسبة الى الاخرى او المراد تشفع فى كل ركعة سورة حقيقة او حكما او لان نزولها مرتين مرة فى مكة ومرة فى المدينة وسميت بسورة الصلاة وسورة الشفاء والشافية واساس القرآن والكافية والوافية وسورة الحمد وسورة السؤال وسورة الشكر وسورة الدعاء

لاشتمالها عليها وسورة الكنز لما يروى ان الله تعالى قال فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشى (الحمد لله) لامه
للعهد اى الحمد الكامل وهو حمد الله لله او حمد الرسل او كل اهل الولاء او للعموم والاستغراق اى جميع المحامد
والاثنية للمحمود اصلا والممدوح عدلا والمعبود حقا عينية كانت تلك المحامد او عرضية من الملك او من البشر
او من غيرهما كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده والحمد عند الصوفية اظهار كمال المحمود وكماله تعالى صفاته
وافعاله وآثاره قال الشيخ داود القيصرى الحمد قولى وفعلى وحالى اما القولى فحمد اللسان وثناؤه عليه بما اثنى به
الحق نفسه على لسان انبيائه عليهم السلام واما الفعلى فهو الاتيان بالاعمال البدنية من العبادات والخيرات
ابتغاء لوجه الله تعالى وتوجها الى جنابه الكريم لان الحمد كما يجب على الانسان باللسان كذلك يجب عليه
بحسب كل عضو بل على كل عضو كالشكر وعند كل حال من الاحوال كما قال النبى عليه السلام الحمد لله على كل
حال وذلك لا يمكن الا باستعمال كل عضو فيما خلق لاجله على الوجه المشروع عبادة للحق تعالى وانقيادا لامره
لا طلبا لحظوظ النفس ومرضاتها واما الحالى فهو الذى يكون بحسب الروح والقلب كالاتصاف بالكمالات
العلمية والعملية والتخلق بالاخلاق الالهية لان الناس مأمورون بالتخلق باخلاق الله تعالى بلسان الانبياء
عليهم السلام لتصير الكمالات ملكة نفوسهم وذواتهم وفى الحقيقة هذا حمد الحق ايضا نفسه فى مقامه
التفصيلى المسمى بالمظاهر من حيث عدم مغايرتها له واما حمده ذاته فى مقامه الجمعى الالهى قولا فهو ما نطق به
فى كتبه وصحفه من تعريفاته نفسه بالصفات الكمالية وفعلا فهو اظهار كمالاته الجمالية والجلالية
من غيبه الى شهادته ومن باطنه الى ظاهره ومن علمه الى عينه فى مجالى صفاته ومحال ولاية اسمائه وحالا
فهو تجلياته فى ذاته بالفيض الاقدس الاولى وظهور النور الازلى فهو الحامد والمحمود جمعا وتفصيلا كما قيل

لقد كنت دهرا قبل ان يكشف الغطا * اخالك انى ذاكر لك شاكر
فلما اضاء الليل اصبحت شاهدا * بانك مذكور وذكر وذاكر

وكل حامد بالحمد القولى يعرف محموده باسناد صفات الكمال اليه فهو يستلزم التعريف انتهى كلامه والحمد
شامل للثناء والشكر والمدح ولذلك صدر كتابه بان حمد نفسه بالثناء فى لله والشكر فى رب العالمين والمدح
فى الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ثم ليس للعبد ان يحمده بهذه الوجوه الثلاثة حقيقة بل تقليدا ومجازا
اما الاول فلان الثناء والمدح بوجه يليق بذاته او بصفاته فرع معرفة كنههما وقد قال الله تعالى ولا يحيطون به
علما وما قدروا الله حق قدره واما الثانى فكان النبى عليه السلام لما خوطب ليلة المعراج بان اثن على قال
لا احصى ثناء عليك وعلم ان لا بد من امتثال الامر واظهار العبودية فقال انت كما اثنيت على نفسك فهو ثناء
بالتقليد وقد امرنا ايضا ان نحمده بالتقليد بقوله قل الحمد لله كما قال فاتقوا الله ما استطعتم كذا فى التأويلات
النجمية (قال السعدى رحمه الله) عطاييست هر موى ازو برتنم * چكونه بهر موى شكرى كنم *
وذكر الشيخ الامام حجة الاسلام الغزالى رحمه الله فى منهاج العابدين ان الحمد والشكر آخر العقبات السبع
التى لا بد للسالك من عبورها ليظفر بمبتغاه فاول ما يتحرك العبد لسلوك طريق العبادة يكون بخطرة سماوية
وتوفيق خاص الهى هو الذى اشار اليه صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم بقوله ان النور اذا دخل قلب العبد
انفتح وانشرح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها فقال التجافى عن دار الغرور والانابة الى
دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فاذا خطر بقلب العبد اول كل شئ ان له منعما بضروب من النعم
وقال انه يطالبنى بشكره وخدمته فلعله ان غفلت يزيل نعمته ويذيقنى نقمته وقد بعث الى رسولا
بالمعجزات واخبرنى بان لى ربا عالما قادرا على ان يثيب بطاعته ويعاقب بمعصيته وقد امر ونهى فيخاف على نفسه
عنده فلم يجد فى طريق الخلاص عن هذا النزاع سبيلا سوى الاستدلال بالصنعة على الصانع فيحصل له اليقين
بوجود ربه الموصوف بما ذكر فهذه عقبة العلم والمعرفة استقبلته فى اول الطريق ليكون فى قطعه على
بصيرة بالتعلم والسؤال من علماء الآخرة فاذا حصل له اليقين بوجود ربه بعثته المعرفة على التشمر للخدمة
ولكنه لا يدرى كيف يعبده فيتعلم ما يلزمه من الفرائض الشرعية ظاهرا وباطنا فلما استكمل العلم والمعرفة
بالفرائض انبعث للعبادة فنظر فاذا هو صاحب ذنوب كما هو حال اكثر الناس فيقول كيف اقبل على الطاعة
وانا مصر متلطخ بالمعاصى فيجب ان اتوب اليه ليخلصنى من اسرها واتطهر من اقذارها فاصلح للخدمة فيستقبله

ههنا عقبة التوبة فلما حصلت له اقامة التوبة الصادقة بحقوقها وشرائطها نظر للسلوك فاذا حوله عوائق من
العبادة محدقة به فتأمل فاذا هى اربع الدنيا والخلق والشيطان والنفس فاستقبلته عقبة العوائق فيحتاج الى
قطعها باربعة امور التجرد عن الدنيا والتفرد عن الخلق والمحاربة مع الشيطان والنفس وهى اشدها اذ لا يمكنه
التجرد عنها ولا ان يقهرها بمرة كالشيطان اذ هى المطية والآلة ولا مطمع ايضا فى موافقتها على الاقبال
على العبادة اذ هى مجبولة على ضد الخير كالهوى واتباعه له * نمى تازد اين نفس سركش چنان *
كه عقلش تواند كرفتن عنان * كه با نفس وشيطان برآيد بزور * مصاف پلنكان نيايد زمور *
فاحتاج ان يلجمها بلجام التقوى لتنقاد فيستعملها فى المراشد ويمنعها عن المفاسد فلما فرغ من قطعها
فاذا عوارض تعترضه وتشغله عن الاقبال على العبادة فنظر فاذا هى اربعة رزق تطلبه النفس ولا بد واخطار
من كل شئ يخافه او يرجوه او يريده او يكرهه ولا يدرى اصلاحه فى ذلك ام فساده والثالث الشدائد والمصائب
تنصب عليه من كل جانب لا سيما وقد انتصب لمخالفة الخلق ومحاربة الشيطان ومضارة النفس والرابع انواع
القضاء فاستقبلته ههنا عقبة العوارض الاربعة فاحتاج الى قطعها باربعة بالتوكل على الله فى الرزق
والتفويض اليه فى موضع الخطر والصبر عند الشدائد والرضى بالقضاء فاذا قطعها نظر فاذا النفس فاترة كسلى
لا تنشط ولا تنبعث نحو الخير كما يحق وينبغى وانما ميلها الى غفلة ودعة وبطالة بل الى سرف وفضول فاحتاج الى سائق
يسوقها الى الطاعة وزاجر يزجرها عند المعصية وهما الرجاء والخوف فالرجاء فى حسن ما وعد من الكرامات
والخوف من صعوبة ما اوعد من العقوبات والاهانات فهذه عقبة البواعث استقبلته فاحتاج الى قطعها بهذين
الذكرين فلما فرغ منها ولم ير عائقا ولا شاغلا ووجد باعثا وداعيا فعانق العبادة بلزام الشوق فنظر فاذا بدو
بعد كل ذلك آفتان عظيمتان هما الرياء والعجب فتارة يرائى بطاعته الناس وتارة يستعظم ذلك ويكرم نفسه
فاستقبلته ههنا عقبة القوادح فاحتاج الى قطعها بالاخلاص وذكر المنة فاذا قطعها بحسن عصمة الجبار
وتأييده حصلت العبادة له كما يحق وينبغى ولكنه نظر فاذا هو غريق فى بحور نعم الله من امداد التوفيق والعصمة
فخاف ان يكون منه اغفال للشكر فيقع فى الكفران وينحط عن تلك المرتبة الرفيعة التى هى مرتبة اغذية
الخالصين فاستقبلته ههنا عقبة الحمد والشكر فقطعها بتكثيرهما فلما فرغ منها فاذا هو بمقصوده ومبتغاه
فيتنعم فى طيب هذه الحالة بقية عمره بشخص فى الدنيا وقلب فى العقبى ينتظر البريد يوما فيوما ويستقذر الدنيا
واستكمل الشوق الى الملأ الاعلى فاذا هو برسول رب العالمين يبشره بالرضوان من عند رب غير غضبان فينقلونه
فى طيبة النفس وتمام البشر والانس من هذه الدنيا الفانية الى الحضرة الالهية ومستقر رياض الجنة فيرى
انفسه الفقيرة نعيما وملكا عظيما (قال الشيخ سعدى قدس سره) عروسى بود نوبت ماتمت * كرت نيك
روزى بود خاتمت (قال خسرو عند وفاته) زدنيا ميرود خسرو بزير لب همى كويد * دلم بكرفت
از غربت تمناى وطن دارم (رب العالمين) المنبه على استحقاقه الذاتى بجميع المحامد بمقابلة الحمد باسم
الذات اردفه باسماء الصفات جمعا بين الاستحقاقين وهو اى رب العالمين كالبرهان على استحقاقه جميع المحامد
الذاتى والصفاتى والدنيوى والاخروى والرب بمعنى التربية والاصلاح اما فى حق العالمين فيربيهم باغذيتهم وسائر
اسباب بقاء وجودهم وفى حق الانسان فيربى الظواهر بالنعمة وهى النفس ويربى البواطن بالرحمة وهى
القلوب ويربى نفوس العابدين باحكام الشريعة ويربى قلوب المشتاقين باداب الطريقة ويربى اسرار المحبين بانوار
الحقيقة ويربى الانسان تارة باطواره وفيض قوى انواره فى اعضائه فسبحان من اسمع بعظم وبصر بشحم وانطق
بلحم واخرى بترتيب غدائه فى النبات بحبوبه وثماره وفى الحيوان بلحومه وشحومه وفى الاراضى باشجاره
وانهاره وفى الافلاك بكواكبه وانواره وفى الزمان بسكونك وتسكين الحشرات والحركات المؤذية فى الليالى
وحفظك وتمكينك من ابتغاء فضله بالنهار فيا هذا ايربيك كانه ليس له عبد سواك وانت لا تخدمه او تخدمه كان لك
ربا غيره والعالمين جمع عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه قال وهب لله ثمانية عشر الف عالم الدنيا عالم منها
وما العمران فى الخراب الا كفسطاط فى صحراء وقال الضحاك ثلاثمائة وستون ثلاثمائة منهم حفاة عراة
لا يعرفون خالقهم وهم حشو جهنم وستون عالما يلبسون الثياب مر بهم ذو القرنين وكلمهم وقال كعب الاحبار
لا يحصى لقوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان الله تعالى خلق الخلق اربعة

اصناف الملائكة والشياطين والجن والانس ثم جعل هؤلاء عشرة اجزآء تسعة منهم الملائكة وواحد الثلاثة
الباقية ثم جعل هذه الثلاثة عشرة اجزآء تسعة منهم الشياطين وجزؤ واحد الجن والانس ثم جعلهما عشرة
اجزاء فتسعة منهم الجن وواحد الانس ثم جعل الانس مائة وخمسة وعشرين جزأ فجعل مائة جزء فى بلاد الهند
منهم ساطوح وهم اناس رؤسهم مثل رؤس الكلاب ومالوخ وهم اناس اعينهم على صدورهم وماسوخ
وهم اناس آذانهم كاذان الفيلة ومالوف وهم اناس لا يطاوعهم ارجلهم يسمون دوال باى ومصيركلهم الى النار
وجعل اثنى عشر جزأ منهم فى بلاد الروم النسطورية والملكانية والاسرآئيلية كل من الثلاث اربع طوآئف
ومصيرهم الى النار جميعا وجعل ستة اجزآء منهم فى المشرق يأجوج ومأجوج وترك وخاقان وترك حدخلج
وترك خزر وترك جرجير وجعل ستة اجزآء فى المغرب الزنج والزط والحبشة والنوبة و بربر وسائر كفار العرب
ومصيرهم الى النار وبقى من الانس من اهل التوحيد جزؤ واحد فجزأهم ثلاثا وسبعين فرقة اثنتان وسبعون على
خطر وهم اهل البدع والضلالات وفرقة ناجية وهم اهل السنة والجماعة وحسابهم على الله تعالى يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء وفى الحديث ان بنى اسرآئيل تفرقت على ثنتين وسبعين فرقة وتفرق امتى على ثلاث وسبعين
فرقة كلهم فى النار الا فرقة واحدة قالوا من هى يا رسول الله قال من هم على ما انا عليه واصحابى يعنى ما انا عليه
واصحابى من الاعتقاد والفعل والقول فهو حق وطريق موصل الى الجنة والفوز والفلاح وما عداه باطل وطريق
الى النار ان كانوا اباحيين فهم خلود والا فلا (الرحمن الرحيم) فى التكرار وجوه احدها ما سبق من ان رحمتى
البسملة ذاتيتان ورحمتى الفاتحة صفاتيتان كما مر والثانى ليعلم ان التسمية ليست من الفاتحة ولو كانت منها
لما ادعاهما لخلو الاعادة عن الفائدة والثالث انه ندب العباد الى كثرة الذكر فان من علامة حب الله حب ذكر الله
وفى الحديث من احب شيأ اكثر ذكره والرابع انه ذكر رب العالمين فبين ان رب العالمين هو الرحمن الذى يرزقهم
فى الدنيا الرحيم الذى يغفر لهم فى العقبى ولذلك ذكر بعده مالك يوم الدين يعنى ان الربوبية اما بالرحمانية وهى
رزق الدنيا واما بالرحيمية وهى المغفرة فى العقبى والخامس انه ذكر الحمد وبالحمد تنال الرحمة فان اول من حمد
الله تعالى من البشر آدم عطس فقال الحمد لله واجيب للحال يرحمك ربك ولذلك خلقك فعلم خلقه الحمد وبين
انهم ينالون رحمته بالحمد والسادس ان التكرار للتعليل لان ترتيب الحمد على هذه الاوصاف امارة علية
مأخذها بالرحمانية والرحيمية من جملتها للدلالة على انه مختار فى الاحسان لا موجب وفى ذلك استيفاء اسباب
استحقاق الحمد من فيض الذات برب العالمين وفيض الكمالات بالرحمن الرحيم ولا خارج عنهما فى الدنيا
وفيض الاثوبة لطفا والاجزية عدلا فى الآخرة ومن هذا يفهم وجه ترتيب الاوصاف الثلاثة والفرق بين الرحمن
الرحيم اما باختصاص الحق بالاول او بعمومه او بجلائل النعم فعلى الاول هو الرحمن بما لا يصدر جنسه من
العباد والرحيم بما يتصور صدوره منهم فذا كما روى عن ذى النون قدس سره وقعت ولولة فى قلبى فخرجت الى
شط النيل فرأيت عقربا يعدو فتبعته فوصل الى ضفدع على الشط فركب ظهره وعبر به النيل فركبت السفينة
واتبعته فنزل وعدا الى شاب نائم واذا افعى بقربه تقصده فتواثبا وتلادغا وماتا وسلم النائم (ويحكى) ان ولد الغراب
اذا خرج من القشر يكون كلحم احمر ويفر الغراب منه فيجتمع عليه البعوض فيلقمه الى ان ينبت ريشه فعند
ذلك تعود الام اليه ولهذا قيل يا رزاق النعاب فى عشه واما على ان الرحمن عام فقيل كيف ذلك وقلما يخلو احد
بل حالة له عن نوع بلوى قلنا الحوادث منها ما يظن انه رحمة ويكون نقمة وبالعكس قال الله تعالى فعسى
ان تكرهوا شيأ الآية فالاول كما قال

ان الشباب والفراغ والجده * مفسدة للمرء اى مفسده

وكل منها فى الظاهر نعمة والثانى كحبس الولد فى المكتب وحمله على التعلم بالضرب وكقطع اليد المتأكلة فالابله
يعتبر بالظواهر والعاقل ينظر الى السرآئر فما من بلية ومحنة الا وتحتها رحمة ومنحة وترك الخير الكثير للشر
القليل شر كبير فالتكاليف لتطهير الارواح عن العلائق الجسدانية وخلق النار لصرف الاشرار الى اعمال
الابرار وخلق الشيطان لتميز المخلصين من العباد فشأن المحقق ان يبنى على الحقائق كالخضر عليه السلام
فى قصة موسى عليه السلام معه فكل ما يكره الطبع فتحته اسرار خفية وحكمة بالغة فلولا الرحمة وسبقها
للغضب لم يكن وجود الكون ولما ظهر للاسم المنعم عين واما على ان الرحمن لجلائل النعم فانما اتبعه بالرحيم لدفع

توهم ان يكون طلب العبد الشىء اليسير سوء ادب كما قيل لبعضهم جئتك لحاجة يسيرة قال اطلب لها رجلا
يسيرا فكأن الله يقول لو اقتصرت على الرحمن لاحتشمت عنى ولكنى رحيم فاطلب منى حتى شراك نعلك وملح
قدرك (قال الشيخ السعدى قدس سره العزيز) محالست اكر سربرين در نهى * كه باز آيدت
دست حاجت تهى * قال اهل الحقيقة الحضرات الكلية المختصة بالرحمن ثلاث حضرة الظهور وحضرة
البطون وحضرة الجمع وكل موجود فله هذه المراتب ولا يخلو عن حكمها وعلى هذه المراتب تنقسم احكام الرحمة
فى السعدآء والاشقياء والمتنعمين بنفوسهم دون ابدانهم كالارواح المجردة وبالعكس والجامعين بين الامرين
وكذا من اهل الجنة من هم سعدآء من حيث نفوسهم بعلومهم دون صورهم لكونهم لم يقدموا فى جنة
الاعمال ما يستوجبون به النعيم الصورى وان كان فنزر يسير بالنسبة الى من سواهم وعكس ذلك كالزهاد
والعباد الذين لا علم لهم فان ارواحهم قليلة الحظ من النعيم الروحانى لعدم المناسبة بينهم وبين الحضرات العلية
الالهية ولهذا لم تتعلق هممهم زمان العمل بما ورآء العمل بل ظنوه الغاية فوقفوا عنده واقتصروا عليه
رغبة فيما وعدوا به ورهبة مما حذروا منه واما الجامعون بين النعيمين تماما فهم الفائزون بالحظ الكامل
فى العلم والعمل كالرسل عليهم الصلاة والسلام ومن كملت وراثته منهم اعنى الكمل من الاولياء (قال المولى
جلال الدين قدس سره) هر كبوتر مى پرد در مذهبى * وين كبوتر جانب بى جانبى (مالك يوم الدين)
اليوم فى العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفى الشرع عما بين طلوع الفجر الثانى وغروب
الشمس والمراد ههنا مطلق الوقت لعدم الشمس ثم اى مالك الامر كله فى يوم الجزآء فاضافة اليوم الى الدين
لادنى ملابسة كاضافة سائر الظروف الى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب ويوم الفتح وتخصيصه
اما لتعظيمه وتهويله او لبيان تفرده باجرآء الامر فيه وانقطاع العلائق بين الملاك والاملاك حينئذ بالكلية ففى
ذلك اليوم لا يكون مالك ولا قاض ولا مجازى غيره واصل المالك والملك الربط والشد والقوة فلله فى الحقيقة القوة
الكاملة والولاية النافذة والحكم الجارى والتصرف الماضى وهو للعباد مجاز اذ ملكهم بداية ونهاية وعلى
البعض لا الكل وعلى الجسم لا العرض وعلى النفس لا النفس وعلى الظاهر لا الباطن وعلى الحى لا الميت
بخلاف المعبود الحق اذ ليس لملكه زوال ولا لملكه انتقال وقرآءة مالك بالالف اكثر ثوابا من ملك لزيادة حرف
فيه (يحكى) عن ابى عبد الله محمد بن شجاع الثلجى رحمه الله تعالى انه قال كان من عادتى قرآءة مالك
فسمعت بعض الادباء ان ملك ابلغ فتركت عادتى وقرأت ملك فرأيت فى المنام ان قائلا يقول لم نقصت من
حسناتك عشرا اما سمعت قول النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن كتب له بكل حرف عشر حسنات
ومحيت عنه عشر سيئات ورفعت له عشر درجات فانتبهت فلم اترك عادتى حتى رأيت ثانيا فى المنام انه قيل لى
لم لا تترك هذه العادة اما سمعت قول النبى صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن فخما مفخما اى عظيما معظما
فاتيت قطربا وكان اماما فى اللغة فسألته بين المالك والملك فقال بينهما فرق كثير اما المالك فهو الذى ملك شيأ
من الدنيا واما الملك فهو الذى يملك الملوك قال فى تفسير الارشاد قرأ اهل الحرمين المحترمين ملك من الملك
الذى هو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلى فى امور
العامة بالامر والنهى وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين انتهى ولكل وجوه ترجيح ذكرت فى التفاسير
فليطالع ثمة والوجه فى سرد الصفات الخمس كانه يقول خلقتك فانا الله ثم ربيتك بالنعم فانا رب ثم عصيت فسترت
عليك فانا رحمن ثم تبت فغفرت فانا رحيم ثم لا بد من الجزآء فانا مالك يوم الدين وفى التأويلات النجمية الاشارة
فى مالك يوم الدين ان الدين فى الحقيقة الاسلام يدل عليه قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام والاسلام على
نوعين اسلام بالظاهر واسلام بالباطن فاسلام الظاهر باقرار اللسان وعمل الاركان فهذا الاسلام جسدانى
والجسدانى ظلمانى ويعبر عن الليل بالظلمة واما اسلام الباطن فبانشراح القلب والصدر بنور الله تعالى فهذا
الاسلام الروحانى نورانى ويعبر عن اليوم بالنور فالاسلام الجسدانى يقتضى اسلام الجسد لاوامر الله ونواهيه
والاسلام الروحانى يقتضى استسلام القلوب والروح لاحكام الازلى وقضائه وقدره فمن كان موقوفا
عند الاسلام الجسدانى ولم يبلغ مرتبة الاسلام الروحانى وهو بعد فى سير ليلة الدين متردد ومتحير فيرى ملوكا
وملاكا كثيرة كما كان حال الخليل عليه السلام فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى ومن تنفس صبح

سعادته وطلعت شمس الاسلام الروحانى من ورآء جبل نفسه عن مشرق القلب فهو على نور من ربه واضح
فى كشف يوم الدين فيكون ورد وقته اصبحنا واصبح الملك لله فيشاهد بعين اليقين بل يكاشف حق اليقين ان الملك
لله ولا مالك الا مالك يوم الدين فاذا تجلى له النهار وكشف بالمالك جهارا يخاطبه وجاها ويناجيه شفاها
اياك نعبد واياك نستعين ومن لطائف مالك يوم الدين ان مخالفة الملك تؤول الى خراب العالم وفناء الخلق فكيف
مخالفة ملك الملوك كما قال الله تعالى فى سورة مريم تكاد السموات يتفطرن منه والطاعة سبب المصالح كما قال
تعالى نحن نرزقك والعاقبة للتقوى فعلى الرعية مطاوعة الملوك وعلى الملوك مطاوعة ملك الملوك لينتظم مصالح
العالم ومن لطائفه ايضا ان مالك يوم الدين يبين ان كمال ملكه بعدله حيث قال ونضع الموازين القسط ليوم القيامة
فلا تظلم نفس شيأ فالملك المجازى ان عدل كان حقا فدرت الضروع ونمت الزروع وان كان جائرا كان باطلا
فارتفع الخير (يحكى) ان انوشروان انقطع فى الصيد عن القوم فانتهى الى بستان فقال لصبى فيه اعطنى رمانة
فاعطاه فاستخرج من حبها ماء كثيرا اسكن به عطشه فاعجبه واضمر اخذ البستان من مالكه فسأله اخرى فكانت
عفصة قليلة الماء فسأل الصبى عنه فقال لعل الملك عزم على الظلم فتاب قلبه وسأله اخرى فوجدها اطيب من
الاولى فقال الصبى لعل الملك تاب فتنبه انوشروان وتاب بالكلية عن الظلم فبقى اسمه مخلدا بالعدل حتى روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تفاخر فقال ولدت فى زمن الملك العادل قال الفنارى فى تفسير الفاتحة بل
لعله تفاخر بزمنه النورانى حتى ولد فيه مثله وذكر انوشروان دليلا على نورانية زمانه حيث لا يتصور فى الكافر
المسلط احسن حالا من العدل انتهى قال الامام السخاوى فى المقاصد الحسنة حديث ولدت فى زمن الملك
العادل لا اصل له ولا صحة وان صح فاطلاق العادل عليه لتعريفه بالاسم الذى كان يدعى به لا الوصفية بالعدل
والشهادة له بذلك او وصفه بذلك على اعتقاد المعتقدين فيه انه كان عدلا كما قال الله تعالى وما اغنت عنهم آلهتهم
اى ما كان عندهم آلهة ولا يجوز ان يسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم من يحكم بغير حكم الله عادلا انتهى
كلام المقاصد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالوالى يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر
ارتجاجة لا يبقى منه مفصل الا زال عن مكانه فان كان مطيعا لله فى عمله مضى فيه وان كان عاصيا لله انخرق
به الجسر فيهوى فى جهنم مقدار خمسين عاما كذا فى تذكرة الموتى للامام القرطبى (قال السعدى)
مها زور مندى مكن بركهان ✻ كه بريك نمط مى نماند جهان ✻ نماند ستمكار بد روزكار ✻
بماند برو لعنت پايدار (اياك نعبد) بنى الله سبحانه اول الكلام على ما هو مبادى حال العارف من الذكر والفكر
والتأمل فى اسمائه والنظر فى آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شانه وتأثير سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره
وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين
الى العين دون السامعين للاثر وفيه اشارة ايضا الى ان العابد ينبغى ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه
الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت منه بل من حيث انها نسبة شريفة ووصلة بينه وبين الحق
فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق فى ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه
ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسب اليه ولذلك فضل ما حكى عن حبيبه حين قال
لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معى ربى سيهدين وتقديم المفعول لقصد الاختصاص
اى نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك والعبادة غاية الخضوع والتذلل وعن عكرمة جميع ما ذكر فى القرءآن من العبادة
التوحيد ومن التسبيح الصلاة ومن القنوت الطاعة وعن ابن عباس رضى الله عنه ان جبريل عليه السلام
قال للنبى صلى الله عليه وسلم قل يا محمد اياك نعبد اى اياك نؤمل ونرجو ربنا لا غيرك والضمير المستكن فى نعبد
وكذا فى نستعين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضرى صلاة الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته
فى تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها وتجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة قال الشيخ
الاكبر والمسك الاذفر قدسنا الله بسره الاظهر فى كتاب العظمة اذا كنى العبد عن نفسه بنون نفعل فليست
بنون التعظيم واذا كنى عن الحق تعالى بضمير الافراد فان ذلك لغلبة سلطان التوحيد فى قلب هذا العبد
وتحققه به حتى سرى فى كليته فظهر ذلك فى نطقه لفظا كما كان عقدا او علما ومشاهدة وعينا وهذه النون نون الجمع
فان العبد وان كان فردانى اللطيفة وحدانى الحقيقة فانه غير وحدانى ولا فردانى من حيث لطيفته ومركبها

وهيكلها

وهيكلها وقالبها وما من جزء فى الانسان الا والحق تعالى قد طالب الحقيقة الربانية التى فيه ان تلقى على هذه
الاجزآء ما يليق بها من العبادات وهى فى الجملة وان كانت المدبرة فلها تكاليف يخصها ويناسب ذاتها فلهذه
الجمعية يقول العبد لله تعالى نصلى ونسجد واليك نسعى ونحفد واياك نعبد وامثال هذا الخطاب ولقد سألنى سائل
من علماء الرسوم عن هذه المسئلة وكان قد حار فيها فاجبته باجوبة منها هذا فشفى غليله والحمد لله اه كلام الشيخ
قدس سره وانما خص العبادة به تعالى لان العبادة نهاية التعظيم فلا تليق الا بالمنعم فى الغاية وهو المنعم بخلق
المنتفع وباعطاء الحياة الممكنة من الانتفاع كما قال تعالى وكنتم امواتا فاحياكم الاية وخلق لكم ما فى الارض
جميعا ولان احوال العبد ماض وحاضر ومستقبل ففى الماضى نقله من العدم والموت والعجز والجهل الى الوجود
والحياة والقدرة والعلم بقدرته الازلية وفى الحاضر انفتحت عليه ابواب الحاجات ولزمته اسباب الضروريات
فهو الرب الرحمن الرحيم وفى المستقبل مالك يوم الدين يجازيه باعماله فصالحه فى الاحوال الثلاثة لا تستتب
الا بالله فلا مستحق للعبادة الا الله تعالى ثم قوله نعبد يحتمل ان يكون من العبادة ومن العبودة والعبادة
هى العابدية والعبودة هى العبدية فمن العبادة الصلاة بلا غفلة والصوم بلا غيبة والصدقة بلا منة والحج
بلا ارآءة والغزو بلا سمعة والعتق بلا اذية والذكر بلا ملالة وسائر الطاعات بلا آفة ومن العبودة الرضى
بلا خصومة والصبر بلا شكاية واليقين بلا شبهة والشهود بلا غيبة والاقبال بلا رجعة والايصال بلا قطيعة
واقسام العبادة على ما ذكره حجة الاسلام فى كتابه المسمى بالاربعين عشرة كما ان الاعتقادات التى قبلها عشرة
فالمعتقدات الذات الازلية الابدية المنعوتة بصفات الجلال والاكرام الذى هو الاول والآخر والظاهر والباطن
اى الاول بوجوده والآخر بصفاته وافعاله والظاهر بشهادته ومكوناته والباطن بغيبه ومعلوماته ثم التقديس
عما لا يليق بكماله او يشين بجماله من النقائص والرذآئل ثم القدرة الشاملة للممكنات ثم العلم المحيط بجميع
المعلومات حتى بدبيب النملة السودآء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء وما هو اخفى منه كهواجس الضمائر
وحركات الخواطر وخفيات السرآئر ثم الارادة بجميع الكائنات فلا يجرى فى الملك والملكوت قليل او كثير
الا بقضائه ومشيئته مريد فى الازل لوجود الاشياء فى اوقاتها المعينة فوجدت كما اراده ثم السمع والبصر
لا يحجب سمعه بعد ولا رؤيته ظلام فيسمع من غير اصمخة وآذان ويبصر من غير حدقة واجفان ثم الكلام
الازلى القائم بذاته لا بصوت كلام الخلق وان القرءآن مقروء ومكتوب ومحفوظ ومع ذلك قديم قائم بذات الله
تعالى وان موسى سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله من غير شكل ولا لون ثم الافعال
الموصوفة بالعدل المحض فلا موجود الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله اذ لا تصادف لغيره ملكا ليكون
تصرفه فيه ظلما فلا يتصور منه ظلم ولا يجب عليه فعل فكل نعمة من فضله وكل نقمة من عدله ثم اليوم الآخر
والعاشر النبوة المشتملة على ارسال الملائكة وانزال الكتب واما العبادات العشرة فالصلاة والزكاة والصوم
والحج وقرآءة القرءآن وذكر الله فى كل حال وطلب الحلال والقيام بحقوق المسلمين وحقوق الصحبة والتاسع
الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والعاشر اتباع السنة وهو مفتاح السعادة وامارة محبة الله كما قال تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله قال المولى الجامى يا نبى الله السلام عليك انما الفوز والفلاح لديك
كر نرفتم طريق سنت تو ✻ هستم از عاصيان امت تو ✻ مانده ام زير بار عصيان پست ✻ افتم از پاى
اكر نكيرى دست ✻ وجاء فى بيان مراتب العباد المتوجهين الى الله ان الانسان اذا فعل برا ان قصد به امرا ما
غير الحق كان من الاحرار لا من العبيد وان لم يقصد امرا بعينه بل يفعله لكونه خيرا فقط او لكونه مأمورا به
لا مطلقا بل من حيث الحضور منه مع الآمر فهو الرجل فان ارتقى بحيث لا يقصد بعمله غير الحق كان تاما
فى الرجولية فان تأدى بحيث لا يفعل شيأ الا بالحق كما ورد فى قرب النوافل صار تاما فى المعرفة والرجولية
وان انضم الى ما سبق حضوره مع الحق فى فعله بحيث يشهده بعين الحق لا بنفسه من حيث اضافة الشهود الى الله
والفعل والاضافة اليه لا الى نفسه فهو العبد المخلص المخلص عمله فان ظهرت عليه غلبة احكام هذا المقام والذى
قبله وهو مقام فبى يسمع غير متقيد بشئ منها ولا بجموعها مع سريان حكم شهوده الاحدى فى كل مرتبة ونسبة
دون الثبات على امر بعينه بل ثابتا فى سعته وقبوله كل وصف وحكم عن علم صحيح منه بما اتصف به وما انسلخ
عنه فى كل وقت وحال دون غفلة وحجاب فهو الكامل فى العبودية والخلافة والاحاطة والاطلاق كذا

فى تفسير الفاتحة للصدر القنوى قدس سره قال فى التأويلات النجمية فى قوله اياك نعبد رجع الى الخطاب من الغيبة لانه ليس بين المملوك ومالكه الاحجاب ملك نفس المملوك فاذا عبر عن حجاب ملك النفس وصل الى مشاهدة مالك النفس كما قال ابو يزيد فى بعض مكاشفاته الهى كيف السبيل اليك قال له ربه دع نفسك وتعال فللنفس اربع صفات امارية ولوامية وملهمية ومطمئنة فامر العبد المملوك بان يذكر مالكه باربع صفات بالصفة الالهية والربوبية والرحمانية والرحيمية فيعبر بعد مدح الالهية وشكر الربوبية وثناء الرحمانية وتمجيد الرحيمية وقوة جذبات هذه الصفات الاربع عن حجاب ممالك الصفات الاربع للنفس فيتخلص عن ظلمات ليله دين نفسه بطلوع صبح صادق مالك يوم الدين فيبقى العبد عبدا مملوكا لا يقدر على شئ فيرحمه مالكه ويذكره بلسان كرمه على قضية وعده فاذكرونى اذكركم ويناديه ويخاطب نفسه يا ايتها النفس المطمئنة ثم يجذبه عن غيبة نفسه الى شهود مالكية ربه بجذبة ارجعى الى ربك فيشاهد جمال مالكه ويناديه نداء عبد خاضع خاشع ذليل عاجز كما قرأ بعضهم مالك يوم الدين نصبا على نداء اياك نعبد واعلم ان النفس دنيوية تعبد هواها الدنيوى لقوله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه والقلب اخروى يعبد الجنة لقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى والروح قربى يعبد القربة والعندية لقوله تعالى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر والسر حضرتى يعبد الحق تبارك لقوله تعالى على لسان نبيه عليه السلام الاخلاص سر بينى وبين عبدى لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل فلما انعم الله على عبده بنعمة الصلاة قسمها بينه وبين عبده كما قال تعالى على لسان نبيه عليه السلام قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل فتقرب العبد بنصفه الى حضرة كماله بالحمد والثناء والشكر على صفات جماله وجلاله وتقرب الرب على مقتضى كرمه وانعامه كما قال من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا بنصفه الى خلاص عبده من رق عبودية الاغيار باخراجه عن ظلمات بعضها فوق بعض من هوى النفس ومراد القلب وتعلق الروح بغير الحق الى نور وحدانيته وشهود فردانيته فاشرقت ارض النفس وسموات القلب وعرش الروح وكرسى السر بنور ربها فامنوا كلهم اجمعون بالله الذى خلقهم وهو مالكهم ومليكهم وكفروا بطواغيتهم التى يعبدونها واستمسكوا بالعروة الوثقى وجعلوا كلهم واحدا وقالوا اياك نعبد واياك نستعين كرر اياك للتنصيص على اختصاصه تعالى بالاستعانة ايضا والاستعانة طلب العون وتعدى بالباء وبنفسه اى نطلب العون على عبادتك او على ما لا طاقة لنا به او على محاربة الشيطان المانع من عبادتك او فى امورنا بما يصلحنا فى دنيانا وديننا والجامع للاقاويل نسألك ان تعيننا على اداء الحق اقامة الفروض وتحمل المكاره وطلب المصالح وتقديم العبادة على الاستعانة ليوافق رؤس الآى وليعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واياك نعبد لما اورثه العجب اردف اياك نستعين ازالة له وافناء للنخوة ففى الجمع بينهما افتخار وافتقار فالافتخار بكونه عبدا عابدا والافتقار الى معونته وتوفيقه وعصمته وفيه ايضا تحقيق لمذهب اهل السنة والجماعة اذ فيه اثبات الفعل من العبد والتوفيق من الله كالخلق ففيه رد الجبرية النافين للفعل من العبد بقوله اياك نعبد ورد المعتزلة النافين للتوفيق والخلق من الله بقوله اياك نستعين ثم تحقيقهما من العبدان لا يخدم غير الله ويسأل عن الله (حكى) عن سفيان الثورى رحمه الله انه ام قوما فى صلاة المغرب فلما قال اياك نعبد واياك نستعين خر مغشيا عليه فلما افاق قيل له فى ذلك فقال خفت ان يقال فلم تذهب الى ابواب الاطباء والسلاطين وفى تخصيص الاستعانة بالتقديم اقتداء بالخليل عليه السلام فى قيد النمرود حيث قال له جبريل عليه السلام هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا فقال سله قال حسبى من سؤالى علمه بحالى بل زد عليه وقل الخليل قيد رجلاه ويداه لاغير اما انا فقيدت الرجلين فلا اسير واليدين فلا احركهما وعينى فلا انظر بهما واذنى فلا اسمع بهما ولسانى فلا اتكلم به وانا مشرف على نار جهنم فكما لم يرض الخليل بغيرك معينا الا اريد الا عونك فاياك نستعين وكانه تعالى يقول فنحن ايضا نزيد حيث قلنا ثمة يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم واما انت فقد نجيناك عن النار واوصلناك الى الجنة وزدنا سماع الكلام القديم وامرنا نار جهنم تقول لك جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبى (قال المولى جلال الدين قدس سره) آتش عاشق از ين روای صفى ✱ ميشود دوزخ ضعيف ومنطفى ✱ كو يدش بكذر سبك اى محتشم ✱ ورنه ز آتشهاى تو مرد آتشم ✱ اهدنا الصرط المستقيم بيان المعونة المطلوبة كانه قيل كيف اعينك فقالوا اهدنا الصراط

المستقيم وايضا ان التعقيب بالدعاء بعد تمام العبادة قاعدة شرعية قال فى التيسير اياك نعبد اظهار التوحيد (واياك نستعين) طلب العون عليه وقوله اهدنا السؤال الثبات على دينه وهو تحقيق عبادته واستعانته وذلك لان الثبات على الهداية اهم الحاجات اذ هو الذى سأله الانبياء والاولياء كما قال يوسف عليه السلام توفنى مسلما وسحرة فرعون توفنا مسلمين والصحابة وتوفنا مع الابرار وذلك لانه لا ينبغى ان يعتمد على ظاهر الحال فقد يتغير فى المآل كالابليس وبرصيصا وبلعم باعور (قال المولى جلال الدين قدس سره) صد هزار ابليس وبلعم در جهان ✱ همچنين بودست پيدا و نهان ✱ اين دو را مشهور كردانيد اله ✱ تا كه باشند اين دو بر باقى كواه ✱ اين دو دزد آويخت بر دار بلند ✱ ورنه اندر قهر بس دزدان بدند ✱ وفى تفسير القاضى اذا قاله العارف الواصل الى الله اعنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشى ابداننا لنستضئ بنور قدسك فنراك بنورك قال المولى الفنارى ومبناه ان السير فى الله غير متناه كما قال قطب المحققين ولا نهاية للمعلومات والمقدورات فما دام معلوم او مقدور فالشوق للعبد لا يسكن ولا يزول واصل الهداية ان يعدى باللام اوالى فعومل معاملة اختار فى قوله تعالى واختار موسى قومه والصراط المستقيم استعارة عن ملة الاسلام والدين الحق تشبيها الوسيلة المقصود بوسيلة المقصد او لمحل التوجه الروحانى بمحل التوجه الجسمانى وانما سمى الدين صراطا لان الله سبحانه وان كان متعاليا عن الامكنة لكن العبد الطالب لا بد له من قطع المسافات ومس الآفات وتحمل المجافاة ليكرم بالوصول والموافاة ثم فى قوله اهدنا الصراط المستقيم مع انه مهتد وجوه الاول ان لا بد بعد معرفة الله تعالى والاهتداء بها من معرفة الخط المتوسط بين الافراط والتفريط فى الاعمال الشهوية والغضبية وانفاق المال والمطلوب ان يهديه الى الوسط والثانى انه وان عرف الله بدليل فهنالك ادلة اخرى فمعنى اهدنا عرفنا ما فى كل شئ من كيفية دلالته على ذاتك وصفاتك وافعالك والثالث ان معناه بموجب قوله تعالى وان هذا صراطى مستقيما طلب الاعراض عما سوى الله وان كان نفسه والاقبال بالكلية عليه حتى لو امر بذبح ولده كابراهيم عليه السلام او بان ينقاد للذبح كاسمعيل عليه السلام او بان يرمى نفسه فى البحر كيونس عليه السلام او بان يتلمذ مع بلوغه اعلى درجات الغايات كموسى عليه السلام او بان يصبر فى الامر بالمعروف على القتل والشق بنصفين كيحيى وزكريا عليهما السلام فعل وهذا مقام هائل الان فى قوله صراط الذين انعمت عليهم دون ان يقول صراط الذين ضربوا وقتلوا تيسيرا لما وترغيبا الى مقام الانبياء والاولياء من حيث انعامهم ثم الاستقامة الاعتدالية ثم الثبات عليها امر صعب ولذا قال النبى صلى الله عليه وسلم شيبتنى هود واخواتها حيث وردفيها فاستقم كما امرت فان الانسان من حيث نشأته وقواه الظاهرة والباطنة مشتمل على صفات واخلاق طبيعية وروحانية ولكل منها طرفا افراط وتفريط والواجب معرفة الوسط من كل ذلك والبقاء عليه وبذلك وردت الاوامر ونطقت الايات كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الخ حرضه على الوسط بين البخل والاسراف وكقوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله مستشيرا فى الترهب وصيام الدهر وقيام الليل كله بعد زجره اياه ان لنفسك عليك حقا ولزوجك عليك حقا ولزورك عليك حقا فصم وافطر وقم ونم وهكذا فى الاحوال كلها نحو قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ولم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ومازاغ البصر وما طغى ولما رأى صلى الله عليه وسلم عمر رضى الله عنه يقرأ رافعا صوته فسأله فقال اوقظ الوسنان واطرد الشيطان فقال عليه السلام اخفض من صوتك قليلا واتى ابا بكر رضى الله عنه فوجده يقرأ خافضا صوته فسأله فقال قد اسمعت من ناجيت فقال عليه السلام ارفع من صوتك قليلا وهكذا الامر فى باقى الاخلاق فان الشجاعة صفة متوسطة بين التهور والجبن والبلاغة بين الايجاز المجحف والاطناب المفرط وشرعنا قد تكفلت ببيان ميزان الاعتدال فى كل ترغيب وترهيب وحال وحكم وصفة وخلق حتى عينت للمذمومة مصارف اذا استعملت فيها كانت محمودة كالمنع لله والبغض لله والمستقيم على اقسام منهم مستقيم بقوله وفعله وقلبه ومستقيم بقلبه وفعله دون قوله اى لم يعلم احدا ولهذين الفوز والاول أعلى ومستقيم بفعله وقوله دون قلبه وهذا يرجى له النفع بغيره ومنهم مستقيم بقوله وقلبه دون فعله ومستقيم بقوله دون فعله وقلبه ومستقيم بقلبه دون قوله وفعله ومستقيم بفعله دون قوله وقلبه وهؤلاء الاربعة عليهم لا لهم وان كان بعضهم فوق بعض وليس المراد بالاستقامة بالقول ترك الغيبة والنميمة وشبههما فان الفعل يشعر ذلك انما المراد بها

ارشاد الغير الى الصراط المستقيم وقد يكون عريا عما يرشد اليه مثال اجتماعهما رجل تفقه فى امر صلاته وحققها
ثم علمها غيره فهذا مستقيم فى قوله ثم حضر وقتها فاداها على ما علمها محافظا على اركانها الظاهرة فهذا مستقيم
فى فعله ثم علم ان مراد الله منه من تلك الصلاة حضور قلبه معه فاحضره فهذا مستقيم بقلبه وقس على ذلك
بقية الاقسام وفى التأويلات النجمية ان اقسام الهداية ثلاثة الاولى هداية العامة اى عامة الحيوانات الى جلب
منافعها وسلب مضارها واليه اشار بقوله تعالى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقوله وهديناه النجدين والثانية
هداية الخاصة اى للمؤمنين الى الجنة واليه الاشارة بقوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم الاية والثالثة هداية
الاخص وهى هداية الحقيقة الى الله بالله واليه الاشارة بقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى وقوله انى
ذاهب الى ربى سيهدين وقوله الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب وقوله ووجدك ضالا فهدى اى
كنت ضالا فى تيه وجودك فطلبتك بجودى ووجدتك بفضلى ولطفى وهديتك بجذبات عنايتى ونور هدايتى
الى وجعلتك نورا فاهدى بك الى من اشاء من عبادى فمن اتبعك وطلب رضاك فنخرجهم من ظلمات الوجود
البشرى الى نور الروحانى ونهديهم الى صراط مستقيم كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به
الله والصراط المستقيم هو الدين القويم وهو ما يدل عليه القرءآن العظيم وهو خلق سيد المرسلين صلى الله
عليه وسلم فيما قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم ثم هو اما الى الجنة وذلك لاصحاب اليمين كما قال تعالى والله
يدعو الى دار السلام الاية واما الى الله تعالى وهذا للسابقين المقربين كما قال تعالى الى صراط مستقيم
صراط الله وكل ما يكون لاصحاب اليمين يحصل للسابقين وهم سابقون على اصحاب اليمين بما لهم من شهود
الجمال وكشف الجلال وهذا خاصة لسيد المرسلين ومتابعيه كما قال تعالى قل هذه سبيلى ادعو الى الله على
بصيرة انا ومن اتبعنى (قال الشيخ قدس سره) برآتش فشاند سجادهات * اكر بحق ميرود جادهات *
صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل والانعام ايصال النعمة وهى فى الاصل الحالة التى
يستلذها الانسان فاطلقت على ما يستلذه من نعمة الدين الحق قال ابو العباس ابن عطا هؤلاء المنعم عليهم هم
طبقات فالعارفون انعم الله عليهم بالمعرفة والاولياء انعم الله عليهم بالصدق والرضى واليقين والصفوة والابرار
انعم الله عليهم بالحلم والرأفة والمريدون انعم الله عليهم بحلاوة الطاعة والمؤمنون انعم الله عليهم بالاستقامة
وقيل هم الانبياء والصديقون والشهدآء والصالحون كما قال تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهدآء والصالحين واضيف الصراط هنا الى العباد وفى قوله وان هذا صراطى مستقيما الى ذاته
تعالى كما اضيف الدين والهدى تارة الى الله تعالى نحو افغير دين الله وان الهدى هدى الله وتارة الى العباد
نحو اليوم اكملت لكم دينكم وبهداهم اقتده وسره من وجوه الاول بيان ان ذلك كله له شرعا ولنا نفعا كما قال
تعالى شرع لكم من الدين والثانى انه له ارتضاء واختيارا ولنا سلوكا واتمارا والثالث انه اضافه الى نفسه
قطعا لعجب العبد والى العبد تسلية لقلبه والرابع انه اضافه الى العبد تشريفا له وتقريبا والى نفسه قطعا لطمع
ابليس عنه كما قيل لما نزل قوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين قال الشيطان ان لم اقدر على طلب عزة الله
ورسوله اطلب عزة المؤمنين فقال الله تعالى فلله العزة جميعا فقطع طمعه كذا فى التيسير وتكرار الصراط
اشارة الى ان الصراط الحقيقى صراطان من العبد الى الرب ومن الرب الى العبد فالذى من العبد الى الرب
طريق مخوف كم قطع فيه القوافل وانقطع به الرواحل ونادى منادى العزة لاهل العزة الطلب رد والسبيل سد
وقاطع الطريق يقطع على هذا الفريق لاقعدن لهم صراطك المستقيم الاية والذى من الرب الى العبد طريق
آمن وبالامان كائن قد سلم فيه القوافل وبالنعم محفوف المنازل يسير فيه سيارته ويقاد بالدلائل قادته
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين الاية اى انعم الله على اسرارهم بانوار العناية وعلى ارواحهم باسرار الهداية
وعلى قلوبهم بآثار الولاية وعلى نفوسهم فى قمع الهوى وقهر الطبع وحفظ الشرع بالتوفيق والرعاية وعن مكايد
الشيطان بالمراقبة والكلاية والنعم اما ظاهرة كارسال الرسل وانزال الكتب وتوفيق قبول دعوة الرسل
واتباع السنة واجتناب البدعة وانقياد النفس للاوامر والنواهى والثبات على قدم الصدق ولزوم العبودية
واما باطنة وهى ما انعم على ارواحهم فى بداية الفطرة باصابة رشاش نوره كما قال عليه السلام ان الله خلق الخلق
فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن اخطأه فقد ضل فكان فتح باب صراط الله

الى العبد من رشاش ذلك النور واول الغيث رش ثم ينسكب فالمؤمنون ينظرون بذلك النور المرشوش
الى مشاهدة المغيث وينتظرون الغيث ويستعينون (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم)
بجذبات الطافك وفتحت عليهم ابواب فضلك ليهتدوا بك اليك فاصابوا بما اصابهم بك منك كذا فى التأويلات
النجمية قال الشيخ صدر الدين القنوى قدس سره فى الفكوك فى تأويل الحديث المذكور لاشك ان الوجود
المحض يتعقل فى مقابلته العدم المضاد له فان للعدم تعينا فى التعقل لا محالة وله الظلمة كما ان الوجود له النورانية
ولهذا يوصف الممكن بالظلمة فانه يتنور بالوجود فيظهر فظلمته من احد وجهيه الذى يلى العدم وكل نقص
يلحق الممكن ويوصف به انما ذلك من احكام النسبة العدمية واليه الاشارة بقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليه من نوره فظهر وخلق ههنا بمعنى التقدير فان التقدير سابق على الايجاد
ورش النور كناية عن افاضة الوجود على الممكنات فاعلم ذلك انتهى كلام الشيخ (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)
بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال وكلمة غير على ثلاثة اوجه الاول
بمعنى المغايرة وفارسيته جز قال الله تعالى لتفترى علينا غيره والثانى بمعنى لا وفارسيته نا قال تعالى فمن اضطر غير
باغ ولا عاد والثالث بمعنى الا وفارسيته مكر قال تعالى فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وصرفها ههنا على هذه
الوجوه يحتمل غير ان معنى الاستثناء مخصوص بقرآءة النصب والغضب ثوران النفس عند ارادة الانتقام يعنى
انه حالة نفسانية تحصل عند غليان النفس ودم القلب لشهوة الانتقام وههنا نقيض الرضى او ارادة الانتقام
او تحقيق الوعيد او الاخذ الاليم او البطش الشديد او هتك الاستار والتعذيب بالنار لان القاعدة التفسيرية
ان الافعال التى لها اوآئل بدايات واواخر غايات اذا لم يمكن اسنادها الى الله باعتبار البدايات يراد بها حين
الاسناد غاياتها كالغضب والحياء والتكبر والاستهزآء والغم والفرح والضحك والتبشيش وغيرها والضلال
العدول عن الطريق السوى عمدا او خطأ والمراد بالمغضوب عليهم العصاة وبالضالين الجاهلون بالله لان المنعم
عليهم هم الجامعون بين العلم والعمل فكان المقابل لهم من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل
فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى فى القاتل عمدا وغضب الله عليه ولعنه والمخل بالعلم جاهل ضال كقوله تعالى
فماذا بعد الحق الا الضلال او المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى فى حقهم من لعنه الله وغضب عليه والضالون
النصارى لقوله تعالى فى حقهم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وليس المراد تخصيص نسبة الغضب باليهود
ونسبة الضلال بالنصارى لان الغضب قد نسب ايضا الى النصارى وكذا الضلال قد نسب الى اليهود
فى القرءآن بل المراد انهما اذا تقابلا فالتعبير بالغضب الذى هو ارادة الانتقام لا محالة باليهود اليق لغاية تمردهم
فى كفرهم من اعتدآئهم وقتلهم الانبياء وقولهم ان الله فقير ونحن اغنياء وغير ذلك فان قلت من المعلوم ان المنعم
عليهم غير الفريقين فما الفائدة فى ذكرهما بعدهم قلت فائدته وصف ايمانهم بكمال الخوف من حال الطائفتين
بعد وصفه بكمال الرجاء فى قوله الذين انعمت عليهم قال عليه السلام لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا واعلم
ان حكم الغضب الالهى تكميل مرتبة قبضة الشمال فانه وان كان كلتا يديه المقدستين يمينا مباركة لكن
حكم كل واحدة يخالف الاخرى فالارض جميعا قبضته والسموات مطويات بيمينه فلليد الواحدة المضاف اليها
عموم السعدآء الرحمة والجنان وللاخرى القهر والغضب ولوازمهما فسر حكم الغضب هو التكميل المشار اليه
فى الجمع بين حكم اليدين والوقاية ولصاحب الاكلة اذا ظهرت فى عضو واحد وقدر ان يكون الطبيب والده
او صديقه او شقيقه فانه مع فرط محبته يبادر لقطع العضو المعتل لما لم يكن فيه قابلية الصلاح والسر الثالث
التطهير كالذهب الممزوج بالرصاص والنحاس اذا قصد تمييزه لابد وان يجعل فى النار الشديدة والضلال هو
الحيرة فمنها ما هى مذمومة ومنها ما هى محمودة ولها ثلاث مراتب حيرة اهل البدايات وحيرة المتوسطين من اهل
الكشف والحجاب وحيرة اكابر المحققين واول مزيل للحيرة الاولى تعين المطلب المرجح كرضى الله والتقرب اليه
والشهود الذاتى ثم معرفة الطريق الموصل كملازمة شريعة الكمل ثم السبب المحصل كالمرشد ثم ما يمكن
الاستعانة به فى تحصيل الغرض من الذكر والفكر وغيرهما ثم معرفة العوآئق وكيفية ازالتها كالنفس
والشيطان فاذا تعينت هذه الامور الخمسة حينئذ تزول هذه الحيرة وحيرة الاكابر محمودة لا تظنن ان هذه الحيرة
سببها قصور فى الادراك ونقص مانع من كمال الجلاء هنا والاستجلاء لما هنالك بل هذه حيرة يظهر حكمها بعد كمال

التحقق بالمعرفة والشهود ومعاينة سر كل وجود والاطلاع التام على احدية الوجود وفى تفسير النجم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين هم الذين اخطأهم ذلك النور فضلوا فى تيه هوى النفس وتاهوا فى ظلمات الطبع
والتقليد فغضب الله عليهم مثل اليهود ولعنهم بالطرد والتبعيد حتى لم يهتدوا الى الشرع القويم ووقعوا عن
الصراط المستقيم اى عن المرتبة الانسانية التى خلق فيها الانسان فى احسن تقويم ومسخوا قردة وخنازير صورة
او معنى اولما وقعوا عن الصراط المستقيم فى سد البشرية نسوا الطاف الربوبية وضلوا عن صراط التوحيد
فاخذهم الشيطان بشرك الشرك كالنصارى فاتخذوا الهوى آلها والدنيا الها وقالوا ثالث ثلاثة نسوا الله
فنسيهم هذا بحسب اول الحال وفيه وجه آخر معتبر فيه عارض المآل وهو ان يراد غير المغضوب عليهم بالغيبة
بعد الحضور والمحنة بعد السرور والظلمة غب النور نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى من الرجوع الى النقصان
بعد الزيادة ولا الضالين بغلبة الفسق والفجور وانقلاب السرور بالشرور ووجه ثالث يعبر فى السلوك الى ملك
الملوك وهو غير المغضوب عليهم بالاحتباس فى المنازل والانقطاع عن القوافل ولا الضالين بالصدود عن المقصود
(آمين) اسم فعل بمعنى استجب معناه يا الله استجب دعاءنا او افعل يا رب بنا على الفتح كاين وكيف لالتقاء
الساكنين وليست من القرآن اتفاقا لانها لم تكتب فى الامام ولم ينقل احد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم
رضى الله تعالى عنهم انها قرآن لكن يسن ان يقول القارئ بعد الفاتحة آمين مفصولة عنها لقوله عليه السلام
علمنى جبريل آمين عند فراغى من قرآءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وزاده على رضى الله عنه توضيحا
فقال آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده فسره ان الخاتم كما يمنع من المختوم الاطلاع عليه والتصرف فيه
يمنع آمين من دعاء العبد الخيبة وقال وهب يخلق بكل حرف منه ملك يقول اللهم اغفر لمن قال آمين
وفى الحديث الداعى والمؤمن شريكان يعنى به قوله تعالى قد اجيبت دعوتكما قال عليه السلام اذا قال الامام
ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقولها فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وسره ما مر
فى كلام وهب اما الموافقة فقيل فى الزمان وقيل فى الاخلاص والتوجه الاحدى واختلف فى هؤلاء الملائكة
قيل هم الحفظة وقيل غيرهم ويعضده ماروى انه عليه السلام قال فان من وافق قوله قول اهل السماء ويمكن
ان يجمع بين القولين بان يقولها الحفظة واهل السماء ايضا قال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة ان الفاتحة
نسخة الكمال ممن اخرج للاستكمال من ظلمة العدم والاستهلاك فى نور القدم الى انوار الروحانية ثم بواسطة النفخ
الى عالم الجسمانية ليكمل مرتبة الانسانية التى لجمعيتها مظنة الانانية فاحتاج الى طلب الهداية الى منهاج
العناية التى منها جاء ليرجع من الوجود الى العدم بل من الحدوث الى القدم فيفقد الموجود فقدانا لا يجده ليجد
المفقود وجدانا لا يفقده ولما حصل لهم رتبة الكمال بقبول هذا السؤال كما قال ولعبدى ما سأل فاضاف الى
نفسه بلام التمليك ثم ختم اكرم الاكرمين نسخة حالهم بخاتم آمين اشارة الى ان عباده المخلصين ليس لاحد من
العالمين ان يتصرف فيهم بان يفك خاتم رب العالمين ولهذا ايس ابليس فقال الا عبادك منهم المخلصين وعدد آيات
سورة الفاتحة سبع فى قول الجمهور على ان احداها ما آخرها انعمت عليهم لا التسمية او بالعكس وعدد كلماتها فى
التيسير انها خمس وعشرون وحروفها مائة وثلاثة وعشرون وفى عين المعانى كلماتها سبع وعشرون وحروفها
مائة واثنان واربعون وسبب الاختلاف بعد عدم اعتبار البسملة اعتبار الكلمات المنفصلة كتابة او المستقلة
تلفظا واعتبار الحروف الملفوظة او المكتوبة او غيرهما وسئل عطاء اى وقت انزلت فاتحة الكتاب قال انزلت
بمكة يوم الجمعة كرامة اكرم الله بها محمدا عليه السلام وكان معها سبعة آلاف ملك حين نزل بها جبريل على محمد
عليهما السلام روى ان عيرا قدمت من الشام لابى جهل بمال عظيم وهى سبع فرق ورسول الله واصحابه ينظرون
اليها واكثر الصحابة بهم جوع وعرى فخطر ببال النبى صلى الله عليه وسلم شئ لحاجة اصحابه فنزل قوله تعالى
ولقد آتيناك سبعا من المثانى اى مكان سبع قوافل لابى جهل لا ينظر الى ما اعطيناك مع جلالة هذه العطية فلم
تنظر الى ما اعطيته من متاع الدنيا الدنية ولما علم الله ان تمنيه لم يكن لنفسه بل لاصحابه قال ولا تحزن عليهم وامر
بما يزيد نفعه على نفع المال واخفض جناحك للمؤمنين فان تواضعك اطيب لقلوبهم من ظفرهم بمحبوبهم ومن
فضائلها ايضا قوله عليه السلام لو كانت فى التوراة لما تهود قوم موسى ولو كانت فى الانجيل لما تنصر قوم
عيسى ولو كانت فى الزبور لما مسخ قوم داود عليهم السلام وايما مسلم قرأها اعطاه الله من الاجر كانما قرأ القرآن

كله وكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ومن فضائلها ايضا ان الحروف المعجمة فيها اثنان وعشرون واعوان
النبى صلى الله عليه وسلم بعد الوحى اثنان وعشرون وان ليست فيها سبعة احرف ثاء الثبور وجيم الجحيم وخاء
الخوف وزاى الزقوم وشين الشقاوة وظاء الظلمة وفاء الفراق فمعتقد هذه السورة قارئها على التعظيم والحرمة آمن
من هذه الاشياء السبعة وعن حذيفة رضى الله عنه انه عليه السلام قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب
حتما مقضيا فيقرأ صبى من صبيانهم فى المكتب الحمد لله رب العالمين فيسمعه ويرفع عنهم بسببه العذاب اربعين
سنة وقد مر ماروى من ايداع علوم جميع الكتب فى القرآن ثم فى الفاتحة فمن علم تفسيرها كان كمن علم
تفسير الكل ومن قرأها فكانما قرأ الكل قال فى التفسير الكبير والسبب ان المقصود من جميع الكتب علم
الاصول والفروع والمكاشفات وقد علم اشتمالها عليها قال الفنارى وذلك لما علم ان اولها الى قوله تعالى
مالك يوم الدين اشارة الى العقائد المبدئية المتعلقة بالالهيات ذاتا وصفة وفعلا لان حصر الحمد يقتضى حصر
الكمالات الذاتية والوصفية والفعلية ثم بالنبوات والولايات لانهما اجلاء النعم اواخصاؤها ثم الى العقائد
المعادية لكونه مالكا للامر كله يوم المعاد واوسطها من قوله اياك نعبد واياك نستعين الى اقسام الاحكام
الرابطة بين الحق والعبد من العبادات وذلك ظاهر من المعاملات والمزاجر لان الاستعانة الشرعية اما لجلب
المنافع او لدفع المضار وآخرها الى طلب المؤمنين وجوه الهداية المرتبة على الايمان المشار اليه فى القسم الاول
والاسلام المشار اليه فى القسم الثانى وهى وجوه الاحسان اعنى المراتب الثلاث من الاخلاق الروحانية
المحمودة ثم المراقبات المعهودة فى قوله عليه السلام ان تعبد الله كانك تراه ثم الكمالات المشهودة عند الاستغراق
فى مطالع الجلال الرافع لكاف التشبيه الذى فى ذلك الخبر والدافع لغضب تنزيه الجبر وضلال نسبة القدر وهذه
هى المسماة بعلوم المكاشفات والله اعلم باسرار كتابه المبطنات

سورة البقرة مدنية وآياتها مائتان وسبع وثمانون

ان قلت اى سورة اطول وايها اقصر واى آية اطول وايها اقصر قلت قال اهل التفسير اطول سورة فى القرآن
البقرة واقصرها الكوثر واطول آية آية الدين واقصرها آية والضحى والفجر واطول كلمة فيه كلمة فاسقيناكموه
فان قلت ما الحكمة فى ان سورة البقرة اعظم السور ماعدا الفاتحة الجواب لانها فصلت فيها الاحكام وضربت
الامثال واقيمت الحجج اذ لم تشتمل سورة على ما اشتملت عليه ولذلك سميت فسطاط القرآن قال ابن العربى
فى احكام القرآن سمعت بعض اشياخى يقول فيها الف امر والف نهى والف حكم والف خبر ولعظم فقهها اقام
ابن عمر رضى الله عنه ثمانى سنين على تعلمها كذا فى اسئلة الحكم قال الامام فى التفسير الكبير اعلم انه مر على لسانى
فى بعض الاوقات ان هذه السورة الكريمة يمكن ان يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسئلة فاستبعد
هذا بعض الحساد وقوم من اهل الجهل والغى والعناد وحملوا ذلك على ما الفوه من انفسهم من التعلقات
الفارغة عن المعانى والكلمات الخالية عن تحقيق المعاقد والمبانى فلما شرعت فى تصنيف هذا الكتاب قدمت
هذه المقدمة لتصير كالتنبيه على ان ما ذكرنا امر ممكن الحصول قريب الوصول انتهى وانما سورت السور
طوالا واوساطا وقصارا تنبيها على ان الطول ليس من شرط الاعجاز فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهى معجزة
اعجاز سورة البقرة ثم ظهرت لذلك التسوير حكمة فى التعليم وتدريج الاطفال من السور القصار الى ما فوقها
تيسيرا من الله تعالى على عباده وفى ذلك ايضا ترغيب وتوسيع فى الفضيلة فى الصلاة وغيرها كسورة الاخلاص
من القصار تعدل ثلث القرآن فمن فهم ذلك فاز بسر التسوير فان قلت ما الحكمة فى تعدد مواطن نزول القرآن
وتكرر مشاهده مكيا مدنيا ليليا نهاريا سفريا حضريا صيفيا شتائيا نوميا برزخيا يعنى بين الليل والنهار ارضيا
سمائيا غاريا مانزل فى الغار يعنى تحت الارض برزخيا مانزل بين مكة والمدينة عرشيا معراجيا مانزل ليلة المعراج
آخر سورة البقرة الجواب الحكمة فى ذلك تشريف مواطن الكون كلها بنزول الوحى الالهى فيها وحضور
الحضرة المحمدية عندها كما قيل سر المعراج والاسراء به وسير المصطفى فى مواطن الكون كلها ان الكون والعرش
والجنان يسأل كل موطن بلسان الحال ان يشرفه الله تعالى بقدوم قدم حبيبه وتكتحل اعين الاعيان والكبار
بغبار نعال قدم سيد السادات ومفخر موجودات الولاة ما شم الكون رآئحة الوجود وما بدئ من حضرة
الكمون لمعة الشهود كما ورد بلسان القدس لولاك لولاك لما خلقت الافلاك

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) ان قلت ما الحكمة فى ابتداء البقرة بالم والفاتحة بالحرف الظاهر المحكم الجواب قال السيوطى رحمه الله
فى الاتقان اقول فى مناسبة ابتداء البقرة بالم انه لما ابتدئت الفاتحة بالحرف المحكم الظاهر لكل احد بحيث لا يعذر
فى فهمه ابتدئت البقرة بمقابله وهو الحرف المتشابه البعيد التأويل ليعلم مراتبه للعقلاء والحكماء ليعجزهم
بذلك ليعتبروا ويدبروا آياته كذا فى خواتم الحكم وحل الرموز وكشف الكنوز للعارف بالله الشيخ المعروف بعلى
دده واعلم انهم تكلموا فى شأن هذه الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل انها من العلوم المستورة والاسرار المحجوبة
اى من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه وهى سر القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى
وفائدة ذكرها طلب الايمان بها او الالف الله واللام لطيف والميم مجيد اى انا الله اللطيف المجيد كما ان قوله تعالى
الر انا الله ارى وكهيعص انا الله الكريم الهادى الحكيم العليم الصادق وكذا قوله تعالى ق اشارة الى انه القادر
القاهر ون اشارة الى انه النور الناصر فهى حروف مقطعة كل منها مأخوذ من اسم من اسمائه تعالى والاكتفاء
ببعض الكلمة معهود فى العربية كما قال الشاعر قلت لها قفى فقالت ق اى وقفت وقيل ان هذه الحروف
ذكرت فى اوائل بعض السور لتدل على ان القرآن مؤلف من الحروف التى هى ا ب ت ث فجاء بعضها مقطعا
وبعضها مؤلفا ليكون ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها لهم على انه منتظم من عين ما ينتظمون منه كلامهم
فلولا انه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لاتوا بمثله هذا ما جنح اليه اهل التحقيق
ولكن فيه نظر لانه يفهم من هذا القول ان لا يكون لتلك الحروف معان واسرار والنبى عليه السلام اوتى علم
الاولين والآخرين فيحتمل ان يكون الم وسائر الحروف المقطعة من قبيل المواضعات المعميات بالحروف بين
المحبين لا يطلع عليها غيرهما وقد واضعها الله تعالى مع نبيه عليه السلام فى وقت لا يسعه فيه ملك مقرب
ولا نبى مرسل ليتكلم بها معه على لسان جبريل عليه السلام باسرار وحقائق لا يطلع عليها جبريل ولا غيره
يدل على هذا ما روى فى الاخبار ان جبريل عليه السلام لما نزل بقوله تعالى كهيعص فلما قال كاف فقال
النبى عليه السلام علمت فقال ها فقال علمت فقال يا فقال علمت فقال عين فقال علمت فقال صاد فقال علمت
فقال جبريل عليه السلام كيف علمت ما لم اعلم وقال الشيخ الاكبر قدس سره فى اول تفسير الم ذلك الكتاب
واما الحروف المجهولة التى انزلها الله تعالى فى اوائل السور فسبب ذلك من اجل لغو العرب عند نزول القرآن
فانزلها سبحانه حكمة منه حتى تتوفر دواعيهم لما انزل الله اذا سمعوا مثل هذا الذى ما عهدوه والنفوس من
طبعها ان تميل الى كل امر غريب غير معتاد فينصتون عن اللغو ويقبلون عليها ويصغون اليها فيحصل المقصود فيما
يسمعونه مما يأتى بعد هذه الحروف النازلة من عند الله تعالى وتتوفر دواعيهم للنظر فى الامر المناسب بين حروف
الهجاء التى جاء بها مقطعة وبين ما يجاورها من الكلام وابهم الامر عليهم من عدم اطلاعهم عليها فرد الله بذلك
شرا كبيرا من عنادهم وعتوهم ولغوهم كان يظهر منهم فذلك رحمة للمؤمنين وحكمة منه سبحانه انتهى كلامه
قال بعض العارفين كل ما قيل فى شرحها بطريق النظر والاعتبار فتخمين النظر من قائله لا حقيقة الا لمن
كشف الله له عن قصده تعالى بها يقول الفقير جامع هذه المعارف واللطائف شكر الله مساعيه وبسط اليه
من عنده اياديه قال شيخى الاكمل فى هامش كتاب اللائحات البرقيات له بعد ما ذكر بعض خواص الم على طريق
الحقيقة زلق فى امثال هذا المتشابه اقدام الزائغين عن العلم وتحير عقول الراسخين فى العلم وبعضهم توقف تأدبا
مع الله تعالى ولم يتعرض بل قالوا آمنا به كل من عند ربنا وبعضهم تأولوا لكن بوجوه بعيدة عن المرام والمقام بعدا
بعيدا الا انها مستحسنة شرعا ومقبولة دينا وعقلا وما يذكر اى بالمقصود والمرام على ما هو عليه فى نفسه
فى الواقع الا اولوا الالباب لكن بتذكير الله تعالى والهامه واطلاعه تخصيصا لهم وتمييزا لهم عما عداهم
اختصاصا الهيا ازليا لهم من عند الله لا بتفكر انفسهم ونظر عقولهم بل بمحض فيض الله والهامه انتهى كلامه
الشريف قدس سره اللطيف وقال عبد الرحمن البسطامى قدس سره مؤلف الفواتح المسكية فى بحر الوقوف
ثم ان بعض الانبياء علموا اسرار الحروف بالوحى الربانى والالقاء الصمدانى وبعض الاولياء بالكشف الجلى النورانى
والفيض العلى الروحانى وبعض العلماء بالنقل الصحيح والعقل الرجيح وكل منهم قد اخبر اصحابه ببعض اسرارها
اما بطريق الكشف والشهود او بطريق الرسم والحدود والصحيح ان الله تعالى طوى علم اسرار الحروف عن اكثر

هذه الامة لما فيها من الحكم الالهية والمصالح الربانية ولم يأذن للاكابر ان يعرفوا منه الا بعض اسراره التى
يشتمل عليها تركيبها الخاص المنتج انواع التسخيرات والتأثيرات فى العوالم العلويات والسفليات الى غير ذلك انتهى
كلام بحر الوقوف وفى التأويلات النجمية هيئة الصلاة التى ذكرت فى القرآن ثلاث القيام لقوله تعالى وقوموا
لله قانتين والركوع لقوله تعالى واركعوا مع الراكعين والسجود لقوله تعالى واسجد واقترب فالالف فى الم
اشارة الى القيام واللام اشارة الى الركوع والميم اشارة الى السجود يعنى من قرأ سورة الفاتحة التى هى مناجاة
العبد مع الله فى الصلاة التى هى معراج المؤمنين يجيبه الله تعالى بالهداية التى طلب منه بقوله اهدنا ثم اعلم
ان المتشابه كالمحكم من جهة اجر التلاوة لما ورد عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف الف حرف ولام حرف
وميم حرف ففى الم تسع حسنات (ذلك الكتاب) الم مبتدأ على انه اسم القرآن على احد الوجوه وذلك خبره
اشارة الى الكتاب فيكون الكتاب صفة والمراد به الكتاب الكامل الموعود انزاله فى الكتب المتقدمة وانما
اشار بذلك الى ما ليس ببعيد لان الكتاب من حيث كونه موعودا فى حكم البعيد قالوا لما انزل الله تعالى على
موسى التوراة وهى الف سورة كل سورة الف آية قال موسى عليه السلام يا رب ومن يطيق قراءة هذا الكتاب
وحفظه فقال تعالى انى انزل كتابا اعظم من هذا قال على من يا رب قال على خاتم النبيين قال وكيف تقرأه امته
ولهم اعمار قصيرة قال انى ايسره عليهم حتى يقرأه صبيانهم قال يا رب وكيف تفعل قال انى انزلت من السماء الى
الارض مائة وثلاثة كتب خمسين على شيث وثلاثين على ادريس وعشرين على ابراهيم والتوراة عليك والزبور
على داود والانجيل على عيسى وذكرت الكائنات فى هذه الكتب فاذكر جميع معانى هذه الكتب فى كتاب محمد
صلى الله عليه وسلم واجمع ذلك كله فى مائة واربع عشرة سورة واجعل هذه السور فى ثلاثين جزأ والاجزاء
فى سبعة اسباع ومعنى هذه الاسباع فى سبع آيات الفاتحة ثم معانيها فى سبعة احرف وهى بسم الله ثم ذلك كله
فى الالف من الم ثم افتتح سورة البقرة فاقول الم ولما وعد الله ذلك فى التوراة وانزله على محمد عليه السلام جحدت
اليهود لعنهم الله ان يكون هذا ذلك فقال تعالى ذلك الكتاب كما فى تفسير التيسير ولهذه الاية وجوه اخر من
الاعراب ذكرت فى التفاسير فلتطلب ثمة (لا ريب) كائن (فيه) فقوله ريب اسم لا وفيه خبره وهو فى الاصل
من رابنى الشئ اذا حصل فيك الريبة وهى قلق النفس واضطرابها سمى به الشك لانه يقلق النفس ويزيل
الطمأنينة وفى الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان
لنوائبه وفى التفسير المسمى بالتيسير الريب شك فيه خوف وهو اخص من الشك فكل ريب شك وليس كل شك
ريبا والشك هو التردد بين النقيضين لا ترجيح لاحدهما على الآخر عند الشاك ولم يقدم الظرف على الريب لئلا
يذهب الفهم الى ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه فان قلت الكفار شكوا فيه فلم يقروا بكتاب الله تعالى والمبتدعون
من اهل القبلة شكوا فى معانى متشابهه فاجروها على ظاهرها وضلوا بها والعلماء شكوا فى وجوهه فلم يقطعوا
القول على وجه منها والعوام شكوا فيه فلم يفهموا معانيه فما معنى نفى الريب عنه فالجواب ان هذا نفى الريب عن
الكتاب لا عن الناس والكتاب موصوف بانه لا يتمكن فيه ريب فهو حق صدق معلوم ومفهوم شك فيه
الناس او لم يشكوا كالصدق صدق فى نفسه وان وصفه الناس بالكذب والكذب كذب وان وصفه الناس
بالصدق فكذا الكتاب ليس ما يلحقه ريب او يتمكن فيه عيب ويجوز ان يكون خبرا فى معنى الامر ومعناه
لا ترتابوا كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج والمعنى لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا
كما فى الوسيط والعيون (هدى) اى هو رشد وبيان (للمتقين) اى للضالين المشارفين التقوى الصائرين
اليه ومثله حديث من قتل قتيلا فله سلبه وفى تفسير الارشاد اى المتصفين بالتقوى حالا او مآلا وتخصيص
الهدى بهم لما انهم المقتبسون من انواره المنتفعون بآثاره وان كان ذلك شاملا لكل ناظر من مؤمن وكافر
وبذلك الاعتبار قال تعالى هدى للناس اى كلهم بيانا وهدى للمتقين على الخصوص ارشادا قال فى التيسير
وكذلك يقال فى كل من انتفع بشئ دون غيره انه لك على الخصوص اى انت المنتفع به وحدك وليس فى ان الناس
لم يهتدوا ما يخرجه من ان يكون هدى فالشمس شمس وان لم يرها الضرير والعسل عسل وان لم يجد طعمه
الممرور والمسك مسك وان لم يدرك طيبه المأنوف فالخيبة كل الخيبة لمن عطش والبحر زاخر وبقى فى الظلمة والبدر

زاهر وخبث والطيب حاضر وذوى والروض ناضر والحسرة كل الحسرة لمن عصى وفسق والقرآن
ناه آمر وفارق الرغبة والرهبة والوعد متواتر والوعيد متظاهر ولذلك قال تعالى وانه لحسرة على الكافرين
والمتقى اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهى فرط الصيانة قال البغوى هو مأخوذ من الاتقاء واصله
الحاجز بين الشيئين ومنه يقال اتقى بترسه اى جعله حاجزا بين نفسه وبين ما يقصده وفى الحديث كنا اذا احمر البأس
اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اى اذا اشتد الحرب جعلناه حاجزا بيننا وبين العدو فكان المتقى يجعل
امتثال امر الله والاجتناب عما نهاه حاجزا بينه وبين العذاب والتقوى فى عرف الشرع عبارة عن كمال التوقى
عما يضره فى الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى عن الكفر وعليه قوله تعالى
والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف
بالتقوى فى الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره
عن الحق عز وجل ويتبتل اليه بكليته وهو التقوى الحقيقية المأمور بها فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
حق تقاته واقصى مراتب هذا النوع من التقوى ما انتهى اليه هم الانبياء عليهم السلام حيث جمعوا رياستى
النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى معالم الارواح ولم تصدهم الملابسة بمصالح الخلق
والاستغراق فى شؤن الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وهداية الكتاب المبين شاملة
لارباب هذه المراتب اجمعين فهداية العام بالاسلام وهداية الخاص بالايقان والاحسان وهداية الاخص
بكشف الحجب ومشاهدة العيان وفى التأويلات النجمية المتقون هم الذين اوفوا بعهد الله من بعد ميثاقه
ووصلوا بها ما امر الله ان يوصل به من مأمورات الشرع ظاهرا وباطنا يدل على هذا قوله تعالى واوفوا بعهدى
اوف بعهدكم الى قوله واياى فاتقون اذا انتم اقررتم بربوبيتى بقولكم بلى يوم الميثاق اوفوا بعهدى الذى عاهدتمونى
عليه وهو العبودية الخالصة لى اوف بعهدكم الذى عاهدتكم عليه وهو الهداية الى وفى الرسالة القشيرية والمتقى
مثل ابن سيرين كان له اربعون حبا سمنا فاخرج غلامه فارة من حب فسأله من اى حب اخرجتها فقال لا ادرى
فصبها كلها او مثل ابى يزيد البسطامى اشترى بهمذان حب القرطم ففضل منه شئ فلما رجع الى بسطام رأى فيه
نملتين فرجع الى همذان ووضع النملتين (وحكى) ان اباحنيفة رحمه الله كان لا يجلس فى ظل شجرة غريمه ويقول
فى الخبر كل قرض جر نفعا فهو ربا وقيل ان ابا يزيد غسل ثوبه فى الصحراء مع صاحب له فقال له نعلق الثوب فى
جدار الكروم فقال لا نضرب الوتد فى جدار الناس فقال نعلقه فى الشجر فقال انه يكسر الاغصان فقال نبسطه
على الارض فقال انه علف الدواب لا نستره عنها فولى ظهره حتى جف جانب ثم قلبه حتى جف الجانب الآخر
(الذين يؤمنون بالغيب) الجملة صفة مقيدة للمتقين ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغى مترتبة عليه ترتب التحلية
على التخلية والتصوير على التصقيل وموضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو اصل
الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية
والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصى غالبا الا يرى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر وقوله عليه السلام الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الاسلام والايمان هو التصديق بالقلب لان المصدق
يؤمن المصدق اى يجعله امينا من التكذيب او يؤمن نفسه من العذاب بفعله والله تعالى مؤمن لانه يؤمن
عباده من عذابه بفضله واستعماله بالباء ههنا لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير
ذا امن وطمأنينة قال فى الكواشى الايمان فى الشريعة هو الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان والعمل
بالاركان والاسلام الخضوع والانقياد فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا اذا لم يكن معه تصديق
فقد يكون الرجل مستسلما ظاهرا غير مصدق باطنا ولا يكون مصدقا باطنا غير منقاد ظاهرا قال المولى
ابو السعود رحمه الله فى تفسيره هو فى الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها وهل هو كاف فى ذلك او لا بد من انضمام الاقرار
اليه للتمكن منه والاول رأى الشيخ الاشعرى ومن شايعه والثانى مذهب ابى حنيفة رحمه الله ومن تابعه
وهو الحق فانه جعلهما جزئين له خلا ان الاقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلاثة
امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد

وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج
عن الايمان غير داخل فى الكفر عند المعتزلة والغيب مصدر سمى به الغائب توسعا كقولهم للزائر زور وهو ما غاب
عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لا دليل
عليه وهو الذى اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته
والنبوات وما يتعلق بها من الاحكام والشرائع واليوم الآخر واحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء
وهو المراد ههنا فالباء صلة الايمان اما بتضمينه معنى الاعتراف او بجعله مجازا من الوثوق وهو واقع موقع
المفعول به وان جعلت الغيب مصدرا على حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل اى يؤمنون
ملتبسين بالغيبة اما عن المؤمن به اى غائبين عن النبى صلى الله عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من شواهد
النبوة ويدل عليه انه قال حارث بن نفير لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه نحن نحتسب بكم يا اصحاب محمد
ما سبقتمونا به من رؤية محمد صلى الله عليه وسلم وصحبته فقال عبد الله ونحن نحتسب ايمانكم به ولم تروه وان افضل
الايمان ايمان بالغيب ثم قرأ عبد الله الذين يؤمنون بالغيب كذا فى تفسير ابى الليث واما عن الناس اى غائبين عن
المؤمنين لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقيل المراد
بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم فالباء
حينئذ للآلة وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبل
رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ما يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه احد منا فاقبل حتى جلس
بين يدى رسول الله عليه السلام وركبته تمس ركبته فقال يا محمد اخبرنى عن الاسلام فقال النبى صلى الله
عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج
البيت ان استطعت اليه سبيلا فقال صدقت فتعجبنا من سؤاله وتصديقه ثم قال فما الايمان قال ان تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنة والنار وبالقدر خيره وشره فقال صدقت ثم قال فما الاحسان
قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال صدقت ثم قال فاخبرنى عن الساعة فقال ما المسئول
عنها باعلم من السائل قال صدقت قال فاخبرنى عن اماراتها قال ان تلد الامة ربتها وان ترى العراة الحفاة
رعاء الشاء يتطاولون فى بنيان المدر قال صدقت ثم انطلق فلما كان بعد ثالثة قال لى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا عمر هل تدرى من الرجل قلت الله ورسوله اعلم قال ذاك جبريل اتاكم يعلمكم امر دينكم وما اتانى
فى صورة الا عرفته فيها الا فى صورته هذه وفى التأويلات النجمية يؤمنون بالغيب اى بنور غيبى من الله
فى قلوبهم نظروا فى قول محمد صلى الله عليه وسلم فشاهدوا واصدقوا قوله فآمنوا به كما قال عليه السلام المؤمن
ينظر بنور الله واعلم ان الغيب غيبان غيب غاب عنك وغيب غبت عنه فالذى غاب عنك عالم الارواح فانه
قد كان حاضرا حين كنت فيه بالروح وكذرة وجودك فى عهد ألست بربكم واستماع خطاب الحق ومطالعة
آثار الربوبية وشهود الملائكة وتعارف الارواح من الانبياء والاولياء وغيرهم فغاب عنك اذ تعلقت بالقالب
ونظرت بالحواس الخمس اى بالمحسوسات من عالم الاجسام واما الغيب الذى غبت عنه فغيب الغيب وهو
حضرة الربوبية قد غبت عنه بالوجود وما غاب عنك بالوجود وهو معكم اينما كنتم انت بعيد منه وهو قريب
منك كما قال ونحن اقرب اليه من حبل الوريد انتهى كلام الشيخ نجم الدين قدس سره (قال الشيخ سعدى)

دوست نزديكتر از من بمنست * وين عجبتر كه من ازوى دورم * چكنم با كه توان كفت كه او * در كنار من ومن مهجورم

(ويقيمون الصلاة) الصلاة اسم للدعاء كما فى قوله تعالى وصل عليهم اى ادع لهم
والثناء كما فى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون والقراءة كما فى قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك اى بقراءتك
والرحمة كما فى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم والصلاة المشروعة المخصوصة بافعال واذكار
سميت بها لما فى قيامها من القراءة وفى قعودها من الثناء والدعاء ولفاعلها من الرحمة والصلاة فى هذه الآية
اسم جنس اريد بها الصلوات الخمس واقامتها عبارة عن المواظبة عليها من قامت السوق اذا نفقت او عن
التشمر لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر
وتقاعد او عن ادائها فان قول المؤذن قد قامت الصلاة معناه اخذوا فى ادائها عبر عن ادائها بالاقامة

لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح اوعن تعديل اركانها وحفظها من ان يقع فى شئ من فرآئضها وسننها وادآئها زيغ من اقام العود اذا قومه وعدله وهو الاظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرآئض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذينهم عن صلاتهم ساهون قال ابراهيم النخعى اذا رأيت رجلا يخفف الركوع والسجود فارحم على عياله يعنى من ضيق المعيشة وذكران حاتم الزاهد دخل على عاصم بن يوسف فقال له عاصم ياحاتم هل تحسن ان تصلى فقال نعم قال كيف تصلى قال اذا تقارب وقت الصلاة اسبغ الوضوء ثم استوى فى الموضع الذى اصلى فيه حتى يستقر كل عضو منى وارى الكعبة بين حاجبى والمقام بحيال صدرى والله فوقى يعلم ما فى قلبى وكان قدمى على الصراط والجنة عن يمينى والنار عن شمالى وملك الموت خلفى واظن انها آخر الصلاة ثم اكبر تكبيرا باحسان واقرأ قراءة بتفكر واركع ركوعا بالتواضع واسجد سجودا بالتضرع ثم اجلس على التمام واتشهد على الرجاء واسلم على السنة ثم اسلمها للاخلاص واقوم بين الخوف والرجاء ثم اتعاهد على الصبر قال عاصم ياحاتم هكذا صلاتك قال كذا صلاتى منذ ثلاثين سنة فبكى عاصم وقال ماصليت من صلاتى مثل هذا قط كذا فى تنبيه الغافلين (قال السعدى)

كه داند چو در بند حق نيستى * اگر بى وضو در نماز ايستى *

قال فى تفسير التيسير المذكور فى الاية اقامة الصلاة والله تعالى امر فى الصلاة باشياء باقامتها بقوله واقيموا الصلاة وبالمحافظة عليها وادامتها بقوله الذينهم على صلاتهم دآئمون وبادآئها فى اوقاتها بقوله كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وبادآئها فى جماعة بقوله واركعوا مع الراكعين وبالخشوع فيها بقوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون وبعد هذه الاوامر صارت الناس على طبقات طبقة لم يقبلوها ورأسهم ابو جهل لعنه الله قال الله تعالى فى حقه فلا صدق ولا صلى وذكر مصيرهم فقال ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين الى قوله وكنا نكذب بيوم الدين وطبقة قبلوها ولم يؤدوها وهم اهل الكتاب قال الله تعالى فخلف من بعدهم خلف وهم اهل الكتاب اضاعوا الصلاة وذكر مصيرهم فقال فسوف يلقون غيا وهى دركة فى جهنم هى اهيب موضع فيها تستغيث الناس منها كل يوم كذا وكذا مرة ثم قال الله الا من تاب اى من اليهودية والنصرانية وآمن اى بمحمد وعمل صالحا اى حافظ على الصلاة وطبقة ادوا بعضا ولم يؤدوا بعضا متكاسلين وهم المنافقون قال الله تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وذكران مصيرهم ويل وهو واد فى جهنم لو جعلت فيه جبال الدنيا لماعت اى سالت قال النبى صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة حتى مضى وقتها عذب فى النار حقبا والحقب ثمانون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما كل يوم الف سنة مما تعدون قالوا وتأخير الصلاة عن وقتها كبيرة واصغر الكبيرة ما قيل انه يكون كانه زنى بامه سبعين كما فى روضة العلماء وطبقة قبلوها وهم يراعونها فى مواقيتها بشرآئطها ورأسهم المصطفى صلى الله عليه وسلم قال تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل وقال تعالى ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين الاية واصحابه كذلك فذكرهم الله تعالى بقوله قد افلح المؤمنون الذينهم فى صلاتهم خاشعون وذكر مصيرهم فقال اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس وهو ارفع موضع فى الجنة وابهاه ينال المؤمن فيه مناه وينظر الى مولاه قال الحكماء كن نجما فان لم تستطع فكن قمرا فان لم تستطع فكن شمسا اى مصليا جميع الليل كالنجم يشرق جميع الليل اوكالقمر يضئ بعض الليل اوكالشمس يضئ بالنهار معناه فصل بالنهار ان لم تستطع بالليل كذا فى زهرة الرياض واعلم ان الجماعة من فروض الكفاية وفيها فضل وليست بفرض عند عامة العلماء حتى اذا صلى وحده جاز وفاته فضل الجماعة وقال احمد بن حنبل ان الجماعة فرض وليست بنافلة حتى اذا صلى وحده لم تجز صلاته غيرانها وان لم تكن فريضة عندنا فالواجب على المسلم ان يتعاهد ويحفظها قال تعالى ياقومنا اجيبوا داعى الله قال بعضهم المراد من الداعى المؤذنون الذين يدعون الى الجماعة فى الصلوات الخمس وتارك الجماعة شر من شارب الخمر وقاتل النفس بغير حق ومن القتات ومن العاق لوالديه ومن الكاهن والساحر ومن المغتاب وهو ملعون فى التوراة والانجيل والزبور والفرقان وهو ملعون على لسان الملائكة لا يعاد اذا مرض ولا تشهد جنازته اذا مات قال النبى عليه السلام تارك الجماعة ليس منى ولا انا منه ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا اى نافلة وفريضة فان ماتوا على حالهم فالنار

اولى بهم كذا فى روضة العلماء وقال فى نصاب الاحتساب قال عليه السلام لقد هممت ان آمر رجلا يصلى بالناس وانظر الى اقوام يتخلفون عن الجماعة فاحرق بيوتهم وهذا يدل على جواز احراق بيت الذى يتخلف عن الجماعة لان الهم بالمعصية لا يجوز من الرسول عليه السلام لانه معصية فاذا علم جواز احراق البيت على ترك السنة المؤكدة فما ظنك فى احراق البيت على ترك الواجب والفرض وما ظنك فى احراق آلات المعصية انتهى كلام النصاب هذا وعن ابن عباس رضى الله عنه بعث الله نبيه عليه السلام بشهادة ان لا اله الا الله فلما صدق زاد الصلاة فلما صدق زاد الزكاة فلما صدق زاد الصيام فلما صدق زاد الحج ثم الجهاد ثم اكمل لهم الدين قال مقاتل كان النبى عليه السلام يصلى بمكة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشاء فلما عرج به الى السماء امر بالصلوات الخمس كما فى روضة الاخيار وانما فرضت الصلاة ليلة المعراج لان المعراج افضل الاوقات واشرف الحالات واعز المناجاة والصلاة بعد الايمان افضل الطاعات وفى التعبد احسن الهيئات ففرض افضل العبادات فى افضل الاوقات وهو وصول العبد الى ربه وقربه منه واما الحكمة فى فرضيتها فلانه صلى الله عليه وسلم لما اسرى به شاهد ملكوت السموات باسرها وعبادات سكانها من الملائكة فاستكثر عليه السلام غبطة ذلك لامته فجمع الله له فى الصلوات الخمس عبادات الملائكة كلها لان منهم من هو قائم ومنهم من هو راكع ومنهم من هو ساجد وحامد ومسبح الى غير ذلك فاعطى الله تعالى اجور عبادات اهل السموات لامته اذا قاموا الصلوات الخمس واما الحكمة فى ان جعلها الله تعالى مثنى وثلاث ورباع فلانه عليه السلام شاهد بها كل الملائكة تلك الليلة اى ليلة الاسرآء اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع فجمع الله ذلك فى صور انوار الصلوات عند عروج ملائكة الاعمال بارواح العبادات لان كل عبادة تتمثل فى الهياكل النورانية وصورها كما وردت الاشارات فى ذلك بل يخلق الملائكة من الاعمال الصالحة كما ورد فى الاحاديث الصحيحة وكذلك جعل الله اجنحة الملائكة على ثلاث مراتب فجعل اجنحتك التى تطير بها الى الله موافقة لاجنحتهم ليستغفروا لك واما الحكمة فى كونها خمس صلوات فلانه عليه السلام بعد سؤاله التخفيف ومراجعته قال له الله تعالى يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر حسنات فتلك خمسون صلاة وكانت خمسين على من قبلنا فحطت ليلة المعراج الى خمس تخفيفا وثبت جزآء الخمسين تضعيفا وحكمة اخرى فى كونها خمس صلوات انها كانت متفرقة فى الامم السالفة فجمعها سبحانه لنبيه وامته لانه عليه السلام مجمع الفضائل كلها دنيا وآخرة وامته بين الامم كذلك فاول من صلى الفجر آدم والظهر ابراهيم والعصر يونس والمغرب عيسى والعشاء موسى عليهم السلام فهذا سر القرار على خمس صلوات وقيل صلى آدم عليه السلام الصلوات الخمس كلها ثم تفرقت بعده بين الانبياء عليهم السلام واول من صلى الوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لذلك قال زادنى ربى صلاة اى الوتر على الخمس او صلاة الليل فافهم واول من بادر الى السجود جبريل عليه السلام ولذلك صار رفيق الانبياء وخادمهم واول من قال سبحان الله جبريل والحمد لله آدم ولا اله الا الله نوح والله اكبر ابراهيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كل ذلك فى كشف الكنوز وحل الرموز وذكر فى الحكم الشاذلية وشرحها انه لما علم الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات لتستريح من نوع الى نوع وعلم ما فيك من وجود الشره المؤدى الى الملل القاطع عن بلوغ الامل فحجرها عليك فى الاوقات اذ جعل فى اليوم خمسا وفى السنة شهرا وفى المائتين خمسة وفى العمر زورة ولكل واحدة فى تفاصيلها وقت لا تصح فى غيره كل ذلك رحمة بك وتيسيرا للعبودية عليك وقد قيد الله الطاعات باعيان الاوقات كيلا ينفك عنها وجود التسويف ووسع الوقت عليك كى تبقى صفة الاختيار (قال المولى جلال الدين)

كر نباشد فعل خلق اندر ميان * پس مكو كس را چرا كردى چنان *
يك مثال اى دل بى فرقى بيار * تا بدانى جبر را از اختيار *
دست كان لرزان بود از ارتعاش * وانكه دستى را تو لرزانى ز جاش *
هر دو جنبش آفريده حق شناس * ليك نتوان كردن اين با آن قياس *

وفى التأويلات النجمية بداية الصلاة اقامة ثم ادامة فاقامتها بالمحافظة عليها بمواقيتها واتمام ركوعها وسجودها وحدودها ظاهرا وباطنا وادامتها بدوام المراقبة وجمع الهمة فى التعرض لنفحات الطاف الربوبية التى هى مودعة فيها لقوله عليه السلام ان لله فى ايام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها فصورة الصلاة صورة التعرض والامر بها صورة جذبة الحق بان يجذب صورتك عن الاستعمال لغير العبودية وسر الصلاة حقيقة التعرض

فى كل شرط من شرائطصورتها وركن من اركانها وسنة من سننها وادب من آدابها وهيئة من هيئاتها سر يشير
الى حقيقة التعرض لها ومن شرائط الصلاة الوضوء ففى كل ادب وسنة وفرض منه سر يشير الى طهارة يستعد
بها لاقامة الصلاة ففى غسل اليدين اشارة الى تطهير نفسك عن تلوث المعاصى وتطهير قلبك عن تلطخ الصفات
الذميمة الحيوانية والسبعية والشيطانية كما قال تعالى لحبيبه عليه السلام وثيابك فطهر جاء فى التفسير اى قلبك
فطهر وغسل الوجه اشارة الى نضارة وجه همتك عن دنس ظلمة حب الدنيا فانه رأس كل خطيئة ومن شرائط
الصلاة استقبال القبلة وفيه اشارة الى الاعراض عما سوى طلب الحق والتوجه الى حضرة الربوبية لطلب
القربة والمناجاة ورفع اليدين اشارة الى رفع يد الهمة عن الدنيا والآخرة والتكبير تعظيم الحق بانه اعظم من كل شئ
فى قلب العبد طلبا ومحبة وعظما وعزة ومقارنة النية مع التكبير اشارة الى ان صدق النية فى الطلب ينبغى
ان يكون مقرونا بتكبير الحق وتعظيمه فى الطلب عن غيره فلا تطلب منه الا هو فان من طلب غيره فقد كبر وعظم
ذلك المطلوب لا الله تعالى فلا تجوز صلاته حقيقة كما لا تجوز صلاته صورة الا بتكبير الله فان قال الدنيا اكبر
او العقبى اكبر لا يجوز حتى يقول الله اكبر فكذلك فى الحقيقة وفى وضع اليمنى على اليسرى ووضعهما على الصدر
اشارة الى اقامة رسم العبودية بين يدى مالكه وحفظ القلب عن محبة ما سواه وفى افتتاح القرآءة بوجهت
اشارة الى توجهه للحق خالصا عن شرك طلبه غير الحق وفى وجوب الفاتحة وقرآءتها وعدم جواز الصلاة بدونها
اشارة الى حقيقة تعرض العبد فى الطلب لنفحات الطاف الربوبية بالحمد والثناء والشكر لرب العالمين وطلب
الهداية وهى الجذبة الالهية التى توازى جذبة منها عمل الثقلين وتقرب العبد بنصف الصلاة المقسومة بين العبد
والرب نصفين والقيام والركوع والسجود اشارة الى رجوعه الى عالم الارواح ومسكن الغيب كما جاء منه
فاول تعلقه بهذا العالم كان بالنباتية ثم بالحيوانية ثم بالانسانية فالقيام من خصائص الانسان والركوع من
خصائص الحيوان والسجود من خصائص النبات كما قال تعالى والنجم والشجر يسجدان فللعبد فى كل مرتبة
من هذه المراتب ربح وخسران والحكمة فى تعلق الروح العلوى النورانى بالجسد السفلى الظلمانى كان هذا الربح
لقوله تعالى على لسان نبيه عليه السلام خلقت الخلق ليربحوا على لا لاربح عليهم ليربح الروح فى كل مرتبة من
مراتب السفليات فائدة لم توجد فى مراتب العلويات وان كان قد ابتلى اولا بيلاء الخسران كما قال تعالى والعصر
ان الانسان لفى خسر الا الذين امنوا الآية فبنور الايمان والعمل الصالح يتخلص العبد من بلاء خسران المراتب
السفلية ويفوز بربحها فبالقيام فى الصلاة بالتذلل وتواضع العبودية يتخلص من خسران التكبر والتجبر الذى
من خاصته ان يتكامل فى الانسان ويظهر منه انا ربكم الاعلى ويفوز بربح علو الهمة الانسانية التى اذا كملت
فى الانسان لا يلتفت الى الكون فى طلب المكون كما كان حال النبى عليه السلام اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ
البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى فاذا تخلص من التكبر الانسانى يرجع من القيام الانسانى
الى الركوع الحيوانى بالانكسار والخضوع فبالركوع يتخلص من خسران الصفة الحيوانية ويفوز بربح
تحمل الاذى والحكم ثم يرجع من الركوع الحيوانى الى السجود النباتى فبالسجود يتخلص من خسران الذلة
النباتية والدناءة السفلية ويفوز بربح الخشوع الذى يتضمن الفلاح الابدى والفوز العظيم السرمدى كما قال
تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون فالخشوع اكمل آلة العروج فى العبودية وقد حصل
فى تعلقه بالجسد النيرانى وليس لاحد من العالمين هذا الخشوع وبهذا السر ابت الملائكة وغيرهم ان يحملن
الامانة فاشفقن منها لان الاباء ضد الخشوع وحملها الانسان باستعداد الخشوع وكمل خشوعه بالسجود
اذ هو غاية التذلل فى صورة الانسان وهيئة الصلاة ونهاية قطع تعلق الروح من العالم السفلى وعروجه الى العالم
الروحانى العلوى برجوعه من مراتب الانسانية والحيوانية والنباتية وكمال التعرض لنفحات الطاف الحق
وبذل المجهود وانفاق الموجود من انانية الوجود الذى هو من شرط المصلين كقوله تعالى ويقيمون الصلاة (ومما
رزقناهم ينفقون) الرزق فى اللغة العطاء وفى العرف ما ينتفع به الحيوان وهو يتناول الحلال والحرام عند اهل
السنة والقرينة تخصصه ههنا بالحلال لان المقام مقام المدح وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس
الآى وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهى عنه وصيغة الجمع فى رزقنا مع انه تعالى واحد
لا شريك له لانه خطاب الملوك والله تعالى مالك الملك وملك الملوك والمعهود من كلام الملوك اربعة اوجه

الاخبار على لفظ الواحد نحو فعلت كذا وعلى لفظ الجمع فعلنا كذا وعلى ما لم يسم فاعله رسم لكم كذا واضافة
الفعل الى اسمه على وجه المغايبة امركم سلطانكم بكذا والقرآن نزل بلغة العرب فجمع الله فيه هذه الوجوه كلها
فيما اخبر به عن نفسه فقال تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا على صيغة الواحد وقال تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر
على صيغة الجمع وقال فيما لم يسم فاعله كتب عليكم الصيام وامثاله وقال فى المغايبة الله الذى خلقكم
وامثاله كذا فى التيسير يقول الفقير جامع هذه اللطائف سمعت من شيخى العلامة ابقاه الله بالسلامة ان الافراد
بالنظر الى الذات والجمع بالنظر الى الاسماء والصفات ولا ينافى كثرة الاسماء والصفات وحدة الذات اذ كل منها
راجع اليها والانفاق والانفاد اخوان خلا ان فى الثانى معنى الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق
الصرف الى سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكاة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه
بما هى شقيقتها واختها وهى الصلاة وقد جوز ان يراد به الانفاق من جميع المعادن التى منحهم الله من النعم
الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم ان علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال
فى تفسير الآية ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون والاظهر ان يقال المراد من النفقة هى الزكاة
وزكاة كل شئ من جنسه كما روى عن انس بن مالك زكاة الدار ان يتخذ فيها بيت للضيافة كما فى الرسالة القشيرية
قالوا انفاق اهل الشريعة من حيث الاموال وانفاق ارباب الحقيقة من حيث الاحوال (قال المولى جلال
الدين قدس سره) آن درم دادن سخى را لايق است * جان سپردن خود سخاى عاشق است *
وانفاق الاغنياء من اموالهم لا يدخرونها عن اهل الحاجة وانفاق العابدين من نفوسهم لا يدخرونها
عن وظائف الخدمة وانفاق العارفين من قلوبهم لا يدخرونها عن حقائق المراقبة وانفاق المحبين من ارواحهم
لا يدخرونها عن مجارى الاقضية والاقصران يقال انفاق الاغنياء اخراج المال من الجيب وانفاق الفقراء
اخراج الاغيار من القلب ثم ذكر فى الآية الايمان وهو بالقلب ثم الصلاة وهى بالبدن ثم الانفاق وهو بالمال
وهو مجموع كل العبادات ففى الايمان النجاة وفى الصلاة المناجاة وفى الانفاق الدرجات وفى الايمان البشارة
وفى الصلاة الكفارة وفى الانفاق الطهارة وفى الايمان العزة وفى الصلاة القربة وفى الانفاق الزيادة وقيل ذكر
فى هذه الآية اربعة اشياء التقوى والايمان بالغيب واقامة الصلاة والانفاق وهى صفة الخلفاء الراشدين الاربعة
ففى الآية بيان فضلهم التقوى لابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال الله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى والايمان بالغيب لعمر الفاروق رضى الله عنه قال الله تعالى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين
واقامة الصلاة لعثمان ذى النورين رضى الله تعالى عنه قال الله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما
الآية والانفاق لعلى المرتضى رضى الله تعالى عنه قال الله تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الآية
وعند القوم اى الصوفية السخاء هو الرتبة الاولى ثم الجود بعده ثم الايثار فمن اعطى البعض وابقى البعض
فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه شيأ فهو صاحب جود والذى قاسى الضرورة وآثر غيره بالبلغة
فهو صاحب ايثار وبالجملة فى الانفاق فضائل كثيرة وروى عن ابى عبد الله الحارث الرازى يقول اوحى الله
الى بعض انبيائه انى قضيت عمر فلان نصفه بالفقر ونصفه بالغنى فخيره حتى اقدم له ايما شاء فدعا نبى الله عليه
السلام الرجل فاخبره وقال حتى اشاور زوجتى فقالت زوجته اختر الغنى حتى يكون هو الاول فقال لها ان الفقر
بعد الغنى صعب شديد والغنى بعد الفقر اطيب لذة فقالت لا بل اطعنى فى هذا فرجع الى النبى عليه السلام فقال
اختار نصف عمرى الذى قضى لى فيه بالغنى ان يقدم فوسع الله عليه الدنيا وفتح عليه باب الغنى فقالت له
امرأته ان اردت ان تبقى هذه النعمة فاستعمل السخاء مع خلق ربك فكان اذا اتخذ لنفسه ثوبا اتخذ لفقير ثوبا
مثله فلما تم نصف عمره الذى قضى له فيه بالغنى اوحى الله تعالى الى نبى ذلك الزمان انى كنت قضيت نصف
عمره بالفقر ونصفه بالغنى لكنى وجدته شاكرا لنعمائى والشكر يستوجب المزيد فبشره انى قضيت باقى عمره
بالغنى (قال المولى جلال الدين قدس سره) هر كه كارد كرد انبارش تهى * ليكش اندر مزرعه باشد بهى *
وانكه در انبار ماند وصرفه كرد * اسپش وموش حوادثهاش خورد (قال الحافظ) احوال كنج
قارون كايام داد برباد * باغنچه باز كوييد تا زر نهان ندارد * وفى التأويلات النجمية ومما رزقناهم
ينفقون اى من اوصاف الوجود يبذلون بحق النصف المقسوم من الصلاة بين العبد والرب فاذا بلغ السيل

زباه والتعرض منتهاه ادركته العناية الازلية بنفحات الطافه وهداه الى درجات قرباته فكما كان جذبة الحق للنبى عليه السلام فى صورة خطاب ادن فجذبة الحق للمؤمن تكون فى صورة خطاب واسجد واقترب ففى التشهد بعد السجود الى الخلاص من حجب الانانية والوصول الى شهود جمال الحق بجذبات الربانية ثم بالتحيات يراقب رسوم العباد فى الرجوع الى حضرة الملوك بمراسم تحفة الثناء والتحنن الى اللقاء وفى التسليم عن اليمين وعن الشمال اشارة الى الاسلام على الدارين وعلى كل داع جاهل يدعوه عن اليمين الى نعيم الجنات وعن الشمال الى اللذات والشهوات وهو فى مقامات الاجابات والمناجاة ودرجات القربات مستغرقا فى بحر الكرامات مقيدا بقيد الجذبات كما قال تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فاهل الصورة بالسلام يخرجون من اقامة الصلاة واهل الحقيقة بالسلام يدخلون فى ادامة الصلاة كقوله والذين هم على صلاتهم دائمون فقوم يقيمون الصلاة والصلاة تحفظهم كما قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى فهم الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون بمالهم فى الغيب معد بقوله اعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فعلموا ان ماهو المعد لهم لا تدركه الابصار ولا الاذان ولا القلوب التى رزقهم الله وليس بينهم وبين ماهو المعد لهم حجاب الا وجودهم وهم اوصاف وجودهم فاشتاقوا الى نار تحرق عليهم حجاب وجودهم فانسوا من جانب طور صلاتهم نارا لان صلاتهم بمثابة الطور لهم للمناجاة فلما اتاها نودى ان بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين فجعلوا ما رزقهم الله من اوصاف الوجود حطب نار الصلاة ينفقون عليها ويقيمون الصلاة حتى نودوا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ومن لم يكن له نار تحرق على نار جهنم الصلاة حطب وجوده ووجود كل من يعبد من دون الله فلا بد له من الحرقة بنار جهنم الاخرة فالفرق بين النارين ان نار الصلاة تحرق لب وجودهم الذى هم به محجوبون عن الله تعالى ويبقى جلد وجودهم وهو الصورة والحجاب من لب الوجود لا من جلده وهذا سر عظيم لا يطلع عليه الا اولوا الالباب المحترقة ونار جهنم تحرق جلودهم ويبقى لب وجودهم لا جرم لا ترفع الحجب عنهم كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لان اللب باق والجلد وان احترق بقى اللب كما قال تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها فمن انفق لب الوجود وما تبرأ منه له الوجود من المال والجاه فى سبيل نار الصلاة والقربة الى الله فينفق الله عليه وجود نار الصلاة كما قال لحبيبه عليه السلام انفق عليك فيبقى بنار الصلاة بلا انانية الوجود فتكون صلاته دائمة بنور نار الصلاة يؤمن بما انزل على الانبياء عليهم الصلاة والسلام (والذين يؤمنون) نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب وما قبله الى قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون نزلت فى مؤمنى العرب (بما انزل اليك) هو القرءآن باسره والشريعة عن آخرها والتعبير عن انزاله بالماضى مع كون بعضه مترقبا حينئذ لتغليب المحقق على المقدر اولتنزيل ما فى شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع كما فى قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مع ان الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان الجميع اذ ذاك نازلا وفى الكواشى لان القرءآن شئ واحد فى الحكم ولان المؤمن ببعضه مؤمن بكله انتهى ثم معنى ما انزل اليك هو القرءآن الذى يتلى والوحى الذى لا يتلى فالمتلو هو هذه السور والايات وغير المتلو ما بين النبى عليه السلام من اعداد الركعات ونصب الزكوات وحدود الجنايات قال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى والانزال فى هذه الاية بمعنى الوحى ويكون بمعنى الاعلاء وهو النقل من الاسفل الى الاعلى وان حمل على الانزال الذى هو من العلو الى السفل فمعناه انزال جبريل لتبليغه كما قال تعالى نزل به الروح الامين يعنى ان الانزال نقل الشئ من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعانى بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها فنزل ما عدا الصحف من الكتب الالهية الى الرسل عليهم السلام والله اعلم بان يتلقاها الملك من جنابه عز وجل تلقيا روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقيها عليهم (وما انزل من قبلك) التوراة والانجيل وسائر الكتب السالفة والايمان بالكل جملة فرض عين وبالقرءآن تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان فى وجوبه على الكل عينا حرجا بينا واخلالا بامر المعاش قال فى التيسير الايمان بكل الكتب مع تنافى احكامها على وجهين احدهما التصديق ان كلها من عند الله والثانى لا ايمان بما لم ينسخ من احكامها (وبالاخرة) تأنيث الاخر الذى يقابل الاول وهو فى المعدودات اسم للفرد اللاحق وهى صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الاخرة وهى من الصفات الغالبة وكذا الدنيا والاخرى

بفتح الخاء الذى يلى الاول وسميت الدنيا دنيا لدنوها من الاخرة وسميت الاخرة آخرة لتأخرها وكونها بعد الدنيا (هم يوقنون) الايقان اتقان العلم بالشئ بنفى الشك والشبهة عنه نظرا واستدلالا ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقينا وكذا العلوم الضرورية اى يعلمون علما قطعيا مزيحا لما كان اهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام التى من جملتها زعمهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا اونصارى وان النار لم تمسهم الا اياما معدودات واختلافهم فى ان نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا اولا وهل هو دائم اولا فقال فرقة منهم يجرى حالهم فى التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها فى الدنيا وقال آخرون ان ذلك انما احتيج اليه فى هذه الدار من اجل نماء الاجسام ولمكان التوالد والتناسل واهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور وبناء يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الاخرة على خلاف حقيقته فان اعتقادهم فى امور الاخرة بمعزل من الصحة فضلا عن الوصول الى مرتبة اليقين فدل التقديم على التخصيص بان ايقان من آمن بما انزل اليك وما انزل من قبلك مقصور على الاخرة الحقيقية لا يتجاوز الى ما اثبته الكفار بالاقرار من اهل الكتاب قال ابو الليث رحمه الله فى تفسيره اليقين على ثلاثة اوجه يقين عيان ويقين خبر ويقين دلالة فاما يقين العيان فهو انه اذا رأى شيأ زال الشك عنه فى ذلك الشئ واما يقين الدلالة فهو ان يرى الرجل دخانا ارتفع من موضع يعلم باليقين ان هناك نارا وان لم يرها واما يقين الخبر فهو ان الرجل يعلم باليقين ان فى الدنيا مدينة يقال لها بغداد وان لم ينته اليها فههنا يقين خبر ويقين دلالة لان الاخرة حق ولان الخبر يصير معاينة عند الرؤية انتهى كلامه ويقال علم اليقين ظاهر الشريعة وعين اليقين الاخلاص فيها وحق اليقين المشاهدة فيها والعلم اليقين هو العلم الحاصل بالادراك الباطنى بالفكر الصائب والاستدلال وهذا للعلماء الذين يوقنون بالغيب ولا تزيد هذه المرتبة العلمية الا بمناسبة الارواح القدسية فاذا يكون العلم عينا ولا مرتبة للعين الا اليقين الحاصل من مشاهدة المعلوم ولا تزيد هذه المرتبة الا بزوال حجاب الاثنينية فاذا يكون العين حقا وزيادة هذه المرتبة اى حق اليقين عدم ورود الحجاب بعده وعينه للاولياء وحقه للانبياء وهذه الدرجات والمراتب لا تحصل الا بالمجاهدة مثل دوام الوضوء وقلة الاكل والذكر والسكوت بالفكر فى ملكوت السموات والارض وباداء السنن والفرائض وترك ما سوى الحق والغرض وتقليل المنام والغرض واكل الحلال وصدق المقال والمراقبة بقلبه الى الله تعالى فهذه مفاتيح المعاينة والمشاهدة كذا فى شرح النصوص المسمى باسرار السرور بالوصول الى عين النور ثم ثمرة اليقين بالاخرة الاستعداد لها فقد قيل عشرة من المغرورين من ايقن ان الله خالقه ولا يعبده ومن ايقن ان الله رازقه ولا يطمئن به ومن ايقن ان الدنيا زائلة ويعتمد عليها ومن ايقن ان الورثة اعداؤه ويجمع لهم

توباخود ببر توشهٔ خويشتن ✻ كه شفقت نيايد زفرزند وزن ✻

ومن ايقن ان الموت آت فلا يستعد له ومن ايقن ان القبر منزله فلا يعمره ومن ايقن ان الديان يحاسبه فلا يصحح حجته ومن ايقن ان الصراط ممره فلا يخفف ثقله ومن ايقن ان النار دار الفجار فلا يهرب منها ومن ايقن ان الجنة دار الابرار فلا يعمل لها كما فى التيسير قال ذو النون المصرى اليقين داع الى قصر الامل وقصر الامل يدعو الى الزهد والزهد يورث الحكمة والحكمة تورث النظر فى العواقب قال ابو على الدقاق رحمه الله فى قول النبى عليه السلام فى عيسى بن مريم عليهما السلام لو ازداد يقينا لمامشى فى الهواء اشار بهذا الحديث الى حال نفسه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لان فى لطائف المعراج انه قال رأيت البراق قد بقى ومشيت وقال ابو تراب رأيت غلاما فى البادية يمشى بلا زاد فقلت ان لم يكن معه يقين فقد هلك فقلت يا غلام فى مثل هذا الموضع بلا زاد فقال يا شيخ ارفع رأسك هل ترى غير الله تعالى فقلت الآن فاذهب حيث شئت قال ابراهيم الخواص طلبت المعاش لاكل الحلال فاصطدت السمك فيوما وقع فى الشبكة سمكة فاخرجتها وطرحت الشبكة فى الماء فوقعت اخرى فيها ثم عدت فهتف بى هاتف لم تجد معاشا الا ان تأتى الى من يذكر الله فتقتلهم فكسرت القصبة وتركت كذا فى الرسالة القشيرية وذكر فى التأويلات النجمية ان من تخلص عن ذل الحجاب الوجودى يجد عزة الايقان بالامور الاخروية وكان مؤمنا بها من وراء الحجاب صار موقنا بها بعد رفع الحجاب كما قال امير المؤمنين على كرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا لانه قد كشف عنه غطاء الوجود فلا يحجب غطاء المحسوسات الدنيوية عن الامور الاخروية فبكشف الحجب يتخلصون عن مرتبة

الايمان الى مرتبة الايقان كما قال تعالى وبالاخرة هم يوقنون ولكن هذا خاص اى يوقنون بالاخرة دون ما انزل
على الانبياء من الكتب فانهم لا يتخلصون عن مرتبة الايمان بالله وكتبه ابدا وهذا امر عظيم وما رأيت احدا فرق
بين هاتين المرتبتين وذلك لانه لا يمكن للانسان ان يشاهد الامور الاخروية كلها اما بطريق الكشف فى الدنيا
واما بطريق المشاهدة فى العقبى فيصير موقنا بها بعد ما كان مؤمنا كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديد فاما ما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته فلا يمكن لاحد ان يشاهده بالكلية لانه منزه عن الكل
والجزء فارباب المشاهدة وان فازوا بشهادة شهود صفات جماله وجلاله عين اليقين بل حق اليقين ولكن لم يتخلصوا
عن مرتبة الايمان بعالم يشاهدوا بعد ولا يحيطون به علما الى ابد الاباد بل ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء
(اولئك) الجملة فى محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له وكانه لما قيل هدى للمتقين قيل
ما بالهم خصوا بذلك اجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر الايات والا فاستئناف لا محل لها فكانه نتيجة الاحكام
السابقة والصفات المتقدمة او جواب لو ابصرت فلانا ابصرت رجلا او لا جمع لا واحد له من لفظه بنى على الكسر
وكافه للخطاب كالكاف فى ذلك اى المذكورون قبله وهم المتقون الموصوفون بالايمان بالغيب وسائر الاوصاف
المذكورة بعده وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من
معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ وقوله عز وجل (على هدى) خبره وما فيه
من الابهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كانه قيل على اى هدى هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كما تقول
لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا وايراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم فى ملابستهم بالهدى بحال من يعتلى
الشىء ويستولى عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب
من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس فى العمل يعنى اكرمهم الله فى الدنيا حيث هداهم وبين لهم طريق
الفلاح قبل الموت (من ربهم) متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية
مؤكدة لها اى على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته تعالى وفنون توفيقه والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف اليهم وتشريفهما ثم فى هذه الاية
ذكر الهدى للموصوفين بكل هذه الصفات وفى قوله قولوا آمنا بالله وما انزل الينا الى قوله تعالى فان آمنوا
بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ذكر لهم الهداية بالاقرار والاعتقاد بدون سائر الطاعات بيانا لشرف الايمان وجلال
قدره وعلو امره فانه اذا قوى لم يبطله نفس المخالفات بل هو الذى يغلب فيرد الى التوبة بعد التمادى فى الايمان
البطالات وكما هدى اليوم الى الايمان يهدى غدا الى الجنان قال تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم
ربهم بايمانهم وذلك ان المطيعين يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وهم على مراكب طاعاتهم والملائكة تتلقاهم
قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وتتلقاهم الملائكة وتبقى العصاة منفردين منقطعين فى متاهات القيمة
ليس لهم نور الطاعات ولا فى حقهم استقبال الملائكة فلا يهتدون السبيل ولا يهديهم دليل فيقول الله لهم
عبادى ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون ان اهل الجنة من حسن الثواب لا يتفرغون لكم واهل النار
من شدة العقاب لا يرحمونكم معاشر المساكين سلام عليكم كيف انتم ان كان اشكالكم سبقوكم ولم يهدوكم
فانا هاديكم ان عاملتكم بما تستوجبون فاين الكرم كذا فى التيسير (قال السعدى) نه يوسف كه چندان بلا ديد
وبند * چو حكمش روان كشت وقدرش بلند * كنه عفو كرد ال يعقوب را * كه معنى بود
صورت خوب را * بكردار بدشان مقيد نكرد * بضاعات مزجاتشان رد نكرد * ززلفت همى چشم
داريم نيز * برين بى بضاعت ببخش اى عزيز * بضاعت نياوردم الا اميد * خدايا زعفوم مكن
نا اميد (واولئك هم المفلحون) تكرير اولئك للدلالة على ان كل واحد من الحكمين مستبد فى تميزهم به عن غيرهم
فكيف بهما وتوسط العطف بينهما تنبيه على تغايرهما فى الحقيقة وفائدة الفصل بين المبتدأ والخبر الدلالة
على ان ما بعده خبر لا صفة وان المسند ثابت للمسند اليه دون غيره فصفة الفلاح مقصورة عليهم لا تتجاوز
الى من عداهم من اليهود والنصارى ولا يلزم من هذا ان لا يكون للمتقين صفة اخرى غير الفلاح فالقصر قصر
الصفة على الموصوف لا العكس حتى يلزم ذلك والمفلح الفائز بالبغية كانه الذى انفتحت له وجوه الظفر
ولم تستغلق عليه والتركيب دال على معنى الشق والفتح والقطع ومنه سمى الزارع فلاحا لانه يشق الارض

وفى المثل الحديد بالحديد يفلح اى يقطع والمعنى هم الفائزون بالجنة والناجون من النار يوم القيمة والمقطوع لهم
بالخير فى الدنيا والاخرة وحاصل الفلاح يرجع الى ثلاثة اشياء احدها الظفر على النفس فلم يتابعوا هواها والدنيا
فلم يطغوا بزخارفها والشيطان فلم يفتتنوا بوساوسه وقرناء السوء فلم يبتلوا بمكروهاتهم والثانى النجاة من الكفر
والضلالة والبدعة والجهالة وغرور النفس ووسوسة الشيطان وزوال الايمان وفقد الامان ووحشة القبور
واهوال النشور وزلة الصراط وتسليط الزبانية الشداد الغلاظ وحرمان الجنان ونداء القطيعة والهجران
والثالث البقاء فى الملك الابدى والنعيم السرمدى ووجدان ملك لا زوال له ونعيم لا انتقال له وسرور لا حزن
معه وشباب لا هرم معه وراحة لا شدة معها وصحة لا علة معها ونيل نعيم لا حساب معه ولقاء لا حجاب له
كذا فى تفسير التيسير وقد تشبثت الوعيدية بالاية فى خلود الفساق من اهل القبلة فى العذاب ورد بان المراد
بالمفلحين الكاملون فى الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح لهم رأسا كما فى تفسير
البيضاوى قال الشيخ نجم الدين دايه قدس سره ذكر هدى بالنكرة اى على كشف من كشوف ربهم ونور
من انواره وسر من اسراره ولطف من الطافه وحقيقة من حقائقه فان جميع ما انعم الله به على انبيائه واوليائه
بالنسبة الى ما عنده من كمال ذاته وصفاته وانعامه واحسانه قطرة من بحر محيط لا يعتريه القصور من الانفاق
ابدا كما قال النبى صلى الله عليه وسلم يمين الله ملأى لا ينقصها نفقة سحاء الليل والنهار وفيه اشارة لطيفة وهى انهم
بذلك الهدى آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون واولئك هم المفلحون الذين تخلصوا
عن حجب الوجود بنور نار الصلاة وشاهدوا الاخرة وجذبتهم العناية بالهداية الى مقامات القربة وسرادقات
العزة فما نزلوا بمنزل دون لقائه وما حطوا رحالهم الا بفنائه فازوا بالسعادة العظمى والمملكة الكبرى ونالوا
الدرجة العليا وحققوا قول الحق وان الى ربك الرجعى انتهى كلام الشيخ فى تأويلاته (قال المولى جلال الدين
قدس سره) كر همى خواهى كه بفروزى چو روز * هستى همچون شب خود را بسوز * هستيت
در هست آن هستى نواز * همچو مس در كيميا اندر كداز (ان الذين كفروا) لما ذكر خاصة عباده وخالصة اوليائه
بصفاتهم التى اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم اضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يغنى عنهم
الايات والنذر وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابى لهب وابى جهل والوليد بن المغيرة
واحبار اليهود او للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوى بعده وغيرهم فخص منهم غير المصرين
بما اسند اليه والكفر لغة الستر والتغطية وفى الشريعة انكار ما علم بالضرورة مجىء الرسول صلى الله عليه وسلم به
وانما عد لبس الغيار وشد الزنار بغير اضطرار ونظائرهما كفرا لدلالته على التكذيب فان من صدق النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم لا يكاد يجترئ على امثال ذلك اذ لا داعى اليه كالزنى وشرب الخمر لا لانه كفر فى نفسه
والكافر فى القرآن على اربعة اوجه احدها نقيض المؤمن قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
والثانى الجاحد قال تعالى ومن كفر فان الله غنى عن العالمين اى جحد وجوب الحج والثالث نقيض الشاكر
قال تعالى واشكروا لى ولا تكفرون والرابع المتبرى قال تعالى ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض اى يتبرأ بعضكم
من بعض كذا فى التيسير وقال فى البغوى الكفر على اربعة اوجه كفر الانكار وهو ان لا يعرف الله اصلا
ولا يعترف به وكفر الجحود وهو ان يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به وكفر العناد وهو ان يعرف بقلبه ولا يعترف بلسانه ولا يدين به ككفر ابى طالب حيث يقول

ولقد علمت بان دين محمد * من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

وكفر النفاق فهو ان يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب وجميع هذه الانواع سواء فى ان من لقى الله بواحد منها لا يغفر له
انتهى كلام البغوى لكن فى ابى طالب سيجىء عند قوله تعالى ولا تسأل عن اصحاب الجحيم (سواء عليهم) اى
عندهم وهو اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر مبالغة قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم وارتفاعه على انه خبر لان وقوله تعالى (أأنذرتهم) يا محمد (ام لم تنذرهم) مرتفع على الفاعلية لان
الهمزة وام مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق معنى الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الامر والنهى لذلك
عن معنييهما فى قوله عز وجل استغفر لهم او لا تستغفر لهم وحرف النداء فى قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة

عن معنى الطلب لمجرد التخصيص كانه قيل ان الذين كفروا مستوعليهم انذارك وعدمه كقولك ان زيدا المختصم
اخوه وابن عمه واصل الانذار الاعلام بامر مخوف وكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا كما فى تفسير ابى الليث
والمراد ههنا التخويف من عذاب الله وعقابه على المعاصى وانما اقتصر عليه لما انهم ليسوا باهل للبشارة اصلا
ولان الانذار اوقع فى القلوب واشد تأثيرا فى النفوس فان دفع المضار اهم من جلب المنافع بحيث لم يتأثروا به
فلان لا يرفعوا للبشارة رأسا اولى وانما لم يقل سوآء عليك كما قال لعبدة الاصنام سوآء عليكم أدعوتموهم ام انتم
صامتون لان انذارك وترك انذارك ليسا سوآء فى حقك لانك تثاب على الانذار وان لم يؤمنوا فاما فى حقهم
فهما سوآء لانهم لا يؤمنون فى الحالين وهو نظير الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فانه يثاب به الآمر
وان لم يعمل به المأمور وكان هؤلاء القوم كقوم هود الذين قالوا لهود عليه السلام سوآء علينا اوعظت ام لم
تكن من الواعظين وقال تعالى فى حق هؤلاء سوآء عليهم الخ ويقال لهم فى القيامة اصلوها فاصبروا
اولا تصبروا سوآء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون واخبر عنهم انهم يقولون سوآء علينا اجزعنا ام صبرنا
ما لنا من محيص فلما كان الوعظ وتركه سوآء كان صبرهم فى النار وتركه سوآء وجزعهم فيها وتركه سوآء وانت
اذا كان عصيانك فى الشباب والشيب سوآء وتماديك فى الصحة والمرض سوآء واعراضك فى النعمة والمحنة سوآء
وقسوتك على القريب والبعيد سوآء وزيغك فى السر والعلانية سوآء اما تخشى ان تكون توبتك عند الموت
واصرارك عند النزع وسكوتك سوآء وزيارة الصالحين لك وامتناعهم سوآء وقيام الشفعاء بامرك وتركهم
سوآء كذا فى تفسير التيسير (لا يؤمنون) جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه من اجمال ما فيه
الاستوآء فلا محل لها من الاعراب ثم هذا تخفيف للنبى عليه السلام وتفريغ لقلبه حيث اخبره عن هؤلاء
بما اخبر به نوحا صلوات الله عليه وعلى سائر الانبياء فى الانتهاء فانه قال تعالى لنوح عليه السلام بعد طول الزمان
ومقاساة الشدآئد والاحزان انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فدعا بهلاكهم بعد ذلك وكذلك سائر الانبياء
وفى الآية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهى من المعجزات الباهرة
وفى الاية اثبات فعل العباد فانه قال لا يؤمنون وفيه اثبات الاختيار ونفى الاكراه والاجبار فانه لم يقل
لا يستطيعون بل قال لا يؤمنون فان قلت لما علم الله انهم لا يؤمنون فلم امر النبى عليه السلام بدعائهم قلت
فائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة كما ان الله تعالى بعث موسى الى فرعون ليدعوه الى الاسلام وعلم
انه لا يؤمن قال الله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال ولو انا
اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك فان قلت لما اخبر الله رسوله انهم
لا يؤمنون فهلا اهلكهم كما اهلك قوم نوح بعد ما اخبر انهم لا يؤمنون قلت لان النبى عليه السلام كان رحمة
للعالمين كما ورد به الكتاب وقد قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون ثم ان الاخبار بوقوع الشئ او عدمه لا ينفى القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره
فلا يلزم جواز تكليف ما لا يطاق قال الامام القشيرى من كان فى غطاء صفته محجوبا عن شهود حقه فسيان
عنده قول من دله على الحق وقول من اعانه على استجلاب الحظ بل هو الى داعى الغفلة اميل وفى الاصغاء اليه
ارغب وكما ان الكافر لا يرعوى عن ضلالته لما سبق من شقاوته فكذلك المربوط باغلال نفسه محجوب عن
شهود غيبه وحقه فهو لا يبصر رشده ولا يسلك قصده وقال ايضا ان الذى بقى فى ظلمات دعاويه سوآء عنده نصح
الراشدين وتسويلات المبطلين لان الله تعالى نزع عن احواله بركات الانصاف فلا يصغى الى داعى الرشاد كما قيل
وعلى النصوح نصيحتى * وعلى عصيان النصوح وفى التأويلات النجمية ان الذين كفروا اى جحدوا ربوبيتى
بعد اقرارهم فى عهد الست بربكم باجابة بلى وستروا صفاء قلوبهم برين ما كسبوا من اعمالهم الطبيعية النفسانية
وافسدوا حسن استعدادهم من فطرة الله التى فطر الناس عليها باكتساب الصفات البهيمية والسبعية
والشيطانية كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وذلك بان ارواحهم النفيسة لما نظروا بروزنة
الحواس الخمس الى عالم الصورة الخسيسة حجبت عن مألوفاتها ومحابها ثم ابتليت بصحبة النفوس الحيوانية
واستأنست بها ولهذا يسمى الانسان انسانا لانه انيس فبمجاورة النفس الخسيسة صار الروح النفيس خسيسا
فاستحسن ما استحسنت النفس واستلذ ما استلذ به النفس واستمتع من المراتع الحيوانية فانقطع عنه الاغذية

الروحانية ونسى حظائر القدس وجوار الحق فى رياض الانس ولهذا سمى الناس ناسا لانه ناس فتاه فى اودية
الخسران واستهوته الشياطين فى الارض حيران ولما نسوا الله بالكفران نسيهم بالخذلان حتى غلب عليهم
الهوى واوقعهم فى مهالك الردى فاصبحوا بنفوس احياء وقلوب موتى سوآء عليهم أأنذرتهم بالوعد والوعيد
وخوفتهم بالعذاب الشديد ام لم تنذرهم لا يؤمنون بما اخبرتهم ودعوتهم اليه وانذرتهم عليه لان روزنة قلوبهم
الى عالم الغيب منسدة بقساوة حلاوة الدنيا وقلوبهم مغلوقة بحب الدنيا وشهواتها مقفول عليها بمتابعة الهوى
كما قال تعالى افلا يتدبرون القرءآن ام على قلوب اقفالها فما تنسموا روآيح الانس من رياض القدس بل هب
عليهم صرصر الشقاوة من مهب حكم السابقة وادركهم بالختم على اقفالها كما قال تعالى ختم الله الاية انتهى
ما فى التأويلات ومن امثال الانجيل قلوبكم كالحصاة لا تنضجها النار ولا يلينها الماء ولا تنسفها الريح
(قال السعدى) چون بود اصل جوهرى قابل * تربيت را در واثر باشد * هيچ صيقل نكو نداند كرد *
آهنى را كه بدكهر باشد (ختم الله على قلوبهم) لما ذكر هؤلاء الكفار بصفاتهم وحالاتهم الحق به ذكر
عقوباتهم فهو تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمى به الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم
عليه لانه كتم له وبلوغ آخره ومنه ختم القرءآن نظرا الى انه آخر فعل يفعل فى احرازه ولا ختم على الحقيقة
وانما المراد به ان يحدث فى نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصى واستقباح الايمان والطاعات
بسبب غيهم وانهماكهم فى التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا يؤثر فيها الانذار ولا ينفذ
فيها الحق اصلا وسمى هذه الهيئة على الاستعارة ختما وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع فى قوله تعالى
اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم وبالاغفال فى قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا وبالاقساء فى قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهى من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى
واقعة بقدرته اسندت اليه تعالى ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم
وقوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الاية الكريمة ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة
عاقبتهم فالختم مجازاة لكفرهم والله تعالى قد يسر عليهم السبل فلو جاهدوا لوفقهم فسقط الاعتراض بانه
اذا ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم فمنعهم عن الهدى فكيف يستحقون العقوبة قال الشيخ فى تفسيره واسناد
الختم الى الله للتنبيه على ان اباءهم عن قبول الحق كالشئ الخلقى غير العرضى انتهى وقال فى التيسير حاصل
الختم عند اهل الحق عقوبة من الله تعالى لا تمنع العبد من الايمان جبرا ولا تحمله على الكفر كرها بل هى زيادة
عقوبة له على سوء اختياره وتماديه فى الكفر واصراره يحرم بها من اللطف الذى سهل به فعل الايمان وترك
العصيان يدل عليه انهم بقوا مخاطبين بالايمان بقوله تعالى آمنوا بالله ورسوله وملومين على الامتناع عنه لقوله
تعالى فما لهم لا يؤمنون ولو صاروا مجبورين وعن الايمان عاجزين لزال الخطاب وسقط اللوم والعتاب كما فى الختم
على الافواه يوم الحساب لما عجزوا به حقيقة عن الكلام لم يبق الخطاب بالكلام وتحقيق المذهب اثبات فعل العبد
وتخليق الله تعالى والقلوب جمع قلب وهو الفؤاد سمى قلبا لتقلبه فى الامور ولتصرفه فى الاعضاء وفى تفسير
الشيخ القلب قطعة لحم متشكل بالشكل الصنوبرى معلق بالوتين مقلوبا والوتين عرق فى القلب اذا انقطع مات
صاحبه ويقال له الابهر وفى تفسير الكواشى القلب قطعة سودآء فى الفؤاد وزعم بعضهم انه الشكل الصنوبرى
المعلق بالوتين مقلوبا وفى تعريفات السيد القلب لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسمانى الصنوبرى الشكل
المودع فى الجانب الايسر من الصدر تعلق وتلك اللطيفة هى حقيقة الانسان (قال المولى الجامى)
نيست اين پيكر مخروطى دل * بلكه هست اين قفص طوطى دل * كر تو طوطى ز قفص نشناسى *
بخدا ناس نه نسناسى * والمراد بالقلب فى الاية محل القوة العاقلة من الفؤاد وقد يطلق ويراد به المعرفة والعقل
كما قال ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب (و) ختم الله (على سمعهم) اى على آذانهم فجعلها بحيث تعاف استماع
الحق ولا تصغى الى خير ولا تعيه ولا تقبله كانها مستوثق منها بالختم عقوبة لهم على سوء اختيارهم وميلهم
الى الباطل وايثارهم والسمع هو ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها وهو المراد ههنا
لانه اشد مناسبة للختم وهو المختوم عليه اصالة وفى توحيد السمع وجوه احدها انه فى الاصل مصدر والمصادر
لا تجمع لصلاحيتها للواحد والاثنين والجماعة قال تعالى انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فان قالوا فلم جمع

الابصار والواحد بصر وهو كالسمع قلنا انه اسم للعين فكان اسما لا مصدرا فجمع لذلك والثانى ان فيه اضمارا اى على مواضع سمعهم وحواسه كما فى قوله تعالى واسأل القرية اى اهلها وثبت هذا الاضمار دلالة ان السمع فعل ولا يختم على الفعل وانما يختم على محله والثالث انه اراد سمع كل واحد منهم والاضافة الى الجماعة تغنى عن الجماعة وفى التوحيد امن اللبس كما فى قوله كلوا فى بعض بطنكم اى بطونكم اذ البطن لا يشترك فيه والرابع قول سيبويه انه توسط جمعين فدل على الجمع وان وحد كما فى قوله يخرجهم من الظلمات الى النور دل على الانوار ذكر الظلمات وتقديم ختم قلوبهم للايذان بانها الاصل فى عدم الايمان وتقديم حال السمع على حال ابصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم فى تلك الحال قالوا السمع افضل من البصر لانه تعالى حيث ذكرهما قدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله تعالى رسولا اصم ولان السمع وسيلة الى استكمال العقل بالمعارف التى تتلقف من اصحابها (وعلى ابصارهم) جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو بن وهو المراد ههنا لانه اشد مناسبة للتغطية (غشاوة) اى غطاء ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بها احداث حالة تجعل ابصارهم بسبب كفرهم لا تجتلى الايات المنصوبة فى الانفس والافاق كما تجتليها اعين المستبصرين وتصير كأنها غطى عليها وحيل بينها وبين الابصار ومعنى التنكير ان على ابصارهم ضربا من الغشاوة خارجا مما يتعارفه الناس وهى غشاوة التعامى عن الآيات قوله غشاوة مبتدأ مؤخر خبره المقدم قوله وعلى ابصارهم ولما اشترك السمع والقلب فى الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذى يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار مما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة قال فى التيسير انما ذكر فى الاية القلوب والسمع والابصار لان الخطاب كان باستعمال هذه الثلاثة فى الحق كما قال تعالى افلا تعقلون افلا تبصرون افلا تسمعون (ولهم عذاب عظيم) اى عقوبة شديدة القوة ومنه العظم والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال اعذب عن الشئ اذا امسك عنه وسمى العذاب عذابا لانه يمنع عن الجناية اذا تامل فيها العاقل ومنه الماء العذب لما انه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش اى يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب يعنى الفرات وهو الماء العذب مأخوذ من الرفت وهو قلبه وقيل انما سمى به لانه جزآء ما استعذبه المرء بطبعه اى استطابه ولذلك قال فذوقوا عذابى وانما ذاق الطيب على معنى انه جزآء ما استطابه واستحلاه بهواه فى الدنيا والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير قال فى التيسير عظيم اى كبير او كثير او دآئم وهو التعذيب بالنار ابدا ثم عظمه باهواله وبشدة احواله وكثرة سلاسله واغلاله فتكون هذه الاية وعيدا وبيانا لما يستحقونه فى الاخرة وقيل هو القتل والاسر فى الدنيا والتحريق بالنار فى العقبى ومعنى التوصيف بالعظيم انه اذا قيس سائر ما يجانسه قصر عنه جميعه ومعنى التنكير ان لهم من الالام نوعا عظيما لا يعلم كنهه الا الله عز وجل فعلى العاقل ان يجتنب عما يؤدى الى العذاب الاليم والعقاب العظيم وهو الاصرار على الذنوب والاكباب على اقتراف الخطيات والعيوب قيل فى سبب الحفظ عن هذه العقوبة التى هى الختم على الكيس فلا يمنعه عن حق ووضع الختم على اللسان فلا يطلقه فى باطل (قال السعدى) بكمراه كفتن نكو ميروى * كناه بزركست وجور قوى * مكو شهد شيرين شكر فايقست * كسى راكه سقمونيا لايقست * قال النبى صلى الله عليه وسلم ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل وما جلاؤها قال تلاوة القرءآن وكثرة ذكر الله وذكر الموت وامهات الخطايا ثلاث الحرص والحسد والكبر فحصل من هؤلاء ست فصارت تسعا الشبع والنوم والراحة وحب المال وحب الجاه وحب الرياسة فحب المال والرياسة من اعظم ما يجر صاحبه الى الكفر والهلاك (حكى) ان ملكا شابا قال انى لا اجد فى الملك لذة فلا ادرى كذلك يجده الناس ام انا اجده وقالوا له كذلك يجده الناس قال فما ذا يقيمه قالوا يقيمه لك ان تطيع الله فلا تعصيه فدعا من كان فى بلده من العلماء والصلحاء فقال لهم كونوا بحضرتى ومجلسى فما رأيتم من طاعة الله فامرونى وما رأيتم من المعصية فازجرونى عنها ففعل ذلك فاستقام له الملك اربعمائة سنة ثم ان ابليس اتاه يوما على صورة رجل وقال له من انت قال الملك رجل من بنى آدم قال لو كنت من بنى آدم لمت كما تموت بنو آدم ولكنك اله فادع الناس الى عبادتك فدخل فى قلبه شئ ثم صعد المنبر فقال ايها الناس انى اخفيت عليكم امرا حان اظهاره

وهو

وهو انى ملككم منذ كذا سنة ولو كنت من بنى آدم لمت ولكنى اله فاعبدونى فاوحى الله الى نبى زمانه وقال اخبره انى استقمت له ما استقام لى فتحول من طاعتى الى معصيتى فبعزتى وجلالى لاسلطن عليه بخت نصر ولم يتحول عن ذلك فسلطه عليه فضرب عنقه واوقر من خزينته سبعين سفينة من ذهب (قال المولى جلال الدين قدس سره) جز عنايت كى كشايد چشم را * جز محبت كى نشايد خشم را * جهد بى توفيق خود كس را مباد * در جهان والله اعلم بالرشاد * وفى التأويلات النجمية فى الختم اشارة الى بداية سوابق احكام القدر بالسعادة والشقاوة على وفق الحكمة والارادة الازلية للخليقة كما قال تعالى فمنهم شقى وسعيد مع حسن استعداد جميعهم بقبول الايمان والكفر ولهذا لما خاطب الحق ذراتهم بخطاب ألست بربكم قالوا بلى جميعا ثم اودع الله الذرات فى القلوب والقلوب فى الاجساد والاجساد فى الدنيا فى ظلمات ثلاث وكانت روزنة القلوب كلها مفتوحة الى عالم الغيب بواسطة الذرات المودعات التى سمعت خطاب الحق وشاهدت كمال الحق الى وقت ولادة كل انسان كما قال عليه السلام كل مولود يولد على فطرة الاسلام فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وفيه اشارة الى ان الله يكل الاشقياء الى تربية الوالدين فى معنى الدين حتى يلقنوهم تقليد ما الفوا عليه اباءهم من الضلالة فيضلونهم كما قال تعالى انتم وآباؤكم فى ضلال مبين فكانت تلك الشقاوة المقدرة مضمرة فى ضلالة التقليد والصفات النفسانية الظلمانية والهوى والطبيعة ثم جعل تأثيرها وظلمتها وريبها يندرج الى القلوب فيقسيها ويسودها ويغطيها ويسد روزنتها الى الذرات فيعميها ويصمها حتى لا تبصر اهل الشقاوة ببصر الذرات من الحق ما كانوا يبصرون ولا يسمع بسمع الذرات من الحق ما كانوا يسمعون فينكرون على الانبياء ويكفرون بهم ويعاندونهم اليه فيختم الله شقاوتهم بكفرهم هذا ويطبع به على قلوبهم كقوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم فسر القدر مستور لا يطلع عليه احد الا الله فيظهر آثار السعادة باقرار السعداء ويظهر آثار الشقاوة بانكار الاشقياء وكفرهم من القدر كالبذر فى الارض مستور فتظهر الشجرة منه وهو فى الشجرة مستور فيخرج مع الاغصان من الشجرة وهو فى الاغصان مستور حتى يخرج مع الثمرة من الاغصان وهو فى الثمرة مستور حتى يظهر من الثمرة فيختم ظهور البذر بالثمرة فكذلك سر القدر وهو بذر السعادة او الشقاوة مستور فى علم الله تعالى فتظهر شجرة وجود الانسان منه والسعادة والشقاوة مستورة فيها فتخرج مع اغصان الاخلاق وهى مستورة فيها فتخرج مع ثمرة الاعمال وهى الاقرار والانكار والايمان والكفر فيختم ظهور سر القدر وهو السعادة او الشقاوة بثمرة الايمان او الكفر فيظهر سر القدر عند الختم بالسعادة او الشقاوة فالذين ختم الله على قلوبهم انما ختم بخاتم كفرهم وان كان نقش خاتمهم هو الاحكام الازلية وسر القدر حتى حرموا عن دولة الوصال وبه ختم على سمعهم حتى لم يسمعوا خطاب الملك ذى الجلال وعلى ابصارهم غشاوة من العمى والضلال فلم يشاهدوا ذلك الجمال والكمال فلهم حرمان مقيم ولهم عذاب عظيم لانهم منعوا من مرادهم وهو العلى العظيم فعظم العذاب يكون على قدر عظمة المراد الممنوع منه انتهى ما فى التأويلات (ومن الناس) لما افتتح سبحانه وتعالى كتابه بشرح حاله وساق لبيانه ذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اى المنافقون اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزآء ولذلك طول فى بيان خبثهم قال القاشانى الاقتصار فى وصف الكفار المصرين المطبوع على قلوبهم على آيتين والاطناب فى وصف المنافقين فى ثلاث عشرة آية للاضراب عن اولئك صفحا اذ لا ينجع فيهم الكلام ولا يجدى عليهم الخطاب واما المنافقون فقد ينجع فيهم التوبيخ والتعيير وعسى ان يرتدعوا بالتشنيع عليهم وتفظيع شأنهم وسيرتهم وتعيير عادتهم وخبث نيتهم وسريرتهم وينتهوا بتقبيح صورة حالهم وتفضيحهم بالتمثيل بهم وبطر يقتهم فتلين قلوبهم وتنقاد نفوسهم وتزكى بواطنهم وتضمحل رذآئلهم فيرجعون عما هم عليه ويصيرون من المستثنى فى قوله تعالى الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاؤلئك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين اجرا عظيما والناس اسم جمع للانسان يسمى به لانه عهد اليه فنسى قال تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ولذلك جاء فى تفسير قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود اى نساء للنعم ذكار للمحن وقيل لظهوره من آنس اى ابصر لانهم

ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمى الجن جنا لاجتنانهم اى استتارهم عن اعين الناس وقيل
هو من الانس الذى هو ضد الوحشة لانهم يستأنسون بامثالهم او يستأنس ارواحهم بابدانهم وابدانهم
بارواحهم واللام فيه للجنس ومن فى قوله (من يقول) موصوفة اذ لا عهد فكأنه قال ومن الناس ناس يقولون
اى يقرون باللسان والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور فى النفس المعبر عنه باللفظ
وللرأى وللمذهب مجازا ووحد الضمير فى يقول باعتبار لفظة من وجمعه فى قوله آمنا وقوله وما هم باعتبار
معناها لان كلمة من تصلح للواحد والجمع او اللام فيه للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مرادبها
عبد الله بن ابى بن سلول واصحابه ونظراؤه من المنافقين حيث اظهروا كلمة الاسلام ليسلموا من النبى عليه السلام
واصحابه واعتقدوا خلافها واكثرهم من اليهود فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا فى عداد الكفار
المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لايأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس
انما تتنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الاية تقسيما للقسم الثانى (آمنا بالله) اى صدقنا بالله
(وباليوم الاخر) والمراد باليوم الاخر من وقت الحشر الى ما لا يتناهى اى الوقت الدائم الذى هو آخر الاوقات
المنقضية والمراد به البعث او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الايام المحدودة اذ لا حد
وراءه وسمى بالاخر لتأخره عن الدنيا وتخصيصهم للايمان بهما بالذكر له ادعاء انهم قد حازوا الايمان من قطريه
واحاطوا به من طرفيه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا
وكانوا يؤمنون بالله واليوم الاخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم
وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وحكاية عبارتهم لبيان كمال
خبثهم فان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ذلك ايمانا فكيف وهم
يقولونه تمويها على المسلمين واستهزاء بهم فكان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر (وما هم بمؤمنين) ما نائبة عن ليس
ولهذا اعقب بالباء اى ليسوا بمصدقين لانهم يضمرون خلاف ما يظهرون بل هم منافقون وفى الحكم عليهم بانهم
ليسوا بمؤمنين نفى ما ادعوه على سبيل البت والقطع لانه نفى اصل الايمان منهم بادخال الباء فى خبرما ولذا لم يقل
وما هم من المؤمنين فان الاول ابلغ من الثانى دلت الاية على ان الدعوى مردودة اذا لم يقم عليها دلائل الصحة
قال قائلهم من تحلى بغير ما فيه فضح الامتحان ما يدعيه فان من مدح نفسه ذم ومن ذم نفسه مدح قال فرعون
عليه لعائن الله وانا من المسلمين فقيل وكنت من المفسدين وقال يونس عليه السلام انى كنت من الظالمين
فقيل له فلولا انه كان من المسبحين (قال الحافظ) خوش بود كر محك تجربه آمد بميان ✻ باسيه روى شود
هركه دروغش باشد ✻ حكى ان شيخا كان له تلميذ يدعى انه امين والشيخ يعلم منه خلاف ذلك وهو يرد على
الشيخ فى ذلك ويدعى الامانة ويطلب منه ان يكشف له سرا من اسرار الله تعالى فاخذ الشيخ يوما تلميذا من اصحابه
وخبأه فى بيت وعمد الى كبش فذبحه والقاه فى عدل ودخل ذلك التلميذ المدعى فرأى الشيخ ملطخا بالدماء والعدل
امامه والسكين فى يده فقال له يا سيدى ما شأنك فقال له غاظنى فلان يعنى ذلك التلميذ فقتلته يعنى التلميذ يعنى
بقتله مخالفة هواه حتى لا يكذب الشيخ فتخيل التلميذ انه فى العدل فقال الشيخ هذه امانة فاستر على وادفن معى
هذا المذبوح الذى فى هذا العدل فدفنه معه فى الدار وقصد الشيخ نكاية ذلك التلميذ وان يفعل معه ما يخرجه
وجاء ابو ذلك المخبوء يطلب ابنه فقال له الشيخ هو عندى فضى الرجل فلما كبر على الرجل نكاية الشيخ مشى
الى والد ذلك المخبوء واخبره ان الشيخ قتله ودفنه معه ورفع ذلك الى السلطان فتوقف السلطان فى ذلك الامر
لما يعرفه من جلالة الشيخ وبعث اليه بالقاضى والفقهاء واخذ ذلك التلميذ يسب الشيخ ووقف الشهود
حتى حضر الى العدل فعاينوا الكبش وخرج التلميذ المخبوء وافتضح وندم حيث لا ينفعه الندم كذا فى الرسالة
المسماة بالامر المحكم المربوط فيما يلزم اهل طريق الله من الشروط للشيخ الاكبر قدس سره الاطهر فظهر
من هذا ان الاسرار لا توهب الا للامناء والانوار لا تفيض الا على الادباء (قال الحافظ) حديث دوست
نكويم مكر بحضرت دوست ✻ كه آشنا سخن آشنا نكه دارد ✻ وفى التأويلات النجمية ومن الناس
هم الذين نسوا الله ومعاهدته يوم الميثاق فمنهم من يقول آمنا بالله يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم
فان الايمان الحقيقى ما يكون من نور الله الذى يقذفه الله فى قلوب خواصه وباليوم الاخر اى بنور الله يشاهد

الاخرة فيؤمن به فمن لم ينظر بنور الله فلا يكون مشاهدا لعالم الغيب فلا يعلم الغيب فلا يكون مؤمنا بالله
وباليوم الاخر ولهذا قال وما هم بمؤمنين اى بالذين يؤمنون من نور الله تعالى وفيه معنى آخر وما هم بمستعدين
للهداية الى الايمان الحقيقى لانهم فى غاية الغفلة والخذلان انتهى (يخادعون الله) بيان ليقول فى الاية السابقة
وتوبيخ لما هو غرضهم مما يقولون او استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل ما لهم يقولون
ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الخ اى يخدعون وانما اخرج فى زنة فاعل للمبالغة وخداعهم مع الله
سبحانه ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على
حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته فى ارضه والناطق عنه باوامره
ونواهيه مع عباده ففيه رفع درجة النبى صلى الله عليه وسلم حيث جعل خداعه خداعه واما ان صورة صنعهم
مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم من اجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده تعالى
اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله تعالى فى اخفاء
حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المخادعين فتكون المخادعة بين الاثنين
والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب او يوهمه المساعدة على
ما يريد هو به ليغتر بذلك فينجو منه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذى اذا امر الحارش يده على باب
جحره يوهمه الاقبال عليه فيخرج من بابه الاخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بما صنعوا
ان يطلعوا على اسرار المؤمنين فيذيعوها الى منابذيهم اى يشيعوها الى مخالفيهم واعدائهم وان يدفعوا عن
انفسهم ما يصيب سائر الكفرة من القتل والنهب والاسر وان ينالوا به نظم مصالح الدنيا جميعا كأن يفعل بهم
ما يفعل بالمؤمنين من الاعطاء (والذين آمنوا) اى يخادعون المؤمنين بقولهم اذا رأوهم آمنا وهم غير مؤمنين
وهو عطف على الاول ويجوز حمله على الحقيقة فى حقهم فانه وسعهم كذا فى التيسير (وما يخدعون الا انفسهم)
النفس ذات الشئ وحقيقته وقد يقال للروح لان نفس الحى به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان
قوامها به وللماء ايضا لشدة حاجتها اليه والمراد هنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع
اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم اى يفعلون ما يفعلون والحال انهم ما يضرون بذلك الا انفسهم فان دائرة فعلهم
مقصورة عليهم ومن حافظ على الصيغة قال وما يعاملون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم
لان ضررها لا يحيق الا بهم ووبال خداعهم راجع اليهم لان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم
فيفضحون فى الدنيا ويستوجبون العقاب فى العقبى (قال المولى جلال الدين) بازئى ديدى تو اى شطرنج باز ✻
بازئ خصمت ببين پهن ودراز ✻ وقيل يعاملهم على وفق ما عاملوا وذلك فيما جاء انهم اذا القوا فى النيران
وعذبوا فيها طويلا من الزمان استغاثوا بالرحمن قيل لهم هذه الابواب قد فتحت فاخرجوا فيتبادرون الى الابواب
فاذا انتهوا اليها اغلقت دونهم واعيدوا الى الابار والتوابيت مع الشياطين والطواغيت قال تعالى انهم يكيدون
كيدا واكيد كيدا وفى الحديث يؤمر بنفر من الناس يوم القيامة الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها
ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله تعالى لاهلها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة
وندامة ما رجع الاولون والاخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تريناما اريتنا من ثواب
ما اعددت لاوليائك فيقول ذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بى بارزتمونى بالعظائم فاذا لقيتم الناس لقيتموهم
مخبتين تراؤن الناس خلاف ما تنطوى قلوبكم عليه هبتم الدنيا ولم تهابونى اجللتم الناس ولم تجلونى وتركتم للناس
ولم تتركوا لى يعنى لاجل الناس فاليوم اذيقكم اليم عذابى مع ما حرمتكم يعنى من جزيل ثوابى كذا فى روضة
العلماء وتنبيه الغافلين (وما يشعرون) حال من ضمير ما يخدعون اى يقتصرون على خدع انفسهم والحال انهم
ما يحسون بذلك لتماديهم فى الغفلة والغواية جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم فى الظهور كالمحسوس
الذى لا يخفى الا على مؤوف الحواس وهذا تنزيل لهم منزلة الجمادات وحط من مرتبة البهائم حيث سلب
منهم الحس الحيوانى فهم ممن قيل فى حقهم بل هم اضل فلا يشعرون ابلغ وانسب من لا يعلمون والشعور
الاحساس اى علم الشئ علم حس ومشاعر الانسان حواسه سميت به لكون كل حاسة محلا للشعور والعظة فيه
ان المنافق عمل ما عمل وهو لا يعلم بوبال ما عمل والمؤمن يعلم به فاعذره عند ربه ثم فى هذه الاية نفى العلم عنهم وفى قوله

وتكتمون الحق وانتم تعلمون اثبات العلم لهم والتوفيق بينهما انهم علموا به حقيقة ولكن لم يعملوا بما علموا فكانهم لم يعلموا وهو كقوله عزوجل صم بكم عمى فكانوا ناطقين سامعين ناظرين حقيقة لكن لم ينتفعوا بذلك فكانوا كانهم صم بكم عمى فذو الالة اذا لم ينتفع بها فهو وعادم الالة سوآء والعالم الذى لا يعمل بعلمه فهو والجاهل سوآء والغنى الذى لا ينتفع بماله فهو والفقير سوآء فاثبات العلم للكفار الزام الحجة وذكر الجهل اثبات المنقصة بخلاف المؤمنين فان اثبات العلم لهم اثبات الكرامة وذكر الجهل تلقين عذر المعصية كذا فى التيسير فعلى المؤمن ان يتحلى بالعلم والعمل ويجتنب عن الخطأ والزلل ويطيع ربه خالصا لوجهه الكريم ويعبده بقلب سليم وفى الحديث ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله تعالى يوم يجازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن لهم فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم خيرا وانما يقال لهم ذلك لان عملهم فى الدنيا كان على وجه الخداع فيعاملون فى الاخرة على وجه الخداع كذا فى تنبيه الغافلين (قال السعدى) جه قدر آورد بندهٔ خور ديس * كه زير قبا دارد اندام پيس * وفى التأويلات النجمية الاشارة ان الله تعالى لما قدر لبعض الناس الشقاوة فى الازل اعربذر سر القدر المستور فى اعماله ثمرة مخادعة الله فى الظاهر ولا يشعر ان المخادعة نتيجة بذر سر القدر بطريق تزيين الدنيا فى نظره وحب شهواتها فى قلبه كما قال تعالى زين للناس حب الشهوات الاية فانخدع بزينة الدنيا وطلب شهواتها عن الله وطلب السعادة الاخروية فعلى الحقيقة هو المخادع الممكور كما قال تعالى يخادعون الله وهو خادعهم فعلى هذا وما يخدعون الا انفسهم حقيقة فى صورة مخادعتهم الله والذين آمنوا لانهم كانوا قبل مخادعتهم الله مستوجبين النار بكفرهم مع امكان ظهور الايمان عنهم فلما شرعوا فى اظهار النفاق بطريق المخادعة نزلوا بقدم النفاق الدرك الاسفل من النار فابطلوا استعداد قبول الايمان وامكانه عن انفسهم فكانت مفسدة خداعهم ومكرهم راجعة الى انفسهم وما يشعرون اى ليس لهم الشعور بسر القدر الازلى وان معاملتهم فى المكر والخداع من نتايجه لان فى قلوبهم مرضا ومرض القلب ما يفهم من شعور سر القدر (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) زاد يجيء متعديا كما فى هذه الاية ولازما كما فى قوله تعالى فارسلناه الى مائة الف او يزيدون والمرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل فى افاعيله ويؤدى الى الموت ومجاز فى الاعراض النفسانية التى تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصى وغير ذلك من فنون الكفر المؤدى الى الهلاك الروحانى لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية والاية الكريمة تحتملها فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول عليه السلام واستعلاء شأنه يوما فيوما فزاد الله غمهم بما زاد فى اعلاء امره ورفع قدره وان نفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبى عليه السلام ونحوها فزاد الله ذلك بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يؤثر فيها التذكير والانذار وبازدياد التكاليف الشرعية وتكرير الوحى وتضاعف النصر لانهم كلما ازداد التكاليف بنزول الوحى يزدادون كفرا وقد كان يشق عليهم التكلم بالشهادة فكيف وقد لحقتهم الزيادات وهى وظائف الطاعات ثم العقوبة على الجنايات فازدادوا بذلك اضطرابا على اضطراب وارتيابا على ارتياب ويزدادون بذلك فى الآخرة عذابا على عذاب قال تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب والمؤمنون لهم فى الدنيا ما قال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وفى العقبى ما قال ويزيدهم من فضله قال القطب العلامة امراض القلب اما متعلقة بالدين وهو سوء الاعتقاد والكفر او بالاخلاق وهى اما رذائل فعلية كالغل والحسد واما رذائل انفعالية كالضعف والجبن فحمل المرض اولا على الكفر ثم على الهيئات الفعلية ثم على الهيئات الانفعالية ويحتمل ان يكون قوله تعالى فزادهم الله دعاء عليهم فان قلت فكيف يحمل على الدعاء والدعاء للعاجز عرفا والله تعالى منزه عن العجز قلت هذا تعليم من الله عباده انه يجوز الدعاء على المنافقين والطرد لهم لانهم شر خلق الله لانه اعد لهم يوم القيمة الدرك الاسفل من النار وهذا كقوله تعالى قاتلهم الله ولعنهم الله (ولهم) فى الآخرة (عذاب اليم) يصل المه الى القلوب وهو بمعنى المؤلم بفتح اللام على انه اسم مفعول من الايلام وصف به العذاب للمبالغة وهو فى الحقيقة صفة المعذب بفتح الذال المعجمة كما ان الجد للجاد فى قولهم جد جده ووجه المبالغة افادة ان الالم بلغ الغاية حتى سرى المعذب الى العذاب المتعلق به

(بما كانوا يكذبون) الباء للسببية او للمقابلة وما مصدرية داخلة فى الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لافادة دوام كذبهم وتجدده اى بسبب كذبهم المتجدد المستمر الذى هو قولهم آمنا الخ وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم نظرا الى ظاهر العبارة المخيلة لانفراده بالسببية مع احاطة علم السامع بان لحوق العذاب بهم من جهات شتى وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله واما ما روى ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات فالمراد به التعريض لكن لما شابه الكذب فى صورته سمى به واحدى الكذبات قوله انى سقيم اى ذاهب الى السقم او الى الموت او سيسقم لما يجد من الغيظ فى اتخاذهم النجوم آلهة قاله ليتركوه عن الذهاب معهم الى عيدهم حتى يخلوا بيده فيكسر اصنامهم والثانية قوله بل فعله كبيرهم هذا على الفرض والتقدير على سبيل الالزام كانه قال لو كان الها معبودا وجب ان يكون قادرا على ان يفعله فاذا لم يكن قادرا عليه يكون عاجزا والعاجز بمعزل عن الالوهية واستحقاق العبادة فكيف حالكم فى العكوف عليه فهذا القول تهكم بعقولهم وثالثها قوله فى حق زوجته سارة رضى الله عنها هذه اختى والمراد منه الاخوة فى الدين وغرضه منه تخليصها من يد الظالم لان من دين ذلك الملك الذى يتدين به فى الاحكام المتعلقة بالسياسة لا يتعرض الا لذوات الازواج لان من دينه ان المرأة اذا اختارت الزوج فالسلطان احق بها من زوجها واما اللاتى لا ازواج لهن فلا سبيل عليهن الا اذا رضين واما قوله هذا ربى فهو من باب الاستدراج وهو ارخاء العنان مع الخصم وهو نوع من التعريض لان الغرض منه حكاية قولهم كذا فى حواشى ابن تمجيد واعلم ان الكذب من قبايح الذنوب وفواحش العيوب ورأس كل معصية بها يتكدر القلوب وابغض الاخلاق انه مجانب للايمان يعنى الايمان فى جانب والكذب فى جانب آخر مقابل له وهذا كناية عن كمال البعد بينهما وفى الحديث مالى اراكم تتهافتون فى الكذب تهافت الفراش فى النار كل الكذب مكتوب كذبا لا محالة الا ان يكذب الرجل فى الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما او يحدث امرأته ليرضيها مثل ان يقول لا احد احب الى منك وكذا من جانب المرأة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفى معناها ما اذا ارتبط بمقصود صحيح له او لغيره كما قيل بالفارسية دروغ مصلحت آميز به از راست فتنه انكيز * لكن هذا فى حق الغير واما فى حق نفسه فالصدق اولى وان لزم الضرر (كما قال السعدى) تا نيك ندانى كه سخن عين صوابست * بايد كه بگفتن دهن از هم نگشايى * كر راست سخن كويى ودر بند بمانى * به زانكه دروغت دهد از بند رهايى * واعلم ان المراد بالكذب فى الحقيقة الكذب فى العبودية والقيام بحقوق الربوبية كالمنافقين ومن يحذو حذوهم ولا يصح الاقتدآء بارباب الكذب مطلقا ولا يعتمد عليهم فانهم يجرون الى الهلاك والفراق عن مالك الاملاك (قال فى المثنوى) صبح كاذب كاروانها را زدست * كه بپوى روز بيرون آمدست * صبح كاذب خلق را رهبر مباد * كو دهد بس كاروانها را بباد * قال القاشانى فى تأويل الاية فى قلوبهم حجاب من حجب الرذآئل النفسانية الشيطانية والصفات البشرية عن تجليات الصفات الحقانية وفى التأويلات النجمية فى قلوبهم مرض وهو الالتفات الى غير الله فزادهم الله مرضا اى زاد مرض الالتفات على مرض خداعهم فحرموا من الوصول والوصال ولهم عذاب اليم من حرمان الوصول الى الله تعالى بما كانوا يكذبون بقولهم انا آمنا بالله فانهم ليسوا بمؤمنين حقيقة والايمان الحقيقى نور اذا دخل القلب يظهر على المؤمن حقيقته كما كان لحارثة لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اصبحت يا حارثة قال اصبحت مؤمنا حقا قال يا حارثة ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال اعرضت نفسى عن الدنيا اى زهدت وانصرفت فاظمأت نهارها واسهرت ليلها واستوى عندى حجرها وذهبها وكانى انظر الى اهل الجنة يتزاورون والى اهل النار يتضاعون وكانى انظر الى عرش ربى بارزا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبت فالزم (قال فى المثنوى) اهل صيقل رسته اند از بو و رنك * هر دمى بينند خوبى بى درنك * نقش وقشر علم را بگذاشتند * رايت عين اليقين افراشتند * برترند از عرش وكرسى وخلا * ساكنان مقعد صدق خدا * علم كان نبود زهو بى واسطه * آن نپايد همچو رنك ماشطه * (واذا قيل لهم) اى قال المسلمون لهؤلاء المنافقين (لا تفسدوا فى الارض) اسناد قيل الى لا تفسدوا اسناد له الى لفظه كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول كقولك

الف ضرب من ثلاثة احرف والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع والفساد فى الارض تهييج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن احوال العباد واختلال امر المعاش والمعاد والمراد بما نهوا عنه ما يؤدى الى ذلك من افشاء اسرار المؤمنين الى الكفار واغرائهم عليه وغير ذلك من فنون الشرور فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لا تفسدوا كما يقول الرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك فى النار اذا اقدم على ما هذه عاقبته وكانت الارض قبل البعثة يعلن فيها بالمعاصى فلما بعث الله النبى صلى الله عليه وسلم ارتفع الفساد وصلحت الارض فاذا اعلنوا بالمعاصى فقد افسدوا فى الارض بعد اصلاحها كما فى تفسير ابى الليث (قالوا انما نحن مصلحون) جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شأننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما فى قلوبهم من المرض كما قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فانكروا كون ذلك فسادا وادعوا كونه اصلاحا محضا وهو من قصر الموصوف على الصفة مثل انما زيد منطلق قال ابن التمجيد ان المسلمين لما قالوا لهم لا تفسدوا توهموا ان المسلمين ارادوا بذلك انهم يخلطون الافساد بالاصلاح فاجابوا بانهم مقصورون على الاصلاح لا يتجاوزون منه الى صفة الافساد فيلزم منه عدم الخلط فهو من باب قصر الافراد حيث توهموا ان المؤمنين اعتقدوا الشركة فاجابهم الله تعالى بعد ذلك بما يدل على القصر القلبى وهو قوله تعالى (الا) ايها المؤمنون اعلموا (انهم هم المفسدون) فانهم لما اثبتوا لانفسهم احدى الصفتين ونفوا الاخرى واعتقدوا ذلك قلب الله اعتقادهم هذا بان اثبت لهم ما نفوه ونفى عنهم ما اثبتوا والمعنى هم مقصورون على افساد انفسهم بالكفر والناس بالتعويق عن الايمان لا يتخطون منه الى صفة الاصلاح من باب قصر الشيء على الحكم فهم لا يعدون صفة الفساد والافساد ولا يلزم منه ان لا يكون غيرهم مفسدين ثم استدرك بقوله تعالى (ولكن لا يشعرون) انهم مفسدون للايذان بان كونهم مفسدين من الامور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه قال الشيخ فى تفسيره ذكر الشعور بازاء الفساد اوفق لانه كالمحسوس عادة ثم فيه بيان شرف المؤمنين حيث تولى الله جواب المنافقين عما قالوه للمؤمنين كما كان فى حق المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فان الوليد بن المغيرة قال له انه مجنون فنفاه الله عنه بقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون ثم قال فى ذم ذلك اللعين ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم اى حلاف حقير عياب يمشى بين الناس بالنميمة بخيل للمال ظالم فاجر غليظ القلب جاف ومع ذلك الوصف المذكور هو ولد الزنى وذلك لانه صلى الله عليه وسلم اتخذ ربه وكيلا على اموره بمقتضى قوله فاتخذوه وكيلا فهو تعالى يكفى مؤنته كما قال اهل الحقائق ان خوارق العادات قلما تصدر من الاقطاب والخلفاء بل من وزرائهم وخلفائهم لقيامهم بالعبودية التامة واتصافهم بالفقر الكلى فلا يتصرفون لانفسهم فى شيء ومن جملة كمالات الاقطاب ومن الله عليهم ان لا يبتليهم بصحبة الجهلاء بل يرزقهم صحبة العلماء الادباء الامناء يحملون عنهم اثقالهم وينفذون احكامهم واقوالهم وذلك كما كان الكامل آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام الذى كان قطب وقته ومتصرفا وخليفة على العالم فظهر عنه ما ظهر من اتيان عرش بلقيس كما حكاه الله تعالى فى القرآن وفى التأويلات النجمية واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض الاشارة فى تحقيق الآيتين ان الانسان وان خلق مستعد الخلافة الارض ولكنه فى بداية الخلقة مغلوب الهوى والصفات النفسانية فيكون مائلا الى الفساد كما اخبرت عنه الملائكة وقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها الاية فبأوامر الشريعة ونواهيها يتخلص جوهر الخلافة عن معدن نفس الانسان فاهل السعادة وهم المؤمنون ينقادون للداعى الى الحق ويقبلون الاوامر والنواهى واهل الشقاوة وهم الكافرون المنافقون يمرقون من الدين ويتبعون الهوى واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض اى لا تسعوا فى افساد حسن استعدادكم وصلاحيتكم للخلافة فى الارض باتباعكم الهوى وحرصكم على الدنيا قالوا انما نحن مصلحون لا يقبلون النصيحة غافلين عن حقيقتها (كما قال السعدى) كسى را كه پندار در سر بود * مپندار هرگز كه حق بشنود * ز علمش ملال آيد از وعظ ننگ * شقايق بباران نرويد ز سنگ * فكذبهم الله تعالى بقوله الا انهم هم المفسدون يفسدون صلاح آخرتهم باصلاح دنياهم ولكن لا يشعرون اى لا شعور لهم بافساد حالهم وسوء اعمالهم وعظم وبالهم

من خسار

من خسار حسن صنيعهم وادعائهم بالاصلاح على انفسهم كما قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الاية (قال المولى جلال الدين قدس سره) اى كه خود را شير يزدان خوانده * سالها شد با سگى درمانده * چون كند اين سگ براى تو شكار * چون شكار سگ شدستى آشكار * (واذا قيل لهم) من طرف المؤمنين بطريق الامر بالمعروف اثر نهيهم عن المنكر اتماما للنصح واكمالا للارشاد فان كمال الايمان بمجموع الامرين الاعراض عما لا ينبغى وهو المقصود بقوله تعالى لا تفسدوا فى الارض والاتيان بما ينبغى وهو المطلوب بقوله تعالى (آمنوا) حذف المؤمن به لظهوره اى آمنوا بالله وباليوم الاخر او اريد افعلوا الايمان (كما آمن الناس) الكاف فى محل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف اى آمنوا ايمانا مماثلا لايمانهم فما مصدرية او كافة اى حققوا ايمانكم كما تحقق ايمانهم واللام فى الناس للجنس والمراد به الكاملون فى الانسانية العاملون بقضية العقل او للعهد والمراد به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه او من آمن من اهل بلدتهم اى من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا من شوائب النفاق مماثلا لايمانهم (قالوا) مقابلين للامر بالمعروف بالانكار المنكر واصفين للمراجيح الرزان بضد اوصافهم الحسان (انؤمن كما آمن السفهاء) الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس الكاملين او المعهودين او الى الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة عقل وسخافة رأى يورثهما قصور العقل ويقابله الحلم والاناة وانما نسبوهم اليه مع انهم فى الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماك انفسهم فى السفاهة وتماديهم فى الغواية وكونهم ممن زين له سوء عمله فرآه حسنا فمن حسب الضلال هدى يسمى الهدى لا محالة ضلالا او لتحقير شأنهم فان كثيرا من المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالى كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وامثاله فان قيل كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقوله انؤمن كما آمن السفهاء قلنا فيه اقوال الاول ان المنافقين لعنهم الله كانوا يتكلمون بهذا الكلام فى انفسهم دون ان ينطقوا به بالسنتهم لكن هتك الله تعالى استارهم واظهر اسرارهم عقوبة على عداوتهم وهذا كما اظهر ما اضمره اهل الاخلاص من الكلام الحسن وان لم يتكلموا به بالالسن تحقيقا لولايتهم قال الله تعالى يوفون بالنذر الى ان قال انما نطعمكم لوجه الله وكان هذا فى قلوبهم فاظهره الله تعالى تشريفا لهم وتشهيرا لحالهم هذا قول صاحب التيسير والثانى ان المنافقين كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك هذا قول البغوى والثالث قول ابى السعود فى الارشاد حيث قال هذا القول وان صدر عنهم بمحضر من المؤمنين الناصحين لهم جوابا عن نصيحتهم لكن لا يقتضى كونهم مجاهرين لا منافقين فانه ضرب من الكفر انيق وفن فى النفاق عريق لانه محتمل للشر كما ذكر فى تفسيره وللخير بان يحمل على ادعاء الايمان كايمان الناس وانكار ما اتهموا به من النفاق على معنى انؤمن كما آمن السفهاء والمجانين الذين لا اعتداد بايمانهم لو آمنوا ولا نؤمن كايمان الناس حتى تأمرون بذلك قد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم مرائين لارادة المعنى الاخير وهم يقولون على الاول فرد عليهم ذلك بقوله عز وجل (الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) انهم هم السفهاء ولا يحيطون بما عليهم من داء السفه والمؤمنون بايمانهم واخلاصهم هربوا من السفه ورغبوا فى العلم والحق وهم العلماء على الحقيقة والمستقيمون على الطريقة وهذا رد ومبالغة فى تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الايات والنذر واعلم ان قوله تعالى وما يشعرون فى الاية الاولى نفى الاحساس عنهم وفى الثانية نفى الفطنة لان معرفة الصلاح والفساد يدرك بالفطنة وفى الاية الثالثة نفى العلم وفى نفيها على هذه الوجوه تنبيه لطيف ومعنى دقيق وذلك انه بين فى الاول ان فى استعمالهم الخديعة نهاية الجهل الدال على عدم الحس وفى الثانى انهم لا يفطنون تنبيها على ان ذلك لازم لهم لان من لا حس له لا فطنة له وفى الثالث انهم لا يعلمون تنبيها على ان ذلك ايضا لازم لهم لان من لا فطنة له لا علم له فان العلم تابع للعقل كما (حكى) ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام اتى اليه جبرائيل بثلاث تحف العلم والحياء والعقل فقال يا آدم اختر من هذه الثلاث ما تريد فاختار العقل فاشار جبريل الى العلم والحياء بالرجوع الى مقرهما فقالا انا كنا فى عالم الارواح مجتمعين فلا نرضى ان يفترق بعضنا عن بعض فى الاشباح ايضا فنتبع العقل حيث كان فقال جبريل

استقرا فاستقر العقل فى الدماغ والعلم فى القلب والحياء فى العين (قال المولى جلال الدين قدس سره * جمله حيوانرا بى انسان بكش * جمله انسانرا بكش از بهر هش * هش چه باشد عقل كل هوشمند * هوش جزئى هش بود اما نژند * لطف او عاقل كند مر نيل را * قهر او ابله كند قابيل را * فليسارع العاقل الى تحصيل العلم والمعرفة حتى يصل الى توحيد الفعل والصفة قال الامام القشيرى رحمه الله للعقل نجوم وهى للشيطان رجوم وللعلوم اقمار وهى للقلوب انوار واستبصار وللمعارف شموس ولها على اسرار العارفين طلوع والعلم اللدنى هو الذى ينفتح فى بيت القلب من غير سبب مألوف من الخارج وللقلب بابان الى الخارج يأخذ العلم من الحواس وباب الى الداخل يأخذ العلم بالالهام فمثل القلب كمثل الحوض الذى يجرى فيه انهار خمسة فلا يخلو ماؤه عن كدرة ما دام يحصل ماؤه من الانهار الخمسة بخلاف ما اذا خرج ماؤه من قعره حيث يكون ماؤه اصفى واجلى فكذا القلب اذا حصل له العلم من طريق الحواس الخمس الظاهرة لا يخلو عن كدرة وشك وشبهة بخلاف ما اذا ظهر من صميم القلب بطريق الفيض فانه اصفى واولى وقال الشيخ زين الدين الحافى رحمه الله والعجب ممن دخل فى هذه الطريقة واراد ان يصل الى الحقيقة وقد حصل من الاصطلاحات ما يستخرج بها المعانى من كتاب الله واحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم ثم لا يشتغل بذكر الله وبمراقبته والاعراض عما سواه لتنصب الى قلبه العلوم اللدنية التى لو عاش الف سنة فى تدريس الاصطلاحات وتصنيفها لا يشم منها رايحة ولا يشاهد من آثارها وانوارها لمعة فالعلم بلا عمل عقيم والعمل بلا علم سقيم والعمل بالعلم صراط مستقيم (قال فى المثنوى) آنكه بى همت چه با همت شده * وآنكه با همت چه با نعمت شده * وفى التأويلات النجمية واذا قيل لهم اى لاهل الغفلة والنسيان آمنوا كما آمن الناس اى بعض الناسين منكم الذين تفكروا فى آلاء الله تعالى وتدبروا آياته بعد نسيان عهد ألست بربكم ومعاهدة الله تعالى على التوحيد والعبودية فتذكروا تلك العهود والمواثيق فآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به قالوا اى اهل الشقاوة منهم انؤمن كما آمن السفهاء فكذلك احوال اصحاب الغفلات مدعى الاسلام اذا دعوا من الايمان التقليدى الذى وجدوه بالميراث الى الايمان الحقيقى المكتسب بصدق الطلب وترك محبة الدنيا واتباع الهوى والرجوع الى الخلق والتمادى فى الباطل ينسبون ارباب القلوب واصحاب الكرامات العالية الى السفه والجنون وينظرون اليهم بنظر العجز والذلة والقلة والمسكنة ويقولون انترك الدنيا كما ترك هؤلاء السفهاء من الفقراء لنكون محتاجين الى الخلق كما هم محتاجون ولا يعلمون انهم هم السفهاء لقوله تعالى ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون فهم السفهاء بمعنيين احدهما لانهم يبيعون الدين بالدنيا والباقى بالفانى لسفاهتهم وعدم رشدهم والثانى لانهم سفهوا انفسهم ولم يعرفوا حسن استعدادهم للدرجات العلى والقربة والزلفى فرضوا بالحياة الدنيا ورغبوا عن مراتب اهل التقى ومشارب اهل النهى كما قال الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه فانه من عرف نفسه فقد عرف ربه ومن عرف ربه ترك غيره وعرف اهل الله وخاصته فلا يرغب عنهم ولا ينسبهم الى السفه وينظر اليهم بالعزة فان الفقراء الكبراء هم الملوك تحت الاطمار ووجوههم المصفرة عند الله كالشموس والاقمار ولكن تحت قباب العزة مستورون وعن نظر الاغيار محجوبون (قال فى المثنوى) مهر پاكان درميان جان نشان * دل مده الا بمهر دلخوشان * كر تو سنك صخره ومرمر شوى * چون بصاحب دل رسى جوهر شوى * انهم تحت قبابى آمنون * جز كه يزدانشان نداند آزمون * (واذا لقوا الذين آمنوا) بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير اى هؤلاء المنافقون اذا عاينوا وصادفوا واستقبلوا الذين آمنوا بالحق وهم المهاجرون والانصار (قالوا) كذبا (آمنا) كايمانكم وتصديقكم روى ان عبد الله بن ابى المنافق واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضى الله عنهم فقال ابن ابى انظروا كيف ارد هذه السفهاء عنكم فلما دنوا منهم اخذ بيد ابى بكر رضى الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد على رضى الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه وسيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له

على رضى الله عنه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خلق الله فقال له مهلا يا ابا الحسن انى تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن ابى لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فاذا رأيتموهم فافعلوا ما فعلت فاثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه بذلك فنزلت الآية (واذا خلوا) اى مضوا واجتمعوا على الخلوة والى بمعنى مع او انفردوا والى بمعنى الباء او مع تقول خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه (الى شياطينهم) اصحابهم المماثلين للشيطان فى التمرد والعناد المظهرين لكفرهم واضافتهم اليه للمشاركة فى الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وكل عات متمرد فهو شيطان وقال الضحاك المراد بشياطينهم كهنتهم وهم فى بنى قريظة كعب بن الاشرف وفى بنى اسلم ابو بردة وفى جهينة عبد الدار وفى بنى اسد عوف بن عامر وفى الشام عبد الله بن سوداء وكانت العرب تعتقد فيهم انهم مطلعون على الغيب ويعرفون الاسرار ويداوون المرضى وليس من كاهن الا وعند العرب ان معه شيطانا يلقى اليه كهانته وسموا شياطين لبعدهم عن الحق فان الشطون هو البعد كذا فى التيسير (قالوا انا معكم) انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم واعتقادكم لا نفارقكم فى حال من الاحوال وكانه قيل لهم عند قوله انا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين فى الاتيان بكلمة الشهادة وتشهدون مشاهدهم وتدخلون مساجدهم وتحجون وتغزون معهم فقالوا (انما نحن) اى فى اظهار الايمان عند المؤمنين (مستهزؤن) بهم من غير ان يخطر ببالنا الايمان حقيقة فنريهم انا نوافقهم على دينهم ظاهرا وباطنا وانما نكون معهم ظاهرا لنشاركهم فى غنائمهم وننكح بناتهم ونطلع على اسرارهم ونحفظ اموالنا واولادنا ونساءنا من ايديهم والاستهزاء التجهيل والسخرية والاستخفاف والمعنى انا نجهل محمدا واصحابه ونسخر بهم باظهارنا الاسلام فرد الله عليهم بقوله (الله يستهزئ بهم) اى يجازيهم على استهزائهم او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكونون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ بهم اما فى الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة على التمادى فى الطغيان واما فى الآخرة فما يروى انه يفتح لهم باب الى الجنة وهم فى جهنم فيسرعون نحوه فاذا وصلوا اليه سد عليهم الباب وردوا الى جهنم والمؤمنون على الارائك فى الجنة ينظرون اليهم فيضحكون منهم كما ضحكوا من المؤمنين فى الدنيا فذلك بمقابلة هذا ويفعل بهم ذلك مرة بعد مرة (ويمدهم) اى يزيدهم ويقويهم من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه لا من المد فى العمر فانه يعدى باللام كاملى لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم (فى طغيانهم) متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد فى كل امر والمراد افراطهم فى العتو وغلوهم فى الكفر وفى اضافته اليهم ايذان باختصاصه بهم وتأييد لما اشير اليه من ترتب المد على سوء اختيارهم (يعمهون) اى يترددون فى الضلالة متحيرين عقوبة لهم فى الدنيا لاستهزائهم حال من الضمير المنصوب او المجرور لكون المضاف مصدرا فهو مرفوع حكما والعمه فى البصيرة كالعمى فى البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدرى اين يتوجه وفى الآيتين اشارات الاولى فى قوله تعالى انا معكم وهى ان من رام ان يجمع بين طريق الارادة وما عليه اهل العادة لا يلتئم له ذلك والضدان لا يجتمعان ومن كان له من كل ناحية خليط ومن كل زاوية من قلبه ربيط كان نهبا للطوارق ومنقسما بين العلائق فهذا حال المنافق يتذبذب بين ذلك وذلك يعنى ان المنافقين لما ارادوا ان يجمعوا بين غيرة الكفار وصحبة المسلمين وان يجمعوا بين مفاسد الكفر ومصالح الايمان وكان الجمع بين الضدين غير جائز فبقوا بين الباب والدار كقوله تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وكذلك حال المتمنين الذين يدعون الارادة ولا يخرجون عن العادة ويريدون الجمع بين مقاصد الدارين يتمنون اعلى مراتب الدين ويرتعون فى اسفل مراتع الدنيا فلا يلتئم لهم ذلك قال عليه السلام ليس الدين بالتمنى وقال بعثت لرفع العادات ودفع الشهوات وقال الدنيا والآخرة ضرتان فمن يدع الجمع بينهما فهو ممكور ومغرور فمن رام مع متابعة الهوى البلوغ الى الدرجات العلى فهو كالمستهزئ بطريق هذا الفريق فكم فى هذا البحر من امثاله غريق فالله تعالى يمهلهم فى طغيان النفس بالحرص على الدنيا حتى يتجاوزون فى طلبها حد الاحتياج اليها ويفتح ابواب المقاصد الدنيوية عليهم ليستغنوا بها وبقدر الاستغناء يزيد طغيانهم كما قال الله تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فكان جزاء سيئة تلونهم فى الطلب الاستهزاء وجزاء سيئة الاستهزاء الخذلان والامهال الى ان طغوا وجزاء سيئة الطغيان العمه فيترددون فى الضلال متحيرين لا سبيل لهم الى

استقرا فاستقر العقل فى الدماغ والعلم فى القلب والحياء فى العين (قال المولى جلال الدين قدس سره * جمله
حيوانرا بى انسان بكش * جمله انسانرا بكش ازبهر هش * هش چه باشد عقل كل هوشمند *
هوش جزئى هش بود اما نژند * لطف او عاقل كند مر نيل را * قهر اوابله كند قابيل را * فليسارع
العاقل الى تحصيل العلم والمعرفة حتى يصل الى توحيد الفعل والصفة قال الامام القشيرى رحمه الله للعقل نجوم
وهى للشيطان رجوم وللعلوم اقمار وهى للقلوب انوار واستبصار وللمعارف شموس ولها على اسرار العارفين
طلوع والعلم اللدنى هو الذى ينفتح فى بيت القلب من غير سبب مألوف من الخارج وللقلب بابان الى الخارج
يأخذ العلم من الحواس وباب الى الداخل يأخذ العلم بالالهام فمثل القلب كمثل الحوض الذى يجرى فيه انهار
خمسة فلا يخلو ماؤه عن كدرة مادام يحصل ماؤه من الانهار الخمسة بخلاف ما اذا خرج ماؤه من قعره حيث
يكون ماؤه اصفى واجلى فكذا القلب اذا حصل له العلم من طريق الحواس الخمس الظاهرة لا يخلو عن كدرة
وشك وشبهة بخلاف ما اذا ظهر من صميم القلب بطريق الفيض فانه اصفى واولى وقال الشيخ زين الدين الحافى
رحمه الله والعجب ممن دخل فى هذه الطريقة واراد ان يصل الى الحقيقة وقد حصل من الاصطلاحات ما يستخرج
بها المعانى من كتاب الله واحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم ثم لا يشتغل بذكر الله ومراقبته والاعراض
عما سواه لتنصب الى قلبه العلوم اللدنية التى لو عاش الف سنة فى تدريس الاصطلاحات وتصنيفها لا يشم منها
رايحة ولا يشاهد من آثارها وانوارها لمعة فالعلم بلا عمل عقيم والعمل بلا علم سقيم والعمل بالعلم صراط مستقيم
(قال فى المثنوى) آنكه بى همت چه با همت شده * وآنكه با همت چه با نعمت شده * وفى التأويلات
النجمية واذا قيل لهم اى لاهل الغفلة والنسيان آمنوا كما آمن الناس اى بعض الناسين منكم الذين تفكروا
فى آلاء الله تعالى وتدبروا آياته بعد نسيان عهد ألست بربكم ومعاهدة الله تعالى على التوحيد والعبودية
فتذكروا تلك العهود والمواثيق فامنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به قالوا اى اهل الشقاوة منهم انؤمن
كما آمن السفهاء فكذلك احوال اصحاب الغفلات مدعى الاسلام اذا دعوا من الايمان التقليدى الذى وجدوه
بالميراث الى الايمان الحقيقى المكتسب بصدق الطلب وترك محبة الدنيا واتباع الهوى والرجوع الى الخلق
والتمادى فى الباطل ينسبون ارباب القلوب واصحاب الكرامات العالية الى السفه والجنون وينظرون اليهم
بنظر العجز والذلة والقلة والمسكنة ويقولون انترك الدنيا كما ترك هؤلاء السفهاء من الفقراء لنكون محتاجين الى
الخلق كما هم محتاجون ولا يعلمون انهم هم السفهاء لقوله تعالى ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون فهم السفهاء
بمعنيين احدهما لانهم يبيعون الدين بالدنيا والباقى بالفانى لسفاهتهم وعدم رشدهم والثانى لانهم سفهوا
انفسهم ولم يعرفوا حسن استعدادهم لادرجات العلى والقربة والزلفى فرضوا بالحياة الدنيا ورغبوا عن مراتب
اهل التقى ومشارب اهل النهى كما قال الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه فانه من عرف
نفسه فقد عرف ربه ومن عرف ربه ترك غيره وعرف اهل الله وخاصته فلا يرغب عنهم ولا ينسبهم الى السفه
وينظر اليهم بالعزة فان الفقراء الكبراء هم الملوك تحت الاطمار ووجوههم المصفرة عند الله كالشموس والاقمار
ولكن تحت قباب العزة مستورون وعن نظر الاغيار محجوبون (قال فى المثنوى) مهر پاكان درميان
جان نشان * دل مده الا بمهر دلخوشان * كر تو سنك صخره ومرمر شوى * چون بصاحب
دل رسى جوهر شوى * انهم تحت قبابى آمنون * جز كه يزدانشان نداند آزمون *
(واذا لقوا الذين آمنوا) بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فساقه لبيان مذهبهم وتمهيد
نفاقهم فليس بتكرير اى هؤلاء المنافقون اذا عاينوا وصادفوا واستقبلوا الذين آمنوا بالحق وهم المهاجرون
والانصار (قالوا) كذبا (آمنا) كايمانكم وتصديقكم روى ان عبد الله بن ابى المنافق واصحابه خرجوا ذات يوم
فاستقبلهم نفر من الصحابة رضى الله عنهم فقال ابن ابى انظروا كيف ارد هذه السفهاء عنكم فلما دنوا منهم اخذ
بيد ابى بكر رضى الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال مرحبا بسيد بنى
عدى الفاروق القوى فى دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد على رضى الله عنه
فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه وسيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له

سوف ترى اذا انجلى الغبار
أفرس تحتك ام حمار

على رضى الله عنه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خلق الله فقال له مهلا يا ابا الحسن انى تقول هذا
والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن ابى لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فاذا
رأيتموهم فافعلوا ما فعلت فاثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم واخبروه بذلك فنزلت الآية (واذا خلوا) اى مضوا واجتمعوا على الخلوة والى بمعنى مع او انفردوا
والى بمعنى الباء او مع تقول خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه (الى شياطينهم) اصحابهم المماثلين للشيطان
فى التمرد والعناد المظهرين لكفرهم واضافتهم اليه للمشاركة فى الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وكل
عات متمرد فهو شيطان وقال الضحاك المراد بشياطينهم كهنتهم وهم فى بنى قريظة كعب بن الاشرف وفى بنى اسلم
ابو بردة وفى جهينة عبد الدار وفى بنى اسد عوف بن عامر وفى الشام عبد الله بن سوداء وكانت العرب تعتقد فيهم
انهم مطلعون على الغيب ويعرفون الاسرار ويداوون المرضى وليس من كاهن الا وعند العرب ان معه شيطانا
يلقى اليه كهانته وسموا شياطين لبعدهم عن الحق فان الشطون هو البعد كذا فى التيسير (قالوا انا معكم)
انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم واعتقادكم لا نفارقكم فى حال من الاحوال وكانه قيل لهم عند قوله
انا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين فى الاتيان بكلمة الشهادة وتشهدون مشاهدهم وتدخلون مساجدهم
وتحجون وتغزون معهم فقالوا (انما نحن) اى فى اظهار الايمان عند المؤمنين (مستهزؤن) بهم من غير ان
يخطر ببالنا الايمان حقيقة فنريهم انا نوافقهم على دينهم ظاهرا وباطنا وانما نكون معهم ظاهرا لنشاركهم
فى غنائمهم وننكح بناتهم ونطلع على اسرارهم ونحفظ اموالنا واولادنا ونساءنا من ايديهم والاستهزاء التجهيل
والسخرية والاستخفاف والمعنى انا نجهل محمدا واصحابه ونسخر بهم باظهارنا الاسلام فرد الله عليهم بقوله
(الله يستهزئ بهم) اى يجازيهم على استهزائهم او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكونون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم
الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ بهم اما فى الدنيا فباجراء
احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة على التمادى فى الطغيان واما فى الآخرة فما يروى
انه يفتح لهم باب الى الجنة وهم فى جهنم فيسرعون نحوه فاذا وصلوا اليه سد عليهم الباب وردوا الى جهنم
والمؤمنون على الارائك فى الجنة ينظرون اليهم فيضحكون منهم كما ضحكوا من المؤمنين فى الدنيا فذلك بمقابلة
هذا ويفعل بهم ذلك مرة بعد مرة (ويمدهم) اى يزيدهم ويقويهم من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه لا من المد
فى العمر فانه يعدى باللام كاملى لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم (فى طغيانهم) متعلق بيمدهم والطغيان
مجاوزة الحد فى كل امر والمراد افراطهم فى العتو وغلوهم فى الكفر وفى اضافته اليهم ايذان باختصاصه بهم
وتأييد لما اشير اليه من ترتب المد على سوء اختيارهم (يعمهون) اى يترددون فى الضلالة متحيرين عقوبة لهم
فى الدنيا لاستهزائهم حال من الضمير المنصوب او المجرور لكون المضاف مصدرا فهو مرفوع حكما والعمه فى
البصيرة كالعمى فى البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدرى اين يتوجه وفى الآيتين اشارات الاولى فى قوله تعالى
انا معكم وهى ان من رام ان يجمع بين طريق الارادة وما عليه اهل العادة لا يلتئم له ذلك والضدان لا يجتمعان
ومن كان له من كل ناحية خليط ومن كل زاوية من قلبه ربيط كان نهبا للطوارق ومنقسما بين العلائق فهذا حال
المنافق يذبذب بين ذلك وذلك يعنى ان المنافقين لما ارادوا ان يجمعوا بين غيرة الكفار وصحبة المسلمين وان يجمعوا
بين مفاسد الكفر ومصالح الايمان وكان الجمع بين الضدين غير جائز فبقوا بين الباب والدار كقوله تعالى مذبذبين
بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وكذلك حال المتمنين الذين يدعون الارادة ولا يخرجون عن العادة ويريدون
الجمع بين مقاصد الدارين يتمنون اعلى مراتب الدين ويرتعون فى اسفل مراتع الدنيا فلا يلتئم لهم ذلك قال عليه
السلام ليس الدين بالتمنى وقال بعثت لرفع العادات ودفع الشهوات وقال الدنيا والآخرة ضرتان فمن يدع الجمع
بينهما فهو ممكور ومغرور ومن رام مع متابعة الهوى البلوغ الى الدرجات العلى فهو كالمستهزئ بطريق هذا الفريق
فكم فى هذا البحر من امثاله غريق فالله تعالى يمهلهم فى طغيان النفس بالحرص على الدنيا حتى يتجاوزون فى
طلبها حد الاحتياج اليها ويفتح ابواب المقاصد الدنيوية عليهم ليستغنوا بها وبقدر الاستغناء يزيد طغيانهم كما قال
الله تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فكان جزاء سيئة تلونهم فى الطلب الاستهزاء وجزاء سيئة الاستهزاء
الخذلان والامهال الى ان طغوا وجزاء سيئة الطغيان العمه فيترددون فى الضلال متحيرين لا سبيل لهم الى

الخروج من الباطل والرجوع الى الحق والاشارة الثانية فى قوله تعالى الله يستهزئ بهم وهى ان ذلك يدل على
شرف المؤمنين ومنزلتهم عند الله حيث ان الله هو الذى يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين
ان يعارضوهم باستهزاء مثله فناب الله عنهم واستهزأ بهم الاستهزاء الابلغ الذى ليس استهزاؤهم عنده من باب
الاستهزاء حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل والهوان ما لا يوصف به ودلت الاية على قبح
الاستهزاء بالناس وقد قال لا يسخر قوم من قوم وقال فى قصة موسى عليه السلام قالوا أتتخذنا هزوا قال اعوذ
بالله ان اكون من الجاهلين فاخبر انه فعل الجاهلين واذا كان الاستهزاء بالناس قبيحا فما جزاء الاستهزاء بالله
وهو فيما قال النبى صلى الله عليه وسلم المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بربه والاشارة الثالثة
فى قوله تعالى ويمدهم فى طغيانهم يعمهون وهى ان العبد ينبغى له ان لا يغتر بطول العمر وامتداده ولا بكثرة
امواله واولاده والله تعالى يقول فى اعدآئه فى حق المعمر ويمدهم وفى حق المال والبنين يحسبون انما نمدهم به
من مال وبنين وكان طول العمر لهم خذلانا وكثرة الاموال والاولاد لهم حرمانا ولهم فى مقابلة هذا المدد
قال الله تعالى ونمد لهم من العذاب مدا وقد جعل الله لعدوه فى الدنيا مالا ممدودا ولوليه فى الآخرة ظلا ممدودا
وقال الله جل جلاله لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ان من نعمتى على امتك انى قصرت اعمارهم كيلا تكثر
ذنوبهم واقللت اموالهم كيلا يشتد فى القيامة حسابهم واخرت زمانهم كيلا يطول فى القبور حبسهم
وروى ان الله تعالى قال لحبيبه ليلة المعراج يا احمد لا تتزين بلين اللباس وطيب الطعام ولين الوطاء فان النفس
مأوى كل شر وهى رفيق سوء كلما تجرها الى طاعة تجرك الى المعصية وتخالفك فى الطاعة وتطيع لك فى المعصية
وتطغى اذا شبعت وتتكبر اذا استغنت وتنسى اذا ذكرت وتغفل اذا امنت وهى قرينة للشيطان كذا
فى مشكاة الانوار (اولئك) المنافقون المتصفون بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عمن عداهم
اكمل تمييز بحيث صاروا كأنهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم
فى الشر وسوء الحال ومحله الرفع على الابتدآء وخبره قوله (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اصل الاشترآء بذل
الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان ثم استعير للاعراض عما فى يده محصلا به غيره ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة
عن الشئ طمعا فى غيره وهو ههنا عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية واشتروا الضلالة وهى الكفر والعدول
عن الحق والصواب بالهدى وهو الايمان والسلوك فى الطريق المستقيم والاستقامة عليه مستعار لاخذها
بدلا منه اخذا منطويا بالرغبة فيها والاعراض عنه اى اختاروها عليه واستبدلوها به واخذوها مكانه وجعل
الهدى كأنه فى ايديهم لتمكنهم منه وهو الاستعداد به فيميلهم الى الضلالة عطلوه وتركوه والباء تصحب المتروك
فى باب المعاوضة وهذا دليل على ان الحكم يثبت بالتعاطى من غير تكلم بالايجاب والقبول فان هؤلاء سموا
مشترين بترك الهدى واخذ الضلال من غير التكلم بهذه المبادلة كما فى التيسير (فما ربحت تجارتهم) ترشيح للمجاز
اى ما ربحوا فيها فان الربح مسند الى ارباب التجارة فى الحقيقة فاسناده الى التجارة نفسها على الاتساع لتلبسها
بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران ودخلت الفاء لتضمن الكلام معنى الشرط
تقديره واذا اشتروا فما ربحوا كما فى الكواشى والتجارة صناعة التجار وهو التصدى بالبيع والشرآء لتحصيل
الربح وهو الفضل على رأس المال (وما كانوا مهتدين) اى الى طريق التجارة فان المقصد منها سلامة رأس
المال مع حصول الربح ولئن فات الربح فى صفقة فربما يتدارك فى صفقة اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف الكل
بالمرة فليس من باب التجارة قطعا وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل
الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به الى
درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين من الربح فاقدين الاصل نائين عن طريق التجارة بالف منزل واعلم
ان المهتدى هو الذى ترك الدنيا والعادة ثم اشتغل بوظائف الطاعة والعبادة لا من اتبع كل ما يهواه وخلط هواه
بهداه (حكى) انه كان للشيخ الاستاذ ابى على الدقاق رضى الله عنه مريد تاجر متمول فمرض يوما فعاده الشيخ
وسأل منه سبب علته فقال التاجر قمت هذه الليلة لمصلحة التهجد فلما اردت الوضوء بدا لى من ظهرى حرارة فاشتد
امرى حتى صرت محموما فقال الشيخ لا تفعل فعلا فضوليا ولا ينفعك التهجد ما دمت لم تجرد دنياك وتخرج محبتها
من قلبك فالاولى لك اولا هو ذاك ثم الاشتغال بوظائف النوافل فمن كان به اذى من رأسه من صداع لا يسكن

المه بالطلاء على الرجل ومن تنجست يده لا يجد الطهارة بغسل ذيله وكمه قال بعض المشايخ من علامة اتباع
الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بحقوق الواجبات وهذا غالب الخلق الا من عصمه الله
ترى الواحد منهم يقوم بالاوراد الكثيرة والنوافل العديدة الثقيلة ولا يقوم بفرض واحد على وجهه فعلى
العاقل تحصيل رأس المال ثم تحصيل الربح المترتب عليه وذلك بالاختيار لا بالاضطرار وقد اوجب الله على
العباد وجود طاعته لما علم من قلة نهوضهم الى معاملته اذ ليس لهم ما يردهم اليه بلا علة وهذا حال اكثر الخلق
بخلاف اهل المروءة والصفاء (قال فى المثنوى) اختيار آمد عبادت را نمك * ورنه ميكردد بناخواه
اين فلك * كردش اورانه اجر ونه عقاب * كه اختيار آمد هنر وقت حساب * انتيا كرها مهار عاقلان *
انتيا طوعا بهار عاشقان * اين محب دايه ليك از بهر شير * وان دكر دل داده بهر آن ستير * فاوجب
الله عليك وجود طاعته وما اوجب عليك بالحقيقة الا دخول جنته اذ الامر آيل اليها والاسباب عدمية فان
تعللت النفس عن التشمير بما هى عليه من الاستغراق فى كل دنى وحقير فاعلم ان من استغرب ان ينقذه الله
من شهوته التى اعتقلته عن الخيرات وان يخرجه من وجود غفلته التى شملته فى جميع الحالات فقد استعجز قدرة
الالهية وقد قال الله تعالى وكان الله على كل شئ مقتدرا فابان سبحانه ان قدرته شاملة صالحة لكل شئ وهذا
من الاشياء وان اردت الاستعانة على تقوية رجائك فى ذلك فانظر لحال من كان مثلك ثم انقذه الله وخصه
بعنايته كابراهيم بن ادهم وفضيل بن عياض وابن المبارك وذى النون المصرى ومالك بن دينار وغيرهم
من مجرمى البداية كذا فى شرح الحكم العطائية (قال الحافظ) عاشق كه شد كه يار بحالش نظر نكرد *
اى خواجه درد نيست وكرنه طبيب هست * قال القاشانى فى تأويل الاية الهدى النور الثانى فى قوله
تعالى نور على نور وهو النور الفطرى الازلى المراد من قول المحققين هو الاستعداد من فيضه الاقدس والضلالة
ظلمة النشأة الحاجبة له بسلوك طريق المطالب الطبيعية الفاسدة والمقاصد الهيولانية الفاسقة بهوى النفس
وتتبع خطوات الشيطان والربح هو النور الاول المقدس الكمالى المكتسب بالتوجه الى الحق والاتصال
بعالم القدس والانقطاع والتبتل الى الله من الغير والتبرى بحوله وقوته من كل حول وقوة حتى يخلص روح
المشاهدة من اعباء المكابدة بطلوع الوجه الباقى واحراق سبحاته كل ما فى بقعة الامكان من الرسم الفانى
وخسرانهم باضاعة الامرين هو الحجاب الكلى عن الحق بالرين كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وفى التأويلات النجمية الاشارة فى الاية ان من نتيجة طغيانهم
وعمههم ان رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها واشربوا فى قلوبهم الضلالة وتمكنت فكانت هذه الحال من نتيجة
معاملتهم فلهذا اضاف الفعل اليهم وقال اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وانما قال بلفظ الاشترآء
لانهم اخرجوا استعداد قبول الهداية عن قدرتهم وتصرفهم فلا يملكون الرجوع اليه فما ربحت تجارتهم
لان خسران من رضى بالدنيا عن العقبى ظاهر ومن آثر الدنيا والعقبى على المولى فهو اشد خسرانا واعظم حرمانا
فاذا كان المصاب بفوات النعيم ممتحنا بنار الجحيم فما ظنك بالمصاب بفقد المطلوب وبعد المحبوب ضاعت عنه
الاوقات وبقى فى اسر الشهوات لا الى قلبه رسول ولا لروحه وصول لا من الحبيب اليه وفود ولا لسره معه شهود
فهذا هو المصاب الحقيقى وما كانوا مهتدين لابطالهم حسن استعداد قبول الهداية (مثلهم) المثل فى الاصل
بمعنى النظير ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده اى المضروب كما ورد من غير تغيير ولا يضرب الا بما فيه
غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شأن عجيب وفيها غرابة كقوله
تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الاعلى اى الوصف الذى له شأن من العظمة والجلالة
ولما جاء الله بحقيقة حال المنافقين عقبها بضرب المثل زيادة فى التوضيح والتقرير فان التمثيل الطف ذريعة
الى تسخير الوهم للعقل واقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل الغبى وقمع سورة الجامح الابى كيف لا يلطف وهو ابدآء
للمنكر فى صورة المعروف واظهار للوحشى فى هيئة المألوف وارآءة للمتخيل محققا والمعقول محسوسا وتصوير
للمعانى بصورة الاشخاص ومن ثمة كان الغرض من المثل تشبيه الخفى بالجلى والغائب بالشاهد ولامر ما
اكثر الله فى كتبه الامثال وفى الانجيل سورة تسمى سورة الامثال وفى القرآن الف آية من الامثال والعبر
وهى فى كلام الانبياء عليهم السلام والعلماء والحكماء كثيرة لا تحصى ذكر السيوطى فى الاتقان من اعظم علم

القرءآن امثاله والناس فى غفلة عنه والمعنى حالهم العجيبة الشان (كمثل الذى) اى كحال الذين من باب وضع
واحد الموصول موضع الجمع منه تخفيفا لكونه مستطالا بصلته كقوله وخضتم كالذى خاضوا والقرينة ما قبله
وما بعده خلا انه وحد الضمير فى قوله تعالى (استوقد نارا) نظرا الى الصورة وجمع فى الافعال الآتية نظرا
الى المعنى والاستيقاد طلب الوقود والسعى فى تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها والنار جوهر لطيف مضئ
محرق حار والنور ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة اى اوقد فى مفازة فى ليلة مظلمة نارا عظيمة خوفا
من السباع وغيرها (فلما اضاءت) الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء
والقمر نورا اى انارت النار (ما حوله) اى ما حول المستوقد من الاماكن والاشياء على ان ما مفعول اضاءت
ان جعلته متعديا وحول نصب على الظرفية وان جعلته لازما فهو مسند الى ما والتأنيث لان ما حوله اشياء
واماكن واصل الحول الدوران ومنه الحول للعام لانه يدور وجواب لما قوله تعالى (ذهب الله بنورهم) اى
اذهبه بالكلية واطفأ نارهم التى هى مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون نفس النار لانه المقصود
بالاستيقاد واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بخلقه تعالى واما لان الانطفاء حصل بسبب خفى اوامر
سماوى كريح او مطر واما للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب
والامساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله تعالى فامسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك
عدل عن الضوء الذى هو مقتضى الظاهر الى النور لان ذهاب الضوء قد يجامع مع بقاء النور فى الجملة لعدم
استلزام عدم القوى لعدم الضعيف والمراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى (وتركهم فى ظلمات
لا يبصرون) فان الظلمة هى عدم النور وانطماسه بالمرة لا سيما اذا كانت متضاعفة متراكمة مترا كبا بعضها على
بعض كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمى وما بعده من قوله لا يبصرون لا يتحقق الا بعد ان لا يبقى من النور عين
ولا اثر وترك فى الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى مجرى افعال القلوب اى
صيرهم فى ظلمات لا يبصرون ما حولهم فعلى هذا يكون قوله فى ظلمات وقوله لا يبصرون مفعولين لصير بعد
المفعول الاول على سنن الاخبار المتتابعة للمخبر عنه الواحد وان حمل معناه على الاصل يكونان حالين
من المفعول مترادفين او متداخلين والمعنى ان حالهم العجيبة التى هى اشتراؤهم الضلالة التى هى عبارة عن ظلمتى
الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين
ايديهم وبايمانهم وظلمة العقاب السرمدى بالهدى الذى هو الفطرى النورى المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق
كحال من استوقد نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فاطفأها الله تعالى وتركه فى ظلمات هائلة لا يتسنى فيها الابصار
وفى التيسير والعيون ان المنافقين اظهروا كلمة الايمان فاستناروا بنورها واستعزوا بعزها وامنوا بسببها فناكحوا
المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم وامنوا على اموالهم واولادهم فاذا بلغوا الى آخر العمر كل لسانهم عنها
وبقوا فى ظلمة كفرهم ابد الابد وعادوا الى الخوف والظلمة (صم) اى هم صم عن الحق لا يقبلونه واذا لم يقبلوا
فكأنهم لم يسمعوا والصمم انسداد خروق المسامع بحيث لا يكاد هواء يحصل الصوت بتموجه (بكم) خرس
عن الحق لا يقولونه لما ابطنوا خلاف ما اظهروا فكأنهم لم ينطقوا وهو آفة فى اللسان لا تمكن فيها ان يعتمد
مواضع الحروف (عمى) اى فاقدوا الابصار عن النظر الموصل الى العبرة التى تؤديهم الى الهدى وفاقدوا البصيرة
ايضا لان من لا بصيرة له كمن لا بصر له فالعمى مستعمل ههنا فى عدم البصر والبصيرة جميعا وهذه صفاتهم
فى الدنيا ولذلك عوقبوا فى الاخرة بجنسها قال تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما
فلا يسمعون سلام الله ولا يخاطبون الله ولا يرونه والمسلمون كانوا سامعين للحق قائلين بالحق ناظرين الى الحق
فيكرمون يوم القيمة بخطابه ولقائه وسلامه (فهم لا يرجعون) اى هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة
لا يعودون عن الضلالة الى الهدى الذى تركوه والاية فذلكة التمثيل ونتيجته وافادت انهم كانوا يستطيعون
الرجوع باستطاعة سلامة الآلات حيث استحقوا الذم بتركه وان قوله تعالى صم بكم عمى ليس بنفى الآلات
بل هو نفى تركهم استعمالها (قال السعدى) زبان آمداز بهر شكر وسپاس * بغيبت نكرداندش حق
شناس * كذركاه قرءان وپندست كوش * به بهتان باطل شنيدن مكوش * دو چشم از پى صنع
بارى نكوست * زعيب برادر فروكير ودوست * ثم ان الله تعالى ندب الخلق الى الرجوع بالائتمار

بامره والانتهاء بنهيه بقوله تعالى وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون فمن لم يرجع اليه اختيارا رجعوا
اليه بالموت والبعث كما قال تعالى كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون ومن رجع اليه فى الدنيا بفعله وحقق
ذلك بقوله انا لله وانا اليه راجعون كان رجوعه اليه بالكرامة ويخاطب بقوله يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى
الى ربك راضية مرضية (حكى) ان جبارا عاتيا فى الزمن الاول بنى قصرا وشيده وزخرفه ثم آلى بيمينه
ان لا يدنو من قصره هذا احد فمن وقع بصره عليه قتله فكان يفعل ذلك ويقتل حتى جاءه رجل من اهل قريته
فوعظه فى ذلك فلم يلتفت الى تحذيره ولم يعبأ بقوله فخرج ذلك الرجل الصالح من قريته وبنى كوخا وهو بيت
من قصب بلا كوة وجعل يعبد الله فيه فبينما هذا الجبار فى قصره واصحابه قيام بين يديه اذ تمثل له ملك الموت
على صورة رجل شاب حسن الهيئة فجعل يطوف حول هذا القصر ورفع رأسه اليه فقال بعض ندمائه ايها
الملك انانرى رجلا يطوف حول القصر وينظر اليه فتعالى الملك على منظرله فابصره فقال هذا مجنون او غريب
عابر سبيل ولكن انزل اليه فارحه من نفسه فنزل اليه الرجل فلما اراد ان يرفع اليه السيف قبض روحه فخر ميتا
فقيل للملك ان هذا قد قتل صاحبك فقال للآخر انزل اليه فاقتله فلما نزل واراد ان يقتله قبض روحه فخر ميتا
فرفع ذلك الى الملك فامتلأ غضبا واخذ السيف ونزل اليه بنفسه فقال له من انت اما رضيت ان دنوت من
قصرى حتى قتلت رجلين من اصحابى فقال او ما تعرفنى انا ملك الموت فارتعد الملك من هيبته حتى سقط السيف
من يده قال فعرفتك الآن واراد ان ينصرف فقال له ملك الموت الى اين انى امرت بقبض روحك فقال حتى
اوصى اهلى واودعهم فقال لم لم تفعل فى طول عمرك قبل هذا فقبض روحه فخر الملك ميتا ثم جاء ملك الموت الى
ذلك الرجل الصالح فى كوخه فقال له ايها الرجل الصالح ابشر فانى ملك الموت وقد قبضت روح الملك الجبار فاعلم
ذلك واراد ان يرجع فاوحى الله تعالى الى ملك الموت ان اقبض روح الرجل الصالح فقال له ملك الموت انى امرت
بقبض روحك قال فهل لك يا ملك الموت ان ادخل القرية فاحدث باهلى عهدا واودعهم فاوحى الله تعالى اليه
ان امهله يا ملك الموت فقال ان شئت فرفع الرجل الصالح قدميه ليدخل القرية فتفكر ثم ندم فقال يا ملك الموت
انى اخاف ان رأيت اهلى ان يتغير قلبى فاقبض روحى فالله تعالى خير لهم منى فقبض روحه على المكان قال
بعض العارفين والعجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له منه وهو مولاه الذى من عليه بكل خير واولاه
ويطلب ما لا بقاء له معه وهو ما يوافق النفس من شهوته وهواه وآخرته ودنياه فانها لا تعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التى فى الصدور واسباب عمى البصيرة ثلاثة ارسال الجوارح فى معاصى الله والتصنع بطاعة الله
والطمع فى خلق الله فعند عماها يتوجه العبد للخلق ويعرض عن الحق وفى التأويلات النجمية الاشارة
فى تحقيق الايتين ان مثل المريد الذى له بداية جميلة يسلك طريق الارادة مدة ويتعنى بمقاساة شدائد الصحبة برهة
حتى تنور بنور الارادة فاستوقد نار الطلب فاضاءت ما حوله فرأى اسباب السعادة والشقاوة فتمسك بحبل
الصحبة فلازم الخدمة والخلوة وعزفت نفسه عن الدنيا واقبل على قمع الهوى فشرقت له من صفاء القلب
شوارق الشوق وبرقت له من انوار الروح بوارق الذوق فامن مكر الله وانخدع بخداع النفس فطرقته الهواجس
وازعجته الوساوس ثم يرجع قهقرى الى ما كان من حضيض الدنيا فغابت شمسه واظلمت نفسه وانقطع
حبل وصاله قبل وصوله واخرج من جنة نواله بعد دخوله فبقدمى سأمه وملاله عاد الى اسوء حاله كما قال تعالى
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون صم يعنى باذان قلوبهم التى سمعوا بها خطاب الله تعالى يوم الميثاق بكم
بتلك الالسنة التى اجابوا ربهم بقولهم بلى عمى بالابصار التى شاهدوا جمال ربوبيته فعرفوه فهم لا يرجعون الى
منازل حظائر القدس بل الى ما كانوا فيه من رياض الانس وذلك لانهم سدوا روزنة قلوبهم التى كانت مفتوحة
الى عالم الغيب يوم الميثاق بتتبع الشهوات واستيفاء اللذات والخدعة والنفاق فما هبت عليهم من جناب القدس
الرياح وما تنسموا نفحات الارواح فمرضت قلوبهم ثم ارسل اليهم الطبيب الذى انزل الداء فانزل معه الدواء كما قال
تعالى وننزل من القرءآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين الذين يصدقون الاطباء ويقبلون الدواء فلم يصدقوهم
ولم يقبلوا الدواء ظلما على انفسهم فصار الدواء داء والشفاء وباء كما قال تعالى ولا يزيد الظالمين الا خسارا فلما
لم يكونوا اهل الرحمة ادركتهم اللعنة الموجبة للصمم والعمى لقوله تعالى أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى
ابصارهم (او) مثل المنافقين (كصيب) اى كحال اصحاب صيب اى مطر يصوب اى ينزل ويقع من الصوب

وهو النزول اصله صيوب والكاف مرفوع المحل عطف على الكاف فى قوله كمثل الذى وأو للتخيير والتساوى
اى كيفية قصة المنافقين مشبهة بكيفية هاتين القصتين والقصتان سواء فى استقلال كل واحدة منهما بوجه
التمثيل فبأيتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك (من السماء) متعلق بصيب والسماء سقف
الدنيا وتعريفها للايذان بان انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من آفاقها اى كل ما يحيط به كل افق
منها سماء على حدة والمعنى انه صيب عام نازل من غمام مطبق آخذ بآفاق السماء وفيه ان السحاب من السماء
ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم انه يأخذه من البحر قال الامام من الناس من قال المطر انما يحصل
من ارتفاع ابخرة رطبة من الارض الى الهواء فينعقد هناك من شدة برد الهواء ثم ينزل مرة اخرى وابطل
الله ذلك المذهب هنا بان بين ان ذلك الصيب نزل من السماء وعن ابن عباس رضى الله عنه ان تحت العرش بحرا
ينزل منه ارزاق الحيوانات يوحى اليه فيمطر ما شاء من سماء حتى ينتهى الى سماء الدنيا ويوحى الى السحاب ان غربله
فيغربله فليس من قطرة تقطر الا ومعها ملك يضعها موضعها ولا ينزل من السماء قطرة الا بكيل معلوم ووزن
معلوم الا ما كان من يوم الطوفان من ماء فانه نزل بلا كيل ولا وزن كذا فى تفسير التيسير (فيه) اى فى الصيب
(ظلمات) انواع منها وهى ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال ما يلزمه من الغمام المطبق الآخذ
بالآفاق مع ظلمة الليل وليس فى الاية ما يدل على ظلمة الليل لكن يمكن ان يؤخذ ظلمة الليل من سياق الاية حيث
قال تعالى بعد هذه الاية يكاد البرق يخطف ابصارهم وبعده واذا اظلم عليهم قاموا فان خطف البرق البصر
انما يكون غالبا فى ظلمة الليالى وكذا وقوف الماشى عن المشى انما يكون اذا اشتد ظلمة الليل بحيث
يحجب الابصار عن ابصار ما هو امام الماشى من الطريق وغيره وظلمة سحمة السحاب وتكاثفه فى النهار
لا يوجب وقوف الماشى عن المشى كذا فى حواشى ابن التمجيد وجعل المطر محلا للظلمات مع ان بعضها لغيره
كظلمة الغمام والليل لما انهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة فى شدته وتهويلا لامره وايذانا بانه من الشدة
والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام ورفع ظلمات بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف
لان الجملة فى محل الجر صفة لصيب على وجه (ورعد) هو صوت قاصف يسمع من السحاب (وبرق) هو ما يلمع
من السحاب اذا تحاكت اجزاؤه وكونهما فى الصيب مع ان مكانهما السحاب باعتبار كونهما فى اعلاه ومصبه
وملتبسين فى الجملة به ووصول اثرهما اليه فهما فيه والمشهور بين الحكماء ان الرعد يحدث من اصطكاك اجرام
السحاب بعضها ببعض او من اقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح اياها سوقا عنيفا والصحيح
الذى عليه التعويل ما روى عن الترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال اقبلت يهود الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا اخبرنا عن الرعد ما هو قال عليه السلام ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من
نار يسوقها بها حيث شاء الله فقالوا فما هذا الصوت الذى يسمع قال زجره حتى تنتهى حيث امرت فقالوا صدقت
فالمراد بالرعد فى الاية صوت ذلك الملك لا عينه كما فى بعض الروايات من ان الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه
الى حيث يؤمر وانه يحوز الماء فى نقرة ابهامه وانه يسبح الله فاذا سبح الله لا يبقى ملك فى السماء الا رفع صوته
بالتسبيح فعندها ينزل القطر انتهى والمراد بالبرق ضربه السحاب بتلك المخاريق وهى جمع مخراق وهو فى الاصل
ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا اريد انها آلة تزجر بها الملائكة السحاب قال مرجع الطريقة
الجلوتية بالجيم الشيخ الشهير بافتاده افندى البروسوى التوفيق بين قول الحكماء وبين قوله صلى الله عليه وسلم
ان الرعد صوت ملك على شكل النحل هو انه يصيح من خارج هذا العالم ولكن يدخل فيه ويؤثر فى داخله
فنحن نسمع من داخله كان واحدا اذا كلم شيأ نفاخا يحصل فى داخله رياح ذات اصوات فمنشأها من الخارج
وظهورها فى الداخل فكلام النبى صلى الله عليه وسلم ناظر الى مبداها وكلام الحكماء ناظر الى مظهرها
(يجعلون اصابعهم فى آذانهم) الضمائر للمضاف المحذوف لان التقدير او كاصحاب صيب كما سبق ولا محل لقوله
يجعلون لكونه مستأنفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا قال كيف حالهم
مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم فى آذانهم والمراد اناملهم وفيه من المبالغة ما ليس فى ذكر الانامل
كأنهم يدخلون من شدة الحيرة اصابعهم كلها فى آذانهم لا انا ملها فحسب كما هو المعتاد ويجوز ان يكون هذا
ايماء الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الى حيث لا يهتدون الى استعمال الجوارح على النهج المعتاد

وكذا

وكذا الحال فى عدم تعيين الاصبع المعتاد اعنى السبابة وقيل لرعاية الادب لانها فعالة من السب فكان
اجتنابها اولى باداب القرآن الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والمهللة وغيرهما ولم يذكر
من امثال هذه الكنايات لانها الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس فى ذلك العهد (من الصواعق) متعلق
بيجعلون اى من اجل خوف الصواعق المقارنة للرعد وهى جمع صاعقة وهى قصفة رعد هائل تنقض معها
شعلة نار لا تمر بشئ الا اتت عليه لكنها مع حدتها سريعة الخمود للطافتها (حكى) انها سقطت على نخلة فاحرقت
نحو النصف ثم طفئت قالوا بين السماء وبين الكلة الرقيقة التى لا يرى اديم السماء الا من ورائها نار منها يكون
الصواعق يخرج النار فتنفتق الكلة ويكون الصوت منها كما فى روضة العلماء وقيل تنقدح من السحاب
اذا اصطكت اجرامه او جرم ثقيل مذاب مفرغ من الاجزاء اللطيفة الارضية الصاعدة المسماة دخانا والمائية
المسماة بخارا حار حاد فى غاية الحدة والحرارة لا يقع على شئ الا ثقب واحرق ونفذ فى الارض حتى يبلغ الماء فانطفى
ووقف قالوا اذا اشرقت الشمس على ارض يابسة تحللت منها اجزاء نارية يخالطها اجزاء ارضية يسمى المركب
منهما دخانا ويختلط بالبخار ويتصاعدان معا الى الطبقة الباردة فينعقد البخار سحابا وينحبس الدخان فيه
ويطلب الصعود ان بقى على طبيعته والنزول ان ثقل وكيف كان يمزق السحاب تمزيقا عنيفا فيحدث منه الرعد
ثم قد يحدث شدة حركة ومحاكة فيحدث منه البرق ان كان لطيفا والصاعقة ان كان غليظا قال ابن عباس
رضى الله عنه من سمع صوت الرعد فقال سبحان الذى يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شئ
قدير فان اصابته صاعقة فعلى ديته وكان صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمع الرعد وصواعقه اللهم لا تقتلنا
بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك كذا فى تفسير الشيخ وشرح الشرعة (حذر الموت) منصوب
بيجعلون على العلة اى لاجل مخافة الهلاك والموت فساد بنية الحيوان (والله محيط) اصل الاحاطة الاحداق
بالشئ من جميع جهاته وهو مجاز فى حقه تعالى اى محدق بعلمه وقدرته (بالكافرين) اى لا يفوتونه كما لا يفوت
المحاط به المحيط حقيقة فيحشرهم يوم القيامة ويعذبهم والجملة اعتراضية منبهة على ان ما صنعوا من سد الاذان
بالاصابع لا يغنى عنهم شيأ فان القدر لا يدافعه الحذر والحيل لا ترد بأس الله عز وجل وفائدة وضع الكافرين
موضع الضمير الراجع الى اصحاب الصيب الايذان بان ما دهمهم من الامور الهائلة المحكية بسبب كفرهم
(يكاد البرق) اى يقرب استئناف آخر وقع جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل
يكاد ذلك (يخطف ابصارهم) اى يختلسها او يستلبها بسرعة من شدة ضوئه (كلما اضاء لهم) كلما ظرف
والعامل فيه جوابها وهو مشوا واضاء متعد اى انار البرق الطريق فى الليلة المظلمة وهو استئناف ثالث كأنه
قيل كيف يصنعون فى تارتى خفوق البرق وخفيته ايفعلون بابصارهم ما يفعلون باذانهم ام لا فقيل كلما نور البرق
لهم ممشى ومسلكا (مشوا فيه) اى فى ذلك المسلك اى فى مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف ان يخطف
ابصارهم وايثار المشى على ما فوقه من السعى والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم لهما لكمال دهشتهم
(واذا اظلم عليهم) اى خفى البرق واستتر فصار الطريق مظلما (قاموا) اى وقفوا فى اماكنهم على ما كانوا عليه
من الهيئة متحيرين مترصدين لحظة اخرى عسى يتسنى لهم الوصول الى المقصد او الالتجاء الى ملجاء يعصمهم
(ولو شاء الله) مفعوله محذوف اى لو اراد ان يذهب الاسماع التى فى الرأس والابصار التى فى العين كما ذهب
بسمع قلوبهم وابصارها (لذهب بسمعهم وابصارهم) بصوت الرعد ونور البرق عقوبة لهم لانه لا يعجز عن ذلك
(ان الله على كل شئ) اى على كل موجود بالامكان والله تعالى وان كان يطلق عليه الشئ لكنه موجود
بالوجوب دون الامكان فلا يشك العاقل ان المراد من الشئ فى امثال هذا ما سواه تعالى فالله تعالى مستثنى
فى الاية مما يتناوله لفظ الشئ بدلالة العقل فالمعنى على كل شئ سواه قدير كما يقال فلان امين على معنى امين
على من سواه من الناس ولا يدخل فيه نفسه وان كان من جملتهم كما فى حواشى ابن التمجيد (قدير) اى فاعل له
على قدر ما تقتضيه حكمته لا ناقصا ولا زائدا ثم ان هذا التمثيل كشف بعد كشف وايضاح بعد ايضاح ابلغ من
الاول شبه الله حال المنافقين فى حيرتهم وما خبطوا فيه من الضلالة وشدة الامر عليهم وخزيهم وافتضاحهم
بحال من اخذته السماء فى ليلة مظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق والموت هذا اذا كان التمثيل مركبا
وهو الذى يقتضيه جزالة التنزيل فانك تتصور فى المركب الهيئة الحاصلة من تفاوت تلك الصور وكيفياتها

المتضامة فيحصل فى النفس منه مالا يحصل من المفردات كما اذا تصورت من مجموع الآية مكابدة من ادركه
الوبل الهطل مع تكاثف ظلمة الليل وهيئة انتساج السحاب بتتابع القطر وصوت الرعد الهائل والبرق
الخاطف والصاعقة المحرقة وانهم من خوف هذه الشدائد حركات من تحذر الموت حصل لك منه امر عجيب
وخطب هائل بخلاف ما اذا تكلفت لواحد واحد مشبها به يعنى ان حمل التمثيل على التشبيه المفرق فشبه
القرءآن ومافيه من العلوم والمعارف التى هى مدار الحياة الابدية بالصيب الذى هو سبب الحياة الارضية
وما عرض لهم بنزوله من الغموم والاحزان وانكساف البال بالظلمات ومافيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق
وتصامّهم عما يقرع اسماعهم من الوعيد بحال من يهوله الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيسد اذنه ولا خلاص له
منها واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه اورفد يحرزونه بمشيهم فى مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم
فى امرهم حين عن لهم مصيبة بوقوفهم اذا اظلم عليهم فهذه حال المنافقين فصارى عمرهم الحيرة والدهشة فعلى
العاقل ان يتمسك بحبل الشرع القويم والصراط المستقيم كى يتخلص عن الغوائل والقيود ومهالك الوجود
وغاية الامر خفية لايدرى بم يختم قال رجل للحسن البصرى كيف اصبحت قال بخير قال كيف حالك
فتبسم الحسن ثم قال لاتسأل عن حالى ماظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق
كل انسان منهم بخشبة على اى حال هم قال الرجل على حال شديد قال الحسن حالى اشد من حالهم فالموت بحرى
والحياة سفينتى والذنوب خشبتى فكيف يكون حال من وصفه هذا يابنى فلابد من ترك الذنوب والفرار الى علام
الغيوب وفى الحديث من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن هجرته الى دنيا يصيبها
اوامرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه تأمل كيف جزآء كل مؤمل ما امل واعتبر كيف لم يكرر ذكر الدنيا
اشعارا بعدم اعتبارها لخساستها ولان وجودها لعب ولهو فكانه كلا وجود كما قيل * برمردهشيار
دنيا خسست * كه هرمدتى جاى ديكر كسست * وانظر الى قوله عليه السلام فهجرته الى ماهاجر
اليه وماتضمن من ابعاد ماسواه تعالى وتدبر ذكر الدنيا والمرأة مع انهما منها يشعر بان المراد كل شئ فى الدنيا
من شهوة اومال واليه يرجع الاكوان وان المراد بالحديث الخروج عن الدنيا بل وعن كل شئ لله تعالى
(قال الحافظ) غلام همت آنم كه زير چرخ كبود * زهرچه رنك تعلق پذيرد آزادست *
يعنى عن كل شئ يقبل التعلق من المال والمنال والاولاد والعيال فلابد من التعلق بمحبة الملك المتعال
وفى التاويلات النجمية اوكصيب من السماء الاشارة فى تحقيق الايتين ان الله تعالى شبه حال متمنى هذا الحديث
واشتغالهم بالذكر وتتبع القرءآن فى البداية وتجلدهم فى الطلب ومايفتح لهم من الغيب الى ان تظهر النفس
الملالة وتقع فى آفة الفترة والوقفة بحال من يكون فى المفازة سائرا فى ظلمة الليل والمطر وشبه الذكر والقرءآن بالمطر
لانه ينبت الايمان والحكمة فى القلب كما ينبت الماء البقلة فيه ظلمات اى مشكلات ومتشابهات تظهر لسالك
الذكر فى اثناء السلوك ومعان دقيقة لايمكن حلها وفهمها والخروج عن عهدة آفاتها الا لمن كان له عقل منور
بنور الايمان مؤيد بتأييد الرحمن كما قال تعالى الرحمن علم القرءآن فكما ان السير لايمكن فى الظلمات الا بنور السراج
كذلك لايمكن السير فى حقائق القرءآن ودقائقه ولا فى ظلمات البشرية الا بنور هداية الربوبية ولهذا قال تعالى
كلما اضاء لهم مشوا فيه يعنى نور الهداية واذا اظلم عليهم قاموا يعنى ظلمة البشرية ورعد اى خوف وخشية
ورهبة تتطرق الى القلوب من هيبة جلال الذكر والقرءآن كما قال تعالى لو انزلنا هذا القرءآن على جبل لرأيته
خاشعا متصدعا من خشية الله وبرق وهو تلألؤ انوار الذكر والقرءآن يهتدى الى القلوب فتلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله فيظهر فيها حقيقة القرءآن والدين فيعرفها القلوب لقوله تعالى واذا سمعوا ما انزل
الى الرسول الاية ولما لاح لهم انوار السعادة خرجوا من ظلمات الطبيعة وتمسكوا بحبل الارادة لينالوا درجات
الفائزين ولكن يجعلون اصابعهم اى اصابع آمالهم الفاسدة واما نيهم الباطلة فى آذانهم الواعية من الصواعق
ودواعى الحق حذرا من الموت موت النفس لان النفس سمكة حياتها ببحر الدنيا وماء الهوى لواخرجت لماتت
فى الحال وهذا تحقيق قوله عليه السلام موتوا قبل ان تموتوا والله محيط بالكافرين فيه اشارة الى ان الكافر
الذى له حياة طبيعية حيوانية لومات بالارادة من مألوفات الطبيعة لكان احياه الله تعالى بانوار الشريعة
كما قال تعالى اومن كان ميتا فاحييناه فلما لم يمت بالارادة فالله محيط بالكافرين اى مهلكهم ومميتهم فى الدنيا

بموت الصورة وموت القلب وفى الآخرة بموت العذاب فلا يموت فيها ولا يحيى يكاد البرق اى نور الذكر والقرءآن
يخطف ابصارهم اى ابصار نفوسهم الامارة بالسوء كلما اضاء لهم نور الهدى مشوا فيه سلكوا طريق الحق
بقدم الصدق واذا اظلم عليهم ظلمات صفات النفس وغلب عليهم الهوى ومالوا الى الدنيا قاموا اى وقفوا
عن السير وتحيروا وترددوا وتطرقت اليهم الآفات واعترتهم الفترات واستولى عليهم الشيطان وسولت لهم
انفسهم الشهوات حتى وقعوا فى ورطة الهلاك ولو شاء الله اى لو كانت ارادته ان يهديهم لذهب بسمعهم اى
بسمع نفوسهم التى تصغى الى وساوس الشيطان وغروره وابصارهم اى ابصار نفوسهم التى بها تنظر الى زينة الدنيا
وزخارفها كقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ان الله على كل شئ قدير اى قادر على سلب اسماعهم
وابصارهم حتى لايسمعوا الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية ولا يبصروا المزخرفات الدنيوية
والمستلذات الحيوانية لكيلا يغتروا بها ويبيعوا الدين بالدنيا ولكن الله يفعل بحكمته مايشاء ويحكم بعزته
مايريد انتهى (يا ايها الناس) الاية مسوقة لاثبات التوحيد وتحقيق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام الذين هما
اصل الايمان والناس يصلح اسما للمؤمنين والكافرين والمنافقين والندآء تنبيه الغافلين اواحضار الغائبين
وتحريك الساكنين وتعريف الجاهلين وتفريغ المشغولين وتوجيه المعرضين وتهييج المحبين وتشويق المريدين
قال بعض العارفين اقبل عليهم بالخطاب جبرا لما فى العبادة من الكلفة بلذة الخطاب اى يامؤنس لاتنس انسك
بى قبل الولادة اويابن النسيان تنبه ولاتنس حيث كنت نسيا منسيا ولم تك شيأ مذكورا فخلقتك وخمرتك طينا
ثم نطفة ثم دما ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ولحوما وعروقا وجلودا واعصابا ثم جنينا ثم طفلا ثم صبيا ثم شابا ثم كهلا
ثم شيخا وانت فيما بين ذلك تتمرغ فى نعمتى وتسعى فى خدمة غيرى تعبد النفس والهوى وتبيع الدين بالدنيا
لاتنس من خلقك وجعلك من لاشئ شيأ مذكورا كريما مشكورا علمك وقواك واكرمك واعطاك ما اعطاك فهذا
خطاب للنفس والبدن قال فى التيسير واذا كان الانسان من النسيان ففيه عتاب وتلقين اما العتاب فكانه
يقول ايها الناس قابلتم نعمنا بالكفران واوامرنا بالعصيان واما التلقين للعذر فكانه يقول ايها المخالف لنا ناسيا
لا عامدا اوساهيا لا قاصدا اعذرناك لنسيانك وعفونا عنك لاعتنائك (اعبدوا ربكم) يقول للكفار وحدوا ربكم
ويقول للعاصين اطيعوا ربكم ويقول للمنافقين اخلصوا بالتوحيد معرفة ربكم ويقول للمطيعين اثبتوا على
طاعة ربكم واللفظ يحتمل لهذه الوجوه كلها وهو من جوامع الكلم كما فى تفسير ابى الليث والعبادة استفراغ
الطاقة فى استكمال الطاعة واستشعار الخشية فى استبعاد المعصية (الذى خلقكم) صفة جرت عنه للتعظيم
والتعليل معناه اطيعوا ربكم الذى خلقكم لخالقكم ولم تكونوا شيأ والخلق اختراع الشئ على غير مثال سبق
(و) خلق (الذين) كانوا (من قبلكم) اى من زمن قبل زمانكم من الامم فمن ابتدائية متعلقة بمحذوف وفى
الوصف به ايماء الى سبب وجوب عبادته تعالى فان خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم وفيه دلالة
على شمول القدرة وتنبيه عن سنة الغفلة انهم كانوا فمضوا وجاؤا وانقضوا فلا تنسوا مصيركم ولا تستجيزوا تقصيركم
(لعلكم تتقون) حال من ضمير اعبدوا اى راجين ان تدخلوا فى سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح
المستوجبين لجوار الله تعالى ولعل للترجى والاطماع وهى من الله تعالى واجب لان الكريم لايطمع
الافيما يفعل والاولون والآخرون مخاطبون بالامر بالتقوى وخص المخاطبين بالذكر تغليبا لهم على الغائبين
كما فى الكواشى وفيه تنبيه على ان التقوى منتهى درجة السالكين وهو التبرى من كل شئ سوى الله تعالى
وان العابد ينبغى ان لايغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا ويرجون
رحمته (قال السعدى) اكرمردى ازمردئ خود مكوى * نه هرشهسوارى بدر برد كوى * يعنى
ليس كل عابد يخلص ايمانه بسبب عبادته (الذى جعل لكم الارض) صفة ثانية لربكم قال اهل اللغة الارض
بساط العالم وبسيطها من حيث يحيط بها البحر الذى هو البحر المحيط اربعة وعشرون الف فرسخ كل فرسخ
ثلاثة اميال وهو اثنا عشر الف ذراع بالذراع المرسلة وكل ذراع ست وثلاثون اصبعا كل اصبع ست حبات
شعير مصفوفة بطون بعضها الى بعض فللسودان اثنا عشر الف فرسخ وللبيضان ثمانية وللفرس ثلاثة وللعرب
الف كذا فى كتاب الملكوت وسمت وسط الارض المسكونة حضرة الكعبة واما وسط الارض كلها عامرها
وخرابها فهو الموضع الذى يسمى قبة الارض وهو مكان يعتدل فيه الازمان فى الحر والبرد ويستوى الليل

والنهار ابدا لا يزيد احدهما على الآخر كما فى الملكوت وروى عن على كرم الله وجهه انه قال انما سميت الارض
ارضا لانها تأرض ما فى بطنها يعنى تأكل ما فيها او قال بعضهم لانها تأرض بالحوافر والاقدام (فراشا) ومعنى
جعلها فراشا جعل بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة
للقعود عليها والنوم فيها كالبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا وهو الذى له طول
وعرض فان كرية شكلها مع عظم جرمها مصححة لافتراشها (و) جعل (السماء) وهو ما علاك واظلك (بناء)
قبة مضروبة عليكم وكل سماء مطبقة على الاخرى مثل القبة والسماء الدنيا ملتزقة اطرافها على الارض
كما فى تفسير ابى الليث (وانزل من السماء ماء) اى مطرا ينحدر منها على السحاب ومنه على الارض وهو رد لزعم
انه يأخذه من البحر (فاخرج به) اى انبت الله بسبب الماء الذى انزل من السماء (من الثمرات) هى ههنا
المأكولات كلها من الحبوبات والفواكه وغيرها مما يخرج من الارض والشجر كما فى التيسير (رزقا لكم)
وذلك بان اودع فى الماء قوة فاعلية وفى الارض قوة منفعلة فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار فبين المظلة والمقلة
شبه عقد النكاح بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار
رزقا لبنى آدم ومن للبيان ورزقا اى طعاما وعلفا لكم ولدوابكم المعنى ان الله تعالى انعم عليكم بذلك
كله لتعرفوه بالخالقية والرازقية فتوحدوه (فلا تجعلوا لله اندادا) جمع ند وهو المثل اى امثالا تعبدونهم كعبادة
الله يعنى لا تقولوا له شركاء تعبد معه وعن ابن عباس رضى الله عنه لا تقولوا لولا فلان لاصابنى كذا ولولا كلبنا
يصيح على الباب لسرق متاعنا وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم ولو فانه من كلام المنافقين قالوا لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا (قال السعدى) اكر عزو جاهست اكر ذل وقيد * من از حق شناسم نه از عمرو
وزيد (وانتم تعلمون) ان الله هو الذى خلقكم ومن قبلكم وخلق السماء والارض وخلق الارزاق دون
الاصنام فانها لا تضر ولا تنفع والوعظ الكلى انه قال فى الاية جعل لكم وقال رزقا لكم فلو قال لك فى القيامة
فعلت كذا كله لكم فما فعلتم لى فما تقول وعن الشبلى رحمه الله انه وعظ يوما الناس فابكاهم لما ذكر من القيامة
واهوالها فرايهم ابو الحسين النورى قال لا تفزعهم فان حساب يومئذ ليس بهذا الطول انما هو كلمتان
من ترا بودم تو كرا بودى وافادت الاية انه ينبغى الاخلاص فى العبادة بترك ملاحظة الاغيار وبشهود خالق الليل
والنهار (قال السعدى) كرت بيخ اخلاص در بوم نيست * درين در كسى چون تو محروم نيست * وفى توصية
رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ يا معاذ انى محدثك بحديث ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته انقطعت
حجتك عند الله تعالى يا معاذ ان الله تبارك وتعالى خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات والارض فجعل لكل
سماء من السبعة ملكا بوابا فيصعد عليه الحفظة بعمل العبد من حين اصبح الى حين امسى له نور كنور الشمس
حتى اذا طلعت به الملائكة الى السماء الدنيا زكته وكثرته فيقول الملك الموكل للحفظة قفوا واضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرنى ربى ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يتجاوزنى انه كان يغتاب الناس
زبان آمد از بهر شكر وسپاس * بغيبت نكرداندش حق شناس * قال عليه السلام ثم يأتى الحفظة بعمل
صالح من اعمال العبد فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية قفوا
واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الفخر انه اراد بعمله هذا غرض الدنيا امرنى ربى ان لا ادع عمله يتجاوز
الى غيرى انه كان يفتخر على الناس فى مجالسهم * چه زنار مغ در ميانت چه دلق * كه در پوشى از بهر
پندار خلق * قال عليه السلام ويصعد الحفظة بعمل عبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد اعجب
الحفظة فيتجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه
انا ملك الكبر امرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزنى انه كان يتكبر على الناس فى مجالسهم * فروتن بود
هوشمند كزين * نهد شاخ پر ميوه سر بر زمين * قال عليه السلام ويصعد الحفظة بعمل عبد يزهر كما يزهر
الكوكب الدرى من صلاة وتسبيح وحج وعمرة حتى يجاوزون به الى الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا
واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب العجب امرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزنى انه كان اذا عمل عملا
ادخل العجب فيه * چو روبى بخدمت نهد بر زمين * خدا را ثنا كوى خود را مبين * قال عليه السلام
ويصعد الحفظة بعمل عبد حتى يجاوزون به الى السماء الخامسة كانه العروس المزفوفة الى اهلها فيقول

لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الحسد انه كان يحسد من يتعلم العلم ويعمل لله
وكل من يأخذ منه فضلا من العبادة كان يحسدهم ويغتابهم امرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزنى عقبه زين
صعبتر در راه نيست * اى خنك آنكس حسد همراه نيست * قال عليه السلام ويصعد الحفظة بعمل
عبد من صيام وصلاة وزكاة وحج وعمرة فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا
واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا من عباد الله قط واذا اصابهم بلاء وضر كان يشمت فيهم
انا ملك موكل بالرحمة امرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزنى * اكر خواهى رحم كن بر اشك بار * رحم خواهى
بر ضعيفان رحم آر * قال عليه السلام ويصعد الحفظة الى السماء السابعة بعمل عبد من صلاة وصوم
وفقه واجتهاد وورع لها دوى كدوى النحل وضوء كضوء الشمس معها ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون بها الى السماء
السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واقفلوا على قلبه انا احجب عن ربى
كل عمل لم يرد به ربى انه يعمل لغير الله انه اراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا فى المدائن امرنى ربى
ان لا ادع عمله يجاوزنى الى غيرى وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصا فهو رياء * بروى ريا خرقه سهلست دوخت *
كرش با خدا در توانى فروخت * قال عليه السلام ويصعد الحفظة بعمل عبد من زكاة وصوم وصلاة وحج
وعمرة وخلق حسن وذكر الله ويشيعه ملائكة السموات حتى يقطعون الحجب كلها الى الله عز وجل فيقفون
بين يديه ليشهدوا له بالعمل الصالح المخلص لله فيقول الله عز وجل انتم الحفظة على عمل عبدى وانا الرقيب على
قلبه انه لم يردنى بهذا العمل واراد به غيرى فعليه لعنتى فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا فتلعنه
السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله كيف لى بالنجاة والخلوص قال اقتد بى وعليك باليقين
وان كان فى عملك تقصير وحافظ على لسانك من الوقيعة اى الغيبة فى اخوانك من حملة القرآن ولا تزك نفسك
عليهم ولا تدخل عمل الدنيا بعمل الاخرة ولا تمزق الناس فيمزقك كلاب النار يوم القيامة فى النار ولا تراء بعملك
الناس (قال السعدى) اى هنرها نهاده بر كف دست * عيبها بر كرفته زير بغل * تا چه خواهى
خريدن اى مغرور * روز درماندكى بسيم دغل * وعن ابى يزيد البسطامى قدس سره قال كابدت
العبادة اى اتعبت نفسى فيها ثلاثين سنة فرأيت قائلا يقول يا ابا يزيد خزائنه مملوءة بالعبادة ان اردت الوصول
اليه فعليك بالذلة والاحتقار والاخلاص فى العمل (قال ابو يزيد قدس سره) چار چيز آورده ام شاها كه
در كنج تو نيست * نيستى وحاجت وجرم وكناه آورده ام * قاله الطالب منه الهدية حين طلع مبشرات
الحقيقة فلما عرض تلك الهدية قيل ادخل جئت بهدية عظمى وحصل الاستحقاق للدخول وفى التأويلات
النجمية يا ايها الناس الاشارة فى تحقيق الايتين انه تعالى خاطب ناسى عهود يوم الميثاق والاقرار بربوبيته
ومعاهدته ان لا تعبدوا الا اياه فخالفوه ونقضوا عهده وعبدوا الطواغيت من الاصنام والدنيا والنفس والهوى
والشيطان فزل قدمهم عن جادة التوحيد ووقعوا فى ورطة الشرك والهلاك فبعث اليهم الرسول وكتب
اليه الكتاب واخبرهم عن النسيان والشرك ودعاهم الى التوحيد والعبودية وقال اعبدوا ربكم الذى خلقكم
والذين من قبلكم يعنى ذراتكم وذرات من قبلكم يوم الميثاق واخذ مواثيقكم بالربوبية والتوحيد والعبادة
فاوفوا بعهد العبودية بتوحيد اللسان وتجريد القلب وتفريد السر وتزكية النفس بترك المحظورات واقامة
الطاعات المأمورات لعلكم تتقون عن شرك عبادة غير الله فيوفى الله بعهد الربوبية بالنجاة من الدركات
ورفع الدرجات بالجنان والاكرام بالقربات والكرامات فى الاخرة كما اكرمكم فى الدنيا الذى جعل لكم الارض
فراشا والسماء بناء فيه اشارة الى تعريفه بالقدرة الكاملة ومنته على عباده عنده وفضيلتهم على جميع المخلوقات
اما تعريف نفسه بالقدرة الكاملة فقوله تعالى الذى جعل واما منته على عباده فقوله تعالى لكم الارض فراشا
والسماء بناء اى خلق هذه الاشياء لكم خاصة واما فضيلتهم على جميع المخلوقات بان خلق السموات والارض
وما فيهما لاجلهم وسخره لهم لقوله تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه فكان وجود
السموات والارض تبعا لوجودهم وما كان وجودهم تبعا لوجود شئ لا يكون مقصودا الا وجوده ولهذا السر
امر الله تعالى ملائكته بسجود آدم عليه السلام وحرم على آدم واولاده سجود غير الله ليظهر ان الملائكة
وان كانوا قبل وجود آدم افضل الموجود فلما خلق آدم وجعله مسجودا يكون هو افضل المخلوقات واكرمهم

على الله تعالى ومتبوع كل شئ والكل تابع له وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم تحقيقه
ان الماء هو القرءآن وثمراته الهدى والتقى والنور والرحمة والشفاء والبركة واليمن والسعادة والقربة والحق
اليقين والنجاة والرفعة والصلاح والفلاح والحكمة والحلم والعلم والاداب والاخلاق والعزة والغنى والتمسك
بالعروة الوثقى والاعتصام بحبل الله المتين وجماع كل خير وختام كل سعادة وزهوق باطل الوجود الانسانى
عند مجئ تجليات حقيقة الصفات الربانية كقوله تعالى قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا
فاخرج بماء القرءآن هذه الثمرات من ارض قلوب عباده فكما ان الله تعالى منّ على عباده باخراج الثمرات رزقا
لكم وكان للحيوانات فيها رزق ولكن بتبعية الانسان وهذا مما لا تدركه العقول المشوبة بالوهم والخيال بل
تدركه العقول المؤيدة بتأييد الفضل والنوال فلا تجعلوا لله اندادا فيه ثلاثة معان اولها ان هذا الذى جعلت
لكم من خلق انفسكم وخلق السموات والارض وما فيها لكم ليس من شأن احد غيرى وانتم تعلمون فلا تجعلوا الى
اندادا فى العبودية وثانيها انى جعلت السموات والارض والشمس والقمر كلها واسطة ارزاقكم واسبابها
وانا الرزاق فلا تجعلوا الوسائط اندادا الى فلا تسجدوا للشمس ولا للقمر الآية وثالثها انى خلقت الموجودات
وجعلت لكل شئ حظا فى شئ آخر وجعلت حظ الانسان فى محبتى ومعرفتى وكل محظوظ لو انقطع عنه
حظه لهلك فلا تنقطعوا عن حظوظكم من محبتى ومعرفتى بان تجعلوا الى اندادا تحبونهم كحبى فتهلكوا
فى اودية الشرك يدل عليه قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله فالانداد هى
الاحباب غير الله ثم وصف الذين لم ينقطعوا عن حظ محبته بالايمان وقال والذين آمنوا اشد حبا لله يعنى الذين
اتخذوا من دون الله آلهة فى المحبة ما آمنوا حقيقة وان زعموا انا آمنا فافهم جدا ولا تغتر بالايمان التقليدى
الموروث حتى يصح على هذا المحك (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا) اى فى شك من القرءآن الذى
نزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم فى كونه وحيا منزلا من عند الله تعالى والتنزيل النزول على سبيل التدريج
وانزل القرءآن جملة واحدة الى السماء الدنيا الى بيت العزة ثم منه على النبى صلى الله عليه وسلم مفرقا منجما
فى ثلاث وعشرين سنة ليحفظ فانه عليه السلام كان اميا لا يقرأ ولا يكتب ففرق عليه ليثبت عنده حفظه
بخلاف غيره من الانبياء فانه كان كاتبا قارئا فيمكنه حفظ الجميع من الكتاب ولذا قالوا ان سائر الكتب
الالهية انزلت جملة (فأتوا) جواب الشرط وهو امر تعجيز (بسورة) وحد السورة قطعة من القرءآن معلومة
الاول والاخر اقلها ثلاث آيات وانما سميت سورة لكونها اقوى من الاية من سورة الاسد والشراب اى قوته هذا
ان كانت واوها اصلية وان كانت منقلبة عن همزة فهى مأخوذة من السؤرة التى هى البقية من الشئ
فالسورة قطعة من القرءآن مفرزة باقية من غيرها (من مثله) اى سورة كائنة من مثل القرءآن فى البيان
الغريب وعلو الطبقة فى حسن النظم فالضمير لما نزلنا اى ائتوا انتم بمثل ما اتى هو ان كان الامر كما زعمتم من
كونه كلام البشر اذ انتم وهو سواء فى الجوهر والخلقة واللسان وليس هو اولى بالاختلاف منكم ثم القرءآن
وان كان لا مثل له لانه صفة الله وكلام الله ووحى الله ولا مثل لصفاته كما لا مثل لذاته لكن معناه من مثله
على زعمكم فقد كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا كما فى التيسير (وادعوا شهداءكم) جمع شهيد بمعنى الحاضر
او القائم بالشهادة او الناصر (من دون الله) اما متعلقة بادعوا فالمعنى ادعوا متجاوزين الله من حضركم كائنا
من كان للاستظهار فى معارضة القرءآن او الحاضرين فى مشاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم واشرافكم
الذين تفزعون اليهم فى الملمات وتعولون عليهم فى المهمات او القائمين بشهادتكم الجارية فيما بينكم من امنائكم
المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة او القائمين بنصركم حقيقة او زعما من الانس والجن
ليعينوكم واما متعلقة بشهداءكم والمراد بهم الاصنام ودون بمعنى التجاوز على انها ظرف مستقر وقع حالا من
ضمير المخاطبين والعامل مادل عليه شهداءكم اى ادعوا اصنامكم الذين اتخذتموهم آلهة وزعمتم انهم يشهدون
لكم يوم القيامة انكم على الحق متجاوزين الله فى اتخاذها كذلك ودلت الاية على ان الاستعانة بالخلق لا تغنى
شيأ وما يغنى رجوع العاجز عن العاجز فلا ترفع حوائجك الا الى من لا يشق عليه قضاؤها ولا تسأل الا من
لا تفنى خزائنه ولا تعتمد الا على من لا يعجز عن شئ ينصرك من غير معين ويحفظك من كل جانب ومن غير صاحب
ويغنيك من غير مال فيقل اعداد الاعداء الكثيرة اذا حالك ويكثر عدد المال القليل اذا كفالك (ان كنتم صادقين)

فى ان محمدا تقوله من تلقاء نفسه وان آلهتكم شهداؤكم وهو شرط جوابه محذوف تقديره فافعلوا اى فأتوا
بسورة من مثله (فان لم تفعلوا) اى ما امرتم من الاتيان بالمثل بعد ما بذلتم فى السعى غاية المجهود (ولن تفعلوا)
فيما يستقبل ابدا وذلك لظهور اعجاز القرءآن فانه معجزة النبى عليه السلام اعتراض بين الشرط وجوابه وهذه
معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الامر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشئ يدانيه
فى الجملة لتناقله الرواة خلفا عن سلف (فاتقوا النار) اى ولما عجزتم عن معارضة القرءآن ومثله لزمتكم الحجة
ان محمدا رسولى والقرءآن كتابى ولزمكم تصديقه والايمان به ولما لم تؤمنوا صرتم من اهل النار فاتقوها
وفى الكشاف لصيق اتقاء النار وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة فوضع
فاتقوا النار موضع فاتركوا العناد (التى وقودها) اى حطبها وهو ما يوقد به النار (الناس) اى العصاة
(والحجارة) اى حجارة الكبريت وانما جعل حطبها منها لسرعة وقودها اى التهابها وبطئ خمودها وشدة حرها
وقبح رائحتها والصوقها بالبدن او الحجارة هى الاصنام التى عبدوها وانما جعل التعذيب بها ليتحققوا انهم
عذبوا بعبادتها ولبروا ذلها ومهانتها بعد اعتقادهم عزها وعظمتها والكافر عبد الصنم واعتمده ورجاه فعذب به
اظهارا لجهله وقطعا لامله كاتباع الكبراء خدموهم ورجوهم وفى النار يسحبون معهم ليكون اشق عليهم واقطع
لرجائهم فان قلت أنار الجحيم كلها توقد بالناس والحجارة ام هى نيران شتى منها نار بهذه الصفة قلت بل هى نار شتى
منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها فى قوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا
تلظى ولعل لكفار الجن واشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس
بما يشاكله من العذاب (اعدت للكافرين) اى هيئت للذين كفروا بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم وفيه
دلالة على ان النار مخلوقة موجودة الآن خلافا للمعتزلة وفى الاية اشارة الى ان ثمرة الاخذ بالقرءآن والاقرار به
وبمحمد صلى الله عليه وسلم هو النجاة من النار التى وقودها الناس والحجارة وفيه زيادة فضل القرءآن واهله
قال البغوى عند قوله تعالى فأتوا بسورة قيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة وسميت سورة لان القارئ ينال
بقراءتها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرءان وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال
يرجع اتباع ابليس كل عشية الى سيدهم فيقول كل واحد منهم بين يديه فعلت كذا وغررت فلانا الزاهد
حتى يقول اصغرهم انا منعت صبيا من الكتاب فيقوم ابليس بين يديه ويقعده الى جنبه فرحا لما فعل وقالت
الحكماء حق الولد على ابويه ثلاثة ان يسمياه باسم حسن عند الولادة وان يعلماه القرءآن والادب والعلم وان يختناه
ثم ان المقصد الاصلى هو العمل بالقرءآن والتخلق بادابه كما قيل مراد از نزول قرءآن تحصيل سيرت خوبست *
نه ترتيل سورة مكتوب * وللقرءآن ظهر وبطن ولبطنه بطن الى سبعة ابطن (قال فى المثنوى)
تو ز قرءآن اى پسر ظاهر مبين * ديو آدم را نبيند جز كه طين * ظاهر قرءآن چو شخص آدميست *
كه نقوشش ظاهر وجانش خفيست * قال الشيخ نجم الدين فظاهره يدل على ما فسره العلماء وباطنه يدل
على ما حققه اهل التحقيق بشرط ان يكون موافقا للكتاب والسنة ويشهدا عليه بالحق فان كل حقيقة لا يشهد
عليها الكتاب والسنة فهى الحاد وزندقة لقوله تعالى ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وقال ايضا فى تأويل
الاية وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا جعل الله اعراض المعرضين قباب غيرته لحبيبه المرسل لئلا يشاهدوا
من الله حبيبه وجعل اعتراض المعترضين سرادقات عزته لئلا يطلعوا على الله كتابه وسماه عليه السلام بالعبد
المطلق ولم يسم غيره الا بالعبد المقيد باسمه كما قال واذكر عبدنا ايوب واذكر عبدنا داود وغيرهما وذلك لان كمال
العبودية ما تهيأ لاحد من العالمين الا لحبيبه عليه السلام وكمال العبودية فى كمال الحرية عما سوى الله وهو
مختص بهذه الكرامة كما اثنى عليه بقوله مازاغ البصر وما طغى فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون
الله اى الحاضرين معكم يوم الميثاق لانكم وانهم ومحمدا كنتم جميعا مستمعين خطاب الست بربكم مجتمعين
فى جواب بلى فلو كان محمد قادرا على اتيان القرءآن من تلقاء نفسه فهو وانتم فى الاستعداد الانسانى الفطرى
سواء فأتوا بالقرءآن من تلقاء انفسكم ايضا ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى هى
القهر وصورة غضب الحق كما قال الله للنار انما انت عذابى اعذب بك من اشاء من عبادى وقودها الناس انانية
الانسان التى نسيان الله من خصوصيته والحجارة اى الذهب لانه به يحصل مرادات النفس وشهواتها وما يميل

اليه الهوى فعبر عما يعبده انانية الانسان بالحجارة لان اكثر الاصنام كان من الحجارة وعن انانية الانسان
بالناس لانها انما طلبت غير الله وعبدته لنسيان الحق ومعاهد يوم الميثاق ثم جعلها وقود النار لقوله
تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اعدت للكافرين خاصة ولكن يطهر المذنبون بها بتبعية
الكافرين كما ان الجنة خلقت واعدت للمتقين ولكن يدخلها المذنبون من اهل الايمان بعد تطهيرهم بورود
النار والعبور عليها بتبعية المتقين يدل عليه قول النبى صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله خلقت الجنة
وخلقت لها اهلها وبعمل اهل الجنة يعملون وخلقت النار وخلقت لها اهلها وبعمل اهل النار يعملون
(وبشر الذين آمنوا) البشارة الخبر السار الذى يظهر به اثر السرور فى البشرة اى فرح يا محمد قلوب الذين
آمنوا بان القرآن منزل من عند الله تعالى فالخطاب للنبى عليه السلام وقيل لكل من يتأتى منه التبشير
كما فى قوله عليه السلام بشر المشائين الى المساجد فى ظلم الليالى بالنور التام يوم القيامة فانه عليه السلام
لم يأمر بذلك واحدا بعينه بل كل احد ممن يتأتى منه ذلك (وعملوا الصالحات) اى فعلوا الفعلات الصالحات
وهى كل ما كان لله تعالى وفى عطف العمل على الايمان دلالة على تغايرهما واشعار بان مدار استحقاق
البشارة مجموع الامرين فان الايمان اساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باساس لا بناء به وطلب
الجنة بلا عمل حال السفهاء لان الله تعالى جعل العمل سببا لدخول الجنة والعبد وان كان يدخله الله الجنة
بمجرد الايمان لكن العمل يزيد نور الايمان وبه يتنور قلب المؤمن وكم من عقبة كؤود تستقبل العبد الى ان يصل
الى الجنة واول تلك العقبات عقبة الايمان انه هل يسلم من السلب ام لا فلزم العمل لتسهيل العقبات (ان لهم)
اى بان لهم (جنات) بساتين فيها اشجار مثمرة والجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم كذا قال
الفراء ولفرط التفاف اغصان اشجارها وتسترها بالاشجار سميت جنة كانها سترة واحدة لان الجنة بناء مرة
وانما سميت دار الثواب بها مع ان فيها ما لا يوصف من الغرفات والقصور لما انها مناط نعيمها ومعظم ملاذها
فان قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهى مشتملة على جنان كثيرة مرتبة
مراتب على استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنة من تلك الجنان ثم الجنان ثمان دار الجلال كلها
من نور مدائنها وقصورها وبيوتها واوانيها وشرفها وابوابها ودرجها وغرفها واعاليها واسافلها وخيامها
وحليها وكل ما فيها ودار القرار كلها من المرجان ودار السلام كلها من الياقوت الاحمر وجنة عدن من الزبرجد
كلها وهى قصبة الجنة وهى مشرفة على الجنان كلها وباب جنة عدن مصراعان من زمرد وياقوت ما بين
المصراعين كما بين المشرق والمغرب وجنة المأوى من الذهب الاحمر كلها وجنة الخلد من الفضة كلها وجنة
الفردوس من اللؤلؤ كلها وحيطانها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد
وملاطها وهو ما يجعل بين اللبنتين مكان الطين المسك وقصورها الياقوت وغرفها اللؤلؤ ومصاريعها
الذهب وارضها الفضة وحصباؤها المرجان وترابها المسك ونباتها الزعفران والعنبر وجنة النعيم من الزمرد
كلها وفى الخبر ان المؤمن اذا دخل الجنة رأى سبعين الف حديقة فى كل حديقة سبعون الف شجرة على كل
شجرة سبعون الف ورقة وعلى كل ورقة لا اله الا الله محمد رسول الله امة مذنبة ورب غفور كل ورقة عرضها
من مشرق الشمس الى مغربها (تجرى من تحتها الانهار) الجملة صفة لجنات والانهار جمع نهر بفتح الهاء
وسكونها وهو المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل نهر مصر والمراد بها ماؤها فان قلت كيف جرى
الانهار من تحتها قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجرى
فى غير اخدود وهو الشق من الارض بالاستطالة وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار
فى خلالها مطردة ولولا ان الماء الجارى من النعمة العظمى وان الرياض وان كانت احسن شئ لا تجلب النشاط
حتى يجرى فيها الماء والا كان السرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح لها وصور لا حياة لها لما جاء الله
بذكر الجنات البتة مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها والانهار هى الخمر واللبن والعسل والماء فاذا شربوا
من نهر الماء يجدون حياة ثم انهم لا يموتون واذا شربوا من اللبن يحصل فى ابدانهم تربية ثم انهم لا ينقصون
واذا شربوا من نهر العسل يجدون شفاء وصحة ثم انهم لا يسقمون واذا شربوا من نهر الخمر يجدون طربا وفرحا
ثم انهم لا يحزنون (قال فى المثنوى) آب صبرت جوى آب خلد شد * جوى شير خلد مهر تست وود *

ذوق طاعت كشت جوى انكبين * مستى وشوقى تو جوى خمر بين * اين سببها چون بفرمان تو بود *
چار جوهم مر ترا فرمان نمود * وروى انه كتب عرضا بسم الله الرحمن الرحيم على ساق العرش فعين الماء
تنبع من ميم بسم وعين اللبن تنبع من هاء الله وعين الخمر تنبع من ميم الرحمن وعين العسل تنبع من ميم الرحيم
هذا منبعها واما مصبها فكلها تصب فى الكوثر وهو حوض النبى عليه السلام وهو فى الجنة اليوم وينتقل
يوم القيامة الى العرصات لسقى المؤمنين ثم ينقل الى الجنة ويسقى اهل الجنة ايضا من عين الكافور وعين
الزنجبيل وعين السلسبيل وعين الرحيق ومزاجه من تسنيم بواسطة الملائكة ويسقيهم الله الشراب الطهور
بلا واسطة كما قال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا (كلما) متى (رزقوا منها) اى اطعموا من الجنة (من ثمرة)
ليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة او الرمانة الفذة وانما المراد نوع من انواع الثمار ومن الاولى والثانية كلتاهما
لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة (رزقا) مفعول رزقوا
وهو ما ينتفع به الحيوان طعاما (قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) اى هذا مثل الذى رزقنا من قبل هذا فى الدنيا
ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وانما جعل ثمر الجنة كثمر الدنيا لتميل النفس اليه حين تراه فان
الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غير المعروف وليتبين لها مزيته اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه لا يكون
الا كذلك وان كان فائقا فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها فى الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد
البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة وهى تشبع السكن اى اهل الدار كان ذلك ابين للفضل واجلب للسرور
وازيد فى التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان من غير عهد سابق بجنسه وعموم كما يدل على ترديدهم هذه المقالة
كل مرة رزقوا فيما عدا المرة الاولى يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من
حيث اللذة مع اتحادهما فى الشكل واللون كأنهم قالوا هذا عين ما رزقناه فى الدنيا فمن اين له هذه الرتبة من اللذة
والطيب ولا يقدح فيه ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه ليس فى الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك
لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة لا لبيان ان لا تشابه بينهما اصلا كيف لا واطلاق
الاسماء منوط بالاتحاد النوعى قطعا (واتوا به) اى جيئوا بذلك الرزق او المرزوق فى الدنيا والاخرة جميعا
فالضمير الى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا فى الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما
اى بجنس الغنى والفقير (متشابها) فى اللون والجودة فاذا اكلوا وجدوا طعمه غير ذلك اجود والذى يعنى
لا يكون فيها ردى وعن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها اى منضود بعضها على بعض اى متراكب
ومجتمع ليس كاشجار الدنيا متفرقة اغصانها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى والعنقود
اثنا عشر ذراعا ولو اجتمع الخلائق على عنقود لاشبعهم وجاء رجل من اهل الكتاب الى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال يا ابا القاسم تزعم ان اهل الجنة يأكلون ويشربون فقال نعم والذى نفس محمد بيده ان احدهم ليعطى قوة
مائة رجل فى الاكل والشرب والجماع قال فان الذى يأكل له حاجة والجنة طيبة ليس فيها اذى قال عليه السلام
حاجة احدهم عرق كريح المسك (ولهم فيها) اى فى الجنة (ازواج) اى نساء وحور (مطهرة) مهذبة
من الاحوال المستقذرة كالحيض والنفاس والبول والغائط والمنى والمخاط والبلغم والورم والدرن والصداع
وسائر الاوجاع والولادة ودنس الطبع وسوء الخلق وميل الطبع الى غير الازواج وغير ذلك ومطهرة ابلغ من طاهرة
ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وما هو الا الله سبحانه وتعالى قال الحسن هن عجائزكم العمص العمش
طهرن من قاذورات الدنيا وعن ابن عباس رضى الله عنه خلق الحور العين من اصابع رجلها الى ركبتيها
من الزعفران ومن ركبتيها الى ثدييها من المسك الاذفر ومن ثدييها الى عنقها من العنبر الاشهب اى الابيض
ومن عنقها الى رأسها من الكافور اذا اقبلت يتلألأ نور وجهها كما يتلألأ نور الشمس لاهل الدنيا (وهم فيها
خالدون) اى دائمون احياء لا يموتون ولا يخرجون منها قال عكرمة اهل الجنة ولد ثلاث وثلاثين سنة رجالهم
ونساؤهم وقامتهم ستون ذراعا على قامة ابيهم آدم شباب جرد مرد مكحلون عليهم سبعون حلة يتلون كل حلة
فى كل ساعة سبعين لونا لا يبزقون ولا يتمخطون وما كان فوق ذلك من الاذى فهو ابعد يزدادون كل يوم جمالا
وحسنا كما يزداد اهل الدنيا هرما وضعفا لا يفنى شبابهم ولا يبلى ثيابهم واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان
مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقضى به الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات

اذ كل نعمة وان جلت حيث كانت فى شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنون بها وبدوامها تحميلا للبهجة والسرور وفى التأويلات النجمية وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار اى يحصل لهم جنات القربة معجلة من بذر الايمان الحقيقى واعمالهم القلبية الصالحة والروحية والسرية بالتوحيد والتجريد والتفريد من اشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والاخلاص والهدى والقناعة والعفة والمروءة والفتوة والمجاهدة والمكابدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والخوف والخشية والرجاء والصفاء والوفاء والطلب والارادة والمحبة والحياء والكرم والسخاوة والشجاعة والعلم والمعرفة والعزة والرفعة والقدرة والحلم والعفو والرحمة والهمة العالية وغيرها من المقامات والاخلاق تجرى من تحتها مياه العناية والتوفيق والرأفة والعطفة والفضل كلما رزقوا منها من هذه الاشجار من ثمرة من ثمرات المشاهدات والمكاشفات والمعاينات رزقا اى عطفا وصحة وعطية قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وذلك لان اصحاب المشاهدات يشاهدون احوال الاشئ فى صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم فيظن بعضهم من المتوسطين ان هذا المشاهد هو الذى يشاهده قبل هذا فتكون الصورة تلك الصورة ولكن المعنى هو حقيقة اخرى مثاله يشاهد السالك نورا فى صورة نار كما شاهد موسى عليه السلام نور الهداية فى صورة نار كما قال انى آنست نارا فتكون تارة تلك النار صفة غضب كما كان لموسى عليه السلام اذا اشتد غضبه اشتعلت قلنسوته نارا وتارة يشاهد النار وهى صفة الشيطنة وتارة تكون نار المحبة تقع فى محبوبات النفس فتحرقها وتارة تكون نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة فتحرق عليهم بيت وجودهم فالصورة النارية المشاهدة مشابهة بعضها ببعض كما قال تعالى واتوا به متشابها ولكن السالك الواصل يجد من كل نار منها ذوقا وصفة اخرى ولهم فيها ازواج اى لارباب الشهود فى جنات القربات ازواج من ابكار الغيب مطهرة من ملابسة الاغيار وهم فيها فى اقتضاضها خالدون كما قال عليه السلام ان من العلوم كهيئة المكنون لا يعلمها الا العلماء بالله فاذا انطقوا بها لا ينكرها الا اهل العزة بالله واعلم ان كل شئ يشاهد فى الشهادة كان له صورة فى الدنيا له معنى حقيقى فى الغيب ولهذا كان النبى عليه السلام يسأل الله تعالى بقوله اللهم ارنا الاشياء كما هى فيكون فى الاخرة صورة الاشياء وحقائقها حاصلة ولكن الحقائق والمعانى على الصور غالبة فيرى فى الاخرة صورة شئ بعينه فيعرفه فيقول هذا الذى رزقنا من قبل فيكون الاسم والصورة كما كانت ولكنها فى ذوق آخر غير ما كنت تعرفه ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنه ليس شئ فى الجنة مما فى الدنيا غير الاسماء وهذا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل كلمة يكلمها المسلم فى سبيل الله تكون بعد القيامة كهيئتها يوم طعنت انفجرت دما اللون لون الدم والعرف عرف المسك فالآن لون ذلك الدم حاصل فى الشهادة ولكن عرفه فى الغيب لا يشاهد ههنا ففى الاخرة يشاهد الصورة الدنيوية والمعانى الغيبية فافهم جدا واغتنم (ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة) عن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت فى كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله هذه الاية والحياء تغير وانكسار يعترى الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم وهو جار على سبيل التمثيل اى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيى ان يمثل بها لحقارتها فمحل ان يضرب اى يذكر على المفعولية وما اسمية ابهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشياعا كانه قيل مثلا ما من الامثال اى مثل كان فهى صفة لما قبلها او بعوضة بدل من مثلا والبعوضة صغار البق سميت بعوضة لانها كانها بعض البق (فما فوقها) اى فيذكر الذى هو ازيد منها كالذباب والعنكبوت او فما دونها فى الصغر قيل انه من الاضداد ويطلق على الاعلى والادنى وهو دابة يسترها السكون ويظهرها التحرك يعنى لا تلوح للبصر الحاد الا بتحركها فان قلت مثل الله آلهتهم ببيت العنكبوت وبالذباب فاين تمثيلها بالبعوضة فما دونها قلت فى هذه الاية كانه قال ان الله لا يستحيى ان يضرب مثل آلهتكم بالبعوضة فما دونها فما ظنكم بالعنكبوت والذباب قال الربيع بن انس ضرب المثل بالبعوضة عبرة لاهل الدنيا فان البعوضة تحيى ما جاعت وتموت اذا شبعت فكذا صاحب الدنيا اذا استغنى طغى واحاط به الردى وقال الامام ابو منصور الاعجوبة فى الدلالة على وحدانية الله تعالى وفى الخلق الصغير الجثة والجسم اكثر من الكبار منها والعظام لان الخلائق لو اجتمعوا على تصوير صورة من نحو البعوض والذباب وتركيب ما يحتاج من الفم والانف والعين والرجل

واليد

واليد والمدخل والمخرج ما قدروا عليه ولعلهم يقدرون على تصوير العظام من الاجسام الكبار منها فالبعوضة اعطيت على قدر حجمها الحقير كل آلة وعضو اعطيت الفيل الكبير القوى وفيه اشارة الى حال الانسان وكمال استعداده كما قال عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته اى على صفته فعلى قدر ضعف الانسان اعطاه الله تعالى من كل صفة من صفات جماله وجلاله انموذجا ليشاهد فى مرآة صفات نفسه كمال صفات ربه كما قال من عرف نفسه فقد عرف ربه وليس لشئ من المخلوقات هذه الكرامة المختصة بالانسان كما قال تعالى ولقد كرمنا بنى آدم (قال فى المثنوى) آدم خاكى زحق آموخت علم * تا بهفتم آسمان افروخت علم *
نام وناموس ملك رادر شكست * كورئ آنكس كه درحق درشكست * قطرهٔ دل رايكى گوهر فتاد *
كان بدريا ها وگردونها نداد * چند صورت آخر اى صورت پرست * جان بى معنيت از صورت نرست *
گر بصورت آدمى انسان بدى * احمد وبوجهل خود يكسان بدى * قال بعضهم ان الله تعالى قوى قلوب ضعفاء الناس بذكر ضعفاء الاجناس وعرف الخلق قدرته فى خلق الضعفاء على هيئات الاقوياء فان البعوض على صغره بهيئة الفيل على كبره وفى البعوض زيادة جناحين فلا يستبعد من كرمه ان يعطى على قليل العمل ما يعطى على كثير العمل من الخلقة كما اعطى صغير الجثة ما اعطى كبير الجثة من الخلقة ومن العجيب ان هذا الصغير يؤذى هذا الكبير فلا يمتنع منه ومن لطف الله تعالى انه خلق الاسد بغاية القوة والبعوض والذباب بغاية الضعف ثم اعطى البعوض والذباب جرأة اظهرها فى طيرانهما فى وجوه الناس وتماديهما فى ذلك مع مبالغة الناس فى ذبهما بالمذبة وركب الجبن فى الاسد واظهر ذلك بتباعده عن مساكن الناس وطرقهم ولو تجاسر الاسد تجاسر الذباب والبعوض لهلك الناس فمن الله تعالى وجعل فى الضعيف التجاسر وفى القوى الجبن ومن العجب عجزك عن هذا الضعيف وقدرتك على ذلك الكبير (وحكى) انه خطب المأمون فوقع ذباب على عينه فطرده فعاد مرارا حتى قطع عليه الخطبة فلما صلى احضر ابا هذيل شيخ البصريين فى الاعتزال فقال له لم خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت واجازه بمال كذا فى روضة الاخيار وفى خلق مثل الذباب حكم ومصالح قال وكيع لولا الريح والذباب لا نتنت الدنيا ومن الاعاجيب ان هذا الضعيف اذا طار فى وجهك ضاق به قلبك ونغص به عيشك وفسد عليك بستانك وكرمك واعجب منه جرأتك مع ضعفك على ما يورثك العار ويوردك النار فاذا كان جزعك هذا من البعوض فى الدنيا فكيف حالك اذا تسلطت عليك الحيات والعقارب فى لظى قال القشيرى رحمه الله الخلق فى التحقيق بالاضافة الى قدرة الخالق اقل من ذرة من الهباء فى الهواء وسيان فى قدرته العرش والبعوض فلا خلق العرش عليه اعسر ولا خلق البعوضة عليه ايسر سبحانه متقدس عن لحوق العسر واليسر واعلم انه يمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل فى الانجيل غل الصدر بالنخالة قال لا تكونوا كمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويمسك النخالة كذلك انتم تخرج الحكمة من افواهكم وتبقون الغل فى صدوركم ومثل مخاطبة السفهاء باثارة الزنابير قال لا تثيروا الزنابير فتلدغكم فكذلك لا تخاطبوا السفهاء فيشتموكم وقال فيه ايضا لا تدخروا ذخائركم حيث السوس والارضة فتفسدها ولا فى البرية حيث اللصوص والسموم فيسرقها اللصوص ويحرقها السموم ولكن ادخروا ذخائركم عند الله تعالى وجاء فى الانجيل ايضا مثل ملكوت السماء كمثل رجل زرع فى قريته حنطة جيدة نقية فلما نام الناس جاء عدوه فزرع الزوان وهو بفتح الزاى وضمها حب مر يخالط البر فقال عبيد الزراع يا سيدنا اليس حنطة جيدة زرعت فى قريتك قال بلى قالوا فمن اين هذا الزوان قال لعلكم ان ذهبتم ان تلقطوا الزوان تقلعوا معه حنطة دعوهما يتربيان جميعا حتى الحصاد فآمر الحصادين ان يلقطوا الزوان من الحنطة وان يربطوه حزما ثم يحرق بالنار ويجمعوا الحنطة الى الجرين والتفسير الزراع ابو البشر والقرية العالم والحنطة الطاعة وزراع الزوان ابليس والزوان المعاصى والحصادون الملائكة يتوفون بنى آدم وللعرب امثال مثل قولهم هو اجمع من ذرة يزعمون انها تدخر قوت سبع سنين واجرأ من الذباب لانه يقع على انف الملك وجفن الاسد فاذا ذب اى منع آب اى رجع واسمع من قراد يزعم العرب ان القراد يسمع الهمس الخفى من مناسم الابل اى اخفافها على مسيرة سبع ليال او سبعة اميال وفلان اعمر من القراد وذلك انها تعيش سبعمائة سنة وقيل اعمر من حية لانها لا تموت الا قتلا ويقال اعمر من النسر لانه يعيش ثلثمائة سنة

وفلان اصرد من جرادة اى ابرد لانها لاتظهر فى الشتاء ابدا لقلة صبرها على البرد واطيش من فراشة اى اخف
منها وهى بالفارسية پروانه واعزمن مخ البعوض يقال لما لايوجد ويقال كلفتنى مخ البعوض فى تكليف مالايطاق
واضعف من بعوضة وآكل من السوس وهو القمل الذى يأكل الحنطة والشعير والدوبية التى تقع على الصوف
والجوخ وغيرهما فتأكلها وبالجملة ان الله تعالى يضرب الامثال للناس ولا يستحيى من الحق وله فى امثاله مطلقا
حكم ومصالح وما يتذكر الا اولوا الالباب (قال المولى جلال الدين قدس سره) بيت من بيت نيست
اقليمست ✳ هزل من هزل نيست تعليمست ✳ (فاما الذين آمنوا) بالقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم
والفاء للدلالة على ترتيب ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كانه قيل فيضربه فاما الذين آمنوا (فيعلمون انه)
اى المثل بالبعوضة والذباب (الحق) اى الثابت الذى لا يسوغ انكاره (من ربهم) حال من الضمير المستكن
فى الحق او من الضمير العائد الى المثل اى كائنا منه تعالى فيتفكرون فى هذا المثل الحق ويوقنون ان الله هو خالق
الكبير والصغير وكل ذلك فى قدرته سواء فيؤمنون به (واما الذين كفروا) وهم اليهود والمشركون (فيقولون ماذا)
اى ما الذى او اى شئ (اراد الله بهذا) اى بالمثل الخسيس وفى كلمة هذا تحقير للمشار اليه واسترذال له (مثلا)
اى بهذا المثل فلما حذف الالف واللام نصب على الحال اى ممثلا او على التمييز فاجابهم الله تعالى بقوله (يضل به)
اى يخذل بهذا المثل والاضلال هو الصرف عن الحق الى الباطل واسناد الاضلال اى خلق الضلال اليه سبحانه
مبنى على ان جميع الاشياء مخلوقة له تعالى وان كان افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم (كثيرا)
من الكفار وذلك انهم يكذبونه فيزدادون ضلالة (ويهدى به) اى يوفق بهذا المثل (كثيرا) من المؤمنين
لتصديقهم به فيزدادون هداية يعنى يضل به من علم منهم انه يختار الضلالة ويهدى به من علم انه يختار الهدى فان
قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم قلت اهل الهدى كثير فى انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون
بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهديين كثير فى الحقيقة وان قلوا فى الصورة لان هؤلاء
على الحق وهم على الباطل وعن ابن مسعود رضى الله عنه السواد الاعظم هو الواحد على الحق (وما يضل به)
اى لا يخذل بالمثل وتكذيبه (الا الفاسقين) اى الكافرين بالله الخارجين عن امره والفسق فى اللغة الخروج
وفى الشرع الخروج عن طاعة الله بارتكاب الكبيرة التى من جملتها الاصرار على الصغيرة وله طبقات ثلاث
الاولى التغابى وهو ارتكابها احيانا مستقبحا لها والثانية الانهماك فى تعاطيها والثالثة المثابرة عليها
مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه
بالتصديق الذى عليه يدور الايمان (الذين ينقضون عهد الله) اى يخالفون ويتركون امر الله تعالى والنقض
الفسخ وفك التركيب فان قلت من اين ساغ استعمال النقض فى ابطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد
بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين قيل عهد الله ثلاثة الاول ما اخذه على ذرية
آدم عليه السلام بان يقروا على ربوبيته تعالى والثانى ما اخذه على الانبياء عليهم السلام بان اقيموا الدين
ولا تتفرقوا فيه والثالث ما اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه (من بعد ميثاقه) اى بعد توثيق ذلك
العهد وتوكيده بالقبول فالضمير للعهد او بعد توثيق الله ذلك بانزال الكتب وارسال الرسل فالضمير الى الله فالمراد
بالميثاق هنا نفس المصدر لا نفس العهد (يحكى) عن مالك بن دينار رحمه الله انه كان له ابن عم عامل سلطان
فى زمانهم وكان ظالما جائرا فمرض ذلك الرجل ونذر وعهد على نفسه وقال لو عافانى الله تعالى مما انا فيه لا ادخل
فى عمل السلطان ابدا قال فابرأه الله من ذلك المرض فدخل فى عمل السلطان ثانيا فظلم الناس اكثر مما ظلمهم فى المرة
الاولى فمرض مرضا ثانيا فنذر ثانيا بعدم رجوعه الى عمل السلطان فبرأ ونقض العهد ودخل فيه وظلم اكثر مما
ظلم فى المرتين فظهرت به علة شديدة فاخبر بذلك مالك بن دينار فزاره وقال يا بنى اوجب على نفسك شيأ وعاهد
مع الله عهدا لعلك تنجو من هذه العلة فقال المريض عاهدت الله ان لو قمت من فراشى ان لا اعود الى عمل السلطان
ابدا فهتف هاتف يا مالك انا قد جربناه مرارا فوجدناه كذوبا فلا ينفعه نذره اى جربناه بنفسه فاكذب نفسه
فمات الفتى على هذه الحالة كذا فى روضة العلماء (قال المثنوى) نقض ميثاق وشكست توبها ✳ موجب لعنت
شود در انتها ✳ (ويقطعون ما امر الله به ان يوصل) محل ان يوصل النصب على انه بدل من ضمير الموصول
اى ما امر الله به ان يوصل وهو يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع الرحم وموالاة المؤمنين

والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب فى التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير
او تعاطى شر فانه يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد من الوصلة التى هى المقصودة بالذات من كل وصل وفصل
وفى الحديث اذا اظهر الناس العلم وضيعوا العمل به وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا الارحام
لعنهم الله عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة فى ظل عرش الله يوم القيامة امرأة
مات عنها زوجها وترك عليها يتامى صغارا فخطبت فلم تتزوج قالت اقوم على ايتامى حتى يغنيهم الله او يموت
يعنى اليتيم او هى ورجل له مال صنع طعاما فاطاب صنيعته واحسن نفقته فدعا عليه اليتيم والمسكين وواصل
الرحم يوسع له فى رزقه ويمد له فى اجله ويكون تحت ظل عرش ربه (ويفسدون فى الارض) بالمنع عن الايمان
والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التى عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه (اولئك هم الخاسرون) اى المغبونون
بالعقوبة فى الاخرة مكان المثوبة فى الجنة لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح
وعقابها بثوابها قيل ليس من مؤمن ولا كافر الا وله منزل واهل وخدم فى الجنة فان اطاعه تعالى اتى اهله
وخدمه ومنزله فى الجنة وان عصاه ورثه الله المؤمنين فقد غبن عن اهله وخدمه ومنزله وفى التأويلات النجمية
ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين آمنوا بنور الايمان يشاهدون الحقائق
والمعانى فى صورة الامثلة فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون انكروا الحق فجعل ظلمة
انكارهم غشاوة فى ابصارهم فما شاهدوا الحقائق فى كسوة الامثلة كما ان العجم لا يشاهدون المعانى فى كسوة
اللغة العربية فكذلك الكفار والجهال عند تحيرهم فى ادراك حقائق الامثال قالوا ماذا اراد الله بهذا مثلا
فجهلهم زاد انكارهم على انكار فتاهوا فى اودية الضلالة بقدم الجهالة يضل به كثيرا ممن اخطأ رشاش النور
فى بدء الخلق كما قال عليه السلام ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور
فقد اهتدى ومن اخطأه فقد ضل فمن اخطأه ذلك النور فى عالم الارواح فقد اخطأ نور الايمان ههنا ومن اخطأه
نور الايمان فقد اخطأه نور القرآن فلا يهتدى ومن اصابه ذلك هنالك اصابه ههنا نور الايمان ومن اصابه نور
الايمان فقد اصابه نور القرآن ومن اصابه نور القرآن فهو ممن قال ويهدى به كثيرا وكان القرآن لقوم شفاء
ورحمة ولقوم شقاء ونقمة لانه كلامه وصفته شاملة اللطف والقهر فبلطفه هدى الصادقين وبقهره اضل
الفاسقين لقوله وما يضل به الا الفاسقين الخارجين من اصابة رشاش النور فى بدء الخلقة ثم اخبر عن نتايج ذكر
الخروج ونقض العهود كما قال الله تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه اى الذين ينقضون عهد الله
الذى عاهدوه يوم الميثاق على التوحيد والعبودية بالاخلاص من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
من اسباب السلوك الموصل الى الحق واسباب التبتل والانقطاع عن الخلق كما قال تعالى وتبتل اليه تبتيلا
اى انقطع اليه انقطاعا كليا عن غيره ويفسدون فى الارض اى يفسدون بذر التوحيد الفطرى فى ارض طينتهم
بالشرك والاعراض عن قبول دعوة الانبياء وسقى بذر التوحيد بالايمان والعمل الصالح اولئك هم الخاسرون
خسروا استعداد كمالية الانسان المودعة فيهم كما تخسر النواة فى الارض استعداد النخلية المودعة فيها عند عدم
الماء لقوله تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات (كيف تكفرون) كيف نصب
حالا من الضمير فى تكفرون اى معاندين تكفرون وتجحدون (بالله) اى بوحدانيته ومعكم ما يصرفكم عن
الكفر الى الايمان من الدلائل الانفسية والافاقية والاستفهام انكارى لا بمعنى انكار الوقوع بل بمعنى انكار
الواقع واستبعاده والتعجيب منه لان التعجب من الله يكون على وجه التعجيب والتعجيب هو ان يدعو الى
التعجب وكانه يقول الا تتعجبون انهم يكفرون بالله كما فى تفسير ابى الليث وقال القاضى هو استخبار والمعنى
اخبرونى على اى حال تكفرون (وكنتم امواتا) جمع ميت كاقوال جمع قيل اى والحال انكم كنتم امواتا اى
اجساما لا حياة لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة قال فى الكشاف فان قلت كيف قيل لهم
اموات فى حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما تصح منه الحياة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحياة لقوله
تعالى بلدة ميتا (فاحياكم) بخلق الارواح ونفخها فيكم فى ارحام امهاتكم ثم فى دنياكم وهذا الزام لهم بالبعث
والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء حاصل اثر كونهم امواتا وان توارد عليهم فى تلك الحالة اطوار مترتبة
بعضها متراخ عن بعض كما اشير اليه آنفا ثم لما كان المقام فى الدنيا قد يطول جاء بثم حرف التراخى فقال

(ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم وكون الاماتة من دلائل القدرة ظاهر واما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحياة الثانية التى هى الحيوان الابدى والنعمة العظمى (ثم يحييكم) للسؤال فى القبور فيحيى حتى يسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال من ربك ومن نبيك وما دينك ودل ثم التى للتعقيب على سبيل التراخى على انه لم يرد به حياة البعث فان الحياة يومئذ يقارنها الرجوع الى الله بالحساب والجزاء واتصل به من غير تراخ فلا يناسب ثم اليه ترجعون ودلت الاية على اثبات عذاب القبر وراحة القبر كما فى التيسير (ثم اليه ترجعون) بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر واليه تنشرون من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم فى ازاحة العذر سيما وفى الاية تنبيه على ما يدل به على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدأ الخلق ليس باهون عليه من اعادته (هو الذى خلق لكم) هذا بيان نعمة اخرى اى قدر خلقها لاجلكم ولانتفاعكم بها فى دنياكم ودينكم لان الاشياء كلها لم تخلق فى ذلك الوقت (ما فى الارض) اى الذى فيها من الاشياء (جميعا) نصب حالا من الموصول الثانى وقد يستدل بهذا على ان الاصل فى الاشياء الاباحة كما فى الكواشى وقال فى التيسير اهل الاباحة من المتصوفة الجهلة حملوا اللام فى لكم فى قوله تعالى هو الذى خلق لكم على الاطلاق والاباحة على الاطلاق وقالوا لا حظر ولا نهى ولا امر فاذا تحققت المعرفة وتأكدت المحبة سقطت الخدمة وزالت الحرمة فالحبيب لا يكلف حبيبه ما يتعبه ولا يمنعه ما يريده ويطلبه وهذا منهم كفر صريح وقد نهى الله تعالى وامر واباح وحظر ووعد واوعد وبشر وهدد والنصوص ظاهرة والدلائل متظاهرة فمن حمل هذه الاية على الاباحة المطلقة فقد انسلخ من الدين بالكلية انتهى كلام التيسير (ثم استوى الى السماء) قصد اليها اى الى خلقها بارادته ومشيئته قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه من ارادة شئ آخر فى تضاعيف خلقها او غير ذلك ولا تناقض بين هذا وبين قوله والارض بعد ذلك دحاها لان الدحو البسط وعن الحسن خلق الله الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر اى الحجر ملاء الكف عليها دخان يلتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر فى موضعه ثم بسط منه الارض كذا فى الكواشى وقال ابن عباس رضى الله عنه اول ما خلق الله جوهرة طولها وعرضها مسيرة الف سنة فى مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطربت ثم ثار منها دخان فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فجعل الزبد ارضا والدخان سماء قالوا فالسماء من دخان خلقت وبريح ارتفعت وباشارة تفرقت وبلا عماد قامت وبنفخة تكسرت (فسواهن) اى اتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج والفطور لانه سواهن بعد ان لم يكن كذلك والضمير فيه مبهم فسر بقوله تعالى (سبع سموات) فهو نصب على انه تمييز نحو ربه رجلا قال سلمان هى سبع اسم الاولى رقيع وهى من زمردة خضراء واسم الثانية ارفلون وهى من فضة بيضاء والثالثة قيدوم وهى من ياقوتة حمراء والرابعة ماعون وهى من درة بيضاء والخامسة دبقاء وهى من ذهب احمر والسادسة وفناء وهى من ياقوتة صفراء والسابعة عريبا وهى من نور يتلالأ (وهو بكل شئ عليم) فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج فى صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتكسرت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف يجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شئ منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان وفى هذه الاية اشارة الى مراتب الروحانيات فالاول عالم الملكوت الارضية والقوى النفسانية والثانى عالم النفس والثالث عالم القلب والرابع عالم العقل والخامس عالم السر والسادس عالم الروح والسابع عالم الخفى الذى هو السر الروحى والى هذا اشار امير المؤمنين على رضى الله عنه بقوله سلونى عن طرق السماء فانى اعلم بها من طرق الارض وطرفها الاحوال والمقامات كالزهد والتقوى والتوكل والرضى وامثالها واعلم ان المراتب اثنا عشرة على عدد السموات والعروش الخمسة وكان الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره يقول للتوحيد اثنا عشر بابا فالجلوتية يقطعونها بالتوحيد لان سيرهم فى اليقين والخلوتية يقطعونها بالاسماء لان سيرهم فى البرزخ وهم يقولون جنة

الافعال وجنة الصفات وجنة الذات وذلك لان الجنات على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه سبع فاذا كان اربع منها لاهل اليقين اعنى الجلوتية فالثلاث لاهل البرزخ اعنى الخلوتية وهى الافعال والصفات والذات وفى التأويلات النجمية كيف تكفرون بالله خطاب توحيد للمؤمنين اى لا تكفرون بالله وبانبيائه لانكم كنتم امواتا ذرات فى صلب آدم فاحياكم باخراجكم عن صلبه واسمعكم لذيذ خطاب الست بربكم واذاقكم لذات الخطاب ووفقكم للجواب بالصواب حتى قلتم بلى رغبة لا رهبة ثم يميتكم بالرجعة الى اصلاب ابائكم والى عالم الطبيعة الانسانية ثم يحييكم ببعثة الانبياء وقبول دعوتهم ثم اليه ترجعون بدلالة الانبياء وقدم التوحيد على جادة الشريعة الى درجات الجنات واما خطاب التشريف للانبياء والاولياء اى لا تكفرون وكنتم امواتا فى كتم العدم فاحياكم بالتكوين فى عالم الارواح ورشاش النور تخمر طينة ارواحكم بماء نور العناية وتخمير يد المحبة باربعين صباح الوصال ثم يميتكم بالمفارقة عن شهود الجمال الى مقبرة الحس والخيال ثم يحييكم اما الانبياء فبنور نور الوحى واما الاولياء فبروح روح نور الايمان ثم اليه ترجعون اما الانبياء فبالعروج واما الاولياء فبالرجوع بجذبات الحق كما قال تعالى ارجعى الى ربك فلما ثبت ان الرجوع اليه امر ضرورى اما بالاختيار كقراءة يعقوب ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم واما بالاضطرار كقراءة الباقين اشار الى ان الذى ترجعون اليه هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا اى ما خلقكم لشئ وخلق كل شئ لكم بل خلقكم لنفسه كما قال تعالى واصطنعتك لنفسى معناه لا يكن لشئ غيرى فانى است لشئ غيرك فبقدر ما تكون لى اكون لك كما قال عليه السلام من كان لله كان الله له وليس لشئ من الموجودات هذا الاستعداد ان يكون هو الله على التحقيق وان يكون له وفى هذا سر عظيم وافشاء سر الربوبية كفر فلا تشتغل بما لك عمن انت له فتبقى بلا هو ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات فيه اشارة الى ان وجود السموات والارض كان تبعا لوجود الانسان وهو بكل شئ عليم اى عالم فى خلق كل شئ خلقه ولاى شئ خلقه فكل ذرة من مخلوقاته يسبح بحمد ذاته وصفاته ويشهد على احديته وصمديته ويقول ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك (قال المولى الجامى قدس سره)

دوجهان جلوكاه وحدت تو * شهد الله كواه وحدت تو

(واذ) مفعول اذكر مقدرة اى اذكر لهم واخبر وقت (قال ربك) وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة فى ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهانى ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا (للملائكة) اللام للتبليغ وتقديم الجار والمجرور فى هذا الباب مطرد لما فى المقول من الطول غالبا مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر والملائكة جمع ملك والتاء لتأكيد تأنيث الجماعة وسموا بها فانهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسله لان اصل ملك ملأك مقلوب مألك من الالوكة وهى الرسالة والملائكة عند اكثر المسلمين اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة والدليل ان الرسل كانوا يرونهم كذلك وروى فى شرح كثيرهم ان بنى آدم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة ثم كل اولئك فى مقابلة الكرسى نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش التى عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما وما بينهما لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء فى مقابلة الذين يحومون حول العرش كالقطرة فى البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه السلام والملائكة الذين هم جنود جبريل عليه السلام لا يحصى اجناسهم ولا مدة اعمارهم ولا كيفيات عباداتهم الا باريهم العليم الخبير على ما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وروى انه صلى الله عليه وسلم حين عرج به الى السماء رأى ملائكة فى موضع بمنزلة شرف يمشى بعضهم تجاه بعض فسأل رسول الله جبريل عليهما السلام الى اين يذهبون فقال جبريل عليه السلام لا ادرى الا انى اراهم منذ خلقت ولا ارى واحدا منهم قد رأيته قبل ذلك ثم سألا واحدا منهم منذ كم خلقت فقال لا ادرى غير ان الله تعالى يخلق فى كل اربعة آلاف سنة كوكبا وقد خلق منذ ما خلقنى اربعمائة الف كوكب فسبحانه من اله ما اعظم قدره وما اوسع ملكوته واراد بهم

الملائكة الذين كانوا فى الارض وذلك ان الله خلق السماء والارض وخلق الملائكة والجن فاسكن الملائكة
السماء واسكن الجن الارض والجن هم بنوا الجان والجان ابو الجن كادم ابو البشر وخلق الله الجان من لهب
من نار لا دخان لها بين السماء والارض والصواعق تنزل منها ثم الماسكنوا فيها كثر نسلهم وذلك قبل آدم
بستين الف سنة فعمروا دهرا طويلا فى الارض مقدار سبعة آلاف سنة ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فافسدوا
وقتلوا فبعث الله اليهم ملائكة سماء الدنيا وامّر عليهم ابليس وكان اسمه عزازيل وكان اكثرهم علما فهبطوا
الى الارض حتى هزموا الجن واخرجوهم من الارض الى جزائر البحور وشعوب الجبال وسكنوا الارض
وصار امر العبادة عليهم اخف لان كل صنف من الملائكة يكون ارفع فى السموات يكون خوفهم اشد
وملائكة السماء الدنيا يكون امرهم ايسر من الذين فوقهم واعطى الله ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا
وخزانة الجنة وكان له جناحان من زمرد اخضر وكان يعبد الله تارة فى الارض وتارة فى السماء وتارة فى الجنة
فدخله العجب فقال فى نفسه ما اعطانى الله هذا الملك الا لانى اكرم الملائكة عليه وايضا كل من اطمأن الى الدنيا
امر بالتحول عنها فقال الله تعالى له ولجنوده (انى جاعل) اى مصير (فى الارض) دون السماء لان التباغى
والتظالم كان فى الارض (خليفة) وهو آدم عليه السلام لانه خلف الجن وجاء بعدهم ولانه خليفة الله
فى ارضه اى اريد ان اخلق فى الارض بدلا منكم وارفعكم الىّ فكرهوا ذلك لانهم كانوا اهون الملائكة عبادة
واعلم ان الله تعالى يحفظ العالم بالخليفة كما يحفظ الخزائن بالختم وهو القطب الذى لا يكون فى كل عصر الا واحدا
فالبدء كان بادم عليه السلام والختام يكون بعيسى عليه السلام والحكمة فى الاستخلاف قصور المستخلف
عليه عن قبول فيضه وتلقى امره بغير واسطة لان المفيض تعالى فى غاية التنزه والتقدس والمستفيض منغمس
غالبا فى العلائق الدنية كالاكل والشرب وغيرهما والعوائق الطبيعية كالاوصاف الذميمة فالاستفاضة منه
انما تحصل بواسطة ذى جهتين اى ذى جهة التجرد وجهة التعلق وهو الخليفة ايا كان ولذا لم يستنبئ الله ملكا
فان البشر لا يقدر على الاستفادة منه لكونه خلاف جنسه الا يرى ان العظم لما عجز عن اخذ الغذاء من اللحم
لما بينهما من التباعد جعل الله تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من اللحم ويعطى العظم
وجعل السلطان الوزير بينه وبين رعيته اذ هم اقرب الى قبولهم منه وجعل المستوقد الحطب اليابس بين النار
وبين الحطب الرطب وفائدة قوله تعالى للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة اربعة امور الاول تعليم المشاورة
فى امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا
عن المشاورة (قال فى المثنوى) مشورت ادراك وهشيارى دهد * عقلها مر عقل را يارى دهد *
كفت پيغمبر بكن اى راى زن * مشورت كالمستشار مؤتمن * ويقال اعقل الرجال لا يستغنى عن
مشاورة اولى الالباب وافره الدواب لا يستغنى عن السوط واورع النساء لا تستغنى عن الزوج والثانى تعظيم
شأن المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه والثالث اظهار فضله الراجح على ما فيه
من المفاسد بسؤالهم وهو قوله اتجعل الخ وجوابه وهو قوله انى اعلم ما لا تعلمون الخ والرابع بيان ان الحكمة
تقتضى ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير كقطع العضو الذى فيه اكلة شر قليل
وسلامة جميع البدن خير كثير فلو لم يقطع ذلك العضو سرت تلك الآفة الى جميع البدن وادت الى الهلاك الذى
هو شر كثير (قالوا) استئناف كانه قيل فماذا قالت الملائكة حينئذ فقيل قالوا (اتجعل فيها) اى الارض
(من يفسد فيها) كما افسدت الجن وفائدة تكرار الظرف تأكيد الاستبعاد (ويسفك الدماء) اى يصبها ظلما
كما يسفك بنوا الجان والتعبير عن القتل بسفك الدماء لما انه اقبح انواع القتل قال بعض العارفين الملائكة الذين
نازعوا فى آدم ليست من اهل الجبروت ولا من اهل الملكوت السماوية فانهم لغلبة النورية عليهم واحاطتهم
بالمراتب يعرفون شرف الانسان الكامل ورتبته عند الله وان لم يعرفوا حقيقته كما هى بل نازعت ملائكة
الارض والجن والشياطين الذين غلبت عليهم الظلمة والنشأة الموجبة للحجاب وفى قوله تعالى انى جاعل
فى الارض خليفة بتخصيص الارض بالذكر وان كان خليفة فى العالم كله فى الحقيقة هو ايماء ايضا بان ملائكة
الارض هم الطاعنون اذ الظن لا يصدر الا ممن هو فى معرض ذلك المنصب واهل السموات مدبرات للعالم
العلوى فما قالت الملائكة الارضية الا بمقتضى نشأتهم التى هم عليها من غبطة منصب الخلافة فى الارض

والغيرة

والغيرة على منصب ملكهم وتعبدهم بما هم عليه من التسبيح والتقديس فكل اناء يترشح بما فيه واما الاعتراض
على فعل الحكيم والنزاع فى صنعه عند حضرته فمعزول عنه لكمال حكمته واتقان صنعته (قال فى المثنوى)
زانكه اين دمها چه كر نالايق است * رحمت من بر غضب هم سابق است * از پى اظهار اين سبق
اى ملك * در نو بنهم داعيه اشكال وشك * تا بكويى ونكيرم بر تو من * منكر حلم نيارد دم
زدن * صد پدر صد مادر اندر حلم ما * هر نفس زايد در افتد در فنا * حلم ايشان كف بحر
حلم ماست * كف رود آيد ولى دريا بجاست * وفى الفتوحات ان هاروت وماروت من الملائكة الذين
نازعوا آدم ولاجل هذا ابتلاهما الله تعالى باظهار الفساد وسفك الدماء فافهم سر قوله عليه السلام دع
الشماتة عن اخيك فيعافيه الله تعالى ويبتليك وايضا من تلك الملائكة الطاعنين بسفك الدماء الملائكة التى
ارسلها الله تعالى نصرة للمجاهدين وسفك الدماء غيرة على دين الله وشرعه كذا فى حل الرموز وكشف
الكنوز (ونحن) اى والحال انا (نسبح) اى ننزهك عن كل ما لا يليق بشأنك ملتبسين (بحمدك) على ما
انعمت علينا من فنون النعم التى من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتذكير
صفات الانعام (ونقدس) تقديسا (لك) اى نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق بك فاللام
للبيان كما فى سقيا لك متعلقة بمصدر محذوف ويجوز ان تكون مزيدة اى نقدسك قال فى التيسير التسبيح نفى
ما لا يليق به والتقديس اثبات ما يليق به وقال الشيخ داود القيصرى قدس سره التسبيح اعم من التقديس لانه
تنزيه الحق عن نقائص الامكان والحدوث والتقديس تنزيهه عنها وعن الكمالات اللازمة للاكوان لانها
من حيث اضافتها الى الاكوان تخرج عن اطلاقها وتقع فى نقائص التقييد انتهى وكانه قيل اتستخلف
من من شأن ذريته الفساد مع وجود من ليس من شأنه ذلك اصلا والمقصود عرض احقيتهم منهم بالخلافة
والاستفسار عما رجح بنى آدم عليهم مع ما هو متوقع منهم من الفساد وكانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل
(قال) الله (انى اعلم ما لا تعلمون) من الحكمة والمصلحة باستخلاف آدم عليه السلام وان من ذريته الطائع
والعاصى فيظهر الفضل والعدل فلا تعترضوا على حكمى وتقديرى ولا تستكشفوا عن غيبة تدبيرى فليس
كل مخلوق يطلع على غيب الخالق ولا كل احد من الرعية يقف على سر الملك وفى الاية تنبيه للسالك بان يتأدب
بين يدى الحق تعالى وخلفائه والمشايخ والعلماء لئلا يظهر بالانانية واظهار العلم عندهم لانه سالك لطريق الفناء
والفانى لا يكون كطاووس تعشق بنفسه واعجب بذاته بل لا يرى وجوده اصلا فقد وعظنا الله تعالى بزجره
للملائكة بقوله انى اعلم ما لا تعلمون (قال السعدى) نرود مرغ سوى دانه فراز * چون دكر مرغ
بيند اندر بند * پند كير از مصائب دكران * تا نكيرند ديكران ز تو پند * وفى التأويلات النجمية
واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة انما قال جاعل وما قال خالق لمعنيين احدهما ان الجاعلية
اعم من الخالقية فان الجاعلية هى الخالقية وشىء آخر وهو ان يخلقه موصوفا بصفة الخلافة اذ ليس لكل احد
هذا الاختصاص كما قال تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض اى خلقناك مستعدا للخلافة فاعطيناكها
والثانى ان للجعلية اختصاصا بعالم الامر وهو الملكوت وهو ضد عالم الخلق لانه هو عالم الاجسام والمحسوسات
كما قال تعالى ألا له الخلق والامر اى الملك والملكوت فانه تعالى حيث ذكر ما هو مخصوص بعالم الامر
ذكر بالجعلية لامتياز الامر عن الخلق كما قال تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات
والنور فالسموات والارض لما كانتا من الاجسام المحسوسات ذكرهما بالخلقية والظلمات والنور لما كانتا
من الملكوتيات غير المحسوسات ذكرهما بالجعلية وانما قلنا الظلمات والنور من الملكوتيات لقوله تعالى
الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فانما هى من الملكوتيات لا من المحسوسات والظلمات والنور
التى من المحسوسات فانها داخلة فى السموات والارض فافهم جدا فكذلك لما اخبر الله تعالى عن آدم بما يتعلق
بجسمانيته ذكره بالخلقية كما قال انى خالق بشرا من طين ولما اخبر عما يتعلق بروحانيته ذكره بالجعلية وقال انى
جاعل فى الارض خليفة وفى انى جاعل اشارة اخرى وهو اظهار عزة آدم عليه السلام على الملائكة لينظروا اليه
بنظر التعظيم ولا ينكروا عليه بما يظهر منه ومن اولاده من اوصاف البشرية فانه تعالى يقول ولذلك خلقهم
وسماه خليفة وما شرف شيأ من الموجودات بهذه الخلقة والكرامة وانما سمى خليفة لمعنيين احدهما انه يخلف

عن جميع المخلوقات ولا يخلفه المكونات باسرها وذلك لان الله جمع فيه ما فى العوالم كلها من الروحانيات
والجسمانيات والسماويات والارضيات والدنيويات والاخرويات والجمادات والنباتات والحيوانيات
والملكوتيات فهو بالحقيقة خليفة كل واكرمه باختصاص كرامة ونفخت فيه من روحى وما اكرم بها احدا
من العالمين واشار الى هذا المعنى بقوله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم فلهذا الاختصاص ما صلح الموجودات
كلها ان تكون خليفة لادم ولا للحق تعالى والثانى انه يخلف وينوب عن الله صورة ومعنى اما صورة موجودة
فى الظاهر يخلف عن وجود الحق فى الحقيقة لان وجود الانسان يدل على وجود موجده كالبناء يدل على
وجود البانى ويخلف وحدانية الانسان وحدانية الحق وذاته عن ذاته وصفاته عن صفاته فيخلف حياته عن
حياته وقدرته عن قدرته وارادته عن ارادته وسمعه عن سمعه وبصره عن بصره وكلامه عن كلامه وعلمه عن علمه
ولا مكانية روحه عن لا مكانيته ولا جهتيته عن لا جهتيته فافهم ان شاء الله تعالى وليس لنوع من المخلوقات
ان يخلف عنه كما يخلف آدم وان كان فيهم بعض هذه لانه لا يجتمع صفات الحق فى احد كما يجتمع فى الانسان
ولا يتجلى صفة من صفاته لشئ كما يتجلى لمرآة قلب الانسان وصفاته واما الحيوانات فانه وان كان لها بعض
هذه الصفات ولكن ليس لها علم بوجود موجدها واما الملائكة فانهم وان كانوا عالمين بوجود موجدهم
ولكن لا يبلغ حد علمهم الى ان يعرفوا انفسهم بجميع صفاتها ولا الحق بجميع صفاته ولذا قالوا سبحانك لا علم
لنا الا ما علمتنا وكان الانسان مخصوصا بمعرفة نفسه بالخلافة وبمعرفة جميع اسماء الله تعالى واما معنى فليس
فى العالم مصباح يستضئ بنار نور الله فيظهر انوار صفاته فى الارض خلافة عنه الا مصباح الانسان فانه
مستعد لقبول فيض نور الله لانه اعطى مصباح السر فى زجاجة القلب والزجاجة فى مشكاة الجسد
وفى زجاجة القلب زيت الروح يكاد زيتها يضئ من صفات العقل ولو لم تمسسه نار النور وفى مصباح السر
فتيلة الخفى فاذا اراد الله ان يجعل فى الارض خليفة يتجلى بنور جماله لمصباح السر الانسانى فيهدى لنوره
فتيلة خفى من يشاء فيستنير مصباحه بنار نور الله فهو على نور من ربه فيكون خليفة الله فى ارضه فيظهر انوار
صفاته فى هذا العالم بالعدل والاحسان والرأفة والرحمة لمستحقيها وبالعزة والقهر والغضب والانتقام لمستحقيها
كما قال تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن
سبيل الله وقال لحبيبه عليه السلام بالمؤمنين رؤف رحيم وقال فى حقه وحق المؤمنين محمد رسول الله والذين
معه اشداء على الكفار رحماء بينهم ولا يظهر هذه الصفات لا على الحيوان ولا على الملك وناهيك عن هذا حال
هاروت وماروت لما انكرا على ذرية آدم من اتباع الهوى والقتل والظلم والفساد وقالا لو كنا بدلا منهم خلفاء
الارض ما كنا نفعل مثل ما يفعلون فالله تعالى انزلهما الى الارض والبسهما لباس البشرية وامرهما
ان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير حق والزنى وشرب الخمر قال قتادة فما مر عليهما
شهر حتى افتتنا فشربا الخمر وسفكا الدم وزنيا وقتلا وسجدا للصنم فثبت ان الانسان مخصوص بالخلافة وقبول
فيضان نور الله فلو كان للملائكة هذه الخصوصية لم يفتتنا بهذه الاوصاف المذمومة الحيوانية والسبعية
كما كان الانبياء عليهم السلام معصومين عن مثل هذه الآفات والاخلاق وان كانت لازمة لصفاتهم البشرية
ولكن بنور التجلى تنور مصباح قلوبهم واستنار بنور قلوبهم جميع مشكاة جسدهم ظاهرا وباطنا واشرقت
الارض بنور ربها فلم يبق لظلمات هذه الصفات مجال الظهور مع استعلاء النور فالملائكة من بدو الامر لما نظروا
الى جسد آدم شاهدوا ظلمات البشرية والحيوانية والسبعية فى ملكوت الجسد بالنظر الملكوتى الملكى ولم تكن
تلك الصفات غائبة عن نظرهم قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقولهم هذا يدل على معان مختلفة
منها ان الله انطقهم بهذا القول ليتحقق لنا ان هذه الصفات الذميمة فى طينتنا مودعة وجبلتنا مركبة فلا نأمن
من مكر انفسنا الامارة بالسوء ولا نعتمد عليها ولا نبرئها كما قال تعالى حكاية عن قول يوسف عليه السلام
وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى ومنها لنعلم ان كل عمل صالح نعمله هو بتوفيق الله ايانا
وفضله ورحمته وكل فساد وظلم نعمله هو من شؤم طبيعتنا وخاصية طينتنا كما قال تعالى ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وكل فساد وظلم لا يجرى علينا ولا يصدر منا فذلك من حفظ الحق وعصمة
الرب لقوله الا ما رحم ربى ومنها لنعلم ان الله تعالى من كمال فضله وكرمه قد قبلنا بالعبودية والخلافة وقال من

حسن عنايته فى حقنا مع الملائكة المقربين انى اعلم ما لا تعلمون لكيلا نقنط من رحمته وننقطع عن خدمته ومنها
لنعلم ان فساد الاستعداد امر عظيم وبناء جسيم ومبنى الخلافة على الاستعداد والقابلية وليس للملائكة هذا
الاستعداد والقابلية فلا نتغافل عن هذه السعادة ونسعى فى طلبها حق السعاية ومنها ان الملائكة انما قالوا اتجعل
فيها الخ لانهم نظروا الى جسد آدم قبل نفخ الروح فشاهدوا بالنظر الملكى فى ملكوت جسده المخلوق من العناصر
الاربعة المتضادة صفات البشرية والبهيمية والسبعية التى تتولد من تركيب اضداد العناصر كما شاهدوها
فى اجساد الحيوانات والسباع الضاريات بل عاينوها فانها خلقت قبل آدم فقاسوا عليها احواله بعد ان
شاهدوها وحققوها وهذا لا يكون غيبا فى حقهم وانما يكون غيبا لنا لانا ننظر بالحس والملكوت يكون لاهل
الحس غيبا ومنا من ينظر بالنظر الملكوتى فيشاهد الملائكة والملكوتيات بالنظر الروحانى كما قال تعالى وكذلك
نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وقال اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض فحينئذ لا يكون
غيبا فالغيب ما غاب عنك وما شاهدته فهو شهادة فالملكوت للملائكة شهادة والحضرة الالهية لهم غيب
وليس لهم الترقى الى تلك الحضرة وان فى الانسان صورة من عالم الشهادة المحسوسة وروحا من عالم الغيب
الملكوتى غير المحسوس وسرا مستعد القبول فيض الانوار الالهية فبالتربية يترقى من عالم الشهادة الى عالم الغيب
وهو الملكوت وبسر المتابعة وخصوصيتها يترقى من عالم الملكوت الى عالم الجبروت والعظموت وهو غيب الغيب
ويشاهد بنور الله المستفاد من سر المتابعة انوار الجمال والجلال فيكون فى خلافة الحق عالم الغيب والشهادة
كما ان الله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه اى الغيب المخصوص به وهو غيب الغيب احدا يعنى من الملائكة
الا من ارتضى من رسول يعنى من الانسان فهذا هو السر المكتوب المركوز فى استعداد الانسان الذى كان الله
يعلم منه والملائكة لا يعلمونه كما قال تعالى انى اعلم ما لا تعلمون ومنها ان الملائكة لما نظروا الى كثرة طاعتهم
واستعداد عصمتهم ونظروا الى نتايج الصفات النفسانية استعظموا انفسهم واستصغروا آدم وذريته فقالوا
اتجعل فيها يعنى فى الارض خليفة مع انه يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك يعنى نحن
لهذه الاوصاف احق بالخلافة منه كما قال بنو اسرائيل حين بعث الله لهم طالوت ملكا قالوا انى يكون
له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال فاجابهم الله تعالى بان استحقاق الملك ليس بالمال
انما هو بالاصطفاء وبسطة فى العلم والجسم وقال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى
ملكه من يشاء فكذلك هنا اجابهم الله تعالى بقوله انى اعلم ما لا تعلمون اجمالا ثم فصله بقوله ان الله اصطفى آدم
وبقوله وعلم آدم الاسماء كلها وبقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى ليعلموا ان استعداد ملك الخلافة
واستحقاقها ليس بكثرة الطاعات ولكنه مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك عمن تشاء وتعز من تشاء وتذل
من تشاء فلما تفاخر الملائكة بطاعتهم على آدم من الله تعالى على آدم بعلم الاسماء ليعلموا انهم ولو كانوا اهل الطاعة
والخدمة فانه اهل العقل والمنة واين اهل الخدمة من اهل المنة فبتفاخرهم على آدم صاروا ساجدين له ليعلموا
ان الحق تعالى مستغن عن طاعتهم وبمنته على آدم صار مسجودا لهم ليعلموا ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
وفى قوله انى اعلم ما لا تعلمون اشارة اخرى الى انه كما يدل على ان لادم فضائل لا يعلمها الملائكة فكذلك له رذائل
واوصاف مذمومة لا يعلمها الملائكة لانهم لا يعلمون منه اوصافا مذمومة هى من نتايج قالبه مشتركة
مع الحيوانات مودعة فى ملكوته بغير اوصاف مذمومة تكون من نتايج النفس الامارة عند تتابع نظر الروح
الى النفس حالة استعمال الشرع من العجب والرياء والسمعة والحسبان واشتراء الحياة الدنيا بالاخرة والابتداع
والزيغوغة واعتقاد السوء وغير ذلك مما لا يشاركه الحيوانات فيه انتهى ما فى التأويلات (وعلم آدم الاسماء كلها)
قال وهب ابن منبه لما اراد الله ان يخلق آدم اوحى الى الارض اى افهمها والهمها انى جاعل منك خليفة فمنهم
من يطيعنى فادخله الجنة ومنهم من يعصينى فادخله النار فقالت الارض منى تخلق خلقا يكون للنار قال نعم
فبكت فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة وبعث اليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من زواياها الاربع
من اسودها وابيضها واحمرها واطيبها واخبثها وسهلها وصعبها وجبلها فلما اتاها جبريل ليقبض منها قالت
الارض بالله الذى ارسلك لا تأخذ منى شيأ فان منافع التقرب الى السلطان كثير ولكن فيه خطر عظيم كما قيل
بدريا در منافع بيشمارست * اكر خواهى سلامت دركنارست * فرجع جبريل عليه السلام الى مكانه

ولم يأخذ منها شيأ فقال يارب حلفتني الارض باسمك العظيم فكرهت ان اقدم عليها فارسل الله ميكائيل عليه السلام فلما انتهى اليها قالت الارض له كما قالت لجبريل فرجع ميكائيل فقال كما قال جبريل فارسل الله اسرافيل عليه السلام وجاء ولم يأخذ منها شيأ وقال مثل ما قال جبريل وميكائيل فارسل الله ملك الموت فلما انتهى قالت الارض اعوذ بعزة الله الذي ارسلك ان تقبض مني اليوم قبضة يكون للنار فيها نصيب غدا فقال ملك الموت وانا اعوذ بعزته ان اعصى له امرا فقبض قبضة من وجه الارض مقدار اربعين ذراعا من زواياها الاربع سهلها وحزنها فلذلك يأتي بنوه اخيافا اي مختلفين على حسب اختلاف الوان الارض واوصافها فمنهم الابيض والاسود والاحمر واللين والغليظ فصار كل ذرة من تلك القبضة اصل بدن للانسان فاذا مات يدفن في الموضع الذي اخذت منه ثم صعد الى السماء فقال الله له اما رحمت الارض حين تضرعت اليك فقال رأيت امرك اوجب من قولها فقال انت تصلح لقبض ارواح ولده قال في روضة العلماء فشكت الارض الى الله تعالى وقالت يارب نقص مني قال الله علي ان ارد اليك احسن واطيب ما كان فمن ثم يحنط الميت بالمسك والغالية انتهى فامر الله تعالى عزرائيل فوضع ما اخذ من الارض في وادي نعمان بين مكة والطائف بعد ما جعل نصف تلك القبضة في النار ونصفها في الجنة فتركها الى ما شاء الله ثم اخرجها ثم امطر عليها من سحاب الكرم فجعلها طينا لازبا وصور منه جسد آدم واختلفوا في خلقة آدم عليه السلام فقيل خلق في سماء الدنيا وقيل في جنة من جنات الارض بغربيها كالجنة التي يخرج منها النيل وغيره من الانهار واكثر المفسرين انه خلق في جنة عدن ومنها اخرج كما في كشف الكنوز وفي الحديث القدسي خمرت طينة آدم بيدي اربعين صباحا يعني اربعين يوما كل يوم منه الف عام من اعوام الدنيا فتركه اربعين سنة حتى يبس وصار صلصالا وهو الطين المصوت من غاية يبسه كالفخار فامطر عليه مطر الحزن تسعا وثلاثين سنة ثم امطر عليه مطر السرور سنة واحدة فلذلك كثرت الهموم في بني آدم ولكن يصير عاقبتها الى الفرح كما قيل ان لكل بداية نهاية وان مع العسر يسرا * ان مع العسر چو يسرش قفاست * شاد برانم كه كلام خداست * وكانت الملائكة يمرون عليه ويتعجبون من حسن صورته وطول قامته لان طوله كان خمسمائة ذراع الله اعلم باي ذراع وكان رأسه يمس السماء ولم يكونوا رأوا قبل ذلك صورة تشابهها فمر به ابليس فرآه ثم قال لامر ما خلقت ثم ضرب بيده فاذا هو اجوف فدخل فيه وخرج من دبره وقال لاصحابه الذين معه من الملائكة هذا خلق اجوف لا يثبت ولا يتماسك ثم قال لهم ارأيتم ان فضل هذا عليكم ما انتم فاعلون قالوا نطيع ربنا فقال ابليس في نفسه والله لا اطيعه ان فضل علي ولئن فضلت عليه لاهلكنه * عاقبت گرگ زاده گرگ شود * وجمع بزاقه في فمه والقى عليه فوقع بزاق اللعين على موضع سرة آدم عليه السلام فامر الله جبريل فقور بزاق اللعين من بطن آدم فحفرة السرة من تقوير جبريل وخلق الله من تلك القوارة كلبا وللكلب ثلاث خصال فانسه بادم لكونه من طينه وطول سهره في الليالي من اثر مس جبريل عليه السلام وعضه الانسان وغيره واذاه من غير خيانة من اثر بزاق اللعين وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة وسمي بادم لكونه من اديم الارض لانه مؤلف من انواع ترابها ولما اراد الله ان ينفخ فيه الروح امره ان يدخل فيه فقال الروح موضع بعيد القعر مظلم المدخل فقال له ثانيا ادخل فقال كذلك فقال له ثالثا فقال كذلك فقال ادخل كرها اي بلا رضى واخرج كرها ولذا لا يخرج الروح عن البدن الا كرها فلما نفخه فيه مار في رأس آدم وجبينه واذنيه ولسانه ثم مار في جسده كله حتى بلغ قدميه فلم يجد منفذا فرجع منخريه فعطس فقال له ربه قل الحمد لله رب العالمين فقالها ادم فقال يرحمك الله ولذلك خلقتك يا آدم فلما انتهى الى ركبتيه اراد الوثوب فلم يقدر فلما بلغ قدميه وثب فقال تعالى وخلق الانسان عجولا فصار بشرا لحما ودما وعظاما وعصبا واحشاء ثم كساه لباسا من ظفر يزداد جسده في كل يوم وهو في ذلك منطق متوج وجعل في جسده تسعة ابواب سبعة في رأسه اذنين يسمع بهما وعينين يبصر بهما ومنخرين يجد بهما كل رائحة وفما فيه لسان يتكلم به وحنك يجد به طعم كل شيء وبابين في جسده وهما قبله ودبره يخرج منهما ثقل طعامه وشرابه وجعل عقله في دماغه وشرهه في كليتيه وغضبه في كبده وشجاعته في قلبه ورغبته في رئته وضحكه في طحاله وفرحه وحزنه في وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم فلما سواه ونفخ فيه من روحه علمه اسماء الاشياء كلها اي الهمه فوقع في قلبه فجرى على لسانه بما في قلبه بتسمية الاشياء من عنده فعلمه جميع

اسماء المسميات بكل اللغات بان اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية وعلمه اسماء الملائكة واسماء ذريته كلهم واسماء الحيوانات والجمادات وصنعة كل شيء واسماء المدن والقرى واسماء الطير والشجر وما يكون وكل نسمة يخلقها الى يوم القيامة واسماء المطعومات والمشروبات وكل نعيم في الجنة واسماء كل شيء حتى القصعة والقصيعة وحتى الجفنة والمحلب قال في كشف الكنوز اتفق جم غفير من اهل العلم ان الاسماء كلها توقيفية من الله تعالى بمعنى ان الله تعالى خلق لادم علما ضروريا بمعرفة الالفاظ والمعاني وان هذه الالفاظ موضوعة لتلك المعاني وفي الخبر لما خلق الله آدم بث فيه اسرار الاحرف ولم يبث في احد من الملائكة فخرجت الاحرف على لسان آدم بفنون اللغات فجعلها الله صورا له ومثلث له بانواع الاشكال وفي الخبر علمه سبعمائة الف لغة فلما وقع في اكل الشجرة سلب اللغات الا العربية فلما اصطفاه بالنبوة رد الله عليه جميع اللغات فكان من معجزاته تكلمه بجميع اللغات المختلفة التي يتكلم بها اولاده الى يوم القيامة من العربية والفارسية والرومية والسريانية واليونانية والعبرانية والزنجية وغيرها قال بعض المفسرين علم الله آدم الف حرفة من المكاسب ثم قال قل لاولادك ان اردتم الدنيا فاطلبوها بهذه الحرف ولا تطلبوها بالدين واحكام الشرائع وكان آدم حراثا اي زراعا ونوح نجارا وادريس خياطا وصالح تاجرا وداود زرادا وسليمان كان يعمل الزنبيل في سلطنته ويأكل من ثمنه ولا يأكل من بيت المال وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة وكان اكثر عمله صلى الله تعالى عليه وسلم في البيت الخياطة وفي الحديث عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الابرار من النساء الغزل كذا في روضة الاخيار وقال العلماء الاسماء في قوله تعالى وعلم آدم الاسماء تقتضي الاستغراق واقتران قوله كلها يوجب الشمول فكما علمه اسماء المخلوقات علمه اسماء الحق تعالى فاذا كان تخصيصه بمعرفة اسماء المخلوقات يقتضي ان يصح سجود الملائكة له فما الظن بتخصيصه بمعرفة اسماء الحق وما الذي يوجب له (ثم عرضهم على الملائكة) اي عرضها اي المسميات وانما ذكر الضمير لان في المسميات العقلاء فغلبهم والعرض اظهار الشيء للغير ليعرف العارض منه حاله وفي الحديث انه عرضهم امثال الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من افراد كل نوع ما يصلح ان يكون انموذجا يتعرف منه احوال البقية واحكامها والحكمة في التعليم والعرض تشريف آدم واصطفاؤه واظهاره الاسرار والعلوم المكنونة في غيب علمه تعالى على لسان من يشاء من عباده وهو المعلم المكرم آدم الصفي كيلا يحتجب الملك وغيره بعلمه ومعرفته وذلك رحمة الله التي وسعت كل شيء (فقال) الله عز وجل تبكيتا وتعجيزا للملائكة وخطاب التعجيز جائز وهو الامر باتيان الشيء ولم يكن اتيانه مرادا ليظهر عجز المخاطب وان كان ذلك محالا كالامر باحياء الصورة التي يفعلها المصورون يوم القيامة ليظهر عجزهم ويحصل لهم الندم ولا ينفعهم الندم (انبئوني) اي اخبروني (باسماء هؤلاء) الموجودات (ان كنتم صادقين) في زعمكم انكم احقاء بالخلافة ممن استخلفته كما ينبىء عنه مقالكم ويقال هذه الاية دليل على ان اولى الاشياء بعد علم التوحيد تعلم علم اللغة لانه تعالى اراهم فضل آدم بعلم اللغة ودلت ايضا ان المدعي يطالب بالحجة فان الملائكة ادعوا الفضل فطولبوا بالبرهان وبحثوا عن الغيب فقرعوا بالعيان اي لا تعلمون اسماء ما تعاينون فكيف تتكلمون في فساد من لا تعاينون فيا ارباب الدعاوى اين المعاني ويا ارباب المعرفة اين المحبة ويا ارباب المحبة اين الطاعة قال ابو بكر الواسطي من المحال ان يعرفه العبد ثم لا يحبه ومن المحال ان يحبه ثم لا يذكره ومن المحال ان يذكره ثم لا يجد حلاوة ذكره ومن المحال ان يجد حلاوة ذكره ثم يشتغل بغيره (قالوا) استئناف واقع موقع الجواب كانه قيل فماذا قالوا حينئذ هل خرجوا عن عهدة ما كلفوه اولا فقيل قالوا (سبحانك) اي نسبحك عما لا يليق بشأنك الاقدس من الامور التي من جملتها خلو افعالك من الحكم والمصالح وهي كلمة تقدم على التوبة قال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وسبحان اسم واقع موقع المصدر لا يكاد يستعمل الا مضافا فاذا افرد عن الاضافة كان اسما علما للتسبيح لا ينصرف للتعريف والالف والنون في آخره (لا علم لنا الا ما علمتنا) اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا اذ معناه لا علم لنا الا ما علمتنا بحسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة لنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا حتى لو كنا

كقولك لا اعلم بدل من موضع لا علم ومحله رفع عالمنا الاعلما ای مصدرية وما علينا افضته لا لذلك مستعدين
لا اله الا الله (انك انت) ضمير فصل لا محل له من الاعراب (العليم) الذى لا يخفى عليه خافية وهذه اشارة
الى تحقيقهم لقوله تعالى انى اعلم ما لا تعلمون (الحكيم) المحكم لمبتدعاته والذى لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة
وافادت الاية ان العبد ما ينبغى له ان يغفل عن نقصانه وعن فضل الله واحسانه ولا يأنف ان يقول لا اعلم
فيما لا يعلم ولا يكتم فيما يعلم وقالوا لا ادرى نصف العلم وسئل ابو يوسف القاضى عن مسئلة فقال لا ادرى فقالوا له
ترزق من بيت المال كل يوم كذا كذا ثم تقول لا ادرى فقال انما ارتزق بقدر علمى ولو اعطيت بقدر جهلى
لم يسعنى مال الدنيا (وحكى) ان عالما سئل عن مسئلة وهو فوق المنبر فقال لا ادرى فقيل له ليس المنبر موضع
الجهال فقال انما علوت بقدر علمى ولو علوت بقدر جهلى لبلغت السماء (قال) استئناف ايضا (يا آدم انبئهم)
اى اعلمهم (باسمائهم) التى عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها (فلما انباهم باسمائهم)
روى انه رفع على منبر وامر ان ينبى الملائكة بالاسماء فلما انبأهم بها وهم جلوس بين يديه وذكر منفعة كل شئ
(قال) الله تعالى (الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض) والاستفهام للتقرير اى قد قلت لكم انى اعلم
ما غاب فيهما ولا دليل عليه ولا طريق اليه (واعلم ما تبدون) تظهرون من قولكم اتجعل فيها من يفسد فيها الاية
(وما كنتم تكتمون) تسرون من قولكم لن يخلق الله خلقا اكرم عليه منا وهو استحضار لقوله تعالى انى اعلم
ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفى عليهم من امور السموات
والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى
من السؤال وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وهذه الايات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله
على العبادة لان الملائكة اكثر عبادة من آدم ومع ذلك لم يستحقوا الخلافة وتدل على ان العلم شرط فى الخلافة
بل العمدة فيها وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى قل هل يستوى الذين
يعلمون والذين لا يعلمون فالعلم اشرف جوهرا ولكن لا بد للعباد من العبادة مع العلم فان العلم بمنزلة الشجرة
والعبادة بمنزلة الثمرة فالشرف للشجرة وهو الاصل لكن الانتفاع بثمرته وفى حديث ابى ذر رضى الله عنه حضور
مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة فقيل يا رسول الله او من قراءة
القرءآن قال وهل ينفع القرءآن الا بالعلم (قال فى المثنوى) خاتم ملك سليمانست علم * جمله عالم صورت
وجانست علم * وفى الحديث النظر الى وجه الوالد عبادة والنظر الى الكعبة المكرمة عبادة والنظر فى المصحف
عبادة والنظر فى وجه العالم عبادة من زار عالما فكانما زارنى ومن صافح عالما فكانما صافحنى ومن جالس عالما
فكانما جالسنى ومن جالسنى فى الدنيا اجلسه الله معى يوم القيامة وفى الحديث من اراد ان ينظر الى عتقاء الله
من النار فلينظر الى المتعلمين فوالذى نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف اى يذهب ويجئ الى باب العالم الا كتب
الله له بكل قدم عبادة سنة ويبنى بكل قدم مدينة فى الجنة ويمشى على الارض والارض تستغفر له ويمسى ويصبح
مغفورا له وفى التأويلات النجمية وعلم آدم الاسماء كلها الاسماء على ثلاثة اقسام قسم منها اسماء الروحانيات
والملكوتيات وهى مقام الملائكة ومرتبتهم فلهم علم ببعضها واستعداد ايضا لان ينبئوا ما لا علم لهم بها
فان الروحانيات والملكوتيات لهم شهادة كالجسمانيات لنا والقسم الثانى منها اسماء الجسمانيات وهى مرتبة
دون مرتبتهم فيمكن انباؤهم لان الجسمانيات لهم كالحيوانات بالنسبة الينا فانها مرتبة دون مرتبة الانسان
فيمكن للانسان الانباء باحوالها والقسم الثالث منها الالهيات وهى مرتبة فوق مرتبة الملائكة كما قال تعالى
يخافون ربهم من فوقهم فلا يمكن للانسان ان ينبئهم بها ولا يمكن لهم الانباء فوق ما علمهم الله منها لانها غيبهم
وليس لهم الترقى الى عالم الغيب وهو عالم الجبروت وهم اهل الملكوت ولهم مقام معلوم لا يتجاوزون عنه كما قال
جبريل عند سدرة المنتهى لو دنوت انملة لاحترقت وانما كان آدم مخصوصا بعلم الاسماء لانه خلاصة العالم وكان
روحه بذر شجرة العالم وشخصه ثمرة شجرة العالم ولهذا اخلق شخصه بعد تمام ما فيه كخلق الثمرة بعد تمام الشجرة
كان الثمرة تعبر عن اجزاء الشجرة كلها حتى تظهر على اعلى الشجرة كذلك آدم عبر على اجزاء شجرة الموجودات
علوها وسفلها وكان فى كل جزء من اجزائها له منفعة ومضرة ومصلحة ومفسدة فسمى كل شئ منها باسم يلائم تلك
المنفعة والمضرة بعلم علمه الله تعالى وهذا من جملة ما كان الله يعلم من آدم والملائكة لا يعلمون وكان من كمال حال

آدم ان اسماء الله تعالى جاءت على منفعته ومضرته فضلا عن اسماء غيره وذلك انه لما كان مخلوقا كان الله خالقا
ولما كان مرزوقا كان الله رازقا ولما كان عبدا كان الله معبودا ولما كان معيوبا كان الله ستارا ولما كان مذنبا
كان الله غفارا ولما كان تائبا كان الله توابا ولما كان منتفعا كان الله نافعا ولما كان متضررا كان ضارا ولما كان
ظالما كان الله عدلا ولما كان مظلوما كان الله منتقما فعلى هذا فقس الباقى (واذ قلنا) اى اذكر يا محمد وقت قولنا
(للملائكة) اى لجميعهم لقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون (اسجدوا لادم) اى خروا له والسجود
فى الاصل تذلل مع تطامن وفى الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعى فالمسجود له
فى الحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشأنه واما المعنى اللغوى وهو التواضع لادم تحية
وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له وكان سجود التحية جائزا فيما مضى ثم نسخ بقوله عليه السلام لسلمان حين
اراد ان يسجد له لا ينبغى لمخلوق ان يسجد لاحد الا الله تعالى ولو امرت احدا ان يسجد لاحد امرت المرأة
ان تسجد لزوجها فتحية هذه الامة هى السلام لكن يكره الانحناء لانه يشبه فعل اليهود كما فى الدرر وكان هذا
القول الكريم بعد انبائهم بالاسماء قيل لما خلق آدم اشكل عليهم ان آدم اعلم ام هم فلما سألهم عن الاسماء
فلم يعرفوا وسأل آدم فاخبر بها ظهر لهم ان آدم اعلم منهم ثم اشكل عليهم انه افضل ام هم فلما امرهم بالسجود
ظهر لهم فضله ومن لطف الله تعالى بنا ان امر الملائكة بالسجود لابينا ونهانا عن السجود لغيره فقال لا تسجدوا
للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن نقل الملائكة المقربين الى آدم وسجدته ونقلنا الى سجدته وخدمته
وفى التأويلات النجمية فى قوله اسجدوا ثلاثة معان احدها انكم تسجدون لله بالطبيعة الملكية والروحانية
اسجدوا لادم خلافا للطبيعة بل اعبدوا رقا انقيادا للامر وامتثالا للحكم والثانى اسجدوا لادم تعظيما لشأن
خلافته وتكريما لفضيلته المخصوصة به وذلك لان الله تعالى يتجلى فيه فمن سجد له فقد سجد لله كما قال تعالى
فى حق حبيبه عليه السلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله والثالث اسجدوا لادم اى لاجل آدم وذلك
لان طاعتهم وعبادتهم ليست بموجبة لثوابهم وترقى درجاتهم وفائدتها راجعة الى الانسان لمعنيين احدهما
ان الانسان يقتدى بهم فى الطاعة ويتأدب بادابهم فى امتثال الاوامر وينزجر عن الاباء والاستكبار كيلا
يلحقه اللعن والطرد كما لحق بابليس ويكون مقبولا محمودا مكرما كما كان الملائكة فى امتثال الامر لقوله تعالى
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون والثانى ان الله تعالى من كمال فضله ورحمته مع الانسان جعل
همة الملائكة فى الطاعة والتسبيح والتحميد مقصورة على استعداد المغفرة للانسان كما قال تعالى والملائكة
يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض فلذلك امرهم بالسجود لاجلهم وليستغفروا لهم (فسجدوا)
اى سجد الملائكة لانهم خلقوا من نور كما قال عليه السلام خلقت الملائكة من نور والنور من شانه الانقياد
والطاعة واول من سجد جبرائيل فاكرم بانزال الوحى على النبيين وخصوصا على سيد المرسلين ثم ميكائيل
ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة وقيل اول من سجد اسرافيل فرفع رأسه وقد ظهر كل القرءآن مكتوبا
على جبهته كرامة له على سبقه الى الائتمار والفاء فى قوله فسجدوا لافادة مسارعتهم الى الامتثال وعدم تلعثمهم
فى ذلك (الا ابليس) اى ما سجد لانه خلق من النار والنار من شأنها الاستكبار وطلب العلو طبعا وللعلماء
فى هذا الاستثناء قولان الاول انه استثناء متصل لان ابليس كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة
مغمورا بهم متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه فى قوله فسجدوا ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم واكثر المفسرين
على ان ابليس من الملائكة لان خطاب السجود كان مع الملائكة قال البغوى وهو اصح قال فى التيسير
اما وصف الملائكة بانهم لا يعصون ولا يستكبرون فذلك دليل تصور العصيان منهم ولولا التصور
لما مدحوا به لكن طاعتهم طبع وعصيانهم تكلف وطاعة البشر تكلف ومتابعة الهوى منهم طبع
ولا يستنكر من الملائكة تصور العصيان فقد ذكر من هاروت وماروت ما ذكر (قال فى المثنوى)
امتحان مى كردشان زير وزبر * كى بود سرمست را زينها خبر * والقول الثانى انه منقطع لانه لم يكن
من الملائكة بل كان من الجن بالنص قال تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه وعن الحافظ ان الجن والملائكة
جنس واحد فمن طهر منهم فهو ملك ومن خبث فهو شيطان ومن كان بين بين فهو جن (ابى) اى امتنع
عما امر به من السجود والاباء امتناع باختيار (واستكبر) اى تعظم واظهر كبره ولم يتخذه وصلة فى عبادة ربه

اوتعظيمه وتلقيبه بالتحية والتكبراى ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع اى بالتزين
بالباطل وبما ليس له وتقديم الاباء على الاستكبار مع كونه مسببا عنه لظهوره ووضوح اثره (قال فى المثنوى)

اين تكبر جيست غفلت ازلباب * منجمد جون غفلت يخ زآفتاب * جون خبرشد زآفتابش
يخ نماند * نرم كشت وكرم كشت وتيز راند *

قالوا لما سجد الملائكة امتنع ابليس ولم يتوجه الى آدم
بل ولاه ظهره وانتصب هكذا الى ان يسجدوا وبقوا فى السجود مائة سنة وقيل خمسمائة سنة ورفعوا رؤسهم
وهو قائم معرض لم يندم من الامتناع ولم يعزم على الاتباع فلما رأوه عدل ولم يسجد وهم وفقوا للسجود فسجدوا
لله تعالى ثانيا فصار لهم سجدتان سجدة لآدم وسجدة لله تعالى وابليس يرى ما فعلوه وهذا اباؤه فغير الله تعالى
صفته وحالته وصورته وهيئته ونعمته فصار اقبح من كل قبيح قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم قال بعضهم جعل ممسوخا على مثال جسد الخنازير ووجهه كالقردة وللشيطان نسل وذرية
والممسوخ وان كان لا يكون له نسل لكن لما سأل النظرة وانظر صار له نسل وفى الخبر قيل له من قبل الحق اسجد
لقبر آدم اقبل توبتك واغفر معصيتك فقال ما سجدت لقالبه وجثته فكيف اسجد لقبره وميتته وفى الخبر
ان الله تعالى يخرجه على رأس مائة الف سنة من النار ويخرج آدم من الجنة ويأمره بالسجود لآدم فيأبى
ثم يرد الى النار (وكان من الكافرين) اى فى علم الله تعالى او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم
اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوصل به كما اشعر به قوله انا خير منه
جوابا لقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده
ومذهب اهل السنة ان الشقى قد يسعد والسعيد قد يشقى فالكافر اذا اسلم كان كافرا الى وقت سلامه
وانما صار مسلما باسلامه الا انه غفر له ما سلف والمسلم اذا كفر والعياذ بالله كان مسلما الى ذلك الوقت
الا انه حبط عمله ثم انما قال من الكافرين ولم يكن حينئذ كافر غيره لانه كان فى علم الله ان يكون بعده كافرا
فذكر انه كان من الكافرين اى من الذين يكفرون بعده وهذا كما فى قوله فتكونا من الظالمين ومن فوائد الاية
استقباح الاستكبار وانه قد يفضى بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض فى سره وان الامر
للوجوب وان الذى علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتم وان كان
بحكم الحال مؤمنا وهى مسئلة الموافاة اى اعتبار تمام العمر الذى هو وقت الوفاة فاذا كان العبرة بالخاتمة
فليسارع العبد الى الطاعات فكل ميسر لما خلق له خصوصا فى آخر السنة وخاتمتها كى يختم له الدفتر بالعمل
الصالح قالت رابعة العدوية لسفيان الثورى رحمهما الله انما انت ايام معدودة فاذا ذهب يوم ذهب بعضك
ويوشك اذا ذهب البعض ان يذهب الكل وانت تعلم فاعمل فاعتبر ولا تقل ذهب لى درهم ودينار وسقط لى مال
وجاه بل قل ذهب يومى ماذا عملت فيه فان باليوم ينقضى العمر واحتضر عابد فقال ما تأسفى على دار الاحزان
وانما تأسفى على ليلة نمتها ويوم افطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله تعالى وعن العلاء بن زياد قال ليس يوم يأتى
من ايام الدنيا الا يتكلم ويقول يا ايها الناس انى يوم جديد وانا على ما يعمل فى شهيد وانى لو آبت شمسى لم ارجع
اليكم الى يوم القيامة قيل يا رسول الله من خير الناس قال من طال عمره وحسن عمله قيل فاى الناس شر
قال من طال عمره وساء عمله وخيف شره ولم يرج خيره قال الحسن لجلسائه يا معشر الشيوخ ما ينتظر بالزرع
اذا بلغ قالوا الحصاد قال يا معشر الشباب فان الزرع قد تدركه الآفة قبل ان يبلغ وانشد بعضهم

الا مهد لنفسك قبل موت * فان الشيب تمهيد الحمام
وقد جد الرحيل فكن مجدا * لحط الرحل فى دار المقام

وعن الحسن قال ابن آدم لا تحمل هم سنة على يوم كفى يومك بما فيه فان تكن السنة من عمرك يأتك الله فيها
برزقك والا تكن من عمرك فاراك تطلب ما ليس لك وعن ابى الدرداء رضى الله عنه قال ما طلعت شمس
الا وبجنبتيها ملكان يناديان انهما يسمعان من على ظهر الارض غير الثقلين يا ايها الناس هلموا الى ربكم
ان ما قل وكفى خير مما كثر والهى وما غربت شمس قط الا وبجنبتيها ملكان يناديان انهما يسمعان من على ظهر
الارض غير الثقلين اللهم عجل لمنفق خلفا وعجل لممسك تلفا (قال فى المثنوى) نان دهى از بهر حق نانت دهند *
جان دهى از بهر حق جانت دهند (وقلنا يا آدم اسكن انت) قال القرطبى فى تفسيره لا خلاف ان الله تعالى

اخرج ابليس عند كفره وابعده عن الجنة وبعد اخراجه قال يا آدم اسكن اى لازم الاقامة واتخذها مسكنا
وهو محل السكون وليس المراد به ضد الحركة بل اللبث والاستقرار (وزوجك) حواء يقال للمرأة الزوج
والزوجة والزوج افصح كما فى تفسير ابى الليث وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه
تبع له (الجنة) هى دار الثواب باجماع المفسرين خلافا لبعض المعتزلة والقدرية حيث قالوا المراد بالجنة
بستان كان فى ارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم واولوا الهبوط بالانتقال
منه الى ارض الهند كما فى قوله تعالى اهبطوا مصرا وفيه نظر لان الهبوط قد يستعار للانتقال اذا ظهر امتناع
حقيقة واستبعادها وهنالك ليس كذلك واختلفوا فى خلقة حواء هل كانت قبل دخول الجنة او بعده ويدل
على الاول ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه بعث الله جندا من الملائكة فحملوا آدم وحواء على سرير
من الذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ والزمرد وعلى آدم منطقة مكللة بالدر والياقوت حتى ادخلوهما الجنة
ويدل على الثانى ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه لما خلق الله الجنة واسكن فيها آدم بقى فيها وحده
فالقى الله عليه النوم ثم اخذ ضلعا من اضلاعه من الجانب الايسر ووضع مكانه لحما فخلق منه حواء ومن الناس
من قال لا يجوز ان يقال خلقت حواء من ضلع آدم لانه يكون نقصانا منه ولا يجوز القول بنقص الانبياء
قلنا هذا نقص منه صورة تكميل له معنى لانه جعلها سكنه وازال بها وحشته وحزنه فلما استيقظ وجدها عند
رأسه قاعدة فسألها من انت قالت انا امرأة فقال ولم خلقت قالت لتسكن الى واسكن اليك فقال الملائكة
يا آدم ما اسمها قال حواء قالوا ولم قال لانها خلقت من حى او لانها اصل كل حى او لانها كانت فى ذقنها حوة
اى حمرة مائلة الى السواد وقيل فى شفتها وسميت مرأة لانها خلقت من المرء كما ان آدم سمى بآدم لانه خلق
من اديم الارض وعاشت بعد آدم سبع سنين وسبعة اشهر وعمرها تسعمائة سنة وسبع وتسعون سنة واعلم ان الله
تعالى خلق واحدا من اب دون ام وهو حواء وآخر من ام دون اب وهو عيسى وآخر من اب وام اى اولاد آدم
وآخر من غير اب وام اى آدم فسبحان من اظهر من عجائب صنعه ما يتحير فيه العقول ثم اعلم ان الله تعالى خلق
حواء لامر تقتضيه الحكمة ليدفع آدم وحشته بها لكونها من جنسه وليبقى الذرية على ممر الازمان والايام
الى ساعة القيام فان بقاءها سبب لبعثة الانبياء وتشريع الشرائع والاحكام ونتيجة لامر معرفة الله فان الله
خلق الخلق لاجلها وفى الزوجية منافع كثيرة دينية ودنيوية واخروية ولم يذكر الله تعالى فى كتابه من الانبياء
الا المتزوجين وقالوا ان يحيى عليه السلام قد تزوج لنيل الفضل واقامة السنة ولكن لم يجامع لكون ذلك عزيمة
فى تلك الشريعة ولذلك مدحه الله بكونه حصورا وفى الاشباه ليس لنا عبادة شرعت من عهد آدم الى الان
ثم تلك العبادة تستمر فى الجنة الا الايمان والنكاح قيل فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد
وركعة من المتأهل افضل من سبعين ركعة من عزب هذا كله لكون التزوج سببا لبقاء النسل وانحفاظا عن
الزنى والترغيب فى النكاح يجرى الى ما يجاوز المائة الاولى من الالف الثانى كما قال عليه السلام اذا اتى على
امتى مائة وثمانون سنة فقد حلت العزوبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وذلك لان الخلق فى المائتين اهل
الحرب والقتل فتربية جرو حينئذ خير من تربية ولد وان تلد المرأة حية خير من ان تلد الولد (كما قال السعدى)

زنان باردار اى مرد هشيار * اكر وقت ولادت مار زايند * از ان بهتر بنزديك خردمند *
كه فرزندان ناهموار زايند *

(وكلا منها) اى من ثمار الجنة وجه الخطاب اليهما ايذانا بتساويهما
فى مباشرة المأمور به فان حواء اسوة له فى الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيها ثم معنى الامر بهذا والشغل به
مع انه اختصه واصطفاه وللخلافة ابداه انه مخلوق والذى يليق بالخلق هو السكون بالخلق والقيام باستجلاب
الحظ (رغدا) اى اكلا واسعا رافها بلا تقدير وتقتير (حيث شئتما) اى مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما
ازاحة للعلة والعذر فى التناول من الشجرة المنهى عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر (ولا تقربا) بالاكل
ولو كان النهى عن الدنو لضمت الراء (هذه الشجرة) الشجرة نصب على انه بدل من اسم الاشارة او نعت له
بتأويلها بمشتق اى هذه الحاضرة من الشجرة اى لا تأكلا منها وانما علق النهى بالقربان منها مبالغة فى تحريم
الاكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها البر والسنبلة وهو الاشهر والاجمع والانسب عند الصوفية
لان النوع الانسانى ظهر فى دور السنبلة وعليها من كل كون وثمرها احلى من العسل والين من الزبد واشد

بياضا من الثلج كل حبة من حنطتها مثل كلية البقر وقد جعلها الله رزق اولاده فى الدنيا ولذلك قيل تناول سنبلة
فابتلى بحرث السنبلة او المراد الكرم ولذلك حرمت علينا او التين ولهذا الابتلاء الحق بلباس ورقها كما ابتلاه بثمرها
وهو البلاء الحسن وقيل غير ذلك والاولى عدم تعيينها لعدم النص القاطع (فتكونا من الظالمين) مجزوم على
انه معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب للنهى او المعنى على الاول لا يكن منكما قربان الشجرة وكونكما
من الظالمين وعلى الثانى ان تقربا هذه الشجرة تكونا من الظالمين واياما كان فالقرب اى الاكل منها سبب
لكونهما من الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية او نقصوا حظوظهم بمباشرة ما يخل بالكرامة
والنعيم او تعدوا حدود الله قال القرطبى قال بعض ارباب المعانى فى قوله ولا تقربا اشعار بالوقوع فى الخطيئة
والخروج من الجنة وان سكناه فيها لا يدوم لان المخلد لا يحظر عليه شئ ولا يؤمر ولا ينهى والدليل على هذا قوله
تعالى انى جاعل فى الارض خليفة فدل على خروجه منها قال الشيخ نجم الدين قدس سره ان آدم خاطبه مولاه
خطاب الابتلاء والامتحان والنهى نهى تعزز ودلال كانه قال يا آدم ابحت لك الجنة وما فيها الا هذه الشجرة
فانها شجرة المحبة والمعرفة والمحبة مطية المحنة وان منعه منها كان تحريضا على تناولها فان الانسان حريص
لما منع فسكنت نفس ادم الى حوآء والى الجنة وما فيها الا الى الشجرة المنهى عنها لانها كانت مشتهى القلب
وكان للنفس فيها حظ ولا يزال يزداد توقانه اليها فيقصدها حتى تناول منها فظهر سر الخلافة والمحبة والمحنة
والتحقق بمظاهر الجمال والجلال كالتواب والغفور والعفو والقهار والستار والحاصل انه لما علم الله تعالى
انه يأكل من الشجرة نهاه ليكون اكله عصيانا يوجب توبة ومحبة وطهارة عن تلوث الذنب كما قال تعالى
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاورثه ذلك النهى عن اكل الشجرة عصيانا بسبب النسيان ثم توبة
بسبب العصيان ثم محبة بسبب التوبة ثم طهارة بسبب المحبة كما ورد فى الخبر اذا احب الله عبدا لم يضره الذنب
اى حفظه من الذنب واذا وقع فيه وفقه على التوبة والندامة وكل زلة عاقبتها التوبة والتشريف والاجتباء
فقيل هى زلة تنزيه واستحقاق آدم اللوم بالنهى التنزيهى من قبيل حسنات الابرار سيئات المقربين قال مرجع
طريقتنا الجلوتية الشيخ الشهير بالهدآئى قدس سره المراد بالدعوة الى الجنة الدعوة الى مقام الروح فى وجود
بنى آدم كانه قال اقلب الانسان يا آدم القلب اسكن انت وزوجك وهى النفس الانسانية فى الروح
بالطاعات والعبادات وكلا منها رغدا اى كلا من المعارف الالهية لان الروح مقام المعرفة التى تحصل بسبب
الطاعات والعبادات حيث شئتما اى عمل احببتما من الخيرات والصالحات ولا تقربا هذه الشجرة اى شجرة
المخالفة فان هذا الخطاب موجود كما كان يشمل عامة العباد الى يوم القيامة لا ينحصر الى آدم وحوآء
عليهما السلام فينبغى للمؤمن ان يترقى الى الله تعالى بسبب الطاعات والعبادات ويجتنب عن المخالفات
حتى لا يقع فى المهالك والدركات (قال فى المثنوى) دارؤى مرى بخور اندر عمل * تاشوى خورشيد كرم
اندر حمل * جهد كن تا نور تو رخشان شود * تا سلوك وخدمتت آسان شود * تا جلا باشد مر ين
آيينه را * كه صفا آيد ز طاعت سينه را * (فازلهما الشيطان عنها) اى اذهب آدم وحوآء وابعدهما
عن الجنة يقال زل عنى كذا اذا ذهب والازلال الازلاق والزلة بالفتح الخطأ وهو الزوال عن الصواب
من غير قصد والمقصود حملهما على الزلة بطريق التسبب وهو بالوسوسة وبالغرور والدعاء فان قلت ابليس كافر
والكافر لا يدخل الجنة فكيف دخل هو قلت منع من الدخول على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة
ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لادم وحوآء (فاخرجهما مما كانا فيه) من النعيم والكرامة ولم يقصد ابليس
اخراج آدم من الجنة وانما قصد اسقاطه من مرتبته وابعاده كما ابعد فلم يبلغ مقصده قال الله تعالى فتاب عليه
وهدى قال الشيخ صدر الدين قدس سره فى الفكوك لما سمع آدم قول ابليس ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين صدقه هو وزوجته وهذه القضية تشتمل على امرين مشكلين
لم ار احدا تنبه لهما ولا اجابنى احد من اهل العلم الظاهر والباطن عنهما وهو انه عليه السلام بعد سجود الملائكة
باجمعهم ومشاهدة رجحانه عليهم بذلك وبعلم الاسماء والخلافة ووصية الحق له كيف اقدم على المخالفة وتشوف
بقول ابليس الا ان تكونا ملكين وكيف لم يعلم ايضا ان من دخل الجنة المعرفة بلسان الشريعة لم يخرج منها
وان النشأة الجنانية لا تقبل الكون والفساد فهى لذاتها تقتضى الخلود وكان هذه الحال تدل دلالة واضحة

على ان الجنة التى كان فيها ليست الجنة التى عرضها السموات والارض والتى ارضها الكرسى الذى هو الفلك
الثامن وسقفها عرش الرحمن فان تلك الجنة لا يخفى على من دخلها انها ليست محل الكون والفساد ولا ان يكون
نعيمها موقتا ممكن الانقطاع فان ذلك المقام يعطى بذاته معرفة ما يقتضيه حقيقته وهو عدم انقطاع نعيمها
بموت او غيره كما قال الله تعالى عطاء غير مجذوذ اى غير منقطع ولا متناه فافهم فحال آدم وحوآء فى هذه القضية
كحال بنى اسرآئيل الذين قال الله فى حقهم اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم
ما سألتم الاية ولهذه المناسبة والمشاركة اردف الحق قصة آدم فى سورة البقرة بقصة موسى وبنى اسرآئيل
مع ما بينهما من طول المدة فراعى سبحانه فى ذلك المضاهاة فى الفعل والحال دون الزمان فهذا من اسرار القرءآن
انتهى كلام الشيخ فان قلت ما الحكمة فى ان الله تعالى لم يخلق الانسان فى الجنة ابتدآء ولم ابتلاه بالخروج
الى الدنيا قلت تعظيم النعم على العباد واجب فلو لم يخلق فى الدنيا ابتداء ما عرفوا قدر الجنة وقيل ليكونوا فى الجنة
على الجزآء لا على الابتدآء وليأمنوا الزوال وقيل خلقنا فى الدنيا ليميز الله الخبيث من الطيب والمطيع من المخالف
لاقتضاء الصفات الجلالية لان الجنان ليست من مظاهر الجلال ولو خلقنا او بقينا فى الجنة لما ظهر فينا صفات
الجلال كما لم تظهر فى الملك فالحكمة الالهية اقتضت خلق الانسان فى الدنيا وظهور المخالفة منه ليظهر فيه
الرحمة والغفران فلو بقى آدم فى الجنة لفاته نصف الكمال الذى هو التجليات القهرية فخرج ليتحقق بمظاهر
اسماء الجمال والجلال ثم يرد الى عالم الجنان كاملا مكملا بانواع الفضائل والكمالات والمقصود ايضا كما سبق
تمييز الخبيث من الطيب وقد قدر الله تعالى ان يخرج من صلبه سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم واخوانه
من الانبياء والاولياء والمؤمنين وخمر فى طينته بتراب كل مؤمن وعدو فاخرجه الى الدنيا ليخرج من ظهره الذين
لا نصيب لهم فى الجنة قال الشيخ الكامل المكمل على ردده فى هامش كشف الكنوز وحل الرموز وهو كتاب
فريد فى فنه وجدت تذكرة السؤال من بعض الملاحدة على كرسى سيدى ابن نور الدين فى مجلس وعظ بجامع
آيا صوفيه (من كلام خواجه حافظ شيرازى) من ملك بودم وفردوس برين جايم بود * آدم آورد درين
دير خراب آبادم * فاجاب الشيخ بديهة وفهم مراد الملحد عن السؤال فقال انت اخرجت آدم من الجنة
حيث هجت فى صلبه باستعداد الفساد والالحاد ولو لم يخرج ابونا آدم لبقيت الملاحدة والفجرة فى الجنة
فاقتضت غيرة الحق خروجه وسئل ابو مدين قدس سره عن خروج آدم من الجنة على وجه الارض ولم تعدى
فى اكل الشجرة بعد النهى فقال لو كان ابونا يعلم انه يخرج من صلبه مثل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لصار
يأكل عرق الشجرة فكيف ثمرها ليسارع فى الخروج على وجه الارض ليظهر الكمال المحمدى والجمال
الاحمدى وسئل خليل الرحمن صلوات الله على نبينا وعليه فقال يا رب لم اخرجت آدم فقال اما علمت ان جفاء
الحبيب شديد وقال مرجع طريقتنا الجلوتية الشيخ الشهير بافتاده افندى سر خروج آدم من الجنة انه رأى
مرتبة من مراتب التوحيد اعلى من مرتبته التى هو فيها فسألها من الله تعالى فقيل له لا تصل اليها
الا بالبكاء فاحب آدم ان يبكى فقيل ان الجنة ليست موضع البكاء بل هى موضع السرور فطاب ان ينزل الى
الدنيا فيكون ما صدر عنه ذنبا بالنسبة اليه باعتبار قصور مرتبته عن المرتبة المطلوبة على نهج حسنات الابرار
سيئات المقربين كذا فى واقعات الهدآئى قال الشيخ نجم الدين قدس سره والاشارة ان آدم عليه السلام اصبح
محمول العناية مسجود الملائكة متوجا بتاج الكرامة ملبسا بلباس السعادة فى وسطه نطاق القربة وفى جيده
طوق الزلفة لا احد فوقه فى الرتبة ولا شخص معه فى الرتبة يتوالى عليه الندآء كل لحظة يا آدم فلما جاء القضاء
ضاق الفضاء وانقلب العصا (قال فى المثنوى) جون قضا آيد رود دانش بخواب * مه سيه كردد بكيرد
آفتاب * فلم يمس حتى نزع لباسه وسلب استئناسه تدفعه الملائكة بعنف ان اخرج بغير مكث ولا بحث
فازلهما يد التقدير بحسن التدبير عنها اى عن تلك العزة والغرافة وكان الشيطان المسكين فى هذا الامر
كذئب يوسف لما اخذ بالجناية ولطخ فمه بدم كذب واخوته قد القوه فى غيابة الجب فاخذ الشيطان لعدم
العناية ولطخ خرطومه بدم نصح كذب فاخرجهما من اخرجهما مما كانا فيه من السلامة الى الملامة ومن
الفرح الى الترح ومن النعمة الى النقمة ومن المحبة الى المحنة ومن القربة الى الغربة ومن الالفة الى الكلفة
ومن الوصلة الى الفرقة وكان قبل اكل الشجر قد مسمأ نسا بكل شئ ومؤانسا مع كل احد ولذلك سمى انسانا

فلما ذاق شجرة المحبة استوحش من كل شئ واتخذ كل احد عدوا وهكذا شرط صحة المحبة عداوة ما سوى
المحبوب فكان ذات المحبوب لا يقبل الشركة فى التعبد كذا لا يقبل الشركة فى المحبة ولهذا قال اهبطوا
بعضكم لبعض عدو وكذا كان حال الخليل فى البداية يتعلق بالكوكب والقمر والشمس ويقول هذا ربى
فلما ذاق شجرة الخلة قال لا احب الآفلين انى برئ مما تشركون فانهم عدو لى الا رب العالمين (وقلنا اهبطوا)
خطاب لآدم وحواء وجمع الضمير لانهما اصلا الجنس فكانهما الجنس كلهم وقيل هو للحية وخامسهم
الطاووس وهذا الامر وان انتظمهم فى كلمة فما كان هبوطهم جملة بل هبط ابليس حين لعن وهبوط آدم
وحواء كان بعده بكثير الآن يحمل على ان ابليس اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة ودلت كلمة
اهبطوا انهما كانا فى جنة الخلد حيث امر بالانحدار وهو النزول من علو الى سفل وقد سبق فى الآيات السابقة
ما سبق قال القرطبى فى تفسيره ان الصحيح فى اهباطه وسكناه فى الارض ما قد ظهر من الحكمة الازلية فى ذلك
تنزله فيها ليكلفهم ويمتحنهم ويرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الاخروى اذ الجنة والنار ليست بدار تكليف
فكانت تلك الاكلة سبب اهباطه من الجنة فاخرجهما الا انهما خلقا منها وليكون آدم خليفة الله فى الارض
ولله ان يفعل ما يشاء وقد قال انى جاعل فى الارض خليفة وهذه منقبة عظيمة وفضيلة كريمة شريفة انتهى كلام
القرطبى فهبوطه من الجنة هبوط التشريف والامتحان والتمييز بين قبضتى السعادة والشقاوة لان ذلك
من مقتضيات الخلافة الالهية على ما فى كشف الكنوز واكثر المفسرين على ان المعنى انزلوا استخفافا بكم لكن
القول ما قالت حذام قال المولى الشهير بابن الكمال فى رسالة القضاء والقدر عتاب آدم عليه السلام فى قوله
تعالى ألم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب تلطيف لا عتاب تعنيف وتعذيب
وتنزيله من السماء الى الارض بقوله اهبطوا (منها جميعا) تكميل وتبعيد تقريب كما فى قول الشاعر
سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا (بعضكم لبعض عدو) حال استغنى فيها عن الواو بالضمير اى متعادين يبغى
بعضكم على بعض بتضليله والعدو يصلح للواحد والجمع ولهذا لم يقل اعداء فابليس عدو لهما وهما لابليس
والحية عدو لبنى آدم وهم عدو لها هى تلسعهم وهم يدمغونها وابليس يفتنهم وهم يلعنونه وكذا العداوة
بين ذرية آدم وحواء بالتحاسد فى الدنيا والاختلاف فى الدين والعداوة مع ابليس دينية فلا ترتفع ما بقى الدين
والعداوة مع الحية طبيعية فلا ترتفع ما بقى الطبع ثم هذه عداوة تأكدت بيننا وبينهم لكن حزبا يكون الله معهم
كان الظفر لهم ثم قوله بعضكم لبعض عدو اخبار عن كونه اى التعادى لا امر بتحصيله ولما قال بعضكم لبعض
عدو قال آدم الحمد لله حيث لم يقل انا لكم عدو والعدو هو المجاوز حده فى مكروه صاحبه (ولكم فى الارض مستقر)
اى موضع قرار على وجهها او فى القبور ثم المستقر ثلاثة رحم الام قال تعالى فمستقر ومستودع اودع فى صلب
الاب واستقر فى رحم الام والثانى الدنيا قال تعالى ولكم فى الارض مستقر والثالث العقبى اما فى الجنة
قال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واما فى النار قال تعالى انها ساءت مستقرا ومقاما الآية (ومتاع)
اى تمتع بالعيش وانتفاع به (الى حين) الى آخر اعماركم وهو حين الموت او الى القيامة قال بعض العلماء فى قوله
تعالى الى حين فائدة لآدم عليه السلام ليعلم انه غير باق فيها ومنتقل الى الجنة التى وعد بالرجوع اليها وهى لغير آدم
دالة على المعاد فحسب ولما هبطوا وقع آدم بارض الهند على جبل سرنديب لذلك طابت رائحة اشجار تلك
الاودية لما معه من ريح الجنة وكان السحاب يمسح رأسه فاصلع فاورث اولاده الصلع ووقعت حواء بجدة
وبينهما سبعمائة فرسخ والطاووس بمرج الهند والحية بسجستان او باصفهان وابليس بسد يأجوج ومأجوج
وسجستان اكثر بلاد الله حيات ولولا العربدة تأكلها وتفنى كثيرا منها لاخليت سجستان من اجل الحيات
وكانوا فى احسن حال فابتلى آدم بالحرث والكسب وحواء بالحيض والحبل والطلق ونقصان العقل والميراث
وجعل الله قوائم الحية فى جوفها وجعل قوتها التراب وقبح رجلى الطاووس وجعل ابليس باقبح صورة وافضح
حالة وكان مكث آدم وحواء فى الجنة من وقت الظهر الى وقت العصر من يوم من ايام الآخرة وكل يوم من ايامها
كالف سنة من ايام الدنيا يذكر ان الحية كانت خادم آدم عليه السلام فى الجنة فخانته بان مكنت عدو الله من
نفسها واظهرت العداوة له هناك فلما اهبطوا تأكدت العداوة فقيل لها انت عدو بنى آدم وهم اعداؤك وحيث
لقيك منهم احد شدخ رأسك قال عليه السلام اقتلوا الحيات واقتلوا ذا الطفيتين والابتر فانهما يخطفان البصر

ويسقطان الحبل خصهما بالذكر مع انهما داخلان فى العموم ونبه على ذلك لسبب عظيم ضررهما وما لم يتحقق
ضرره فما كان منها فى غير البيوت قتل ايضا لظاهر الامر العام وما كان فى البيوت لا تقتل حتى تؤذن ثلاثة
ايام لقوله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا رأيتم منها شيأ فآذنوه ثلاثة ايام قال ابن الملك فى شرح
المشارق والجن لكونه جسما لطيفا يتشكل بشكل الحية والجان من الحيات التى نهى عن قتلها وهى حية
بيضاء صغيرة تمشى ولا تلتوى والصحيح ان النهى عن قتل الحية ليس مختصا بالمدينة بل ينهى عن قتل حيات
البيوت فى جميع البلاد لان الله تعالى قال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية والابتر
وذو الطفيتين تقتلان من غير ايذان سواء كانتا من حيات المدينة اولا واذا رأى شيأ من الحيات فى المساكن
يقول انشدكم بالعهد الذى اخذ عليكم نوح عليه السلام وانشدكم بالعهد الذى اخذ عليكم سليمان عليه السلام
ان لا تؤذينا فاذا رأى منها شيأ بعد فليقتله ومن خاف من مضرة الحية والعقرب فليقرأ سلام على نوح فى العالمين
انا كذلك نجزى المحسنين فانه يسلم باذن الله تعالى واعلم ان ما كان من الحيوان اصله الاذاية فانه يقتل ابتداء
لاجل اذايته من غير خلاف كالحية والعقرب والفار والوزغ وشبهها وفى حواشى الخبازى على الهداية قتل
الحيوان اما لدفع المضرة او لجلب المنفعة قال الفقير جامع هذه المجالس الانيقة يدخل فيه قتل نحلة العسل
ودود القز ونحوهما اذا لم يمكن جلب منفعتها بدون القتل فالحية ابدت جوهرها الخبيث حيث خانت آدم
بان ادخلت ابليس بين فكيها ولو كانت تبذره ما تركها تدخل به وقال ابليس انت فى ذمتى فامر صلى الله عليه
وسلم بقتلها وقال اقتلوها وان كنتم فى الصلاة يعنى الحية والعقرب والوزغة نفخت على نار ابراهيم عليه السلام
من بين سائر الدواب فلعنت وفى الحديث من قتل وزغة فكأنما قتل كافرا والوزغة من ذوات السموم وتفسد
الطعام خصوصا الملح واذا لم تجد طريقا الى افساده ارتقت السقف والقت خرءها فيه من موضع يحاذيه فجبلتها
على الخبث والافساد والفارة ابدت جوهرها بان عمدت الى حبال سفينة نوح عليه السلام فقطعتها والغراب
ابدى جوهره حيث بعثه نبى الله نوح عليه السلام من السفينة ليأتيه بخبر الارض فاقبل على جيفة ونزل
وكذا الحدأة والسبع العادى والكلب العقور كله فى معنى الحية والامر بقتل المضر من باب الارشاد
الى دفع المضرة (قال السعدى) سنك بردست ومار برسر سنك * خيره رأيى بود قياس درنك *
وقال ايضا ترحم بر پلنك تيز دندان * ستمكارى بود بر كوسفندان * وفى التأويلات النجمية انه لما استقر
حبة المحبة كالبذر فى قلب آدم جعل الله شخص آدم مستقر قلبه وجعل الارض مستقر شخصه وقال ولكم
فى الارض مستقر ومتاع الى حين اى التمتع والانتفاع لبذر المحبة بماء الطاعة والعبودية الى حين ادراك ثمرة
المعرفة كقوله تعالى تؤتى اكلها كل حين باذن ربها وعلى التحقيق ما كانت ثمرة شجرة المخلوقات الا المعرفة
لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى ليعرفون وثمرة المعرفة وان ظهرت على اغصان العبادة
ولكن لا تنبت الا من حبة المحبة كما اخبر النبى عليه السلام ان داود عليه السلام قال يا رب لماذا خلقت الخلق
قال كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف فثبت ان بذر المعرفة هو المحبة (قال فى المثنوى)
آفتاب معرفت را نقل نيست * مشرق او غير جان وعقل نيست * (فتلقى آدم من ربه كلمات) الفاء
للدلالة على ان التوبة حصلت عقيب الامر بالهبوط قبل تحقق المأمور به ومن ثمة قال القرطبى ان آدم تاب
ثم هبط واليه الاشارة بقوله تعالى اهبطوا ثانيا ومنه يعرف ان الامر بالهبوط ليس للاستخفاف ومشوبا بنوع
سخط اذ لا سخط بعد التوبة فآدم اهبط بان تاب الله عليه ومعنى تلقى الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول
والعمل بها حين علمها فان قلت ماهن قلت قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية (قال الحافظ) زاهد غرور داشت
سلامت نبرد راه * رند از ره نياز بدار السلام رفت * وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان احب الكلام
الى الله تعالى ما قال ابونا آدم حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله
الا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان آدم قال بحق محمد
ان تغفر لى قال وكيف عرفت محمدا قال لما خلقتنى ونفخت فى الروح فتحت عينى فرأيت على ساق العرش لا اله
الا الله محمد رسول الله فعلمت انه اكرم الخلق عليك حتى قرنت اسمه باسمك فقال نعم وغفر له بشفاعته او الكلمات
هى قول آدم عند هبوطه من الجنة يا رب ألم تخلقنى بيدك من غير واسطة قال بلى قال يا رب ألم تسكنى جنتك

قال بلى قال يارب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال يارب ارأيت ان اصلحت ورجعت وتبت اراجعى انت الى الجنة قال نعم فالكلمات هى العهود الانسانية والمواثيق الآدمية والمناجاة الربانية من الخليفة الى حضرة الحق تعالى فتاب آدم الى الله بالرجوع عن المعصية والاعتراف بذنبه والاعتذار لخطاه وسهوه (فتاب عليه) اى فرجع الرب عليه بالرحمة وقبول التوبة واصل التوب الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية الى الطاعة واذا وصف به البارى تعالى اريد به الرجوع عن العقوبة الى المغفرة والفاء للدلالة على ترتبه على تلقى الكلمات المتضمن لمعنى التوبة وتمام التوبة من العبد بالندم على ما كان وبترك الذنب الان وبالعزم على ان لا يعود اليه فى مستأنف الزمان وفى مظالم العباد بهذه الاشياء وبارضاء الخصم بايصال حقه اليه باليد والاعتذار منه باللسان واكتفى بذكر آدم عليه السلام لان حواء كانت تابعة له فى الحكم ولذلك طوى ذكر النساء فى اكثر القرآن والسنن (انه هو التواب) الرجاع على عباده بالمغفرة او الذى يكثر اعانتهم على التوبة (الرحيم) المبالغ فى الرحمة وفى الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب عليه (قال فى المثنوى) مركب توبه عجايب مركبست * برفلك تازد بيك لحظه زپست * چون برانداز پشيمانى انين * عرش لرزد از انين المذنبين * قال ابن عباس رضى الله عنه بكى آدم وحواء على مافاتهما من نعيم الجنة مائتى سنة ولم يأكلا ولم يشربا اربعين يوما ولم يقرب آدم حواء مائة سنة وقال شهر ابن حوشب بلغنى ان آدم لما هبط الى الارض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى قالوا وان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع داود اكثر حيث اصاب الخطيئة ولو ان دموع داود ودموع اهل الارض جمعت لكانت دموع آدم اكثر حيث اخرجه الله من الجنة (قال فى المثنوى) چون خدا خواهد كه مايارى كند * ميل مارا جانب زارى كند * اى خنك چشمى كه آن كريان اوست * وى همايون دل كه آن بريان اوست * آخر هر كريه آخر خنده ايست * مرد آخربين مبارك بنده ايست * باش چون دولاب نالان چشم تر * تاز صحن جان بررويد خضر * فاذا كان حال من اقترف خطيئة دون صغيرة هذا فكيف حال من انغمس فى بحر العصيان والتوبة بمنزلة الصابون فكما ان الصابون يزيل الاوساخ الظاهرة فكذا التوبة تزيل الاوساخ الباطنة والعبد اذا رجع عن السيئة واصلح عمله اصلح الله شأنه واعاد عليه نعمته الفائتة عن ابن ادهم بلغنى ان رجلا من بنى اسرائيل ذبح عجلا بين يدى امه فيبس يده فبينما هو جالس اذ سقط فرخ من وكره وهو يتبصبص فاخذه ورده الى وكره فرحمه الله لذلك ورد عليه يده بما صنع ولا ريب ان العمل الصالح يمحو الخطيئات وفى التأويلات النجمية ان اول نبت انبتت امطار الالهامات الربانية من حبة المحبة فى قلب آدم وطينة الانسانية كان نبات ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين لانه ابصر بنور الايمان انه ظالم لنفسه اذا كل حبة المحبة ووقع فى شبكة المحنة والمذلة وان لم يعنه ربه بمغفرته ويقه برحمته لم يتخلص من حضيض بشريته الذى اهبط اليه ويخسر رأس مال استعداد السعادة الازلية ولم يمكنه الرجوع الى ذروة مقام القربة فاستغاث الى ربه وقال ربنا مضطرا وكانت الحكمة فى ابعاده بالهبوط هذا الاضطرار والدعاء فانه يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء فبسابقة العناية اخذ بيده وافاض عليه سجال رحمته فتاب عليه انه هو التواب الرحيم للتائبين فاخرج من نبات الكلمات شجرة الاجتباء واظهر على دوحتها زهرة التوبة واثمر منها ثمرة الهداية وهى المعرفة كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (قلنا) استئناف مبنى على سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا وقع بعد قبول توبته فقيل قلنا (اهبطوا منها) اى من الجنة (جميعا) نصب على الحال من ضمير الجمع تأكيد فى المعنى للجماعة من آدم وحواء وابليس والحية والطاووس كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعى اجتماعهم على الهبوط فى زمان واحد وكرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى يقع فى امنيته عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك ولان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثانى اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فاختلف المقصود وكان يصح لو قرن المعنيان بذكر الهبوط مرة لكن اعترض بينهما كلام وهو تلقيه الكلمات ونيله قبول التوبة فاعاد الاول ليتصل المعنى الثانى به وهو الابتلاء بالعبادة والثواب على الطاعة والعقاب على المعصية قال فى الارشاد والثانى مقرون بوعد ايتاء الهدى المؤدى الى النجاة والنجاح ومافيه من وعيد

العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا بل انما هو دائر على سوء اختيار المكلفين ثم ان فى الاية دليلا على ان المعصية تزيل النعمة عن صاحبها لان آدم قد اخرج من الجنة بمعصية واحدة وهذا كما قال القائل

اذا تم امر دنا نقصه * توقع زوالا اذا قيل تم

اذا كنت فى نعمة فارعها * فان المعاصى تزيل النعم

قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم (فاما يأتينكم منى) اى ان يأتينكم والفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم من الامر به (هدى) اى رشد وبيان شريعة برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم والخطاب فى قوله يأتينكم لآدم والمراد ذريته وابليس وذريته لم يأتهم كتاب ولا رسول ولا يكون منهم اتباع وجواب الشرط هو الشرط الثانى مع جوابه وهو قوله تعالى (فمن تبع هداى) اى اقتدى شريعتى وكرر لفظ الهدى ولم يضمر بان يقال فمن تبعه لانه اراد بالثانى اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل من الاعتقاديات والعمليات واقتضاه العقل اى فمن تبع ما اتاه من قبل الشرع مراعيا فيه ما يشهد به العقل من الادلة الافاقية والانفسية (فلا خوف عليهم) فى الدارين من لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) من فوات مطلوب فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور والنشاط كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله وهيبته واستقصارا للجد والسعى فى اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين (والذين كفروا) عطف على من تبع الخ قسيم له كانه قيل ومن لم يتبعه الخ وانما اوثر عليه ما ذكر تفظيعا لحال الضلالة واظهارا لكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة الكفرة اى والذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم (وكذبوا بآياتنا) المنزلة عليهم او كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا (اولئك) اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة من الكفر والتكذيب (اصحاب النار) ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها وفى الصحبة معنى الوصلة فسموا اصحابها لاتصالهم بها وبقائهم فيها فكانهم ملكوها فصاروا اصحابها (هم فيها) اى فى النار (خالدون) دائمون والجملة فى حيز النصب على الحالية فى هاتين الايتين دلالة على ان الجنة فى جهة عالية دل عليه قوله تعالى اهبطوا منها وان متبع الهدى مأمون العاقبة لقوله تعالى فلا خوف الخ وان عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون فانه يفيد الحصر واعلم ان الشرف فى اتباع الهدى كما قيل سك اصحاب كهف روزى چند * پى نيكان كرفت ومردم شد * فالمؤمن بين ان يطيع الله فيثيبه بالنعيم وبين ان يعصيه فيعاقب بالجحيم ومن العجب ان الجمادات وغير المكلفين من العباد يخافون عذاب الله ويقومون بحقوق الله ولا يخافون المكلفون كما روى عن مالك بن دينار رحمه الله انه مر يوما على صبى وهو يلعب بالتراب يضحك تارة ويبكى اخرى قال فهممت ان اسلم عليه فامتنعت نفسى تكبرا فقلت يا نفس كان النبى صلى الله عليه وسلم يسلم على الصغار والكبار فسلمت عليه فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا مالك بن دينار فقلت من اين عرفتنى ولم تكن رأيتنى فقال التقت روحى بروحك فى عالم الملكوت عرف بينى وبينك الحى الذى لا يموت فقلت ما الفرق بين العقل والنفس قال نفسك التى منعتك عن السلام وعقلك الذى بعثك عليه فقلت ما بالك تلعب بهذا التراب فقال لانا منها خلقنا واليها نعود فقلت اراك تضحك تارة وتبكى اخرى قال نعم اذا ذكرت عذاب ربى بكيت واذا ذكرت رحمته ضحكت فقلت يا ولدى اى ذنب لك حتى تبكى فقال يا مالك لا تقل هذا فانى رأيت امى لا توقد الحطب الكبار الا ومعه الحطب الصغار (قال فى المثنوى) طفل يك روزه همى داند طريق * كه بكريم تارسد دايهٔ شفيق * تو نمى دانى كه دايهٔ دايكان * كم دهد بى كريه شير اورايكان * كفت فليبكوا كثير كوش دار * تا بريزد شير فضل كردكار * والاشارة فى تحقيق الايتين ان الله تعالى لما ابتلى آدم بالهبوط الى الارض بشر بان الهامه ووحيه لا ينقطع عنه ولا ينقطع عن ذريته هداه بواسطة انبيائه ووحيه وانزال كتبه فاما يأتينكم منى هدى فمن اتاه منهم هدى من الهامى ووحيى ورسولى وكتابى فمن تبع هداى كما اتبعت آدم بالتوبة والنوح والبكاء والاستغفار وتربية بذر المحبة بالطاعة والعبودية حتى تثمر التوحيد والمعرفة فلا خوف عليهم فى المستقبل من وبال افساد بذر المحبة من طينة الصفات الحيوانية والسبعية وابطال

استعداد السعادة الابدية باستيفاء التمتعات الدنيوية ولاهم يحزنون على هبوطهم الى الارض لتربية بذر المحبة
اذهم رجعوا بتبع الهداية وجذبات العناية الى اعلى ذروة حظائر القدس كما قال تعالى وان الى ربك الرجعى
ثم ذكر من كفر بهداه وجعل النار مثواه وقال والذين كفروا اى ستروا بذر المحبة بتعلقات الشهوات النفسانية
وظلموا على انفسهم بتكذيب الايات البينات من الجهالة الانسانية حتى افسدوا الاستعداد الفطرى وكذبوا
باياتنا اى معجزات انبيائنا وكتبنا وما انزلنا على الانبياء بالوحى والالهام والرشد فى تربية بذر المحبة وتثمير الشجرة
الانسانية بثمار التوحيد والمعرفة والبلوغ الى درجات القربات ونعيم الجنات والغرفات اولئك اصحاب
النار نار جهنم ونار القطيعة هم فيها خالدون لانهم خلدوا فى ارض الطبيعة واتبعوا اهواءهم فما نبت بذر
محبتهم بماء الشريعة فبقوا بافساد استعدادهم فى دركات الجحيم وخسران النعيم خالدين مخلدين
(يا بنى اسرائيل) البنون اسم للذكور والاناث اذا اجتمعوا واسرائيل اسم يعقوب عليه السلام ومعناه عبد
الله لان اسرا بلغة العبرانية وهى لغة اليهود بمعنى العبد وايل هو الله اى يا اولاد يعقوب والخطاب لليهود
المعاصرين للنبى صلى الله عليه وسلم الذين كانوا حوالى المدينة من بنى قريظة والنضير وكانوا من اولاد يعقوب
وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير لما انهم اوفر الناس نعمة واكثرهم كفرا بها (اذكروا نعمتى)
الذكر بضم الذال بالقلب خاصة بمعنى الحفظ الذى يضاد النسيان والذكر بكسر الذال يقع على الذكر باللسان
والذكر بالقلب يكون امرا بشكر النعمة باللسان وحفظها بالجنان اى احفظوا بالجنان واشكروا باللسان نعمتى
لان النعمة اسم جنس بمعنى الجمع قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها (التى انعمت) بها (عليكم)
وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لانهم اهملوا شكرها فقط وتقييد النعمة بكونها
عليهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط
ولذا قيل لا تنظر الى من هو فوقك فى الدنيا لئلا تزدرى بنعمة الله عليك وان نظر الى ما انعم الله به عليه حمله حب
النعمة على الرضى والشكر قال ارباب المعانى ربط سبحانه وتعالى بنى اسرائيل بذكر النعمة واسقطه عن امة
محمد صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى ذكره فقال اذكرونى اذكركم ليكون نظر الامم من النعمة الى المنعم ونظر امة
محمد من المنعم الى النعمة والنعمة ما لم يحجبك عن المنعم (واوفوا) اتموا ولا تتركوا (بعهدى) الذى قبلتم
يوم الميثاق وهو عام فى جميع اوامره من الايمان والطاعة ونواهيه ووصاياه فيدخل فى ذلك عهده تعالى
اليهم فى التوراة من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والعهد حفظ الشئ ومراعاته حالا فحالا والمراد منه الموثق
والوصية والعهد هنا مضاف الى الفاعل (اوف بعهدكم) اتمم جزاءكم بحسن الاثابة والقبول ودخول الجنة
والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد وهو هنا مضاف الى المفعول فان الله عهد اليهم بالايمان والعمل
الصالح بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعدلهم بالثواب على حسناتهم واول مراتب الوفاء
منا هو الاتيان بكلمتى الشهادة ومن الله حقن المال والدم وآخرها منا الاستغراق فى بحر التوحيد بحيث
نغفل عن انفسنا فضلا عن غيرنا ومن الله الفوز باللقاء الدائم كما قال القشيرى اوفوا بعهدى فى دار المحنة
اوف بعهدكم فى دار القربة على بساط الوصلة بادامة الانس والرؤية واوفوا بعهدى بقولكم ابدا ربى ربى اوف
بعهدكم بجوابكم ابدا عبدى عبدى (واياى) نصب بمحذوف تقديره واياى ارهبوا (فارهبون) فيما تأتون
وتذرون وخصوصا فى نقض العهد لا بارهبون لان ارهبون قد اخذ مفعوله والاصل ارهبونى لكن حذفت
الياء تخفيفا لموافقة رؤس الآى والفاء الجزائية دالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم
راهبين شيأ فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والاية متضمنة للوعد لقوله اوف والوعيد لقوله واياى
فارهبون دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغى ان لا يخاف احدا الا الله للحصر المستفاد
من تقديم اياى (وآمنوا) يا بنى اسرائيل (بما انزلت) افراد الايمان بالقرآن بالامر به بعد اندراجه تحت
العهد لما انه العمدة القصوى فى شأن الوفاء بالعهد اى صدقوا بهذا القرآن الذى انزلته على محمد (مصدقا لما
معكم) اى حال كون القرآن مصدقا للتوراة لانه نازل حسبما نعت فيها وتقييد المنزل بكونه مصدقا
لما معهم لتأكيد وجوب الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم مما يقتضى الايمان بما يصدقه قطعا
(ولا تكونوا اول) فريق (كافر به) اى بالقرآن فان وزر المقتدى يكون على المبتدى كما يكون على المقتدى

(قال فى المثنوى) هر كه بنهد سنت بداى فتا * تا در افتد بعد او خلق از عما * جمع كردد بروى
آن جمله بزه * كاو سرى بودست وايشان دم غزه * اى لا تسارعوا الى الكفر به فان وظيفتكم ان تكونوا
اول من آمن به لما انكم تعرفون شأنه وحقيقته بطريق التلقى مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون
ابناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم
صدوره عنكم من كونكم اول كافر به ودلت الاية على انه عليه السلام قدم المدينة فكذبه يهود المدينة
ثم بنو قريظة وبنو النضير ثم خيبر ثم تتابعت على ذلك سائر اليهود (ولا تشتروا باياتى) اى لا تأخذوا لانفسكم
بدلا منها (ثمنا قليلا) هى الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ
الآخرة بترك الايمان قيل كانت عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم
الرشى على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال
ليكتموا ويحرفوا فلما كان لهم رياسة عندهم ومأكل منهم خافوا ان يذهب ذلك منهم اى من الاحبار لو آمنوا
بمحمد واتبعوه وهم عارفون صفته وصدقه فلم يزالوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويغيرون نعت محمد صلى الله
عليه وسلم كما حكى ان كعب بن الاشرف قال لاحبار اليهود ما تقولون فى محمد قالوا انه نبى قال لهم كان لكم عندى
صلة وعطية لو قلتم غير هذا قالوا اجبناك من غير تفكر فامهلنا نتفكر وننظر فى التوراة فخرجوا وبدلوا نعت
المصطفى بنعت الدجال ثم رجعوا وقالوا ذلك فاعطى كل واحد منهم صاعا من شعير واربعة اذرع من الكرباس
فهو القليل الذى ذكره الله فى هذه الاية الكريمة (قال فى المثنوى) بود در انجيل نام مصطفا *
آن سر پيغمبران بحر صفا * بود ذكر حليها وشكل او * بود ذكر غزو وصوم واكل او *
(واياى فاتقون) بالايمان واتباع الحق والاعراض عن حطام الدنيا واعاده لان معنى الاول اخشوا فى نقض
العهد وهذا معناه فى كتمان نعت محمد اولان الخطاب بالاية الاولى لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التى هى
مبدأ السلوك وبالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذى هو منتهاه (ولا تلبسوا الحق بالباطل) عطف
على ما قبله واللبس بالفتح الخلط اى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذى تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما
اولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذى تكتبونه فى خلاله اوتذكرونه فى تأويله (و) لا (تكتموا
الحق) باضمار لا اونصب باضمار ان على ان الواو للجمع اى لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه فقوله ولا تلبسوا
الحق بالباطل هو نهى عن التغيير وقوله وتكتموا الحق هو نهى عن الكتمان لانهم كانوا يقولون لا نجد فى التوراة
صفة محمد صلى الله عليه وسلم فاللبس غير الكتمان (وانتم تعلمون) اى حال كونكم عالمين بانكم لابسون كاتمون
او وانتم تعلمون انه حق نبى مرسل وليس ايراد الحال لتقييد المنهى به بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل قد يعذر
وفى التيسير يجوز صرف الخطاب الى المسلمين والى كل صنف منهم وبيانه ايها السلاطين لا تخلطوا العدل بالجور
وايها القضاة لا تخلطوا الحكم بالرشوة وكذا كل فريق فهذه الاية وان كانت خاصة ببنى اسرائيل فهى تتناول
من فعل فعلهم فمن اخذ رشوة على تغيير حق وابطاله او امتنع من تعليم ما وجب عليه او اداء ما علمه وقد تعين
عليه حتى يأخذ عليه اجرا فقد دخل فى مقتضى الاية قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تعلم علما
لا يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة اى ريحها فمن رهب
وصاحب التقوى لا يأخذ على علمه عوضا ولا على وصيته ونصيحته صفدا بل يبين الحق ويصدع به ولا يلحقه
فى ذلك خوف ولا فزع قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يمنعن احدكم هيبة احد ان يقول او يقوم
بالحق حيث كان وفى التنزيل يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم (حكى) ان سليمان بن عبد الملك مر
بالمدينة وهو يريد مكة فاقام بها اياما فقال هل بالمدينة احد ادرك احدا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا
له ابو حازم فارسل اليه فلما دخل عليه قال له يا ابا حازم ما هذا الجفاء قال له ابو حازم يا امير المؤمنين واى جفاء
رأيت منى قال اتانى وجوه اهل المدينة ولم تأتنى قال يا امير المؤمنين اعيذك بالله ان تقول ما لم يكن ما عرفتنى
قبل هذا اليوم ولا انا رأيتك قال فالتفت الى محمد بن شهاب الزهرى فقال اصاب الشيخ واخطأت قال سليمان
يا ابا حازم ما لنا نكره الموت فقال لانكم خربتم الآخرة وعمرتم الدنيا فكرهتم ان تنقلوا من العمران الى الخراب
قال اصبت يا ابا حازم فكيف القدوم غدا على الله تعالى قال اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسيء

فكالابق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال ياليت شعرى مالنا عند الله قال اعرض عملك على كتاب الله قال
واى مكان اجده قال ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم قال سليمان فاين رحمة الله يا اباحازم قال ان رحمة الله
قريب من المحسنين قال له سليمان يا اباحازم فاى عباد الله اكرم قال اولوا المروءة والنهى قال له سليمان فاى الاعمال
افضل قال اداء الفرآئض مع اجتناب المحارم قال سليمان فاى الدعاء اسمع قال دعاء المحسن اليه للمحسن
فقال اى الصدقة افضل قال السائل البائس وجهد المقل ليس فيها من ولا اذى قال فاى القول اعدل قال قول
الحق عند من تخافه او ترجوه قال فاى المؤمنين اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودل الناس عليها قال
فاى المؤمنين احمق قال رجل انحط فى هوى اخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال سليمان اصبت فما تقول
فيما نحن فيه قال يا امير المؤمنين اوتعفى قال له سليمان لا ولكن نصيحة تلقيها الى قال يا امير المؤمنين ان آباءك قهروا
الناس بالسيف واخذوا هذا الملك عنوة على غير مشورة من المسلمين ولا رضاهم حتى قتلوا منهم مقتلة
عظيمة فقد ارتحلوا عنها فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم فقال رجل من جلسائه بئس ما قلت يا اباحازم قال
ابو حازم كذبت ان الله اخذ ميثاق العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه قال سليمان فكيف لنا ان نصلح قال تدعون
الصلف وتمسكون بالمروءة وتقسمون بالسوية قال له سليمان كيف لنا بالمأخذ به قال تأخذه من حله وتضعه
فى اهله قال له سليمان هل لك يا اباحازم ان تصحبنا وتصيب منك قال اعوذ بالله قال ولم ذاك قال اخشى ان اركن
اليكم شيأ قليلا فيذيقنى الله ضعف الحياة وضعف الممات قال له ارفع الينا حوآئجك قال تنجينى من
النار وتدخلنى الجنة قال له سليمان ليس ذاك الى قال ابو حازم فما لى اليك حاجة غيرها قال فادع لى قال ابو حازم
اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والاخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى قال له
سليمان عظ قال ابو حازم قد اوجزت واكثرت ان كنت من اهله وان لم تكن من اهله فما ينبغى ان ارمى عن قوس
ليس لها وتر قال له سليمان اوص قال سأوصيك واوجز عظم ربك ونزهه ان يراك حيث نهاك او يفقدك
من حيث امرك فلما خرج من عنده بعث اليه بمائة دينار وكتب ان انفقها ولك عندى مثلها كثير قال فردها
عليه وكتب اليه يا امير المؤمنين اعيذك بالله ان يكون سؤالك اياى هزلا اوردى عليك بذلا ما ارضاها لك
فكيف لنفسى ان موسى بن عمران لما ورد ماء مدين وجد عليه رعاء يسقون ووجد من دونهم جاريتين تذودان
فسئلهما فقالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير فسقى لهما فلما تولى الى الظل قال رب انى لما انزلت الى
من خير فقير وذلك انه كان جائعا خائفا لا يأمن فسأل ربه ولم يسأل الناس فلم يفطن الرعاء وفطنت الجاريتان
فلما رجعتا الى ابيهما اخبرتاه بالقصة وبقوله فقال ابوهما وهو شعيب عليه السلام هذا رجل جائع قال
لاحداهما اذهبى فادعيه فلما اتته عظمته وغطت وجهها وقالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فشق
على موسى حين ذكرت اجر ما سقيت لنا فلم يجد بدا من ان يتبعها لانه كان بين الجبال جائعا مستوحشا فلما تبعها
هبت الريح فجعلت تصفق ثيابها على ظهرها فتصف له عجزها وكانت ذات عجز وجعل موسى يعرض مرة
ويغض اخرى فلما عيل صبره ناداها يا امة الله كونى خلفى وارينى بقولك فلما دخل على شعيب اذا هو بالعشاء مهيأ
فقال له شعيب اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى اعوذ بالله فقال شعيب لم اما انت جائع قال بلى ولكنى اخاف
ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نبيع شيأ من ديننا بملئ الارض ذهبا فقال له شعيب
لا يا شاب ولكنها عادتى وعادة آبائى نقرى الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى فاكل فان كانت هذه المائة دينارا
عوضا لما حدثت فالميتة والدم ولحم الخنزير فى حال الاضطرار احل من هذه وان كانت لحق لى فى بيت
المال فلى فيها نظرآء فان ساويت بيننا والا فليس لى فيها حاجة قال القرطبى فى تفسيره بعد ايراد هذه الحكاية
قلت هكذا يكون الاقتدآء بالكتاب والانبياء انتهى وقد اختلف العلماء فى اخذ الاجرة على تعليم القرءان والعلم
لهذه الاية ولا تشتروا باياتى ثمنا قليلا والفتوى فى هذا الزمان على جواز الاستئجار لتعليم القرءآن والفقه وغيره
لئلا يضيع قال صلى الله عليه وسلم ان احق ما اخذتم عليه اجرا كتاب الله والاية فى حق من تعين عليه التعليم
فابى حتى يأخذ عليه اجرا فاما اذا لم يتعين فيجوز له اخذ الاجرة بدليل السنة فى ذلك كما اذا كان الغسال فى موضع
لا يوجد من يغسل الميت غيره كما فى القرى والنواحى فلا اجر له لتعينه لذلك واما اذا كان ثمة ناس غيره
كما فى الامصار والمدن فله الاجر حيث لم يتعين له فلا يأثم بالترك وقد يتعين عليه الا انه ليس عنده ما ينفقه على

نفسه ولا على عياله فلا يجب عليه التعليم وله ان يقبل على صنعته وحرفته ويجب على الامام ان يعين له شيأ
والا فعلى المسلمين لان الصديق رضى الله عنه لما ولى الخلافة وعين لها لم يكن عنده ما يقيم به اهله فاخذ ثيابا
وخرج الى السوق فقيل له فى ذلك فقال ومن اين انفق على عيالى فردوه وفرضوا له كفايته وكذا يجوز للامام
والمؤذن وامثالهما اخذ الاجرة وبيع المصحف ليس بيع القرءآن بل هو بيع الورق وعمل ايدى الكاتب وقالوا
فى زماننا تغير الجواب فى بعض المسائل لتغير الزمان وخوف اندراس العلم والدين منها ملازمة العلماء ابواب
السلاطين ومنها خروجهم الى القرى لطلب المعيشة ومنها اخذ الاجرة لتعليم القرءآن والاذان والامامة ومنها
العزل عن الحرة بغير اذنها ومنها السلام على شربة الخمور ونحوها فافتى بالجواز فيها خشية الوقوع فيما هو اشد
منها واضر كذا فى نصاب الاحتساب وغيره (قال فى المثنوى) عاشقانرا شادمانى وغم اوست *
دست مزد واجرت خدمت هم اوست * غير معشوق ار تماشايى بود * عشق نبود هرزه سودايى بود *
عشق آن شعله است كو چون برفروخت * هر كه جز معشوق باقى جمله سوخت (واقيموا الصلاة)
خطاب لبنى اسرآئيل اى اقبلوها واعتقدوا فرضيتها واودوها بشرآئطها وحدودها كصلاة المسلمين
فان غيرها كلا صلاة (وآتوا الزكاة) كزكاة المؤمنين فان غيرها كلا زكاة والزكاة من زكى الزرع اذا نما فان
اخراجها يستجلب بركة فى المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من
الخبث والنفس من البخل واعلم ان الكفار لا يخاطبون باداء ما يحتمل السقوط من العبادات كالصلاة والصوم
ولا يعاقبون بتركها عند الحنفية فالتكليف عندهم راجع الى الاعتقاد والقبول (واركعوا مع الراكعين)
اى فى جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس فان
الصلاة كالغزو والمحراب كمحل الحرب ولا بد للقتال من صفوف الجماعة فالجماعة قوة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما اجتمع من المسلمين فى جماعة اربعون رجلا الا وفيهم رجل مغفور له فالله تعالى اكرم من ان
يغفر له ويرد الباقى خائبين خاسرين وانما فضلت صلاة الجماعة على الفذ بسبع وعشرين لان الجماعة مأخوذة
من الجمع والجمع اقله ثلاثة وصلاة الانسان وحده بعشر حسنات وعشر حسنات فيها واحدة اصل والتسعة
تضعيف بفضل الله تعالى فاذا اجتمعت التضعيفات كانت سبعا وعشرين قال القرطبى فى تفسيره ويجب على
من ادمن التخلف عن الجماعة من غير عذر العقوبة قال ابو سليمان الدارانى اقمت عشرين سنة لم احتلم فدخلت
مكة فاحدثت بها حدثا فما اصبحت الا احتلمت وكان الحدث ان فاتته صلاة العشاء بجماعة وفى الحديث ما افترض
الله على خلقه بعد التوحيد احب اليه من الصلاة ولو كان شئ احب اليه من الصلاة تعبد به ملائكته فمنهم
راكع وساجد وقائم وقاعد وينبغى للمصلى ان يبالغ فى الحضور فكان السلف لو شغلهم ذكر مال يتصدقون به
تكفيرا فالاصل عمل الباطن قال تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى اى من حب الدنيا وكثرة الهموم ولا ينظر
الله تعالى الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه فلا بد من دفع الخواطر (قال فى المثنوى) اول اى جان
دفع شر موش كن * وانكهان در جمع كندم كوش كن * بشنو از اخبار آن صدر صدور *
لا صلاة تم الا بالحضور * قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى فى وصاياه للعارف الهدآئى قدس الله
سرهما اذا شرعت فى الصلاة لا تتفكر فى غير اظهار العبودية وتتميمها فانه اذا تم العبودية يحصل المقصود واما فى
غير الصلاة فليكن فكرك وملاحظتك نفى نفسك واثبات وحدانيته تعالى فانه المقصود بالتوحيد ولا شئ افضل
من التوحيد ولذلك كان اول التكاليف فبعد قبول العبد التوحيد كلف بالصلاة ثم كلف بالصوم لان فيها
اصلاح الطبيعة وبعدها بالزكاة وفيها اصلاح النفس بازالة شحها ثم بالحج وفيه نفع للطبيعة من جهة وللنفس
من جهة بذل المال وقدم الثلاث الاول لعمومها للاغنياء والفقرآء واما الاخيران فالفقرآء سالمون عنهما
ثم قال اذا كان بيت الاغنياء من الجواهر يكون بيت الفقرآء من النور حتى يتمنون ان يكونوا فقرآء
(قال فى المثنوى) مكرها در كسب دنيا باردست * مكرها در ترك دنيا واردست * چيست دنيا
از خدا غافل بدن * نى قماش ونقره وميزان وزن * كوزه سر بسته اندر آب زفت * از دل پرباد
فوق آب رفت * باد درويشى چو در باطن بود * بر سر آب جهان ساكن بود * وفى التأويلات النجمية
واقيموا الصلاة بمراقبة القلوب وملازمة الخضوع والخشوع وآتوا الزكاة اى بالغوا فى تزكية النفس عن الحرص

على الامور الدنيوية والاخلاق الذميمة وتطهير القلب عن رؤية الاعمال السيئة وترك مطالبة ما سوى الله
فانه مع طلب الحق زيادة والزيادة على الكمال نقصان واركعوا مع الراكعين اى اقتدوا فى الانكسار ونفى الوجود
بالمنكسرين المبتذلين الوجود لانيل الموجود (أتأمرون الناس) الخطاب لليهود والامر القول لمن دونك افعل
والمراد بالناس سفلتهم (بالبر) اى الاعتراف بالنبى واتباع الادلة وهو التوسع فى الخير من البر الذى هو الفضاء
الواسع والهمزة تقرير مع توبيخ وتعجيب (وتنسون انفسكم) وتتركونها من البر كالمنسيات لان اصل السهو
والنسيان الترك الا ان السهو يكون لما علمه الانسان ولما لم يعلمه والنسيان ما عزب بعد حضوره كانوا يقولون
لفقرائهم الذين لا مطمع لهم فيهم بالسر آمنوا بمحمد فانه حق وكانوا يقولون للاغنياء نرى فيه بعض علامات
نبى آخر الزمان دون بعض فانتظروا الاستيفاء لما ينالون منهم ويؤخرون امور انفسهم فلا يتبعونه فى الحال
مع عزيمتهم ان يتبعوه يوما وكذا حال من تمادى فى العصيان وهو يقول اتوب عند الكبر والشيب وربما يفجؤه
الموت فيبقى فى حسرة الفوت (قال الحافظ) ديدى آن قهقهة كبك خرامان حافظ * كه زسر پنجه شاهين
قضا غافل بود (وانتم تتلون الكتاب) اى والحال انكم تتلون التوراة الناطقة بنعوته صلى الله تعالى عليه وسلم
الآمرة بالايمان به (افلا تعقلون) اى ليس لكم عقل تعرفون به انه قبيح منكم اصلاح انفسكم والاشتغال
بغيركم والعقل فى الاصل المنع والامساك ومنه العقال الذى يشد به وظيف البعير الى ذراعيه لحبسه عن الحراك
سمى به النور الروحانى الذى به يدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية لانه يحبس عن تعاطى ما يقبح ويعقل
على ما يحسن ومحله الدماغ لان الدماغ محل الحس وعند البعض محله القلب لان القلب معدن الحياة ومادة
الحواس وعند البعض هو نور فى بدن الادمى ثم هذا التوبيخ ليس على امر الناس بالبر بل لترك العمل به فمدار
الانكار والتوبيخ هى الجملة المعطوفة وهى جملة تنسون انفسكم دون ما عطفت هى عليه وهى اتأمرون
الناس بالبر ولا يستقيم قول من لا يجوز الامر بالمعروف لمن لا يعمل به بهذه الاية بل يجب العمل به ويجب الامر به
وقد قال عليه السلام مروا بالمعروف وان لم تعملوا به وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه وهذا لانه اذا امر به
مع انه لا يعمل به فقد ترك واجبا واذا لم يأمر به فقد ترك واجبين فالامر بالحسن حسن وان لم يعمل به ولكن
قلما انفعت موعظة من لم يعظ نفسه ومن امر بخير فليكن اشد الناس شارعا اليه ومن نهى عن شئ فليكن اشد
الناس انتهاء عنه وهذه الاية كما ترى ناعية على من يعظ غيره ولا يعظ نفسه سوء صنيعه وعدم تأثره وان فعله
فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالى عن العقل والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها
بالتكميل لتقوم بالحق وتقيم غيرها لا منع الفاسق من الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المأمور بهما لا يوجب
الاخلال بالاخر يروى انه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوى التصرف فى القلوب وكان كثيرا ما يموت
من اهل مجلسه واحد واثنان من شدة تأثير وعظه وكان فى بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال
وكانت تحترز عليه وتمنعه من حضور مجلس الواعظ فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع من امر الله تعالى
ما وقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما فى الطريق فقالت

اتهدى الانام ولا تهتدى * الا ان ذلك لا ينفع
فيا حجر الشحذ حتى متى * تسن الحديد ولا تقطع

فلما سمعها الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فتوفى الى رحمة الله تعالى (قال الحافظ)
واعظان كين جلوه در محراب ومنبر ميكنند * چون بخلوت ميروند آن كار ديگر ميكنند * مشكلى دارم
ز دانشمند مجلس باز پرس * توبه فرمايان چرا خود توبه كمتر ميكنند * قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة اسرى بى مررت على ناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء
الخطباء من امتك يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم يجزون نصيبهم فى نار جهنم فيقال لهم من انتم فيقولون
نحن الذين كنا نأمر الناس بالخير وننسى انفسنا قال الاوزاعى شكت النواويس الى الله تعالى ما تجده من جيف
الكفار فاوحى الله اليها بطون العلماء السوء انتن مما انتم فيه وفى الحديث ما من عبد يخطب خطبة الا والله تعالى
سائله عنها يوم القيامة ما اراد بها قال الشيخ افتاده افندى لو ان واعظا يرى نفسه خيرا من المستمعين يشكل الامر
كذا اذا لم يكن من يصغى الى كلامه مساويا لمن يلطم على قفاه يشكل الامر فلذلك قال عليه السلام كم من واعظ

يلعب به الشيطان اللهم الا ان يقول ينتفع منى المسلمون وان كنت معذبا فى النار فهو نوع فناء لكن يخاف
ان يجد حظه فى ضمنه وقال ايضا من كان يعظ الناس اما ان يعتقد انهم يعرفون ما يعرفه او يعتقد انهم لا يعرفون
ما يعرفه فعلى الاول لا يحتاج الى وعظه وعلى الثانى قد اثبت لهم جهلا ولنفسه فضلا عليهم فهو محض كبر
وبالجملة حيل النفس كثيرة لا يتيسر النجاة عنها الا بمحض لطف الله تعالى وادنى الحال ان يلاحظ قوله
عليه السلام ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاسق فما دام لم يصل السالك الى الحقيقة لا يتخلص عن الورطة
قال عليه السلام الناس كلهم سكارى الا العالمون الحديث والمخلصون على خطر عظيم وانما الامن للمخلص
بالفتح وهو الواصل الى التوحيد الحقيقى الفانى عن القهر والكرم الخارج عن حد الوجود والعدم وهو البهت
الكل وهم الذين اريد وابقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ولا بد من رعاية الشريعة فى جميع المراتب
فان الكمال فيها والا فهو ناقص ولذلك ان المجاذيب لا يخلون عن النقصان الا يرى ان الانبياء عليهم السلام
لم يسمع عن واحد منهم عروض السفه والجنون فالكامل فى مرتبة الكمال يكون كامل العقل حتى يحس
صرير الباب فى حال استغراقه اللهم اوصلنا الى الكمال (واستعينوا) يا بنى اسرائيل على قضاء حوائجكم
(بالصبر) اى بانتظار الظفر والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من
كسر الشهوة وتصفية النفس (والصلاة) اى التوسل بالصلاة والالتجاء اليها حتى تجابوا الى تحصيل المآرب
وجبر المصائب كأنهم اى بنى اسرائيل لما امروا بما شق عليهم لما فيه من ترك الكلفة وترك الرياسة والاعراض
عن المال عولجوا بذلك روى انه عليه السلام اذا حزنه امر فزع الى الصلاة وروى ان ابن عباس رضى الله عنه
نعى له بنت وهو فى سفر فاسترجع وقال عورة سترها الله ومؤنة كفاها الله واجر ساقه الله ثم تنحى عن الطريق وصلى
ثم انصرف الى راحلته وهو يقرأ واستعينوا بالصبر والصلاة (وانها) اى الاستعانة بهما (لكبيرة) لثقيلة شاقة
كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه (الا على الخاشعين) اى المخبتين الخائفين والخشوع بالجوارح
والخضوع بالقلب او الخشوع بالبصر والخضوع بسائر الاعضاء وانما لم يثقل عليهم لانهم يستغرقون فى مناجاة
ربهم فلا يدركون ما يجرى عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم وقرة عينى فى الصلاة
لان اشتغاله عليه السلام بالصلاة كان راحة له وكان يعد غيرها من الاعمال الدنيوية تعبا (الذين يظنون)
اى يوقنون لان الظن يكون يقينا ويكون شكا من الاضداد كالرجاء يكون امنا وخوفا كما فى تفسير الكواشى
(انهم ملاقوا ربهم) معاينوه وهو كناية عن شهود مشهد العرض والسؤال يوم القيامة وهو الوجه فيما روى
فى الاخبار لقى الله وهو عليه غضبان وما يجرى مجراه وقيل اى يعلمون انهم يموتون قال النبى عليه السلام
من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه واراد به الموت (وانهم اليه راجعون)
اى ويعلمون انهم راجعون يوم القيامة الى الله تعالى اى الى جزائه اياهم على اعمالهم واما الذين لا يوقنون
بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالمنافقين والمرائين
فالصبر على الاذى والطاعات من باب جهاد النفس وقمعها عن شهواتها ومنعها من تطاولها وهو من اخلاق
الانبياء والصالحين قال يحيى بن اليمان الصبر ان لا تتمنى حالة سوى ما رزقك الله والرضى بما قضى الله من امر
دنياك وآخرتك وهو بمنزلة الرأس من الجسد (قال الحافظ) گويند سنگ لعل شود در مقام صبر * آرى شود
وليك بخون جگر شود * ثم ان الله تعالى وصف جزاء الاعمال وجعل لها نهاية وحدا فقال من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها وجعل جزاء الصدقة فى سبيل الله فوق هذا فقال مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله
كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة الاية وجعل اجر الصابرين بغير حساب ومدح اهله فقال انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب وقد وصف الله نفسه بالصبر كما فى الحديث ليس شئ اصبر على اذى سمعه من الله
تعالى انهم ليدعون له ولدا وانه ليعافيهم ويرزقهم ووصف الله بالصبر انما هو بمعنى الحلم وهو تأخير العقوبة
عن المستحقين لها والفرق بين الحليم والصبور ان المذنب لا يأمن العقوبة فى صفة الصبور كما يأمنها فى صفة
الحليم وقيل فى الخشوع اتريد ان تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع ليس الخشوع باكل الخشن ولبس
الخشن لكن الخشوع ان ترى الشريف والدنى فى الحق سواء وتخشع لله فى كل فرض افترض عليك فمن اظهر
خشوعا فوق ما فى قلبه فانما اظهر نفاقا على نفاق قال سهل بن عبد الله لا تكون خاشعا حتى تخشع كل شعرة

على جسدك وهذا هو الخشوع المحمود لان الخوف اذا سكن القلب اوجب خشوع الظاهر فلا يملك صاحبه
دفعه فتراه مطرقا متأدبا متذللا وقد كان السلف يجتهدون فى ستر ما يظهر من ذلك واما المذموم فتكلفه
والتباكى ومطأطأة الرأس كما يفعله الجهال ليروا بعين البر والاجلال وذلك خدع من الشيطان وتسويل من
نفس الانسان وكان عمر رضى الله عنه اذا تكلم اسمع واذا مشى اسرع واذا ضرب اوجع وكان ناسكا
صدقا وخاشعا حقا كما فى تفسير القرطبى وقال فى التأويلات النجمية واستعينوا بالصبر عن شهوات النفس
ومتابعة هواها والصلاة اى دوام الوقوف والتزام العكوف على باب الغيب وحضرة الرب وانها اى الاستعانة
بهما لكبيرة امر عظيم وشأن صعب الا على الخاشعين وهم الذين تجلى الحق لاسرارهم فخشعت له انفسهم
كما قال عليه السلام اذا تجلى الله لشئ خضع له وقال وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا فالتجلى
يورث الالفة مع الحق ويسقط الكلفة عن الخلق الذين يظنون اى يوقنون بنور التجلى انهم ملاقوا ربهم انهم
يشاهدون جمال الحق وانهم اليه راجعون بجذبات الحق التى كل جذبة منها توازى عمل الثقلين (يا بنى اسرائيل
اذكروا) اشكروا (نعمتى التى انعمت) بها (عليكم) بانزال المن والسلوى وتظليل الغمام وتفجير الماء
من الحجر وغيرها وذكر النعم على الاباء الزام الشكر على الابناء فانهم يشرفون بشرفهم ولذلك خاطبهم فقال تعالى
فضلتكم ولم يقل فضلت اباءكم لان فى فضل ابائهم فضلهم (و) اذكروا (انى فضلتكم على العالمين) من
عطف الخاص على العام للتشريف اى فضلت اباءكم على عالمى زمانهم بما منحتهم من العلم والايمان والعمل
الصالح وجعلتهم انبياء وملوكا مقسطين وهم اباؤهم الذين كانوا فى عصر موسى عليه السلام وبعده قبل
ان يغيروا وهذا كما قال فى حق مريم واصطفاك على نساء العالمين اى نساء زمانك فان خديجة وعائشة وفاطمة
افضل منها فلم يكن لهم فضل على امة محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى فى حقهم كنتم خير امة اخرجت للناس
كما فى التيسير فالاستغراق فى العالمين عرفى لا حقيقى قال بعضهم من آمن من اهل الكتاب بمحمد صلى الله عليه
وسلم كانت له فضيلة على غيره وكان له اجران اجر ايمانه بنبيه واجر اتباعه لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يعطيهم الله الاجر مرتين من اشترى جارية فاحسن تأديبها فاعتقها
وتزوجها وعبد اطاع سيده واطاع الله ورجل من اهل الكتاب ادرك النبى صلى الله عليه وسلم فآمن به
قال القشيرى اشهد الله بنى اسرائيل فضل انفسهم فقال فضلتكم على العالمين واشهد محمدا صلى الله عليه وسلم
فضل ربه فقال قل بفضل الله وبرحمته وشتان بين من مشهوده فضل نفسه وبين من مشهوده فضل ربه وشهوده
فضل نفسه قد يورث الاعجاب وشهوده فضل ربه يورث الايجاب ثم ان اليهود كانوا يقولون نحن من اولاد ابراهيم
خليل الرحمن ومن اولاد اسحق ذبيح الله والله تعالى يقبل شفاعتهم فينا فرد الله عليهم فانزل هذه الاية وقال
(واتقوا) اى واخشوا يا بنى اسرائيل (يوما) يوم القيامة اى حساب يوم او عذاب يوم فهو من ذكر المحل
وارادة الحال (لا تجزى) اى لا تقضى فيه ولا تؤدى ولا تغنى فالعائد محذوف والجملة صفة يوم (نفس) مؤمنة
(عن نفس) كافرة (شيأ) ما من الحقوق التى لزمت عليها وهو نصب على المفعول به وايراده منكرا مع تنكير النفس
للتعميم والاقناط الكلى قال تعالى لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم وكيف ينفع وقد قال يوم يفر المرء من اخيه
الاية (قال فى المثنوى) چون يفر المرء آيد من اخيه * يهرب المولود يوما من ابيه * زان شود هر دوست
آن ساعت عدو * كه بت تو بود وازره مانع او * وهذا فى حق الكفار فاما المؤمن فقد استثناه فقال يوم
لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اى خال عن الشرك (ولا يقبل منها) اى من النفس الاولى المؤمنة
(شفاعة) اى شفعت للنفس الثانية الكافرة عند الله لتخليصها من عذابه والشفاعة مصدر الشافع والشفيع
وهو طالب قضاء حاجة غيره مأخوذ من الشفع لانه يشفع نفسه لمن يشفع له فى طلب مراده ولا شفاعة فى حق
الكافر بخلاف المؤمن قال النبى عليه السلام شفاعتى لاهل الكبائر من امتى فمن كذب بها لم ينلها والايات
الواردة فى نفى الشفاعة خاصة بالكفار (ولا يؤخذ منها) اى من المشفوع لها وهى النفس الثانية العاصية
(عدل) اى فداء من مال او رجل مكانها او توبة تنجو بها من النار والعدل بالفتح مثل الشئ من خلاف جنسه
وبالكسر مثله من جنسه وسمى به الفدية لانه تساويه الفدية وتماثله وتجرى مجراه (ولا هم ينصرون)
اى يمنعون من عذاب الله تعالى ومن ايدى المعذبين فلا نافع ولا شافع ولا دافع لهم والضمير لما دلت عليه النفس

الثانية المنكرة الواقعة فى سياق النفى من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد والاناسى والنصرة
ههنا اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر ثم هذه الاية فى غاية البلاغة فانها جمعت ذكر الوجوه التى بها
يتخلص المرء عن النكبة التى اصابته فى الدنيا وهى اربع ينوب عنه غيره فى تحمل ما عليه او يفتدى بمال
فيتخلص منها او يشفع فيوهب له او ينصره ناصر فيمنعه فقطع الله عنهم جميعا وعن عكرمة انه قال ان الوالد ليتعلق
بولده يوم القيامة فيقول يا بنى انى اب لك فى الدنيا وقد احتجت الى مثقال حبة من حسناتك لعلى انجو بها
مما ترى فيقول له ولده انى اتخوف مثل الذى تخوفت انت فلا اطيق ان اعطيك شيأ ثم يتعلق بزوجته فيقول لها
فلانة انى زوج كنت لك فى الدنيا فتثنى عليه خيرا فيقول لها انى اطلب منك حسنة واحدة تهبينها لى لعلى انجو
مما ترين قالت لا اطيق ذلك انى اتخوف مثل الذى تخوفت منه فيقول الله وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل
منه شئ ولو كان ذا قربى يعنى من انقلته الذنوب لا يحمل احد من ذنبه شيأ (قال السعدى) برفتند هر كس
درود آنچه كشت * نماند بجز نام نيكو وزشت * بر آن خورد سعدى كه بيخى نشاند * كسى برد
خرمن كه تخمى فشاند * وفى التأويلات النجمية يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم ظاهره
عام وباطنه خاص مع قوم منهم قد علم الله فيهم خيرا فاسمعهم خطابه فى السر فذكروا نعمته التى انعم الله عليهم
وهى استعداد قبول رشاش نوره يوم خلق الله الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فآمنوا بمحمد عليه السلام
من خاصية قبول ذلك الرشاش كما قال عليه السلام فمن اصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن اخطأه فقد ضل
وانى فضلتكم على العالمين اى بهذه النعمة فضلتكم مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين بهذه النعمة عند رش النور على من لم يصبهم ذلك النور من العالمين واتقوا يوما اى عذاب يوم يخوف
الله العام بافعاله كما قال واتقوا النار الخ ويخوف الخاص بصفاته كقوله انا نعلم ما يسرون وما يعلنون وقوله
ليسأل الصادقين عن صدقهم ويخوف خاص الخاص بذاته ويحذركم الله نفسه وقوله واتقوا الله حق تقاته
لا تجزى نفس عن نفس شيأ والامر يومئذ لله ولا يقبل منها شفاعة فى حق نفسها ولا فى حق غيرها بغير الاذن
كقوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ولا يؤخذ منها عدل اى فداء لانه ليس للانسان الا ما سعى وان
سعيه سوف يرى والسعى المشكور ما يكون ههنا ولا هم ينصرون لانهم ما نصروا الحق ههنا وقد قال الله تعالى
ان تنصروا الله ينصركم (واذ نجيناكم) خطاب لبنى اسرائيل اى اذكروا وقت تنجيتنا اباءكم اى اباءكم فان تنجيتهم
تنجية لاعقابهم ومن عادة العرب يقولون قتلناكم يوم عكاظ اى قتل اباؤنا آباءكم والنجو المكان العالى من الارض
لان من صار اليها يخلص ثم سمى كل فائز ناجيا لخروجه من ضيق الى سعة اى جعلنا اباءكم بمكان حريز ورفعناكم
عن الاذى (من آل فرعون) واتباعه واهل دينه وفرعون لقب من ملك العمالقة ككسرى لملك الفرس
وقيصر لملك الروم وخاقان لملك الترك والنجاشى للحبشة وتبع لاهل اليمن والعمالقة الجبابرة وهم اولاد عمليق
ابن لاود بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام سكان الشام منهم سموا بالجبابرة وملوك مصر منهم سموا بالفراعنة
ولعتوه اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد فليس المراد الاستغراق بل الذين كانوا بمصر وفرعون موسى
هو الوليد بن مصعب بن الريان وكان من القبط وعمر اكثر من اربعمائة سنة وقيل انه كان عطارا اصفهانيا
ركبته الديون فافلس فاضطر الى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام فدخل مصر فرأى فى ظاهرها حملا
من البطيخ بدرهم وفى نفسه بطيخة بدرهم فقال فى نفسه ان تيسر لى اداء الديون فهذا طريقه فخرج الى السواد
فاشترى حملا بدرهم فتوجه به الى السوق فكل من لقيه من المكاسين اى العشارين اخذ بطيخة فدخل البلد
وما معه الا بطيخة فباعها بدرهم ومضى بوجهه ورأى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم
وكان قد وقع به وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فرأى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم
تدفنونه حتى تعطونى خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لآخر وآخر حتى جمع فى مقدار ثلاثة اشهر مالا عظيما
ولم يتعرض له احد قط الى ان تعرض يوما لاولياء ميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك فقالوا
من نصبك هذا المنصب فذهبوا به الى فرعون اى الى ملك المدينة فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام
قال لم يقمنى احد وانما فعلت ما فعلت ليحضرنى احد الى مجلسك فانبهك على اختلال حال قومك وقد جمعت
بهذا الطريق هذا المقدار من المال فاحضره ودفعه الى فرعون فقال ولنى امورك ترنى امينا كافيا فولاه اياها

فسار بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت احوال الرعية ولبث فيهم دهرا طويلا وتراخى امره
فى العدل والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه فكان من امره ما كان وكان فرعون يوسف عليه السلام
ريان ومنهما اكثر من اربعمائة سنة (يسومونكم) اى يبغونكم (سوء العذاب) واقبحه بالنسبة الى سائره
ويريدونكم عليه ويكلفونكم الاعمال الشاقة ويذيقونكم ويديمون عليكم ذلك من سام السلعة اذا طلبها والسوم
بمعنى البغاء وبغى يتعدى الى مفعولين بلا واسطة فلذلك كان سوء العذاب منصوبا على المفعولية ليسومونكم
والجملة حال من ضمير المفعول فى نجيناكم والمعنى نجيناكم مسومين منهم اقبح العذاب كقولك رأيت زيدا يضربه
عمرو اى رأيته حال كونه مضروبا لعمرو وذلك ان فرعون جعل بنى اسرائيل خدما وخولا وصنفهم
فى الاعمال فصنف يبنون وصنف يحرثون ويزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن منهم فى عمل وضع عليهم
الجزية وقال وهب كانوا اصنافا فى اعمال فرعون فذووا القوة ينحتون السوارى من الجبال حتى قرحت
اعناقهم وايديهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها وطائفة ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور وطائفة
منهم يضربون اللبن ويطبخون الآجر وطائفة نجارون وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج ضريبة
يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل ان يؤدى ضريبته غلت يمينه الى عنقه شهرا والنساء يغزلن
الكتان وينسجن وقيل تفسير قوله يسومونكم سوء العذاب ما بعده وهو قوله تعالى (يذبحون ابناءكم) كانه قيل
ما حقيقة سوء العذاب الذى يبغونه لنا فاجيب بانهم يذبحون ابناءكم اى يقتلونهم والتشديد للتكثير كما يقال
فتحت الابواب والمراد من الابناء هم الذكور خاصة وان كان الاسم يقع على الذكور والاناث فى غير هذا الموضع
كالبنين فى قوله تعالى يا بنى اسرائيل فانهم كانوا يذبحون الغلمان لا غير وكذا اريد به الصغار دون الكبار
لانهم كانوا يذبحون الصغار (ويستحيون نساءكم) اى يستبقون بناتكم ويتركونهن حيات وذكر النساء وان كانوا
يفعلون هذا بالصغار لانه سماهن باسم المآل لانهن اذا استبقوهن صرن نساء بعد البلوغ ولانهم كانوا
يستبقون البنات مع امهاتهن والاسم يقع على الكبيرات والصغيرات عند الاختلاط وذلك ان فرعون
رأى فى منامه كأن نارا اقبلت من بيت المقدس فاحاطت بمصر واحرقت كل قبطى بها ولم تتعرض
لبنى اسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة والسحرة عن رؤياه فقالوا يولد فى بنى اسرائيل غلام يكون على يده
هلاكك وزوال ملكك فامر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى اسرائيل وجمع القوابل فقال لهن لا يسقط على
ايديكن غلام يولد فى بنى اسرائيل الا قتل ولا جارية الا تركت ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قيل انه قتل
فى طلب موسى اثنى عشر الف صبى او تسعين الف وليدة وقد اعطى الله نفس موسى عليه السلام من القوة على
التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا احياء ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة ثم اسرع الموت
فى مشيخة بنى اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وقالوا ان الموت وقع فى بنى اسرائيل فتذبح صغارهم
ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون عليه السلام
فى السنة التى لا يذبح فيها وولد موسى فى السنة التى يذبحون فيها فلم يرد اجتهادهم من قضاء الله شيأ وشمر فرعون
عن ساق الاجتهاد وحسر عن ذراع العناد فاراد ان يسبق القضاء ظهوره ويأبى الله الا ان يتم نوره (وفى ذالكم)
اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء (بلاء) اى محنة وبلية وكون استحياء نسائهم اى استبقائهن على
الحياة محنة مع انه عفو وترك للعذاب لما ان ذلك كان للاسترقاق والاستعمال فى الاعمال الشاقة ولان بقاء
البنات مما يشق على الاباء ولا سيما بعد ذبح البنين (من ربكم) من جهته تعالى بتسليطهم عليكم (عظيم) صفة
للبلاء وتنكيرهما للتفخيم ويجوز ان يشار بذلكم الى الانجاء من فرعون ومعنى البلاء حينئذ النعمة لان اصل
البلاء الاختبار والله تعالى يختبر عباده تارة بالمنافع ليشكروا فيكون ذلك الاختبار منحة اى عطاء ونعمة
واخرى بالمضار ليصبروا فيكون محنة فلفظ الاختبار يستعمل فى الخير والشر قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير
ومعنى من ربكم اى ببعث موسى وبتوفيقه لتخليصكم منهم والاشارة ان النجاة من آل فرعون النفس الامارة
وهى صفاتها الذميمة واخلاقها الرديئة فى يوم سوء العذاب للارواح الشريفة بذبح ابناء الصفات الروحانية الحميدة
واستحياء بعض الصفات القلبية لاستخدامهن فى اعمال القدرة الحيوانية لا يمكن الا بتنجية الله كما قال عليه
السلام ان ينجى احدكم عمله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله بفضله وفى ذلكم اى فى استيلاء

صفات النفس على القلب والروح بلاء عظيم امتحان عظيم فى الخير والشر فمن يهده الله ويصلح باله يرجع الى
الله فى طلب النجاة فينجيه الله ويهلك عدوه ومن يضلله ويخذله اخلد الى الارض واتبع هواه وكان امره
فرطا ثم فى الاية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد من السراء والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر
فى المسار والصبر على المضار (كما قال الحافظ) اكر بلطف بخوانى مزيد الطافست * وكر بقهر برانى
درون ما صافست * وسنته تعالى استدعاء العباد لعبادته بسعة الارزاق ودوام المعافاة ليرجعوا اليه
بنعمته فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون لان مراده تعالى رجوع العباد اليه طوعا
وكرها فالاول حال الاحرار والثانى حال الاغيار قال داود بن رشيد من اصحاب محمد بن الحسن قمت ليلة
فاخذنى البرد فبكيت من العرى فنمت فرأيت قائلا يقول يا داود انمناهم واقمناك فتبكى علينا فما نام داود
بعد تلك الليلة كذا فى روضة الاخبار (قال فى المثنوى) درد بشتم داد حق تا من زخواب * برجهم
در نيم شب باسوز وتاب * دردها بخشيد حق از لطف خويش * تا نخسبم جمله شب چون كاوميش *
روى ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه انزلت بعبدى بلائى فدعانى فماطلته بالاجابة فشكانى فقلت عبدى
كيف ارحمك من شئ به ارحمك ومن ظن انفكاك لطفه تعالى فذلك لقصور نظره فى العقليات والعاديات
والشرعيات اما العقليات فما من بلاء الا والعقل قاض بامكان اعظم منه حتى لو قدرنا اجتماع بلايا الدنيا كلها
على كافر وعوقب فى الاخرة باعظم عذاب اهل النار لكان ملطوفا به اذ الله قادر على ان يعذبه باكثر من ذلك
واما العاديات فما وجدت قط بلية الا فى طيها خير وحفها لطف باعتبار قصرها على نوعها اذ المبتلى مثلا
بالجذام والعياذ بالله ليس كالاعمى وهما مع الغنى ليسا كهما مع الفقر واجتماع كل ذلك مع سلامة الدين
امر يسير واما الشرعيات فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه
وان رضى اصطفاه وليخفف الم البلاء عنك علمك بان الله هو المبتلى اما اعتبارا بان كل افعاله جميل او لانه عود لك
بالفعل الجميل والعطاء الجزيل (و) اذكروا يا بنى اسرائيل (اذ فرقنا) فصلنا (بكم) اى بسبب انجائكم
فالباء للسببية وهو اولى لان الكلام مسوق لتعداد النعم والامتنان وفى السببية دلالة على تعظيمهم
وهو ايضا من النعم وقيل الباء بمعنى اللام كقوله تعالى ذلك بان الله هو الحق اى لان الله (البحر) وهو
بحر القلزم بحر من بحار فارس او بحر من وراء مصر يقال له اساف حتى حصل اثنا عشر مسلكا بعدد اسباط
بنى اسرائيل والسبط ولد الولد والاسباط من بنى اسرائيل كالقبائل من العرب وهم اولاد يعقوب (فانجيناكم)
اى من الغرق باخراجكم الى الساحل (واغرقنا) الغرق الرسوب فى الشئ المائع ورسب الشئ فى الماء رسوبا
اى سفل فيه والاغراق الاهلاك فى الماء (آل فرعون) يريد فرعون وقومه للعلم بدخوله فيهم وكونه اولى به
منهم (وانتم تنظرون) بابصاركم انفراق البحر حين سلكتم فيه وانطباقه على آل فرعون بعد سلامتكم منه
وايضا تنظرون اليهم غرقى موتى حين رماهم البحر الى الساحل قال القرطبى ان الله تعالى لما انجاهم واغرق
فرعون قالوا يا موسى ان قلوبنا لا تطمئن أن فرعون قد غرق حتى امر الله البحر فلفظه فنظروا اليه روى انه لما دنا
هلاك فرعون امر الله موسى عليه السلام ان يسرى ببنى اسرائيل من مصر ليلا فامرهم ان يخرجوا وان
يستعيروا الحلى من القبط وامر ان لا ينادى احد منهم صاحبه وان يسرجوا فى بيوتهم الى الصبح ومن خرج
اطخ بابه بكف من دم ليعلم انه قد خرج فخرجوا ليلا وهم ستمائة الف وعشرون الف مقاتل لا يعدون فيهم
ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره والقبط لا يعلمون ووقع فى القبط موت فجعلوا يدفنونهم وشغلوا عن
طلبهم فلما ارادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا اين يذهبون فدعا موسى مشيخة بنى اسرائيل وسألهم عن
ذلك فقالوا ان يوسف لما حضره الموت اخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم
فلذلك انسد عليهم الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلمه احد غير عجوز قالت لو دللت على قبره اتعطينى
كل ما سألتك فابى عليها وقال حتى اسأل ربى فامر الله بايتاء سؤلها فقالت انى عجوز كبيرة لا استطيع المشى
فاحملنى واخرجنى من مصر هذا فى الدنيا واما فى الاخرة فاسألك ان لا تنزل فى غرفة الا نزلتها معك قال نعم
قالت انه فى جوف الماء فى النيل فادع الله ان يحسر عنه الماء فدعا الله ان يؤخر طلوع الفجر الى ان يفرغ من امر
يوسف فحفر موسى ذلك الموضع واستخرجه فى صندوق من صنوبر قالوا ان موسى استخرج تابوت يوسف

من قعر النيل بالوفق وهو اول علم اوجده الله بنفسه وعلمه آدم عليه السلام فتوارثه الانبياء آخرا عن اول
ثم انه حمله حتى دفنه بالشأم ففتح لهم الطريق فساروا فكان هارون امام بنى اسرآئيل وموسى على ساقتهم
فلما علم بذلك فرعون جمع قومه فخرج فى طلب بنى اسرآئيل وعلى مقدمته هامان فى الف الف وسبعمائة
الف جواد ذكر ليس فيها رمكة على رأس كل واحد منهم بيضة وفى يده حربة فسارت بنوا اسرآئيل حتى وصلوا
الى البحر والماء فى غاية الزيادة فادركهم فرعون حين اشرقت الشمس فقال فرعون فى اصحاب موسى ان هؤلاء
لشرذمة قليلون فلما نظر اصحاب موسى اليهم بقوا متحيرين فقالوا لموسى انا لمدركون ياموسى اوذينا
من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا اليوم نهلك فان البحر امامنا ان دخلناه غرقنا وفرعون خلفنا ان ادركنا
قتلنا ياموسى كيف نصنع واين ما وعدتنا قال موسى كلا ان معى ربى سيهدين فاوحى الله الى موسى ان اضرب
بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فاوحى الله اليه ان كنه فضربه وقال انفلق يا اباخالد فانفلق فصار فيه اثنا عشر
طريقا كل طريق كالجبل العظيم فكان لكل سبط طريق يأخذون فيه وارسل الله الريح والشمس على
قعر البحر حتى صار يبسا فخاضت بنوا اسرائيل البحر وعن جانبهم الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضا
فقالوا ما لنا لا نرى اخواننا وقال كل سبط قد قتل اخواننا قالوا سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا
لا نرضى حتى نراهم فقال موسى اللهم اعنى على اخلاقهم السيئة فاوحى الله اليه ان قل بعصاك هكذا وهكذا
يمنة ويسرة فصار فيها كوى ينظر بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض فساروا حتى خرجوا من البحر فلما جاز
آخر قوم موسى هجم فرعون على البحر فرآه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر انفلق من هيبتى حتى ادرك
عبيدى الذين ابقوا فهاب قومه ان يدخلوه وقيل له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان موسى
على حصان ادهم اى ذكر اسود من الخيل ولم يكن فى قوم فرعون فرس انثى فجاء جبريل على انثى وديق وهى
التى تشتهى الفحل وتقدمه الى البحر فشم ادهم فرعون ريحها فاقتحم خلفها البحر اى هجم على البحر بالدخول
وهم لا يرونه ولم يملك فرعون من امره شيأ وهو لا يرى فرس جبريل وتبعته الخيول وجاء ميكائيل على فرس
خلف القوم يحثهم ويسوقهم حتى لا يشذ رجل منهم حتى خاضوا كلهم البحر ودخل آخر قوم فرعون وجاز آخر
قوم موسى وهم اوائلهم بالخروج فامر الله البحر ان يأخذهم فانطبق على فرعون وقومه فاغرقوا فنادى
فرعون لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرآئيل وانا من المسلمين القصة وقالت بنوا اسرآئيل الآن يدركنا فيقتلنا
فلفظ البحر ستمائة وعشرين الفا عليهم الحديد فذلك قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك فلفظ فرعون وهو كانه
ثور احمر فلم يقبل البحر بعد ذلك غريقا الا لفظه على وجه الماء واعلم ان هذه الوقعة كما انها لموسى عليه السلام
معجزة عظيمة لاوآئل بنى اسرآئيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها على ما هى عليه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الابية وتنقاد بها النفوس الغبية موجبة لاعقابهم
ان يتلقوها بالاذعان لانه عليه السلام اخبرهم بذلك مع انه كان اميا لم يقرأ كتابا وهذا غيب لم يكن له علم العرب
فاخباره به دل على انه اوحى اليه ذلك وذلك علامة لنبوته فلا تأثرت اوآئلهم بمشاهدتها ورؤيتها حيث اتخذوا
العجل الها بعد الانجاء ثم صار امرهم الى ان قتلوا انبياءهم ورسلهم فهذه معاملتهم مع ربهم وسيرتهم فى دينهم
وسوء اخلاقهم ولا تذكرت اواخرهم بتذكيرها وروايتها حيث بدلوا التوراة وافتروا على الله وكتبوا بايديهم
واشتروا به عرضا وكفروا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك فيا لها من عصابة ما اعصاها وطائفة ما اطغاها
وفى الاية تهديد للكافرين ليؤمنوا وتنبيه للمؤمنين ليتعظوا وينتهوا عن المعاصى فى جميع الاوقات خصوصا
فى الزمان الذى انجى الله فيه موسى مع بنى اسرآئيل من الغرق وهو اليوم العاشر من المحرم وعن ابن عباس
رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشورآء فقال لهم
ما هذا اليوم الذى تصومونه فقالوا هذا يوم عظيم انجى الله فيه موسى وقومه واغرق فيه فرعون وقومه فصامه
موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول صلى الله عليه وسلم فنحن احق واولى بموسى منكم فصامه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وامر بصيامه رواه مسلم وهذا يدل بظاهره على ان النبى عليه السلام انما صام عاشورآء
وامر بصيامه اقتدآء بموسى عليه السلام على ما اخبر به اليهود وليس كذلك لما روته عائشة رضى الله عنها قالت
كان يوم عاشورآء يوما تصومه قريش فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فى الجاهلية

فلما قدم المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك صيام يوم عاشورآء فمن شاء صامه ومن شاء تركه
(يحكى) انه هرب اسير من الكفار يوم عاشورآء فركبوا فى طلبه فلما رأى الفرسان خافه وعلم انه مأخوذ
رفع رأسه الى السماء وقال اللهم بحق هذا اليوم المبارك اسألك ان تنجينى منهم فاعمى الله ابصارهم جميعا فنجا
الاسير فصام فى ذلك اليوم فلم يجد ما يفطر عليه وبتعشى فنام فاطعم وسقى فى المنام فعاش بعد ذلك عشرين
سنة لم يكن له حاجة الى الطعام والشراب قال النبى عليه السلام التمسوا فضله فانه يوم مبارك اختاره الله
من الايام من صام ذلك اليوم جعل الله له نصيبا من عبادة جميع من عبده من الملائكة والانبياء والمرسلين
والشهدآء والصالحين هذا فى الصوم واما الصلاة الواردة فى يوم عاشورآء فقد ذكرها الشيخ عبد القادر قدس سره
عن ابن عباس رضى الله عنه فى حديث طويل فيه ومن صلى اربع ركعات فى يوم عاشورآء يقرأ فى كل ركعة
فاتحة الكتاب مرة وخمسين مرة قل هو الله احد غفر الله له ذنوب خمسين عاما مستقبلا وبنى له فى الملأ الاعلى
الف منبر من نور ويستحب احياء ليلة عاشورآء ففى الحديث من احيى ليلة عاشورآء فكانما عبد الله بعبادة
ملائكته المقربين والاشارة ان البحر هو الدنيا وماؤه شهواتها ولذاتها وموسى هو القلب وقومه صفات القلب
وفرعون هو النفس الامارة وقومه صفات النفس وهم اعدآء موسى وقومه يطلبونهم ليقتلوهم وهم سائرون
الى الله تعالى والعدو من خلفهم وبحر الدنيا امامهم ولا بد لهم فى السير الى الله من العبور على البحر ولا يخوضون
البحر بلا ضرب عصا لا اله الا الله على البحر بيد موسى القلب فان له يدا بيضاء فى هذا الشأن والا لغرقوا كما غرق
فرعون وقومه ولو كانت هذه العصا فى يد فرعون النفس لم يكن لها معجزة انفلاق البحر فاذا ضرب بيد موسى
القلب بعصا الذكر ينفلق بحر الدنيا وماء شهواتها يمينا وشمالا ويرسل الله ريح العناية وشمس الهداية على قعر
بحر الدنيا فيصير يابسا من ماء الشهوات فيخوض موسى القلب وصفاته فيجاوزونه وتنجيهم عناية الله الى الساحل
وان الى ربك المنتهى وقيل لفرعون النفس وقومه اغرقوا فادخلوا نارا كذا فى التأويلات النجمية قدس الله
تعالى نفسه الزكية (و) اذكروا يا بنى اسرآئيل (اذ واعدنا) وقت وعدنا وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثى
او على اصلها فان الوعد وان كان من الله فقبوله كان من موسى وقبول الوعد شبه الوعد او ان الله تعالى وعده
الوحى وهو وعده المجئ للميقات الى الطور (موسى) مفعول اول لواعدنا مو بالعبرانية الماء وشى بمعنى الشجر
فقلب الشين المعجمة سينا فى العربية وانما سمى به لان امه جعلته فى التابوت حين خافت عليه من فرعون والقته
فى البحر فدفعته امواج البحر حتى ادخلته بين اشجار عند بيت فرعون فخرجت جوارى آسية امرأة فرعون
يغسلن فوجدن التابوت فاخذنه فسمى عليه السلام باسم المكان الذى اصيب به وهو الماء والشجر ونسبه
عليه السلام موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب اسرآئيل الله بن اسحق بن ابراهيم
عليه السلام (اربعين ليلة) اى تمام اربعين ليلة على حذف المضاف مفعول ثان امره الله تعالى بصوم ثلاثين
وهو ذو القعدة ثم زاد عليه عشرا من ذى الحجة وعبر عنها بالليالى لانها غرر الشهور وشهور العرب وضعت
على سير القمر ولذلك وقع بها التاريخ فالليالى اولى الشهور والايام تبع لها اولان الظلمة اقدم من الضوء
(ثم اتخذتم العجل) وهو ولد البقرة بتسويل السامرى الها ومعبودا (من بعده) اى من بعد مضيه الى الميقات
وانما ذكر لفظة ثم لانه تعالى لما وعد موسى حضور الميقات لانزال التوراة عليه وفضيلة بنى اسرآئل
ليكون ذلك تنبيها للحاضرين على علو درجتهم وتعريفا للغائبين وتكملة للدين كان ذلك من اعظم النعم
فلما اتوا عقب ذلك باقبح انواع الكفر والجهل كان ذلك فى محل التعجب فهو كمن يقول انى احسنت اليك وفعلت
كذا وكذا ثم انك تقصدنى بالسوء والاذى (وانتم ظالمون) باشراككم ووضعكم للشئ فى غير موضعه اى وضع
عبادة الله تعالى فى غير موضعها بعبادة العجل وهو حال من ضمير اتخذتم (ثم عفونا عنكم) اى محونا جريمتكم
حين تبتم (من بعد ذلك) اى من بعد الاتخاذ الذى هو متناهى فى القبح فلم نعاجلكم بالاهلاك بل امهلناكم الى مجئ
موسى فنبهكم واخبركم بكفارة ذنوبكم (لعلكم تشكرون) لكى تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة
فان الانعام يوجب الشكر واصل الشكر تصور النعمة واظهارها وحقيقته العجز عن الشكر (قال السعدى)
خردمند طبعان منت شناس * بدوزند نعمت بميخ سپاس (واذ آتينا) اعطينا (موسى الكتاب والفرقان)
اى التوراة الجامعة بين كونها كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل كقولك لقيت الغيث والليث تريد الجامع

بين الجود والجرآءة فالمراد بالفرقان والكتاب واحد (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه
وهذا بيان الحكمة دون العلة اى الحكمة فى انزاله ان يتدبروا فيه فيعلموا ان الله تعالى لم يفعل ذلك به الا للدلالة
على صحة نبوته فيجتهدوا بذلك على اتباع الرشد واذا فعلتم ذلك آمنتم بمحمد لانه قد اتى من المعجزات بما
يدلكم اذا تدبرتم على صحة دعواه النبوة روى ان بنى اسرآئيل لما امنوا من عدوهم باغراق الله آل فرعون
ودخلوا مصر لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها فوعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة فقال موسى
لقومه انى ذاهب لميقات ربى آتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وتذرون وواعدهم اربعين ليلة واستخلف
عليهم اخاه هارون فلما اتى الوعد جاءه جبريل على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيأ الا حيى ليذهب
بموسى الى ربه فلما رآه السامرى وكان رجلا صائغا من اهل باجرمى واسمه ميخا ورأى مواضع الفرس تخضر
من ذلك وكان منافقا اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما رأى جبريل على ذلك الفرس قال ان لهذا
شأنا واخذ قبضة من تربة حافر فرس جبريل وقيل انه عرف جبريل لان امه حين خافت عليه ان يذبح سنة ذبح
فرعون ابناء بنى اسرآئيل خلفته فى غابة وكان جبريل يأتيه فيغذوه باصابعه فكان السامرى يمص من ابهام
يمينه عسلا ومن ابهام شماله سمنا فلما رآه حين عبر البحر عرفه فقبض قبضة من اثر فرسه فلم تزل القبضة فى يده
حتى انطلق موسى الى الطور وكان السامرى معهم حين خرجوا من البحر واتوا على قوم يعكفون على اصنام
لهم قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ووقع فى نفسه ان يفتنهم من هذا الوجه وكان بنوا اسرآئيل
استعاروا حليا كثيرة من قوم فرعون حين ارادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فاهلك الله تعالى فرعون
وبقيت تلك الحلى فى ايدى بنى اسرآئيل فلما ذهب موسى الى المناجاة عد بنوا اسرآئيل اليوم مع الليلة يومين
فلما مضى عشرون يوما قالوا قد تم اربعون ولم يرجع موسى الينا فخالفنا فقال السامرى هاتوا الحلى التى
استعرتموها او ان موسى امرهم ان يلقوها فى حفرة حتى يرجع ويفعل ما يرى فيها فلما اجتمعت الحلى صاغها
السامرى عجلا فى ثلاثة ايام ثم القى فيها القبضة التى اخذها من تراب سنبك فرس جبريل فخرجت عجلا من
ذهب مرصعا بالجواهر كاحسن ما يكون فصار جسدا له خوار اى صوت كصوت العجل وله لحم ودم وشعر
وقيل دخل الريح فى جوفه من خلفه وخرج من فيه كهيئة الخوار فقال للقوم هذا الهكم واله موسى
فنسى اى اخطأ موسى الطريق وربه هنا وهو ذهب يطلبه فاقبلوا كلهم على عبادة العجل الا هارون مع اثنى
عشر الفا وهم اتبعوا هارون ولم يتبع غيرهم وهارون قد نصحهم ونهاهم وقال ياقوم انما فتنتم به وان ربكم
الرحمن فاتبعونى واطيعوا امرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى وقيل كان موسى وعدهم
ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة وكانت فتنتهم فى تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى وظنوا انه
قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامرى عكفوا على العجل يعبدونه قال ابو الليث فى تفسيره وهذا الطريق
اصح فلما رجع موسى ووجدهم على ذلك القى الالواح فرفع من جملتها ستة اجزاء وبقى جزء واحد وهو الحلال
والحرام وما يحتاجون واحرق العجل وذراه فى البحر فشربوا من مائه حبا للعجل فظهرت على شفاههم صفرة
وورمت بطونهم فتابوا ولم تقبل توبتهم دون ان يقتلوا انفسهم هذه حالهم واما هذه الامة فلا يحتاجون
الى قتل النفس فى الصورة وتوبتهم الحقيقية انما هى الرجوع الى الله بقتل النفس الامارة التى تعبد عجل
الهوى (قال فى المثنوى) اى شهان كشتيم ما خصم برون * ماند خصمى زوبتر دراندرون * كشتن
اين كار عقل وهوش نيست * شير باطن سخرهٔ خركوش نيست * نفس اژدرهاست او كى
مرده است * ازغم وبى آلتى افسرده است * كريابد آلت فرعون او * كه بامر او همى رفت
آب جو * آنكه او بنياد فرعونى كند * راه صد موسى وصد هارون زند * واعلم ان تعيين عدد
الاربعين فى الميعاد لاختصاصه فى الكمالية وذلك لان مراتب الاعداد اربع الاحاد والعشرات والمئات
والالوف والعشرة عدد فى نفسها كاملة كقوله تعالى تلك عشرة كاملة واذا ضعفت العشرة اربع مرات وهو كمال
مراتب الاعداد يكون اربعين وهو كمال الكمال وهو اعداد ايام تخمير طينة ادم عليه السلام كقوله تعالى
خمرت طينة آدم بيدى اربعين صباحا فللاربعين خاصية وتأثير لم توجد فى غيره من الاعداد كما قال صلى الله عليه
وسلم ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك

الحديث كما ان انعقاد الطلسم الجسمانى على وجه الكنز الروحانى كان مخصوصا بالاربعين كذلك انحلاله يكون
باختصاص الاربعين سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا واما اختصاص الليل بالذكر
فى قوله اربعين ليلة فلمعنيين احدهما ان لليل خصوصية فى التعبد والتقرب كقوله عليه السلام ان اقرب
ما يكون العبد من الرب فى جوف الليل وهكذا قوله عليه السلام ينزل الله كل ليلة الى السماء الدنيا الحديث
ولهذا المعنى قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ومن الليل فتهجد به نافلة لك الاية وقال تعالى سبحان الذى
اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام والاخر انه لو ذكر اليوم دون الليل يظن انه موعود بالتعبد فى النهار
دون الليل وانما الليل جعل للاستراحة والسكون كقوله تعالى هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
مبصرا فلما خص الليل بالذكر علم موسى عليه السلام ان التعبد فى الليل واليوم جميعا كذا فى التأويلات النجمية
قال الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره ان النبى عليه السلام لم يعين الاربعين بل اعتكف فى العشر الاخير
ثم فعل موسى عليه السلام قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر والخلوتية اخذوا
من ذلك كذا فى واقعات الشيخ الهدائى قدس الله نفسه الزاكية قال فى التأويلات النجمية ايضا الشكر
على ثلاثة اوجه شكر بالاقوال وشكر بالاعمال وشكر بالاحوال فشكر الاقوال ان يتحدث بالنعم مع نفسه
اسرارا ومع غيره اظهارا ومع ربه افتقارا كما قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث وقوله صلى الله عليه وسلم التحدث
بالنعم شكر وشكر الاعمال ان يصرف نعمة الله فى طاعته ولا يعصيه بها ويتدارك ما فاته من الطاعات وبادره
من المعاصى كقوله تعالى اعملوا آل داود شكرا وشكر الاحوال ان يتجلى المنعم بصفة الشكورية على سر العبد
فلا يرى الا المنعم فى النعمة والشكور فى الشكر ويرى المنعم فى النعم والنعمة من المنعم والشكور فى الشكر والشكر
من الشكور ويرى وجوده وشكره نعمتين من نعم المنعم ورؤية النعمة فيكون نعمة وجوده مرآة جمال المنعم
ويكون شكره مرآة جمال الشكور ورؤية المنعم والنعمة نعمة اخرى الى غير نهاية فيعلم ان لا يقوم باداء شكره
ولا يشكره الا الشكور ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور (و) اذكروا يابنى اسرآئيل
هذا هو الانعام الخامس (اذ قال موسى) وقت قوله (لقومه) الذين عبدوا العجل (ياقوم) اى ياقومى والاضافة
للشفقة (انكم ظلمتم انفسكم) اى ضررتم انفسكم بايجاب العقوبة عليها ونقصتم الثواب الواجب بالاقامة
على عهد موسى (باتخاذكم العجل) اى معبودا قالوا اى شئ نصنع قال (فتوبوا) اى فاعزموا على التوبة والفاء
للسببية لان الظلم سبب للتوبة (الى بارئكم) اى من خلقكم بريئا من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم
من بعض بصور وهيئات مختلفة والتعرض لعنوان البارئية للارشاد بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها
ومن الغباوة منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذى خلقهم بلطيف حكمته بريئا من التفاوت والتنافر
الى عبادة البقر الذى هو مثل فى الغباوة وان من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بان تسترد هى منه ولذلك امروا
بالقتل وفك التركيب قالوا كيف نتوب قال (فاقتلوا انفسكم) اى ليقتل البرئ منكم المجرم وانما قال انفسكم
لان المؤمنين اخوة واخو الرجل كانه نفسه قال تعالى ولا تلمزوا انفسكم يعنى ذكر قتل الانفس واراد به قتل
الاخوان وهذا كما قال ولا تلمزوا انفسكم اى ولا تغتابوا اخوانكم من المسلمين كذا فى التيسير وتفسير ابى الليث
والفاء للتعقيب وتوبتهم هى قتلهم اى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم كذا فى الكشاف وقال فى التفسير
الكبير وليس المراد تفسير التوبة بقتل النفس بل بيان ان توبتهم لا تتم ولا تحصل الا بقتل النفس وانما كان كذلك
لان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ان توبة المرتد لا تتم الا بالقتل (ذلكم) اى التوبة والقتل (خير لكم
عند بارئكم) انفع لكم عند الله من الامتناع الذى هو اصرار وفيه عذاب لما ان القتل طهرة عن الشرك ووصلة
الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية (فتاب عليكم) خطاب منه تعالى اى ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم
بارئكم اى قبل توبتكم وتجاوز عنكم وانما لم يقل فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما ان ذلك نعمة اريد التذكير بها
للمخاطبين لا لاسلافهم فان قلت انه تعالى امر بالقتل والقتل لا يكون نعمة قلت ان الله نبههم على عظيم ذنبهم
ثم نبههم على ما به يتخلصون عن ذلك العظيم وذلك من النعم فى الدين (انه) الله تعالى (هو التواب) اى الذى
يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ فى قبولها منهم (الرحيم) كثير الرحمة للمطيعين امره حيث جعل القتل كفارة
لذنوبهم (قال السعدى) فرو ماند كان را برحمت قريب * تضرع كنان را بدعوت مجيب * روى انهم

لما امرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله فجلسوا بالافنية محتبين ظهورهم مذعنين وقيل لهم من حل حبوته اومد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد او رجل فهو ملعون مردود توبته واصلت القوم عليهم الخناجر اى حملوا عليهم الخناجر ورفعوا اوضربوهم بها وكان الرجل يرى ابنه واباه واخاه وقريبه وصديقه وجاره فلم يمكنهم المضى لامر الله قالوا ياموسى كيف نفعل فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلونهم الى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهارون وبكيا وتضرعا وقالا يارب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة ونزلت التوبة وامرهم ان يكفوا عن القتل فقتل منهم سبعون الفا فكان من قتل شهيدا ومن بقى مغفورة ذنوبه واوحى الى موسى عليه السلام انى ادخل القاتل والمقتول الجنة هذا على رواية ان القاتل من المجرمين على ان معنى قوله فاقتلوا انفسكم ليقتل بعض المجرمين بعضا فالقاتل هو الذى بقى من المجرمين بعد نزول امر الكف عن القتال والا فالقاتل على الرواية الاخرى هو البرىء كما سبق فى تفسير الاية روى ان الامر بالقتل من الاغلال التى كانت عليهم وهى المواثيق اللازمة لزوم الغل ومن الاصر وهو الاعمال الشاقة كقطع الاعضاء الخاطئة وعدم جواز صلاتهم فى غير المسجد وعدم التطهير بغير الماء وحرمة اكل الصائم بعد النوم ومنع الطيبات عنهم بالذنوب وكون الزكاة ربع مالهم وكتابة ذنب الليل على الباب بالصبح وكما روى ان بنى اسرائيل اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ينقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية ويحبس نفسه على العبادة فهذه الامور رفعت عن هذه الامة تكريما للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فالتوبة نعمة من الله انعم بها على هذه الامة دون غيرها ولها اربع مراتب فالاولى مختصة باسم التوبة وهى اول منزل من منازل السالكين وهى للنفس الامارة وهذه مرتبة عوام المؤمنين وهى ترك المنهيات والقيام بالمأمورات وقضاء الفوائت ورد الحقوق والاستحلال من المظالم والندم على ما جرى والعزم على ان لا يعودوا والمرتبة الثانية الانابة وهى للنفس اللوامة وهذه مرتبة خواص المؤمنين من الاولياء والانابة الى الله بترك الدنيا والزهد فى ملاذها وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس بمخالفة هواها والمداومة على جهادها فالنفس اذا تحلت بالانابة دخلت فى مقام القلب واتصفت بصفته لان الانابة من صفات القلب قال تعالى وجاء بقلب منيب والمرتبة الثالثة الاوبة وهى للنفس الملهمة وهذه مرتبة خواص الاولياء والاوبة الى الله من آثار الشوق الى لقائه فالنفس اذا تحلت بالاوبة دخلت فى مقام الروح ومن امارات الاواب المشتاق ان يستبدل المخالطة بالعزلة ومنادمة الاخدان بالخلوة واستوحش عن الخلق واستأنس بالحق وجاهد نفسه فى الله حق جهاده ساعيا فى قطع تعلقاتها عن الكونين والمرتبة الرابعة وهى للنفس المطمئنة وهذه مرتبة الانبياء واخص الاولياء قال تعالى ارجعى الى ربك وهى صورة جذبة العناية الربوبية نفوس الانبياء والاولياء تجذبها من انانيتها الى هويته ربوبيته راضية اى طائعة تلك النفوس شوقا الى لقاء ربها مرضية اى على طريقة مرضية فى السير لربها باذلة نفسها فى مشاهدة اللقاء طامعة لرفع الاثنينية ودوام الالتقاء قيل لما قدم الحلاج لتقطع يده قطعت اليد اليمنى اولا فضحك ثم قطعت اليد اليسرى فضحك ضحكا بليغا فخاف ان يصفر وجهه من نزف الدم فكب بوجهه على الدم السائل ولطخ وجهه بدمه وانشأ يقول

الله يعلم ان الروح قد تلفت * شوقا اليك ولكن امنيها
ونظرة منك ياسؤلى ويا املى * اشهى الى من الدنيا ومافيها
ياقوم انى غريب فى دياركم * سلمت روحى اليكم فاحكموا فيها
ما اسلم النفس للاسقام تتلفها * الا لعلمى بان الوصل يحييها
نفس المحب على الآلام صابرة * لعل مسقمها يوما يداويها

ثم رفع رأسه الى السماء وقال يامولاى انى غريب فى عبادك وذكرك اغرب منى والغريب يألف الغريب ثم ناداه رجل وقال ياشيخ ما العشق قال ظاهره ماترى وباطنه دق عن الورى وفى التأويلات النجمية ان لكل قوم عجلا يعبدونه من دون الله قوم يعبدون عجل الدراهم والدنانير وقوم يعبدون عجل الشهوات وقوم يعبدون عجل الجاه وقوم يعبدون عجل الهوى وهذا ابغضها على الله فالله تعالى يلهم موسى قلب كل سعيد ليقول ياقوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم اى ارجعوا الى الله بالخروج عما سواه ولا يمكنكم الا بقتل النفس

فاقتلوا انفسكم بقمع الهوى لان الهوى هو حياة النفس وبالهوى ادعى فرعون الربوبية وعبد بنو اسرائيل العجل وبالهوى ابى واستكبر ابليس اوارجعوا بالاستنصار على قتل النفس بنهيها عن هواها فاقتلوا انفسكم بنصر الله وعونه فان قتل النفس فى الظاهر يسير للمؤمن والكافر فاما قتل النفس فى الباطن وقهرها فامر صعب لا يتيسر الا لخواص الحق بسيف الصدق وبنصر الحق ولهذا جعل مرتبة الصديقين فوق مرتبة الشهداء وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رجع من غزو يقول رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وذلك لان المجاهد اذا قتل بسيف الكفار يستريح من التعب بمرة واحدة واذا قتل بسيف الصدق فى يوم الف مرة تحيى كل مرة نفس على بصيرة اخرى وتزداد فى مكرها فلا يستريح المجاهد طرفة عين عن جهادها ولا يأمن مكرها وبالحقيقة النفس هى صورة مكر الحق ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ذلكم خير لكم عند بارئكم يعنى قتل النفس بسيف الصدق خير لكم لان بكل قتلة رفعة ودرجة لكم عند بارئكم فانتم تتقربون الى الله بقتل النفس وقمع الهوى وهو يتقرب اليكم بالتوفيق للتوبة والرحمة عليكم كما قال من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وذلك قوله فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم (قال فى المثنوى) عمر اكر بكذشت بيخش اين دم است * آب توبش ده اكر اوبى نم است * بيخ عمرت را بده آب حيات * تادرخت عمر كردد باثبات (واذ قلتم) هذا هو الانعام السادس اى واذكروا يابنى اسرائيل وقت قول السبعين من اسلافكم الذين اختارهم موسى حين ذهبوا معه الى الطور للاعتذار عن عبادة العجل وهم غير السبعين الذين اختارهم موسى اول مرة حين اراد الانطلاق الى الطور بعد غرق فرعون لاتيان التوراة (ياموسى لن نؤمن لك) لن نصدقك لاجل قولك ودعوتك على ان هذا كتاب الله وانك سمعت كلامه وان الله تعالى امرنا بقبوله والعمل به (حتى نرى الله جهرة) اى عيانا لاساتر بيننا وبينه كالجهر فى الوضوح والانكشاف لان الجهر فى المسموعات والمعاينة فى المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع من الرؤية فكانها مصدر الفعل الناصب او حال من الفاعل والمعنى حتى نرى الله مجاهرين او من المفعول والمعنى حتى نرى الله مجاهرا بفتح الهاء (فاخذتكم الصاعقة) هى نار محرقة فيها صوت نازلة من السماء وهى كل امر مهول مميت او مزيل للعقل والفهم وتكون صوتا وتكون نارا وتكون غير ذلك وانما احرقتهم الصاعقة لسؤالهم ما هو مستحيل على الله فى الدنيا ولفرط العناد والتعنت وانما الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين فى الاخرة وللافراد من الانبياء فى بعض الاحوال فى الدنيا (وانتم تنظرون) الى الصاعقة النازلة فان كانت نارا فقد عاينوها وان كانت صوتا هائلا فقد مات بعضهم اولا ورأى الباقون انهم ماتوا ويسمى هذا رؤية الموت مجازا (ثم بعثناكم) اى احييناكم (من بعد موتكم) بتلك الصاعقة وقيد البعث بقوله من بعد موتكم مع انه يكون بعد الموت لما انه قد يكون من الاغماء او من النوم قال قتادة احياهم ليستوفوا بقية آجالهم وارزاقهم وكان ذلك الموت بلا اجل وكانت تلك الموتة لهم كالسكتة لغيرهم قبل انقضاء آجالهم ولو ماتوا باجالهم لم يبعثوا الى يوم القيامة فان قلت كيف يجوزان يكلفهم وقد اماتهم ولو جاز ذلك فلم لا يجوزان يكلف اهل الاخرة اذا بعثوا بعد الموت قلنا الذى يمنع من تكليفهم فى الاخرة هو الاماتة ثم الاحياء وانما يمنع من ذلك لانه قد اضطرهم يوم القيامة الى معرفته والى معرفة ما فى الجنة من اللذات وما فى النار من الالام وبعد العلم الضرورى لا تكليف فاذا كان المانع هو هذا لم يمتنع فى هؤلاء الذين اماتهم الله بالصعقة ان لا يكون قد اضطرهم واذا كان كذلك صح ان يكلفوا من بعد ويكون موتهم ثم الاحياء بمنزلة النوم او بمنزلة الاغماء (لعلكم تشكرون) نعمة الحياة بالتوحيد والطاعة او لعلكم تشكرون وقت مشاهدتكم بأس الله بالصاعقة نعمة الايمان التى كفرتموها بقولكم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فان ترك النعمة لاجل طلب الزيادة كفران لها اى لعلكم تشكرون نعمة الايمان فلا تعودون الى اقتراح شئ بعد ظهور المعجزة واصل القصة ان موسى عليه السلام لما رجع من الطور الى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لاخيه والسامرى ما قال واحرق العجل والقاه فى البحر وندم القوم على ما فعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين امر الله موسى ان يأتيه فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى سبعين من قومه من خيارهم فلما خرجوا الى الطور قالوا لموسى سل ربنا حتى يسمعنا كلامه فسأل موسى عليه السلام ذلك فاجابه الله ولما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام

وتغشى الجبل كله ودنا من موسى ذلك الغمام حتى دخل فيه وقال للقوم ادخلوا فكلم الله موسى يأمره وينهاه
وكلما كلمه تعالى اوقع على جبهته نورا ساطعا لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى
مع موسى افعل لا تفعل فعند ذلك طمعوا فى الرؤية وقالوا ما قالوا فاخذتهم الصاعقة فخروا صعقين ميتين
يوما وليلة فلما ماتوا جميعا جعل موسى يبكى ويتضرع رافعا يديه الى السماء يدعو ويقول يا الهى اخترت
من بنى اسرآئيل سبعين رجلا ليكونوا شهودى بقبول توبتهم وماذا اقول لهم اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم
لو شئت اهلكتهم قبل هذا اليوم مع اصحاب العجل اتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشد ربه حتى احياهم
الله ورد اليهم ارواحهم وطلب توبة بنى اسرآئيل من عبادة العجل فقال لا الا ان يقتلوا انفسهم قالوا ان موسى
عليه السلام سأل الرؤية فى المرة الاولى فى الطور ولم يمت لان صعقته لم تكن موتا ولكن غشية بدليل قوله تعالى
فلما افاق وسأل قومه فى المرة الثانية حين خرجوا للاعتذار وماتوا وذلك لان سؤال موسى كان اشتياقا وافتقارا
وسؤال قومه كان تكذيبا واجترآء ولم يسألوا سؤال استرشاد بل سؤال تعنت فانهم ظنوا انه تعالى يشبه
الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام فى الجهات والاحياز المقابلة للرآئى وهى محال وليس فى الاية دليل
على نفى الرؤية بل فيها اثباتها وذلك ان موسى عليه السلام لما سأله السبعون لم ينههم عن ذلك وكذلك سأل
هو ربه الرؤية فلم ينهه عن ذلك بل قال فان استقر مكانه فسوف ترانى وهذا تعليق بما يتصور قال بعض العلماء
الحكماء الحكمة فى ان الله تعالى لا يرى فى الدنيا وجوه الاول ان الدنيا دار اعدآئه لان الدنيا جنة الكافر الثانى
لو رأه المؤمن لقال الكافر لو رأيته لعبدته ولو رأوه جميعا لم يكن لاحدهما مزية على الآخر الثالث ان المحبة
على غيب ليست كالمحبة على عين الرابع ان الدنيا محل المعيشة ولو رأه الخلق لاشتغلوا عن معايشهم فتعطلت
الخامس انه جعلها بالبصيرة دون البصر ليرى الملائكة صفاء قلوب المؤمنين السادس ليقدر قدرها اذ كل ممنوع
عزيز السابع انما منعها رحمة بالعباد لما جبلوا عليه فى هذه الدار من الغيرة اذ لو رأه احد تصدع قلبه من رؤية
غيره اياه كما تصدع الجبل غيرة من ان يراه موسى والاشارة فى الاية ان مطالبة الرؤية جهرة هى تعرض مطالعة
الذات غفلة فيوجب سوء الادب وترك الحرمة وذلك من امارات البعد والشقاوة فمن سطوات العظمة والعزة
اخذتهم الرجفة والصعقة اظهارا للعدل ثم افاض عليهم سجال النعم اسبالا للستر على هيئات العبيد والخدم
وقال ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون اظهارا للفضل ومن علامات الوصلة ودلالات السعادة
التولى بمكاشفات العزة مقرونا بملاطفات القربة فمن اصلح حاله لم يطلق لسان الجهل بل اتى البيت من بابه وبتأدب
فى سؤاله وجوابه (قال فى المثنوى) پيش شاهان ميكنى ترك ادب * نار شهوت را ازان كشتى حطب *
چون ندارى فطنت ونور هدى * بهر كوران روى را ميزن جلا * ولا بد من قتل النفس الامارة
حتى تحكم فى عالم الحقيقة بما شئت قال القشيرى التوبة بقتل النفوس غير منسوخة فى هذه الامة
الا ان بنى اسرآئيل كان لهم قتل انفسهم جهرا وهذه الامة توبتهم بقتل انفسهم فى انفسهم سرا واول قدم هو
القصد الى الله والخروج من النفس لله قال ولقد توهم الناس ان توبة بنى اسرآئيل كانت اشق وليس كما توهموا
فان ذلك كان مرة واحدة واهل الخصوص من هذه الامة قتلهم انفسهم فى كل لحظة كما قيل

ليس من مات فاستراح بميت * انما الميت ميت الاحياء

(وفى المثنوى) قوت از حق خواهم وتوفيق ولاف * تا بسوزن بر كنم اين كوه قاف * سهل شيرى دانكه
صفها بشكند * شير آنست انكه خود را بشكند (وظللنا عليكم الغمام) هذا هو الانعام السابع
اى جعلنا الغمام ظلة عليكم يا بنى اسرآئيل وهذا جرى فى التيه بين مصر والشام حين خرجوا من مصر
وجاوزوا البحر ووقعوا فى صحرآء لا ابنية فيها امرهم الله تعالى بدخول مدينة الجبارين وقتالهم فقبلوا فلما قربوا
منها سمعوا بان اهلها جبارون اشدآء قامة احدهم سبعمائة ذراع ونحوها فامتنعوا وقالوا لموسى اذهب
انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فعاقبهم الله بان يتيهوا فى الارض اربعين سنة وكانت المفازة يعنى التيه
اثنى عشر فرسخا فاصابهم حر شديد وجوع مفرط فشكوا الى موسى فرحمهم الله فانزل عليهم عمودا من نور
يدلى لهم من السماء فيسير معهم بالليل يضئ لهم مكان القمر اذا لم يكن قمر وارسل غماما ابيض رقيقا اطيب
من غمام المطر يظلهم من حر الشمس فى النهار وسمى السحاب غماما لانه يغم السماء اى يسترها والغم حزن

يستر القلب ثم سألوا موسى الطعام فدعا ربه فاستجاب له وهو قوله تعالى (وانزلنا عليكم المن) اى الترنجبين
بتشديد الرآء وتسكين النون كان ابيض مثل الثلج كالشهد المعجون بالسمن او المن جميع ما من الله به على عباده
من غير تعب ولا زرع ومنه قوله عليه السلام الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين اى مما من الله على عباده
والظاهر ان مجرد مائه شفاء لانه عليه السلام اطلق ولم يذكر الخلط ولما روى عن ابى هريرة انه قال عصرت
ثلاثة اكمؤ وجعلت ماءها فى قارورة فكحلت منه جارية لى فبرئت باذن الله تعالى وقال النووى رأينا فى زماننا
اعمى كحل عينه بمائها مجردا فشفى وعاد اليه بصره ثم لما ملوا من اكله قالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته
فادع لنا ربك ان يطعمنا اللحم فانزل الله عليهم السلوى وذلك قوله (والسلوى) هو السمانى كانت تحشره عليهم
الريح الجنوب وكانت الريح تقطع حلوقها وتشق بطونها وتمعط شعورها وكانت الشمس تنضجها فكانوا
يأكلونها مع المن واكثر المفسرين على انهم يأخذونها فيذبحونها فكان ينزل عليهم المن نزول الثلج من طلوع
الفجر الى طلوع الشمس وتأتيهم السلوى فيأخذ كل انسان منهم كفايته الى الغد الا يوم الجمعة يأخذ ليومين
لانه لم يكن ينزل يوم السبت لانه كان يوم عبادة فان اخذ اكثر من ذلك دود وفسد (كلوا) اى قلنا لهم كلوا
(من طيبات) حلالات (ما رزقناكم) من المن والسلوى ولا ترفعوا منه شيأ ادخارا ولا تعصوا امرى
فرفعوا وجعلوا اللحم قديدا مخافة ان ينفد ولولم يرفعوا لدام عليهم ذلك والطيب ما لا تعافه طبعا ولا تكرهه شرعا
(وما ظلمونا) اى فظلموا بان كفروا تلك النعمة الجليلة وادخروا بعد ما نهوا عنه وما ظلمونا اى ما بخسوا بحقنا
(ولكن كانوا انفسهم يظلمون) باستيجابهم عذابى وقطع مادة الرزق الذى كان ينزل عليهم بلا مؤنة فى الدنيا
ولا حساب فى العقبى فرفعنا ذلك عنهم لعدم توكلهم علينا (قال فى المثنوى) سالها خوردى وكم نامد ز خور *
ترك مستقبل كن وماضى نكر * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرآئيل لم يخبث الطعام
ولا يخنز اللحم ولولا خيانة حوآء لم تخن انثى زوجها الدهر واستمر النتن من ذلك الوقت لان البادئ للشئ كالحامل
للغير على الاتيان به وكذلك استمرت الخيانة من النساء لان ام النساء خانت بان اغواها ابليس قبل آدم حتى اكلت
من الشجرة ثم اتت آدم فزينت له ذلك حتى حملته على ان اكل منها فاستمرت تلك الخيانة من بناتها لازواجها
(قال السعدى) كرا خانه آباد وهمخوابه دوست * خدا را برحمت نظر سوى اوست * قال فى الاشباه
والنظائر الطعام اذا تغير واشتد تغيره تنجس وحرم واللبن والزيت والسمن اذا انتن لا يحرم اكله انتهى والاشارة
فى الاية انه تعالى لما ادبهم بسوط الغربة ادركهم بالرحمة فى وسط الكربة فاكرمهم بالانعام وظللهم بالغمام
ومن عليهم بالمن وسلاهم بالسلوى فلا شعورهم كانت تطول ولا اظفارهم كانت تنبت ولا ثيابهم كانت تخلق
او تتسخ وتدرن بل كانت تنمو صغارها حسب نمو الصغار والصبيان ولا شعاع الشمس كان ينبسط وكذلك
سنته بمن حال بينه وبين اختياره يكون ما اختاره خيرا له مما يختاره العبد لنفسه فما ازدادوا بشؤم الطبيعة
الا فى البلوى كما قيل كلوا من طيبات ما رزقناكم بامر الشرع وما ظلمونا اذ تصرفوا فيها بالطبع ولكن كانوا
انفسهم يظلمون بالحرص على الدنيا ومتابعة الهوى قال فى التنوير وما ادخلك الله فيه تولى اعانتك عليه
وما دخلت فيه بنفسك وكلك اليه فلا تكفر نعمة الله عليك فيما تولاك به من ذلك كان بعضهم يسير فى البادية وقد
اصابه العطش فانتهى الى بئر فارتفع الماء الى رأس البئر فرفع رأسه الى السماء وقال اعلم انك قادر ولكن لا اطيق
هذا فلو قيضت لى بعض الاعراب يصفعنى صفعات ويسقينى شربة ماء كان خيرا لى ثم انى اعلم ان ذلك الرفق من
جهته فقد عرفت ان مكر الله خفى فلا تغرنك النعم الظاهرة والباطنة وليكن عزمك على الشكر والاقامة فى حد
انعامك الله فيه والافتضال وتشق وقد قال الشيخ ابو عبد الله القرشى من لم يكن كارها لظهور الآيات وخوارق
العادات منه كراهية الخلق لظهور المعاصى فهى حجاب فى حقه وسترها عنه رحمة فالنعمة كما انها سبب للسعادة
كذلك هى سبب للشقاوة استدراجا (قال فى المثنوى) بنده مى نالد بحق از درد ونيش * صد شكايت ميكند
از رنج خويش * حق همى كويد كه آخر رنج ودرد * مر ترا لابه كنان اوست كرد * اين كله زان نعمتى
كن كت زند * از در ما دور ومطرودت كند * فلا بد لاهل الله من الفناء عن الذات والصفات والافعال
والدور مع الامر الالهى فى كل حال حتى يكون من الصديقين واهل اليقين اللهم لا تؤمنا مكرك ولا تنسنا ذكرك
واجعلنا من الذين معك فى تقلباتهم وكل معاملاتهم آمين آمين آمين بجاه النبى الامين (واذ قلنا) هذا

هو الانعام الثامن لانه تعالى اباح لهم دخول البلدة وازال عنهم التيه اى اذكروا يابنى اسرآئيل وقت قولنا لابائكم اثر ما انقذتم من التيه (ادخلوا هذه القرية) منصوب على الظرفية اى مدينة بيت المقدس والقرية بفتح القاف وكسرها ما يجتمع فيه الانسان اخذ من القرء (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) اى اكلا واسعا هنيئا على ان النصب على المصدرية او هو حال من الواو فى كلوا اى راغدين متوسعين وفيه دلالة على ان المأمور به الدخول على وجه الاقامة والسكنى قال فى التيسير اى احللناكم ووسعنا عليكم فتعيشوا فيها انى شئتم بلا تضييق ولا منع وهو تمليك لهم بطريق الغنيمة وذكر الاكل لانه معظم المقصود (وادخلوا الباب) اى بابا من ابواب القرية وكان لها سبعة ابواب والمراد الباب الثانى من بيت المقدس ويعرف اليوم بباب حطة او باب القبة التى كان يتعبد فيها موسى وهارون ويصليان مع بنى اسرآئيل اليها (سجدا) اى ركعا منحنين ناكسى رؤسكم بالتواضع على ان يكون المراد به معناه الحقيقى او ساجدين لله تعالى شكرا على اخراجكم من التيه على ان يكون المراد به معناه الشرعى (وقولوا حطة) رفع بخبرية المبتدأ المحذوف اى مسئلتنا من الله ان يحط عنا ذنوبنا او نصب اى حط عنا ذنوبنا حطة وقيل اريد بها كلمة الشهادة اى قولوا كلمة الشهادة الحاطة للذنوب (نغفر لكم) مجزوم على انه جواب الامر من الغفر وهو الستر اى نستر عليكم (خطاياكم) جمع خطيئة ضد الصواب اى ذنوبكم فلا نجازيكم بها لما تفعلون من السجود والدعاء وهم الذين عبدوا العجل ثم تابوا (وسنزيد المحسنين) ثوابا من فضلنا وهم الذين لم يعبدوا العجل والمحسن من احسن فى فعله والى نفسه وغيره وقيل المحسن من صحح عقد توحيده واحسن سياسة نفسه واقبل على اداء فرآئضه وكف شره وقيل هو الفاعل ما يحمد طبعا ويحمد شرعا واخرج ذلك عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا بان المحسن بصدد زيادة الثواب وان لم يقل حطة فكيف اذا قالها واستغفر وانه يقول ويستغفر لا محالة امرهم بشيئين بعمل يسير وقول صغير فالعمل الانحناء عند الدخول والقول التكلم بالمقول ثم وعد عليهما غفران السيئات والزيادة فى الحسنات (فبدل الذين ظلموا) اى غير الذين ظلموا انفسهم بالمعصية ما قيل لهم من التوبة والاستغفار (قولا) آخر مما لا خير فيه فاحد مفعولى بدلوا محذوف (غير الذى قيل لهم) غير نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا على المغايرة من كل وجه روى انهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية وهى لغتهم حطا سمقاثا يعنون حنطة حمرآء استخفافا بامر الله تعالى وقال مجاهد طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فابوا ان يدخلوه سجدا فدخلوا يزحفون على استاههم مخالفة فى الفعل كما بدلوا القول واما المحسنون ففعلوا ما امروا به ولذا لم يقل فبدلوا بل قال الذين ظلموا وظاهره انهم بدلوا القول وحده دون العمل به وبه قال جماعة وقيل بل بدلوا العمل والقول جميعا ومعنى قوله قولا غير الذى قيل لهم اى امرا غير الذى امروا به فان امر الله قول وهو تغيير جميع ما امروا به (فانزلنا) اى عقيب ذلك (على الذين ظلموا) اى غيروا ما امروا به ولم يقل عليهم على الاختصار وقد سبق ذكر الذين ظلموا الاية لانه سبق ذكر المحسنين ايضا فلو اطلق لوقع احتمال دخول الكل فيه ثم هذا ليس بتكرار لان الظلم اعم من الصغائر والكبائر والفسق لا بد وان يكون من الكبائر فالمراد بالظلم ههنا الكبائر بقرينة الفسق والمراد بالظلم المتقدم هو ما كان من الصغائر (رجزا من السماء) اى عذابا مقدرا والتنوين للتهويل والتفخيم (بما) مصدرية (كانوا يفسقون) بسبب خروجهم عن الطاعة والرجز فى الاصل ما يعاف عنه ويستكره وكذلك الرجس والمراد به الطاعون روى انه مات فى ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا ودام فيهم حتى بلغ سبعين الفا وفى الحديث الطاعون رجز ارسل على بنى اسرآئل او على من كان قبلكم فاذا سمعتم الطاعون بارض فلا تدخلوها واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا منها وفى الحديث ايضا اتانى جبريل بالحمى والطاعون فامسكت الحمى بالمدينة وارسلت الطاعون الى الشأم فالطاعون شهادة لامتى ورحمة لهم ورجس على الكافر واعلم ان من مات من الطاعون مات شهيدا ويأمن فتنة القبر وكذا الصابر فى الطاعون اذا مات بغير الطاعون يوقى فتنة القبر لانه نظير المرابط فى سبيل الله تعالى فالمطعون شهيد وهو من مات من الطاعون والصابر المحتسب فى حكمه وكذا المبطون وهو الميت من دآء البطن وصاحب الاسهال والاستسقاء داخل فى المبطون لان عقله لا يزال حاضرا وذهنه باقيا الى حين موته ومثل ذلك صاحب السل وكذا الغرق شهيد وهو بكسر الرآء من يموت غريقا فى الماء وكذا صاحب الهدم بفتح الدال ما يهدم وصاحبه من يموت تحته وكذا المقتول فى سبيل الله

وكذا صاحب ذات الجنب والحرق والمرأة الجمعاء وهى من تموت حاملا جامعا ولدها وليس موت هؤلاء كموت من يموت فجاءة او من يموت بالسام او البرسام والحميات المطبقة او القولنج او الحصاة فتغيب عقولهم لشدة الالم ولورم ادمغتهم وافساد امزجتها واعلم ان الطاعون مرض يكثر فى الناس ويكون نوعا واحدا والوباء هو المرض العام قد يكون بطاعون وقد لا يكون وفى الحديث فناء امتى بالطعن والطاعون قيل يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه فالطاعون قال وخز اعدآئكم من الجن وفى كل شهادة قال ابن الاثير الطعن القتل بالرمح والوخز طعن بلا نفاذ وهذا لا ينافى قوله عليه السلام فى حديث آخر غدة كغدة البعير تخرج فى مراق البطن وذلك ان الجنى اذا وخز العرق من مراق البطن خرج من وخزه الغدة فيكون وخز الجنى سبب الغدة الخارجة والغدة هى التى تخرج فى اللحم والمراق اسفل البطن وفى الحديث اذا بخس المكيال حبس القطر واذا كثر الزنى كثر القتل واذا كثر الكذب كثر الهرج والحكمة ان الزنى اهلاك للنفس لان ولد الزنى هالك حكما فلذلك وقع الجزآء بالموت الذريع اى السريع لان الجزآء من جنس العمل الا يرى ان بخس المكيال يجازى بمنع القطر الذى هو سبب لنقص ارزاقهم وكذا الكذب سبب للتفرق والعداوة بين الناس ولهذا يجازى بالهرج الذى هو الفتنة والاختلاط وانما عمت البلية اينما وقعت لتكون عقوبة على اخوان الشياطين وشهادة ورحمة لعباد الله الصالحين اذ الموت تحفة للمؤمن وحسرة للفاسق ثم يبعثهم الله على قدر اعمالهم ونياتهم فيجازيهم والفرار من الطاعون حرام اذ الفرار نسيان الفاعل المختار كما قال ابن مسعود رضى الله عنه الطاعون فتنة على الفار والمقيم اما الفار فيقول بفراره نجوت واما المقيم فيقول اقمت فمت وفى الحديث الفار من الطاعون كالفار من الزحف والصابر فيه كالصابر فى الزحف والزحف الجيش الذى يرى لكثرته كانه يزحف اى يدب دبيبا والمراد هنا الفرار من الجيش فى الغزو ولكن يجب ان يقيد بالمثل او الضعف فهذا الخبر يدل على ان النهى عن الخروج للتحريم وانه من الكبائر وليس بعيدا ان يجعل الله الفرار منه سببا لقصر العمر كما جعل الله تعالى الفرار من الجهاد سببا لقصر العمر قال تعالى قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا واما الخروج بغير طريق الفرار فرخص فيه لكن الرخصة مشروطة بشرآئط صعبة لا يقدر عليها الا الافراد منها حفظ امر الاعتقاد والتحرز من الاسباب العادية للمرض كالهوآء الفاسد وغيره رخصة لكن مباشرة الحمية لاجل الخلاص عن الموت سفه وعبث لا يشك فى حرمتها عوام المسلمين فضلا عن خواصهم قالوا فى بعض الامراض سراية الى ما يجاوره باذن الله تعالى كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان من القرف التلف والقرف بالتحريك مداناة المرضى واما قوله عليه السلام لا عدوى فانما هو نفى للتعدى طبعا كما هو اعتقاد اهل الجاهلية حيث كانوا يرون التأثير من طبيعة المرض لا نفى للسراية مطلقا والتسبب واجب للعوام والمبتدئين فى السلوك والتوكل افضل للمتوسطين واما الكاملون فليس يمكن حصر احوالهم فالتوكل والتسبب عندهم سيان (قال فى المثنوى) در حذر شوريدن شور وشرست * رو توكل كن توكل بهترست * با قضا پنجه مزن اى تند وتيز * تا نگيرد هم قضا با تو ستيز * مرده بايد بود پيش حكم حق * تا نيايد زخم از رب الفلق * روى ان جالينوس دفع الى اصحابه قرصين مثل البنادق وقال اجعلوا احدهما بعد موتى فوق الحديد الذى يعمل عليه الحدادون والاخر فى جب مملوء من الماء ثم اكسروا الجب ففعلوا كما اوصى فذاب الحديد فى الارض ولم يجدوا منه شيأ وانجمد الماء وقام بلا وعاء قال الحكماء اراد بذلك انى وان قدرت الى اذابة اصلب الاجساد واقامة الماء الذى من طبعه السيلان ما وجدت للموت دوآء ولذا قال بعضهم

الا ايها المغرور تب من غير تأخير * فان الموت قد يأتى ولو صيرت قارونا

بل مات ارسطاليس بقراط بافلاج * وافلاطون ببرسام وجالينوس مبطونا

قال الشافعى رحمه الله انفس ما يداوى به الطاعون التسبيح ووجهه بان الذكر يرفع العقوبة والعذاب قال تعالى فلولا انه كان من المسبحين وكذا كثرة الصلاة على النبى المحترم صلى الله تعالى عليه وسلم لكن مثل هذا انما يكون مؤثرا اذا اقترن بالشرآئط الظاهرة والباطنة اذ ليس كل ذكر وصلاة شفيعا فى الحضرة الالهية (قال فى المثنوى) گر ندارى تو دم خوش در دعا * رو دعا ميخواه از اخوان صفا * هر كرا دل پاك باشد ز اعتدال * آن دعايش ميرود تا ذو الجلال * آن دعاى بيخودى خود ديگرست * آن دعا زو نيست گفت داورست *

آن دعا حق ميكند چون او فناست * آن دعا وآن اجابت از خداست * هين بجو اين قوم را اى مبتلا * هين غنيمت دارشان پيش از بلا (واذ استسقى موسى) نعمة اخرى كفروها اى اذكروا ايضا يا بنى اسرائيل اذ سأل موسى السقيا (لقومه) لاجل قومه وكان ذلك فى التيه حين استولى عليهم العطش الشديد فاستغاثوا بموسى فدعا ربه ان يسقيهم (فقلنا) له بالوحى ان (اضرب بعصاك) وكانت من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان فى الظلمة نورا حملها آدم من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى (الحجر) اللام اما للعهد والاشارة الى معلوم فقد روى انه كان حجرا طوريا حمله معه وكان خفيفا مربعا كرأس الرجل له اربعة اوجه فى كل وجه ثلاث اعين او هو الحجر الذى فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله تعالى عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل ان ارفعه فان لله فيه قدرة ولك فيه معجزة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بنو اسرائيل ينظر بعضهم الى سوءة بعض وكان موسى يغتسل وحده فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمح موسى باثره يقول ثوبى يا حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوءة موسى فقالوا والله ما بموسى ادرة وهى بالضم نفخة بالخصية واما للجنس اى اضرب الشئ الذى يقال له الحجر وهو الاظهر فى الحجة اى ابين على القدرة فان اخراج الماء بضرب العصا من جنس الحجر اى حجر كان ادل على ثبوت نبوة موسى عليه السلام من اخراجه من حجر معهود معين لاحتمال ان يذهب الوهم الى تلك الخاصية فى ذلك الحجر المعين كخاصية جذب الحديد فى حجر المغناطيس (فانفجرت) اى فضرب فالفاء متعلقة بمحذوف والانفجار الانسكاب والانبجاس الترشح والرش فالرش اول ثم الانسكاب (منه) اى من ذلك الحجر (اثنتا عشرة عينا) ماء عذبا على عدد الاسباط لكل سبط عين وكان يضربه بعصاه اذا نزل فيتفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس (قد علم كل اناس) اى كل سبط من الاسباط الاثنى عشر (مشربهم) اى عينهم الخاصة بهم او موضع شربهم لا يدخل سبط على غيره فى شربه والمشرب المصدر والمكان والحكمة فى ذلك ان الاسباط كانت بينهم عصبية ومباهاة وكل سبط منهم لا يتزوج من سبط آخر وكل سبط اراد تكثير نفسه فجعل الله لكل سبط منهم نهرا على حدة ليستقوا منها ويسقوا دوابهم لكيلا يقع بينهم جدال ومخاصمة وكان ينبع من كل وجه من الحجر ثلاث اعين تسيل كل عين فى جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة العسكر اثنى عشر ميلا ثم ان الله تعالى قد كان قادرا على تفجير الماء وفلق البحر من غير ضرب لكن اراد ان يربط المسببات بالاسباب حكمة منه للعباد فى وصولهم الى المراد وليترتب على ذلك ثوابهم وعقابهم فى المعاد ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره فى عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهوآء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك قال القرطبى فى تفسيره ما ورد من انفجار الماء ونبعه من يد نبينا صلى الله عليه وسلم وبين اصابعه اعظم فى المعجزة فانا نشاهد الماء يتفجر من الاحجار آناء الليل واطراف النهار ومعجزة نبينا عليه السلام لم تكن لنبى قبل نبينا يخرج الماء من لحم ودم (كلوا) على ارادة القول اى قلنا لهم او قيل لهم كلوا (واشربوا من رزق الله) هو ما رزقهم من المن والسلوى والماء فالاكل يتعلق بالاولين والشرب بالثالث وانما لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا ايذانا بان الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عليه السلام (ولا تعثوا فى الارض) العثى اشد الفساد فقيل لهم لا تمادوا فى الفساد حال كونكم (مفسدين) فالمراد بهذه الحال تعريفهم بانهم على الفساد لا تقييد العامل والا لكان مفهومه مقيدا معنى تمادوا فى الفساد حال كونكم مصلحين وهذا غير جائز او الاصل فى العثى مطلق التعدى وان غلب فى الفساد فيكون التقييد بالحال تقييدا للعامل بالخاص ودلت الاية على فضيلة امة محمد صلى الله عليه وسلم فان بنى اسرائيل احتاجوا الى الماء فرجعوا الى موسى ليسأل واحتاجوا الى البقل والقثاء وسائر المأكولات ففعلوا ذلك وهذه الامة اطلق لهم ان يسألوا الله كلما احتاجوه قال تعالى واسألوا الله من فضله وقال ادعونى استجب لكم وفيها بشارة عظيمة وسأل موسى ربه الماء لقومه بقولهم وسأل عيسى ربه المائدة بقولهم وسأل نبينا عليه السلام المغفرة لنا بامر الله تعالى قال واستغفر لذنبك وللمؤمنين فلما اجاب الله لهما فيما سألاه بطلب القوم فلأن يجيب نبينا فيما سأله بامره اولى وافادت الاية ايضا اباحة الخروج الى الاستسقاء وهو انما يكون اذا دام انقطاع المطر مع الحاجة اليه فالحكم حينئذ اظهار العبودية

والفقر والمسكنة والذلة وقد استسقى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فخرج الى المصلى متواضعا متذللا متخشعا مترسلا متضرعا وجندبة روى ان اعرابيا دخل عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وقال يا رسول الله هلكت الكراع والمواشى واجدبت الارض فادع الله ان يسقينا فرفع يديه ودعا قال انس رضى الله عنه والسماء كانها زجاجة ليس بها قزعة فنشأت سحابة ومطرت الى الجمعة القابلة (قال فى المثنوى) تا فرود آيد بلابى دافعى * چون نباشد از تضرع شافعى * تا سقاهم ربهم آيد خطاب * تشنه باش الله اعلم بالصواب * وعدم الدعاء بكشف الضر مذموم عند اهل الطريقة لانه كالمقاومة مع الله ودعوى التحمل لمشاقه كما قال الشيخ المحقق ابن الفارض قدس سره

ويحسن اظهار التجلد للعدى * ويقبح غير العجز عند الاحبة

وفى الحديث لن تخلو الارض من اربعين رجلا مثل خليل الرحمن عليه السلام فبهم تسقون وبهم تنصرون ما مات منهم احد الا ابدل الله مكانه آخر كر نداری تو دم خوش در دعا * رو دعا ميخواه از اخوان صفا * وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما عام بامطر من عام ولكنه اذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافى قال الشيخ الشهير بافتاده افندى ترقى الطالب برعاية السنن وذكر انه استسقى الناس مرارا فى زمن الحجاج فلم ينزل لهم قطرة فقيل لهم لو دعا شخص لم يترك سنة العصر والسنة الاولى من العشاء لحصل المقصود والا لا يحصل وان دعوتم اربعين مرة فتفقدوا فلم يجدوا شخصا على الصفة المذكورة فرجع الحجاج الى نفسه فوجدها على ما ذكر فدعا فنزل مطر عظيم فى هذا الحين وحصل المقصود وهذا ببركة رعاية سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه مشهور بالظلم ولا بد فى الاستسقاء من تقديم التوبة والصدقة والصوم وان يجعل صلحاء الناس وسيلة وشفيعا فى ذلك ويستسقى للدواب العاطشة والانعام السائمة والاطفال الضعيفة فلعلهم يسقون ببركتها وليكن الداعى ربه على يقين الاجابة لان رد الدعاء اما العجز فى اجابته او لعدم كرم فى المدعو او لعدم علم المدعو بدعاء الداعى وهذه الاشياء منتفية عن الله تعالى فانه كريم عالم قادر لا مانع له من الاجابة وهو اقرب الى المؤمنين منهم يسمع دعاءهم ويقبل تضرعهم والدعاء مهما كان اعم كان الى الاجابة اقرب فانه لا بد ان يكون فى المسلمين من يستحق الاجابة فاذا اجاب الله دعاء البعض فهو اكرم من ان يرد الباقى وفى الحديث ادعوا الله بالسنة ما عصيتموه بها قالوا يا رسول الله ومن لنا بتلك الالسنة قال يدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك وفى تفسير الفاتحة للفنارى ان استقامة التوجه حال الطلب والندآء عند الدعاء شرط قوى فى الاجابة فمن زعم انه يقصد مناداة زيد وهو يستحضر غيره ثم لم يجد الاجابة فلا يلومن الا نفسه اذ لم يناد القادر على الاجابة وانما توجه الى ما انشأه من صفات تصوراته بالحالة الغالبة عليه اذ ذاك روى ان فرعون قبل دعوى الالهية امر ان يكتب على باب داره بسم الله فلما لم يؤمن بموسى قال الهى ادعوه ولا ارى فيه خيرا قال لعلك تريد اهلاكه انت تنظر الى الغيرة وانا الى ما كتبه على بابه فمن كتبه على سويدآء قلبه ستين سنة اولى بالرحمة فاذا كان حال من كتبه على باب داره هكذا فكيف حال من نقشه على باب قلبه يستجاب دعاؤه لا محالة واول شرآئط الاجابة اصلاح الباطن باللقمة الطيبة وآخرها الاخلاص وحضور القلب يعنى التوجه الاحدى والاشارة فى تحقيق الاية ان الروح الانسانى وصفاته فى عالم القلب بمثابة موسى وقومه وهو يستسقى ربه ليرويها من ماء الحكمة والمعرفة وهو مأمور بضرب عصا لا اله الا الله ولها شعبتان من النفى والاثبات تتقدان نورا عند استيلاء ظلمات صفات النفس وقد حمل من جنة حضرة العزة على حجر القلب الذى كالحجارة او اشد قسوة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا من ماء الحكمة لان كلمة لا اله الا الله اثنا عشر حرفا من كل حرف عين قد علم كل سبط من اسباط الصفات الانسانى وهم اثنا عشر سبطا من الحواس الخمس الظاهرة والحواس الخمس الباطنة والقلب والنفس ولكل واحد منهم مشرب من عين حرف من حروف الكلمة قد علم مشربه ومشرب كل واحد حيث ساقه رآئده وقاده قائده فمشرب عذب فرات ومشرب ملح اجاج فالنفوس ترد مناهل المنى والشهوات والقلوب تشرب من مشارب التقى والطاعات والارواح تشرب من زلال الكشوف والمشاهدات والاسرار تروى من عيون الحقائق بكأس تجلى الصفات عن ساقى وسقاهم ربهم الاضمحلال فى حقيقة الذات كلوا واشربوا كل واحد من رزق الله بامره ورضاه ولا تعثوا

في الارض مفسدين بترك الامر واختيار الوزر وبيع الدين بالدنيا وايثار الاخرة على الاولى واختيارهما على المولى كذا في التأويلات النجمية (واذ قلتم) تذكير لجناية اخرى لاسلاف بني اسرائيل وكفرانهم لنعمة الله عز وجل خاطبهم تنزيلا لهم مكان آبائهم لما بينهم من الاتحاد وكان هذا القول منهم في التيه حين سئموا من اكل المن والسلوى لكونهما غير مبدلين والانسان اذا داوم شيأ واحدا سئمه وتذكروا عيشهم الاول بمصر لانهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم عكر السوء واشتاقت طباعهم الى ما جرت عليه عادتهم فقالوا (يا موسى لن نصبر على طعام واحد) الطعام ما يتغذى به وكنوا عن المن والسلوى بطعام واحد وهما اثنان لانهم كانوا يأكلون احدهما بالآخر فيصيران طعاما واحدا او اريد بالواحد نفي التبدل والاختلاف ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا وفي تفسير البغوي والعرب تعبر عن الواحد بلفظ الاثنين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح دون العذب وقيل لن نصبر على الغنى فيكون جميعنا اغنياء فلا يقدر بعضنا على الاستعانة ببعض لاستغناء كل واحد بنفسه وكان فيهم اول من اتخذ العبيد والخدم (فادع لنا ربك) اى سله لاجلنا بدعائك اياه والفاء لسببية عدم الصبر للدعاء (يخرج لنا) اى يظهر لنا ويوجد شيأ فالمفعول محذوف والجزم لجواب الامر فان دعوته سبب الاجابة اى ان تدع لنا ربك يخرج لنا (مما تنبت الارض) اسناد مجازي باقامة القابل وهو الارض مقام الفاعل وهو الله تعالى ومن تبعيضية وما موصولة (من بقلها) من بيانية واقعة موقع الحال من الضمير اى مما تنبته كائنا من بقلها والبقل ما تنبت الارض من الخضر والمراد اصناف البقول التي تأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها (وقثائها) اخو القثد وهو شئ يشبه الخيار (وفومها) وهو الحنطة لان ذكر العدس يدل على انه المراد لانه من جنسه وقيل هو الثوم لان ذكر البصل يدل على انه هو المراد فانه من جنسه قال ابن التمجيد في حواشيه وحمله على الثوم اوفق من الحنطة لاقتران ذكره بالبصل والعدس فان العدس يطبخ بالثوم والبصل (وعدسها) حب معروف يستوي كيله ووزنه (وبصلها) بقل معروف تطيب به القدور (قال) استئناف وقع جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل فماذا قال الله لهم او موسى عليه السلام فقيل قال انكارا عليهم (أتستبدلون) اى اتأخذون لانفسكم وتختارون (الذي هو ادنى) اى اقرب منزلة وادون قدرا (بالذي هو خير) اى بمقابلة ما هو خير فان الباء تصحب الزائل دون الآتي الحاصل وخيرية المن والسلوى في اللذاذة وسقوط المشقة وغير ذلك ولا كذلك الفوم والعدس والبصل وامثالها قال بعضهم الحنطة وان كانت اعلى من المن والسلوى لكن خساستها ههنا بالنسبة الى قيمتها وليس في الاية ما يدل قطعا على انهم ارادوا زوال المن والسلوى وحصول ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال في صورة المناوبة لانهم ارادوا بقولهم لن نصبر على طعام واحد ان يكون هذا تارة وذاك اخرى (اهبطوا) اى انحدروا وانزلوا من التيه ان كنتم تريدون هذه الاشياء (مصرا) من الامصار لانكم في البرية فلا يوجد فيها ما تطلبون وانما يوجد ذلك في الامصار فالمراد ليس مصر فرعون لقوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم واذا وجب عليهم دخول تلك الارض فكيف يجوز دخول مصر فرعون وهو الاظهر والمصر البلد العظيم من مصر الشئ يمصره اى قطعه سمي به لانقطاعه عن الفضاء بالعمارة وقد تسمى القرية مصرا كما تسمى المصر قرية وهو ينصرف ولا ينصرف فصرف ههنا لان المراد غير معين وقيل اريد به مصر فرعون وانما صرف لسكون وسطه كهند ودعد ونوح او لتأويله بالبلد دون المدينة فلم يوجد فيه غير العلمية (فان لكم ما سألتم) تعليل للامر بالهبوط اى فان لكم فيه ما سألتموه من بقول الارض (وضربت عليهم الذلة) اى الذل والهوان (والمسكنة) اى الفقر يسمى الفقير مسكينا لان الفقر اسكنه واقعده عن الحركة اى جعلتا محيطتين بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم كما يضرب الطين على الحائط فهو استعارة بالكناية فترى اليهود وان كانوا مياسير كأنهم فقراء (وباؤا) اى رجعوا (بغضب) عظيم كائن (من الله) اى استحقوا به ولزمهم ذلك ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ابوء بنعمتك علي اى اقر بها والزمها نفسي وغضب الله تعالى ذمه اياهم في الدنيا وعقوبتهم في الآخرة (ذلك) اى ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم (بانهم) اى بسبب ان اليهود (كانوا يكفرون) على الاستمرار بآيات الله الباهرة التي هي المعجزات الساطعة الظاهرة على يدي موسى عليه السلام مما عدا ولم يعد

وكذبوا

وكذبوا بالقرآن ومحمد عليه السلام وانكروا صفته في التوراة وكفروا بعيسى والانجيل (ويقتلون النبيين بغير الحق) كشعيب وزكريا ويحيى عليهم السلام وفائدة التقييد مع ان قتل الانبياء يستحيل ان يكون بحق الايذان بان ذلك عندهم ايضا بغير الحق اذ لم يكن احد معتقدا بحقية قتل احدهم عليهم السلام فان قيل كيف جاز ان يخلي بين الكافرين وقتل الانبياء قيل ذلك كرامة لهم وزيادة في منازلهم كمثل من يقتل في سبيل الله من المؤمنين وليس ذلك بخذلان لهم قال ابن عباس رضي الله عنه والحسن لم يقتل قط من الانبياء الا من لم يؤمر بقتال وكل من امر بقتال نصر فظهر ان لا تعارض بين قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق وقوله انا لننصر رسلنا وقوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون مع انه يجوز ان يراد به النصرة بالحجة وبيان الحق وكل منهم بهذا المعنى منصور روي انهم قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا (قال في المثنوي) چون سفيهانراست اين كار وكيا * لازم آمد يقتلون الانبيا * انبيارا كفته قوم راه كم * از سفه انا تطيرنا بكم (ذلك) اى ما ذكر من الكفر بالآيات العظام وقتل الانبياء عليهم السلام (بما عصوا وكانوا يعتدون) يتجاوزون امري ويرتكبون محارمي اى جرهم العصيان والتمادي في العدوان الى المشار اليه فان صغار الذنوب اذا دووم عليها ادت الى كبارها كما ان مداومة صغار الطاعات مؤدية الى تحري كبارها وسقم القلب بالغفلة عن الله تعالى منعهم عن ادراك لذاذة الايمان وحلاوته لان المحموم ربما وجد طعم السكر مرا فالغفلة سم للقلوب مهلك فنفرة قلوب المؤمنين عن مخالفة الله نفرتك عن الطعام المسموم واعلم ان لله مرادا وللعبد مرادا وما اراد الله خير فقوله اهبطوا اى عن سماء التفويض وحسن التدبير منا لكم الى ارض التدبير والاختيار منكم لانفسكم موصوفين بالذلة والمسكنة لاختياركم مع الله وتدبيركم لانفسكم مع تدبير الله ولو ان هذه الامة هي الكائنة في التيه لما قالت مقال بني اسرائيل لنفوذ انوارهم ونفوذ اسرارهم قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اى عدلا خيارا وفي التأويلات كما ان بني اسرائيل لم يصبروا على طعام واحد كان ينزل عليهم من السماء وقالوا لموسى من خساسة طبعهم ما قالوا كذلك نفس الانسان من دناءة همتها لم تصبر على طعام واحد يطعمها ربها الواحد من واردات الغيب كما كان يصبر نفس النبي عليه السلام ويقول لست كاحدكم فاني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني بل يقول لموسى القلب فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض البشرية من بقل الشهوات الحيوانية وقثاء اللذات الجسمانية قال اتستبدلون الفاني بالباقي اهبطوا مصر القالب السفلي من مقامات الروح العلوي فان لكم ما سألتم من المطالب الدنيئة وضربت عليهم الذلة والمسكنة كالبهائم والانعام بل هم اضل لانهم باؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بالواردات الغيبية والمكاشفات الروحانية بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق اى يبطلون ما يفتح الله لهم من انباء الغيب في مقام الانبياء وينكرون اسرارهم ذلك يعني حصول هذه المقامات منهم بما عصوا ربهم في نقض العهود وبذل المجهود في طاعة المعبود وكانوا يعتدون من طلب الحق في مطالبة ما سواه انتهى باختصار ثم ان في الاية الكريمة دليلا على جواز اكل الطيبات والمطاعم المستلذات وكان النبي عليه السلام يحب الحلوى والعسل ويشرب الماء البارد العذب والعدس والزيت طعام الصالحين وفي الحديث عليكم بالعدس فانه مبارك مقدس وانه يرق القلب ويكثر الدمعة فانه بارك فيه سبعون نبيا آخرهم عيسى بن مريم وكان عمر بن عبد العزيز يأكل يوما خبزا بزيت ويوما بعدس ويوما بلحم ولو لم يكن فيه فضيلة الا انه ضيافة ابراهيم عليه السلام في مدينته لا يخلو منه لكان فيه كفاية وهو مما يخفف البدن فيخف للعبادة ولا يثور منه الشهوات كما يثور من اللحم والحنطة واكل البصل والثوم وماله رائحة كريهة مباح وفي الحديث من اكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم والمراد بالملائكة الحاضرون مواضع العبادات لا الملازمون للانسان في جميع الاوقات ومعنى تأذيهم من هذه الروائح وانه مخصوص بها او عام لكل الروائح الخبيثة مما يفوض علمه الى الشارع وهذا التعليل يدل على انه لا يدخل المسجد وان كان خاليا عن الانسان لانه محل الملائكة قال عليه السلام ان كنتم لا بد من آكليهما فاميتوهما طبخا وقاس قوم على المساجد سائر مجامع الناس وعلى اكل الثوم ما معه رائحة كريهة كالبخر وغيره وانما كره النبي صلى الله عليه وسلم اكل البصل ونحوه لما انه يأتيه الوحي ويناجي الله تعالى ولكن رخص للسائر ويقال كان آخر ما اكله النبي صلى الله عليه وسلم

البصل ايذانا لامته باباحته والعزيمة ان يقتدى الرجل فى اقواله وافعاله واحواله برسول الله صلى الله عليه وسلم (قال المولى الجامى) يانبى الله السلام عليك ✻ انما الفوز والفلاح لديك ✻ كر نرفتم طريق سنت تو ✻ هستم از عاصيان امت تو ✻ مانده ام زير بار عصيان بست ✻ افتم از پاى اكر نكيرى دست ✻

(ان الذين آمنوا) بالسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون بقرينة انتظامهم فى سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بان تلك المرتبة وان عبر عنها بالايمان لاتجديهم نفعا اصلا ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعا (والذين هادوا) اى تهودوا من هاد اذا دخل فى اليهودية ويهود اما عربى من هاد اذا تاب سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة هائلة واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام ويقال انما سمى اليهود يهودا لانهم اذا جاءهم رسول اونبى هادوا الى ملكهم فدلوه عليه فيقتلونه (والنصارى) جمع نصران كندامى جمع ندمان سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه السلام اولانهم كانوا معه فى قرية يقال لها ناصرة فسموا باسمها اولاعتزائهم الى نصرة وهى قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام (والصابئين) من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الكواكب والملائكة فكانوا كعبدة الاصنام وان كانوا يقرؤن الزبور لاتؤكل ذبايحهم ولا تنكح نساؤهم وجاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لم يسمى الصابئون صابئين فقال عليه السلام لانهم اذا جاءهم رسول اونبى اخذوه وعمدوا الى قدر عظيم فاغلوه حتى اذا كان محمى نارا صبوه على رأسه حتى يتفسخ كذا فى روضة العلماء (من) مبتدأ خبره فلهم اجر عظيم والجملة خبران (آمن) من هؤلاء الكفرة (بالله) وبما انزل على جميع النبيين (واليوم الآخر) وهو يوم البعث اى من احدث منهم ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق ودخل فى ملة الاسلام دخولا اصيلا (وعمل) عملا (صالحا) مرضيا عند الله (فلهم) بمقابلة تلك والفاء للسببية (اجرهم) الموعود لهم (عند ربهم) اى مالك امرهم ومبلغهم الى كمالهم اللائق وعند متعلق بما تعلق به لهم من معنى الثبوت اخبران هؤلاء اذا آمنوا وعملوا الصالحات لم يؤاخذوا بتقدم فعلهم ولا بفعل آبائهم ولا ينقصون من ثوابهم (ولا خوف عليهم) عطف على جملة فلهم اجرهم اى لاخوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب (ولا هم يحزنون) حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما وتلخيصه من اخلص ايمانه واصلح عمله دخل الجنة واعلم ان هذا الدين الحق حسنة موجودة فى النفوس وانما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية والتقليد فكل مولود انما يولد فى مبدأ الخلقة واصل الجبلة على الفطرة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين فلو ترك عليها استمر على لزومها ولم يفارقها الى غيرها كما قال عليه السلام مامن مولود الا وقد يولد على فطرة الاسلام ثم ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال ابن الملك فى شرح المشارق المراد بالفطرة قولهم بلى حين قال الله تعالى الست بربكم فلا مخالفة بين هذا الحديث وبين قوله عليه السلام ان الغلام الذى قتله الخضر طبع كافرا والتحقيق ان الله تعالى لما اخرج ذرية آدم من ظهره وقال الست بربكم آمنوا كلهم لمشاهدتهم الحق بالمعاينة لكن لم ينفع ايمان الاشقياء لكونهم لم يؤمنوا من قبل فاختلط السعيد والشقى ولم يفرق بينهما فى هذا العالم ثم انهم اذا نزلوا فى بطون الامهات تميز السعيد من الشقى لان الكاتب لا ينظر الى عالم الاقرار بل ينظر الى مافى علم الله تعالى من احوال الممكن من السعادة والشقاوة وغيرهما واذا ولدوا يولدون على فطرة الاسلام وهى فطرة بلى فههنا اربعة مقامات الاول علم الله وهو البطن المعنوى ويقال له فى اصطلاح الصوفية بطن الام وام الكتاب والثانى مقام بلى ويقال له مولود معنوى والثالث بطن الام الصورى والرابع مولود صورى وهو صورة المولود المعنوى لذلك لا يتميز السعيد من الشقى فيه كما لا يتميز فى عالم الست والبطن الصورى صورة علم الله لذلك يتميز السعيد من الشقى فيها فظهر لك معنى حديث النبى عليه السلام السعيد سعيد فى بطن امه والشقى شقى فى بطن امه ومعنى الخبر الآخر السعيد قد يشقى والشقى قد يسعد ومعنى الحديث كل مولود يولد على فطرة الاسلام كذا حققه الشيخ بالى الصوفيوى قدس سره يقول الفقير جامع هذه المجالس النفيسة قال شيخى العلامة ابقاه الله بالسلامة فى كتابه المسمى باللائحات البرقيات لاح يبالى ان المراد ببطن الام على مشرب اهل التحقيق وهو باطن الغيب المطلق الذاتى الاحدى يعنى السعيد سعيد فى باطن الغيب المطلق ازلا وفى ظاهر الشهادة المطلقة ابدا ولم تتداخل الشقاوة فى واحد منهما اصلا والشقى شقى فى باطن الغيب المطلق

ازلا وفى ظاهر الشهادة المطلقة ابدا ولم تتداخل السعادة فى واحد منهما اصلا الا ان السعيد قد تتداخله الشقاوة والشقى قد تتداخله السعادة فى البرزخ الجامع بينهما فيكون السعيد الشقى سعيدا بالسعادة الذاتية وشقيا بالشقاوة العارضة والشقى السعيد شقيا بالشقاوة الذاتية وسعيدا بالسعادة العارضية والسبق فى الغاية للذاتى دون العارضى ويغلب حكم الذاتى على حكم العارضى ويختم به كما بدئ به ويختم آخر نفس الشقى بالشقاوة العارضية بالسعادة الذاتية وتزول شقاوته العارضية ويدخل فى زمرة السعداء ابدا ويختم آخر نفس السعيد بالسعادة العارضية بالشقاوة الذاتية وتزول سعادته العارضية ويدخل فى زمرة الاشقياء ابدا والى هذا التداخل والعروض البرزخى اشار بقوله السعيد قد يشقى والشقى قد يسعد والتبدل فى العارضى لا فى الذاتى والاعتبار بالذاتى لا العارضى انتهى فمن انشرح قلبه بنور الله فقد آمن بالله لا بالتقليد والرسم والعادة والاقتداء بالآباء واهل البلد فلا خوف عليهم من حجب الانانية ولا هم يحزنون بالاثنينية لانهم الواصلون الى نور الوحدة والهوية (واذ اخذنا ميثاقكم) تذكير لجناية اخرى لاسلاف بنى اسرائيل اى اذكروا يابنى اسرائيل وقت اخذنا لعهد آبائكم بالعمل على مافى التوراة وذلك قبل التيه حين خرجوا مع موسى من مصر ونجوا من الغرق (ورفعنا فوقكم الطور) كانه ظلة حتى قبلتم واعطيتم الميثاق والطور الجبل بالسريانية وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا مافيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور من اصله ورفعه وظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا التى عليكم فلما رأوا ان لامهرب لهم منها قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود لئلا ينزل عليهم فصارت عادة فى اليهود لايسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب ثم رفع الجبل ليقبلوا التوراة لم يكن جبرا على الاسلام لان الجبر ما يسلب الاختيار وهو جائز كالمحاربة مع الكفار واما قوله تعالى لا اكراه فى الدين وامثاله فمنسوخ بالقتال قال ابن عطية والذى لايصح سواه ان الله اخترع وقت سجودهم الايمان لانهم امنوا كرها وقلوبهم غير مطمئنة بذلك (خذوا) على ارادة القول اى فقلنا لهم خذوا (ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجد وعزيمة ومواظبة (واذكروا مافيه) اى احفظوا مافى الكتاب وادرسوه ولاتنسوه ولاتغفلوا عنه (لعلكم تتقون) رجاء منكم ان تكونوا متقين (ثم توليتم) اى اعرضتم عن الميثاق والوفاء به والدوام عليه (من بعد ذلك) الميثاق المؤكد (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) عطفه بالامهال وتأخير العذاب (لكنتم من الخاسرين) اى من الهالكين ولكن تفضل عليكم حيث رفع الطور فوقكم حتى تبتم فزال الجبل عنكم ولولا ذلك لسقط عليكم والخسران فى الاصل ذهاب رأس المال وهو ههنا هلاك النفس لانها الاصل وقد من الله تعالى على امة محمد صلى الله عليه وسلم حيث فرض عليهم الفرائض واحدة بعد واحدة ولم يفرض عليهم جملة فاذا استقرت الواحدة فى قلوبهم فرض عليهم الاخرى واما بنوا اسرائيل فقد فرض عليهم بدفعة واحدة فشق عليهم ذلك ولذا لم يقبلوا حتى رأوا العذاب ثم ان الله تعالى امر بحفظ الاوامر والوعيد وبعدم النسيان والتضييع وقال واذكروا مافيه وهو المقصود من الكتب الالهية لان العمدة العمل بمقتضاها لاتلاوتها باللسان وترتيبها فان ذلك نبذ لها مثاله ان السلطان اذا ارسل منشورا الى واحد من امرائه فى ممالكه وامر له فيه ان يبنى له قصرا فى تلك الديار فوصل الكتاب اليه وهو لا يبنى ما امر به لكنه يقرأ المنشور كل يوم فلو حضر السلطان ولم يجد القصر حاضرا فالظاهر انه يستحق العتاب بل العقاب فالقرآن انما هو مثل ذلك المنشور وقد امر الله فيه عبيده ان يعمروا اركان الدين من الصوم والصلاة وغيرهما فمجرد قراءة القرآن بغير عمل لا يفيد (قال فى المثنوى) هست قرآن حالهاى انبيا ✻ ماهيان بحر پاك كبريا ✻ ور بخوانى ونه قرآن پذير ✻ انبيا واوليا را ديده كير ✻ روى انه عليه السلام شخص ببصره الى السماء يوما ثم قال هذا اوان يختلس فيه العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شئ فقال زياد بن لبيد الانصارى كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وابناءنا فقال صلى الله عليه وسلم ثكلتك امك يا زياد هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغنى عنهم وفى الموطأ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لانسان انك فى زمان كثير فقهاؤه قليل قراؤه يحفظ فيه حدود القرآن ويضيع حروفه قليل من يسأل كثير من يعطى يطولون الصلاة ويقصرون الخطبة يبدون فيه اعمالهم قبل اهوائهم وسيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير قراؤه يحفظ

فيه حروف القرآن ويضيع حدوده كثير من يسأل قليل من يعطى يطوّلون فيه الخطبة ويقصرون الصلاة يبدون فيه اهوآءهم قبل اعمالهم والاشارة فى الآية ان اخذ الميثاق كان عاما كما كان فى عهد الست بربكم ولكن قوما اجابوه شوقا وقوما اجابوه خوفا ليتحقق ان الامر بيد الله فى كلتا الحالتين يسمع خطابه من يشاء موجبا للهداية ويسمع من يشاء موجبا للضلالة فانه لا برهان اظهر من رفع الطور فوقهم عيانا فلما اوبقهم الخذلان لم ينفعهم اظهار البرهان وفى قوله خذوا ما آتيناكم بقوة اشارة الى ان اخذ ما يؤتى الله من الاوامر والنواهى والطاعات والعلوم وغير ذلك لا يمكن بقوة الانسانية الا بقوة ربانية وتأييد الهى. واذكروا ما فيه من الرموز والاشارات والدقائق والحقائق لعلكم تتقون بالله عما سواه ثم توليتم من بعد ذلك اى اعرضتم عن طريق الحق واتباع الشريعة باستيلاء قوة الطبيعة وبعد اخذ الميثاق وسلوك طريق الوفاق ابتلاء من الله فلولا فضل الله عليكم ورحمته وهو سبق العناية فى البداية وتوفيق اخذ الميثاق بالقوة فى الوسط وقبول التوبة وتوفيقها والثبات عليها فى النهاية لكنتم من الخاسرين المصرين على العصيان المغبونين بالعقوبة والخسران والمبتلين بذهاب الدنيا والعقبى ونكال الاخرة والاولى كما كان حال المصرين منكم والمعتدين (ولقد علمتم) خطاب لمعاصرى النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود اى وبالله قد عرفتم يا بنى اسرآئيل (الذين اعتدوا) اى تجاوزوا الحد ظلما (منكم) من اسلافكم محله نصب حال (فى) يوم (السبت) اى جاوزوا ما حدلهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد واصل السبت القطع لان اليهود امروا بان يسبتوا فيه اى يقطعوا الاعمال ويشتغلوا بعبادة الله ويسمى النوم سباتا لانه يقطع الحركات الاختيارية وفيه تحذير وتهديد فكانه يقول انكم تعلمون ما اصابهم من العقوبة فاحذروا كيلا يصيبكم مثل ما اصابهم والقصة فيه انهم كانوا فى زمن داود عليه السلام بارض يقال لها ايلة بين المدينة والشام على ساحل بحر القلزم حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل السبت لم يبق حوت فى البحر الا اجتمع هناك اما ابتلاء لاولئك القوم واما لزيارة السمكة التى كان فى بطنها يونس ففى كل سبت يجتمعن لزيارتها ويخرجن خراطيمهن من الماء حتى لا يرى الماء من كثرتها واذا مضى السبت تفرقن ولزمن مقل البحر فلا يرى شئ منها ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فعمد رجال من اهل تلك القرية فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منه اليها الانهار فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فاقبل الموج بالحيتان الى الحياض فلا يقدرن على الخروج لبعد عمقها وقلة مائها فاذا كان يوم الاحد يصطادونها فاخذوا وأكلوا وملحوا وباعوا فكثرت اموالهم ففعلوا ذلك زمانا اربعين سنة او سبعين لم تنزل عليهم عقوبة وكانوا يتخوفون العقوبة فلما لم يعاقبوا استبشروا وتجرؤا على الذنب وقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا ثم استن الابناء سنة الآباء فلو انهم فعلوا ذلك مرة اومرتين لم يضرهم فلما فعلوا ذلك صار اهل القرية وكانوا نحوا من سبعين الفا ثلاثة اصناف صنف امسك ونهى وصنف امسك ولم ينه وصنف انتهك الحرمة وكان الناهون اثنى عشر الفا فنهوهم عن ذلك وقالوا يا قوم انكم عصيتم ربكم وخالفتم سنة نبيكم فانتهوا عن هذا العمل قبل ان ينزل بكم البلاء فلم يتعظوا وابوا قبول نصحهم فعاقبهم الله بالمسخ وذلك قوله تعالى (فقلنا لهم) قهرا (كونوا قردة) جمع قرد كالديكة جمع ديك بالفارسية بوزينه وهذا امر تحويل لانهم لم يكن لهم قدرة على التحول من صورة الى صورة وهو اشارة الى قوله انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اى لما اردنا ذلك صاروا كما اردنا من غير امتناع ولا لبث (خاسئين) هو وقردة خبران اى كونوا جامعين بين القردية والخسئ وهو الصغار والطرد وذلك ان المجرمين لما ابوا قبول النصح قال الناهون والله لا نساكنكم فى قرية واحدة فقسموا القرية بجدار وعبروا بذلك سنتين فلعنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فمسخوا ليلا فلما اصبح الناهون اتوا ابوابها فاذا هى مغلقة لا يسمع منها صوت ولا يعلو منها دخان فتسوروا الحيطان ودخلوا فرأوهم قد صار الشبان قردة والشيوخ خنازير لها اذناب يتعاوون فعرفت القردة انسابهم من الانس ولا يعرفون الانس انسابهم من القردة فجعلت القردة تأتى نسيبها من الانس فتشم ثيابه وتبكى فيقول الم ننهكم عن ذلك فكانوا يشيرون برؤسهم اى نعم والدموع تفيض من اعينهم ودل ذلك على انهم لما مسخوا ابقى فيهم الفهم والعقل ثم لم يكن ابتدآء القردة من هؤلاء بل كانت قبلهم قردة وهؤلاء حولوا الى صورتها لقبحها جزآء على قبح اعمالهم واقوالهم وماتوا بعد ثلاثة ايام ولم يتوالدوا والقردة التى

فى الدنيا هى نسل قردة كانت قبلهم (فجعلناها) اى صيرنا مسخة تلك الامة وعقوبتها (نكالا) اى عبرة تنكل من اعتبر بها اى تمنعه من ان يقدم على مثل صنيعهم (لما بين يديها وما خلفها) اى لما قبلها وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت فى كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الاخرين فاستعير ما بين يديها للزمان الماضى وما خلفها للمستقبل (وموعظة) اى تذكرة (للمتقين) الذين نهوهم عن الاعتدآء من صالحى قومهم او لكل متق سمعها فاللام للاستغراق العرفى على التقديرين (قال السعدى)

نرود مرغ سوى دانه فراز * چون دكر مرغ بيند اندر بند * پند كير از مصائب دكران * تا نكيرند ديكران زتو پند *

واعلم ان هذا البلاء والخسران جزآء من لم يعرف قدر الاحسان ويكافئ المنعم بالكفران يرد من عزة الوصال الى ذل الهجران وكان عقوبة الامم بالخسف والمسخ على الاجساد وعقوبة هذه الامة على القلوب وعقوبات القلوب اشد من عقوبات النفوس قال الله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم الآية هكذا حال من لم يتأدب فى خدمة الملوك وينخرط فى اثناء السلوك ولم يتخط بساط القربة بقدم الحرمة يستوجب الحرمان ويستجلب الخسران ويبتلى بسياسة السلطان ثم علامة المسخ مثل الخنزير يأكل العذرات ومن اكل الحرام فقلبه ممسوخ ويقال علامة مسخ القلب ثلاثة اشياء لا يجد حلاوة الطاعة ولا يخاف من المعصية ولا يعتبر بموت احد بل يصير راغبا فى الدنيا كل يوم كذا فى زهرة الرياض وروى عن عوف بن عبد الله انه قال كان اهل الخير يكتب بعضهم بثلاث كلمات من عمل لآخرته كفاه الله امر دنياه ومن اصلح ما بينه وبين الله اصلح الله ما بينه وبين الناس ومن اصلح سريرته اصلح الله علانيته قال محمد بن على الترمذى صلاح خمسة اصناف فى خمسة مواطن صلاح الصبيان فى الكتاب وصلاح القطاع فى السجن وصلاح النساء فى البيوت وصلاح الكهول فى المساجد (واذ قال موسى لقومه) توبيخ آخر لاخلاف بنى اسرآئيل بتذكير بعض جنايات صدرت من اسلافهم اى واذكروا قول موسى عليه السلام لاجدادكم (ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) هى الانثى من نوع الثور او واحد البقر ذكرا كان او انثى من البقر وهو الشق سميت به لانها تبقر الارض اى تشقها للحراثة وسببه انه كان فى بنى اسرآئيل شيخ موسر فقتله بنو اعمه طمعا فى ميراثه فطرحوه على باب المدينة او حملوه الى قرية اخرى والقوه بفنائهم ثم جاؤا يطالبون بديته وجاؤا بناس يدعون عليهم القتل فسألهم موسى فجحدوا فاشتبه امر القتيل على موسى وكان ذلك قبل نزول القسامة فى التوراة فسألوا موسى ان يدعو الله ليبين لهم بدعائه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى فيخبرهم بقاتله (قالوا) كانه قيل فماذا صنعوا هل سارعوا الى الامتثال اولا فقيل قالوا (اتتخذنا هزوا) اى اتجعلنا مكان هزؤ ومسخرية وتستهزئ بنا نسألك عن امر القتيل وتأمرنا بذبح بقرة ولا جامع بينهما قال بعض العلماء كان ذلك هفوة منهم وجهالة فقد انقادوا للطاعة وذبحوها (قال) موسى وهو استئناف كما سبق (اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين) لان الهزؤ فى اثناء تبليغ امر الله جهل وسفه ودل ان الاستهزآء بامر الدين كبيرة وكذلك بالمسلمين ومن يجب تعظيمه وان ذلك جهل وصاحبه مستحق للوعيد وليس المزاح من الاستهزآء قال امير المؤمنين على رضى الله عنه لا بأس بفكاهة يخرج بها الانسان من حد العبوس روى انه قدم رجل الى عبيد الله بن الحسين وهو قاضى الكوفة فمازحه عبيد الله فقال جبتك هذه من صوف نعجة او من صوف كبش فقال تجهل ايها القاضى فقال له عبيد الله واين وجدت المزاح جهلا فتلا هذه الآية فاعرض عنه عبيد الله لانه رآه جاهلا لا يعرف المزاح من الاستهزاء ثم ان القوم علموا ان ذبح البقرة عزم من الله وجد فاستوصفوها كما يأتى ولو انهم عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم ولكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وكانت تحته حكمة وقصته انه كان فى بنى اسرآئيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة اتى بها الى غيضة وقال اللهم انى استودعك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ومات الرجل فصارت العجلة فى الغيضة عوانا اى نصفا بين المسنة والشابة وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان بارا بوالدته وكان يقسم الليلة ثلاثة اثلاث يصلى ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس امه ثلثا فاذا اصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتى به الى السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطى والدته ثلثه فقالت له امه يوما ان اباك قد ورثك عجلة استودعها الله فى غيضة كذا فانطلق وادع اله ابراهيم واسمعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت

تلك البقرة تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها لان صفرتها كانت صفرة زين لا صفرة شين فاتى الفتى الغيضة فرأها
ترعى فصاح بها وقال اعزم عليك باله ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب فاقبلت تسعى حتى قامت بين يديه
فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله وقالت ايها الفتى البار لوالدته اركبنى فان ذلك اهون عليك
فقال الفتى ان امى لم تأمرنى بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة باله بنى اسرائيل لو ركبتنى ما كنت تقدر
علىّ ابدا فانطلق فانك ان امرت الجبل ان ينقلع من اصله وينطلق معك لفعل لبرك بامك فسار الفتى بها الى امه
فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال بكم
ابيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتى وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله
ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بامه وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة
قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضى والدتى فقال الملك لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك فقال الفتى لو اعطيتنى
وزنها ذهبا لم آخذه الا برضى امى فردها الى امه واخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضى منى
فانطلق بها الى السوق فاتى الملك فقال استأمرت امك فقال الفتى انها امرتنى ان لا انقصها من ستة على ان
استأمرها فقال الملك انى اعطيك اثنى عشر على ان لا تستأمرها فابى الفتى ورجع الى امه واخبرها بذلك فقالت
ان الذى يأتيك ملك يأتيك فى صورة آدمى ليختبرك فاذا اتى فقل له اتأمرنا ان نبيع هذه البقرة ام لا فافعل فقال له
الملك اذهب الى امك وقل لها امسكى هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل فى بنى اسرائيل
فلا تبيعوها الا بملء مسكها دنانير فامسكوها وقدر الله تعالى على بنى اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا
يستوصفونها حتى وصف لهم تلك البقرة بعينها مكافاة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة والوجه فى تعيين
البقرة دون غيرها من البهائم انهم كانوا يعبدون البقرة والعجاجيل وحبب اليهم كما قال تعالى واشربوا فى قلوبهم
العجل ثم تابوا وعادوا الى طاعة الله وعبادته فاراد الله تعالى ان يمتحنهم بذبح ما حبب اليهم ليظهر منهم حقيقة
التوبة وانقلاع ما كان منهم فى قلوبهم وقيل كان افضل قرابينهم حينئذ البقر فامروا بذبح البقرة ليجعل التقرب
لهم بما هو افضل عندهم (قالوا) كانه قيل فماذا قال قوم موسى بعد ذلك فقيل توجهوا نحو الامتثال وقالوا
يا موسى (ادع لنا) سل لاجلنا (ربك يبين لنا) اى يوضح ويعرف (ما هى) ما مبتدأ وهى خبره والجملة فى حيز
النصب بيبين اى يبين لنا جواب هذا السؤال وقد سألوا عن حالها وصفتها لما قرع اسماعهم ما لم يعهدوه من بقرة
ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فما ههنا سؤال عن الحال والصفة تقول ما زيد فيقال طبيب او عالم اى ما سنها
وما صفتها من الصغر والكبر (قال) اى موسى عليه السلام بعدما دعا ربه بالبيان واتاه الوحى (انه) اى الله تعالى
(يقول انها) اى البقرة المامور بذبحها (بقرة لا) هى (فارض) اى مسنة من الفرض وهو القطع كانها قطعت
سنها وبلغت آخرها (ولا بكر) اى فتية صغيرة ولم يؤنث البكر والفارض لانهما كالحائض فى الاختصاص
بالانثى (عوان) اى نصف (بين ذلك) المذكور من الفارض والبكر (فافعلوا) امر من جهة موسى عليه السلام
متفرع على ما قبله من بيان صفة المامور به (ما تؤمرون) اى ما تؤمرونه بمعنى ما تؤمرون به من ذبح البقرة
وحذف الجار قد شاع فى هذا الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية الى مفعولين (قالوا) كانه قيل ماذا صنعوا
بعد هذا البيان الثانى والامر المكرر فقيل قالوا (ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها) من الالوان حتى يتبين لنا البقرة
المامور بها واللون عرض مشاهد يتعاقب على بعض الجواهر (قال) موسى عليه السلام بعد المناجاة الى الله
تعالى ومجئ البيان (انه) الله تعالى (يقول انها بقرة صفراء) والصفرة لون بين البياض والسواد وهى الصفرة
المعروفة وليس المراد بها ههنا السواد كما فى قوله تعالى كانه جمالة صفر اى سود والتعبير عن السواد بالصفرة
لما انها من مقدماته واما لان سواد الابل يعلوه صفرة (فاقع لونها) مبتدأ وخبر والجملة صفة البقرة والفقوع نصوع
الصفرة وخلوصها يقال فى التأكيد اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفى اسناده الى اللون مع كونه
من احوال الملون لملابسته به ما لا يخفى من فضل تأكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها كما فى جد جده
قيل كانت صفراء الكل حتى القرن والظلف (تسر الناظرين) اليها يعجبهم حسنها وصفاء لونها ويفرح قلوبهم
اتمام خلقتها ولطافة قرونها واظلافها والسرور لذة فى القلب عند حصول نفع او توقعه وعن على رضى الله عنه
من لبس نعلا صفراء قل همه لان الله تعالى يقول تسر الناظرين ونهى ابن الزبير ومحمد بن كثير عن لباس

النعال السود لانها تهم وذكر ان الخف الاحمر خف فرعون والخف الابيض خف وزيره هامان والخف الاسود
خف العلماء وروى ان خف النبى عليه السلام كان اسود (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى) اسائمة هى ام عاملة
وفى الكشاف هذا تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها والاستقصاء شؤم
وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطى فلانا شاة سألتنى اضائن ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر
ام انثى فان اخبرتك قلت اسوداء ام بيضاء فاذا امرتك بشئ فلا تراجعنى وفى الحديث اعظم الناس جرما
من سأل عن شئ لم يحرم فحرم لاجل مسألته (ان البقر تشابه علينا) اى جنس البقر الموصوف بالتعوين
والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها نذبح فذكر البقرة لارادة الجنس اولان كل جمع حروفه اقل من واحده جاز
تذكيره وتأنيثه (وانا ان شاء الله لمهتدون) الى البقرة المراد ذبحها وفى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر
الابد (قال) موسى (انه) تعالى (يقول انها بقرة لا ذلول) مذللة ذللها العمل يقال دابة ذلول بينة الذل بالكسر
وهو خلاف الصعوبة وهو صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولم يقل ذلولة لان فعولا اذا كان وصفا لم تدخله الهاء
كصبور (تثير الارض) اى تقلبها للزراعة وهى صفة ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة (ولا تسقى الحرث) اى ليست
بسانية يسقى عليها بالسواقى ولا الاولى للنفى والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقى
على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية كذا فى الكشاف قال الامام ابو منصور رحمه الله
دلت الاية على ان البقرة كانت ذكرا لان اثارة الارض وسقى الحرث من عمل الثيران واما الكنايات الراجعة اليها
على التأنيث فلفظها كما فى قوله وقالت طائفة فالتاء للتوحيد لا للتأنيث خلافا لابى يوسف الا ان يكون
اهل ذلك الزمان يحرثون بالانثى كما يحرث اهل هذا الزمان بالذكر (مسلمة) اى سلمها الله من العيوب او معفاة
من العمل سلمها اهلها منه او مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شئ من الالوان ويؤيده
قوله تعالى (لا شية فيها) اى لا لون فيها يخالف لون جلدها فهى صفراء كلها حتى قرنها وظلفها والاصل وشية
كالعدة والصفة والزنة اصلها وعدة ووصفة ووزنة واشتقاقها من وشى الثوب وهو استعمال الوان الغزل
فى نسجه (قالوا) عندما سمعوا هذه النعوت (الآن) اى هذا الوقت بنى لتضمنه معنى الاشارة (جئت بالحق)
اى بحقيقة وصف البقرة وما بقى اشكال فى امرها (فذبحوها) الفاء فصيحة اى فحصلوا البقرة الجامعة لهذه
الاوصاف كلها بان وجدوها مع الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهبا فذبحوها (وما كادوا) اى وما قربوا (يفعلون)
والجملة حال من ضمير ذبحوا اى فذبحوها والحال انهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه لخيصه ذبحوها بعد توقف
وبطئ قيل مضى من اول الامر الى الامتثال اربعون سنة فعلى العاقل ان يسارع الى الامتثال وترك التفحص
عن حقيقة الحال فان قضية التوحيد تستدعى ذلك (قال فى المثنوى) تا خيال دوست در اسرار ماست ✻
چاكرى وجان سپارى كار ماست ✻ وفى الحكم العطائية اخرج من اوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض
لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا بالاستسلام لقهره وذلك يقتضى وجود الحفظ من الله
تعالى حتى لا يلم العبد بمعصية وان الم بها فلا تصدر منه واذا صدرت منه فلا يصر عليها اذ الحفظ الامتناع
من الذنب مع جواز الوقوع فيه والعصمة الامتناع من الذنب مع استحالة الوقوع فيه فالعصمة للانبياء
والحفظ للاولياء فقوله الآن جئت بالحق يدل على الرجوع من الهفوة وعدم الاصرار وهذا ايمان محض
وفى التأويلات النجمية ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اشارة الى ذبح بقرة النفس البهيمة فان فى ذبحها حياة
القلب الروحانى وهذا هو الجهاد الاكبر الذى كان النبى عليه السلام يشير اليه بقوله رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر وبقوله المجاهد من جاهد نفسه وقوله عليه السلام موتوا قبل ان تموتوا اشارة الى هذا المعنى
قالوا اتتخذنا هزؤا اى اتستهزئ بنا فى ذبح النفس وليس هذا من شأن كل ذى همة دنية قال اعوذ بالله
ان اكون من الجاهلين الذين يظنون ان ذبح النفس امر هين ويستعد له كل تابع الهوى او عابد الدنيا قالوا ادع
لنا ربك يبين لنا ما هى اى يعين اى بقرة نفس يصلح للذبح بسيف الصدق فاشار الى بقرة نفس لا فارض فى سن
الشيخوخة متعجز عن سلوك الطريق لضعف المشيب وخلل القوى النفسانية كما قال بعض المشايخ الصوفى
بعد الاربعين بارد ولا بكر فى سن شرخ الشباب فانه يستهويه سكره عوان بين ذلك اى عند كمال العقل قال تعالى
حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة فافعلوا ما تؤمرون فانكم ان تقربتم الى الله بما امرتم فان الله يتقرب اليكم بما

وعدتم وانه لايضيع اجر من احسن عملا فى الشيب والشباب قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها يعنى مالون بقرة
نفس تصلح للذبح فى الجهاد قال انه يقول انها بقرة صفرآء اشارة الى صفرة وجوه ارباب الرياضات وسيما اصحاب
المجاهدات فى طلب المشاهدات فاقع لونها يعنى صفرة زين لاصفرة شين كما هى سيما الصالحين تسر الناظرين
من نظر اليهم يشاهد فى غرتهم بهاء قد البس من انر الطاعات ويطالع من طلعتهم آثار شواهد الغيب من خمود
الشهوات حتى امن من احوال البشرية من وجدان آثار الربوبية كقوله تعالى سيماهم فى وجوههم
من اثر السجود ان البقر تشابه علينا اشارة الى كثرة تشبه الباطلين بزى الطالبين وكسوتهم وهيئتهم
وانا ان شاء الله لمهتدون الى الصادق منهم فالاهتدآء اليهم يتعلق بمشيئة الله وبدلالته كما كان حال موسى
والخضر عليهما السلام فلولم يدل الله موسى لما وجده وقوله انها بقرة لاذلول تثير الارض اشارة الى نفس الطالب
الصادق وهى التى لاتحمل الذلة تثير بآلة الحرص علو ارض الدنيا لطلب زخارفها وتتبع هوى النفس
وشهواتها كما قال عليه السلام عز من قنع ذل من طمع وقال ليس للمؤمن ان يذل نفسه ولاتسقى الحرث
اى حرث الدنيا بماء وجهه عند الخلق وبماء وجاهته عند الحق فيصرف فى حرث الدنيا فيذهب ماؤه عند الخلق
وعند الحق لقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الاخرة من نصيب مسلمة لاشية فيها اى نفس
مسلمة من آفات صفاتها مستسلمة لاحكام ربها ليس منها طلب غير الله ولامقصدها الا الله كما وصفهم الله
تعالى بقوله للفقرآء الذين احصروا فى سبيل الله الى قوله الحافا فذبحوها وما كادوا يفعلون يشير الى ان ذبح
النفس ليس من الطبيعة الانسانية فمن ذبحها من الصادقين بسيف الصدق كان ذلك من فضل الله تعالى
وحسن توفيقه فاما من حيث الطبيعة فما كادوا يفعلون (واذ قتلتم نفسا) هذا مؤخر لفظا مقدم معنى لانه اول
القصة اى واذ قتلتم نفسا واتيتم موسى وسألتموه ان يدعو الله تعالى فقال موسى ان الله يأمركم الايات ولم يقدم
لفظا لان الغرض انما هو ذبح البقرة للكشف عن القاتل واضيف القتل الى اليهود المعاصرين لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لرضاهم بفعل اولئك وخوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم والقتل نقض البنية الذى بوجوده
تنتفى الحياة والمعنى واذكروا يابنى اسرآئيل وقت قتل اسلافكم نفسا محرمة وهى عاميل بن شراحيل
(فادارأتم فيها) اصله تدارأتم من الدرء وهو الدفع اى تدافعتم وتخاصمتم فى شأنها اذ كل واحد من الخصماء
يدافع الآخر اى يدفع الفعل عن نفسه ويحيل على غيره (والله مخرج ما كنتم تكتمون) اى مظهر لامحالة ما كتمتم
وسترتم من امر القتل لايتركه مكتوما مستورا فان قلت كيف اعمل مخرج وهو فى معنى المضى قلت قد حكى
ما كان مستقبلا فى وقت التدارئ كما حكى الحاضر فى قوله باسط ذراعيه (فقلنا) عطف على فادارأتم وما بينهما
اعتراض (اضربوه) اى النفس والتذكير على تأويل الشخص والانسان (ببعضها) اى ببعض البقرة اى بعض
كان او بلسانها لانه آلة الكلام او بعجب الذنب لانه اول مايخلق وآخر مايبلى ويركب عليه الخلق او بغير ذلك
من الاعضاء والبعض اقل من النصف والمعنى فضربوه فحيى فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيى الله الموتى
روى انه لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان وفلان لابنى عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا
ولم يورث قاتل بعد ذلك ثم ان موسى عليه السلام امرهم بضربه ببعضها وما ضربه بنفسه نفيا للتهمة كيلا ينسب
الى السحر او الحيلة (كذلك) على ارادة القول اى فضربوه فحيى وقلنا كذلك فالخطاب فى كذلك للحاضرين
عند حياة القتيل اى مثل ذلك الاحياء العجيب (يحيى الله الموتى) يوم القيامة فان قلت ان بنى اسرآئيل كانوا
مقرين بالبعث فما معنى الزامهم كذلك يحيى الله الموتى قلت كانوا مقرين قولا وتقليدا فثبته عيانا وايقانا
وهو كقول ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبى ويجوز ان يكون الخطاب لمنكرى البعث فى زمان النبى
عليه السلام والحاضرين عند نزول الاية الكريمة فلا حاجة حينئذ الى تقدير القول بل تنتهى الحكاية عند قوله
تعالى ببعضها (ويريكم آياته) دلائله الدالة على انه تعالى على كل شئ قدير (لعلكم تعقلون) يقال عقلت
نفسى عن كذا اى منعتها منه اى لكى تكمل عقولكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على
احياء الانفس كلها وتمنعوا انفسكم عن هواها وتطيعوا الله فيما يأمركم به ولعل الحكمة فى اشتراط ما اشترط
فى الاحياء من ذبح البقرة وضربه ببعضها مع ظهور كمال قدرته على احيائه ابتدآء بلا واسطة اصلا لاشتماله
على التقرب الى الله تعالى واداء الواجب ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى

والشفقة على الاولاد ونفع بر الوالدوان من حق الطالب ان يقدم قربة ومن حق المتقرب ان يتحرى الاحسن
ويغالى بثمنه كما يروى عن عمر رضى الله عنه انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلثمائة دينار وان المؤثر هو الله تعالى
وانما الاسباب امارات لاتأثير لها لان الموتين الحاصلين فى الجسمين لايعقل ان يتولد منهما حياة وان من رام
ان يعرف اعدى عدوه الساعى فى اماتته الموت الحقيقى فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التى هى قوته الشهوية
حين زال عنها شره الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رآئقة المنظر غير مذللة فى طلب الدنيا مسلمة
عن دنسها لاشية بها من قبائحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى به حياة طيبة ويعرف ما به ينكشف الحال
ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارئ والجدال قال بعض اهل المعرفة فى قوله فقلنا اضربوه ببعضها كذلك
يحيى الله الموتى انما جعل الله احياء المقتول فى ذبح البقرة تنبيها لعبيده ان من اراد منهم احياء قلب لم يتأت له
الا باماتة نفسه فمن اماتها بانواع الرياضات احيى الله قلبه بانوار المشاهدات فمن مات بالطبيعة يحيى بالحقيقة
وكما ان لسان البقرة بعد ذبحها ضرب على القتيل وقام باذن الله وقال قتلنى فلان فكذلك من ضرب لسان
النفس المذبوح بسكين الصدق على قتيل القلب بمداومة الذكر يحيى الله قلبه بنوره فيقول وما ابرئ نفسى ان
النفس لامارة بالسوء (قال السعدى) نميتازد اين نفس سركش چنان * كه عقلش تواند كرفتن عنان *
تو بركرة توسنى دركر * نكرتا نپيچد زحكم تو سر * اكر باالهنك از كفت دركسيخت * تن خويشتن
كشت وخون تو ريخت * فيجب علينا غاية الوجوب ان نقيد باحياء نفوسنا بالحيلة الحقيقية واصلاح قلوبنا
بالاصلاح الحقيقى واخلاص اعمالنا بالاخلاص الحقيقى فان المنظر الالهى انما هو القلوب والاعمال
لا القصور والاموال كما ورد فى الحديث ان الله لاينظر الى صوركم واحوالكم بل الى قلوبكم واعمالكم فالمعتبر
هو الباطن والسرآئر دون السير والظواهر والعاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والجاهل من نسى
نفسه واتبع هواه وما يعقل ذلك الا العالمون وما يعلمه الا الكاملون (قال السعدى) شخصم بچشم عاليان
خوب منظرست * وزخبث باطنم سر خجلت فتاده پيش * طاوس را بنقش ونكارى كه هست خلق *
تحسين كنند واو خجل از پاى زشت خويش * وقد سئل بعض المشايخ عن الاسلام فقال ذبح النفس
بسيوف المخالفة ومخالفتها ترك شهواتها قال السرى السقطى ان نفسى تطالبنى مدة ثلاثين سنة او اربعين سنة
ان اغمس جوزة فى دبس فما اطعمتها ورئى رجل جالس فى الهوآء فقيل له بم نلت هذا قال تركت الهوى
فسخر لى الهوآء وقيل لبعضهم انى اريد ان احج على التجريد فقال جرد اولا قلبك من السهو ونفسك عن اللهو
ولسانك عن اللغو ثم اسلك حيث شئت (ثم قست قلوبكم) خطاب لاهل عصر النبى عليه السلام من الاحبار
وثم لاستبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون والقسوة والقساوة عبارة
عن الغلظ والصلابة كما فى الحجر وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ لاتؤثر فيها
(من بعد ذلك) اى من بعد سماع ما ذكر من احياء القتيل ومسخ القردة والخنازير ورفع الجبل وغيرها من الايات
والقوارع التى تميع منها الجبال وتلين بها الصخور (فهى) اى القلوب (كالحجارة) اى مثل الحجارة فى شدتها
وقسوتها والفاء للتفريع مشابهتها لها على ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه كقولك احمر
خده فهو كالورد (او اشد) منها (قسوة) تمييز واو بمعنى بل او للتخيير اى ان شئتم فاجعلوها اشد منها كالحديد
فانتم مصيبون وانما لم تحمل على اصلها وهو الشك والتردد لما ان ذلك محال على علام الغيوب فان قلت لم قيل
اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب قلت لكونه ابين وادل على فرط القسوة
من لفظ اقسى لان دلالته على الشدة بجوهر اللفظ الموضوع لها مع هيئة موضوعة للزيادة فى معنى الشدة
بخلاف لفظ الاقسى فان دلالته على الشدة والزيادة فى القسوة بالهيئة فقط ووجه حكمة ضرب قلوبهم مثلا
بالحجارة وتشبيهها بها دون غيرها من الاشياء الصلبة من الحديد والصفر وغيرهما لان الحديد تلينه النار وهو
قابل للتليين كما لان لداود عليه السلام وكذا الصفر حتى يضرب منها الاوانى والحجر لايلينه نار ولا شئ فلذلك
شبه قلب الكافر بها وهذا والله اعلم فى حق قوم علم الله انهم لايؤمنون (وان من الحجارة) بيان لفضل قلوبهم
على الحجارة من شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة ومن الحجارة خبر ان والاسم قوله (لما) واللام للتأكيد
اى لحجرا (يتفجر) اى يتفتح بكثرة وسعة (منه) راجع الى ما (الانهار) جمع نهر وهو المجرى الواسع من مجارى

الماء والمعنى وان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير اى يتصبب (وان منها) اى من الحجارة (لما يشقق) اصله يتشقق اى يتصدع والصدع جعل الشئ ذا نواحى (فيخرج منه الماء) اى ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض ينبع منه الماء ايضا يعنى العيون دون الانهار (وان منها لما يهبط) اى يتردى وينزل من اعلى الجبل الى اسفله (من خشية الله) وهى الخوف عن العلم وهنا مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء اليهود لا تنقاد ولا تلين ولا تخشع ولا تفعل ما امرت به (وما الله بغافل) بساه (عما تعملون) اى الذى تعملونه وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الاعمال السيئة فقلب الكافر اشد فى القساوة من الحجارة وانها مع فقدان اسباب الفهم والعقل عنها وزوال الخطاب منها تخضع له وتتصدع قال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وقلب الكافر مع وجود اسباب الفهم والعقل وسعة هيئة القبول لا يخضع ولا يلين قالت المعتزلة خشية الحجر على وجه المثل يعنى لو كان له عقل لفعل ذلك ومذهب اهل السنة ان الحجر وان كان جمادا لكن الله يفهمه ويلهمه فيخشى بالهامه فان لله تعالى علما فى الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية كما قال جل ذكره وان من شئ الا يسبح بحمده وقال والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء الايمان به ويحيل علمه الى الله تعالى روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل انزل عنى فانى اخاف ان تؤخذ على فيعاقبنى الله بذلك فقال له جبل حراء الى الى يا رسول الله وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب استند الى جذع نخلة من سوارى المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك السارية من فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحنت كحنين الناقة حتى سمعها اهل المسجد حتى نزل رسول الله عليه السلام فاعتنقها فسكنت (قال فى المثنوى) آنكه اورا نبود از اسرار داد ＊ كى كند تصديق او ناله جماد ＊ وبينما راع فى غنمه عدا عليه الذئب فاخذ منها شاة فطلبه الراعى حتى استنقذها منه اى استخلصها فالتفت اليه الذئب فقال من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيرى فقال الناس سبحان الله ذئب تكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى اومن به وابو بكر وعمر وعلى هذا انطاق الله جلود الكفار يوم القيامة وتسبيح الحصى فى كفه عليه السلام وكلام الشاة المسمومة ومجئ الشجرتين اليه صلى الله عليه وسلم حتى يستتر بهما فى قضاء حاجته ثم رجوعهما الى مكانهما وامثال ذلك كثيرة ذكر الشيخ قطب وقته الهدائى الاسكدارى فى واقعاته انه كان يسمع فى اثناء سلوكه من الماء الجارى ذكر يا دائم يا دائم (وفى المثنوى)

نطق آب ونطق خاك ونطق كل ＊ هست محسوس حواس اهل دل ＊ فلسفى كو منكر حنانه است ＊ از حواس اوليا بيكانه است ＊ هر كه در دل شك وبيچا نيست ＊ در جهان او فلسفى پنهانيست ＊

قال بعض الحكماء معنى قوله ثم قست قلوبكم يبست ويبس القلب ان ييبس عن مائين احدهما ماء خشية الله تعالى والثانى ماء شفقة الخلق وكل قلب لا يكون فيه خشية الله ولا شفقة الخلق فهو كالحجارة او اشد قسوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وان ابعد الناس من الله القلب القاسى وقال ايضا اربعة من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وطول الامل والحرص على الدنيا والاشارة فى تحقيق الآية ان اليهود وان شاهدوا عظيم الآيات حين لم تساعدهم العناية لم يزدهم كثرة الآيات الا قسوة على قسوة فان الله اراهم الآيات الظاهرة فرأوها بنظر الحس ولم يرهم البرهان الذى يراه القلب فيعجزهم عن التكذيب والانكار يدل عليه قوله تعالى وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وهكذا حال بعض المذكورين حين شرعوا فى الرياضات يلوح لهم من صفاء الروحانية ظهور بعض الآيات وخرق العادات فاذا لم يكن مقارنا برؤية البرهان ليكون مؤيدا بالتأييدات الالهية لم يزدهم الا العجب والغرور واكثر ما يقع هذا للرهابين والمتفلسفة الذين استدرجهم الحق بالخذلان من حيث لا يعلمون وانما تشبه قلوبهم بالحجارة لعدم اللين الى الذكر الحقيقى وهو ما يتداركه الحق بذكره كقوله فاذكرونى اذكركم ومراتب القلوب فى القسوة متفاوتة فبعضها بمرتبة الحجارة التى يتفجر منها الانهار وهو قلب يظهر عليه بغلبات انوار الروح لصفائه بعض الاشياء المشبهة لخرق العادات كما يكون لبعض الرهابين والكهنة وبعضها بمرتبة وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وهو قلب يظهر عليه فى بعض الاوقات عند انخراق حجب البشرية انوار الروح فيريه بعض الآيات

والمعانى المعقولة كما يكون لبعض الفلاسفة والشعراء وبعضها بمرتبة وان منها لما يهبط من خشية الله وهو قلب فيه بعض الصفاء فيكون بقدر صفائه قابل عكس انوار الروح من وراء الحجب فيقع فيه الخوف والخشية كما يكون لبعض اهل الاديان والملل وهذه المراتب مشتركة بين قلوب المسلمين وغيرهم فالفرق بينهم ان احوال هذه المراتب للمسلمين مؤيدة بنور الايمان فيزيدهم فى قربهم بكرامات وفراسات تظهر لهم من تجلى انوار الحق كما قال افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وبعض القلوب بمرتبة الحجر القاسى الذى ما يؤثر فيه القرآن والاخبار والحكمة والموعظة وهذا القلب مخصوص بالكافر والمنافق فانه قلب مختوم عليه وما الله بغافل عما تعملون فيجازيكم عاجلا وآجلا فاما عاجلا بان يجعل انكاركم سبب مزيد قسوة قلوبكم فيقسيها باعمالكم الفاسدة ويطبع عليها بطابع انكاركم قال عليه السلام ما من قلب الا وهو بين اصبعين من اصابع الرحمن فان شاء اقامه وان شاء ازاغه واما آجلا فيعاقبكم يوم القيامة على قدر سيآت اعمالكم كذا فى التاويلات النجمية (افتطمعون) كان عليه السلام شديد الحرص على الدعاء الى الحق وقبولهم الايمان منه وكان يضيق صدره بسبب عنادهم وتمردهم فقص الله عليه اخبار بنى اسرائيل فى العناد العظيم مع مشاهدة الآيات الباهرة تسلية لرسوله فيما يظهر من اهل الكتاب فى زمانه من قلة القبول والاستجابة والخطاب للنبى عليه السلام واصحابه والهمزة لانكار الواقع واستبعاده كما فى قولك اتضرب اباك لا لانكار الوقوع كما فى قوله اضرب ابى والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم فتطمعون ومآل المعنى ابعد ان علمتم تفاصيل شؤنهم المؤيسة عنهم فتطمعون فى (ان يؤمنوا) جميع اليهود وعلماؤهم فانهم متماثلون فى شدة الشكيمة والاخلاق الذميمة لا يتأتى من اخلافهم الا مثل ما اتى من اسلافهم فلا تحزنوا على تكذيبهم واللام فى (لكم) لتضمين معنى الاستجابة اى فى ايمانهم مستجيبين لكم او للتعليل اى فى ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم (و) الحال (قد كان فريق) كائن (منهم) اى طائفة ممن سلف منهم والفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط (يسمعون كلام الله) وهو ما يتلونه من التوراة (ثم يحرفونه) اى يغيرون ما فيها من الاحكام كتغييرهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول فى آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم لا تفعلوا فلا بأس قال فى التيسير الصحيح انهم لم يسمعوا كلام الله بلا واسطة فان ذلك كان لموسى على الخصوص لم يشركه فيه غيره فى الدنيا ومعنى يسمعون كلام الله اى التوراة من موسى بقراءته (من بعد ما عقلوه) اى من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم شبهة فى صحته يقول كيف يؤمن هؤلاء وهم يقلدون اولئك الاباء فهم من اصل السوء الذين مضوا بالعناد فلا تطمعوا الايمان منهم (وهم يعلمون) اى يحرفونه والحال انهم يعلمون انهم كاذبون مفترون (واذا لقوا) اى اليهود (الذين آمنوا) من اصحاب النبى عليه السلام (قالوا) اى منافقوهم (آمنا) كايمانكم وان محمدا هو الرسول المبشر به (واذا خلا) مضى ورجع (بعضهم) الذين لم ينافقوا اى اذا فرغوا عن الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين (الى بعض) اى الى الذين نافقوا بحيث لم يبق معهم غيرهم (قالوا) اى الساكتون عاتبين لمنافقيهم على ما صنعوا (اتحدثونهم) تخبرونهم والاستفهام بمعنى النهى اى لا تحدثوهم يعنون المؤمنين (بما فتح الله عليكم) اى بينه الله لكم خاصة فى التوراة من نعت النبى عليه السلام والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه احد (ليحاجوكم به) اللام متعلقة بالتحديث دون الفتح والضمير فى به لما فتح الله اى ليحتجوا عليكم به فيقطعوكم بالحجة ويبكتوكم (عند ربكم) اى فى حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله كذا اى فى كتابه وشرعه والمحدثون به وان لم يحوموا حول ذلك الغرض وهو المحاجة لكن فعلهم ذلك لما كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور اظهارا لكمال سخافة عقلهم وركاكة آرائهم (افلا تعقلون) متصل بكلامهم من التوبيخ والعتاب اى الا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطأ الفاحش وهو ان ذلك حجة لهم عليكم فالمنكر عدم التعقل ابتداء او تفعلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجون الى التنبيه عليه فالمنكر حينئذ عدم التعقل بعد الفعل (اولا يعلمون) الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين اى ايلومونهم على التحديث مخافة المحاجة ولا يعلمون (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) اى جميع ما يسرونه

ومايعلنونه ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان فحينئذ يظهر الله للمؤمنين ماارادوا اخفاءه بواسطة
الوحى الى النبى عليه السلام فتحصل المحاجة والتبكيت كما وقع فى آية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فاى
فائدة فى اللوم والعتاب (ومنهم) اى من اليهود (اميون) لايحسنون الكتب ولايقدرون على القرآءة والامى
منسوب الى امة العرب وهى الامة الخالية عن العلم والقرآءة فاستعير لمن لايعرف الكتابة والقرآءة (لايعلمون
الكتاب) اى لايعرفون التوراة ليطالعوها ويتحققوا مافيها من دلائل النبوة فيؤمنوا (الااماني)
جمع امنية من التمنى والاستثناء منقطع لانها ليست من جنس الكتب اى لكن الشهوات الباطلة ثابتة عندهم
وهى المفتريات من تغيير صفة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وانهم لايعذبون فى النار الا اياما معدودة وان آباءهم
الانبياء يشفعون لهم وان الله لايؤاخذهم بخطاياهم ويرحمهم ولاحجة لهم فى صحة ذلك (وان هم) اى ماهم
(الايظنون) ظنا من غير تيقن بها اى ماهم الاقوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يصلوا الى مرتبة
العلم فانى يرجى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين (فويل) كلمة يقولها كل واقع فى هلكة بمعنى
الدعاء على النفس بالعذاب اى عقوبة عظيمة وهو مبتدأ خبره ما بعده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل
واد فى جهنم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال سعيد بن المسيب رضى الله عنه انه واد
فى جهنم لوسيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره اى ذابت (للذين يكتبون الكتاب) المحرف
(بايديهم) تأكيد لدفع توهم المجاز فقد يقول انسان كتبت الى فلان اذا امر غيره ان يكتب عنه اليه
(ثم يقولون) لعوامهم (هذا) اى المحرف (من عند الله) فى التوراة روى ان احبار اليهود خافوا ذهاب مأكلهم
وزوال رياستهم حين قدم النبى عليه السلام المدينة فاحتالوا فى تعويق اسافل اليهود عن الايمان فعمدوا الى
صفة النبى عليه السلام فى التوراة وكانت هى فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العين ربعة اى متوسط
القامة فغيروها وكتبوا مكانه طوال ازرق سبط الشعر وهو خلاف الجعد فاذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرؤا
عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته عليه السلام فيكذبونه (ليشتروا به) اى يأخذوا لانفسهم بمقابلة
المحرف (ثمنا) هو ما اخذوه من الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتأويل الزائغ انما عبر عن المشترى الذى
هو المقصود بالذات فى عقد المعاوضة بالثمن الذى هو وسيلة فيه ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا المقصود بالذات
وسيلة والوسيلة مقصودة بالذات (قليلا) لايعبأ به انما وصفه بالقلة اما لفنائه وعدم ثوابه واما لكونه حراما
لان الحرام لابركة فيه ولايربو عند الله كذا فى تفسير القرطبى (فويل لهم) اى العقوبة العظيمة ثابتة لهم
(مما كتبت ايديهم) من اجل كتابتهم اياه (وويل لهم مما يكسبون) من اخذهم الرشوة وعلمهم المعاصى واصل
الكسب الفعل لجر نفع اودفع ضر ولهذا لايوصف به سبحانه وفى الايات اشارات الاولى ان علم الرجل ويقينه
ومعرفته ومكالمته مع الله لايفيده الايمان الحقيقى الا ان يتداركه الله بفضله ورحمته قال الله تعالى ولولا فضل الله
عليكم ورحمته مازكا منكم من احد ابدا وان الله تعالى كلم ابليس وخاطبه بقوله يا ابليس مامنعك ان تسجد
لما خلقت بيدى وما افاده الايمان الحقيقى اذلم يكن مؤيدا من الله بفضله ورحمته ولم يبق على الايمان بعد العيان
فكيف يؤمن بالبرهان (قال فى المثنوى) جز عنايت كه كشايد چشم را * جز محبت كه نشايد
خشم را * جهد بى توفيق خود كس را مباد * درجهان والله اعلم بالسداد * جهد فرعونى
چوبى توفيق بود * هرچه او مى دوخت ان تفتيق بود * والثانية ان العالم المعاند والعامى المقلد سوآء
فى الضلال لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامى ان لايرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم وان الدين
ليس بالتمنى فالذين ركنوا الى التقليد المحض واغتروا بظنون فاسدة وتخمينات مبهمة فهم الذين لانصيب لهم
من كتبهم الاقرآءتها دون معرفة معانيها وادراك اسرارها وحقائقها وهذا حال اكثر اهل زماننا من مدعى
الاسلام فالمدعى والمتمنى عاقبتهما خسران وضلال وحسرة وندامة ووبال (وفى المثنوى) تشنه را كرذوق آيد
ازسراب * چون رسد دروى كريزد جويد آب * مفلسان كرخوش شوند از زرقلب * ليك آن
رسوا شود دردار ضرب * والثالثة ان من بدل اوغير او ابتدع فى دين الله ماليس منه فهو داخل فى الوعيد
المذكور وقد حذر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امته لما علم مايكون فى آخر الزمان فقال الا ان من قبلكم
من اهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين كلها فى النار

الا واحدة فحذرهم ان يحدثوا من تلقاء انفسهم فى الدين خلاف كتاب الله او سنته او سنة اصحابه فيضلوا به الناس
وقد وقع ما حذره وشاع وكثر وذاع فانا لله وانا اليه راجعون (قال السعدى) نخواهى كه نفرين كنند
از پست * نكوباش تابد نكويد كست * نه هر آدمى زاده ازدد بهست * كه دد زآدمى زاده بد
بهست * والرابعة ان بعض المتسمين بالصوفية ينضم الى الاولياء وارباب القلوب ظاهرا ثم لايصدق
الارادة ويميل الى اهل الغفلة ويصغى الى اقوالهم ويشتهى ارتكاب افعالهم كلما دعته هواتف الحظوظ سارع
الى الاجابة طوعا واذا قادته دواعى الحق تكلف كرها ليس له اخلاص فى الصحبة فى طريق الحق فويل لهم
مما يكسبون من الالحاد عن الحق واعتقاد السوء واغرآء الخلق واضلالهم فهم الذين ضلوا واضلوا كثيرا
(وفى المثنوى) صد هزاران دام ودانه است اى خدا * ما چو مرغان حريص بى نوا * دمبدم ما بستهٔ
دام نويم * هر يكى كرباز وسيمرغى شويم * فعلى السالك ان يجتهد فى الوصول الى الوجود الحق ويتخلص
عن الموهوم المطلق ولايغتر بظواهر الحالات غافلا عن بطون الاعتبارات فان طريق الحق ادق من كل دقيق
وماء عميق وفج سحيق واجهل الناس من يترك يقين ما عنده من صفات نفسه التى لايشك فيها لظن ماعند الناس
من صلاحية حاله قال حارث بن اسد المحاسبى رضى الله عنه الراضى بالمدح بالباطل كمن يهزأ به ويقال ان العذرة
التى تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك وهو يفرح ويرضى بالسخرية به فالعاقل لايغتر بمثله بل يجتهد
الى ان يصل الى الحقيقة فويل لواعظ تكبر وافتخر بتقبيل الناس يده ورأى نفسه خيرا من السامعين ويتقيد
بالمدح والذم اللهم الا ان يخرج ذلك من قلبه والمعيار مساواة المقبل واللاطم عنده بل رجحان اللاطم والضارب
قال فى مجالس وعظه جنيد البغدادى لولم اسمع قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر
لما اجترأت على الوعظ فانا ذلك الرجل الفاجر (وقالوا) اى اليهود زعما منهم (لن تمسنا النار) اى لاتصل الينا
النار فى الاخرة (الا اياما معدودة) قليلة محصورة سبعة ايام فانهم يقولون ان ايام الدنيا سبعة آلاف سنة فنعذب
مكان كل الف سنة يوما او يريدون اربعين يوما مقدار عبادة آبائهم العجل قال ابو منصور رحمه الله نصرف الايام
المعدودة الى العمر الذى عصوا فيه وهم لم يروا التعذيب الاعلى قدر وقت العصيان او كانوا لايرون التخليد
فى النار كالجهمى اولانهم كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه فلا نعذب ابدا بل نعذب تعذيب الاب ابنه
والحبيب حبيبه فى وقت قليل ثم يرضى وهذا منهم باطل وعقوبة الكفر ابدا وثواب الايمان كذلك لان من اعتقد
دينا انما يعتقده للابد فعلى ذلك جزآؤه للابد (قل) يا محمد تبكيتا لهم وتوبيخا (اتخذتم) بقطع الهمزة لانه الف
استفهام بمعنى التوبيخ والالف الجتلبة ذهبت بالادراج اى أاتخذتم (عند الله عهدا) خبرا او وعدا بما تزعمون
فان ماتدعون لايكون الا بناء على وعد قوى ولذلك عبر عنه بالعهد (فلن) الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف
اى ان اتخذتم عند الله عهدا او اما نافلن (يخلف الله) الاخلاف نقض العهد (عهده) الذى عهده اليكم يعنى
ينجز وعده البتة قال الامام ابو منصور لهذا ان وجهان احدهما هل عندكم خبر عن الله تعالى انكم لاتعذبون ابدا
لكن اياما معدودة فان كان لكم هذا فهو لايخلف عهده ووعده والثانى الكم عند الله اعمال صالحة ووعدكم بها
الجنة فهو لايخلف وعده (ام تقولون) مفترين (على الله مالا تعلمون) وقوعه وام معادلة لهمزة الاستفهام
بمعنى اى الامرين المتساويين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما اتخيصه ان كان لكم عنده
عهد فلاينقض ولكنكم تتخرصون وتكذبون روى انهم اذا مضت تلك المدة عليهم فى النار يقول لهم خزنة جهنم
يا اعدآء الله ذهب الاجل وبقى الابد فايقنوا بالخلود (بلى) اثبات لما بعد النفى فهو جواب النفى ونعم جواب
الايجاب اى قلتم لن تمسنا النار سوى الايام المعدودة بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون وبين ذلك
بالشرط والجزآء وهما (من) فمن ورفع مبتدأ بمعنى الشرط ولذلك دخلت الفاء فى خبره وان كان جوابا للشرط
(كسب) الكسب استجلاب النفع واستعماله فى استجلاب الضر كالسيئة على سبيل التهكم (سيئة) من السيئات
يعنى كبيرة من الكبائر (واحاطت به خطيئته) تلك واستولت عليه من جميع جوانبه من قلبه ولسانه ويده
كما يحيط العدو وهذا انما يتحقق فى الكافر ولذلك فسر السلف السيئة بالكفر (فاولئك) الموصوفون بما ذكر
من كسب السيئات واحاطة خطاياهم بهم اشير اليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى فى كلمة من بعد مراعاة
جانب اللفظ فى الضمائر الثلاثة (اصحاب النار) اى ملازموها فى الاخرة حسب ملازمتهم فى الدنيا لما يستوجبها

من الاسباب التى من جملتها ماهم عليه من تكذيب آيات الله وتحريف كلامه والافتراء عليه وغير ذلك
وهو خبر اولئك والجملة خبر للمبتدأ (هم فيها خالدون) دائمون فانى لهم التفصى عنها بعد سبعة ايام اوار بعين
كما زعموا والجملة فى حيز النصب على الحالية لورود التصريح به فى قوله تعالى اصحاب النار خالدين فيها ولاحجة
فى الاية على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر (والذين آمنوا) اى صدقوا بالله تعالى
ومحمد عليه السلام بقلوبهم (وعملوا الصالحات) اى ادوا الفرائض وانتهوا عن المعاصى (اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون) لا يموتون ولا يخرجون منها ابدا جرت السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما تقتضيه
الحكمة فى ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب اخرى والتبشير مرة والانذار اخرى فان باللطف والقهر
يترقى الانسان الى الكمال ويفوز بجنة الجمال والجلال (وحكى) انه كان لشيخ مريد فقال له يوما لورأيت ابا يزيد
كان خيرا لك من شغلك فقال كيف يكون هو خيرا وهو مخلوق ويتجلى الخالق كل يوم سبعين مرة ثم بالاخرة
ذهب مع شيخه الى ابى يزيد البسطامى فقالت امرأته لا تطلبوه فهو امر ؤ ذهب للحطب فوقفا فى طريقه
فاذا هو حمل الحطب على اسد عظيم وبيده حية يضرب الاسد بها فى بعض الاوقات فلما رآه المريد مات وقال
ابو يزيد لشيخه قد ربيت مريدك باللطف ولم ترشده الى طريق القهر فلم يتحمل لما رأنى فلا تفعل بعد اليوم وأرهم
القهر ايضا قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى ان ابا يزيد برؤية القهر واللطف من الطريق كان مظهرا
لتجلى الذات بخلاف المريد فلما رأه فيه لم يتحمل (قال فى المثنوى) عاشقم برقهر و بر لطفش بجد *
بو العجب من عاشق اين هر دو ضد * والله ار زين خار در بستان شوم * همچو بلبل زين سبب نالان شوم *
اين عجب بلبل كه بكشايد دهان * تا خورد او خار را با گلستان * اين چه بلبل اين نهنك آتشيست *
جمله ناخوشها ز عشق او را خوشيست * والاشارة فى الآيات ان بعض المغرورين بالعقل من الفلاسفة
والطبايعية وغيرهم لفرط غفلتهم ظنوا ان قبايح اعمالهم وافعالهم واقوالهم لا تؤثر فى صفاء ارواحهم
فاذا فارقت الارواح الاجساد يرجع كل شئ الى اصله الاجساد ترجع الى العناصر والارواح الى حظائر القدس
ولا يزاحمها شئ من نتايج الاعمال الا اياما معدودة وهذا فاسد لان العاقل يشاهد حساوعقلا ان تتبع الشهوات
الحيوانية واستيفاء اللذات النفسانية يورث الاخلاق الذميمة من الحرص والامل والحقد والحسد والبغض
والغضب والبخل والكبر والكذب وغير ذلك وهذه من صفات النفس الامارة بالسوء فتصير بالمجاورة والتعود
اخلاق الروح فيتكدر صفاؤه ويتبدل اخلاقه الروحانية من الحلم والكرم والمروءة والصدق والحياء والعفة والصبر
والشكر وغير ذلك بالاخلاق الحيوانية الشيطانية والذى يجتهد فى قمع الهوى والشهوات يورث هذه المعاملات
من مكارم الاخلاق وصفاء القلب وتحننه الى وطنه الاصلى وغير ذلك فلا يساوى الروح المتبع للنفس الامارة
كما للعوام بعد المفارقة مع الروح المتبع لالهامات الحق كما يكون للخواص وبعضهم قالوا وان تدنست الارواح
بقدر تعلقها بمحبوبات طباعها فبعد المفارقة بقيت فى العذاب اياما معدودة على قدر انقطاع التعلقات عنها
وزوال الكدورات ثم تخلص وهذا ايضا خيال فاسد وكذبهم الله بقوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته
تظهر على مرآة قلبه بقدرها رينا فان تاب محى عنه وان اصر على السيئات حتى اذا احاط بمرآة قلبه رين السيئات
بحيث لا يبقى فيه الصفاء الفطرى وخرج منه نور الايمان وضوء الطاعات فاحاط به الخطيئات فاولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون وفيه اشارة ايضا الى بعض ارباب الطلب ممن يركن الى شهوات الدنيا فى اثناء الطلب فيتظفر
عليه الشيطان ويغره بزهده فيوقعه فى ورطة العجب فينظر الى نفسه بنظر التعظيم والى الخلق بنظر التحقير فيهلك
او يغتر بما ظهر فى اثناء السلوك من بعض الوقائع الصادقة والرؤيا الصالحة وشئ من المشاهدات والمكاشفات
الروحانية لا الرحمانية فيظن المغرور ان ليس وراء عبادته قربة وانه بلغ مبلغ الرجال فيسكن عن الطلب وتعتريه
الافات حتى احاطت به خطيئته فرجع قهقرى الى اسفل الطبيعة واما الذين آمنوا من اهل الطلب وعملوا على
قانون الشريعة باشارة شيخ الطريقة الصالحات المبلغات الى الحقيقة اولئك اصحاب الوصول الى جنات
الاصول خالدين فيها بالسير الى ابد الاباد فان المنازل والمقاصد وان كانت متناهية لكن السير فى المقصد
غير متناه بخلاف الذين احاطت بهم خطيئتهم فانهم خالدون فى نار القطيعة ولن تنفعهم المجاهدات والنظر
فى المعقولات والاستدلال بالشبهات (واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل) فى التوراة والميثاق العهد الشديد

وهو على

وهو على وجهين عهد خلقة وفطرة وعهد نبوة ورسالة واذ نصب باضمار فعل خوطب به النبى عليه السلام
والمؤمنون ليؤديهم التأمل فى احوالهم الى قطع الطمع عن ايمان اخلافهم لان قبايح اسلافهم مما تؤدى
الى عدم ايمانهم ولا يلد الحية الا الحية ومن ههنا قيل اذا طاب اصل المرء طابت فروعه * او اليهود الموجودون
فى عصر النبوة توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم اى اذكروا اذ اخذنا ميثاقهم بان (لا تعبدون الا الله)
اى ان لا تعبدوا فلما اسقط ان رفع تعبدون لزوال الناصب او على ان يكون اخبارا فى معنى النهى كما تقول تذهب
الى فلان تقول له كذا تريد به الامر اى اذهب وهو ابلغ من صريح الامر والنهى لما فيه من ايهام ان المنهى حقه
ان يسارع الى الانتهاء عما نهى عنه فكانه انتهى عنه فيخبر به الناهى اى لا توحدوا الا الله ولا تجعلوا الالوهية
الا لله وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قيل واحلفناهم وقلنا بالله لا تعبدون الا الله (وبالوالدين
احسانا) اى وتحسنون احسانا على لفظ تعبدون لانه اخبار او واحسنوا على معناه لانه انشاء اى برا كثيرا
وعطفا عليهما ونزولا عند امرهما فيما لا يخالف امر الله (وذى القربى) اى وتحسنون الى ذى القرابة ايضا
مصدر كالحسنى (واليتامى) جمع يتيم وهو الصغير الذى مات ابوه قبل البلوغ ومن الحيوانات الصغير الذى ماتت
امه والاحسان بهم بحسن التربية وحفظ حقوقهم عن الضياع (والمساكين) بحسن القبول وايصال الصدقة
اليهم جمع مسكين من السكون كأن الفقر اسكنه عن الحراك اى الحركة واثقله عن التقلب (و) قلنا
(قولوا للناس) قولا (حسنا) سماه حسنا مبالغة لفرط حسنه امر بالاحسان بالمال فى حق اقوام مخصوصين
وهم الوالدان والاقرباء واليتامى والمساكين ولما كان المال لا يسع الكل امر بمعاملة الناس كلهم بالقول
الجميل الذى لا يعجز عنه العاقل يعنى والينوا لهم القول بحسن المعاشرة وحسن الخلق وأمروهم بالمعروف
وانهوهم عن المنكر اى وقولوا للناس صدقا وحقا فى شأن محمد عليه السلام فمن سألكم عنه فاصدقوه وبينوا
صفته ولا تكتموا امره (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) لما فرضا عليهم فى شريعتهم ذكرهما تنصيصا مع دخولهما
فى العبادة المذكورة تقديما وتخصيصا تلخيصه اخذنا عهدكم يا بنى اسرائيل بجميع المذكور فقبلتم واقبلتم
عليه (ثم توليتم) على طريقة الالتفات اى اعرضتم عن المضى على مقتضى الميثاق ورفضتموه (الا قليلا منكم)
وهم من الاسلاف من اقام اليهودية على وجهها ومن الاخلاف من اسلم كعبد الله بن سلام واحزابه
(وانتم معرضون) جملة تذييلية اى وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق وليس
الواو للحال لاتحاد التولى والاعراض فالجملة اعتراض للتأكيد فى التوبيخ واصل الاعراض الذهاب
عن المواجهة والاقبال الى جانب العرض واعلم ان فى الاية عدة اشياء منها العبادة فمن شرط العبودية
تفرد العبد لعبادة المعبود وتجرده عن كل مقصود فمن لاحظ خلقا او استحلى ثناء او استجلب بطاعته الى نفسه
حظا من حظوظ الدنيا والاخرة او داخله بوجه من الوجوه مزج او شوب فهو ساقط عن مرتبة الاخلاص
برؤية نفسه * حجاب راه تويى حافظ ازميان برخيز * خوشا كسى كه ازين راه بى حجاب رود *
ومنها الاحسان الى الوالدين وقد عظم الله حق الوالدين حيث قرن حقه بحقهما فى آيات من القرآن
لان النشأة الاولى من عند الله والنشأة الثانية وهى التربية من جهة الوالدين ويقال ثلاث آيات انزلت مقرونة
بثلاث آيات ولا تقبل احداها بغير قرينتها احداها قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول والثانية
ان اشكر لى ولوالديك والثالثة اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة والاحسان الى الوالدين معاشرتهما بالمعروف
والتواضع لهما والامتثال الى امرهما وصلة اهل ودهما والدعاء بالمغفرة بعد مماتهما (قال السعدى)
سالها بر تو بكذرد كه كذر * نكنى سوى تربت پدرت * تو بجاى پدر چه كردى خير * تا همان
چشم دارى از پسرت * وفى التأويلات النجمية ان فى قوله وبالوالدين احسانا اشارة الى ان اعز الخلق
الى العبد كان والديه لاجل انهما سببا وجوده فى الظاهر ولكن ينبغى ان يحسن اليهما بعد خروجه
عن عهدة عبودية ربه اذ هو موجد وجوده ووجود والديه فى الحقيقة ولا يختار على اداء عبوديته احسان
والديه فكيف الالتفات لغيرهما ومنها البر الى اليتامى * برحمت بكن آبش از ديده پاك * بشفقت بيفشانش
از چهره خاك * وفى الحديث ما قعد يتيم مع قوم على قصعتهم فيقرب قصعتهم الشيطان وفى الحديث ايضا
من ضم يتيما من بين مسلمين الى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله عز وجل غفرت له ذنوبه البتة الا ان يعمل عملا

لا يغفر ومن اذهب الله كريمتيه فصبر واحتسب غفرت له ذنوبه قالوا وما كريمتاه قال عيناه ومن كان له ثلاث بنات
او ثلاث اخوات فانفق عليهن واحسن اليهن حتى يكبرن اويمتن غفرت له ذنوبه البتة الا ان يعمل عملا لا يغفر
فناداه رجل من الاعراب ممن هاجر فقال يارسول الله او اثنتان فقال صلى الله عليه وسلم او اثنتان وقال صلى الله
عليه وسلم كافل اليتيم انا وهو كهاتين فى الجنة واشار بالسبابة والوسطى والسبابة من الاصابع هى التى
تلى الابهام وكانت فى الجاهلية تدعى بالسبابة لانهم كانوا يسبون بها فلما جاء الله بالاسلام كرهوا هذا الاسم
فسموها بالمشيرة لانهم كانوا يشيرون بها الى الله بالتوحيد والمشيرة من اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانت اطول من الوسطى ثم الوسطى اقصر منها ثم البنصر اقصر من الوسطى فقوله عليه السلام انا وهو كهاتين
فى الجنة وقوله فى الحديث الاخر احشر انا وابو بكر وعمر يوم القيامة هكذا واشار باصابعه الثلاث فانما اراد ذكر
المنازل والاشراف على الخلق فقال نحشر هكذا ونحن مشرفون وكذلك كافل اليتيم يكون له منزلة رفيعة
فمن لم يعرف شأن اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم حمل تأويل الحديث على الانضمام واقتراب بعضهم
من بعض فى محل القربة وهذا معنى بعيد لان منازل الرسل والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين مراتب
متباينة ومنازل مختلفة كذا فى تفسير القرطبى ومنها البر الى المساكين وهم الذين اسكنتهم الحاجة وذللتهم وهذا
يتضمن الحض على الصدقة والمواساة وتفقد احوال المساكين والضعفاء وفى الحديث الساعى على الارملة
والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وكان طاووس يرى السعى على الاخوات افضل من الجهاد فى سبيل الله
نخواهى كه باشى پراكنده دل * پراكندكانرا ز خاطر مهل * پريشان كن امروز كنجينه چست *
كه فردا كليدش نه دردست تست * ومنها القول الحسن ولما خرج الطالب عن عهدة حق العبودية
وعمت رحمته وشفقته الى الوالدين وغيرهما لزمه ان يقول للناس حسنا يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ويدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة الى الله ويهديهم الى طريق الحق ويخالقهم بحسن الخلق وان يكون قوله
لينا ووجهه منبسطا طلقا مع البر والفاجر والسنى والمبتدع من غير مداهنة ومن غير ان يتكلم معه بكلام
يظن انه يرضى مذهبه لان الله تعالى قال لموسى وهارون عليهما السلام فقولا له قولا لينا فليس بافضل
من موسى وهارون والفاجر ليس باخس من فرعون وقد امرهما الله باللين معه فدخل فى هذه الاية اليهود
والنصارى فكيف بالحنيفى (قال الحافظ) آسايش دوكيتى تفسير اين دو حرفست * با دوستان تلطف
با دشمنان مدارا * (وقال السعدى) درشتى نكيرد خردمند بيش * نه سستى كه ناقص كند قدر خويش *
(واذ اخذنا ميثاقكم) اى واذكروا ايها اليهود وقت اخذنا اقراركم وعهدكم فى التوراة وقلنا لكم (لا تسفكون
دماءكم) لا يريق بعضكم دم بعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا فلما بينهم من الاتصال القوى
نسبا ودينا اجرى كل واحد منهم مجرى انفسهم وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه وهو اخبار
فى معنى النهى كانه سورع الى الانتهاء فهو يخبر عنه (ولا تخرجون انفسكم من دياركم) اى لا يخرج بعضكم
بعضا من داره او لا تسيئوا جيرانكم فتلجئوهم الى الخروج وفى اقتران الاخراج من الديار بالقتل ايذان على انه بمنزلة
القتل (ثم اقررتم) اى بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وبوجوب المحافظة عليه (وانتم تشهدون) عليها
توكيد للاقرار كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وانتم اليوم ايها اليهود تشهدون على اقرار اسلافكم
بهذا الميثاق (ثم انتم) مبتدأ (هؤلاء) خبر ومناط الافادة اختلاف الصفات المنزل منزلة اختلاف الذات
كما تقول رجعت بغير الوجه الذى خرجت به والمعنى انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون والناقضون المتناقضون
يعنى انكم قوم آخرون غير اولئك المقرين كانهم قالوا كيف نحن فقيل (تقتلون انفسكم) الجارين مجرى انفسكم
فهو بيان لقوله ثم انتم هؤلاء (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) الضمير للفريق وهو الطائفة (تظاهرون
عليهم) بحذف احدى التاءين حال من فاعل تخرجون او من مفعوله مبينة لكيفية الاخراج رافعة لتوهم
اختصاص الحرمة بالاخراج بطريق الاصالة والاستقلال دون المظاهرة والمعنى تقوون ظهوركم للغلبة عليهم
بالاثم حال من فاعل تظاهرون اى ملتبسين (بالاثم) وهو الفعل الذى يستحق فاعله الذم واللوم (والعدوان)
اى التجاوز فى الظلم ودلت الاية على ان الظلم كما هو محرم فكذا اعانة الظالم على ظلمه كذا فى التفسير الكبير
(وان يأتوكم اسارى) اى جاؤكم حال كونهم مأسورين اى ظهروا لكم على هذه الحالة ولم يرد به الاتيان

الاختيارى والاسارى والاسرى جمع اسير وهو من يؤخذ قهرا فعيل بمعنى المفعول من الاسر بمعنى الشد
والايثاق والفرق انهم اذا قيدوا فهم اسارى واذا حصلوا فى اليد من غير قيد فهم اسرى (تفادوهم) اى تخرجوهم
من الاسر باعطاء الفداء والمفاداة تجرى بين الفادى وبين قابل الفداء (وهو) مبتدأ اى الشان (محرم عليكم
اخراجهم) محرم فيه ضمير قائم مقام الفاعل وقع خبرا من اخراجهم والجملة خبر لضمير الشان وذلك ان الله تعالى
اخذ على بنى اسرائيل فى التوراة ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد او امة
وجدتموه من بنى اسرائيل فاشتروه واعتقوه وكان قريظة والنضير من اليهود اخوين وكذا الاوس والخزرج وهم
اهل شرك يعبدون الاصنام لا يعرفون القيامة والجنة والنار والحلال والحرام فافترقوا فى حرب سمير ووقعت
بينهم عداوة فكانت بنوا قريظة معينة للاوس وحلفاءهم اى ناصريهم والنضير معينة للخزرج وحلفاءهم
فكانوا اذا كانت بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو قريظة مع الاوس والنضير مع الخزرج يظاهر كل قوم
حلفاءه على اخوانهم حتى يتسافكوا الدماء واذا غلبوا اخربوا ديارهم واخرجوهم منها وبايديهم التوراة يعرفون
ما فيها ما عليهم وما لهم فاذا وضعت الحرب اوزارها افتدى قريظة ما كان فى ايدى الخزرج منهم وافتدى
النضير ما كان فى ايدى الاوس منهم من الاسارى فعيرتهم العرب بذلك وقالوا كيف تقاتلونهم وتفدونهم فقالوا
امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم قالوا فلم تقاتلونهم قالوا انا نستحيى ان يستذل حلفاؤنا فذمهم على المناقضة
وتخصيصه اعرضتم عن الكل الا الفداء لان الله تعالى اخذ عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك
المظاهرة عليهم مع اعدائهم وفداء اسرائهم فاعرضوا عن الكل الا الفداء (افتؤمنون ببعض الكتاب)
وهو الفداء والهمزة للانكار التوبيخى والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام اى افتفعلون ذلك فتؤمنون
ببعض الكتاب (وتكفرون ببعض) هو حرمة القتال والاخراج مع ان قضية الايمان ببعضه الايمان بالباقى
لكون الكل من عند الله داخلا فى الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع ايمانهم بالبعض (فما جزاء) نفى
اى ليس جزاء (من يفعل ذلك) اى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان بالبعض (منكم) يا معشر اليهود حال من
فاعل يفعل (الا خزى) استثناء مفرغ وقع خبرا للمبتدأ اى ذل وهوان مع الفضيحة وهو قتل بنى قريظة
واسرهم واجلاء بنى النضير الى اذرعات واريحا من الشام وقيل هو اخذ الجزية (فى الحياة الدنيا) صفة خزى
ولعل بيان جزائهم بطريق القصر على ما ذكر لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب واظهار
انه لا اثر له اصلا مع الكفر بالبعض (ويوم القيامة) يوم تقام فيه الاجزية (يردون) اى يرجعون والرد الرجع بعد
الاخذ (الى اشد العذاب) هو التعذيب فى جهنم وهو اشد من خزيهم فى الدنيا واشد من كل عذاب كان قبله فانه
ينقطع وهذا لا ينقطع وفى الحديث فضوح الدنيا اهون من فضوح الاخرة وانما كان اشد لما ان معصيتهم كانت
اشد المعاصى (وفى المثنوى) هركه ظالمتر چهش باهولتر * عدل فرموده است بدتر را بتر * (وما الله
بغافل) بساه (عما تعملون) من القبائح التى من جملتها هذا المنكر اى لا يخفى عليه شئ من اعمالهم فيجازيهم
بها يوم البعث تهديد شديد وزجر عظيم عن المعصية وبشارة عظيمة على الطاعة لان الغفلة اذا كانت ممتنعة عليه
سبحانه مع انه اقدر القادرين وصلت الحقوق الى مستحقيها (اولئك) الموصوفون بما ذكر من الاوصاف القبيحة
(الذين اشتروا الحياة الدنيا) واستبدلوها (بالاخرة) واعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فان ما ذكر
من الكفر ببعض احكام الكتاب انما كان مراعاة لجانب حلفائهم لما يعود اليهم منهم من بعض المنافع الدينية
والدنيوية (فلا يخفف عنهم العذاب) دنيويا كان او اخرويا (ولا هم ينصرون) يمنعون من العذاب بدفعه عنهم
بشفاعة او جبرا علم ان الجمع بين تحصيل لذات الدنيا ولذات الاخرة ممتنع غير ممكن والله سبحانه مكن المكلف
من تحصيل ايهما شاء واراد فاذا اشتغل بتحصيل احداهما فقد فوت الاخرى على نفسه فجعل الله ما اعرض
اليهود عنه من الايمان بما فى كتابهم وما حصل فى ايديهم من الكفر ولذات الدنيا كالبيع والشراء وذلك
من الله نهاية الذم لهم لان المغبون فى البيع والشراء فى الدنيا مذموم فان يذم مشترى الدنيا بالاخرة اولى فعلى
العاقل ان يرغب فى تجارة الاخرة ولا يركن الى الدنيا ولا يسفك دمه بامتثال اوامر الشيطان فى استجلاب
حظوظ النفس ولا يخرج من دار دينه التى كان عليها فى اصل الفطرة فانه اذا يضل ويشقى وفى قوله لا تسفكون
دماءكم اشارة اخرى الى ان العبد لا يجوز له ان يقتل نفسه من جهد او بلاء يصيبه او يهيم فى الصحراء ولا يأتى

البيوت جهلا فى ديانته وسفها فى حلمه فهو عام فى جميع ذلك وقد روى ان بعض الصحابة رضى الله عنهم عزموا
ان يلبسوا المسوح وان يهيموا فى الصحراء ولا يأووا البيوت ولا يأكلوا اللحم ولا يغشوا النساء فقال عليه
السلام انى اصلى وانام واصوم وافطر واغشى النساء وآوى البيوت وآكل اللحم فمن رغب عن سنتى فليس منى
فرجعوا عما عزموا فقال تعالى وآت كل ذى حق حقه فالكمال فى التجاوز عن القيود والوصول الى عالم الشهود
وعين العارف لا ترى غير الله فى المرايا والمظاهر فمن اى شئ يهرب والى اين يهرب فاينما تولوا فثم وجه الله ولذا قيل
الذى يطلب العلم لله اذا قيل له غدا تموت لا يضيع الكتاب من يده بكونه وفى الحقوق مشتغلا به لله مخلصا له
النية فلم ير افضل مما هو فيه فيجب ان يأتيه الموت على ذلك واعلم ايضا ان الاسارى اصناف شتى فمن اسير فى قيد
الهوى فانقاذه بالدلالة على الهدى ومن اسير بقيد حب الدنيا فخلاصه فى اخلاص ذكر المولى (وفى المثنوى)
ذكر حق كن بانك غولانرا بسوز * چشم نركس را ازين كركس بدوز * ومن اسير بقى فى قيد الوسواس
فقد استهوته الشياطين فقد آوه برشده الى اليقين بلوائح البراهين لينقذه من الشكوك والظنون والتخمين
ويخرجه من ظلمات التقليد وما تعود بالتلقين ومن اسير تجده فى اسر هواجس نفسه ربط زلاته ففك اسره
فى ارشاده الى اقلاعها ومن اسير تجده فى اسر صفاته وحبس وجوده فنجاته فى الدلالة على الحق فيما يحل عنه
وثاق الكون ومن اسير تجده فى قبضة الحق فايس لاسيرهم فداء ولا لقتيلهم قود ولا لربطهم خلاص ولا عنهم
بدل ولا معهم جدل ولا اليهم لغيرهم سبيل ولا لديهم الا بهم دليل ولا بهم فرار ولا معهم قرار فهذا مقام الاولياء
الكمل فمن اتخذ هذه الطريقة سبيلا نال الى مراده ووصل الى مقام فؤاده وتخلص من الخزى الذى هو عمى
القلب عن مشاهدة الحق والعمه فى تيه الباطل فى الدنيا والآخرة (قال فى المثنوى) اصل صد يوسف جمال
ذوالجلال * اى كم اززن شو فداى آن جمال * اصل بيند ديده چون اكمل بود * فرع بيند چونكه
مرد احول بود * سرمهٔ توحيد از كحال حال * يافته رسته ز علت واعتلال * ولا بد من العشق
فى طريق الحق (وحكى) ان عجوزا احضرت السوق قطعة غزل وقالت اكتبونى من مشترى يوسف حتى
وجدا سمى فى دفتر العشاق اللهم لا تحجبنا عن جمالك وعنك واجعلنا من الفائزين بنوال وصالك منك
(ولقد آتينا) اى بالله لقد اعطينا يا بنى اسرائيل (موسى) لغة عبرانية قد سبق تفصيله عند قوله تعالى
واذ واعدنا موسى الاية (الكتاب) اى التوراة جملة واحدة (وقفينا من بعده بالرسل) يقال قفاه به اذا اتبعه اياه
اى اتبعنا من بعد موسى رسولا بعد رسول مقتفين اثره وهم يوشع واشمويل وداود وسليمان وشمعون وشعيا
وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام (وآتينا عيسى) بالسريانية
اليسوع ومعناه المبارك والاصح انه لا اشتقاق له ولا مثال له فى العربية (ابن) باثبات الالف ان كان واقعا
بين العلمين لندرة الاضافة الى الام (مريم) بالسريانية بمعنى الخادمة والعابدة قد جعلتها امها محررة لخدمة
المسجد ولكمال عبادتها ذكرها باسمها الحق تعالى فى كتابه الكريم مع الانبياء عليهم السلام سبع مرات وخاطبها
كما خوطب الانبياء كما قال تعالى يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين فشاركها مع الرجال
(البينات) المعجزات الواضحات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل
(وايدناه) اى قويناه (بروح القدس) من اضافة الموصوف الى الصفة اى بالروح المقدسة المطهرة وهى روح
عيسى عليه السلام ووصفت بالقدس للكرامة لان القدس هو الله تعالى او الروح جبريل ووصف بالطهارة
لانه لم يقترف ذنبا وسمى روحا لانه كان يأتى الانبياء بما فيه حياة القلوب ومعنى تقويته به انه عصمه من اول حاله
الى كبره فلم يدن منه شيطان عند الولادة ورفعه الى السماء حين قصد اليهود قتله وتخصيص عيسى من بين
الرسل ووصفه بايتاء البينات والتأييد بروح القدس لما ان بعثتهم كانت لتنفيذ احكام التوراة وتقريرها واما
عيسى فقد نسخ بشرعه كثيرا من احكامها وحسم مادة اعتقادهم الباطل فى حقه ببيان حقيقته واظهار
كمال قبح ما فعلوا به وما بين موسى وعيسى اربعة آلاف نبى وقيل سبعون الف نبى (افكلما جاءكم) خاطب
اهل عصر النبى عليه السلام بهذا وقد فعله اسلافهم يعنى لم يوجد منهم القتل ان وجد الاستكبار لانهم يتولونهم
ويرضون بفعلهم والفاء للعطف على مقدر يناسب المقام اى ألم تطيعوهم فكلما جاءكم (رسول بما لا تهوى)
اى لا تريد (انفسكم) ولا يوافق هواكم من الحق الذى لا انحراف عنه (استكبرتم) اى تعظمتم عن الاتباع له

والايمان بما جاء به من عند الله (ففريقا) منهم (كذبتم) كعيسى ومحمد عليهما السلام (وفريقا تقتلون) كزكريا
ويحيى وغيرهما عليهم السلام وتقدم فريقا فى الموضعين للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر
ولم يقل قتلتم وان اريد الماضى تعظيما لهذه الحالة فكانها وان مضت حاضرة لشناعتها ولثبوت عارها عليهم
وعلى ذريتهم بعدهم او يراد وفريقا تقتلونهم بعد وانكم على هذه النية لانكم حاولتم قتل محمد عليه السلام
لولا انى اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة حتى قال عليه السلام عند موته ما زالت اكلة خيبر
تعاودنى اى يراجعنى اثر سمها فى اوقات معدودة فهذا اوان قطعت ابهرى وهو عرق منبسط فى القلب
اذا انقطع مات صاحبه وقصته انه لما فتحت خيبر وهو موضع بالحجاز اهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
شاة فيها سم فقال رسول الله انى سائلكم عن شئ فهل انتم صادقى عنه قالوا نعم يا ابا القاسم قال هل جعلتم فى هذه
الشاة سما قالوا نعم قال فما حملكم على ذلك قالوا اردنا ان كنت كاذبا ان نستريح منك وان كنت صادقا لم يضرك
واعلم ان اليهود انفوا من ان يكونوا اتباعا وكانت لهم رياسة وكانوا متبوعين فلم يؤمنوا مخافة ان يذهب عنهم
الرياسة فما دام لم يخرج حب الرياسة من القلب لا تكون النفس مؤمنة بالايمان الكامل وللنفس صفات سبع
مذمومة العجب والكبر والرياء والغضب والحسد وحب المال وحب الجاه ولجهنم ايضا ابواب سبعة فمن زكى
نفسه عن هذه السبع فقد اغلق سبعة ابواب جهنم ودخل الجنة واوصى ابراهيم بن ادهم بعض اصحابه فقال
كن ذنبا ولا تكن رأسا فان الرأس يهلك والذنب يسلم (قال فى المثنوى) ناتوانى بنده شو سلطان مباش *
زخم كش چون كوى شو چوكان مباش * اشتهار خلق بند محكمست * در ره اين از بند آهن كى كم است *
وعن بعض المشايخ النقشبندية انه قال دخلت على الشيخ المعروف بده عمر الروشنى للعبادة فوجدته متغير
الحال بسبب انه داخله شئ من حب الرياسة لانه كان مشهورا فى بلدة تبريز مرجعا للاكابر والاصاغر
فنعوذ بالله من الحور بعد الكور وفى شرح الحكم ادفن وجودك اى ما يكون سبب ظهور واختصاصك بين الخلق
من علم او عمل او حال فى ارض الخمول التى هى احد ثلاثة امور احدها ان ترى ما جبلت عليه من النقص فلا تعتد
بشئ يظهر منك لعلمك بدسائسك وخبائث نفسك الثانى ان تنظر اليك من حيث انت فلا ترى لا تقابلك
الا النقص وتنظر الى مولاك فتراه اهلا لكل كمال فكل ما يصدر لك من احسان نسبته اليه اعتبارا بما انت
عليه من خمول الوصف الثالث ان تظهر لنفسك ما يوجب نفى دعواها من مباح مستبشع او مكروه
لم يمنع دواء لعلة العجب لا محرما متفقا عليه اذ كما لا يصح دفن الزرع فى ارض رديئة لا يجوز الخمول فى حالة
غير مرضية (وقالوا) اى اليهود الموجودون فى عصر النبى عليه السلام (قلوبنا غلف) جمع اغلف مستعار
من الاغلف الذى لم يختن اى هى مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه ثم رد الله
ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق واضرب وقال (بل لعنهم
الله بكفرهم) اى خذلهم وخلاهم وشأنهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم بسوء
اختيارهم بالمرة (فقليلا ما يؤمنون) ما مزيدة للمبالغة اى فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب
والفاء سببية اللعن لعدم الايمان (ولما جاءهم كتاب) كائن (من عند الله) وهو القرآن ووصفه بقوله من عند الله
للتشريف (مصدق لما معهم) اى موافق للتوراة فى التوحيد وبعض الشرائع قال ابن التمجيد المصدق به
ما يختص ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدل عليها من العلامات والصفات لا الشرائع والاحكام
لان القرآن نسخ اكثرها (وكانوا من قبل) اى قبل مجئ محمد صلى الله عليه وسلم (يستفتحون على الذين كفروا)
اى يستنصرون به على مشركى العرب وكفار مكة ويقولون اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد
نعته فى التوراة ويقولون لاعدائهم قد اظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم
(فلما جاءهم ما عرفوا) من الكتاب لان معرفة من انزل هو عليه معرفة له والفاء للدلالة على تعقيب مجيئه
للاستفتاح به من غير ان يتخلل بينهما مدة منسية (كفروا به) حسدا وحرصا على الرياسة وغير واصفته وهو جواب
لما الاولى والثانية تكرير للاولى (فلعنة الله على الكافرين) اى عليهم وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة
على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم والفاء للدلالة على ترتيب اللعنة على الكفر واللعنة فى حق الكفار الطرد والابعاد
من الرحمة والكرامة والجنة على الاطلاق وفى حق المذنبين من المؤمنين الابعاد عن الكرامة التى وعد بها

من لايكون فى ذلك الذنب ومنه قوله عليه السلام من احتكر فهو ملعون اى من ادخر مايشتريه وقت الغلاء
ليبيعه وقت زيادة الغلاء فهو مطرود عن درجة الابرار لاعن رحمة الغفار واعلم ان الصفات المقتضية للعن
ثلاث الكفر والبدعة والفسق وله فى كل واحدة ثلاث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله
على الكافرين اوالمبتدعة اوالفسقة والثانية اللعن باوصاف اخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى
اوعلى القدرية والخوارج والروافض اوعلى الزناة والظلمة وآكل الربا وكل ذلك جائز والثالثة اللعن على الشخص
فان كان ممن ثبت شرعا يجوز لعنه ان لم يكن فيه اذى على مسلم كقولك لعنة الله على فرعون وابى جهل لانه ثبت
ان هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا وان كان ممن لم يثبت شرعا كلعنة زيد اوعمرو اوغيرهما بعينه فهذا
فيه خطر لان حال خاتمته غير معلوم وربما يسلم الكافر اويتوب فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا
الايرى ان وحشيا قتل عم النبى عليه السلام اعنى حمزة رضى الله عنه ثم اسلم على يد النبى عليه السلام وبشره
الله بالجنة وهذه حجة من لم يلعن يزيد لانه يحتمل ان يتوب ويرجع عنه فمع هذا الاحتمال لايلعن قال بعضهم
لعن يزيد على اشتهار كفره وتواتر فظاعة شره لما انه كفر حين امر بقتل الحسين رضى الله عنه ولما قال فى الخمر
(فان حرمت يوما على دين احمد * نخذها على دين المسيح ابن مريم) واتفقوا على جواز اللعن على من قتل الحسين
رضى الله عنه اوامر به اواجازه اورضى به كما قال سعد الملة والدين التفتازانى الحق ان رضى يزيد بقتل الحسين
واستبشاره واهانته اهل بيت النبى عليه السلام مما تواتر معناه وان كان تفاصيله آحادا فنحن لانتوقف فى شأنه
بل فى ايمانه لعنة الله عليه وعلى انصاره واعوانه انتهى وكان الصاحب بن عباد يقول اذا شرب ماء بثلج
(قعقعة الثلج بماء عذب * تستخرج الحمد من اقصى القلب) ثم يقول اللهم جدد اللعن على يزيد ويكف اللسان
عن معاوية تعظيما لمتبوعه وصاحبه عليه السلام لانه خال المؤمنين وكاتب الوحى وذو السابقة والفتوح الكثيرة
وعامل الفاروق وذى النورين لكنه اخطأ فى اجتهاده فتجاوز الله عنه ببركة صحبة سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم قال الخياط المتكلم ماقطعنى الاغلام قال ماتقول فى معاوية قلت انا اقف فيه قال فما تقول فى ابنه يزيد قلت
العنه قال فما تقول فيمن يحبه قلت العنه قال افترى ان معاوية كان لايحب ابنه كذا فى روضة الاخبار ثم اعلم
ان اللعنة ترتد على اللاعن ان لم يكن الملعون اهلا لذلك ولعن المؤمن كقتله فى الاثم وربما يلعن شيأ من ماله فتنزع
منه البركة فلا يلعن شيأ من خلق الله لا للجماد ولا للحيوان ولا للانسان قال عليه السلام اذا قال العبد لعن
الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله اعصانا لربه فالاولى ان يترك ويشتغل بدله بالذكر والتسبيح اذ فيه ثواب ولا ثواب
فى اللعن وان كان يستحق اللعن قال عليه السلام ارأيت النار واكثر اهلها النساء فانهن يكثرن اللعن ويكفرن
العشير فلو احسنت الى احداهن الدهر كله ثم اذا رأت منك شيأ قالت مارأيت منك خيرا قط قال على كرم الله
وجهه من افتى الناس بغير علم لعنته السماء والارض وسألت بنت على البلخى اباها عن القئ اذا خرج الى الحلق
فقال يجب اعادة الوضوء فرأى رسول الله عليه السلام يقول لا يا على حتى يكون ملئ الفم فقال علمت ان الفتوى
تعرض على رسول الله فآليت على نفسى ان لاافتى ابدا كذا فى الروضة (بئسما) ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل
بئس اى بئس شيأ (اشتروا) صفة واشترى بمعنى باع وابتاع والمراد هنا الاول (به) اى بذلك الشئ (انفسهم) المراد
الايمان وانما وضع الانفس موضع الايمان ايذانا بانها انما خلقت للعلم والعمل به المعبر عنه بالايمان ولما بدلوا
الايمان بالكفر كانوا كانهم بدلوا الانفس به والمخصوص بالذم قوله تعالى (ان يكفروا بما انزل الله) اى بالكتاب
المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيقته (بغيا) علة لان يكفروا اى حسدا وطلبا لما ليس لهم كما ان الحاسد
يطلب ماليس له لنفسه مما للمحسود من جاه ومنزلة اوخصلة حميدة والباغى هو الظالم الذى يفعل ذلك عن
حسد والمعنى بئس شيأ باعوا به ايمانهم كفرهم المعلل بالبغى الكائن لاجل (ان ينزل الله) اوحسدا على ان فان
الحسد يستعمل بعلى (من فضله) الذى هو الوحى (على من يشاء) اى يشاؤه ويصطفيه (من عباده) المستأهلين
لتحمل اعباء الرسالة والمراد ههنا محمد صلى الله عليه وسلم كانت اليهود يعتقدون نبى آخر الزمان ويتمنون خروجه
وهم يظنون انه من ولد اسحق فلما ظهر انه من ولد اسمعيل حسدوه وكرهوا ان يخرج الامر من بنى اسرائيل
فيكون لغيرهم (فباؤا) اى رجعوا ملتبسين (بغضب) كائن (على غضب) اى صاروا مستحقين لغضب مترادف
ولعنة اثر لعنة حسبما اقترفوا من كفر على كفر فانهم كفروا بنبى الحق وبغوا عليه (وللكافرين) اى لهم والاظهار

فى موضع

فى موضع الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم (عذاب مهين) يراد به اهانتهم واذلالهم لما ان كفرهم بما انزل
الله كان مبنيا على الحسد المبنى على طمع النزول عليهم وادعاء الفضل على الناس والاستهانة بمن انزل الله عليه
صلى الله عليه وسلم ودل ان عذاب المؤمنين تأديب وتطهير وعذاب الكفار اهانة وتشديد وان المراتب الدنيوية
والاخروية كلها من فيض الله تعالى وفضله فليس لاحد ان يعترض عليه ويحسده على الالطاف الالهية فان
الكمالات مثل النبوة والولاية ليست من الامور الاكتسابية التى يصل اليها العبد بجهد كثير وكمال اهتمام
اما النبوة اى البعثة فاختصاص الهى حاصل لعينه الثابتة من التجلى الموجب للاعيان فى العلم وهو
الفيض الاقدس واما الولاية فهو ايضا اختصاص الهى غير كسبى بل جميع المقامات كذلك اختصاصية عطائية
غير كسبية حاصلة للعين الثابتة من الفيض الاقدس وظهوره بالتدريج بحصول شرائطه واسبابه يوهم
المحجوب فيظن انه كسبى بالتعمل وليس كذلك فى الحقيقة فلا معنى للحسد لكن الجاهلين عن حقيقة الحال
يطيلون السنتهم بالقيل والقال ولا ضير فانه رفع لدرجات العبد واقتضت سنة الله ان يشفع اهل الجمال باهل
الجلال ليظهر الكمال (قال الحافظ) درين چمن كل بيخار كس نچيد آرى * چراغ مصطفوى باشرار بولهبيست
(وحكى) ان المولى جلال الدين لما فقد الشمس التبريزى طاف البلاد بالحرارة فى طلبه فمر يوما امام حانوت
ذهبى للشيخ صلاح الدين زركوب فقال له تعال يا مولانا فدخل فى حانوته فقال لاى شئ تجزع وتدور فقال
الفلك اذا فقد شمسه يدور لاجله ليتخلص عن ظلمة الفراق فقال الشيخ انا شمسك قال مولانا من اين اعرف
انك شمسى فاخبره عن المراتب التى اوصله اليها الشيخ شمس الدين فقبل يده واعتذر فقال كان شمسى ارانى اولا
بطانته فالآن ارانى وجهه فاشتغل عنده فوصل الى ماوصل ثم لما سمعه بعض اتباع مولانا ارادوا قتله وحسدوا
عليه فارسل اليهم مولانا ابنه سلطان ولد فقال الشيخ ان الله تعالى اعطانى قدرة على قلب السماء الى الارض
فلو اردت لاهلكتهم بقدرة الله لكن الاولى ان نتحمل وندعو لاصلاح حالهم فدعا الشيخ فامن سلطان ولد
فلانت قلوبهم واستغفروا (قال فى المثنوى) چون كنى بربى حسد مكر وحسد * زان حسد دل را سياهيها
رسد * خاك شو مردان حق را زير پا * خاك بر فرق حسد كن همچو ما * وهكذا احوال الانبياء والاولياء
الايرى الى قوله عليه السلام اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون وكان الاصحاب رضى الله عنهم يبكون
دما من اخلاق النفس ولا يزالون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عما به يتخلصون عن الاوصاف الذميمة
ويتطهرون ظاهرا وباطنا طلبا للنجاة من العذاب المهين واشده الفراق (واذا قيل لهم) اى واذا قال اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليهود اهل المدينة ومن حولها ومعنى اللام الانهاء والتبليغ (آمنوا بما انزل الله)
من الكتب الالهية جميعا (قالوا نؤمن) اى نستمر على الايمان (بما انزل علينا) يعنون به التوراة وما انزل
على انبياء بنى اسرائيل لتقرير حكمها ويدسون فيه ان ماعدا ذلك غير منزل عليهم واسندوا الانزال على انفسهم
لان المنزل على نبى منزل على امته معنى لانه يلزمهم (و) هم (يكفرون بما وراءه) اى سوى ما انزل (وهو)
اى والحال ان ماوراء التوراة (الحق) اى المعروف بالحقيقة الحقيق بان يخص به اسم الحق على الاطلاق
(مصدقا لما معهم) من التوراة غير مخالف له حال مؤكدة من الحق والعامل فيها مافى الحق من معنى الفعل
وصاحب الحال ضمير دل عليه الكلام اى احقه مصدقا اى حال كونه موافقا لما معهم وفيه رد لمقالتهم
لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة
والتوراة لاتسوغ قتل نبى بقوله تعالى (قل) يا محمد تبكيتا لهم من جهة الله تعالى ببيان التناقض بين اقوالهم
وافعالهم (فلم) اصله لما لامه للتعليل دخلت فى ما التى للاستفهام وسقطت الالف فرقا بين الاستفهامية
والخبرية (تقتلون انبياء الله من قبل) صيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف
اى قل لهم ان كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعمون فلاى شئ تقتلون انبياء الله من قبل وهو فيها حرام واسند فعل
الآباء وهو القتل الى الابناء للملابسة بين الآباء والابناء قال ابو الليث فى تفسيره وفى الاية دليل ان من رضى
بالمعصية فكانه فاعل لها لان اليهود كانوا راضين بقتل آبائهم فسماهم الله قاتلين حيث قال قل فلم تقتلون
الاية (ان كنتم مؤمنين) جواب الشرط محذوف لدلالة ماسبق عليه اى ان كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم
وهو تكرير للاعتراض لتأكيد الالزام وتشديد التهديد (ولقد جاءكم موسى بالبينات) من تمام التبكيت والتوبيخ

داخل تحت الامر واللام للقسم اى بالله قد جاءكم موسى ملتبسا بالمعجزات الظاهرة من العصا واليد وفلق البحر
ونحو ذلك (ثم اتخذتم العجل) اى الها (من بعده) اى من بعد مجيئه بها وثم للتراخى فى الرتبة والدلالة على نهاية قبح
مافعلوا (وانتم ظالمون) حال من ضمير اتخذتم اى عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة فى غير موضعها (واذ اخذنا
ميثاقكم) اى العهد منكم (ورفعنا فوقكم الطور) اى الجبل قائلين لكم (خذوا ما آتيناكم بقوة)
اى بجد واجتهاد (واسمعوا) ما فى التوراة سماع قبول وطاعة (قالوا) كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا (سمعنا)
قولك ولكن لا سماع طاعة (وعصينا) امرك ولولا مخافة الجبل ما قبلنا فى الظاهر فاذا كان حال اسلافهم
هكذا فكيف يتصور من اخلافهم الايمان (قال الفردوسى) زبد كوهران بدنباشد عجب * سياهى نباشد
بريدن زشب * زبد اصل چشم بهى داشتن * بود خاك در ديده انباشتن (واشربوا) اى والحال انهم
قد اشربوا (فى قلوبهم) بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون فى بطونهم نارا (العجل) اى حب العجل
على حذف المضاف واشرب قلبه كذا اى حل محل الشراب او اختلط كما خلط الصبغ بالثوب وحقيقة اشربه
كذا جعله شاربا لذلك فالمعنى جعلوا شاربين حب العجل نافذا فيهم نفوذ الماء فيما يتغلغل فيه قال الراغب
من عاداتهم اذا ارادوا مخامرة حب او بغض فى القلب ان يستعيروا لها اسم الشراب اذ هو ابلغ مساغ فى البدن
ولذلك قالت الاطباء الماء مطية الاغذية والادوية (بكفرهم) اى بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا
مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن فى قلوبهم ما سوّل لهم السامرى وجعل حلاوة عبادة العجل
فى قلوبهم مجازاة لكفرهم وفى القصص ان موسى عليه السلام لما خرج الى قومه امر ان يبرد العجل بالمبرد
ثم يذرى فى النهر فلم يبق نهر يجرى يومئذ الا وقع فيه منه شئ ثم قال لهم اشربوا منه فمن بقى فى قلبه شئ من حب
العجل ظهرت نحالة الذهب على شاربه (قل) توبيخا لحاضرى اليهود اثر ما بين احوال رؤسائهم الذين بهم
يقتدون فى كل ما يأتون ويذرون (بئسما) بئس شيأ (يأمركم به) اى بذلك الشئ (ايمانكم) بما انزل عليكم
من التوراة حسبما تدعون والمخصوص بالذم محذوف اى ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل
وفى اسناد الامر الى الايمان تهكم بهم واضافة الايمان اليهم للايذان بانه ليس بايمان حقيقة كما ينبئ عنه قوله
تعالى (ان كنتم مؤمنين) بالتوراة واذ لا يسوغ الايمان بها مثل تلك القبائح فلستم بمؤمنين بها قطعا فقد علم
ان من ادعى انه مؤمن ينبغى ان يكون فعله مصدقا لقوله والا لم يكن مؤمنا قال الجنيد قدس سره التوحيد الذى
تفرد به الصوفية هو افراد القدم عن الحدوث والخروج عن الاوطان وقطع المحاب وترك ما علم وما جهل وان
يكون الحق سبحانه مكان الجميع طالب توحيد را بايد قدم بر لا زدن * بعد ازان در عالم وحدت دم الا زدن *
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل على يعقوب النبى عليه السلام مبشر يوسف عليه السلام وبشره
بحياته قال له يعقوب على اى دين تركته قال على دين الاسلام قال يعقوب عليه السلام الآن قد تمت النعمة
على يعقوب واعلم ان التوحيد اصل الاصول ومناط القبول ومكفر الخطايا ومستجلب العطايا (حكى)
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب اسلام دحية الكلبى لانه كان تحت يده سبعمائة من اهل بيته
وكانوا يسلمون باسلامه وكان يقول اللهم ارزق دحية الكلبى الاسلام فلما اراد دحية الاسلام اوحى
الله الى النبى عليه السلام بعد صلاة الفجر ان يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول ان دحية يدخل عليك الآن
وكان فى قلوب الاصحاب شئ من دحية من وقت الجاهلية فلما سمعوا ذلك كرهوا ان يمكنوا دحية فيما بينهم فلما علم
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كره ان يقول لهم مكنوا دحية وكره ان يدخل دحية فيوحشوه فيبرد قلبه
عن الاسلام فلما دخل دحية المسجد رفع النبى صلى الله عليه وسلم رداءه عن ظهره وبسطه على الارض بين يديه
فقال دحية ههنا واشار الى ردائه فبكى دحية من كرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع رداءه وقبله ووضعه
على رأسه وعينيه وقال ما شرائط الاسلام اعرضها على فقال ان تقول اولا لا اله الا الله محمد رسول الله فقال
دحية ذلك ثم وقع البكاء على دحية فقال عليه السلام ما هذا البكاء وقد رزقت الاسلام فقال انى ارتكبت
خطيئة وفاحشة كبيرة فقل لربك ما كفارته ان امرنى ان اقتل نفسى قتلتها وان امرنى ان اخرج من جميع مالى
خرجت فقال عليه السلام وما ذلك يا دحية قال كنت رجلا من ملوك العرب واستنكفت ان تكون لى بنات
لهن ازواج فقتلت سبعين من بناتى كلهن بيدى فتحير النبى عليه السلام فى ذلك حتى نزل جبريل قال يا محمد

ان الله يقرئك السلام ويقول قل لدحية وعزتى وجلالى انك لما قلت لا اله الا الله غفرت لك كفر ستين سنة
وسيآتك ستين سنة فكيف لا اغفر لك قتل البنات فبكى عليه السلام واصحابه فقال عليه السلام الهى غفرت
لدحية قتل بناته بشهادة ان لا اله الا الله مرة واحدة فكيف لا تغفر للمؤمنين بشهادات كثيرة وبقول صادق
وبفعل خالص (وفى المثنوى) اذكروا الله كار هر اوباش نيست * ارجعى بر پاى هر قلاش نيست *
(قال السعدى) كر بمحشر خطاب قهر كند * انبيارا چه جاى معذرتست * پرده از روى لطف
كو بردار * كاشقيارا اميد مغفرتست (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) اى الجنة (عند الله) ظرف
للاستقرار فى الخبر اعنى لكم (خالصة) على الحالية من الدار اى سالمة لكم خاصة بكم (من دون الناس) فى محل
النصب بخالصة اى من دون محمد واصحابه فاللام للعهد وتستعمل هذه اللفظة للاختصاص يقال هذا لى
من دون الناس اى انا مختص به والمعنى ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا (فتمنوا الموت)
اى احبوه واسألوه بالقلب واللسان وقولوا اللهم امتنا فان من ايقن بدخول الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة
الوصول الى النعيم والتخلص من دار البوار وقرارة الاكدار ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوه
بالتمنى (ان كنتم صادقين) فى قولكم ان الجنة خاصة لكم فتمنوه واصل التمنى تقدير شئ فى النفس واكثر ما يستعمل
فيما لا حقيقة له (ولن يتمنوه) اى الموت (ابدا) اى فى جميع الزمان المستقبل لان ابدا اسم لجميع مستقبل
الزمان كقط لماضيه وفيه دليل على ان لن ليس للتأبيد لانهم يتمنون الموت فى الآخرة ولا يتمنونه فى الدنيا
(بما قدمت ايديهم) بسبب ما عملوا من المعاصى الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبى عليه السلام والقرآن
وتحريف التوراة وخص الايدى بالذكر لان الاعمال غالبا تكون بها وهى من بين جوارح الانسان مناط عامة
صنائعه ومدار اكثر منافعه ولذا عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة (والله عليم بالظالمين) بهم وبما صدر
عنهم وهو تهديد لهم روى ان اليهود لو تمنوا الموت لغص كل واحد منهم بريقه اى لامتلأ بريقه فمات من ساعته
ولما بقى على الارض يهودى الا مات فقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله
وان تفعلوا ولو وقع من احد منهم تمنى موته لنقل واشتهر فان قلت ان التمنى يكون بالقلب فلا يظهر لنا انهم تمنوه
او لا قلت ليس التمنى من اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لى كذا وعن نافع جلس الينا يهودى
يخاصمنا فقال ان فى كتابكم فتمنوا الموت وانا اتمنى فما لى لا اموت فسمع ابن عمر رضى الله عنه هذا فدخل بيته
واخذ السيف ثم خرج ففر اليهودى حين رآه فقال ابن عمر اما والله لو ادركته لضربت عنقه توهم هذا الجاهل
انه لليهود فى كل وقت انما هو لاولئك الذين كانوا يعاندونه ويجحدون نبوته بعد ان عرفوه فان قلت ان المؤمنين
اجمعوا على ان الجنة للمؤمنين دون غيرهم ثم ليس احد منهم يتمنى الموت فكيف وجه الاحتجاج على اليهود بذلك
قلت ان المؤمنين لم يجعلوا لانفسهم من الفضل والشرف والمرتبة عند الله ما جعلت اليهود ذلك لانفسهم
لانهم ادعوا انهم ابناء الله واحباؤه وان الجنة خالصة لهم والانسان لا يكره القدوم على حبيبه ولا يخاف
انتقامه بالمصير اليه بل يرجو وصوله الى محابه فقيل لهم تمنوا ذلك فلما لم يتمنوه ظهر كذبهم فى دعاويهم
ولان النبى عليه السلام نهى عن تمنى الموت قال لا يتمنى احدكم الموت لضر نزل به ولكن ليقل اللهم احينى
ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى ما كانت الوفاة خيرا لى قال مقاتل لولا ابنائى وسيئاتى * لذبت شوقا الى الممات
فلا يلزمهم ما يلزم اليهود قال سهل بن عبد الله التسترى قدس سره لا يتمنى الموت الا ثلاثة رجل جاهل
بما بعد الموت او رجل يفر من اقدار الله عليه او مشتاق يحب لقاء الله (قال فى المثنوى) شد هواى مرك
طوق صادقان * كه جهودانرا بد اين دم امتحان * روى عن صاحب المثنوى انه لما دنت وفاته تمثل له
ملك الموت وقام عند الباب ولما رآه المولى قدس سره قال بيش تر آ بيش تر آ جان من * بيك درحضرت
سلطان من * قال بعض الملوك لابى حازم كيف القدوم على الله عز وجل فقال ابو حازم اما قدوم الطائع
على الله فكقدوم الغائب على اهله المشتاقين اليه واما قدوم العاصى فكقدوم الآبق على سيده الغضبان
انبيارا تنك آمد اين جهان * چون شهان رفتند اندر لا مكان * چون مرا سوى اجل عشق وهواست *
نهى لا تلقوا بايديكم مراست * زانكه نهى از دانه شيرين بود * تلخ را خود نهى حاجت كى شود *
واعلم ان الموت هو المصيبة العظمى والبلية الكبرى واعظم منه الغفلة عنه والاعراض عن ذكره وقلة الفكر

فيه وترك العمل له وان فيه وحده لعبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر كما قيل كفى بالموت واعظا ومن ذكر الموت حقيقة
ذكره نغص عليه لذته الحاضرة ومنعه من تمنيها فى المستقبل وزهده فيما كان منها يؤمل ولكن القلوب الغافلة
تحتاج الى تطويل الوعاظ وتزيين الالفاظ والافى قوله عليه السلام اكثروا ذكر هادم اللذات وقوله تعالى
كل نفس ذائقة الموت ما يكفى السامع له ويشغل الناظر فيه فعلى العاقل ان يسعى للموت بالاختيار قبل الموت
بالاضطرار ويزكى نفسه عن سفساف الاخلاق (قال السعدى قدس سره) اى برادر چو عاقبت خاكست *
خاك شو پيش ازانكه خاك شوى * اللهم يسر لنا الطريق (ولتجدنهم احرص الناس) من الوجدان العقلى
وهو جار مجرى العلم خلا انه مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها واللام لام القسم اى والله لتجدن اليهود يا محمد
احرص من الناس (على حياة) لا يتمنون الموت والتنكير للنوع وهى الحياة المخصوصة المتطاولة وهى حياتهم
التى هم فيها لانها نوع من مطلق الحياة (ومن الذين اشركوا) عطف على ما قبله بحسب المعنى كانه قيل احرص
من الناس وافرد المشركون بالذكر وان كانوا من الناس لشدة حرصهم على الحياة وفيه توبيخ عظيم لان الذين
اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم
فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ فان قلت لم زاد حرصهم على حرص
المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك
(يود احدهم) بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف اى يريد ويتمنى ويحب احد هؤلاء المشركين
(لو يعمر الف سنة) حكاية لودادهم ولو فيه معنى التمنى كانه قيل ليتنى اعمر وكان القياس لو اعمر الا انه جرى على لفظ
الغيبة لقوله تعالى يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على انه مفعول يود اجراء له
مجرى القول لانه فعل قلبى والمعنى تمنى احدهم ان يعطى البقاء والعمر الف سنة وهى للمجوس وخص
هذا العدد لانهم يقولون ذلك فيما بينهم عند العطاس والتحية عش الف سنة والف نوروز والف مهرجان
وهى بالعجمية زى هزار سال وصح اطلاق المشركين على المجوس لانهم يقولون بالنور والظلمة (وما) حجازية (هو)
اى احدهم اسم ما (بمزحزحه) خبر ما والباء زائدة والزحزحة التبعيد والانجاء (من العذاب) من النار
(ان يعمر) فاعل مزحزحه اى تعميره (والله بصير بما يعملون) البصير فى كلام العرب العالم بكنه الشئ الخبير به
اى عليم بخفيات اعمالهم من الكفر والمعاصى لا يخفى عليه فهو مجازيهم بها لا محالة بالخزى والذل فى الدنيا
والعقوبة فى العقبى وهذه الحياة العاجلة تنقضى سريعة وان عاش المرء الف سنة او ازيد عليها فمن احب طول
العمر للصلاح فقد فاز قال عليه السلام طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ومن احبه للفساد فقد ضل ولا ينجو
مما يخاف فان الموت يجئ البتة واجمعت الامة على ان الموت ليس له سن معلوم ولا اجل معلوم ولا مرض
معلوم وذلك ليكون المرء على اهبة من ذلك مستعدا لذلك وكان بعض الصالحين ينادى بالليل على سور المدينة
الرحيل الرحيل فلما توفى فقد صوته امير تلك المدينة فسأل عنه فقيل انه مات فقال

مازال يلهج بالرحيل وذكره * حتى اناخ ببابه الجمال * فاصابه متيقظا متشمرا * ذا اهبة لم تلهه الامال
بانك طبلت نمى كند بيدار * تومكر مرده نه در خوابى * تو چراغى نهاده در ره باد * خانه در ممر
سيلابى * فاصابة الموت حق وان كان العيش طويلا والعمر مديدا وهو ينزل بكل نفس راضية كانت
او كارهة روى شارح الخطب عن وهب بن منبه انه قال مر دانيال عليه السلام ببرية فسمع يا دانيال قف ترعجبا
فلم يرشيأ ثم نوديت الثانية قال فوقفت فاذا بيت يدعونى الى نفسه فدخلت فاذا سرير مرصع بالدر والياقوت
فاذا النداء من السرير اصعد يا دانيال ترعجبا فارتقيت السرير فاذا فراش من ذهب مشحون بالمسك
والعنبر فاذا عليه شاب ميت كانه نائم واذا عليه من الحلى والحلل ما لا يوصف وفى يده اليسرى خاتم من ذهب
وفوق رأسه تاج من ذهب وعلى منطقته سيف اشد خضرة من البقل فاذا النداء من السرير ان احمل
هذا السيف واقرأ ما عليه قال فاذا مكتوب عليه هذا سيف صمصام بن عوج بن عنق بن عاد بن ارم
وانى عشت الف عام وسبعمائة سنة وافتضضت اثنى عشر الف جارية وبنيت اربعين الف مدينة وخرجت
بالجور والعنف والحمق عن حد الانصاف وكان يحمل مفاتيح الخزائن اربعمائة بغل وكان يحمل الى خراج
الدنيا فلم ينازعنى احد من اهل الدنيا فادعيت الربوبية فاصابنى الجوع حتى طلبت كفا من ذرة بالف قفيز

من در فلم اقدر عليه فمت جوعا يا اهل الدنيا اذكروا الموت كم ذكرا كثيرا واعتبروا بى ولا تغرنكم الدنيا كما غرتنى
فان اهلى لم يحملوا من وزرى شيأ انتهى (قال السعدى) چون همه نيك وبد ببايد مرد * خنك آنكس كه
كوى نيكى برد * برك عيشى بكور خويش فرست * كس نيارد ز پس ز پيش فرست *
عمر برفت وآفتاب تموز * اندكى ماند و خواجه غره هنوز * فعلى اهل القلوب القاسية ان يعالجوا
قلوبهم بامور احدها الاقلاع عما هى عليه بحضور مجالس العلم والوعظ والتذكير والتخويف والترغيب
واخبار الصالحين فان ذلك مما يلين القلوب وينجع فيها والثانى ذكر الموت فيكثر من ذكر هادم اللذات ومفرق
الجماعات وميتم البنين والبنات والثالث مشاهدة المحتضرين فان فى النظر الى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته
وتأمل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها ويطرد عن القلوب مسراتها ويمنع الاجفان من النوم
والراحة من الابدان ويبعث على العمل فيزيد فى الاجتهاد والتعب ويستعد للموت قبل النزول فانه اشد
الشدائد قيل لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت قال هو كشجرة الشوك ادخلت فى جوف ابن ادم
فاخذت كل شوكة بعرق ثم اجتذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وابقى ما ابقى وفى الحديث لو ان شعرة من
وجع الميت وضعت على اهل السموات والارضين لماتوا اجمعين وان فى يوم القيامة لسبعين هولا وان ادنى هول
ليضعف على الموت سبعين ضعفا (قل من كان عدوا لجبريل) لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم اتاه عبد الله
ابن صوريا من اليهود بسكن فدك فقال يا محمد كيف نومك فانا اخبرنا عن نوم النبى الذى يجئ فى آخر الزمان فقال
النبى صلى الله عليه وسلم تنام عيناى وقلبى يقظان قال صدقت فاخبرنى عن الولد امن الرجل يكون او من المرأة
قال اما العظم والعصب والعروق فمن الرجل واما الدم واللحم والظفر والشعر فمن المرأة قال صدقت يا محمد قال
فما بال الولد يشبه اعمامه ليس فيه من شبه اخواله شئ او يشبه اخواله ليس فيه من شبه اعمامه شئ قال ايهما
علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال صدقت يا محمد وسأله عن الطعام الذى حرم اسرائيل على نفسه قال ان
يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر ان شفاه الله حرم على نفسه احب الطعام اليه لحم الابل واحب الشراب اليه
البانها قال صدقت يا محمد وسأله عن اول نزل الجنة قال الحوت قال صدقت يا محمد ثم قال بقيت خصلة ان قلتها
آمنت بك واتبعتك اى ملك يأتيك بما تقول من الله تعالى فقال جبريل قال ذاك عدونا لانه ملك العذاب
ينزل بالقتال والعذاب وكسر السفن والشدائد ورسولنا ميكائيل لانه ملك الرحمة ينزل بالغيث والبشر
والرخاء فقال له عمر ما بدأ عداوتكم له فقال عادانا مرارا كثيرة وكان من اشد عداوته لنا ان الله تعالى انزل
على نبينا موسى عليه السلام ان البيت المقدس سيخرب فى زمان رجل يقال له بخت نصر واخبرنا بالحين الذى
يخرب فيه فلما كان الحين الذى يخرب فيه بعثنا رجلا من اقوياء بنى اسرائيل فى طلبه فانطلق حتى لقيه غلاما
مسكينا ببابل ليست له قوة فاخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال لصاحبنا ان هو امره بهلاككم لا يسلطكم
عليه وان لم يكن هذا فعلى اى حق تقتلونه فصدقه صاحبنا فتركه وكبر بخت نصر وقوى ملكه ثم غزانا فخرب بيت
المقدس وقتلنا وامر جبريل بوضع النبوة فينا فوضعها فى غيرنا فلهذا اتخذناه عدوا وميكائيل عدو جبريل
فقال عمر رضى الله عنه لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما
كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدو الله تعالى وجواب من محذوف اى من عادى جبريل من اهل
الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته (فانه) يعنى جبريل (نزله) اى القرآن اضمره لكمال شهرته
(على قلبك) زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحى فانه القابل الاول له ومدار الفهم والحفظ اى حفظه اياك وفهمكه
وحق الكلام ان يقال على قلبى لكنه جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به لما فى النقل بالعبارة من زيادة تقرير
لمضمون المقالة يعنى قل كما تكلمت به من قولى انه نزله على قلبك (باذن الله) بامره وتيسيره (مصدقا لما بين يديه)
اى موافقا لما قبله من الكتب الالهية فى التوحيد وبعض الشرائع حال من مفعول نزله (وهدى) اى هاديا
الى دين الحق (وبشرى) اى مبشرا بالجنة (للمؤمنين) فلا وجه لمعاداته فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه
فى انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم ثم عمم الشرط والجزاء ردا عليهم بقوله (من كان عدوا لله) اى مخالفا
لامره عنادا وخارجا عن طاعته مكابرة (وملائكته ورسله وجبريل وميكال) افردهما بالذكر لاظهار
فضلهما كانهما من جنس آخر اشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الجنس قال عكرمة

جبر وميك واسراف هى العبد بالسريانية وايل وآئيل هو الله ومعناها عبد الله او عبد الرحمن (فان الله)
جواب الشرط ولم يقل فانه لاحتمال ان يعود الى جبريل وميكائيل (عدو للكافرين) اى لهم جاء بالظاهر
ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب فقال ابن صوريا
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماجئتنا بشئ نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فانزل الله
(ولقد انزلنا اليك آيات بينات) واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله (وما يجحد بها) اى بالايات
التى توضح الحلال والحرام وتفصل الحدود والاحكام (الا الفاسقون) المتمردون فى الكفر الخارجون عن
حدوده فان من ليس على تلك الصفة لايجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات والاحسن ان يكون اللام اشارة
الى اهل الكتاب قال الحسن اذا استعمل الفسق فى نوع من المعاصى وقع على اعظم ذلك النوع من كفر
او غيره واعلم ان القرءآن هو النور الالهى الذى كشف الله به الظلمات واليهود ارادوا ان يطفئوا نور الله
والله متم نوره وليس لهم فى ذلك الا الفضاحة والخزى كما اذا دخل الحمام ناس فى ليل مظلم وفيهم الاصحاء واهل
العيوب فجاء واحد بسراج مضئ ولايسارع الى اطفائه الا اهل العيوب مخافة ان يظهر عيوبهم للاصحاء
ويلحق بهم مذمة شمع رخشنده دران جمع نخواهند كه تا ✻ عيب نودرشب تاريك بماند مستور ✻
وآى ان وقت كه روشن شود اين راز جو روز ✻ پرده برخيزد واين حال بيايد بظهور (او) الهمزة
للانكار والعطف على مقدر يقتضيه المقام اى أكفروا بالايات البينات وهى فى غاية الوضوح (كلما عاهدوا
عهدا) مصدر مؤكد لعاهدوا من غير لفظه (نبذه فريق منهم) اى رموا بالذمام اى العهد ورفضوه والفريق
الطائفة ويكون للقليل والكثير واسناد النبذ الى فريق منهم لان منهم من لم ينبذه (بل اكثرهم لا يؤمنون) بالتوراة
وليسوا من الدين فى شئ فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به وهذا رد لما يتوهم من ان النابذين هم
الاقلون (ولما جاءهم رسول) هو النبى صلى الله عليه وسلم (من عند الله) متعلق بجاء (مصدق لما معهم) من
التوراة (نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب) اى التوراة (كتاب الله) مفعول نبذ اى الذى اوتوه وهو التوراة
لانهم لما كفروا بالرسول المصدق لما معهم فقد نبذوا التوراة التى فيها ان محمدا رسول الله وقد علموا انها من الله
(وراء ظهورهم) يعنى رموا بالعناد كتاب الله وراء ظهورهم ولم يعملوا به مثل لتركهم واعراضهم عنه بالكلية
بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه (كانهم لا يعلمون) جملة حالية اى نبذوه وراء ظهورهم
متشبهين بمن لا يعلمه انه كتاب الله قيل اصل اليهود اربع فرق ففرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمنى
اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بقوله عز وجل بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ العهود تمردا
وفسوقا وهم المعنيون بقوله سبحانه نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم
الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون وفيه اشارة الى ان من فعل فعل الجاهل
وتعمد الخلاف مع علمه يلتحق بالجهال وهو والجاهل سواء فكما ان الجاهل لا يجئ منه خير فكذا العالم الذى
لا يعمل ولذا قال النبى عليه السلام واعظ اللسان ضائع كلامه وواعظ القلب نافذ سهامه فالاول هو العالم
الغير العامل والثانى هو العالم العامل الذى يؤثر كلامه فى القلوب وتنتج كلمته ثمرات الحكمة والعبرة والفكرة
فعلى العاقل ان يسارع الى الامتثال خوفا من بطش بذى الجلال ويقال الندامة اربعة ندامة يوم وهى ان
يخرج الرجل من منزله قبل ان يتغدى وندامة سنة وهى ترك الزراعة فى وقتها وندامة عمر وهو ان يتزوج امرأة
غير موافقة وندامة الابد وهو ان يترك امر الله ومجرد قرآءة الكتاب بترياق الظاهر لا يدفع سم الباطن فلا بد
من العمل كما ان من كان ينظر الى كتب الطب وكان مريضا فادام لم يباشر العلاج لا يفيد نظره بالادوية وكان
خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم القرءآن يعنى يعمل باوامره وينتهى عن نواهيه واعلم ان العمل بالعلوم الظاهرة
لا يمكن الا بعد معرفة المراتب الاربع مثلا يعرف بالعلم الظاهر ان حكم الزنى الرجم والجلد ولكن فى الوجود
الانسانى محل يقتضى الوقاع والسفاح فاهل الارشاد يقمعون المقتضى المذكور عن ذلك المحل وكذا الحال
فى الاكل والشرب وغيرهما والمرء وان كان متبحرا فى العلوم ومتفننا فى القوانين والرسوم فان كان لم يصلح حاله
بالعمل فى تزكية النفس وتصفية القلب فانه لا يعتبر بل جهله اغلب ونعم ما قيل حفظت شيأ وغابت عنك اشياء
(حكى) ان نصير الدين الطوسى دخل على ولى من اولياء الله تعالى لاجل الزيارة فقيل له هذا عالم الدنيا نصير

الدين الطوسى قال الولى ما كماله قيل ليس له عديل فى علم النجوم قال الولى الحمار الابيض اعلم منه فانحرف
الطوسى وقام من مجلسه فاتفق انه نزل تلك الليلة على باب بيت طاحونة فقال الطحان ادخل البيت فانه
سيكون الليلة مطر عظيم حتى لو لم يغلق الباب لاخذه السيل فسأل الطحان عن وجهه فقال لى
حمار ابيض اذا حرك ذنبه الى جانب السماء ثلاثا لم تمطر السماء واذا حركه الى جانب الارض يقع المطر فلما سمعه
اعترف بعجزه وصدق الولى وزال غيظه (وحكى) ان وليا قال لابن سينا افنيت عمرك فى العلوم العقلية فالى
اى مرتبة وصلت قال وجدت ساعة من ساعات الايام يكون الحديد فيها كالخمير فقال الولى اخبرنى عن تلك
الساعة فلما جاءت الساعة اخبره واخذ بيده حديدا فنفذ فيه اصبعه فبعد مضى الساعة قال الولى هل تقدر
على تنفيذ اصبعك ايضا قال لا فانه من خصائص تلك الساعة ولا يمكن فاخذه الولى ونفذ اصبعه فيه وقال ينبغى
للعاقل ان لا يصرف عمره الى الزائل الفانى فكما ان ابن سينا ادعى استقلال العقل فى طريق الوصول فالقوه
فى جهنم كذلك اليهود خذلهم الله انفوا من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بما جاء به من عند الله وادعوا
الاستقلال فخابوا وخسروا وبقوا فى ظلمة الجهل والكفر (قال فى المثنوى) اى كه اندر چشمهٔ شور ست جات ✻
تو چه دانى شط وجيحون وفرات ✻ واى آن زنده كه با مرده نشست ✻ مرده كشت وزندكى ازوى برست ✻
(واتبعوا ما تتلوا الشياطين) اى نبذ اليهود كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا كتب السحرة التى تقرؤها
وتعمل بها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلو حكاية حال ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتمحض
فيه والاقبال عليه بالكلية (على ملك سليمان) اى على عهد ملكه وفى زمانه فحذف المضاف وعلى بمعنى
فى قال السدى كانت الشياطين تصعد الى السماء فيسمعون كلام الملائكة فيما يكون فى الارض من موت
وغيره ويأتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا فى كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها فاكتتب الناس ذلك وفشا
فى بنى اسرآئيل ان الجن تعلم الغيب وبعث سليمان فى الناس وجمع تلك الكتب وجعلها فى صندوق ودفنه تحت
كرسيه وقال لا اسمع احدا يقول ان الشيطان يعلم الغيب الا ضربت عنقه فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين
كانوا يعرفون امر سليمان ودفنه الكتب وخلف من بعدهم خلف تمثل الشيطان على صورة انسان فاتى نفرا
من بنى اسرآئيل فقال هل ادلكم على كنز لا تأكلونه ابدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت الكرسى وذهب معهم
فاراهم المكان وقام ناحية فقالوا ادن قال لا ولكنى ههنا فان لم تجدوه فاقتلونى وذلك انه لم يكن احد من
الشياطين يدنو من الكرسى الا احترق فحفروا واخرجوا تلك الكتب قال الشيطان ان سليمان كان يضبط الجن
والانس والشياطين والطير بهذه ثم طار الشيطان وفشا فى الناس ان سليمان كان ساحرا واخذ بنوا اسرآئيل
تلك الكتب فلذلك اكثر ما يوجد السحر فى اليهود فلما جاء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم برأ الله سليمان عليه
السلام من ذلك وانزل فى عذر سليمان واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان (وما كفر سليمان) بالسحر
وعلمه يعنى لم يكن ساحرا لان الساحر كافر والتعرض لكونه كفرا للمبالغة فى اظهار نزاهته عليه السلام وكذب
باهتيه بذلك (ولكن الشياطين كفروا) باستعمال السحر وتعليمه وتدوينه (يعلمون الناس السحر)
اى كفروا والحال انهم يعلمونه اغوآء واضلالا روى ان السحر من استخراج الشياطين للطافة جوهرهم ودقة
افهامهم (وما) اى يعلمون الناس الذى (انزل على الملكين) اى ما الهما وعلما وهو علم السحر انزلا لتعليم
السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه
كان مؤمنا كما قيل عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه وهذا كما اذا اتى عرافا فسأله عن شئ ليمتحن حاله
ويختبر باطن امره وعنده ما يميز به صدقه من كذبه فهذا جائز قال الامام فخر الدين كان الحكمة فى انزالهما
ان السحرة كانوا يسترقون السمع من الشياطين ويلقون ما سمعوا بين الخلق وكان بسبب ذلك يشتبه الوحى
النازل على الانبياء فانزلهما الله الى الارض ليعلما الناس كيفية السحر ليظهر بذلك الفرق بين كلام الله وكلام
السحرة (ببابل) الباء بمعنى فى وهى متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من الملكين وهى بابل العراق او بابل
ارض الكوفة ومنع الصرف للعجمة والعلمية واحسن ما قيل فى تسميتها ببابل ان نوحا عليه السلام لما هبط الى
اسفل الجودى بنى قرية وسماها ثمانين فاصبح ذات يوم وقد تبلبلت السنتهم على ثمانين لغة احداها اللسان العربى
وكان لا يفهم بعضهم من بعض كذا فى تفسير القرطبى (هاروت وماروت) عطف بيان للملكين علمان لهما

ومنع صرفهما للعجمة والعلمية وماروى من قصتهما من انهما شربا الخمر وسفكا الدم وزنيا وقتلا وسجدا للصنم فما لاتعويل عليه لان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز التى قصد بها ارشاد اللبيب الاريب بالترغيب والترهيب وذلك لان المراد بالملكين العقل النظرى والعقل العملى والمرأة المسماة بالزهرة هى النفس الناطقة الطاهرة فى اصل نشأتها وتعرضهما لها تعليمهما لها ما تستعد به فى النشأة الاخرة وحملها اياهما على المعاصى تحريضها اياهما بحكم الطبيعة المزاجية الى السفليات المدنسة لجوهرهما وصعودها الى السماء بما تعلمت منهما هو عروجها الى الملأ الاعلى ومخالطتها مع القدسيين بسبب انتصاحها ونصحها كذا ذكره وجوه القوم من المفسرين يقول الفقير جامع هذه المجالس الشريفة قد تصفحت كتب ارباب الخبر والبيان واصحاب الشهود والعيان فوجدت عامتها مشحونة بذكر ما جرى من قصتهما وكيف يجوز الاتفاق من الجم الغفير على ما مداره رواية اليهود خصوصا فى مثل هذا الامر الهائل فاقول وصف الملائكة بانهم لا يعصون ولا يستكبرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ويفعلون ما يؤمرون دليل تصور العصيان منهم ولولا ذلك لما مدحوا به اذ لا يمدح احد على الممتنع لكن طاعتهم طبع وعصيانهم تكلف على عكس حال البشر كما فى التيسير فهذا يقتضى جواز الوقوع مع ان فيما روى فى سبب نزولهما ما يزيل الاشكال قطعا وهو انهم لما عيروا بنى آدم بقلة الاعمال وكثرة الذنوب فى زمن ادريس عليه السلام قال الله تعالى لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لفعلتم مثل ما فعلوا فقالوا سبحانك ربنا ما كان ينبغى لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلح الملائكة واعبدهم فاهبطا بالتركيب البشرى ففعلا ما فعلا وهذا ليس بعيد اذ ليس مجرد هبوط الملك مما يقتضى العصيان وذلك ظاهر والا لظهر من جبريل وغيره الا ترى ان ابليس له الشهوة والذرية مع انه كان من الملائكة على احد القولين لانهما انما حدثت بعد ان محى من ديوانهم فيجوز ان تحدث الشهوة فى هاروت وماروت بعد ان اهبطا الى الارض لاستلزام التركيب البشرى ذلك وقد قال فى آكام المرجان ان الله تعالى باين بين الملائكة والجن والانس فى الصورة والاشكال فان قلب الله الملك الى صورة الانسان ظاهرا وباطنا خرج عن كونه ملكا وكذلك لو قلب الشيطان الى بنية الانسان خرج بذلك عن كونه شيطانا وروى انه لما تشفع لهما ادريس عليه السلام خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا عذاب الدنيا لكونه ايسر من عذاب الاخرة فهما فى بئر بابل معلقان فيه بشعورهما الى يوم القيامة قال مجاهد ملئ الجب نارا فجعلا فيه وقيل معلقان بارجلهما ليس بين السنتهما وبين الماء الا اربع اصابع فهما يعذبان بالعطش قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره رائحة الشمع الذى يعمل من الشحم كريهة تتألم منها الملائكة حتى يقال ان هاروت وماروت يعذبان برائحته واما الشمع العسلى فرائحته طيبة كذا فى واقعات الهدائى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الدنيا فوالذى نفسى بيده انها لاسحر من هاروت وماروت قال العلماء انما كانت الدنيا اسحر منهما لانها تدعوك الى التحارص عليها والتنافس فيها والجمع لها والمنع حتى تفرق بينك وبين طاعة الله وتفرق بينك وبين رؤية الحق ورعايته وسحر الدنيا محبتها وتلذذك بشهواتها وتمنيك باماتيها الكاذبة حتى تأخذ بقلبك ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمى ويصم اراد النبى عليه السلام ان من الحب ما يعمى عن طريق الحق والرشد ويصمك عن استماع الحق وان الرجل اذا غلب الحب على قلبه ولم يكن له رادع من عقل او دين اصمه حبه عن العذل واعماه عن الرشد او يعمى العين عن النظر الى مساويه ويصم الاذن عن استماع العذل فيه او يعمى ويصم عن الاخرة وفائدته النهى عن حب ما لا ينبغى الاغراق فى حبه (قال خسرو الدهلوى) بهراين مردار چندت كاه زارى كاه زور * چون غليواجى كه شش مه ماده وشش مه نراست * ثم فى هذه القصة اشارة الى انه لا يجوز الاعتماد الا على فضل الله ورحمته فان العصمة من آثار حفظ الله تعالى (كما قال فى المثنوى) همچو هاروت وچو ماروت شهير * از بطر خوردند زهر آلود تير * اعتمادى بودشان برقدس خويش * چيست برشير اعتماد كاوميش * كرچه او با شاخ صد چاره كند * شاخ شاخش شير نرپاره كند * كرشود پرشاخ همچون خارپشت * شير خواهد كاو را ناچار كشت * (وما يعلمان من احد) من مزيدة فى المفعول به لافادة تأكيد الاستغراق

الذى يفيده احد والمعنى ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس ما انزل على الملكين ويحملونهم على العمل به اغواء واضلالا والحال ان الملكين ما يعلمان ما انزل عليهما من السحر احدا من طالبيه (حتى) ينصحاه اولا وينهياه عن العمل به والكفر بسببه و(يقولا انما نحن فتنة) وابتلاء من الله تعالى فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى عن العمل به او اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقى على الايمان والفتنة الاختبار والامتحان يقال فتنت الذهب بالنار اذا جربته بها لتعلم انه خالص او مشوب وهى من الافعال التى تكون من الله ومن العبد كالبلية والمعصية والقتل والعذاب وغير ذلك من الافعال الكريهة وقد تكون الفتنة فى الدين مثل الارتداد والمعاصى واكراه الغير على المعاصى وافردت الفتنة مع تعدد الملكين لكونها مصدرا وحملها عليهما مواطأة للمبالغة كانهما نفس الفتنة والقصر لبيان انه ليس لهما فيما يتعاطيانه شأن سواها لينصرف الناس عن تعلمه (فلا تكفر) باعتقاد حقيته بمعنى انه ليس بباطل شرعا وجواز العمل به ويقولان ذلك سبع مرات فان ابى الا التعليم علماه (فيتعلمون) عطف على الجملة المنفية فانها فى قوة المثبتة كانه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن الخ والضمير لاحد حملا على المعنى اى فالناس يتعلمون (منهما) اى من الملكين (ما يفرقون به) اى بسببه واستعماله (بين المرء وزوجه) بان يحدث الله تعالى بينهما التباغض والفرك والنشوز عند ما فعلوا من السحر على حسب جرى العادة الالهية من خلق المسببات عقيب حصول الاسباب العادية ابتلاء لان السحر هو المؤثر فى ذلك قال السدى كانا يقولان لمن جاءهما انما نحن فتنة فلا تكفر فان ابى ان يرجع قالا له ائت هذا الرماد فبل فيه فاذا بال فيه خرج نور يسطع الى السماء وهو الايمان والمعرفة وينزل شئ اسود شبه الدخان فيدخل فى اذنيه ومسامعه وهو الكفر وغضب الله فاذا اخبرهما بما رآه من ذلك علماه ما يفرق به بين المرء وزوجه ويقدر الساحر على اكثر مما اخبر الله عنه من التفريق لان ذلك خرج على الاغلب قيل يؤخذ الرجل عن المرأة بالسحر حتى لا يقدر على الجماع قال فى نصاب الاحتساب ان الرجل اذا لم يقدر على مجامعة اهله واطاق ما سواها فان المبتلى بذلك يأخذ حزمة قصبات ويطلب فاسا ذا فقار ويضعه فى وسط تلك الحزمة ثم يؤجج نارا فى تلك الحزمة حتى اذا احمى الفاس استخرجه من النار وبال على حدته يبرأ باذن الله تعالى (وما هم) اى ليس الساحرون (بضارين به) اى بما تعلموه واستعملوه من السحر (من احد) اى احدا (الا باذن الله) الاستثناء مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او من مفعوله وان كان نكرة لاعتمادها على النفى او الضمير المجرور فى به اى ما يضرون به احدا الا مقرونا بعلم الله وارادته وقضائه لا بامره لانه لا يأمر بالكفر والاضرار والفحشاء ويقضى على الخلق بها فالساحر يسحر والله يكون فقد يحدث عند استعمالهم السحر فعلا من افعاله ابتلاء وقد لا يحدثه وكل ذلك بارادته ولا ينكر ان السحر له تأثير فى القلوب بالحب والبغض وبالقاء الشرور حتى يحول بين المرء وقلبه وذلك بادخال الآلام وعظيم الاسقام وكل ذلك مدرك بالحس والمشاهدة وانكاره معاندة وان اردت التفصيل وحقيقة الحال فاستمع لما نتلو عليك من المقال وهو ان السحر اظهار امر خارق للعادة عن نفس شريرة خبيثة بمباشرة اعمال مخصوصة يجرى فيه التعلم والتعليم وبهذين الاعتبارين يفارق المعجزة والكرامة واختلف العلماء فى حقيقة السحر بمعنى ثبوته فى الخارج فذهب الجمهور الى ثبوته فيه قالت المعتزلة لا ثبوت له ولا وجود له فى الخارج بل هو تمويه وتخييل ومجرد اراءة ما لا حقيقة له يرى الحبال حيات بمنزلة الشعوذة التى سببها خفة حركات اليد او اخفاء وجه الحيلة وتمسكوا بقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى ولنا وجهان الاول يدل على الجواز والثانى يدل على الوقوع اما الاول فهو امكان الامر فى نفسه وشمول قدرة الله فانه الخالق وانما الساحر فاعل وكاسب واما الثانى فهو قوله تعالى ويتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله وفيه اشعار بانه ثابت حقيقة ليس مجرد اراءة وتمويه وبان المؤثر والخالق هو الله تعالى وحده واما الشعوذة وما يجرى مجراها من اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب آلات الهندسة وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية والاحجار فاطلاق السحر عليها مجاز او لما فيها من الدقة لانه فى الاصل عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفى سببه ولذا يقال سحر حلال واكثر من يتعاطى السحر من الانس النساء وخاصة فى حال حيضهن والارواح الخبيثة ترى غالبا الطبائع المغلوبة والنفوس الرذيلة وان لم يكن لهم رياضة كالنساء والصبيان والمخنثين والانسان اذا افسد نفسه او مزاجه يشتهى ما يضره ويتلذذ به بل يعشق ذلك

عنقا يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله والشيطان خبيث فاذا تقرب صاحب العزائم والاقسام وكتب الروحانيات السحرية وامثال ذلك اليهم بما يحبونه من الكفر والشرك صار ذلك كالرشوة والبرطيل لهم فيقضون بعض اغراضهم كمن يعطى رجلا مالا ليقتل من يريد قتله او يعينه على فاحشة او ينال منه فاحشة ولذلك يكتب السحرة والمعزمون فى كثير من الامور كلام الله تعالى بالنجاسة والدماء ويتقربون بالقرابين من حيوان ناطق وغير ناطق والبخور وترك الصلاة والصوم واباحات الدماء ونكاح ذوات المحارم والقاء المصحف فى القاذورات وغير ذلك مما ليس لله فيه رضى فاذا قالوا كفرا او كتبوه او فعلوه اعانتهم الشياطين لاغراضهم او بعضها اما بتغويرماء واما بان يحمل فى الهواء الى بعض الامكنة واما ان يأتيه بمال من اموال الناس كما يسرقه الشياطين من اموال الخائنين ومن لم يذكر اسم الله عليه ويأتى به واما غير ذلك من قتل اعدائهم اوامراضهم او جلب من يهوونه وكثيرا ما يتصور الشيطان بصورة الساحر ويقف بعرفات ليظن من يحسن به الظن انه وقف بعرفات وقد زين لهم الشيطان ان هذا كرامات الصالحين وهو من تلبيس الشيطان فان الله تعالى لا يعبد الا بما هو واجب او مستحب وما فعلوه ليس بواجب ولا مستحب شرعا بل هو منهى حرام ونعوذ بالله من اعتقاد ما هو حرام عبادة ولاهل الضلال الذين لهم عبادة على غير الوجه الشرعى مكاشفات احيانا وتأثيرات يأوون كثيرا الى مواضع الشياطين التى نهى عن الصلاة فيها كالحمام والمزبلة واعطان الابل وغير ذلك مما هو من مواضع النجاسات لان الشياطين تنزل عليهم فيها وتخاطبهم ببعض الامور كما يخاطبون الكفار وكما كانت تدخل فى الاصنام وتكلم عابدى الاصنام قال العلماء ان كان فى السحر ما يخل شرطا من شرائط الايمان من قول وفعل كان كفرا والا لم يكن كفرا وعامة ما بايدى الناس من العزائم والطلاسم والرقى التى لا تفهم بالعربية فيها ما هو شرك وتعظيم للجن ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى التى لا يفهم بالعربية معناها لانها مظنة الشرك وان لم يعرف الراقى انها شرك وفى الصحيح عن النبى عليه السلام انه رخص فى الرقى ما لم تكن شركا وقال من استطاع ان ينفع اخاه فليفعل ولذا نقول انه يجوز ان يكتب للمصاب وغيره من المرضى شئ من كتاب الله وذكره بالمداد المباح ويغسل ويسقى او يعلق عليه وفى اسماء الله تعالى وذكره خاصية قمع الشياطين واذلالهم ولانفاس اهل الحق تأثيرات عجيبة لانهم تركوا الشهوات ولزموا العبادات على الوجه الشرعى وظهر لهم حكم قوله تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض ولذا يطيعهم الجن والشياطين ويستعبدونهم كما استعبدها سليمان عليه السلام بتسخير الله تعالى واقداره حكى حضرة الهدائى قدس سره فى واقعاته عن شيخه حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى انه ارسل ورقة الى سلطان الجن لاجل مصروع فامتثل امره وعظمه وضرب عنق الصارع تخلص المصروع (قال فى المثنوى) هم پيمبر فرد آمد در جهان * فرد بود وصد جهانش در نهان *
عالم كبرى بقدرت سحر كرد * كرد خود را در كهين نقشى نورد * ابلهانش فرد ديدند وضعيف *
كى ضعيفست انكه باشه شد حريف * واعلم ان حكم الساحر القتل ذكرا كان او انثى اذا كان سعيه بالافساد والاهلاك فى الارض واذا كان سعيه بالكفر فيقتل الذكر دون الانثى فتضرب وتحبس لان الساحرة كافرة والكافرة ليست من اهل الحرب فاذا كان الكفر الاصلى يدفع عنها القتل فكيف الكفر العارضى والساحر ان تاب قبل ان يؤخذ تقبل توبته وان اخذ ثم تاب لا تقبل كما قال فى الاشباه كل كافر تاب فتوبته مقبولة فى الدنيا والاخرة الا جماعة الكافر بسب نبى وبسب الشيخين او احدهما وبالسحر ولو امرأة وبالزندقة اذا اخذ قبل توبته والزنديق هو الذى قال بقدم الدهر واسناد الحوادث اليه مع اعتراف النبوة واظهار الشرع هذا واكثر المنقول الى هنا من كتاب آكام المرجان وهو الذى ينبغى ان يكتب على الاحداق لا على القراطيس والاوراق (ويتعلمون ما يضرهم) لانهم يقصدون به العمل اولان العلم يجر الى العمل غالبا (ولا ينفعهم) صرح بذلك ايذانا بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار باكاذيب من يدعى النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع فى الجملة وفيه ان الاجتناب عما لا يؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التى لا يؤمن ان تجر الى الغواية وان قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه وذكر فى التجنيس تعلم النجوم حرام الا ما يحتاج اليه للقبلة وفى الزوال ومن احاديث المصابيح من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر واذا لم يكن

فى تعلم مثل هذه العلوم خير فكذا امساك الكتب التى اشتملت عليها من كتب الفلاسفة وغيرها بل لا يجوز النظر اليها كما فى نصاب الاحتساب (ولقد علموا) اى هؤلاء اليهود فى التوراة (لمن اشتراه) اى من اختار السحر واستبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله واللام الاولى جواب قسم محذوف والثانية لام ابتداء (ما له فى الاخرة من خلاق) اى نصيب (ولبئس ما شروا به انفسهم) اى باعوها لان الشراء من الاضداد واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف اى والله لبئس ما باعوا به انفسهم السحر او الكفر وعبر عن ايمانهم بانفسهم لان النفس خلقت للعلم والعمل والايمان (لو كانوا يعلمون) جواب لو محذوف اى لما فعلوا ما فعلوا من تعلم السحر وعملا اثبت لهم العلم اولا بقوله ولقد علموا ثم نفى عنهم لانهم لما لم يعملوا بعلمهم فكانهم لم يعلموا فهذا فى الحقيقة نفى الانتفاع بالعلم لا نفى العلم (ولو انهم) اى اليهود (آمنوا) بالقرآن والنبى (واتقوا) السحر والشرك (لمثوبة) مفعلة من الثواب وثاب يثوب اى رجع وسمى الجزاء ثوابا لانه عوض عمل المحسن يرجع اليه وهو مبتدأ جواب لو والتنكير للتقليل اى شئ قليل من الثواب كائن (من عند الله خير) خبر المبتدأ واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير السبك الى ما عليه النظم الكريم دلالة على اثبات المثوبة لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه (لو كانوا يعلمون) ان ثواب الله خير ومجرد العلم باللسان لا ينفع بدون ان يصل التأثير الى القلب ويظهر ذلك التأثير بالمسارعة الى الاعمال الصالحة والاتباع بالكتاب والسنة فمن امر السنة على نفسه اخذا وتركا حبا وبغضا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة قال الشيخ ابو الحسن كل علم يسبق لك فيه الخواطر وتتبعها الصور وتميل اليه النفوس وتلذ به الطبيعة فارم به وان كان حقا وخذ بعلم الله الذى انزله على رسوله واقتد به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعده والائمة المبرئين من الهوى ومتابعته تسلم من الظنون والشكوك والاوهام والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه وماذا عليك ان تكون عبدا لله ولا علم ولا عمل بلا اقتداء وحسبك من العلم العلم بالوحدانية ومن العمل محبة الله ومحبة رسوله ومحبة الصحابة واعتقاد الحق للجماعة قال بعض العلماء زيادة العلم فى الرجل السوء كزيادة الماء فى اصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من الياقوت فما اشرف الوسيلة وما اخس المتوسل اليه والذى يحمل العبد على تعليم ما لا يليق به وذكر ما يجب صونه انما هو ايثار الدنيا على الاخرة لكن الله تعالى يقول وما عند الله خير وابقى فان اردت ان تعرف قدرك عند الله فانظر فيما ذا يقيمك وذلك لان الاعمال علامات والاحوال كرامات والكرامات دليل والعلوم وسائل وقد جاء من سره ان يعرف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله فى قلبه فان الله ينزل العبد عنده حيث انزله العبد من نفسه والانسان نسخة الهية قابلة للواردات الالهية فالنصف الاسفل منه بمنزلة الملك والنصف الاعلى بمنزلة الملكوت وبعبارة اخرى الطبيعة والنفس بمنزلة الملك والروح والسر بمنزلة الملكوت فاذا قطع العلائق بالعبادة الحقانية يتصرف فى عالم الملك والملكوت اللذين فى ملك وجوده وهو باب الملك والملكوت اللذين فى الخارج واعلم ان وصلة العلماء على قدر علمهم واستدلالهم ووصلة الكمل على قدر مشاهدتهم وعيانهم لكن لا على وجه مشاهدة سائر الاشياء فانه تعالى منزه عن الكيف والاين بل هى عبارة عن ظهور الوجود الحقيقى عند اضمحلال وجود الرأى وفنائه واول ما يتجلى للسالك الافعال ثم الصفات واما تجلى الذات فلا يتيسر الا للاحاد فهو لا يكون الا بمحو الوجود وافنائه لكن ذلك الفناء عين البقاء وعن ابى يزيد البسطامى قدس سره كنت اعلم الاخلاص لبعض الفقراء وهو يعلمنا الفناء (قال السعدى) تراكى بود چون چراغ التهاب * كه از خود پرى همچو قنديل از آب * (يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا) لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ارشاد للمؤمنين الى الخير (راعنا) المراعاة المبالغة فى الرعى وهو حفظ الغير وتدبير اموره وتدارك مصالحه كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيأ من العلم راعنا يا رسول الله عليه السلام اى راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك وكانت لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهى راعنا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهى المؤمنون عنها قطعا لالسنة اليهود عن التدليس وامروا بما هو فى معناها ولا يقبل التلبيس فقيل (وقولوا انظرنا) اى انتظرنا من نظره اذا انتظره (واسمعوا) واحسنوا

سماع ما يكلمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقى عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى
لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة (وللكافرين) اى ولليهود الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه
وسلم وسبوه (عذاب اليم) وجيع لما اجترؤا عليه من العظيمة وفى هذه الاية دليلان احدهما على تجنب الالفاظ
المحتملة التى فيها التعريض واما قولهم لا بأس بالمعاريض وهو ان يتكلم الرجل بكلمة يظهر من نفسه شيأ
ومراده شئ آخر فانما ارادوا ذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم يكن حاجة وضرورة فلا يجوز
التعريض ولا التصريح جميعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده
بان لا يتعرض لهم بما حرم من دمائهم واعراضهم وقدم اللسان فى الذكر لان التعرض به اسرع وقوعا
واكثر وخص اليد بالذكر لان معظم الافعال يكون بها (قال فى المثنوى) اين زبان چون سنك وهم آهن
وش است * وآنچه بجهد از زبان چون آتش است * سنك وآهن رامزن برهم كزاف * كه زروى
نقل وكاه ازروى لاف * زانكه تاريكست وهر سو پنبه زار * درميان پنبه چون باشد شرار *
عالمى را يك سخن ويران كند * روبهان مرده را شيران كند * والثانى التمسك بسد الذرآيع وحمايتها
والذريعة عبارة عن امر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع فى ممنوع ووجه التمسك بها ان اليهود
كانوا يقولون ذلك وهى سب بلغتهم فلما علم الله تعالى ذلك منهم منع من اطلاق ذلك اللفظ لانه ذريعة للسب
قال تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم فمنع من سب آلهتهم مخافة مقابلتهم
بمثل ذلك وقال تعالى واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر الاية فحرم الله عليهم الصيد فى يوم السبت
فكان الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا اى ظاهرة فسدوا عليها يوم السبت واخذوها يوم الاحد وكان السد
ذريعة للاصطياد فمسخهم الله قردة وخنازير وعن عائشة رضى الله عنها ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة
رأتاها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله عليه السلام ان اولئك اذا كان
فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله قال العلماء
ففعل ذلك اوآئلهم ليتأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا احوالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم ويعبدوا
الله عند قبورهم فمضت لهم بذلك ازمان ثم انهم خلف من بعدهم خلف جهلوا اغراضهم ووسوس لهم
الشيطان ان آباءكم واجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها فحذر النبى عليه السلام عن مثل ذلك
وشدد النكير والوعيد على من فعل ذلك وسد الذرآيع المؤدية الى ذلك فقال عليه السلام اشتد غضب الله على
قوم اتخذوا قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد وقال اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد وقال صلى الله عليه وسلم لا يبلغ
العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به البأس وقال عليه السلام ان من الكبائر شتم الرجل
والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه
فجعل التعريض لسب الاباء والامهات كسب الاباء والامهات وقال صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين
وبينهما امور مشتبهات فمن اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى حول
الحمى يوشك ان يرتع فيه فمنع عليه السلام من الاقدام على الشبهات مخافة الوقوع فى المحرمات وفى الحديث
اذا تبايعتم بالعينة واخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه منكم حتى
ترجعوا الى دينكم والعينة هو ان يبيع رجل من رجل سلعة بثمن معلوم الى اجل مسمى ثم يشتريها منه باقل
من الثمن الذى باعها به وسميت عينة لحصول النقد لصاحب العينة وذلك ان العينة هو المال الحاضر والمشترى
انما يشتريها ليبيعها بعين حاضر يصل اليه من فوره وفى هذا الحديث ذم للزراع اذا كان زراعتهم ذريعة لترك
الجهاد قال عليه السلام حين رأى آلة الحراثة فى دار قوم ما دخل هذا بيت قوم الا ذلوا وذلك لان الزراعة
عمارة الدنيا واعراض عن الجهاد فيستحق به الذل وعمارة الدنيا اصل فى حق الكفار عارض فى حق المسلمين
فان المسلمين يجعلونها وسيلة الى الاخرة واما الكفار فيعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن آخرتهم غافلون
وقد قال عليه السلام الدنيا سجن المؤمن اى بالنسبة الى ما اعد له من ثواب النعيم وجنة الكافر اى بالاضافة
الى ما هىء له من عذاب الاخرة والقطيعة والهجران (ما يود الذين كفروا) كان فريق من اليهود يظهرون
للمؤمنين محبة ويزعمون انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم والود حب الشئ مع تمنيه ونفى الود كناية

عن الكراهة اى ما يحب الذين كفروا (من اهل الكتاب ولا المشركين) من للتبيين لان الذين كفروا جنس
تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون فكانه قيل ما يود الذين كفروا وهم اهل الكتاب والمشركون فتبين
ان الذين كفروا باق على عمومه وان المراد كلا نوعيه جميعا والمعنى ان الكفار اجمع لم يحبوا (ان ينزل عليكم)
اى على نبيكم لان المنزل عليه منزل على امته (من خير) هو قائم مقام فاعله ومن مزيدة لاستغراق الخير والخير
الوحى والقرءآن والنصرة (من ربكم) من لابتداء الغاية والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم
فيحسدونكم ويكرهون ان ينزل عليكم شئ من الوحى اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب وابناء الانبياء
الناشئون فى مهابط الوحى وانتم اميون واما المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه والمال زعما منهم ان رياسة
الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذا قالوا لولا نزل هذا القرءآن على رجل
من القريتين عظيم وهم كانوا يتمنون ان تكون النبوة فى احد الرجلين نعيم بن مسعود الثقفى بالطائف
والوليد بن المغيرة بمكة ثم اجاب عن قول من يقول لم ينزل عليهم بقوله (والله يختص برحمته من يشاء) يقال
خصه بالشئ واختصه به اذا افرده به دون غيره ومفعول من يشاء محذوف والرحمة النبوة والوحى والحكمة
والنصرة والمعنى يفرد برحمته من يشاء افراده بها ويجعلها مقصورة عليه لا لاستحقاقه الذاتى الفائض عليه
بحسب ارادته عز وجل لا تتعداه الى غيره لا يجب عليه شئ وليس لاحد عليه حق وما وقع فى عبارة مشايخنا
فى حق بعض الاشياء انه واجب فى الحكمة يعنون به انه ثابت متحقق لا محالة فى الوجود لا يتصور ان لا يكون
لا انه يجب ذلك بايجاب موجب (والله ذو الفضل العظيم) اى على من يختاره بالنبوة والوحى لابتدآئه
بالاحسان بلا علة وهو حجة لنا على المعتزلة فان المفضل عند الخلق هو الذى يعطى ويبذل ما ليس عليه
لان الذى يعطى ما عليه يكون قاضيا لا مفضلا ولو كان يجب عليه فعل الاصلح لكان المناسب ان يكون
ذو العدل بدل قوله ذو الفضل ثم فيه اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله
بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته فمن تعرض لرد ما من الله به على عباده المؤمنين فقد جهل بحقيقة الامر
وعباد الله المخلصون قسمان قوم اقامهم الحق لخدمته وهم العباد والزهاد واهل الاعمال والاوراد وقوم
اختصهم بمحبته وهم اهل المحبة والوداد وكل فى خدمته وتحت طاعته اذ كلهم قاصد وجهه ومتوجه اليه
والعبودية صفة العبد لا تفارقه ما دام حيا ومن حقائق العبودية اخراج الحسد من القلب قال بعض الحكماء
بارز الحاسد ربه من خمسة اوجه اولها ابغض كل نعمة ظهرت على غيره والثانى يتسخط قسمته تعالى ويقول لربه
لم قسمت هكذا والثالث ان فضل الله يؤتيه من يشاء وهو يبخل بفضله والرابع خذل ولى الله لانه يريد خذلانه
وزوال النعمة عنه والخامس اعان عدوه يعنى ابليس واعلم ان حسدك لا ينفذ على عدوك بل على نفسك
بل لو كوشفت بحالك فى يقظة او منام لرأيت نفسك ايها الحاسد فى صورة من يرمى حجرا الى عدوه ليصيب به
مقلته فلا يصيبه بل يرجع الى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه ثانيا فيعود ويرميه اشد من الاولى فيرجع على
عينه اليسرى فيعميها فيزداد غضبه ثالثا فيعود ويرميه فيرجع الحجر على رأسه فيشجه وعدوه سالم فى كل حال
وهو اليه راجع كرة بعد اخرى واعدآؤه حواليه يفرحون ويضحكون وهذا حال الحسود وسخرية الشياطين
وقال بكر بن عبد الله كان رجل يأتى بعض الملوك فيقوم بحذآئه ويقول احسن الى المحسن باحسانه فان المسئ
سيكفيه اساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك وقال ان هذا الرجل يزعم ان الملك
ابخر فقال الملك وكيف يصح ذلك عندى قال تدعو به اليك فانظر فانه اذا دنا منك وضع يده على انفه
ان لا يشم ريح البخر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده
فقام بحذآء الملك فقال على عادته مثل ما قال فقال له الملك ادن منى فدنا منه واضعا يده على فيه مخافة ان يشم
الملك منه ريح الثوم فصدق الملك فى نفسه قول الساعى قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة فكتب له كتابا
بخطه الى عامل له اذا اتاك الرجل فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الى فاخذ الكتاب وخرج فلقيه
الرجل الذى سعى به فاستوهب منه ذلك الكتاب فاخذه منه بانواع التضرع والامتنان ومضى الى العامل
فقال له العامل ان فى كتابك ان اذبحك واسلخك قال ان الكتاب ليس هو لى الله الله فى امرى حتى اراجع الملك
قال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل كعادته فتعجب

منه الملك فقال ما فعلت بالكتاب قال لقينى فلان فاستوهبه منى فوهبته قال الملك انه ذكر لى انك تزعم انى ابخر
فقال كلا قال فلم وضعت يدك على انفك قال كان اطعمنى طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال ارجع
الى مكانك فقد كفى المسيء اساءته ونعم ما قيل هركه اونيك ميكند يابد * نيك وبد هرچه ميكند يابد *
اللهم احفظنا من مساوى الاخلاق (ما) شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية اى اى شئ (ننسخ)
ومحل قوله (من آية) نصب تمييز لما والنسخ فى اللغة الازالة والنقل يقال نسخت الريح الاثر اى ازالته ونسخت
الكتاب اى نقلته من نسخة الى نسخة ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقرآءتها او بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا
اما الاول فكآية الرجم كما روى ان مما يتلى عليكم فى كتاب الله الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة
فهو منسوخ التلاوة دون الحكم ومعنى النسخ فى مثلها انتهاء التكليف بقرآءتها عند نسخ تلاوتها واما الثانى
فكآية عدة الوفاة بالحول قال تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول
غير اخراج نسخت باربعة اشهر وعشر القوله تعالى يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا كمصابرة الواحد لعشرة
فى القتال نسخت بمصابرة الواحد للاثنين فهو منسوخ الحكم دون التلاوة وهو المعروف من النسخ فى القرآن
فتكون الاية الناسخة والمنسوخة ثابتتين فى التلاوة الا ان المنسوخة لا يعمل بها ومعنى النسخ فى مثلها بيان
انتهاء التكليف بالحكم المستفاد منها عند نزول الاية المتأخرة عنها وحسن بقاء التلاوة مع نسخ الحكم ورفعه
ليبقى حصول الثواب بقرآءتها فان القرآن كما يتلى لحفظ حكمه لتيسير العمل به يتلى ايضا لكونه كلام
الله تعالى فيثاب عليه واما الثالث فكما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت كان مما يتلى فى كتاب الله
عشر رضعات يحرمن ثم نسخ بخمس رضعات يحرمن فهو منسوخ الحكم والتلاوة جميعا ومعنى النسخ فى مثلها
بيان انتهاء التكليف بقرآءتها وبالحكم المستفاد منها عند نسخها قال القرطبى الجمهور على ان النسخ
انما هو مختص بالاوامر والنواهى والخبر لا يدخل النسخ لاستحالة الكذب على الله تعالى (او ننسها) انساء الاية
اذهابها من القلوب كما روى ان قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرؤا سورة فلم يذكروا منها الا البسملة فغدوا الى النبى
عليه السلام واخبروه فقال صلى الله عليه وسلم تلك سورة رفعت بتلاوتها واحكامها روى ان المشركين او اليهود
قالوا الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ما يقول الا من تلقاء نفسه يقول اليوم
قولا ويرجع عنه غدا كما امر فى حد الزنى بايذآئهما باللسان حيث قال فآذوهما ثم جعله منسوخا وامر
بامساكهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت ثم جعله منسوخا بقوله فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة يريدون
بذلك الطعن فى الاسلام ليضعفوا عزيمة من اراد الدخول فيه فبين الله الحكمة فى النسخ بهذه الاية والمعنى ان كل
آية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها او حكمها او كليهما معا الى بدل او الى غير بدل
(نأت بخير) اى باية هى خير (منها) للعباد بحسب الحال فى النفع والثواب من الذاهبة وليس المقصود
ان آية خير من آية لان كلام الله واحد وكله خير فلا يتفاضل بعض الآيات على بعض فى انفسها من حيث
انه كلام الله ووحيه وكتابه بل التفاضل فيها انما هو بحسب ما يحصل منها للعباد (او مثلها) فى المنفعة والثواب
فكل ما نسخ الى الايسر فهو اسهل فى العمل وما نسخ الى الاشق فهو فى الثواب اكثر اما الاول فكنسخ
الاعتداد بحول ونقله الى الاعتداد باربعة اشهر وعشر واما الثانى فكنسخ ترك القتال بايجابه وقد يكون النسخ
بمثل الاول لا اخف ولا اشق كنسخ التوجه الى بيت المقدس بالتوجه الى الكعبة وهذا الحكم غير مختص بنسخ
الاية التامة فما فوقها بل جار فيما دونها ايضا وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب واعلم ان الناسخ على الحقيقة
هو الله تعالى ويسمى الخطاب الشرعى ناسخا تجوزا فى الاسناد بناء على ان النسخ يقع به والمنسوخ هو الحكم
المزال والمنسوخ عنه هو المتعبد بالعبادة المزالة وهو المكلف والحكمة فى النسخ ان الطبيب المباشر لاصلاح
البدن يغير الاغذية والادوية بحسب اختلاف الامزجة والازمنة كذلك الانبياء المباشرون لاصلاح النفوس
يغيرون الاعمال الشرعية والاحكام الخلقية التى هى للنفوس بمنزلة العقاقير والاغذية للابدان فان اغذية
النفوس وادويتها هى الاعمال الشرعية والاخلاق المرضية فيغيرها الشارع على حسب تغير مصالحها فكما ان
الشئ يكون دوآء للبدن فى وقت ثم قد يكون دآء فى وقت آخر كذلك الاعمال قد تكون مصلحة فى وقت ومفسدة
فى وقت وقس عليه حال المرشد والمسترشد فان التربية على القاعدة التسليكية بحسب احوال المشارب

ولا يلقاها من المرشدين الا ذو حظ عظيم (قال فى المثنوى) رمز ننسخ آية او ننسها * نأت خيرا درعقب
مى دان مها * هر شريعت را كه حق منسوخ كرد * او گيا برد وعوض آورده ورد *
اندرين شهر حوادث ميراوست * در ممالك مالك تدبير اوست * آنكه داند دوخت او داند دريد *
هرچه را بفروخت نيكوتر خريد (الم تعلم) الخطاب للنبى عليه السلام ومعنى الاستفهام تقرير اى انك تعلم
(ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير (الم تعلم) وخصه عليه السلام
بالخطاب مع ان غيره داخل فى الخطاب ايضا حقيقة بناء على ان المقصود من الخطاب تقرير علم المخاطب
بما ذكر ولا احد من البشر اعلم بذلك منه عليه السلام اذ قد وقف من اسرار ملكوت السموات والارض
على ما لا يطلع عليه غيره وعلم غيره بالنسبة الى علمه عليه السلام ملحق بالعدم لان علم الاولياء من علم الانبياء
بمنزلة قطرة من سبعة ابحر وعلم الانبياء من علم نبينا محمد عليه السلام بهذه المنزلة وعلم نبينا من علم الحق سبحانه
بهذه المنزلة (ان الله له ملك السموات والارض) فيفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على
كل شئ قدير والملك تمام القدرة واستحكامها وتخصيص السموات والارض بالذكر وان كان الله تعالى له ملك
الدنيا والاخرة جميعا لكونهما اعظم المصنوعات واعجبها شانا (وما لكم) ايها المؤمنون (من دون الله)
اى سوى الله وهو فى حيز النصب على الحالية من الولى لانه فى الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا (من)
زآئدة للاستغراق (ولى) قريب وصديق وقيل وال وهو القيم بالامور (ولا نصير) اى معين ومانع والفرق بين
الولى والنصير ان الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور والمقصود التسكين لقلوب
المؤمنين بان الله وليهم وناصرهم دون غيره فلا يجوز الاعتماد الا عليه ولا يصح الالتجاء الا اليه والمعنى ان قضية
العلم بما ذكر من الامور الثلاثة وهو العلم بان الله على كل شئ قدير والعلم بان الله له ملك السموات والارض والعلم
بان ليس لهم من دون الله من ولى ولا نصير هو الجزم والايقان بانه تعالى لا يفعل بهم فى امر من امور دينهم
او دنياهم الا ما هو خير لهم والعمل بموجبه من الثقة والتوكل عليه وتفويض الامر اليه من غير اصغاء
الى اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التى من جملتها ما قالوا فى امر النسخ (ام تريدون) ام معادلة للهمزة فى الم تعلم
اى الم تعلموا انه مالك الامور وقادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت
اليهود على موسى عليه السلام والمراد توصية المسلمين بالثقة به وترك الاقتراح عليه وهو المفاجأة بالسؤال من غير
روية وفكر (ان تسألوا) وانتم مؤمنون (رسولكم) وهو فى تلك الرتبة من علو الشأن وتقترحوا عليه ما تشتهون
غير واثقين بامور كم بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤنه تعالى قيل لعلهم كانوا يطلبون منه
عليه السلام بيان تفاصيل الحكم الداعية الى النسخ (كما سئل موسى) مصدر تشبيهى اى نعت لمصدر مؤكد
محذوف وما مصدرية اى سؤالا مشبها بسؤال موسى عليه السلام حيث قيل له اجعل لنا الها وارنا الله جهرة
وغير ذلك (من قبل) اى من قبل محمد صلى الله عليه وسلم متعلق بسئل جئ به للتأكيد (ومن يتبدل الكفر)
اى يختره ويأخذه لنفسه (بالايمان) بمقابلته بدلا منه وحاصله ومن يترك الثقة بالآيات البينة المنزلة بحسب
المصالح التى من جملتها الايات الناسخة التى هى خير محض وحق بحت واقترح غيرها (فقد ضل) اى عدل وجار
من حيث لا يدرى (سوآء السبيل) عن الطريق المستقيم الموصل الى معالم الحق والهدى وتاه فى تيه الهوى
وتردى فى مهاوى الردى وسوآء السبيل وسط الطريق السوى الذى هو بين الغلو والتقصير وهو الحق واكثر
المفسرين على ان سبب نزول الاية ان اليهود قالوا يا محمد ائتنا بكتاب الله جملة كما جاء موسى بالتوراة جملة فنزلت
كما قال يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء الى قوله جهرة فالمخاطبون بقوله ام تريدون هم اليهود
واضافة الرسول اليهم فى قوله رسولكم باعتبار انهم من امة الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالايمان ترك صرف قدرتهم
اليه مع تمكنهم من ذلك وايثارهم للكفر عليه قال الامام وهذا اصح لان الاية مدنية ولان هذه السورة من اول
قوله يا بنى اسرآئيل اذكروا نعمتى حكاية عنهم ومحاجة معهم وفى الاية اشارة الى حفظ الاداب فمن لم يتأدب
بين يدى مولاه ورسوله وخلفائه فقد تعرض للكفر وحقيقة الادب اجتماع خصال الخير وعن النبى عليه السلام
قال حق الولد على والده ان يحسن اسمه ويحسن مرضعه ويحسن ادبه فانه مسؤل عنه يوم القيامة ومؤاخذ
بالتقصير فيه قال فى بستان العارفين مثل الايمان مثل بلدة لها خمسة من الحصون الاول من ذهب والثانى

من فضة والثالث من حديد والرابع من حجر كل والخامس من لبن فادام اهل الحصن يتعاهدون الحصن
الذى من اللبن فالعدو لا يطمع فيهم فاذا تركوا التعاهد حتى خرب الحصن الاول طمع فى الثانى ثم فى الثالث
حتى خرب الحصون كلها فكذلك الايمان فى خمسة من الحصون اولها اليقين ثم الاخلاص ثم اداء الفرآئض
ثم اتمام السنن ثم حفظ الادب فادام يحفظ الادب ويتعاهد فان الشيطان لا يطمع فيه فاذا ترك الادب طمع
فى السنن ثم فى الفرآئض ثم فى الاخلاص ثم فى اليقين وينبغى ان يحفظ الادب فى جميع اموره من امر الوضوء
والصلاة والبيع والشرآء والصحبة وغير ذلك واعلم ان الشريعة هى الاحكام والطريقة هى الادب وانما رد
من رد لعدم رعاية الادب كابليس وغيره من المردودين كما قيل بى ادب مردكى شود مهتر * كرچه اورا
جلالت نسبت * باادب باش تابزرك شوى * كه بزركى نتيجهٔ ادبست * وسئل ابن سيرين اى
الادب اقرب الى الله فقال معرفة ربوبيته وعمل بطاعته والحمد لله على السرآء والصبر على الضرآء انتهى كلامه
(ودّ كثير من اهل الكتاب) هم رهط من احبار اليهود وروى ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا
من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر رضى الله عنهما بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على
الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد
فيكم قالوا شديد قال فانى قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما عمار فقد صبأ اى خرج
عن ديننا بحيث لا يرجى منه الرجوع اليه ابدا فكيف انت يا حذيفة الا تبايعنا قال حذيفة رضيت بالله ربا
وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا فقالوا واله موسى لقد اشرب
فى قلوبكما حب محمد ثم اتيا رسول الله عليه السلام واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما والمعنى احب واراد كثير
من اليهود (لو يردونكم) اى ان يردوكم فان لو من الحروف المصدرية اذا جاءت بعد فعل يفهم منه معنى التمنى نحو
قوله تعالى ودوا لو تدهن اى ان يصرفوكم عن التوحيد (من بعد ايمانكم) يا معشر المؤمنين (كفارا) اى
مرتدين حال من ضمير المخاطبين فى يردونكم ويحتمل ان يكون مفعولا ثانيا ليردونكم على تضمينه معنى يصيرونكم
(حسدا) علة لقوله ودّ كانه قيل ودّ كثير ذلك من اجل الحسد (من عند انفسهم) يجوز ان يتعلق بودّ على معنى
انهم تمنوا ارتدادكم من عند انفسهم وقبل شهوتهم وهواهم لا من قبل التدين والميل مع الحق ولو على زعمهم
لانهم ودوا ذلك فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق ويجوز ان يتعلق بحسدا اى حسدا منبعثا من اصل نفوسهم
بالغا اقصى مراتبه (من بعد ما تبين لهم الحق) اى من بعد ما ظهر لهم ان محمدا رسول الله وقوله حق ودينه حق
بالمعجزات والنعوت المذكورة فى التوراة (فاعفوا) العفو ترك عقوبة المذنب يقال عفت الريح المنزل درسته
وعفا المنزل بعفو درس يتعدى ولا يتعدى ومن ترك المذنب فكانه درس ذنبه من حيث انه ترك المكافأة والمجازاة
وذلك لا يستلزم الصفح ولذا قال تعالى (واصفحوا) فانه قد يعفو الانسان ولا يصفح والصفح ترك التقريع باللسان
والاستقصاء فى اللوم يقال صفحت عن فلان اذا اعرضت عن ذنبه بالكلية وقد ضربت عنه صفحا اذا اعرضت
عنه وتركته وليس المراد بالعفو والصفح المأمور بهما الرضى بما فعلوا لان ذلك كفر والله تعالى لا يأمر به بل المراد
بهما ترك المقاتلة والاعراض عن الجواب عن مساوى كلامهم (حتى يأتى الله بامره) اى بحكمه الله بحكمه الذى
هو الاذن فى قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير روى ان الصحابة رضى الله عنهم
استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ان يقتلوا هؤلاء اليهود الذين كفروا بانفسهم ودعوا المسلمين الى الكفر
فنزلت الاية بترك القتال والاعراض عن المكافأة الى ان يجيء الاذن من الله تعالى (ان الله على كل شىء قدير)
فيقدر على الانتقام منهم وينتقم اذا جاء اوانه (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) عطف على فاعفوا كانه امرهم
بالصبر والمخالفة واللجأ الى الله تعالى بالعبادة والبر فالمراد الامر بملازمة طاعة الله تعالى من الفرآئض
والواجبات والتطوعات بقرينة قوله (وما تقدموا لانفسكم من خير) فان الخير يتناول اعمال البر كلها الا انه تعالى
خص من بينها اقام الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر تنبيها على عظم شأنهما وعلو قدرهما عند الله تعالى فان الصلاة
قربة بدنية ليكون عمل كل عضو شكرا لما انعم الله عليه فى ذلك والزكاة قربة مالية ليكون شكرا للاغنياء الذين
فضلهم الله فى الدنيا بالاستمتاع بلذيذ العيش بسبب سعتهم فى صنوف الاعمال وما تقدموا شرطية اى اى شىء
من الخيرات صلاة او صدقة او غيرهما تقدموه وتسلفوه لمصلحة انفسكم (تجدوه) اى ثوابه وجزآءه لا عينه لان

عين تلك الاعمال لا تبقى ولان وجدان عينها لا يرغب فيه (عند الله) اى محفوظا عنده فى الاخرة فتجدوا الثمرة
واللقمة فيها مثل احد ولفظ التقديم اشارة الى ان المقصود الاصلى والحكمة الكلية فى جميع ما انعم الله تعالى به
على المكلفين فى الدنيا ان يقدموه الى معادهم ويدخروه ليومهم الآجل كما جاء فى الحديث ان العبد اذا مات قال
الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم (ان الله بما تعملون بصير) اى عالم لا يخفى عليه القليل ولا الكثير
من الاعمال والعمل غير مقيد بالخير او الشر فهو عام شامل للترغيب والترهيب فالترغيب من حيث انه يدل على
انه تعالى يجازى على القليل من الخير كما يجازى على الكثير والترهيب من حيث انه يجازى على القليل والكثير
من الشر ايضا فلا يضيع عنده عمل عامل وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انه مر ببقيع الغرقد فقال
السلام عليكم اهل القبور اخبار ما عندنا ان نساءكم قد تزوجن ودوركم قد سكنت واموالكم قد قسمت فاجابه
هاتف يا ابن الخطاب اخبار ما عندنا ان ما قدمناه وجدناه وما انفقناه فقد ربحناه وما خلفناه فقد خسرناه ولقد
احسن القائل

قدم لنفسك قبل موتك صالحا * واعمل فليس الى الخلود سبيل

(قال السعدى) تو غافل در انديشهٔ سود ومال * كه سرمايهٔ عمر شد پايمال * غبار هوا چشم عقلت
بدوخت * سموم هوا كشت عمرت بسوخت * بكن سرمهٔ غفلت از چشم پاك * كه فردا شوى
سرمه در چشم خاك * اعلم ان الانسان اذا مات انقطع عنه عمله الا ان يبقى بعده واحد من الاولاد الاربعة التى
لا ينقطع اجرها الاول ما يتولد من مال الانسان كبناء المساجد والجسور والرباط والاوقاف وغير ذلك من
الخيرات (كما قال السعدى فى البستان) از ان كس كه خيرى بماند روان * دمادم رسد رحمتش بر روان *
نمرد آنكه ماند پس از وى بجاى * پل ومسجد وخان ومهمان سراى * هر آن كو نماند از پسش يادكار *
درخت وجودش نياورد بار * وكر رفت وآثار خيرش نماند * نشايد پس مرك الحمد خواند * والى هذا اشار
عليه السلام بقوله من صدقة جارية فى حديث اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاثة والثانى ما يتولد
من العقل الراجح كالعلم المنتفع به واليه الاشارة بقوله عليه السلام او علم ينتفع به قيل هو الاحكام المستنبطة من
النصوص والظاهر انه عام متناول ما خلفه من تصنيف او تعليم فى العلوم الشرعية وما يحتاج اليه فى تعلمها قيد
العلم بالمنتفع به لان ما لا ينتفع به لا يثمر اجرا كما ان كتم ما ينتفع به لا يثمر اجرا بل اثما وعذابا كما ورد فى الحديث من
كتم علما يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار قال الامام السخاوى يشمل هذا الوعيد حبس الكتب عمن يطلبها
للانتفاع بها والثالث ما يتولد من النفس كالبنين والبنات واليه الاشارة بقوله عليه السلام او ولد صالح يدعو له
قيد عليه السلام بالصالح لان الاجر لا يحصل من غيره واما الوزر فلا يلحق بالاب من سيئة ولده اذا كان نيته
فى تحصيله الخير وانما ذكر الدعاء له تحريضا للولد على الدعاء لابيه لا لانه قيد لان الاجر يحصل للوالد من ولده الصالح
كلما عمل عملا صالحا سوآء دعا لابيه اولا كمن غرس شجرة يحصل له من اكل ثمرتها ثواب سوآء دعا له من اكلها اولم
يدع وكذلك الام فان قلت ما التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله عليه السلام من سن فى الاسلام سنة حسنة
فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة وقوله عليه السلام من مات يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه
ينمو له عمله الى يوم القيامة قلنا السنة المسنونة من جملة العلم المنتفع به ومعنى حديث المرابط ان ثواب عمله الذى
قدمه فى حياته ينمو له الى يوم القيامة اما الثلاثة المذكورة فى الحديث فانها اعمال تحدث بعد وفاته لا تنقطع عنه
لانه سبب لها فيلحقه منها ثواب والرابع ما يتولد من الروح وهى الاولاد المعنوية التى تولدت من التربية كاولاد
المشايخ الكاملين من الصوفية المتشرعين المحققين وهذا القسم يمكن ان يندرج فيما قبله فافهم (وقالوا) نزلت فى
وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا فى مجلس رسول الله عليه السلام مع اليهود فكذب بعضهم بعضا فقالت اليهود
لبنى نجران لن يدخل الجنة الا اليهود وقال بنو نجران لليهود لن يدخلها الا النصارى فقال الله قال اهل الكتاب
من اليهود والنصارى (لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى) لم يقل كانوا حملا للاسم على لفظ من وجمع
الخبر حملا على معناه والهود جمع هائد اى تائب نحو انا هدنا اليك وكانه كان فى الاصل اسم مدح لمن تاب منهم
من عبادة العجل ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازما لجماعتهم كالعلم لهم والنصارى جمع نصران كسكران (تلك) اى
ما قالوا بان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى (امانيهم) اى شهواتهم الفاسدة التى تمنوها على الله بغير

الحق لا حقيقة لها جمع امنية وهى ما يتمنى افعولة كالاعجوبة والتمنى التشهى والعرب تسمى الكلام العارى عن
الجنة تمنيا وغرورا وضلالا واحلاما مجازا وجمع الامانى باعتبار صدوره عن الجميع من اليهود والنصارى ثم اومأ
الله الى بطلان اقوالهم بقوله لنبيه عليه السلام (قل هاتوا) اصله آتوا قلبت الهمزة هاء وهو امر تعجيزى اى احضروا
(برهانكم) حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ولم يقل براهينكم لان الدعوى كانت واحدة وهى نفى دخول
غيرهم الجنة والحجة على تلك الدعوى واحدة (ان كنتم صادقين) فى دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت
(بلى) اعلم ان قولهم لن يدخل الجنة الخ مشتمل على ايجاب ونفى اما الايجاب فهو ان يدخل الجنة اليهود
والنصارى واما النفى فهو ان لا يدخل الجنة غيرهم فقوله بلى اثبات لما نفوه فى كلامهم فكانهم قالوا لا يدخل
الجنة غيرنا فاجيبوا بقوله بلى يدخل الجنة غيركم وليس الامر كما تزعمون (من اسلم وجهه لله) اى اخلص نفسه له
تعالى لا يشرك به شيأ فان اسلام شئ لشئ جعله سالما له بان لا يكون لاحد حق فيه لا من حيث التخليق
والمالكية ولا من حيث استحقاق العبادة والتعظيم عبر عنها بالوجه لكونه اشرف الاعضاء من حيث انه معدن
الحواس والفكر والتخيل فهو مجاز من باب ذكر الجزء وارادة الكل ومنه قولهم كرم الله وجهك ويحتمل ان يكون
اخلاص الوجه كناية عن اخلاص الذات لان من جاد بوجهه لا يبخل بشئ من جوارحه ويكون الوجه بمعنى
العضو المخصوص (وهو محسن) حال من ضمير اسلم اى وهو مع اخلاصه وتسليم النفس الى الله بالكلية
بالخضوع والانقياد محسن فى جميع اعماله بان يعملها على وجهة يستصوبها فان اخلاصها لله لا يستلزم كونها
مستحسنة بحسب الشرع وحقيقة الاحسان والاتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفى التابع
لحسنه الذاتى وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهذا المعنى
حقيقة الايمان وظاهره الاحسان واما باطنه فرتبة كنت سمعه وبصره التى هى نتيجة قرب النوافل وهو كون
ذات الحق ووجوده مرآة لصفات العبد ومظهرا لاحواله واما قرب الفرائض فهو المصرح فى قوله قال الله
تعالى على لسان عبده سمع الله لمن حمده وهو كون صفات العبد واحواله مرآة لذات الحق ومظهرا لوجوده
وباعتبار قرب النوافل كان الظاهر والمرئى والمشهود هو العبد وباعتبار قرب الفرائض هو الحق (فله اجره)
ثوابه الذى وعد له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة وتصويره بصورة الاجر للايذان بقوة ارتباطه بالعمل
واستحالة نيله بدونه (عند ربه) اى حال كون ذلك الاجر ثابتا عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه الى كماله لا يضيع
ولا ينقص والعندية للتشريف والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء لتضمنها
معنى الشرط (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فى الآخرة عند دخول الجنة كما قال تعالى خبرا عن اهل الجنة
الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن واما فى الدنيا فانهم يخافون من ان يصيبوا الشدائد والاهوال العظام قدامهم
ويحزنون على ما فاتهم من الاعمال الصالحة والطاعات المؤدية الى الفوز بانواع السعادات فان المؤمن كما لا يقنط
من رحمة الله لا يأمن من غضبه وعقابه كما قيل لا يجتمع خوفان ولا امنان فمن خاف فى الدنيا امن فى الآخرة
حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب فان الخوف انما يكون
مما يتوقع فى المستقبل كما ان الحزن انما يكون على ما وقع سابقا ومن أمن فى الدنيا خاف فى الآخرة (قال فى المثنوى

لا تخافوا هست نزل خائفان ✻ هست درخور از براى خائف آن ✻ هر كه ترسد مر ورا ايمن كنند ✻
مر دل ترسنده را ساكن كنند ✻ آنكه خوفش نيست چون گويى مترس ✻ درس چه دهى نيست
او محتاج درس

(وقالت اليهود) بيان لتضليل كل فريق من اليهود والنصارى صاحبه بخصوصه اثر بيان
تضليله كل من عداه على وجه العموم (ليست النصارى على شئ) اى على امر يصح ويعتد به (وقالت النصارى
ليست اليهود على شئ وهم) اى قالوا ما قالوا والحال ان كل فريق منهم (يتلون الكتاب) اللام للجنس اى انهم
من اهل العلم والكتاب والتلاوة للكتب وحق من تلا كتابا من كتب الله تعالى وآمن به ان لا يكفر بالباقى
لان كل واحد من كتب الله يصدق ما عداه (كذلك) اى مثل ذلك القول الذى سمعت به من هؤلاء العلماء الضالة
على ان الكاف فى موضع النصب على انه مفعول قال (قال الذين لا يعلمون) من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم
من الجهلة اى قالوا لاهل كل دين ليسوا على شئ (مثل قولهم) بدل من محل الكاف وفيه توبيخ عظيم حيث
نظموا انفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم اصلا (فالله يحكم بينهم) بين الفريقين (يوم القيامة فيما كانوا فيه)

متعلق بيختلفون قدم للمحافظة على رؤس الآى (يختلفون) من امر الدين فان قلت بم يحكم قلت بما يقسم
لكل فريق مما يليق به من العقاب وفعل الحكم يتعدى بجار بن الباء وفى كما يقال حكم الحاكم فى هذه القضية
بكذا وفى الآية قد ذكر المحكوم فيه دون المحكوم به واعلم ان كل حزب بما لديهم فرحون وليس ذلك فى الفرق
الضالة خاصة بل ذلك يجرى بين صوفى وصوفى وشيخ وشيخ وعالم وعالم فتخطئة كل فريق صاحبه مستمرة والاولى
ان يتبع الهدى قال بعض المشايخ من ادعى انه صاحب قلب وارشاد بدون تزكية النفس ومعرفة المبدأ والمعاد
لاجل الدنيا الدنية كان عذابه اضعاف عذاب النساء اللاتى رآهن النبى عليه السلام ليلة المعراج يقطعن
صدورهن بمقاريض فسأل جبريل فقال انهن الزوانى من النساء اللاتى جئن باولاد من الزنى فالدعوى باطلة
بدون الدليل وصاحبها ضال مضل والمدعى كالزانية والتابع له على هواه كولد الزنى فان ولد الزنى هالك حكما
لعدم المربى والاتباع بمبتدع لا ينتج الا البدعة والالحاد وحكى عن الشيخ صدر الدين التبريزى انه قال كان رجل
مشهور فى تبريز يقال له عارف قدم يوما الى مجلس بعض العارفين فقال له ما اسمك قال محمود ولكن يقال لى عارف
قال له هل عرفت ذاتك حتى قيل لك عارف فقال قرأت كتبا كثيرة من مقالات المشايخ والصوفية قال له ذلك
كلامهم فمالك

بپر خويش بايد كرد پرواز ✻ ببال ديكران نتوان پريدن ✻

فمجرد النسخة لا يفيد
بدون العمل بما فيها والتحقق بحقائقها وهذا كما ان تاجرا اذا وصل له كتاب من عبده المأذون فى التجارة انى اشتريت
كذا وكذا واخبر سيده ما وقع تفصيلا فبمجرد هذا الكتاب لا يقدر السيد ان يتجر بدون ان يصل اليه ما اشتراه
العبد من السلعة فلو ادخل جماعة من المشترين فى داره ليبيع متاعه لا يجد الا الخجالة لان المحل الذى يعرض
السلعة فيه على المشترين لا يفيده مجرد النسخة وقراءتها (قال فى المثنوى)

مرغ بر بالا پران وسايه اش ✻
مى دود بر خاك پران مرغ وش ✻ ابلهى صياد آن سايه شود ✻ مى دود چندانكه بى مايه شود ✻
بى خبر كان عكس ان مرغ هواست ✻ بى خبر كه اصل آن سايه كجاست ✻ تير اندازى بسوى سايه او ✻
تركشش خالى شود از جست وجو ✻ تركش عمرش تهى شد عمر رفت ✻ از دويدن در شكار سايه تفت ✻
سايه يزدان چو باشد دايه اش ✻ وارهاند از خيال وسايه اش ✻

(ومن اظلم) سبب النزول ان ططيوس الرومى
ملك النصارى واصحابه غزوا بنى اسرائيل فقتلوا مقاتليهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التوراة وخربوا بيت
المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه اهل الاسلام فى ايام عمر بن الخطاب
رضى الله عنه وذلك لما استولى عمر رضى الله عنه على ولاية كسرى وغنم اموالهم عمر بها بيت المقدس ثم صار
فى ايدى النصارى من الافرنج اكثر من مائة سنة حتى فتحه واستخلصه الملك الناصر صلاح الدين من آل ايوب
سنة خمسمائة وخمس وثمانين بعد الهجرة ومن فى الاصل كلمة استفهام وهى ههنا بمعنى النفى اى لا احد اظلم
(ممن منع مساجد الله) المراد بيت المقدس وصيغة الجمع لكون حكم الآية عاما لكل من فعل ذلك فى اى مسجد
كان كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين لانه لا عبرة لخصوص السبب (ان يذكر
فيها اسمه) ثانى مفعولى منع فانه يقتضى ممنوعا وممنوعا عنه فتارة يتعدى اليهما بنفسه كما فى قولك منعته الامر
وتارة يتعدى الى الاول بنفسه والى الثانى بحرف الجر وهو كلمة عن او من مذكورة كانت كما فى قولك منعته
من الامر او محذوفة كما فى الآية اى من ان يسبح ويقدس ويصلى له فيها (وسعى) اى عمل (فى خرابها) بالهدم
والخراب اسم للتخريب كالسلام اسم للتسليم واصله الثلم والتفريق (اولئك) المانعون (ما كان لهم
ان يدخلوها الا خائفين) اى ما كان ينبغى لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على
تخريبها (لهم فى الدنيا خزى) اى خزى فظيع لا يوصف كالقتل والسبى فى حق اهل الحرب والاذلال بضرب
الجزية فى حق اهل الذمة او هو فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم)
وهو عذاب النار الذى لا ينقطع لما ان سببه ايضا وهو ما حكى من ظلمهم كذلك فى العظم وقيل نزلت الآية
فى مشركى العرب الذين منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء الى الله تعالى بمكة والجؤه الى الهجرة
فصاروا بذلك مانعين له عليه السلام ولاصحابه ان يذكروا الله فى المسجد الحرام وايضا انهم صدوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه عن المسجد الحرام حين ذهب اليه من المدينة عام الحديبية وهى السنة السادسة
من الهجرة والحديبية موضع على طريق مكة فعلى هذا يكون المسجد الذى نزلت الآية فيه المسجد الحرام

فالمراد بالخراب فى قوله وسعى فى خرابها تعطيلهم المسجد الحرام عن الذكر والعبادة دون تخريبه وهدمه حقيقة
وجعل تعطيل المسجد عنهما تخريبا له لان المقصود من بنائه انما هو الذكر والعبادة فيه فما دام لم يترتب عليه
هذا المقصود من بنائه صار كانه هدم وخرب اولم يبن من اصله فان عمارة المسجد كما تكون ببنائه واصلاحه تكون
ايضا بحضوره ولزومه يقال فلان يعمر مسجد فلان اذا كان يحضره ويلزمه ويقال لسكان السموات
من الملائكة عمارها قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وذلك
لقوله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله فجعل حضور المساجد عمارة لها قال على رضى الله عنه
ست من المروءة ثلاث فى الحضر وثلاث فى السفر فاما اللاتى فى الحضر فتلاوة كتاب الله تعالى وعمارة مسجد الله
واتخاذ الاخوان فى الله واما اللاتى فى السفر فبذل الزاد وحسن الخلق والمزاح فى غير معاصى الله
وعد من علامات الساعة تطويل المنارات وتفتيش المساجد وتزيينها وتخريبها عن ذكر الله تعالى فتعطيل
المساجد عن الصلاة والتلاوة واظهار شعائر الاسلام اقبح سيئة لاسيما اذا اقترن بفتح ابواب بيوت الخمر واغلاق
ابواب الكتاب وغير ذلك ولقد شوهد هذا فى اكثر البلاد الرومية فى هذا الزمان فلنبك على غربة الدين
ايها الاخوان قال القشيرى رحمه الله ومن اظلم ممن خرب بالشهوات اوطان العبادات وهى نفوس العابدين
وخرب بالمنى والعلامات اوطان المعرفة وهى قلوب العارفين وخرب بالحظوظ والمساكنات اوطان المحبة
وهى ارواح الواجدين وخرب بالالتفات الى القربات اوطان المشاهدات وهى اوطان الموحدين ثم فى الاية
اشارة الى شرف بيت المقدس والمسجد الحرام وفى الحديث من زار بيت المقدس محتسبا اعطاه الله ثواب الف
شهيد وحرم الله جسده على النار ومن زار عالما فكانما زار بيت المقدس كذا فى مشكاة الانوار وذكر فى القنية
ان اعظم المساجد حرمة المسجد الحرام ثم مسجد المدينة ثم مسجد بيت المقدس ثم الجوامع ثم مساجد المحال
ثم مساجد الشوارع فانها اخف مرتبة حتى لا يعتكف فيها اذا لم يكن لها امام معلوم ومؤذن ثم مساجد
البيوت فانه لا يجوز الاعتكاف فيها الا للنساء انتهى قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى لا مقام اشرف
من الجامع الكبير ببروسه بعد الكعبة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف وقال كان هو موضع بيت عجوز
آمنت بنوح النبى عليه السلام فحفظها الله من الطوفان فى ذلك البيت حين لم تدرك السفينة هكذا ظهر لبعض
اهل الله بطريق الكشف ومن اشتغل فيه صانه الله من طوفان الغفلة وقال ايضا الاشتغال فى مكة يوما يقوم
مقام الاشتغال فى سائر البلاد سنة بشرط رعاية آدابها قال وفى بلادنا للشغل موضعان احدهما جامع السيد
البخارى ببلدة بروسه والاخر مقام ابى ايوب الانصارى بقسطنطينية عابدان اندر نماز وعارفان اندر نياز *
عاشقان ازشوق وصل يار در سوز وگداز * اللهم اجعلنا من المشغولين بك (ولله المشرق والمغرب) يريد بهما
ناحيتى الارض اذ لا وجه لارادة موضعى الشروق والغروب بخصوصهما اى له الارض كلها لا يختص به
من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان منها دون مكان فان منعتم ان تصلوا فى المسجد
الحرام اوالاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا (فاينما تولوا) اى ففى اى مكان فعلتم تولية وجوهكم القبلة
قال الامام ولى اذا اقبل وولى اذا ادبر وهو من الاضداد والمراد ههنا الاقبال (فثم وجه الله) اى هناك جهته
التى امر بها ورضيها قبلة فان امكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد اومكان دون آخر اوفثمة ذاته بمعنى
الحضور العلمى فيكون الوجه مجازا من قبيل اطلاق اسم الجزء على الكل والمعنى ففى اى مكان فعلتم التولية
فهو موجود فيه يمكنكم الوصول اليه اذ ليس هو جوهرا اوعرضا حتى يكون بكونه فى جانب مفرغا جانبا
ولما امتنع عليه ان يكون فى مكان اريد ان علمه محيط بما يكون فى جميع الاماكن والنواحى اى فهو عالم بما يفعل
فيه ومثيب لكم على ذلك وفى الحديث لو انكم دليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على الله معناه ان علم الله
شمل جميع الاقطار فالتقدير لهبط على علم الله والله تعالى منزه عن الحلول فى الاماكن لانه كان قبل ان يحدث
الاماكن كذا فى المقاصد الحسنة واعلم ان اين شرط فى الامكنة وهو ههنا منصوب بتولوا وما مزيدة للتأكيد
وثم ظرف مكان بمنزلة هنالك تقول لما قرب من المكان هنا ولما بعد ثم وهنالك وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدأ
والجملة فى محل الجزم على انها جواب الشرط (ان الله واسع) باحاطته بالاشياء ملكا وخلقا فيكون تذييلا لقوله
ولله المشرق والمغرب وكذا ان فسرت السعة بسعة الرحمة فان قوله ولله المشرق والمغرب لما اشتمل على معنى

قولنا لا تختص العبادة والصلاة ببعض المساجد بل الارض كلها مسجد لكم فصلوا فى اى بقعة شئتم من بقاعها
فهم منه انه واسع الشريعة بالترخيص والتوسعة على عباده فى دينهم لا يضطرهم الى ما يعجزون عن ادائه
والمقصود التوسعة على عباده والتيسير عليهم فى كل ما يحتاجون اليه فيدخل فيه التوسعة فى امر القبلة
دخولا اوليا وهذا التعميم مستفاد من اطلاق واسع حيث لم يقيد بشئ دون شئ قال الغزالى فى شرح الاسماء
الحسنى الواسع مشتق من السعة والسعة تضاف مرة الى العلم اذا اتسع واحاط بالمعلومات الكثيرة وتضاف
اخرى الى الاحسان وبسط النعم وكيف ما قدر وعلى اى شئ نزل فالواسع المطلق هو الله تعالى لانه ان نظر
الى علمه فلا ساحل لبحر معلوماته بل تنفد البحار لو كانت مدادا لكلماته وان نظر الى احسانه ونعمه فلا نهاية
لمقدوراته وكل سعة وان عظمت فتنتهى الى طرف والذى لا يتناهى الى طرف فهو احق باسم السعة والله تعالى
هو الواسع المطلق لان كل واسع بالاضافة الى ما هو اوسع منه ضيق وكل سعة تنتهى الى طرف فالزيادة عليها
متصورة وما لا نهاية له ولا طرف فلا يتصور عليه زيادة سعة العبد فى معارفه واخلاقه فان كثرت علومه
فهو واسع بقدر سعة علمه وان اتسعت اخلاقه حتى لم يضيقها خوف الفقر وغيظ الحسود وغلبة الحرص وسائر
الصفات المذمومة فهو واسع وكل ذلك فهو الى نهاية وانما الواسع الحق هو الله تعالى (قال فى المثنوى)
اى سگ گرگين زشت از حرص وجوش * پوستين شير را برخود مپوش * غرهٔ شيرت بخواهد امتحان *
نقش شير وانگه اخلاق سگان (عليم) بمصالحهم واعمالهم كلها وهذا لا يخلو عن افادة التهديد ليكون
المصلى على حذر من التفريط والتساهل كما انه يتضمن الوعد بتوفية ثواب المصلين فى جميع الاماكن فقد ظهر ان
هذه الاية مرتبطة بقوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله الاية وان المعنى ان بلاد الله ايها المؤمنون تسعكم
فلا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله ان تولوا وجوهكم نحو قبلة الله اينما كنتم من ارضه وقال مجاهد
والحسن لما نزل وقال ربكم ادعونى استجب لكم قالوا اين ندعوه فانزل الله ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا
فثم وجه الله بلا جهة وتحيز ان قيل ما معنى رفع الايدى الى السماء عند الدعاء مع انه تعالى منزه عن الجهة
والمكان قلنا ان الانبياء والاولياء قاطبة فعلوا كذلك لا بمعنى ان الله فى مكان بل بمعنى ان خزائنه تعالى فى السماء
كما قال تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون وقال تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم
فالعرش مظهر لاستواء الصفة الرحمانية فرفع الايدى اذا الى السماء والنظر اليه وقت الدعاء بمنزلة ان يشير
سائل الى الخزينة السلطانية ثم يطلب من السلطان ان يعطى له عطاء من تلك الخزينة يروى ان امام الحرمين
رفع الله درجته فى الدارين نزل ببعض الاكابر ضيفا فاجتمع عنده العلماء والاكابر فقام واحد من اهل المجلس
فقال ما الدليل على تنزهه تعالى عن المكان وهو قال الرحمن على العرش استوى فقال الدليل عليه قول يونس
عليه السلام فى بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فتعجب منه الناظرون فالتمس صاحب
الضيافة بيانه فقال الامام ههنا فقير مديون بالف درهم أدّ عنه دينه حتى ابينه فقبل صاحب الضيافة دينه
فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذهب فى المعراج الى ما شاء الله من العلى قال لا احصى ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك ولما ابتلى يونس عليه السلام بالظلمات فى قعر البحر ببطن الحوت قال لا اله الا انت
سبحانك انى كنت من الظالمين فكل منهما خاطبه بقوله انت وهو خطاب الحضور فلو كان هو فى مكان لما صح
ذلك فدل ذلك على انه ليس فى مكان وفى الحديث لا تفضلونى على يونس بن متى فانه رأى فى بطن الحوت ما رأيته
فى اعلى العرش يشير عليه السلام بذلك الى ما وقع له وليونس عليه السلام من تجلى الذات وقيل نزلت الاية
لما طعن اليهود فى نسخ القبلة روى انه عليه السلام كان يصلى بمكة مع اصحابه الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة
امره الله ان يصلى نحو بيت المقدس ليكون اقرب الى تصديق اليهود فصلى نحوه ستة عشر شهرا وكان يقع
فى روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان
كما قال الله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها وذلك فى مسجد بنى سلمة فصلى الظهر
ولما صلى الركعتين نزل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام فتحول فى الصلاة فيسمى ذلك المسجد مسجد
القبلتين فلما تحولت القبلة انكر من انكر فكان هذا ابتلاء من الله تعالى كما قال تعالى وما جعلنا القبلة التى كنت
عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله اللهم اهدنا

وسددنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فللمؤمن حقا ان يعتصم بالله ويدور مع الامر الالهى
حيث يدور ويتبع الرسول ولا يتبع عقله العاجز وفهمه القاصر ويتعلم الادب من معدن الرسالة حيث لم يسأل
تحويل القبلة بل انتظر الى امر الله فاكرمه الله باعطاء مرامه وفضله على سائر الانبياء عليهم السلام
اعلم ان الذين شقت عليهم التحويلة طائفتان المحجوبون بالخلق عن الحق اما الطائفة الاولى فقد عرفت
ان التحويلة من الكعبة الى بيت المقدس كانت صورة العروج من مقام المكاشفة اعنى مقام القلب الى مقام
المشاهدة اعنى الروح فحسبوا التحويلة من بيت المقدس الى الكعبة بعدا بعد القرب ونزولا بعد العروج
وظنوا اضياع السعى الى المقام الاشرف والسقوط عن الرتبة فشق عليهم ولم يعلموا انه صورة الرجوع الى مقام
القلب حالة التمكين للدعوة ومشاهدة الجمع فى عين التفصيل والتفصيل فى عين الجمع حتى لا يحتجب العبد
بالوحدة عن الكثرة ولا بالكثرة عن الوحدة واما الطائفة الثانية فتقيدوا بصورة عملهم ولم يعرفوا حكمة التحويلة
فحسبوا صحة العبادة الثانية دون الاولى فشق عليهم ضياعها على ما توهموا واما الذين سبقت لهم من الله الحسنى
فلم يحتجبوا بحجاب واهتدوا الى ما هو الصواب فوصلوا الى التوحيد الذاتى المحمدى اللهم اجعلنا من المهتدين
واحشرنا مع الانبياء والمرسلين وقال اهل التأويل ولله المشرق والمغرب اى عالم النور والظهور الذى هو
جهة النصارى وقبلتهم بالحقيقة باطنه وعالم الظلمة والاختفاء الذى هو جهة اليهود وقبلتهم بالحقيقة ظاهره
فاينما تولوا اى اى جهة توجهوا من الظاهر والباطن فثم وجه الله اى ذاته المتجلية بجميع صفاته الجمالية
والجلالية اذ بعد الاشراق على قلوبكم بالظهور فيها والتجلى لها بصفة جماله حالة شهودكم وفنائكم فيه
والغروب فيها بتستره واحتجابه بصفة جلاله حالة بقائكم بعد الفناء فاى جهة توجهوا حينئذ فثم وجهه ليس
الا هو وحده (قال الحافظ) ميان كعبه وبتخانه هيچ فرقى نيست * بهر طرف كه نظر ميكنى
برابر اوست * واعلم ان شهود الحق بالخلق وشهود الخلق بالحق من غير احتجاب باحدهما عن الاخر
هو مقام جمع الجمع والبقاء وذلك لا يحصل الا بالتجلى العينى بعد العلمى قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده
افندى قدس سره واذا امر بالارشاد يعود لخدمة الحق الا يرى ان موسى عليه السلام لما وصل الى الطور
لاقتباس النار لاهله نودى يا موسى انى انا ربك فتجلى الربوبية اولا ثم قيل فاخلع نعليك وهما الطبيعة والنفس
امر بتركهما ثم قيل وانا اخترتك فاستمع لما يوحى اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى فتجلى الالوهية ثم بعدهما تجلى
الذات وامر بارشاد فرعون فترك اهله هنالك ولم يلتفت وجاء الى فرعون وكان دخوله بمصر فى نصف الليل فدق
باب فرعون بعصاه امتثالا لامر الله تعالى قيل انه شابت لحية فرعون فى ذلك الوقت بمهابة دقه فقال ا كنت
وليدا مربى عندنا قال موسى نعم ولذلك دعوتك قبل الكل لسبق حقك على رعايته له فارادوا قتله فالقى عصاه
فصارت ثعبانا مبينا عزم على ابتلاعهم فاستأمنوا فاعطاهم الامان وكان يريد ان يؤمن ولكنه منعه هامان
فبعد دعوة فرعون جاء الى اهله فوجدها قد وضعت الحمل فاحاطتها ذئاب من اطرافها لمحافظتها فلم يقدر ان يمر
من هنا مار فانظر الى قدرة الله تعالى وروى ان الامام الاعظم والهمام الاقدم رحمه الله لم يشتغل بالدعوة
الى مذهبه الا بالاشارة النبوية فى المنام بعد ما قصد الانزواء فهذا اعدل دليل الى وصوله الى الحقيقة وكان يقوم
كل الليل وسمع رحمه الله هاتفا فى الكعبة ان يا ابا حنيفة اخلصت خدمتى واحسنت معرفتى فقد غفرت لك
ولمن تبعك الى قيام الساعة كذا فى عين العلم للشيخ محمد البلخى رحمه الله وعن بعض العارفين قبلة البشر الكعبة
وقبلة اهل السماء البيت المعمور وقبلة الكروبيين الكرسى وقبلة حملة العرش العرش ومطلوب الكل وجه الله
سبحانه وتعالى (وقالوا) نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة
بنات الله فضمير قالوا راجع الى الفرق الثلاث المذكورة سابقا اما اليهود والنصارى فقد ذكروا صريحا
واما المشركون فقد ذكروا بقوله تعالى كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم اى قال اليهود والنصارى
ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون (اتخذ الله ولدا) الاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى
الا الى واحد واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف اى صير بعض مخلوقاته ولدا وادعى انه ولده لانه ولده
حقيقة وكما يستحيل عليه تعالى ان يلد حقيقة هكذا يستحيل عليه التبنى واتخاذ الولد فنزه الله تعالى نفسه
عما قالوا فى حقه فقال (سبحانه) تنزيه والاصل سبحه سبحانا على انه مصدر بمعنى التسبيح وهو التنزيه

اى منزه عن السبب المقتضى للولد وهو الاحتياج الى من يعينه فى حياته ويقوم مقامه بعد مماته وعما يقتضيه
الولد وهو التشبيه فان الولد لا يكون الا من جنس والده فكيف يكون للحق سبحانه ولد وهو لا يشبهه شئ
(قال فى المثنوى) لم يلد لم يولدست اوازقدم * نى پدر دارد نه فرزند ونه عم (بل له ما فى السموات والارض)
رد لما قالوه واستدلال على فساده فان الاضراب عن قول المبطلين معناه الرد والانكار وفى الوسيط بل اى ليس
الامر كما زعموا والمعنى انه خالق ما فى السموات والارض جميعا الذى يدخل فيه الملائكة وعزير والمسيح دخولا
اوليا فكان المستفاد من الدليل امتناع ان يكون شئ مما فى السموات والارض ولدا سواء كان ذلك ما زعموا
انه ولد له اولا (كل) ح اى كل ما فيهما كائنا ما كان من اولى العلم وغيرهم (له) اى لله سبحانه وتعالى (قانتون)
منقادون لا يمتنع شئ منهم على مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته
فلا يكون له ولد لانه من حق الولد ان يجانس والده وانما عبر عن جميع الموجودات اولا بما يعبر به عن غير ذوى
العلم وعبر عنه آخرا بما يختص بالعقلاء وهو لفظ قانتون تحقيرا لشأن العقلاء الذين جعلوه ولدا لله سبحانه
(بديع السموات والارض) اى هو مبدعهما على ان البديع بمعنى المبدع وهو الذى يبدع الاشياء اى يحدثها
او ينشئها على غير مثال سبق والابداع اختراع الشئ لا عن شئ دفعة اى من غير مادة ومدة وسمى صاحب الهوى
مبتدعا لما لم يسبقه احد من ارباب الشرع فى انشاء مثل ما فعلوه او المعنى بديع سمواته وارضه فعلى الاول
من ابدع والاضافة معنوية وعلى الثانى من بدع اذا كان على شكل فائق وحسن رائق والاضافة لفظية
وهو حجة اخرى لابطال مقالتهم الشنعاء تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله تعالى
مبدع الاشياء كلها على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ومن قدر على خلق السموات والارض
من غير شئ كيف لا يقدر على خلق عيسى من غير اب (واذا قضى امرا) اى اراد شيأ واصل القضاء الاحكام
اطلق على الارادة الالهية المتعلقة بوجود الشئ لايجابها اياه البتة (فانما يقول له كن فيكون) اى يحصل
فى الوجود سريعا من غير توقف ولا اباء كلاهما من كان التامة اى احدث فيحدث واعلم ان اهل السنة لا يرون
تعلق وجود الاشياء بهذا الامر وهو كن بل وجودها متعلق بخلقه وايجاده وتكوينه وهو صفة ازلية
وهذا الكلام عبارة عن سرعة حصول المخلوق بايجاده وكمال قدرته على ذلك لكن لا يتعلق علم احد بكيفية
تعلق القدرة بالمعدومات فيجب الامساك عن بحثها وكذا عن بحث كيفية وجود البارى وكيفية العذاب
بعد الموت وامثالها فانها من الغوامض ثم اعلم ان السبب فى هذه الضلالة وهى نسبة الولد الى الله والقول
بانه اتخذ ولدا ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون على البارى تعالى اسم الاب وعلى الكبير منهم اسم الاله
حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر وان الله تعالى هو الاب الاكبر وكانوا يريدون بذلك انه تعالى هو السبب الاول
فى وجود الانسان وان الاب هو السبب الاخير فى وجوده فان الاب هو معبود الابن من وجه اى مخدومه
ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة الطبيعية فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا
اى سواء قصد به معنى السببية او معنى الولادة الطبيعية حسما لمادة الفساد واتخاذ الحبيب او الخليل جائز من الله
تعالى لان المحبة تقع على غير جوهر المحب قالوا اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ولدتك وانت نبيى فخفف
النصارى التشديد الذى فى ولدتك لانه من التوليد وصحفوا بعض الحجام النبى بتقديم الباء على النون فقالوا
ولدتك وانت بنيى تعالى الله عما يقول الظالمون وقال تعالى يا احبارى ويا ابناء رسلى فغيره اليهود وقالوا يا احبائى
ويا ابنائى فكذبهم الله بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فالله سبحانه
منزه عن الحدود والجهات ومتعال عن الازواج والبنين والبنات ليس كمثله شئ فى الارض ولا فى السموات
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى كذبنى ابن آدم اى نسبنى الى الكذب ولم يكن له ذلك اى لم يكن
التكذيب لائقا به بل كان خطأ وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فزعم ان لا اقدر ان اعيده كما كان واما
شتمه اياى فقوله لى ولد فسبحانى ان اتخذ صاحبة او ولدا وانما كان هذا شتما لان التولد هو انفصال الجزء عن الكل
بحيث ينمو وهذا انما يكون فى المركب وكل مركب محتاج فان قلت قوله اتخذ الله تكذيب ايضا لانه تعالى
اخبر انه لا ولد له وقوله لن يعيدنا شتم ايضا لانه نسبة له الى العجز فلم خص احدهما بالشتم والاخر بالتكذيب
قلت نفى الاعادة نفى صفة كمال واتخاذ الولد اثبات صفة نقصان له والشتم افحش من التكذيب والكذب على الله

فوق الكذب على النبى عليه السلام وفى الحديث ان كذبا على ليس ككذب على احد يعنى الكذب على
النبى اعظم انواع الكذب سوى الكذب على الله لان الكذب على النبى يؤدى الى هدم قواعد الاسلام وافساد
الشريعة والاحكام من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار فعلى المؤمن ان يجتنب عن الزيغ والضلال
واشنع الفعال واسوء المقال وان يداوم على التوحيد فى الاسحار والاصال الى ان لا يبقى للشرك الخفى ايضا مجال
وفى الحديث لو يعلم الامير ماله فى ذكر الله لترك امارته ولو يعلم التاجر ماله فى ذكر الله لترك تجارته ولو ان ثواب
تسبيحة قسم على اهل الارض لاصاب كل واحد منهم عشرة اضعاف الدنيا وفى الحديث للمؤمنين حصون
ثلاثة ذكر الله وقراءة القرءآن والمسجد والمراد بالمسجد مصلاه سوآء كان فى بيته او فى الخارج ولابد من الصدق
والاخلاص حتى يظهر اثر التوحيد فى الملك والملكوت (قال فى المثنوى) هست تسبيحت بخار آب وكل *
مرغ جنت شد زنفخ صدق دل * اللهم اوصلنا الى اليقين وهي لنا مقاما من مقامات التمكين آمين (وقال الذين
لايعلمون) اى مشركوا العرب الجاهلون حقيقة او اهل الكتاب المتجاهلون ونفى عنهم العلم لعدم انتفاعهم
بعلمهم لان المقصود هو العمل (لولا يكلمنا الله) لولا هنا للتحضيض وحروف التحضيض اذا دخلت على الماضى
كان معناها التوبيخ واللوم على ترك الفعل بمعنى لم يفعله ومعناها فى المضارع تحضيض الفاعل على الفعل
والطلب له فى المضارع بمعنى الامر والمعنى هلا يكلمنا الله عيانا بانك رسوله كما يكلم الملائكة بلا واسطة او يرسل
الينا ملكا ويكلمنا بواسطة ذلك الملك انك رسوله كما كلم الانبياء عليهم السلام على هذا الوجه وهذا القول
من الجهلة استكبار يعنون به نحن عظماء كالملائكة والنبيين فلم اختصوا به دوننا (او) للتخيير (تأتينا آية) حجة
تدل على صدقك وهذا جحود منهم لان يكون ما اتاهم من القرءآن وسائر المعجزات آيات والجحود هو الانكار
مع العلم والعجب انهم عظموا انفسهم وهى احقر الاشياء واستهانوا بآيات الله وهى اعظمها (كذلك قال الذين
من قبلهم) من الامم الماضية (مثل قولهم) فقال اليهود لموسى عليه السلام ارنا الله جهرة ولن نصبر على طعام
واحد ونحوه وقال النصارى لعيسى عليه السلام هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ونحوه
وقوله كذلك قال مع قوله مثل قولهم على تشبيهين تشبيه المقول بالمقول فى المؤدى والمحصول وتشبيه القول
بالقول فى الصدور بلا روية بل بمجرد التشهى واتباع الهوى والاقتراح على سبيل التعنت والعناد لا على سبيل
الارشاد وقصد الجدوى والكاف فى كذلك منصوب المحل على انه مفعول قال وقوله مثل قولهم مفعول مطلق
اى قال كفار الامم الماضية مثل ذلك القول الذى قالوه قولا مثل قولهم فما ذكر فظهر ان احد التشبيهين
لايغنى عن الاخر (تشابهت قلوبهم) اى تماثلت قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى والقسوة والعناد
وهو استئناف على وجه تعليل تشابه مقالتهم بمقالة من قبلهم فان الالسنة ترجمان القلوب والقلب ان استحكم
فيه الكفر والقسوة والعمى والسفه والعناد لا يجرى على اللسان الا ما ينبئ عن التعلل والتباعد عن الايمان
كما قيل مرد پنهان بود بزير زبان * چون بگويد سخن بدانندش * خوب گويد لبيب گويندش *
زشت گويد سفيه خوانندش * (قد بينا الآيات) اى نزلناها بينة بان جعلناها كذلك فى انفسها
كما فى قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لا انا بيناها بعد ان لم تكن بينة (لقوم يوقنون) اى يطلبون
اليقين واليقين ابلغ العلم واوكده بان يكون جازما اى غير محتمل للنقيض وثابتا اى غير زائل بالتشكيك بعد
ان يكون مطابقا للواقع فالايقان هنا مجاز عن طلب اليقين على طريق ذكر المسبب وارادة السبب ولا بعد
فى نصب الدلائل لطلاب اليقين ليحصلوه بها وانما حمل على المجاز لان الموقن بالمعنى المذكور لا يحتاج الى نصب
الدلائل وبيان الايات وبيان الآيات له طلب لتحصيل الحاصل (انا ارسلناك) حال كونك ملتبسا (بالحق)
مؤيدا به والمراد الحجج والايات وسميت به لتأديتها الى الحق (بشيرا) حال كونك مبشرا لمن اتبعك بما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب احد (ونذيرا) اى منذرا ومخوفا لمن كفر بك وعصاك والمعنى ان شأنك
بعد اظهار صدقك فى دعوى الرسالة بالدلائل والمعجزات ليس الا الدعوة والابلاغ بالتبشير والانذار
لا ان تجبرهم على القبول والايمان فلا عليك ان اصروا على الكفر والعناد فان الاحوال اوصاف لذى الحال
والاوصاف مقيدة للموصوف (ولا تسأل عن اصحاب الجحيم) مالهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت والجحيم المكان
الشديد الحر وقرئ ولا تسأل بفتح التاء وجزم اللام على انه نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن السؤال

عن حال ابويه على ما روى انه عليه السلام قال ليت شعرى ما فعل ابواى اى ما فعل بهما والى اى حال انتهى
امرهما فنزلت واعلم ان السلف اختلفوا فى ان ابوى النبى صلى الله عليه وسلم هل ماتا على الكفر اولا ذهب
الى الثانى جماعة متمسكين بالادلة على طهارة نسبه عليه السلام من دنس الشرك وشين الكفر وعبادة قريش
صنما ان كانت مشهورة بين الناس لكن الصواب خلافه لقول ابراهيم عليه السلام واجنبنى وبنى ان نعبد
الاصنام وقوله تعالى فى حق ابراهيم وجعلها كلمة باقية فى عقبه وذهب الى الاول جمع منهم صاحب التيسير
حيث قال ولما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبشير المؤمنين وانذار الكافرين كان يذكر عقوبات الكفار
فقام رجل فقال يا رسول الله اين والدى فقال فى النار فحزن الرجل فقال عليه السلام ان والدك ووالدى
ووالدى ابراهيم فى النار فنزل قوله تعالى ولا تسأل عن اصحاب الجحيم فلم يسألوه شيأ بعد ذلك وهو كقوله
لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وذهب نفر من هذا الجمع بنجاتهما من النار منهم الامام القرطبى حيث قال
فى التذكرة ان عائشة رضى الله عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر على عقبة الحجون
وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه طفر فنزل فقال يا حميراء استمسكى اى زمام
الناقة فاستندت الى جنب البعير فمكث عنى طويلا ثم انه عاد الى وهو فرح متبسم فقلت له بابى انت وامى
يا رسول الله نزلت من عندى وانت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك يا رسول الله ثم انك عدت الى وانت فرح
متبسم فعماذا يا رسول الله فقال ذهبت لقبر آمنة امى فسألت الله ربى ان يحييها فاحياها فآمنت
وروى ان الله احيى له اباه وامه وعمه ابا طالب وجده عبد المطلب قال الحافظ شمس الدين الدمشقى

حبا الله النبى مزيد فضل * على فضل وكان به رؤفا
فاحيى امه وكذا اباه * لايمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم به قدير * وان كان الحديث به ضعيفا

وفى الاشباه والنظائر من مات على الكفر ابيح لعنه الا والدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لثبوت ان الله تعالى
احياهما له حتى آمنا كذا فى مناقب الكردرى وذكر ان النبى عليه السلام بكى يوما بكاء شديدا عند قبر ابويه وغرس
شجرة يابسة وقال ان اخضرت فهو علامة امكان ايمانهما فاخضرت ثم خرجا من قبرهما ببركة دعاء النبى
صلى الله عليه وسلم واسلما ثم ارتحلا قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره ومما يدل على ذلك
ان اسم ابيه كان عبد الله والله من الاعلام المختصة بذاته تعالى لم يسم به صنم فى الجاهلية فان اسم بعض
اصنامهم اللات وبعضها العزى انتهى كلامه وليس احياؤهما وايمانهما به ممتنعا عقلا ولا شرعا وقد ورد
فى الكتاب احياء قتيل بنى اسرآئيل واخباره بقاتله وكان عيسى عليه السلام يحيى الموتى وكذلك نبينا
عليه السلام احيى الله على يديه جماعة من الموتى واذا ثبت هذا فما يمنع من ايمانهما بعد احيائهما زيادة فى كرامته
وفضيلته وما روى من انه عليه السلام زار قبر امه فبكى وابكى من حوله فقال استأذنت فى ان استغفر لها فلم يؤذن
لى واستأذنت فى ان ازور قبرها فاذن لى فزوروا القبور فانها تذكركم الموت فهو متقدم على احيائهما لانه كان
فى حجة الوداع ولم يزل عليه السلام راقيا فى المقامات السنية صاعدا فى الدرجات العلية الى ان قبض الله روحه
الطاهرة فمن الجائز ان تكون هذه درجة حصلت له عليه السلام بعد ان لم تكن فان قلت الايمان لا يقبل
عند المعاينة فكيف بعد الاعادة قلت الايمان عند المعاينة ايمان يأس فلا يقبل بخلاف الايمان بعد الاعادة
وقد دل على هذا ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وورد ان اصحاب الكهف يبعثون فى آخر الزمان ويحجون ويكونون
من هذه الامة تشريفا لهم بذلك وورد مرفوعا اصحاب الكهف اعوان المهدى فقد اعتد بما يفعله اصحاب الكهف
بعد احيائهم من الموت ولا بدع ان يكون الله تعالى كتب لابوى النبى عمرا ثم قبضهما قبل استيفائه ثم اعادهما
لاستيفائه تلك اللحظة الباقية وآمنا فيها فيعتد به وتكون تلك البقية بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الايمان
من جملة ما اكرم الله تعالى به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ان تأخير اصحاب الكهف هذه المدة من جملة
ما اكرموا به ليحوزوا شرف الدخول فى هذه الامة وذهب خاتمة الحفاظ والمحدثين الامام السخاوى فى هذه
المسئلة الى التوقف حيث قال فى المقاصد الحسنة بعد ما اورد الشعر المذكور للحافظ الدمشقى وقد كتبت فيه
جزأ والذى اراه الكف عن التعرض لهذا اثباتا ونفيا انتهى وسئل القاضى ابو بكر العربى احد الائمة المالكية

عن رجل قال ان ابا النبى عليه السلام فى النار فاجاب بانه ملعون لان الله تعالى يقول ان الذين يؤذون الله
ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة وفى الحديث لاتؤذوا الاحياء بسب الاموات وسئل الامام الرستغنى
عن قول بعض الناس ان آدم عليه السلام لما بدت منه تلك الزلة اسود منه جميع جسده فلما اهبط الى الارض
امر بالصيام والصلاة فصام وصلى فابيض جسده ايصح هذا القول قال لايجوز فى الجملة القول فى الانبياء
عليهم السلام بشئ يؤدى الى العيب والنقصان فيهم وقد امرنا بحفظ اللسان عنهم لان مرتبتهم ارفع وهم على الله
اكرم وقد قال عليه السلام اذا ذكرت اصحابى فامسكوا فلما امرنا ان لانذكر الصحابة رضى الله عنهم بشئ يرجع
ذلك الى العيب والنقص فلأن نمسك ونكف عن الانبياء اولى واحق فحق المسلم ان يمسك لسانه عما يخل بشرف
نسب نبينا عليه السلام ليست من الاعتقاديات فلا حظ للقلب منها واما اللسان فحقه ان يصان عما يتبادر منه
النقصان خصوصا الى وهم العامة لانهم لايقدرون على دفعه وتداركه فهذا هو البيان الشافى فى هذا الباب
بطرقه المختلفة الملتقطة من الكتب النفيسة وقرنت كل نظير الى مثله والحمد لله تعالى وحده (ولن ترضى عنك
اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) اقناط له عليه السلام من طمعه فى اسلامهم حيث علق رضاهم عنه
بما لاسبيل اليه ومايستحيل وجوده واذا لم يرضوا عنه فكيف يتبعون ملته اى دينه اى لن ترضى عنك اليهود
الا بالتهود والصلاة الى قبلتهم وهى المغرب ولا النصارى الا بالتنصر والصلاة الى قبلتهم وهى المشرق ووحد الملة
لان الكفر ملة واحدة وهذه حكاية لمقالتهم بان قالوا لن نرضى عنك حتى تتبع ملتنا وادعوا بتلك المقالة ان ملتهم
هى الهدى لاماسواها فامره الله تعالى بقوله (قل) ان يرد عليهم بطريق قصر القلب ويقول (ان هدى الله)
الذى هو الاسلام (هو الهدى) الى الحق لاماتدعون اليه من الملة الزائغة فانها هوى كما يعرب عنه قوله تعالى
(ولئن اتبعت اهوآءهم) اى آراءهم الزائغة الصادرة عنهم بقضية شهوات انفسهم وهى التى عبر عنها فيما قبل
بملتهم اذهى التى ينتمون اليها واما ما شرعه الله من الشريعة على لسان الانبياء عليهم السلام وهو المعنى الحقيقى
للملة فقد غيروها تغييرا والاهوآء جمع هوى وهو رأى عن شهوة داع الى الضلال وسمى بذلك لانه يهوى بصاحبه
فى الدنيا الى كل واهية وفى الاخرة الى الهاوية وانما قال اهوآءهم بلفظ الجمع ولم يقل هواهم تنبيها على ان لكل
واحد هوى غير هوى الاخر ثم هوى كل واحد منهم لايتناهى فلذلك اخبر انه لايرضى الكل الا باتباع اهوآء
الكل واعلم ان الطريقة المشروعة تسمى ملة باعتبار ان الانبياء الذين اظهروها قد املوها وكتبوها لامتهم كما انها
تسمى دينا باعتبار طاعة العباد لمن سنها وانقيادهم لحكمه وتسمى ايضا شريعة باعتبار كونها موردا للمتعطشين
الى زلال ثوابه ورحمته والخطاب فى قوله ولئن اتبعت متوجه الى النبى عليه السلام فى الحقيقة وماقيل من انه
تعالى حكم بعصمة الانبياء وعلم منهم انهم لايعصون له ولايخالفون امره ولايرتكبون مانهى عنه فكانت عصمتهم
واجبة فلا وجه لتحذيرهم عن اتباع هوى الكفرة فوجب ان يكون التحذير متوجها الى الامة لا الى انفسهم
فالجواب عنه ان التكليف والتحذير انما يعتمد على كون المكلف به محتملا ومتصورا فى ذاته من حيث تحقق
مايتوقف عليه وجوده من الالات والقوى والامتناع الحاصل من حكمه تعالى بعصمتهم وعلمه بها امتناع بالغير
وهو لاينافى الامكان الذاتى الذى هو شرط التكليف والتحذير (بعد الذى جاءك من العلم) اى القرآن الموحى
اليك وهو حال من ضمير جاءك (مالك من الله) اى من جهته العزيزة وهو جواب لئن (من ولى) اى قريب ينفعك
من الولى وهو القرب (ولا نصير) يدفع عنك عقابه والفرق بين الولى والنصير العموم والخصوص من وجه
لان الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور كما يكون من اقرباء المنصور وهو مادة
اجتماعهما وقوله من ولى مرفوع على الابتداء ولك خبره ومن صلة وقوله من الله منصوب المحل على انه حال
لانه لما كان متقدما على قوله من ولى امتنع ان يكون صفة له ونظيره قوله لعزة موحشا طلل قديم ولما ذكر قبائح
المتعنتين الطالبين للرياسة من اليهود والنصارى اتبع ذلك بمدح من ترك طريق التعنت وحب الرياسة منهم
وطلب مرضاة الله وحسن ثواب الاخرة وآثره على الحظوظ العاجلة الفانية فقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب
يريد مؤمنى اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه من الذين اسلموا من اليهود وانما خصهم بذكر الايتاء لانهم
هم الذين عملوا به فخصوا به والكتاب التوراة (يتلونه حق تلاوته) بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر فى معانيه
والعمل بما فيه وهو حال مقدرة من الضمير المنصوب فى آتيناهم او من الكتاب لانهم لم يكونوا تالين له وقت

الايتان وقوله حق تلاوته نعت لمصدر محذوف دل عليه الفعل المذكور اى يتلونه تلاوة حق تلاوته واختار
الكواشى كونه منصوبا على المصدرية على تقدير تلاوة حقا فان نعت المصدر اذا قدم عليه واضيف اليه
نصب نصب المصادر نحو ضربت اشد الضرب بنصب اشد على المصدرية (اولئك) الموصوفون بايتاء الكتاب
وتلاوته كما هو حقه وهو مبتدأ ثان خبره قوله تعالى (يؤمنون به) اى بكتابهم دون المحرفين فان بناء الفعل
على المبتدأ وان كان اسما ظاهرا يفيد الحصر مثل الله يستهزئ بهم (ومن يكفر به) اى بالكتاب سوآء
كان كفره بنفس التحريف اوبغيره كالكفر بالكتاب الذى يصدقه (فاولئك هم الخاسرون) اى الهالكون
المغبونون حيث اشتروا الكفر بالايمان (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) ومن جملتها
التوراة وذكر النعمة انما يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع مافيها ومن جملته نعت النبى صلى الله
عليه وسلم ومن ضرورة الايمان بها الايمان به صلى الله عليه وسلم (و) اذكروا (انى فضلتكم على العالمين)
اى عالمى زمانكم (واتقوا) ان لم تؤمنوا (يوما) اى عذاب يوم وهو يوم القيامة (لاتجزى) تقول جزى عنى هذا
الامر يجزى كما تقول قضى عنى يقضى وزنا ومعنى اى لاتقضى فى ذلك اليوم (نفس) من النفوس (عن نفس)
اخرى (شيأ) من الحقوق التى لزمتها اى لاتقضى نفس ليس عليها شئ من الحقوق التى وجبت على نفس اخرى
اى لاتؤخذ نفس بذنب اخرى ولاتدفع عنها شيأ واما اذا كان عليها شئ فانها تجزى وتقضى بغير اختيارها
بما لها من حسناتها ماعليها من الحقوق كما جاء فى حديث ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من كانت له مظلمة لاخيه من عرض اوغيره فليستحلل منه اليوم قبل ان لايكون دينار ولادرهم
ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه
(ولايقبل منها) اى من النفس الاولى (عدل) اى فدآء وهى بفتح العين الفدية وهى مايماثل الشئ قيمة
وان لم يكن من جنسه والعدل بالكسر مايساوى الشئ فى الوزن والجرم من جنسه والمعنى لايؤخذ منها فدية
تنجو بها من النار ولاتجد ذلك لتفتدى به وسميت الفدية عدلا لانها تعادل مايقصد انقاذه وتخليصه يقال فداه
اذا اعطى فدآء فانقذه (ولا تنفعها شفاعة) ان شفعت للنفس الثانية (ولاهم ينصرون) اى يمنعون من
عذاب الله تعالى واعلم ان المستوجب للعذاب يخلص عنه فى الدنيا باحد اربعة امور اما بان ينصره ناصر قوى
فيخلصه ويدفع العذاب عنه قهرا او بان يفديه اى بان يعطى احد اشيأ غير ماعليه من الحق وذلك الشئ هو الفدية
وهو الفدآء فانقذه به فالله تعالى بين هول يوم القيامة بان نفى ان يدفع العذاب احد عن احد بشئ من هذه
الوجوه المحتملة فى الدنيا (قال السعدى) قيامت كه نيكان باعلى رسند * زقعر ثرى برثريا رسند *
تراخود بماند سرازتنك پيش * كه كردت برايد عملهاى خويش * برادر زكار بدان شرم دار *
كه درروى نيكان شوى شرمسار * دران روز كزفعل پرسند وقول * اولوا العزم راتن بلرزد زهول *
بجايى كه دهشت خورد انبيا * توعذر كنه راچه دارى بيا * ثم اعلم ان الله تعالى بدأ قصة بنى اسرائيل
بهاتين الآيتين ففى الاية الاولى تذكير النعمة وفى الاخرى تخويف العقوبة وبهما ختم القصة مبالغة فى النصح
وايذانا بان المقصود من القصة ذلك ودل قوله تعالى ولئن اتبعت اهوآءهم على قبح الصحبة باهل الهوى والبدع
والاتباع بهم فى اقوالهم وافعالهم وفى الحديث من اتبع قوما على اعمالهم حشر فى زمرتهم اى فى جماعتهم
وحوسب يوم القيامة بحسابهم وان لم يعمل باعمالهم وربما يكون للانسان شركة اى فى اثم القتل والزنى وغيرهما
اذا رضى به من عامل واشتد حرصه على فعله وفى الحديث من حضر معصية فكرهها فكانما غاب عنها ومن غاب
عنها فرضيها كان كمن حضرها وحضور مجالس المعصية اذا كان لحاجة اولاتفاق جريانها بين يديه ولايمكن دفعها
فغير ممنوع واما الحضور قصدا فممنوع ومن سنة السلف الصالحين الانقطاع عن مجالس اهل اللغو واللهو
والمجانبة عن اتباع اهل الهوى والبدع وروى ان ابن المبارك رؤى فى المنام فقيل له مافعل ربك بك فقال عاتبنى
واوقفنى ثلاثين سنة بسبب انى نظرت باللطف يوما الى مبتدع فقال انك لم تعاد عدوى فى الدين فكيف حال
القاعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين والمتمسك بسنة سيد المرسلين عند فساد الخلق واختلاف المذاهب والملل
كان له مائة اجر شهيد وفى الحديث سيأتى على الناس زمان يخلق فيه سنتى ويتجدد فيه البدعة فمن اتبع سنتى
يومئذ صار غريبا وبقى وحيدا ومن اتبع بدع الناس وجد خمسين صاحبا او اكثر وللصحبة تأثير عظيم كما قيل

عدوى البليد الى الجليد سريعة ✻ والجمر يوضع فى الرماد فيخمد

(قال الحافظ) نخست موعظه پير مجلس اين حرفست ✻ كه از مصاحب ناجنس احتراز كنيد ✻

(واذ ابتلى ابراهيم) قال القرطبى فى تفسيره تفسيره بالسريانية فيما ذكره الماوردى وبالعربية فيما حكى ابن عطية اب رحيم قال السهيلى وكثيرا ما يقع الاتفاق بين السريانى والعربى او تقاربه فى اللفظ الا ترى ان ابراهيم تفسيره اب راحم لرحمته بالاطفال ولذلك جعل هو وسارة زوجته كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيامة وقال فى تذكرة الموتى كان اسمه ابرم فزيد فى اسمه هاء والهاء فى السريانية التفخيم والتعظيم (ربه) الضمير لابراهيم وقدم المفعول لفظا وان كان مؤخرا رتبة ووجه التقديم الاهتمام فان الذهن يتشوق ويطلب معرفة المبتلى اى واذكر وقت اختبارى ابراهيم والمقصود من ذكر الوقت ذكر ما وقع فيه من الحوادث لان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا والابتلاء فى الاصل الاختبار اى تطلب الخبر بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا فعله او تركه وذلك انما يتصور حقيقة عمن لا وقوف له على عواقب الامور واما من العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين ما يريد الله تعالى وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك كما علم الكفر من ابليس ولم يلعنه بعلمه ما لم يختبره بما يستوجب اللعنة به (بكلمات) جمع كلمة وهى اللفظ الموضوع لمعنى مفرد فيكون الكلمات عبارة عن الالفاظ المنظومة لكنها قد تطلق على المعانى التى تحتها لما بين الدال والمدلول من التضايف والمتضايفان متكافئان فى الوجود التعقلى كما فى قوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا اى قضية وحكمة وقوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى اى للمعانى التى تبرز بالكلمات (فاتمهن) اى قام بهن حق القيام واداهن احسن التأدية من غير تفريط وتوان ولذا قيل لم يبتل احد بهذا الدين فاقامه كله الا ابراهيم فكتب الله له البراءة فقال وابراهيم الذى وفى وفسرت الكلمات بوجوه ذكرت فى التفاسير ومنها العشر التى هى من السنة كما قال ابن عباس رضى الله عنه هى عشر خصال كانت فرضا فى شرعه وهى سنة فى شرعنا خمس منها فى الرأس وهى المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك وخمس فى البدن وهى الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء اى غسل مكان الغائط والبول بالماء ولنذكر منها بعض ما يحتاج الى البيان فنقول فرق شعر الرأس تفريقه وتقسيمه الى نصفين وكان المشركون يفرقون اشعار رؤسهم واهل الكتاب يسدلون اى يرسلون شعورهم على الجبين ويتخذونها كالقصة وهى شعر الناصية وكان النبى عليه السلام يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم ينزل فيه حكم لاحتمال ان يعملوا بما ذكر فى كتابهم ثم نزل جبريل فامره بالفرق واعلم ان اكثر حال النبى عليه السلام كان الارسال وحلق الرأس منه معدود ولكن الامام الغزالى كره الارسال فى زماننا لانه صار شعار العلوية فاذا لم يكن علويا كان تلبيسا وذكر فى جنايات الذخيرة امساك الجعد فى الغلام حرام لانهم انما يمسكون الجعد فى الغلام للاطماع الفاسدة وذكر ان شخصا احضر ولده بمجلس ابى بكر رضى الله تعالى عنه وقد حلق بعض الشعر من رأسه وابقى البعض فامر ابو بكر رضى الله تعالى عنه بقتله فتاب واستغفر فعفا عنه قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره ليس هذا امرا بقتله فى الحقيقة بل بيان ان من فعله يستحق القتل ومثله انه ذكر فى مجلس ابى يوسف ان النبى عليه السلام كان يحب القرع فقال رجل انا لا احبه فافتى ابو يوسف بقتله فتاب ورجع فعفا عنه واما قص الشارب فهو قطعه بالمقص اى المقراض وكان عليه السلام يقص شاربه كل جمعة قبل ان يخرج الى صلاة الجمعة قال النووى المختار فيه ان يقص حتى يبدو طرف الشفة ويكون مثل الحاجب وفى الاحياء ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر رضى الله تعالى عنه وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام وتوفير الشارب كتوفير الاظافير مندوب للمجاهد فى دار الحرب وان كان قطعهما من الفطرة وذلك ليكون اهيب فى عين العدو والسنة تقصير الشارب فحلقه بدعة كحلق اللحية وفى الحديث جزوا الشوارب واعفوا اللحى الجز القص والقطع والاعفاء التوفير والترك على حالها وحلق اللحية قبيح بل مثلة وحرام وكما ان حلق شعر الرأس فى حق المرأة مثلة منهى عنها وتشبه بالرجال وتفويت للزينة كذلك حلق اللحية مثلة فى حق الرجال وتشبه بالنساء منهى عنه وتفويت للزينة قال الفقهاء اللحية فى وقتها جمال

وفى حلقها تفويته على الكمال ومن تسبيح الملائكة سبحان من زين الرجال باللحى وزين النساء بالذوائب وفى الكشاف فى مقام مدح الرجال عند قوله تعالى الرجال قوامون على النساء وهم اصحاب اللحى والعمائم قال فى نصاب الاحتساب ومن الاكساب التى يحتسب على اربابها حلق لحى الرجال ورأس النساء تشبها بالرجال ولا بأس بأخذ الزائد على القبضة من اللحية لانه عليه السلام كان يأخذ من لحيته طولا وعرضا اذا زاد على قدر القبضة فان الطول المفرط يشوه الخلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالنسبة اليه فلا بأس للاحتراز عنه على هذه النية ويكره نتف الشيب كما يفعله البعض فى زماننا كرها للشيب وارادة للشباب (قال الحافظ)

سواد نامهٔ موى سياه چون طى شد ✻ بياض كم نشود گر صد انتخاب رود ✻ يسود اعلاها ويبيض اصلها ولا خير فى الاعلى اذا فسد الاصل ✻

واما الختان فهو قطع الجلدة الزائدة من الذكر وجمهور العلماء على ان ذلك من مؤكدات السنن ومن فطرة الاسلام التى لا يسع تركها فى الرجال الا ان يولد الصبى مختونا وقد ولد الانبياء كلهم مختونين مسرورين اى مقطوعى السرة كرامة لهم الا ابراهيم خليل الله فانه ختن نفسه بالقدوم بالتخفيف والتشديد وهو ابن مائة وعشرين او ثمانين ليستن بسنته بعده واختلفوا فى الختان قيل لا يختن حتى يبلغ لانه للطهارة ولا طهارة عليه حتى يبلغ وقيل اذا بلغ عشرا وقيل تسعا وقيل فيما بين سبع سنين الى عشر قال الحدادى المستحب فى وقت الختان من اليوم السابع من ولادته الى عشر سنين ويكره الترك الى وقت البلوغ وتوقف ابو حنيفة فى وقته واستحب العلماء فى الرجل الكبير يسلم ان يختتن وان بلغ ثمانين وعن الحسن انه كان يرخص للشيخ الذى يسلم ان لا يختتن ولا يرى به بأسا ولا يرد شهادته وذبيحته وحجه وصلاته قال ابن عبد البر وعامة اهل العلم على هذا واما تقليم الاظفار فهو قصها والقلامة بالضم ما يزال منها وندب قص الاظفار لانه ربما يجنب ولا يصل الماء الى البشرة من اجل الوسخ ولا يزال جنبا ومن اجنب فبقى موضع ابرة من جسده بعد الغسل غير مغسول فهو جنب على حاله حتى يعم الغسل جسده كله وفى الحديث من قلم اظفاره يوم الجمعة اعاذه الله تعالى من البلايا الى الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام وفى الحديث الاخر من اراد ان يأمن من الفقر وشكاية العين فليقلم اظفاره يوم الخميس بعد العصر قال فى المقاصد الحسنة قص الاظفار لم يثبت فى كيفيته ولا فى تعيين يوم له عن النبى عليه السلام شئ وما يعزى من النظم فى ذلك لعلى رضى الله تعالى عنه وهو

وقلموا الاظفار فيه سنة وادب ✻ يمينها خوابس يسارها اوخسب

فباطل عنه وقال فى محل آخر حديث من قص اظفاره مخالفا لم يرفى عينيه رمدا هو فى كلام غير واحد من الائمة ولم اجده لكن كان الحافظ الشرف الدمياطى يأثر ذلك عن بعض مشايخه ونص الامام احمد على استحبابه انتهى كلامه وذكر الامام النووى ان المستحب منه ان يبدأ باليدين قبل الرجلين فيبتدئ بمسبحة يده اليمنى ثم الوسطى ثم البنصر ثم الخنصر ثم الابهام ثم يعود الى اليسرى فيبدأ بخنصرها ثم ببنصرها الى آخرها ثم يعود الى الرجل اليمنى فيبدأ بخنصرها ويختم بخنصر الرجل اليسرى وهكذا قرره الامام فى الاحياء وفى الحديث نقوا براجمكم وهى مفاصل الاصابع والعقد التى على ظهرها يجتمع فيها من الوسخ واحدها برجمة بضمتى الباء والجيم وسكون الراء بينهما وهو ظهر عقدة كل مفصل فظهر العقدة يسمى برجمة وما بين العقدتين يسمى راجبة وجمعها رواجب وذلك مما يلى ظهرها وهو قصبة الاصابع فلكل اصبع برجمتان وثلاث رواجب الا الابهام فان له برجمة وراجبتين فامر بالتنقية لئلا يدرن فيبقى فيه الجنابة ويحول الدرن بين الماء والبشرة كذا فى تفسير القرطبى وعن مجاهد قال ابطأ جبرائيل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى عليه السلام ما حبسك يا جبريل قال وكيف آتيكم وانتم لا تقصرون اظفاركم ولا تأخذون من شواربكم ولا تنقون براجمكم ولا تستاكون ثم قرأ وما نتنزل الا بامر ربك قال كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فقيل (قال انى جاعلك للناس) اى لاجل الناس (اماما) يأتمون بك فى هذه الخصال ويقتدى بك الصالحون فهو نبى فى عصره ومقتدى لكافة الناس الى قيام الساعة وقد انجز الله وعده فقال لمحمد صلى الله عليه وسلم ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم ونحو ذلك فلذلك اجتمعت اهل الاديان كلهم على تعظيمه وجميع امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يقولون فى آخر صلاتهم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد قيل فى سببه انا لما قلنا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد قيل لنا ان ابراهيم هو الذى

طلب من الله تعالى ان يرسل اليكم مثل هذا الرسول الذى هو رحمة للعالمين حيث قال ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم فاذا هديتكم فحينئذ تقول كما صليت على ابراهيم الخ ثم لاحظ ان هذه الخيرات كلها من الله تعالى فتقول
شكر الاحسانه ربنا انك حميد مجيد وفى الخبر ان ابراهيم عليه السلام رأى فى المنام جنة عريضة مكتوب على
اشجارها لا اله الا الله محمد رسول الله فسأل جبريل عنها فاخبره بالقصة فقال يارب اجر على لسان امة محمد
ذكرى فاستجاب الله دعاءه وضمه فى الصلاة مع محمد صلى الله عليه وسلم قال كانه قيل فماذا قال ابراهيم عليه
السلام عنده فقيل (قال ومن ذريتى) عطف على الكاف فى جاعلك ومن تبعيضية متعلقة بجاعل اى وجاعل
بعض ذريتى اماما يقتدى به اى اجعل لكنه راعى الادب بالاحتراز عن صورة الامر وتخصيص البعض بذلك
لبداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق والذرية نسل الرجل وقد تطلق على الاباء والابناء من الذكور
والاناث والصغار والكبار ومنه قوله تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم اراد آباءهم الذين حملوا فى السفينة
وتقع الذرية على الواحد كما فى قوله تعالى رب هب لى من لدنك ذرية طيبة يعنى ولدا صالحا (قال) الله
استئناف ايضا (لا ينال) لا يصيب (عهدى الظالمين) يعنى ان من اولادك اولاد مسلمون وكافرون فلا تصل
الامامة والاستخلاف بالنبوة الذى عهدت اليك من كان ظالما من اولادك وغيرهم وانما ينال عهدى
من كان بريئا من الظلم لان الامام انما هو لمنع الظلم فكيف يجوز ان يكون ظالما وان جاز فقد جاز المثل السائر
من استرعى الذئب الغنم ظلم قال المعتزلة وفيه دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة ولا يقدم للصلاة قلنا الظالم
اريد به الكافر والصبر على طاعة الامام الجائر اولى من الخروج عليه لان فى منازعته والخروج عليه استبدال
الامن بالخوف واراقة الدماء واطلاق ايدى السفهاء وشن الغارات على المسلمين والفساد فى الارض وفى الاية
دليل على عصمة الانبياء عليهم السلام من الكبائر قبل البعثة وبعدها قال ابن الشيخ فى حواشيه فيه بحث
لان مدلول الاية ان الظالم مادام ظالما لا يناله الامامة لا ان من كان ظالما فى وقت ما من الاوقات ثم تاب عنه
لا ينال الامامة والفرق بينهما ان الظلم الحالى يخل بالمقصود من نصب الامام وهو اخلاء وجه الارض عن الظلم
والفساد وحماية اموال الناس واعراضهم عن تعرض الظلمة المفسدين بخلاف الظلم القديم الذى تاب عنه الظالم
فانه ليس بمخل للمقصود فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له قال حضرة الشيخ افتاده افندى قدس سره
لا تعطى الولاية لولد الزنى قال واشكر الله تعالى على ان جعلنى اول ولد ولد تماما فانه ابعد من ان يصدر الفاظ
الكفر من احد ابوى قال المولى الهدائى قدس سره قلت والفقير ايضا كذلك وقال السخاوى فى المقاصد الحسنة
حديث لا يدخل الجنة ولد زنية ان صح فمعناه اذا عمل بمثل عمل ابويه واتفقوا على انه لا يحمل على ظاهره وقيل
فى تأويله ايضا ان المراد به من يواظب الزنى كما يقال للشهود بنوا الصحف وللشجعان بنوا الحرب ولاولاد المسلمين
بنوا الاسلام انتهى كلامه ثم فى الاية اشارة الى ان من اراد ان يبلغ درجة الاخيار ليقتدى به فليلازم التعب
وجهد النفس فى طاعة الله تعالى (قال السعدى) چو يوسف كسى در صلاح وتميز * بسى سال بايد كه
گردد عزيز (واذ جعلنا البيت) اى واذكر يا محمد وقت تصييرنا الكعبة المعظمة (مثابة) كائنة (للناس)
اى مباءة ومرجعا للحجاج والمعتمرين يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه اى يرجع اليه اعيان الذين يزورونه بان يحجوه
مرة بعد اخرى او يرجع امثالهم واشباههم فى كونهم وفد الله وزوار بيته فانهم لما كانوا اشباها للزائرين اولا
كان ما وقع منهم من الزيارة ابتداء بمنزلة عود الاولين فتعريف الناس للعهد الذهنى (وامنا) موضع امن
فان المشركين كانوا لا يتعرضون لسكان الحرم ويقولون البيت بيت الله وسكانه اهل الله بمعنى اهل بيته
وكان الرجل يرى قاتل ابيه فى الحرم فلا يتعرض له ويتعرضون لمن حوله وهذا شئ توارثوه من دين اسماعيل
عليه السلام فبقوا عليه الى ايام النبى عليه السلام او يأمن حاجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب
ما قبله اى يقطع ويمحو ما وجب قبله من حقوق الله تعالى الغير المالية مثل كفارة اليمين وحقوق العباد
فلا يمحيها الحج كذا فى حواشى ابن الشيخ ولكن روى ان الله تعالى استجاب دعاء النبى صلى الله عليه وسلم
ليلة المزدلفة فى الدماء والمظالم كذا فى الكافى وتفسير الفاتحة للفنارى وغيرهما (واتخذوا) اى وقلنا اتخذوا
على ارادة القول لئلا يلزم عطف الانشاء على الاخبار (من مقام ابراهيم مصلى) اى موضع الصلاة
ومن للتبعيض ومقام ابراهيم الحجر الذى فيه اثر قدميه او الموضع الذى كان فيه حين قام عليه ودعا الناس

الى الحج او حين رفع بناء البيت والذى يسمى اليوم مقام ابراهيم هو موضع ذلك الحجر روى انه لما اتى ابراهيم
باسماعيل وهاجر ووضعهما بمكة واتت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج اسماعيل منهم امرأة وماتت
هاجر استأذن ابراهيم سارة ان يأتى هاجر فاذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل فقدم ابراهيم وقد ماتت هاجر
فذهب الى بيت اسماعيل فقال لامرأته اين صاحبك قالت ذهب يتصيد وكان اسماعيل يخرج من الحرم
فيصيد فقال لها ابراهيم هل عندك ضيافة قالت ليست عندى وسألها عن عيشهم فقالت نحن فى ضيق وشدة
فشكت اليه فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه وقولى له فليغير عتبة بابه والمراد ليطلقك فانك لا تصلح له امرأة
وذهب ابراهيم فجاء اسماعيل فوجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جاءك احد قالت جاءنى شيخ صفته كذا وكذا
كالمستخفة بشأنه وقال فما قال لك قالت اقرئ زوجك السلام وقولى له فليغير عتبة بابه قال ذلك ابى وقد امرنى
ان افارقك الحقى باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث ابراهيم ما شاء الله ان يلبث ثم استأذن سارة ان يزور
اسماعيل فاذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل فجاء ابراهيم حتى انتهى الى باب اسماعيل فقال لامرأته اين صاحبك
قالت ذهب يتصيد وهو يجيئ الآن ان شاء الله فانزل رحمك الله قال هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن
واللحم وسألها عن عيشهم قالت نحن فى خير وسعة فدعا لهما بالبركة ولو جاءت يومئذ بخبز بر او شعير او تمر لكانت
اكثر ارض الله برا او شعيرا او تمرا وقالت له انزل حتى اغسل رأسك فلم ينزل فجاءت بالمقام فوضعته على شقه الايمن
فوضع قدمه عليه وهو راكب فغسلت شق رأسه الايمن ثم حولته الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر
فبقى اثر قدميه عليه وقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولى له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسماعيل
وجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جاءك احد قالت نعم جاء شيخ احسن الناس وجها واطيبهم ريحا فقال لى
كذا وكذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه فقال ذاك ابراهيم وانت عتبة بابى امرنى ان امسكك ثم لبث عنهم
ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبرى نبلا تحت دوحة قريبة من زمزم فلما رآه قام اليه فصنع كما يصنع
الولد بالوالد ثم قال يا اسماعيل ان الله امرنى بامر تعيننى عليه قال اعينك عليه قال امرنى ان ابنى ههنا بيتا فعند
ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتى بالحجارة وابراهيم يبنى فلما ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له
فقام ابراهيم على حجر المقام وهو يبنى واسماعيل يناوله الحجر وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم
ثم لما فرغ من بناء الكعبة قيل له اذن فى الناس بالحج فقال كيف انادى وانا بين الجبال ولم يحضرنى احد فقال الله
عليك النداء وعلى البلاغ فصعد ابا قبيس وصعد هذا الحجر وكان قد جيء فى ابى قبيس ايام الطوفان فارتفع
هذا الحجر حتى علا كل حجر فى الدنيا وجمع الله له الارض كالسفرة فنادى يا معشر المسلمين ان ربكم بنى لكم بيتا
وامركم ان تحجوه فاجابه الناس من اصلاب الاباء وارحام الامهات فمن اجابه مرة حج مرة ومن اجابه عشرا حج
عشرا وفى الحديث ان الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ولولا مماسة ايدى المشركين لاضاءتا ما بين
المشرق والمغرب والمراد منهما الحجر الاسود والحجر الذى قام عليه ابراهيم عند بناء البيت (وعهدنا الى ابراهيم
واسماعيل) اى امرناهما امرا مؤكدا واوصينا اليهما فان العهد قد يكون بمعنى الامر والوصية يقال عهد اليه
اى امره واوصاه ومنه قوله تعالى الم اعهد اليكم وانما سمى اسماعيل لان ابراهيم كان يدعو الى الله ان يرزقه
ولدا ويقول اسمع يا ايل وايل هو الله فلما رزق سماه به (ان طهرا بيتى) اى بان طهراه من الاوثان والانجاس
وما لا يليق به والمراد احفظاه من ان ينصب حوله شئ منها او اقراه على طهارته كما فى قوله تعالى ولهم فيها ازواج
مطهرة فانهن لم يطهرن من نجس بل خلقهن طاهرات كقولك للخياط وسع كم القميص فانك لا تريد ان تقول ازل
ما فيه من الضيق بل المراد اصنعه ابتداء واسع الكم (للطائفين) الزائرين حوله (والعاكفين) المجاورين الذين
عكفوا عنده اى اقاموا لا يرجعون وهذا فى اهل الحرم والاول فى الغرباء القادمين الى مكة للزيارة والطواف وان
كان لا يختص بهم الا ان له مزيد اختصاص بهم من حيث ان مجاوزة الميقات لا تصح لهم الا بالاحرام (والركع
السجود) اى المصلين جمع راكع وساجد لان القيام والركوع والسجود من هيئات المصلى ولتقارب الركوع
والسجود ذاتا وزمانا ترك العاطف بين موصوفيهما والجلوس فى المسجد الحرام ناظرا الى الكعبة من جملة
العبادات الشريفة المرضية كما قال عليه السلام ان الله تعالى فى كل يوم عشرين ومائة رحمة تنزل على هذا البيت
ستون للطائفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين واعلم انه تعالى لما قال ان طهرا بيتى دخل فيه بالمعنى جميع

بيوته تعالى فيكون حكمها حكمه فى التطهير والنظافة وانما خص الكعبة بالذكر لانه لم يكن هنالك غيرها وروى
عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انه سمع صوت رجل فى المسجد فقال ماهذا اتدرى اين انت وفى الحديث
ان الله اوحى الى يا اخا المنذرين يا اخا المرسلين انذر قومك ان لايدخلوا بيتا من بيوتى الابقلوب سليمة والسنة
صادقة وايدى تقية وفروج طاهرة ولايدخلوا بيتا من بيوتى مادام لاحد عندهم مظلمة فانى العنه مادام قائما
بين يدى حتى يرد تلك الظلامة الى اهلها فاكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويكون من اوليائى
واصفيائى ويكون جارى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين انتهى ثم اعلم ان البيت الذى شرفه الله
باضافته الى نفسه وهو بيت القلب فى الحقيقة يأمر الله تعالى بتطهيره من دنس الالتفات الى ماسواه
فانه منظر الله كما قيل دل بدست آور كه حج اكبرست * ازهزاران كعبه يك دل بهترست *
كعبه بنياد خليل آزرست * دل نظركاه جليل اكبرست * فلابد من تصفيته حتى تعكف عنده الانوار
الالهية والاسرار الرحمانية وتنزل السكينة والوقار فعند وصول العبد الى هذه الرتبة فقد سجد لربه حقيقة وركع
وناجى مع الله بسره (واذ قال ابراهيم) اى واذكر يا محمد اذ دعا ابراهيم فقال يا (رب اجعل هذا) المكان وهو الحرم
(بلدا آمنا) ذا امن يأمن فيه اهله من القحط والجدب والخسف والمسخ والزلازل والجنون والجذام والبرص
ونحو ذلك من المثلات التى تحل بالبلاد فهو من باب النسب اى بلدا منسوبا الى الامن كلابن وتامر فانهما النسبة
موصوفهما الى مأخذهما كانه قيل لبنى وتمرى فالاسناد حقيقى اوالمعنى بلدا آمنا اهله فيكون من قبيل
الاسناد المجازى لان الامن الذى هو صفة لاهل البلد حقيقة قد اسند الى مكانهم للملابسة بينهما وكان هذا
الدعاء فى اول ماقدم ابراهيم عليه السلام مكة لانه لما اسكن اسماعيل وهاجر هنالك وعاد متوجها الى الشام
تبعته هاجر فجعلت تقول الى من تكلنا فى هذا البلقع اى المكان الخالى من الماء والنبات وهو لايرد عليها جوابا
حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لايضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل
على الوادى فقال رب انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع الى آخر الاية (وارزق اهله من الثمرات) جمع ثمرة
وهى المأكولات مما يخرج من الارض والشجر فهو سؤال الطعام والفواكه وقيل هى الفواكه وانما خص هذا
بالسؤال لان الطعام المعهود مما يكون فى كل موضع واما الفواكه فقد تندر فسأل لاهله الامن والسعة
مما يطيب العيش ويقوم فاستجاب له فى ذلك لما روى انه لما دعا هذا الدعاء امر الله جبريل ينقل قرية من قرى
فلسطين كثيرة الثمار اليها فاتى فقلعها وجاء بها وطاف بها حول البيت سبعا ثم وضعها على ثلاث مراحل من
مكة وهى الطائف ولذلك سميت به ومنها اكثر ثمرات مكة ويجيء اليه ايضا من الاقطار الشاسعة حتى انه يجتمع
فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) بدل من اهله والمعنى
وارزق المؤمنين خاصة (قال) الله تعالى (ومن كفر) معطوف على محذوف اى ارزق من آمن ومن كفر
قاس ابراهيم عليه السلام الرزق على الامامة حيث سأل الرزق لاجل المؤمنين خاصة كما خص الله تعالى
الامامة بهم فى قوله تعالى لاينال عهدى الظالمين فلما رد سؤاله الامامة فى حق ذريته على الاطلاق حسب
ان يرد سؤاله الرزق فى حق اهل مكة على الاطلاق فلذلك قيد بالايمان تأدبا بالسؤال الاول فنبه سبحانه على
ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم (فامتعه) اى امده ليتناول من لذات الدنيا
اثباتا للحجة عليه (قليلا) اى تمتعا قليلا فان الدنيا بكليتها قليلة وما يتمتع الكافر به منها قليل من القليل
فان نعمته تعالى فى الدنيا وان كانت كثيرة باضافة بعضها الى بعض فانها قليلة باضافتها الى نعمة الاخرة وكيف
لايقل مايتناهى بالاضافة الى مالايتناهى فقليلا صفة مصدر محذوف ويجوز ان يكون صفة ظرف محذوف اى
امتعه زمانا قليلا وهو مدة حياته (ثم اضطره الى عذاب النار) الاضطرار فى اللغة حمل الانسان على مايضره وهو
فى المتعارف حمل الانسان بكفره على ان يفعل ما اكره عليه باختياره ترجيحا لكونه اهون الضررين فلاشئ
اشد من عذاب النار حتى يكره الكفار به ليختاروا عذاب النار لكونه اهون منه فلا يكون اضطرارهم الى عذاب
النار مستعملا فى معناه العرفى فهو مستعار للزهم والصاقهم به بحيث يتعذر عليهم التخلص منه كما قال تعالى
يوم يسحبون فى النار على وجوههم فانه صريح فى ان لامدخل لهم فى لحوق عذاب الاخرة بهم ولا اختيار
الا انهم سموا مضطرين اليه مختارين اياه على كره تشبيها لهم بالمضطر الذى لايملك الامتناع عما اضطر اليه فالمعنى

الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ماتمتعت به من النعم بحيث لايمكنه الامتناع منه (وبئس المصير) المخصوص
بالذم محذوف اى بئس المرجع الذى يرجع اليه للاقامة فيه النار وعذابها فللعبد فى هذه الدنيا الفانية الامهال
ابدا دون الاهمال اذ كل نفس تجزى بما كسبت ولاتغرنك الزخارف الدنيوية فان للمطيع والعاصى نصيبا منها
وليس ذلك من موجبات الرفعة فى الاخرة (قال الحافظ) بمهلتى كه سپهرت دهد زراه مرو * تراكه
كفت كه آن زال ترك دستان كفت * قال تعالى سنستدرجهم من حيث لايعلمون قال سهل فى معنى هذه
الاية نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم اخذوا وقال ابو العباس ابن عطاء
يعنى كلما احدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة فعلى العاقل ان لايغتر
بالزخارف الدنيوية بل لايفرح بشئ سوى الله تعالى فان ماخلا الله باطل وزائل والاغترار بالزائل الفانى ليس
من قضية كمال العقل والفهم والعرفان فان قلت ما الحكمة فى امهال الله العصاة فى الدنيا قيل ان الله تعالى
امهل عباده ولم يأخذهم بغتة فى الدنيا ليرى العباد سبحانه وتعالى ان العفو والاحسان احب اليه من الاخذ
والانتقام وليعلموا شفقته وبره وكرمه ولهذا خلق النار كرجل يضيف الناس ويقول من جاء الى ضيافتى
اكرمته ومن لم يجئ ليس عليه شئ ويقول مضيف آخر من جاء الى اكرمته ومن لم يجئ ضربته وحبسته
ليتبين غاية كرمه وهو اكمل واتم من الكرم الاول والله تعالى دعا الخلق الى دعوته بقوله والله يدعو
الى دار السلام ثم دفع السيف الى رسوله فقال من لم يجب ضيافتى فاقتله فعلى العاقل ان يجيب الى دعوة الله
ويرجع الى الله بحسن اختياره فانه هو المقصود والكعبة الحقيقية وكل القوافل سائرة اليه واعلم ان البلد هو
الصورة الجسمانية والكعبة القلب والطواف الحقيقى هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر
فى عالم الملك لتلك الحضرة التى لاتشاهد بالبصر وهو فى عالم الملكوت كما ان الهيكل الانسانى مثال ظاهر فى عالم
الشهادة للقلب الذى لايشاهد بالبصر وهو فى عالم الغيب والذى يقدر من العارفين على الطواف الحقيقى القلبى
هو الذى يقال فى حقه ان الكعبة تزوره وفى الخبر ان لله عبادا تطوف بهم الكعبة وفرق بين من يقصد
صورة البيت وبين من يقصد رب البيت وروى ان عارفا من اولياء الله تعالى قصد الحج وكان له ابن فقال ابنه
الى اين تقصد فقال الى بيت الله فظن الغلام ان من يرى البيت يرى رب البيت قال يا ابى لم لاتحملنى معك فقال
انت لاتصلح لذلك فبكى الغلام فحمله معه فلما بلغا الى الميقات احرما ولبيا ودخلا الحرم فلما شوهد البيت تحرم
الغلام عند رؤيته نخر ميتا فدهش والده وقال اين ولدى وقطعة كبدى فنودى من زاوية البيت انت طلبت
البيت فوجدته وانه طلب رب البيت فوجد رب البيت فرفع الغلام من بينهم فهتف هاتف انه ليس فى حيز
ولا فى الارض ولا فى الجنة بل هو فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فمن اعرض سره عن الجهة فى توجهه الى الله
صار الحق قبلة له فيكون هو قبلة الجميع كآدم عليه السلام كان قبلة الملائكة لانه وسيلة الحق بينه وبين
ملائكته لما عليه من كسوة جماله وجلاله (قال الشيخ العطار قدس سره فى منطق الطير) حق تعالى كفت آدم
غير نيست * كورچشمى وتراين سير نيست * شد نفخت فيه من روح آشكار * سرجانان كشت
برخاك استوار (وقال فى محل آخر) از دم حق آمدى آدم تو بى * اصل كرمنا بنى آدم تو بى *
قبلۀ كل آفرينش آمدى * پاى تا سر عين بينش آمدى * اللهم اوصلنا الى العين وخلصنا من البين
(واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت) حكاية حال ماضية حيث عبر بلفظ المضارع عن الرفع الواقع فى الزمان
المتقدم على زمان نزول الوحى بان يقدر ذلك الرفع السابق واقعا فى الحال كانك تصوره للمخاطب وتريه على وجه
المشاهدة والعيان والقواعد جمع قاعدة وهى فى الاصل صفة بمعنى الثابتة ثم صارت بالغلبة من قبيل الاسماء
بحيث لايذكر لها موصوف ولايقدر ولعل لفظ القعود حقيقة فى الهيئة المقابلة للقيام ومستعار للثبات
والاستقرار تشبيها له بها فى ان كلا منهما حالة مباينة للانتقال والنزول وقوله من البيت حال من القواعد
وكلمة من ابتدائية لابيانية لعدم صحة ان يقال التى هى البيت فان قلت رفع الشئ ان يفصل عن الارض
ويجعل عاليا مرتفعا والاساس ابدا ثابت على الارض فما معنى رفعه قلت المراد برفع الاساس البناء عليه وعبر
عن البناء على الاساس برفعه لان البناء ينقله من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع فيوجد الرفع حقيقة
الا ان اساس البيت واحد وعبر عنه بلفظ القواعد باعتبار اجزائه كأن كل جزء من الاساس اساس لما فوقه

والمعنى واذكر يا محمد وقت رفع ابراهيم اساس البيت اى الكعبة (واسماعيل) ولده وكان له اربعة بنين اسماعيل
واسحق ومدين ومداين وهو عطف على ابراهيم وتأخيره عن المفعول مع ان حق ما عطف على الفاعل ان يقدم
على المفعول للايذان بان الاصل فى الرفع هو ابراهيم واسماعيل تبع له قيل انه كان يناوله الحجارة وهو يبنيها واعلم
ان رفع الاساس الذى هو البناء عليه يدل على ان البيت كان مؤسسا قبل ابراهيم وانه انما بنى على الاساس
واختلف الناس فيمن بنى البيت اولا واسسه فقيل هو الملائكة وذلك ان الله تعالى لما قال انى جاعل فى الارض
خليفة قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فغضب عليهم
فعاذوا بعرشه وطافوا حوله سبعة اطواف يسترضون ربهم حتى رضى عنهم وقال لهم ابنوا الى بيتا فى الارض
يتعوذ به من سخطت عليه من بنى آدم ويطوف حوله كما طفتم حول عرشى فارضى عنهم فبنوا هذا البيت
وقيل ان الله بنى فى السماء بيتا وهو البيت المعمور ويسمى ضراحا وامر الملائكة ان يبنوا الكعبة فى الارض
بحياله على قدره ومثاله وقيل اول من بنى الكعبة آدم واندرست زمن الطوفان ثم اظهرها الله لابراهيم عليه
السلام روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه انه قال لما اهبط الله تعالى آدم من الجنة الى الارض قال له
يا آدم اذهب فابن لى بيتا وطف به واذكرنى عنده كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشى فاقبل آدم يتخطى
وطويت له الارض وقبضت له المفاوز فلا يقع قدمه على شئ من الارض الا صار عامرا حتى انتهى الى موضع
البيت الحرام وان جبرائيل ضرب بجناحه الارض فابرز عن الاس الثابت على الارض السابعة السفلى
وقذفت اليه الملائكة بالصخر فما يطيق بالصخرة منها ثلاثون رجلا وانه بناه من خمسة اجبل طور سيناء وطور
زيتاء ولبنان وهو جبل بالشام والجودى وهو جبل بالجزيرة وحراء وهو جبل بمكة وكان ربضه من حراء
اى الاساس المستدير بالبيت من الصخر فهذا بناء آدم وروى ان الله خلق موضع البيت قبل الارض بالفى عام
وكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط الله تعالى آدم الى الارض استوحش فشكا
الى الله فانزل الله البيت المعمور من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد اخضر له باب شرقى وباب غربى
فوضعه على موضع البيت وقال يا آدم انى اهبطت لك بيتا فطف به كما يطاف حول عرشى وصل عنده
كما يصلى عند عرشى وانزل الحجر وكان ابيض فاسود من لمس الحيض فى الجاهلية فتوجه آدم من ارض الهند الى
مكة ماشيا وقيض الله له ملكا يدله على البيت قيل لمجاهد لم يركب قال واى شئ كان يحمله ان خطوته مسيرة
ثلاثة ايام فاتى مكة وحج البيت واقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت
قبلك بالفى عام قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه حج آدم اربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فبقى البيت
يطوف به هو والمؤمنون من ولده الى ايام الطوفان فرفعه الله فى تلك الايام الى السماء الرابعة يدخله كل يوم
سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه وبعث الله جبرائيل حتى خبأ الحجر الاسود فى جبل ابى قبيس صيانة له
من الغرق وكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام ثم ان الله امر ابراهيم ببناء بيت يذكر فيه
فسأل الله تعالى ان يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهى ريح خجوج لها رأسان
شبه الحية وامر ابراهيم ان يبنى حيث استقرت السكينة فتبعها ابراهيم حتى اتيا مكة فتطوت السكينة
على موضع البيت اى تحوت وتجمعت واستدارت كتطوى الجحفة ودورانها فقالت لابراهيم ابن على موضعى
الاساس فرفع البيت هو واسماعيل حتى انتهى الى موضع الحجر الاسود فقال لابنه يا بنى ائتنى بحجر ابيض
حسن يكون للناس علما فاتاه بحجر فقال ائتنى باحسن من هذا فمضى اسماعيل يطلبه فصاح ابو قبيس يا ابراهيم
ان لك عندى وديعة فخذها فاذا هو بحجر ابيض من ياقوت الجنة كان آدم قد نزل به من الجنة كما وجد فى بعض
الروايات او انزله الله تعالى حين انزل البيت المعمور كما مر فاخذ ابراهيم ذلك الحجر فوضعه مكانه فلما رفع
ابراهيم واسماعيل القواعد من البيت جاءت سحابة مربعة فيها رأس فنادت ان ارفعا على تربيعى فهذا
بناء ابراهيم عليه السلام وروى ان ابراهيم واسماعيل لما فرغا من بناء البيت اعطاهما الله تعالى الخيل جزاء
معجلا عن رفع قواعد البيت وكانت الخيل وحشية كسائر الوحوش فلما اذن الله لابراهيم واسماعيل برفع
القواعد قال الله انى معطيكما كنزا ادخرته لكما ثم اوحى الى اسماعيل ان اخرج الى اجياد فادع يأتك الكنز
فخرج الى اجياد ولا يدرى ما الدعاء ولا الكنز فالهمه الله فدعا فلم يبق على وجه الارض فرس بارض العرب

الاجابته

الا اجابته فامكنه من نواصيها وذللها له فاركبوها واعلفوها فانها ميامين وهى ميراث ابيكم اسماعيل وانما سمى
الفرس عربيا لان اسماعيل هو الذى امر بدعائه وهو اتى اليه والعربى نسبة الى عربة بفتحتين وهى باحة العرب
لان اباهم اسماعيل نشأ بها قيل كان ابراهيم يتكلم بالسريانية واسماعيل بالعربية وكل واحد منهما يفهم ما يقوله
صاحبه ولا يمكنه التفوه به واما بنيان قريش اياه فمشهور وخبر الحية فى ذلك مذكور وكانت تمنعهم من هدمه
الى ان اجتمعت قريش فعجوا الى الله تعالى اى رفعوا اصواتهم وقالوا لم نراع وقد اردنا تشريف بيتك وتزيينه
فان كنت ترضى بذلك والا فما بدا لك فافعل فاسمعوا خوانا فى السماء والخوات دوى جناح الطير الضخم اى صوته
فاذاهم بطائر اعظم من النسر اسود الظهر ابيض البطن والرجلين فغرز مخالبه فى قفا الحية ثم انطلق بها تجر
ذنبها اعظم من كذا وكذا حتى انطلق بها الى اجياد فهدمتها قريش وجعلوا يبنونها بحجارة الوادى تحملها
قريش على رقابها فرفعوها فى السماء عشرين ذراعا وذكر عن الزهرى انهم بنوها حتى اذا بلغوا موضع الركن
اختصمت قريش فى الركن اى القبائل تلى رفعه حتى شجر بينهم فقالوا حتى نحكم اول من يطلع علينا من هذه
السكة فاصطلحوا على ذلك فاطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكموه فامر بالركن فوضع فى ثوب
ثم امر سيد كل قبيلة فاعطاه ناحية من الثوب ثم ارتقى هو على البناء فرفعوا اليه الركن فاخذه من الثوب
فوضعه فى مكانه قيل ان قريشا وجدوا فى الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من اليهود
فاذا فيه انا الله ذو مكة خلقتها يوم خلقت السموات والارض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك
احنفاء لا تزول حتى يزول اخشباها مبارك لاهلها فى الماء واللبن وعن ابى جعفر كان باب الكعبة على عهد
العماليق وجرهم وابراهيم بالارض حتى بنته قريش وعن عائشة رضى الله تعالى عنها سألت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم عن الجدار امن البيت هو قال نعم قلت فلم لم يدخلوه قال ان قومك قصرت بهم
النفقة قلت فما شأن بابه مرتفعا قال فعل ذلك قومك ولولا حدثانهم بالجاهلية لهدمت الكعبة
فالزقت بابها بالارض وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة اذرع من الحجر فان قريشا
اقتصرتها حيث بنت الكعبة فهذا بناء قريش ثم لما غزا اهل الشام عبد الله بن الزبير ووهت الكعبة
من حريقهم هدمها ابن الزبير وبناها على ما اخبرته عائشة فجعل لها بابين بابا يدخلون منه وبابا يخرجون منه
وزاد فيه مما يلى الحجر ست اذرع وكان طولها قبل ذلك ثمان عشرة ذراعا ولما زاد فى البناء مما يلى الحجر استقصر
ما كان من طولها تسع اذرع فلما قتل ابن الزبير امر الحجاج ان يقر ما زاده ابن الزبير فى طولها وان ينقص
ما زاده من الحجر ويردها الى ما بناها قريش وان يسد الباب الذى فتحه الى جانب الغرب وروى ان هارون الرشيد
ذكر لمالك بن انس انه يريد هدم ما بنى الحجاج من الكعبة وان يردها الى بناء ابن الزبير لما جاء عن النبى وامتثله
ابن الزبير فقال له مالك ناشدتك الله يا امير المؤمنين ان لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك لا يشاء احد منهم
الا نقض البيت وبناه فتذهب الهيبة من صدور الناس قالوا بنيت الكعبة عشر مرات بناء الملائكة وكان قبل
خلق آدم عليه السلام وبناء آدم وبناء بنى آدم وبناء الخليل وبناء العمالقة وبناء جرهم وبناء قصى بن كلاب
وبناء قريش وبناء عبد الله بن الزبير وبناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بناء لكلها بل لجدار من جدرانها
وقال الحافظ السهيلى ان بناءها لم يكن فى الدهر الا خمس مرات الاولى حين بناها شيث عليه السلام وروى
فى الخبر النبوى هذا البيت خامس خمسة عشر سبعة منها فى السماء الى العرش وسبعة منها الى تخوم الارض
السفلى واعلى الذى يلى العرش البيت المعمور لكل بيت منها حرم كحرم هذا البيت لو سقط منها بيت سقط
بعضها على بعض الى تخوم الارض السابعة ولكل بيت من اهل السماء ومن اهل الارض من يعمره كما يعمر
هذا البيت ذكره المحدث الكازرونى فى مناسكه وعن ابن عباس رضى الله عنه لما كان العرش على الماء قبل خلق
السموات والارض بعث الله ريحا فصفقت الماء فابرزت خشبة فى موضع البيت كانها قبة على قدر البيت اليوم
فدحا الله سبحانه من تحتها الارض فمادت ثم مادت فاوتدها بالجبال فكان اول جبل وضع فيها ابو قبيس
ولذلك سميت مكة بام القرى قال كعب بنى سليمان عليه السلام بيت المقدس على اساس قديم كما بنى ابراهيم الكعبة
على اساس قديم وهو اساس الملائكة فى وجه الماء الى ان عملا (ربنا) اى يرفعانها قائلين ربنا (تقبل منا) الدعاء
وغيره من القرب والطاعات التى من جملتها ما هما بصدده من البناء وفرق بين القبول والتقبل بان التقبل لكونه

على بناء التكلف انما يطلق حيث يكون العمل ناقصا الايستحق ان يقبل الاعلى طريق التفضل والكرم ولفظ
القبول لادلالة فيه على هذا المعنى فاختيار لفظ التقبل اعتراف منهما بالعجز والانكسار والقصور فى العمل
(انك انت السميع) لجميع المسموعات التى من جملتها دعاؤنا وتضرعنا (العليم) بكل المعلومات التى من زمرتها
نياتنا فى جميع اعمالنا ودل هذا القول على انه لم يقع منهما تقصير بوجه ما فى اتيان المأمور به بل بذلا فى ذلك غاية
ما فى وسعهما فان المقصر المتساهل كيف يتجاسر على ان يقول باطلاق لسان وارتفاع جنان انك انت السميع العليم
ودلت الاية ايضا على ان الواجب على كل مأمور بعبادة وقربة اذا فرغ منها واداها كما امر بها وبذل
فى ذلك ما فى وسعه ان يتضرع الى الله ويبتهل ليتقبل منه وان لا يرد عليه فيضيع سعيه وان لا يقطع القول بان
من ادى عبادة وطاعة تقبل منه لا محالة اذ لو كان هكذا لما كان لدعائهما بطريق التضرع ليقبل منهما
معنى فالقبول والرد اليه تعالى ولا يجب عليه شئ (ربنا واجعلنا مسلمين لك) اى مخلصين لك فالمراد بالمسلم من
يجعل نفسه وذاته خالصا لله تعالى بان يجعل التذلل والتعظيم الواقع منه باللسان والاركان والجنان خالصا له
تعالى ولا يعظم معه تعالى غيره ويعتقد بان ذاته وصفاته وافعاله خالصة له تعالى خلقا وملكا لا مدخل فى شئ
منها لاحد سواه او المعنى واجعلنا مستسلمين لك منقادين بالرضى بكل ما قدرت وبترك المنازعة فى احكامك
فان الاسلام اذا وصل باللام الجارة يكون بمعنى الاستسلام والانقياد والرضى بالقضاء فان قلت لا شك انهما
كانا مخلصين ومستسلمين فى زمان صدور هذا الدعاء منهما قلت المراد طلب الزيادة فى الاخلاص والاذعان
او الثبات عليه فهذا تعليم منهما الناس الدعاء للتثبيت على الايمان فانهما لما سألا ذلك مع امنهما عن زواله
عنهما فكيف عن غيرهما مع خوفه وسألا ايضا الثبات على الانقياد فاجيبا الى ذلك حتى اسلم ابراهيم للالقاء
فى النار واسماعيل للامر بالذبح (ومن ذريتنا امة مسلمة لك) اى واجعل بعض ذريتنا جماعة مخلصة لك
بالعبادة والطاعة وانما خص الذرية بالدعاء مع ان الانسب بحال اصحاب الهمم لا سيما الانبياء ان لا يخصوا
ذريتهم بالدعاء لكنهما خصاهم لوجهين الاول كونهم احق بالشفقة كما فى قوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا
فدعوا الاولاد هما ليكثر ثوابهما بهم وفى الحديث ما من رجل من المسلمين يخلف من بعده ذرية يعبدون الله تعالى
الا جعل الله له مثل اجورهم ما عبد الله منهم عابد حتى تقوم الساعة والثانى انه وان كان تخصيصا صورة الا انه
تعميم معنى لان صلاح اولاد الانبياء سبب وطريق اصلاح العامة فكانهما قالا واصلح عامة عبادك باصلاح
بعض ذريتنا وخصا البعض من ذريتهما لما علما ان من ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين او طريق علمهما بذلك
امران تخصيص الله تعالى بذلك بقوله لا ينال عهدى الظالمين والاستدلال بان حكمة الله تعالى تقتضى ان لا يخلو
العالم عن افاضل واوساط وارذال فالافاضل هم اهل الله الذين هم اخلصوا انفسهم لله بالاقبال الكلى عليه
والاوساط هم اهل الاخرة الذين يجتنبون المنكرات ويواظبون على الطاعات رغبة فى نيل المثوبات والارذال
هم اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون جل همتهم عمارة الدنيا وتهيئة
اسبابها وقد قيل عمارة الدنيا بثلاثة اشياء احدها الزراعة والغرس والثانى الحماية والحرب والثالث جلب الاشياء
من مصر الى مصر ومن اكب على هذه الاشياء ونسى الموت والبعث والحساب وسعى لعمارة الدنيا سعيا بليغا
ودقق فى اعمال فكره تدقيقا عجيبا فهو متوغل فى الجهل والحماقة ولهذا قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا
(وفى المثنوى) اين جهان ويران شدى اندر زمان ✱ حرصها بيرون شدى از مردمان ✱ استن اين عالم اى جان
غفلتست ✱ هوشيارى اين جهان را آفتست ✱ هوشيارى زان جهانست وجوان ✱ غالب آيد پست
كردد اين جهان ✱ هوشيارى افتاب وحرص يخ ✱ هوشيارى اب واين عالم وسخ (وارنا مناسكنا)
جمع منسك بفتح السين وكسرها اى بصرنا مواضع نسكنا وعرفنا متقدراتنا اى المواضع التى يتعلق بها النسك
اى افعال الحج نحو المواقيت التى يحرم منها والموضع الذى يوقف فيه بعرفة وموضع الطواف والصفا والمروة
وما بينهما من المسعى وموضع رمى الجمار ويحتمل ان يراد بالمناسك ههنا افعال الحج نفسها لا مواضعها على
ان يكون المنسك مصدرا لا اسم مكان ويكون جمعه لاختلاف انواعه ويكون ارنا بمعنى عرفنا لان نفس
الافعال لا تدرك بالبصر بل ترى بعين القلب والنسك كل ما يتعبد به الى الله وشاع فى اعمال الحج لكونها اشق
الاعمال بحيث لا تتأتى الا بمزيد سعى واجتهاد (وتب علينا) عما فرط منا سهوا من الصغائر ومن ترك الاولى وتجاوز

عن ذنوب ذريتنا من الكبائر ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما فانهما لما بنيا البيت ارادا ان يسنا
للناس ويعرفاهم ان ذلك البيت وما يتبعه من المناسك والمواقف امكنة التفصى من الذنوب وطلب التوبة
من علام الغيوب (انك انت التواب الرحيم) لمن تاب اصل التوبة الرجوع وتوبة الله على العبد قبوله توبته
وان يخلق الانابة والرجوع فى قلب المسيء ويزين جوارحه الظاهرة بالطاعات بعد ما لوثها بالمعاصى والخطيئات
وتواب من صيغ المبالغة اطلق عليه تعالى للمبالغة فى صدور الفعل منه وكثرة قبوله توبة المذنبين لكثرة
من يتوب اليه (ربنا وابعث فيهم) اى فى جماعة الامة المسلمة من اولادنا (رسولا منهم) اى من انفسهم فان
البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبى صلى الله عليه وسلم فهو الذى اجيب به دعوتهما
روى انه قيل له قد استجيب لك وهو فى آخر الزمان وفى الحديث انى عند الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمجدل
فى طينته وسأخبركم باول امرى انى دعوة ابى ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امى التى رأت حين وضعتنى وقد
خرج منها نور اضاءت لها منه قصور الشام واراد بدعوة ابراهيم هذا فانه دعا ان يبعث فى بنى اسرائيل رسولا
منهم (يتلو عليهم آياتك) يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة (ويعلمهم) بحسب قوتهم
النظرية (الكتاب) اى القرءآن (والحكمة) وما يكمل به نفوسهم من المعارف الحقة والاحكام الشرعية
قال ابن دريد كل كلمة وعظتك او دعتك الى مكرمة او نهتك عن قبيح فهى حكمة (ويزكيهم) بحسب قوتهم
العملية اى يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصى سواء كانت بترك الواجبات او بفعل المنكرات ثم ان ابراهيم
عليه السلام لما ذكر هذه الدعوات الثلاث ختمها بالثناء على الله تعالى فقال (انك انت العزيز) الذى
لا يقهر ولا يغلب على ما يريد (الحكيم) الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة فهو عزيز حكيم بذاته
وكل ما سواه ذليل جاهل فى نفسه قال الامام الغزالى قدس سره فى شرح الاسماء الحسنى العزيز هو الخطير الذى
يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه فما لم تجتمع هذه المعانى الثلاثة لم يطلق العزيز
فكم من شئ يقل وجوده ولكن اذا لم يعظم خطره ولم يكثر نفعه لم يسم عزيزا وكم من شئ يعظم خطره ويكثر نفعه
ولا يوجد نظيره ولكن اذا لم يصعب الوصول اليه لم يسم عزيزا كالشمس مثلا فانها لا نظير لها والارض كذلك
والنفع عظيم فى كل واحد منهما والحاجة شديدة اليهما ولكن لا يوصفان بالعزة لانه لا يصعب الوصول
الى مشاهدتهما فلا بد من اجتماع المعانى الثلاثة ثم فى كل من المعانى الثلاثة كمال ونقصان فالكمال فى قلة الوجود
ان يرجع الى واحد اذ لا اقل من الواحد ويكون بحيث يستحيل وجود مثله وليس هذا الا الله تعالى فان الشمس
وان كانت واحدة فى الوجود فليست واحدة فى الامكان فيمكن وجود مثلها والكمال فى النفاسة وشدة الحاجة
ان يحتاج اليه كل شئ فى كل شئ حتى فى وجوده وبقائه وصفاته وليس ذلك الكمال الا لله تعالى فهو العزيز المطلق
الحق الذى لا يوازيه فيه غيره والعزيز من العباد من يحتاج اليه عباد الله فى اهم امورهم وهى الحياة الاخروية
والسعادة الابدية وذلك مما يقل لا محالة وجوده ويصعب ادراكه وهذه رتبة الانبياء عليهم السلام ويشاركهم
فى العز من يتفرد بالقرب من درجتهم فى عصره كالخلفاء وورثتهم من العلماء وعزة كل واحد بقدر علو رتبته
عن سواه فى النيل والمشاركة وبقدر عنائه فى ارشاد الخلق والحق ذو الحكمة والحكمة عبارة عن معرفة افضل
الاشياء باجل العلوم واجل الاشياء هو الله تعالى ولا يعرفه كنه معرفته غيره فهو الحكيم الحق لانه يعلم
اجل الاشياء باجل العلوم اذ اجل العلوم هو العلم الازلى الدائم الذى لا يتصور زواله المطابق للمعلوم مطابقة
لا يتطرق اليه خفاء وشبهة ولا يتصف بذلك الا علم الله تعالى وقد يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويحكمها
ويتقن صنعتها حكيما وكمال ذلك ايضا ليس الا لله تعالى فهو الحكيم المطلق ومن عرف جميع الاشياء ولم يعرف
الله تعالى لم يستحق ان يسمى حكيما لانه لم يعرف اجل الاشياء وافضلها والحكمة اجل العلوم وجلالة العلم
بقدر جلالة المعلوم ولا اجل من الله ومن عرف الله فهو حكيم وان كان ضعيف المنة فى سائر العلوم الرسمية
كليل اللسان قاصر البيان فيها الا ان نسبة حكمة العبد الى حكمة الله تعالى كنسبة معرفته الى معرفته بذاته
وشتان بين المعرفتين فشتان بين الحكمتين ولكنه مع بعده عنه فهو انفس المعارف واكثرها خيرا ومن اوتى
الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وما يتذكر الا اولوا الالباب نعم من عرف الله كان كلامه مخالفا لكلام غيره
فانه قلما يتعرض للجزئيات بل يكون كلامه جليا ولا يتعرض اصالح العاجلة بل يتعرض لما ينفع

فى العاقبة ولما كانت الكلمات الكلية اظهر عند الناس من احوال الحكيم من معرفته بالله ربما اطلق
الناس اسم الحكمة على مثل تلك الكلمات الكلية ويقال للناطق بها حكيم وذلك مثل قول سيد الانبياء
عليه السلام رأس الحكمة مخافة الله الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله ماقل وكفى خير مما كثر والهى السعيد من وعظ بغيره القناعة مال لا ينفد الصبر نصف الايمان
اليقين الايمان كله فهذه الكلمات وامثالها تسمى حكمة وصاحبها يسمى حكيما انتهى كلام الغزالى ثم ان
فى الاية اشارة الى ان فى ارسال الرسل حكمة اى مصلحة وعاقبة حميدة لان عمارة الظاهر وانارة الباطن ونظام
العالم بهم لا بغيرهم ولورثتهم من الاولياء الكاملين حظ اوفى فى باب التزكية فلابد للعبد من دليل ومرشد
يهتدى به الى مقصوده ومن لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان قال الحافظ بكوى عشق منه بى دليل راه قدم *
كه من بخويش نمودم صد اهتمام ونشد * والمرشد الكامل يزكى نفس السالك باذن الله ويطهرها عن دنس
الالتفات الى ما سوى الله ويتلو عليه الايات الانفسية والافاقية ليكون من الموقنين ويغتنم النعيم الروحانى
ويدخل فى زمرة الصديقين فقوله تعالى ويزكيهم يشير الى السلوك والتسليك فاحفظ هذا وليكن على ذكر
منك اللهم احفظنا عن الموانع فى طريق الوصول اليك فان كل رجاء فى حيز القبول لديك (ومن يرغب
عن ملة ابراهيم) من استفهامية قصد بها الانكار والتقريع ورغب فى الشئ اذا اراده ورغب عنه اذا تركه
اى لا يترك دين ابراهيم احد ولا يعرض عن شريعته وطريقته (الا من سفه نفسه) اى اذلها وجعلها مهينا
حقيرا فانتصاب نفسه على انه مفعول به روى ان عبد الله بن سلام دعا ابنى اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فقال
لهما قد علمتما ان الله تعالى قال فى التوراة انى باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى
ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فانزل الله هذه الاية (ولقد اصطفيناه فى الدنيا) اى وبالله
لقد اخترنا ابراهيم فى الدنيا من بين سائر الخلق بالنبوة والحكمة (وانه فى الاخرة) متعلق بقوله (لمن الصالحين)
اى من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح فمن كان صفوة العباد فى الدنيا مشهودا له فى الاخرة
بالصلاح كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه اى فى اصل خلقته او متسفه يتكلف السفاهة
بمباشرة افعال السفهاء باختياره فيذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والتأمل فقوله وانه فى الاخرة
لمن الصالحين بشارة له فى الدنيا بصلاح الخاتمة ووعد له بذلك وكم من صالح فى اول حاله ذهب صلاحه فى مأله
وكان فى الاخرة لعذابه ونكاله كبلعم وبرصيصا وقارون وثعلبة (اذ قال له) ظرف لاصطفيناه وتعليل له
اى اخترناه فى وقت قال له (ربه اسلم) اى اخلص دينك لربك واستقم على الاسلام واثبت عليه وذلك حين خرج
من الغار ونظر الى الكوكب والقمر والشمس فالهمه الله الاخلاص (قال اسلمت لرب العالمين) اى اخلصت
دينى له كقوله انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض الاية وقد امتثل ما امر به من الاخلاص
والاستسلام واقام على ما قال فسلم القلب والنفس والولد والمال ولما قال له جبريل حين القى فى النار هل لك
من حاجة فقال اما اليك فلا فقال الا تسأل ربك فقال حسبى بسؤالى علمه بحالى قال اهل التفسير ان ابراهيم
ولد فى زمن النمرود بن كنعان وكان النمرود اول من وضع التاج على راسه ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان
ومنجمون فقالوا له انه يولد فى بلدك فى هذه السنة غلام يغير دين اهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك
على يديه قالوا فامر بذبح كل غلام يولد فى ناحيته فى تلك السنة فلما دنت ولادة ام ابراهيم واخذها المخاض
خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها فولدته فى نهر يابس ثم لفته فى خرقة ووضعته فى حلفاء وهو
نبت فى الماء يقال له بالتركى حصير قشى ثم رجعت فاخبرت زوجها بانها ولدت وان الولد فى موضع كذا فانطلق
ابوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له سربا اى بيتا فى الارض كالمغارة فواراه فيه وسد عليه بابه بصخرة مخافة
السباع وكانت امه تختلف اليه فترضعه وكان اليوم على ابراهيم فى الشباب والقوة كالشهر فى حق سائر الصبيان
والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم فى المغارة الا خمسة عشر شهرا او سبع سنين او اكثر من ذلك فلما شب
ابراهيم فى السرب قال لامه من ربى قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابى قالت اسكت ثم رجعت
الى زوجها فقالت ارأيت الغلام الذى كنا نحدث انه يغير دين اهل الارض فانه ابنك ثم اخبرته بما قال فاتى ابوه
آزر فقال له ابراهيم يا ابتاه من ربى قال امك قال فمن رب امى قال انا قال فمن ربك قال النمرود قال فمن رب النمرود

فلطمه

فلطمه لطمة وقال له اسكت فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فرأى السماء
وما فيها من الكواكب فتفكر فى خلق السموات والارض فقال ان الذى خلقنى ورزقنى واطعمنى وسقانى ربى
الذى مالى اله غيره ثم نظر فى السماء فرأى كوكبا قال هذا ربى ثم اتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما افل قال
لا احب الآفلين ثم رأى القمر ثم الشمس فقال فيهما كما قال فى حق الكوكب ثم انهم اختلفوا فى قوله ذلك فاجراه
بعضهم على الظاهر وقالوا كان ابراهيم فى ذلك الوقت مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقه الله اليه وارشده
فلم يضره ذلك فى الاستدلال وايضا كان ذلك فى حال طفوليته قبل ان يجرى عليه القلم فلم يكن كفرا وانكر
الاخرون هذا القول وقال كيف يتصور من مثله ان يرى كوكبا ويقول هذا ربى معتقدا فهذا لا يكون ابدا
ثم اولوا قوله ذلك بوجوه مذكورة فى سورة الانعام للامام محيى السنة والحاصل ان ابراهيم مستسلم للرب الكريم
وانه على الصراط المستقيم لا يرغب عن طريقته الا من سفه نفسه اى لم يتفكر فيها كما تفكر ابراهيم فى الانفس
والافاق قال تعالى وفى انفسكم أفلا تبصرون والسفاهة الجهل وضعف الرأى وكل سفيه جاهل وذلك
ان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعرف الله خالقها وقد جاء فى الحديث من عرف نفسه فقد عرف ربه
وفى الاخبار ان الله تعالى اوحى الى داود اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء واعرفنى بالقوة والقدرة والبقاء
(وفى المثنوى) جيست تعظيم خدا افراشتن * خويشتن را خاك وخوارى داشتن * جيست توحيد
خدا آموختن * خويشتن را پيش واحد سوختن * هستيت در هست آن هستى نواز *
همچو مس دركيميا اندر كداز * جمله معشوقست وعاشق پرده * زنده معشوقست وعاشق مرده *
(ووصى) لما كمل ابراهيم عليه السلام فى نفسه كمل غيره بالتوصية وهو تقديم ما فيه خير وصلاح من قول او فعل
الى الغير على وجه التفضل والاحسان سواء كان امرا دينيا او دنيويا (بها) اى بالملة المذكورة فى قوله تعالى
ومن يرغب عن ملة ابراهيم (ابراهيم بنيه) اى اولاده الذكور الثمانية عند البعض اسماعيل وامه هاجر القبطية
واسحاق وامه سارة وستة امهم قنطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم بعد وفاة سارة وهم مدين ومداين
وزمران ويقشان ويشبق ونوخ (ويعقوب) رفع عطف على ابراهيم اى وصى يعقوب ايضا وهو ابن اسحاق
ابن ابراهيم بنيه الاثنى عشر روبيل وشمعون ولاوى ويهودا ويستسوخور وزبولون وزوانا ونفتونا وكوزا واوشير
وبنيامين ويوسف وسمى يعقوب لانه مع اخيه عيصو كانا توأمين فتقدم عيصو فى الخروج من بطن امه
وخرج يعقوب على اثره آخذا بعقبه وذلك ان ام يعقوب حملت فى بطن واحد بولدين توأمين فلما تكامل عدة
اشهر الحمل وجاء وقت الوضع تكلما فى بطنها وهى تسمع فقال احدهما للاخر طرق لى حتى اخرج قبلك وقال
الاخر لئن خرجت قبلى لاشقن بطنها حتى اخرج من خصرها فقال الاخر اخرج قبلى ولا تقتل امى قال فخرج
الاول فسمته عيصو لانه عصاها فى بطنها وخرج الثانى وقد امسك بعقبه فسمته يعقوب فنشأ عيصو بالغلظة
والفظاظة صاحب صيد وقنص ويعقوب بالرحمة واللين صاحب زرع وماشية وروى انهما ماتا فى يوم واحد
ودفنا فى قبر واحد قيل عاش يعقوب مائة وسبعا واربعين سنة ومات بمصر واوصى ان يحمل الى الارض المقدسة
ويدفن عند ابيه اسحاق فحمله يوسف فدفنه عنده (يا بنى) على اضمار القول عند البصريين تقديره وصى
وقال يا بنى وذلك لان يا بنى جملة والجملة لا تقع مفعولا الا لافعال القلوب او فعل القول عندهم (ان الله اصطفى
لكم الدين) اى دين الاسلام الذى هو صفوة الاديان ولا دين عنده غيره (فلا تموتن) اى لا يصادفكم الموت
(الا وانتم مسلمون) اى مخلصون بالتوحيد محسنون بربكم الظن وهذا نهى عن الموت فى الظاهر وفى الحقيقة
عن ترك الاسلام لان الموت ليس فى ايديهم وذلك حين دخل يعقوب مصر فرأى اهلها يعبدون الاصنام
فاوصى بنيه بان يثبتوا على الاسلام فان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت
السعداء وان من حق هذا الموت ان لا يحل فيهم وتخصيص الابناء بهذه الوصية مع انه معلوم من حال ابراهيم
انه كان يدعو الكل ابدا الى الاسلام والدين للدلالة على ان امر الاسلام اولى الامور بالاهتمام حيث وصى به
اقرب الناس اليه واحراهم بالشفقة والمحبة وارادة الخير مع ان صلاح ابنائه سبب اصلاح العامة لان المتبوع
اذا اصلح فى جميع احواله صلح التابع روى انه لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين جمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقاربه وانذرهم فقال يا بنى كعب بن لؤى انقذوا انفسكم من النار يا بنى مرة بن كعب انقذوا انفسكم

من النار يابنى عبد شمس انقذوا انفسكم من النار يابنى هاشم انقذوا انفسكم من النار يابنى عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار يافاطمة انقذى نفسك من النار فانى لا املك لكم من الله شيأ يعنى لا اقدر على دفع مكروه عنكم فى الآخرة ان اراد الله ان يعذبكم وانما اشفع لمن اذن الله لى فيه وانما يأذن لى اذا لم يرد تعذيبه انما قال عليه السلام فى حقهم هكذا لترغيبهم فى الايمان والعمل ائلا يعتمدوا على قرابته ويتهاونوا ولابد من الوصية والتحذير فى باب الدين لان الانسان اذا انس باهل الشر يخاف ان يتخلق باخلاقهم ويعمل عملهم فيجره ذلك الهوى الى الهاوية (كما قيل) نفس ازهمنفس بكيرد خوى * برحذر باش ازلقاى خبيث *
باد چون برفضاى بد كذرد * بوى بد كيرد ازهواى خبيث * وكتب ابو عبيد الصورى الى بعض اخوانه اما بعد فانك قد اصبحت تأمل الدنيا بطول عمرك وتتمنى على الله الامانى بسوء فعلك وانما تضرب حديدا باردا والسلام وحسن الظن بالله تعالى انما يعتبر بعد اصلاح الحال بالاخلاق والاعمال قال الحسن ان قوما الهتهم الامانى حتى خرجوا من الدنيا ومالهم حسنة يقول احدهم انى احسن الظن بربى وكذب لو احسن الظن لاحسن العمل وتلا قوله تعالى وذلكم ظنكم الاية اللهم وفقنا للعلم والعمل قبل الاجل (ام كنتم شهدآء) لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابراهيم عليه السلام وام منقطعة مقدرة ببل والهمزة قال فى التيسير ام اذا لم يتقدمها الف الاستفهام كانت بمنزلة مجرد الاستفهام ومعنى الهمزة فيها الانكار يعنى اكنتم شهدآء جمع شهيد بمعنى الحاضر يريد ما كنتم حاضرين (اذ حضر يعقوب الموت) اى اماراته واسبابه وقرب خروجه من الدنيا نزلت حين قالت اليهود للنبى عليه السلام الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فقال تعالى ما كنتم حاضرين حين احتضر يعقوب وقال لبنيه ما قال والا لما ادعيتم عليه اليهودية ولكان حرضكم على ملة الاسلام (اذ قال لبنيه) بدل من اذ حضر والعامل فيها شهدآء (ما تعبدون من بعدى) اى اى شئ تعبدونه بعد موتى اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما قال الراغب لم يعن بقوله ما تعبدون من بعدى العبادة المشروعة فقط وانما عنى ان يكون مقصودهم فى جميع الاعمال وجه الله تعالى ومرضاته ويتباعدوا اعمالا يتوسل به اليها وكانه دعاهم الى ان لا يتحروا فى اعمالهم غير وجه الله تعالى ولم يخف عليهم الاشتغال بعبادة الاصنام وانما خاف ان تشغلهم دنياهم ولهذا قيل ما قطعك عن الله فهو طاغوت ولهذا قال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام اى ان نخدم ما دون الله (قال فى المثنوى) جيست دنيا ازخدا غافل بدن * نى قماش ونقره وميزان وزن * قال النحرير التفتازانى وما عام اى يصح اطلاقه على ذى العقل وغيره عند الابهام سوآء كان للاستفهام اوغيره واذا علم ان الشئ من ذى العقل والعلم فرق بين ما يختص من بذوى العلم وما بغيره وبهذا الاعتبار يقال ان ما لغير العقلاء انتهى كلامه وتم الانكار عليهم عند قوله ما تعبدون من بعدى ثم استأنف وبين ان الامر قد جرى على خلاف ما زعموا فقال (قالوا) كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا (نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحاق) اى نعبد الاله المتفق على وجوده والهيته ووجوب عبادته وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة الاباء تغليبا للاب والجد لان العم اب والخالة ام لانخراطهما فى سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه اى لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوى النخلة (الها واحدا) بدل من اله ابائك وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرر المضاف اونصب على الاختصاص كانه قيل نريد ونعنى باله ابائك الها واحدا (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد (تلك) اشارة الى الامة المذكورة التى هى ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون (امة) هى فى الاصل المقصود كالعهدة بمعنى المعهود وسمى بها الجماعة لان فرق الناس تؤمها اى يقصدونها ويقتدون بها وهى خبر تلك (قد خلت) اى مضت بالموت وانفردت عمن عداها واصله صارت الى الخلاء وهى الارض التى لا انيس بها والجملة نعت لامة (لها ما كسبت) تقديم المسند لقصره على المسند اليه اى لها كسبها لا كسب غيرها (ولكم ما كسبتم) لا كسب غيركم (ولا تسألون عما كانوا يعملون) اى لا تؤاخذون بسيئات الامة الماضية كما فى قوله ولا تسألون عما اجرمنا كما لا تثابون بحسناتهم فلكل اجر عمله وذلك لما ادعى اليهود ان يعقوب عليه السلام مات على اليهودية وانه عليه السلام وصى بها بنيه يوم مات وردوا بقوله تعالى ام كنتم شهدآء الاية قالوا هب ان الامر كذلك اليسوا اباءنا واليهم ينتمى نسبنا فلا جرم ننتفع بصلاحهم

ومنزلتهم عند الله تعالى قالوا ذلك مفتخرين باوآئلهم فردوا بانهم لا ينفعهم انتسابهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم فى الاعمال فان احدا لا ينفعه كسب غيره كما قال عليه السلام يابنى هاشم لا يأتينى الناس باعمالهم وتأتونى بانسابكم وقال عليه السلام من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه يعنى من اخره فى الاخرة عمله السيء اوتفريطه فى العمل الصالح لم ينفعه شرف نسبه ولم تنجبر نقيصته به قال الشاعر

انفخر باتصالك من على * واصل البوسة الماء القراح

وليس بنافع نسب زكى * يدنسه صنائعك القباح

والابناء وان كانوا يتشرفون فى الدنيا بشرف آبائهم الا انه اذا نفخ فى الصور فلا انساب والافتخار بمثل هذا كالافتخار بمتاع غيره وانه من الجنون فلابد من كسب العمل والاخلاص فيه فانه المنجى بفضل الله تعالى وجاء فى حديث طويل وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من امتى جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره لوالديه فرده عنه ورأيت رجلا من امتى قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا من امتى قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم ورأيت رجلا من امتى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من ايديهم ورأيت رجلا من امتى يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وارواه ورأيت رجلا من امتى والنبيون قعود حلقا حلقا كلما دنا لحلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة فاخذ بيده واقعده الى جنبى ورأيت رجلا من امتى بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير فيها فجاءته حجته وعمرته فاستخرجتاه من الظلمة وادخلتاه فى النور ورأيت رجلا من امتى يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت يا معشر المؤمنين كلموه فكلموه ورأيت رجلا من امتى يتقى وهج النار وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت سترا على وجهه وظلا على رأسه ورأيت رجلا من امتى قد اخذته الزبانية من كل مكان فجاءه امره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من ايديهم وادخلاه مع ملائكة الرحمة ورأيت رجلا من امتى جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فاخذ بيده فادخله على الله ورأيت رجلا من امتى قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فاخذ صحيفته فجعلها فى يمينه ورأيت رجلا من امتى قد خف ميزانه فجاءته افراطه فثقلوا ميزانه ورأيت رجلا من امتى قائما على شفير جهنم فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ورأيت رجلا من امتى اهوى فى النار فجاءته دموعه التى بكى من خشية الله فاستخرجته من النار ورأيت رجلا من امتى قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى ورأيت رجلا من امتى على الصراط يزحف احيانا ويحبوا احيانا ويتعلق احيانا فجاءته صلاته على فاخذت بيده واقامته ومضى على الصراط ورأيت رجلا من امتى انتهى الى ابواب الجنة فغلقت الابواب دونه فجاءته شهادة ان لا اله الا الله ففتحت له الابواب وادخلته الجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل يارسول الله وما اخلاصها قال ان يحجزه عن محارم الله فعلم من هذا التفصيل ان الخلاص وان كان بفضل الله تعالى لكنه منوط بالاعمال الصالحة فالقرابة لا تغنى شيأ اذا فسد العمل واما قول من قال اذا طاب اصل المرء طابت فروعه فباعتبار الغالب فان من عادته تعالى ان يخرج الحى من الميت والميت من الحى ونعم ما قيل * اصل را اعتبار چندان نيست * روى ترگل زخار خندان نيست * مى زغوره شود شكر از نى * عسل از نحل حاصلست ابى * والعود الذى تفوح رآئحته وان كان فى الاصل شجرة كسائر الاشجار الا انه لما كان له استعداد لتلك المرتبة وحصل ذلك بالتربية فاق على الاقران وخرج من جنس الاصل وكذا المسك فان اصله دم وكم من نسيب يعود على اصله بالعكس فيظهر فيه اثر الصلاح الباطن فى ابيه ان كان اى ابوه فاسقا او الفساد الباطن فيه ان كان صالحا وكم من فرع يميل الى اصله على وجه فانظر حال آدم عليه السلام وولديه هابيل وقابيل ومن بعدهم الى قيام الساعة (وقالوا كونوا هودا اونصارى) نزلت فى رؤس يهود المدينة وفى نصارى نجران اى قالت اليهود كونوا هودا فان نبينا موسى افضل الانبياء وكتابنا التوراة افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد والقرآن وقالت النصارى كونوا نصارى فان نبينا عيسى افضل الانبياء وكتابنا الانجيل افضل الكتب وديننا

افضل الاديان وكفروا بموسى والتوراة وبمحمد والقرءآن (تهتدوا) جواب للامر اى ان تكونوا كذلك تجدوا
الهداية من الضلالة (قل) يا محمد لهم على سبيل الرد وبيان ما هو الحق لا نكون ما تقولون (بل) نكون
(ملة ابراهيم) اى اهل ملته ودينه على حذف المضاف اى بل نتبع ملته لان كونوا معناه اتبعوا اليهودية
والنصرانية (حنيفا) اى مائلا عن كل دين باطل الى دين الحق ومنحرفا عن اليهودية والنصرانية وهو حال
من المضاف اليه وهو ابراهيم كما فى رأيت وجه هند قائمة لان رؤية وجه هند يستلزم رؤيتها فالحال هنا تبين
هيئة المفعول او من المضاف وهو الملة وتذكير حنيفا حينئذ بتأويل الملة بالدين لانهما متحدان ذاتا والتغاير
بالاعتبار (وما كان من المشركين) تعريض بهم وايذان ببطلان دعواهم اتباع ابراهيم مع اشراكهم بقولهم
عزير ابن الله والمسيح ابن الله وفى الاية ارشاد الى الاتباع الى دين ابراهيم وهو الدين الذى عليه نبينا عليه السلام
واصحابه واتباعه (قولوا) ايها المؤمنون (آمنا بالله) وحده (وما انزل الينا) اى بالقرءآن الذى انزل على نبينا
والانزال اليه انزال الى امته لان حكم المنزل يلزم الكل (وما انزل الى ابراهيم) من صحفه العشر (و) ما انزل الى
(اسماعيل واسحاق ويعقوب و) الى (الاسباط) جمع سبط وهو فى الاصل شجرة واحدة لها اغصان كثيرة والمراد
هنا اولاد يعقوب وهم اثناعشر سموا بذلك لانه ولد لكل منهم جماعة وسبط الرجل حافده اى ولد ولده والاسباط
من بنى اسرآئيل كالقبائل من العرب والشعوب من العجم وهم جماعة من اب وام وكان فى الاسباط انبياء
والصحف وان كانت نازلة الى ابراهيم لكن من بعده حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها
جعلت منزلة اليهم كما جعل القرءآن منزلا الينا (وما اوتى موسى وعيسى) من التوراة والانجيل وتخصيصهما
بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى (وما اوتى النبيون) جملة المذكورين منهم وغير المذكورين (من ربهم)
فى موضع الحال من العائد المحذوف والتقدير وبما اوتيه النبيون منزلا عليهم من ربهم (لا نفرق بين احد منهم)
كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض وكيف نفعل ذلك والدليل الذى اوجب علينا ان نؤمن ببعض الانبياء
وهو تصديق الله اياه بخلق المعجزات على يديه يوجب الايمان بالباقين فلو آمنا ببعضهم وكفرنا بالبعض لناقضنا
انفسنا والجملة حال من الضمير فى آمنا وانما اعتبر عدم التفريق بينهم مع ان الكلام فيما اوتوه لاستلزام عدم
التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بين ما اوتوه واحد فى معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين
عليه (ونحن له مسلمون) اى والحال انا مخلصون لله تعالى ومذعنون (فان آمنوا) اى اليهود والنصارى
(بمثل ما) اى بمثل الدين الذى (آمنتم به) هذا من باب التعجيز والتبكيت اى الزام الخصم والجائه الى الاعتراف
بالحق بارخاء عنانه وسد طرق المجادلة عليه او المثل مقحم والمعنى فان آمنوا بما آمنتم به وهو الله تعالى فانه ليس
لله تعالى مثل وكذا الدين الاسلام (فقد اهتدوا) الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق
(وان تولوا) اى ان اعرضوا عن الايمان على الوجه المذكور بان اخلوا بشىء من ذلك كأن آمنوا ببعض وكفروا
ببعض كما هو ديدنهم ودينهم (فانما هم فى شقاق) اى مستقرون فى خلاف عظيم بعيد من الحق وهذا لدفع
ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون فقوله فى شقاق خبر لقوله هم وجعل
الشقاق ظرفا لهم وهم مظروفون له مبالغة فى الاخبار باستيلائه عليهم فانه ابلغ من قولك هم مشاقون
والشقاق مأخوذ من الشق وهو الجانب فكأن كل واحد من الفريقين فى شق غير شق صاحبه بسبب العداوة
ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان ذلك مما يؤدى الى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتفريح المؤمنين بوعد النصرة والغلبة وضمان التأييد والاعزاز بالسين للتأكيد
الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل (فسيكفيكهم الله) الضميران منصوبا المحل على انهما مفعولان ليكفى
يقال كفاه مؤنته كفاية وان كثر استعماله معدى الى واحد نحو كفاك الشىء والظاهر ان المفعول الثانى
حقيقة فى الاية هو المضاف المقدر اى فسيكفى الله اياك امر اليهود والنصارى ويدفع شرهم عنك وينصرك
عليهم فان الكفاية لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال وقد انجز الله وعده الكريم بالقتل والسبى فى بنى قريظة
والجلاء والنفى الى الشام وغيره فى بنى النضير والجزية والذلة فى نصارى نجران (وهو السميع العليم) تذييل
لما سبق من الوعد وتأكيد له والمعنى انه تعالى يسمع ما تدعو به ويعلم ما فى نيتك من اظهار الدين فيستجيب لك
ويوصلك الى مرادك (صبغة الله) الصبغ ما يلون به الثياب والصبغ المصدر والصبغة الفعلة التى تبنى للنوع

والحالة من صبغ كالجلسة من جلس وهى الحالة التى يقع الصبغ عليها او هى اى الصبغة فى الاية مستعارة لفطرة
الله التى فطر الناس عليها شبهت الخلقة السليمة التى يستعد بها العبد للايمان وسائر انواع الطاعات بصبغ الثوب
من حيث ان كل واحدة منهما حلية لما قامت هى به وزينة له والتقدير صبغنا الله صبغة اى فطرنا وخلقنا
على استعداد قبول الحق والايمان فطرته فهذا المصدر مفعول مطلق مؤكد لنفسه لانه مع عامله المقدر بعينه
وقع مضمون الجملة المقدمة وهو قوله آمنا بالله لا يحتمل لها من المصادر الا ذلك المصدر لان ايمانهم بالله يحصل
بخلق الله اياهم على استعداد اتباع الحق والتحلى بحلية الايمان ويحتمل ان يكون التقدير طهرنا الله تطهيره
لان الايمان يطهر النفوس عن اوضار الكفر وسماه صبغة للمشاكلة وهى ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوع ذلك
الشىء فى صحبة الغير اما بحسب المقال المحقق او المقدر بان لا يكون ذلك الغير مذكورا حقيقة ويكون فى حكم
المذكور لكونه مدلولا عليه بقرينة الحال فهى كما تجرى بين قولين كما فى تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك
فانه عبر عن ذات الله بلفظ النفس لوقوعه فى صحبة لفظ النفس وعبر عن لفظ الفطرة بلفظ الصبغة لوقوعه
فى صحبة صبغة النصارى اذ كانوا يشتغلون بصبغ اولادهم فى سابع الولادة مكان الختان للمسلمين بغمسهم فى الماء
الاصفر الذى يسمونه المعمودية على زعم ان ذلك الغمس وان لم يكن مذكورا حقيقة لكنه واقع فعلا من حيث
انهم يشتغلون به فكان فى حكم المذكور بدلالة قرينة الحال عليه من حيث اشتغالهم به ومن حيث ان الاية
نزلت ردا لزعمهم ببيان ان التطهير المعتبر هو تطهير الله عباده لا تطهير اولادكم بغمسهم فى المعمودية وهى اسم
ماء غسل به عيسى عليه السلام فمزجوه بماء آخر وكلما استعملوا منه جعلوا مكانه ماء آخر (ومن احسن) مبتدأ
وخبر والاستفهام فى معنى الجحد (من الله صبغة) نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن
صبغته احسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما والمعنى اى شخص تكون صبغته
احسن من صبغة الله فانه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر وانجاس الشرك فلا صبغة
احسن من صبغته (ونحن له) اى لله الذى اولانا تلك النعمة الجليلة (عابدون) شكرا له ولسائر نعمه وتقدم
الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو عطف على آمنا داخل هو تحت الامر وهو قولوا فاذا كان حرفة العبد
العبادة فقد زين نفسه بصبغ حسن يزينه ولا يشينه (وفى المثنوى) كاورا رنك از برون مردرا * ازدرون
جو رنك سرخ وزردرا * رنكهاى نيك ازخم صفاست * رنك زشتان ازسياهابه جفاست * صبغة الله
نام آن رنك لطيف * لعنة الله بوى اين رنك كثيف * وفى قوله تعالى ونحن له عابدون اشارة الى ان العارفين
يعبدون ربهم لا لشوق الجنة ولا لخوف النار قال الله تعالى فى الزبور ومن اظلم ممن عبدنى لجنة اونار فلو لم
اخلق جنة ولا نارا الم اكن مستحقا لان اعبد واعلم ان العابد هو العامل بحق العبودية فى مرضاة الله تعالى
والعبادة دون العبودية وهى دون العبودة لان من لم يبخل بروحه فهو صاحب عبودة فالعبادة ببذل الروح فوق
العبادة ببذل النفس قال سهل بن عبد الله لا يصح التعبد لاحد حتى لا يجزع من اربعة اشياء من الجوع والعرى
والفقر والذل قال الشيخ ابو العباس رحمه الله اوقات العبد اربعة لا خامس لها الطاعة والمعصية والنعمة والبلية
ولكل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية فمن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو
فرح القلب بالله تعالى ومن كان وقته البلية فسبيله الرضى والصبر فعليك ان تراقب الاوقات الى ان تصل اعلى
الدرجات وغاية الغايات (وفى المثنوى) كافرم من كرزيان كردست كس * درره ايمان وطاعت يكنفس *
سرشكسته نيست اين سررا مبند * يك دوروزه جهد كن باقى بخند * تازه كن ايمان نه از كفت زبان *
اى هوارا تازه كرده درنهان * تاهوا تازه ست ايمان تازه نيست * كين هوا جزقفل آن دروازه نيست *
روى ان السرى قدس سره قال مكثت عشرين سنة اخرس خلق الله تعالى فلم يقع فى شبكتى الا واحد كنت
اتكلم فى المسجد الجامع ببغداد يوم الجمعة وقلت عجبت من ضعيف عصى قويا فلما كان يوم السبت وصليت
الغداة اذا انا بشاب قد وافى وخلفه ركبان على دواب بين يديه غلمان وهو راكب على دابته فنزل وقال ايكم
السرى السقطى فاوموا جلسائى الى فسلم على وجلس وقال سمعتك تقول عجبت من ضعيف عصى قويا
فما اردت به فقلت ما ضعيف اضعف من ابن آدم ولا قوى اقوى من الله تعالى وقد تعرض ابن آدم مع ضعفه
الى معصية الله تعالى قال فبكى ثم قال يا سرى هل يقبل ربك غريقا مثلى قلت ومن ينقذ الغرقى الا الله تعالى

قال ياسرى ان على مظالم كثيرة كيف اصنع قال اذا صحت الانقطاع الى الله تعالى ارضى عنك الخصوم بلغنا
عن النبى عليه السلام انه قال اذا كان يوم القيامة واجتمع الخصوم على ولى الله وكل لكل منهم ملكا يقول
لا تروعوا ولى الله فان حقكم اليوم على الله تعالى فبكى ثم قال صف لى الطريق الى الله فقلت ان كنت تريد
طريق المقتصدين فعليك بالصيام والقيام وترك الآثام وان كنت تريد طريق الاولياء فاقطع العلائق واتصل
بخدمة الخالق فبكى حتى بل منديلا له ثم انصرف وكان من امره كيت وكيت من ترك الاهل والعيال والسكون
عند المقابر وتغيير الحال حتى توفى ذلك الشاب على الحالة التى اقبل عليها قال السرى فخلت يوما عيناى فاذا به
يرفل فى السندس والاستبرق ويقول لى جزاك الله خيرا فقلت مافعل الله بك قال ادخلنى الجنة ولم يسألنى
عن ذنب انتهى (قل اتحاجوننا) المحاجة المجادلة ودعوى الحق واقامة الحجة على ذلك من كل واحد والهمزة
للانكار والتوبيخ وسبب نزول هذه الاية ان اليهود والنصارى قالوا ان الانبياء كانوا منا وعلى ديننا ودينا اقدم
فقال الله تعالى قل يا محمد لليهود والنصارى اتجادلوننا وتخاصموننا (فى الله) اى فى دينه وتدعون ان دينه الحق
هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء عليهما وتقولون تارة ان يدخل الجنة الا من كان
هودا اونصارى وتارة كونوا هودا اونصارى تهتدوا (وهو ربنا وربكم) اى والحال انه لا وجه للمجادلة اصلا
لانه تعالى مالك امرنا وامركم (ولنا اعمالنا) الحسنة الموافقة لامره (ولكم اعمالكم) السيئة المخالفة لحكمه
فكيف تدعون انكم اولى بالله (ونحن له) اى لله تعالى (مخلصون) فى تلك الاعمال لا نبتغى بها الا وجهه فانى لكم
المحاجة وادعاء حقية ما انتم عليه والطمع فى دخول الجنة بسببه ودعوة الناس اليه وانتم به مشركون
والاخلاص تصفية العمل عن الشرك والرياء وحقيقته تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين (ام تقولون)
ام معادلة للهمزة فى قوله تعالى اتحاجوننا داخلة فى حيز الامر على معنى اى الامرين تأتون اقامة الحجة وتنوير
البرهان على حقية ما انتم عليه والحال ما ذكر ام التشبث بذيل التقليد والافتراء على الانبياء وتقولون
(ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) وهى حفدة يعقوب وهم اولاد اولاده الاثنى عشر
وعن الزجاج انه قال الاسباط فى ولد اسحق بمنزلة القبائل فى ولد اسمعيل فولد كل واحد من ولد اسحق
وولد اسمعيل (كانوا هودا اونصارى) فنحن مقتدون بهم والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما
اى كيف تحاجون وكيف تقولون فى حق الانبياء الذين بعثوا قبل نزول التوراة والانجيل انهم كانوا هودا
اونصارى ومن المحال ان يقتدى المتقدم بالمتأخر ويتدين بسنته (قل) يا محمد (ءانتم) الاستفهام للتقرير والتوبيخ
(اعلم) بدينهم (ام الله) اعلم (ومن اظلم) انكار لان يكون احد اظلم فالاستفهام بمعنى النفى (ممن كتم) اى ستر
واخفى عن الناس (شهادة) ثابتة (عنده) اى عند من كائنة (من الله) قوله عنده ومن الله صفتان لشهادة
حاصلة عنده صادرة من الله تعالى يعنى يا اهل الكتاب قد علمتم بشهادة حصلت عندكم صادرة من الله تعالى
بان ابراهيم وبنيه كانوا حنفاء مسلمين بان اخبركم الله بذلك فى كتابكم ثم انكم تكتمونها وتدعون خلاف ما شهد الله
به فى حقهم فلا احد اظلم منكم حيث اجترأتم على تكذيب الله تعالى فيما اخبر به وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان
للايماء الى ان مرتبة من يردها ويشهد بخلافها فى الظلم خارجة عن دائرة البيان وعن ابن عباس اكبر الكبائر
الاشراك بالله وشهادة الزور وكتمان الشهادة قال تعالى ومن يكتمها فانه آثم قلبه والمراد مسخ القلب ونعوذ بالله
من ذلك (وما الله بغافل عما تعملون) ما موصولة عامة لجميع ما يكتسب بالجوارح الظاهرة والقوى الباطنة
ويدخل فيه كتمان شهادة الله دخولا اوليا اى هو محيط بجميع ما تأتون وما تذرون فيعاقبكم بذلك اشد عقاب
(تلك امة) اى الانبياء جماعة (قد خلت) اى مضت بالموت (لها ما كسبت) من الاعمال (ولكم ما كسبتم)
منها (ولا تسألون عما كانوا يعملون) اى لا يسأل احد عن عمل غيره بل يسأل عن عمله ويجزى به وهذا تكرير
للاية السابقة بعينها للمبالغة فى الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على اعمالهم قال الله تعالى
فاذا نفخ فى الصور فلا انساب قيل لما انصرف هارون الرشيد من الحج اقام بالكوفة اياما فلما خرج وقف
بهلول المجنون على طريقه وناداه باعلى صوته يا هارون ثلاثا فقال هارون من الذى ينادينى تعجبا فقيل له
بهلول المجنون فوقف هارون وامر برفع الستر وكان يكلم الناس وراء الستر فقال له الم تعرفنى قال بلى اعرفك
فقال من انا قال انت الذى لو ظلم احد فى المشرق وانت فى المغرب سألك الله عن ذلك يوم القيامة فبكى هارون

وقال كيف ترى حالى قال اعرضه على كتاب الله وهى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم وقال اين اعمالنا
قال انما يتقبل الله من المتقين قال واين قرابتنا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فاذا نفخ فى الصور
فلا انساب بينهم قال واين شفاعة رسول الله ايانا قال يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له
قولا فلا بد من الاعمال الصالحة والاخلاص فيها فان الله يتقبلها لا غيرها قال الجنيد الاخلاص سر بين
العبد وبين الله لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله قال الفضيل ترك العمل من اجل الناس
رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك عنهما وفى التتارخانية لو افتتح للصلاة خالصا لله
تعالى ثم دخل فى قلبه الرياء فهو على ما افتتح والرياء على انه لو خلا عن الناس لا يصلى ولو كان مع الناس يحسنها
ولو صلى وحده لا يحسن فله ثواب اصل الصلاة دون الاحسان قال بعض الحكماء مثل من يعمل الطاعة للرياء
والسمعة كمثل رجل يخرج الى السوق وقد ملأ كيسه حصى فيقول الناس ما املأ كيس فلان ولا منفعة له
سوى مقالة الناس وفى الحديث اخلصوا اعمالكم لله تعالى فان الله تعالى لا يقبل الا ما خلص له ولا تقولوا هذا لله
وللرحم وليس لله منه شىء ومن احاديث المشارق لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله قال النووى
المراد الذبح باسم غير الله كمن ذبح للصنم اوللموسى اوغيرهما ذكر الشيخ ابراهيم المراودى ان ما ذبح عند استقبال
السلطان تقربا اليه افتى اهل بخارى بتحريمه لانه مما اهل به لغير الله وقال الرافعى هذا غير محرم لانهم انما يذبحونه
استبشارا بقدومه فهو كذبح العقيقة لولادة المولود ومثل هذا لا يوجب التحريم انتهى كلامه وعليه يحمل
افعال المسلمين صيانة لهم عن الكفر وضياع الاعمال فان الموحد مطمح نظره رضى مولاه والتعبد اليه بما تيسر له
من القربات اللهم اعصمنا عن الزلات (سيقول السفهاء) اى الذين ضعفت عقولهم حال كونهم (من الناس)
اى الكفرة يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وانما كانوا سفهاء لانهم راغبون
عن ملة ابراهيم وقد قال تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه اى اذلها بالجهل والاعراض
عن النظر وفائدة تقديم الاخبار به قبل وقوعه ليوطنوا عليه انفسهم فلا يضطربوا عند وقوعه لان مفاجأة
المكروه اشد على النفوس واشق وليعلموا الجواب فان العتيد قبل الحاجة اليه اردّ لشغب الخصم الالد
وقبل الرمى يراش السهم وهو مثل يضرب فى تهيئة الالة قبل الحاجة اليها (ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها)
ما استفهامية انكارية مرفوعة المحل على الابتداء وولاهم خبره والجملة فى موضع النصب بالقول يقال تولى عن
ذلك اى انصرف وولى غيره اى صرفه والقبلة فى الاصل الحالة التى عليها الانسان من الاستقبال فخصت فى عرف
الشرع الى الجهة التى يستقبلها الانسان للصلاة وهى من المقابلة وسميت قبلة لان المصلى يقابلها والمعنى
اى شىء صرفهم وحولهم عن قبلتهم التى كانوا على التوجه اليها وهى بيت المقدس ولم انصرفوا منها الى الكعبة
روى ان النبى عليه السلام صلى الى نحو بيت المقدس بعد مقدمه المدينة نحوا من سبعة عشر شهرا تأليفا لقلوب
اليهود ثم صارت الكعبة قبلة المسلمين الى نفخ الصور (قل) كانه قيل فاذا اقول عند ذلك فقيل قل (لله المشرق
والمغرب) اى الامكنة كلها والنواحى باسرها لله تعالى ملكا وتصرفا فلا يستحق شىء منها لذاته ان يكون قبلة
حتى يمتنع اقامة غيره مقامه والشىء من الجهات انما يصير قبلة بمجرد ان الله تعالى امر بالتوجه اليها فله ان يأمر
فى كل وقت بالتوجه الى جهة من تلك الجهات على حسب الوهيته واستيلائه ونفاذ قدرته ومشيئته
فانه لا يسأل عما يفعل بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فاللائق بالمخلوق ان يطيع خالقه ويأتمر بامره من غير
ان يتحرى خصوصية فى المأمور به زائدة على مجرد كونه مأمورا به فان الطاعة له ليس الا بارتسام امره
اى امتثاله لا بتحرى العلل والاغراض الداعية له تعالى الى الامر لان احكام الله تعالى وافعاله ليست معللة
بالدواعى والاغراض واليهود انما استقبلوا جهة المغرب واتخذوها قبلة اتباعا لهوى انفسهم حيث زعموا
ان موسى عليه السلام كان فى جانب المغرب فاكرمه الله بوحيه وكلامه كما قال تعالى وما كنت بجانب الغربى
اذ قضينا الى موسى الامر والنصارى ايضا اتخذوا جهة المشرق قبلة اتباعا لهواهم حيث زعموا ان مريم عليها
السلام حين خرجت من بلدها مالت الى جانب الشرق كما قال الله تعالى واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت
من اهلها مكانا شرقيا والمؤمنون استقبلوا الكعبة طاعة لله تعالى وامتثالا لامره لا ترجيحا لبعض الجهات
المتساوية بمجرد رأيهم واجتهادهم مع انها قبلة خليل الله تعالى ومولد حبيبه صلى الله عليه وسلم (يهدى

من يشاء الى صراط مستقيم) وهو التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى ووجه استقامته كونه مشتملا على الحكمة والمصلحة موافقا لهما قال بعض ارباب الحقيقة سمى الطاعنين من اليهود والمشركين والمنافقين سفهاء لاحتجاب عقولهم عن حقيقة دين الاسلام ولو ادركوا الحق مطلقا لاخلصوه كما اخلص المؤمنون فلم تبق محاجتهم معهم ولو كانت عقولهم رزينة لاستدلت بالايات وانكروا التحويل لانهم كانوا معتدين بالجهة فلم يعرفوا التوحيد الوافى بالجهات كلها (قال المولى الجامى) جهان مرآت حسن شاهد ماست * فشاهد وجهه فى كل ذرات (وكذلك) اشارة الى مفهوم الاية المتقدمة اى كما جعلناكم مهتدين الى الصراط المستقيم (جعلناكم) توحيد الخطاب فى كذلك مع القصد الى المؤمنين لما ان المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين (امة وسطا) اى خيارا لان الاوساط محمية محوطة والاطراف يتسارع اليها الخلل (لتكونوا شهداء على الناس) يوم القيامة ان الرسل قد بلغتهم (ويكون الرسول) اى محمد صلى الله عليه وسلم (عليكم شهيدا) ان قلت ان الشاهد اذا اخبر بشهادته عديت الشهادة بكلمة على واذا نفع بها تعدى باللام فيقال شهد له والرسول عليه السلام لما زكى امته وعدلهم بشهادته فقد انتفعوا بها فالظاهر ان يقال ويكون الرسول لكم شهيدا بخلاف شهادة الامة على الناس فانها شهادة عليهم حيث استضروا بها فكلمة على فيها واقعة فى موضعها قلت هذا مبنى على تضمين الشهيد معنى الرقيب والمطلع فعدى تعديته والوجه فى اعتبار تضمين الشهيد الاشارة الى ان التعديل والتزكية انما يكون عن خبرة ومراقبة بحال الشاهد فاذا شاهد منه الرشد والصلاح عدله وزكاه واثنى عليه والا يسكت عنه وقدمت صلة الشهادة اى عليكم لاختصاصهم بشهادته صلى الله عليه وسلم على سبيل التزكية والتعديل وهو لا ينافى شهادته صلى الله عليه وسلم للانبياء بالتبليغ وعلى منكرى التبليغ بالتكذيب روى ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين فى صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم الم يأتكم نذير فينكرون فيقولون ما جاءنا من بشير ولا نذير فيسأل الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو اعلم بهم اقامة للحجة فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم انهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من اين علموا وانهم اتوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون ارسلت الينا رسولا وانزلت عليه كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وانت صادق فيما اخبرت ثم يؤتى بمحمد عليه السلام فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم فيؤمر بالكفار الى النار قال بعض ارباب الحقيقة معنى شهادتهم على الناس اطلاعهم بنور التوحيد على حقوق الاديان ومعرفتهم لحق كل دين وحق كل ذى دين من دينه وباطلهم الذى ليس حقهم الذى هو مخترعات نفوسهم وطريق الحق واحد فمن تحقق بحق دين تحقق بحق سائر الاديان وخاصة دين الاسلام الذى هو الحق الاعظم ومعنى شهادة الرسول عليهم اطلاعه على رتبة كل متدين بدينه وحقيقته التى هو عليها من دينه وحجابه الذى هو به محجوب عن كمال دينه فهو يعرف ذنوبهم وحقيقة ايمانهم واعمالهم وحسناتهم وسيأتهم واخلاصهم ونفاقهم وغير ذلك بنور الحق وامته يعرفون ذلك من سائر الامم بنوره عليه السلام قال بعضهم جعلنا سبحانه آخر الامم تشريفا لحبيبه وامته لانه لو قدمنا لاحتجنا ان ننتظر فى قبورنا قدوم الامم الماضية فجعلهم سبحانه فى انتظارنا تشريفا لنا وايضا جعلنا آخر الامم لنكون يوم القيامة شهداء على جميع الامم الماضية ويكفى شرفا لهذه الامة المرحومة ما قال صلى الله عليه وسلم فى حق علمائهم علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل وذكر الراغب الاصفهانى فى المحاضرات انه قال الامام الشاذلى صاحب حزب البحر اضطجعت فى المسجد الاقصى فرأيت فى المنام قد نصب تخت خارج الاقصى فى وسط الحرم فدخل خلق كثير افواجا افواجا فقلت ما هذا الجمع فقالوا جمع الانبياء والرسل قد حضروا ليشفعوا فى حسين الحلاج عند محمد عليه افضل الصلاة والسلام لاساءة ادب وقعت منه فنظرت الى التخت فاذا نبينا محمد عليه السلام جالس عليه بانفراده وجميع الانبياء عليهم السلام على الارض جالسون مثل ابراهيم وموسى وعيسى ونوح فوقفت انظر واسمع كلامهم فخاطب موسى نبينا عليه السلام وقال له انك قد قلت علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل فارنا منهم واحدا فقال هذا واشار الى الامام الغزالى فسأله موسى سؤالا فاجابه بعشرة اجوبة فاعترض عليه موسى بان السؤال ينبغى ان يطابق الجواب والسؤال واحد والجواب عشرة فقال الامام هذا الاعتراض وارد عليك ايضا حين سئلت وما تلك بيمينك يا موسى وكان الجواب عصاى فعددت صفات كثيرة

قال

قال فبينما انا متفكر فى جلالة قدر محمد عليه السلام وكونه جالسا على التخت بانفراده والخليل والكليم والروح جالسون على الارض اذ رفسنى شخص برجله رفسة مزعجة فانتبهت فاذا بقيم ثم غاب عنى فلم اجده الى يومى هذا ومن هذا قال

وانسب الى ذاته ما شئت من شرف * وانسب الى قدره ما شئت من عظم

اللهم يسر لنا شفاعته (وما جعلنا القبلة) مفعول اول لجعلنا (التى كنت عليها) مفعول ثانى له بتقدير موصوف اى الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة لانه عليه السلام كان مأمورا بان يصلى الى الكعبة وهو بمكة ثم لما هاجر امر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس التى منها يصعد الملائكة الى السماء ثم اعيد الى ما كان عليه اولا والمعنى ما رددناك الى ما كنت عليه اى على استقباله والتوجه اليه وما جعلنا ذلك لشئ من الاشياء (الا لنعلم من يتبع الرسول) فى التوجه الى ما امر به (ممن ينقلب) اى ينصرف ويرجع (على عقبيه) العقب مؤخر القدم والانقلاب على العقبين مستعار للارتداد والرجوع عن الدين الحق الى الباطل ومعنى لنعلم ليظهر علمنا على مظاهر الرسول والمؤمنين ويتميز عندهم الثابت على الاسلام الصادق فيه من المتردد الذى يرتد بادنى سبب لقلقه وضعف ايمانه لانه لم يعلم حالهم فعلم لانه تعالى كان عالما فى الازل بهم وبكل حال من احوالهم التى تقع فى كل زمان من ازمنة وجودهم مقارنة للزمان الذى يقع فيه تلك الحال وكل من يعلم شيأ فانما يعلم بان يظهر ذلك العلم فيه ويقرب من هذا ما قيل المعنى ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده هذا هو المعنى الذى اختاره القاشانى فى تأويلاته وزيف ما عداه والعلم فى قوله لنعلم بمعنى المعرفة اى لنعرف الذى يتبع الرسول فلا يحتاج الى مفعول ثان فان قيل ان الله لا يوصف بالمعرفة فلا يقال الله عارف فكيف يكون العلم بمعنى المعرفة هنا قلت انما لا يوصف بها اذا كانت بمعناها المشهور وهو الادراك المسبوق بالعدم واما اذا كانت بمعنى الادراك الذى لا يتعدى الى مفعولين فيجوز ان يوصف الله بها وقوله ممن ينقلب حال من فاعل يتبع اى متميزا منه (وان كانت) اى القبلة المحولة (لكبيرة) اى شاقة ثقيلة على من يألف التوجه الى القبلة المنسوخة فان الانسان الوف لما يتعوده يثقل عليه الانتقال منه وان هى المخففة من المثقلة واسمها محذوف وهو القبلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية كما فى قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا (الا على الذين هدى الله) اى هداهم الى حكمة الاحكام وارشدهم وعرفهم ان ما كلفه عباده متضمن لحكمة لا محالة وان لم يهتدوا الى خصوصية تلك الحكمة بعينها اتفقوا بذلك ان السعيد الفائز من اطاع ربه الحكيم وان الشقى الخاسر من عصى ربه العليم بين انهم مثابون على ذلك الثبات والاتباع وان ذلك غير ضائع عنهم فقال (وما كان الله) مريدا (ليضيع ايمانكم) اى ثباتكم على التصديق بجميع ما جاء به النبى عليه السلام من غير ان ترتابوا فى شئ من ذلك (ان الله بالناس) متعلق برؤف (لرؤف) اى ذو رحمة عظيمة لهم حيث نقلهم برحمته عن ذلك الى هذا وهو واصح لهم (رحيم) يغفر ذنوبهم بالايمان وايصال الرزق (قال السعدى) فرومانده كان ابرحمت قريب * تضرع كنان را بدعوت مجيب * روى انه اخذ بعض امراء الكفار وكان جائرا قاتلا فى زمن داود عليه السلام فصلب فوق الجبل عشاء ورجع الناس الى منازلهم وبقى هذا على الخشبة وحده وتضرع الى آلهته فلم يغنوا عنه شيأ ثم رجع الى الله وقال انت الله الحق اتيت اليك لتغيثنى فاغثنى برحمتك قال الله تعالى يا جبريل ان هذا عبد الهه طويلا فلم ينتفع فتفزع الى ودعانى فاستجبت له فاهبط الى الارض وضعه على الارض فى سلامة وعافية ففعل فلما اصبح وارأوه وهو حى يصلى لله تعالى فاخبروا داود بذلك فدعا الله فيه مستكشفا امره فاوحى الله اليه يا داود انى لا ارحم من آمن بى ودعانى فان لم افعل فاى فرق بينى وبين آلهته واعلم ان جماعة قد ارتدوا عن الاسلام عند تحويل القبلة لتعلقهم بما سوى الله تعالى وعدم فنائهم فى الله ورضاهم بما يجئ عليهم من القضاء فاخذتهم الكدرة كالسيل واما الذين سعدوا بسعادة ازلية فلم يتعلقوا فى الحقيقة ببيت المقدس ولا بالكعبة بل الرب الخالق لهما ولغيرهما وفنوا عن ارادتهم فجاءت ارادة الله لهم كالشهد المصفى فاخذهم السرور والصفا (قال الصائب) مهياى فنا را از علايق نيست پروايى * بيندبشد ز خاشاك انكس كه دامان بركمر دارد * ذكر ان ابا القاسم الجنيد البغدادى لما رأوه فى وادى الوله ظنوا انه مرض او جن فجعلوه فى دار الشفاء فزاره بعض من يدعى حبه فقال لهم من انتم فقالوا نحن احباؤك فرماهم بالاحجار ففروا من عنده

وقالوا قد غلب عليه الجنون فقال تدعون الحب باقوالكم وقد يكذبها افعالكم فالمحب من امره ما اصابه
من الحبيب فلذلك قد عد اشد البلاء عند الانبياء والاولياء الذ من الحلوى فاكتسوا حلل التسليم والاصطبار
وغاصوا فى لجج المكاشفات والمشاهدات واشتغلوا مع الجنان واللسان بالتوحيد وذكر الملك المنان حتى عدوا
الالتفات الى غيره ولو باكل لقمة من الموانع فلذلك ارتقوا فى الفناء والبقاء الى غاية المبتغى ولما قال موسى عليه
السلام رب ارنى انظر اليك قال ياموسى لن ترانى فى البساط الفانى اصبر حتى اجعله باقيا حتى ترانى ياموسى
رعيت غنم شعيب عشر سنين اتريد ان ترانى بعبادة اربعين يوما ثم اصطفاه واعطاه ما اعطاه فلما رجع الى قومه
رأى فى الطريق الجبل الاعلى فسأل عنه متعجبا فقال الجبل ياموسى كنت ترعى الغنم فى يدى فى رأسك قلنسوة
وفى يدك عصا فالله الذى اصطفاك برسالاته وبكلامه لقد جعلنى الاعلى بفضله وانعامه اللهم اجعلنا على صراطك
المستقيم واتباع رسولك الكريم واهدنا التوجه الى كعبة ذاتك والانجذاب اليك والوصول الى مشاهداتك
(قد) لفظ قد فى المضارع للتقليل وقد استعمل ههنا للتكثير بطريق الاستعارة للمجانسة بين الضدين
فى الضدية (نرى) مستقبل لفظا ماض معنى ومتأخر تلاوة متقدم معنى لانها رأس القصة والمعنى شاهدنا وعلمنا
(تقلب وجهك) اى تردد وجهك فى تصرف نظرك (فى السماء) اى فى جهتها تطلعا للوحى وكان عليه السلام يقع
فى روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان
من حيث انها كانت مجزة لهم وامنا ومزارا ومطافا ولمخالفة اليهود فانهم كانوا يقولون انه يخالفنا فى ديننا
ثم انه يتبع قبلتنا ولولا نحن لم يدر اين يستقبل فعند ذلك كره ان يتوجه الى قبلتهم حتى روى انه صلى الله عليه
وسلم قال لجبريل وددت ان الله صرفنى عن قبلة اليهود الى غيرها فقال له جبريل انا عبد مثلك وانت كريم على
ربك فادع ربك وسله ثم ارتفع جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء ان يأتيه
جبريل بالذى سأل ربه فانزل الله هذه الاية واول ما نسخ من المنسوخات هو خمسون صلاة نسخت الى خمسة
للتخفيف ثم تحويل القبلة الى بيت المقدس بمكة امتحانا للمشركين بعد ان كان للمصلى ان يتوجه حيث شاء
لقوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله ثم تحويلها من بيت المقدس الى الكعبة بالمدينة امتحانا لليهود كذا فى تفسير
الفاتحة للمولى الفنارى (فلنولينك قبلة) اى فوالله لنعطينكها ولنمكننك من استقبالها من قولك
وليته كذا اى صيرته واليا له وولى الرجل ولاية اى تمكن منه اوفلنجعلنك تلى سمتها دون سمت بيت المقدس
من وليه وليا اى قربه ودنا منه واوليته اياه ووليته اى ادنيته منه (ترضاها) مجاز عن المحبة والاشتياق لانه
عليه السلام لم يكن ساخطا للتوجه الى بيت المقدس كارها له غير راض اى تحبها وتشوق اليها لا لهوى النفس
والشهوة الطبيعية بل لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله تعالى (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اى اصرف
وجهك اى اجعل وجهك بحيث تلى شطره ونحوه والمراد بالوجه ههنا جملة البدن لان الواجب على المكلف
ان يستقبل القبلة بجملة بدنه لا بوجهه فقط ولعل تخصيص الوجه بالذكر التنبيه على انه الاصل المتبوع
فى التوجه والاستقبال والمتبادر من لفظ المسجد الحرام هو المسجد الاكبر الذى فيه الكعبة والحرام المحرم
اى محرم فيه القتال او ممنوع من الظلمة ان يتعرضوا له وفى ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذان بكفاية
مراعاة جهة الكعبة باتفاق بين الحنفية والشافعية لان استقبال عينها للبعيد متعذر وفيه حرج عظيم بخلاف
القريب (وحيثما كنتم) اى فى اى موضع كنتم من الارض من بحر او بر شرق او غرب واردتم الصلاة
(فولوا وجوهكم شطره) فانه القبلة الى نفخ الصور امر لجميع المؤمنين بذلك بعدما امر به النبى عليه
السلام تصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد حثا للامة على المتابعة (وان الذين اوتوا الكتاب)
من فريقى اليهود والنصارى (ليعلمون انه) اى التحويل الى الكعبة (الحق) اى الثابت كائنا (من ربهم) لما ان
المسطور فى كتبهم انه عليه السلام يصلى الى القبلتين بتحويل القبلة الى الكعبة بعدما كان يصلى الى بيت
المقدس ومعنى من ربهم اى من قبله تعالى لا شئ ابتدعه الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه فانهم كانوا
يزعمون انه من تلقاء نفسه (وما الله بغافل عما تعملون) خطاب للمسلمين واليهود جميعا على التغليب فيكون
وعدا للمسلمين بالاثابة وجزيل الجزاء ووعيدا وتهديدا لليهود على عنادهم (ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب
بكل آية) برهان قاطع على ان التوجه الى الكعبة هو الحق (ما تبعوا قبلتك) عنادا ومكابرة وهذا فى حق قوم

معينين علم الله انهم لا يؤمنون فان منهم من آمن وتبع القبلة (وما انت بتابع قبلتهم) حسم لاطماعهم
اذ كانوا ماجوا فى ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذى ننتظره وطمعوا فى رجوعه
الى قبلتهم (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم
كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل فريق فيما هو فيه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل
لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته فى عناده (ولئن اتبعت اهوآءهم) جمع هوى وهو الارادة والمحبة اى ولئن وافقتهم
فى مراداتهم بان صليت الى قبلتهم مداراة لهم وحرصا على ايمانهم (من بعد ما جاءك من العلم) اى من بعد ما علمت
بالوحى القاطع ان قبلة الله هى الكعبة (انك اذا) حرف جواب وجزاء توسطت بين اسم ان وخبرها لتقرير
ما بينهما من النسبة (لمن الظالمين) اى المرتكبين الظلم الفاحش وهذه الجملة الشرطية الفرضية واردة على منهاج
التهييج والالهاب للثبات على الحق وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة الهوى فان من ليس من
شانه ذلك اذا نهى عنه ورتب على فرض وقوعه ما رتب من الانتظام فى سلك الراسخين فى الظلم فما ظن من ليس
كذلك (قال فى المثنوى) تازه كن ايمان نه از گفت زبان * اى هوارا تازه كرده در نهان * تا هوا تازه ست
ايمان تازه نيست * كين هوا جز قفل آن دروازه نيست (الذين آتيناهم الكتاب) ابناءهم ودراسة وهم
الاحبار (يعرفونه) اى الرسول صلى الله عليه وسلم (كما يعرفون ابناءهم) اى يعرفونه صلى الله عليه وسلم باوصافه
الشريفة المكتوبة فى كتابهم لا يشتبه عليهم كما لا يشتبه ابناؤهم وتخصيصهم بالذكر دون ما يعم البنات لكون
الذكور اشهر واعرف عندهم منهن وهم بصحبة الاباء الزم وبقلوبهم الصق فان قيل لم لم يقل كما يعرفون انفسهم
مع ان معرفة الشخص نفسه اقرب اليه من معرفة سائر الاشياء فالجواب ما قال الراغب لان الانسان لا يعرف
نفسه الا بعد انقضاء برهة من دهره ويعرف ولده من حين وجوده (وان فريقا منهم) هم الذين كابروا وعاندوا
الحق (ليكتمون الحق وهم يعلمون) ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الكعبة قبلة الله والباقون
هم الذين آمنوا منهم فانهم يظهرون الحق ولا يكتمونه واما الجهلة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب ولا بما فى
تضاعيفه فما هم بصدد الاظهار ولا بصدد الكتم وانما كفرهم على وجه التقليد (الحق) الذى انت عليه يا محمد
(من ربك) خبر لقوله الحق (فلا تكونن من الممترين) اى الشاكين فى كون الحق من ربك هذا خطاب له صلى
الله عليه وسلم والمقصود خطاب امته ونهيهم عن الامتراء ومعنى نهى الامة عن الامتراء امرهم بضده الذى
هو اليقين وطمأنينة القلب قال القشيرى حملهم مستكنات الحقد وسوء الاختيار على مكابرة ما علموا بالاضطرار
وكذلك المغلوب فى ظلمات نفسه يلقى جلباب الحياء فلا ينجع فيه ملام ولا يردعه عن انهماكه كلام قال حضرة
الشيخ الشهير بافتاده افندى عندنا ثلاث مراتب احداها مرتبة التقليد وهى لعامة الناس والثانية مرتبة
التحقيق والايقان وهى للمجتهدين كالائمة الاربعة ومن يحذو حذوهم والثالثة مرتبة المشاهدة والعيان فهى
للكمل من اهل السلوك قال واذا لم تتطهر النفس من الاخلاق الرديئة لا تحصل المعارف الالهية وان كان
كاملا فى العقل والعلوم الا يرى ان الشيطان مع عقله وعلمه كيف استكبر وعصى امر الله تعالى لما فى نفسه
من الكبر والحسد وكذلك حال اهل الكتاب فى امر القبلة وشأن النبى صلى الله عليه وسلم حيث لم ينفع العلم
والمعرفة لخبث باطنهم فلا بد من تزكية النفوس وتصفية القلوب والاستقامة فى باب الحق الى ان يأتى اليقين
حكى ان يونس خدم شيخه طبق امره ثلاثين سنة بالصدق حتى تورم ظهره من نقل الحطب فلم يظهر وكان
شيخه نظر له فتقل ذلك على سائر الطالبين وقالوا انه يخدم الشيخ على محبة بنته حتى تكلموا فى ذلك الشيخ
فلما اتى بالحطب قال شيخه نعم الحطب المستقيم يا يونس فقال لان غير المستقيم لا يليق بهذا الباب وما تكلموا
فى حقه ليس على وجه النفاق بل لما رأوا انهم لا يتحملون لما يتحمل له يونس اشكل عليهم الامر فحملوا على
حب البنت وسؤال الشيخ ايضا وجواب يونس بهذا الوجه انما كان لارشادهم وازالة شبههم والا فالشيخ كان
يعرف احوال يونس ولم يحصل له سوء ظن من كلامهم لان من كان مرشدا لا يعرف حال المريد بكلام الغير
فى المدح والذم ثم زوج الشيخ بنته له وقال حتى لا يكون الاخوان كاذبين ولا يحصل لهم الخجالة وكانت البنت
متى قرأت القرآن يقف الماء فلم يمسها يونس الى آخر عمره وقال انا لا اليق بها فالسالك فى مرتبة الطبيعة ان يترك
مقتضاها ويقتصر على قدر الكفاية من الاكل والشرب ولا يتقيد بتدارك ما تشتهيه طبيعته فان الخير

فى مخالفتها وفى مرتبة النفس ان يجتنب عن حب الاموال والاولاد فانهما فتنة ومعين لها على كبرها فانه
بكثرتهما واكثر الانفس لا تحب صرفها بل تدخرها ليزداد استكبارها وقد قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون
الا من اتى الله بقلب سليم فادام لم تصلح الطبيعة والنفس لا يصل الطالب الى مطلوبه ففى الحج اشارة الى ذلك
فان قاصد البيت المكرم يترك استراحة بدنه ويبذل ماله الى ان يصل الى مشاهدته فكذلك قاصد رب البيت يفنى
عن جميع ماسواه ويكون فى توجهه وحدانيا هيولانيا حتى يشاهد ببصيرته مايشاهد فالصلاة مستقبلا
الى شطر المسجد الحرام عين التوجه الى الذات الاحدية لان الكعبة مثال صورى لحضرته تعالى وان المراد
من الاستقبال اليها الاقبال اليه تعالى مع انه لا يتقيد التوجه حقيقة لكن الاستقبال صورة رعاية للادب
ودور مع الامر الالهى فان الله تعالى فى كل شئ حكمة ومصلحة ومن تخلص عن القيود وانجذب الى الرب
المعبود فقد تجلى له قوله فاينما تولوا فثم وجه الله وظهر له سر الظاهر والمظهر عاشق ديدازدل پرتاب *
حضرت حق تعالى اندرخواب * دامنش راكرفت آن غمخور * كه ندارم من ازتو دست دكر *
چون برآمدزخواب خوش درويش * ديد محكم كرفته دامن خويش * فطوبى لمن دار مع الامر
الالهى وسلم عن الاعتراض وتخلص عن الانقباض وفنى عن اضافة الوجود الى نفسه وبقى بربه وبكماله اللهم
اجعلنا من المهديين الى هذه الرتبة العظمى والكعبة العليا واصرفنا فى مسالكنا عن الانحراف الى شئ من
الاخرة والدنيا (ولكل) اى لكل امة من الامم اعنى المسلمين واليهود والنصارى (وجهة) اى قبلة وجهة (هو)
راجع الى كل (موليها) اى محول وموجه تلك الجهة وجهه فقبلة كل امة من اهل الاديان المختلفة مغايرة لقبلة
الامة الاخرى (فاستبقوا الخيرات) اى الى الخيرات بنزع الجار والمراد جميع انواع الخيرات من امر القبلة وغيره
مما ينال به سعادة الدارين والمعنى لكل امة قبلة يتصلبون فى التوجه اليها بحيث لا ينصرفون عنها الى القبلة
الحق وان أتيتهم بكل آية دالة على ان القبلة هى الكعبة واذا كان الامر كذلك فاستبقوا انتم وبادروا الى الفعلات
الخيرات وهى ماثبت انه من الله تعالى ولا تقتفوا اثر المكابرين المستكبرين الذين يتبعون اهوآءهم ويلقون
الحق ورآء ظهورهم فانهم انما يستبقون الى الشر والفساد اذ ليس بعد الحق الا الضلال قال بعض اهل الحقيقة
معناه كل قوم اشتغلوا بغيرنا عنا واقبلوا على غيرنا فكونوا معاشر العارفين لنا واشتغلوا بنا عن غيرنا فان مرجعكم
الينا كما قال تعالى (اينما) اى فى اى موضع (تكونوا) انتم واعدآؤكم (يأت بكم الله جميعا) يحشركم الله
الى المحشر للجزآء ويفصل بين المحق والمبطل فهو وعد لاهل الطاعة ووعيد لاهل المعصية (ان الله على كل شئ
قدير) فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع (ومن حيث خرجت) اى من اى مكان وبلد خرجت اليه للسفر
(فول وجهك) عند صلاتك (شطر المسجد الحرام) تلقاءه فان وجوب التوجه الى الكعبة لا يتغير بالسفر والحضر
حالة الاختيار بل الحكم فى الاسفار مثله حالة الاقامة بالمدينة (وانه) اى هذا المأمور به وهو تحويل القبلة
الى الكعبة (للحق من ربك) اى الثابت الموافق للحكمة (وما الله بغافل عما تعملون) فيجازيكم بذلك احسن
جزآء فهو وعد للمؤمنين (ومن حيث خرجت) اليه فى اسفارك ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة
(فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم) ايها المؤمنون من اقطار الارض مقيمين او مسافرين وصليتم
(فولوا وجوهكم) من محالكم (شطره) كرر هذا الحكم وهو التحويل وتولية الوجه شطر المسجد لما ان القبلة
لها شأن خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة وتسويل الشيطان فبالحرى ان يؤكد امرها مرة غب اخرى
مع انه قد ذكر فى كل مرة حكمة مستقلة (لئلا يكون للناس عليكم حجة) متعلق بقوله فولوا والمعنى ان التولية
عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت فى التوراة قبلته الكعبة واحتجاج العرب بانه يدعى
ملة ابراهيم ويخالف قبلته وقوله عليكم فى الاصل صفة حجة فلما تقدم عليها امتنع الوصفية لامتناع تقدم الصفة
على الموصوف فانتصب على الحالية (الا الذين ظلموا منهم) استثناء من الناس اى لئلا يكون حجة لاحد من اليهود
الا للمعاندين منهم القائلين ماترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم
قبلة الانبياء ولا حد من العرب من اهل مكة الا للمعاندين منهم الذين قالوا بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك
ان يرجع الى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة مع انها اخس الاباطيل لانهم كانوا يسوقونها مساقها
ويوردونها موردها فسميت حجة مجازا تهكما بهم (فلا تخشوهم) فلا تخافوهم فى توجهكم الى الكعبة ومظاهرهم

عليكم لسببه فان مطاعنهم لا تضركم شيأ (واخشونى) بامتثال امرى فلا تخالفوا امرى ومارأيته مصلحة لكم
فانى ناصركم (ولاتم نعمتى عليكم) علة لمحذوف اى امرتكم بتولية الوجوه شطره لاتمامى النعمة عليكم
لما انه نعمة جليلة وما وقع من اوامر الله تعالى وتكاليفه وائتمار المكلف بالتوجه الى حيث وجهه الله تعالى
وان كان نعمة يتوصل به الى الثواب الجزيل الا ان امره تعالى بالتوجه الى قبلة ابراهيم تمام النعمة فى امر القبلة
فان القوم كانوا يفتخرون باتباع ابراهيم فى جميع ما كانوا يفعلونه فلما وجهوا الى قبلته بعد ماصرفوا عنها لمصلحة
حادثة فقد اصابوا تمام النعمة فى امر القبلة فان نعمة الله تعالى على عباده ضربان موهوب ومكتسب
فالموهوب نحو صحة البدن وسلامة الاعضاء وغيرهما والمكتسب نحو الايمان والعمل الصالح بامتثال الاوامر
والاجتناب عن المناهى فان ذلك كله يؤدى الى سعادة الدارين (ولعلكم تهتدون) اى ولارادتى اهتدآءكم
الى شعائر الملة الحنيفية وشرآئع الدين القويم (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم) متصل بما قبله اى ولاتم نعمتى
عليكم فى امر القبلة اتماما كائنا كاتمامى لها بارسال رسول كائن منكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم فان ارسال
الرسول لاسيما المجانس لهم نعمة لم تكافئها نعمة قط (يتلو عليكم آياتنا) وهو القرءآن العظيم (ويزكيكم)
اى يحملكم على ماتصيرون به ازكياء طاهرين عن دنس الذنوب المكدرة لجوهر النفس لان شأن الرسل الدعوة
والحث على اعمال يحصل بها طهارة نفوس الامة من الشرك والمعاصى لا تطهيرهم اياهم بمباشرتهم من اول
الامر (ويعلمكم الكتاب) اى ما فى القرءآن من المعانى والاسرار والشرآئع والاحكام التى باعتبارها وصف
القرءآن بكونه هدى ونورا فانه عليه السلام كان يتلوه عليهم ليحفظوا نظمه ولفظه فيبقى على السنة اهل التواتر
مصونا عن التحريف والتصحيف ويكون معجزة باقية الى يوم القيامة ويكون تلاوته فى الصلاة وخارجها نوعا
من العبادة والقربة ومع ذلك كان يعلم مافيه من الحقائق والاسرار ليهتدوا بهداه وانواره (والحكمة) هى
الاصابة فى القول والعمل ولا يسمى حكيما الا من اجتمع له الامران كذا قال الامام من احكمت الشئ اى رددته
عما لا يعنيه وكان الحكمة هى التى تردع عن الجهل والخطأ واعلم ان العمل بالقرءان متفرع على معرفة معناه
وهو متفرع على معرفة الفاظه والتزكية غاية اخيرة لانها متفرعة على العمل لكنها قدمت فى الذكر نظرا
الى تقدمها فى التصور (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) قال الراغب ان قيل ما معنى ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون
وهل ذلك الا الكتاب والحكمة قيل عنى بذلك العلوم التى لا طريق الى تحصيلها الا من جهة الوحى على السنة
الانبياء ولا سبيل الى ادراك جزئياتها وكلياتها الا به وعنى بالحكمة والكتاب ما كان للعقل فيه مجال فى معرفة
شئ منه واعاد ذكر ويعلمكم مع قوله مالم تكونوا تعلمون تنبيها على انه مفرد عن العلم المتقدم ذكره (فاذكرونى)
بالطاعة لقوله عليه السلام من اطاع الله فقد ذكر الله وان قلت صلاته وصيامه وقرآءته القرءآن ومن عصى الله
فقد نسى الله وان كثرت صلاته وقرآءته القرءآن (اذكركم) بالثواب واللطف والاحسان وافاضة الخير
وفتح ابواب السعادات واطلق على هذا المعنى الذكر الذى هو ادراك مسبوق بالنسيان والله تعالى منزه عن
النسيان بطريق المجاز والمشاكلة لوقوعه فى صحبة ذكر العبد (واشكروالى) على ما انعمت عليكم من النعم
والذكر بالطاعة هو الشكر فقوله واشكروالى امر بتخصيص شكرهم به تعالى لاجل افضاله وانعامه عليهم
وان لا يشكروا غيره وجعل صاحب التيسير قوله تعالى فاذكرونى امرا بالقول وقوله واشكروالى امرا بالعمل
قال الراغب ان قيل ما الفرق بين شكرت لزيد وشكرت زيدا قيل شكرت له هو ان تعتبر احسانه الصادر عنه فتثنى
عليه بذلك وشكرته اذا لم تلتفت الى فعله بل تجاوزت الى ذكر ذاته دون اعتبار احواله وافعاله فهو ابلغ
من شكرت له وانما قال واشكروالى ولم يقل واشكرونى على ما بقصورهم عن ادراكه بل عن ادراك الاية كما قال تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فامرهم ان يعتبروا بعض افعاله فى الشكر لله (ولا تكفرون) بجحد النعم وعصيان
الامر فان قيل لم قال بعد واشكروالى ولا تكفرون ولم يقتصر على قوله واشكروالى قلنا لو اقتصر على قوله
واشكروالى لكان يجوز ان يتوهم ان من شكره مرة او على نعمة ما فقد امتثل ولو اقتصر على قوله ولا تكفرون
لكان يجوز ان يتوهم ان ذلك نهى عن تعاطى فعل قبيح دون حث على الفعل الجميل فجمع بينهما لازالة هذا
التوهم ولان فى قوله ولا تكفرون تنبيها على ان ترك الشكر كفران فان قيل لم قال ولا تكفرون ولم يقل ولا تكفرونى
قيل خص الكفر به تعالى بالنهى عنه للتنبيه على انه اعظم قباحة بالنسبة الى كفر نعمه فان كفران النعم قد يعنى

عنه بخلاف الكفر به تعالى كذا فى تفسير الراغب الاصفهانى قال بعض العلماء لما خص الله هذه الامة بفضل قوة
وكمال بصيرة بالنسبة الى بنى اسرآئيل قال لهم يابنى اسرآئيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم فامرهم بذكر
نعمه المنسية المغفول عنها لينظروا منها الى المنعم وقال لهذه الامة فاذكرونى فامرهم ان يذكروه بلا واسطة لقوة
بصيرتهم (قال الصائب) در سر هر خام طينت نشأ منصور نيست * هر سفالى راصداى كاسهٔ
فغفور نيست * قال الامام الغزالى الذكر قد يكون باللسان وقد يكون بالقلب وقد يكون بالجوارح فذكرهم
اياه باللسان ان يحمدوه ويسبحوه ويمجدوه ويقرؤا كتابه وذكرهم اياه بقلوبهم على ثلاثة انواع احدها ان يتفكروا
فى الدلائل الدالة على ذاته وصفاته ويتفكروا فى الجواب عن الشبه العارضة فى ملك الله وثانيها ان يتفكروا
فى الدلائل الدالة على كيفية تكاليفه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده فاذا عرفوا كيفية التكليف
وعرفوا ما فى الفعل من الوعد وفى الترك من الوعيد سهل عليهم الفعل وثالثها ان يتفكروا فى اسرار مخلوقات الله
تعالى حتى يصير كل ذرة من ذرات المخلوقات كالمرآة المجلوة المحاذية لعالم القدس فاذا نظر العبد اليها انعكس
شعاع بصره منها الى عالم الجلال وهذا المقام مقام لانهاية له واما ذكرهم اياه تعالى بجوارحهم فهى ان تكون
جوارحهم مستغرقة فى الاعمال التى امروا بها وخالية عن الاعمال التى نهوا عنها وعلى هذا الوجه سمى الله
تعالى الصلاة ذكرا بقوله فاسعوا الى ذكر الله فصار الامر بقوله اذكرونى متضمنا لجميع الطاعات ولهذا ذكر عن
سعيد بن جبير انه قال اذكرونى بطاعتى فاجمله حتى يدخل فيه جميع انواع الذكر واقسامه انتهى كلام الامام
قال لقمان لابنه يابنى اذا رأيت قوما يذكرون الله تعالى فاجلس معهم فانك ان تك عالما ينفعك علمك وان تك
جاهلا علموك ولعل الله يطلع عليهم برحمته فيصيبك معهم واذا رأيت قوما لا يذكرون فلا تجلس معهم فانك
ان تك عالما لا ينفعك علمك وان تك جاهلا يزيدونك جهلا او غيا ولعل الله يطلع عليهم بسخطه فيصيبك معهم
اللهم اجعلنا من الذاكرين (يا ايها الذين آمنوا استعينوا) فى كل ما تأتون وما تذرون (بالصبر) على الامور
الشاقة على النفس كالصبر عن المعاصى وحظوظ النفس (والصلاة) التى هى ام العبادات ومعراج المؤمنين
ومناجاة رب العالمين روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة وتلا هذه الاية وانما خص
الصبر والصلاة بالذكر لان الصبر اشد الاعمال الباطنة على البدن والصلاة اشد الاعمال الظاهرة عليه لانها مجمع
انواع الطاعات من الاركان والسنن والآداب والحضور والخضوع والتوجه والسكون وغير ذلك مما لا يتيسر
حفظه الا بتوفيق الله تعالى قال عصام الدين قدم الترك على الفعل لان التخلية قبل التحلية ولهذا قدم النفى
فى كلمة التوحيد واكتفى بذكر الصلاة لان الخطاب لكل من المؤمنين والمشترك بين الجميع بعد الايمان الصبر
عن المعاصى والصلاة واما الزكاة فمختصة باصحاب النصاب واما الحج فباصحاب الاستطاعة والصوم صبر عن
معصية الاكل والشرب وغيره (ان الله مع الصابرين) بالنصرة واجابة الدعوة فمعنى المعية الولاية الدائمة
المستتبعة لهما ودخول مع على الصابرين لما انهم المباشرون للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك الحيثية قال
عصام الدين فى التفسير الاجل ان الله مع الصابرين لان الصابرين لا يذهلون عن ذكره بخلاف المجتنبين عن
الصبر فان قلوبهم لاهية عن ذكر الله والقلب اللاهى عنه ممتلىء من هموم الدنيا وان كانت الدنيا
باسرها له انتهى كلامه ان قيل لم قال ان الله مع الصابرين ولم يقل مع المصلين وقال فى الاية الاخرى واستعينوا
بالصبر والصلاة وانها لكبيرة فاعتبر الصلاة دون الصبر قيل لما كان فعل الصلاة اشرف واعلى من الصبر اذ قد ينفك
الصبر عن الصلاة ولا ينفك الصلاة عن الصبر ذكر ههنا الصابرين فمعلوم انه تعالى اذا كان مع الصابرين فهو
لا محالة يكون مع المصلين بطريق الاولى وقال هناك الكبيرة فذكر الصلاة دون الصبر تنبيها على انها اشرف منزلة
من الصبر واعلم ان الصبر الذى هو تحمل المشاق من غير جزع واضطراب ذريعة الى فعل كل خير ومبدأ كل
فضل فان اول التوبة الصبر عن المعاصى واول الزهد الصبر عن المباحات واول الارادة الصبر وطلب ترك
ما سوى الله تعالى ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد وقال الصبر خير كله
فمن تحلى بحلية الصبر سهل عليه ملابسة الطاعات والاجتناب عن المنكرات وكذا الصلاة قال تعالى ان الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر صبر كن حافظ بسختى روز وشب * عاقبت روزى بيابى كام را * وفى الحديث
اذا جمع الله الخلائق نادى مناد اين اهل الفضل قال فيقوم ناس وهم يسيرون سراعا الى الجنة فتلقاهم الملائكة

فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فمن انتم قالوا نحن اهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم قالوا اذا ظلمنا صبرنا
واذا اسيء الينا عفونا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين ثم ينادى مناد اين اهل الصبر فيقوم ناس
يسيرون سراعا الى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فمن انتم فيقولون اهل الصبر فيقولون
ما كان صبركم قالوا كنا نصبر على طاعة الله ونصبر عن معاصى الله فيقال لهم ادخلوا الجنة ثم ينادى مناد اين
المتحابون فى الله فيقوم ناس يسيرون سراعا الى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون من انتم فيقولون نحن المتحابون
فى الله فيقولون وما كان تحابكم فى الله قالوا كنا نتحاب فى الله والجنة كذا فى زهرة القلوب (ولا تقولوا) نزلت
فى شهدآء بدر وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وكان الناس يقولون (لمن يقتل)
فى سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها فانزل الله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل القتل نقض البنية
الحيوانية (فى سبيل الله) وهو الجهاد لانه طريق الى ثواب الله ورحمته (اموات) اى هم اموات (بل احياء)
اى كالاحياء فى الحكم لا ينقطع ثواب اعمالهم لانهم قتلوا لنصرة دين الله فما دام الدين ظاهرا فى الدنيا واحد
يقاتل فى سبيل الله فلهم ثواب ذلك لانهم سنوا هذه السنة (ولكن لا تشعرون) كيف حالهم فى حياتهم وفيه رمز
الى انها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحياة الجسمانية وانما هى امر روحانى لا يدرك بالعقل بل بالوحى
وفى الاية دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه
الجمهور فان قلت الحياة الروحانية المستتبعة لادراك اللذة والالم مشتركة فى الجميع فما وجه تخصيص الشهدآء
بها قلت لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة ومن يبلغ منزلتهم لا تكون حياته معتدا بها
فكانه ليس بحى قال تعالى فى حق اهل النار لا يموت فيها ولا يحيى واعلم ان نفس الانسان وذاته الذى هو مخاطب
مكلف مأمور منهى باوامر الله ونواهيه جسمانى لطيف سارى فى هذا البدن المحسوس سريان النار فى الفحم
وماء الورد فى الورد وهو الذى يشير اليه كل احد بقوله انا وهو الانسان حقيقة وهو الولى والنبى والمثاب والمعاقب
على اعماله وهو كان فى صلب آدم حين سجد له الملائكة وهو الذى سأله الله بقوله الست بربكم قالوا بلى وهو الذى
يتوفى فى المنام ويخرج ويسرح ويرى الرؤيا فيسر بما يرى او يحزن فان امسكه الله ولم يرجع الى جسده تبعه
الروح والجسد الكثيف المعبر عنه بالبدن والروح السلطانى محل تعينه هو القلب الصنوبرى والروح الحيوانى
محل تعينه هو الدماغ ويقال له القلب والعقل والنفس ايضا سرى فى جميع اعضاء البدن الا ان سلطانه قوى
فى الدماغ فهو اقوى مظاهره وهواء الروح الحيوانى انما حدث بعد تعلق الروح السلطانى بهذا الهيكل
فهو من انعكاس انوار الروح السلطانى ليكون مبدأ الافعال لان الحياة امر مغيب مستور فى الحى لا يعلم
الا باثارها كالحس والحركة والعلم والارادة وغيرها وهذا يدور على الروح الحيوانى فما دام هذا البخار باقيا على
الوجه الذى يصلح ان يكون علاقة بينهما فالحياة قائمة وعند انتفائه وخروجه عن الصلاحية له تزول الحياة
ويخرج الروح عن البدن خروجا اضطراريا وهو الموت الحقيقى وكما يخرج الروح عن البدن خروجا اضطراريا
كذلك قد يخرج عنه خروجا اختياريا ويعود اليه متى شاء وهو الذى سماه الصوفية بالانسلاخ فقد عرفت من
هذا ان مذهب اهل السنة والجماعة ان الروح جسم لطيف مغاير لهذا الهيكل المحسوس وانكشف لك حال
الروح ووقفت على اسرار البرزخ واحوال القبر وما فيه من الالم واللذة الجسمانيين وانحل عندك وجه كونه روضة
من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فالشهدآء احياء بالحياة البرزخية متنعمون لانهم اجسام لطيفة
كالملائكة فانهم موجودون احياء قال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة كل نعيم يتنعم به الصديقون والشهدآء
والصالحون فى البرزخ خيالى وكذا كل عذاب يتألم به الجهنميون ومصداق ذلك انه اذا نفخ فى الصور وبعث
الخلق ينسى كل واحد منهم حاله فى البرزخ ويتخيل ان ذلك الذى كان فيه منام كما تخيله المستيقظ وقد كان
حين مات وانتقل الى البرزخ كالمستيقظ هناك وان الحياة الدنيا كانت له كالمنام وفى الاخرة يعتقد فى امر الدنيا
والبرزخ انه منام فى منام وان اليقظة الصحيحة هى التى هو عليها فى الدار الاخرة حيث لا نوم فيها ولا نوم بعدها
انتهى كلامه قال فى اسئلة الحكم ان امور البرزخ والاخرة على النمط الغير المألوف فى الدنيا والارواح بعد الموت
ليس لها نعيم ولا عذاب حسى جسمانى لكن ذلك نعيم او عذاب معنوى حتى تبعث اجسادها فترد اليها فتتنعم
عند ذلك حسا ومعنى الا ترى الى بشر الحافى قدس سره لما روئى فى المنام قيل له ما فعل الله بك قال غفر لى

وا باح لى نصف الجنة يعنى روحه متنعمة بالجنة بما يليق بها فى مقامه والنصف الاخر هو الجنة التى يدخلها بدنه
اذا حشر فيكمل التنعيم بالنصف الاخر والاكل الذى رأه الميت بعد موته فى البرزخ هو كالاكل الذى يراه النائم
فى النوم والتنعيم به مثل التنعيم به سوآء كما قال عليه السلام انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وكذلك كل شخص
غيران الفرق بين الرسول وغيره فى هذه الصورة ان جسم النبى يبيت جائعا ويستيقظ وهو شبعان وغير النبى
يأكل فى منامه وهو جيعان ويستيقظ وهو كذلك واذا رأى الولى الوارث ذلك وقد وجد اثر الشبع اوالرى فذلك
من اجزآء النبوة التى وردت فى الميراث اذالرؤيا جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وقد رأى ذلك كثير من الاولياء
واصبحوا وعليهم رآئحة الطعام الذى اكلوه وشبعوا فهذه وراثة نبوية فقوله عليه السلام انى لست كهيئتكم
باعتبار الغالب لا باعتبار الكل فتنعم الشهدآء فى البرزخ بمرتبة تنعم الولى الوارث فى المنام فافهم هذا المقام فان
الجسم المبحوث عنه ههنا هو الجسم اللطيف وتنعم بما يليق بمرتبته فى البرزخ سوآء عبرت عنه بالخيالى او بالمعنوى
او بالجسمانى اى المنسوب الى الجسم اللطيف لا الكثيف فان اللذة الجسمانية المتعلقة بالجسد الكثيف حال الدنيا
لا غير قيل يارسول الله هل يحشر مع الشهدآء احد قال نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة
وفى التأويلات النجمية الاشارة لا تحسبوا من قتل من اهل الجهاد الاكبر بسيف جلال الله فى سبيل الله بالفناء
فى الله امواتا وان فنيت اوصاف وجودهم فانهم احياء بشهود موجدهم ومن كان فناؤه فى الله كان بقاؤه بالله
فتارة يفنيهم بسطوات تجلى صفات الجلال وتارة يحييهم بنفحات الطاف الجمال فانهم يسرحون فى رياض الجمال
ولكن لا تشعرون احوالهم ولا تطلعون عليها قال القشيرى لئن فنيت فى الله اشباحهم لقد بقيت بالله ارواحهم
وقال الجنيد من كانت حياته بنفسه يكون مماته بذهاب روحه ومن كانت حياته بربه فانه ينتقل من حياة الطبع
الى حياة الاصل وهو الحياة الحقيقية (وفى المثنوى) مى كند دندان بدر ان طبيب * تا رهد از درد وبيمارى
حبيب پس زياد تها درون نقصهاست * مر شهيدان را حيات اندر فناست * كر بكى سررا ببرد از بدن *
صد هزاران سر برارد در زمن * حلق بى بريده خورد شربت ولى * خلق ازلا رسته مرده در بلى (ولنبلونكم)
اللام جواب قسم محذوف اى والله لنعاملنكم معاملة المبتلى هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء ام لا
اذ البلاء معيار كالمحك يظهر به جوهر النفس وذلك لنظهر لكم منكم المطيع من العاصى لا لنعلم شيأ لم نكن عالمين
به (بشئ من الخوف) اى بقليل من خوف الاعدآء وانما قلله لان ما وقاهم عنه اكثر بالنسبة الى ما اصابهم
بالف مرة (و) شئ من (الجوع) اى القحط والسنة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ويسهل
لهم الصبر عليه فان مفاجأة المكروه اشد على النفس من اصابته مع ترقبه (ونقص من الاموال) عطف على شئ
اى وبنقص شئ قليل من ذلك بالسرقة والاغارة واخذ السلطان والهلاك والخسران (والانفس) اى بالقتل
والموت او بالمرض والشيب (والثمرات) اى وذهاب ثمرات الكروم والاشجار بالبرد والسموم والريح والجراد وغيرها
من الآفات وقد يكون نقص الثمرات بترك عمارة الضياع للاشتغال بالجهاد وعن الشافعى رحمه الله الخوف
خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكاة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات
موت الاولاد وفى الحديث اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول
أقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدى بيتا
فى الجنة وسموه بيت الحمد قال بعض اهل المعرفة مطالبات الغيب اما ان تكون بالمال او بالنفس او بالاقارب
او بالقلب او بالروح فمن اجاب بالمال فله النجاة ومن اجاب بالنفس فله الدرجات ومن صبر على فقد الاقارب فله الخلف
والقربات ومن لم يدخر عنه الروح فله دوام المواصلات (وبشر) الخطاب للرسول او لمن يتأتى منه البشارة لتعظيم
الصبر وتفخيمه لانه فضيلة عظيمة الثواب وخصلة من خصال الانبياء والاولياء فيستحق صاحبه ان يبشر
كل احد (الصابرين) على البلايا (الذين اذا اصابتهم) الاصابة ضد الخطأ (مصيبة) هى ما يصيب الانسان من
مكروه لقوله عليه السلام كل شئ يؤذى المؤمن فهو له مصيبة واصلها الوصول من صاب السهم المرمى واصابه
وصل اليه (قالوا انا لله) اى نحن عبيد الله والعبد وما فى يده لمولاه فان شاء ابقاه فى ايدينا وان شاء استرده منا فلا
نجزع بما هو ملكه بل نصبر فان عشنا فعليه رزقنا وان متنا وانا اليه راجعون فاليه مردنا وعنده ثوابنا ونحن
راضون بحكمه فما اعطانا ربنا كان فضلا منه ولا يليق بكرمه الارتجاع فى عطاياه وانما اخذه ليكون ذخيرة لنا

عنده فقولنا انا لله اقرار منا له تعالى بالملك (وانا اليه راجعون) اقرار على انفسنا بالهلك وقيل الرجوع اليه
تعالى ليس عبارة عن الانتقال الى مكان وجهة فان ذلك على الله محال بل المراد منه ان يصير الى حيث لا يملك
الحكم فيه سواه وذلك هو الدار الاخرة اذ لا حاكم فيها حقيقة وبحسب الظاهر الا الله تعالى بخلاف دار الدنيا فان
غير الله قد يملك الحكم فيها بحسب الظاهر وقول المصاب عند مصيبته انا لله وانا اليه راجعون له فوآئد منها
الاشتغال بهذه الكلمة عن كلام لا يليق ومنها انها تسلى قلب المصاب وتقلل حزنه ومنها انها تقطع طمع الشيطان
فى ان يوافقه فى كلام لا يليق ومنها انه اذا سمعه غيره اقتدى به ومنها انه اذا قال ذلك بلسانه يتذكر بقلبه الاعتقاد
الحسن والتسليم لقضاء الله وقدره فان المصاب يدهش عند المصيبة فيحتاج الى ما يذكره التسليم المذكور
وفى الحديث ما من مصيبة تصيب عبدا فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرنى من مصيبتى واخلف لى خيرا
منها الا آجره الله فى مصيبته واخلف له خيرا منها قال سعيد بن جبير ما اعطى احد فى المصيبة ما اعطى هذه الامة
يعنى الاسترجاع ولو اعطيه احد لاعطى يعقوب الا تسمع الى قوله فى قصة فقد يوسف يا اسفى على يوسف وليس
الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وهو الانقياد لله تعالى فى جميع ما كلفه به من
التكاليف والتسليم لقضاء الله وقدره فى جميع ما اخذه واعطاه فان من اختص لله تعالى ملكا وملكا كيف
ينازعه فى ملكه ولا يرضى بقضائه وملاحظة ان ما فى عالم الملك كله لله تعالى يذكر نعم الله وتذكرها يستلزم العلم
بان ما بقى عليه اضعاف ما استرده منه والمبشر به محذوف دل عليه قوله تعالى (اولئك) اى الصابرون
الموصوفون بما ذكر (عليهم صلوات) كائنة (من ربهم ورحمة) اى رحمة ووجه الجمع فى الصلوات الدلالة على الكثرة
والتكرر وا ستغنى بتنكير التعظيم فى رحمة عن ايرادها بلفظ الجمع ويندرج فى رحمته تعالى ايصال المسار ودفع
المضار فى الدنيا والاخرة وجمع بين الصلاة والرحمة للايذان بان رحمته غير منقطعة فالمعنى عليهم فنون الرحمة
المتوالية الفائضة من مالك امورهم ومبلغهم الى كمالاتهم اللائقة بهم قال بعضهم الصلاة من الله المدح والثناء
والتعظيم والرحمة اللطف والاحسان فلا تكرار (واولئك هم المهتدون) المختصون بالاهتدآء لكل حق وصواب
ولذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى وعن ابن مسعود رضى الله عنه لأن اخر من السماء احب الى من ان
اقول فى شئ قضاه الله ليته لم يكن وقال على رضى الله عنه من ضرب بيده على فخذه عند مصيبة فقد حبط اجره
اى بطل ثوابه قبل المكاره التى تصيب الانسان اذا اصابته من قبل الله تعالى يجب الصبر عليها لان ما جاء من
جهة العدل الحكيم ليس الا مقتضى عدله وحكمته فيجب عليه ان يرضى لعلمه بانه تعالى لا يقضى الا بالحق
وان اصابته من جهة الظلمة فلا يجب عليه ان يصبر عليها بل جاز له ان يمانعه بل يحاربه وان قتل بمحاربته يكون
شهيدا واعلم ان البلاء سبب للتصفية كما قال عليه السلام ما اوذى نبى مثل ما اوذيت اى ما صفى نبى مثل
ما صفيت والوفاء والجفاء سيان عند العشاق (كما قال) صائب شكايت از ستم يار چون كند * هر جا كه عشق
هست وفا وجفا يكيست * قال الحسن رضى الله عنه سمعت جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا بنى
عليك بالقنوع تكن من اغنى الناس واداء الفرآئض تكن من اعبد الناس يا بنى ان فى الجنة شجرة يقال لها
شجرة البلوى يؤتى باهل البلاء يوم القيمة فلا ينشر لهم ديوان ولا ينصب لهم ميزان يصب عليهم الاجر صبا ثم قرأ
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ولو لم يكن فى الصبر الا حكاية الطير الذى فى عهد سليمان عليه السلام لكفى
وذلك ان طيرا فى عهد سليمان عليه السلام كان له صوت حسن وصورة حسنة اشتراه رجل بالف درهم وجاءه طير
آخر فصاح صيحة فوق قفصه وطار فسكت الطير وشكا الرجل الى سليمان عليه السلام فقال احضروه
فلما احضروه قال سليمان عليه السلام لصاحبك عليك حق حتى اشتراك بثمن غال فلم سكت فقال يا نبى الله قل له
حتى يرفع قلبه عنى انى لا اصيح ابدا ما دمت فى القفص قال لم قال لان صياحى كان من الجزع الى الوطن والاولاد
وقال لى ذلك الطير انما حبسك لاجل صوتك فاسكت حتى تنجو فقال سليمان عليه السلام للرجل ما قال الطير
فقال الرجل ارسله يا نبى الله فانى كنت احبه لصوته فاعطاه سليمان عليه السلام الف درهم ثم ارسل الطير ثم
طار وصاح سبحان من صورنى وفى الهوآء طيرنى ثم فى القفص صبرنى ثم قال سليمان عليه السلام ان الطير ما دام
فى الجزع لم يفرج عنه فلما صبر فرج عنه ومثل هذا فى الحقيقة اشارة الى الفناء عن اوصاف النفس فان المرء ما لم
يمت باختياره قبل اضطراره لا يصل الى الحياة الحقيقية (قال فى المثنوى) دانه باشى مرغكانت بر چنند *

غنچه باشی کود کانت برکنند * هرکه واداد حسن خودرادرمزاد * صدقضای بدسوی اورونهاد * تن قفص شکلست وتن شدخارجان * درفریب داخلان وخارجان قال حضرة الشیخ الشهیر بافتاده افندی قدس سره لابدمن نفی الانیة واضمحلال الوجود فی بحرالوجود الحقیقی حتی یتم المقصود ویحصل (قال الصائب) ترك هستی كن كه اسودست ازتاراج سیل * هركه پیش ازسیل رخت خود برون ازخانه ریخت قال حضرة الشیخ افتاده افندی قدس سره العبور عن المراتب محله مرتبة یقال لها وادی الحیرة یعرف السالك فیها مطلوبه ولكن لایقدرعلی الوصول فیدورفی ذلك الوادی بالحیرة والحرارة ویحرق الانیة بتلك الحرارة ویقال له وادی الحیرة لان السالك یتحیر ولایقدرعلی الذهاب والرجوع وقوله علیه السلام اللهم زدنی حیرة اشارة الی ذلك وتلك المرتبة لاتتیسرلكثیروالعبورعنها الایمكن الابارشاد مرشد كامل اللهم هیئنا التجلیات اسمائك وصفاتك وافض علینا من كاسات مشاهدات كمال ذاتك (ان الصفا) علم لجبل بمكة وسمی الصفا لانه جلس علیه آدم صفی الله (والمروة) علم لجبل فی مكة ایضا وسمی المروة لانها جلست علیها امرأة آدم حوا علیهما السلام (من شعائرالله) جمع شعیرة بمعنی العلامة ای من اعلام طاعة الله فان كل واحد من المواقف والمساعی والمنحر جعله الله تعالی علامة لنا یعرف به العبادة المختصة به روی انه كان علی الصفا صنم علی صورة رجل یقال له اساف وصنم علی المروة علی صورة امرأة یقال لها نائلة یروی انهما كانا رجلا وامرأة زنیا فی الكعبة فمسخا حجرین فوضعا علیهما لیعتبربهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلیة اذا سعوا بین الصفا والمروة مسحوهما تعظیما لهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بینهما لانه فعل الجاهلیة فاذن الله تعالی فی الطواف بینهما واخبرانهما من شعائرالله والحكمة فی شرعیة السعی بین الصفا والمروة ما حكی ان هاجر لما ضاق علیها الامرفی عطشها وعطش اسمعیل سعت فی هذا المكان الی ان صعدت الجبل ودعت فانبع الله لها زمزم واجاب دعاءها فجعلها طاعة لجمیع المكلفین الی یوم القیامة وفی الخبر الصفا والمروة بابان من الجنة وموضعان من مواضع الاجابة ما بینهما قبرسبعین الف نبی وسعیهما یعدل سبعین رقبة (فمن حج البیت اواعتمر) الحج فی اللغة القصد والعمرة الزیارة وفی الحج والعمرة المشروعین قصد وزیارة (فلا جناح علیه) ای لااثم علیه واصله من جنح ای مال عن القصد والخیرالی الشر (ان یطوف بهما) ای فی ان یطوف بهما ویدور فازال عنهم الجناح لانهم توهموا ان یكون فی ذلك جناح علیهم لاجل فعل الجاهلیة وهو لاینافی كون هذا الطواف واجبا كما عند الحنفیة لان قولنا لااثم فی فعل امركذا یصح اطلاقه علی الواجب واصل یطوف یتطوف وفی ایراد التفعل ایذان بان من حق الطائف ان یتكلف فی الطواف ویبذل فیه جهده (ومن تطوع خیرا) اصل التطوع الفعل طوعا لا كرها كانه قیل من فعل اواتی ما یتقرب به طائعا فنصب خیرا بتضمین تطوع فعلا یتعدی بنفسه اوالتطوع بمعنی التبرع من قولهم طاع یطوع ای تبرع فكانه قیل من تبرع بما لم یفرض علیه من القربات مطلقا فانتصاب خیرا حینئذ اما علی اسقاط حرف الجرای من تطوع تطوعا خیرا (فان الله شاكر) له ای مجازبعمله فان الشاكرفی وصف الله تعالی بمعنی المجازی علی الطاعة بالاثابة علیها قال ابن التمجید فی حواشیه فالشكرمن الله بمعنی الرضی عن العبد والاثابة لازم الرضی والرضی ملزوم الشكرفالشكرمجازفی معنی الرضی ثم التجوزمنه الی معنی الاثابة مجازفی المرتبة الثانیة (علیم) بطاعة المتطوع ونیته فیها وفی الایة حث علی نوافل الطاعات كما علی فرائضها فمن اتی بنافلة واحدة فان الله شاكرعلیم فكیف باكثرمنها فبالصوم تحصیل قهرالنفس وبالزكاة تزكیها وبالصلاة المعراج الروحانی وبالحج الوصول وعن سفیان الثوری قال حججت سنة ومن رأیی ان انصرف من عرفات ولا احج بعدهذا فنظرت فی القوم فاذا انا بشیخ متكیء علی عصاوهو ینظر الی ملیا فقلت السلام علیك یاشیخ قال وعلیك یاسفیان ارجع عما نویت فقلت سبحان الله من این تعلم نیتی قال الهمنی ربی فوالله لقد حججت خمسا وثلاثین حجة وكنت واقفا بعرفات ههنا فی الحجة الخامسة والثلاثین انظرالی هذه الزحمة وانفكرفی امری وامرهم ان الله هل یقبل حجهم وحجی فبقیت متفكرا حتی غربت الشمس وفاض الناس من عرفات الی مزدلفة ولم یبق معی احدوجن اللیل ونمت تلك اللیلة فرأیت فی النوم كان القیامة قد قامت وحشرالناس وتطایرت الكتب ونصبت الموازین والصراط وفتحت ابواب الجنان والنیران فسمعت النارتنادی وتقول اللهم وق الحجاج حری وبردی فنودیت یانارسلی غیرهم فانهم ذاقواعطش البادیة وحرعرفات ووقوا عطش القیامة ورزقوا

الشفاعة فانهم طلبوا رضای بانفسهم واموالهم قال الشیخ فانتبهت وصلیت ركعتین ثم نمت ورأیت كذلك فقلت فی نومی هذا من الرحمة اومن الشیطان فقیل لی بل من الله مدیمینك فمددت فاذا علی كفی مكتوب من وقف بعرفة وزارالبیت شفعته فی سبعین من اهل بیته قال سفیان وارانی المكتوب حتی قرأته ثم قال الشیخ فلم یمرعلی منذ حینئذ سنة الاوانا حججت حتی تم لی ثلاث وسبعون حجة كذافی زهرة الریاض قال فی الاشباه والنظائر بناء الرباط بحیث ینتفع به المسلمون افضل من الحجة الثانیة والحج تطوعا افضل من الصدقة النافلة وحج الفرض اولی من طاعة الوالدین بخلاف النفل وحج الغنی افضل من حج الفقیر لان الفقیر یؤدی الفرض من مكة وهومتطوع فی ذهابه وفضیلة الفرض افضل من فضیلة التطوع فعلی العاقل ان یقصد بیت الله ویزوره فان لم یساعده المال فلتساعده الهمة والحال فان المعتبرهو توجه القلب الی جانب الغیب لامجرد توجه القالب (قال فی المثنوی) میل تو سوی مغیلانست وریك * تاچه كل چینی زخارمرده ریك * وفی التأویلات القاشانیة ان الصفا وجود القلب والمروة وجود النفس من اعلام دین الله ومناسكه القلبیة كالیقین والتوكل والرضی والاخلاص والنفسیة كالصبروالشكروالذكروالفكرفمن حج البیت ای بلغ مقام الوحدة الذاتیة ودخل الحضرة الالهیة بالفناء الكلی الذاتی اواعتمرزارالحضرة بالبلوغ الی مقام المشاهدة بتوحید الصفات والفناء فی انوار تجلیات الجمال والجلال فلاحرج علیه حینئذ فی ان یطوف بهما ای یرجع الی مقامهما ویتردد بینهما لابوجودهما التلوینی فانه جناح وذنب بل بالوجود الموهوب الحقانی بعد الفناء عند التمكین ولهذا نفی الجناح فان فی هذا الوجود سعة بخلاف الاول ومن تطوع خیرا ای ومن تبرع خیرا من باب التكمیل والتعلیم والارشاد وشفقة الخلق فی مقام القلب ومن باب الاخلاق وطرف البروالتقوی ومعاونة الضعفاء والمساكین وتحصیل الهمم فی مقام النفس بعد كمال السلوك حال البقاء بعد الفناء فان الله شاكرشكرعمله بثواب المزید علیم بانه من باب التصرف فی الاشیاء بالله لامن باب التلوین والابتلاء والفترة انتهی كلام القاشانی

یاخفی الذات محسوس العطاء * انت كالماء ونحن كالرحاء
انت كالریح ونحن كالغبار * یختفی الریح وغبراه جهار

(ان الذین یكتمون) الایة نزلت فی رؤساء الیهود واحبارهم اوفی كل من كتم شیأ من احكام الدین وهوالاقرب لان اللفظ عام وعموم الحكم لایأبی خصوص السبب والكتم والكتمان ترك اظهارالشیء قصدا مع الحاجة الیه وحصول الداعی الی اظهاره وذلك قد یكون بمجرد ستره واخفائه وقد یكون بازالته ووضع شیء آخرفی موضعه وهوالذی فعله هؤلاء فی نعوت النبی صلی الله علیه وسلم وغیرها (ما انزلنا) حال كونه (من البینات) ای من الایات الواضحة الدالة علی امر محمد علیه السلام وعلی الرجم وتحویل القبلة والحرام والحلال (والهدی) ای والایات الهادیة الی كنه امره ووجوب اتباعه علیه السلام والایمان به (من) متعلق بیكتمون (بعدما بیناه) ای اوضحناه ولخصناه (للناس) جمیعا لا الكاتمین فقط (فی الكتاب) ای التوراة وتبیینه لهم ایضاحه بحیث یتلقاه كل احد من غیران یكون فیه شبهة قال ابن الشیخ فی حواشیه فالمراد بالبینات ما انزل علی الانبیاء من الكتب والوحی دون ادلة العقل وان قوله والهدی یدخل فیه الدلائل العقلیة والنقلیة وقوله تعالی فی حق الهدی من بعد ما بیناه وما لخصناه فی الكتاب لایقتضی اتحادهما وان یكون العطف لتغایر اللفظین لان كون ما بیناه فی الكتاب كما یجوزان یكون بطریق كونه من جملة التنزیل یجوزان یكون بطریق كونه فائدة ملخصة ای مستفادة منه (اولئك) ای اهل هذه الصفة (یلعنهم الله) ای یطردهم ویبعدهم من رحمته بسبب كتمهم الحق (ویلعنهم اللاعنون) ای الذین یتأتی منهم اللعن ای الدعاء علیهم باللعن من الملائكة ومؤمنی الثقلین وعن ابن مسعود رضی الله عنه ما تلاعن اثنان الا ارتفعت اللعنة بینهما فان استحقها احدهما والا رجعت علی الیهود الذین كتموا صفة محمد علیه السلام اواللاعنون البهائم والهوام تلعن العصاة تقول اللهم العن عصاة بنی آدم فبشؤمهم منع عنا القطر (الا الذین تابوا) من الكتمان وسائر ما یجب ان یتاب عنه الاستثناء متصل والمستثنی منه هوالضمیرفی یلعنهم (واصلحوا) ما افسدوا بالتدارك فانه لابد بعد التوبة من اصلاح ما افسده مثلا لوافسدعلی غیردینه بایراد شبهة علیه یلزمه ازالة تلك الشبهة وبعد ذلك لابد له من ان یفعل ضد الكتمان وهوالبیان وهو المراد بقوله تعالی (وبینوا) ای ما بینه الله فی كتابهم لتتم توبتهم فدلت الایة علی ان التوبة لاتحصل الابترك

كل مالا ينبغى ويفعل كل ما ينبغى (فاولئك اتوب عليهم) اى بالقبول وافاضة الرحمة والمغفرة فان التوبة اذا
اسندت اليه تعالى بان قيل تاب الله او يتوب تكون بمعنى القبول وقبول التوبة يتضمن المغفرة اى ازالة عقاب
من تاب (وانا التواب الرحيم) اى المبالغ فى قبول التوبة ونشر الرحمة ولما ذكر لعنتهم احياء ذكر لعنتهم امواتا
فقال (ان الذين كفروا) اى استمروا على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة (وماتوا وهم كفار) مصرون على
كفرهم لا يرتدعون عن حالتهم الاولى (اولئك) مستقر (عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) اى هم
المخصوصون باللعنة الابدية احياء وامواتا ممن يعتد بلعنتهم وهم المؤمنون لانهم هم الناس فى الحقيقة لانتفاعهم
بالانسانية واما الكفار فهم كالانعام واضل سبيلا فلا اعتداد بهم عند الله او الناس عام لان الكفار يوم القيامة
يلعن بعضهم بعضا والله تعالى يلعنهم يوم القيامة ثم يلعنهم الملائكة ثم تلعنهم الناس والظالم يلعن الظالمين ومن
لعن الظالمين وهو ظالم فقد لعن نفسه (خالدين فيها) حال من المضمر فى عليهم اى دائمين فى اللعنة لانهم اذا خلدوا
فى النار خلدوا فى الابعاد عن رحمة الله تعالى (لا يخفف عنهم العذاب) استئناف لبيان كثرة عذابهم من حيث
الكيف اثر بيان كثرته من حيث الكم اى لا يرفع عنهم ولا يهون عليهم (ولاهم ينظرون) من الانظار بمعنى
الامهال والتأجيل اى لا يمهلون للرجعة ولا للتوبة ولا للمعذرة او يعذبون على الدوام والاستمرار وان كل وجه
من وجوه عذابهم يتصل بوجه آخر مثله او اشد منه وانهم لا يمهلون ولا يؤجلون ساعة ليستريحوا فيها او من
النظر بمعنى الانتظار اى لا ينتظرون ليعتذروا او بمعنى الرؤية اى لا ينظر اليهم نظر رحمة وانما خلدوا فى النار
لان نيتهم كانت عبادة الاصنام ابدا ان عاشوا فجوزوا بتأبيد النية واما الدركات فى النيران فلتفاوت سوء
الاحوال والتفاوت فى شدة الكفر فيرجع الى شدة العذاب فى الدركات لان النيات متفاوتة كالاعمال والتأديب
فى الحكمة واجب ولما اساء الكفار بسوء الاعتقاد فى حقه تعالى اوجب بالحرمان عن الجنة والخلود فى النار
(ونعم ما قيل) سفيهان را بود تأديب نافع * جنون را جو شربت كشت دافع * وانما حمل هؤلاء اليهود
على ما فعلوا من الكتمان وغيره حب الرياسة والدنيا لانهم خافوا ان يذهب مأكلهم من السفلة وما يغنى عنهم ذلك
شيأ اذا كان مصيرهم الى النار وفى الخبر ان مؤمنا وكافرا فى الزمان الاول انطلقا يصيدان السمك فجعل الكافر
يذكر آلهته ويأخذ السمك حتى اخذ سمكا كثيرا وجعل المؤمن يذكر الله كثيرا فلا يجيئ شئ ثم اصاب سمكة عند
الغروب فاضطربت فوقعت فى الماء فرجع المؤمن وليس معه شئ ورجع الكافر وقد امتلأت شبكته فاسف
ملك المؤمن الموكل عليه فلما صعد الى السماء اراه الله مسكن المؤمن فى الجنة فقال والله ما يضره ما اصابه بعد ان
يصير الى هذا واراه مسكن الكافر فى جهنم فقال والله ما يغنى عنه ما اصابه من الدنيا بعد ان يصير الى هذا كذا
(فى شرح الخطب) نركس اندر خواب غفلت يافت بلبل صد وصال * خفته نابينا بود دولت به بيداران رسد
* ومرتكب المعاصى لو عرف عذاب الجحيم حق المعرفة لما ارتكبها حتى ان من قوى ظنه ان فى هذه النقبة حية
لا يدخل يده فيها فما ظنك فى ارتكاب المعاصى بملاحظة عذاب النار واعلم ان احبار اليهود لما لم ينتفعوا بعلمهم
ضلوا فاضلوا فخذلهم الله ولعنهم وذكر فى الخالصة لن يهلك قوم بظلمهم وانما اهلكهم ظلم ولاتهم قال الشيخ الشهير
بافتاده افندى قدس سره وكذا الحال فى الارشاد فان الضلال والفساد فى الطالبين من فساد مرشدهم فادام
المرشد على الصراط المستقيم يحفظ الله تعالى الطالب عن الضلال فان نزول البلاء على قوم من فساد رئيسهم
وحكى ان امنا حواء اكلت اولا من الشجرة فلم يقع شئ فلما اكل منها ابونا آدم عليه السلام وقع الخروج من الجنة
انتهى فويل لارباب الرياسة الذين ظلموا انفسهم وتجاوز ظلمهم الى من عداهم فانهم هم الواقعون فى عذاب
النار نار القطيعة والهجران وجهنم البعد عن الله ورحمته اللهم احفظنا (والهكم) خطاب عام لكافة الناس
اى المستحق منكم للعبادة (اله واحد) فرد فى الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره آلها فلا معبود
الا هو وهو خبر مبتدأ وواحد صفة وهو الخبر فى الحقيقة لانه محط الفائدة الا يرى انه لو اقتصر على ما قبله لم يفد
(لا اله الا هو) تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان فى الوجود آلها ولكن لا يستحق منهم العبادة يعنى بهذا
فاعرفوه ودائما فاعبدوه ولا ترجوا غيره ولا تخافوا سواه ولا تعبدوا الا اياه والاستثناء بدل من اسم لا على المحل
اذ محله الرفع على الابتداء والخبر محذوف اى لا اله كائن لنا او موجود فى الوجود الا الله واعلم ان الاسماء على
ضربين اسم ظاهر واسم ضمير وكلمة هو اسم ضمير فكونها ضميرا لا ينافى كونها اسما وقد حقق الامام فى التفسير

الكبير اسمية هذه الكلمة فليراجع وعند اهل الحقيقة كلمة هو اسم بحت لان كل ما يدل على الذات الاحدية فهو
اسم محض عندهم سواء كان ظاهرا او مضمرا ولذا يقال عالم الهوية باللام فاعرف هذا فانه ينفعك (وفى المثنوى)
از هوا ها كى رهى بى جام هو * اى ز هو قانع شده با نام هو * هيچ نامى بى حقيقت ديده * يا ز كاف
ولام كل كل چيده * اسم خواندى رو مسمى را بجو * مه ببالا دان نه اندر آب جو * كر ز نام حرف
خواهى بكذرى * پاك كن خود را ز خود هين يكسرى * همچو آهن ز آهنى بى رنك شو * در رياضت آينه
بى زنك شو * خويش را صافى كن از اوصاف خود * تا ببينى ذات پاك صاف خود * بينى اندر دل علوم انبيا
بى كتاب وبى معيد واوستا * علم كان نبود ز هو بى واسطه * ان نپايد همچو رنك ماشطه (الرحمن الرحيم) اى
المولى لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شئ سواه مستحق هذه الصفة فان كل شئ سواه اما نعمة واما منعم عليه
فثبت ان غيره لا يستحق العبادة فلا يكون آلها فقوله الرحمن الرحيم كالحجة على الوحدانية وعن اسماء بنت يزيد
انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فى هاتين الايتين اسم الله الاعظم والهكم اله واحد لا اله
الا هو الرحمن الرحيم والله لا اله الا هو الحى القيوم قيل كان للمشركين حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فلما
سمعوا هذه الاية تعجبوا وقالوا كيف يسع الناس اله واحد فان كان محمد صادقا فى توحيد الاله فليأتنا باية
نعرف بها صدقه فنزل قوله تعالى (ان فى خلق السموات والارض) اى فى ابداعهما على ما هما عليه مع ما فيهما من
تعاجيب العبر وبدائع الصنائع التى يعجز عن فهمها عقول البشر وانما جمع السموات وافرد الارض لان كل سماء
ليست من جنس الاخرى بين كل سمائين من البعد مسيرة خمسمائة عام او لان فلك كل واحدة غير فلك الاخرى
والارضون كلها من جنس واحد وهو التراب قال ابن التمجيد فى حواشيه وعند الحكماء محدب كل سماء مماس
لمقعر ما فوقه غير الفلك التاسع المسمى بالعرش فان محدبه غير مماس لشئ من الافلاك لان ما فوقه خلاء وبعد غير
متناه عندنا وعند الحكماء لا خلاء فيه ولا ملاء والعلم عند الله (واختلاف الليل والنهار) اى فى تعاقبهما
فى الذهاب والمجيئ يخلف احدهما صاحبه اذا جاء احدهما جاء الاخر خلفه اى بعده وفى الزيادة والنقصان
والظلمة والنور (والفلك التى تجرى فى البحر) لا ترسب تحت الماء وهى ثقيلة كثيفة والماء خفيف لطيف وتقبل
وتدبر بريح واحدة والفلك فى الاية جمع وتأنيثه بتأويل الجماعة (بما ينفع الناس) ما اسم موصول والباء
للمصاحبة والجملة فى موضع النصب على الحالية من فاعل تجرى اى تجرى مصحوبة بالاعيان والمعانى
التى تنفع الناس فانهم ينتفعون بركوبها والحمل فيها للتجارة فهى تنفع الحامل لانه يربح والمحمول اليه لانه ينتفع
بما حمل اليه (وما) اى ان فيما (انزل الله من السماء) من لابتداء الغاية اى من جهة السماء (من ماء) بيان للجنس
فان المنزل من السماء يعم الماء وغيره والسماء يحتمل الفلك على ما قيل من ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن
السحاب الى الارض ويحتمل جهة العلو سماء كانت او سحابا فان كل ما علا الانسان يسمى سماء ومنه قيل
للسقف سماء البيت (فاحيى به) عطف على ما انزل اى نضر بالماء النازل (الارض) بانواع النبات والازهار
وما عليها من الاشجار (بعد موتها) اى بعد ذهاب زرعها وتناثر اوراقها باستيلاء اليبوسة عليها حسبما تقتضيه
طبيعتها قال ابن الشيخ فى حواشيه لما حصل للارض بسبب ما نبت فيها من انواع النبات حسن وكمال شبه ذلك
بحياة الحيوان من حيث ان الجسم اذا صار حيا حصل فيه انواع من الحسن والنضارة والبهاء والنماء فكذلك
الارض اذا تزينت بالقوة المنبتة وما يترتب عليها من انواع النبات (وبث فيها) اى فرق ونشر فى الارض (من كل
دابة) من كل حيوان يدب على وجهها من العقلاء وغيرهم وهو معطوف على فاحيى والمناسبة ان بث الدواب
يكون بعد حياة الارض بالمطر لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالمطر (وتصريف الرياح) عطف على ما انزل
اى فى تقليبها فى مهابها قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا وفى كيفيتها حارة وباردة وفى احوالها عاصفة ولينة وفى
آثارها عقيما ولواقح وقيل فى اتيانها تارة بالرحمة وتارة بالعذاب قال ابن عباس رضى الله عنه اعظم جنود الله
الريح والماء وسميت الريح ريحا لانها تريح النفوس قال وكيع الجراح لولا الريح والذباب لانتنت الدنيا قال
شريح القاضى ما هبت الريح الا لشفاء سقيم او لسقم صحيح وقال بكر بن عباس لا تخرج من السحاب قطرة
حتى تعمل فى السحاب هذه الرياح الاربع فالصبا تهيجه والجنوب تقدره والدبور تلقحه والشمال تفرقه
واصول الرياح هذه الاربع فالشمال من ناحية الشام والجنوب تقابلها والصبا هى القبول من المشرق والدبور

تقابلها وكل ريح جاءت بين مهب ريحين فهى نكباء لانها نكبت اى عدلت ورجعت عن مهاب هذه الاربع وقال عبدالله بن عمرو بن العاص الرياح ثمان اربع رحمة واربع عذاب فالرحمة الناشرات وهى الرياح الطيبة والمبشرات وهى الرياح التى تبشر بالغيث واللواقح وهى التى تلقح الاشجار والذاريات وهى التى تذرو التراب وغيره والعذاب الصرصر والعقيم وهما فى البر والعاصف والقاصف وهما فى البحر والعقيم هى التى لم تلقح سحابا ولا شجرا والعاصف الشديدة الهبوب التى تقلع الخيام (والسحاب المسخر) عطف على تصريف اى الغيم المذلل المنقاد الجارى على ما اجراه الله تعالى عليه وهو اسم جنس واحده سحابة وسمى سحابا لانه ينسحب فى الجو اى يسير فى سرعة كانه يسحب اى يجر (بين السماء والارض) صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما فى قوله تعالى سحابا ثقالا اى لا ينزل الارض ولا ينكشف مع ان طبع السحاب يقتضى احد هذين النزول والانكشاف قيل لانه لو كان خفيفا لطيفا ينبغى ان يصعد ولو كثيفا يقتضى ان ينزل (لآيات) اسم ان دخلته اللام لتأخره عن خبرها ولو كان فى موضعه لما جاز دخول اللام عليه والتنكير للتفخيم كما وكيفا اى آيات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به سبحانه (لقوم) فى محل النصب لانه صفة لآيات فيتعلق بمحذوف (يعقلون) فى محل الجر على انه صفة لقوم اى يتفكرون فيها او ينظرون اليها بعيون العقول والقلوب ويعتبرون بها لانها دلائل على عظم قدرة الله فيها وباهر حكمته فليستدلون بهذه الاشياء على موجدها فيوحدونه وفيه تعريض لجهل المشركين الذين اقترحوا على الرسول آية تصدقه فى قوله تعالى والهكم اله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول اذ لو عقلوه لكفاهم بهذه التصاريف آية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها المج حقيقة قذف الريق ونحوه من الفم عدى بالباء لما فيه من معنى الرمى واستعير ههنا لعدم الاعتبار والاعتداد فان من تفكر فيها فكانه حفظها ولم يلفها من فيه واعلم ان قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو اول آية نزلت فى التوحيد بحسب الرتبة اى اقدم توحيد من جهة الحق لا من جهتنا فان اول رتبة التوحيد من طرفنا توحيد الافعال وهذا هو توحيد الذات ولما بعد هذا التوحيد عن مبالغ افهام الناس نزل الى مقام توحيد الصفات بقوله الرحمن الرحيم ثم الى توحيد الافعال ليستدل به عليه فقال ان فى خلق الاية كذا فى التاويلات القاشانية ومن نتايج صفة الرحمن الرحيم فى حق الانسان ما اشار اليه فى قوله ان فى خلق الخ يعنى ان الحكمة فى خلق هذه الاشياء ليكون كل شئ مظهر آية من آيات الله ولا فائدة لهذه الاشياء من الايات المودعة فيها فان فائدتها عائدة الى الانسان لانهم قوم يعقلون الايات كما قال سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق فالعالم بما فيه خلق بتبعية الانسان لان العالم مظهر آيات الحق والايات المرئيات الانسان والانسان مظهر معرفة الحق ولهذا قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى ليعرفون فلو لم يكن لاجل معرفة الله ما خلق الانسان ولو لم يكن لاجل الانسان ما خلق العالم بما فيه كما قال للنبى عليه السلام لولاك لما خلقت الكون وكان العالم مرءآة يظهر فيه آيات كمال الحق وجلاله والانسان هو المشاهد لايات الجمال والجلال فى مرءآة العالم وهو مرءآة يظهر فيه مرءآة العالم وما يظهر فيه كما قال تعالى وفى انفسكم أفلا تبصرون وهذا تحقيق قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه لان نفسه مرءآة جمال ربه وليس احد غير الانسان يشاهد جمال ربه فى مرءآة العالم ومرءآة نفسه بارآءة الحق كما قال سنريهم آياتنا الخ فاعرف قدرك لتعرف قدر ربك يا مسكين ومما يدل على ان خلق السموات والارض وما بينهما تبع لخلق الانسان قوله عليه السلام لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الارض الله الله يعنى اذا مات الانسان الذى هو يقول الله الله قامت القيامة فلم تبق السموات والارض لان وجودهما كان تبعا لوجود الانسان فاذا لم يبق المتبوع ما بقى التابع كذا فى التأويلات النجمية فعلى العاقل ان يصل بالذكر الحقيقى الى المقصود الاصلى فان التوحيد ينفى الباطل وينفى الاغيار روى عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لابى حصين كم تعبد اليوم من اله فقال اعبد سبعا ستا فى الارض وواحدا فى السماء قال فايهم تعبده لرغبتك ورهبتك فقال الذى فى السماء فقال عليه السلام فيكفيك اله السماء ثم قال يا حصين لو اسلمت علمتك كلمتين تنفعانك فاسلم حصين ثم قال يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علمنى هاتين الكلمتين فقال عليه السلام قل اللهم الهمنى رشدى واعذنى من شر نفسى (ومن الناس من يتخذ من دون الله) من لابتداء الغاية

متعلق بيتخذ ودون فى الاصل ظرف مكان استعمل هنا بمعنى غير مجازا والاتخاذ بمعنى الصنع والعمل متعد الى مفعول واحد وهو هنا قوله (اندادا) هى الاصنام التى بعضها انداد لبعض اى امثال او انها انداد الله تعالى بحسب ظنونهم الفاسدة من حيث انهم كانوا يرجون من عندها النفع والضرر وقصدوها بالمسائل وقربوا لها القرابين فارجاع ضمير العقلاء اليها فى قوله تعالى يحبونهم مبنى على آرائهم الباطلة فى شانها من وصفهم بما لا يوصف به الا العقلاء او هى الرؤساء الذين يطيعونهم قال القاضى ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله تعالى فانه قال الصوفية والعارفون كل شئ ان شغلت به قلبك سوى الله تعالى فقد جعلته فى قلبك ندا له تعالى ويدل عليه قوله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه (يحبونهم) الجملة صفة لانداد اى يعظمونهم ويخضعون لهم ويطيعونهم تعظيم المحبوب وطاعته (كحب الله) اى حبا كائنا مثل حبهم الله تعالى اى يسوون بينه تعالى وبينهم فى الطاعة والتعظيم والمقصود من التشبيه ما فى الوصف من القوة والضعف والمراد ههنا التسوية وهذه التسوية فى التعظيم لا تنافى اقرارهم بربوبيته تعالى كما يدل عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولفظ المحبة مأخوذ من الحب بالفتح كحبة الحنطة والشعير شبه حبة القلب اى سويداءه بالحب المعروف فى كون كل منهما منشأ ومبدأ للآثار العجيبة فاستعير اسم الحب لها ثم اشتق من الحب المستعار للقلب الحب بمعنى ميل القلب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله تعالى ارادة طاعته فى اوامره ونواهيه والاعتناء لتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله فى الطاعة وصونه عن المعاصى ثم فضل محبة المؤمنين بقوله (والذين آمنوا اشد حبا لله) من حب الكفرة لاندادهم لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا فاذا رأوا صنما يعجبهم اخذوه وطرحوا الاول وروى ان باهلة عملت لها الها من حيس فاكلوه عام المجاعة (ولو يرى الذين ظلموا) اى لو يعلم هؤلاء الذين اشركوا باتخاذ الانداد ووضعها موضع المعبود (اذ يرون العذاب) المعد لهم يوم القيامة اى عاينوه فهى من الرؤية بالعين (ان القوة) اى الغلبة والقدرة الالهية (لله جميعا) نصب حال والجملة سادة مسد مفعولى يرى (وان الله شديد العذاب) عطف على ان القوة لله وفائدته المبالغة فى تهويل الخطب وتفظيع الامر فان اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف اى لو علم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شئ من الثواب والعقاب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيامة لوقعوا من الحسرة والندامة على عبادة الانداد فيما لا يكاد يوصف (اذ تبرأ الذين اتبعوا) بدل من اذ يرون واصل التبرى التخلص ويستعمل للتفصى والتنصل مما تكرهه مجاورته والمعنى اذ تبرأ الرؤساء والمتبوعون (من الذين اتبعوا) اى من الاتباع بان اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه فى الدنيا ويدعونهم اليه من فنون الكفر والضلال واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن (ورأوا العذاب) الواو حالية وقد مضمرة اى تبرؤا حال رؤيتهم العذاب (وتقطعت بهم الاسباب) عطف على تبرأ وتوسط الحال بينهما للتنبيه على علة التبرى اى انقرضت عنهم الوصل التى كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد والانساب والمحاب والاتباع والاستتباع فالباء فى بهم بمعنى عن كما فى قوله تعالى فاسأل به خبيرا او للسببية اى تقطعت بسبب كفرهم الاسباب التى كانوا يرجون بها النجاة او للتعدية اى قطعتهم الاسباب كما تقول فرقت بهم الطريق اى فرقتهم (وقال الذين اتبعوا) حين عاينوا تبرى الرؤساء منهم وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم فى الدنيا (لو ان لنا كرة) اى ليت لنا رجعة الى الدنيا وعودة (فنتبرأ منهم) هنالك (كما تبرؤا منا) اليوم اى تبرأ مثل تبرئهم فالكاف منصوب المحل على انها صفة مصدر محذوف (كذلك) اى مثل ذلك الاراء الفظيع وهو نزول العذاب عليهم وتبرى بعضهم من بعض (يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم) اى ندمات شديدة فان الحسرة شدة الندم والكمد وهى تألم القلب وانحساره عما يؤلمه تألما يبقى النادم كالحسير من الدواب وهو الذى انقطعت قوته فصار بحيث لا ينتفع به واصل الحسر الكشف ومن فات عنه ما يهواه وانكشف قلبه عنه يلزمه الندم والتأسف على فواته فلذلك عبر عن الحسرة التى هى انكشاف القلب عما يهواه بلازمه الذى هو الندم والرؤية ان كانت بصرية تكون حسرات حالا من اعمالهم والمعنى ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون اعمالهم الا حال كونها حسرات وان كانت قلبية فهى ثالث مفاعيل

برى وعليهم يتعلق اما بحسرات والمضاف محذوف اى على تفريطهم او بمحذوف منصوب على انه صفة
لحسرات اى حسرات مستولية عليهم فان ما عملوه من الخيرات محبوطة بالكفر فيتحسرون لم ضيعوها
ويتحسرون على ما فعلوه من المعاصى لم عملوها قال السدى ترفع لهم الجنة فينظرون اليها والى بيوتهم فيها
لو اطاعوا الله فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين وذلك حين يندمون ويتحسرون
(وما هم بخارجين من النار) لانهم خلقوا لاجلها روى انه يساق اهل النار الى النار لم يبق منهم عضو الا لزمه
عذاب اما حية تنهشه او ملك يضربه فاذا ضربه الملك هوى فى النار مقدار اربعين يوما لا يبلغ قرارها ثم يرفعه
اللهب ويضربه الملك فيهوى فاذا بدا رأسه ضربه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا
العذاب فاذا عطش احدهم طلب الشراب فيؤتى بالحميم فاذا دنا من وجهه سقط وجهه ثم يدخل فى فيه فتسقط
اضراسه ثم يدخل بطنه فيقطع امعاءه وينضج جلده وهكذا يعذبون فى النار لا يموتون فيها ولا يحيون
ولا يخرجون قال سعيد بن جبير ان الله تعالى يأمر يوم القيامة من احرق نفسه فى الدنيا على رؤية الاصنام
ان يدخلوا جهنم مع اصنامهم فلا يدخلون لعلمهم ان عذاب جهنم على الدوام ثم يقول للمؤمنين بين ايدى الكفار
ان كنتم احبائى فادخلوا جهنم فيقتحمون فيها او ينادى مناد من تحت العرش والذين آمنوا اشد حبا لله
لان الله احبهم اولا ثم احبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته اتم قال تعالى يحبهم ويحبونه ومن لم يكن
اهلا لمحبة الله ازلا طردته العزة الى محبة الانداد وهى كل ما يحب سوى الله فمن وكل الى المحبة النفسانية تعلقت
محبته بملائم هوى النفس من الاصنام فكان الكفار بعضهم يحبون اللات ويعبدونها وبعضهم يحبون
الاولاد ويعبدونها فمحبة الاولاد والازواج والاموال تمنع عن محبة الله ومن احب الله يرى ما سواه بنظر
العداوة كما قال الخليل عليه السلام فانهم عدو لى الا رب العالمين ومن كان فى الازل اهلا لمحبة الله جذبته
العناية فيتجلى له الحق فانعكست تلك المحبة لمرآة قلبه فلا تتعلق بغير الله لانها من عالم الوحدة فلا تقبل الشركة
والاعداء احبوا الانداد بمحبة فانية نفسانية والاحباء احبوا الله بمحبة باقية ربانية بل احبوه بجميع اجزائهم
الفانية والباقية اللهم اوصلنا الى حقيقة المحبة واليقين والتمكين (يا ايها الناس) نزلت فى قوم حرموا على انفسهم
رفيع الاطعمة والملابس (كلوا مما فى الارض) اى من بعض ما فيها من اصناف المأكولات لان كل ما فيها
لا يؤكل (حلالا) حال من الموصول اى حال كونه حلالا وهو ما انحل عنه عقد الحظر (طيبا) طاهرا من جميع
الشبه صفة حلالا او الحلال ما يستطيبه الشرع والطيب ما يستطيبه الشهوة المستقيمة اى يستلذه الطبع
(ولا تتبعوا خطوات الشيطان) الخطوة بالفتح المرة من نقل القدم وبالضم بعد ما بين قدمى الماشى يقال اتبع
خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته اى لا تقتدوا بآثاره وطرقه ومذاهبه فى اتباع الهوى
وهى وساوسه فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام (انه لكم عدو مبين) تعليل للنهى اى ظاهر العداوة عند ذوى
البصيرة واما عند متبعى الهوى الذين لا بصيرة لهم فهو كولى حميم حيث يدلهم على مشتهيات نفوسهم ولذائذ
مراداتها المستحسنة فقوله مبين من ابان بمعنى بان وظهر وجعله الواحدى من ابان المتعدى حيث قال
انه عدو مبين قد ابان عداوته لكم بابائه السجود لابيكم آدم وهو الذى اخرجه من الجنة (انما يأمركم)
اى يوسوس لكم شبه تسلطه عليهم بأمر مطاع وشبهوا فى قبولهم للوسوسة وطاعتهم له بالطبع بمأمور مطيع
وفيه رمز الى انهم بمنزلة المأمورين المنقادين له تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم (بالسوء) وهو كل ما ساءك
فى عاقبتك يطلق على جميع المعاصى سواء كانت من اعمال الجوارح او اعمال القلوب لاشتراك كلها فى انها تسوء
صاحبها وتحزنه (والفحشاء) من عطف الخاص على العام اى اقبح انواع المعاصى واعظمها مساءة فالزنى
فاحشة والبخل فاحشة وكل فعلة قبيحة فاحشة واصل الفحش مجاوزة القدر فى كل شئ وجعل البيضاوى
المغايرة بين السوء والفحشاء بحسب المفهوم دون الذات فانه سميت المعصية سوأ لاغتمام العاقل بها وفحشاء
باستقباحه اياها فاطلاق السوء والفحشاء على المعصية من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة مثل رجل عدل
(وان تقولوا) اى يأمركم بان تفتروا (على الله) بانه حرم هذا وذاك (ما لا تعلمون) ان الله تعالى امر به وهو اقبح
ما امر به الشيطان من القبائح لان وصفه تعالى بما لا ينبغى ان يوصف به من اعظم انواع الكبائر كما ان الفحشاء
اقبح انواع السوء فان قيل كيف يأمرنا الشيطان بذلك ونحن لا نراه ولا نسمع كلامه فكيف وسوسته وكيف

وصوله

وصوله الى القلب قلنا هو كلام خفى على ما قيل تميل اليه النفوس والطبع وقد قيل يدخل فى جسد ابن آدم لانه
جسم لطيف ويوسوس وهو انه يحدث النفس بالافكار الرديئة قال تعالى يوسوس فى صدور الناس ومن دعاء
النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اعمر قلبى من وساوس ذكرك واطرد عنى وساوس الشيطان قال فى آكام المرجان
وينحصر ما يدعو الشيطان اليه ابن آدم ويوسوس له فى ست مراتب المرتبة الاولى مرتبة الكفر والشرك
ومعاداة رسوله فاذا ظفر بذلك من ابن آدم برد انينه واستراح من تعبه معه لانه حصل منتهى امنيته
وهذا اول ما يريده من العبد المرتبة الثانية البدعة وهى احب اليه من الفسوق والمعاصى لان المعصية يتاب
منها والبدعة لا يتاب منها الا ان صاحبها يظنها حقيقة صحيحة فلا يتوب فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الثالثة
وهى الكبائر على اختلاف انواعها فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الرابعة وهى الصغائر التى اذا اجتمعت
صارت كبيرة والكبائر ربما اهلكت صاحبها كما قال عليه السلام اياكم ومحقرات الذنوب فان مثل ذلك مثل
قوم نزلوا بفلاة من الارض فجاء كل واحد بعود حطب حتى اوقدوا نارا عظيمة وطبخوا وشبعوا فاذا عجز عن ذلك
انتقل الى المرتبة الخامسة وهى اشتغاله بالمباحات التى لا ثواب فيها ولا عقاب بل عقابها فوات الثواب الذى
فات عليه باشتغاله بها فان عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة السادسة وهى ان يشغله بالعمل المفضول عما هو
افضل منه ليزيح عنه الفضيلة ويفوته ثواب العمل الفاضل فيجره من الفاضل الى المفضول ومن الافضل الى
الفاضل ليتمكن من ان يجره من الفاضل الى الشرور بما يجره من الفاضل السهل الى الافضل الاشق كمائة ركعة
بالنسبة الى ركعتين ليصير ازدياد المشقة سببا لحصول النفرة عن الطاعة بالكلية وانما خلق الله ابليس ليميز به
الخبيث من الطيب فخلق الله الانبياء لتقتدى بهم السعداء وخلق ابليس لتقتدى به الاشقياء ويظهر الفرق
بينهما فابليس دلال وسمسار على النار والخلاف وبضاعته الدنيا ولما عرضها على الكافرين قيل ما ثمنها قال ترك
الدين فاشتروها بالدين وتركها الزاهدون واعرضوا عنها والراغبون فيها لم يجدوا فى قلوبهم ترك الدين ولا الدنيا
فقالوا له اعطنا مذاقة منها حتى ننظر ما هى فقال ابليس اعطونى رهنا فاعطوه سمعهم وابصارهم ولذا يحب
ارباب الدنيا استماع اخبارها ومشاهدة زينتها لان سمعهم وبصرهم رهن عند ابليس فاعطاهم المذاقة بعد
قبض الرهن فلم يسمعوا من الزهاد عيب الدنيا ولم يبصروا قبائحها بل استحسنوا زخارفها ومتاعها فلذلك قيل
حبك الشئ يعمى ويصم فعلى العاقل ان يزهد ويرغب عن الدنيا ولا يقبل منها الا الحلال الطيب قال الحسن
البصرى الحلال الطيب ما لا سؤال فيه يوم القيامة وهو ما لا بد منه قال النبى عليه السلام ان الله يوهب
لابن ادم ما لا بد منه ثوب يوارى به عورته وخبز يرد جوعته وبيت ككعش الطير فقيل يا رسول الله فكيف الملح
فقال الملح مما يحاسب به وفى التأويلات النجمية الحلال ما اباح الله اكله والطيب ما لم يكن مشوبا بشبهة حقوق
الخلق ولا يسرف حظوظ النفس وكل طيب حلال وليس كل حلال طيبا ولهذا قال النبى عليه السلام ان الله
طيب ولا يقبل الا الطيب يعنى غير مشوب بعيب او شبهة قيل ولا يقال ان الله حلال واعلم ان اكل الحلال
الطيب يورث القيام بطاعة الله والاجتناب عن خطوات الشيطان فالعمل الصالح نتيجة اللقمة الطيبة
(وفى المثنوى) علم وحكمت زايد از لقمه حلال * عشق ورقت آيد از لقمه حلال *
چون ز لقمه تو حسد بينى ودام * جهل وغفلت زايد آن را دان حرام * هيچ گندم كارى وجو بر دهد *
ديده اسپى كه كره خر دهد * لقمه تخمست وبرش انديشها * لقمه بحر وگوهرش انديشها *
زايد از لقمه حلال اندر دهان * ميل خدمت عزم رفتن آن جهان * وطلب الحلال بالكسب المشروع
سنة الانبياء عليهم السلام وفى الكسب فوائد كثيرة منها الزيادة على رأس المال ان عمل للتجارة والزراعة وغرس
الاشجار وفيها صدقة لما اكلته الطيور وغيرها ومنها اشتغال المكتسب بالكسب عن البطالة واللهو
ومنها كسر النفس وصيرورتها قليلة الطغيان ومنها ان الكسب واسطة الامان من الفقر الذى هو اسوداد الوجه
فى الدارين ولا يتحرك فى الكسب لاجل عياله الا قال له حافظاه بارك الله لك فى حركاتك وجعل نفقاتك ذخرا
لك فى الجنة ويؤمن عليهما ملائكة السموات والارض وافضل الكسب الجهاد ثم التجارة ثم الحراثة ثم الصناعة
(واذا قيل لهم) نزلت فى مشركى العرب وكفار قريش امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل تعالى من البينات
الباهرة فجنحوا للتقليد اى واذا قيل للمشركين من الناس على وجه النصيحة والارشاد (اتبعوا ما انزل الله)

كتاب الله الذى انزله فاعملوا بتحليل ما احل الله وتحريم ما حرم الله فى القرءآن ولا تتبعوا خطوات الشيطان
(قالوا بل) عاطفة للجملة التى تليها على الجملة المحذوفة قبلها (نتبع ما الفينا) اى وجدنا (عليه آباءنا) من اتخاذ
الانداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك لانهم كانوا خيرا منا فقلدوا آباءهم فانظروا ايها العقلاء الى هؤلاء الحمقى
ماذا يجيبون فقال الله تعالى ردا عليهم بهمزة الانكار والتعجب مع واو الحال بعدها (اولو كان آباؤهم) لما
اقتضت الهمزة صدر الكلام والواو وسطه قدر بين الهمزة والواو جملة لتقع الهمزة فى صدرها والمعنى ايتبعونهم
ولو كان آباؤهم اى فى حال كون اباءهم (لا يعقلون شيأ) من الدين لانهم كانوا يعقلون امر الدنيا (ولا يهتدون)
للصواب والحق يعنى هذا منكر مستبعد جدا لان اتباع من لا عقل له ولا اهتداء الى طريق الحق لا وجه له اصلا
(ومثل) واعظ (الذين كفروا) وداعيهم الى الحق (كمثل) الراعى (الذى ينعق) نعق الراعى والمؤذن بعين مهملة
صوت وبالمعجمة نغق للغراب والمعنى يصوت (بما لا يسمع) وهو البهائم اى لا يدرك بالاستماع (الا دعاء) صوتا
من الناعق (ونداء) زجرا مجردا من غير فهم شئ آخر وحفظه كما يفهم العاقل ويجيب قيل الفرق بين الدعاء
والنداء ان الدعاء للقريب والنداء للبعيد ويحتمل ان يكون الدعاء اعم من النداء والتشبيه المذكور
فى الاية من قبيل التشبيه المفرق شبه داعى الكافر بالناعق ونفس الكفرة بالبهائم المنعوق بها ودعاء داعى الكفرة
بنعيق الناعق بالبهائم والمعنى مثلك يا محمد ومثل الذين كفروا فى وعظهم ودعائهم الى الله وعدم اهتدائهم
كمثل الراعى الذى يصيح بالغنم ويكلمها ويقول كلى واشربى وارعى وهى لا تفهم شيأ مما يقول لها كذلك
هؤلاء الكفار كالبهائم لا يعقلون عنك ولا عن الله شيأ (صم) اى هم صم يعنى كأنهم يتصاممون عن سماع الحق
(بكم) بمنزلة الخرس فى ان لم يستجيبوا لما دعوا اليه (عمى) بمنزلة العمى من حيث اعراضهم عن الدلائل
كأنهم لم يشاهدوها ثم انه تعالى لما شبههم بفاقدى هذه القوى الثلاث التى يتوسل بها الى تمييز الحق من الباطل
واختيار الحق فرع على هذا التشبيه قوله (فهم لا يعقلون) اى لا يكتسبون الحق بما جبلوا عليه من العقل
الغريزى لان اكتسابه انما يكون بالنظر والاستدلال ومن كان كالاصم والاعمى فى عدم استماع الدلائل
ومشاهدتها كيف يستدل على الحق ويعقله ولهذا قيل من فقد حسا فقد فقد علما وليس المراد نفى اصل العقل
لان نفيه رأسا لا يصلح طريقا للذم وهكذا لا ينفع الوعظ فى آخر الزمان لان آذان الناس مسدودة عن استماع
الحق واذهانهم مصدودة عن قبوله (ونعم ما قال السعدى) فهم سخن چون نكند مستمع * قوت طبع
از متكلم مجوى * فسحت ميدان ارادت بيار * تا بزند مرد سخن كوى كوى * وفى قوله تعالى
اولو كان آباؤهم الاية اشارة الى قطع النظر عن الاسلاف السوء واتباع اهل الاهوآء المختلفة والبدع الذين
لا يعقلون شيأ من طريق الحق وضلوا فى تيه محبة الدنيا ويدعون انهم اهل العلم وليسوا من اهله اتخذوا العلم
مكسبا للمال والجاه وقطعوا الطريق على اهل الطلب قال تعالى فى بعض الكتب المنزلة لا تسألن عن عالم
قد اسكره حب الدنيا فاولئك قطاع الطريق على عبادى فمن كان على جادة الحق وصراط الشريعة وعنده
معرفة سلوك مقامات الطريقة يجوز الاقتدآء به اذ هو من اهل الاهتدآء الى عالم الحقيقة دون مدعى
الشيخوخة بطريق الارث من الاباء ولا حظ لهم من طريق الاهتدآء فانهم لا يصلحون للاقتدآء (قال السعدى)
چو كنعانرا طبيعت بى هنر بود * پيمبرزادكى قدرش نيفزود * هنر بنماى اكر دارى نه كوهر *
كل از خارست وابراهيم از آزر * وفى التأويلات النجمية ان مثل الذين كفروا كان فى عالم الارواح
عند الميثاق اذ خاطبهم الحق بقوله الست بربكم كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء لانهم كانوا فى الصف
الاخير اذ الارواح كانوا جنودا مجندة فى اربعة صفوف فكان فى الصف الاول ارواح الانبياء عليهم السلام
وفى الثانى ارواح الاولياء وفى الثالث ارواح المؤمنين وفى الرابع ارواح الكافرين فاحضرت الذرات التى
استخرجت من ظهر آدم من ذرياته واقيمت كل ذرة بازآء روحها فخاطبهم الحق الست بربكم فالانبياء سمعوا
كلام الحق كفاحا بلا واسطة وشاهدوا انوار جماله بلا حجاب ولهذا استحقوا ههنا النبوة والرسالة والمكالمة
والوحى الله اعلم حيث يجعل رسالته والاولياء سمعوا كلام الحق وشاهدوا انوار جماله من انوار حجاب ارواح
الانبياء ولهذا ههنا احتاجوا المتابعة الانبياء فصاروا عند القيام باداء حق متابعتهم مستحق الالهام والكلام
من ورآء الحجاب والمؤمنون سمعوا خطاب الحق ورآء حجاب الانبياء وحجاب ارواح الاولياء ولهذا آمنوا بالغيب

وقبلوا

وقبلوا دعوة الانبياء وان بلغتهم من ورآء حجاب رسالة جبريل وحجاب رسالة الانبياء فقالوا سمعنا واطعنا
ومما يدل على هذه التقريرات قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورآء حجاب يعنى الاولياء
او يرسل رسولا يعنى المؤمنين والكفار لما سمعوا من الخطاب ندآء من ورآء الحجب الثلاثة كانوا كمثل الذى ينعق
بما لا يسمع الا دعاء ونداء فما شاهدوا من انوار كمال الحق لا قليلا ولا كثيرا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
وما فهموا شيأ من كلام الحق الا انهم سمعوا من ذرات المؤمنين من ورآء الحجاب لما قالوا بلى فقالوا بالتقليد
ولهذا ههنا قلدوا واما الفوا عليه آباءهم لقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون فلما تعلقت
ارواحهم بالاجساد وتكدرت بكدورات الحواس والقوى النفسانية واظلمت بظلمات الصفات الحيوانية
وران على قلوبهم ما كانوا يكسبون من التمتعات البهيمية والاخلاق الشيطانية واللذات الجسمانية اصمهم الله
واعمى ابصارهم فهم الان صم عن استماع دعوة الانبياء بسمع القبول بكم عن قول الحق والاقرار بالتوحيد
عمى عن رؤية آيات المعجزات فهم لا يعقلون ابدا لانهم ابطلوا بالرين صفاء عقولهم الروحانية وحرموا من فيض
الانوار الربانية (قال الصائب) چرا زغير شكايت كنم كه همچو حباب * هميشه خانه خراب هواى
خويشتنم (وفى المثنوى) كرچه ناصح را بود صد داعيه * پند را اذنى ببايد واعيه * تو بصد تلطيف
پندش ميدهى * او ز پندت ميكند پهلو تهى * يك كس نامستمع ز استيز ورد * صد كس
كوينده را عاجز كند * ز انبيا ناصح تر وخوش لهجه تر * كى بود كه رفت دمشان در حجر *
زانچه كوه وسنك در كار آمدند * مى نشد بدبخت را بكشاده بند * انچنان دلها كه بدشان ما ومن *
نعتشان شد بل اشد قسوة * فعلى العاقل ان يتدارك حاله بسلوك طريق الرضى والندم على ما مضى ويزكى نفسه
عن سفساف الاخلاق ويصفى قلبه الى ان تنعكس اليه انوار الملك الخلاق وذلك لا يحصل غالبا الا بتربية كامل
من اهل التحقيق لان المرء محجوب عن ربه وحجابه الغفلة وهى وان كانت لا ترفع ولا تزول الا بفضل الله تعالى
لكنه باسباب كثيرة ولا اهتدآء الى علاج المرض الا باشارة حكيم حاذق وذلك هو المرشد الكامل فاذا يزول
الرين عن القلب وتنفتح روزنة البال الى الغيب فيكون اقرار السالك تحقيقا لا تقليدا وتوحيده تجريدا وتفريدا
فحينئذ يعكس الامر فيكون اصم عن سماع اخبار ما سوى المحبوب الحقيقى ابكم عن افشاء سر الحقيقة اعمى
عن رؤية الاغيار فى هذه الدار الفانية اللهم خلصنا من التقليد واوصلنا الى حقيقة التوحيد انك حميد مجيد
(يا ايها الذين آمنوا كلوا) رزقكم (من طيبات ما رزقناكم) اى من حلاله لان ما رزقناكم اعم من الحلال
والحرام عند اهل السنة او من لذيذاته لانه اعم ايضا من المستلذ والمستكره قال ابن الشيخ وهذا المعنى هو
المناسب لهذا المقام واولى من حمله على الحلال الطاهر من الشبهة لان المقام مقام الامتنان بما رزقه من لذائذ
الاحسان وطلب شكر المنعم المنان والطيب له ثلاثة معان المستلذ طبعا والمباح شرعا والطاهر وضعا وفى الاية
اشارة الى انه لا بأس بالتفكه بانواع الفواكه لانها من الطيبات وتركه افضل لئلا ينقص من درجته ويدخل تحت
قوله تعالى اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا والامر باكل الطيبات لفائدتين احداهما ان يكون اكلهم
بالامر لا بالطبع فيمتازون عن الحيوانات ويخرجون من حجاب ظلمة الطبع بنور الشرع والثانى ليثيبهم بائتمار
امر الاكل (واشكروا لله) الذى رزقكموها واحلها لكم والشكر صرف العبد جميع اعضائه الظاهرة والباطنة
الى ما خلقت لاجله وهذا الامر ليس امر اباحة بل هو للايجاب اذ لا شك فى انه يجب على العاقل ان يعتقد
بقلبه ان من اوجده وانعم عليه بما لا يحصى من النعم الجليلة مستحق لغاية التعظيم وان يظهر ذلك بلسانه وبسائر
جوارحه (ان كنتم اياه تعبدون) اى ان كنتم مؤمنين بالله ومخصصين الله بالعبادة فاشكروا له فان الايمان
يوجب ذلك وهو من شرائطه وهو مشهور فى كلامهم يقول الرجل لصاحبه الذى عرف انه يحبه
ان كنت لى محبا فافعل كذا فيدخل حرف الشرط فى كلامه تحريكا له على ما يؤمر به واعلاما انه من شرائط
المحبة وليس المراد ان انتفاء الشرط يستلزم انتفاء المشروط فان من لا يفعل هذه العبادة يجب الشكر عليه ايضا
وعن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انى والانس والجن فى نبأ عظيم اخلق ويعبد غيرى وارزق ويشكر
غيرى (قال السعدى) مكن كردن از شكر منعم مپيچ * كه روز پسين سر برارى بهيچ (انما حرم عليكم الميتة)
اى ما مات بغير ذكاة مما يذبح والسمك والجراد مستثنيان بالعرف لانه اذا قيل فلان اكل ميتة لم يسبق الى الفهم

ولا اعتبار للعادة قالوا من حلف لا يأكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما فى الحقيقة قال الله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا والمراد بتحريم الميتة تحريم اكلها وشرب لبنها او الانتفاع بها لان الاحكام الشرعية انما تتعلق بالافعال دون الاعيان (والدم) الجارى والكبد والطحال مستثنيان ايضا بالعرف فهما حلالان (ولحم الخنزير) قد انعقد الاجماع على ان الخنزير حرام لعينه فيكون جميع اجزآئه محرما وانما خص الله لحمه بالذكر لانه معظم ما ينتفع به من الحيوان فهو الاصل وما عداه تبع له (وما اهل به لغير الله) اى وحرم ما رفع به الصوت عند ذبحه للصنم واصل الاهلال رفع الصوت وكانوا اذا ذبحوا لآلهتهم يرفعون اصواتهم بذكرها ويقولون باسم اللات والعزى فجرى ذلك من امرهم حتى قيل لكل ذابح وان لم يجهر بالتسمية مهل قال العلماء لو ذبح مسلم ذبيحة وقصد بها التقرب الى غير الله صار مرتدا وذبيحته ميتة وذبايح اهل الكتاب تحل لنا لقوله تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم الا ان سموا غير الله فانها حينئذ لا تحل لهذه الاية فان قوله تعالى وطعام الذين الخ عام وقوله وما اهل به لغير الله خاص والخاص مقدم على العام (فمن) يحتمل ان تكون شرطية وموصولة (اضطر) اى احوج والجئ الى اكل شئ مما حرم الله بان لا يجد غيرها ووجدان الاضطرار ان يخاف على نفسه او على بعض اعضائه التلف (غير) نصب على الحال فانه اذا صلح فى موضع لا فهو حال وان صلح فى موضع الا فهو استثناء والا فهو صفة وذو الحال ههنا فاعل فعل محذوف بعد قوله اضطر تقديره فمن اضطره احد امرين الى تناول شئ من هذه المحرمات احدهما الجوع الشديد مع عدم وجدان مأكول حلال يسد رمقه وثانيهما الاكراه على تناوله فتناول واكل حال كونه غير (باغ) على مضطر آخر بان حصل ذلك المضطر الآخر من الميتة مثلا قدر ما يسد به جوعته فاخذه منه وتفرد باكله وهلك الآخر جوعا وهذا حرام لان موت الآخر جوعا ليس اولى من موته جوعا (ولا عاد) من العدو وهو التعدى والتجاوز فى الامر لما حدله فيه اى غير متجاوز حد الشبع عند الاكل بالضرورة بان يأكل قدر ما يحصل به سد الرمق والجوعة (فلا اثم عليه) فى تناوله عند الضرورة (ان الله غفور) لما اكل فى حال الاضطرار (رحيم) بترخيصه ذلك ولم يذكر فى هذه الاية سائر المحرمات لانها ليست لحصر المحرمات بل هذه الايات سيقت لنهيهم عن استحلال ما حرم الله وهم كانوا يستحلون هذه الاشياء فكانوا يأكلون الميتة ويقولون تأكلون ما امتم ولا تأكلون ما اماته الله وكذا يأكلون الدم ولحم الخنزير وذبايح الاصنام فبين انه حرمها فالمراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا وقيل ذكر الميتة يتناول المتردية وهى الساقطة فى بئر او ماء او من علو والمنخنقة وهى ما اختنق بالشبكة او بحبل او خنق خانق والموقوذة وهى المضروبة بالخشب والنطيحة وهى المنطوحة وما اكل السبع ومتروك التسمية عمدا ونحوها ويكره عشرة من الحيوان الغدة والقبل والدبر والذكر والخصيتان والمرارة والمثانة ونخاع الصلب اما الدم فلقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم واما ما سواه فلانها من الخبائث قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى ذكر ان النبى عليه السلام لم يأكل الطحال ولا الكلية ولا الثوم وان لم يمنع عن اكلها فالاولى ان لا تؤكل اقتفاء لاثره ثم قيل فى وجهه ان المنى اذا نزل لم ينزل الا بعد اتصاله بالكلية واما الطحال فلانه من اطعمة اهل النار كذا فى واقعات الهدايى قدس سره ومن امتنع من الميتة حال المخمصة او صام ولم يأكل حتى مات اثم بخلاف من امتنع من التداوى حتى مات فانه لا يأثم لانه لا يقين بان هذا الدوآء يشفيه ولعله يصح من غير علاج وذكر فى الاشباه والنظائر انه يرخص للمريض التداوى بالنجاسات وبالخمر على احد القولين واختار قاضى خان عدمه واساغة اللقمة بها اذا غص اتفاقا واباحة النظر للطبيب حتى للعورة والسوأتين انتهى ويحل للعطشان شرب الخمر حالة الاضطرار على ما نص عليه فى الخانية وما قال الصدر الشهيد من ان الاستشفاء بالحرام حرام فهو غير مجرى على اطلاقه لان الاستشفاء بالمحرم انما لا يجوز اذا لم نعلم ان فيه شفاء واما اذا علم ذلك وليس له دوآء آخر غيره يجوز له الاستشفاء به ومعنى قول ابن مسعود رضى الله عنه ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم يحتمل ان عبد الله قال ذلك فى دآء عرف له دوآء غير محرم لانه حينئذ يستغنى بالحلال عن الحرام وفى التهذيب يجوز للعليل شرب البول والدم للتداوى اذا اخبره طبيب مسلم ان شفاءه فيه ولم يجد من المباح ما يقوم مقامه كذا فى شرح الاربعين حديثا لعلامة الروم ابن الكمال والاشارة فى قوله تعالى انما حرم الاية انه كما حرم على الظواهر هذه المعهودات حرم على البواطن شهود غير الله فالميتة هى جيفة الدنيا والدم هى الشهوات النفسانية قال عليه السلام ان الشيطان

ليجرى فى ابن ادم مجرى الدم ولولا ان الشهوات فى الدم مستكنة لما كان للشيطان اليه سبيل ولهذا قال عليه السلام سدوا مجارى الشيطان بالجوع لان الجوع يقطع مادة الشهوات ولحم الخنزير اشارة الى هوى النفس وتشبيه النفس بالخنزير لغاية حرصها وشرهها وخستها وخيانة ظاهرها وباطنها وما اهل به لغير الله هو كل ما يتقرب به الى الله من الطاعات البدنية والخيرات المالية من غير اخلاص لله وفى الله بل للرياء والسمعة فى سبيل الهوى فمن اضطر اما لضرورة الحاجة النفسانية واما لضرورة امر الشرع باقامة احكام الواجبات عليه فليشرع فى شئ مما اضطر اليه غير باغ اى غير حريص على الدنيا وجمعها من الحرام والحلال وغير مولع على الشهوات بالحرام والحلال وغير مقبل الى استيفاء حظوظ النفس فى الحرام والحلال وغير مواظب على الرياء فى الطاعات والخيرات من السنن والبدع ولا عاد اى غير متجاوز من الدنيا حد القناعة وهى ما يسد الجوعة ويستر العورة فلا اثم عليه على من قام بهذه الشرآئط ان الله غفور رحيم يغفر للعاملين له بآثار الرحمة والقائمين به بانوار الرحمة والماحين فيه باوصاف الرحمة المتقطعة من التأويلات النجمية والغفور والغفار هو الذى اظهر الجميل وستر القبيح والذنوب من جملة القبايح التى سترها باسبال الستر عليها فى الدنيا والتجاوز عن عقوبتها فى الاخرة وحظ العبد من هذا الاسم ان يستر من غيره ما يحب ان يستر منه وقد قال عليه السلام من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة والمغتاب والمتجسس والمكافئ على الاساءة بمعزل عن هذا الوصف وانما المتصف به من لا يفشى من خلق الله الا احسن ما فيه كما روى عن عيسى عليه السلام انه مر مع الحواريين بكلب قد غلب نتنه فقالوا ما انتن هذه الجيفة فقال عليه السلام ما احسن بياض اسنانها تنبيها على ان الذى ينبغى ان يذكر من كل شئ ما هو احسن كذا فى شرح الاسماء الحسنى للامام الغزالى قدس سره (ان الذين) نزلت فى احبار اليهود فانهم كانوا يرجون ان يكون النبى المنعوت فى التوراة منهم فلما بعث الله نبينا محمدا عليه السلام من غيرهم غيروا نعته حتى اذا نظر اليه السفلة يجدونه مخالفا لصفة محمد عليه السلام فلا يتبعونه فلا تزول رياستهم (يكتمون ما انزل الله من الكتاب) حال من العائد المحذوف اى انزله الله حال كونه من الكتاب وهو التوراة المشتمل على نعت محمد عليه السلام (ويشترون به) اى بدل المنزل المكتوم (ثمنا قليلا) اى يأخذون عوضا حقيرا من الدنيا يعنى المآكل التى يصيبونها من سفلتهم (اولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار) اما فى الاخرة فظاهر لانهم لا يأكلون يوم القيامة الا عين النار عقوبة لهم على اكلهم الرشوة فى الدنيا واما فى الدنيا فبا كل سببها فان اكلهم ما اخذوه من اتباعهم سبب مؤد الى ان يعاقبوا بالنار فاطلاق النار عليه من قبيل اطلاق اسم المسبب على السبب ومعنى فى بطونهم ملئ بطونهم يقال اكل فى بطنه واكل فى بعض بطنه يعنى ان المقصود من ذكر بطونهم متعلقا بقوله يأكلون انما هو بيان محل الاكل ومقر المأكول فلما لم يقل يأكلون فى بعض بطونهم على ان محل الاكل هو تمام بطونهم فلزم امتلاؤها ففيه مبالغة كانهم كانوا متمكنين على البطون عند الاكل فلا وابطونهم (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) اى لا يكلمهم الله بطريق الرحمة غضبا عليهم فليس المراد به نفى الكلام حقيقة لئلا يتعارض بقوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه بل هو كناية عن الغضب لان نفى الكلام لازم للغضب عرفا وعادة الملوك عند الغضب انهم يعرضون عن المغضوب عليهم ولا يكلمونهم كما انهم عند الرضى يتوجهون اليهم بالملاطفة (ولا يزكيهم) لا يثنى عليهم ولا يطهرهم من دنس الذنوب يوم يطهر المؤمنين من ذنوبهم بالمغفرة (ولهم عذاب اليم) وجع دائم مؤلم (اولئك) المشترون بكتاب الله ثمنا قليلا ليسوا بمشترين للثمن وان قل بل (الذين اشتروا) بالنسبة الى الدنيا (الضلالة) التى ليست مما يمكن ان يشترى قطعا (بالهدى) الذى ليس من قبيل ما يبذل بمقابلة شئ وان جل (والعذاب) اى اشتروا بالنظر الى الاخرة العذاب الذى لا يتوهم كونه من المشترى (بالمغفرة) التى يتنافس فيها المتنافسون (فما اصبرهم على النار) اى ما اصبرهم على اعمال اهل النار حين تركوا الهدى وسلكوا مسالك الضلال فالمراد بالنار سببها اطلق عليه اسم النار للملابسة بينهما ومعنى التعجب راجع الى العباد فهو تعجيب اى ايقاع للمخاطب فى العجب لامتناع التعجب فى شأنه تعالى لان التعجب منشأه الجهل بالسبب فانهم قالوا التعجب انفعال النفس عما خفى سببه وخرج عن نظائره فلا يجوز على الله تعالى (ذلك) العذاب بالنار (بان الله) اى بسبب انه (نزل الكتاب) اى جنس الكتاب (بالحق) اى حال كونه ملتبسا بالحق فلا جرم يكون من رفضه بالتكذيب والكتمان وركب متن الجهل

والغواية مبتلى بمثل هذا من افانين العذاب (وان الذين اختلفوا فى الكتاب) اى فى جنس الكتاب الالهى
بان آمنوا ببعض كتب الله وكفروا ببعضها او فى التوراة بان آمنوا ببعض آياتها وكفروا ببعض كالايات المغيرة
المشتملة على امر بعثة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونعوته الكريمة او فى القرآن بان قال بعضهم انه شعر
وبعض سحر وبعض كهانة (لفى شقاق بعيد) اى خلاف بعيد عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب
اعلم ان فى هذه الايات وعيدا عظيما لكل من يكتم الحق لغرض فاسد دنيوى فليحذروا اى العلماء ان يكتموا الحق
وهم يعلمون وانما يكتمونه عن الملوك والامراء والوزراء وارباب الدنيا اما خوفا من ابضاع مرتبتهم ونقصان
قدرهم عندهم واما طموح احسانهم اولانهم شركاؤهم فى بعض احوالهم من حب الدنيا وجمعها والحرص
فى طلبها اوطلب مناصبها وحب رياستها اوبا لتنعم فى الماكول والمشروب والملبوس والمركوب والمسكن
والاوانى وآلات البيت والامتعة والزينة فى كل شئ والخدم والخيول وغير ذلك فعند ذلك يداهنون ويأكلون
ثمنا قليلا ولا يأكلون الا نار الحرص والشهوة والحسد التى تطلع على الافئدة وتأكل الحسنات كما تأكل
النار الحطب واعلم ان فى كل عمل وفعل وقول يصدر من العبد على خلاف الشرع شررا يجتنى من نار السعير
فيحصل فى قلب العبد تلك النار فى الحال وفى التى تصدر من العبد على وفق الشرع شررا يجتنى من نار المحبة
فتظهر فى القلب فتحرق كل محبوب غير الله فى القلب كما ان نار السعير تحرق فى القلب الحسنات والاخلاق
الحميدة فيأكلون نارا فى الحال وانما قال ما يأكلون فى بطونهم الا النار لان فسادهم كان فى الباطن فكان
عذابهم فى البطون وانما لا يكلمهم الله يوم القيامة لانهم كتموا كلام الله فى الدنيا ولا تكلموه بالصدق
فكان جزاء سيئة وانما لا يزكيهم لان تزكية النفس للانسان مقدرة من الايمان والاعمال الصالحة بصدق
النية من تهذيب الاخلاق باداب الشرع فاولئك المداهنون من العلماء هم اشتروا حب الدنيا بهدى اظهار
الحق وآثروا الخلق على الحق والمداهنة على افضل الجهاد قال عليه السلام ان افضل الجهاد كلمة حق عند
سلطان جائر وانما كانت افضل لان الجهاد بالحجة والبرهان جهاد اكبر بخلاف الجهاد بالسيف والسنان
فانه جهاد اصغر ومدار كتمان الحق حب الدنيا وحبها رأس كل خطيئة قال الحسن ان الزبانية الى فسقة حملة
القرآن اسرع منهم الى عبدة الاوثان فيقولون ربنا ما بالنا يتقدمون الينا فيقول الله ليس من يعلم كمن لا يعلم
فمن اشترى الدنيا بالدين فقد وقع فى خسران مبين وكان دائما فى منازعة الشيطان كما حكى ان رجلا قال للشيخ
ابى مدين ما يريد منا الشيطان شكاية منه فقال الشيخ انه جاء قبلك وشكا منك وقال اعلم انه يشكونى ولكن
الله ملكنى الدنيا فمن نازعنى فى ملكى لا انسلى بدون اعيانه فمن كف يده عن الدنيا وزينتها فقد استراح من
تعبها ومحنتها وحكى ان ذا القرنين اجتاز على قوم تركوا الدنيا وجعلوا قبور موتاهم على ابوابهم يقتاتون
بنبات الارض ويشتغلون بالطاعة فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال مالى حاجة الى صحبة ذى القرنين فجاء
ذو القرنين فقال ما سبب قلة الذهب والفضة عندكم قال ليس للدنيا طالب عندنا لانها لا تشبع احدا فجعلنا
القبور عندنا حتى لا ننسى الموت ثم اخرج راس انسان وقال هذا رأس ملك من الملوك كان يظلم الرعية ويجمع
حطام الدنيا فقبضه الله تعالى وبقى عليه السيئات ثم اخرج رأسا آخر وقال ايضا هذا رأس ملك عادل مشفق
فقبضه واسكنه جنته ورفع درجته ثم وضع يده على رأس ذى القرنين وقال من اى الرأسين يكون رأسك فبكى
ذو القرنين وقال ان ترغب فى صحبتى شاطرتك مملكتى وسلمت اليك وزارتى فقال هيهات وقال ذو القرنين ولم قال
لان الناس اعداؤك بسبب المال والمملكة وجميعهم احبابى بسبب القناعة (قال السعدى قدس سره)
دركوشهٔ قناعت نان پارهٔ و بینه * درپیش اهل معنی بهتر ز صد خزینه (ليس البر) هو كل فعل
مرضى يفضى بصاحبه الى الجنة (ان تولوا) اى ان تصرفوا يا اهل الكتابين (وجوهكم) فى الصلاة (قبل المشرق
والمغرب) اى مقابله ظرف مكان لقوله تولوا والبر منصوب على انه خبر مقدم وان تولوا اسمها لكونه فى تأويل
المصدر والمصدر المؤول اعرف من المحلى باللام وهو يشبه الضمير من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به فالاولى
ان يجعل الاعرف اسما وغير الاعرف خبرا وذلك ان اليهود والنصارى اكثروا الخوض فى امر القبلة حين حول
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر هو التوجه الى قبلته فرد
عليهم وقيل ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر (ولكن البر) المعهود الذى ينبغى ان يهتم بشأنه ويجد

فى تحصيله (من) اى بر من على حذف المضاف لان اسم لكن من اسماء المعانى وخبرها من اسماء الاعيان فامتنع
الحمل لذلك (آمن بالله) وحده ايمانا بريئا من شائبة الاشراك لا كايمان اليهود والنصارى المشركين بقولهم
عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله وقدم الايمان بالله فى الذكر لانه اصل لجميع الكمالات العلمية والعملية
(واليوم الاخر) اى بالبعث الذى فيه جزاء الاعمال على انه كائن لا محالة وعلى ما هو عليه لا كما يزعمون من انهم
لا تمسهم النار الا اياما معدودة وان آباءهم الانبياء ويشفعون لهم فالبر هو التوجه الى المبدأ والمعاد اللذين
هما المشرق والمغرب فى الحقيقة ولما كان الايمان باليوم الاخر متفرعا على الايمان بالله لانا ما لم نعلم باستحقاقه
الالوهية وقدرته على جميع الممكنات لا يمكننا ان نعلم صحة الحشر والنشر وكان الايمان به محركا وداعيا
الى الانقياد بالله فى جميع ما امر به ونهى عنه خوفا وطمعا ذكر الايمان به عقيب الايمان بالله (والملائكة) كلهم
بانهم عباد الله ليسوا بذكور ولا اناث ولا بشر ولا اولاد الله مكرمون عنده متوسطون بينه وبين انبيائه بالقاء
الوحى وانزال الكتب واليهود اخلوا بذلك حيث اظهروا عداوة جبريل (والكتاب) اى بجنس الكتاب الالهى
الذى من افراده الفرقان واليهود اخلوا بذلك لانه مع قيام الدليل على ان القرآن كتاب الله تعالى ردوه ولم يقبلوه
(والنبيين) جميعا بانهم المبعوثون الى خلقه والقائمون بحقه والصادقون عنه فى امره ونهيه ووعده ووعيده
واخباره من غير تفرقة بين احد منهم واليهود اخلوا بذلك حيث قتلوا الانبياء وطعنوا فى نبوة محمد عليه السلام
واعلم ان الايمان بالملائكة والكتاب الا انه قدم الايمان بهما فى الذكر رعاية للترتيب بحسب الوجود الخارجى
ولم ينظر الى الترتيب فى العلم فان الملك يوجد اولا ثم يحصل بواسطته نزول الكتاب الى الرسل فيدعو الرسل
الى ما فيهما من الاحكام وهذا اى الايمان بالامور الخمسة المذكورة اصول الدين وقواعد العقائد (وآتى المال)
اى الصدقة من ماله (على حبه) حال من الضمير فى آتى والضمير المجرور للمال اى آتاه كائنا على حب المال كما قال
عليه السلام لما سئل اى الصدقة افضل قال ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل
حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان (قال السعدى) پريشان كن
امروز گنجينه چست * كه فردا كليدش نه دردست تست * كنون بر كف دست نه هرچه هست *
كه فردا بدندان گزى پشت دست (ذوى القربى) مفعول اول لآتى بدلالة الحال وقدمهم لانهم احق بالصدقة
لقوله عليه السلام صدقتك على المسلمين صدقة وعلى ذى رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وقال ايضا افضل
الصدقة على ذى الرحم الكاشح (واليتامى) الفقراء منهم لا الاغنياء وقدم اليتامى على سائر المصارف
لان الصغير الفقير الذى لا والد له ولا كاسب اشد احتياجا من المساكين ومن ذكر بعدهم (والمساكين) جمع
مسكين والمسكين ضربان من يكف عن السؤال وهو المراد ههنا ومن ينبسط ويسأل وهذا القسم داخل
فى قوله والسائلين وهو مبالغة الساكن فان المحتاج يزداد سكونه الى الناس على حسب ازدياد حاجته
(وابن السبيل) اى المسافر البعيد عن ماله وسمى به لملازمته له كما تقول للص القاطع ابن الطريق وللمعمر
ابن الليالى ولطير الماء ابن الماء والضيف لانه جاء من السبيل فكانه ولد منه قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن
بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه وايضا اكرموا الضيف ولو كان كافرا (والسائلين) الذين الجأتهم الحاجة
والضرورة الى السؤال وفى الحديث للسائل حق ولو جاء على ظهر فرسه (قال السعدى) نه خواهنده
بر در ديگران * بشكرانه خواهنده از در مران (وفى) تخليص (الرقاب) بمعاونة المكاتبين جمع رقبة وهى
مؤخر العنق واشتقاقها من المراقبة لانها مكان مراقبة الرقيب المشرف على القوم واذا قيل اعتق الله رقبته
يراد ان الله تعالى خلصه من مراقبة العذاب اياه وقيل المراد بهم ارقاء يشتريهم الاغنياء لاعتاقهم وقيل
المراد بهم الاسارى فان الاغنياء يؤتون المال فى تخليصهم فهذا هو البر ببذل الاموال على وفق مراد الله تعالى
الى المصارف المذكورة واليهود اخلوا بذلك لانهم اكلوا اموال الناس بالباطل حيث كتموا دلائل حقيقة
الاسلام على اتباعهم واشتروا به ثمنا قليلا وعوضا يسيرا وهو ما يعود اليهم من هدايا السفلة (واقام الصلاة)
المفروضة عطف على صلة من اى من آمن وآتى واقام واليهود كانوا يمنعون الناس من الصلاة والزكاة
(وآتى الزكاة) المفروضة على ان المراد بما مر من ايتاء المال التنفل بالصدقة قدم على الفريضة مبالغة
فى الحث عليه او الاول لبيان المصارف والثانى لبيان وجوب الاداء (والموفون) عطف على من آمن فانه

فى قوة ان يقال ومن اوفوا (بعهدهم) من الاوامر والنواهى اوالنذور (اذا عاهدوا) فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم وبين الناس اذا وعدوا انجزوا واذا حلفوا اونذروا اوفوا واذا قالوا صدقوا واذا ائتمنوا ادوا وفى الحديث من اعطى عهد الله ثم نقضه فالله منتقم منه اى انقطع نظره عنه ومن اعطى ذمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم غدر فالنبى خصمه يوم القيامة واليهود نقضوا العهد قال الله تعالى واوفوا بعهدى اوف بعهدكم (وفى المثنوى) چون درختست آدمى وبيخ عهد ✳ بيخ را تيمارمى بايد بجهد ✳ عهد فاسد بيخ پوسيده بود ✳ وزثمار ولطف ببريده بود ✳ شاخ وبرك نخل كرچه سبز بود ✳ چون تبه شد بيخ سبزى نيست سود ✳ ورنداردبرك سبز وبيخ هست ✳ عاقبت بيرون كند صد برك دست (والصابرين) منصوب على المدح اى بتقدير اعنى وهو فى الحقيقة والمعنى عطف على من آمن لكن غير سبكه تنبيها على فضيلة الصبر ومزيته اى واعنى الذين صبروا (فى البأساء) اى فى الفقر والشدة (والضراء) اى المرض والزمانة (وحين البأس) منصوب بالصابرين اى وقت الشدة والبأس شدة القتال خاصة وهو فى الاصل مطلق الشدة وزيادة الحين للاشعار بوقوعه احيانا وسرعة انقضائه واهل الكتاب اخلوا بذلك حيث كانوا فى غاية الخوف والجبن والحاصل انه لما حولت القبلة وكثر خوض اهل الكتاب فى نسخها صار كانهم قالوا مدار البر والطاعة هو الاستقبال فانزل الله هذه الاية كأنه تعالى قال ماهذا الخوض الشديد فى امر القبلة مع الاعراض عن كل اركان الدين فصفة البر لا تحصل بمجرد استقبال المشرق والمغرب بل البر لا يحصل الا بمجموع الامور المذكورة (اولئك) اى اهل هذه الصفة (الذين صدقوا) فى الدين واتباع الحق وتحرى البر حيث لم تغيرهم الاحوال ولم تزلزلهم الاهوال (واولئك هم المتقون) عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شانهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم والاية جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا اوضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة فى ثلاثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى الثانى بقوله وآتى المال الى وفى الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلاة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه يشير قوله عليه السلام من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان قال شيخنا العلامة ابقاه الله بالسلامة قيل لى فى قلبى احسن اخلاق المرء فى معاملته مع الحق التسليم والرضى واحسن اخلاقه فى معاملته مع الخلق العفو والسخاء انتهى كلامه وحب المال من اغلب اخلاق النفس وكذا البخل من الاخلاق الرديئة ولذلك قيل ان الصبر افضل من الشكر وفى الخبر يؤتى باشكر اهل الارض ليجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى بالصابر فيقول الله هذا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين والتحقيق ان تهذيب النفس انما يكون بالتوحيد بطريقه المخصوص كما ان اصل الايمان انما يحصل بالتوحيد والشهادة (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) الخطاب لائمة المؤمنين اوجب الله تعالى على الامام وعلى من يجرى مجراه ويقوم مقامه اقامة القصاص والتقدير يا ايها الائمة فرض عليكم استيفاء القصاص ان اراد ولى الدم استيفاءه ويحتمل ان يكون الخطاب متوجها على القاتل والمعنى يا ايها القاتلون عمدا كتب عليكم تسليم انفسكم عند مطالبة الولى بالقصاص وذلك لان القاتل ليس له ان يمتنع عن القصاص لكونه حق العبد بخلاف الزانى والشارب فان لهما الهرب من الحدود لكون ما عليهما من الحق حق الله تعالى والقصاص ان يفعل بالانسان مثل ما فعل فهو عبارة عن التسوية والمماثلة فى الانفس والاطراف والجراحات والقتلى جمع قتيل وفى للسبب اى بسبب قتل القتلى كما فى قوله عليه السلام ان امرأة دخلت النار فى هرة ربطتها اى بسبب ربطها اياها وحسن الوقف فى قوله القتلى (الحر بالحر) مبتدأ وخبر اى الحر مأخوذ ومقتول بمثله (والعبد بالعبد والانثى بالانثى) سبب النزول انه كان بين حيين من احياء العرب دماء فى الجاهلية وكان لاحدهما طول على الاخر اى قوة وفضل فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزلت وامرهم الله ان يتباروا اى يتساووا ويتعادلوا وقوله الحر بالحر لا يفيد الحصر البتة بان لا يجرى القصاص الا بين الحرين وبين العبدين وبين الانثيين بل يفيد شرع القصاص فى القتلى بين المذكورين من غير ان يكون فيه دلالة على سائر

الاقسام فان قوله تعالى كتب عليكم القصاص فى القتلى جملة مستقلة بنفسها وقوله الحر بالحر تخصيص لبعض جزئيات تلك الجملة بالذكر وتخصيص بعض جزئيات الجملة المستقلة بالذكر لا يمنع ثبوت الحكم لسائر الجزئيات بل ذلك التخصيص يمكن ان يكون لفائدة سوى نفى الحكم عن سائر الصور وهى ابطال ما كان عليه اهل الجاهلية من انهم كانوا يقتلون بالعبد منهم الحر من قبيلة القاتل بالعبد المقتول والانثى القاتلة بالانثى المقتولة وليس فيه نفى جريان القصاص بين الحر والعبد والذكر والانثى بل فيه منع عن التعدى الى غير القاتل انتهى كلامه والثورى وابو حنيفة يقتلان الحر بالعبد والمؤمن بالكافر ويستدلان بعموم قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس فان شريعة من قبلنا اذا قصت علينا فى القرآن من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب على انها شريعة لنا وبما روى المسلمون تتكافأ دماؤهم وبان التفاضل فى النفس غير معتبر بدليل قتل الجماعة بالواحد وبان القصاص يعتمد المساواة فى العصمة وهى بالدين اوبالدار وهما سيان فيهما ومالك والشافعى لا يقتلان الحر بالعبد ولا المؤمن بالكافر كما قال الشافعى رحمه الله

خذوا بدمى هذا الغزال فانه ✳ رمانى بسهمى مقلتيه على عمد
ولا تقتلوه اننى انا عبده ✳ وفى مذهبى لا يقتل الحر بالعبد

(فمن) عبارة عن القاتل شرطية كانت اوموصولة (عفى له من اخيه) الضميران راجعان الى من (شئ) اى شئ من العفو وقليل فارتفاع شئ على انه قائم مقام فاعل عفى بناء على انه فى حكم المصدر اى فى حكم قولك عفى عفو فان عفا وان كان لازما لا يتعدى الى المفعول به الا انه يتعدى الى المفعول المطلق فيصلح ان يقام مصدره مقام الفاعل كما فى قوله تعالى فاذا نفخ فى الصور نفخة وقولهم سير بزيد بعض السير وشئ من السير وفائدة قوله شئ الاشعار بانه اذا عفى له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم اوعفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب الا الدية وعفا يتعدى الى الجانى والى الذنب بعن فاذا تعدى الى الذنب بعن كما فى قوله تعالى عفا الله عنك عدى الى الجانى باللام يقال عفوت لفلان اذا جنى وعليه ما فى الاية وعفوا الجانى عبارة عن اسقاط موجب الجناية عنه وموجبها ههنا القصاص فكانه قيل القاتل الذى عفى له عن جنايته من جهة اخيه الذى هو ولى المقتول سواء كان العفو الواقع تاما بان اصطلح القاتل مع جميع اولياء القتيل على مال اوبعض العفو بان وقع الصلح بينه وبين بعض الاولياء فانه على التقديرين يجب المال ويسقط القصاص فانه قد روى عن ابن عباس رضى الله عنه ان هذه الاية نزلت فى الصلح عن القصاص على مال وسمى الله تعالى ولى الجناية اخا للقاتل استعطافا له عليه وتنبيها على ان اخوة الاسلام قائمة بينهما وان القاتل لم يخرج من الايمان بقتله (فاتباع بالمعروف) خبر مبتدأ محذوف اى واذا حصل شئ من العفو وبطل الدم بعفو البعض فالامر اتباع بالمعروف اى على ولى المقتول ان يطالب القاتل ببدل الصلح بالمعروف بترك التشديد والتضييق فى طلبه واذا اخذ الدية لا يطلب الا كثر مما وجب عليه (واداء اليه باحسان) حث المعفو عنه وهو القاتل على تأدية المال بالاحسان اى وعلى القاتل ان يؤدى المال الى العافى باحسان فى الاداء بترك المطل والبخس والاذى (ذلك) اى الحكم المذكور من العفو والدية (تخفيف من ربكم) اى تيسير وتوسعة لكم (ورحمة) منه حيث لم يجزم بالعفو واخذ الدية بل خيركم بين الثلاث القصاص والدية والعفو وذلك لان فى شرع موسى عليه السلام القصاص وهو العدل فقط وفى دين عيسى عليه السلام العفو وهو الفضل فحسب وفى ملتنا للتشفى القصاص وللترفه الدية وللتكرم العفو (فمن اعتدى) اى تجاوز ما شرع له (بعد ذلك) التخفيف بان قتل غير القاتل اوقتل القاتل بعد العفو اواخذ الدية فقد كان الولى فى الجاهلية يؤمن القاتل بقبول الدية ثم يظفر فيقتله وينبذ ماله الى اوليائه (فله) باعتدائه (عذاب اليم) نوع من العذاب شديد الالم اما فى الدنيا فبالاقتصاص بما قتله بغير حق واما فى الآخرة فبالنار (ولكم فى القصاص حياة) اى فى هذا الجنس من الحكم الذى هو القصاص حياة عظيمة لانهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة كما قتل مهلهل بن ربيعة باخيه كليب حتى كاد يفنى بكر ابن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع فيما بينهم التشاجر والهرج والمرج وارتفاع الامن فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه اى حياة لانه اذا علم القاتل انه يقتل اذا قتل لا يقدم على القتل واذا قتل فقتل ارتدع غيره فكان القصاص سبب حياة نفسين او اكثر وهو كلام فى غاية الفصاحة والبلاغة من

حيث جعل الشئ محل ضده فان ضدية شئ لاخر تستلزم ان يكون تحقق احدهما رافعا للاخر والقصاص
لاستلزامه ارتفاع الحياة ضد لها وقد جعل ظرفا لها تشبيها له بالظرف الحقيقى من حيث ان المظروف اذا حواه
الظرف لايصيبه ما يخل به ويفسده ولا هو يتفرق ويتلاشى بنفسه كذلك القصاص يحمى الحياة من الآفات
فكان من هذا الوجه بمنزلة الظرف لها ولا شك فيه ان جعل الضد حاميا الضده اعتبار لطيف فى غاية الحسن
والغرابة التى هى من زكاة البلاغة وطرقها (يا اولى الالباب) اى ذوى العقول الخالصة عن شوب الاوهام
ناداهم للتأمل فى حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس (لعلكم تتقون) تعملون عمل اهل
التقوى فى المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان او تتقون عن القتل مخافة القود وفيه تحذير عن القتل
فان من اعظم حقوق العباد الدماء وهى اول ما يحاسب به العبد بالنسبة الى حقوق العباد كما ان الصلاة اول
ما يحاسب به بالنسبة الى حقوق الله تعالى وفى الحديث يأتى المقتول معلقا رأسه باحدى يديه متلببا قاتله
بيده الاخرى تشخب اوداجه دما حتى يوقفا فيقول المقتول لله سبحانه هذا قتلنى فيقول الله تعالى للقاتل تعست
ويذهب به الى النار واعلم ان الذنوب على ثلاثة اوجه الاول فيما بين العبد وبين الله تعالى كالزنى واللواطة والغيبة
والبهتان مالم يبلغ الى من بهته واغتابه فاذا بلغه وجعله فى حل وتاب المذنب فنرجو ان الله يغفر له وكذلك
اذا زنى بامرأة ولها زوج فلم يجعله ذلك الرجل فى حل لايغفر له لان خصمه الآدمى فاذا تاب وجعله فى حل
فانه يغفر له ويكتفى بحل منه ولا يذكر الزنى بان قال كل حق لك علينا فقد جعلته فى حل وعن كل خصومة بينى
وبينك وهذا صلح بالمعلوم على المجهول وذلك جائز كرامة لهذه الامة لان الامم السالفة مالم يذكر الذنب لايغفر
لهم والثانى ذنب فيما بينه وبين اعمال الله وهو ان يترك الصلاة والصوم والزكاة والحج فان التوبة لاتكفيه مالم
يقض الصلاة وغيرها لان شرط التوبة ان يؤدى ما ترك فاذا لم يؤد فكانه لم يتب والثالث فيما بينه وبين عباد
الله وهو ان يغصب اموالهم او يضربهم او يشتمهم او يقتلهم فان التوبة لاتكفيه الا ان يرضى عنه خصمه او يجتهد
فى الاعمال الصالحة حتى يوفق الله بينهما يوم القيامة فانه اذا تاب العبد وكان عليه حقوق العباد فعليه
ان يردها الى اربابها وان عجز عن ايصالها واراد الله مغفرته يقول لخصمه يوم القيامة ارفع رأسك فيرفع فيرى
قصورا عالية فيقول يارب لمن هذه فيقول الله تعالى انت قادر عليها فان ثمنها عفوك عن اخيك فيقول قد
عفوت فيقول الله تعالى خذ بيد اخيك واذهبا الى الجنة والاشارة فى الاية ان الله تعالى كتب عليكم القصاص
فى قتلاكم كما كتب على نفسه الرحمة فى قتلاه كما قال من احبنى قتلته ومن قتلته فانا ديته (وفى المثنوى)

كر بكى سر را ببرداز بدن ✻ صد هزاران سر برارد در زمن ✻ اقتلونى يا ثقاتى لائما ✻ ان فى قتلى
حياتى دائما ✻ ان فى موتى حياتى يا فتى ✻ كم افارق موطنى حتى متى ✻ شير دنيا جويد اواشكار وبرك ✻
شير مولى جويد ازادى ومرك ✻ جونكه اندر مرك بيند صد وجود ✻ همجو پروانه بسوزاند وجود ✻

فعلى العاقل ان يقتل نفسه بالرياضات الشديدة ويحيى قلبه بالحياة الطيبة الباقية اللهم وفقنا لمداواة هذه
القلوب المرضى آمين (كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت) اى حضر اسبابه وظهر اماراته وآثاره
من العلل والامراض اذ لا اقتدار على الوصية عند حضور نفس الموت والعامل فى اذا مدلول كتب لان الكتب
بمعنى الايجاب لايحدث وقت حضور الموت بل الحادث تعلقه بالمكلف وقت حضور موته فكانه قيل توجه
عليكم ايجاب الله تعالى ومقتضى كتابه اذا حضر فعبر عن توجه الايجاب وتعلقه بكتب للدلالة على ان هذا
المعنى مكتوب فى الازل (ان ترك خيرا) اى مالا قليلا او كثيرا او مالا كثيرا يقال فلان ذو مال ولا يطلق ذلك
لمن له مال قليل وعن عائشة رضى الله عنها ان رجلا اراد ان يوصى قالت كم مالك قال ثلاثة آلاف قالت كم عيالك
قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشئ يسير فاتركه لعيالك واصل الخير ان يكون لكل ما يرغب
فيه مما هو نافع لانه ضد الشر قال فى اخوان الصفا الخير فعل ما ينبغى فى الوقت الذى ينبغى من اجل ما ينبغى
(الوصية) فاعل كتب اى فرض الايصاء (للوالدين والاقربين) ممن يرث وممن لا يرث (بالمعروف) نصب حال
اى بالعدل لا يزيد على الثلث ولا يوصى لغنى ويدع الفقير وكان السبب فى نزول هذه الاية ان اهل الجاهلية كانوا
يوصون بمالهم للبعدى رياء وسمعة وطلبا للفخر والشرف ويتركون الاقارب فى الفقر والمسكنة فصرف الله
تعالى بهذه الاية فى بدء الاسلام ما كان يصرف الى الابعدين الى الوالدين والاقربين فعمل بها ما كان العمل بها

صلاحا

صلاحا وحكمة ثم نسختها اية المواريث فى سورة النساء فالان لايجب على احد ان يوصى لاحد قريب ولا بعيد
واذا اوصى فله ان يوصى لكل من الاقارب والاباعد الا للوارث (حقا) اى احق هذه الوصية حقا (على المتقين)
المجتنبين عن ضياع المال وحرمان القريب يعنى ان كنتم متقين بالله لاتتركوا العمل بهذا قال ابن الشيخ
فى حواشيه فان قيل قوله على المتقين يقتضى ان يكون هذا التكليف مختصا بالمتقين وقد دل الاجماع
على ان الواجبات والتكاليف عامة فى حق المتقين وغيرهم اجيب بان المراد بقوله حقا على المتقين انه لازم لكل
من آثر التقوى وتحراه وجعله طريقة له ومذهبا فيدخل فيه الكل (فمن بدله) الضمير راجع الى الوصية لكونها
فى تأويل الايصاء اى غير الايصاء عن وجهه الشرعى والمشهور ان من غير ايصاء المحتضر هو الوصى او الشاهد
فالوصى يغير الوصية اما فى الكتاب او فى قسمة الحقوق والشاهد يغيرها اما بتغيير وجه الشهادة او بكتمها
ويمكن ان يكون التبديل من سائر الناس بان منعوا من وصول المال الموصى به الى مستحقه فهؤلاء كلهم
داخلون تحت قوله فمن بدله (بعد ما سمعه) اى بعد ما وصل اليه وتحقق لديه (فانما اثمه) اى ما اثم الايصاء المغير
او اثم التبديل الا (على الذين يبدلونه) لانهم خانوا وخالفوا الشرع لا على الموصى وهو الميت فانه برئ من الاثم
(ان الله سميع) بالايصاء وتغييره (عليم) بثوابه وجزاء من غيره وهو يجازى كل واحد منهما بما يستحقه (فمن)
شرطية او موصولة (خاف) اى توقع وعلم فانه اذا علم خاف فهو من اطلاق اسم اللازم على الملزوم (من موص)
اى من الذى اوصى وهو يجوز ان يتعلق بخاف على انها لابتداء الغاية وبمحذوف على انها حال من جنفا قدمت
عليه لانها فى الاصل صفة له فلما تقدمت نصبت حالا (جنفا) اى ميلا عن الحق بالخطأ فى الوصية (او اثما)
اى تعمد الجنف يعنى اذا جهل الموصى موضع الوصية او زاد على مقدار الوصية او اوصى بما لا يجوز ايصاؤه
(فاصلح) الظاهر ان المراد بالمصلح هو الوصى لانه اشد تعلقا بامر الوصية الا انه لا وجه لتخصيصه بالوصى بل ينبغى
ان يدخل تحته كل من يتأتى منه رفع الفساد فى وصية الميت من الوالى والولى والوصى ومن يأمر بالمعروف
والمفتى والقاضى والوارث (بينهم) اى بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون فغير وصيته باجرائها على طريق
الشرع (فلا اثم عليه) اى لا وزر على المغير فى هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول (ان الله
غفور رحيم) وعد للمصلح بالاثابة وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم لان بعض
التبديل وهو التبديل الى الباطل اثم وهذا من المشاكلة الصورية لا المعنوية لان التبديل الى خير ليس من جنس
الاثم لكن صورته صورة ما يؤثم واعلم ان الوصية مستحبة لحاجة الناس اليها فان الانسان مغرور بامله
اى يرجو الحياة مدة طويلة مقصر فى عمله فاذا عرض له المرض وخاف الهلاك يحتاج الى تدارك تقصيره
بماله على وجه لو مات فيه يتحقق مقصده المآلى ولو انهضه البرء يصرفه الى مطلبه الحالى وفى الحديث ان الله
تصدق عليكم بثلث اموالكم فى آخر اعماركم زيادة لكم من اعمالكم تضعونها حيث شئتم ويوصى بفدية صلاته
وصيامه لكل مكتوبة نصف صاع من الحنطة وكذا الوتر ولكل يوم من صوم رمضان ايضا نصف صاع من
الحنطة وفى صوم النذر كذلك قال فى تفسير الشيخ ومن كان عليه حج او كفارة اى شئ من الواجبات فالوصية
واجبة والافهو بالخيار وعليه الفتوى ويوصى بارضاء خصمائه وديونه حكى ان الامام الشافعى رحمه الله
لما مرض مرض موته قال مروا فلانا يغسلنى فلما مات بلغ خبر موته اليه فحضر وقال ايتونى بتذكرته فنظر
فيها فاذا على الشافعى سبعون الف درهم دينا فكتبها على نفسه وقضاها وقال هذا غسلى اياه واياه اراد وفى الخبر
الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يوص لم يؤذن له فى الكلام مع الموتى قيل يا رسول الله وهل
تتكلم الموتى قال نعم ويتزاورون قال الامام نقلا عن بعض الائمة الاعلام الارواح قسمان منعمة ومعذبة
فاما المعذبة فهى محبوسة مشغولة عن التزاور والتلاقى واما المنعمة المرسلة غير المحبوسة فتتلاقى وتتزاور
وتتذاكر ما كان منها فى الدنيا وما يكون من اهل الدنيا فيكون كل روح مع رفيقه الذى هو على مثل عمله
وهذه المعية ثابتة فى دار البرزخ وفى دار الجزاء والمرء مع من احب فى هذه الدور الثلاث فى كل موطن وموقف
فعلى العاقل ان يختار صحبة الاخيار ويتاهب آناء الليل واطراف النهار ولا يغتر بالمال والمنال ولا ينقطع
عن الله بطول الآمال فان الدنيا فانية وكل من عليها فان فاتقوا الله كل حين وآن (قال الصائب)

در سراين غافلان طول امل دانى كه جيست ✻ آشيان كردست مارى دركبوتر خانه ✻ والاشارة

فى الاية انه كتب على الاغنياء الوصية بالمال وكتب على الاولياء الوصية بالحال فالاغنياء يوصون فى آخر
اعمارهم بالثلث والاولياء يخرجون فى مبادى احوالهم عن الكل اذا حضر احدكم الموت اى يحضر قلب
احدهم مع الله ويموت بنفسه بالارادة عن الصفات الطبيعية الحيوانية كما قال صلى الله عليه وسلم موتوا قبل
ان تموتوا وترك كل خير وشر كان مشربهما من الدنيا والعقبى فعليه ان يوصى للوالدين وهما الروح العلوى
والبدن السفلى فان النفس تولدت وحصلت بازدواجهما والاقربين وهم القلب والسر وباقى المتولدات البشرية
بتركه وترك كل مشرب يظهر لهم من المشارب الروحانية الباقية والمشارب الجسمانية الفانية بالمعروف
اى بالاعتدال من غير اسراف يفضى الى اتلاف محترزا فى الاحوال من الركون الى شهوة من الشهوات
وفى الاعمال مجتنبا عن الرسوم والعادات كما قال النبى عليه السلام بعثت لرفع العادات وترك الشهوات
وقال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق بان يجعل المشارب مشربا واحدا والحبايب محبوبا واحدا والمذاهب مذهبا
واحدا حقا على المتقين يعنى ماذكرنا من الوصية بجملتها حق واجب على متقى الشرك الخفى ولهذا قال
على المتقين وما قال على المسلمين والمؤمنين لانهم اهل الظواهر والمتقون هم اهل البواطن كما قال عليه السلام
التقوى ههنا واشار الى صدره واعلم ان القرءآن انزل لاهل البواطن كما انزل لاهل الظواهر لقوله عليه السلام
ان للقرءآن ظهرا وبطنا فظاهره الاحكام لاهل الظواهر والاحكام تحتمل النسخ كما نسخت هذه الاية فى الوصية
الظاهرة وباطنه الحكم والحقائق فهى لاتحتمل النسخ ابدا ولهذا قال اهل المعانى ليس شئ من القرءآن
منسوخا يعنى وان كان دخل النسخ فى احكام ظاهره فلا يدخل فى احكام باطنه فيكون ابدا معمولا بالمواعظ
والاسرار والحقائق حقا على المتقين لانه مخصوص بهداية المتقين كقوله تعالى هدى للمتقين فحكم الوصية
فى حقهم غير منسوخ ابدا كذا فى التأويلات النجمية قدس الله نفسه الزكية (ياايها الذين آمنوا) قال اصحاب
اللسان ياحرف نداء وهو نداء من الحبيب للحبيب وايها تنبيه من الحبيب للحبيب وآمنوا شهادة من الحبيب
للحبيب وقال الحسن اذا سمعت الله يقول ياايها الذين آمنوا فارفع لها سمعك فانه لامر تؤمر به اولنهى تنهى عنه
وقال جعفر الصادق لذة فى النداء ازال بها تعب العبادة والعناء يشير الى ان المحب يبادر الى امتثال امر محبوبه
حتى لو امره بالقاء نفسه فى النار (كتب عليكم الصيام) اى فرض عليكم صيام شهر رمضان فانه تعالى
قال بعده اياما معدودات وقال تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه بعد قوله شهر رمضان والصيام فى الشريعة
هو الامساك نهارا مع النية من اهله عن المفطرات المعهودة التى هى معظم ماتشتهيه الانفس وهذا صوم عوام
المؤمنين واما صوم الخواص فالامساك عن المنهيات واما صوم اخص الخواص فالامساك عما سوى الله تعالى
(كما كتب) محل كما النصب على انه صفة مصدر محذوف اى كتب كتابا كائنا مثل ما كتب وما مصدرية او على انه
حال من الصيام وما موصولة اى كتب عليكم الصيام مشبها بالذى كتب (على الذين من قبلكم) من الانبياء
عليهم السلام والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه تأكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لانفس المخاطبين
فان الصوم عبادة شاقة والشئ الشاق اذا عم سهل تحمله ويرغب كل احد فى اتيانه والظاهر ان التشبيه عائد
الى اصل ايجاب الصوم لاالى كمية الصوم المكتوب وبيان وقته فكان الصوم على آدم ايام البيض وصوم
عاشوراء كان على قوم موسى والتشبيه لايقتضى التسوية من كل وجه كما يقال فى الدعاء اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وكما قال عليه السلام انكم سترون ربكم كالقمر ليلة البدر فان هذا
تشبيه الرؤية بالرؤية لاتشبيه المرئى بالمرئى (لعلكم تتقون) المعاصى فان الصوم يكسر الشهوة التى هى
مبدؤها كما قال عليه السلام يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن
للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء قوله الشباب جمع الشاب وهو عند اصحابنا من بلغ
ولم يجاوز ثلاثين كذا قاله النووى والباءة النكاح والتزوج وهو المباءة فى المنزل لان من تزوج امرأة بوأها
منزلا والوجاء نوع من الاخصاء وهو ان يرض عروق الانثيين ويترك الخصيتين كما هما والمعنى على التشبيه
اى الصوم يقطع شهوة الجماع ويدفع شر المنى كالخصاء والامر فى الحديث للوجوب لانه محمول على حالة التوقان
باشارة قوله يامعشر الشباب فانهم ذوو التوقان على الجبلة السليمة قال العلماء تسكين الشهوة يحصل بالصيام
بالنهار والقيام بالليل وحذف الشهوات والتغافل عنها وترك محادثة النفس بذكرها فان قلت ان الرجل يصوم

ويقوم ولا يأكل ويجد من نفسه حركة واضطرابا قلت ذلك من فرط فضل شهوة مقيمة فيه من الاول فليقطع
ذلك عن نفسه بالهموم والاحزان الدائمة وذكر الموت وتقريب الاجل وقصر الامل والمداومة على المراقبة
والمحافظة على الطاعة (اياما معدودات) اى موقتات ومقدرات بعدد معلوم اوقلائل فان القليل من المال
يعد عدا والكثير يهال هيلا اى يصب صبا من غير كيل وعد فالله تعالى لم يفرض علينا صيام الدهر ولاصيام
اكثره تخفيفا ورحمة وتسهيلا لامر التكليف على جميع الامم وانتصاب اياما بمضمر دل هو اى الصيام عليه اعنى
صوموا اما على الظرفية اوالمفعولية اتساعا (فمن كان منكم مريضا) اى مرضا يضره الصوم اويضر معه
(او على سفر) اوراكب سفر وفيه ايماء بان من سافر فى اثناء اليوم لم يفطر لعدم استعلائه السفر استعلاء الراكب
المركوب بل هو ملابس شيأ من السفر والرخصة انما اثبتت لمن كان على سفر وكلمة على فيها استعارة تبعية
شبه تلبسه بالسفر باستعلاء الراكب واستيلائه على المركوب يتصرف فيه كيف يشاء وللدلالة على هذا المعنى
عدل عن اسم الفاعل فلم يقل اومسافرا اذ ليس فيه اشارة بالاستيلاء على السفر (فعدة) اى فعليه صوم عدة ايام
المرض والسفر فعدة من العد بمعنى المعدود ومنه يقال للجماعة المعدودة من الناس عدة (من ايام اخر) غير ايام
مرضه وسفره ان افطر متتابعا اوغير متتابع والمقصود من الآية بيان ان فرض الصوم فى الايام المعدودات
انما يلزم الاصحاء المقيمين واما من كان مريضا اومسافرا فله تأخير الصوم عن هذه الايام الى ايام اخر (وعلى
الذين يطيقونه) ذهب اكثر المفسرين الى ان المراد بالذين يطيقونه الاصحاء المقيمون خيرهم فى ابتداء الاسلام
بين امرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا ويفدوا لئلا يشق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير
ونزلت العزيمة بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فالمعنى اى وعلى المطيقين للصيام القادرين عليه ان افطروا
(فدية) اى اعطاء فدية وهى (طعام مسكين) وهى نصف صاع من بر اوصاع من غيره والفدية فى معنى
الجزاء وهو عبارة عن البدل القائم عن الشئ وفى تفسير الشيخ يطيق من اطاق فلان اذا زالت طاقته والهمزة
للسلب اى لايقدرون على الصوم وهم الذين قدروا عليه فى حال الشباب ثم عجزوا عنه فى حال الكبر (فمن تطوع
خيرا) اى من تبرع بخير فزاد فى الفدية اوتطوع تطوعا خيرا (فهو) اى التطوع (خيرله) وذكر فى الخير المتطوع
ثلاثة اوجه احدها ان يزيد على مسكين واحد فيطعم مكان كل يوم مسكينين اواكثر وثانيها ان يطعم المسكين
الواحد اكثر من القدر الواجب وثالثها ان يصوم مع الفدية فهو خيرله (وان تصوموا) فى تأويل المصدر مرفوع
بالابتداء اى صومكم ايها المرضى والمسافرون والذين يطيقونه (خيرلكم) من الفدية (ان كنتم تعلمون)
مافى الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة والجواب محذوف ثقة بظهوره اى اخترتموه وفى الاشباه الصوم فى السفر
افضل الا اذا خاف على نفسه اوكان له رفقة اشتركوا معه فى الزاد واختاروا الفطر انتهى وانما فضل الصوم
للمسافر لان الصوم عزيمة له والتأخير رخصة والاخذ بالعزيمة افضل واما ماروى ان النبى عليه السلام
قال ليس من البر الصيام فى السفر فمحمول على ما اذا كان الصوم يضعفه حتى يخاف عليه الهلاك كذا
فى شرح المجمع لابن الملك والسفر المبيح للفطر مسيرة ثلاثة ايام ولياليها عند ابى حنيفة رحمه الله واعلم ان الله تعالى
امرنا بصيام شهر كامل ليوافق عدد السنة فى الاجر الموعود من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فالشهر الكامل
ثلاثمائة وستة ايام من شوال ستون يوما فان نقص يوم من عدد الشهر لم ينقص من الثواب روى ان رسول الله
عليه السلام صام ثمانية رمضانات خمسة منها كانت تسعة وعشرين يوما والباقى ثلاثين يوما وافترض الصيام
بعد خمس عشرة سنة من النبوة بعد الهجرة بثلاث سنين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه بعث الله نبيه عليه
السلام بشهادة ان لا اله الا الله فلما صدق زاد الصلاة فلما صدق زاد الزكاة فلما صدق زاد الصيام فلما صدق زاد الحج
ثم الجهاد ثم اكمل لهم الدين واول مافرض الصوم على الاغنياء لاجل الفقراء فى زمن الملك طهمورث ثالث
ملوك بنى آدم وقع القحط فى زمانه فامر الاغنياء بطعام واحد بعد غروب الشمس وبامساكهم بالنهار شفقة
على الفقراء وايثارا عليهم بطعام النهار وتعبدا وتواضعا لله تعالى والصوم سبب للولوج فى ملكوت السموات
وواسطة الخروج عن رحم مضايق الجسمانيات المعبر عنه بالنشأة الثانية كما اشير اليه بقول عيسى عليه السلام
لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين بل مجاهدة الصوم رابطة مشاهدة اللقاء واليه يشير الحديث القدسى
الصوم لى وانا اجزى به يعنى انا جزاؤه لاحورى ولاقصورى ولهذا علق سبحانه نيل سعادة الرؤية بالجوع حيث

قال فى مخاطبة عيسى عليه السلام تجوع ترانى (قال السعدى) ندارند تن پروران آگهى *
كه پر معده باشد ز حكمت تهى * وانما اضيف الصوم الى الله فى الصوم لى لانه لا رياء فيه بل سر لا يعلمه الا الله
وانما يكون الله سبحانه جزاء صومه اذا امسك قلبه وسره وروحه عما سواه تعالى وهو الصوم الحقيقى عند
الخواص (قال فى المثنوى) هر كرا دارد هوس با جان پاك * زود بيند حضرت وايوان پاك * والاشارة
فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ان الصوم كما يكون للظاهر يكون للباطن وباطن الخطاب
يشير الى ان صوم القلب والروح والسر الذين آمنوا اشهودا انوار الحضور مع الله فصوم القلب صومه عن مشارب
المعقولات وصوم الروح عن ملاحظة الروحانيات وصوم السر صونه عن شهود غير الله فمن امسك عن المفطرات
فنهاية صومه اذا هجم الليل ومن امسك عن الاغيار فنهاية صومه ان يشهد الحق وفى قوله عليه السلام
صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته عند التحقيق انها عائدة الى الحق فينبغى ان يكون صوم العبد ظاهرا وباطنا
لرؤية الحق وافطاره بالرؤية قوله تعالى كتب عليكم الصيام اى على كل عضو فى الظاهر وعلى كل صفة فى الباطن
فصوم اللسان عن الكذب والفحش والغيبة وصوم العين عن النظر فى الغفلة والريبة وصوم السمع عن استماع
المناهى والملاهى وعلى هذا فقس الباقى وصوم النفس عن التمنى والحرص والشهوات وصوم القلب عن حب
الدنيا وزخارفها وصوم الروح عن نعيم الآخرة ولذاتها وصوم السر عن رؤية وجود غير الله واثباته كما كتب
على الذين من قبلكم هى اشارة الى ان اجزاء وجود الانسان من الجسمانية والروحانية قبل التركيب كانت صائمة
عن المشارب كلها فلما تعلق الروح بالقالب صارت اجزاء القالب مستدعية للحظوظ الحيوانية والروحانية
بقوة امداد الروح وصار الروح بقوة حواس القالب متمتعا من المشارب الروحانية والحيوانية فالان كتب
عليهم الصيام وهم مركبون كما كتب على الذين من قبلكم من المفردات لعلكم تتقون من مشارب المركبات
وتصومون فيها مع حصول استعداد الشراب ليفطروا عن مشارب يشرب بها عباد الله اذا سقاهم ربهم شرابا
طهورا فيطهركم طهورية هذا الشراب عن دنس استدعاء الحظوظ الحيوانية والروحانية كما قال ولكن يريد
ليطهركم فلما افل كوكب استدعاء الحظوظ طلعت شمس استدعاء اللقاء من مطلع الالتقاء فحينئذ يتحقق
انجاز ما وعد سيد الانبياء بقوله للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ثم اخبر عن كمال لطفه
مع العباد بتقليل الاعداد فى قوله اياما معدودات والاشارة فيها هو ان صومكم فى ايام قلائل معدودة متناهية
وثمرات صومكم من ايام غير معدودة ولا متناهية فلا يهولكم سماع ذكره كذا فى التأويلات النجمية
(شهر رمضان) مبتدأ خبره ما بعده فيكون المقصود من ذكر هذه الجملة المنبهة على فضله ومنزلته الاشارة الى وجه
تخصيصه من بين الشهور بان فرض صومه ثم اوجب صومه بقوله فمن شهد منكم الشهر المعهود فليصمه وسمى
الشهر شهرا لشهرته ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل المجموع علما ومنع من الصرف
للتعريف والالف والنون وانما سمى بذلك اما لارتماض الاكباد واحتراقها من الجوع والعطش واما لارتماض
الذنوب بالصيام فيه او لوقوعه ايام رمض الحر اى شدة وقوعه على الرمل وغيره قيل انهم نقلوا اسماء الشهور
عن اللغة القديمة فسموها بالازمنة التى وقعت هى فيها وقت التسمية فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فسمى به
كما سمى ربيع لموافقته الربيع وجمادى لموافقته جمود الماء او رمضان اسم من اسماء الله تعالى والشهر
مضاف اليه ولذلك روى لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان ولكن قولوا جاء شهر رمضان فان رمضان اسم
من اسماء الله تعالى (الذى انزل فيه القرآن) جملة الى بيت العزة فى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما
فى ثلاث وعشرين سنة حسبما تقتضيه المشيئة الربانية وعن النبى عليه السلام نزلت صحف ابراهيم اول ليلة
من رمضان وانزلت التوراة لست مضين منه والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والقرآن
من القرء وهو الجمع لانه يجمع علم الاولين والآخرين (هدى للناس) اى انزل حال كونه هداية للناس الى سواء
الصراط بما فيه من الاعجاز وغيره (وبينات من الهدى والفرقان) اى وحال كونه آيات واضحات مما يهدى
الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فالهدى على قسمين ما يكون بينا جليا وما لا يكون
كذلك والاول افضل القسمين فذكر الجنس اولا ثم اردفه باشرف نوعيه بل بالغ فيه فكأنه قيل انه هدى بل هو
بين من الهدى ولا شك انه فى غاية المبالغة لانه فى المرتبة الثالثة فالعطف فى وبينات من باب عطف التشريف

فمن

(فمن) الفاء للتفريع والترتيب (شهد) اى حضر موضع الاقامة من المصر او القرية كائنا ذلك الحاضر
(منكم الشهر) منصوب على الظرف اى فى الشهر دون المفعول به لان المقيم والمسافر يشهدان الشهر
(فليصمه) اى فليصم فيه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور اتساعا والمراد بالشاهد العاقل البالغ الصحيح
لان كل واحد من الصبى والمجنون يشهد موضع الاقامة فى الشهر مع انه لا يجب عليهما الصوم وهذا اى الحتم
ينسخ التخيير بين الصوم والافطار والفداء (ومن كان مريضا) وان كان مقيما حاضرا فيه (او على سفر)
وان كان صحيحا وعلى بمعنى فيه وحروف الصفات يقام بعضها مقام بعض (فعدة من ايام اخر) اى فعليه
صيام ايام اخر واعاد تخيير المريض والمسافر وترخيصهما فى الافطار لان الله تعالى ذكر فى الآية الاولى تخيير
المقيم المطيق والمسافر والمريض ونسخ فى الثانية تخيير المقيم بقوله فليصمه فلو اقتصر على هذا احتمل ان يعود
النسخ الى تخيير الجميع فاعاد بعض النسخ بترخيص المسافر والمريض ليعلم انه باق على ما كان (يريد الله بكم
اليسر) حيث اباح الفطر بالسفر والمرض واليسر ما تسهل (ولا يريد بكم العسر) اى مشقة بالصوم فى المرض
والسفر لغاية رأفته وسعة رحمته قال محمد بن على الترمذى قدس سره اليسر اسم الجنة لان جميع اليسر
فيها والعسر اسم جهنم لان جميع العسر فيها معناه يريد الله بصومكم ادخال الجنة ولا يريد بكم ادخال النار
قال شيخنا العلامة الفضلى قدس سره فى الآية ان مراده تعالى بان يأمركم بالصوم يسر الدارين لا عسرهما
اما اليسر فى الدنيا فالترقى الى الملكية والروحانية والوصول الى اليقظة والمعرفة واما العسر فيها فالبقاء مع
البشرية والحيوانية والاتصاف بالاوصاف الطبيعية والنفسانية واما اليسر فى الآخرة فهو الجنة والنعمة
والقربة والوصلة والرؤية واما العسر فيها فهو الجحيم وعذابها ودركاتها انتهى كلامه وقال نجم الدين فى تأويلاته
يعنى يريد الله بكم اليسر الذى هو مع العسر فلا تنظر فى امتثال الامر الى العسر ولكن انظر الى اليسر الذى
هو مع العسر فان العاقل اذا سقاه الطبيب شرابا مرا امر من بلاء المرض موجبا للصحة فلا ينظر العاقل الى
مرارة الشراب ولكن ينظر الى حلاوة الصحة ولا يبالى بمرارة الشراب فيشربه بقوة الهمة انتهى (قال السعدى)
وبايست دادن برنجور قند * كه داروى تلخش بود سودمند * زعلت مدار اى خردمند بيم *
چو داروى تلخت فرستد حكيم (ولتكملوا العدة) اى وانما امرناكم بمراعاة العدة بعد ايجاب صوم
رمضان كما قال تعالى فعدة اى فعليكم عدة ما افطرتم لتكملوا عدد ايام الشهر بقضاء ما افطرتم بسبب مرضكم
او سفركم (ولتكبروا الله) اى انما علمناكم كيفية القضاء وهو المدلول عليه بقوله تعالى من ايام اخر مطلقا
فانه يجوز ان يقضى على سبيل التوالى او التفريق لتعظموا الله حامدين (على ما هداكم) ما مصدرية اى على
هدايته اياكم الى طريق الخروج عن عهدة التكليف (ولعلكم تشكرون) اى انما رخصنا لكم بالافطار
لكى تشكروا الله على هذه النعمة باللسان والقلب والبدن وفى الحديث من حافظ على ثلاث فهو ولى الله حقا
ومن ضيعهن فهو عدو الله حقا الصلاة والصوم والغسل من الجنابة وفى بعض الاخبار ان الجنان يشتقن الى اربعة
نفر صائمى رمضان وتالى القرآن وحافظى اللسان ومطعمى الجيران وان الله يغفر للعبد المسلم عند افطاره
ما مشت اليه رجلاه وما قبضت عليه يداه وما نظرت اليه عيناه وما سمعته اذناه وما نطق به لسانه وما حدث به
قلبه وفى الحديث اذا كان يوم القيامة وبعث من فى القبور اوحى الله الى رضوان انى اخرجت الصائمين
من قبورهم جائعين عاطشين فاستقبلهم بشهواتهم من الجنان فيصيح ويقول ايها الغلمان والولدان عليكم
باطباق من نور فيجتمع اكثر من عدد الرمل وقطرات الامطار وكواكب السماء واوراق الاشجار بالفاكهة
الكثيرة والاشربة اللذيذة والاطعمة الشهية فيطعم من اتى منهم ويقول كلوا واشربوا هنيأ بما اسلفتم فى الايام
الخالية وعن النبى عليه السلام انه قال رأيت ليلة المعراج عند سدرة المنتهى ملكا لم ار مثله طولا وعرضا طوله
مسيرة الف الف سنة وله سبعون الف رأس فى كل رأس سبعون الف وجه فى كل وجه سبعون الف لسان
وعلى كل رأس الف ذؤابة من نور وعلى كل ذؤابة الف الف لؤلؤة معلقة بقدرة الله تعالى وفى جوف كل لؤلؤة
بحر من نور وفى ذلك البحر حيتان طول كل حوت مقدار مائتى عام مكتوب على ظهورهن لا اله الا الله محمد
رسول الله وذلك الملك واضع احدى يديه على رأسه والاخرى على ظهره وهو فى حظيرة القدس فاذا سبح اهتز
العرش بحسن صوته فسألت عنه جبريل فقال هذا ملك خلقه الله تعالى قبل آدم بالفى عام فقلت اين كان هذا

الى هذه الغاية فقال ان لله مرجا فى الجنة عن يمين العرش فكان هو فيه فامره الله فى ذلك المكان ان يسبح
لك ولامتك بسبب صوم شهر رمضان فرأيت صندوقين بين يديه على كل صندوق الف قفل من نور وسألت
جبريل عن الصندوقين فقال سل منه فسألته فقال ان فيهما براءة الصائمين من امتك من عذاب النار طوبى لك
ولامتك اعلم انه لابد من النية فى الاعمال خصوصا فى الصوم وهى ان يعلم بقلبه انه يصوم ولا يخلو مسلم
عن هذا فى ليالى شهر رمضان والامساك قد يكون للعادة اولعدم الاشتهاء اوللمرض اوللرياضة اويكون
للعبادة فلا يتعين له الا بالنية وهى شرط لكل يوم لان صوم كل يوم عبادة على حدة الايرى انه لوافسد صوم
يوم لا يمنع صحة الباقى بخلاف التراويح فانه لا يلزم النية فى كل شفع لان الكل بمنزلة صلاة واحدة وهو الاصح
وتجوز النية الى نصف النهار دفعا للحرج ومايروى من الاحاديث فى نفى الصوم الابالتبييت فمحمولة
على نفى الفضيلة بخلاف القضاء والكفارات والنذر المطلق لان الزمان غير متعين لها فوجب التبييت نفيا
للمزاحمة ويعتبر نصف النهار من طلوع الفجر الثانى فيكون الى الضحوة الكبرى فينوى قبلها ليكون الاكثر
منويا فيكون له حكم الكل حتى لونوى بعد ذلك لا يجوز لخلو الاكثر عن النية تغليبا للاكثر والاحتياط فى النية
فى التراويح ان ينوى التراويح اوينوى قيام الليل اوينوى سنة الوقت اوقيام رمضان والتراويح سنة مؤكدة
واظب عليها الخلفاء الراشدون قال عليه السلام ان الله فرض عليكم الصيام وسننت قيامه واما قول عمر
رضى الله عنه نعمت البدعة هذه يعنى قيام رمضان فمعناه ان النبى صلى الله عليه وسلم وان كان قد صلاها
الا انه تركها ولم يحافظ عليها ولاجمع الناس اليها فمحافظة عمر عليها وجمع الناس اليها وندبهم بدعة لكنها
بدعة محمودة ممدوحة كذا فى تفسير القرطبى عند قوله تعالى بديع السموات والارض فى الجزء الاول وكان النبى
صلى الله عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم رمضان ويقول قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك كتب الله عليكم
صيامه تفتح فيه ابواب السماء وتغلق فيه ابواب الجحيم وتغل فيه الشياطين وفيه ليلة خير من الف شهر من حرم
خيرها فقد حرم قال بعض العلماء هذا الحديث اصل فى تهنئة الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان قال السخاوى
فى المقاصد الحسنة التهنئة بالشهور والاعياد مما اعتاده الناس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه رفعه
من لقى اخاه عند الانصراف من الجمعة فليقل تقبل الله منا ومنك ويروى فى جملة حقوق الجار من المرفوع
ان اصابه خير هنأه اومصيبة عزاه اومرض عاده ومن آداب الصيام حفظ الجوارح الظاهرة وحراسة الخواطر
الباطنة وان يتم التقريب الى الله تعالى الابترك ماحرم الله قال ابو سليمان الدارانى قدس سره لأن اصوم النهار
وافطر الليل على لقمة حلال احب الى من قيام الليل والنهار وحرام على شمس التوحيد ان تحل قلب عبد
فى جوفه لقمة حرام ولاسيما فى وقت الصيام فليجتنب الصائم عن اكل الحرام فانه سم مهلك للدين والسنة
تعجيل الفطور وتأخير السحور فان صوم الليل بدعة فاذا اخر الافطار فكانه وجد صائما فى الليل فصار مرتكبا
للبدعة كذا فى شرح عيون المذاهب ولنا ثلاثة اعياد عيد الافطار وهو عيد الطبيعة والثانى عيد الموت
حين القبض بالايمان الكامل وهو عيد كبير والثالث عيد التجلى فى الاخرة وهو اكبر الاعياد وروى الترمذى
وصححه عن زيد بن خالد من فطر صائما كان له مثل اجره من غير ان ينقص من اجر الصائم شئ وكان حماد بن سلمة
الامام الحافظ يفطر فى كل ليلة من شهر رمضان خمسين انسانا واذا كانت ليلة الفطر كساهم ثوبا ثوبا وكان يعد
من الابدال واخرج السيوطى فى الجامع الصغير والسخاوى فى المقاصد عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه انه قال
عليه السلام خيار امتى فى كل قرن خمسمائة والابدال اربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون كلما مات
رجل ابدل الله مكانه رجلا آخر قالوا يارسول الله دلنا على اعمالهم قال عليه السلام يعفون عمن ظلمهم
ويحسنون الى من اساءهم ويتواسون فيما آتاهم الله وفى الحديث من اشبع جائعا اوكسا عاريا اوآوى مسافرا
اعاذه الله من اهوال يوم القيامة وكان عبد الله بن المبارك ينفق على الفقراء وطلبة العلم فى كل سنة مائة الف
درهم ويقول للفضيل بن عياض لولاك واصحابك ما اتجرت وكان يقول للفضيل واصحابه لا تشتغلوا بطلب الدنيا
اشتغلوا بالعلم وانا اكفيكم المؤنة وكان يحيى البرمكى يجرى على سفيان الثورى كل شهر الف درهم وكان سفيان
يدعو له فى سجوده ويقول اللهم ان يحيى كفانى امر الدنيا فاكفه امر آخرته فلما مات يحيى رآه بعض اصحابه
فى النوم فقال له ماصنع الله بك قال غفر لى بدعاء سفيان (قال الصائب) تيره روزان جهانرا بچراغى درياب *

تاپس ازمرك نتراشيم مزارى باشد * جعلنا الله واياكم من العاملين بمقتضى كتابه ومدلول خطابه (واذا سألك
عبادى عنى) وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على
القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الاية الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم مطلع على ذكرهم وشكرهم
سميع باقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تأكيدا له وحثا عليه وسبب النزول ماروى ان اعرابيا
قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فقال تعالى ايماء الى سرعة اجابة
الدعاء منهم اذا سألك عبادى عنى (فانى قريب) اى فقل لهم انى قريب بالعلم والاحاطة فهو تمثيل لكمال علمه
بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم فيكون لفظ قريب استعارة تبعية
تمثيلية وانما لم يحمل على القرب الحقيقى وهو القرب المكانى لانه ممتنع فى حقه تعالى لانه لوكان فى مكان لما كان
قريبا من الكل فان من كان قريبا من حملة العرش يكون بعيدا من اهل الارض ومن كان قريبا من اهل المشرق
يكون بعيدا من اهل المغرب وبالعكس قال ابو موسى الاشعرى لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
خيبر اشرف الناس على وادى فرفعوا اصواتهم بالتكبير لا اله الا الله والله اكبر فقال صلى الله عليه وسلم اربعوا
على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم وهذا باعتبار المشارب والمقامات
واللائق بحال اهل الغفلات الجهر لقلع الخواطر كما ان المناسب لاهل الحضور الخفاء (قال السعدى)
دوست نزديكتر از من بمنست * وين عجبتر كه من ازوى دورم (اجيب دعوة الداع اذا دعان) تقرير
للقرب المجازى المراد فى هذا المقام وهو الحالة الشبيهة بالقرب المكانى وقد تقرر ان اثبات مايلائم المستعار منه
للمستعار له ترشيح الاستعارة ويقررها وايضا وعد للداعى بالاجابة فان قلت انا نرى الداعى يبالغ فى الدعوات
والتضرع فلا يجاب قلت ان هذه الاية مطلقة والمطلق محمول على المقيد وهو قوله تعالى بل اياه تدعون
فيكشف ماتدعون اليه ان شاء فالمعنى اجيب دعوة الداع اذا دعان ان شئت اواذا وافق القضاء اواذا لم يسأل
محالا اوكانت الاجابة خيرا له والاجابة اعطاء ماسئل والله تعالى يقابل مسئلة السائل بالاسعاف ودعاء الداعى
بالاجابة وضرورة المضطرين بالكفاية (فليستجيبوا لى) اى فليجيبوا اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم
اذا دعونى لمهماتهم واستجابه واستجاب له واجابه واحد قطع مسئلته بتبليغه مراده واصله من الجوب والقطع
(وليؤمنوا بى) امر بالثبات على ماهم عليه قال ابن الشيخ الاستجابة عبارة عن الانقياد والاستسلام والايمان
عبارة عن صفة القلب وتقديمها على الايمان يدل على ان العبد لايصل الى نور الايمان وقوته الا بتقديم الطاعات
والعبادات ومعنى الفاء فيه انه تعالى قال انا اجيب دعاءك مع انى غنى عنك مطلقا فكن انت ايضا مجيبا لدعائى
مع انك محتاج الى من كل الوجوه فما اعظم هذا الكرم (لعلهم يرشدون) راجين اصابة الرشد وهو الاهتداء
لمصالح الدين والدنيا ومعنى الاية انهم اذا استجابوا وآمنوا اهتدوا لمصالح دينهم ودنياهم لان الرشيد من كان
كذلك اعلم ان عدم الدعاء بكشف الضر مذموم عند اهل الشريعة والطريقة لانه كالمقاومة مع الله ودعوى
التحمل لمشاقه (وفى المثنوى) تافرود آيد بلابى دافعى * جون نباشد از تضرع شافعى * فالتسبب
واجب للعوام والمبتدئين فى السلوك والتوكل افضل للمتوسطين واما الكاملون فليس يمكن حصر احوالهم
فالتوكل والتسبب عندهم سيان روى ان ابراهيم الخليل عليه السلام لما القى فى النار لقيه جبريل فى الهواء
فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فاسأل الله الخلاص فقال عليه السلام حسبى من سؤالى علمه بحالى
وهذا مقام اهل الحقيقة من المكملين الفانين عن الوجود ومايتعلق به والباقين بالرب عن كل حال فاين انت
من هذا فاسأل الله عفوه ومغفرته وقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكلم الناس بقدر مراتبهم
ولذا قال لاعرابى ارسل ابلاله توكلا عليه تعالى اعقلها وتوكل على الله امر بعقل الدابة لانه اراد بالتوكل
التحرز عن الفوات وحث بعضهم على التوكل كتوكل الطير وذلك لم يسكن الى سابق القضاء ثم اجابة الدعاء
وعد صدق من الله لا خلف فيه ومن دعا بحاجة فلم تقض للحال فذلك لوجوه منها ان الاجابة حاصلة لا محالة
فان اجابة الدعوة غير قضاء الحاجة وقضاء الحاجة غير اجابة الدعوة فان اجابة الدعوة هو ان يقول العبد يارب
فيقول الله تعالى له لبيك عبدى وهذا موعود موجود لكل متوجه راشد وقضاء الحاجة اعطاء المراد وايصال
المرتاد وذلك قد يكون للحال وقد يكون بعد مدة وقد يكون فى الاخرة وقد يكون الخيرة له فى غيره ومنها ان الاجابة

ليست بجهة واحدة بل لها جهات وفى الحديث دعوة المسلم لاترد الالاحدى ثلاث اما ان يدعو باثم اوقطيعة
رحم واما ان يدخرله فى الاخرة واما ان يصرف السوء عنه بقدر مادعا ومنها ان الاجابة مقيدة بالمشيئة كما سبق
ومنها انه شرط لهذه الاجابة اجابة العبد اياه فيما دعاه اليه لقوله تعالى فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى ومنها ان للدعاء
شرآئط وآدابا وهى اسباب الاجابة فمن استكملها كان من اهل الاجابة ومن اخل بها كان من اهل الاعتدآء
فلا يستحق الجواب والاسباب منها مايتعلق باهل العموم ويطول ذكرها ان استوفيت ههنا ومنها مايتعلق
بالخصوص وهى التزكية فالاجابة موقوفة على تزكية الداعى فعليه ان يزكى البدن اولا فيصلحه بلقمة الحلال
وقد قيل الدعاء مفتاح باب السماء واسنانه لقمة الحلال وقال عليه السلام الرجل يطيل السفر يمد يده الى السماء
اشعث اغبر يقول يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب لذلك حكى
انه كان بالكوفة اناس يستجاب دعاؤهم كلما دخل عليهم وال كانوا يدعون عليه فيهلك فدبر الحجاج عليهم حين ولى
عمل الكوفة من ابن مروان فدعاهم الى مأدبته فلما اكلوا قال امنت من دعائهم ان يستجاب حيث دخل
فى بطونهم طعام حرام ويزكى الداعى نفسه ويطهرها عن الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة لانها قاطعات
لطريق الدعاء ويزكى قلبه عن رين التعلقات الانسانية من النفسانى والروحانى ويصفيه بالاذكار وينوره
بنور الاخلاق فان هذه اسباب القربة بها يرفع الدعاء الى الله كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه ويزكى الروح عن دنس الالتفات لغير الله ليتعرض لنفحات الطافه ويزكى السر عن وصمة
الشرك بان يوجهه الى الحق فى الدعاء لطلب الحق لا لطلب غير الحق من الحق ليستجيب دعاءه ولا يخيب رجاءه
كما قال الا من طلبنى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى وان الله وعد الاجابة على طلبه بالدعاء فقال اجيب دعوة
الداع اذا دعان اى اذا طلبنى (قال السعدى) خلاف طريقت بود كاوليا ✻ تمنا كنند از خدا جز خدا ✻
فمن اخل ببعض هذه الشرآئط لم يلزمه الاجابة كمن اخل بركن من اركان الصلاة لم يلزمه القبول الا ان الجبار
يجبر كل خلل وكسر يكون فى اعمال العباد بفضله وكرمه وفى الحقيقة ان افضاله مع العباد مقدم على اعمالهم
وانه يعطى قبل السؤال ويحقق مراد العبد بعد سؤاله بجميع النوال والدعاء على قسمين داع بالدعاء وقارئ
للدعاء فللداعى يفتح ابواب السموات حتى يبلغ دعاؤه العرش وقارئ الدعاء لايبلغ الا الاذن قال الفنارى
فى تفسير الفاتحة ثم لصحة التصور وجودة الاستحضار اثر عظيم فى الاجابة اعتبره النبى عليه السلام وحرض
عليه عليا رضى الله تعالى عنه لما علمه الدعاء وفيه اللهم اهدنى وسددنى فقال له واذكر بهدايتك هداية الطريق
وبالسداد سداد السهم فامره باستحضار هذين الامرين وقت الدعاء فهذا هو سر اجابة دعاء الرسل والكمل
والامثل فالامثل واستقامة التوجه حال الطلب والندآء عند الدعاء شرط قوى فى الاجابة فمن تصوره تصورا
صحيحا من رؤية وعلم سابقين او حاضرين حال الدعاء ثم دعاه سيما بعد امره له بالدعاء والتزامه الاجابة فانه يجيبه
لا محالة اما من زعم انه يقصد مناداة زيد وهو يستحضر غيره ثم لم يجد الاجابة فلا يلومن الا نفسه اذ لم يناد القادر
على الاجابة وانما توجه الى ما انشأه من صفات تصوراته بالحالة الغالبة عليه اذ ذاك لكن سؤاله قد يثمر بشفاعة
حسن ظنه بربه وشفاعة المعية الالهية وحيطته فالمتوجه بالخطأ مصيب من وجه كالمجتهد المخطئ مأجور
غير محروم بالكلية انتهى كلام الفنارى وفى رسالة القشيرى فى الخبر المروى ان العبد يدعو الله سبحانه
وهو يحبه فيقول يا جبريل اخر حاجة عبدى فانى احب ان اسمع صوته وان العبد ليدعو وهو يبغضه فيقول
يا جبريل اقض حاجة عبدى فانى اكره ان اسمع صوته حكى انه وقع ببغداد قحط فامر الخليفة المسلمين بالخروج
للاستسقاء فخرجوا واستسقوا فلم يسقوا فامر اليهود فخرجوا وسقوا فتحير الخليفة ودعا علماء المسلمين وسألهم
فلم يفرجوا عنه فجاء سهل بن عبد الله وقال يا امير المؤمنين انا معاشر المسلمين احبنا الله لدين الاسلام وهدانا
ويحب دعاءنا وتضرعنا فلهذا لم يعجل اجابتنا وهؤلاء ابغضهم ولعنهم فلهذا عجل اجابتهم وصرفهم عن بابه
قال عليه السلام قوام الدنيا باربعة اشياء بعلم العلماء وعدل الامرآء وسخاوة الاغنياء ودعوة الفقرآء وينبغى
ان يسأل الله تعالى باسمائه الحسنى العظام والادعية المأثورة عن السلف الكرام وينبغى ان يتوسل الى الله تعالى
بالانبياء والاولياء الصالحين وللدعاء اماكن يظن فيها الاجابة مثلا عند رؤية الكعبة والمساجد الثلاثة وبين
الجلالتين من سورة الانعام وفى الطواف وعند الملتزم وفى البيت وعند زمزم وعند شرب مائه وعلى الصفا والمروة

وفى السعى وخلف المقام وفى عرفات والمزدلفة ومنى وعند الجمرات الثلاث وعند قبور الانبياء عليهم السلام
وقيل لايصح قبر نبى بعينه سوى قبر نبينا عليه السلام وقبر ابراهيم عليه السلام داخل السور من غير تعيين
وجرب استجابة الدعاء عند قبور الصالحين بشروط معروفة عند اهلها اللهم أفض علينا من بركات الصالحين
(احل لكم) تقديم الظرف على القائم مقام الفاعل للتشويق فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة اليه
فيتمكن عند ها وقت وروده فضل تمكن اى ابيح لكم (ليلة الصيام) اى فى ليلة يوم الصوم وهى الليلة التى يصبح
الرجل فى غدها صائما (الرفث) اصل الرفث قول الفحش والتكلم بالقبح ثم جعل ذلك اسما لما يتكلم به عند النساء
من معانى الافضاء ثم جعل كناية عن الجماع لان الجماع لايخلو عن شئ من التصريح بما يجب ان يكنى عنه
من الالفاظ الفاحشة وعن ابن عباس رضى الله عنه الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة كالغمز
والتقبيل (الى نسائكم) عدى الرفث بالى وان كان المشهور تعديته بالباء تقول رفثت بالمرأة لتضمنه
معنى الافضاء قال تعالى وقد افضى بعضكم الى بعض اراد به الجماع وكان الرجل فى ابتدآء الاسلام اذا امسى
فى رمضان حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلى العشاء الاخيرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم
عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه واقع اهله بعد صلاة العشاء
الاخيرة فلما اغتسل اخذ يبكى ويلوم نفسه فاتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يا رسول الله انى اعتذر الى
الله واليك من نفسى هذه الخاطئة انى رجعت الى اهلى بعد العشاء فوجدت رآئحة طيبة فسولت لى نفسى
فجامعت اهلى فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثله فنزلت الاية وصارت زلته
سببا للرحمة فى جميع الامة (هن لباس لكم وانتم لباس لهن) استئناف مبين لسبب الاحلال وهو صعوبة الصبر
عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة بهن وجعل كل من الرجل والمرأة لباسا للاخر لتجردهما عند النوم
واعتناقهما واشتمال كل منهما على الاخر اولان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور وعما لا يحل كما جاء
فى الحديث من تزوج فقد احرز ثلثى دينه او المعنى هن سكن لكم وانتم سكن لهن كما قال تعالى وجعل منها زوجها
ليسكن اليها ولا يسكن شئ الى شئ كسكون احد الزوجين الى الاخر (علم الله) فى الازل (انكم كنتم تختانون
انفسكم) تخونونها وتظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب بمباشرة النساء فى ليالى الصوم
والخيانة ضد الامانة وقد ائتمن الله العباد على ما امرهم به ونهاهم عنه فاذا عصوه فى السر فقد خانوه وقد قال الله
تعالى لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم (قال الصائب) ترا بكوهر دل كرده اند امانت دار ✻ زدزد امانت
حق را نكاه دار مخسب ✻ (فتاب عليكم) عطف على علم اى قبل توبتكم وتجاوز عنكم لما تبتم مما اقترفتموه
(وعفا عنكم) اى محا اثره عنكم (فالان) اى لما نسخ التحريم ظرف لقوله (باشروهن) اصله فعل بمعنى
حان ثم جعل اسما للزمان الحاضر وعرف بالالف واللام وبنى على الفتحة والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى بها
عن الجماع الذى يستلزمها وجميع ما يتبعه يدخل فيه وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالكتاب ان كانت حرمة
الاكل والشرب والجماع ثابتة بالسنة واما اذا كان ثبوت حرمتها بشريعة من قبلنا فلا على ما ذهب اليه بعضهم
(وابتغوا ما كتب الله لكم) اى واطلبوا ما قدره الله تعالى واثبته فى اللوح المحفوظ من الولد وفيه ان المباشر
ينبغى ان يكون غرضه الولد والتناسل فانه الحكمة فى خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الشهوة وحدها
وفى الحديث تناكحوا تناسلوا تكثروا فانى اباهى بكم الامم يوم القيامة (وكلوا واشربوا) ليالى الصوم عطف
على قوله باشروهن (حتى يتبين) يظهر (لكم الخيط الابيض) هو اول ما يبدو من بياض النهار كالخيط الممدود
دقيقا ثم ينتشر (من الخيط الاسود) هو ما يمتد من سواد الليل مع بياض النهار فان الصبح الصادق اذا بدا
يبدو كانه خيط ممدود فى عرض الافق ولا شك انه يبقى معه بقية من ظلمة الليل بحيث يكون طرفها الملاصق
لما يبدو من الفجر كانه خيط اسود فى جنب خيط ابيض لان نور الصبح انما ينشق فى خلال ظلمة الليل فشبها
بخيطين ابيض واسود (من الفجر) اى انشقاق عمود الصبح بيان للخيط الابيض واكتفى ببيانه عن بيان الاسود
لدلالته عليه والتقدير حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الفجر من الخيط الاسود من الليل فقوله حتى يتبين
غاية للامور الثلاثة اى المباشرة والاكل والشرب ففى تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تأخير الغسل
اليه وصحة صوم من اصبح جنبا لان المباشرة اذا كانت مباحة الى انفجار الصبح لم يمكنه الاغتسال الا بعد

الصبح بالضرورة والالكانت المباشرة قبل آخر الليل بقدر مايسع الاغتسال حراما وهو مخالف لكلمة
حتى (ثم اتموا الصيام) اى ادعوا الامساك عن المباشرة والاكل والشرب فى جميع اجزاء النهار (الى) غاية
(الليل) وهو دخول الليل وذلك بغروب الشمس والاتمام اداؤه على التمام وفى الحديث اذا اقبل الليل وادبر
النهار وغابت الشمس فقد افطر الصائم اى دخل وقت الافطار وانما ذكر الاقبال والادبار وان لم يكونا الا بغروب
الشمس لبيان كمال الغروب كيلا يظن احد انه اذا غاب بعض الشمس جاز الافطار اولانه قد يكون فى واد بحيث
لايشاهد غروب الشمس فيحتاج الى ان يعمل بهما قالوا فيه دلالة على جواز النية بالنهار فى صوم رمضان وعلى
نفى صوم الوصال اما الاول فلان الله تعالى لما اباح المباشرة والاكل والشرب الى الفجر تبين ان ابتداء الصوم يكون
بعد الفجر فيكون قوله اتموا ثم ابتدئوا بالصوم واتموه الى الليل فيكون هو امرا بالصوم بعد الفجر والصوم ليس
مجرد الامساك بل هو الامساك مع النية فيكون قوله ثم اتموا الصيام امرا بنية الصوم بعد الفجر واما الثانى
فكان الله تعالى جعل الليل غاية الصوم وغاية الشئ مقطعه فيكون بعدها الافطار وينتفى الوصال قال بعضهم
الليل غاية وجوب الصوم فاذا دخل الليل لايجب الصوم واما ان الصوم لايجوز بعد دخول الليل فلا دلالة
للاية عليه ولان مثل هذه الاوامر اى باشروهن وكلوا واشربوا انما يكون للاباحة والرخصة لا للوجوب
فلا تدل الاية على نفى صوم الوصال ولما ظن ان حال الاعتكاف كحال الصوم فى ان المباشرة تحرم فيه نهارا
لا ليلا بين ان المباشرة تحرم على المعتكف نهارا وليلا معا فقال (ولا تباشروهن) اى لا تجامعوهن (وانتم) اى
والحال انتم (عاكفون فى المساجد) مقيمون فيها بنية الاعتكاف وهو فى الشرع لزوم المسجد والمكث لطاعة
الله فيه والتقرب اليه وهو من الشرائع القديمة قال تعالى ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين نزلت
فيمن كان يعتكف فى المسجد فاذا عرضت له حاجة الى امرأته خرج فجامعها ثم اغتسل فرجع الى المسجد
فنهوا عن ذلك فالجماع يحرم على المعتكف ويفسد الاعتكاف ولفظ المساجد يدل على جواز الاعتكاف فى كل
مسجد الا ان المسجد الجامع افضل حتى لايحتاج الى الخروج الى الجمعة والاعتكاف من اشرف الاعمال
اذا كان عن اخلاص لان فيه تفريغ القلب عما سوى الله تعالى قال عطاء مثل المعتكف كرجل له حاجة
الى عظيم فيجلس على بابه ويقول لا ابرح حتى يقضى حاجتى فكذلك المعتكف يجلس فى بيت الله ويقول لا ابرح
حتى يغفرلى وفى الحديث من مشى فى حاجة اخيه فكانما اعتكف عشرين سنة ومن اعتكف يوما جعل الله
بينه وبين النار ثلاثة خنادق كل خندق ابعد مما بين الخافقين وفى الخلوة والانقطاع عن الناس فوائد جمة يسلم
منه الناس ويسلم هو منهم وفيها خمول النفس والاعراض عن الدنيا وهو اول طريق الصدق والاخلاص وفيها
الانس بالله والتوكل والرضى بالكفاف فان المعاشر للناس والمخالط يتكلف فى معيشته البتة فاذا لايفرق
غالبا بين الحلال والحرام فيقع فى الهلاك ويسلم المتخلى ايضا من مداهنة الناس وغير ذلك من المعاصى التى
يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره التصوف عبارة
عن الاجتناب عن اكل ما فيه شائبة الحرمة وصون لسانه عن الكلام اللغو والخلوة والاربعون ليست الا هذا
فانه وحدة فى الكثرة والمقصود من الخلوة ايضا ذلك ولكن ما يكون فى الكثرة على الوجه الذى ذكرنا اثبت واحكم
لان ما يكون بالخلوة يزول اذا اختلط بين الناس وليس كذلك ما ذكر فطريقنا طريق النبى عليه السلام وطريق
الاصحاب رضى الله تعالى عنهم والنبى عليه السلام لم يعين الاربعين بل الاعتكاف فى العشر الاخير من رمضان
نعم فعل موسى عليه السلام قال تعالى وواعدنا موسى اربعين ليلة واتممناها بعشر والخلوتية اخذوا من ذلك كذا
فى واقعات الهدائى قدس سره (تلك) اى الاحكام التى ذكرت من اول آية الصيام الى هنا (حدود الله) جمع حد
وهو الحاجز بين الشيئين وجعل ما شرعه الله تعالى لعباده من الاحكام حدود اليهم لكونها امورا حاجزة بين الحق
والباطل ولكونها مانعة من مخالفتها والتخطى عنها (فلا تقربوها) اى ان تنتهوا فلا تقربوها فضلا عن تجاوزها نهى
ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يدانى الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى
وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ولما بين تعالى احكام
الصوم على وجه الاستقصاء فى هذه الالفاظ القليلة بيانا شافيا وافيا قال بعده (كذلك) اى بيان مثل
هذا البيان الوافى الواضح فالكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف (يبين الله آياته للناس)

والآيات دلائل الدين ونصوص الاحكام والمقصود من تعظيم البيان هدايته ورحمته على عباده فى هذا البيان
اعلمهم يتقون مخالفة اوامره ونواهيه والتقوى اتقاء الشرك ثم بعده اتقاء المعاصى والسيئات ثم بعده اتقاء
الشهوات ثم يدع بعده الفضلات وفى الحديث لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا مما به بأس
(قال السعدى) ترا انكه چشم ودهان داد وگوش * اكر عاقلى درخلافش مكوش * چو باك
آفريدت بهش باش وپاك * كه ننكست ناپاك رفتن بخاك * مرو زير بار كنه اى پسر * كه حمال
عاجز بود درسفر * مكن عمر ضايع بافسوس وحيف * كه فرصت عزيزست والوقت سيف *
جعلنا الله واياكم من اهل اليقظة واليقين (ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) اى لا يأكل بعضكم مال بعض
بالوجه الذى لم يبحه الله تعالى ولم يشرعه كالغصب والنهب والسرقة واليمين الكاذبة وكالاكتساب الخبيثة
كالقمار والرشى وحلوان الكاهن والمغنى والنائحة وكالحيلة ووجوه الخيانة قوله بينكم نصب على الظرفية
فيتعلق بقوله تاكلوا ومعنى كون الاكل بينهم وقوع التداول والتناول لاجل الاكل بينهم وليس المراد بالاكل
المنهى عنه نفس الاكل خاصة لان جميع التصرفات المتفرعة على الاسباب الباطلة حرام الا انه شاع فى العرف
ان يعبر عن انفاق المال باى وجه كان بالاكل لان الاكل معظم المقصود من المال وقوله بالباطل متعلق بالفعل
المذكور اى لا تأكلوها بالسبب الباطل نزلت فى رجلين تخاصما فى ارض بينهما فاراد احدهما ان يحلف
على ارض اخيه بالكذب فقال النبى عليه السلام انما انا بشر مثلكم يوحى الى وانتم تختصمون الى ولعل بعضكم
الحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له شيأ من حق اخيه فانما اقضى له قطعة من نار
فبكيا وقال كل واحد منهما انا احل لصاحبى فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه قوله
الحن بحجته اى اقوم بها واقدر عليها من صاحبه والتوخى قصد الحق والاستهام الاقتراع وفيه دلالة ظاهرة
على ان حكم القاضى لا ينفذ باطنا كما عند الشافعى وحمله ابو حنيفة على الاموال والاملاك دون عقود النكاح
وفسخها وموضع بيانه مشبعا كتاب القضاء فى الفقه (وتدلوا بها الى الحكام) عطف على المنهى عنه فيكون
مجزوما بلا الناهية المذكورة بواسطة العاطف والادلاء الالقاء وضمير بها للاموال بتقدير المضاف والباء فيه
مثلها فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والمعنى ولا تلقوا امر الاموال والحكومة فيها الى الحكام
(لتأكلوا) بالتحاكم اليهم (فريقا) اى طائفة وبعضا (من اموال الناس بالاثم) الباء سببية متعلقة بقوله لتأكلوا
اى بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة والصلح مع العلم بان المقضى له ظالم والمقضى به حق المقضى عليه
وقيل ولا تلقوا بعضها الى امراء الظلم وقضاة السوء على وجه الرشوة (وانتم تعلمون) انكم على الباطل وارتكاب
المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبها احق بالتوبيخ ويقال الدنيا ثلاثة اشياء حلال وحرام وشبهة فالحرام يوجب
العقاب والشبهة توجب العتاب والحلال يوجب الحساب (قال الحكيم السنائى) اين جهان برمثال
مردارست * كركسان اندرون هزار هزار * اين مر انرا همى زند مخلب * وان مرين را همى زند منقار *
آخر الامر بكذرند همه * وز همه بازماند اين مردار * فعلى العاقل ان يجتنب عن حقوق العباد
والمظالم حكى انه لما مات انوشروان كان يطاف بتابوته فى جميع مملكته وينادى مناد من له علينا حق فليات
فلم يوجد احد فى ولايته له عليه حق من درهم روى ان ابا حنيفة كان له على بعض المجوس مال فذهب الى داره
ليطالبه به فلما وصل الى باب داره وقع نعله على نجاسة فنفض نعله فانقلعت النجاسة عن نعله ووقعت على حائط دار
المجوسى فتحير ابو حنيفة رحمه الله وقال ان تركتها كان ذلك شيأ يقبح جدار ذلك المجوسى وان حككتها انحدر
التراب من الحائط فدق الباب فخرجت الجارية فقال لها قولى لمولاك ان ابا حنيفة بالباب فخرج اليه
وظن انه يطالبه بالمال واخذ يعتذر فقال ابو حنيفة رحمه الله ههنا ما هو اولى بالاعتذار وذكر قصة الجدار
وانه كيف السبيل الى التطهير فقال المجوسى فانا ابدأ بتطهير نفسى فاسلم فى الحال والنكتة ان ابا حنيفة
لما احترز عن ظلم ذلك المجوسى فى ذلك القدر القليل فلاجل بركة ذلك اسلم المجوسى ونجا من شقاوة الابد فمن احترز
عن الظلم نال سعادة الدارين والا فقد وقع فى الخذلان حكى ان نصرانيا كان يحمل امرأته على حمار فاتى بعض
قرى المسلمين فقطع واحد من الرنود ذنب حماره فوثب الحمار وسقطت المرأة وانكسرت يداها والقت حملها ايضا
فذهب النصرانى الى قاضى تلك القرية شاكيا فقال القاضى لذلك الرند خذ الحمار وامسكه حتى ينبت ذنبه والمرأة

حتى تحمل حملا وتصح عند لدتها فقال النصرانى اهكذا احكم شر بعتكم ثم رفع رأسه الى السماء وقال الهى
انت حليم ولا صبرلى على هذا فاحكم يا ناظر الملهوفين ويا ناصر المظلومين فمسخ الله ذلك القاضى فصار حجرا
من ساعته ففى هذه الحكاية شيئان الاول ان هذا القاضى بظلمه وقع فيما وقع من البلاء العظيم والثانى انه يجب
الاحتراز عن الظلم وان كان المظلوم كافرا فان دعاء الكافر يسمع والاشارة فى الاية ان الاموال خلقت لمصالح
قوام النفس وان النفس خلقت للقيام بمراسم العبودية لقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ليعلموا
ان الاموال والانفس لله فلا يتصرفون فيهما الا بامر الله ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اى بهوى النفس
والحرص والشهوة والاسراف على الغفلة وكلوا بالحق بالامر والقناعة والتقوية على الطاعة والقيام بالعبودية
ولا تدلوا بها الى الحكام وهى النفس الامارة بالسوء لتأكلوا فريقا من الاموال التى خلقت للاستعانة بها
على العبودية بالاثم اى بالقطيعة والغفلة مستعينين بها على المعصية كالحيوانات والبهائم فيكون حاصلكم
ومرجعكم ومثواكم النار ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم وانتم تعلمون حاصل الامر ولا تعملون به
كذا فى التأويلات النجمية (يسألونك عن الاهلة) روى ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين
قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود
كما بدا اولا ولا يكون على حالة واحدة فانزل الله تعالى يسألونك على الاهلة وهى جمع هلال والهلال اول
ما يظهر لك من نور القمر الى ثلاث ليال وسمى هلالا لان الناس يرفعون اصواتهم بالذكر عند رؤيته من قولهم
استهل الصبى اذا صرخ حين يولد واهل القوم بالحج اذا رفعوا اصواتهم بالتلبية (قل) يا محمد (هى) الاهلة
(مواقيت) جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك
من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة الى الماضى والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض لامر
(للناس) اى لما يتعلق بهم من امور معاملاتهم ومصالحهم (والحج) واموره المتعلقة باوقات مخصوصة
فان قلت لما كانت الاهلة مواقيت يوقت بها الناس عامة مصالحهم علم منه كونها ميقاتا للحج لانه
من جملة المصالح المتوقفة على الوقت فلم خصه بالذكر قلت الخاص قد يذكر بعد العام للتنبيه على مزيته فالحج
من حيث انه يراعى فى ادائه وقضائه الوقت المعلوم بخلاف سائر العبادات التى لا يعتبر فى قضائها وقت معين
وحاصل الخطاب ان الهلال يعود تماما ويظهر لكم على حسب مصلحتكم لقربه وبعده من الشمس كما بين فى فن
الهيئة قال فى التيسير ثم الشمس على حالة واحدة لانها ضياء للعالم وقوام لمصالح الناس والقمر يتغير لان الله
علق به ما قلنا من المواقيت وذلك يعرف بهذه الاختلافات ودبر عز وجل هذا التدبير لحاجة الناس الى ذلك
انتهى (وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها) كان الانصار اذا احرم الرجل منهم بالحج او العمرة لم يدخل
حائطا ولا بيتا ولا دارا من بابه فان كان من اهل المدر نقب نقبا فى ظهر بيته يدخل منه ويخرج او يتخذ سلما
فيصعد منه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج من الباب حتى يحل
من احرامه ويرون ذلك برا الا ان يكون من الحمس وهم قريش وسببه انهم ظنوا انه لابد فى الاحرام من تغيير
جميع العادات فغيروا عاداتهم فى الدخول كما غيروا فى اللباس والتطيب وقالوا لا ندخل بيوتا من الابواب
حتى ندخل بيت الله تعالى وكان منهم من لا يستظل بسقف بعد احرامه ولا يأقط الاقط ولا يجز الوبر وهذه اشياء
وضعوها من عند نفوسهم من غير شرع فعرفهم الله تعالى ان هذا التشديد ليس ببر ولا قربة (ولكن البر) بر
(من اتقى) المحارم والشهوات دون دخول البيت من ظهر وفى الكشاف فان قلت ما وجه اتصاله بما قبله
قلت كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة فى نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله تعالى
لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا فى واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر
فى شئ وانتم تحسبونها برا (وأتوا البيوت من ابوابها) حال الاحرام اذ ليس فى العدول بر (واتقوا الله) فى تغيير
احكامه والاعتراض على افعاله (لعلكم تفلحون) اى لكى تظفروا بالبر والهدى وللاية تأويل آخر قاله الحسن
قال كان فى الجاهلية من هم بسفر او امر يصنعه فمنع عن ذلك لم يدخل داره من الباب حتى يحصل له ذلك وكان
قريش وقبائل العرب من خرج لسفر او حاجة ثم رجع ولم يظفر بذلك كان ذلك طيرة فنهاهم الله عن ذلك
واخبر ان الطيرة ليس ببر والبر بر من لم يخف غيره وتوكل عليه حكى الجاحظ قال تحاورت انا وابراهيم بن سيار

المعروف بالنظام حديث الطيرة فقال اخبرك انى جعت حتى اكلت الطين وما صبرت الى ذلك حتى قلبت قلبى
اتذكر هل ثمة رجل اصيب عنده غداء او عشاء فقصدت الاهواز وهى من بلدان فارس وما اعرف بها واحدا
وما كان ذلك الا شيأ امر به الضجر فوافيت الفرضة فلم اجد بها سفينة فتطيرت من ذلك ثم انى رأيت سفينة
فى صدرها خرق وهشم فتطيرت ايضا فقلت للملاح ما اسمك قال ديوزاد بالفارسى وهو اسم الشيطان فتطيرت
وركبت معه فلما قربنا من الفرضة صحت يا حمال ومعى لحاف سمل وبعض ما لابد لى منه فكان اول حمال اجابنى
اعور فازددت طيرة وقلت فى نفسى الرجوع اسلم ثم ذكرت حاجتى الى اكل الطين وقلت من لى بالموت فلما صرت
الى الخان وانا حائر ما اصنع اذ سمعت قرع باب البيت الذى انا فيه فقلت من هذا قال رجل يريدك فقلت من انا
قال ابراهيم ابن سيار النظام فقلت فى نفسى هذا عدو او رسول سلطان ثم انى تحاملت وفتحت الباب فقال
ارسلنى اليك ابراهيم بن عبد العزيز ويقول لك وان كنا اختلفنا فى المقالة فانا نرجع بعد ذلك الى حقوق الاخلاق
والحرية وقد رأيتك حيث مررت على حال كرهتها وينبغى ان يكون برحت بك حاجة فان شئت فاقم مكانك
مدة شهر او شهرين فعسى نبعث لك ببعض ما يكفيك زمينا من دهرك وان اشتهيت الرجوع فهذه ثلاثون
دينارا تخذها وانصرف وانت احق من عذر قال فورد على امور اذهلتنى اما واحدها فانى لم اكن ملكت قط
ثلاثة دنانير والثانى انه لم يطل مقامى وغيبتى عن اهلى والثالث ما تبين لى من الطيرة انها باطلة كذا فى شرح
رسالة الوزير ابن زيدون فظهر انه قد يكون ما تكرهه النفس خيرا كما حكى انه وقع قحط فى زمن شيخ فعين لكل
من طلبته على طريق التفاؤل مكسبا فجاء فى فال واحد منهم قطع الطريق فانتقل ذلك الرجل فلقى بعض
الحرامية واجتمع بهم فنهبوا جماعة من التجار فبعد اخذ اموالهم ربطوا ايديهم وامروا هذا الرجل ان يذبحهم
بعيدا عنهم فتفكر الرجل فخطر بباله ان يطلقهم ويعطيهم السلاح ويطهروا الطريق عن القطاع ففعلوا
وهم غافلون ثم سألوا عن هذا الرجل فحكى حاله فجاؤا الى شيخه وسلموا الاموال وصاروا من جملة احبائه فعليك
بالتسليم والقبول لكى تنال المأمول (قال الصائب) جون سرود رمقام رضا ايستاده ام ✻ آسوده خاطرم
زبهار وخزان خويش ✻ ثم فى قوله وليس البر الاية اشارة الى ان لكل شئ سببا ومدخلا لا يمكن الوصول اليه
ولا الدخول الا باتباع ذلك السبب والمدخل كقوله تعالى وآتيناه من كل شئ سببا فاتبع سببا فسبب الوصول
الى حضرة الربوبية والمدخل فيها هى التقوى اسم جامع لكل بر من اعمال الظاهر واحوال الباطن والقيام
باتباع الموافقات واجتناب المخالفات وتصفية الضمائر ومراقبة السرائر فبقدر السلوك فى مراتب التقوى
يكون الوصول الى حضرة المولى كقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال عليه السلام عليكم بتقوى الله
فانه جماع كل خير فقوله وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها اى غير مدخلها بمحافظة ظواهر الاعمال
من غير رعاية حقوق بواطنها بتقوى الاحوال ولكن البر من اتقى اى حق التقوى كقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته
قيل فى معناه ان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وأتوا البيوت من ابوابها اى ادخلوا الامور
من مداخلها ثم ذكر مدخل الوصول وقال واتقوا الله اى اتقوا بالله عما سواه يقال فلان اتقى بترسه يعنى
اجعلوا الله محرزكم ومتقاكم ومفركم ومفزعكم ومرجعكم منه اليه كما كان حال النبى عليه السلام يقول
اعوذ بك منك لعلكم تفلحون لكى تنجوا وتخلصوا من مهالك النفوس باعانة الملك القدوس كذا فى التأويلات
النجمية قدس سره (وقاتلوا) جاهدوا (فى) نصرة (سبيل الله) واعزازه والمراد بسبيل الله دينه لانه طريق
الى الله ومرضاته (الذين يقاتلونكم) يعنى قريشا وكان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم
والمحاجزين لان هذه الاية اول آية نزلت فى القتال بالمدينة فلما نزلت كان رسول صلى الله عليه وسلم يقاتل
من قاتله ويكف عن كف عنه اى يقاتل من واجهه للقتال وناجزه ويكف عن قتال من لم يناجز وان كان بينه
وبينهم محاجزة وممانعة ويؤيده ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان هذه الاية نزلت فى صلح الحديبية
وذلك ان النبى عليه السلام خرج مع اصحابه للعمرة فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة وكانوا الفا واربعمائة
فنزل الحديبية وهو موضع فى قرب مكة كثير المياه والاشجار وصدهم المشركون عن البيت الحرام فاقام شهرا
وصالحه المشركون على ان يرجع ذلك العام ويأتى مكة فى العام المقبل ويعتمر فرضى بما قالوا وان يصدوهم عن
البيت وكره الاصحاب قتالهم فى الشهر الحرام وفى الحرم فانزل الله تعالى وقاتلوا الاية (ولا تعتدوا) بابتداء القتال

فى الحرم محرمين (ان الله لا يحب المعتدين) اى لا يريد بهم الخير (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) اين وجدتموهم
فى الحرم والحل وفى الاشهر الحرم وهم الذين هتكوا حرمة الشهر والحرم بالبداية فجازوهم بمثله واصل
الثقف الحذق فى ادراك الشئ علما كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة (واخرجوهم من حيث اخرجوكم)
اى من مكة لانهم اخرجوا المسلمين منها اولا واخرج عليه السلام منها ثانيا من لم يؤمن به منهم يوم الفتح
(والفتنة) فى الاصل عرض الذهب على النار لاستخلاصه من الغش ثم صار اسما لكل ما كان سببا للامتحان
تشبيها بهذا الاصل اى المحنة التى يفتتن بها الانسان ويمتحن كالاخراج من الوطن (اشد من القتل) اصعب منه
لدوام تعبها وتألم النفس بها فتكون هذه الجملة متعلقة بقوله واخرجوهم من حيث اخرجوكم تذييلا له وحثا
على الاخراج والمعنى ان اخراجكم اياهم ليس اهون عليهم من القتل بل هو اشد من قتلكم اياهم فيصلح جزآء على
اضرارهم فى الكفر ومناجزتهم لحربكم وقتالكم قيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت
جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التى يتمنى عندها الموت ويحتمل ان تكون متعلقة بقوله واقتلوهم
حيث ثقفتموهم فيكون المقصود حث المؤمنين على قتلهم اياهم فى الحرم اى لا تبالوا بقتلهم اينما وجدتموهم
فان فتنتهم اى تركهم فى الحرم وصدهم اياكم عن الحرم اشد من قتلكم اياهم فيه (ولا تقاتلوهم عند المسجد
الحرام) اى لا تفاتحوهم بالقتل هنالك وهتك حرمة المسجد الحرام (حتى يقاتلوكم فيه) حتى يبدؤكم بالقتال
فى الحرم وهذا بيان لشرط كيفية قتالهم فى هذه البقعة خاصة فيكون تخصيصا لقوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم
(فان قاتلوكم) ثمة (فاقتلوهم) فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمة لانهم الذين هتكوا حرمته فاستحقوا اشد العذاب
(كذلك) اى مثل ذلك الجزآء على ان الكاف فى محل الرفع بالابتدآء (جزآء الكافرين) يفعل بهم مثل ما فعلوا
بغيرهم (فان انتهوا) عن القتال وكذا عن الكفر فان الانتهاء عن مجرد القتال لا يوجب استحقاق المغفرة فضلا
عن استحقاق الرحمة (فان الله غفور رحيم) يغفر لهم ما قد سلف (وقاتلوهم) اى المشركين (حتى لا تكون) الى
ان لا توجد ولا تبقى (فتنة) اى شرك يعنى قاتلوهم حتى يسلموا فلا يقبل من الوثنى الا الاسلام فان ابى قتل
(ويكون الدين لله) خالصا له ليس للشيطان نصيب فيه (فان انتهوا) بعد مقاتلتكم عن الشرك (فلا عدوان
الا على الظالمين) اى فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فحذف نفس الجزآء واقيمت علته
مقامه والعلة لما كانت مستلزمة للحكم كنى بها عنه كانه قيل فان انتهوا فلا تعدوا عليهم لان العدوان مختص
بالظالمين والمنتهون عن الشرك ليسوا بظالمين فلا عدوان عليهم وسمى ما يفعل بالكفار عدوانا وظلما وهو فى نفسه
حق وعدل لكونه جزآء الظلم للمشاركة كقوله تعالى فجزآء سيئة سيئة (الشهر الحرام) يقابل (بالشهر الحرام)
فى هتك الحرمة صدهم المشركون عام الحديبية فى ذى القعدة وكان بين القوم ترامى بسهام وحجارة واتفق
خروجهم لعمرة القضاء فيه سنة سبع من الهجرة وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فنزلت هذه الاية وقيل لهم هذا
الشهر الحرام بذلك الشهر وهتكه بهتكه فلا تبالوا به (والحرمات قصاص) يعنى من هتك حرمة اى حرمة كانت
من حرمة الشهر وحرمة الاحرام وحرمة الحرم اقتص منه فان مراعاة هذه الحرمات انما تجب فى حق من
راعاها واما من هتكها فانه يقتص منه ويعامل معه بمثل فعله والاوضح ان المراد بالحرمات كل حرمة وهى
ما يجب المحافظة عليه نفسا كان او عرضا يجرى فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد وهو عين التعرض
للقتال فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة اى قهرا وغلبة فان منعوكم فى هذه السنة عن قضاء العمرة بالمقاتلة
ونحوها فاقتلوهم كما قال تعالى (فمن اعتدى عليكم) اى تجاوز بقتالكم فى الشهر الحرام (فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم) اى بعقوبة مماثلة لجناية اعتدآئه وهذا اعتدآء على سبيل القصاص وهو اعتدآء مأذون
فيه لا على سبيل الابتدآء فانه ظلم حرام وهو المراد بقوله تعالى فلا تعتدوا (واتقوا الله) اذا انتصرتم ممن ظلمكم
فلا تظلموهم باخذ اكثر من حقكم ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم (واعلموا ان الله مع المتقين) والمعية وهو
القرب المعنوى تدل على انه تعالى يحرسهم ويصلح شؤونهم بالنصر والتمكين روى انه عليه السلام واصحابه دخلوا
ذلك العام مكة وطافوا بالبيت ونحروا الهدى وكان المشركون شرطوا له بعد قضاء العمرة الاقامة بمكة ثلاثا
وكان النبى عليه السلام تزوج ميمونة بنت الحارث فاحب المقام بمكة ليولم عليها فطالبوه بالخروج عنها والوفاء
بما عاهد ففعل واولم على ميمونة وبنى بها بسرف واعلم ان الله تعالى امرنا بالغزو فى سبيله ليظهر من يدعى بذل

الوجود فى سبيل الله وامرنا بالزكاة ببذل المال ليتبين من يدعى محبة الله فالغزو معيار المحبة الالهية لان كل
انسان جبل عن حب الحياة والمال فامتحن بالغزو والزكاة فى سبيل الله قطعا لدعوى المدعين لان الكل يدعى
محبة الله وهذا هو السر فى الجهاد ولهذا قال سيدنا على رضى الله تعالى عنه خير الغزآء فى الفتى الشجاعة
والسخاوة وهما توأمان كل شجيع سخى وعن عبد الله بن عمر عن ابيه رضى الله تعالى عنه قال سئل رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ما الاسلام قال طيب الكلام واطعام الطعام وافشاء السلام قيل فاى المسلمون افضل
قال من سلم الناس من لسانه ويده قيل فاى الصلاة افضل قال طول القيام قيل فاى الصدقة افضل قال جهد
من مقل قيل فاى الايمان افضل قال الصبر والسماحة قيل فاى الجهاد افضل قال من عقر جواده واهريق
دمه قيل فاى الرقاب افضل قال اغلاها ثمنا والجهاد جهادان ظاهر وباطن فالظاهر مع الكفار والباطن
مع النفس والشيطان وهذا اصعب لان الكافر ربما يرجع اما بالمحاربة او بالصلح او ببذل النفس والمال بوجه
من الوجوه والشيطان لا يرجع عنك دون ان يسلب الدين (وفى المثنوى) اى شهان كشتيم ما خصم برون ✻
ماند خصمى زو بتر در اندرون ✻ كشتن اين كار عقل وهوش نيست ✻ شير باطن سخره خركوش نيست ✻
سهل شيرى دان كه صفها بشكند ✻ شير آنست آن كه خود را بشكند ✻ قال فى التأويلات القاشانية
وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم من الشيطان وقوى النفس الامارة ولا تعتدوا فى قتالها بان تمنعوها
عن قيامها بحقوقها والوقوف على حدودها حتى تقع فى التفريط والقصور والفتور ان الله لا يحب المعتدين
لكونهم خارجين عن ظل المحبة والوحدة التى هى العدالة واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى ازيلوا حياتهم
وامنعوهم عن افعالهم بهواها الذى هو روحها حيث كانوا واخرجوهم من مكة الصدر عند استيلائهم عليها
كما اخرجوكم عنها باستنزالكم الى بقعة النفس واخراجكم عن مقر القلب وفتنتهم التى هى عبادة هواها واصنام
لذاتها وشهواتها اشد من قمع هواها واماتتها بالكلية او محنتكم وبلاؤكم بها عند استيلائها اشد عليكم
من القتل الذى هو اماتتها ومحوها بالكلية لزيادة الضرر والالم هنالك ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام الذى هو
مقام القلب اى عند الحضور القلبى اذا وافقوكم فى توجهكم فانهم اعوانكم على السلوك حينئذ حتى يقاتلوكم فيه
وينازعوكم فى مطالبه ويجروكم عن حياة القلب ودين الحق الى مقام النفس ودينهم الذى هو عبادة العجل
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة من تنازعهم وتجاذب دواعيهم وتعبدهم الهوى ويكون الدين كله لله بتوجه
جميعها الى جناب القدس ومشايعتها للسر فى التوجه الى الحق الذى ليس للشيطان والهوى فيه نصيب فان
انتهوا فلا عدوان عليهم الا على العادين المجاوزين عن حدودهم انتهى ما فى التأويلات وقال الشيخ نجم الدين
قدس سره فى قوله تعالى الشهر الحرام الاية الاشارة ان ما يفوتكم من الاوقات والاوراد بتوانى النفس
وغلبات صفاتها فتداركوه الشهر بالشهر واليوم باليوم والساعة بالساعة والوقت بالوقت والاوراد بالاوراد
واقضوا الفائت والحقوق فكل صفة من صفات النفس اذا استولت عليكم فعالجوها بضدها البخل بالسخاوة
والغضب بالحلم والحرص بالترك والشهوة بالرياضة وعلى هذا القياس واتقوا الله فى افراط الاعتدآء احترازا عن
هلاك النفس بكثرة المجاهدات واعلموا ان الله مع المتقين بالنصرة على جهاد النفس (وانفقوا فى سبيل الله)
الانفاق صرف المال الى وجوه المصالح والمراد بالسبيل الدين المؤدى الى ثواب الله ورحمته فكل ما امر الله به
من الانفاق فى اعزاز الدين واقامته فهو داخل فى هذه الاية سوآء كان فى اقامة الحج او العمرة او جهاد الكفار
او صلة الارحام او تقوية الضعفاء من الفقرآء والمساكين او رعاية حقوق الاهل والاولاد او غير ذلك مما يتقرب به
الى الله تعالى امر تعالى بالجهاد بالمال بعد الامر به بالنفس اى واصرفوا اموالكم فى سبيل الله ولا تمسكوا
كل الامساك (ولا تلقوا) الالقاء طرح الشئ حيث تراه ثم صار اسما لكل طرح عرفا وتعديته بالى لتضمنه
معنى الانتهاء (بايديكم) الباء زآئدة فى المفعول به لان القى يتعدى بنفسه قال تعالى فالقى موسى
عصاه ولا يقال القى بيده الا فى الشر والمراد بالايدى الانفس فان اليد لازم للنفس وتخصيص اليد من بين سائر
الجوارح اللازمة لها لان اكثر الاعمال يظهر بالمباشرة باليد والمعنى لا تطرحوا انفسكم (الى التهلكة) اى
الهلاك بالاسراف وتضييع وجه المعاش لتكون الاية نظير قوله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
وكان بين ذلك قواما او بالكف عن الغزو والانفاق فى مهماته فان ذلك مما يقوى العدو ويسلطه عليكم ويؤيده

ماروى عن ابى ايوب الانصارى رضى الله تعالى عنه انه قال ان الله تعالى لما اعز دينه ونصر رسوله قلنا فيما
بيننا انا قد تركنا اهلنا واموالنا حتى فشا الاسلام ونصر الله نبيه فلو رجعنا الى اهلنا واموالنا فاقمنا فيها واصلحنا
ماضاع منها فانزل الله تعالى وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اى الى ما يكون سببا لهلاككم
من الاقامة فى الاهل والمال وترك الجهاد فما زال ابو ايوب يجاهد فى سبيل الله حتى كان آخر غزوة غزاها
بقسطنطينية فى زمن معاوية فتوفى هناك ودفن فى اصل سور قسطنطينية وهم يستشفون به وفى الحديث من
مات ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق (واحسنوا) اى تفضلوا على الفقرآء (ان الله يحب
المحسنين) اى يريد بهم الخير روى ان الحجاج لما ولى العراق كان يطعم فى كل يوم على الف مائدة يجمع على كل مائدة
عشرة انفس وكان يرسل الرسل الى الناس لحضور الطعام فكثر عليه ذلك فقال ايها الناس رسولى اليكم الشمس
اذا طلعت فاحضروا للغدآء واذا غربت فاحضروا للعشاء فكانوا يفعلون ذلك واستقل الناس يوما فقال ما بال
الناس قد قلوا فقال رجل ايها الامير انك اغنيت الناس فى بيوتهم عن الحضور الى مائدتك فاعجبه ذلك وقال
اجلس بارك الله عليك هذا كرم الحجاج واحسانه الى الخلق مع كونه اظلم اهل زمانه (قال السعدى) كرم كن كه
فردا كه ديوان نهند * منازل بمقدار احسان نهند * وحكى الهدآئى قال اقبل ركب من بنى اسد ومن
قيس يريدون النعمان فلقوا حاتما وهو المشهور بالجود فقال لهم اين تريدون قالوا قومنا يثنون عليك خيرا وقد ارسلوا اليك
رسالة فقال ماهى فانشد الاسديون شعر النابغة فيه فلما انشدوه قالوا انا نستحيى ان نسألك شيأ وان لنا لحاجة
قال ماهى قالوا صاحب لنا قد ارجل يعنى فقدت راحلته فقال حاتم فرسى هذه فاحملوه عليها فاخذوها وربطت
الجارية فلوها بثوبها فافلت يتبع امه وتبعته الجارية لترده فصاح حاتم ما تبعكم فهو لكم فذهبوا بالفرس
والفلو والجارية كذا فى شرح رسالة ابن زيدون الوزير قيل لما عرج النبى عليه السلام اطلع على النار فرأى
حظيرة فيها رجل لا تمسه النار فقال عليه السلام ما بال هذا الرجل فى هذه الحظيرة لا تمسه النار فقال جبريل
عليه السلام هذا حاتم طى صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده كذا فى انيس الوحدة وجليس الخلوة
وفى الاحاديث القدسية ياعيسى اتريد ان تطير على السماء مع الملائكة المقربين كن فى الشفقة كالشمس
وفى الستر كالليل وفى التواضع كالارض وفى الحلم كالميت وفى السخاوة كالنهر الجارى قال بعض اهل الحقيقة
وهو حسن جدا وانفقوا فى سبيل الله ارواحكم ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بمنعكم انفسكم عن الشهادة
فى سبيل الله التى هى الحياة الابدية فتهلكوا يعنى بفوت هذه الحياة واحسنوا تسليم انفسكم الى الله فقد اشتراها
منكم ان الله يحب المحسنين (وفى المثنوى) مرك بى مركى بود مارا حلال * برك بى بركى بود مارا نوال *
ظاهرش مرك وبباطن زندكى * ظاهرش ابتر نهان پايندكى * چون مراسوى اجل عشق
وهواست * نهى لا تلقوا بايديكم مراست * زانكه نهى ازدانهٔ شيرين بود * تلخ راخود نهى
حاجت كى شود * دانهٔ كش تلخ باشد مغز وپوست * تلخى ومكر وهيش خود نهى اوست * دانهٔ
مردن مراشيرين شدست * بل هم احياءٌ پى من آمدست * قال فى التأويلات النجمية وانفقوا فى سبيل
الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالامتناع عن تسليم المبيع فتهلكوا بمنع
الثمن وهو الجنة وبافراط الاعتدآء وتفريطه فى جهاد النفس بالافراط بان يبرز واحد على رهط وبالتفريط
بان يفر واحد من اثنين فى جهاد الكفار واحسنوا مع نفوسكم بوقايتها عن نار الشهوات ومع قلوبكم برعايتها
عن رين الغفلات ومع ارواحكم بحمايتها عن حجب التعلقات ومع اسراركم بكلاءتها عن ملاحظة المكونات
ومع الخلق بدفع الاذيات واتصال الخيرات ومع الله بالعبودية فى المأمورات والمنهيات والصبر على المضرات
والبليات والشكر على النعم والمسرات والتوكل عليه فى جميع الحالات وتفويض الامور اليه فى الجزئيات
والكليات والتسليم للاحكام الازليات والرضى بالاقضية الاوليات والفناء عن الارادات المحدثات فى ارادته
القديمة بالذات ان الله يحب المحسنين الذين هم فى العبادة بوصف المشاهدة انتهى ما فى التأويلات بانتخاب
(واتموا الحج والعمرة) الحج فرض على من استطاع اليه سبيلا بالاتفاق والعمرة سنة عند ابى حنيفة رحمه الله
لا تلزم الا بالشروع كنفل الصلاة والمعنى ان من شرع فى اى واحد منهما فليتمه قالوا ومن الجائز ان لا يكون
الدخول فى شئ واجبا ابتدآء الا انه بعد الشروع فيه يكون اتمامه واجبا (لله) متعلق باتموا واللام لام المفعول

من اجله وفائدة التخصيص به هنا ان العرب كانت تقصد الحج للاجتماع والتظاهر وحضور الاسواق وكل ذلك
ليس لله فيه طاعة ولا قربة فامر الله بالقصد اليه لادآء فرضه وقضاء حقه والمعنى اكملوا اركانهما وشرآئطهما
وسائر افعالهما المعروفة شرعا لوجه الله تعالى من غير اخلال منكم بشئ منها واخلصوهما للعبادة
ولا تشوبوهما بشئ من التجارة والاغراض الدنيوية واجعلوا النفقة من الحلال واركان الحج خمسة الاحرام
والوقوف بعرفة والطواف والسعى بين الصفا والمروة وحلق الرأس او التقصير فركن الحج ما لا يحصل التحلل
الا بالاتيان به وواجباته هو الذى اذا ترك يجبر بالدم وسننه ما لا يجب بتركه شئ وكذا افعال العمرة تشتمل على
هذه الامور الثلاثة فاركانها اربعة الاحرام والطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة والحلق وللحج تحللان
واسباب التحلل ثلاثة رمى جمرة العقبة يوم النحر وطواف الزيارة والحلق واذا وجد شيآن من هذه الاشياء الثلاثة
حصل التحلل وبالثالث حصل التحلل الثانى وبعد التحلل الاول يستبيح جميع المحظورات اى محظورات
الاحرام الا النساء وبالثانى يستبيح الكل واتفقت الامة على انه يجوز ادآء الحج والعمرة على ثلاثة اوجه الافراد
والتمتع والقران فصورة الافراد ان يحرم بالحج مفردا ثم بعد الفراغ منه يعتمر من الحل اى الذى بين المواقيت
وبين الحرم وصورة التمتع ان يبتدئ باحرام العمرة فى اشهر الحج ويأتى بمناسكها ثم يحرم بالحج من مكة فيحج
فى هذا العام وصورة القران ان يحرم بالحج والعمرة معا بان ينويهما بقلبه ويأتى بمناسك الحج وحينئذ يكون
قد اتى بالعمرة ايضا لان مناسك العمرة هى مناسك الحج من غير عكس او يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج
قبل ان يفتتح الطواف فيصير قارنا ولو احرم بالحج ثم ادخل عليه العمرة لم ينعقد احرامه بالعمرة والافضل
عندنا من هذه الوجوه هو القران وفى الحديث تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى
الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور جزآء الا الجنة (فان احصرتم) اى منعتم وصددتم
عن الحج والوصول الى البيت بمرض او عدو او عجز او ذهاب نفقة او راحلة او سائر العوائق بعد الاحرام باحد
النسكين وهذا التعميم عند ابى حنيفة رحمه الله لان الخطاب وان كان للنبى واصحابه وكانوا ممنوعين بالعدو
لكن الاعتبار لعموم اللفظ لا لخصوص السبب (فما استيسر) اى فعليكم ما تيسر (من الهدى) من اما تبعيضية
او بيانية اى حال كونه بعض الهدى او الكائن من الهدى جمع هدية كتمر وتمرة وهو ما يهدى الى البيت تقربا
الى الله من النعم ايسره شاة واوسطه بقرة واعلاه بدنة ويسمى هديا لانه جار مجرى الهدية التى يبعثها العبد
الى ربه بان يبعثها الى بيته والمعنى ان المحرم اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدى تيسر عليه من بدنة او بقرة
او شاة حيث احصر فى اى موضع كان عند الشافعى واما عندنا فيبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث على يده يوم
ذبحه امارة اى علامة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى (ولا تحلقوا رؤسكم) اى لا تحللوا بحلق
رؤسكم (حتى يبلغ الهدى محله) حتى تعلموا ان الهدى المبعوث الى الحرم بلغ مكانه الذى وجب ان ينحر فيه
والمحل بالكسر من الحلول وهو النزول يطلق على الزمان والمكان فمحل الدين وقت وجوب قضائه ومحل
الهدى المكان الذى يحل فيه ذبحه وهو الحرم عندنا لقوله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق والمراد الحرم كله
لان كله تبع البيت وهذا الحكم عام لجميع الحاج من المفرد والقارن والمتمتع والمعتمر يعنى لا يجوز له ان يحلق
رأسه الا ان يذبح هديه وان لم يحصر يعنى فى منى والحلق افضل من التقصير ولو حلق ربع الرأس يكتفى به لكن
حلق كله اولى اقتدآء برسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فى الحج واما فى غيره فكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يحلق رأسه الا قليلا بل هو معدود ويتركه فى اكثر الازمان وكان على رضى الله عنه يحلق رأسه منذ ما سمع
قوله عليه السلام تحت كل شعرة جنابة (فمن) يجوز ان تكون شرطية وموصولة (كان منكم مريضا) مرضا
محوجا الى الحلق حال الاحرام ومريضا خبر كان ومنكم حال منه لانه فى الاصل صفة له فلما تقدم عليه انتصب حالا
(او به اذى) اى الم كائن (من رأسه) كجراحة او قمل او صداع او شقيقة والمعنى يثبت على احرامه من غير حلق حتى
يذبح هديه الا ان يضطر الى الحلق فان حلق ضرورة (ففدية) اى فعليه فدية (من صيام) اى صيام ثلاثة ايام
(او صدقة) على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر (او نسك) بضمتين جمع نسيكة وهى الذبيحة
اعلاها بدنة واوسطها بقرة وادناها شاة واو للتخيير (فاذا امنتم) من خوفكم وبرئتم من مرضكم وكنتم
فى حال امن وسعة لا فى حال احصار (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) اى فمن انتفع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة

قبل الاستمتاع بتقربه بالحج فى اشهره اومن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم
بالحج (فما استيسر من الهدى) اى فعليه دم تيسر عليه بسبب التمتع وهو هدى المتعة وهو نسك عند ابى حنيفة
رحمه الله لايذبحه الايوم النحر ويأكل منه كالاضحية (فمن لم يجد) اى الهدى (فصيام ثلاثة ايام) صيام مصدر
اضيف الى ظرفه معنى وهو فى اللفظ مفعول به على الاتساع اى فعليه صيام ثلاثة ايام (فى الحج) اى فى وقته
واشهره بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج ان شاء متفرقة وان شاء متتابعة والاحب ان يصوم سابع
ذى الحجة وثامنه وتاسعه فلا يصح يوم النحر وايام التشريق (وسبعة اذا رجعتم) اى نفرتم وفرغتم من اعمال الحج
اطلق عليه الرجوع على طريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب الخاص وهو النفر والفراغ فانه سبب
للرجوع (تلك) اى صيام ثلاثة وسبعة (عشرة) فذلكة الحساب وفائدتها ان لايتوهم ان الواو بمعنى او كما فى قوله
تعالى مثنى وثلاث ورباع وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا وعلمان خير من علم فان اكثر العرب لايحسنون
الحساب فكان الرجل اذا خاطب صاحبه باعداد متفرقة جمعها له ليسرع فهمه اليها وان المراد بالسبعة
هو العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما (كاملة) صفة مؤكدة لعشرة فان الوصف قد يكون للتأكيد اذا افاد
الموصوف معنى ذلك الوصف نحو الهين اثنين والتأكيد انما يصار اليه اذا كان الحكم المؤكد مما يهتم بشأنه
والمحافظة عليه والمؤكد ههنا هو رعاية هذا العدد فى هذا الصوم اكده ايذانا ان رعايته من المهمات التى
لايجوز اهمالها البتة (ذلك) اشارة الى نفس التمتع عندنا والى حكم التمتع عند الشافعى وهو لزوم الهدى
لمن يجده من المتمتع ولزوم بدله لمن لايجده (لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام) اى لازم للذى لايسكن
مكة واهل الرجل اخص الناس اليه وانما ذكر الاهل لان الغالب ان الانسان يسكن حيث يسكن اهله
فعبر بسكون الاهل عن سكون نفسه وحاضروا المسجد الحرام عندنا هم اهل مكة ومن كان منزله داخل المواقيت
فلا متعة ولاقران لهم فمن تمتع اوقرن منهم فعليه دم جناية لايأكل منه وحاضروا المسجد الحرام ينبغى لهم
ان يعتمروا فى غير اشهر الحج ويفردوا اشهر الحج للحج والقارن والمتمتع الافاقيان دمهما دم نسك يأكلان منه وعند
الشافعى حاضروا المسجد الحرام اهل الحرم ومن هو على مسافة لاتقصر فيها الصلاة (واتقوا الله) فى المحافظة
على اوامره ونواهيه وخصوصا فى الحج (واعلموا ان الله شديد العقاب) لمن لم يتقه كى يصدكم العلم به عن العصيان
(قال السعدى) مروزير بار كنه اى پسر ✻ كه حمال عاجز بود در سفر ✻ تو پيش از عقوبت در عفو كوب ✻
كه سودى ندارد فغان زير چوب ✻ اعلم ان اتمام الحج كما يكون عن طريق الظاهر كذلك يكون عن طريق
الباطن وعن بعض الصالحين انه حج فلما قضى نسكه قال اصاحبه هلم نتم حجنا الم تسمع قول ذى الرمة

تمام الحج ان تقف المطايا ✻ على خرقاء واضعة اللثام

وخرقاء اسم حبيبة الشاعر واضعة اللثام اى مكشوفة الوجه مسفرة جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج
الذى لايتم الا به وحقيقة ما قال هو انه كما قطع البوادى حتى وصل الى بيته وحرمه ينبغى ان يقطع اهوآء النفس
ويخرق حجب القلب حتى يصل الى مقام المشاهدة ويبصر آثار كرمه بعد الرجوع عن حرمه قال فى التأويلات
النجمية حج العوام قصد البيت وزيارته وحج الخواص قصد رب البيت وشهوده كما قال الخليل عليه السلام انى
ذاهب الى ربى سيهدين وكما ان من قصد الله وطلبه وتوجه اليه بالكلية وفدى بنفسه وماله وولده فى الله واتخذ
ماسواه عدوا كما قال فانهم عدو لى الا رب العالمين كان الخليل عليه السلام وهذا كله من مناسك الحج
الحقيقى فلذلك جعله الله اول من بنى بيت الله وطاف وحج واذن فى الناس بالحج ومن المناسك وكان الحج صورة
ومعنى مقامه عليه السلام وكما كان له مقام كان لنبينا عليه السلام حال والحال اتم من المقام لان المقامات من
المنازل والاحوال من المواهب فيمكن سلوك المقامات بغير المواهب ولايمكن المواهب بغير سلوك المقامات
فلما كان الخليل من اهل المقامات قال انى ذاهب الى ربى سيهدين ولما كان النبى عليه السلام من اهل
المواهب قيل سبحان الذى اسرى بعبده فلما كان ذهابه بنفسه فى الحج الحقيقى بقى فى السماء السابعة واحصر
فقيل له فان احصرتم فما استيسر من الهدى فاهدى باسمعيل ولما اسرى بالنبى عليه السلام وكان ذهابه بالله
ما احصره شئ فقيل له فاتموا الحج والعمرة لله فاتم حجه بان دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى ثم اتى عمرته
بان تجلى له انوار المقصود عن كشوف التعزز بالشهود وانجلى غمامة المحبة عن شموس الوصلة وجرى بين المحبين

ماجرى فاوحى الى عبده ما اوحى ثم نودى من سرادقات الجلال فى اتمام الحج والاكمال يوم الحج الاكبر عند
وقوفه بعرفات فى حجة الوداع وهو آخر الحجات اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم
الاسلام دينا انتهى ما فى التأويلات ثم اعلم ان كل قلب لايصلح لمعرفة الرب ولا كل نفس تصلح لخدمة الرب
ولا كل نفيس مال يصلح لخزانة الرب فتعجل ايها العبد فى تدارك حالك وكن سخيا بمالك فان لم يكن فبنفسك
وان كان لك قدرة على بذلهما فبهما الاترى ان ابراهيم عليه السلام كيف اعطى ماله للضيفان وبدنه للنيران
وولده للقربان وقلبه للرحمن حتى تعجبت الملائكة من سخاوته فاكرمه الله بالخلة قال الله تعالى واتخذ الله
ابراهيم خليلا قال مالك بن دينار خرجت الى مكة فرأيت فى الطريق شابا اذا جن عليه الليل رفع وجهه
نحو السماء وقال يا من تسره الطاعات ولا تضره المعاصى هب لى ما يسرك واغفر لى ما لا يضرك فلما احرم الناس
ولبوا قلت له لم لاتلبى فقال يا شيخ وما تغنى التلبية عن الذنوب المتقدمة والجرائم المكتوبة والمعاصى السالفة
اخشى ان اقول لبيك فيقال لى لا لبيك ولا سعديك لا اسمع كلامك ولا انظر اليك ثم مضى فما رأيته الا بمنى وهو
يقول اللهم اغفر لى اللهم ان الناس قد ذبحوا وتقربوا اليك وليس لى شئ اتقرب به اليك سوى نفسى فتقبلها
منى ثم شهق شهقة وخر ميتا اللهم عاملنا بكمال كرمك واوصلنا الى حضرتك العليا وحرمك (الحج) بحذف
المضاف اى وقته لان الحج فعل والفعل لايكون اشهرا (اشهر) هى شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة عندنا
لا يوم وقت ركن من اركان الحج وهو طواف الزيارة وانما سمى شهران وبعض شهر اشهرا مع ان جمع القلة
لايطلق على ما هو اقل من الثلاثة اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد (معلومات)
معروفات بين الناس لانهم توارثوا علمها والشرع جاء مقررا لما عرفوه ولم يغير وقته عما كان قبله وفائدة توقيت
الحج بهذه الاشهر ليعلم ان شيأ من افعال الحج لايصح الا فيها والاحرام وان كان ينعقد فى غيرها ايضا عند
ابى حنيفة الا انه مكروه يعنى ان الاحرام عنده من شرائط الحج فيجوز تقديمه على وقت ادائه كما يجوز تقديم
الطهارة على اداء الصلاة وقولهم وقت الحج اشهر ليس المراد به انها وقت احرامه بل المراد انها وقت ادائه
بمباشرة اعماله ومناسكه والاشهر كلها وقت لصحة احرامه لقوله تعالى يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت
للناس والحج فجعل الاهلة كلها مواقيت للحج ومعلوم ان الاهلة كلها ليست مواقيت لصحة اداء الحج فتعين
ان المراد انها مواقيت لصحة الاحرام حتى من احرم يوم النحر لان يحج فى السنة القابلة يصح احرامه من غير كراهة
عند ابى حنيفة كذا فى حواشى ابن الشيخ (فمن فرض فيهن الحج) اى اوجبه على نفسه بالتلبية او تقليد الهدى
وذلك لان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا يشرع بمجرد النية كالصلاة فلابد من فعل يشرع به فيه وهو ما ذكرنا
من التلبية او تقليد الهدى وهو جعل القلادة فى عنقه وسوقه (فلا رفث) اى فلا جماع وما دونه مما يفضى
الى ذلك كالقبلة والغمز وهو محظور الاحرام فقبل الوقوف بعرفة مفسد وبعده موجب البدنة وحرمت دواعيه
لئلا يقع فيه والرفث وما يليه من الفسوق والجدال وان كانت على صورة النفى بمعنى ان شيأ منها لايقع فى خلال
الحج الا ان المراد بها النهى لان ابقاءها خبرا على ظاهرها يستلزم الخلف فى خبر الله للعلم بان هذه الاشياء كثيرا
ما تقع فى خلال الحج وانما اخرجت على صورة الاخبار للمبالغة فى وجوب الانتهاء عنها كان المكلف اذعن
كونها منهيا عنها فاجتنب عنها فالله تعالى يخبر بانها لاتوجد فى خلال الحج ولا يأتى بها احد منكم (ولا فسوق)
ولا خروج من حدود الشرع بارتكاب المحظورات والفسق هو المعاصى بانواعها فيدخل فيه السباب
والتنابز بالالقاب وغير ذلك (ولا جدال) اى لامراء مع الخدم والرفقة والمكارين لانه يفضى الى التضاغن
وزوال التأليف فاما الجدال على وجه النظر فى امر من امور الدين فلا بأس به (فى الحج) اى فى ايامه وانما امر
باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب فى كل حال لانه مع الحج اقبح واشنع كلبس الحرير فى الصلاة والتطريب
فى قراءة القرآن والمنهى عنه التطريب الذى يخرج الحروف به عن هيأتها كما يفعله بعض القراء من الالحان
العجيبة والانغام الموسيقية واما تحسين القراءة ومدها فهو مندوب اليه قال عليه السلام حسنوا القرآن
باصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا والتطريب المقبول سبب للرقة واقبال النفس وبه قال
ابو حنيفة رحمه الله وجماعة من السلف (وما) شرطية (تفعلوا من خير يعلمه الله) علم الله تعالى بما يفعله العبد
من الخير كناية عن اثابته عليه نهى عن ثلاثة اشياء من المعاصى ورغب فى كل الطاعات فهو حث على فعل الخير

عقيب النهى عن الشر فيدخل فيه استعمال الكلام الحسن مكان القبيح والبر والتقوى مكان الفسوق والوفاق
والاخلاق الجميلة مكان الجدال (وتزودوا) اى اجعلوا زادكم لمعادكم وآخرتكم اتقاء القبائح (فان خير الزاد
التقوى) لا ما يتخذ من الطعام وتحقيق الكلام ان للانسان له سفران سفر فى الدنيا وسفر من الدنيا فالسفر
فى الدنيا لابد له من زاد وهو الطعام والشراب والمركب والمال والسفر من الدنيا لابد له ايضا من زاد وهو معرفة
الله ومحبته والاعراض عما سواه بالاشتغال فى طاعته والاجتناب عن مخالفته ومناهيه وهذا الزاد خير
من زاد المسافر فى الدنيا لان زاد الدنيا يخلصك من عذاب منقطع وزاد الآخرة يخلصك من عذاب دائم
وزاد الدنيا فانى وزاد الآخرة يوصلك الى لذات باقية خالصة وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويخرجون بغير
زاد ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس واذا قدموا مكة
سألوا الناس وربما يفضى بهم الحال الى النهب والغصب فقال الله تعالى تزودوا اى ما تتبلغون به وتكفون به
وجوهكم من الكعك والزيت والسويق والتمر ونحوها واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان
خير الزاد التقوى من السؤال والنهب (واتقون يا اولى الالباب) فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على
التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤا عن كل شئ سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن
شوآئب الهوى فلذلك خص اولى الالباب بالخطاب فان من لم يتقه فكانه لا لب له فعلى العاقل تخليص العقل
عن الشوآئب وتهذيب النفس وتكميلها بالوصول الى اعلى المراتب قال الشاعر (ولم ار فى عيوب الناس شيأ
كنقص القادرين على التمام) قال الامام اعلم ان الانسان فيه قوى ثلاث قوة شهوانية بهيمية وقوة غضبية
سبعية شيطانية وقوة وهمية عقلية ملكية والمقصود من جميع العبارات قهر القوى الثلاث اعنى الشهوانية
والغضبية والوهمية فقوله فلا رفث اشارة الى قهر القوة الشهوانية وقوله ولا فسوق اشارة الى قهر القوة الغضبية
التى توجب المعصية والتمرد وقوله ولا جدال اشارة الى قهر القوة الوهمية التى تحمل الانسان على الجدال
فى ذات الله وصفاته وافعاله واحكامه واسمائه وهى الباعثة للانسان على منازعة الناس ومماراتهم والمخاصمة
معهم فى كل شئ فلما كان الشر محصورا فى هذه الامور الثلاثة لا جرم قال فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج
اى فمن قصد معرفة الله ومحبته والاطلاع على نور جلاله والانخراط فى سلك الخواص من عباده انتهى ما قال
الامام قالوا من سهل عليه المشى فى طريق الحج فهو الافضل فان كان يضعف ويؤدى ذلك الى سوء خلق وقصور
عن عمل فالركوب افضل كما ان الصوم افضل للمسافر والمريض ما لم يفض الى ضعف وسوء خلق قال ابو جعفر
الباقر ما يعبأ من يؤم هذا البيت اذا لم يأت بثلاث ورع يحجزه عن محارم الله وحلم يكف به غضبه وحسن
الصحابة لمن يصحبه من المسلمين فهذه الثلاث يحتاج اليها المسافر خصوصا الى الحج فمن كملها فقد كمل حجه والا فلا
(ونعم ما قال السعدى) از من بگوى حاجى مردم گزاى را * كاو پوستين خلق بآزار ميدرد *
حاجى تو نيستى شترست از براى آنك * بيچاره خار ميخورد وبار ميبرد * فينبغى ان يجتهد الحاج قبل مفارقة
رفيقه والجمال فى ان يتحالوا من المظالم ان كانت جرت بينهم مثل غيبة ونميمة او اخذ عرض او تعرض لمال فما سلم
من ذلك الا القليل واذا ذكر رفيقه فليثن عليه خيرا وليغض عما سوى ذلك فقد كان السلف بعد قفولهم
اى رجوعهم من السفر لا يذكر احدهم صاحبه الا بخير ويحذر من نظفت صحيفة عمله من الذنوب بالغفران
ان يرجع الى وسخ المعاصى ثم الاشارة ان قصد القاصدين الى الله تعالى انما يكون فى اشهر معلومات من حياتهم
الفانية فى الدنيا فاما بعد انقضاء الآجال فلا يفيد لاحد السعى كما لا ينفع للحاج القصد بعد مضى اشهر الحج قال
تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الاية وكما ان للحاج مواقيت معينة يحرمون منها فكذلك
للقاصدين الى الله ميقات وهى ايام الشباب من بلاغة الصورة الى بلوغ الاربعين وهو حد بلاغة المعنى
قال تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة ولهذا قال المشايخ الصوفى بعد الاربعين نادر يعنى ان كان
ظهور ارادته وطلبه يكون بعد الاربعين فوصوله الى المقصد الحقيقى يكون نادرا مع اركانه ولكن من يكون
طلبه وصدقه فى الارادة قبل الاربعين وما امكنه الوصلة يقرب الاحتمال ان يكون بعد الاربعين حصول
مقصوده بان يبذل غاية مجهوده بشرائطه وحقوقه وحدوده ومن فاته اوان الطلب فى عنفوان شبابه
مستبعدة له الوصلة فى حال مشيبه فجرى منه عليه الحيف بان ضيع اللبن فى الصيف ولكن يصلح للعبادة التى

آخرها الجنة ووقف بعض المشايخ على باب الجامع والخلق يخرجون منه فى ازدحام وغلبة وكان ينظر اليهم
ويقول هؤلاء حشو الجنة وللمجالسة اقوام آخرون كذا فى التأويلات النجمية وقال القاشانى وقت الحج ازمنة
وهو من وقت بلوغ الحلم الى الاربعين ثلاثة اعصر كل عصر بمثابة شهر عصر من سن النمو وعصر من سن الوقوف
وبعض من سن الكهولة كما قال تعالى فى وصف البقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك انتهى (قال الحافظ)
عشق وشباب ورندى مجموعهٔ مرادست * چون جمع شد معانى گوى بيان توان زد (ليس عليكم جناح)
اى اثم من الجنوح وهو الميل عن القصد (ان تبتغوا) اى فى ان تقصدوا وتطلبوا (فضلا من ربكم) اى عطاء
ورزقا منه يريد الربح بالتجارة فى ايام الحج فان الاية نزلت ردا على من يقول لا حج للتاجر والجمال لكن الحق
ان التجارة وان كانت مباحة فى الحج الا ان الاولى تركها فيه لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين والاخلاص ان لا يكون له حامل على الفعل سوى كونه طاعة وعبادة (فاذا افضتم من عرفات) الهمزة
فى افضتم للتعدية والمفعول محذوف اى دفعتم انفسكم منها بكثرة بعد غروب الشمس ورجعتم بعد الوقوف بها
وفى التيسير وحقيقة الافاضة هنا هو اجتماع الكثير فى الذهاب والمسير وعرفات علم للموقف وليس بجمع
حقيقة بل هو من قبيل ما زيدت حروفه لزيادة معناه فانه للمبالغة فى الانباء عن المعرفة روى انه نعته جبريل
لابراهيم عليهما السلام فلما ابصره عرفه فسمى ذلك الموضع عرفات اولان جبريل عليه السلام كان يدوربه
فى المشاعر اى مواضع المناسك ويقول عرفت فيقول عرفت فلما رآه قال عرفت اولان آدم عليه السلام
لما هبط الى الارض وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة
وتعارفا اولغير ذلك كما ذكر فى التفاسير وفيه دليل على وجوب الوقوف بعرفات لان الافاضة مأمور بها وهى
موقوفة على الحضور فيها والوقوف بها وما لم يتم الواجب الا به فهو واجب فيكون الوقوف واجبا (فاذكروا الله)
بالتلبية والتهليل والتسبيح والتحميد والثناء والدعوات (عند المشعر الحرام) قزح وهو الجبل الذى يقف عليه
الامام وعلى الميقدة وفى المغرب الميقدة هو موضع بالمشعر الحرام على قزح كان اهل الجاهلية يوقدون عليها النار
وتقييد محل الذكر والوقوف بقوله عند المشعر الحرام للتنبيه على ان الوقوف فيما يقرب من جبل قزح افضل
من الوقوف فى سائر مواضع ارض مزدلفة وذلك لا ينافى صحة الوقوف فى جميع مواضعها كما ان عرفات كلها
موضع الوقوف لكن الوقوف بقرب جبل الرحمة افضل واولى والمشعر المعلم اى للعبادة والشعائر العلامات
من الشعار وهو العلامة ووصفه بالحرام لحرمته فلا يفعل فيه ما نهى عنه (واذكروه كما هداكم) اى كما علمكم
كيف تذكرونه مثل كون الذكر ذكرا كثيرا وعلى وجه التضرع والخيفة والطمع ناشئا عن الرغبة والرهبة
ومشاهدة جلال المذكور وجماله كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فالمقصود من الكاف
مجرد التقييد لا التشبيه اى اذكروه على الوجه الذى هداكم اليه لا تعدلوا عما هديتم اليه كما تقول افعل كما علمتك
وليس هذا تكرارا لقوله فاذكروا الله عند المشعر الحرام لان الاول لبيان محل الذكر والوقوف وتعليم النسك
المناسب لذلك المحل واوجب بالثانى ان يكون ذكرنا اياه كهدايته ايانا اى موازيا لها فى الكم والكيف (وان)
هى المخففة واللام هى الفارقة (كنتم من قبله) اى من قبل ما ذكر من هدايته اياكم (لمن الضالين) غير العالمين
بالايمان والطاعة قال القاشانى ان الله تعالى هدى اولا الى الذكر باللسان فى مقام النفس ثم الى الذكر بالقلب
وهو ذكر الافعال اى تصور آلاء الله ونعمائه ثم ذكر السر وهو معاينة الافعال ومكاشفة علوم تجليات الصفات
ثم الى ذكر الروح وهو مشاهدة انوار تجليات الصفات مع ملاحظة نور الذات ثم ذكر الخفى وهو مشاهدة جمال
الذات مع بقاء الاثنينية ثم ذكر الذات وهو الشهود الذاتى بارتفاع البعد وان كنتم من قبل الهدى الى هذه
المقامات لمن الضالين عن طريق هذه الاذكار انتهى ولما امر بذكر الله تعالى اذا فعلت الافاضة امر بان تكون
الافاضة من حيث افاض الناس مرتبا الامر الثانى على الاول بكلمة ثم فقال (ثم افيضوا) اى ارجعوا (من
حيث افاض الناس) اى من عرفة لا من المزدلفة كانت قريش وحلفاؤها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون
نحن اهل الله وسكان حرمه فلا نخرج من الحرم ويستعظمون ان يقفوا مع الناس بعرفات لكونها من الحل
وسائر العرب كانوا يقفون بعرفات اتباعا لملة ابراهيم عليه السلام فاذا افاض الناس من عرفات افاض الحمس
من المزدلفة فانزل الله هذه الاية فامرهم ان يقفوا بعرفات وان يفيضوا منها كما يفعله سائر الناس والمراد بالناس

العرب كلهم غير الحمس والحمس فى الاصل جمع احمس وهو الرجل الشجاع والاحمس ايضا الشديد الصلب
فى الدين والقتال وسميت قريش وكنانة وجديلة وقيس حمسا لتشددهم فى دينهم وكانوا لا يستظلون ايام منى
ولا يدخلون البيوت من ابوابها وكذلك كان من حالفهم او تزوج منهم (واستغفروا الله) من جاهليتكم فى تغيير
المناسك ومخالفتكم فى الموقف (ان الله غفور رحيم) يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فامر النبى عليه السلام
ابا بكر رضى الله تعالى عنه ان يخرج بالناس جميعا الى عرفات فيقف بها روى ان الله تعالى يباهى ملائكته
باهل عرفات ويقول انظروا الى عبادى جاؤا من كل فج عميق شعثا غبرا اشهدوا انى غفرت لهم ويروى
ان الشيطان ما رؤى فى يوم هو اصغر واحقر واذل منه يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله
عن الذنوب العظام اذ يقال ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وفى الحديث اعظم الناس ذنبا
من وقف بعرفة فظن ان الله تعالى لا يغفر له والحجة الواحدة افضل من عشرين غزوة فى سبيل الله وقيل ان البعير
اذا حج عليه مرة بورك فى اربعين من امهاته واذا حج عليه سبع مرات كان حقا على الله ان يرعاه فى رياض الجنة
ومصداق ذلك ما قال النهرانى رحمه الله بلغنى ان وقادتنور حمام اتى بسلة عظام جمل ليوقدها قال فالقيتها
فى المستوقد فخرجت منه فالقيتها فعادت فخرجت فعدت فالقيتها الثالثة فعادت فخرجت بشدة حتى وقعت
فى صدرى واذا بصوت هاتف يقول ويحك هذه عظام جمل قد سعى الى مكة عشر مرات كيف تحرقها بالنار
واذا كانت هذه الرأفة والرحمة بمطية الحاج فكيف به ثم ان الفضل على ثلاثة اقسام بالنسبة الى احوال العبد
فان التنوع راجع الى تغير احوال العباد لا الى تغير صفة من صفات الحق تعالى فالاول منها ما يتعلق بالمعاش
الانسانى من المال والجاه ونوع يتعلق بالغذاء واللباس الضرورى وهذا الفضل مفسر بالرزق قال الله تعالى
وابتغوا من فضل الله والثانى منها ما يتعلق بالمصالح الاخروية للعبد من الفضل وهو نوعان ما يتعلق باعمال البدن
على وفق الشرع ومتابعة الشارع ومجانبة طريق الشيطان المنازع قال تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا
وما يتعلق باعمال القلب وتزكية النفس قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من احد ابدا
والقسم الثالث منها ما يتعلق بالله تعالى وهو نوعان ما يتعلق بمواهب القربة قال تعالى وبشر المؤمنين بان لهم
من الله فضلا كبيرا اى قربا كبيرا فانه اكبر من الدنيا والاخرة وما يتعلق بمواهب الوصلة قال تعالى ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم يعنى فضل مواهب الوصلة اعظم من الكل ولكل قسم من هذه
الاقسام الثلاثة مقام فى الابتغاء اما الذى يتعلق بالمصالح الاخروية وهو فضل الرحمة فمقام ابتغائه بترك الموجود
وبذل المجهود وهو فى السير الى عرفات واما الذى يتعلق بالله وهو فضل المواهب فمقام ابتغائه وهو عند
الوقوف بعرفات وعرفات اشارة الى المعرفة وهى معظم اركان الوصلة واما الذى يتعلق بالمصالح الدنيوية وهو
فضل الرزق فمقام ابتغائه بعد استكمال الوقوف بعرفات المعرفة عند الافاضة ففى الاية تقديم وتأخير اى اذا
افضتم من عرفات فليس عليكم الخ وذلك لان حال اهل السلوك فى البداية ترك الدنيا والتجريد عنها وفى الوسط
التوكل والتفريد وفى النهاية المعرفة والتوحيد فلا يسلم الشروع فى المصالح الدنيوية الا لاهل النهاية لقوتهم
فى المعرفة وعلو همتهم بان يطهر الله قلوبهم من رجز حب الدنيا الدنية ويملأها نورا بالالطاف الخفية فلا اعتبار
للدنيا وشهواتها ونعيم الاخرة ودرجاتها عند الهمم العالية فلا يتصرفون فى شئ منها وتصرفهم بالله وفى الله ولله
لا لحظوظ النفس بل لمصالح الدين واصابة الخير الى الغير كذا فى التأويلات النجمية (قال فى المثنوى)
كار با كان را قياس از خود مكير * كرچه ماند در نبشتن شير وشير * اللهم اجعل هممنا مقصورة على جنابك
آمين (فاذا قضيتم مناسككم) اى اتممتم عباداتكم التى امرتم بها فى الحج وفرغتم منها (فاذكروا الله
كذكركم آباءكم) يعنى فاتركوا عادة الجاهلية واتبعوا سنن الاسلام واشتغلوا بذكر رب الانام وكانت العرب
اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل ويذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم يريد كل واحد منهم
بذلك حصول الشهرة والترفع له بمآثر سلفه فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بان يجعلوا بدل ذكرهم آباءهم ذكر
الله تعالى وتمجيده والثناء عليه اذ الخير كله من عنده وآباؤهم عبيده ونالوا ما نالوا بافضاله (قال السعدى)
كر از حق نه توفيق خيرى رسد * كى از بنده خيرى بغيرى رسد (او اشد ذكرا) مجرور معطوف على الذكر
بجعله ذاكرا على المجاز اى اذكروه ذكرا كان مثل ذكركم المتعلق بآبائكم او كذكر هو اشد منه وابلغ ذكرا او تحقيقه

ان افعل انما يضاف الى ما بعده اذا كان من جنس ما قبله كقولك وجهك احسن وجه اى احسن الوجوه
فاذا نصب ما بعده كان غير الذى قبله كقولك زيد افره عبدا فالفراهة للعبد لا لزيد والمذكور قبل اشد هنا
هو الذكر والذكر لا يذكر حتى يقال اشد ذكرا انما قياسه ان يقال للذكر اشد ذكر بجر اضافة فوجه النصب
انه يجعل الذكر ذاكرا مجازا ويجوز نسبة الذكر الى الذكر بان يسمع انسان الذكر فيذكر فكان الذكر قد ذكر لحدوثه
بسببه (فمن الناس) اى من الذين يشهدون الحج (من يقول) فى ذكره مقتصرا على طلب الدنيا (ربنا آتنا
فى الدنيا) اى اعطنا ومنحتنا فى الدنيا خاصة من الجاه والغنى والنصرة على الاعداء وما هو من الحظوظ العاجلة
وهم المشركون لانهم لا يسألون فى حجهم الا الدنيا (وماله فى الاخرة من خلاق) اى نصيب وحظ لان همه
مقصور بالدنيا حيث سال فى اعز المواقف احقر المطالب واعرض عن سؤال النعيم الدائم والملك العظيم
(ومنهم) اى من الذين يشهدون الحج (من يقول) فى ذكره طالبا خير الدارين (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) هى
الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفى التيسير الحسنة جامعة لكل الخيرات فى الدارين (وفى الاخرة حسنة)
هى الثواب والرحمة قال الشيخ ابو القاسم الحكيم حسنة الدنيا عيش على سعادة وموت على شهادة وحسنة
الاخرة بعث من القبر على بشارة وجواز على الصراط على سلامة (وقنا) اى احفظنا (عذاب النار) بالعفو
والمغفرة وعن على كرم الله وجهه ان الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة وفى الاخرة الحوراء وعذاب النار المرأة
السوء (قال السعدى) چو مستور باشد زن خوب روى * بديدار او در بهشتست شوى * وتلخيصه
اكثروا ذكر الله وسلوه سعادتكم فى داريه وترك ذكر من قصر دعاءه على طلب الاخرة فقط لان طالب الاخرة
فقط بحيث لا يحتاج الى طلب حسنة من الدنيا لا يوجد فى الدنيا (اولئك) اشارة الى الفريق الثانى وهم الداعون
بالحسنتين لانه تعالى ذكر حكم الفريق الاول بقوله وماله فى الاخرة من خلاق (لهم نصيب مما كسبوا)
من للتبعيض اى لهم نصيب عظيم كائن من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذى هو المنافع
الحسنة او من اجل ما كسبوا لانهم استحقوا ذلك الثواب الحسن بسبب اعمالهم الحسنة ومن اجلها فيكون
من ابتدائية لان العلة مبدأ الحكم ثم اومى الى قدرته محذرا من الموت وحاثا على اعمال الخير بقوله (والله سريع
الحساب) والحساب يراد به نفس الجزاء على الاعمال فان الحساب سبب للاخذ والعطاء واطلاق اسم السبب
على المسبب جائز شائع اى يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم فى مقدار لمحة لعدم احتياجه الى عقد يد
او وعى صدر او نظر وفكر فاحذروا من الاخلال بطاعة من هذا شأن قدرته او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب
الناس وفى خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم يبق الا صبابة كصبابة الاناء فليبادر المؤمن الى الطاعات
واكتساب الحسنات والذكر فى كل الحالات قال الحسن البصرى اذكرونى بما يذكر الصغير اباه فانه اول ما يتكلم
يقول يا اب يا اب فعلى كل مسلم ان يقول يا رب يا رب وعن النبى عليه السلام اغبط اوليائى عندى مؤمن خفيف
الحاذ ذو حظ من الصلاة احسن عبادة ربه واطاعه فى السر وكان غامضا فى الناس لا يشار اليه بالاصابع
وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نقد بيده فقال هكذا عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يكثر ان يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار والاشارة فاذا قضيتم
مناسك وصلتكم وبلغتم مبلغ الرجال البالغين من اهل الكمال فلا تأمنوا مكر الله ولا تهملوا وظائف ذكر الله
فاذكروا الله كما تذكرون فى حال طفوليتكم آباءكم للحاجة والافتقار بالعجز والانكسار وفى حال رجوليتكم
للمحبة والافتخار بالمحبة والاستظهار فاذكروا الله افتقارا وافتخارا او اشد ذكرا واكد فى الافتخار لانه يمكن
للطفل الاستغناء عن الله بولى وكذلك البالغ يحتمل ان يفتخر بغير الله ولكن العباد ليس لهم من دون الله من ولى
ولا واق فمن الناس من اهل الطلب والسلوك من يقول بنحو بل النفس وغرورها بحسبان الوصول والكمال
عند النسيان وتغير الاحوال ربنا آتنا فى الدنيا حسنة يعنى تميل نفسه الى الدنيا وتنسى المقصد الاصلى ويظن
الطالب الممكور انه قد استغنى عن الاجتهاد فاهمل وظائف الذكر ورياضة النفس ومخاطرة القلب ومراقبة
السر فاستولت عليه النفس وغلب عليه الهوى واستهوته الشياطين فى الارض حيران حتى اوقعته فى اودية
الهجران والفراق وماله فى الاخرة من خلاق ومنهم اى من اهل الوصول وارباب الفتوة من يقول ربنا آتنا
فى الدنيا حسنة نعمة من النعم الظاهرة كالعافية والصحة والسعة والفراغة والطاعة واستطاعة البدن

والوجاهة والارشاد والاخلاق وفى الاخرة حسنة نعمة من النعم الباطنة هى الكشوف والمشاهدات وانواع القربات والمواصلات وقنا عذاب النار اى نار القطيعة وحرقة الفراق اولئك لهم نصيب اى لهؤلاء البالغين الواصلين نصيب وافر مما كسبوا من المقامات والكرامات ومما سألوا من ايتاء الحسنات والله سريع الحساب لكلا الفريقين فيما سألوه اى يعطيهم بحسب نياتهم على قدر هممهم وطوياتهم كذا فى التأويلات النجمية (واذكروا الله) اى كبروه اعقاب الصلوات وعند ذبح القرابين ورمى الجمار وغيرها (فى ايام معدودات) فى ايام التشريق هى ثلاثة ايام بعد يوم النحر اولها يوم القر وهو الحادى عشر من ذى الحجة يستقر الناس فيه بمنى والثانى يوم النفر الاول لان بعض الناس ينفرون فى هذا اليوم من منى والثالث يوم النفر الثانى وهذه الايام الثلاثة مع يوم النحر ايام رمى الجمار وايام التكبير ادبار الصلوات وفى الحديث كبر دبر كل صلاة من يوم عرفة الى آخر ايام التشريق وسميت معدودات لقلتهن كقوله تعالى دراهم معدودة اى قليلة والايام المعلومات فى قوله تعالى ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات فى سورة الحج عشر ذى الحجة آخرهن يوم النحر وفى الكواشى معدودات جمع معدودة وايام جمع يوم ولا ينعت المذكر بمؤنث فلا يقال يوم معدودة وقياسه فى ايام معدودة لان الجمع قد ينعت بالمؤنث كقوله تعالى لن تمسنا النار الا اياما معدودة قالوا او وجهه انه اجرى معدودات على لفظ ايام وقابل الجمع بالجمع مجازا انتهى (فمن تعجل) اى استعجل وطلب الخروج من منى (فى يومين) فى تمام يومين بعد يوم النحر واكتفى برمى الجمار فى يومين من هذه الايام الثلاثة فلم يمكث حتى يرمى فى اليوم الثالث (فلا اثم عليه) بهذا التعجيل وهو مرخص له فعند ابى حنيفة رحمه الله ينفر قبل طلوع الفجر من اليوم الثالث ومحصله ان على الحاج ان يبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من ايام التشريق ويرمى كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة عند كل جمرة سبع حصيات ورخص فى ترك البيتوتة لرعاء الابل واهل سقاية الحاج ثم كل من رمى اليوم الثانى من ايام التشريق واراد ان ينفر فيدع البيتوتة الليلة الاولى والثانية من ايام التشريق ويرمى كل يومها فذلك له واسع لقوله تعالى فمن تعجل فلا اثم عليه ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه ان يبيت حتى يرمى اليوم الثالث ثم ينفر (ومن تأخر) عن الخروج حتى رمى فى اليوم الثالث قبل الزوال او بعده ثم يخرج اذا فرغ من رمى الجمار كما يفعل الناس الآن وهو مذهب الشافعى والامامين (فلا اثم عليه) بترك الترخص والمعنى انهم مخيرون بين التعجيل والتأخير فان قلت أليس التأخير بافضل قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وانما اورد بنفى الاثم تصريحا بالرد على اهل الجاهلية حيث كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفى المأثم عنهما جميعا (لمن اتقى) خبر مبتدأ محذوف اى الذى ذكر من التخيير ونفى الاثم عن المتعجل والمتأخر لمن اتقى اى مختص بمن اتقى المناهى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به لانه تعالى قال انما يتقبل الله من المتقين ومن كان ملوثا بالمعاصى قبل حجه وحين اشتغاله به لا ينفعه حجه وان كان قد ادى الفرائض ظاهرا (واتقوا الله) اى حال الاشتغال باعمال الحج وبعده ليعتد باعمالكم فان المعاصى تأكل الحسنات عند الموازنة (واعلموا انكم اليه تحشرون) اى تبعثون وتجمعون للجزاء على اعمالكم وهو تأكيد للامر بالتقوى وموجب للامتثال به فان علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك من اقوى الدواعى الى ملازمة التقوى وكانوا اذا رجعوا من حجهم يجترئون على الله بالمعاصى فشدد فى تحذيرهم قال ابو العالية يجئ الحاج يوم القيامة ولا اثم عليه اذا اتقى فيما بقى من عمره فلم يرتكب ذنبا بعدما غفر له فى الحج والمذنب المصر اذا حج فلا يقبل منه لعوده الى ما كان عليه فعلامة الحج المبرور ان يرجع زاهدا فى الدنيا راغبا فى الاخرة فاذا رجع من الحج المبرور رجع وذنبه مغفور ودعاؤه مستجاب فلذلك يستحب تلقيه بالسلام وطلب الاستغفار منه والحج المبرور مثل حج ابراهيم بن ادهم مع رفيقه الصالح الذى صحبه من بلخ فرجع من حجه زاهدا فى الدنيا راغبا فى الاخرة وخرج عن ملكه وماله واهله وعشيرته وبلاده واختار بلاد الغربة وقنع بالاكل من عمل يده اما من الحصاد او من نظارة البساتين قال بعضهم الحر الكريم لا ينقض العهد القديم واذا دعتك نفسك الى نقض عهد مولاك فقل لها معاذ الله انه ربى احسن مثواى (وفى المثنوى) نقض ميثاق وشكست توبها * موجب لعنت شود در انتها * چون ترازوى تو كژ بود ودغا * راست چون جويى ترازوى جزا * وعن بعضهم قدمت من الحج مع قوم فدعتنى نفسى

الى امر سوء فسمعت هاتفا ناحية البيت يقول ويلك الم تحج ويلك الم تحج فعصمنى الله الى الساعة ولاشك ان بعض الاعمال يكون حجابا للمرء اذا استند اليه واعتمد عليه (حكى) ان بعض الاتراك كان يلازم مجلس شيخ الاسلام احمد النامقى الجامى قدس سره ويرى فوق قفاه نورا كالترس فاتفق له ان يحج فلما رجع زالت عنه تلك الحال فسأل الشيخ عن سببه فقال انك كنت قبل الحج صاحب تضرع ومسكنة والان غرك حجك واعطيت لنفسك قدرا ومنزلة فلذا نزلت عن رتبتك ولم تر النور ومما يجب على الحاج اتقاؤه المحارم وان لا يجعل نفقته من كسب حرام فان الله لا يقبل الا الطيب وحكى عن بعض من حج انه توفى فى الطريق فى رجوعه فدفنه اصحابه ونسوا الفأس فى قبره فنبشوه ليأخذوا الفأس فاذا عنقه ويداه قد جمعتا فى حلقة الفأس فردوا عليه التراب ثم رجعوا الى اهله فسألوهم عن حاله فقالوا صحب رجلا فاخذ ماله فكان يحج منه وفى الحديث من حج بيت الله من كسب الحلال لم يخط خطوة الا كتب الله له بها سبعين حسنة وحط عنه سبعين خطيئة ورفع له سبعين درجة ذكره فى الخالصة واذا اراد ان يحج بمال حلال ليس فيه شبهة فانه يستدين للحج ويقضى دينه من ماله وعن ابى القاسم الحكيم انه كان يأخذ جائزة السلطان فكان يستقرض لجميع حوائجه وما يأخذه من السلطان كان يقضى به ديونه وعن ابى يوسف قال هذا جواب ابيح فى مثل هذا كذا فى خزانة الفتاوى (ومن الناس من يعجبك قوله) اى تستحسن ظاهر قوله وتعده حسنا مقبولا فان الاعجاب استحسان الشئ والميل اليه والتعظيم له قال الراغب التعجب حيرة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشئ وحقيقة اعجبنى كذا ظهر لى ظهورا لم اعرف سببه (فى الحياة الدنيا) متعلق بالقول اى يسرك ما يقوله فى معنى الدنيا وحقها لان دعواه محبتك انما هو لطلب حظ من الدنيا فكلامه اذا فى الدنيا لا فى الاخرة او يعجبك قوله فى الدنيا بحلاوته وفصاحته لا فى الاخرة لما انه يظهر هنالك كذبه وقبحه (ويشهد الله على ما فى قلبه) اى يقول الله شاهد ان ما فى قلبى من المحبة والاسلام موافق لما فى لسانى (وهو الد الخصام) اى اشد فى العداوة والخصومة للمسلمين على ان الخصام مصدر كالقتال والجدال واضافة الالد اليه بمعنى فى والالد شديد الخصومة نزلت فى اخنس بن شريف الثقفى وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويدعى الاسلام ودعوى المحبة والخلوص بدون المواطأة من فعل الملاحدة والزنادقة والمحب لا يفعل الا ما يحب محبوبه (قال الشاعر)

تعصى الاله وانت تظهر حبه * هذا لعمرى فى الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن احب مطيع

(قال الحافظ) بصدق كوش كه خورشيد زايد از نفست * كه از دروغ سيه روى كشت صبح نخست * (واذا تولى) اى ادبر وانصرف عن مجلسك او اذا غلب وصار واليا (سعى فى الارض) السعى سير سريع بالاقدام وقد يستعار للجد فى العمل والكسب وانما جيء بقوله فى الارض مع ان السعى على كلا المعنيين لا يكون الا فى الارض للدلالة على كثرة فساده فان لفظ الارض عام يتناول جميع اجزائها وعموم الظرف يستلزم عموم المظروف فكأنه قيل اى مكان حل فيه من الارض افسد فيه فيلزم كثرة فساده (ليفسد فيها) علة للسعى (ويهلك) الاهلاك الاضاعة (الحرث) اى الزرع (والنسل) ما خرج من كل انثى من اجناس الحيوان يقال نسل ينسل اذا خرج منفصلا والحرث والنسل وان كانا فى الاصل مصدرين فالمراد بهما ههنا معنى المفعول فان الولد نسل ابويه اى مخرج منفصل منهما وذلك كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم اى اتاهم ليلا واهلك مواشيهم وزرعهم لانه كان بينه وبينهم عداوة او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل وفى الحديث لما خلق الله تعالى اسباب المعيشة جعل البركة فى الحرث والنسل فاهلاكهما غاية الافساد وفى الحديث يجاء بالوالى يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل الا زال عن مكانه فان كان مطيعا لله فى عمله مضى وان كان عاصيا انخرق به الجسر فيهوى به فى جهنم مقدار خمسين عاما (والله لا يحب الفساد) اى لا يرتضيه ويبغضه ويغضب على من يتعاطاه فان قيل كيف حكم الله تعالى بانه لا يحب الفساد وهو بنفسه مفسد للاشياء قيل الافساد فى الحقيقة اخراج الشئ من حالة محمودة لا لغرض صحيح وذلك غير موجود فى فعل الله تعالى ولا هو آمر به ولا محب له وما نراه من فعله ونظنه بظاهره فسادا فهو بالاضافة الينا واعتبارنا له كذلك فاما بالنظر الالهى فكله صلاح (واذا قيل له) اى لهذا

المنافق والمفسد على نهج العظة والنصيحة (اتق الله) خف من الله فى صنعك السوء واترك ما تباشره من الفساد
والنفاق (اخذته العزة بالاثم) اى حملته الانفة التى فيه وحميته الجاهلية على الاثم والذنب الذى نهى عنه
او على رد قول الواعظ لجاجا وعنادا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فالباء للتعدية وصلة الفعل
الذى قبلها (فحسبه جهنم) مبتدأ وخبر اى كافيه دخول النار والخلود فيها على ما عمله وهو وعيد شديد
(ولبئس المهاد) اى والله لبئس الفراش جهنم قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه من اكبر الذنب عند الله
ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك نفسك وقيل لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اتق الله فوضع خده
على الارض تواضعا لله تعالى ثم انه تعالى لما وصف فى الاية المتقدمة حال من يبذل دينه لطلب الدنيا ذكر فى هذه
الاية من يبذل دنياه ونفسه لطلب الدين وما عند الله يوم الدين فقال (ومن الناس من يشرى نفسه) اى يبيعها
ويبذلها فان المكلف لما بذل نفسه فى طاعة الله من الصوم والصلاة والحج والجهاد والزكاة وتوصل بذلك
الى وجدان ثواب الله صار المكلف كانه باع نفسه من الله تعالى بما نال من ثوابه وصار تعالى كانه اشترى منه
نفسه بمقابلة ما اعطاه من ثوابه وفضله (ابتغاء مرضاة الله) اى طلبا لرضاه (والله رؤف بالعباد) ولذلك يكلفهم
التقوى ويعرضهم للثواب ومن جملة رأفته بعباده ان ما اشتراه منهم من انفسهم واموالهم انما هو خالص ملكه
وحقه ثم انه تعالى يشترى منهم ملكه الخالص المحصور بالابعد ولا يحصى من فضله ورحمته رحمة واحسانا وفضلا
واكراما وقيل نزلت فى صهيب بن سنان الرومى خرج من مكة يريد الهجرة الى النبى عليه السلام بالمدينة
وهو ابن مائة سنة اتبعه نفر من مشركى قريش وقتلوا نفرا كانوا معه وكان معه كنانة فيها سهامه وكان راميا
مصيبا فقال يا معشر قريش لقد علمتم انى من ارماكم رجلا والله لا اضع سهمى الا فى قلب رجل وايم الله
لا تصلون الى حتى ارمى بكل سهم فى كنانتى ثم اضرب بسيفى ما بقى فى يدى ثم افعلوا ما شئتم وان ينفعكم كونى
فيكم فانى شيخ كبير ولى مال فى دارى بمكة فارجعوا وخذوه وخلونى وما انا عليه من الاسلام ففعلوا وسار هو
الى المدينة فلما دخلها لقيه ابو بكر فقال له ربح البيع يا صهيب فقال وما ذاك يا ابا بكر فاخبره بما نزل فيه ففرح
بذلك صهيب فيشرى حينئذ بمعنى يشترى لجريان الحال على صورة الشراء لانه اشترى نفسه من المشركين
ببذل ماله لهم واعلم ان المؤمنين باعوا باختيارهم انفسهم فكان ثمن نفس المؤمن الجنة اما الاولياء فانهم باعوا
باختيارهم انفسهم فكان ثمن نفس الاولياء مرضاة الله تعالى وبينهما فروق كثيرة فعلى السالك ان يخرج
عن اوطان البشرية ويقترب من ديار الاقران حتى يكون مجاهدا حقيقيا وشهيدا معنويا قال عليه السلام
طوبى للغرباء وقال ايضا من مات غريبا فقد مات شهيدا يشير بذلك الى الانقطاع من الخلق الى الخالق وذلك
لا يكون الا بمخالفة الجمهور فى العادات والشهوات وفى الحديث يا انس ان استطعت ان تكون ابدا على وضوء
فافعل فان ملك الموت اذا قبض روح العبد وهو على وضوء كتب له شهادة وذلك لان الوضوء اشارة الى الانفصال
عما سوى الله تعالى كما ان الصلاة اشارة الى الاتصال بالله تعالى وفى الحديث ايضا دم على الطهارة يوسع عليك
الرزق فالطهارة الصورية سبب لتوسيع الرزق الصورى وكذا طهارة الباطن سبب لتوسيع الرزق المعنوى
من المعارف والالهامات والواردات وعند ذلك يحيى القلب بالحياة الطيبة وتموت النفس عن صفاتها وليس
ذلك الا اثر الجهاد الحقيقى فمن تخلص عن قيد النفس ومات بالاختيار فهو حى ابدا (وفى المثنوى) اى بس انفس
شهيد معتمد ❋ مرده دردنيا وزنده مى رود ❋ ولا بد للعبد من العروج من الخلق الى الخالق ومن الحاجة
التامة لنفسه الى الغنى التام بالحق فى تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات فاذا فر الى الله ووصل الى جماله
وغرق فى مشاهدة جلاله شاهد سر قوله تعالى قل الله ثم ذرهم واول الامر ترك الاموال ثم ترك الاولاد
ثم ترك النفس فعند الاول يتجلى توحيد الافعال وعند الثانى يتجلى توحيد الصفات وعند الثالث يتجلى توحيد
الذات وهو اعلى الدرجات فعلى العاقل اكثار ذكر الله فانه سبب لتصفية الباطن وصقالة القلب قال تعالى
واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ولا فلاح اعظم من ان يصل الطالب الى المطلوب اللهم اجعلنا مفلحين
(يا ايها الذين آمنوا) بالسنتهم على ان الخطاب للمنافقين (ادخلوا فى السلم كافة) اى استسلموا الله تعالى واطيعوه
جملة ظاهرا وباطنا فالسلم بمعنى الاستسلام والطاعة وكافة حال من ضمير الفاعل فى ادخلوا وهذه حال تؤكد
معنى العموم فى ضمير الجمع فان قولك قام القوم كافة بمنزلة قاموا كلهم وتاء كافة وقاطبة وعامة ليست للتانيث

وان كان

وان كان اصلها ان تدل عليه بل انما دخلت لمجرد كون الكلمة منقولة الى معنى كل وجميع والمعنى ادخلوا
فى الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره فالخطاب لمؤمنى اهل الكتاب فانهم كانوا يراعون بعض احكام دينهم
القديم كما روى ان عبد الله بن سلام واصحابه كانوا يتمسكون ببعض شرائع التوراة من تعظيم السبت وتحريم
لحم الابل والبانها واشياء كانوا يرون الكف عن ذلك مباحا فى الاسلام وان كان واجبا فى شريعتهم فثبتوا على
ذلك مع اعتقادهم حلها استيحاشا من مفارقة العادة وقالوا يا رسول الله ان التوراة كتاب الله فدعنا فلنقرأ منها
فى صلاتنا بالليل فقال الله تعالى لا تتمسكوا بشئ مما نسخ ودعوا ما الفتموه ولا تستوحشوا من النزوع عنه
فانه لا وحشة مع الحق وانما هو من تزيين الشيطان (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) جمع خطوة بالضم
والسكون وهو ما بين القدمين اى لا تسلكوا مسالكه ولا تطيعوه فيما دعاكم اليه من السبل الزائغة والوساوس
الباطلة (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة يريد ان يفسد عليكم بهذه الوساوس اسلامكم (فان زللتم) الزلل
فى الاصل عثرة القدم ثم يستعمل فى العدول عن الاعتقاد الحق والعمل الصائب فالمعنى اخطأتم الحق
وتعديتموه علما كان او عملا (من بعد ما جاءتكم البينات) اى الحجج والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول فيه
هو الحق (فاعلموا ان الله عزيز) غالب على امره لا يعجزه الانتقام منكم (حكيم) لا ينتقم الا بالحق وفى الاية تهديد
بليغ لاهل الزلل عن الدخول فى السلم فان الوالد اذا قال لولده ان عصيتنى فانت عارف بى وبشدة سطوتى لاهل
المخالفة يكون قوله هذا ابلغ فى الزجر من ذكر الضرب وغيره وكما انها مشتملة على الوعيد منبئة عن الوعد ايضا
من حيث انه تعالى اتبعه بقوله حكيم فان اللائق بالحكمة ان يميز بين المحسن والمسئ فكما يحسن ان ينتظر
من الحكيم تعذيب المسئ فكذلك ينتظر منه اكرام المحسن واثابته بل هذا اليق بالحكمة واقرب الى الرحمة
(هل ينظرون) استفهام فى معنى النفى ونظر بمعنى انتظر اى ينتظر من يترك الدخول فى السلم ويتبع خطوات
الشيطان (الا ان يأتيهم الله) اى الا اتيان الله اى عذابه على حذف المضاف لان الله تعالى منزه عن المجئ
والذهاب المستلزمين للحركة والسكون لان كل ذلك محدث فيكون كل ما يصح عليه المجئ والذهاب محدثا
مخلوقا والاله القديم يستحيل ان يكون كذلك وسئل على رضى الله عنه اين كان تعالى قبل خلق السموات
والارض قال اين سؤال عن المكان وكان الله تعالى ولا مكان وهو اليوم على ما كان ومذهب المتقدمين فى هذه
الاية وما شاكلها ان يؤمن الانسان بظاهرها ويكل علمها الى الله لانه لا يؤمن فى تعيين مراد الله تعالى
عن الخطأ فالاولى السكوت ومذهب جمهور المتكلمين انه لا بد من التأويل على سبيل التفصيل (فى ظلل)
كائنة (من الغمام) والظلل جمع ظلة وهى ما اظلك والغمام السحاب الابيض الرقيق سمى غماما لانه يغم اى يستر
ولا يكون السحاب ظلة الا اذا كان مجتمعا متراكما فالظلل من الغمام عبارة عن قطع متفرقة كل قطعة تكون
فى غاية الكثافة والعظم وكل قطعة ظلة (والملائكة) اى ويأتيهم الملائكة فانهم وسائط فى اتيان امره تعالى
بل هم الآتون بأسه على الحقيقة وتلخيصه قد قامت الحجج فلم يبق الا نزول العذاب فان قلت لم يأتيهم العذاب
فى الغمام كما فعل بقوم يونس وقوم عاد وقوم شعيب قلت لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب
كان الامر افظع واهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب
كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها
من حيث يتوقع الخير اى الغيث ومن ثمة اشتد على المتفكرين فى كتاب الله تعالى قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون فان تفسيره على ما قالوا عملوا اعمالا حسبوها حسنات فاذا هى سيئات وذلك انحو يزهم ان يكون
عملهم كذلك فيجيئهم الشر من حيث يتوقعون الخير فخافوا من ذلك روى ان محمد بن واسع تلا هذه الاية
فقال آه آه الى ان فارق الدنيا (وقضى الامر) اى اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على يأتيهم داخل
فى حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضى دلالة على الحقيقة فكانه قد كان (والى الله) لا الى غيره (ترجع
الامور) اى امور الخلق واعمالهم هو القاضى بينهم يوم القيامة والمثيب والمعاقب فينبغى للمؤمن ان يكون
فى جانب الانقياد ويحترز عن الهوى وخطوات الشيطان وعن النبى عليه السلام انه قال ان الله تعالى
اظهر الشكاية من امتى وقال انى طردت الشيطان لاجلهم فهم يعصوننى ويطيعون الشيطان (قال السعدى
بجا سر برا ديم ازين عار ونك ❋ كه با او بصلحيم وبا حق بجنك ❋ نظر دوست نادر كند سوى تو ❋

جو دررو دشمن بود دروی تو * ندانی که کمتر نهد دوست پای * چو بیند که دشمن بود در سرای * فمن اعظم الطاعات طرد الشيطان وان يتهم النفس دائما كما روى ان رجلا صام اربعين سنة ثم دعا لحاجة ومع ذلك لم تجب دعوته وذم نفسه وقال يا مأوى الشر ذلك من شرك فاوحى الى نبى ذلك الزمان قل له ان قتلك لنفسك احب الى من صيام اربعين سنة (قال السعدى) خورنده كه خيرى برايد زدست * به از صائم الدهر دنيا پرست * واعلم ان فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم معنى عاما ومعنى خاصا فالعام خطاب عام مع جميع من آمن اى ادخلوا فى شرائط الاسلام فى الباطن كما فى الظاهر ومن شرائطه ما قال النبى عليه السلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من امنه الناس واما المعنى الخاص فخطاب خاص مع شخص الانسان وجميع اجزائه الظاهرة والباطنة فينبغى ان يدخل اركانه فى الاسلام بالفعل فالعين بالنظر والاذن بالسمع والفم بالاكل والفرج بالشهوة واليد بالبطش والرجل بالمشى ودخول واحد منها فى الاسلام بان يستسلم لاوامر الحق ويجتنب من نواهيها بل يترك ما لا يعنيه اصلا ويقع على ما لا بد له منه ودخول جميع اجزائه الظاهرة فى شرائع الاسلام ميسر للمنافق فاما ادخال اجزائه الباطنة فمعركة ابطال الدين ومنزلة الرجال البالغين فدخول النفس فى الاسلام بخروجها عن كفر صفاتها الذميمة وترك مألوفاتها واطمئنانها بالعبودية ليستحق بها دخول مقام العباد المخصوصين به بخطابه تعالى اياها كقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة الاية ودخول القلب فى الاسلام بتصفيته عن رذائل اخلاق النفس وتحليته بشمائل اخلاق الروح ودخول الروح فى الاسلام بتخلقه باخلاق الله وتسليم الاحكام الازلية وقطع النظر والتعلق عما سوى الله بتصرف جذبات الالوهية ودخول السر فى الاسلام بفنائه فى الله وبقائه بالله ولا تتبعوا خطوات الشيطان اى لا تكونوا على سيرته وصفته وهى الاباء والاستكبار فانه ضد الاسلام انه لكم عدو مبين لعداوته الغريزية لكم لاختلاف جبلته وجبلتكم وقصوره عن نور فطرتكم لكونه نارى الخلقة لا يطلب منكم الا ان تكونوا ناريين مثله لا نوريين فهو عدو فى الحقيقة فى صورة المحب فان زللتم اى زلت اقدامكم عن صراط الاسلام الحقيقى من بعد ما جاءتكم البينات دلائل تجليات افعال الصفات فاعلموا ان الله عزيز فلعزته لا يهدى اليه كل ذليل دنى الهمة قصير النظر حكيم يهدى من يشاء الى سرادقات عزته هل ينظرون الا ان يتجلى الله فى ظلل صفات قهرية من جملة تجليات الصفات الساترة لشمس الذات وهو ملائكة القوى السماوية وقضى فى اللوح امر اهلاكهم والى الله ترجع الامور بالفناء كذا فى التأويلات النجمية (سل) امر للرسول عليه السلام بالسؤال او لكل احد يصلح ان يخاطب (بنى اسرائيل) يعنى هؤلاء الموجودين فى عصرك من رؤساء بنى اسرائيل (كم آتيناهم) اى آتينا اباءهم واسلافهم (من آية بينة) اى معجزة ظاهرة على ايدى انبيائهم لا يخفى على المتفكر انها من عند الله كالعصا واليد البيضاء وانزال المن والسلوى وغيرها او المراد آيات كتبهم الشاهدة على صحة دين الاسلام قوله كم آتيناهم محل هذه الجملة النصب او الخفض على انها مفعول ثان للسؤال فانه يتعدى الى مفعولين الى الاول بنفسه والى الثانى بحرف الجر اما عن واما الباء نحو سألته عن كذا وبكذا قال الله تعالى فاسأل به خبيرا وقد يحذف حرف الجر فمن ثمة جاز فى محل كم النصب والخفض بحسب التقديرين وتمييز كم من آية بينة والاحسن اذا فصل بين كم ومميزها ان يؤتى بمن وهذا السؤال سؤال تقريع وتبكيت كما يسأل الكفرة يوم القيامة وتقرير لمجىء البينات فكم استفهامية خبرية وليس المراد حقيقة الاستفهام (ومن يبدل) التبديل تصيير الشئ على غير ما كان عليه اى يغير (نعمة الله) التى هى آياته الباهرة فانها سبب للهدى الذى هو اجل النعم وتبديلهم اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم فكفروا بها وتركوا الشكر عليها (من بعد ما جاءته) اى من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها والتصريح بذلك مع ان التبديل لا يتصور قبل المجىء للاشعار بانهم قد بدلوها بعد ما وقفوا على تفاصيلها (فان الله شديد العقاب) تعليل للجواب كانه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه اشد عقوبة فانه شديد العقوبة لمن بدل النعمة فى الدنيا والاخرة وقد عاقبهم فى الدنيا بالقتل وذلك فى بنى قريظة وبالاجلاء وذلك فى بنى النضير ويوم القيامة يعذبون فى السعير قال ابن التمجيد وتبديل النعمة جرم بغير علم ومع العلم اشد جرما ولذلك كان وعيد العلماء المقصرين اشد من الجاهلين بالاحكام لان الجهل قد يعذر به وان كان الاعتذار به غير مقبول فى باب التكاليف (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) اى حسنت فى اعينهم

واشربت

واشربت محبتها فى قلوبهم حتى تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها والتزيين من حيث الخلق والايجاد مستند الى الله تعالى اذ ما من شئ الا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما فى الدنيا من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض (ويسخرون من الذين آمنوا) اى يستهزئون بالفقراء من المؤمنين كعبد الله بن مسعود وعمار وصهيب وحبيب وبلال وغيرهم رضى الله تعالى عنهم ويسترذلونهم ويقولون تركوا لذات الدنيا وعذبوا انفسهم بالعبادات وفوتوا الراحات وكراماتها وهو عطف على زين ومن للابتداء فكانهم جعلوا السخرية مبتدأة منهم (والذين اتقوا) يعنى اطاعوا الله واختاروا الفقر من المؤمنين وانما ذكروا بعنوان التقوى للايذان بان اعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها مخلة بتبتلهم الى جناب القدس شاغلة لهم وللاشارة الى انه لا يسعد عنده الا المؤمن المتقى (فوقهم يوم القيامة) يعنى فوق المشركين لانهم فى اعلى عليين وهم فى اسفل سافلين فتكون الفوقية حقيقة او لانهم فى اوج الكرامة وهم فى حضيض الذل والمهانة فتكون الفوقية مجازا ويوم منصوب بالاستقرار الذى تعلق به فوقهم (والله يرزق من يشاء) اى فى الدارين (بغير حساب) كثير بلا هنداز لانه تعالى لا يخاف نفاد ما عنده لانه غنى لا نهاية لمقدوراته فالله تعالى يوسع بحسب الحكمة والمشيئة على عباده فمنهم من تكون التوسعة عليه استدراجا كهؤلاء الكفرة وقارون واضرابهم ومنهم من تكون كرامة كاغنياء المؤمنين وسليمان وامثالهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفت على باب الجنة فرأيت اكثر اهلها المساكين ووقفت على باب النار فرأيت اكثر اهلها النساء واذا اهل الجد محبوسون الا من كان منهم من اهل النار فقد امر به الى النار (قال الحافظ) ازين رباط دو در چون ضرورتست رحيل * رواق وطاق معيشت چه سر بلند وچه پست * بهشت ونيست هر نجان ضمير وخوش دلباش * كه نيستيست سرانجام هر كمال كه هست * بيال وپر مرو از ره كه تير پرتابى * هوا كرفت زمانى ولى بخاك نشست (يحكى) ان عيسى عليه السلام سافر ومعه يهودى فكان مع عيسى ثلاثة اقراص فاعطاها اليهودى وقال احفظها ثم بعد ساعة اكل اليهودى واحدا منها فقال عيسى اعط الاقراص الثلاثة فقدم قرصين فقال اين ثالثها فقال اليهودى لم تكن اكثر من هذا فمشيا حتى شاهد من عيسى عجائب فاقسم عليه عيسى لذلك حتى يقر بالقرص الثالث فلم يقر فلحقا بثلاث لبنات من الذهب فقال اليهودى اقسم ذلك فقال عيسى واحدة لى وواحدة لك وواحدة لمن اكل القرص الثالث فقال اليهودى انا اكلت القرص الثالث فقال عيسى ابعد عنى فقد شاهدت قدرة الله ولم تقر به والآن قد اقررت بالدنيا فترك اللبنات عند اليهودى ومشى وجاء ثلاثة من اللصوص وقتلوا اليهودى واخذوا اللبنات ثم بعثوا من جملتهم واحدا ليأتى لهم بطعام فلما غاب عنهما تشاورا فى قتله وقالا اذا رجع قتلناه واخذنا نصيبه فذهب واشترى سما فطرحه فى الطعام الذى اشتراه حتى يأكل ذلك الطعام صاحباه فيموتا ويأخذ اللبنات فلما قدم عليهما قاما وقتلاه ثم اكلا الطعام فماتا فعبر عليهم عيسى فوجد اليهودى وهؤلاء الثلاثة مقتولين فتعجب من ذلك فنزل جبريل واخبره بالقصة فينبغى للعاقل ان لا يغتر بكثرة الدنيا وان لا يهتم فى جمعها بل يزرع فيها بذر العمل كى يحصد فى الاخرة لان الدنيا مزرعة الاخرة ولا ينبغى للاغنياء ان يحقروا الفقراء بالغرور بكثرة دنياهم ولا يسخروا منهم لان هذه الصفة من صفات الكفرة (قال السعدى) چو منعم كند سفله را روزكار * نهد بر دل تنك درويش بار * چو بام بلندش بود خود پرست * كند بول وخاشاك بر بام پست * والاشارة فى الاية ان الله اذا فتح باب الملكوت على قلب عبد من خواصه يريه آياته فى الملك والملكوت فان تغير باحواله واعجب بكماله فيقبل على شئ من مرادات النفس ويبدل نعمته بموافقة النفس ورضاها فان الله شديد العقاب بان يغير عليه احواله ويسلب عنه كماله ويشهده قوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ومن شدة عقابه انه اذا اذنب عبد ذنبا صغيرا ولم يتب منه واصر عليه ان يعاقبه بالابتداء بكبيرة مثل تبدل النعمة ليعاقبه بزوال النعمة فى الدنيا ودوام النقمة فى العقبى وايضا من شدة عقابه ان يزين للذين كفروا الحياة ويمكر بهم حتى يغلب عليهم حب الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا من فقرائهم وكبرائهم حملهم شدة العقوبة على الوقيعة فى اوليائه واستحقارا احبائه وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء من درجات اعلى عليين ودركات اسفل سافلين بغير حساب بغير نهاية الى ابد الاباد فان ما لا نهاية له لا مدخل له تحت الحساب وفيه معنى آخر بغير حساب يعنى ما يرزق العبد فى الدنيا من الدنيا فلحرامها عذاب ولحلالها

حساب وما يرزق العبد فى الآخرة من النعيم المقيم فبغير حساب كذا فى التأويلات النجمية (كان الناس امة واحدة) اى جماعة واحدة متفقين فى الايمان واتباع الحق من وقت آدم الى مبعث نوح عليهما السلام وكان بينهما عشرة قرون كل قرن ثمانون سنة كما عند الاكثر (فبعث الله النبيين) اى فاختلفوا فبعث الخ بدلالة قوله تعالى ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه (مبشرين) بالثواب لمن آمن واطاع (ومنذرين) محذرين بالعقاب لمن كفر وعصا (وانزل معهم الكتاب) اى كتاب او مع كل واحد منهم ممن له كتاب كتابه الخاص لا مع كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافى خصوص الضمير العائد اليه بمعونة المقام (بالحق) اى حال كون ذلك الكتاب ملتبسا بالحق والعدل والصدق شاهدا به (ليحكم) اى الله تعالى (بين الناس فيما اختلفوا فيه) اى فى الحق الذى اختلفوا فيه بعد الاتفاق (وما اختلف فيه) اى فى الحق (الا الذين اوتوه) اى الكتاب المنزل لازالة الاختلاف والتعبير عن الانزال بالايتاء للتنبيه من اول الامر على كمال تمكنهم من الوقوف على ما فى تضاعيفه من الحق فان الانزال لا يفيد تلك الفائدة اى عكسوا الامر حيث جعلوا ما انزل لازالة الاختلاف سببا لاستحكامه ورسوخه من (بعد ما جاءتهم البينات) اى رسخت فى عقولهم ومن متعلق بما اختلف ولم تمنع الا من ذلك كقولك ما قام الا زيد يوم الجمعة (بغيا بينهم) مفعول له لقوله وما اختلف فالاستثناء متعلق بثلاثة اشياء والتقدير وما اختلف فيه الا الذين الخ وما اختلفوا فيه الا من بعد الخ وما كان الاختلاف الا للبغى والتهالك على الدنيا وللحسد والظلم كما فعل قابيل بهابيل وما قتله لاشكال الحق عليه بل حسدا منه على اخيه وهكذا فى كل عصر وهذا فعل الرؤساء ثم العامة اتباعا لهم وفعلهم مضاف اليهم فتبين ان الاختلاف فى الحق امر متقادم فى الاسلام (فهدى الله الذين آمنوا) بالكتاب (لما اختلفوا فيه) متعلق بهدى وما موصولة ومعناه هدى الى ما اختلفوا فيه (من الحق) بيان لما (باذنه) اى بامره او تيسيره ولطفه وارادته ورحمته حتى ابصروا الحق بنور التوفيق من الباطل (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) لا يضل سالكه (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة) خاطب به النبى عليه السلام والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة فان عاقبة الامر النصر وام منقطعة فتقدر ببل والهمزة قيل اضراب عن الاخبار المتقدم الى الانكار المدلول عليه بهمزة الاستفهام اى ما كان ينبغى ان تحسبوا ذلك وتظنوا ولم حسبتموه (ولما يأتكم) اى والحال لم يجئكم (مثل الذين خلوا) اى صفة الذين مضوا (من قبلكم) من الانبياء ومن معهم من المؤمنين ولم تبتلوا بعد بما ابتلوا به من الاحوال الهائلة التى هى مثل فى الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر (مستهم البأساء) بيان له على الاستئناف كانه قيل كيف كان مثلهم وحالهم العجيبة فقيل مستهم البأساء اى الشدة من الخوف والفاقة (والضراء) اى الآلام والامراض (وزلزلوا) اى ازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه) اى انتهى امرهم من الشدة الى حيث اضطرهم الضجر الى ان يقول الرسول وهو اعلم الناس بشؤون الله واوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون بآثاره المستضيئون بانواره (متى) اى يأتى (نصر الله) الذى وعدناه طلبا وتمنيا له واستطالة لمدة الشدة والعناء فان زمان الشدة وان قصر فهو طويل فى عين المبتلى بها فلا محالة يستبطأ النصر فاجابهم الله بقوله (الا ان نصر الله قريب) اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر اى انا ناصر اوليائى لا محالة ونصرى قريب منهم فان كل آت قريب ولما كان الجواب بذكر القرب دل ذلك على ان السؤال كان واقعا عن زمان النصر اقريب هو ام بعيد ولو كان السؤال عن وقوع اصل النصر بمعنى انه هل يوجد ام لا لما كان الجواب مطابقا للسؤال وفى الآية اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات كذا فى تفسير القاضى (ونعم ما قيل) فلك مشام كسى خوش كند بوى مراد * كه خاك معركه باشد عبير وعنبراو *
وعن خباب بن الارت رضى الله تعالى عنه قال لما شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نلقى من المشركين فقال ان من كان قبلكم من الامم كانوا يعذبون بانواع البلاء فلا يصرفهم ذلك عن دينهم حتى ان الرجل كان يوضع على رأسه المنشار فيشق فلقتين ويمشط الرجل بامشاط الحديد بما دون العظم من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه وايم الله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب منكم من صنعاء الى حضرموت لا يخشى الا الله

والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون قالوا كل نبى بعث الى امته اجهد حتى قال متى نصر الله ووقع ذلك للرسول عليه السلام حين وقع له ضجر شديد قبل فتح مكة فقال فى يوم الاحزاب حيث لم يبق لاصحابه صبر حتى ضجروا وطلبوا النصرة فارسل الله ريحا وجنودا وهزم الكفار بهما ومن شدائده عليه السلام غزوة الخندق حين اصاب المسلمين ما اصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وانواع الاذى كما قال تعالى وبلغت القلوب الحناجر ولو اطلعت على ما اصابهم من عداوة اليهود واسرار النفاق واذى القوم يمينا وشمالا ببذل المجهود حين هاجروا الى المدينة لكفى ذلك عبرة فى هذا الباب فنحن اولى بمقاساة امثال هذه الشدائد خصوصا فى هذا الزمان الذى لا تجد بدا من طعن الناس واذاهم اذ البلاء على الانبياء ثم على الاولياء ثم الامثل فالامثل غبار لازمهٔ آسيا بود صائب * امان زحادثهٔ آسمان چه ميخواهى * قال فى التأويلات النجمية عند قوله تعالى كان الناس امة واحدة الآية الخصال الذميمة التى عليها اكثر الناس كلها عارضة لهم فانهم كانوا حين انشأهم الله على انفسهم امة واحدة وولدوا على الفطرة لقوله عليه السلام كل مولود يولد على فطرة الاسلام فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه وما قال عليه السلام ويسلمانه فلمعنيين احدهما ان الكفر يحصل بالتقليد ولكن الايمان الحقيقى لا يحصل به والثانى ان الابوين الاصليين هم الانجم والعناصر فعلى التقدير بن الولد بتربية الآباء والامهات يضل عن سبيل الحق ويزل قدمه عن الصراط المستقيم التوحيد والمعرفة ولو كان نبيا يحتاج الى هاد يهدى الى الحق كما قال تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا فهدى ولكل من السعادة والشقاوة كتاب كما قال عليه السلام ما من نفس الا وقد كتب بكتابها من الجنة او النار والا قد كتب شقية او سعيدة فقالوا افلا نتكل على كتابنا يا رسول الله وندع العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما اهل الشقاوة فييسرون لعمل اهل الشقاوة واما اهل السعادة فييسرون لعمل اهل السعادة فلا بد من مقاساة بأساء الترك والتجريد والفقر والافتقار حتى يحصل دخول جنة الجمال ودار القرار فلم يضجروا من طول مدة الحجاب وكثرة الجهاد فى الفراق وعيل صبرهم عن مشاهدة الجمال وذوق الوصال وطلبوا نصر الله بالتجلى على قمع صفات النفوس مع قوة مصابرتهم وحسن تحملهم لما يقول المحبوب ويريد بهم حتى جاء نصر الله فرفع الحجاب وظهر انوار الجمال (يسألونك ماذا ينفقون) اى اى شئ يتصدقون من اصناف اموالهم نزلت حين حث النبى عليه السلام على التصدق فى سبيل الله وسأل عمرو بن الجموح وهو شيخ هم اى فان وله مال عظيم فقال ماذا ننفق يا رسول الله من اموالنا واين نضعها (قل ما انفقتم من خير) اى اى شئ انفقتم من اى خير كان وهو بيان للمنفق والمال يسمى خيرا لان حقه ان يصرف الى جهة الخير فصار بذلك كانه نفس الخير (فللوالدين) فان قلت كيف طابق الجواب السؤال هم قد سألوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبنى الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها (والاقربين واليتامى) اى المحتاجين (والمساكين وابن السبيل) ولم يتعرض للسائلين والرقاب اما اكتفاء بما ذكر فى المواقع الاخر واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى (وما) اى اى شئ (تفعلوا من خير) فانه شامل لكل خير واقع فى اى مصرف كان (فان الله به عليم) اى ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفى ثوابه والمراد بهذه الآية الحث على بر الوالدين وصلة الارحام وقضاء حاجة ذى الحاجة على سبيل التطوع ولا ينافيه ايجاب الزكاة وحصر مصارفها فى الاصناف الثمانية كما ذكر فى قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل (كتب) اى فرض (عليكم القتال) اى قتال الكفرة والجمهور على ان الجهاد فرض على الكفاية مثل صلاة الجنازة ورد السلام (وهو) اى والحال ان القتال (كره لكم) شاق عليكم مكروه فالكره مصدر بمعنى الكراهة نعت به للمبالغة كان القتال فى نفسه كراهة لفرط كراهتهم له وهذه الكراهة من حيث نفور الطبع عنه لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح لا انهم كرهوا امر الله تعالى وكراهة الطبع لا توجب الذم بل تحقق معنى العبودية اذا فعل ذلك اتباعا للشرع مع نفرة الطبع فاما كراهة الاعتقاد فهى من صفات المنافقين (وعسى ان تكرهوا شيئا) وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة التى من جملتها القتال (وهو خير لكم) لان فى الغزو احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وعسى كلمة تجرى مجرى لعل وهى من العباد للترجى ومن الله للترجية (وعسى ان تحبوا شيئا) وهو جميع ما نهوا عنه من

الامور المستلذة التى من جملتها القعود عن الغزو (وهو شر لكم) لما فيه من فوات الغنيمة والاجر وغلبة الاعدآء وتخريب الديار (والله يعلم) ما هو خير لكم دينا ودنيا فلذا يأمركم به (وانتم لا تعلمون) ذلك ولذلك تكرهونه (قال فى المثنوى) ما التصوف قال وجدان الفرح * فى الفؤاد عند اتيان الترح * جمله در زنجير بيم وابتلا * ميروند اين ره بغير اوليا * يعنى ان المقلد يجرى الى الحضرة بالاضطرار بخلاف الولى قال ذو النون المصرى رحمه الله انما دخل الفساد على الخلق من ستة اشياء الاول ضعف النية بعمل الاخرة والثانى صارت ابدانهم رهينة لشهواتهم والثالث غلب عليهم حلول الامل مع قرب الاجل والرابع آثروا رضى المخلوقين على رضى الخالق والخامس اتبعوا اهوآءهم ونبذوا سنة نبيهم ورآء ظهورهم والسادس جعلوا قليل زلات السلف حجة انفسهم ودفنوا كثير مناقبهم فعلى العاقل ان يجاهد مع النفس والطبيعة ليرتفع الهوى والشهوات والبدعة ويتمكن فى القلوب حب العمل بالكتاب والسنة قال ابراهيم الخواص رحمه الله كنت فى جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته فدنوت فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركتها فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتنى فقال من عرف الله لا يخفى عليه شئ فقلت له ارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك ويقيك الاذى من هذه الزنابير فقال وارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يقيك شهوة الرمان فلدغ الرمان يجد الانسان المه فى الاخرة ولدغ الزنابير يجد المه فى الدنيا فتركته ومشيت (قال السعدى) مبر طاعت نفس شهوت پرست * كه هر ساعتش قبلۀ ديكرست * كند مرد را نفس اماره خوار * اكر هوشمندى عزيزش مدار * وفى التأويلات القاشانية كتب عليكم قتال النفس والشيطان وهو مكروه لكم مر امر من طعم العلقم واشد من ضغم الضيغم وحقيقة الجهاد رفع الوجود المجازى فانه الحجاب بين العبد والرب كما قيل وجودك ذنب لا يقاس عليه ذنب آخر وكما قال ابن منصور (بينى وبينك انى يزاحمنى * فارفع بجودك انى من البين) وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم لاحتجابكم بهوى النفس وحب اللذة العاجلة عما فى ضمنه من الخير الكثير واللذة العظيمة الروحانية الذى يستحقر تلك الشدة السريعة الانقضاء بالقياس الى ذلك الخير الباقى واللذات السرمدية وعسى ان تحبوا شيأ من اللذات الجسمانية وتمتعات النفس وهو شر للنفس بحرمانها من اللذات الروحانية والله يعلم ان فى كراهة النفوس ما اودع من راحة القلوب وانتم لا تعلمون ان حياة القلوب فى موت النفوس وفى حياة النفوس موت القلوب كما قال (اقتلونى يا ثقاتى * ان فى قتلى حياتى) (وفى المثنوى) خنجر وشمشير شد ريحان من * مرك من شد بزم ونركسدان من (يسئلونك عن الشهر الحرام) روى ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته صلى الله عليه وسلم اخت ابيه فى جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد ابن ابى وقاص الزهرى وعكاشة بن محصن الاسدى وعتبة بن غزوان السلمى واباحذيفة ابن ربيعة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لاميرهم عبد الله بن جحش كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر فى الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب واقرأه على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا تكرهن احدا من اصحابك على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك ان تأتينا منه بخبر فلما نظر فى الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه نهانى ان اكره احدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كره فليرجع ثم مضى ومضى معه اصحابه لم يتخلف عنه منهم احد حتى كاد يقعد فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له بحران اضل سعد بن ابى وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما يعتقبانه فتخلفا فى طلبه ومضى بقية اصحابه حتى نزلوا ببطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك مرت عير قريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمى والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة واخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان فلما رأوا اصحاب رسول الله هابوهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم فليتعرض لهم فحلقوا رأس عكاشة ثم اشرف عليهم فقال قوم عمار لا بأس عليكم فامنوا وكان ذلك فى آخر يوم من جمادى الاخرة وكانوا يرونه من جمادى وهو من رجب فتشاور القوم وقالوا ان تركتموهم الليلة ليدخلن

الحرم فليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم فى مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله وكان اول قتيل من المشركين وهو اول قتيل فى الهجرة واستأسروا الحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله وكانا اول اسيرين فى الاسلام وافلت نوفل على فرس له فاعجزهم واستاق المؤمنون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس لمعايشهم اى يتفرقون فى البلاد فسفك فيه الدماء واخذ الحرآئب وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لابن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال فى الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين اى جعلها موقوفة وما قسمها بين الغانمين وابى ان يأخذ شيأ من ذلك ينتظر الاذن من الله فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا ان قد هلكوا وسقط فى ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمى ثم امسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندرى افى رجب اصبناه ام فى جمادى فاكثروا الناس فى ذلك فانزل الله هذه الاية فاخذ رسول الله العير فعزل منها الخمس وكان اول خمس فى الاسلام وقسم الباقى بين اصحاب السرية وكانت اول غنيمة فى الاسلام وبعث اهل مكة فى فدآء اسيريهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع فى الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة والدية والمعنى يسألك المسلمون استعلاما والكفار تعنتا عن الشهر الحرام اى رجب سمى به لتحريم القتال فيه (قتال فيه) بدل اشتمال من الشهر لان الشهر مشتمل على القتال (قل) يا محمد فى جوابهم (قتال فيه كبير) اثم عظيم عند الله وقتال مبتدأ خبره كبير وجاز الابتدآء بالنكرة لانها وصفت بفيه والاكثر ان هذه الاية منسوخة بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (وصد عن سبيل الله) مبتدأ قد تخصص بالعمل فيما بعد اى ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله تعالى (وكفر به) اى بالله تعالى (والمسجد الحرام) عطف على سبيل الله وحيث الصد عن سبيل الله فرد من افراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور فى حسن هذا العطف لانه ليس باجنبى محض اى منع المسلمين عن دخول مكة وزيارة بيت الله (واخراج اهله) اى اهل المسجد وهو النبى عليه السلام والمؤمنون (منه) اى من المسجد الحرام وهو عطف على وكفر به وجعل المسلمين اهل المسجد وان كانوا خارجين عن مكة لانهم قائمون بما يجب عليهم من حقه لانهم يصيرون اهلا له فى العاقبة فسماهم باسم العاقبة ولم يسم الكفار اهل المسجد وان كانوا بمكة لان مقامهم بمكة عارض (اكبر عند الله) خبر للاشياء المعدودة اى هذه الاشياء الاربعة اكبر اثما وعقوبة من قتل المسلمين ابن الحضرمى فى الشهر الحرام لان القتال يحل بحال والكفر لا يحل بحال ولانهم كانوا متأولين فى القتال لانهم شكوا فى اليوم ولا تأويل للكفار فى الكفر (والفتنة) اى ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد الناس عن الاسلام ابتدآء وبقاء (اكبر من القتل) اى افظع من قتل الحضرمى فى الشهر الحرام فلما نزلت هذه الاية كتب عبد الله ابن انيس الى مؤمنى مكة اذا عيركم المشركون بالقتال فى الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر واخراج رسول الله من مكة ومنعهم المسلمين عن البيت (ولا يزالون يقاتلونكم) بيان لاستحكام عداوتهم واصرارهم على الفتنة فى الدين اى لا يزال الكفار عن قتالكم ايها المؤمنون (حتى يردوكم عن دينكم) اى كى يصرفوكم عن دينكم الحق الى دينهم الباطل (ان استطاعوا) اشارة الى تصلبهم فى الدين وثبات قدمهم فيه كانه قيل وانى لهم ذلك وهو كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بى فلا تبق على ولا ترحمنى وهو واثق بانه لا يظفر به وهو تطييب لقلوب المؤمنين (ومن يرتدد منكم عن دينه) اظهار التضعيف لسكون الدال الثانى وبالفتح والادغام على التحريك لالتقاء الساكنين باخف الحركات والارتداد النكوص وهو تحذير من الارتداد اى من يفعل ذلك باضلالهم واغوآئهم (فيمت وهو كافر) بان لم يرجع الى الاسلام وفيه ترغيب فى الرجوع الى الاسلام بعد الارتداد الى حين الموت (فاولئك) المصرون على الارتداد الى حين الموت (حبطت) بطلت وتلاشت (اعمالهم) التى كانوا عملوها فى حالة الاسلام حبوطا لا تلافى له قطعا (فى الدنيا) وهو قطع حياته وقتله عند الظفر به لارتداده وفوات موالاة المسلمين

ونصرهم والثناء الحسن وزوال النكاح وحرمانه عن مواريث المسلمين ونحو ذلك مما يجرى على نفس المرتد واهله
وماله (والآخرة) وهو الثواب وحسن المآب لان عباداتهم لم تصح فى الدنيا فلم يجازوا عليها فى الاخرة وليس المراد
من احباط العمل ابطال نفس العمل لان الاعمال اعراض كما توجد تفنى وتزول واعدام المعدوم محال بل المراد به
ماذكر من ان الردة الحادثة تزيل ثواب الايمان السابق وثواب ماسبق من ثمراته وظاهر الاية يقتضى ان تكون
الوفاة على الردة شرطا لثبوت الاحكام المذكورة وهى حبوط الاعمال فى الدنيا والآخرة وكون صاحبها من
اصحاب النار خالدا فيها وان لا يثبت شئ من هذه الاحكام ان اسلم المرتد بعد ردته ولهذا احتج الشافعى بهذه الاية
على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت صاحبها عليها وعند ابى حنيفة رحمه الله ان الردة تحبط الاعمال مطلقا
اى وان رجع مسلما تمسكا بعموم قوله تعالى ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقوله ومن يكفر بالايمان
فقد حبط عمله ويتفرع عليه مسئلتان الاولى ان جماعة من المتكلمين قالوا شرط صحة الايمان والكفر حصول
الوفاة عليهما فلا يكون الايمان ايمانا الا اذا مات المؤمن عليه وايضا لا يكون الكفر كفرا الا اذا مات الكافر عليه
والمسئلة الثانية ان المسلم اذا صلى ثم ارتد والعياذ بالله ثم اسلم فى الوقت قال الشافعى لا اعادة عليه وقال ابو حنيفة
يلزمه قضاء ما ادى وكذا الكلام فى الحج (واولئك اصحاب النار) ملازموها (هم فيها خالدون) كدأب سائر
الكفرة فلابد للمؤمن من العمل الصالح ومن الصون عما يبطله وسبب الارتداد عدم اليقين والا فكيف يحوم
حول الموحد الحقيقى شيطان وشرك وهو قد تخلص عن البرازخ والقيود ووصل الى الرب المعبود والعمل
الصالح هو ما اريد به وجه الله فان غيره فاسد لا ينفع لصاحبه اصلا (قال الحافظ) فردا كه پيشگاه حقيقت
شود پديد * شرمنده رهروى كه عمل بر مجاز كرد * واحسن الحسنات التوحيد لانه اس الكل ولذلك
لا يوزن قال عليه السلام ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لا توضع فى ميزان
لانها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات والارضون السبع وما فيهن كان لا اله الا الله ارجح
من ذلك وجميع الاعمال الصالحة يزيد فى نور الايمان فعليك بالطاعة والحسنات والوصول الى المعارف الالهية
فان العلم بالله افضل الاعمال ولذلك لما قيل يا رسول الله اى الاعمال افضل قال العلم بالله فقيل نسأل عن العمل
وتجيب عن العلم فقال ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل وذلك انما يحصل بتصفية
الباطن مع صيقل التوحيد وانواع الاذكار ولا يعقلها الا العالمون (قال فى المثنوى) ذكر حق كن بانك غولانرا
بسوز * چشم نركس را ازين كركس بدوز * قال الشيخ الحسن محمد بن السراج سمعت الجنيد
قدس سره يقول رأيت ابليس فى المنام كانه عريان فقلت الا تستحيى من الناس فقال لو كان هؤلاء من الناس
لما تلاعب بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة فقلت ومن الناس فقال قوم فى المسجد الشونيزى قد انحلوا جسمى
واحرقوا قلبى كلما هممت بهم اشاروا الى الله تعالى فاكاد احرق بنور ذكرهم قال فانتبهت وجئت الى المسجد
الشونيزى بليل فلما دخلت المسجد اذا انا بثلاث انفس جلوس ورؤسهم مغطاة بمرقعاتهم فلما احسونى اخرج
واحد رأسه فقال يا ابا القاسم انت كلما قيل بشئ تقبله وتسمعه انظر الى اجتهادهم فى طاعة الله وصفاء اسرارهم
عما سواه تعالى فهم من اهل الاسلام الحقيقى يقول الفقير ناظم هذه الدرر قال لى شيخى العلامة ابقاه الله بالسلامة
فى قوله عليه السلام بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا المراد بالاسلام هو الاسلام الحقيقى وصاحبه لا يرتد ابدا
وكونه غريبا ان لا يوجد له انيس (قال فى المثنوى) بود گبرى در زمان بايزيد * گفت اورا يك مسلمان سعيد *
كه چه باشد كر تو اسلام آورى * تا بيابى صد نجات وسرورى * گفت اين ايمان اگر هست اى مريد *
آنكه دارد شيخ عالم بايزيد * مؤمن ايمان آريم در نهان * گرچه مهرم هست محكم بر دهان * باز ايمان
خود گر ايمان شماست * نى بدان ميلستم ونى مشتهاست * آنكه صد ميلش سوى ايمان بود * چون
شمارا ديد زان فاتر شود * زانكه نامى بيند او معنيش نى * چون بيابان را مفازه گفتنى (ان الذين آمنوا)
نزلت فى السرية فان الله تعالى لما فرج عنهم بالاية السابقة ما كانوا فيه من الغم الشديد بقتالهم فى الشهر الحرام
طمعوا فيما عند الله من ثوابه فقالوا يا رسول الله لا عقاب علينا فيما فعلنا فهل نعطى اجرا وثوابا ونطمع ان يكون
سفرنا هذا سفر غزو وطاعة فانزل الله تعالى هذه الاية لانهم كانوا مؤمنين مهاجرين وكانوا بسبب هذه المقاتلة
مجاهدين والمعنى ثبتوا على ايمانهم فلم يرتدوا (والذين هاجروا) اى فارقوا اوطانهم واهلهم (وجاهدوا) المجاهدة

استفراغ ما فى الوسع اى حاربوا المشركين فى سبيل الله فى طاعته لاعلاء دينه (اولئك يرجون) بما لهم من مبادى
الفوز (رحمة الله) اى ثوابه ولا يحبط اعمالهم كاعمال المرتدين اثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو للايذان بانهم
عالمون بان العمل غير موجب للاجر وانما هو بطريق التفضل منه تعالى لا لان فى فوزهم اشتباها (والله غفور)
مبالغ فى مغفرة ما فرط من عباده خطأ (رحيم) يجزل لهم الاجر والثواب قال قتادة هؤلاء خيار هذه الامة
ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب روى انه مر ابو عمر البيكندى يوما بسكة
فرأى اقواما ارادوا اخراج شاب من المحلة لفساده وامرأة تبكى قيل انها امه فرحمها ابو عمر فشفع له اليهم وقال
هبوه منى فى هذه المرة فان عاد الى فساده فشأنكم فوهبوه منه فمضى ابو عمر فلما كان بعد ايام اجتاز بتلك السكة
فسمع بكاء العجوز من وراء ذلك الباب فقال فى نفسه لعل الشاب عاد الى فساده فنفى من المحلة فدق عليها الباب
وسألها عن حال الشاب فقالت انه مات فسألها عن حاله فقالت لما قرب اجله قال لا تخبرى الجيران بموتى
فلقد آذيتهم فانهم سيشتمونى ولا يحضرون جنازتى فاذا دفنتنى فهذا خاتم لى مكتوب عليه بسم الله الرحمن
الرحيم فادفنيه معى فاذا فرغت من دفنى فتشفعى لى الى ربى ففعلت وصيته فلما انصرفت عن رأس القبر سمعت
صوته يقول انصرفى يا اماه فقد قدمت على رب كريم ونعم ما قيل بهانه ميدهد بها نميدهد قيل ان الحجاج
لما حضرته الوفاة كان يقول اللهم اغفر لى فان الناس يزعمون انك لا تفعل ومات بواسط سنة خمس وتسعين
وهى مدينته التى انشأها وكان يوم موته يسمى عرس العراق ولم يعلم بموته حتى اشرفت جارية من القصر
وهى تبكى وتقول الا ان مطعم الطعام ومفلق الهام قد مات ثم دفن ووقف رجل من اهل الشام على قبره فقال
اللهم لا تحرمنا شفاعة الحجاج وحلف رجل من اهل العراق بالطلاق ان الحجاج فى النار فاستفتى طاووس
فقال يغفر الله لمن يشاء وما اظنها الا طلقت فيقال انه استفتى الحسن البصرى فقال اذهب الى زوجتك
وكن معها فان لم يكن الحجاج فى النار فما يضركما انكما فى الحرام فقد وقفت من هذا المذكور على ان الله تعالى
غفور رحيم يغفر لعبده وان جاء بمثل زبد البحر ذنبا فاللازم للعباد الرجاء من الله تعالى قال الراغب وهذه المنازل
الثلاثة التى هى الايمان والمهاجرة والجهاد هى المعنية بقوله اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله
ولا سبيل الى المهاجرة الا بعد الايمان ولا الى جهاد الهوى الا بعد هجران الشهوات ومن وصل الى ذلك فحق له
ان يرجو رحمته واعلم ان الهجرة على قسمين صورية وقد انقطع حكمها بفتح مكة كما قال عليه السلام لا هجرة
بعد الفتح ومعنوية وهى السير عن موطن النفس الى الله لفتح كعبة القلب وتخليصها عن اصنام الشرك
والهوى فيجرى حكمها الى يوم القيامة وكذا الجهاد فى سبيل الله على قسمين اصغر وهو الجهاد مع الكفار
واكبر وهو الجهاد مع النفس وانما كان هذا الجهاد اكبر لان غاية الاول اصلاح الظاهر وغاية الثانى اصلاح
الباطن وهو اصعب واقوى وايضا غاية الاول الوصول الى الجنة والرحمة وغاية الثانى الوصول الى مشاهدة الحق
والجمال المطلق وايضا غاية الاول الشهادة وغاية الثانى الصديقية والصديقون اعلى منزلة من الشهداء كما قال
تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء فقدم ذكر الصديقين على ذكر الشهداء
فاذا وصل المرء الى صلاح النفس بالجهاد الاكبر الذى هو اعز من الكبريت الاحمر يرحم العباد ولا يقصد لهم
الضرر (حكى) ان بعضهم جاء الى بعض المشايخ وخدمه وقال له اريد ان تعلمنى الاسم الاعظم فقال له وفيك
اهلية له قال نعم قال اذهب الى باب البلد ثم اخبرنى بما جرى فيه فذهب وجلس على باب البلد فاذا شيخ حطاب
معه حطب على حمار فضربه جندى واخذ حطبه ظلما فلما رجع الرجل الى الشيخ واخبره بالقصة قال له الشيخ
لو كنت تعلم الاسم الاعظم ما تصنع بالجندى قال كنت ادعو عليه بالهلاك فقال له الشيخ اعلم ان الحطاب
هو الذى علمنى الاسم الاعظم واعلم ان الاسم الاعظم لا يصلح الا لمن يكون على هذه الصفة من الصبر والرحمة
على الخلق والشفقة عليهم (قال السعدى) مكن تا توانى دل خلق ريش * وگر ميكنى ميكنى بيخ خويش *
ثم ان قلة الكلام من انفع الاشياء فى اصلاح النفس كما ان اللقمة الطيبة انفع فى اصلاح الطبيعة وصفاء القلب
(قال فى المثنوى) طفل جان از شير شيطان باز كن * بعد از انش با ملك انباز كن * تا تو تاريك وملول
وتيرة * دانكه با ديو لعين همشيرة * لقمهٔ كو نور افزود وكمال * آن بود آورده از كسب حلال *
روغنى كايد چراغ ما كشد * آب خوانش چون چراغى را كشد * (يسألونك) قال ابن عباس رضى الله

عنه ما رأيت قوما كانوا خيرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سألوه الا عن ثلاث عشرة مسئلة كلها
فى القرآن ما كانوا يسألونه الا عما ينفعهم وينفع المسلمين (عن الخمر) اى عن حكم تعاطيها بقرينة الجواب
لان الحل والحرمة والاثم والطاعة انما هى من عوارض افعال المكلفين ولا اثم فى ذوات الاشياء واعيانها ويدخل
فى تعاطى الخمر البيع والشرآء وغيرهما مما يدخل تحت التصرف على خلاف الشرع والخمر مصدر خمره
اى ستره سمى به من عصير العنب ما غلى واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كانها نفس الستر كما سميت
سكرا لانها تسكرهما اى تحجزهما (و) عن تعاطى (الميسر) مصدر ميمى من يسر كالموعد والمرجع يقال يسرته
اذا قمرته واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ المال بيسر من غير كد وتعب واما من اليسار لانه سلب له ويدخل فيه
جميع انواع القمار والشطرنج وغيرهما حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب (قل فيهما) اى فى تعاطى الخمر
والميسر واستعمالهما (اثم كبير) لما ان الاول مسلبة للعقول التى هى قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما
متلفة للاموال (ومنافع للناس) من كسب الطرب والمغالاة بثمن الخمر اذا جلبوها من الاطراف وفيها تقوية
الضعيف وهضم الطعام والاعانة على الباءة اى الجماع وتسلية المحزون وتشجيع الجبان وتسخية البخيل
وتصفية اللون وانطاق الفتى العى وتهييج الهمة ومنافع الميسر اصابة المال من غير كد ولا تعب وانتفاع الفقرآء
بلحم الجزور فانهم كانوا يفرقونها على المحتاجين قال الواقدى وربما قمر الواحد منهم فى مجلس مائة بعير فيصيب
ما لا اعظم بلا نصب ولا ثمن ثم يعطيه المحتاجين فيكتسب المدح والثناء (واثمهما اكبر من نفعهما) وفى الخمر
ايقاع العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهى تسفه الحليم ويصير شاربها بحيث يلعب ببوله
وعذرته وقيئه كما ذكر ابن ابى الدنيا انه مر على سكران وهو يبول فى يده ويمسح به وجهه كهيئة المتوضى ويقول
الحمد لله الذى جعل الاسلام نورا والماء طهورا وفى الميسر انه اذا ذهب ماله من غير عوض ساءه ذلك فعادى
صاحبه وقصده بالسوء قال المفسرون نزلت فى الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فطفق المسلمون يشربونها وهى لهم حلال يومئذ ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من
الصحابة رضى الله تعالى عنهم قالوا افتنا يا رسول الله فى الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت يسألونك عن الخمر والميسر
الاية فشربها قوم وقالوا نأخذ منفعتها ونترك اثمها وتركها آخرون وقالوا لا حاجة لنا فيما فيه اثم كبير ثم ان عبد
الرحمن بن عوف رضى الله عنه دعا ناسا منهم فشربوا وسكروا فقام احدهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد
ما تعبدون الى آخر السورة بدون لا فى لا اعبد فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى الاية فقل من يشربها
وقالوا لا خير فى شئ يحول بيننا وبين الصلاة وشربها قوم فى غير حين الصلاة حتى كان الرجل يشربها بعد صلاة
العشاء فيصبح وقد زال عنه السكر ويشرب بعد الصبح فيصحو اذا جاء وقت الظهر ثم اتخذ عتبان بن مالك ضيافة
ودعا رجالا من المسلمين فيهم سعد ابن ابى وقاص رضى الله عنه وكان قد شوى لهم رأس بعير فاكلوا منه وشربوا
الخمر حتى سكروا منها ثم انهم افتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدة فيها هجاء الانصار
وفخر لقومه فاخذ رجل لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله وشكا اليه
الانصارى فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزل انما الخمر والميسر فى المائدة الى قوله فهل انتم منتهون
فقال عمر انتهينا يا رب وحرمت الخمر فى السنة الثالثة من الهجرة بعد غزوة الاحزاب بايام قال القفال والحكمة
فى وقوع التحريم على هذا الترتيب انه تعالى علم ان القوم كانوا الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم به كثيرا وعلم
انه لو منعهم دفعة واحدة لشق عليهم فلا جرم استعمل فى التحريم هذا التدريج وهذا الرفق ثم لما نزل التحريم
اريقت الخمر قال ابن عمر رضى الله عنه خرجنا بالحباب الى الطريق فمنا من كسر حبه ومنا من غسله بالماء
والطين ولقد غودرت ازقة المدينة بعد ذلك حينا كلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت منها ريحها وحرمت
الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش اعجب منها وما حرم الله عليهم شيأ اشد من الخمر روى ان جبريل عليه السلام
قال للنبى عليه السلام ان الله تعالى شكر لجعفر الطيار رضى الله عنه اربع خصال كان عليها فى الجاهلية
وهو عليها فى الاسلام فسأل النبى عليه السلام جعفرا عن ذلك فقال يا رسول الله لولا ان الله اطلعك عليها
لما اخبرتك بها ما شربت الخمر قط لانى رأيتها تزيل العقل وانا الى ان ازيد فيه احوج منى الى ان ازيله وما عبدت
صنما قط لانى رأيته لا يضر ولا ينفع وما زنيت قط لغيرتى على اهلى وما كذبت قط لانى رأيته دناءة قال عمرو

ابن

ابن الادهم من اكابر سادات بنى تميم ذاما للخمر لو كان العقل يشترى ما كان شئ انفس منه فالعجب لمن يشترى
الحمق بماله فيدخله فى رأسه فيقيئ فى جيبه ويسلح فى ذيله وعن على رضى الله عنه لو وقعت قطرة فى بئر فبنيت
فى مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت فى بحر ثم جف فنبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر رضى الله عنه
لو ادخلت اصبعى فيها لم تتبعنى وهذا هو الايمان والتقى حقا فينبغى للمسلم ان لا يخطر بباله شرب الخمر فضلا عن
شربها وينقطع عن شاربها فانه اذا خالط شارب الخمر يخاف عليه ان يصيبه من عثاره (قال الحسين الواعظ
الكاشفى) ترا رحمان همى كويد كه اى مؤمن مخور باده ٭ ترا ترسا همى كويد كه در صغرا مخور حلوا ٭
نمى مانى زنا پاكى براى كفتهٔ رحمان ٭ بمانى شهد وشكر را براى كفتهٔ ترسا ٭ وعن بعض الصحابة انه قال من
زوج ابنته لشارب الخمر فكانما ساقها الى الزنى معناه ان شارب الخمر يقع منه الطلاق وهو لا يشعر فالذى يجب
على الولى ان لا يزوج ابنته ولا اخته من فاسق ولا ممن يتعاطى المنكرات واعلم ان خل الخمر حلال ولو بعلاج
كالقاء الماء الحار او الملح او الخبز ولا يكره تخليلها وفى الحديث خير خلكم خل خمركم هذا هو البيان فى الخمر
واما الميسر فهو القمار والياسر القامر وكان اصل الميسر فى الجزور وذلك ان اهل الثروة من العرب كانوا يشترون
جزورا ويضمنون ثمنه ولا يؤدونه ليظهر بالقمار انه على من يجب فينحرونها ويجزؤنها عشرة اجزاء وقيل ثمانية
وعشرين ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الازلام والاقلام سبعة منها لها انصباء الفذ وله نصيب واحد
والتوأم وله نصيبان والرقيب وله ثلاثة والحلس وله اربعة والنافس وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة
وثلاثة منها لا انصباء لها وهى المنيح والسفيح والوغد ثم يجعلون القداح فى خريطة تسمى الربابة ويضعونها على
يدى عدل عندهم يسمى المجيل والمفيض ثم يجيلها ويجلجلها اى يحركها باليد ويدخل يده فيخرج باسم رجل
رجل قدحا قدحا فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب المعين له ومن خرج له قدح مما لا نصيب له
وهو الثلاثة لم يأخذ شيأ وغرم ثمن الجزور وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقرآء ولا يأكلون منها ويفتخرون
بذلك ويذمون من لا يدخل فيه ويسمونه البرم وهو اللئيم العديم المروءة والكرم فهذا اصل القمار الذى كانت
العرب تفعله فنهى المسلمون عنه واختلف فى الميسر هل هو اسم لذلك القمار المعين او هو اسم لجميع انواع القمار
فقال بعض العلماء المراد من الاية جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وروى ان رجلا خاطر رجلا
على ان يأكل كذا كذا بيضة على كذا كذا من المال فقال على رضى الله عنه هذا قمار وعن ابن سيرين كل شئ فيه
خطر فهو من الميسر وعن النبى عليه السلام اياكم وهاتين الكعبتين المشؤمتين فانهما من مياسر العجم يريد ان
النرد والشطرنج ميسر يشير به الى انهما حرام واما السبق فى الخف والحافر والنشاب فخص بدليل (قال السعدى)
كهل كشتى وهمچنان طفلى ٭ شيخ بودى وهمچنان شابى ٭ تو بازى نشسته در چپ وراست ٭
مير سد تير چرخ پرتابى ٭ جاى كريه است بر مصيبت پير ٭ كه تو كودك هنوز لعابى ٭ والاشارة
فى الاية ان خمر الظاهر كما يتخذ من اجناس مختلفة من العنب والتمر والزبيب والحبوب كالحنطة والشعير والذرة
فكذلك خمر الباطن من اجناس مختلفة كالغفلة والشهوة والهوى وحب الدنيا وامثالها وهذه خمور تسكر منها
النفوس والعقول الانسانية وفيها اثم كبير ولهذا كل مسكر حرام وما يسكر كثيره فقليله حرام ومنها ما يسكر
القلوب والارواح والاسرار فهو شراب الواردات فى اقداح المشاهدات من ساقى تجلى الصفات فاذا دارت
على النفوس وانخمدت شهواتها وسكرت القلوب بالمواجيد عن المواجيد والارواح بالشهود عن الوجود
والاسرار بلحظ الجمال عن ملاحظة الكمال فهذا شراب نافع للناس حلال فالعجب كل العجب ان قوما اسكرهم
وجود الشراب وقوم اسكرهم شهود الساقى كقولهم

فاسكر القوم دور كأس ٭ وكان سكرى من المدير

(وفى المثنوى) ما اگر قلاش اگر ديوانه ايم ٭ مست آن ساقى وآن پيمانه ايم ٭ مست مى هشيار نبود در نشور ٭
مست حق نايد بخود تا نفخ صور ٭ جرعهٔ چون ريخت ساقى الست ٭ بر سر اين خاك شد هر ذره مست ٭
جوش كردان خاك ما زان جوششيم ٭ جرعهٔ ديكر كه بس بى كوششيم ٭ واثم الاعراض عن كؤس
الوصال فى النهاية اكبر من نفع الطلب الف سنة فى البداية وكما ان سكران الخمر ممنوع من الصلاة فسكران الغفلة
والهوى محجوب عن المواصلات واما اثم الميسر فهو ان آثار القمار هى شعار اكثر الادبار فى سلوك طريق الحيل

والخداع بالفعال والكذب والفحش فى المقال وانه كبير عند الاخيار بعيد عن خصال الابرار واما نفعه فعدم الالتفات الى الكونين وبذل نقوش العالمين فى فردانية نقش الكعبتين واثمهما اكبر من نفعهما الان اثمهما للعوام ونفعهما للخواص والعوام اكثر من الخواص وقليل ماهم كذا فى التأويلات النجمية قدست نفسه الزكية (ويسئلونك ماذا ينفقون) هو كما يصلح سؤالا عن جنس المنفق يصلح سؤالا عن كميته وقدره فانه لما نزل قوله تعالى قل ما انفقتم من خير فللوالدين قال عمرو بن الجموح ما انفق فنزل قوله (قل العفو) اى انفقوا العفو وهو نقيض الجهد وهو المشقة ونقيضه اليسر والسهولة فكانه قيل قل انفق ما سهل وتيسر ولم يشق عليك انفاقه فالعفو من المال ما يسهل انفاقه والجهد من المال ما يعسر انفاقه والقدر المنفق انما يكون انفاقه سهلا اذا كان فاضلا عن حاجة نفسه وعياله ومن عليه مؤنته (كذلك) اى مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد والكاف فى محل النصب صفة لمصدر محذوف اى تبيينا مثل هذا التبيين وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل او الفريق او القوم مما هو مفرد اللفظ ومجموع المعنى (يبين الله لكم الآيات) الدالة على الاحكام الشرعية لا بيانا ادنى منه وتبيين الآيات تنزيلها مبينة الفحوى واضحة المدلول لا انه تبيينها بعد ان كانت مشتبهة وملتبسة (لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة) اى لكى تتفكروا فى امور الدارين فتأخذوا بما هو اصلح لكم واسهل فى الدنيا وانفع فى العقبى وتجتنبوا عما يضركم فى العقبى قال البغوى يبين الله لكم الآيات فى امر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون فى زوال الدنيا وفنائها فتزهدوا وفى اقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها وهذه الآية ترغب فى التصدق لكن بشرط ان يكون ذلك من فضل المال وعفوه وعن النبى عليه السلام ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب اصابها فى بعض المغازى فقال يا رسول الله خذها منى صدقة فوالله لقد اصبحت ما املك غيرها فاعرض عنه رسول الله فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا فاخذها منه فحذفها حذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجيء احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى خذها فلا حاجة لنا فيها وفى لفظ العفو اشارة الى ان ما يعطيه المرء ينبغى ان يعفو اثره عن قلبه عند الانفاق يعنى بطيب القلب لان اصل العفو المحو والطمس ثم الاخراج عن فاضل الاموال عن قدر الكفاية طريقة الخواص فاما خاص الخاص فطريقهم الايثار وهو ان يؤثر غيره على نفسه وبه فاقة الى ما يخرج وان كان صاحبه الذى يؤثر به غنيا قال الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال امرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان نتصدق ووافق ذلك مالا عندى فقلت اليوم اسبق ابا بكر رضى الله عنه فجئت بنصف مالى فتصدقت به فقال لى رسول الله ما ابقيت لاهلك يا عمر قلت نصف مالى يا رسول الله ثم قال لابى بكر ما ابقيت لاهلك قال ابقيت لهم الله ورسوله فقلت لا اسابقك بشيء بعدها روى ان النبى عليه السلام قال عند ذلك ما بينكما ما بين كلاميكما ومنه يعرف فضل ابى بكر على عمر لكن الفاضلية من وجه لا تنافى المفضولية من وجه آخر فان الكامل ليس يلزمه ان يكون كاملا فى جميع الامور وانما التقدم والتأخر بالنظر الى العلم بالله قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره كان ابو بكر غالب المعرفة وعمر غالب الشريعة وعثمان غالب الطريقة وعلى غالب الحقيقة وان كانوا كاملين فى المراتب الاربع انتهى كلامه (قال الحسين الواعظ الكاشفى) مايه توفيق كرم كردن است ✻ كنج يقين ترك درم كردن است ✻ زادره مرد زبان دادن است ✻ زندكى عشق زجان دادن است فسخاوة العوام اعطاء المال وسخاوة الخواص بذل الروح وهو قليل ✻ هست جوانمرد درم صد هزار ✻ كار چو با جان فتد آنست كار ✻ وحث النبى عليه السلام اصحابه على الصدقة فجعل الناس يتصدقون وكان ابو امامة الباهلى جالسا بين يديه عليه السلام وهو يحرك شفتيه فقال له النبى عليه السلام ماذا تقول حيث تحرك شفتيك قال انى ارى الناس يتصدقون وليس معى شيء اتصدق به فاقول فى نفسى سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هؤلاء الكلمات خير لك من مد ذهبا تتصدق به على المساكين تا زنده ايم ذكر ايش در زبان ماست ✻ يادش انيس ومونس جان وروان ماست ✻ يروى ان اول من قال سبحان الله جبريل عليه السلام وذلك انه لما خلقه الله وقع نظره على العرش وعظمته فقال سبحان الله فمن قالها نال ثواب جبريل واول من قال الحمد لله آدم الصفى عليه السلام حين نفخ فيه الروح فمن قالها نال نصيبا من فضل آدم

واول من قال لا اله الا الله نوح النبى عليه السلام حين مشاهدة الطوفان وشدة البلاء فمن قالها اخذ حظا وافرا من ثواب نوح واول من قال الله اكبر ابراهيم الخليل عليه السلام حين شاهد فداء اسماعيل وهو الكبش فمن قالها نال فيضا من فيض ابراهيم اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين آمين يا رب العالمين (ويسألونك عن اليتامى) اى عن مخالطتهم لان السؤال عن الشيء ينصرف الى ما هو معظم المقصود منه وهو ههنا المخالطة والكفالة وذلك بعد نزول قوله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما فتركوا مخالطتهم ومؤاكلتهم حتى لو كان عند رجل يتيم يجعل له بيتا على حدة وطعاما على حدة وعزلوا اموال اليتامى عن اموالهم وكان يصنع لليتيم طعام فيفضل منه شيء فيتركونه ولا يأكلونه حتى يفسد فاشتد ذلك عليهم فقال عبد الله بن رواحه يا رسول الله ما لكلنا منازل يسكنها اليتامى ولا كلنا نجد طعاما وشرابا نفردهما لليتيم فنزلت هذه الآية (قل اصلاح لهم) اى مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم (خير) من مجانبتهم وترك الخلطة والنظر عليهم واصلاح مصدر حذف فاعله تقديره واصلاحكم لهم خير للجانبين اى جانبى المصلح والمصلح له اما الاول فلما فيه من الثواب واما الثانى فلما فيه من توفر اموال اليتامى والتزايد (وان تخالطوهم) وتعاشروهم على وجه ينفعهم (فاخوانكم) اى فهم اخوانكم فى الدين الذى هو اقوى من العلاقة النسبية ومن حق الاخ ان يخالط الاخ بالاصلاح والنفع قال ابن عباس رضى الله عنه المخالطة ان تأكل من ثمره وابنه وقصعته وهو يأكل من ثمرك وابنك وقصعتك وهذا اذا اصاب من مال اليتيم بقدر عمله له او دونه فلا يزيد على اجر مثله وقد قال تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وقد تكون المخالطة بخلط المال وتناول الكل منه وهو منفى شرعا قال ابو عبيد هذه الآية عندى اصل لما يفعله الرفقاء فى الاسفار فانهم يتخارجون النفقات بينهم بالسوية وقد يتفاوتون فى قلة المطعم وكثرته وليس كل من قل مطعمه تطيب نفسه بالتفضل على رفيقه فلما كان هذا فى اموال اليتامى واسعا كان فى غيرهم اوسع ولولا ذلك لخفت ان يضيق فيه الامر على الناس وقد تحمل المخالطة على المصاهرة وهو ان يكون ابنا فيزوجه ابنته او يكون بنتا فيزوجها ابنه فتتأكد الالفة ويخلطه بنفسه وبعشيرته ايناسا لوحدته وازالة لوحشته وهو مروى عن الحسن (والله يعلم) بمعنى المعرفة المتعدية الى واحد (المفسد) لمال اليتيم (من المصلح) لماله اى لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح وفى تقديم المفسد مزيد تهديد ومن لتضمين العلم معنى التمييز اى يعلم من يفسد فى امورهم عند المخالطة مميزا له ممن يصلح فيها (ولو شاء الله) اعناتكم وهو الحمل على مكروه لا يطيقه (لاعنتكم) لحملكم على العنت وهو المشقة فلم يطلق لكم مداخلتهم يقال عنت فلان اذا وقع فى امر يخاف منه التلف (ان الله عزيز) غالب يقدر على الاعنات (حكيم) يحكم ما تقتضيه الحكمة وتسع له الطاقة وهو دليل على ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها واعلم ان مخالطة الايتام من اخلاق الكرام وفى الترحم عليهم فوائد جمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وضع يده على رأس يتيم ترحما عليه كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة وفى الحديث ثلاثة فى ظل عرش الله يوم القيامة امرأة مات عنها زوجها وترك عليها يتامى صغارا فخطبت فلم تتزوج قالت اقيم على اليتامى حتى يغنيهم الله او يموت يعنى اليتيم او هى ورجل له مال صنع طعاما فاطاب صنيعه واحسن نفقته فدعا اليه اليتيم والمسكين وواصل الرحم يوسع له فى رزقه ويمد له فى اجله ويكون تحت ظل عرشه قال الله تعالى يا موسى كن لليتيم كالاب الرحيم وكن للارامل كالزوج الشفيق وكن للغريب كالاخ الرفيق اكن لك كذلك (قال الحافظ) تيمار غريبان سبب ذكر جميل است ✻ جانا مكر اين قاعده در شهر شما نيست ✻ وفى الحديث انا وكافل اليتيم اى القائم بمصالحه سواء كان من مال نفسه او من مال اليتيم وسواء كان اليتيم قريبا او لا كهاتين فى الجنة واشار بالسبابة والوسطى يعنى ان كافل اليتيم يكون فى الجنة مع حضرة النبى عليه السلام لا ان درجته تبلغ درجته (قال الشيخ سعدى قدس سره) چو بينى يتيمى سر افكنده پيش ✻ مده بوسه برروى فرزند خويش ✻ الا تا نكريد كه عرش عظيم ✻ بلرزد همى چون بكريد يتيم ✻ ويجتنب كل الاجتناب عن اخلال حق من حقوقه واكل حبة من ماله وعن ظلمه وقهره (يحكى) ان رستم بن زال بارز مع اسفنديار فلم يقدر عليه مع زيادة قوته وكان اسفنديار يجرحه فى كل حمل دون رستم وكان بدن اسفنديار كجلد السمك لا يعمل فيه شيء ثم ان رستم

تشاور مع ابيه زال فى ذلك فقال له ابوه انك لاتقدر عليه الاان تعمل سهماذا فقارين وتصيب به عينى اسفنديار
ففعل ذلك فرمى فاصاب فغلب عليه بذلك فيحكى فى سبب ذلك ان اسفنديار كان قد ضرب فى شبيبته يتيما بغصن
ففقأ به عينه وابكاه ثم ان اليتيم اخذ ذلك الغصن وغرسه فلما صار شجرا اخذ رستم غصنا من اغصانه ونحت
منه سهمه الذى اصاب به عينى اسفنديار ويؤدب اليتيم الذى فى حجره كتأديبه ولده فانه مسئول عنه يوم القيامة
ويصلح حاله والتأديب على انواع منها الوعيد ومنها الضرب ومنها حبس المنافع والعطية والبر فان بين النفوس
تفاوتا فنفس تخضع بالغلظة والشدة ولواستعملت معها الرفق والبر لافسدها ونفس بالعكس وقد جعل الله
الحدود والتعزير لتأديب العباد على قدر مايأتون من المنكر فادب الاحرار الى السلطان وادب المماليك
والاولاد الى السادات والاباء وهو مأجور على التأديب ومسئول عنه قال الله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا
وفى الحديث كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وفى قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم اشارة الى
ان المرأ ينبغى ان يتعود الاكل مع الناس فان شر الناس من اكل وحده وفى الحديث ان من احب الطعام الى الله
ماكثرت عليه الايدى ذكره فى العوارف وذكر فى المصابيح ان اصحاب النبى عليه السلام قالوا يارسول الله
انانأكل ولانشبع قال لعلكم تفترقون قالوا نعم قال فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله تعالى ومن اللطائف
مايحكى انه قيل لجحين صاحب النوادر أتغديت عند فلان قال لا ولكن مررت ببابه وهو يتغدى فقيل كيف
علمت قال رأيت غلمانه بايديهم قسى البنادق يرمون الطير فى الهوآء قيل لبخيل من اشجع الناس فقال من يسمع
وقع اضراس الناس فلا تنشق مرارته وفى الحديث من اضاف مؤمنا فكانما اضاف آدم ومن اضاف اثنين
فكانما اضاف آدم وحوآء كذا فى الرسالة العلية لحسين الواعظ (ولاتنكحوا) بفتح التاء اى لاتتزوجوا
(المشركات) اى الحربيات فان الكتابيات وان كانت من المشركات الا انه يجوز تزوجها عند الجمهور استدلالا
بقوله تعالى فى سورة المائدة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ
منها شئ اصلا (حتى يؤمن) اى يصدقن بالله وبمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم روى انه عليه السلام بعث
مرثد الغنوى الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين سرا فاتته عناق وكان يهواها فى الجاهلية فقالت الاتخلو
فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بى فقال نعم ولكن استأمر رسول الله عليه السلام فاستأمره
فنزلت (ولامة مؤمنة) مع مابها من خساسة الرق وقلة الخطر (خير) بحسب الدين والدنيا (من مشركة)
اى امرأة مشركة مع مالها من شرف الحرية ورفعة الشان (ولواعجبتكم) تلك المشركة بجمالها ومالها ونسبها
وبغير ذلك من مبادى الاعجاب وموجبات الرغبة والواو للحال ومعنى كونها للحال كونها عاطفة لمدخولها
على حال محذوفة قبلها والتقدير خير من مشركة على كل حال ولو فى هذه الحالة والمقصود من مثل هذا التركيب
استقصاء الاحوال وفى تفسير الكواشى لو ههنا بمعنى ان وكذا كل موضع وليها الفعل الماضى وكان جوابها مقدما
عليها والمعنى وان كانت المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير لكم (ولاتنكحوا) بضم التاء من الانكاح
(المشركين) اى الكفار اعم من الوثنى وغيره اى لاتزوجوا منهم المؤمنات سوآء كن حرآئر او اماء (حتى يؤمنوا)
ويتركوا ماهم عليه من الكفر قال ابن الشيخ فى حواشيه اى لاتزوجوهم الصغيرات من بناتكم ومن فى حكمهن
ممن هو تحت ولايتكم ولاتزوج البالغات من المؤمنات منهم انفسهم فقوله ولاتنكحوا من قبيل تغليب الذكور
على الاناث ولاخلاف فى هذا الحكم فان المشرك ههنا باق على عمومه ولايحل تزويج المؤمنة من الكافر البتة
على اختلاف انواع الكفر (ولعبد مؤمن) مع مابه من ذل المملوكية (خير من مشرك) مع مابه من عز المالكية
(ولواعجبكم) بماله وجماله وخصاله (اولئك) المذكورون من المشركين والمشركات (يدعون) من يقارنهم
ويعاشرهم (الى النار) اى الى مايؤدى اليها من الكفر والفسوق فلابد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم
(والله) اى واولياؤه يعنى المؤمنين حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشأنهم (يدعوا الى الجنة
والمغفرة) اى الى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة (باذنه) متعلق بيدعو
اى يدعو ملتبسا بتوفيقه الذى من جملته ارشاد المؤمنين لمقارنيهم الى الخير ونصيحتهم اياهم (ويبين آياته) المشتملة
على الاحكام الفائقة والحكم الرائقة (للناس لعلهم يتذكرون) اى لكى يتذكروا ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا
اليه من الجنة والغفران وايراد التذكر ههنا للاشعار بانه واضح لايحتاج الى التفكر كما فى الاحكام السابقة

ففى الاية نهى عن مواصلة الكفار وترغيب فى مواصلة المؤمنين ولا ينبغى للمؤمن ان تعجبه المشركة بمالها
وجمالها فان من المسلمات من تدفع التعجب وفى المحيط مسلم رأى نصرانية سمينة وتمنى ان يكون هو نصرانيا
حتى يتزوجها يكفر وهذا من حماقته فان السمان الحسنة كثيرة فى الملة الحنيفية ولكن علة الضم هى الجنسية
كما قال تعالى الزانى لاينكح الا زانية اومشركة وميل الطباع القذرة الى الدنيا العذرة قال تعالى الخبيثات للخبيثين
والطيبات للطيبين (ونعم ماقيل) همه مرغان كند باجنس پرواز * كبوتر با كبوتر باز با باز *
ومن بلاغات الزمخشرى لاترض لمجالستك الا اهل مجانستك اى لاترض ان يكون لك جليس من غير جنسك
فان العذاب الشديد ليس الا هو قال فى اسئلة الحكم واما اختلاف الاخلاق فمن تعارف الارواح بعضها
ببعض فى عالم الارواح قبل تلاقى الاشباح فى عالم الشهادة فمن تعارف روحه بروح صالح صلح بتعارفه الازلى
فمن هذا اختلاف الاخلاق صلاحها وفسادها فلابد من مناسبة اما من الجهة الجسمانية اومن الجهة الروحانية
فالجهة الجسمانية راجعة الى قابلية الطين والطبيعة الروحانية راجعة الى المناسبة الروحانية السابقة انتهى
قال الامام السخاوى فى المقاصد الحسنة عند قوله عليه السلام الارواح جنود مجندة فماتعارف منها ائتلف
وماتناكر منها اختلف سبب ورود هذا الحديث ماروته عائشة رضى الله عنها ان امرأة كانت بمكة تدخل
على نساء قريش تضحكهن فلما هاجرن ووسع الله تعالى دخلت المدينة قالت عائشة فدخلت على فقلت لها
فلانة ماأقدمك قالت اليكن قلت فاين نزلت قالت على فلانة امرأة كانت تضحك بالمدينة قالت عائشة ودخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فلانة المضحكة عندكم قالت عائشة نعم قال فعلى من نزلت قالت على فلانة
المضحكة قال الحمد لله ان الارواح الخ قال بعضهم

بينى وبينك فى المحبة نسبة * مستورة عن سر هذا العالم
نحن اللذان تحابت ارواحنا * من قبل خلق الله طينة آدم

انتهى كلام السخاوى

(قال الحسين الكاشفى) جاذب هر جنس راهم جنس دان * جنس بر جنس است عاشق جاودان * تلخ با تلخان
يقين ملحق شود * كى دم باطل قرين حق شود * طيبات آمد بسوى طيبين * الخبيثات للخبيثين آمد همين
واعلم انه ركز فى العقول الميل الى الخير ومخالفة الشر فللعاقل ان يتذكر فان من كان بصيرا بنفسه ومتأملا فى حاله
ينقطع عن اخوانه الداعين الى خلاف الحق ويصيخ الى داعى الهوى وقد قال بعض كبار العجم الله ليس باقى
هوس قال تعالى انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا والمقربون قد فروا الى الله تعالى
من جميع مافى ارض الوجود ولم يلتفتوا الى شئ سوى وجهه الكريم ولم يريدوا من المولى غير المولى فكانوا
احسن نية وعملا وهذا صراط مستقيم اللهم اهدنا رشدنا واعذنا من شر نفسنا انك انت المجيب (ويسألونك)
لعل حكاية الاسئلة الثلاثة بالواو وحكاية ماعداها بغير عطف انهم سألوا عن هذه الحوادث فى وقت واحد فكانه
قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وعن كذا بخلاف
ماعداها فانهم سألوها فى اوقات متفرقة (عن المحيض) مصدر كالمجيء والمبيت والحيض هو اللوث الخارج
من الرحم فى وقت معتاد والسؤال فيه نوع ابهام الا انه تبين بالجواب ان سؤالهم كان عن مخالطة النساء فى حالة
الحيض (قل هو اذى) اى الحيض شئ مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه وكراهة له روى ان اهل الجاهلية كانوا
لايساكنون الحيض ولايؤاكلوهن كدأب المجوس واليهود واستمر الناس على ذلك الى ان سأل عن ذلك
ابو الدحداح فى نفر من الصحابة فقال يارسول الله كيف نصنع بالنساء اذا حضن انقربهن ام لا فنزلت
(فاعتزلوا النساء فى المحيض) المحيض هنا اسم لمكان ظهور الحيض وهو الفرج اى فاجتنبوا مجامعتهن
لماروى ان المسلمين اخذوا بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يارسول الله البرد
شديد والثياب قليلة فان آثرناهن هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه
وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو
الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعوهن ولايبالون بالحيض (ولاتقربوهن) بالجماع
(حتى يطهرن) من المحيض وينقطع دمهن فذهب ابو حنيفة رحمه الله الى ان له ان يقربها اذا كانت ايامها
عشرة بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفى اقل الحيض لايقربها حتى تغتسل او يمضى عليها وقت صلاة

(فاذا تطهرن) اى اغتسلن فان التطهر هو الاغتسال (فأتوهن من حيث امركم الله) اى من المأتى الذى حلله
لكم وهو القبل (ان الله يحب التوابين) من الذنوب (ويحب المتطهرين) المتنزهين عن الفواحش والاقذار
كمجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتى (نساؤكم حرث لكم) اى مواضع حرث لكم شبهن بها لما بين ما يلقى
فى ارحامهن من النطف وبين البذور من المشابهة من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل منه والفرق بين الحرث
والزرع ان الحرث القاء البذر وتهيئة الارض والزرع مراعاته وانباته ولهذا قال تعالى افرأيتم ما تحرثون
أانتم تزرعونه ام نحن الزارعون فاثبت لهم الحرث ونفى عنهم الزرع (فأتوا حرثكم) لما عبر عنهن بالحرث عبر
عن مجامعتهن بالاتيان (أنى شئتم) أنى هنا بمعنى كيف اى كيف شئتم ومن اى شق وجهة اردتم بعد ان يكون
المأتى واحدا وهو موضع الحرث لان الدبر ليس موضع الحرث فلم يمكن حمل قوله أنى شئتم على التخيير فى الامكنة
حتى يجوز اتيان النساء فى ادبارهن فيكون محمولا على التخيير فى الكيفيات ويدل على هذا ما روى فى سبب نزول
الاية من ان اليهود كانوا يزعمون ان من اتى امرأته فى قبلها من دبرها يأتى ولده احول فذكر ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية ردا عليهم ببيان ان المقصود من عقد النكاح هو اتيان موضع الحراثة
على اى كيفية كانت وفى الحديث ملعون من اتى امرأته فى دبرها وهو اللواطة الصغرى والاتيان فى دبر
الذكر اكبر لواطة منه قال الامام من قبل غلاما بشهوة فكانما زنى بامه سبعين مرة ومن زنى مع امه مرة
فكانما زنى بسبعين بكرا ومن زنى مع البكر مرة فكانما زنى بسبعين الف امرأة وحكم اللواطة التعزير
والحبس فى السجن حتى يتوب وعندهما يحد حد الزنى فيجلد ان لم يكن محصنا ويرجم ان كان محصنا
(وقدموا لانفسكم) من الاعمال الصالحة ما يكون الثواب الموعود له ذخيرة محفوظة لكم عند الله ليوم
احتياجكم اليه ولا تكونوا فى قربانهن على قيد قضاء الشهوة بل كونوا فى قيد تقديم الطاعة مع ملاحظة الحكم
المقصود من شرع النكاح وهو الولد (واتقوا الله) بالاجتناب عن معاصيه التى من جملتها ما عد من الامور
(واعلموا انكم ملاقوه) الهاء راجع الى الله تعالى فلا بد من حذف مضاف اى ملاقوا جزائه فتزودوا
ما لا تفضحون به (وبشر) يا محمد (المؤمنين) الذين تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر والنواهى بحسن القبول
والامتثال بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم   درامان خانهٔ ايمان بنشين ايمن باش *
كرامان بايدت البته مروزين مامن * فالعلامة فى ذلك ان الذى يكون ايمانه عطاء يمنعه ايمانه من الذنوب
ويرغبه فى الطاعات والذى هو عارية لا يمنعه من الذنوب ولا يرغبه فى الطاعات اى لا يحثه على الطاعات لانه
لا تدبير له فى مكان هو فيه عارية اى لا يستقر الايمان فى مكان هو فيه عارية وفى قوله تعالى واعلموا انكم ملاقوه
اشارة الى ان على المرء ان يتذكر مرجعه ومصيره ويتدارك ما ينتفع به فى معاده من الاعمال الصالحة واول المرتبة
العمل للاخرة واما اعلى المراتب وافضل المقاصد والمطالب فالله تعالى كما قال تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم
يلعبون وذلك لان العمل لله تعالى لا لطلب الجنة ولا لخوف النار وفى التأويلات النجمية كما ان للنساء محيضا
فى الظاهر وهو سبب نقصان ايمانهن لمنعهن عن الصلاة والصوم فكذلك للرجال محيض فى الباطن هو سبب
نقصان ايمانهم لمنعهم عن حقيقة الصلاة وهى المناجاة وعن حقيقة الصوم وهى الامساك عن مشتهيات
النفس وكما ان المحيض هو سيلان الدم من الفرج فكذلك الهوى هو غلبات دواعى الصفات البشرية والحاجات
الانسانية فكلما غلب الهوى تكدر الصفا وحصل الاذى وقد قيل قطرة من الهوى تكدر بحرا من الصفا
فحينئذ منعت النفس عن الصلاة والصوم فى الحقيقة وان كانت مشغولة بهما وطبقات المؤمنين ثلاث العوام
والخواص وخاص الخاص اما العوام فلما كانوا اهل الغيبة عن الحقيقة ابيح لهم السكون الى اشكالهم اذا كان
على وصف الاذن وقيل لهم نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم واما الخواص فلما كانوا بوصف الحضور يلزم
عليهم المساكنة الى امثالهم وقيل لهم قل الله ثم ذرهم فهم سلكوا مسالك التفريد حتى وصلوا الى كعبة التوحيد
واما خاص الخاص فهم الرجال البالغون الواصلون الى عالم الحقيقة المتصرفون فيما سوى الله بخلافة الحق
فهم رجال الله وما دون الله نساؤهم فقيل لهم نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم فهم الانبياء وخواص
الاولياء فكما ان الدنيا مزرعة الاخرة لقوم فالدنيا والاخرة مزرعتهم ومحرثهم يحرثون فيها انى شاؤا وكيف شاؤا
وما يشاؤن الا ان يشاء الله فقد فنيت مشيئتهم فى مشيئة الله وبقيت قدرة تصرفهم بقوته فيقدمون لانفسهم

لا بانفسهم بل هو المقدم لما يقدمون وهو المؤخر لما يؤخرون ثم قال واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه يعنى يا خواص
الاولياء المتصرفين فى حرث الدنيا والاخرة اتقوا الله بالله فانكم ملاقوا الله لا يحجبكم عنه شئ وبشر
المؤمنين بانهم ملاقوا الله ايضا ان اتقوا الله بالله يعنى مرتبة خواص الاولياء ميسرة للمؤمنين اذا سعوا
فى طلبها حق سعيها (قال الحافظ) جمال يار ندارد نقاب وپرده ولى * غبار ره بنشان تا نظر توانى كرد *
(ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) روى ان بشير بن نعمان الانصارى كان قد
طلق زوجته التى هى اخت عبد الله بن رواحة واراد ان يتزوجها بعد ذلك وكان عبد الله قد حلف على
ان لا يدخل على بشير ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين اخته فاذا قيل له فى ذلك قال قد حلفت بالله ان لا افعل
ولا يحل لى الا ان احفظ يمينى وابر فيه فانزل الله تعالى هذه الاية والعرضة فعلة بمعنى المعروض جعل اسما
لما يعرض دون الشئ اى يجعل قدامه بحيث يصير حاجزا ومانعا منه من عرض العود على الاناء اى جعل العود
على الاناء وستره به بحيث يكون حاجزا وحائلا بين الاناء وما يتوجه اليه والمعنى لا تجعلوا ذكر الله والحلف به
مانعا لما حلفتم عليه من انواع الخير كالبر والاتقاء والاصلاح فان الحلف بالله لا يمنع ذلك فيكون لفظ الايمان
مجازا مرسلا عن الخيرات المحلوف عليها سمى المحلوف عليه يمينا لتعلق اليمين به واللام فى لايمانكم متعلق بقوله
عرضة تعلق المفعولية لا تعلق العلية لان العرضة ما عرضته دون الشئ فاعترضه اى ما تجعله انت قدام شئ
آخر فيقع قدامه فيكون المعنى لا تجعلوا الحلف بالله شيأ عرضا اى وقع قدام المحلوف عليه الذى هو البر والخير
ويصير مانعا من الاتيان به وان تبروا عطف بيان لايمانكم اى للامور المحلوف عليها التى هى البر والتقوى
والاصلاح (والله سميع) لايمانكم (عليم) بنياتكم حتى ان تركتم الحلف تعظيما لله واجلالا له من ان تستشهدوا
باسمه الكريم فى الاغراض العاجلة يعلم ما فى قلوبكم ونياتكم فحافظوا على ما كلفتموه (وفى المثنوى) ازپى آن كفت
خودرا حق سميع * تا ببندد لب ز كفتار شنيع * ازپى آن كفت خودرا حق بصير * كه بود
ديد وبت هردم نذير * ازپى آن كفت خودرا حق عليم * تا نينديشى فسادى تو زبيم * والاية
عامة فى كل من كان يحلف بالله ان لا يحسن لاحد ولا يتقى من العصيان فيعمل ما اشتهت نفسه وان لا يصلح
بين الناس اذا وقع فيهم العداوة والبغضاء فكأنه قال تعالى كل ذلك خير وطاعة لا يمنعها حلفكم فان حلفتم
عليها فلتكفروا عن حلفكم ولتفعلوا تلك الخيرات من البر والتقوى والاصلاح بين الناس ولا تقولوا نحن حلفنا
بالله فنخاف من اليمين بان نفعله فنحنث فى يميننا فالحنث اولى من البر فيما يتعلق بالبر والتقوى والاصلاح
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا فليكفر عن يمينه ثم ليفعل الذى هو خير
والكفارة قبل اليمين غير جائزة وبعد الحنث واجبة اتفاقا ولا تجوز قبل الحنث بعد اليمين عند اسحق رحمه الله
وفى الشرعة ولا يروج سلعته اى متاعه بالحلف لا صادقا ولا كاذبا لانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس
وهى من الكبائر التى تذر الديار بلاقع وان كان صادقا قد جعل الله عرضة لايمانه واساء فيه اذ الدنيا اخس
من ان يقصد ترويجها بذكر الله من غير ضرورة ومن حلف بالله فى كل قليل وكثير انطلق لسانه بذلك ولا يبقى
اليمين فى قلبه فلا يؤمن اقدامه على الايمان الكاذبة فيختل ما هو الغرض الاصلى من اليمين وفى الخبر ويل للتاجر
من بلى والله ولا والله وفى بستان العارفين ويكره ان يصلى على النبى عليه السلام فى عرض السلعة فيقول صلى
الله على محمد ما اجود هذا وقال عليه السلام التجار هم الفجار قيل ولم يا رسول الله وقد احل الله البيع فقال
لانهم يحلفون ويأثمون ويحدثون فيكذبون ولا يحلف على الله بشئ نحو ان يقول والله ليفعلن الله كذا ولو اقسم
ولى الله مثل القسم المذكور لابره الله ويصدقه فى يمينه كرامة له وكان ابو حفص رحمه الله يمشى ذات يوم
فاستقبله رستاقى مدهوش فقال له ابو حفص ما اصابك قال ضل حمارى ولا املك غيره فوقف ابو حفص وقال
وعزتك لا اخطو خطوة ما لم ترد حماره فظهر الحمار فى الوقت كذا فى شرح المشارق (لا يؤاخذكم الله باللغو)
اللغو ما سقط من الكلام عن درجة الاعتبار يقال لغا لغوا اذا قال باطلا (فى ايمانكم) جمع يمين وهو الحلف
وسميت بها لمعنيين احدهما انها من اليمين التى هى اليد اليمنى وكانوا اذا تحالفوا فى العهود تصافحوا بالايمان
فسميت بذلك والثانى ان اليمين هى القوة قال تعالى لاخذنا منه باليمين وسميت به لان الحالف يتقوى بيمينه على
حفظ ما حلف عليه من فعل او ترك والمراد باللغو فى الايمان ما لا عقد معه ولا قصد وهو ان يحلف الرجل بالله

على شئ يظن انه صادق فيه وليس كذلك سوآء كان الذى يحلف عليه ماضيا اوغيره فليس له اثم ولا كفارة هذا عند ابى حنيفة واما عند الشافعى فلغو اليمين ماسبق اليه اللسان بلاقصد الحلف نحو لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم من غير اخطار الحلف بالبال ولو قيل لواحد منهم سمعتك تحلف فى المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفى الاية معنيان احدهما لا يعاقبكم الله باللغو فى ايمانكم ظنا انكم صادقون فيه (ولكن يؤاخذكم) المؤاخذة مفاعلة من الاخذ وهى المعاقبة ههنا (بما كسبت قلوبكم) انطوت عليه واقترفت قلوبكم من قصد الاثم بالكذب فى اليمين وهو ان يحلف الرجل على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهى اليمين الغموس وسميت بالغموس لانغماس صاحبها فى الاثم بها وثانيهما لا تلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذى لاقصد معه ولكن تلزمكم الكفارة بما نوت قلوبكم وقصدت من اليمين لا بكسب اللسان وحده وفى التيسير ان هذه الاية فى مؤاخذة الاخرة فاما المؤاخذة المذكورة فى قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فهى المؤاخذة بالكفارة لكنها فى اليمين المعقودة فالايتان فى مؤاخذتين مختلفتين (والله غفور) حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئا عن قلة المبالاة (حليم) حيث لم يعجل بالمؤاخذة وفيه ايذان بان المؤاخذة المعاقبة لا ايجاب الكفارة اذ هى التى تتعلق بها المغفرة والحلم دونه والفرق بين الحليم والصبور انه الذى لا يشمئز من الامر ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ ولا يحمله على المسارعة الى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش كما قال الله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة وحظ العبد من وصف الحليم ظاهر فالحلم من محاسن خصال العباد وفى الحديث ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم مرتبة الصائم القائم (قال الحسين الواعظ الكاشفى)

علم با حلم خال روى بود * علم بى حلم خالى كوى بود * بردبارى چو زينت خردست * هركرا حلم نيست زيور نيست *

ثم انه قال قال العلماء اذا حلف بشئ فحنث ان كان مستقبلا فعليه كفارة وهو اليمين المنعقدة وان كان ماضيا فان كان الحالف عالما بالواقع وحلف على خلافه فاليمين كبيرة ولا كفارة عند ابى حنيفة فى الكبائر وعند الشافعى تجب الكفارة فيه وهو اليمين الغموس وان كان الحالف جاهلا بالواقع ويرى انه صادق فيه وليس كذلك فلا كفارة فيه وهو يمين اللغو عند ابى حنيفة واليمين الغموس عند الشافعى ويحكم فيه بالكفارة واليمين بالله اوباسم من اسمائه اوبصفة من صفاته فاليمين بالله ان يقول والذى اصلى له والذى نفسى بيده واليمين باسمائه كقوله والله والرحمن ونحوه واليمين بصفته كقوله وعزة الله وعظمته وجلال الله وقدرته ونحوها ومن حلف بغير الله مثل ان قال والكعبة وبيت الله ونبى الله اوحلف بابيه ونحوه فلا يكون يمينا ولا تجب به الكفارة اذا خالف وهى يمين مكروهة قال الشافعى واخشى ان تكون معصية وفى الحديث من حلف بغير الله فقد اشرك بالله معناه من حلف بغير الله تعالى معتقدا تعظيم ذلك الغير فقد اشرك المحلوف به مع الله فى التعظيم المختص به ولو لم يكن على قصد التعظيم والاعتقاد به فلا بأس به كقوله لا وابى ونحو ذلك كما جرت به العادة قال على الرازى اخاف الكفر على من قال بحياتى وبحياتك وما اشبهه ولولا ان العامة يقولونه ولا يعلمونه لقلت انه الشرك لانه لا يمين الا بالله ولا يحلف بالبرآءة من الاسلام فمن فعل ذلك صادقا فلن يرجع الى الاسلام سالما وان كان كاذبا خيف عليه الكفر وفى الحديث من حلف بملة غير الاسلام كاذبا فهو كما قال وظاهر الحديث يدل على ان المسلم ان قال ان افعل كذا فانا يهودى ففعل يكفر وبه عمل الشافعى وقال الحنفية لا يكفر فحملوا الحديث على التهديد واما ان علقه بالماضى كقوله ان فعلت كذا فانا يهودى وقد فعل فقد اختلفت الحنفية والصحيح انه لا يكفر ان كان يعلم انه يمين وان كان عنده انه يكفر بالحلف يكفر لانه رضى بالكفر وهو محمل الحديث عند الاكثر وفى الفتاوى البزازية والفتوى على انه يمين يلزم عليه الكفارة والاشارة فى الاية ان ما يجرى على الظواهر من غير قصد ونية فى البواطن ليس له كثير خطر فى الخير والشر ولا زيادة اثر ولو كان له اثر فى الخير لما عاب على قوم يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم وكذا ما يجرى على اللسان بنية القلب بلا فعل الجوارح لو كان مؤثرا فى القبول لما عاب قوما بقوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ولو كان له اثر فى البر لما وسع على قوم بقوله لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وما عفا عن قوم بقوله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وذلك لان القلب كالارض للزراعة والجوارح كالالات للحراثة والاعمال والاقوال كالبذر فالبذر ما لم يقع فى الارض المربية للزراعة لا ينبت وان كان فى آلة من آلات الحراثة فافهم جدا واما ان كان ما يجرى

على

على الظواهر من الخيرات فى آثار فى القلب ولو كان مثقال ذرة فان الله من كمال فضله وكرمه لا يضيعه حتى يكون القليل كثيرا والصغير عظيما وان كان ما يجرى على الظواهر من الشر ادنى اثر فى القلب فان الله تعالى من غاية لطفه واحسانه لا يؤاخذ العبد به بل يحلم عنه ويتوب عليه ويغفر له كما قال والله غفور حليم كذا فى التأويلات النجمية (للذين يؤلون من نسائهم) الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل بعلى لكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدى بمن اى للذين يبعدون من نسائهم مؤلين (تربص اربعة اشهر) اى انتظار هذه المدة واضافته الى الظرف على الاتساع فى الظرف بجريه مجرى المفعول به كما يقال بينهما مسيرة يوم اى مسيرة فى يوم اى لهم ان ينتظروا فى هذه المدة من غير مطالبة بفئ اوطلاق والايلاء من الزوجة ان يقول الرجل والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر اولا اقربك على الاطلاق ولو حلف على ان لا يطأها اقل من اربعة اشهر لا يكون موليا بل هو حالف اذا وطئها قبل مضى تلك المدة يجب عليه كفارة يمين على الاصح وللايلاء حكمان حكم الحنث وحكم البر فحكم الحنث وجوب الكفارة بالوطئ فى مدة الايلاء ان كان اليمين بالله ولزوم الجزآء من نحو الطلاق اوالعتاق اوالنذر المسمى ان كان القسم بذلك وحكم البر وقوع طلقة بائنة عند مضى مدة الايلاء وهى اربعة اشهر ان كانت المنكوحة حرة وان كانت المنكوحة امة الغير تبين بمضى شهرين قال قتادة كان الايلاء طلاقا لاهل الجاهلية وقال سعيد بن المسيب كان ذلك من ضرار اهل الجاهلية كان الرجل لا يحب امرأته ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها ابدا فيتركها لا ايما ولا ذات بعل وكانوا فى ابتدآء الاسلام يفعلون ذلك ايضا فازال الله ذلك الضرر عنهن وضرب للزوج مدة يتروى فيها ويتأمل فان رأى المصلحة فى ترك هذه المضارة فعله وان رأى المصلحة فى المفارقة فارقها (فان فاؤا) اى ان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك الجماع (فان الله غفور رحيم) يغفر للمولى بفيئته التى هى كتوبته اثم حنثه عند تكفيره اوما قصد بالايلاء من ضرار المرأة (وان عزموا الطلاق) اصل العزم والعزيمة عقد القلب على امضاء شئ تريد فعله اى حققوه واكدوه بان ثبتوا فى المدة على ترك القربان حتى مضت المدة (فان الله سميع) لطلاقهم (عليم) بغرضهم فيه والاشارة فى تحقيق الايتين ان يعلم العبد ان الله لا يضيع حق احد من عباده لا على نفسه ولا على غيره فلما تقاصر لسان الزوجة لكونها اسيرة فى يد الزوج فالله تعالى تولى الامر بمراعاة حقها فامر الزوج بالرجوع اليها اوتسريحها فاذا كان حق صحبة الاشكال محفوظا عليك حتى لو اخللت به اخذك بحكمه فحق الحق احق بان يجب مراعاته وفى تعيين تربص اربعة اشهر فى الفئ اشارة عجيبة وهى انها مدة تعلق الروح بالجنين كما قال عليه السلام ان احدكم يجمع خلقه اى يحرز ويقر مادة خلقه فى بطن امه اى فى رحمها من قبيل ذكر الكل وارادة الجزء اربعين يوما وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان النطفة اذا وقعت فى الرحم فاراد الله ان يخلق منها تنشر فى بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعرة فتمكث اربعين ليلة ثم تنزل دما فى الرحم فذلك جمعها ثم تكون علقة وهى قطعة دم غليظ جامد مثل ذلك اربعين يوما ثم تكون مضغة وهى قطعة لحم قدر ما تمضغ مثل ذلك ثم يرسل الله اليه الملك فينفخ فيه الروح وهذا يدل على ان التصوير يكون فى الاربعين الثالثة ويؤمر باربع كلمات يعنى يؤمر الملك بكتابة اربع قضاها معطوف على قوله تكون علقة لان الكتابة فى الاربعين الثانية يكتب رزقه روى على صيغة المجهول والمعلوم واجله وهو يطلق على مدة الحياة كلها وهو المراد هنا وعلى منتهاها ومنه قوله تعالى فاذا جاء اجلهم وعمله وشقى وهو من وجبت له النار اوسعيد وهو من وجبت له الجنة قدم ذكر الشقى لانه اكثر الناس كذا قال القاضى المراد بكتبه هذه الاشياء اظهاره للملك والا فقضاؤه تعالى سابق على ذلك فاذا تمهد هذا فمن وقع له من اهل القصد وقفة اوفترة فى اثناء السلوك من ملالة النفس اونفرة الطبع فعلى الشيخ وعلى الاصحاب ان لا يفارقوه فى الحقيقة وان يتعاونوا بالهمم العلية لاستجلابه ويتربصوا اربعة اشهر الرجوع فان فاء الى صدق الطلب ورعاية حق الصحبة واستغفر على ما جرى منه ونفخ فيه روح الارادة مرة اخرى اقبلوا عليه وعفوا عما لديه فان هذا ربع لا يرعاه الا المهزولون وربع لا يسكنه الا المعزولون ومنهل لا يرده الا اللاهون وباب لا يقرعه الا المالكون بل هذا شراب لا يذوقه الا العارفون وغناء لا يطرب عليه الا العاشقون وان عزموا بعد مضى اربعة اشهر طلاق منكوحة المواصلة واصروا على ذنب المفارقة فلهم التمسك بعروة هذا فراق بينى وبينك فان الله سميع بمقالتهم عليم بحالتهم (قال السعدى) نه مارا درميان عهد ووفا بود * جفا كردى

وبدعهدی نمودی * هنوزت از سر صلحست باز آی * کزان محبوب تر باشی که بودی * قال اوحد المشايخ
فی وقته ابو عبد الله الشيرازی رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فی المنام وهو يقول من عرف طريقا الى الله
فسلكه ثم رجع عنه عذبه الله بعذاب لم يعذب به احدا من العالمين كذا فی لواقح الانوار القدسية فی مناقب العلماء
والصوفية (والمطلقات) المراد بها ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن لانه لا عدة على غير المدخول بها
وان عدة من لا تحيض لصغر او كبر او حمل بالاشهر ووضع الحمل وان عدة الامة قرءآن او شهران واصل
التطليق رفع القيد اى المخليات من حبال ازواجهن (يتربصن) خبر فی معنى الامر اى ليتربصن وينتظرن
(بانفسهن) الباء للتعدية اى يحملن انفسهن على التربص ويجعلنها متربصة (ثلاثة قروء) نصب على الظرفية اى
مدة ثلاثة قروء فلا تتزوجن الى انقضائها والقروء جمع قرء وهو من الاضداد فی كلام العرب يقع على الطهر
والحيض والمشهور انه حقيقة فيهما كالشفق اسم للحمرة والبياض جميعا ذهب ابو حنيفة واصحابه الى ان القروء
هی الحيض لان الله تعالى جعل الاعتداد بالاشهر بدلا من الاعتداد بالقرء كما قال واللائی يئسن من المحيض
من نسائكم فعدتهن ثلاثة اشهر فلما شرع ذلك عند ارتفاع الحيض دل ان الاصل كان هو الحيض وتمسك
الشافعی بقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن على ان المراد بالقروء الاطهار لان اللام فی لعدتهن للوقت ووقت
العدة لا يجوز ان يكون وقت الحيض لانه تعالى امر بالطلاق والطلاق فی وقت الحيض منهی عنه وجوابه
ان معناه فطلقوهن مستقبلات لعدتهن وهی الحيض الثلاث فالطلاق يقع ثم تأخذ المرأة وتشرع فی العدة
وليس معنى الاية ان الطلاق واقع فی العدة وفائدة الخلاف بين الشافعی وابی حنيفة ان مدة العدة عند الشافعی
اقصر وعند ابی حنيفة اطول حتى لو طلقها فی حال الطهر يحسب بقية الطهر قرأ وان حاضت عقيبه فی الحال
فاذا شرعت فی الحيضة الثالثة انقضت عدتها وعند ابی حنيفة ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان الطلاق
فی حال الطهر او من الحيضة الرابعة ان كان الطلاق فی حال الحيض لا يحكم بانقضاء عدتها (ولا يحل لهن
ان يكتمن) اى يخفين (ما خلق الله فی ارحامهن) من الحبل والحيض بان تقول المرأة لست بحامل او لست
بحائض وهی حائض لتبطيل حق الزوج من الولد والرجعة وذلك اذا ارادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها
لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع وربما اسقطت الحمل خوفا ان يعود ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت
حيضها استعجالا للطلاق لان الطلاق السنی انما يكون فی الطهر وفيه دليل على قبول قولهن فی ذلك نفيا واثباتا
(ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) اى فلا يجترئن على ذلك فان قضية الايمان بالله واليوم الاخر الذی يقع فيه
الجزاء والعقوبة منافية له قطعا وفيه تهديد شديد على النساء وليس المراد ان ذلك النهی مشروط بكونها مؤمنة
لان المؤمنة والكافرة فی هذا الحكم سواء (وبعولتهن) جمع بعل والبعلة المرأة واصل البعل السيد والمالك سمی
الزوج بعلا لقيامه بامر زوجته كانه مالك لها ورب والتاء فی البعولة لتأنيث الجمع فان الجمع لكونه بمعنى الجماعة
فی حكم المؤنث والتاء زائدة لتأكيد التأنيث ودلت تسمية الزوج بعلا بعد طلاقها الصريح ان النكاح قائم
والحل ثابت والضمير لبعض افراد المطلقات لان هن عام شامل للمطلقة بالطلاق الرجعی والبائن ولا حق لازواج
المطلقات البوائن فی النكاح والرجعة (احق بردهن) الى النكاح والرجعة اليهن (فی ذلك) اى فی زمان
التربص فان حق الرجعة انما يثبت للزوج ما دامت فی العدة واذا انقضى وقت العدة بطل حق الرد والرجعة
وافعل ههنا بمعنى الفاعل والمعنى ان ازواجهن حقيقون بردهن اذ لا معنى للتفضيل هنا فان غير الازواج لا حق
لهم فيهن البتة ولا حق ايضا للنساء فی ذلك حتى لو ابت من الرجعة لم يعتد بذلك (ان ارادوا) اى الازواج
بالرجعة (اصلاحا) لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن كما كانوا يفعلونه فی الجاهلية كان الرجل
يطلق امرأته فاذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم بعد مدة طلقها يقصد بذلك تطويل العدة عليها وليس المراد به
شرطية قصد الاصلاح بصحة فان الرجعة صحيحة وان راجعها مضارا بها بل هو الحث عليه والزجر عن قصد
الضرار ثم انه تعالى لما بين ان المقصود من الرجعة اصلاح حالها لا ايصال الضرر اليها بين ان لكل واحد من
الزوجين حقا على الاخر فقال (ولهن) عليهم من الحقوق (مثل الذی) لهم (عليهن بالمعروف) قوله بالمعروف
متعلق بما تعلق به لهن من الاستقرار اى استقر لهن بالمعروف اى بالوجه الذی لا ينكر فی الشرع وعادات الناس
فلا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه ووجه المماثلة بين الحقين هو الوجوب واستحقاق

المطالبة لا الاتحاد فی جنس الحقوق مثلا اذا استحقت المرأة على الزوج المهر والنفقة والمسكن لا يستحق هو
عليها ايضا جنس هذه الحقوق (وللرجال عليهن درجة) اى زيادة فی الحق وفضل فيه وفضل الرجل على المرأة
فی العقل والدين وما يتفرع عليهما مما لا شك فيه وفضله المناسب بهذا المقام امران الاول كون ما يستحق هو
عليها افضل وازيد مما تستحق هی عليه فانه مالك لها مستحق لنفسها لا تصوم تطوعا الا باذنه ولا تخرج من بيتها
الا باذنه وقادر على الطلاق فاذا طلقها فهو قادر على مراجعتها شاءت المرأة او ابت واما المرأة فلا تملك شيأ من
هذه الامور وانما حقها فيه المهر والكفاف وترك الضرار والثانی ما اشار اليه الزجاج بقوله معناه ان المرأة تنال
من الرجل من اللذات المتفرعة على النكاح مثل ما ينال الرجل منها وله الفضيلة عليها بنفقته والقيام عليها
فالفضيلة على هذا فضيلة ما التزمه فی حقها مما يتعلق بالرحمة والاحسان كالتزام المهر والنفقة والمسكن والذب
عنها والقيام بمصالحها ومنعها عن مواقع الآفات عن ابی هريرة رضی الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو كنت آمرا لاحد ان يسجد لاحد غير الله لامرت المرأة ان تسجد لزوجها لما عظم الله من حقه عليها
قال تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فكان قيام
المرأة بخدمة الرجل آكد وجوبا لهذه الحقوق الزائدة (والله عزيز) يقدر على الانتقام ممن يخالف احكامه
(حكيم) تنطوی شرائعه على الحكم والمصالح واعلم ان مقاصد الزوجية لا تتم الا اذا كان كل واحد من الزوجين
مراعيا حق الاخر مصلحا لاحواله مثل طلب النسل وتربية الولد ومعاشرة كل واحد منهما الاخر بالمعروف
وحفظ المنزل وتدبير ما فيه وسياسة ما تحت ايديهما الى غير ذلك مما يستحسن شرعا ويليق عادة وفی الحديث
جهاد المرأة حسن التبعل يقال امرأة حسنة التبعل اذا كانت تحسن عشرة زوجها والقيام بما عليها فی بيت
الزوج وفی الحديث ايما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة كما فی رياض الصالحين ومن الحقوق
التزين قال ابن عباس رضی الله عنه انی لاتزين لامرأتی كما تتزين لی لقوله تعالى ولهن مثل الذی عليهن
بالمعروف ويقال ان المرأة مثل الحمامة اذا نبت لها جناح طارت كذا الرجل اذا زين امرأته بالثياب فلا تجلس
بالبيت وقال رجل ما دخل داری شر قط فقال حكيم ومن اين دخلت امرأتك (قال السعدی) دلارام باشد
زن نيك خواه * ولی از زن بد خدايا پناه (وقال بعضهم) عصمت زن را بمقام جمال * جلوه حرامست
مكر با حلال * حكی انه كان فی بنی اسرائيل رجل صالح وكان له امرأة يحبها حبا شديدا فبعث الله اليه ان يسأله
ثلاث حوائج فقال لامرأته حوائجی كثيرة لا ادری ما اعمل فقالت امرأته اسأل حاجة لی وحاجتين لك قال
ما تريدين قالت اسأل ربك ان يصيرنی فی صورة ما كان صورة احسن منها واجمل فسأل ربه فاضاء البيت من
حسنها وجمالها فقامت لتخرج من بيتها فقال زوجها الى اين تذهبين قالت الى بعض السلاطين انا لا اضيع حسنی
وجمالی بمثلك ومنع الزوج خروجها ثم بلغ الخبر الى بعض السلاطين فجاء اعوانه واخذوها من زوجها جبرا
فقال الرجل اللهم بقی لی عندك حاجتان اجعلها قردة فمسخها الله تعالى قردة فردها الملك من عنده فجاءت
الى زوجها ثم قال الرجل اللهم ردها كما كانت اولا فذهبت الحوائج كلها عبثا لا هی افلحت ولا هو والاشارة
ان المطلقات لما امرن بالعدة وفاء لحق الصحبة وان كان الانقطاع من الزوج لا من الزوجة امرن ان لا يغيرن
غير مقامه بالسرعة ويصبرن حتى يمضی مقدار من المدة الى آخر القصة وكلها دلالات على وفاء الربوبية فی رعاية
العبودية فان الله تعالى من كمال كرمه يرخی زمام الفضل بالاصطناع وان كان من العبد الفصل والانقطاع
ويمهل العبد الى انقضاء عدة الجفاء ولا يعرض عنه سريعا لاقامة شرط الوفاء لعل العبد فی مدة العدة يتنبه
من نوم الغفلة وتتحرك داعيته فی ضمير قلبه من نتايج محبة ربه وان ابتلاه بمحنة الفرقة فيقرع باصبع الندامة
باب التوبة ويقوم على قدم الغرامة فی طلب الرجعة والاوبة فيقال من كمال الفضل والنوال يا قارع الباب دع
نفسك وتعال من طلب منا فلا حاجب لزم عتبتنا مساء وصباحا (الطلاق) اى التطليق الرجعی المقدم ذكره الذی
قال تعالى فيه وبعولتهن احق بردهن (مرتان) اى دفعتان وذلك لا يكون الا على سبيل التفريق فان من اعطى
الى آخر درهمين لم يجز ان يقال اعطاه مرتين حتى يعطيه اياهما دفعتين فالجمع بين الطلقتين والثلاث فی الايقاع
حرام عند ابی حنيفة رحمه الله الا انه سنی الوقوع لا سنی الايقاع فالطلاق الذی يثبت فيه للزوج حق المراجعة
هو ان يوجد طلقتان فقط واما بعد الطلقتين بان طلق ثلاثا فلا يثبت للزوج حق الرجعة البتة ولا تحل له المرأة

الابعد زوج آخر ثم قوله الطلاق مرتان وان كان ظاهره الخبر فان معناه الامر لان حمله على ظاهره يؤدى
الى وقوع الخلف فى خبر الله تعالى لانه قد يوجد ايقاع الطلاق على وجه الجمع ولا يجوز الخلف فى خبر الله فكان
المراد منه الامر كانه قيل طلقوهن مرتين اى دفعتين (فامساك) اى فالحكم بعد هاتين الطلقتين امساكهن
(بمعروف) وهو ان يراجعها الا على قصد المضارة بل على قصد الاصلاح وحسن المعاشرة (او تسريح) اى تخلية
(باحسان) بان يترك المراجعة حتى تبين بانقضاء العدة ومعنى الاحسان فى التسريح انه اذا تركها ادّى اليها
حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها وجملة الحكم فى هذا الباب ان الحر اذا طلق
زوجته طلقة او طلقتين بعد الدخول بها يجوز له ان يراجعها من غير رضاها مادامت فى العدة وان لم يراجعها
حتى تنقضى عدتها او طلقها قبل الدخول بها او خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها فان طلقها
ثلاثا فلا تحل له مالم تنكح زوجا غيره واما العبد اذا كانت تحته امة فطلقها طلقتين فانها لا تحل له الا بعد نكاح
زوج آخر والاعتبار بالمرأة فى عدد الطلاق عند ابى حنيفة رحمه الله فيملك العبد على زوجته الحرة ثلاث طلقات
ولا يملك الحر على زوجته الامة الا طلقتين (ولا يحل لكم) روى ان جميلة بنت عبد الله بن ابى بن سلول كانت
تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله عليه السلام وقالت لا انا ولا ثابت ولا يجمع رأسى ورأسه شئ
والله ما اعيبه فى دين ولا خلق ولكنى اكره الكفر فى الاسلام ما اطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل
فى عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها اى سماها
ثابت صداقا لها يعنى لما قالت جميلة ما قالت قال ثابت يا رسول الله مرها فلترد على الحديقة التى اعطيتها فقال
عليه السلام لها ما تقولين قالت نعم وازيده فقال عليه السلام لا حديقته فقط ثم قال لثابت خذ منها ما اعطيتها
وخل سبيلها ففعل وكان ذلك اول خلع فى الاسلام والخطاب فى لكم مع الحكام ليطابق قوله تعالى فان خفتم
فانه خطاب مع الحكام والحكام وان لم يكونوا آخذين ومؤتين حقيقة الا انهم هم الذين يأمرون بالاخذ والايتاء
عند الترافع اليهم فكانهم هم الذين يأخذون ويؤتون (ان تأخذوا مما آتيتموهن) اى تأخذوا منهن بمقابلة
الطلاق ما اعطيتموهن من المهور (شيأ) اى نزرا يسيرا فضلا عن استرداد الكثير (الا ان يخافا) اى الزوجان
(الا يقيما حدود الله) اى الا ان لا يراعيا مواجب الزوجية قوله الا ان يخافا استثناء مفرغ وان يخافا محله
النصب على انه مفعول من اجله مستثنى من العام المحذوف تقديره ولا يحل لكم ان تأخذوا بسبب من الاسباب
الا بسبب خوف عدم اقامة حدود الله (فان خفتم) ايها الحكام (الا يقيما حدود الله) اى الحقوق التى اثبتها
النكاح وذلك بمشاهدة بعض الامارات والمخايل (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) اى فيما اعطته المرأة من بدل
الخلع لا على الزوج فى اخذ ما فدت به نفسها ولا عليها فى اعطائه اياه هذا اذا كان النشوز من قبل المرأة لانها
ممنوعة عن اتلاف المال بغير حق اما اذا كان النشوز من قبل الزوج فلا يحل له ان يأخذ شيأ مما آتاها لقوله تعالى
فلا تأخذوا منه شيأ ولا يضيق عليها ليلجئها الى الافتداء فان ذلك منهى عنه قال تعالى فى سورة النساء
ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن وعموم قوله تعالى فيما افتدت به يشعر بجواز المخالعة على قدر المقبوض
من الزوج وعلى الازيد والاقل وعليه جمهور الفقهاء ثم ان ظاهر الاية انه لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف
وجمهور المجتهدين على جوازه فى حالة الخوف وفى غير حالة الخوف فلابد حينئذ ان يجعل قوله الا ان يخافا
استثناء منقطعا كما فى قوله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ اى لكن ان قتل خطأ فدية مسلمة الى
اهله قال البغوى ويجوز الخلع فى غير حال النشوز غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان من ابغض الحلال الى الله الطلاق (تلك) اى الاحكام المذكورة (حدود الله) اوامره
ونواهيه (فلا تعتدوها) اى لا تتجاوزوا عنها بالمخالفة والرفض (ومن يتعد حدود الله فاولئك) المتعدون
(هم الظالمون) اى لانفسهم بتعريضها لسخط الله وعقابه اعلم ان المرأة اذا برئت من مواقع الخلل واتصفت
بالعفة فعلى الزوج ان يعاشرها بالمعروف ويصبر على سائر اوضاعها وسوء خلقها ويتأدب باداب النبى صلى الله
عليه وسلم وكان عليه السلام يحسن المعاشرة مع ازواجه المطهرة فحسن معاشرتهن والصبر عليهن مما يحسن
الاخلاق فلا جرم يعد الصابر من المجاهدين فى سبيل الله وروى ان بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته
الى ان ماتت وعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة اروح لقلبى قال فرأيت فى المنام بعد جمعة من وفاتها

كان ابواب السماء قد فتحت وكان رجالا ينزلون ويسيرون فى الهواء يتبع بعضهم بعضا فكلما نظر الى واحد منهم
يقول لمن وراءه هذا هو المشؤم فيقول الاخر نعم ويقول الثالث كذلك فخفت ان اسألهم الى ان مر بى آخرهم
فقلت له من هذا المشؤم فقال انت قلت ولم قال كان يرفع عملك مع اعمال المجاهدين فى سبيل الله تعالى فمنذ جمعة
امرنا ان نضع عملك مع المخالفين فلا ندرى ما احدثت فقال لاخوانه زوجونى فلم يكن يفارقه زوجتان او ثلاث
(قال الكاشفى) مردى كمان مبركه بزورست وپردلى * بانفس اكر جهاد كنى مرد كاملى *
ولا يتيسر هذا الا لواحد بعد واحد كما قيل وللحروب رجال وان انت تريد الطلاق فطلق نفسك (كما قيل)
هركه زن نفس شوم راداد طلاق * جفتش نبود بزير اين نيلى طاق * از مزبلهٔ نفس قدم بيرون نه *
تا روحت كند نسيم وصل استنشاق * ومادام عجوز نفسك تشوش باطنك وتخرب بيت قلبك فالعروس
التى هى تجلى الروح لا تتراءى من وراء نقاب السر ولا تجيء بيت مشاهدتك رحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد
طوره والاشارة فى الاية ان اهل الصحبة لا يفارقون بجريمة واحدة صدرت من الرفيق الشفيق والصديق
الصدوق ولا بجريمتين بل يتجاوزون مرة او مرتين وفى الثالثة فامساك بمعروف او تسريح باحسان اما صحبة
جميلة او فرقة جميلة كما تجاوز الخضر عن موسى عليهما السلام مرتين وفى الثالثة قال هذا فراق بينى وبينك
واما الصحبة من غير تعظيم وحرمة وذهاب لذة العمر بالاخلاق الذميمة واضاعة الوقت فى تحصيل المقت فغير
مرضية فى الطريقة ولا محمودة فى الشريعة بل قاطعة طريقة الحق وليس لاهل الصحبة اذا اتفقت المفارقة
ان يستردوا خواطرهم عن الرفقاء بالكلية ويقطعوا رحم الاخوة فى الدين ويأخذوا عنهم قلوبهم بعدما آتوهم
الهمم العلية فان العائد فى هبته كالعائد فى قيئه الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فى رعاية حقوق الصحبة فان
خفتم الا يقيما حدود الله بان تؤدى الى مداهنة او اهمال فى حق حقوق الدين فلا جناح عليهما فيما افتدت به
من الحظوظ لرعاية الحقوق تلك حدود الله من الحظوظ والحقوق فلا تعتدوها بترك الحقوق لنيل الحظوظ كذا
فى التأويلات النجمية قدس الله تعالى نفسه الزاكية القدسية (فان طلقها) اى بعد الطلقتين السابقتين
(فلا تحل) تلك المرأة (له) لزوجها (من بعد) اى من بعد الطلقة الثالثة لا بطريق الرجعة ولا بتجديد العقد
(حتى تنكح) تتزوج تلك المرأة (زوجا غيره) اى غير المطلق ويسمى الاجنبى زوجا لانه بالعقد يصير زوجا فسماه
باسم العاقبة والنكاح هنا العقد دون الوطئ وبه اخذ سعيد بن المسيب واللفظ يشهد له لا يقال حتى تطأ المرأة
الزوج فان المرأة موطوءة لا واطئة فالاية وان كانت مطلقة لانها انما تدل على ان عدم حلها له يمتد الى ان تتزوج
بزوج آخر وينعقد بينهما عقد النكاح من غير تقييد ذلك العقد بكونه مؤديا الى جماع الزوج الثانى لكنها مقيدة
بالسنة فالاجماع على اشتراط الاصابة لما روى ان امرأة رفاعة جاءت النبى عليه السلام فقالت ان رفاعة
طلقنى فبت طلاقى اى قطعه حيث طلقنى ثلاثا وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجنى وان ما معه اى ذكره ليس
باغنى عنى من هذه اى الهدبة واخذت من جلبابها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتريدين
ان ترجعى الى رفاعة قالت نعم فقال لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك والمراد بالعسيلة الجماع شبه لذة
الجماع بالعسل (فان طلقها) اى الزوج الثانى بعد الدخول بها (فلا جناح عليهما) اى لا اثم على الزوج الاول
والمرأة (ان يتراجعا) اى يرجع كل منهما الى صاحبه بعقد جديد (ان ظنا ان يقيما حدود الله) اى ان كان
فى ظنهما انهما يقيمان حدود الله اى ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية ولم يقل ان علما لان العواقب غير
معلومة والانسان لا يعلم ما فى الغد وانما يظن ظنا (وتلك) اشارة الى الاحكام المذكورة الى هنا (حدود الله)
اى احكامه المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة (يبينها) بهذا البيان (لقوم يعلمون) اى يفهمون
ويعملون بمقتضى العلم وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما انهم المنتفعون بالبيان والجاهل اذا
بين له لا يحفظ ولا يتعاهد * نكته كفتن پيش كر فهمان زحكمت بيكمان * جوهرى چند از جواهر ريختن
پاش خرست * ثم ان الحكمة فى اشتراط اصابة الزوج الثانى فى التحليل وعدم كفاية مجرد العقد فيه الردع
عن المسارعة الى الطلاق فان الغالب ان يستنكر الزوج ان يستفرش زوجته رجل آخر وهذا الردع انما يحصل
بتوقف الحل على الدخول واما مجرد العقد فليس منه زيادة نفرة وتهييج غيرة فلا يصلح توقف الحل عليه رادعا
وزاجرا عن التسرع الى الطلاق والنكاح المعقود بشرط التحليل وهو ان يشترط فى النكاح ان يقتصر على قدر

التحليل ولا يستدبم زوجيتها فاسد عند الاكثر وجائز عند ابى حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان اضمر التحليل
ولم يصرحا به فلا كراهة وفى شرح الزيلعى لو خافت المرأة المطلقة ثلاثا ان لا يطلقها المحلل فقالت زوجتك
نفسى على ان امرى بيدى اطلق نفسى كلما اردت فقبل جاز النكاح وصار الامر بيدها وفيه ايضا ومن لطائف
الحيل فيه ان تزوج المطلقة من عبد صغير تتحرك آلته ثم تملكه بسبب من الاسباب بعد ما وطئها فيفسخ
النكاح بينهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له المحلل بكسر اللام والمراد به الزوج
الثانى والمحلل له بفتح اللام والمراد به الزوج الاول فان قلت ما معنى لعنهما قلت معنى اللعن على المحلل لانه نكح
على قصد الفراق والنكاح شرع للدوام وصار كالتيس المستعار والتيس هو الذكر من الغنم وقد يستعيره
الناس لاستيلاد الغنم واللعن على المحلل له لانه صار سببا لمثل هذا النكاح والمتسبب شريك المباشر فى الاثم
والثواب او المراد من اللعن اظهار خساستهما اما خساسة المحلل فلمباشرته مثل هذا النكاح بدليل قوله عليه
السلام الا انبئكم بالتيس المستعار واما خساسة المحلل له فلمباشرة ما ينفر عنه الطبع السليم من عودها اليه
بعد مضاجعة غيره اياها واستمتاعه بها الا حقيقة اللعن اذ هو الا ليق بمنصب الرسالة فى حق الامة لانه عليه
السلام لم يبعث لعانا والاشارة فى الاية ان اهل الصحبة لما تجاوزوا عن زلة الاخوان مرة ومرتين ثم فى الثالثة
ان سلكوا طريق الهجران وخرجوا عن مصاحبة الاخوان فلا يحل للاخوان ان يواصلوا الخوان حتى
يصاحب الخائن صديقا مثله فان ندم بعد ذلك على افعاله وسئم عن ذلك الصديق وامثاله وترك صحبته وخرج
عن خصاله ورجع الى صحبة اخوانه واشكاله فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما شرائط العبودية
والصحبة فى الله وتلك طرق قربات الله والسائرين الى الله يبينها بالتصريح والتعريض والعبارات والاشارات
لقوم يعلمون المعاريض ويفهمون الاشارات كذا فى التأويلات النجمية قال احمد بن حضرويه الطريق
واضح والدليل لائح والداعى قد اسمع فما التحير بعد هذا الا من العمى (قال الحافظ) وصل خرشيد بشبپره اعمى
نرسد ✻ كه درين آينه صاحب نظران حيرانند (واذا طلقتم النساء) اى نساءكم (فبلغن اجلهن)
اى آخر عدتهن وشارفن منتهاها ولم يرد حقيقة انقضاء العدة لان العدة اذا انقضت لم يكن للزوج امساكها
بالمعروف نزلت فى رجل من الانصار يدعى ثابت بن يسار طلق امرأته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها
ثم طلقها بقصد مضارتها (فامسكوهن بمعروف) اى راجعوهن من غير طلب اضرار لهن بالرجعة
والمعروف ما ألفته العقول واستحسنته النفوس شرعا وعرفا وعادة والمراد به هنا حسن المعاشرة (او سرحوهن
بمعروف) او خلوهن حتى تنقضى عدتهن من غير تطويل (ولا تمسكوهن ضرارا) اى ولا تراجعوهن ارادة
الاضرار بهن بتطويل العدة والحبس على ان يكون انتصاب ضرارا على العلة او مضارين على الحال فان قلت
لا فرق بين قوله امسكوهن بمعروف وبين قوله لا تمسكوهن ضرارا لان الامر بالشئ نهى عن ضده
فما الفائدة فى التكرار قلت ان الامر لا يفيد التكرار ولا يدل على كون امتثال المأمور به مطلوبا فى كل الاوقات
فدل لا تمسكوهن على المبالغة فى التوصية بالامساك بالمعروف لدلالته على ان الامساك المذكور مطلوب منه
فى جميع الاوقات (لتعتدوا) متعلق بضرارا اذ المراد تقييده اى لتظلموهن بالالجاء الى الافتداء (ومن
يفعل ذلك) اى ما ذكر من الامساك المؤدى الى الظلم (فقد ظلم نفسه) فى ضمن ظلمه لهن بتعريضها للعقاب
(ولا تتخذوا آيات الله) المنطوية على الاحكام المذكورة او جميع آياته وهى داخلة فيها دخولا اوليا (هزؤا)
اى مهزوأ بها بالاعراض عنها والتهاون فى العمل بما فيها والنهى كناية عن الامر بضده لان المخاطبين مؤمنون
ليس من شأنهم الهزؤ بآيات الله اى جدوا فى الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها (قال الحكيم
السنائى) دانشت هست وكار بستن كو ✻ خبرت هست وصف شكستن كو ✻ ولما رغبهم فى رعاية
التكاليف والعمل بها ما تم بيد على اتمام الترغيب بها اكد ذلك بامرهم بذكر نعم الله عليهم بان يشكروها ويقوموا
بحقوقها فقال (واذكروا نعمة الله) كائنة (عليكم) حيث هداكم الى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية
اى قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها وقيل واذكروا انعام الله عليكم بان خلقكم رجالا وجعل لكم ازواجا
تسكنون اليها وجعل النكاح والطلاق والرجعة بايديكم ولم يضيق عليكم كما ضيق على الاولين حين احل
لهم امرأة واحدة ولم يجوزوا لهم بعد موت المرأة نكاح اخرى (وما انزل عليكم) عطف على نعمة الله اى وما انزله

الله عليكم (من الكتاب والحكمة) اى القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما (يعظكم به) اى
بما انزل عليكم حال من فاعل انزل وهو ضمير انزل اى اذكروا نعمة الله وما انزله عليكم واعظا به لكم ومخوفا
(واتقوا الله) فى شأن المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة (واعلموا ان الله بكل شئ عليم) فلا يخفى عليه شئ
مما تأتون وما تذرون فيؤاخذكم بافانين العذاب والاشارة فى الاية ان الاذية والمضارة ليست من الاسلام
ولا من آثار الايمان ولا من شعار المسلمين عموما كما قال عليه السلام المؤمن من امنه الناس وقال المسلم من سلم
المسلمون من لسانه ويده ويتضمن حسن المعاشرة مع الخلق جميعا فاما الزوجان ففيهما خصوصية بالامر بحسن
المعاشرة معهن وترك اذيتهن والمغايظة معهن على وجه اللجاج فاما تخلية سبيل من غير جفاء او قيام بحق
الصحبة على شرائط الوفاء بلا اعتداء ومن يفعل ذلك اى من الاذية والمضارة والاعتداء بالجفاء فقد ظلم نفسه
لان الله تعالى يجازى الظالم والمظلوم يوم القيامة بان يكافئ المظلوم من حسنات الظالم ويجازى الظالم من
سيئات المظلوم والظالم اذا اساء الى غيره صارت نفسه مسيئة واذا احسن صارت نفسه محسنة فترجع اساءة
الظالم الى نفسه لا الى نفس غيره حقيقة فانه ظلم نفسه لا غيره ولهذا قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم
وان اسأتم فلها (قال السعدى) مكن تا توانى دل خلق ريش ✻ وگر ميكنى ميكنى بيخ خويش ✻ ولا تتخذوا
آيات الله هزؤا اى تلاوة ظاهرها من غير تدبر معانيها وتفهم اشاراتها وتحقق اسرارها وتتبع حقائقها والتنور
بانوارها والاتعاظ بمواعظها وحكمها يقال ان الوعظ كالشاهين فانما يقع على الحى لا على الميت فمن مات قلبه
ونعوذ بالله من ذلك لم يتأثر بالمواعظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم على بينة من ربكم يعنى على
بيان قد بين لكم طريقكم ما لم تظهر فيكم السكرتان سكرة العيش وسكرة الجهل روى انه ضلت راحلة الحسن
البصرى فى طريق الحج فلقيه صبى فسأله فعرفها فلما وجد الراحلة سأله الصبى يا شيخ ما تأكل وما تلبس قال
آكل خبز الشعير والبس الصوف لا كسر شهوتى بهما قال الصبى كل ما شئت والبس كذلك بعد ان يكونا حلالين
قال واين تبيت قال فى الخص وهو بيت من القصب قال لا تظلم وبت حيث شئت فقال الحسن لولا صباك لكسبت
منك ما تكلمت به فتبسم الصبى وقال اراك غافلا اخبرتك بالدنيا فقبلت واخبرك بالدين فتأنف من كلامى ارجع
الى منزلك فلا حاج لك (قال السعدى) مرد بايد كه گيرد اندر گوش ✻ ور نوشته است پند بر ديوار ✻
(واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن) اى استوفين عدتهن فالبلوغ هنا عبارة عن حقيقة الانتهاء لان المذكور
بعده النكاح ولا يكون ذلك الا بعد انقضاء العدة (فلا تعضلوهن) العضل المنع والحبس والتضييق
والمخاطب بالخطاب الاول هو الازواج وبالثانى هو الاولياء لما روى ان الاية نزلت فى معقل بن يسار حين منع
اخته جميلا ان ترجع الى زوجها الاول البداح عبد الله بن عاصم فانه جاء يخطبها بعد انقضاء العدة وارادت
المرأة الرجوع فلما سمع معقل الاية قال ارغم انفى وازوج اختى واطيع ربى فالمعنى اذا طلقتم النساء ايها الازواج
فلا تعضلوهن ايها الاولياء وهذا وان كان مما لا يخفى ركاكته الا ان جملة الخلائق من حيث حضورهم فى علمه
تعالى لما كانت بمثابة جماعة واحدة صح توجيه احد الخطابين الواقعين فى كلام واحد الى بعض وتوجيه
الخطاب الآخر الى البعض الآخر ولعل التعريض لبلوغ الاجل مع جواز تزوج الاول قبله ايضا لدفع العضل
المذكور حينئذ وليس فيه دلالة على ان ليس للمرأة ان تزوج نفسها والا لا احتيج الى نهى الاولياء عن العضل
لما ان النهى لدفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن لكنهن يحترزن عن ذلك مخافة اللوم
والقطيعة وقيل الخطاب للازواج حيث كانوا يعضلون مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن من شئن من الازواج
ظلما وقسرا واتباعا لحمية الجاهلية (ان ينكحن) اى لا تمنعوهن من ان يتزوجن وفيه دلالة على صحة النكاح
بعبارتهن (ازواجهن) ان اريد بهم المطلقون فالزوجية اما باعتبار ما كان واما باعتبار ما يكون والا فباعتبار
الآخر على معنى ان ينكحن انفسهن ممن شئن ان يكون ازواجا لهن (اذا تراضوا) اى الخطاب والنساء ظرف لقوله
ان ينكحن اى ان ينكحن وقت التراضى (بينهم) ظرف للتراضى مفيد لرسوخه واستحكامه (بالمعروف) حال من
فاعل تراضوا اى اذا تراضوا ملتبسين بالمعروف من العقد الصحيح والمهر الجائز والتزام حسن المعاشرة وشهود
عدول والمعروف ما يعرفه الشرع وتستحسنه المروءة وفيه اشعار بان المنع من التزوج بغير كفؤ او بما دون مهر
المثل ليس من باب العضل (ذلك) اشارة الى ما مضى ذكره اى الامر الذى تلى عليكم من ترك العضل ايها الاولياء

اوالازواج وتوحيد كاف الخطاب مع كون المخاطب جمعا اما على تأويل القبيل اوكل واحد اولكون الكاف لمجرد
توجيه الكلام الى الحاضر مع قطع النظر عن كونه واحدا اوجمعا (يوعظ به) اى ينهى ويؤمر به (من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر) لانه المتعظ به والمنتفع (ذلكم) اى الاتعاظ به والعمل بمقتضاه (ازكى لكم) انمى لكم
وانفع من زكا الزرع اذا نما فيكون اشارة الى استحقاق الثواب (واطهر) من ادناس الآثام واوضار الذنوب
والمفضل عليه محذوف للعلم اى من العضل (والله يعلم) ما فيه من النفع والصلاح والتفصيل (وانتم لا تعلمون)
لقصور علمكم فان المكلف وان كان يعلم وجه الصلاح فى هذه التكاليف على سبيل الاجمال الا ان التفصيل غير
معلوم له واما الله تعالى فانه العالم بتفاصيل الحكم فى كل ما امر به ونهى عنه وبينه لعباده بروعلم يك ذره
پوشيده نيست * كه پنهان وپيدا بنزدش يكيست * فدعوا رأيكم وامتثلوا امره تعالى ونهيه فى كل
ما تأتون وما تذرون وذلك كما ان الوالد يحمى ولده عن بعض الاطعمة صونا له عن انحراف مزاجه فذلك محض
اصلاح له لما انه يعلم ما لا يعلمه فقد وعظنا الله تعالى فى الكتاب بكل ما هو خير وصواب ونهانا عن كل ما يؤدى الى
هلاك وتباب ولكن سماع النصيحة لا يتيسر الا لاولى الالباب كما قال الامام الغزالى قدس سره العالى النصيحة
سهل والمشكل قبولها لانها فى مذاق متبع الهوى مر اذ المناهى محبوبة فى قلوبهم فالواعظ انما ينفع
المؤمن الحقيقى وهو ما وصفه الله فى كتابه فقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وعن ابن مسعود
رضى الله عنه السعيد من وعظ بغيره ومثالكم فى استماعكم ما قيل ان رجلا اصطاد طيرا فقال له لا تذبحنى فاى
فائدة لك بل خلنى واعلمك ثلاث حكم ينفعك كلها الاول لا تترك الفائدة المعلومة بالمظنونة والثانى لا تصدق
الشئ المستحيل والثالث لا تمدن يدك الى ما لم تبلغه فلما خلاه وطار قال يا مدبر ان فى حوصلتى جوهرة كبيرة
لو استخرجتها افزت فاخذ يدنو منه والطير يتباعد عنه فقال يا احمق ما اسرع ما نسيت الحكم تركت الفائدة
المعلومة بالمظنونة حيث خليتنى والآن تمد يدك الى ما لم تنل وصدقتنى فى المستحيل فان حوصلتى لا تسع
الا حبة او حبتين فكيف يحتمل فيها الجوهرة الكبيرة فكذلك انتم فى استماعكم روى ان شقيق البلخى قدس سره
كان تاجرا فى اول امره يتجر فى بلاد النصارى فقال له امير النصارى فى اى مدة تجئ وتذهب فقال اجئ فى ثلاثة
اشهر واشترى السلع فى ثلاثة واذهب فى ثلاثة وابيع السلع فى ثلاثة فقال الملك فهذه الشهور السنة فما تعبد
ربك فتأثر قلبه من هذا الكلام فقام عن التجارة واشتغل بالعبادة فان كان التوفيق رفيق عبد لا يزال يقطع
المسافات وان مسه الآفات الى ان يصل الى المقصود واذا وكل الى نفسه لا يفيده ملام ولا يؤثر فيه كلام ومن
النصائح التى نصح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم امته قوله عليه السلام علامة اعراض الله عن العبد
اشتغاله بما لا يعنيه وان امرأ ذهبت ساعة من عمره فى غير ما خلق له لجدير ان تطول عليه حسرته ومن جاوز
الاربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز الى النار وفى هذه النصيحة كفاية لاهل العلم (قال السعدى) بگوى
آنچه دانى سخن سودمند * وگر هيچ كس را نيايد پسند * كه فردا پشيمان برارد خروش * كه آوخ
چرا حق نكردم بگوش * اللهم اجعلنا من المتعظين بمواعظ كلامك (والوالدات) اى جميع الوالدات مطلقات كن
اومزوجات لان اللفظ عام وما قام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه (يرضعن) خبر فى معنى الامر اى
ليرضعن والرضع مص الثدى للبن (اولادهن) جمع ولد وهو المولود ذكرا كان او انثى ومعنى الامر الندب ووجه
الندب ان تربية الطفل بلبن الام اصلح له من سائر الالبان وان شفقة الام اتم من شفقة غيرها ثم ان حكم الندب
انما هو على تقدير ان لا يضطر الولد الى لبن امه اما اذا بلغ حالة الاضطرار بان لا يوجد غير الام او لا يرضع الطفل
الا منها او عجز الوالد عن الاستيجار فحينئذ يجب عليها الارضاع عند ذلك كما يجب على كل احد مواساة المضطر
فى الطعام واعلم ان حق الارضاع لهن الى ان يتزوجن بغير آباء الاولاد ان كانت مطلقات لانهن يشتغلن بخدمة
الازواج فلا يتفرغن لحضانتهم على الوجه الاليق ولان الربيب يتضرر بالراب فانه ينظر اليه شزرا وينفق عليه
نزرا (حولين) سنتين اصله من حال الشئ يحول اذا انقلب والحول منقلب من الوقت الاول الى الثانى (كاملين)
تامين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه فيقال اقمت عند فلان حولين وبمكان كذا وانما اقام فيه حولا وبعض
الحول (لمن اراد ان يتم الرضاعة) بيان للذى توجه اليه حكم الارضاع كانه قيل هذا الحكم لمن فقيل لمن اراد
ان يتم الرضاعة ومن يحتمل ان يراد بها الوالدات فقط اوهن والآباء معا واعلم ان مدة الرضاع عند ابى حنيفة

حولان ونصف وعندهما حولان فقط استدلالا بهذه الآية ولا يباح الارضاع بعد هذا الوقت المخصوص على
الخلاف لان اباحته ضرورية لانه جزء الآدمى فيتقدر بقدر الضرورة وقال ابو حنيفة هذه الآية محمولة على مدة
استحقاق الاجرة فان الاجماع على ان مدة الرضاع فى استحقاق اجر الرضاع على الاب مقدر بحولين حتى ان الاب
لا يجبر على اعطاء اجرة بعد الحولين قال تعالى فان ارادا فصالا عن تراض الآية ولو حرم الرضاع بعد الحولين
لم يكن لقوله عن تراض منهما وتشاور فائدة فالرضاع الذى تثبت به الحرمة هو ما يكون فى ثلاثين شهرا عنده
ولا يحرم ما يكون بعدها وعندهما هو ما يكون فى الحولين ولا يحرم ما يكون بعد الحولين وهو مذهب الشافعى
ايضا ثم ان اتمام الحولين غير مشروط عند ابى حنيفة للآية اى لان فى قوله تعالى لمن اراد ان يتم الرضاعة دلالة على
جواز النقص ولو ارادت التكميل لها مطالبة النفقة واذا نقصت من غير اضرار لا تجبر على الكمال يعنى اذا فطم
قبل مضى العدة واستغنى بالطعام لم تكن رضاعا وان لم يستغن يثبت به الحرمة وهو رواية عن ابى حنيفة وعليه
الفتوى ذكره الزيلعى ثم انه تعالى كما وصى الام برعاية جانب الطفل فى قوله والوالدات الخ وصى الاب برعاية
جانب الام حتى تتقوى على رعاية مصلحة الطفل فامره بان يرزقها ويكسوها بالمعروف سواء كان ذلك المعروف
محدودا بشرط وعقد وقد يكون غير محدود الا من جهة العرف لانه اذا قام بما يكفيها من طعامها وكسوتها فقد
استغنى عن تقدير الاجرة فقال (وعلى المولود له) اى وعلى الذى يولد له وهو الوالد وانما لم يقل على الوالد ليعلم ان
الاولاد للآباء لان الزوجة انما تلد الولد للزوج ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات روى ان المأمون بن الرشيد
لما طلب الخلافة عابه هشام بن على فقال بلغنى انك تريد الخلافة وكيف تصلح لها وانت ابن امة فقال كان اسماعيل
عليه السلام ابن امة واسحق ابن حرة فاخرج الله من صلب اسماعيل خير ولد آدم صلى الله عليه وسلم وانشد

لا تزرين بفتى من ان يكون له * ام من الروم او سوداء دعجاء
فانما امهات الناس اوعية * مستودعات وللابناء آباء

مكن زينهار اصل عود چو پست * به بين دورش چه مستثنى وخوبست (رزقهن وكسوتهن) اى رزق الامهات
اذا ارضعن اولادهم ولباسهن وكذا اجر الرضاع للاظئار لانهن يحتجن الى ما يقمن به ابدانهن لان الولد انما يغتذى
باللبن وانما يحصل لها ذلك بالاغتذاء وتحتاج هى الى التستر فكان هذا من الحوائج الضرورية (بالمعروف)
حسبما يراه الحاكم ويفى به وسعه فان قيل اذا كانت الزوجيه باقية فهى مستحقة للنفقة والكسوة بسبب النكاح
سواء ارضعت الولد اولم ترضعه فما وجه تعلق هذا الاستحقاق بالارضاع قلنا النفقة والكسوة تجبان فى مقابلة
التمكين فاذا اشتغلت بالحضانة والارضاع لم تتفرغ لخدمة الزوج فربما يتوهم متوهم ان نفقتها وكسوتها تسقطان
بالخلل الواقع فى خدمة الزوج فقطع الله ذلك الوهم بايجاب الرزق والكسوة وان اشتغلت المرأة بالارضاع هذا
ما قال الواحدى فى البسيط (لا تكلف نفس الا وسعها) التكليف الالزام ومعنى تكلف الامر اى اظهار اثره وقوله
وسعها مفعول ثان لان كلف يتعدى الى اثنين كانه قيل لم لم تجب مؤنة الامهات على انفسهن ولم قيدت تلك المؤن
بكونها بالمعروف فاجيب بانهن غير قادرات على الكسب لضعف بنيتهن واحتباسهن لمنفعة الازواج فلو اوجب
مؤنهن على انفسهن لزم تكليف العاجز وكذا لو اوجب تلك المؤن على الازواج على خلاف المعروف (لا تضار
والدة بولدها) نهى اصله لا تضارر بكسر الراء الاولى فتكون المرأة هى الفاعلة او بفتح الراء الاولى فتكون المرأة
هى المفعول بها الضرار وعلى الاول يكون المعنى لا تفعل المرأة الضرار بالاب بولدها اى بسبب ايصال الضرر
الى الولد وذلك بان تمتنع المرأة من ارضاعه مع ان الاب يوسع عليها فى النفقة والكسوة فتلقى الولد عليه (ولا مولود
له بولده) اى لا يفعل الاب الضرار بالام بان ينزع الولد عنها مع رغبتها فى امساكه وشدة محبتها له وعلى الوجه
الثانى لا يفعل الاب الضرار بالام بان ينزع الولد منها ولا مولود له بولده اى ولا تفعل الام الضرار بالاب بان تلقى
الولد عليه والمعنيان يرجعان الى شئ واحد وهو ان يغيظ احدهما صاحبه بسبب الولد واضافة الولد الى كل
منهما الاستعطاف فهما اليه لانه ليس باجنبى من كل واحد منهما فالحق ان يشفق عليه كل منهما وللتنبيه على انه
جدير بان يتفقا على استصلاحه ولا ينبغى ان يضرا به او يتضارا بسببه (وعلى الوارث) وهو الذى لو مات الصبى
ورثه اى وارث الصبى عند عدم الاب ممن كان ذا رحم محرم منه بحيث لا يجوز النكاح على تقدير ان يكون
احدهما ذكرا والآخر انثى لا كل وارث سواء كان ذا رحم محرم منه او لم يكن وسواء كان من الرجال او النساء

(مثل ذلك) اى مثل ماوجب على الاب من الرزق والكسوة واجر الرضاع ونفقة المحارم تجب عندنا بهذه الاية
(فان ارادا) اى الوالدان (فصالا) وهو الفطام سمى فصالا لانه انما يكون بفصل الطفل عن الاغتذآء بلبن امه
الى غيره من الاقوات اى فطاما للصغير عن الرضاع قبل تمام الحولين صادرا (عن تراض منهما) اى من الوالدين
لا من احدهما فقط لاحتمال اقدامه على مايضر بالولد بان تمل المرأة الارضاع ويبخل الاب باعطاء الاجرة وربما
يضر الفطام بجسمه بقطع غذآئه قبل وقت فصاله (وتشاور) فى شان الولد وتفحص عن احواله واجماع منهما
على استحقاقه للفطام والتشاور من المشورة وهى استخراج الرأى من المستشار وانما اعتبر اتفاق الوالدين
لما فى الاب من الولاية وفى الام من الشفقة وهى اعلم بحال الصبى (فلا جناح عليهما) فى ذلك ولا حرج لما ان
تراضيهما انما يكون بعد استقرار رأيهما واجتهادهما فى ان صلاح الولد فى الفطام وقلما يتفقان على الخطأ
فالحاصل سوآء زادا على الحولين الى ثلاثين شهرا اونقصا فلا جناح عليهما فى ذلك بعد انجرار رأيهما الى ماهو
خير للصبى (وان اردتم) ايها الاباء (ان تسترضعوا) المراضع (اولادكم) فالمفعول الاول محذوف واسترضع
يتعدى الى اثنين بنفسه يقال رضع الولد امه وارضعت المرأة ولدها واسترضعتها الولد وقيل يتعدى الى الثانى
بحرف الجر والتقدير لاولادكم اى اذا طلبتم ان تأخذوا ظئرا لارضاع اولادكم (فلا جناح عليكم) اى
لااثم عليكم فى الاسترضاع وفيه دلالة على ان للاب ان يسترضع الولد ويمنع الام من الارضاع (اذا سلمتم)
اى الى المراضع (ما آتيتم) اى ما اردتم ايتاءه كما فى قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله (بالمعروف)
متعلق بسلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو ندب الى
ماهو الاليق والاولى فان المراضع اذا اعطين ماقدر لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك ادخل فى اصلاح شؤن الاطفال
وقيل المراد من المعروف ان يكون الاجر من الحلال لان المرضع اذا اكلت الحلال كان اللبن انفع للصبى واقرب
الى صلاحه قالوا العادة جارية ان من ارتضع امرأة فالغالب عليه اخلاقها من خير وشر ولذا قيل انه ترضعه
امرأة صالحة كريمة الاصل فان لبن المرأة الحمقاء يسرى واثر حمقها يظهر يوما ما وفى الحديث الرضاع يغير الطباع
ومن ثمة لما دخل الشيخ ابن محمد الجوينى بيته ووجد ابنه الامام ابا المعالى يرتضع ثدى غيرامه اختطفه منها
ثم نكس رأسه ومسح بطنه وادخل اصبعه فى فيه ولم يزل يفعل ذلك حتى خرج ذلك اللبن قائلا يسهل على موته
ولا تفسد طباعه بشرب لبن غيرامه ثم لما كبر الامام كان اذا حصلت له كبوة فى المناظرة يقول هذه من بقايا
تلك الرضعة (واتقوا الله) فى شأن مراعاة الاحكام المذكورة فى امر الاطفال والمراضع (واعلموا ان الله
بما تعملون بصير) فيجازيكم بذلك وفيه من الوعيد والتهديد مالا يخفى (قال الحسين الكاشفى) كر برهنه بره
برون آيى * زوددر تهمت جنون آيى * جامهٔ ظاهرى كه نيست ببر * توفضيحت شوى ميان
بشر * فكر آن كن كه بى لباس ورع * چه كنى درمقام هول وفزع * خويشتن درلباس تقوى دار *
تاشوى درد وكون برخوردار * والاية مشتملة على تمهيد قواعد الصحبة وتعظيم محاسن الاخلاق
فى احكام العشرة بل انها اشتملت على شيوع الرحمة والشفقة على البرية فان من لا يرحم لا يرحم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لمن ذكر انه لم يقبل اولاده ان الله لا ينزع الا من قلب شقى وفى الحديث حب الاولاد ستر
من النار وكراماتهم جواز على الصراط والاكل معهم برآءة من النار وفى الحديث اربع نفقات لا يحاسب العبد
بهن يوم القيامة نفقة على ابويه ونفقة على افطاره ونفقة على سحوره ونفقة على عياله واللطف والمرحمة ممدوح
جدا عموما وخصوصا وفى الحديث ان امرأة بغيا رأت كلبا فى يوم حار يطيف ببئر قد ادلع لسانه من العطش
فنزعت له بموقها فغفر لها قال البخارى فنزعت خفها فاوثقته اى احكمته بخمارها فنزعت له من الماء فغفر لها
بذلك والحديث يدل على غفران الكبيرة من غير توبة وهو مذهب اهل السنة وعلى ان من اطعم محتاجا الى الغذآء
يستحق المثوبة والجزآء فعلى العاقل العمل بالكتاب والسنة (والذين يتوفون منكم) اى يموتون ويقبض ارواحهم
بالموت وقرئ بفتح الياء اى يستوفون آجالهم واعمارهم واصل التوفى اخذ الشئ وافيا كاملا يقال توفى الشئ
واستوفاه فمن مات فقد اخذ عمره وافيا كاملا واستوفاه (ويذرون ازواجا) اى يتركون نساء من بعدهم وهو
جمع زوج والمنكوحة تسمى زوجا وزوجة والتذكير اغلب قال تعالى اسكن انت وزوجك الجنة ويجمع ازواجا
على لغة التذكير وزوجات على لغة التأنيث (يتربصن بانفسهن) الباء للتعدية اى يجعلنها متربصة منتظرة بعد

موتهم لئلا يبقى المبتدأ بلا عائد (اربعة اشهر وعشرا) اى فى تلك المدة فلا يتزوجن الى انقضاء العدة قوله عشرا
اى عشرة ايام وتأنيث العشر باعتبار الليالى لان التاريخ عند العرب بالليلة بناء على انها اول الشهر واليوم
تبع لها ولعل الحكمة فى تقدير عدة الوفاة باربعة اشهر وعشر ان الجنين اذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلاثة اشهر
وان كان انثى يتحرك لاربعة فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اى استعانة بتلك الزيادة
على العلم بفراغ الرحم اذ ربما تضعف الحركة فى المبادى فلا يحس بها وكانت عدة الوفاة فى اول الاسلام سنة
فنسخت بهذه الا الحوامل فان عدتها بوضع الحمل قال تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن
والا الاماء فان عدة المتوفى عنها زوجها اذا كانت امة شهران وخمسة ايام نصف عدة الحرة باجماع السلف وقوله
تعالى والذين يتوفون منكم خطاب مع المؤمنين فدل على ان الخطاب بهذه الفروع مختص بالمؤمنين فقط
فلا وجه لايجاب العدة المذكورة على الكتابية (فاذا بلغن اجلهن) اى انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم)
الخطاب للحكام وصلحاء المسلمين لانهن ان تزوجن فى مدة العدة وجب على كل واحد منعهن عن ذلك ان قدر
عليه وان عجز وجب عليه ان يستعين بالسلطان (فيما فعلن فى انفسهن) من التزين والتعرض للخطاب وسائر
ماحرم على المعتدة (بالمعروف) حال من فاعل فعلن اى فعلن ملتبسات بالوجه الذى لا ينكره الشرع
(والله بما تعملون خبير) فيجازيكم عليه فلا تعملون خلاف ما امرتم به * هركه عاصى شود بامر خدا *
بيخ اوراكند قهر خدا * واعلم ان المراد بالتربص هنا الامتناع عن النكاح والامتناع عن الخروج من المنزل
الذى توفى عنها زوجها فيه والامتناع عن التزين وهذا اللفظ كالمجمل لانه ليس فيه بيان انها تتربص فى اى شئ
الا انا نقول الامتناع عن النكاح مجمع عليه واما الامتناع عن الخروج من المنزل فواجب الا عند الضرورة
والحاجة واما ترك التزين فهو واجب لما روى عن عائشة وحفصة رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث ليال الا على زوجها اربعة
اشهر وعشرا وانما وجب الحداد لانه لما حرم عليها النكاح فى العدة امرت بتجنب الزينة حتى لا تكون
بصفة الملتمسة للازواج ولاظهار التأسف على فوت نعمة النكاح الذى كان سبب مؤنتها وكفايتها من النفقة
والسكنى وغير ذلك والحداد على الميت ثلاثة ايام وتمس المرأة الطيب فى الثالث لئلا يزيد الحداد على ثلاثة ايام
فانها لومسته فى الرابع لازداد الحداد من اليوم الرابع وهو حرام ومن السنة ان يتوقى رسوم الجاهلية من شق
الجيوب وضرب الخدود وحلق الشعر كما كان عادة العرب وكذا قطعه كما كان عادة العجم وكذا رفع الصوت بالبكاء
والنوح وقد برئ رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن يفعل شيأ من ذلك لانها عادات الجاهلية واكثر اهالى
هذا الزمان فى اكثر البلدان مبتلون بامثال هذه العادات لاسيما النساء فانهن يلبسن الالبسة السود الى ان تمضى
ايام بل شهور كثيرة وربما ترى رجلا لا يلبس لباس الجمع والاعياد فلو سئل فيه لاجاب لك مات ابى او امى
او غيرهما وذلك بعد مامضى من زمان الوفاة شهور وكذا الرافضة قد تغالت فى الحزن لمصيبة الحسين رضى الله
عنه واحدث عليها حيث اتخذوا يوم عاشورآء مأتما لقتله رضى الله عنه فيقيمون فى مثل هذا اليوم العزآء
ويطيلون النوح والبكاء ويظهرون الحزن والكآبة ويفعلون فعل غير اهل الاصابة ويتعدون الى سب بعض
الصحابة وهذا عمل اهل الضلال المستوجبين من الله الخزى والنكال كانهم لم يسمعوا ماورد فى النهى عن الحداد
ومن الله الرشاد والاشارة فى الاية ان موت المسلم لم يكن فراقا اختياريا للزوج فكانت مدة وفاته اطول فكذا
العبد الطالب فان حال الموت بينه وبين مطلوبه من غير اختياره فالوفاء بحصول مطلوبه فى مدة كرم محبوبه
كما قال تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله ففى هذا تسلية
قلوب المؤمنين لئلا يقطع عليهم طريق الطلب وساوس الشيطان وهو رجس النفس بان طلب الحق امر عظيم
وشأن خطير وانت ضعيف والعمر قصير فان منادى الكرم من سرادقات الفضل ينادى الا من طلبنى وجدنى
فان الطلاب فى طلبى كذا فى التأويلات النجمية قدس الله تعالى نفسه الزاكية القدسية المرضية (ولا جناح
عليكم) علم الله تعالى ان المرأة اذا مات زوجها قد يكون لها مال او جمال او معنى يرغب الناس فيها فاطلق
للراغب ان يعرض بالخطبة فى العدة فقال تعالى ولا جناح عليكم (فيما عرضتم به) التعريض افهام المعنى
بالشئ المحتمل له ولغيره (من خطبة النساء) الخطبة بالكسر التماس النكاح وبالضم الكلام المشتمل على الوعظ

والزجر من الخطاب الذى هو الكلام يقال خطب المرأة اى خاطبها فى امر النكاح والمراد بالنساء المعتدات للوفاة واما النساء اللاتى لا تكون منكوحة الغير ولا معتدته من طلاق رجعى فان خطبتهن جائزة تصريحا وتعريضا الا ان يخطبها رجل فيجاب بالرضى صريحا فههنا لا يجوز لغيره ان يخطبها لقوله عليه السلام لا يخطبن احدكم على خطبة اخيه وان اجيب بالرد صريحا فههنا يحل لغيره ان يخطبها وان لم يوجد صريح الاجابة ولا صريح الرد ففيه خلاف والتى هى معتدة عن الطلاق الثلاث والبائن باللعان والرضاع ففى جواز التعريض بخطبتها خلاف واما البائن التى يحل لزوجها نكاحها فى عدتها كالمختلعة والتى انفسخ نكاحها بعيب اوعنة اوعدم نفقة فههنا يجوز لزوجها التعريض والتصريح واما غير الزوج فلا يحل له التصريح والتعريض لانها معتدة يحل للزوج ان يستنكحها فى عدتها فلا يحل له التعريض بخطبتها كالرجعية ثم التعريض بالخطبة ان يقول لها فى العدة انك لجميلة صالحة ومن غرضى ان اتزوج اواشتهى امرأة مثلك اوانا محتاج الى امرأة صفتها كذا اويقول انى حسن الخلق كثير الانفاق جميل العشرة محسن الى النساء فيصف نفسه لترغب فيه اويقول رب راغب فيك وحريص عليك ونحو ذلك مما يوهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح بان يقول انى اريد ان انكحك اواتزوجك اواخطبك اوغير ذلك فانه كما لا يجوز ان ينكحها فى عدتها لا يجوز له ان يخطبها صريحا فيها (اواكننتم فى انفسكم) مفعول اكننتم محذوف وهو الضمير الراجع الى ما الموصولة فى قوله فيما عرضتم اى اواكننتموه فى انفسكم اى اضمرتم فى قلوبكم من نكاحهن فلم تذكروه صريحا ولا تعريضا الاية الاولى لاباحة التعريض فى الحال وتحريم التصريح فى الحال وهذه الاية اباحة لان يعقد قلبه على انه سيصرح بذلك بعد انقضاء زمان العدة ثم انه تعالى ذكر الوجه الذى لاجله اباح ذلك فقال (علم الله انكم ستذكرونهن) لا محالة ولا تنفكوا عن النطق برغبتكم فيهن فالمقصود بيان وجه اباحة الخطبة بطريق التعريض (ولكن لا تواعدوهن سرا) نصب مفعول ثان لتواعدوهن وهو استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اى فاذكروهن واظهروا لهن رغبتكم ولكن لا تواعدوهن نكاحا بل اكتفوا بما رخص لكم من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لان مسببه الذى هو الوطئ مما يسر به (الا ان تقولوا قولا معروفا) استثناء مفرغ مما دل عليه النهى لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة غير منكرة شرعا وهى ما تكون بطريق التعريض والتلويح (ولا تعزموا) العزم عبارة عن عقد القلب على فعل من الافعال يتعدى بنفسه وبعلى قال الراغب ودواعى الانسان الى الفعل على مراتب السانح ثم الخاطر ثم التفكر فيه ثم الارادة ثم الهمة ثم العزم فالهمة اجماع من النفس على الامر والعزم هو العقد على امضائه (عقدة النكاح) اى لا تعزموا عقد عقدة النكاح لان العزم عبارة عن عقد القلب على فعل فلا يتعلق الا بالفعل والاضافة فى قوله عقدة النكاح بيانية فلا تكون العقدة بمعنى ربط المكلف اجزاء التصرف بل المراد به الحاصل بالمصدر وهو الارتباط الشرعى الحاصل بعقد العاقدين والمقصود النهى عن تزوج المعتدة فى زمان عدتها الا انه نهى عن العزم على عقد النكاح للمبالغة فى النهى عن النكاح فى زمان العدة فان العزم على الشئ متقدم عليه والنهى عن مقدمات الشئ يستلزم النهى عن ذلك الشئ بطريق الاولى (حتى يبلغ الكتاب اجله) الكتاب بمعنى المكتوب وهو المفروض والمعنى حتى تبلغ العدة المفروضة آخرها (واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم) من العزم على ما لا يجوز (فاحذروه) بالاجتناب عن العزم ابتداء واقلاعا عنه بعد تحققه (واعلموا ان الله غفور) لمن عزم ولم يفعل خشية من الله تعالى (حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتأخيرها على ان ما نهيتم عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخذة فاجتنبوا عن اسباب العقوبة واعملوا بما امركم به ربكم واغتنموا زمان الحياة حتى لا تتأسفوا كما قال المفرطون المتحسرون * چون توانستم ندانستم چه سود * چون بدانستم توانستم نبود * وقد وبخ الله تعالى من مال الى شهواته وهوى نفسه فى هذه الايات من غير ان يكون له رخصة شرعية فلابد للعاقل ان يختار رضى الله تعالى على رضى نفسه ولا يكون له مطلب اعلى من مال اوامرأة اوغيرهما الا الله تعالى قال عليه السلام من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها اوامرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فتأمل كيف جعل جزاء كل مؤمل ما امله وثواب كل قاصد ما قصد واعتبر كيف لم يكرر ذكر الدنيا اشعارا بعدم اعتبارها لخساستها ولان وجودها لعب ولهو فكانه كلا وجود

وانظر الى قوله عليه السلام فهجرته الى ما هاجر اليه وما تضمن من ابعاد ما سواه تعالى وتدبر هذا الامر اى ذكر الدنيا والمرأة مع ابهامهما يشعر بان المراد كل شئ فى الدنيا من شهوة اومال وان المراد بالحديث الخروج عن الدنيا بل وعن كل شئ لله قال ابو سليمان الدارانى قدس سره ثلاث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا طلب معاش اوتزوج امرأة وكتب الحديث واعلم انه ينبغى لطالب الحق ان يحصل من العلوم الشرعية ما يفرق به بين الحق والباطل ويشتغل بالعلوم الرسمية والقوانين المتداولة قدر ما يقدر على استخراج الحديث والتفسير من غير تعمق فى الفلسفيات وغوامض العلوم فانه زائد على قدر الكفاية منهى عنه على اصول اهل الشريعة والطريقة فهذا اول الامر فى هذا الباب واما امر النهاية وهو ما بعد التحصيل والتكميل فان السالك بقدر اشتغاله بالعلوم الظاهرة زاد بعدا عن درك الحق لان السلوك يبتنى على التخلى والانقطاع وترك الكلام والاستماع وتفريغ الباطن من العلائق ولو كانت علوما وطرح المشاغل الخارجية والداخلية عن البين خصوصا وعموما فقول بعضهم بنفى الاشتغال لاهل السلوك يبتنى على هذا المعنى لا على الترك عن الاصل كما يزعمه جهلة الصوفية نعوذ بالله من هذا فان العلم مطلقا هو النور وبه يهتدى السالك الى مسالكه واما ارباب النهاية من اهل السلوك فلا يمكن حصر احوالهم فانهم لا يحتجبون لا بالكثرة عن الوحدة ولا بعكسها اذهم تجاوزوا عن مقام الاغيار بل شاهدوا ايما قلبوا الاحداق الانوار بل حققوا بالحقيقة فلا اغيار عندهم لا حقيقة ولا اعتبارا ولذا حبب الى النبى عليه السلام النساء وذلك لان محبته عليه السلام ليست كما يعرفها الناس بل سرها مستور لا يطلع عليه الا من فاز بالوراثة الكبرى يقول الفقير جامع هذه المجالس النفيسة انما بسطت الكلام فى هذا المقام لئلا يظن احد ان قوله فيما سبق اوكتب من خرافات الصوفية بل له محمل على ما اشرت اليه ومن لم يسلك هذا الطريق لم يعرف قدر حظوات اهل التحقيق والتدقيق (لا جناح عليكم) المراد من الجناح فى هذه الاية وجوب المهر اى لا تبعة من مهر (ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن) اى غير ماسين لهن ومجامعين قال ابن الشيخ الظاهر ان كلمة ما مصدرية ظرفية والزمان محذوف تقديره مدة عدم المسيس (اوتفرضوا لهن فريضة) كلمة او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك اوتعطينى حقى اى الا ان تفرضوا لهن عند العقد مهرا والمعنى انه لا تبعة على المطلق بمطالبة المهر اصلا اذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال الا فى تسمية المهر فان عليه حينئذ نصف المسمى وفى حال عدم تسميته عليه المتعة لا نصف مثل المهر واما اذا كان بعد المساس فعليه فى صورة التسمية تمام المسمى وفى صورة عدمها تمام مهر المثل (ومتعوهن) عطف على مقدر اى فطلقوهن ومتعوهن اى اعطوهن ما يتبلغن وينتفعن به والحكمة فى ايجاب المتعة جبر ايحاش الزوج بالطلاق وهو درع وهو ما يستر البدن وملحفة وهو ما يستر المرأة عند خروجها من البيت وخمار وهو ما يستر الرأس على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى (على الموسع) يقال اوسع الرجل اذا اتسع حاله فصار ذا سعة وغنى اى الذى له سعة (قدره) امكانه وطاقته (وعلى المقتر) يقال اقتر الرجل اذا افتقر وصار ذا قترة والقترة الغبار وهو قليل من التراب اى على المقل الضيق الحال (قدره) فالمتعة معتبرة بحاله لا بحالها لا تنقص عن خمسة دراهم ولا تزاد على نصف مهر المثل لان المسمى اقوى من مهر المثل والمتعة لا تزاد على نصف المسمى فلان لا تزيد على نصف مهر المثل اولى والقدر والقدر لغتان وذهب جماعة الى ان الساكن مصدر والمتحرك اسم كالعد والعدد والمد والمدد والقدر بالتسكين الوسع يقال هو ينفق على قدره اى على وسعه وبالتحريك المقدار (متاعا) اسم لمصدر الفعل المذكور من قبيل قوله تعالى انبتكم من الارض نباتا اى تمتيعا ملتبسا (بالمعروف) اى بالوجه الذى يستحسنه الشرع والمروءة (حقا) صفة متاعا اى متاعا واجبا (على المحسنين) اى الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال قال ابن التمجيد اعلم ان للمطلقة اربع حالات الاولى ان تكون غير ممسوسة ولم يسم لها مهر والثانية ان تكون ممسوسة وسمى لها والثالث ان تكون ممسوسة ولم يسم لها والرابعة ان تكون غير ممسوسة وسمى لها ورفع الجناح بمعنى نفى المهر انما هو فى الصورة الاولى لا فى البواقى من الصور الثلاث فان فيها وجوب المهر ولم يجب فى الصورة الاولى مهر لا بعضا ولا كلا اما عدم وجوب البعض فلان مهر المثل لا ينصف واما عدم وجوب الكل فلكونها غير مدخول بها ولكن لها المتعة لقوله تعالى ومتعوهن فانه فى حق من جرى ذكرهن وهى المطلقات الغير الممسوسة التى لم يفرض لهن فريضة اذ لو فرضت لكان لهن تمام المهر لا المتعة

(وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة) اى وان طلقتموهن من قبل المسيس حال كونكم مسمين لها عند النكاح مهرا (فنصف ما فرضتم) اى فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر وان مات احدهما قبل الدخول فيجب عليه كله لان الموت كالدخول فى تقرير المسمى كذلك فى ايجاب مهر المثل اذا لم يكن فى العقد مسمى (الا ان يعفون) استثناء من اعم الاحوال اى فلهن نصف المفروض معينا فى كل حال الا فى حال عفوهن اى المطلقات فانه يسقط ذلك حينئذ بعد وجوبه (او يعفو الذى بيده عقدة النكاح) اى يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود اليه من نصف المهر الذى ساقه اليها كملا على ما هو المعتاد تكرما فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة فالمراد بقوله الذى بيده عقدة النكاح الزوج لا الولى والمراد بعفوه ان يعطيها الصداق كاملا النصف الواجب عليه والنصف الساقط العائد اليه بالتنصيف وتسمية الزيادة على الحق عفوا لما كان الغالب عندهم ان يسوق الزوج اليها كل المهر عند التزوج فاذا طلقها قبل الدخول فقد استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها (وان تعفوا اقرب للتقوى) واللام فى التقوى تدل على علة قرب العفو تقديره العفو اقرب من اجل التقوى اذ الاخذ كانه عوض من غير معوض عنه او ترك المروءة عند ذلك ترك للتقوى وفى الحديث كفى بالمرء من الشح ان يقول آخذ حقى لا اترك منه شيأ وفى حديث الاصمعى اتى اعرابى قوما فقال لهم هذا فى الحق او فيما هو خير منه قالوا وما خير من الحق قال التفضل والتغافل افضل من اخذ الحق كله كذا فى المقاصد الحسنة للسخاوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) ليس المراد منه النهى عن النسيان لان ذلك ليس فى الوسع بل المراد منه الترك والمعنى لا تتركوا الفضل والافضال فيما بينكم باعطاء الرجل تمام الصداق وترك المرأة نصيبها حثهما جميعا على الاحسان والافضال وقوله بينكم منصوب بلا تنسوا (قال السعدى) كسى نيك بيند بهر دو سراى * كه نيكى رساند بخلق خداى (ان الله بما تعملون بصير) فلا يكاد يضيع ما عملتم من التفضل والاحسان والبصر فى حقه تعالى عبارة عن الوصف الذى به ينكشف كمال نعوت المبصرات وذلك اوضح واجلى مما يفهم من ادراك البصر القاصر عن ظواهر المرئيات والحظ الدينى للعبد من البصر امران احدهما ان يعلم انه خلق له البصر لينظر الى الايات وعجائب الملكوت والسموات فلا يكون نظره الا عبرة قيل لعيسى عليه السلام هل احد من الخلق مثلك فقال من كان نظره عبرة وصمته فكرة وكلامه ذكرا فهو مثلى والثانى ان يعلم انه بمرأى من الله ومسمع فلا يستهين بنظره اليه واطلاعه عليه ومن اخفى عن غير الله ما لا يخفيه عن الله فقد استهان بنظر الله والمراقبة احدى ثمرات الايمان بهذه الصفة فمن قارف معصية وهو يعلم ان الله يراه فما اجسره واخسره ومن ظن انه لا يراه فما اكفره كذا فى شرح الاسماء الحسنى للامام الغزالى ثم الاشارة فى الايات ان مفارقة الاشكال من الاصدقاء والعيال لمصلحة دنيوية لا جناح عليكم فيها فكيف يكون جناح ان فارقتموهم لمصلحة دينية بل انتم مأمورون بمفارقتهم لزيارة بيت الله فكيف لزيارة الله فان الواجب فى زيارة بيت الله مفارقة الاهالى والاوطان وفى زيارة الله مفارقة الارواح والابدان دع نفسك وتعال قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وقوله تعالى ومتعوهن اشارة الى ان من له من الطلاب واهل الارادة مال فليمتع به اقرباءه واحباءه حين فارقهم فى طلب الحق سبحانه ليزيل عنهم بحلاوة المال مرارة الفراق فان الفطام عن المألوف شديد وينفق المال عليهم بقدر قربهم فى القرابة وبعدهم بل يقسم بينهم على فرائض الله كالميراث فانه قد مات عنهم بالحقيقة وفى قوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى اشارة الى ان الوصول الى تقوى الله حق تقاته انما هو بترك ما سوى الله والتجاوز عنه فان المواصلة الى الخالق على قدر المفارقة عن المخلوق والتقرب الى الله بقدر التبعد عما سواه وفى قوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم ههنا فى الدنيا فان حلول الجنة ودخولها هنالك لا يكون الا من فضله كقوله تعالى الذى احلنا دار المقامة من فضله ان الله بما تعملون فى وجدان الفضل وفقدانه بصير كذا فى التأويلات النجمية وانما يوجب للعبد الالتفات للخلائق فقدان النور الكاشف للخلائق والا فلو اشرق نور اليقين الهادى الى العلم بان الاخرة خير من الدنيا وان ما عند الله خير وابقى لرأيت الاخرة اقرب من ان ترحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا وقد ظهرت كسفة الفناء عليها لان الآتى قطعا كالموجود فى الحال لا سيما ومباديه ظاهرة من تغير الاحوال وانتقال الاهلين والاموال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انفسح وانشرح قيل يا رسول الله وهل لك من علامة يعرف بها قال التجافى عن دار الغرور

والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله انتهى اللهم اجعلنا ممن استعد للفائت وتهيأ لنوال وصالك (حافظوا على الصلوات) بالاداء لوقتها والمداومة عليها والمراد بالصلوات المكتوبات الخمس فى كل يوم وليلة ثبت عددها بغيرها من الايات والاحاديث المتواترة وباشارة فى هذه الاية وهو ذكر الوسطى وهى ما اكتنفه عددان متساويان واقل ذلك خمسة لا يقال ان الثلاث بهذه الصفة لانا نقول الثلاث لا يكتنفها عددان فان الذى قبلها واحد والذى بعدها واحد وهو ليس بعدد فان العدد ما اذا اجتمع طرفاه صار اضعفه وليس له طرفان فانه ليس قبله شئ (و) حافظوا على (الصلاة الوسطى) اى المتوسطة بينها على ان تكون الوسطى صفة مشبهة او الفضلى منها على ان تكون افعل تفضيل تأنيث الاوسط واوسط الشئ خيره واعدله وهى صلاة العصر لانها بين صلاتى ليل وصلاتى نهار ولقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس فى وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله اى ليكن من فوتها حذرا كما يحذر من ذهاب اهله وماله ثم فى حديث يوم الاحزاب حجة على من قال الصلاة الوسطى غير العصر وعلى من قال انها مبهمة ابهمها الله تعالى تحريضا للخلق على محافظتها كساعة الاجابة يوم الجمعة فان قيل ما روت عائشة رضى الله عنها انه عليه السلام قال حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر يدل على ان الوسطى غير العصر قلت يحتمل ان يكون الوسطى لقبا والعصر اسما فذكرها باسميها كذا فى شرح المشارق لابن الملك (وقوموا لله) اى فى الصلاة (قانتين) حال من فاعل قوموا اى ذاكرين له فى القيام لان القنوت هو الذكر فيه او خاشعين روى انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلاة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه بشئ من امور الدنيا الا ناسيا حتى ينصرف (فان خفتم) اى ان كان بكم خوف من عدو او غيره (فرجالا) منصوب على الحال وعامله محذوف تقديره فصلوا راجلين والرجال جمع راجل مثل صحاب وصاحب (او ركبانا) اى راكبين وهو جمع راكب مثل فرسان وفارس ومذهب ابى حنيفة انهم لا يصلون فى حال المشى والمسابقة ما لم يمكن الوقوف وعند امكان الوقوف يصلى واقفا والدليل عليه قوله تعالى فان خفتم الاية (فاذا امنتم) وزال خوفكم (فاذكروا الله) اى فصلوا صلاة الامن عبر عنها بالذكر لانه معظم اركانها (كما علمكم) اى ذكرا كائنا كتعليمه اياكم (ما لم تكونوا تعلمون) من كيفية الصلاة والمراد بالتشبيه ان تكون الصلاة المؤداة موافقة لما علمه الله وايرادها بذلك العنوان لتذكير النعمة او اشكروا الله شكرا يوازى تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرائع والاحكام التى من جملتها كيفية اقامة الصلاة حالتى الخوف والامن واعلم ان الصلاة بمنزلة الضيافة قد هيأها الله للموحدين فى كل يوم خمس مرات فكما فى الضيافة تجتمع الالوان من الاطعمة ولكل طعام لذة ولون فكذلك فيها اركان وافعال مختلفة لكل فعل لذة وتكفير للذنوب وعن كعب الاحبار انه قال قال الله لموسى فى مناجاته يا موسى اربع ركعات يصليها احمد وامته وهى صلاة الظهر اعطيهم فى اول ركعة منها المغفرة وفى الثانية اثقل موازينهم وفى الثالثة اوكل بهم الملائكة يسبحون ويستغفرون لهم لا يبقى ملك فى السماء ولا فى الارض الا ويستغفر لهم ومن استغفرت له الملائكة لم اعذبه ابدا وفى الرابعة افتح لهم ابواب السماء وتنظر اليهم الحور العين يا موسى اربع ركعات يصليها احمد وامته وهى صلاة العصر ما يسألون منى حاجة الا قضيت لهم يا موسى ثلاث ركعات يصليها احمد وامته وهى صلاة المغرب افتح لهم ابواب السماء يا موسى اربع ركعات يصليها احمد وامته وهى صلاة العشاء خير لهم من الدنيا وما فيها ويخرجون من الدنيا كيوم ولدتهم امهاتهم ثم اعلم انه لا يرخص لمن سمع الاذان ترك الجماعة فانها سنة مؤكدة غاية التأكيد بحيث لو تركها اهل ناحية وجب قتالهم بالسلاح لانها من شعائر الاسلام ولو تركها احد منهم بغير عذر شرعى يجب عليه التعزير ولا تقبل شهادته ويأثم الجيران والامام والمؤذن بالسكوت عنه وفى غنية الفتاوى من حضر المسجد الجامع لكثرة جماعة فى الصلاة فمسجد محلته افضل قل اهل مسجده او كثر لان لمسجده حقا عليه لا يعارضه كثرة الجماعة ولا زيادة تقوى غيره او علمه ويبادر الصف الاول على محاذاة الامام وروى عن النبى عليه السلام انه قال يكتب للذى خلف الامام بحذائه مائة صلاة وللذى فى الجانب الايمن خمس وسبعون صلاة وللذى فى الجانب الايسر خمسون صلاة وللذى فى سائر الصفوف خمس وعشرون صلاة كذا فى القنية

ولا يتخطى رقاب الناس الى الصف الاول اذا وجد فيه فرجة ويتلاصقون بحيث يكونون محاذين بالاعناق
والمناكب قال عليه السلام رصوا صفوفكم وقاربوا بينها تقارب اشباحكم وحاذوا بالاعناق فوالذى نفسى
بيده انى لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كانه الحذف الخلل بفتح الخاء المعجمة الفرجة والحذف بفتحتى
الحاء المهملة والذال المعجمة الغنم السود الصغار الحجازية كذا فى التنوير والكلام فى اداء الصلاة بالحضور
والتوجه التام (قال بعضهم) محراب ابروى تو اكر قبله ام نبود ✻ كى برفلك برند ملائك نماز من ✻ يحكى
ان الشيخ ابا العباس الجوالقى كان فى بداية حاله يعمل الجوالق ويبيع فباع يوما جوالقا بنسيئة ونسى المشترى
فلما قام الى الصلاة تفكر فى ذلك ثم لما سلم قال لتلميذه وقعت لى خاطرة فى الصلاة انى الى اى شخص بعت الجوالق
الفلانى فقال تلميذه يا استاذ انت فى اداء الصلاة او فى تحصيل الجوالق فاثر هذا القول فى الشيخ فلبس جوالقا
وترك الدنيا واشتغل بالرياضة الى ان وصل الى ما وصل مردان بسعى ورنج بجايى رسيده اند ✻ تو بى هنر
كجا رسى ازنفس پرورى ✻ والاشارة ان الله تعالى اشار فى حفظ الصلاة بصيغة المبالغة التى بين الاثنين وقال
حافظوا على الصلوات يعنى محافظة الصلاة بينى وبينكم كما قال قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى
ونصفها العبدى ولعبدى ما سأل فمعناه انى حافظكم بقدرة التوفيق والاجابة والقبول والاثابة عليها فحافظوا
انتم على الصلاة بالصدق والاخلاص والحضور والخضوع والمناجاة بالتذلل والانكسار والاستعانة والاستهداء
والسكون والوقار والهيبة والتعظيم وحفظ القلوب بدوام الشهود فانما هى الصلاة الوسطى لان القلب هو الذى
فى وسط الانسان ماهو واسطة بين الروح والجسد ولهذا يسمى القلب فالاشارة فى تخصيص المحافظة على الصلاة
هى صلاة القلب بدوام الشهود فان البدن ساعة يحفظ صورة اركان الصلاة وهيئتها وساعة يخرج منها
فلا سبيل الى حفظ صورتها بنعت الدوام ولا الى حفظ معانيها بوصف الحضور والشهود دوامًا هو من شأن القلب
كقوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد وانه من نعت ارباب القلوب انهم
فى صلاتهم دائمون كذا فى التأويلات النجمية فليسارع السالكون الى حرم الحضور قبل الموت والقبور
فان الصلاة بالفتور غير مقبولة عند الله الغيور ولابد من الاعراض عن الكائنات ليتجلى نور الذات والا فمن
يستحضر عمرا او ينادى زيدا فلا اجابة له ابدا (قال الشيخ سعدى الشيرازى قدس سره) انكه چون پسته
ديديش همه مغز ✻ پوست برپوست بود همچو پياز ✻ پارسايان روى در مخلوق ✻ پشت برقبله
ميكنند نماز ✻ ومن الله التوفيق (والذين يتوفون منكم) اى يموتون يسمى المشارف الى الوفاة متوفيا
تسمية للشئ باسم مايؤول اليه وقرينة المجاز امتناع الوصية بعد الوفاة (ويذرون ازواجا) اى يدعون نساء
من بعدهم (وصية لازواجهم) اى يوصون وصية لهن والجملة خبر الذين (متاعا) اى يوصون متاعا (الى الحول)
اومتعوهن تمتيعا الى الحول (غير اخراج) بدل من قوله متاعا بدل اشتمال لتحقق الملابسة بين تمتيعهن حولا
وبين عدم اخراجهن من بيوتهن كانه قيل يوصون لازواجهن متاعا اى لايخرجن من مساكنهن حولا
اوحال من ازواجهم اى غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل الاحتضار لازواجهم
بان يمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى نزلت الاية فى رجل من الطائف يقال له حكيم بن الحارث هاجر
الى المدينة وله اولاد ومعه ابواه وامرأته ومات فانزل الله هذه الاية فاعطى النبى عليه السلام والديه واولاده
من ميراثه ولم يعط امرأته شيأ وامرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان عدة الوفاة فى ابتداء
الاسلام حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكان نفقتها وسكناها واجبة فى مال
زوجها تلك مالم تخرج ولم يكن لها الميراث فان خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها وكان على الرجل ان يوصى
بها فكان كذلك حتى نزلت آية الميراث فنسخ الله تعالى نفقة الحول بالربع عند عدم الولد وولد الابن والثمن عند
وجودهما وسقطت السكنى ايضا عند ابى حنيفة ونسخ عدة الحول باربعة اشهر وعشر فانه وان كان متقدما
فى التلاوة متأخر فى النزول (فان خرجن) عن منزل الازواج باختيارهن (فلا جناح عليكم) ايها الائمة
والحكام (فيما فعلن فى انفسهن من معروف) لاينكره الشرع كالتزين والتطيب وترك الحداد والتعرض
للخطاب وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة
واخذ النفقة وبين الخروج وتركه (والله عزيز) غالب على امره يعاقب من خالفه (حكيم) يراعى فى احكامه

مصالح عباده (وللمطلقات) سواء كن مدخولا بهن اولا (متاع) اى مطلق المتعة الشاملة للمستحبة والواجبة
فان كانت المطلقة مفوضة غير مدخول بها وجبت لها المتعة وان كانت غيرها يستحب لها فلفظ التمتع المدلول
عليه بمتعوهن فى الاية السالفة يحمل على الواجب فلا منافاة بين الايتين (بالمعروف) اى متاعا ملتبسا
بالمعروف شرعا وعادة (حقا على المتقين) اى مما ينبغى على من كان متقيا فليس بواجب ولكن من شروط
التقوى التبرع بهذا تطييبا لقلبها وازالة للضغن (كذلك) اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة اى مثل
ذلك البيان الواضح (يبين الله لكم آياته) الدالة على احكامه التى شرعها لعباده قال القاضى وعد بانه سيبين
لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا (لعلكم تعقلون) لكى تفهموا ما فيها فتستعملوا
العقل فيها وتعملوا بموجبها (وفى المثنوى) كشتىء بى لنكر آمد مرد شر ✻ كه زباد كژ نيابد او حذر ✻
لنكر عقلست عاقل را امان ✻ لنكرى در يوزه كن از عاقلان ✻ والاشارة ان المطلقة لما ابتليت بالفراق
فالله تعالى جبر كسر قلبها بالمتعة يشير بهذا الى ان المريد الصادق لو ابتلى فى اوان طلبه بفراق الاعزة والاقرباء
وهجران الاحبة والاصدقاء والخروج عن مال الدنيا وجاهها والهجرة عن الاوطان وسكانها والتنقل
فى البلاد لصحبة خواص العباد ومقاساة الشدائد فى طلب الفوائد فالله تعالى يبذل له احسانه ويزيل عنه
احزانه ويجبر كسر قلبه بمتعة انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلى فيكون للطالب الملهوف متاعا بالمعروف من نيل
المعروف كذلك يظهر الله لكم آياته اصناف الطافه واوصاف اعطافه لعلكم تعقلون بانوار الطافه كمالات
اوصافه كذا فى التأويلات النجمية فالعاقل لايلاحظ الدنيا واعراضها بل يعبر عن منافعها واعراضها ويقاسى
الشدائد فى طريق الحق الى ان يصل الى الذات المطلق (يحكى) عن شقيق البلخى انه لم يجد طعاما ثلاثة ايام
وكان مشتغلا بالعبادة فلما ضعف عن العبادة رفع يده الى السماء وقال يارب اطعمنى فلما فرغ من الدعاء التفت
فرأى شخصا ينظر اليه فلما التفت اليه سلم عليه وقال ياشيخ تعال معى فقام شقيق وذهب معه فادخله ذلك
الرجل فى بيت فرأى فيه الواحا موضوعة عليها الوان الاطعمة وعند الخوان غلمان وجوارى فاكل والرجل
قائم فلما فرغ اراد ان يخرج شقيق من ذلك البيت فقال له الرجل الى اين ياشيخ فقال الى المسجد فقال ما اسمك
قال شقيق فقال ياشقيق اعلم ان هذه الدار دارك والعبيد عبيدك وانا عبدك كنت عبد الابيك بعثنى الى التجارة
فرجعت الآن وقد توفى ابوك فالدار وما فيها لك قال شقيق ان كان العبيد لى فهم احرار لوجه الله وان كانت
الاموال لى وهبتها لكم فاقتسموها بينكم فانى لااريد شيأ يمنعنى عن العبادة (قال السعدى) تعلق حجابست
وبى حاصلى ✻ چو پيوندها بكسلى واصلى ✻ والدنيا علاقة خصوصا هذا الزمان زمان الفتنة والشرور فالراقد
فيه خير من اليقظان (حكى) ان سليمان عليه السلام اتى بشراب الجنة فقيل له لو شربت هذا لاتموت فتشاور مع
حشمه الا القنفذ قالوا باجمعهم اشرب ثم ارسل الفرس والبازى الى القنفذ يدعوانه فلم يجبهما ثم ارسل اليه
الكلب فاجابه فقال له سليمان لم لم تجب الفرس والبازى قال انهما جافيان لان الفرس يعدو بالعدو كما يعدو
بصاحبه والبازى يطيع غير صاحبه كما يطيع صاحبه واما الكلب فانه ذو وفاء حتى انه لو طرده صاحبه
من الدار يرجع اليه ثانيا فقال له ايش ترى هذا الشراب قال لاتشرب لانه يطول عمرك فى السجن فالموت
فى العز خير من العيش فى السجن بهمه حال اسيرى كه زبندى برهد ✻ بهترش دان زاميرى كه كرفتار آيد ✻
فقال له سليمان احسنت وامر باهراقه فى البحر فعذب ماء ذلك البحر (شعر)

تزود من الدنيا فانك راحل ✻ وبادر فان الموت لاشك نازل
وان امرأ قد عاش سبعين حجة ✻ ولم يتزود للمعاد لجاهل
ودنياك ظل فاترك الحرص بعدما ✻ علمت فان الظل لابد زائل

(قال السعدى) كه اندر نعمتى مغرور غافل ✻ كهى ازتنك دستى خسته وريش ✻ چو در سر
وضرا حالت اينست ✻ ندانم كى بحق پردازى ازخويش ✻ اللهم احفظنا عن الموانع (الم تر الى الذين
خرجوا من ديارهم) جمع دار اى منازلهم وهذا الخطاب وان كان بحسب الظاهر متوجها الى النبى عليه السلام
الا انه من حيث المعنى متوجه الى جميع من سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ فمقتضى الظاهر
ان يقال الم تسمع قصتهم الا انه نزل سماعهم اياها منزلة رؤيتهم تنبيها على ظهورها واشتهارها عندهم نحو طبوا

بالم تروهو تعجيب من حال هؤلاء وتقرير اى حمل على الاقرار بما دخله النفى قال الامام الواحدى ومعنى الرؤية
ههنا رؤية القلب وهى بمعنى العلم انتهى فتعدية الرؤية بالى مع انها ادراك قلبى لتضمين معنى الوصول والانتهاء
على معنى الم ينته علمك اليهم قال العلماء كل ما وقع فى القرآن الم تر ولم يعاينه النبى عليه السلام فهو بهذا المعنى
وفى التيسير وتحقيقه اعلم ذلك وفى الكواشى معناه الوجوب لان همزة الاستفهام اذا دخلت على النفى
او على الاستفهام صار تقريرا وايجابا والمعنى قد علمت خبر الذين خرجوا الآية قال ابن التمجيد فى حواشيه
لفظ الم تر قد يخاطب به من تقدم علمه بالقصة وقد يخاطب به من لم يتقدم علمه بها فانه قد يقول الرجل لآخر الم تر
الى فلان اى شئ قال يريد تعريفه ابتداء فالمخاطبون به ههنا اما من سمعها وعلمها قبل الخطاب به من اهل
التواريخ فذكرهم وعجبهم واما من لم يسمعها فعرفهم وعجبهم وقيل الخطاب عام لكل من يتأتى منه الرؤية دلالة
على شيوع القصة وشهرتها بحيث ينبغى لكل احد ان يعلمها او يبصرها ويتعجب منها (وهم الوف) جمع الف الذى
هو من جملة اسماء العدد واختلفوا فى عدد مبلغهم والوجه من حيث اللفظ ان يكون عددهم ازيد من عشرة
آلاف لان الالوف جمع الكثرة فلا يقال فى عشرة آلاف فما دونها الوف (حذر الموت) مفعول له اى خرجوا
من ديارهم خوفا من الموت (فقال لهم الله) على لسان ملك وانما اسند اليه تعالى تخويفا وتهويلا لان قول
القادر القهار والملك الجبار له شأن (موتوا) التقدير فماتوا لاقتضاء قوله ثم احياهم ذلك التقدير لان الاحياء
يستدعى سبق الموت (ثم احياهم) اى اعادهم احياء ليستوفوا بقية اعمارهم وليعلموا ان لا فرار من القدر قال
ابن العربى عقوبة لهم ثم احياهم وميتة العقوبة بعدها حياة للاعتبار وميتة الاجل لا حياة بعدها وعن الحسن
ايضا اماتهم الله قبل آجالهم عقوبة لهم ثم بعثهم الى بقية آجالهم وقصة هؤلاء ما ذكرها اكثر اهل التفسير انهم كانوا
قوما من بنى اسرائيل بقرية من قرى واسط يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فذهب اشرافهم واغنياؤهم
واقام سفلتهم وفقراؤهم فهلك اكثر من بقى فى القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين
فقال الذين بقوا اصحابنا كانوا احزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا كما بقوا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن
الى ارض لا وباء بها فوقع الطاعون من العام القابل فهرب عامة اهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا افيح بين جبلين
فلما نزلوا المكان الذى يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من اسفل الوادى وملك آخر من اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا
من غير علة بامر الله ومشيئته وماتت دوابهم كموت رجل واحد فاتت عليهم ثمانية ايام حتى انتفخوا واروحت
اجسادهم اى انتنت فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فاحدقوا حواليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها
فاتت على ذلك مدة وقد بليت اجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم نبى يقال له حزقيل بن بوزى ثالث خلفاء
بنى اسرائيل بعد موسى عليه السلام وذلك ان القيم بعد موسى بامر بنى اسرائيل كان يوشع بن نون ثم كالب
ابن يوحنا ثم حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان امه كانت عجوزا فسألت الله الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهبه
الله لها وقال الحسن هو ذو الكفل وسمى حزقيل ذا الكفل لانه كفل سبعين نبيا وانجاهم من القتل وقال لهم
اذهبوا فانى ان قتلت كان خيرا لكم من ان تقتلوا جميعا فلما جاء اليهود وسألوا ذا الكفل عن الانبياء السبعين قال
انهم ذهبوا ولا ادرى اين هم ومنع الله تعالى ذا الكفل من اليهود بفضله وكرمه فلما مر حزقيل على اولئك الموتى
وقف عليهم لكثرة ما يرى فجعل يتفكر فيهم متعجبا فاوحى الله اليه اتريد ان اريك آية قال نعم فقال الله ناد ايتها
العظام ان الله يأمرك ان تجتمعى فاجتمعت من اعلى الوادى وادناه حتى التزق بعضها ببعض فصارت اجسادا
من عظام لا لحم ولا دم ثم اوحى الله اليه ناد ايتها الارواح ان الله يأمرك ان تقومى فقاموا وبعثوا احياء يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت فبقيت فيهم بقايا من ريح النتن حتى انه بقى فى اولاد ذلك السبط من اليهود
الى اليوم ثم انهم رجعوا الى بلادهم وقومهم وعاشوا دهرا سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد
دسما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التى كتبت لهم وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض
لاسباب الشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام وان الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه المفر فاولى ان
يكون فى سبيل الله (ان الله لذو فضل) عظيم (على الناس) قاطبة اما اولئك فقد احياهم ليعتبروا بما جرى عليهم
فيفوزوا بالسعادة العظمى واما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى مسلك الاعتبار والاستبصار (ولكن اكثر
الناس لا يشكرون) فضله كما ينبغى لعجز بعضهم وكفر بعضهم (وقاتلوا) الخطاب لهذه الامة وهو معطوف على

مقدر تقديره فاطيعوا وقاتلوا (فى سبيل الله) لاعلاء دينه متيقنين ان الفرار من الموت غير مخلص وان القدر
واقع فلا تحرموا من احد الحظين اما النصر والثواب واما الموت فى سبيل الله الملك الوهاب (واعلموا ان الله سميع)
يسمع مقالة السابقين الى الجهاد من ترغيب الغير فيه ومقالة المتخلفين عنه من تنفير الغير (عليم) بما يضمرونه
فى انفسهم يعلم ان خلف المتخلف لاى غرض وان جهاد المجاهد لاى سبب وانه لاجل الدين او الدنيا وهو من وراء
الجزاء ثم ان قوله تعالى الم تر وارد لتقبيح حال هؤلاء الذين خرجوا وقد جعل الله جزاء خروجهم الموت والخيبة
فى رجائهم الخلاص وكل ذلك يدل على كراهية الفرار فثبت بهذه الآية فضيلة القرار وفائدته وفى الحديث
الفار من الطاعون كالفار من الزحف وهذا الحديث يدل على ان النهى عن الخروج للتحريم وانه من الكبائر قيل
ان عبد الملك هرب من الطاعون فركب ليلا واخرج غلاما معه فكان ينام على دابته فقال للغلام حدثنى فقال
من انا حتى احدثك فقال على كل حال حدث حديثا سمعته فقال بلغنى ان ثعلبا كان يخدم اسدا ليحميه ويمنعه
عما يريده فكان يحميه فرأى الثعلب عقابا فلجأ الى الاسد فاقعده على ظهره فانقض العقاب واختلسه فصاح
الثعلب يا ابا الحارث اغثنى واذكر عهدك لى فقال انما اقدر على منعك من اهل الارض فاما اهل السماء فلا سبيل
اليهم فقال عبد الملك وعظتنى واحسنت انصرف ورضى بالقضاء (قال السعدى) قضا كشتى آنجا كه خواهد
برد ✻ وكر ناخدا جامه بر تن درد ✻ درابى كه پيدا نباشد كنار ✻ غرور شناور نيايد بكار واعلم ان
ما كان من القضاء حتما مقضيا لا ينفعه شئ كما قال عليه السلام الحذر لا ينفع من القدر واما المعلق فتنفعه
الصدقة وامثالها كما قال عليه السلام الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان فى الاعمار قال بعض المحققين
ان المقدرات على ضربين ضرب يختص بالكليات وضرب يختص بالجزئيات التفصيلية فالكليات المختصة
بالانسان ما اخبر النبى عليه السلام انها محصورة فى اربعة اشياء العمر والرزق والاجل والسعادة والشقاوة
وهى لا تقبل التغير فالدعاء فيها لا يفيد كصلة الرحم الا بطريق الفرض بمعنى ان لصلة الرحم مثلا من الاثر
فى الخير ما لو امكن ان يبسط فى رزق الواصل ويؤخر فى اجله بها لكان ذلك ويجوز فرض المحال اذا تعلق بذلك
حكمة قال تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين واما الجزئيات ولوازمها التفصيلية فقد يكون ظهور
بعضها وحصوله للانسان متوقفا على اسباب وشروط ربما كان الدعاء او الكسب والسعى والتعمد من جملتها
بمعنى انه لم يقدر حصوله بدون ذلك الشرط حكى ان قصارا مر على عيسى عليه السلام مع جماعة من الحواريين
فقال لهم عيسى احضروا جنازة هذا الرجل وقت الظهر فلم يمت فنزل جبريل فقال الم تخبرنى بموت هذا
القصار فقال نعم ولكن تصدق بعد ذلك بثلاثة ارغفة فنجا من الموت وقد سبق منا فى الجزء الاول عند قوله تعالى
فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ما يتعلق بالطاعون والفرار منه فليرجع اليه قال
الامام القشيرى فى قوله تعالى وقاتلوا فى سبيل الله الآية يعنى ان مسكم الم فتصاعد منكم انين فاعلموا ان الله
سميع بانينكم عليم باحوالكم والآية توجب عليهم تسهيل ما يقاسونه من الالم قال قائلهم
اذا ما تمنى الناس روحا وراحة ✻ تمنيت ان اشكو اليك وتسمع
انتهى كلامه قدس سره اللهم اجعلنا من الذين يفرون الى جنابك ويميلون (من) استفهام للتحريض على
التصدق مبتدأ (ذا) اشارة الى المقرض خبر المبتدأ اى من هذا (الذى) صفة ذا او بدل منه (يقرض الله)
اصل القرض القطع سمى به لان المعطى يقرضه اى يقطعه من ماله فيدفعه اليه ليرجع اليه مثله من الثواب
واقراض الله مثل لتقديم العمل الذى يطلب به ثوابه (قرضا) مصدر ليقرض بمعنى اقراضا كقوله تعالى
انبتكم من الارض نباتا اى اقراضا (حسنا) اى مقرونا بالاخلاص وطيب النفس ويجوز ان يكون القرض
بمعنى المقرض اى بمعنى المفعول على انه مفعول ثان ليقرض وحسنه ان يكون حلالا صافيا عن شوب حق الغير
به وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق فى سبيل الله ومن انواع القرض قول الرجل سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر (فيضاعفه له) منصوب باضمار ان عطفا على المصدر المفهوم من يقرض الله فى المعنى
فيكون مصدرا معطوفا على مصدر تقديره من ذا الذى يكون منه اقراض فمضاعفة من الله او منصوب
على جواب الاستفهام فى المعنى لان الاستفهام وان وقع عن المقرض لفظا فهو عن الاقراض معنى كانه
قال ايقرض الله احد فيضاعفه واصل التضعيف ان يزاد على الشئ مثله او امثاله (اضعافا) جمع ضعف

حال من الهاء فی یضاعفه (کثیرة) هذا قطع الاوهاب عن مبلغ الحساب ای لایعلم قدرها الا الله وقیل الواحد
سبعمائة وحکمة تضعیف الحسنات لئلا یفلس العبد اذا اجتمع الخصماء فظالم العباد توفی من التضعیفات
لا من اصل حسناته لان التضعیف فضل من الله تعالی واصل الحسنة الواحدة عدل منه واحدة بواحدة
وذکر الامام البیهقی ان التضعیفات فضل من الله تعالی لا یتعلق بها العباد کما لا یتعلق بالصوم بل یدخرهما
الحق للعبد فضلا منه سبحانه فاذا دخل الجنة اثابه بها (قال السعدی) نکوکاری از مردم نیك رای ✻
یکی را بده می نویسد خدای ✻ کرم کن که فردا که دیوان نهند ✻ منازل بمقدار احسان دهند
ولما حثهم علی الاخراج سهل علیهم الاقراض واخبرانهم لا یمکنهم ذلك الا بتوفیقه فقال (والله یقبض) یقتر علی
بعض (ویبسط) یوسع علی بعض او یقتر تارة ویوسع اخری حسبما تقتضیه مشیئته المبنیة علی الحکم والمصالح
واذا علم العبد ذلك هان علیه الاعطاء لان الله تعالی هو الرزاق وهو الذی وسع علیه فهو یسأل منه ما اعطاه
ولانه یخلفه علیه فی الدنیا ویثیبه علیه فی العقبی فکأن الله تعالی یقول اذا علمتم ان الله هو القابض والباسط
وان ما عندکم انما هو من بسطه واعطائه فلا تبخلوا علیه فاقرضوه وانفقوا مما وسع علیکم واعطاکم ولا تعکسوا
بان تبخلوا الا یعاملکم مثل معاملتکم فی التعکیس بان یقبض بعد ما بسط ولعل تأخیر البسط عن القبض
فی الذکر للایماء الی انه یعقبه فی الوجود تسلیة للفقرآء قال الامام الغزالی فی شرح الاسماء الحسنی القابض
الباسط هو الذی یقبض الارواح عن الاشباح عند الممات ویبسط الارواح فی الاجساد عند الحیاة ویقبض
الصدقات من الاغنیاء ویبسط الارزاق للضعفاء یبسط الرزق علی الاغنیاء حتی لا تبقی فاقة ویقبضه عن الفقرآء
حتی لا تبقی طاقة ویقبض القلوب فیضیقها بما یکشف لها من قلة مبالاته وتعالیه وجلاله ویبسطها بما یقرب
الیها من بره ولطفه وجماله والقابض الباسط من العباد من الهم بدآئع الحکم واوتی جوامع الکلم فتارة یبسط
قلوب العباد بما یذکرهم من آلاء الله ونعمائه وتارة یقبضها بما ینذرهم به من جلال الله وکبریائه وفنون عذابه
وبلائه وانتقامه من اعدآئه کما فعل رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم حیث قبض قلوب الصحابة عن
الحرص علی العبادة حیث ذکرهم ان الله یقول لآدم یوم القیامة ابعث بعث النار فیقول کم فیقول من کل الف
تسعمائة وتسعة وتسعین فانکسرت قلوبهم حتی فتروا عن العبادة فلما اصبح ورأهم علی ما هم علیه من القبض
والفتور روح قلوبهم وبسطها فذکر انهم فی سائر الامم کشامة سودآء فی مسك ثور ابیض انتهی قال القشیری
فی رسالته القبض والبسط حالتان بقدر ترقی العبد عن حال الخوف والرجاء والقبض للعارف بمنزلة الخوف
للمستأنف والبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمستأنف (والیه ترجعون) فیجازیکم علی ما قدمتم من
الاعمال خیرا وشرا علی الجود بالجنة وعلی البخل بالنار وهو وعد ووعید وهو تنبیه علی ان الغنی لمفارق ماله
بالموت فلیبادر الانفاق قبل الفوت واجتمع جماعة من الاغنیاء والفقرآء فقال غنی ان الله تعالی رفع درجاتنا
حتی استقرض منا وقال الفقیر بل رفع درجاتنا حتی استقرض لنا والواحد قد یستقرض من غیر الحبیب
ولك ان لا تستقرض الا لاجل الحبیب وقبض رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم ودرعه عند یهودی
بشعیر اخذه لقوت عیاله انظر ممن استدان ولمن استدان وفی الحدیث یقول الله تعالی یوم القیامة ابن آدم
استطعمتك فلم تطعمنی قال رب کیف اطعمك وانت رب العزة قال استطعمك عبدی فلان فلم تطعمه
اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندی فالقرض لا یقع عند المحتاج فکأنه ذکر نفسه ونزل وصفه منزلة
المحتاج کقوله مرضت فلم تعدنی جعت فلم تطعمنی شفقة وتلطیفا للفقیر والمریض وهذا من باب التنزلات الرحمانیة
عند المحققین لتکمیل محبة العبد وجذبه الی حضرة اهل الشهود من عباده جذبة من جذبات الحق توازی عمل
الثقلین وذلك اذا شاهد العبد الفقیر جلوة جمال الرحمن فی اطوار تنزلاته فی المشاهد الاعیانیة (وفی المثنوی) روی
خوبان زآینه زیبا شود ✻ روی احسان از گدا پیدا شود ✻ پس ازین فرمود حق در والضحی ✻
بانك کم زن ای محمد بر گدا ✻ چون گدا آیینهٔ جود ست هان ✻ دم بود بر روی آیینه زیان ✻ فالله تعالی
من کمال فضله وکرمه مع عباده خلق انفسهم وملکهم الاموال ثم اشتری منهم انفسهم واموالهم ثم ردها الیهم
بالعاریة ثم اکرمهم فیها بالاستقراض منهم ثم بشر باضعاف کثیرة علیها فالعبد الصادق لا یطلب الاعلی قدر
همته ولا یرید العوض مما اعطاه الا ذاته تعالی فیعطیه الله ما هو مطلوبه علی قدر همته ویضاعف له مع مطلوبه

ماخفی

ما اخفی لهم من قرة اعین اضعافا کثیرة علی قدر کرمه فمن یکون له متاع الدنیا بامره قلیلا فانظر ما یکون
له کثیرا اللهم متعنا بما الهمت علی اولیائك واجعلنا من الذین قصروا اعینهم علی استطلاع انوار لقائك (الم تر) ای
الم ینته علمك (الی) قصة (الملأ) ای قد علمت خبرهم باعلامی ایاك فتعجب الملأ جماعة یجتمعون للتشاور سموا
بذلك لانهم اشراف یملؤن العیون مهابة والمجالس بهاءة لا واحد له من لفظه کالقوم (من بنی اسرآئیل)
من للتبعیض حال من الملأ ای کائنین بعض بنی اسرآئیل وهم اولاد یعقوب (من) ابتدآئیة متعلقة بما تعلق به
الجار الاول (بعد) وفاة (موسی اذ قالوا) منصوب بالمضاف المقدر فی الملأ ای الم تر الی قصة الملأ او حدیثهم حین
قالوا لان الذوات لا یتعجب منها وانما یتعجب من احوالها (لنبی لهم) اشمویل وهو الاشهر الاظهر (ابعث لنا ملکا)
ای اقم وانصب لنا سلطانا یتقدمنا ویحکم علینا فی تدبیر الحرب ونطیع لامره (نقاتل) معه وهو بالجزم علی
الجواب (فی سبیل الله) طلبوا من نبیهم ما کان یفعل رسول الله صلی الله علیه وسلم من التأمیر علی الجیوش
التی کان یجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروی انه امر الناس اذا سافروا ان یجعلوا احدهم
امیرا علیهم (قال) کانه قیل فماذا قال لهم النبی حینئذ فقیل قال (هل عسیتم) قاربتم (ان کتب علیکم القتال)
مع الملك شرط معترض بین عسی وخبره وهو قوله (ان لا تقاتلوا) معه قال فی الکشاف والمعنی هل قاربتم ان لا
تقاتلوا یعنی هل الامر کما اتوقعه انکم لا تقاتلون اراد ان یقول عسیتم ان لا تقاتلوا بمعنی اتوقع جبنکم عن القتال
فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده وانه صائب فی توقعه کقوله تعالی هل اتی علی الانسان معناه التقریر
(قالوا وما) مبتدأ وهو استفهام انکاری خبره قوله (لنا) فی (ان لا نقاتل فی سبیل الله) ای ای سبب وغرض لنا فی
ترك القتال (وقد اخرجنا من دیارنا وابنائنا) ای والحال انه قد عرض لنا ما یوجب القتال ایجابا قویا من الاخراج
عن الدیار والاوطان والاغتراب عن الاهل والاولاد وافراد الابناء بالذکر لمزید تقویة اسباب القتال قال بعضهم
وقد اخرجنا من دیارنا وابنائنا جلاء واسرا ومثله یذکر ابناءنا نحو ✻ وزججن الحواجب والعیونا ✻ وکان
سبب مسألتهم نبیهم ذلك انه لما مات موسی علیه السلام خلف بعده فی بنی اسرآئیل یوشع یقیم فیهم التوراة وامر
الله حتی قبضه الله ثم خلف فیهم کالب کذلك حتی قبضه الله ثم عظمت الاحداث فی بنی اسرآئیل ونسوا عهد
الله حتی عبدوا الاوثان فبعث الله الیهم الیاس نبیا فدعاهم الی الله وکانت الانبیاء من بنی اسرآئیل بعد موسی
یبعثون الیهم بتجدید ما نسوا من التوراة ثم خلف بعد الیاس الیسع وکان فیهم ما شاء الله حتی قبضه الله وخلف
فیهم الخلوف وعظمت الخطایا وظهر لهم عدو یقال له البلثانا وهم قوم جالوت کانوا یسکنون ساحل بحر الروم
بین مصر وفلسطین وهم العمالقة اولاد عمليق بن عاد فظهروا علی بنی اسرآئیل وغلبوا علی کثیر من ارضهم وسبوا
کثیرا من ذراریهم واسروا من ابناء ملوکهم اربعمائة واربعین غلاما وضربوا علیهم الجزیة واخذوا توراتهم ولقی
بنو اسرآئیل منهم بلاء شدیدا ولم یکن لهم نبی یدبر امرهم وکان سبط النبوة قد هلکوا فلم یبق منهم الا امرأة حبلی
فحبسوها فی بیت رهبة ان تلد جاریة فتبدلها بغلام لما تری من رغبة بنی اسرآئیل فی ولدها وجعلت المرأة تدعو
الله ان یرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمویل تقول سمع الله دعائی وهو بالعبرانیة اسماعیل والسین تصیر شینا
فی لغة عبران فکبر الغلام فاسلموه لتعلم التوراة فی بیت المقدس وکفله شیخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام اتاه
جبریل علیه السلام وهو نائم الی جنب الشیخ وکان لا یأتمن علیه احدا فدعاه بلحن الشیخ یا اشمویل فقام الغلام
مسرعا الی الشیخ فقال یا ابتاه دعوتنی فکره الشیخ ان یقول لا لئلا یفزع الغلام فقال یا بنی ارجع فنم فرجع الغلام
فنام ثم دعاه الثانیة فقال الغلام دعوتنی فقال ارجع فنم فان دعوتك الثالثة فلا تجبنی فلما کانت الثالثة ظهر له
جبریل فقال له اذهب الی قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فیهم نبیا فلما اتاهم کذبوه وقالوا له
استعجلت بالنبوة ولم تأن لك قالوا ان کنت صادقا فابعث لنا ملکا نقاتل فی سبیل الله آیة من نبوتك وانما کان
قوام امر بنی اسرآئیل بالاجتماع علی الملوك وطاعة الملوك لانبیائهم فکان الملك هو الذی یسیر بالجموع والنبی یقیم
امره ویشیر علیه برشده ویأتیه بالخبر من عند ربه (فلما کتب علیهم القتال) بعد سؤال النبی ذلك وبعث الملك
(تولوا) ای اعرضوا وتخلفوا عن الجهاد وضیعوا امر الله ولکن لا فی ابتدآء الامر بل بعد مشاهدة کثرة
العدو وشوکته وانما ذکر الله ههنا مآل امرهم اجمالا اظهارا لما بین قولهم وفعلهم من التنافی والتباین
(الا قلیلا منهم) وهم الذین عبروا النهر مع طالوت واقتصروا علی الغرفة وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر

(والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم بالتولى عن القتال وترك الجهاد وتنافى اقوالهم وافعالهم والاشارة
ان القوم لما اظهروا خلاف ما اضمروا وزعموا غير ما كتموا عرض نقد دعواهم على محك معناهم فما افلحوا عند
الامتحان اذ عجزوا عن البرهان وعند الامتحان يكرم الرجل او يهان (قال الحافظ) خوش بود كر محك تجربه
امد بميان * تاسيه روى شود هركه دروغش باشد * وهذه حال المدعين من اهل السلوك وغيرهم قال
اهل الحقيقة عللوا القتال بما يرجع الى حظوظهم فخذلوا ولو قالوا كيف لانقاتل وقد عصوا الله وخربوا بلاد الله
وقهروا عباد الله واطفأوا نور الله لنصروا وافادت الآية ان خواص الله فيهم قليلة قال تعالى وقليل من عبادى
الشكور وهذا فى كل زمان لكن الشئ العزيز القليل اعلى بهاء من الكثير الذليل (قال السعدى) خاك مشرق
شنيده ام كه كنند * بچهل سال كاسهٔ چينى * صد بروزى كنند در بغداد * لاجرم قيمتش همى بينى *
وانما كان اهل الحق اقل مع ان الجن والانس انما خلقوا الاجل العبادة كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون لان المقصود الاعظم هو الانسان الكامل وقد حصل اولان المهديين وان قلوا بالعدد لكنهم
كثيرون بالفضل والشرف كما قيل قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا اى اظهروا الشدة وقد روى عن ابن مسعود
رضى الله عنه السواد الاعظم هو الواحد على الحق والحكمة لا تقتضى انفاق الكل على الاخلاص والاقبال
الكلى على الله فان ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا بل تقتضى ظهور ما اضيف
اليه كل من اليدين فللواحدة المضاف اليها عموم السعداء الرحمة والحنان وللاخرى القهر والغضب ولوازمهما
فلابد من الغضب لتكميل مرتبة قبضة الشمال فانه وان كان كلتا يديه يمينا مباركة لكن حكم كل واحدة يخالف
الاخرى فعلى العاقل ان يحترز من اسباب الغضب ويجتهد فى نيل كرم الرب قال على كرم الله وجهه من ظن انه
بدون الجهد يصل فهو متمن ومن ظن انه ببذل الجهد فهو متعن اللهم افض علينا من سجال فضلك وكرمك
واوصلنا اليك يا ارحم الراحمين (وقال لهم نبيهم) وذلك ان اشمويل لما سأل الله تعالى ان يبعث لهم ملكا
اتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذى يكون ملكا طوله طول هذه العصا وانظر القرن
الذى فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل ونش الدهن الذى فى القرن فهو ملك بنى اسرآئيل فدهن به رأسه
وملك عليهم قال وهب ضلت حمر لابى طالوت فارسله وغلاما له فى طلبها فمرا ببيت اشمويل فقال الغلام لو دخلنا
على هذا النبى فسألناه عن الحمر ليرشدنا ويدعو لنا بالخير فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له شأن الحمر اذ نش
الدهن الذى فى القرن فقام اشمويل فقاس طالوت بالعصا فكان على طولها فقال لطالوت قرب رأسك فقربه
فدهنه بدهن القدس ثم قال له انت ملك بنى اسرآئيل الذى امرنى الله ان املكه عليهم قال باى آية قال بآية انك
ترجع وقد وجد ابوك حمره فكان كذلك ثم قال اشمويل لبنى اسرآئيل (ان الله قد بعث لكم طالوت) اسم اعجمى
ممتنع من الصرف لتعريفه وعجمته (ملكا) حال منه اى فاطيعوه وقاتلوا عدوكم معه (قالوا) متعجبين من ذلك
ومنكرين قيل انهم كفروا بتكذيبهم نبيهم وقيل كانوا مؤمنين لكن تعجبوا وتعرفوا وجه الحكمة فى تمليكه كما قال
الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها (انى يكون له الملك علينا) من اين يكون له ذلك و يستأهل (ونحن احق
بالملك منه) اولى بالرياسة عليه منه بالرياسة علينا (ولم يؤت سعة من المال) اى لم يعط ثروة وكثرة من المال
فيتشرف بالمال اذا فاته الحسب يعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق منه
ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال ولابد للملك من مال يقتصد به وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت
مخصوصة بسبط معين من اسباط بنى اسرآئيل وهو سبط لاوى بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون وسبط
المملكة سبط يهوذ بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان ولم يكن طالوت من احد هذين السبطين بل هو من ولد
بنيامين بن يعقوب وكانوا عملوا ذنبا عظيما ينكحون النساء على ظهر الطريق نهارا فغضب الله عليهم ونزع الملك
والثروة عنهم وكانوا يسمونه سبط الاثم وكان طالوت يتحرف بحرفة دنية كان رجلا دباغا يعمل الادم فقيرا او سقاء
او مكاريا (قال) لهم نبيهم ردا عليهم (ان الله اصطفاه عليكم) اى اختاره فان لم يكن له نسب ومال فله فضيلة
اخرى وهو قوله (وزاده بسطة) اى سعة وامتدادا (فى العلم) المتعلق بالملك او به و بالديانات ايضا (والجسم)
بطول القامة وعظم التركيب لان الانسان يكون اعظم فى النفوس بالعلم واهيب فى القلوب بالجسم وكان
اطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى ان الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه

وبفقره رد عليهم ذلك اولا بان ملاك الامر هو اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان
العمدة فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة امور السياسة وجسامة البدن ليعظم خطره فى القلوب ويقدر على
مقاومة الاعدآء ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى منهما بحظ وافر (والله يؤتى ملكه من يشاء) لما انه مالك
الملك والملكوت فعال لما يريد فله ان يؤتيه من يشاء من عباده (والله واسع) يوسع على الفقير و يغنيه (عليم)
بمن يليق بالملك ممن لا يليق به وفى التأويلات النجمية انما حرم بنو اسرآئيل من الملك لانهم كانوا معجبين بانفسهم
متكبرين على طالوت ناظرين اليه بنظر الحقارة من عجبهم قالوا ونحن احق بالملك منه ومن تكبرهم عليه قالوا
أنى يكون له الملك علينا ومن تحقيرهم اياه قالوا ولم يؤت سعة من المال فلما تكبروا وضعهم الله وحرموا
من الملك (قال السعدى) يكى قطره باران زابرى چكيد * خجل شد چو پهناى دريا بديد * كه جايى
كه درياست من كيستم * كر او هست حقا كه من نيستم * چو خود را بچشم حقارت بديد *
صدف در كنارش بجان پروريد * سپهرش بجايى رسانيد كار * كه شد نامور لؤلؤى شاهوار *
بلندى ازان يافت كو پست شد * در نيستى كوفت تا هست شد * ومن بلاغات الزمخشرى كم يحدث
بين الخبيثين ابن لا يعاب والفرث والدم يخرج من بينهما اللبن يعنى حدوثا كثيرا يحدث بين الزوجين الخبيثين ابن
طيب لا يعاب بين الناس ولا يذكر بقبيح وهذا غير مستبعد لان اللبن يخرج من بين السرجين والدم وهما
مع كونهما مستقذرين لا يؤثران فى اللبن بشئ من طعمهما ولونهما بل يحدث للبن من بينهما لطيفا سائغا
للشاربين قالوا يخلق الله اللبن وسطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغى
احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رآئحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر فى كرشها
وهو من الحيوان بمنزلة المعدة من الانسان طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه مادة اللبن واعلاه مادة الدم والكبد
مسلطة على هذه الاوصاف الثلاثة تقسمها فتجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع ونبقى الفرث فى الكرش
فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تأمل والانسان له استعداد الصلاح والفساد فتارة يظهر
فى الاولاد الصلاح المبطون فى الاباء وتارة يكون الامر بالعكس وامر الايجاد يدور على الاظهار والابطان
فانظر الى آدم وابنيه قابيل وهابيل ثم وثم الى انتهاء الزمان والحاصل ان طالوت ولو كان اخس عند بنى اسرآئيل
لكنه عظيم شريف عند الله لما ان النظر الالهى اذا تعلق بحجر يجعله جوهرا او بشوك يجعله وردا او ريحانا
فلا معترض لحكمه ولا راد لقضائه فالوضيع من وضعه الله وان كان قد رفعه الناس والرفيع من رفعه الله وان كان
قد وضعه الناس والعاقل اذا تأمل امثال هذا يجد من نفسه الانصاف والسكوت وتفويض الامر الى الحى
الذى لا يموت والله يقول الحق وهو يهدى السبيل (وقال لهم نبيهم) طلبوا علامة من نبيهم على كون طالوت ملكا
عليهم فقالوا ما آية ملكه فقال (ان آية ملكه) اى علامة سلطنته (ان يأتيكم التابوت) من التوب وهو الرجوع
وسمى تابوتا لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودع فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه
فيما يحتاج اليه من مودعاته والمراد به صندوق التوراة وكان قد رفعه الله بعد وفاة موسى عليه السلام سخطا
على بنى اسرآئيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم ان آية ملكه
ان يأتيكم التابوت من السماء والملائكة يحفظونه فاتاهم كما وصف والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت
وهذا قول ابن عباس رضى الله عنه وقال ارباب الاخبار ان الله تعالى انزل على آدم عليه السلام تابوتا فيه
تماثيل الانبياء عليهم السلام من اولاده وكان من عود الشمشار نحوا من ثلاثة اذرع فى ذراعين فكان عند آدم
عليه السلام الى ان توفى فتوارثه اولاده واحد بعد واحد الى ان وصل الى يعقوب عليه السلام ثم بقى فى ايدى بنى
اسرآئيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه وكان اذا قاتل قدمه
فكانت تسكن اليه نفوس بنى اسرآئيل وكان عنده الى ان توفى ثم تداولته ايدى بنى اسرآئيل وكانوا اذا اختلفوا
فى شئ تحاكموا اليه فيكلمهم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم و يستفتحون به
على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فاذا سمعوا فى التابوت صيحة استيقنوا النصر
فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه فى موضع البول والغائط
فلما اراد الله ان يملك طالوت سلط الله عليهم البلاء حتى ان كل من بال عنده ابتلى بالبواسير وهلكت من بلادهم

خمس مدائن فعلم الكفار ان ذلك سبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه وجعلوه على عجلة وعلقوها على ثورين
فاقبل الثوران يسيران وقد وكل الله بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتيا منزل طالوت فلما رأوا انيهم البينة
على ملك طالوت قال لهم النبي ان آية ملكه انكم تجدون التابوت فى داره فلما وجدوه عنده ايقنوا بملكه فالاتيان
على هذا مجاز لانه اتى به ولم يأت هو بنفسه فنسب الاتيان اليه توسعا كما يقال ربحت التجارة وعلى الوجه الاول
حقيقة (فيه) اى فى اتيان التابوت (سكينة من ربكم) اى سكون لكم وطمأنينة كائنة من ربكم او الضمير للتابوت
قال بعض المحققين السكينة تطلق على ثلاثة اشياء بالاشتراك اللفظى اولها ما اعطى بنوا اسرائيل فى التابوت
كما قال تعالى ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم قال المفسرون هى ريح ساكنة طيبة تخلع
قلب العدو بصوتها رعبا اذا التقى الصفان وهى معجزة لانبيائهم وكرامة لملوكهم والثانية شئ من لطائف صنع
الحق يلقى على لسان المحدث الحكمة كما يلقى الملك الوحى على قلوب الانبياء مع ترويح الاسرار وكشف السر
والثالثة هى التى انزلت على قلب النبى عليه السلام وقلوب المؤمنين وهى شئ يجمع نورا وقوة وروحا يسكن اليه
الخائف ويتسلى به الحزين كما قال تعالى فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وقال بعضهم التابوت
هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص وذكر الله الذى تطمئن اليه القلوب واتيانه تصيير قلبه مقر العلم
والوقار بعد ان لم يكن كذلك (وبقية) كائنة (مما) من للتبعيض (ترك آل موسى وآل هرون) هما رضاض
الالواح وعصا موسى من آس الجنة وثيابه ونعلاه وعمامة هرون وشئ من التوراة وخاتم سليمان وقفيز من المن
وهو الترنجبين الذى كان ينزل على بنى اسرائيل ويأكلونه فى ارض التيه وآلهما انفسهما والآل مقحم
او ابناؤهما او اتباعهما (تحمله الملائكة) حال من التابوت اى ان آية ملكه اتيانه حال كونه محمولا للملائكة
او استئناف كانه قيل كيف يأتى فقيل تحمله الملائكة ثم ان التابوت لم تحمله الملائكة فى الروايتين بل نزل من السماء
الى الارض بنفسه والملائكة كانوا يحفظونه فى الرواية الاولى واتى به على العجلة وعلى الثورين بسوق الملائكة
على الرواية الاخيرة وانما اضيف الحمل فى القولين جميعا الى الملائكة لان من حفظ شيأ فى الطريق جاز ان يوصف
بانه حمل ذلك الشئ وان لم يحمله بل كان الحامل غيره كما يقول القائل حملت الامتعة الى زيد اذا حفظها
فى الطريق وان كان الحامل غيره (ان فى ذلك) يحتمل ان يكون من تمام كلام النبى وان يكون ابتداء خطاب
من الله اى فى رد التابوت ايها الفريق (لآية) عظيمة (لكم) دالة على ملك طالوت وصدق قول نبيكم فى ان الله
جعله ملكا فانه امر مناقض للعادة (ان كنتم مؤمنين) مصدقين بالله فصدقوا بتمليكه عليهم وفى الآية اشارة
الى ان آية ملك الخلافة للعبد ان يظفر بتابوت قلب فيه سكينة من ربه وهى الطمأنينة بالايمان والانس
مع الله وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون وهى عصا الذكر كلمة لا اله الا الله وهى كلمة التقوى وهى الثعبان
التى اذا فتحت فاها تلقف سحرة صفات فرعون النفس فعصا ذكر الله فى تابوت القلوب وقد اودعها الله بين
اصبعى جماله وجلاله كما قال عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فبصفة الجلال يلهمها
فجورها وبصفة الاكرام يلهمها تقواها كما قال تعالى فالهمها فجورها وتقواها ولم يستودعها ملكا مقربا ولا نبيا
مرسلا فشتان بين امة سكينتهم فيما للاعداء عليه تسلط وبين امة سكينتهم فيما ليس للاولياء ولا للانبياء عليه
ولاية وان كان فى ذلك التابوت بعض التوراة موضوعا ففى تابوت قلوب هذه الامة جميع القرآن محفوظ وان
كان فى تابوتهم بيوت فيها صور الانبياء ففى تابوت قلوبهم خلوات ليس فيها معهم غير الله كما قال لا يسعنى ارضى
ولا سمائى ولكن يسعنى قلب عبد المؤمن فاذا تيسر لطالوت روح الانسان ان يؤتى تابوت القلب الربانى فسلم
ملك الخلافة وسرير السلطنة واستوثق عليه جميع اسباط الصفات الانسانى فلا يركن الى الدنيا الغدارة
المكارة بل يتهجر منها ويتبرز لقتال جالوت النفس الامارة وهذا لا يتيسر الا بفضل الله واخذ الطريقة والتمسك
بالحقيقة ره اينست روى از طريقت متاب * بنه كام وكامى كه خواهى بياب * ومن اراد ان يزداد
سكينة فليصل الى المعرفة فان المعرفة الالهية توجب السكينة فى القلب كما ان القلب يوجب السكون وسئل
ابو يزيد عن المعرفة فقال ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة اى غيروا حالها عما هى عليه
وكذلك اذا وردت الواردات الربانية على القلوب المستانسة اخرجت منها كل صفة رديئة وقيل لابى يزيد
بم وجدت هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن عار (قال السعدى) باندازه خور زاد اگر مردمى *

چنين

چنين پر شكم آدمى يا خمى * ندارند تن پروران آگهى * كه پر معده باشد ز حكمت تهى *
اللهم احفظنا من الموانع فى طريق الوصول اليك آمين آمين (فلما فصل طالوت بالجنود) الاصل فصل نفسه
ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة اللازم كانفصل والمعنى انفصل عن بلده
مصاحبا لهم لقتال العمالقة والجنود جمع جند وهو الجيش الاشداء مأخوذ من الجند وهى الارض الشديدة
وكل صنف من الخلق جند على حدة روى انهم لما رأوا التابوت لم يشكوا فى النصر فتسارعوا الى الجهاد فقال
طالوت لا يخرج معى شيخ ولا مريض ولا رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة مشتغل بها ولا رجل عليه
دين ولا رجل تزوج امرأة ولم يبن بها ولا ابتغى الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا
وكان الوقت قيظا اى شديد الحر وسلكوا مفازة فشكوا قلة الماء وسألوا ان يجرى الله لهم نهرا (قال) اى طالوت
باخبار من النبى اشمويل (ان الله مبتليكم بنهر) اى معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه وذلك الاختبار ليظهر
عند طالوت من كان مخلصا فى نيته من غيره ليميزهم من العسكر لان من لا يريد القتال اذا خالط عسكرا يدخل
الضعف فى العسكر فينهزمون بشؤمه آنكه جنگ آرد بخون خويش بازى ميكند * روز ميدان آنكه
بگريزد بخون لشكرى * فيميز بينهما كالذهب والفضة فيهما الخبث فيميز الخالص من غيره بالنار (فمن شرب منه)
اى ابتدأ شربه من ماء النهر بان كرع وهو تناول الماء بفيه من موضعه من غير ان يشرب بكفيه ولا باناء
(فليس منى) اى من جملتى واشياعى المؤمنين فمن للتبعيض دخلت على نفس المتكلم للاشعار بان اصحابه لقوة
اختصاصهم واتصالهم به كانهم بعضه او ليس بمتحد معى من اتصالية كما فى قوله تعالى المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض اى بعضهم متصل بالبعض الآخر ومتحد معه (ومن لم يطعمه) الطعم هنا بمعنى الذوق وهو
التناول من الشئ تناولا قليلا يقال طعم الشئ اذا ذاقه مأكولا او مشروبا (فانه منى) اى من اهل دينى
(الا من اغترف غرفة بيده) استثناء من قوله فمن شرب منه واعتراض الجملة الثانية وهو ومن لم يطعمه للعناية
بها لان عدم الذوق منه رأسا عزيمة والاغتراف رخصة وبيان حال الآخذ بالعزيمة اهم من بيان الآخذ
بالرخصة والغرفة بالضم اسم للقدر الحاصل فى الكف بالاغتراف والغرف اخذ الماء باليد كالكف وهو فى الاصل
القطع والغرفة التى هى العلية قطعة من البناء والباء متعلقة باغترف قال ابن عباس رضى الله عنه كانت الغرفة
الواحدة يشرب منها هو ودوابه وخدمه ويحمل منها قال الامام وهذا يحتمل وجهين احدهما انه كان مأذونا له
ان يأخذ من الماء ما شاء مرة واحدة بقربة او جرة بحيث كان المأخوذ فى المرة الواحدة يكفيه ودوابه وخدمه
ويحمل باقيه وثانيهما انه كان يأخذ القليل فيجعل الله فيه البركة حتى يكفى كل هؤلاء فيكون معجزة لنبى ذلك
الزمان كما انه تعالى يروى الخلق الكثير من الماء القليل فى زمن محمد صلى الله عليه وسلم (فشربوا منه) اى فانتهوا
الى النهر وابتلوا به فكرعوا فيه كرعا مثل الدواب ولم يقنعوا بالاغتراف فضلا عن ان لا يذوقوا منه شيأ (الا قليلا
منهم) وهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا على عدد اهل بدر فانهم اغترفوا فشربوا الا كف وروا واما الذين خالفوا
فشربوا كرعا فازدادوا عطشا واسودت شفاههم وبقوا على شط النهر فعرف طالوت الموافق من المخالف تخلف
الاشداء نه بى حكم شرع آب خوردن خطاست * وگر خون بفتوى بريزى رواست * ولما ردوا
بالخلاف فى حرمة شرب ماء اصله حلال لكن على صفة مخصوصة وهلكوا بعد الرد فما حال من تناول الحرام المحض
فى الطعام والشراب كيف يقبل ويسلم ثم انه لا خلاف بين المفسرين فى ان الذين عصوا رجعوا الى بلدهم
والصحيح انهم لم يجاوزوا النهر وانما رجعوا قبل المجاوزة لقوله تعالى (فلما جاوزه) اى النهر (هو) اى طالوت
(والذين آمنوا) وهم القليل الذين اطاعوه ولم يخالفوه فيما ندبهم اليه وفيه اشارة الى ان من عداهم بمعزل
من الايمان (معه) اى مع طالوت متعلق بجاوز لا بآمنوا (قالوا) اى بعض من معه من المؤمنين القليلين لبعض
آخر منهم وهم الذين يظنون الآية فالمؤمنون الذين جاوزوا النهر صاروا فريقين فريقا يحب الحياة ويكره الموت
وكان الخوف والجزع غالبا على طبعه وفريقا كان شجاعا قوى القلب لا يبالى بالموت فى طاعة الله تعالى فالقسم
الاول هم الذين قالوا (لا طاقة) قوة (لنا اليوم بجالوت وجنوده) اى بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا عن ان يكون
لنا غلبة عليهم وذلك لما شاهدوا منهم من الكثرة والقوة وكانوا مائة الف مقاتل شاكى السلاح والقسم الثانى
هم الذين اجابوهم بقولهم كم من فئة الآية (قال) كانه قيل فماذا قال لهم مخاطبهم فقيل قال (الذين يظنون انهم

ملاقوا) نصر (الله) العزيزوتأييده (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة) اى كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة والفئة اسم للجماعة من الناس قلت اوكثرت (باذن الله) اى بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وان قل عدده ولا يعز من خذله وان كثر اسبابه وعدده فنحن ايضا نغلب جالوت وجنوده (والله مع الصابرين) بالنصرة على العدو وبتوفيق الصبر عند الملاقاة قال الراغب فى القصة ايماء ومثال للدنيا وابنائها وان من يتناول قدر ما يتبلغ به اكتفى واستغنى وسلم منها ونجا ومن تناول منها فوق ذلك ازداد عطشا واهذا قيل الدنيا كالملح من ازداد منها عطش وفى الحديث لوان لابن آدم واديين من ذهب لابتغى اليهما ثالثا فلا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب يعنى لايزال حريصا على الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره الا من تاب فان الله يقبل التوبة من التائب عن حرصه المذموم وعن غيره من المذمات وههنا نكتة وهى ان فى ذكر بنى آدم دون الانسان تلويحا الى انه مخلوق من تراب ومن طبيعته القبض واليبس وازالته ممكنة بان يمطر الله عليه من غمام توفيقه فللعاقل ان لايتعب نفسه فى جمع حطام الدنيا فان الرزق مقسوم اوحى الله الى داود يا داود تريد واريد فان رضيت بما اريد كفيتك ما تريد وان لم ترض بما اريد اتعبك ثم لايكون الا ما اريد فالناس مبتلون بنهر هو منهل الطبيعة الجسمانية فمن شرب منه مفرطا فى الرى منه بالحرص فليس من اهل الحقيقة لانه اهل الطبيعة وعبدة الشهوات والمشتغل بها عن الله الا من قنع من متاع الدنيا على ما لابد منه من المأكول والمشروب والملبوس والمسكن ومحبة الخلق على الاضطرار بمقدار القوام فانه من اولياء الله والحاصل ان النهر هو الدنيا وزينتها ومن بقى على شطها واطمأنوا بها كثير ممن جاوزها ولم يلتفت اليها فان اهل الله اقل من القليل واهل الدنيا لايحصى عددهم رزقنا الله واياكم القوت والقناعة ولم يفصلنا عن اهل السنة والجماعة روى انه عليه السلام قال فى وصيته لابى هريرة رضى الله عنه عليك يا ابا هريرة بطريق اقوام اذا فزع الناس لم يفزعوا واذا طلب الناس الامان من النار لم يخافوا قال ابوهريرة من هم يارسول الله قال قوم من امتى فى آخر الزمان يحشرون يوم القيامة محشر الانبياء اذا نظر اليهم الناس ظنوهم انبياء مما يرون من حالهم حتى اعرفهم انا فاقول امتى امتى فيعرف الخلائق انهم ليسوا انبياء فيمرون مثل البرق والريح تغشى ابصار اهل الجمع من انوارهم فقلت يارسول الله مرنى بمثل عملهم لعلى الحق بهم فقال يا ابا هريرة ركب القوم طريقا صعبا آثروا الجوع بعد ما اشبعهم الله والعرى بعد ما كساهم الله والعطش بعد ما ارواهم الله تركوا ذلك رجاء ما عند الله تركوا الحلال مخافة حسابه صحبوا الدنيا بابدانهم ولم يشتغلوا بشئ منها عجبت الملائكة والانبياء من طاعتهم لربهم طوبى لهم وددت ان الله جمع بينى وبينهم ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليهم ثم قال عليه السلام اذا اراد الله باهل الارض عذابا فنظر اليهم صرف العذاب عنهم فعليك يا ابا هريرة بطريقتهم (قال الشيخ العطار قدس سره) درراه تو مرداند ازخويش نهان مانده * بى جسم وجهت كشته بى نام ونشان مانده * تنشان بشر يعت هم دلشان بحقيقت هم * هم دل شده وهم جان نه اين ونه آن مانده * عليهم سلام الله ورحمته وبركاته اللهم اجعلنا من اللاحقين بهم امين امين (ولما برزوا) اى ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا الى براز اى فضاء من الارض فى موطن الحرب (لجالوت وجنوده) وشاهدوا ما عليهم من العدد والعدد وايقنوا انهم غير مطيقين لهم عادة (قالوا) اى جميعا عند تقوى قلوب الفريق الاول منهم بقول الفريق الثانى متضرعين الى الله تعالى مستعينين به (ربنا) فى ندائهم بقولهم ربنا اعتراف منهم بالعبودية وطلب لاصلاحهم لان لفظ الرب يشعر بذلك دون غيره (افرغ علينا) افراغ الاناء اخلاؤه مما فيه اى صب علينا وهو استعارة عن الاكمال والاكثار اتوا بلفظة على طلبا لان يكون الصبر مستعليا عليهم وشاملا لهم كالظرف للمظروف (صبرا) على مقاساة شدائد الحرب واقتحام موارده الضيقة (وثبت اقدامنا) رهب لنا ما نثبت به فى مداحض القتال ومزال النزال من قوة القلوب والقاء الرعب فى قلوب العدو ونحو ذلك من الاسباب فالمراد بثبات القدم كمال القوة والرسوخ عند المقارنة وعدم التزلزل وقت المقاومة لامجرد التقرر فى حيز واحد (وانصرنا على القوم الكافرين) بقهرهم وهزمهم ولقد راعوا فى الدعاء ترتيبا بليغا حيث قدموا سؤال افراغ الصبر فى قلوبهم الذى هو ملاك الامر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه ثم سؤال النصر على العدو الذى هو الغاية القصوى (فهزموهم) اى كسروهم بلا مكث (باذن الله) اى بنصره وتأييده اجابة لدعائهم

(وقتل داود جالوت) كان جالوت الجبار رأس العمالقة وملكهم وكان من اولاد عمليق بن عاد وكان من اشد الناس واقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة فيها ثلثمائة رطل حديد وكان ظله ميلا لطول قامته وكان ايشى ابو داود عليه السلام فى جملة من عبر النهر مع طالوت وكان معه سبعة من ابنائه وكان داود اصغرهم يرعى الغنم فاوحى الى نبى العسكر وهو اشمويل ان داود بن ايشى هو الذى يقتل جالوت فطلبه من الله فجاءبه فقال النبى اشمويل لقد جعل الله تعالى قتل جالوت على يدك فاخرج معنا الى محاربته فخرج معهم فمر داود عليه السلام فى الطريق بحجر فناداه يا داود احملنى فانى حجر هارون الذى قتل بى ملك كذا فحمله فى مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال له احملنى فانى حجر موسى الذى قتل بى كذا وكذا فحمله فى مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال له احملنى فانى حجرك الذى تقتل بى جالوت فوضعه فى مخلاته وكان من عادته رمى القذافة وكان لايرمى بقذافته شيأ من الذئب والاسد والنمر الا صرعه واهلكه فلما تصاف العسكران للقتال برز جالوت الجبار الى البراز وسأل من يخرج اليه فلم يخرج احد فقال يا بنى اسرائيل لو كنتم على حق لبارزنى بعضكم فقال داود لاخوته من يخرج الى هذا الاقلف فسكتوا فالتمس منه طالوت ان يخرج اليه ووعده ان يزوجه ابنته ويعطيه نصف ملكه ويجرى له خاتمه فيه فلما توجه داود نحوه اعطاه طالوت فرسا ودرعا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس فسار قريبا ثم انصرف الى الملك فقال من حوله جبن الغلام فجاء فوقف على الملك فقال ما شأنك فقال ان الله تعالى ان لم ينصرنى لم يغن عنى هذا السلاح شيأ فدعنى اقاتل كما اريد قال نعم فاخذ داود مخلاته فتقلدها واخذ المقلاع ومضى نحو جالوت روى انه لما نظر جالوت الى داود قذف فى قلبه الرعب فقال يا فتى ارجع فانى ارحمك ان اقتلك قال داود بل انا اقتلك قال اتيتنى بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب قال نعم انت شر من الكلب قال جالوت لاجرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء قال داود او يقسم الله لحمك فقال باسم اله ابراهيم واخرج حجرا ثم اخرج الآخر وقال باسم اله اسحق ثم اخرج الثالث وقال باسم اله يعقوب فوضع الاحجار الثلاثة فى مقلاعه فصارت كلها حجرا واحدا ودور المقلاع ورمى به فسخر الله له الريح حتى اصاب الحجر انف البيضة وخالط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورآئه ثلاثين رجلا وهزم الله الجيش وخر جالوت قتيلا فاخذ داود يجره حتى القاه بين يدى طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى المدينة سالمين فزوجه طالوت ابنته واجرى خاتمه فى نصف مملكته فمال الناس الى داود واحبوه واكثروا ذكره فحسده طالوت واراد قتله فتنبه له داود وهرب منه فسلط طالوت عليه العيون وطلبه اشد الطلب فلم يقدر عليه وانطلق داود الى الجبل مع المتعبدين فتعبد فيه دهرا طويلا فاخذ العلماء والعباد ينهون طالوت فى شأن داود فجعل طالوت لاينهاه احد عن قتل داود الا قتله فاكثر فى قتل العلماء الناصحين فلم يكن يقدر على عالم فى بنى اسرائيل يطيق قتله الا قتله ثم ندم على ما فعله من المعاصى والمنكرات واقبل على البكاء ليلا ونهارا حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكى وينادى رحم الله عبدا يعلم ان لى توبة الا اخبرنى بها فلما اكثر التضرع والالحاح عليهم رق له بعض خواصه فقال له ان دللتك ايها الملك لعلك ان تقتله فقال لا والله بل اكرمه اتم الاكرام وانقاد الى حكمه واخذ مواثيق الملك وعهوده على ذلك فذهب به الى باب امرأة تعلم اسم الله الاعظم فلما لقيها قبل الارض بين يديها وسألها هل له من توبة فقالت لا والله لا اعلم لك توبة ولكن هل تعلم مكان قبر نبى فانطلق بها الى قبر اشمويل فصلت ودعت ثم نادت صاحب القبر فخرج اشمويل من القبر ينفض رأسه من التراب فلما نظر اليهم سألهم قال ما لكم اقامت القيامة قالت لا ولكن طالوت يسأل هل له من توبة قال اشمويل يا طالوت ما فعلت بعدى قال لم ادع من الشر شيأ الا فعلته وجئت لطلب التوبة قال كم لك من الولد قال عشرة رجال قال لا اعلم لك من التوبة الا ان تتخلى من ملكك وتخرج انت وولدك فى سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل انت فتقتل آخرهم ثم رجع اشمويل الى القبر وسقط ميتا ورجع طالوت ففعل ما امر به حتى قتل فجاء قاتله الى داود ليبشره وقال قتلت عدوك فقال داود ما انت بالذى تحيى بعده فضرب عنقه فكان ملك طالوت الى ان قتل اربعين سنة واتى بنوا اسرائيل بداود واعطوه خزآئن طالوت وملكوه على انفسهم وملك داود بعد قتل طالوت سبعين سنة (وآتاه الله الملك) اى ملك بنى اسرائيل فى مشارق الارض المقدسة ومغاربها ولم يجتمعوا قبل داود على ملك (والحكمة) اى النبوة ولم يجتمع فى بنى اسرائيل الملك والنبوة قبله الا له بل كان الملك فى سبط

والنبوة فى سبط آخر وانزل عليه الزبور بمائة وعشرين سورة وهو اول من تكلم باما بعد وهو فصل الخطاب
الذى اوتيه داود عليه السلام (وعلمه مما يشاء) اى مما يشاء الله تعليمه اياه من صنعة الدروع بالانة الحديد وكان
يصنعها و يبيعها وكان لا يأكل الا من عمل يده ومنطق الطير وتسبيح الجبال وكلام الحكل والنمل والصوت
الطيب والالحان الطيبة فلم يعط الله احدا مثل صوته وكان اذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى تؤخذ باعناقها
وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء الجارى وتسكن الريح (ولولا دفع الله) المصدر مضاف الى فاعله اى صرفه
(الناس) مفعول الدفع (بعضهم) الذين يباشرون الشر والفساد وهو بدل من الناس بدل بعض من كل
(ببعض) آخر منهم بردهم عما هم عليه بما قدر الله من القتل كما فى القصة المحكية او غيره وهو متعلق بالمصدر
(لفسدت الارض) و بطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض ويصلحها
وقيل لولا دفع الله بالمؤمنين والابرار عن الكفار والفجار لهلكت الارض ومن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن
عن الكافر وبالصالح عن الفاجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل
بيت جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ثم ان فيه تنبيها على فضيلة الملك وانه لولاه لما انتظم
امر العالم ولهذا قيل الدين والملك توأمان ففى ارتفاع احدهما ارتفاع الآخر لان الدين اساس والملك حارس
وما لا أس له فمهدوم وما لا حارس له فضائع والناس قد لا ينقادون للرسل تحت الرياسة مع ظهور الحجج فاحتيج
الى المجاهدة باللسان والسيف وذلك يكون من الانبياء ومن يتابعهم ثم لهم آجال مضروبة عندها فوجب
ان يكون لهم خلفاء بعدهم من كل عصر فى اقامة الدين والجهاد فهذا دفع الله الناس بعضهم ببعض وتفصيله
ان دفع الله الناس بعضهم ببعض على وجهين دفع ظاهر ودفع خفى فالظاهر ما كان بالسواس الاربعة الانبياء
والملوك والحكماء المعنيين بقوله ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا والوعاظ فسلطان الانبياء عليهم السلام
على الكافة خاصهم وعامهم ظاهرهم و باطنهم وسلطان الملوك على ظواهر الكافة دون البواطن كما قيل نحن
ملوك ابدانهم لا ملوك اديانهم وسلطان الحكماء على الخاصة دون العامة وسلطان الوعاظ بواطن العامة
واما الدفع الخفى فسلطان العقل يدفع عن كثير من القبائح وهو السبب فى التزام سلطان الظاهر (ولكن الله
ذو فضل) عظيم لا يقادر قدره (على العالمين) كافة يعنى لكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا تفسد الارض
وتنتظم به مصالح العالم وتنصلح احوال الامم ففضله تعالى يعم العوالم كلها اما فى عالم الدنيا فبهداية طريق الرشد
والصلاح واما فى الآخرة فبالجنات والدرجات والنجاة والفلاح ومن جملة فضله تعالى على العالمين دفع البليات
عن بعض عباده بلا واسطة كالانبياء وكمل الاولياء ومن اقتفى اثرهم من اهل اليقين (تلك) اشارة الى ما سلف
من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت (آيات الله) المنزلة
من عنده (نتلوها عليك) اى بواسطة جبريل (بالحق) حال من مفعول نتلوها اى ملتبسة بالوجه المطابق الذى
لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما فى كتبهم (وانك لمن المرسلين) اى من جملة
الذين ارسلوا الى الامم لتبليغ رسالتنا واجراء اوامرنا واحكامنا عليهم لما اخبرت بتلك الآيات من غير تعرف
ولا استماع والتأكيد لرد قول الكفار لست مرسلا قال بعضهم * الا اى احمد مرسل شود هر مشكل از تو حل
كنم وصف تراجمل توبى سلطان هر رسولى * شريعت از تو روشن شد طريقت هم مبرهن شد *
حقيقت خود معين شد زهى سلطان بى همتا * والاشارة ان المجاهد مع جالوت النفس الامارة لا يقوم
بحوله وقوته حتى يرجع الى ربه مستعينا ربنا افرغ علينا صبرا على الائتمار بطاعتك والانزجار عن معاصيك
وثبت اقدامنا فى التسليم عند الشدة والرخاء وهجوم احكام القضاء فى السراء والضراء وانصرنا على القوم
الكافرين وهم اعداؤنا فى الدين عموما والنفس الامارة التى هى اعدى عدونا بين جنبينا خصوصا اذا كان
الالتجاء عن صدق الرجاء برب الارض والسماء يكون مقرونا باجابة الدعاء والظفر على الاعداء فهزموهم
باذن الله بنصرة الله فانه الذى صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وقتل داود القلب جالوت النفس
اذ اخذ حجر الحرص على الدنيا وحجر الركون على العقبى وحجر تعلقه الى نفسه بالهوى حتى صارت الثلاثة حجرا
واحدا وهو الالتفات الى غير المولى فوضعه فى مقلاع التسليم والرضى فرمى به جالوت النفس وسخر الله له ريح
العناية حتى اصاب انف بيضة هواها فاخرج منه الفضول وخرج من قفاها وقتل من ورائها ثلاثين من صفاتها

واخلاقها

واخلاقها وهزم الله باقى جيشها وهو الشياطين واحزابها وآتاه الله الملك والحكمة يعنى آتى داود القلب ملك
الخلافة وحكمة الالهامات الربانية وعلمه مما يشاء من حقائق القرءآن واسراره واشاراته ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض يعنى ارباب الطلب بالمشايخ الواصلين لفسدت الارض ارض استعدادهم المخلوقة فى احسن
التقويم لتشمير كمالات الدين القويم عن استيلاء جالوت النفس وجنود صفاتها فى تخريب بلاد الارواح بتبديل
اخلاقها وتكدير صفاء ذواتها وترديدها الى جحيم صفات البهائم والانعام واسفل دركاتها ولكن الله ذو فضل على
العالمين يعنى من كمال فضله ورحمته يحرك سلسلة طلب الطالبين ويلهم اسرارهم بارادة المشايخ الكاملين
ويوفقهم للتمسك بذيول تربيتهم والتسليم تحت تصرفاتهم فى تنقيتهم ويثبتهم بالصبر والسكون على الرياضات
والمجاهدات فى حال تزكيتهم و يشير الى المشايخ بقبولهم والاقبال عليهم ويقويهم على شدائد المخالفات
فلو لم تكن هذه الالطاف من الله ما تيسر لهم تزكية نفوسهم ابدا فهذه اشارات لا تتحقق الا لاهل الخير
ولهذا خص الله حبيبه بتحقيقها وتحققها بقوله تلك آيات الله يعنى فى ضمن هذه الآيات حقائق ودقائق
نتلوها عليك اى نجلوها اليك بالحق اى بالحقيقة كما هى وانك لمن المرسلين الذين عبروا على هذه المقامات
وشاهدوا هذه الاحوال والكرامات كذا فى التأويلات النجمية (تلك الرسل) اشارة الى الجماعة الذين من
جملتهم النبى عليه السلام فاللام فى الرسل للاستغراق (فضلنا بعضهم على بعض) بان خصصناه بمنقبة
ليست لغيره واعلم ان الانبياء كلهم متساوون فى النبوة لان النبوة شئ واحد لا تفاضل فيها وانما التفاضل
باعتبار الدرجات بلغ بعضهم منصب الخلة كابراهيم عليه السلام ولم يحصل ذلك لغيره وجمع لداود بين الملك
والنبوة وطيب النغمة ولم يحصل هذا لغيره وسخر لسليمان الجن والانس والطير والريح ولم يحصل هذا لابيه داود
وخص محمدا عليه وعليهم السلام بكونه مبعوثا الى الجن والانس وبكون شرعه ناسخا لجميع الشرائع
المتقدمة ومنهم من دعا امته بالفعل الى توحيد الافعال وبالقوة الى الصفات والذات ومنهم من دعا بالفعل
الى الصفات ايضا و بالقوة الى الذات ومنهم من دعا الى الذات ايضا بالفعل وهو ابراهيم عليه السلام فانه قطب
التوحيد اذ الانبياء كانوا يدعون الى المبدأ والمعاد والى الذات الاحدية الموصوفة ببعض الصفات الالهية الا
ابراهيم عليه السلام فانه دعا الى الذات الالهية الاحدية ولذا امر الله نبينا صلى الله عليه وسلم باتباعه بقوله
ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا فهو من اتباع ابراهيم باعتبار الجمع دون التفصيل اذ لا متمم لتفاصيل
الصفات الا هو ولذلك لم يكن غيره خاتما فالانبياء وان كانوا متفاوتين فى درجات الدعوة بحسب مشارب
الامم الا ان كلهم واصلون فانون فى الله باقون بالله لان الولاية قبل النبوة حيث ان آخر درجات الولاية اول
مقامات النبوة فهى تبتنى على الولاية ومعنى الولاية الفناء فى الله والبقاء بالله فالنبى لا يكون الا واصلا محرزا
جميع مراتب التوحيد من الافعال والصفات والذات (منهم من كلم الله) اى فضله الله بان كلمه بغير واسطة وهو
موسى عليه السلام فهو كليمه بمعنى مكالمه واختلفوا فى الكلام الذى سمعه موسى وغيره من الله تعالى
انه هل هو الكلام القديم الازلى الذى ليس من جنس الحروف والاصوات قال الاشعرى واتباعه المسموع
هو ذلك الكلام الازلى قالوا كما انه لم تمتنع رؤية ما ليس بمكيف فكذا لا يستبعد سماع ما ليس بمكيف وقيل سماع
ذلك الكلام محال وانما المسموع هو الحروف والصوت (ورفع بعضهم درجات) اى على درجات فانتصابه على نزع
الخافض وذلك بان فضله على غيره من وجوه متعددة او بمراتب متباعدة والظاهر انه اراد محمدا صلى الله عليه
وسلم لانه هو المفضل عليهم حيث اوتى ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى ثلاثة آلاف آية واكثر ولو لم
يؤت الا القرءآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتى الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون
سائر المعجزات وفى الحديث فضلت على الانبياء بست اوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لى الغنائم
وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بى النبيون قال فى التأويلات النجمية اعلم ان
فضل كل صاحب فضل يكون على قدر استعلاء ضوء نوره لان الرفعة فى الدرجات على قدر رفعة الاستعلاء
كما قال تعالى والذين اوتوا العلم درجات فالعلم هو الضوء من نور الوحدانية فكلما ازداد العلم زادت الدرجة
فناهيك عن هذا المعنى قول النبى عليه السلام فيما يخبر عن المعراج انه رأى آدم فى السماء الدنيا ويحيى وعيسى فى
السماء الثانية ويوسف فى السماء الثالثة وادريس فى السماء الرابعة وهارون فى السماء الخامسة وموسى فى السماء

السادسة وابراهيم فى السماء السابعة وعبر النبى عليه السلام حتى رفع الى سدرة المنتهى ومن ثم الى قاب قوسين
اوادنى فهذه الرفعة فى الدرجة فى القربة الى الحضرة كانت له على قدر قوة ذلك النور فى استعلاء ضوئه وعلى قدر
غلبات انوار التوحيد على ظلمات الوجود كانت مراتب الانبياء بعضهم فوق بعض فلما غلب نور الوحدانية على
ظلمة انسانية النبى عليه السلام اضمحلت وتلاشت وفنيت ظلمة وجوده بسطوات تجلى صفات الجمال والجلال
فكل نبى بقدر بقية ظلمة وجوده بقى فى مكان من اماكن السموات فانه صلى الله عليه وسلم مابقى فى مكان
ولا فى الامكان لانه كان فانيا عن ظلمة وجوده باقيا بنور وجوده ولهذا سماه الله نورا وقال قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين فالنور هو محمد عليه السلام والكتاب هو القرآن فافهم واغتنم فانك لا تجد هذه المعانى الا ههنا
انتهى كلام التأويلات النجمية (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من احياء
الموتى وشفاء المرضى وابراء الاكمه والابرص وخلق الطير من الطين والاخبار بالمغيبات والانجيل وجعل
معجزاته سبب تفضيله مع ان ايتاء البينات غير مختص بعيسى عليه السلام لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة
لم يستجمعها غيره وخص عيسى عليه السلام بالتعيين مع انه غير مختص بايتاء البينات تقبيحا لافراط اليهود
فى تحقيره حيث انكروا نبوته مع ما ظهر على يده من البينات القاطعة الدالة عليها ولافراط النصارى فى تعظيمه
حيث اخرجوه عن مرتبة الرسالة (وايدناه) اى قويناه (بروح القدس) اى الروح المطهرة التى نفخها الله فيه
فابانه بها من غيره ممن خلق من اجتماع نطفتى الذكر والانثى لانه عليه السلام لم تضمه اصلاب الفحول ولم يشتمل
عليه ارحام الطوامث فالقدس بمعنى المقدس من قبيل رجل صدق او القدس هو الله وروحه جبريل والاضافة
للتشريف والمعنى اعانه بجبريل فى اول امره وفى وسطه وفى آخره اما فى الاول من امره فلقوله فنفخنا فيه من
روحنا واما فى وسطه فلان جبريل عليه السلام علمه العلوم وحفظه من الاعداء واما فى آخر الامر فحين ارادت
اليهود قتله اعانه جبريل ورفعه الى السماء (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم) اى من بعد الرسل من الامم
المختلفة اى لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بان جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق (من)
متعلقة باقتتل (بعدما جاءتهم) من جهة اولئك الرسل (البينات) المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة الدالة
على حقية الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الاعراض عن سننهم المؤدى الى القتال (ولكن اختلفوا)
اى لكن لم يشأ عدم اقتتالهم لانهم اختلفوا اختلافا فاحشا (فمنهم من آمن) اى بما جاءت به اولئك الرسل من
البينات وعملوا به (ومنهم من كفر) بذلك كفرا لا ارعواء له عنه فاقتضت الحكمة عدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم
فاقتتلوا بموجب اقتضاء احوالهم (ولو شاء الله) عدم اقتتالهم بعد هذه المرة ايضا من الاختلاف والشقاق
المستتبعين للاقتتال بحسب العادة (ما اقتتلوا) وما نبض منهم عرق التطاول والتعاون لما ان الكل تحت
ملكوته (ولكن الله يفعل ما يريد) اى من الامور الوجودية والعدمية التى من جملتها عدم مشيئته عدم اقتتالهم
فان الترك ايضا من جملة الافعال اى يفعل ما يريد حسبما يريد من غير ان يوجبه عليه موجب او يمنعه منه مانع
وفيه دليل بين على ان الحوادث تابعة لمشيئته تعالى خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا وهذا رد على المعتزلة
قال الامام الغزالى قدس سره المتعالى فى شرح اسمى الضار والنافع هو الذى يصدر منه الخير والشر والنفع
والضر وكل ذلك منسوب الى الله تعالى اما بواسطة الملائكة والانس والجمادات او بغير واسطة فلا تظنن ان السم
يقتل ويضر بنفسه وان الطعام يشبع وينفع بنفسه وان الملك او الانسان او الشيطان او شيأ من المخلوقات
من فلك الكواكب اوغيرها يقدر على خير او شر بنفسه او نفع او ضر بل كل ذلك اسباب مسخرة لا يصدر منها
الا ما سخرت له وجملة ذلك بالاضافة الى القدرة الازلية كالقلم بالاضافة الى الكاتب فى اعتقاد العامى وكما ان
السلطان اذا وقع لكرامة او عقوبة لم يرض ذلك ولا نفعه من القلم بل من الذى القلم مسخر له فكذلك سائر الوسائط
والاسباب وانما قلنا فى اعتقاد العامى لان الجاهل هو الذى يرى القلم مسخرا للكاتب والعارف يعلم انه مسخر فى
يد الله تعالى وهو الذى الكاتب مسخر له فانه مهما خلق الكاتب وخلق له القدرة وسلط عليه الداعية الجازمة
التى لا تردد فيها صدر منه حركة الاصبع والقلم لا محالة شاء ام ابى بل لا يمكنه ان لا يشاء فاذا الكاتب بقلم الانسان
ويده هو الله تعالى واذا عرفت هذا فى الحيوان المختار فهو فى الجمادات اظهر قال صاحب روضة الاخيار المؤثر
هو الله تعالى والكواكب اسباب عادية الشمس مظهر اسم الحى والزهرة للمريد وعطارد للمسقط والقمر للقابل

ولذا

ولذا كان بيت العزة فى ملكه والمريخ للقادر والمشترى للعليم وزحل للجواد واصول الاسماء اربعة هى الحياة والعلم
والقدرة والارادة واسرافيل مظهر الحياة والاقساط مندرج فيها وجبريل مظهر العلم والقول وباعتبار الاول هو
روح القدس وبالثانى الروح الامين ولذا كان حامل الوحى وميكائيل مظهر الارادة والجود مندرج فيها ولذا كان
ملك الارزاق وعزرائيل مظهر القدرة ولذا يقهر الجبابرة ويذلهم بالموت والفناء (يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما
رزقناكم) من تبعيضية اى شيأ مما رزقناكموه والتعرض لوصوله منه تعالى للحث على الانفاق والمراد به الانفاق
الواجب اى الزكاة بدلالة ما بعده من الوعيد والاكثر على ان الامر يتناول الواجب والمندوب (من) لابتداء
الغاية (قبل ان يأتى يوم) يوم الحساب والجزاء (لا بيع فيه) يتدارك به المقصر تقصيره وهو فى التقدير جواب
هل فيه بيع ولهذا رفع والبيع استبدال المال بالثمن (ولا خلة) حتى يسامحكم اخلاؤكم بما تصنعون والخلة المودة
والصداقة فكأنها تتخلل الاعضاء اى تدخل خلالها ووسطها والخليل الصديق لمداخلته اياك والخلة تنقطع
يوم القيامة بين الاخلاء الا بين المتقين لقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (ولا شفاعة)
حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم فى حط ما فى ذممكم والشفاعة المنفية يوم القيامة هى التى يستقل فيها الشفيع
ويأتى بها وان لم يؤذن له فيها فان الدلائل قائمة على ثبوت الشفاعة للمؤمنين بعد ان يؤذن لهم فيها وهى لمن مات
لا يشرك بالله شيأ (والكافرون) اى والتاركون للزكاة وايثاره عليه للتغليظ والتهديد كما قال فى آخر آية الحج
ومن كفر مكان ومن لم يحج وللايذان بان ترك الزكاة من صفات الكفار قال تعالى فويل للمشركين الذين لا يؤتون
الزكاة (هم الظالمون) اى الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا المال فى غير موضعه وصرفوه الى غير
وجهه * زكاة اكر ندهى اززرت زياده وى * علاج كى كنمت آخر الدواء الكى * قال الراغب
حث المؤمنين على الانفاق مما رزقهم من النعماء النفسية والبدنية الجارحية وان كان الظاهر فى التعارف
انفاق المال ولكن قد يراد به بذل النفس والبدن فى مجاهدة العدو والهوى وسائر العبادات ولما كانت الدنيا دار
اكتساب وابتلاء والآخرة دار ثواب وجزاء بين ان لا سبيل للانسان الى تحصيل ما ينتفع به فى الاخرة فابتلى بذكر
هذه الثلاثة لانها اسباب اجتلاب المنافع المفضية اليها احدها المعاوضة واعظمها المبايعة والثانى ما تناوله
بالمودة وهو المسمى بالصلات والهدايا والثالث ما يصل اليه بمعاونة الغير وذلك هو الشفاعة ولما كانت
العدالة بالقول المجمل ثلاثة عدالة بين الانسان ونفسه وعدالة بينه وبين الناس وعدالة بينه وبين الله
فكذلك الظلم له مراتب ثلاث واعظم العدالة ما بين العبد وبين الله وهو الايمان واعظم الظلم ما يقابله وهو الكفر
ولذلك قال والكافرون هم الظالمون اى هم المستحقون لاطلاق هذا الوصف عليهم بلا مشوبة فليسارع العبد
الى تقوية الايمان بالانفاق والاحسان حكى انه كان عابد من الشيوخ فاراده الشيطان فلم يستطع منه شيأ
فقال له الشيطان الا تسألنى عما اضل به بنى آدم قال بلى قال فاخبرنى ما اوثق شئ فى نفسك ان تضلهم به قال الشح
والحدة والسكر فان الرجل اذا كان شحيحا قللنا ماله فى عينيه ورغبناه فى اموال الناس وان كان حديدا
ادرناه بيننا كما تتداور الصبيان الكرة فلو كان يحيى الموتى بدعائه لم نيأس منه واذا سكر اقتدناه الى كل شهوة
كما تقاد العنز باذنها كذا فى آكام المرجان وعن محمد بن اسماعيل البخارى يقول بلغنا ان الله اوحى الى جبريل
عليه السلام فقال يا جبريل لو انا بعثتك الى الدنيا وجعلتك من اهلها ما الذى عملت من الطاعات فيها فقال
جبريل انت اعلم بشأنى منى ولكنى كنت اعمل ثلاثة اشياء اولها كنت اعين صاحب العيال فى النفقة على عياله
والثانى كنت استر عيوب الخلق وذنوبهم حتى لا يعلم احد من خلقك عيوب عبادك وذنوبهم غيرك والثالث
اسقى العطشان واروبه من الماء كذا فى روضة العلماء (قال السعدى) جو خود را قوى حال بينى وخوش *
بشكرانه بار ضعيفان بكش * اكر خود همين صورتى جون طلسم * بميرى واسمت بميرد جو جسم *
اكر پرورانى درخت كرم * برينك نامى خورى لاجرم * اللهم اجعلنا من المنفقين والمستغفرين (الله)
هذا الاسم اعظم الاسماء التسعة والتسعين لانه دال على الذات الجامعة لصفات الالهية كلها حتى لا يشذ منها
شئ وسائر الاسماء لا تدل آحادها الا على آحاد المعانى من علم او قدرة او فعل وغيره ولانه اخص الاسماء اذ لا يطلقه
احد على غيره لا حقيقة ولا مجازا وسائر الاسماء قد يسمى بها غيره كالقادر والعليم والرحيم وغيرها وينبغى
ان يكون حظ العبد من هذا الاسم التأله واعنى به ان يكون مستغرق القلب والهمة فى الله تعالى لا يرى غيره

ولا يلتفت الى سواه ولا يرجو ولا يخاف الا اياه وكيف لا يكون كذلك وقد فهم من هذا الاسم انه الموجود الحقيقى الحق وكل ما سواه فان وهالك وباطل الا به فيرى نفسه اول هالك وباطل كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال اصدق بيت قالته العرب قول لبيد ألا كل شئ ما خلا الله باطل وفى هذه الكلمة فوائد ليست فى غيرها فان كل كلمة اذا اسقطت منها حرفا يختل المعنى بخلاف هذه فانك ان حذفت الالف يصير لله قال تعالى لله ما فى السموات والارض وان حذفت اللام الاولى ايضا يبقى له قال تعالى له ملك السموات والارض وان حذفت اللام الثانية ايضا يبقى الهاء وهو ضمير راجع الى الله تعالى قال تعالى هو الله الذى لا اله الا هو وللاسماء تأثير بالغ خصوصا للفظة الجلالة قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره لما جاء المولى علاء الدين الخلوتى ببروسة صعد المنبر فى الجامع الكبير للوعظ وقد اجتمع جمع كثير منتظرين لكلامه فقال مرة واحدة يا الله فحصل للجماعة حالة رقصوا وكادوا لا يزالون من البكاء والفزع وحكى انه لما مات سلطان العصر عزم جماعة الراجل على قتل الوزير فجاء الى بيت الشيخ وفا فى القسطنطينية واستغاث منه فادخله الشيخ الى بيته فهجموا جميعا الى بيت الشيخ فخرج الشيخ وقال مرة واحدة يا الله فهربوا جميعا فانظر انهم اذا ذكروا الله تظهر آثار عجيبة ونحن اذا ذكرنا ذلك الاسم بعينه لا يظهر له اثر وذلك لانهم زكوا انفسهم وبدلوا اخلاقهم واما نحن فليس فينا هذا ولا القابلية لذلك وانما الفيض من الله تعالى (قال الحافظ) فيض روح القدس ار بازمدد فرمايد * ديكران هم بكنند آنچه مسيحا ميكرد (لا اله الا هو) الجملة خبر للمبتدأ وهو الجلالة والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وحكى ان تسبيح قطب الاقطاب يا هو ويا من هو هو ويا من لا اله الا هو فاذا قال ذلك بطريق الحال يقدر على التصرفات وللتوحيد ثلاث مراتب توحيد المبتدئين لا اله الا الله وتوحيد المتوسطين لا اله الا انت لانهم فى مقام الشهود فقتضاء الخطاب واما الكمل فيسمعون التوحيد من الموحد وهو لا اله الا انا لانهم فى مقام الفناء الكلى فلا يصدر منهم شئ اصلا قال ابن الشيخ فى حواشى سورة الاخلاص لفظ هو اشارة الى مقام المقربين وهم الذين نظروا الى ماهيات الاشياء وحقائقها من حيث هى هى فلاجرم ما رأوا موجودا سوى الله لان الحق هو الذى لذاته يجب وجوده واما ما عداه فممكن والممكن اذا نظر اليه من حيث هو هو كان معدوما فهؤلاء لم يروا موجودا سوى الحق سبحانه وكلمة هو وان كانت للاشارة المطلقة ومفتقرة فى تعين المراد بها الى سبق الذكر باحد الوجوه او الى ان يعقبها ما يفسرها الا انهم يشيرون بها الى الحق سبحانه ولا يفتقرون فى تلك الاشارة الى ما يميز الذات المرادة عن غيرها لان الافتقار الى المميز انما يحصل حيث وقع الابهام بان يتعدد ما يصلح لان يشار اليه وقد بينا انهم لا يشاهدون بعيون عقولهم الا الواحد فقط فلهذا السبب كان لفظة هو كافية فى حصول العرفان التام لهؤلاء انتهى كلامه وانما ذكرته ههنا ليكون حجة على من انكر على جماعة الصوفية فى كلمة هو ذاهبا الى انها ضمير ولا فائدة بالذكر به وقد سبق منى عند قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو ما ينفعك فى هذا المقام قال شيخى وسندى الذى بمنزلة روحى فى جسدى الذكر بلا اله الا الله افضل من الذكر بكلمة الله الله وهو هو عند العلماء بالله لانها جامعة بين النفى والاثبات وحاوية على زيادة العلم والمعرفة فمن نفى بلا آله عين الخلق حكما لا علما فقد اثبت كون الحق حكما وعلما وافادنى ايضا اذا قلت لا آله الا الله فشاهد بالشهود الحقانى فناء افعال الخلق وصفاتهم وذواتهم فى افعال الحق وصفاته وذاته وهذا مقتضى الجمع والاحدية وتلك الكلمة فى الحقيقة اشارة الى هذه المرتبة واذا قلت محمد رسول الله فشاهد بالشهود الحقانى ايضا بقاء افعالهم وصفاتهم وذواتهم بافعاله تعالى وصفاته وذاته وهذا مقتضى الفرق والواحدية وتلك الكلمة ايضا اشارة الى هذه المرتبة فاذا كان توحيد العبد على هذه المشاهدة فلاجرم ان توحيده يكون توحيدا حقيقيا حقانيا لا رسميا نفسانيا (قال المولى الجامى قدس سره) كرچه لا داشت تيركئ عدم * دارد الا فروغ نور قدم * كرچه لا بود كان كفر وجحود * هست الا كليد كنج شهود * چون كند لا بساط كثرت طى * دهد الا زجام وحدت مى * آن رهاند ز نقش بيش وكمت * وين رساند بوحدت قدمت * تا نسازى حجاب كثرت دور * ندهد آفتاب وحدت نور * دائم آن آفتاب تابانست * از حجاب تو از تو پنهانست * كر برون آيى از حجاب تويى * مرتفع كردد از ميانه دويى * در زمين وزمان وكون ومكان * همه او بينى آشكار ونهان * اللهم اوصلنا الى الجمع والعين واليقين (الحى) خبر ثان وهو

فى اللغة من له الحياة وهى صفة تخالف الموت والجمادية وتقتضى الحس والحركة الارادية واشرف ما يوصف به الانسان الحياة الابدية فى دار الكرامة واذا وصف البارى عز شأنه بها وقيل انه حى كان معناه الدائم الباقى الذى لا سبيل عليه للموت والفناء فهو الموصوف بالحياة الازلية الابدية قال الامام الغزالى فى شرح الاسماء الحسنى الحى هو الفعال الدراك حتى ان من لا فعل له اصلا ولا ادراك فهو ميت واقل درجات الادراك ان يشعر المدرك بنفسه فما لا يشعر بنفسه فهو الجماد والميت فالحى الكامل المطلق هو الذى تندرج جميع المدركات تحت ادراكه وجميع الموجودات تحت فعله حتى لا يشذ عن علمه مدرك ولا عن فعله مفعول وذلك هو الله تعالى فهو الحى المطلق وكل حى سواه فحياته بقدر ادراكه وفعله وكل ذلك محصور فى قوله (القيوم) قام بالامر اذا دبره مبالغة القائم فانه تعالى دائم القيام على كل شئ بتدبير امره فى انشائه وترزيقه وتبليغه الى كماله اللائق به وحفظه قال الامام الغزالى اعلم ان الاشياء تنقسم الى ما يفتقر الى محل كالاعراض والاوصاف فيقال فيها انها ليست قائمة بنفسها والى ما لا يحتاج الى محل فيقال انه قائم بنفسه كالجواهر الا ان الجوهر وان قام بنفسه مستغنيا عن محل يقوم به فليس مستغنيا عن امور لا بد منها لوجوده وتكون شرطا فى وجوده فلا يكون قائما بنفسه لانه محتاج فى قوامه الى وجود غيره وان لم يحتج الى محل فان كان فى الوجود موجود يكفى ذاته بذاته ولا قوام له بغيره ولا شرط فى دوام وجوده وجود غيره فهو القائم بنفسه مطلقا فان كان مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصور للاشياء وجود ولا دوام وجود الا به فهو القيوم لان قوامه بذاته وقوام كل شئ به وليس ذلك الا الله تعالى ومدخل العبد فى هذا الوصف بقدر استغنائه عما سوى الله تعالى انتهى كلام الغزالى قيل الحى القيوم اسم الله الاعظم وكان عيسى عليه السلام اذا اراد ان يحيى الموتى يدعو بهذا الدعاء يا حى يا قيوم ويقال دعاء اهل البحر اذا خافوا الغرق يا حى يا قيوم وعن على ابن ابى طالب رضى الله عنه لما كان يوم بدر جئت انظر ما يصنع النبى صلى الله عليه وسلم فاذا هو ساجد يقول يا حى يا قيوم فترددت مرات وهو على حاله لا يزيد على ذلك الى ان فتح الله له وهذا يدل على عظمة هذا الاسم وفى التأويلات النجمية انما اشير فى معنى الاسم الاعظم الى هذين الاسمين وهما الحى والقيوم لان اسمه الحى مشتمل على جميع اسمائه وصفاته فان من لوازم الحى ان يكون قادرا عالما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا واسمه القيوم مشتمل على افتقار جميع المخلوقات اليه فاذا تجلى الله لعبد بهاتين الصفتين فالعبد يكاشف عند تجلى صفة الحى بمعانى جميع اسمائه وصفاته ويشاهد عند تجلى صفة القيوم فناء جميع المخلوقات اذ كان قيامها بقيومية الحق لا بانفسهم فلما جاء الحق زهق الباطل فلا يرى فى الوجود الا الحى القيوم اذا سلب الحى جميع اسماء الله وسلب القيوم قيام المخلوقات فترتفع الاثنينية بينهما واذا فنى التعدد وبقيت الوحدة فيصير اسما اعظم للمتجلى له فيذكره عند شهود عظمة الوحدانية بلسان عيان الفردانية لا بلسان بيان الانسانية فقد ذكره باسمه الاعظم الذى اذا دعى به اجاب واذا سئل به اعطى فاما الذاكر عند غيبه فبكل اسم دعاه لا يكون الاسم الاعظم بالنسبة الى حال غيبه وعند شهود العظمة فبكل اسم دعاه يكون الاسم الاعظم كما سئل ابو يزيد البسطامى قدس سره عن الاسم الاعظم فقال الاسم الاعظم ليس له حد محدود ولكن فرغ قلبك لوحدانيته فاذا كنت كذلك فاذكره باى اسم شئت انتهى ما فى التأويلات واعلم ان الاسم الاعظم عبارة عن الحقيقة المحمدية فمن عرفها عرفه وهى صورة الاسم الجامع الالهى وهو ربها ومنه الفيض فاعرف تفز بالحظ الاوفى (لا تأخذه سنة ولا نوم) السنة ثقلة من النعاس وفتور يعترى المزاج قبل النوم وليست بداخلة فى حد النوم والنعاس اول النوم والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا وتقديم السنة عليه مع ان قياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود الخارجى فان الموجود منهما اولا هو السنة ثم يعترى بعدها النوم وتوسيط كلمة لا للتنصيص على شمول النفى لكل منهما والمراد بيان انتفاء اعتراء شئ منهما له سبحانه لعدم كونهما من شأنه وانما عبر عن عدم الاعتراء والعروض بعدم الاخذ لمراعاة الواقع اذ عروض السنة والنوم لمعروضهما انما يكون بطريق الاخذ والاستيلاء والجملة نفى للتشبيه وتأكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان مؤوف الحياة قاصرا فى الحفظ والتدبير والمعنى لا يعتريه ما يعترى المخلوقين من السهو والغفلة والملال والفترة فى حفظ ما هو قائم بحفظه ولا يعرض له عوارض التعب المحوجة الى الاستراحة فيستريح بالنوم والسنة لان النوم

اخو الموت والموت ضد الحياة وهو الحى الحقيقى فلا يلحقه ضد الحياة فكما انه موصوف بصفات الكمال منزه
عن جميع صفات النقصان روى ان موسى عليه السلام سأل الملائكة وكان ذلك فى نوسه اينام ربنا فاوحى
الله تعالى اليهم ان يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوءتين فاخذهما فاخذه
النوم فزالتا وانكسرتا ثم اوحى الله اليه انى امسك السموات والارض بقدرتى فلو اخذنى نوم اونعاس لزالتا
كذا فى الكشاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغى له ان ينام قال ابن الملك هذا بيان
لاستحالة وقوع النوم منه لانه عجز والله تعالى يتعالى عنه انتهى وحظ العبد من هذا الوصف ان يترك النوم
فان الله تعالى وان رخص للعباد فى المنام بل هو فضل منه تعالى لكن كثرة المنام بطالة وان الله تعالى لا يحب
البطال قال ابو يزيد البسطامى قدس سره لم يفتح لى شئ الا بعد ان جعلت الليالى اياما (قال السعدى) سر آنكه
ببالين نهد هوشمند * كه خوابش بقهر آورد دركمند * قيل كان رجل له تلميذان اختلفا فيما بينهما فقال
احدهما النوم خير لان الانسان لا يعصى فى تلك الحالة وقال الآخر اليقظة خير لانه يعرف الله فى تلك الحالة
فتحاكما الى ذلك الشيخ فقال الشيخ اما انت الذى قلت بتفضيل اليقظة فالحياة خير لك وقيل اشترى رجل مملوكة
فلما دخل الليل قال افرشى الفراش فقالت المملوكة يا مولاى الك مولى قال نعم قالت ينام مولاك قال لا
فقالت الا تستحيى ان تنام ومولاك لم ينم ومن الابيات التى كان يذكرها بلال الحبشى رضى الله عنه وقت السحر
(يا ذا الذى استغرق فى نومه * ما نوم عبد ربه لا ينام * اهل تقول انى مذنب * مشتغل الليل بطيب المنام)
(له ما فى السموات وما فى الارض) تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به على تفرده فى الالوهية لانه تعالى خالقهما
بما فيهما والمشاركة انما تقع فيما فيهما ومن يكن له ما فيهما فمحال مشاركته فكل من فيهما وما فيهما ما ملكه ليس
لاحد معه فيه شركة ولا لاحد عليه سلطان فلا يجوز ان يعبد غيره كما ليس لعبد احدكم ان يخدم غيره الا باذنه
والمراد بما فيهما ما هو اعم من اجزائهما الداخلة فيهما ومن الامور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء
وغيرهم فهو ابلغ من ان يقال له السموات والارض وما فيهن لان قوله وما فيهن بعد ذكر السموات والارض
انما يتناول الامور الخارجة المتمكنة فيهن اذ لو اريد به ما يعم الامور الداخلة فيهما والخارجة عنهما لاغنى ذكره
عن ذكرهما (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) من مبتدأ وذا خبره والذى صفة ذا او بدل منه ولفظ من
وان كان استفهاما فمعناه النفى ولذلك دخلت الا فى قوله الا باذنه وعنده فيه وجهان احدهما انه متعلق بيشفع
والثانى انه متعلق بمحذوف فى موضع الحال من الضمير فى يشفع اى لا احد يشفع مستقرا عنده الا باذنه وقوى
هذا الوجه بانه اذا لم يشفع عنده من هو عنده وقريب منه فشفاعة غيره ابعد والا باذنه متعلق بمحذوف
لانه حال من فاعل يشفع فهو استثناء مفرغ والباء للمصاحبة والمعنى لا احد يشفع عنده فى حال من الاحوال
الا فى حال كونه مأذونا له اولا احد يشفع عنده بامر من الامور الا باذنه والباء للاستعانة كما فى ضرب بسيفه
فيكون الجار والمجرور فى موضع المفعول به وكان المشركون يقولون اصنامنا شركاء الله تعالى وهم شفعاؤنا
عنده فوحد الله نفسه بالنفى والاثبات ليكون المعنى فى ثبوت التوحيد ونفى الشرك اى ليس لاحد ان يشفع
لاحد عنده الا باذنه وقد اخبر انه لا يأذن فى الشفاعة للكفار وهو رد على المعتزلة فى انهم لا يرون الشفاعة اصلا
والله تعالى اثبتها للبعض بقوله الا باذنه وفى التأويلات النجمية هذا الاستثناء راجع الى النبى عليه السلام
لان الله قد وعد له المقام المحمود وهو الشفاعة فالمعنى من ذا الذى يشفع عنده يوم القيامة الا عبده محمد فانه
مأذون موعود ويعينه الانبياء بالشفاعة انتهى غم مخور دانكه شفيعش تويى * پايه ده قدر رفيعش تويى *
حاصلى ازنيست زطاعت مرا * هست اميدى بشفاعت مرا * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتانى آت من عند ربى فخيرنى بين ان يدخل نصف امتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة روى ان الانبياء
عليهم السلام يعينون نبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة فيأتى الناس اليه فيقول انا لها وهو المقام
المحمود الذى وعده الله به يوم القيامة فيأتى ويسجد ويحمد الله بمحامد يلهمه الله تعالى اياها فى ذلك الوقت
لم يكن يعلمها قبل ذلك ثم يشفع الى ربه ان يفتح باب الشفاعة للخلق فيفتح الله ذلك الباب فيأذن فى الشفاعة
للملائكة والرسل والانبياء والمؤمنين فهذا يكون سيد الناس يوم القيامة فانه شفع عند الله ان يشفع
الملائكة والرسل ومع هذا تأدب صلى الله عليه وسلم وقال انا سيد الناس ولم يقل سيد الخلائق فيدخل الملائكة

فى ذلك مع ظهور سلطانه فى ذلك اليوم على الجميع وذلك انه صلى الله عليه وسلم جمع له بين مقامات الانبياء
عليهم السلام كلهم ولم يكن ظهر له على الملائكة ما ظهر لآدم عليهم من اختصاصه بعلم الاسماء كلها
فاذا كان فى ذلك اليوم افتقر اليه الجميع من الملائكة والناس من آدم فمن دونه فى فتح باب الشفاعة واظهار
ماله من الجاه عند الله اذ كان القهر الالهى والجبروت الاعظم قد اخرس الجميع فدل على عظيم قدره عليه السلام
حيث اقدم مع هذه الصفة الغضبية الالهية على مناجاة الحق فيما سئل فيه فاجابه الحق سبحانه كذا فى تفسير
الفاتحة للمولى الفنارى عليه رحمة البارى واعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اول من يفتح باب الشفاعة
فيشفع فى الخلق ثم الانبياء ثم الاولياء ثم المؤمنون وآخر من يشفع هو ارحم الراحمين فان الرحمن ما شفع عند
المنتقم فى اهل البلاء الا بعد شفاعة الشافعين الذين لم تظهر شفاعتهم الا بعد شفاعة خاتم الرسل اياهم ليشفعوا
ومعنى شفاعة الله سبحانه هو انه اذا لم يبق فى النار مؤمن شرعى اصلا يخرج الله منها قوما علموا التوحيد بالادلة
العقلية ولم يشركوا بالله شيأ ولا آمنوا ايمانا شرعيا ولم يعملوا خيرا قط من حيث ما اتبعوا فيه نبيا من الانبياء
فلم يكن عندهم ذرة من ايمان فيخرجهم ارحم الراحمين هذا فانه من الغرائب افاده لى شيخى العلامة افادة
كشفية وصادفته ايضا فى تفسير الفاتحة للمولى الفنارى اللهم اغفر وارحم وانت ارحم الراحمين (يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم) استئناف آخر لبيان احاطة علمه باحوال خلقه المستلزم لعلمه بمن يستحق الشفاعة
ومن لا يستحقها اى يعلم ما كان قبلهم من امور الدنيا وما يكون بعدهم من امر الآخرة او ما بين ايديهم يعنى
الآخرة لانهم يقدمون عليها وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم او ما بين ايديهم من السماء
الى الارض وما خلفهم يريد ما فى السموات او ما بين ايديهم بعد انقضاء آجالهم وما خلفهم اى ما كان
قبل ان يخلقهم او ما فعلوه من خير وشر وقدموه وما يفعلونه بعد ذلك والمقصود بهذا الكلام بيان انه عالم باحوال
الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق الثواب والعقاب والضمير لما فى السموات وما فى الارض لان فيهم
العقلاء فغلب من يعقل على غيره او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء فيكون للعقلاء خاصة (ولا يحيطون)
اى لا يدركون يعنى من الملائكة والانبياء وغيرهم (بشئ من علمه) اى من معلوماته (الا بما شاء) ان يعلموه وان
يطلعهم عليه كاخبار الرسل فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وانما فسرنا العلم بالمعلوم لان
علمه تعالى الذى هو صفة قائمة بذاته المقدسة لا يتبعض فجعلناه بمعنى المعلوم ليصح دخول التبعيض والاستثناء
عليه وفى التأويلات النجمية يعلم محمد عليه السلام ما بين ايديهم من الامور الاوليات قبل خلق الله الخلائق
كقوله اول ما خلق الله نورى وما خلفهم من اهوال القيامة وفزع الخلق وغضب الرب وطلب الشفاعة من
الانبياء وقولهم نفسى نفسى وحوالة الخلق بعضهم الى بعض حتى بالاضطرار يرجعون الى النبى عليه السلام
لاختصاصه بالشفاعة ولا يحيطون بشئ من علمه يحتمل ان تكون الهاء كناية عنه عليه السلام يعنى هو شاهد
على احوالهم يعلم ما بين ايديهم من سيرهم ومعاملاتهم وقصصهم وما خلفهم من امور الآخرة واحوال اهل
الجنة والنار وهم لا يعلمون شيأ من معلوماته الا بما شاء ان يخبرهم عن ذلك انتهى قال شيخنا العلامة ابقاه
الله بالسلامة فى الرسالة الرحمانية فى بيان الكلمة العرفانية علم الاولياء من علم الانبياء بمنزلة قطرة من سبعة
ابحر وعلم الانبياء من علم نبينا محمد عليه السلام بهذه المنزلة وعلم نبينا من علم الحق سبحانه بهذه المنزلة انتهى
وفى القصيدة البردية

وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر او رشفا من الديم
وواقفون لديه عند حدهم * من نقطة العلم او من شكلة الحكم

حاصله ان علوم الكائنات وان كثرت بالنسبة الى علم الله عز وجل بمنزلة نقطة او شكلة ومشربها بحر روحانية
محمد صلى الله عليه وسلم فكل رسول ونبى وولى آخذون بقدر القابلية والاستعداد مما لديه وليس لاحد ان يعدوه
او يتقدم عليه قوله النقطة فعلة من نقطت الكتاب نقطا معناها الحاصل والشكلة بالفتح فعلة من شكلت
الكتاب قيدته بالاعراب (وسع كرسيه السموات والارض) الكرسى ما يجلس عليه من الشئ المركب من
خشبات موضوعة بعضها فوق بعض ولا يفضل على مقعد القاعد وكأنه منسوب الى الكرس الذى هو الملبد
وهو ما يجعل فيه اللبدة اى لم يضق كرسيه عن السموات والارض لبسطته وسعته وما هو الا تصوير لعظمته

وتمثيل مجرد ولا كرسى فى الحقيقة ولا قاعد وتقريره انه تعالى خاطب الخلق فى تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه
فى ملوكهم وعظمائهم كما جعل الكعبة بيتاله يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم وامر الناس بزيارته
كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر فى الحجر الاسود انه يمين الله تعالى فى ارضه ثم جعله موضعا للتقبيل كما يقبل
الناس ايدى ملوكهم وكذلك ما ذكر فى محاسبة العباد يوم القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهدآء فوضع
الميزان وعلى هذا القياس اثبت لنفسه عرشا فقال الرحمن على العرش استوى ثم اثبت لنفسه كرسيا فقال
وسع كرسيه السموات والارض والحاصل ان كل ما جاء من الالفاظ الموهمة للتشبيه فى العرش والكرسى
فقد ورد مثلها بل اقوى منها فى الكعبة والطواف وتقبيل الحجر ولما توافقت الامة ههنا على ان المقصود تعريف
عظمة الله وكبريائه مع القطع بانه تعالى منزه عن ان يكون فى الكعبة ما يوهمه تلك الالفاظ فكذا الكلام
فى العرش والكرسى والمعتمد كما قال الامام ان الكرسى جسم بين يدى العرش محيط بالسموات السبع لان الارض
كرة والسماء الدنيا محيطة بها احاطة قشر البيضة بالبيضة من جميع الجوانب والثانية محيطة بالدنيا وهكذا
الى ان يكون العرش محيطا بالكل قال صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع والارضون السبع من الكرسى
الا كحلقة فى فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك الثامن وهو المشهور
بفلك البروج قال مقاتل كل قائمة من الكرسى طولها مثل السموات السبع والارضين السبع وهو بين يدى
العرش ويحمل الكرسى اربعة املاك لكل ملك اربعة وجوه واقدامهم فى الصخرة التى تحت الارض السابعة
السفلى مسيرة خمسمائة عام ملك على صورة سيد البشر آدم عليه السلام وهو يسأل للادميين الرزق والمطر
من السنة الى السنة وملك على صورة سيد الانعام وهو الثور وهو يسأل للانعام الرزق من السنة الى السنة
وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل وملك على صورة سيد السباع وهو الاسد يسأل للسباع الرزق من السنة
الى السنة وملك على صورة سيد الطير وهو النسر يسأل للطير الرزق من السنة الى السنة وفى التأويلات النجمية
اما القول فى معنى الكرسى فاعلم ان مقتضى الدين والديانة ان لا يؤول المسلم شيأ من الاعيان مما نطق به القرءآن
والاحاديث بالمعانى الا بصورها كما جاء وفسرها النبى عليه السلام والصحابة وعلماء السلف الصالح اللهم
الا ان يكون محققا خصصه الله بكشف الحقائق والمعانى والاسرار واشارات التنزيل وتحقيق التأويل فاذا
كوشف بمعنى خاص اواشارة وتحقيق بقدر ذلك المعنى من غير ان يبطل صورة الاعيان مثل الجنة والنار والميزان
والصراط وما فى الجنة من الحور والقصور والانهار والاشجار والثمار وغيرها من العرش والكرسى والشمس
والقمر والليل والنهار لا يؤول شيأ منها على مجرد المعنى ويبطل صورته بل يثبت تلك الاعيان كما جاء ويفهم منها
حقائق معانيها فان الله تعالى ما خلق شيأ فى عالم الصورة الا وله نظير فى عالم المعنى وما خلق شيأ فى عالم المعنى
وهو الآخرة الا وله حقيقة فى عالم الحق وهو غيب الغيب فافهم جدا وما خلق فى العالمين شيأ الا وله مثال
وانموذج فى عالم الانسان فاذا عرفت هذا فاعلم ان مثال العرش فى عالم الانسان قلبه اذ هو محل استوآء الروح
عليه ومثال الكرسى سر الانسان والعجب كل العجب ان العرش مع نسبته الى استوآء الرحمانية قيل هو كحلقة
ملقاة بين السماء والارض بالنسبة الى وسعة قلب المؤمن انتهى ما فى التأويلات (وفى المثنوى) كفت بيغمبر
كه حق فرموده است * من نكنجم هيج در بالا وبست * در زمين وآسمان وعرش نيز * من نكنجم
اين يقين دان اى عزيز * در دل مؤمن بكنجم اى عجب * كر مرا جويى دران دلها طلب * خود بزركى
عرش باشد بس مديد * ليك صورت كيست جون معنى رسيد (ولا يؤوده) يقال آده الشئ يؤوده
اذا اثقله ولحقه منه مشقة مأخوذ من الاود بفتح الواو وهو العوج ويعرض ذلك بالثقل اى لا يثقله ولا يشق
عليه تعالى (حفظهما) اى حفظ السموات والارض اذ القريب والبعيد عنده سوآء والقليل والكثير سوآء
وكيف يتعب فى خلق الذرة وكل الكون عنده سوآء فلا من القليل له تيسر ولا من الكثير عليه تعسر انما امره اذا
اراد شيأ ان يقول له كن فيكون وانما لم يتعرض لذكر ما فيهما لان حفظهما مستتبع لحفظه (وهو العلى)
اى المتعالى بذاته عن الاشباه والانداد (العظيم) الذى يستحقر بالنسبة اليه كل ما سواه فالمراد بالعلو علو
القدر والمنزلة لا علو المكان لانه تعالى منزه عن التحيز وكذا عظمته انما هى بالمهابة والقهر والكبرياء ويمتنع
ان يكون بحسب المقدار والحجم لتعالى شأنه من ان يكون من جنس الجواهر والاجسام والعظيم من العباد

الانبياء

الانبياء والاولياء والعلماء الذين اذا عرف العاقل شيأ من صفاتهم امتلأ بالهيبة صدره وصار متشوقا بالهيبة
قلبه حتى لا يبقى فيه متسع فالنبى عليه السلام عظيم فى حق امته والشيخ عظيم فى حق مريده والاستاذ فى حق
تلميذه اذ يقصر عقله عن الاحاطة بكنه صفاته فان ساواه اوجاوزه لم يكن عظيما بالاضافة اليه وهذه الاية
الكريمة منطوية كما ترى على امهات المسائل الالهية المتعلقة بالذات العلية والصفات الجلية فانها ناطقة
بانه تعالى موجود متفرد بالالهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته موجد لغيره لما ان القيوم هو القائم
بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الاشباح ولا يعتريه ما يعترى
النفوس والارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد لا يشفع عنده الا من
اذن له فهو العالم وحده بجميع الاشياء جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما من شأنه ان يملك
ويقدر عليه ولا يشق عليه شاق ولا يشغله شان عن شان متعال عما تناله الاوهام عظيم لا تحدق به الافهام
ولذلك قال عليه السلام ان اعظم آية فى القرءآن آية الكرسى من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته
ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة يعنى انما صارت آية الكرسى اعظم الآيات لعظم مقتضاها فان الشئ
انما يشرف بشرف ذاته ومقتضاه ومتعلقاته وآية الكرسى اقتضت التوحيد فى خمسين حرفا وسورة الاخلاص
فى خمسة عشر حرفا قال الامام فى الاتقان اشتملت آية الكرسى على ما لم تشتمل عليه آية فى اسماء الله تعالى وذلك
انها مشتملة على سبعة عشر موضعا فيها اسم الله تعالى ظاهرا فى بعضها ومستكنا فى بعض وهى الله هو الحى
القيوم وضمير لا تأخذه وله وعنده وباذنه ويعلم وعلمه وشاء وكرسيه ويؤوده وضمير حفظهما المستتر الذى هو فاعل
المصدر وهو العلى العظيم ويكفى فى استحقاقها السيادة ان فيها الحى القيوم وهو الاسم الاعظم كما ورد به الخبر
عن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وتذاكر الصحابة افضل ما فى القرءآن فقال لهم على اين انتم عن آية الكرسى
ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان
وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرءآن
وسيد القرءآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسى وعن على كرم الله وجهه عن النبى عليه السلام قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما قرئت هذه الاية فى دار الا اهتجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة
اربعين ليلة يا على علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها وعن على ايضا سمعت نبيكم على اعواد المنبر
وهو يقول من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة ابدا الا الموت ولا يواظب عليها
الا صديق اوعابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وعن محمد
ابن ابى بن كعب عن ابيه ان اباه اخبره انه كان له جرن فيه خضر فكان يتعاهده فوجده ينقص فحرسه ذات ليلة
فاذا هو بدابة تشبه الغلام المحتلم قال فسلمت فردت عليها السلام وقلت من انت جن ام انس قالت جن قلت
ناولينى يدك فناولتنى يدها فاذا يد كلب وشعر كلب فقلت هكذا خلقة الجن قالت لقد علمت الجن ما فيهم اشد منى
قلت ما حملك على ما صنعت قالت بلغنى انك رجل تحب الصدقة فاحببنا ان نصيب من طعامك فقال لها ابى فما
الذى يجيرنا منكم قالت هذه الاية التى فى سورة البقرة الله لا اله الا هو الحى القيوم من قالها حين يصبح اجيرمنا
حتى يمسى ومن قالها حين يمسى اجيرمنا حتى يصبح فلما اصبح اتى النبى عليه السلام فاخبره فقال النبى عليه
السلام صدق الخبيث وروى ان رجلا اتى شجرة اونخلة فسمع فيها حركة فتكلم فلم يجب فقرأ آية الكرسى فنزل
اليه شيطان فقال ان لنا مريضا فبم نداويه قال بالذى انزلتنى به من الشجرة وخرج زيد بن ثابت الى حائط له
فسمع فيه جلبة فقال ما هذا فقال رجل من الجان اصابتنا السنة فاردنا ان نصيب من ثماركم افتطيبونها قال نعم
فقال له زيد بن ثابت الا تخبرنى ما الذى يعيذنا منكم قال آية الكرسى وبالجملة ان آية الكرسى من اعظم
ما ينتصر به على الجن فقد جرب المجربون الذين لا يحصون كثرة ان لها تأثيرا عظيما فى طرد الشياطين عن نفس
الانسان وعن المصروع وعمن تعينه الشياطين مثل اهل الشهوة والطرب وارباب سماع المكاء والتصدية واهل
الظلم والغضب اذا قرئت عليهم بصدق كما فى آكام المرجان فى احكام الجان * دل بردرد راد وا قرآن *
جان مجروح را شفا قرآن * هرچه جويى زنص قرآن جو * كه بود كنج علمها قرآن * وانما قال
اذا قرئت عليهم بصدق لانه هو العمدة والصادق يبيض وجهه والكاذب يسود الا ترى الى الصبح الصادق

والكاذب كيف اعقب الاول شمس منير دون الثانى (قال فى المثنوى) هست تسبيحت بخار آب وكل *
مرغ جنت شد زنفخ صدق دل * وكل ماوقع بطريق الحال وجد عنده التأثير بخلاف ماوقع بطريق القال
فقط ولذا ترى اكثر الناس محرومين وان دعوا بالاسم الاعظم اللهم آت نفسى تقواها وزكها انت خير من زكاها
امين (لا اكراه فى الدين) قال بعضهم نزلت هذه الاية فى المجوس واهل الكتاب من اليهود والنصارى انه تقبل
منهم الجزية ولا يكرهون على الاسلام ليس كمشركى العرب فانه لا يقبل منهم الا السيف او الاسلام ولا تقبل منهم
الجزية ان اسلموا فيها والا قتلوا قال الله تعالى فقاتلوهم او يسلمون والمعنى لا اجبار فى الدين لان من حق العاقل
ان لا يحتاج الى التكليف والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم لوضوح الحجة (قد تبين الرشد) هو لفظ
جامع لكل خير والمراد ههنا الايمان الذى هو الرشد الموصل الى السعادة الابدية لتقدم ذكر الدين (من الغى)
اى من الكفر الذى هو المؤدى الى الشقاوة السرمدية قال الراغب الغى كالجهل يقال اعتبارا بالاعتقاد
والغى اعتبارا بالافعال ولهذا قيل زوال الجهل بالعلم وزوال الغى بالرشد (فمن يكفر بالطاغوت) هو كل ما عبد
من دون الله مما هو مذموم فى نفسه ومتمرد كالانس والجن والشياطين وغيرهم فلا يرد عيسى عليه السلام
والكفر به عبارة عن الكفر باستحقاقه العبادة (ويؤمن بالله) بالتوحيد وتصديق الرسل لان الكفر بالانبياء
والكتب يمنع حقيقة الايمان بالله لان الايمان بالله حقيقة يستلزم الايمان باوامره ونواهيه وشرائعه المعلومة
بالدلائل التى اقامها الله لعباده وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان التخلية بالمعجمة
متقدمة على التحلية بالمهملة (فقد استمسك بالعروة الوثقى) اى بالغ فى التمسك بالحلقة الوكيدة وعروة الجسم
الكبير الثقيل الموضع الذى يتعلق به من يأخذ ذلك الجسم ويحمله والوثقى فعلى للتفضيل تأنيث الاوثق كفضلى
تأنيث الافضل (لا انفصام لها) اى لا انقطاع وهو استئناف لبيان قوة دلائل الحق بحيث لا يعتريها شئ من
الشبه والشكوك فان العروة الوثقى استعارة المحسوس للمعقول لان من اراد امساك هذا الدين تعلق بالدلائل
الدالة عليه ولما كانت دلائل الاسلام اقوى الدلائل واوضحها وصفها الله بانها العروة الوثقى قال المولى
ابو السعود الكلام تمثيل مبنى على تشبيه الهيئة المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذى لا يحتمل النقيض
اصلا لثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المامون انقطاعه
فلا استعارة فى المفردات (والله سميع) بالاقوال (عليم) بالعزائم والعقائد يعلم غيها ورشدها وباطلها وحقها
ويجزى كلا على وفق عمله وقوله وعقده وهو ابلغ وعد ووعيد واعلم ان حقيقة الايمان كونه متعلقا بالله على
وجه الشهود والعيان ومجازه كونه متعلقا به على وجه الرسم والبيان او بالطاغوت وحقيقة الكفر كونه متعلقا
بالطاغوت ومجازه كونه متعلقا بوحدة الله او بنعمته فان الكفر ثلاثة اقسام كفرا لنعمة وكفرا لوحدة وكفر
الطاغوت وافراد الانسان ثلاثة اقسام ايضا اصحاب الميمنة وهم ارباب الجمال ومظاهره واصحاب المشأمة وهم
ارباب الجلال ومظاهره والمقربون وهم اصحاب الكمال ومظاهره وقلوب الفريق الاول فى ايدى سدنة الجمال
الالهى من الملائكة المقربين وقلوب الفريق الثانى فى ايدى سدنة الجلال الالهى من الشياطين المتمردين
يستعملونها فى سبيل الشرور وقلوب الفريق الثالث فى يد الله الملك المتعال يد الله فوق ايدى سدنة الجمال والجلال
يقلبها كيف يشاء بين التجليات العاليات والعلوم والمعارف الالهيات ولما تعلق ايمان هذه الفرق بالله على وجه
الشهود والعيان وتعلق كفرهم بالطاغوت جليا وخفيا كان ايمانهم وكفرهم حقيقيين وجاوزوا من عالم المجاز
الى عالم الحقيقة واما الفريق الثانى فقد تعلق ايمانهم بالطاغوت مطلقا جليا وخفيا وكفرهم بالوحدة والنعمة
فكان ايمانهم وكفرهم مجازيين لكن ايمانهم مردود ككفرهم لانه لم يتعلق بالله اصلا بل كان كله مقصورا على
الطاغوت ولذا لم يتجاوزوا من عالم المجاز اصلا ولم يصلوا الى قرب عالم الحقيقة جدا فضلا عن وصولهم الى عالم
الحقيقة قطعا واما الفريق الاول فلما تعلق ايمانهم بالله على وجه الرسم والبيان لا بالطاغوت الجلى جدا ولم يتعلق
ايمانهم به على وجه الشهود ولم يتعلق ايمانهم به على الاخلاص حين تعلق به على وجه الرسم والبيان لتعلقه ايضا
بالطاغوت الخفى وتعلق كفرهم بالطاغوت الجلى فقط لا بالطاغوت الخفى كان ايمانهم وكفرهم مجازيين ايضا لكن
ايمانهم لم يكن ككفرهم مردودا بل كان مقبولا من وجه لعدم تعلقه بالطاغوت الجلى اصلا فان غلب تعلقه بالله
على تعلقه بالطاغوت الخفى عند خاتمته فيدخل فى الفلاح ثم فى الاخرة ان تداركه الفضل الالهى فيها ونعمت

فيغفر والا فيدخل الجحيم ويعذب بكفره الخفى ثم يخرج لعدم كفره بالله جليا ويدخل النعيم لايمانه بالله جليا وكفره
بالطاغوت وهم ايضا لم يصلوا الى عالم الحقيقة بل انما وصلوا الى قربه ولذا جاوزوا الجحيم ودخلوا النعيم فى قرب
عالم الحقيقة ولذا كانوا بالنسبة الى نفس الحقيقة موطنين فى عالم المجاز والفرقة لا فى عالم الحقيقة والوصلة واما
الفريق الثانى فهم مخلدون فى النار ابدا لايمانهم بالطاغوت مطلقا وكفرهم بالله كذلك ثم سعادة الفريق الثالث
على ما هو المنصوص فى القرآن قطعية الثبوت فى آخر النفس وشقاوة الفريق الثانى وسعادة الفريق الاول
ليست قطعية الثبوت بل محتملة الثبوت فى آخر النفس بالنظر الى الافراد لجواز التبدل والتغير فى عاقبة الامر
الدنيوى بالنظر الى افرادهم هذا ما التقطته من الكتاب المسمى باللايحات البرقيات لشيخى العلامة ابقاه الله
بالسلامة (الله ولى الذين آمنوا) اى محبهم ومعينهم او متولى امورهم لا يكلهم الى غيره فالولى قد يكون باعتبار
المحبة والنصرة فيقال للمحب ولى لانه يقرب من حبيبه بالنصرة والمعونة لا يفارقه وقد يكون باعتبار التدبير
والامر والنهى فيقال لاصحاب الولاية ولى لانهم يقربون القوم بان يدبروا امورهم ويراعوا مصالحهم ومهماتهم
والمعنى الله ولى الذين ارادوا ايمانهم وثبت فى علمه انهم يؤمنون فى الجملة مآلا او حالا وانما اخرج عن ظاهره لان
اخراج المؤمن بالفعل من الظلمات تحصيل الحاصل (يخرجهم من الظلمات) التى هى اعم من ظلمات الكفر
والمعاصى وظلمات الشبه والشكوك بل مما فى بعض مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بالقياس
الى مراتبها القوية الجلية بل مما فى جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان (الى النور) الذى يعم نور الايمان
ونور الايقان بمراتبه ونور العيان اى يخرج بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التى وقع فيها الى ما يقابلها
من النور وجمع الظلمات لان فنون الضلالة متعددة والكفر ملل وافرد النور لان الاسلام دين واحد ويسمى
الكفر ظلمة لالتباس طريقه ويسمى الاسلام نورا لوضوح طريقه (والذين كفروا) اى الذين ثبت فى علمه
كفرهم (اولياؤهم الطاغوت) اى الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق من الكهنة وقادة الشر وان حمل على
الاصنام التى هى جمادات فالمعنى لا يكون على الموالاة الحقيقية التى هى المصادقة او تولى الامر بل يكون على ان
الكفار يتولونهم اى يعتقدونهم ويتوجهون اليهم والطاغوت تذكر وتؤنث وتوحد وتجمع (يخرجونهم)
بالوساوس وغيرها من طريق الاضلال والاغواء (من النور) اى الايمان الفطرى الذى جبلوا عليه كافة (الى
الظلمات) اى ظلمات الكفر وفساد الاستعداد والانهماك فى الشهوات او من نور اليقينيات الى ظلمات الشكوك
والشبهات واسناد الاخراج الى الطاغوت مجاز لكونهم اسبابا له وذلك لا ينافى كون المخرج حقيقة هو الله تعالى
فالاية لا تصلح ان تكون متمسكا للمعتزلة فيما ذهبوا اليه من ان الكفر ونحوه مما لا يكون اصلح للعبد ليس من الله
تعالى بناء على انه اضاف الكفر الى الطاغوت لا الى نفسه (اولئك) اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز
الصلة وما يتبعه من القبائح (اصحاب النار) اى ملابسوها وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم (هم فيها
خالدون) ماكثون ابدا ولم يقل بعد قوله يخرجهم من الظلمات الى النور اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
تعظيما لشان المؤمنين لان البيان اللفظى لا يفى بما اعد لهم فى دار الثواب واعلم ان مراتب المؤمنين فى الايمان
متفاوتة وهم ثلاث طوائف عوام المؤمنين وخواصهم وخواص الخواص فالعوام يخرجهم الله من ظلمات
الكفر والضلالة الى نور الايمان والهداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والخواص يخرجهم
من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية الى نور الروحانية الربانية كقوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم
بذكر الله واطمئنان القلب بالذكر لم يكن الا بعد تصفيته عن الصفات النفسانية وتحليته بالصفات الروحانية
وخواص الخواص يخرجهم من ظلمات حدوث الخلقة الروحانية بافنائهم عن وجودهم الى نور تجلى صفة القدم
لهم ليبقيهم به كقوله تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى الاية نبههم الى الفتوة لما خاطروا بارواحهم
فى طلب الحق وآمنوا بالله وكفروا بالطاغوت دقيانوس فلما تقربوا الى الله بقدم الفتوة تقرب اليهم بمزيد العناية
فاخرجهم من ظلمات النفسانية الى نور الروحانية فلما تنورت انفسهم بانوار ارواحهم اطمأنت الى ذكر الله
وانست به واستوحشت عن محبة اهل الدنيا وما فيها فاحبوا الخلاء كما كان حال النبى عليه السلام
فى بدو الامر قالت عائشة رضى الله عنها اول ما بدئ به عليه السلام كان حبب اليه الخلاء ولعمرى هذا دأب
كل طالب محق مريد صادق كذا فى التأويلات النجمية قال الفخر الرازى بطريق الاعتراض ان جمعا

من الصوفية يقولون الاشتغال بغير الله حجاب عن معرفة الله والانبياء عليهم السلام لايدعون الخلق الا الى
الطاعات والتكاليف فهم يشغلون الخلق بغير الله ويمنعونهم عن الاشتغال بالله فوجب ان لا يكون ذلك حقا
وصدقا اه كلامه يقول الفقير جامع هذه المجالس النفيسة هذا الاعتراض ليس بشئ فان الطاعات والتكاليف
وسائل الى معرفة الله الملك اللطيف فالدعوة ليست الا الى معرفة الله حقيقة الا يرى الى تفسير ابن عباس
رضى الله عنه قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون بقوله ليعرفون وانما عدل عنه الى ليعبدون مع انه
خلاف مقتضى الظاهر حينئذ اشعارا بان المعرفة المقبولة هى التى تحصل بطريق العبادة فالاشتغال بغير الله
وبغير عبادته حجاب اى حجاب ولذلك كان بدو حال السلف الخلاء والانقطاع عن الناس اقتداء برسول الله صلى
الله عليه وسلم واهتماما فى رفع الحجاب الحاصل بالاختلاط (وفى المثنوى) آدمى راهست در هركار دست ❊
ليك ازو مقصود اين خدمت بدست ❊ تاجلا باشد مرابن آينه را ❊ كه صفا آيد ز طاعت سينه را ❊
(الم تر) اى الم ينته علمك الذى يضاهى العيان فى الايقان وحقيقته اعلم باخبارنا فانه مفيد لليقين (الى الذى)
اى الى قصة الملك الذى (حاج) اى جادل وخاصم وقابل بالحجة (ابراهيم) فى معارضة ربوبيته (فى ربه)
وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وايذان بتأييده فى المحاجة
والذى حاج هو نمرود بن كنعان بن سام بن نوح وهو اول من وضع التاج على رأسه وتجبر وادعى الربوبية
(ان آتاه الله الملك) اى لان آتاه فهو مفعول له لقوله حاج وله معنيان احدهما انه من باب العكس فى الكلام
بمعنى انه وضع المحاجة موضع الشكر اذ كان من حقه ان يشكر فى مقابلة ايتاء الملك ولكنه عكس عمل ما هو الحق
الواجب عليه كما تقول عادانى فلان لانى احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل
الاحسان والثانى ان ايتاء الملك حمله على ذلك لانه اورثه الكبر والبطر فنشأ عنهما المحاجة والمعنى اعطاه كثرة المال
واتساع الحال وملك جميع الدنيا على الكمال قال مجاهد لم يملك الدنيا باسرها الا اربعة مسلمان وكافران فالمسلمان
سليمان وذو القرنين والكافران نمرود وبخت نصر وهو شداد بن عاد الذى بنى ارم فى بعض صحارى
عدن ثم هو حجة على من منع ايتاء الله الملك للكافر وهم المعتزلة لان مذهبهم وجوب رعاية الاصلح للعبد على الله
وايتاء الله الملك للكافر تسليط له على المؤمنين وذلك ليس باصلح لحال المؤمن قلنا انما ملكه امتحانا له ولعباده
(اذ قال ابراهيم) ظرف لحاج (ربى الذى يحيى ويميت) روى انه عليه السلام لما كسر الاصنام سجنه ثم اخرجه
ليحرقه فقال من ربك الذى تدعونا اليه قال ربى الذى يحيى ويميت اى يخلق الحياة والممات فى الاجساد وجواب
ابراهيم فى غاية الصحة لانه لا سبيل الى معرفة الله الا بمعرفة صفاته وافعاله التى لا يشاركه فيها احد من القادرين
والاحياء والاماتة من هذا القبيل قال كانه قيل كيف حاجه فى هذه المقالة القوية الحقة فقيل (قال انا احيى
واميت) روى انه دعا برجلين قد حبسهما فقتل احدهما واطلق الآخر فقال قد احييت هذا وامت هذا فجعل
ترك القتل احياء وكان هذا تلبيسا منه (قال ابراهيم) كانه قيل فماذا قال ابراهيم لمن فى هذه الرتبة فى المحاجة
وبماذا افحمه فقيل قال (فان الله) جواب شرط مقدر تقديره قال ابراهيم اذا ادعيت الاحياء والاماتة واتيت
بمعارضة مموهة ولم تعلم معنى الاحياء فالحجة ان الله (يأتى بالشمس من المشرق) تحريكا قسريا حسبما تقتضيه
مشيئته والباء للتعدية (فأت بها من المغرب) تسييرا طبيعيا فانه اهون ان كنت قادرا على مثل مقدوراته تعالى
لم يلتفت عليه السلام الى ابطال مقالة اللعين اذ ان ابان بطلانها من الخلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد
وان التصدى بابطالها من قبيل السعى فى تحصيل الحاصل وانى بمثال لا يجد اللعين فيه مجالا للتمويه والتلبيس
فهو عدول عن مثال الى مثال آخر لايضاح كلامه وليس انتقالا من دليل الى دليل آخر لان ذلك غير محمود فى باب
المناظرة (فبهت الذى كفر) اى صار مبهوتا ومتحيرا مدهوشا وايراد الكفر فى حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم
والتنصيص على كون المحاجة كفرا قال فى اسئلة الحكم الحكمة فى طلوع الشمس قرب القيامة من مغربها
ان ابراهيم عليه السلام قال للنمرود ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر
وان السحرة والمنجمة عن آخرهم ينكرون ذلك انه غير كائن فيطلعها الحق يوما من المغرب ليرى المنكرين قدرته
وان الشمس فى ملكه ان شاء اطلعها من المشرق او المغرب (والله لا يهدى القوم الظالمين) اى الذين ظلموا انفسهم
بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم عن قبول الهداية الى مناهج الاستدلال اى عن قبول الدلائل

القطعية الدالة على الحق دلالة واضحة بالغة فى الوضوح والقوة الى حيث جعل الخصم مبهوتا متحيرا فمن ظلم
نفسه بالامتناع عن قبول مثل هذه الدلائل لا يجعله الله مهتديا بها لان المعتبر فى دار التكليف ان يهتدى وقت
اختيارهم الكفر والظلم اى لا يخلق فيهم فعل الهداية وهم يختارون فعل الضلال ويحتمل انه لا يهدى طريق الجنة
فى الآخرة من كفر بالله فى الدنيا روى ان النمرود لما عتا عتوا كبيرا والقى ابراهيم فى النار بعد هذه المحاجة سلط
الله على قومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام والنمرود كما هو لم يصبه شئ فبعث
الله بعوضة فدخلت فى منخره فمكث اربعمائة سنة تضرب رأسه بالمطارق فعذبه الله اربعمائة سنة كما ملك
اربعمائة سنة وهو الذى بنى صرحا الى السماء ببابل فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم
(قال الشيخ العطار قدس سره) سوى او خصمى كه تير انداخته ❊ پشه كارش كفايت ساخته ❊
والاشارة ان الله تعالى اعطى النمرود ملكا ما اعطى لاحد قبله ادعى الربوبية ما ادعى بها احد قبله وذلك ان الله
اعطى الانسان حسن استعداد لطلب الكمال فمن حسن استعداده فى الطلب وغاية لطافته فى الجوهر دائم
الحركة فى طلب الكمال فحيثما توجه الكمال اخذ فى السير فيها الى اقصى مراتبها فى العلوى والسفلى فان وكل الى
نفسه فى طلب الكمال فينظر بنظر الحواس الخمس الى المحسوسات وهى الدنيا فلا يتصور الا الدنيا فلا يتصور
الكمال الا فيها فيأخذ فى السير لطلب الكمال وهذا السير موافق لسيره الطبيعى لانه خلق من تراب والتراب سفلى
الطبع فيميل الى السفليات طبعا والدنيا هى السفل فيسير فيها بقدمى الطبع وطلب الكمال ففى البداية يرى
الكمال فى جمع المال فيجمعه ثم يرى الكمال فى الجاه فيصرف المال فى طلب الجاه ثم يرى الكمال فى المناصب
والحكم ثم يرى فى الامارة والسلطنة فيسير فيها ما لم يكن مانع الى ان يملك الدنيا باسرها كما كان حال النمرود
ثم لا يسكن جوهر الانسان فى طلب الكمال بل كلما ازداد استغناؤه ازداد حرصه وكلما ازداد حرصه ازداد طلبه
الى ان لا يبقى شئ من السفليات دون ان يملكه ثم يقصد العلويات والى الآن كان ينازع ملوك الارض والآن
ينازع ملك الملوك ومالك الملك فى السموات والارض فيدعى الربوبية كالنمرود فانه كان سبب طغيانه استغناؤه قال
تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فاذا كمل استغناؤه كمل طغيانه حتى يكفر بالنعمة فهذا كله عند فساد
جوهره لما وكل الى نفسه واذا اصلح جوهره بالتربية ولم يكله الى نفسه هدى الى جهة الكمال المستعد له كقوله
اهدكم سبيل الرشاد فصاحب التربية وهو النبى او خليفته وهو الشيخ المرشد يربيه وتربيته فى تبرئته عما سوى الله
الى ان بلغ حد كماله فى طلب الكمال وهو افناء الوجود فى وجود الموجود ليكون مفقودا عن وجوده موجودا
بوجده فلما كان يقول عند فساد الجوهر وابطال حسن الاستعداد بالكمال انا احيى واميت فيقول عند صلاح
الجوهر وصرف حسن الاستعداد فى طلب الكمال ما فى الوجود سوى الله فالجديد فى بطرقة لا اله الا الله دماغ
نمرود النفس الى ان يؤمن بالله ويكفر بطاغوت وجوده ووجود كل موجود سوى الله والله لا يهدى القوم
المشركين الى عالم التوحيد والشرك ظلم عظيم فبالشرك ضل من ضل فزل عن الصراط المستقيم كذلك
فى التأويلات النجمية فعلى العاقل ان يتخلص عن الشرك الخفى ويزكى نفسه عن سفساف الاخلاق ولا يغتر
بالمال والمنال بل يرجع الى الله الملك المتعال وجدت صخرة عظيمة وعليها اسطر قد بمة فرحك بشئ من الدنيا دليل
على بعدك من الله وسكونك الى ما فى يدك دليل على قلة ثقتك الى الله ورجوعك الى الناس فى حال الشدة دليل
على انك لم تعرف الله انتهى (قال السعدى) شنيدم كه جمشيد فرخ سرشت ❊ بسر چشمه بر بسنكى نوشت ❊
برين چشمه چون ما بسى دم زدند ❊ برفتند چون چشم برهم زدند ❊ كرفتيم عالم بمردى وزور ❊ وليكن نبرديم
با خود بكور ❊ برفتند وهركس درود آنچه كشت ❊ نماند بجز نام نيكو وزشت ❊ اللهم اجعلنا
من الذين طال عمرهم وحسن عملهم وقصر املهم وكمل عقلهم (او كالذى مر على قرية) عطف على قوله الم تر
وتقديره اورأيت مثل الذى فعل كذا اى ما رأيت مثله فتعجب منه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر
للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعى الربوبية والمار هو عزير بن شرخيا والقرية
بيت المقدس على الاشهر الاظهر واشتقاقها من القرى وهو الجمع روى ان بنى اسرائيل لما بالغوا فى تعاطى
الشر والفساد سلط الله عليهم بخت نصر البابلى فسار اليهم فى ستمائة الف راية حتى وطئ الشام وخرب بيت
المقدس وجعل بنى اسرائيل اثلاثا ثلثا منهم قتلهم وثلثا منهم اقرهم بالشام وثلثا منهم سباهم وكانوا مائة الف

غلاما يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل ملك منهم اربعة غلمة وكان عزير من جملتهم
فلما نجاه الله منهم بعد حين مر بحماره على بيت المقدس فرآه على افظع مرأى واوحش منظر وذلك قوله تعالى
(وهى خاوية على عروشها) اى خالية عن اهلها او ساقطة على سقوفها بان سقطت العروش ثم الحيطان سقطت
عليها من خوت المرأة وخويت خوى اى خلا جوفها عند الولادة وخوت الدار خواء بالمد وخوى البيت خوى
بالقصر اى سقط والعرش سقف البيت ويستعمل فى كل ما هيئ ليستظل به (قال انى يحيى هذه الله بعد موتها)
اى يعمر الله تعالى هذه القرية بعد خرابها على هذا الوجه اذ ليس المراد بالقرية اهلها بل نفسها بدليل قوله
وهى خاوية على عروشها لم يقله على سبيل الشك فى القدرة بل على سبيل الاستبعاد بحسب العادة (فاماته الله)
اى جعله ميتا (مائة عام) روى انه لما دخل القرية نزل تحت ظل شجرة وهو على حمار فربط حماره وطاف
فى القرية ولم ير بها احدا فقال ما قال وكانت اشجارها قد اثمرت فتناول من فواكهها التين والعنب وشرب من
عصير العنب ونام فاماته الله فى منامه وهو شاب وكان معه شئ من التين والعنب والعصير وكانت هذه الاماتة
عبرة لا انقضاء مدة كاماتة الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وامات حماره ايضا ثم اعمى الله عن جسده
وجسد حماره ابصار الانس والسباع والطير فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله ملكا عظيما من ملوك
فارس يقال له يوشك الى بيت المقدس ليعمره ومعه الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل فجعلوا
يعمرون واهلك الله بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقى من بنى اسرآئيل وردهم الى بيت المقدس
وتراجع اليه من تفرق منهم فى الاكناف فعمروه ثلاثين سنة وكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا فلما تمت المائة
من موت العزير احياه الله تعالى وذلك قوله تعالى (ثم بعثه) من بعثت الناقة اذا اقمتها من مكانها ويوم القيامة
يسمى يوم البعث لانهم يبعثون من قبورهم وانما قال ثم بعثه ولم يقل ثم احياه لان قوله ثم بعثه يدل على انه عاد
كما كان اولا حيا عاقلا فاهما مستعدا للنظر والاستدلال فى المعارف الالهية ولو قال ثم احياه لم تحصل هذه
الفوآئد (قال) كانه قيل فماذا قال بعد بعثه فقيل قال الله تعالى او ملك مأمور من قبله تعالى (كم) يوما او وقتا
(لبثت) يا عزير ليظهر له عجزه عن الاحاطة بشؤنه تعالى وان احياءه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم انه هين
فى الجملة بل مدة طويلة وتنحسم به مادة استبعاده بالمرة ويطلع فى تضاعيفه على امر آخر من بدآئع آثار قدرته
تعالى وهو ابقاء الغذآء المتسارع الى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهرا طويلا من غير تغير ما (قال لبثت يوما
او بعض يوم) كقول الظان قاله بناء على التقريب والتخمين او استقصارا لمدة لبثه (قال) ما لبثت ذلك المقدار
(بل لبثت مائة عام) يعنى كنت ميتا هذه المدة (فانظر) لتعاين امرا آخر من دلائل قدرتنا (الى طعامك وشرابك
لم يتسنه) اى لم يتغير فى هذه المدة المتطاولة مع تداعيه الى الفساد روى انه وجد تينه وعنبه كما جنى وعصيره
كما عصر والجملة المنفية حال بغير واو من الطعام والشراب لان المضارع المنفى اذا وقع حالا يجوز ان يكون
بالواو وبدونها وافراد الضمير مع ان الظاهر ان يقال لم يتسنها اولم يتسنيا لان المذكور قبله شيأن الطعام والشراب
لجريانهما مجرى الواحد كالغذآء والهاء فى لم يتسنه ان كانت اصلية فهو من السنة التى اصلها سنهة وان كانت
هاء سكت فهو من السنة التى اصلها سنوة واستعمال لم يتسنه فى معنى لم يتغير من قبيل استعمال اللفظ فى لازم
معناه لان المعنى الاصلى لقولنا تسنه او تسنى مرت عليه السنون والاعوام ويلزمه التغير (وانظر الى حمارك)
كيف نخرت عظامه وتفرقت وتقطعت اوصاله وتمزقت ليتبين لك ما ذكر من لبثك المديد وتطمئن به نفسك
(ولنجعلك آية) كائنة (للناس) الواو استئنافية واللام متعلقة بمحذوف والتقدير فعلنا ذلك اى احياءك واحياء
حمارك وحفظ ما معك من الطعام والشراب لنجعلك آية للناس الموجودين فى هذا القرن بان يشاهدوك وانت
من اهل القرون الخالية ويأخذ وامنك ما طوى عنهم منذ احقاب من علم التوراة (وانظر الى العظام) تكرير
الامر مع ان المراد عظام الحمار ايضا لما ان المأمور به اولا هو النظر اليها من حيث دلالتها على ما ذكر من اللبث
المديد وثانيا هو النظر اليها من حيث تعتريها الحياة ومباديها اى وانظر الى عظام الحمار لتشاهد كيفية الاحياء
فى غيرك بعد ما شاهدت نفسه فى نفسك (كيف ننشزها) يقال انشزته فنشز اى رفعته فارتفع اى نرفع بعضها
من الارض الى بعض ونردها الى اماكنها من الجسد فنركبها تركيبا لائقا بها والجملة حال من العظام والعامل
فيها النظر تقديره انظر الى العظام محياة او بدل من العظام على حذف المضاف والتقدير انظر الى حال العظام

(ثم نكسوها لحما) اى نسترها به كما يستر الجسد باللباس وانما وحد اللحم مع جمع العظام لان العظام متفرقة
متعددة صورة واللحم متصل متحد مشاهدة ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما انها مما لا تقتضى الحكمة
بيانه روى انه سمع صوتا من السماء ايتها العظام البالية المتفرقة ان الله يأمرك ان ينضم بعضك الى بعض كما كان
وتكتسى لحما وجلدا فالتصق كل عظم بآخر على الوجه الذى كان عليه اولا وارتبط بعضها ببعض بالاعصاب
والعروق ثم انبسط اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم
ينهق (فلما تبين له) اى ظهر له احياء الميت عيانا (قال اعلم ان الله على كل شئ) من الاشياء التى من جملتها
ما شاهده فى نفسه وفى غيره من تعاجيب الآثار (قدير) لا يستعصى عليه امر من الامور روى انه ركب حماره
واتى محلته وانكره الناس وانكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء
مقعدة قد ادركت زمن عزير فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم واين ذكرى عزير وقد فقدناه
منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا قال فانى عزير قالت سبحان الله انى يكون ذلك قال قد اماتنى الله مائة
عام ثم بعثنى قالت ان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة فادع الله لى يرد بصرى حتى اراك فدعا ربه ومسح بين
عينيها فصحتا فاخذ بيدها فقال قومى باذن الله فقامت صحيحة كانها نشطت من عقال فنظرت اليه فقالت
اشهد انك عزير فانطلقت الى محلة بنى اسرآئيل وهم فى انديتهم وكان فى المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثمانى
عشرة سنة وبنو ابنه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انظروا فانى بدعائه رجعت الى هذه
الحالة فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابى شامة سودآء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فاذا هو
كذلك وقد كان قتل بخت نصر ببيت المقدس من قرآء التوراة اربعين الف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة
من التوراة ولا احد يعرف التوراة فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير ان يخرم منها حرفا اى ينقص ويقطع
فقال رجل من اولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر حدثنى ابى عن جدى انه دفن التوراة
يوم سبينا فى خابية فى كرم فان اريتمونى كرم جدى اخرجتها لكم فذهبوا الى كرم جده ففتشوه فوجدوها
فعارضوها بما املى عليهم عزير عليه السلام عن ظهر القلب فما اختلفا فى حرف واحد فعند ذلك قالوا عزير
ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وفى القصة تنبيه على ان الداعى اذا راعى آداب الدعاء اجيب سريعا من غير
مشقة تلحقه واذا ترك الادب لحقته المشقة وابطأت الاجابة فان ابراهيم عليه السلام لما قال رب ارنى كيف
تحيى الموتى وبدأ بالثناء ثم سأل احياء الموتى اراه الله ذلك فى غيره فانه اراه فى طيره وعجل له ذلك على فوره وعزير
قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاراه ذلك فى نفسه بعد مائة عام مضت على موته (قال السعدى) نبايد سخن
گفت ناساخته * نشايد بريدن نينداخته * والاشارة فى تحقيق الاية ان قوما انكروا حشر الاجساد
مع انهم اعتقدوا واقروا بحشر الارواح وقالوا الارواح كان تعلقها بالاجساد لاستكمالها فى عالم المحسوس
كالصبى يبعث الى المكتب ليتعلم الادب فلما حصل مقصوده من التعلم بقدر استعداده وخرج من المكتب
ودخل محفل اهل الفضل وصاحبهم سنين كثيرة واستفاد منهم انواع العلوم التى لم توجد فى المكتب الا انه استفاد
العلوم من الفضلاء بقوة ادبه الذى تعلمه فى المكتب وصار فاضلا فى العلوم فما حاجته بعد ان كبر شأنه وعظم قدره
الى ان يرجع الى المكتب وحالة صباه فكذا الارواح لما خرجت من سجن الاشباح واتصلت بالارواح المقدسة
بقوة علوم الجزئيات التى حصلتها من عالم الحس واستفادت من الارواح العلوية علم الكليات التى لم توجد فى عالم
الحس فما حاجتها الى ان ترجع الى سجن الاجساد فكانت نفوسهم تسول لهم هذه التسويلات والشيطان
يوسوسهم بمثل هذه الشبهات فالله سبحانه من كمال فضله ورحمته على عباده المخلصين امات عزيرا مائة سنة
وحماره معه ثم احياهما جميعا ليستدل به العقلاء على ان الله مهما يحيى عزيرا الروح يحيى معه حمار جسده
فلا يشك العاقل بتسويل النفس ووسوسة الشيطان وشبهات الفلسفى فى حشر الاجساد فكما ان عزير الروح
يكون فى مقعد صدق عند مليك مقتدر يكون حمار جسده فى الجنة فلعزير الروح مشرب من كؤوس تجلى
صفات الجمال والجلال عن ساقى وسقاهم ربهم شرابا طهورا ولحمار الجسد مشرب من انهار الجنات وحياض
رياض ولكم فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وقد علم كل اناس مشربهم
شربنا واهرقنا على الارض جرعة * وللارض من كاس الكرام نصيب

كذا فى التأويلات النجمية (واذ قال ابراهيم) اى اذكر وقت قوله وذكر الوقت يوجب ذكر ما وقع فى ذلك الوقت
من الحوادث بالطريق البرهانى (رب) كلمة استعطاف قدمت بين الدعاء مبالغة فى استدعاء الاجابة (ارنى
كيف تحيى الموتى) اى بصرنى كيفية احيائك للموتى بان تحييها وانا انظر اليها انما سأل ذلك ليصير علمه عيانا
وقد شرفه الله بعين اليقين بل بحق اليقين الذى هو اعلى المقامات والفرق ان علم اليقين هو المستفاد من الاخبار
وعين اليقين هو المعاينة لا مرية فيه قال تعالى فى حق الكفار ثم لترونها عين اليقين فلما دخلوا النار وباشروا
عذابها قال تعالى فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين (قال) ربه (اولم تؤمن) اى الم تعلم يقينا
ولم تؤمن بانى قادر على الاحياء باعادة التركيب والحياة قاله عزوعلا مع علمه بانه اعرف الناس بالايمان
ليظهر ايمانه لكل سامع بقوله بلى فيعلم السامعون غرضه من هذا القول وهو الوصول الى العيان (قال) ابراهيم
(بلى) علمت وآمنت بذلك (ولكن) سألت ما سألت (ليطمئن قلبى) اى ليسكن ويحصل طمأنينة بالمعاينة
فان عين اليقين يوجب الطمأنينة لا علمه فان قلت ما معنى قول على رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت
يقينا قلت ما ازددت يقينا بالايمان بها وكان اذ رأى الاخرة ابصر بها من الفضائل والهيئات مالم يحط به
قبل ذلك وكذلك ابراهيم لما رأى كيفية الاحياء وقف على مالم يقف عليه قبل (قال) ربه ان اردت ذلك
(فخذ اربعة من الطير) طاووسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى
الانسان واجمع لخواص الحيوان (فصرهن) من صاره يصوره وبكسر الصاد من صاره يصيره والمعنى واحد اى
املهن واضممهن واجمعهن (اليك) لتتأملها وتعرف اشكالها مفصلة حتى تعلم بعد الاحياء ان جزأ من اجزائها
لم ينتقل من موضعه الاول اصلا روى انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ولحومها
ويمسك رؤسها ثم امر بان يجعل اجزاءها على الجبال وذلك قوله تعالى (ثم اجعل على كل جبل) من الجبال التى
بحضرتك وكانت سبعة او اربعة فجزأها اربعة اجزاء فقال تعالى ضع على كل جبل (منهن) اى من كل الطيور
(جزأ ثم ادعهن) قل لهن تعالين باذن الله تعالى (يأتينك سعيا) اى ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا ففعل
كما امره فجعل كل جزء يطير الى آخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضمت كل جثة الى رأسها فعادت كل واحدة
الى ما كانت عليه من الهيئة وجعل ابراهيم ينظر ويتعجب (واعلم ان الله عزيز) غالب على امره لا يعجزه شئ
عما يريده (حكيم) ذو حكمة بالغة فى افاعيله فليس بناء افعاله على الاسباب العادية لعجزه عن ايجادها بطريق
آخر خارق للعادات بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح قال القشيرى طلب ابراهيم عليه السلام بهذه حياة
قلبه فاشير اليه بذبح الطيور وفى الطيور الاربعة اربعة معان هى فى النفس فى الطاووس زينة وفى الغراب امل
وفى الديك شهوة وفى البط حرص فاشار الى انه مالم يذبح نفسه بالمجاهدة لم يحى قلبه بالمشاهدة (وفى المثنوى)
حرص بط يكتاست اين پنجاه تاست * حرص شهوت مار ومنصب اژدهاست * حرص بط از شهوت
حلقست وفرج * دررياست بيست چندانيست درج * صد خورنده كنجد اندر كرد خوان * دررياست
دو نكنجد در جهان * كاغ كاغ ونعرهٔ زاغ سياه * دائما باشد بدنيا عمر خواه * همچو ابليس از خدا وپاك
فرد * تا قيامت عمر تن درخواست كرد * عمر ومرك اين هردو باحق خوش بود * بى خدا آب حيات آتش
بود * عمر خوش در قرب جان پروردنست * عمر زاغ از بهر سركين خوردنست * قال فى التأويلات
النجمية الطير الاربعة هى الصفات الاربع التى تولدت من العناصر الاربعة التى خمرت طينة الانسان منها وهى
التراب والماء والنار والهواء فتولدت من ازدواج كل عنصر مع قرينه صفتان فمن التراب وقرينه الماء تولد
الحرص والبخل وهما قرينان حيث وجد احدهما وجد قرينه ومن النار وقرينها الهواء تولد الغضب
والشهوة وهما قرينان يوجدان معا ولكل واحدة من هذه الصفات زوج خلق منها ليسكن اليها كحواء وآدم
ويتولد منها صفات اخرى فالحرص زوجه الحسد والبخل زوجه الحقد والغضب زوجه الكبر وليس للشهوة
اختصاص بزوج معين بل هى كالمعشوقة بين الصفات فيتعلق بها كل صفة وامهات متولدات يطول شرحها
فهى الابواب السبعة للدركات السبع من جهنم منها يدخل الخلق جهنم التى لها سبعة ابواب لكل باب منهم
جزء مقسوم يعنى من الخلق فمن كان الغالب عليه صفة منها فيدخل النار بذلك الباب فامر الله خليله بذبح هذه
الصفات وهى الطيور الاربعة طاووس البخل فلو لم يزين المال فى نظر البخيل كما زين الطاووس بالوانه ما بخل به

وغراب الحرص وهو من حرصه اكثر فى الطلب وديك الشهوة وهو بها معروف ونسر الغضب ونسبته اليه
لتصريفه فى الطيران فوق الطيور وهذه صفة المغضب فلما ذبح الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطعت
منه متولداتها مابقى له باب يدخل به النار فلما القى فيها بالمنجنيق قهرا صارت النار عليه بردا وسلاما
والاشارة بتقطيعها بالمبالغة ونتف ريشها وتفريق اجزائها وتخليط ريشها ودمائها ولحومها بعضها ببعض
اشارة الى محو آثار الصفات الاربع المذكورة وهدم قواعدها على يدى ابراهيم الروح بامر الشرع ونائب الحق
وهو الشيخ والامر بتقسيم اجزائها وجعلها على كل جبل جزأ فالجبال الاربعة هى النفوس التى جبل
الانسان عليها اولها النفس النامية وتسمى النفس النباتية وثانيها النفس الامارة وتسمى الروح الحيوانى
وثالثها قوة الشيطنة وتسمى الروح الطبيعى ورابعها قوة الملكية وهو الروح الانسانى فطيور الصفات لما ذبحت
وقطعت وخلطت اجزاء بعضها ببعض ووضع على كل جبل روح ونفس وقوة منها جزأ بامر الشرع تكون
بمثابة اشجار وزروع تجعل عليها الترب المخلوطة بالزبل والقاذورات باستصواب دهقان ذى بصارة فى الدهقنة
بمقدار معلوم ووقت معلوم ثم يسقيها بالماء ليتقوى الزرع بقوة الترب والزبل وتتصرف النفس النامية النباتية
فى الترب المخلوطة الميتة فتحييها باذن الله تعالى كقوله تعالى فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد
موتها فكذلك الصفات الاربع وهى الحرص والبخل والشهوة والغضب مهما كانت كل واحدة منها على حالها
غالبة على الجوهر الروحانى تكدر صفاءه وتمنعه من الرجوع الى مقامه الاصلى ووطنه الحقيقى فاذا كسرت
سطوتها ووهنت قوتها واميتت شعلتها ومحيت آثار طباعها بامر الشرع وخلطت اجزاؤها المتفرقة بعضها
ببعض ثم قسمت باربعة اجزاء وجعل كل جزء منها على جبل قوة او نفس او روح فيتقوى كل واحد من هؤلاء
بتقويتها ويتربى بتربيتها فيتصرف فيها الروح الانسانى فيحييها ويبدل تلك الظلمات التى هى من خصائص تلك
الصفات المذمومة بنور هو من خصائص الروح الانسانى والملكى فتكون تلك الصفات ميتة عن اوصافها
حية باخلاق الروحانيات انتهى كلام التأويلات (مثل) نفقات (الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله) اى
فى وجوه الخيرات من الواجب كالزكاة والنفل وقدر فى الكلام حذف لان الذين ينفقون لا يشبهون الحبة لانه
لا يشبه الحيوان بالجماد بل نفقاتهم تشبه الحبة (كمثل حبة) لزارع زرعها فى ارض عامرة والحبة واحدة الحب
وهو ما يزرع للاقتيات واكثر اطلاقه على البر (انبتت) اى اخرجت واسناد الانبات الى الحبة مجاز (سبع سنابل)
اى ساقات تتشعب منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة (فى كل سنبلة مائة حبة) كما يشاهد ذلك فى الذرة
والدخن فى الاراضى المغلة بل اكثر من ذلك (والله يضاعف) تلك المضاعفة الى ما شاء الله تعالى (لمن يشاء) ان
يضاعف له بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب الاعمال فى مقادير
الثواب (والله واسع) لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة (عليم) بنية المنفق ومقدار انفاقه وكيفية تحصيل
ما انفقه فمثل المتصدق كمثل الزارع اذا كان حاذقا فى عمله وكان البذر جيدا وكانت الارض عامرة يكون الزرع
اكثر فكذلك المتصدق اذا كان صالحا والمال طيبا ووضع فى موضعه يكون الثواب اكثر كما روى فى الحديث
عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى عليه السلام انه قال من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله
الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل وانما ذكر النبى
عليه السلام التربية فى الصدقة وان كان غيرها من العبادات يزيد ايضا بقبوله اشارة الى ان الصدقة فريضة
كانت او نافلة احوج الى تربية الله لثبوت النقيصة فيها بسبب حب الطبع الاموال وفى الحديث صدقة المؤمن
تدفع عن صاحبها آفات الدنيا وفتنة القبر وعذاب يوم القيامة وفى الحديث السخاوة شجرة اصلها فى الجنة
واغصانها متدليات فى دار الدنيا فمن تعلق بغصن منها يسوقه الى الجنة والبخل شجرة اصلها فى النار واغصانها
متدليات فى دار الدنيا فمن تعلق بغصن منها يسوقه الى النار وفى الحديث الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد
فى سبيل الله اى الكاسب لتحصيل مؤنتهما كالمجاهد لان القيام بمصالحهما انما يكون بصبر عظيم وجهاد نفس
لئيم فيكون ثوابه عظيما (وفى بستان الشيخ السعدى قدس سره) يكى از بزركان اهل تميز * حكايت كند
ز ابن عبد العزيز * كه بودش نكينى در انكشترى * فرومانده از قيمتش مشترى * بشب كفتى
آن جرم كيتى فروز * درى بود در روشنايى چو روز * قضا را در آمد يكى خشك سال * كه شد بدر

سیمای مردم هلال * جو در حرم دم آرام وقوت ندید * خود آسوده بودن مروت ندید * چو بیند کسی زهر در کام خلق * کیش بکذرد آب شیرین بحلق * بفرمود بفروختندش بسیم * که رحم آمدش بر فقیر ویتیم * بیك هفته نقدش بتاراج داد * بدرویش ومسکین ومحتاج داد * فتادند در روی ملامت کنان * که دیکر بدستت نیاید چنان * شنیدم که میکفت وباران دمع * فرو میدویدش بعارض چو شمع * که زشتست پیرایه بر شهریار * دل شهری از ناتوانی فکار * مراشاید انکشتری بی نکین * نشاید دل خلق اندوهکین * خنك انکه آسایش مرد وزن * کزیند بر آسایش خویشتن * نکردند رغبت هنر پروران * بشادئ خویش از غم دیکران *

واعلم ان الاعمال بالنیات فان قلت مامعنی قوله علیه السلام نیة المؤمن خیر من عمله قلت مورد الحدیث ان عثمان رضی الله تعالی عنه سمع رسول الله صلی الله علیه وسلم انه وعد بثواب عظیم علی حفر بئر فنوی ان یحفرها فسبق الیه کافر فحفرها فقال علیه السلام نیة المؤمن خیر من عمله ای عمل الکافر والجواب الثانی ان النیة المجردة من المؤمن خیر من عمله المجرد عن النیة لانه اذا فعل فعل الخیر بغیر نیة یکون عمله مع النیة خیرا من ذلك لکن قال بعضهم لیس فی بعض الاعمال اجر بغیر نیة کالصلاة لاتجوز بغیر نیة ولا یحتاج بعض الاعمال الی النیة کقراءة القرآن والاذکار ثم اعلم ان الانفاق علی مراتب انفاق العامة بالمال فاجرهم الجنة وانفاق الخواص اصلاح الحال بتزکیة النفس وتصفیة القلب فاجرهم یوم القیامة النظر الی وجه الله تعالی فینبغی للمؤمن ان یزکی نفسه ویصفی قلبه من حب المال بالانفاق فی سبیل الله الملك المتعال حتی ینال الشرف فی الجنات ویحترز عن البخل حتی لایکون عند الله تعالی من الخاسرین (الذین ینفقون اموالهم فی سبیل الله) ای یضعونها فی مواضعها (ثم) لاظهار علو رتبة المعطوف (لایتبعون ما انفقوا) العائد محذوف ای ما انفقوه (منا) وهو ان یعتد علی من احسن الیه باحسانه ویریه انه اوجب بذلك علیه حقا ای لایمنون علیهم بما تصدقوا بان یقول المتصدق المان اصطنعتك کذا خیرا واحسنت الیك کثیرا (ولا اذی) وهو ان یتطاول علیه بسبب انعامه علیه ای لایؤذیهم بان یقول المتصدق المؤذی انی قد اعطیتك فما شکرت او الی کم تأتینی وتؤذینی اوکم تسأل الا تستحی اوانت ابدا تجیئنی بالابرام فرج الله عنی منك وباعد ما بینی وبینك (لهم اجرهم عند ربهم) ثوابهم فی الآخرة وتخلیة الخبر عن الفاء المفیدة لسببیة ما قبلها لما بعدها للایذان بان ترتب الاجر علی ما ذکر من الانفاق وترك المن والاذی امر بین لایحتاج الی التصریح بالسببیة (ولا خوف علیهم) عما یستقبلهم من العذاب (ولاهم یحزنون) علی ما خلفوا من امور الدنیا روی ان الحسن بن علی رضی الله عنه اشتهی طعاما فباع قمیص فاطمة بستة دراهم فسأله سائل فاعطاها ثم اتی رجلا یبیع ناقة فاشتراها باجل وباعها من آخر فاراد ان یدفع الثمن الی بائعها فلم یجده فحکی القضیة الی النبی علیه السلام فقال اما السائل فرضوان واما البائع فمیکائیل واما المشتری فجبرائیل فنزل قوله تعالی الذین ینفقون اموالهم الایة قال بعض اهل التفسیر نزلت هذه الایة والتی قبلها فی عثمان وعبد الرحمن رضی الله عنهما اما عثمان فجهز جیش العسرة فی غزوة تبوك بالف بعیر باقتابها والف دینار فرفع رسول الله صلی الله علیه وسلم یده یقول یارب رضیت عنه فارض عنه واما عبد الرحمن بن عوف فتصدق بنصف ماله اربعة الاف دینار فقال عندی ثمانیة آلاف فامسکت منها لنفسی وعیالی اربعة آلاف واربعة آلاف اقرضتها ربی فقال علیه السلام بارك الله لك فیما امسکت وفیما اعطیت فهذه حال عثمان وعبد الرحمن رضی الله عنهما حیث تصدقا ولم یخطر ببالهما شیء من المن والاذی قال بعضهم المن یشبه بالنفاق والاذی یشبه بالریاء ثم قال بعضهم اذا فعل ذلك فلا اجر له وعلیه وزر فیما من وآذی علی الفقیر وقال وهب فلا اجر له ولا وزر له وقال بعضهم له اجر الصدقة ولکن ذهبت مضاعفته وعلیه الوزر بالمن واعلم ان الله تعالی نهی عباده ان یمنوا علی احد بالمعروف مع انه تعالی قد من علی عباده کما قال بل الله یمن علیکم وذلك لان الله تعالی تام الملك والقدرة وملکه وقدرته لیس بغیره والعبد وان کان فیه خصال الخیر فتلك خصاله من الله ولم یکن ذلك بقوة العبد فالعبد ناقص والناقص لایجوز له ان یمن علی احد او یمدح نفسه والمن ینقص قدر النعمة ویکدرها لان الفقیر الآخذ منکسر القلب لاجل حاجته الی صدقة غیره معترف بالید العلیا للمعطی فاذا اضاف المعطی الی ذلك اظهار ذلك الانعام زاد ذلك فی انکسار قلبه فیکون فی حکم

المضروب بعد ان نفعه وفی حکم المسیء الیه بعد ان احسن الیه (قال الحسین الکاشفی) آنچه که بدهی چو دهنده خداست * منت بیهوده نهادن خطاست * هرچه دهی می ده ومنت منه * وآنچه پشیمان شوی آن هم مده (وقال السعدی) چو انعام کردی مشو خود پرست * که من سرورم دیکران زیردست * چو بینی دعا کوی دولت هزار * خداوند را شکر نعمت کذار * که چشم از تو دارند مردم بسی * نه تو چشم داری بدست کسی * قیل ان ابراهیم علیه السلام کان له خمسة آلاف قطیع من الغنم وعلیها کلاب المواشی باطواق الذهب فتمثل له ملك فی صورة البشر وهو ینظر اغنامه فی البیداء فقال الملك سبوح قدوس رب الملائکة والروح فقال ابراهیم علیه السلام کرر ذکر ربی ولك نصف ماتری من اموالی فکرر الملك فنادی ثانیا کرر تسبیح ربی ولك جمیع ماتری من مالی فتعجب الملائکة فقالوا جدیر ان یتخذك الله خلیلا ویجعل لك فی الملل والنحل ذکرا جمیلا (وفی المثنوی) قرض ده زین دولت اندر اقرضوا * تاکه صد دولت ببینی پیش رو * اندکی زین شرب کم کن بهر خویش * تاکه حوض کوثری یابی به پیش * (وفی نوابغ الکلم) صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن واعلم ان الناس علی ثلاث طبقات الاولی الاقویاء وهم الذین انفقوا جمیع ما ملکوا وهؤلاء صدقوا فیما عاهدوا الله علیه من الحب کما فعل ابو بکر الصدیق رضی الله تعالی عنه والثانیة المتوسطون وهم الذین لم یقدروا علی اخلاء الید عن المال دفعة ولکن امسکوه لا للتنعم بل للانفاق عند ظهور محتاج الیه وقنعوا فی حق انفسهم بما یقویهم علی العبادة والثالثة الضعفاء وهم المقتصرون علی اداء الزکاة الواجبة اللهم اجعلنا من المتجردین عن غیرك والقانعین بك عما سواك (قول معروف) رد جمیل وهو ان یرد السائل بطریق جمیل حسن تقبله القلوب والطباع ولا تنکره (ومغفرة) ای ستر لما وقع من السائل من الالحاف فی المسألة وغیره مما یثقل علی المسؤول وصفح عنه (خیر من صدقة یتبعها اذی) لان من جمع بین نفع الفقیر واضراره حرم الثواب فان قالوا ای خیر فی الصدقة التی فیها اذی حتی یقال هذا خیر منه قلنا یعنی عندکم کذلك وهو کقوله تعالی قل ما عند الله خیر من اللهو ومن التجارة ای عندکم ذلك خیر لکن اعلموا ان هذا خیر لکم فی الدنیا والآخرة مما تعدونه انتم خیرا (والله غنی) عما عندکم من الصدقة لایحوج الفقراء الی تحمل مؤنة المن والاذی ویرزقهم من جهة اخری (حلیم) لایعاجل اصحاب المن والاذی بالعقوبة لا انهم لایستحقونها بسببهما وفیه من السخط والوعید لهم مالا یخفی قال فی مجالس حضرة الهدائی قدس سره وانما کان الرد الجمیل خیرا من صدقة المان والمؤذی لان القول الحسن وان کان بالرد یفرح قلب السائل ویروح روحه ونفع الصدقة لجسده وسرایة السرور لقلبه بالتبعیة من تصور النفع فاذا قارن ما ینفع الجسد بما یؤذی الروح یکدر النفع حینئذ ولا ریب ان ما یروح الروح خیر مما ینفع الجسد لان الروحانیة اوقع فی النفوس واشرف قال الشعبی من لم یر نفسه الی ثواب الصدقة احوج من الفقیر الی صدقته فقد ابطل صدقته وبالغ السلف فی الصدقة والتحرز فیها عن الریاء فانه غالب علی النفس وهو مهلك ینقلب فی القلب اذا وضع الانسان فی قبره فی صورة حیة ای یؤلم ایلام الحیة والبخل ینقلب فی صورة عقرب والمقصود فی کل انفاق الخلاص من رذیلة البخل فاذا امتزج به الریاء کان کانه جعل العقرب غذاء الحیة فتخلص من العقرب ولکن زاد فی قوة الحیة اذ کل صفة من الصفات المهلکة فی القلب انما غذاؤها وقوتها فی اجابتها الی مقتضاها ثم ان الصدقة لاتنحصر فی المال بل تجری فی کل معروف فالکلمة الطیبة والشفاعة الحسنة والاعانة فی حاجة واحد وعیادة مریض وتشییع جنازة وتطییب قلب مسلم کل ذلك صدقة * کر خیر کنی مرادیابی * در هر دو جهان کشادیابی * احسان کن وبهر توشهٔ خویش * زادی بفرست تو ین از پیش * واعلم ان الدنیا وملکها لا اعتداد لها حکی عن بعض الملوك انه حبست الریح فی بطنه حتی قرب الی الهلاك فقال کل من یزیل عنی هذا البلاء اعطیته ملکی فسمعه شخص من اهل الله فجاء ومسح یده علی بطنه فخرجت منه ریح منتنة وتعافی الملك من ساعته فقال یاسیدی اجلس علی سریر المملکة انا عزلت نفسی فقال الرجل لاحاجة الی متاع قیمته ضرطة منتنة ولکن انت اتعظ من هذا الشیء الذی اغتررت به قیمته هذا وعن الحسن قال خرج رسول الله صلی الله علیه وسلم ذات یوم علی اصحابه فقال هل منکم من یرید ان یذهب الله عنه العمی ویجعله بصیرا الا انه من رغب فی الدنیا وطال امله فیها اعمی الله قلبه علی قدر ذلك ومن زهد فی الدنیا وقصر امله اعطاه الله تعالی علما بغیر تعلم وهدی

بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة
الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر
على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى اعطاه الله تعالى ثواب خمسين صديقا
(وفى المثنوى) كاسهٔ چشم حريصان پر نشد * تا صدف قانع نشد پر در نشد (يا ايها الذين آمنوا
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) فان من فعل ذلك لا اجر له فى صدقته وعليه وزر منه على الفقير ووزر ايذائه
وقد سبق معنى المن والاذى والمراد بابطال الصدقة احباط اجرها لان الصدقة لما وقعت وتقدمت لم يمكن
ان يراد بابطالها نفسها بل المراد احباط اجرها وثوابها لان الاجر لم يحصل بعد فيصح ابطاله بما يأتيه من المن
والاذى (كالذى) المراد المنافق لان الكافر معلن كفره غير مرآئى والكاف فى محل النصب على انه صفة لمصدر
محذوف اى لا تبطلوها ابطالا كابطال المنافق الذى (ينفق ماله رئاء الناس) اى لاجل رئائهم يعنى ليقال
انه كريم لا يريد بانفاقه رضى الله ولا ثواب الآخرة ورئاء من راءى نحو قاتل قتالا ومعنى المفاعلة ههنا مبنى على
ان المرآئى فى الانفاق وحالته العجيبة (كمثل صفوان) اى حجر صاف املس وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا
فواحده صفوانة ومن جعله واحدا فجمعه صفى (عليه تراب) اى شئ يسير منه (فاصابه وابل) اى مطر شديد
الوقع كبير القطر (فتركه صلدا) املس ليس عليه شئ من الغبار (لا يقدرون) كانه قيل فماذا يكون حالهم
حينئذ فقيل لا يقدرون (على شئ مما كسبوا) اى لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله تعالى
فجعلناه هباء منثورا يقال فلان لا يقدر على درهم اى لا يجده ولا يملكه فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله
كالذى ينفق قلت اراد بالذى ينفق الجنس او الفريق الذى ينفق ولان من والذى يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق
فجمع الضمير باعتبار المعنى ولما ذكر تعالى بطلان امر الصدقة بالمن والاذى ذكر كيفية ابطال اجرها بهما مثلين
فمثله اولا بمن ينفق ماله رئاء الناس وهو مع ذلك كافر بالله واليوم الآخر فان بطلان اجر ما انفقه هذا الكافر
اظهر من بطلان اجر من يتبعها بالمن والاذى ثم مثله ثانيا بالصفوان الذى وقع عليه تراب وغبار ثم اصابه المطر
فنزل ذلك الغبار عنه حتى يصير كانه ما كان عليه تراب وغبار اصلا فالكافر كالصفوان والتراب مثل ذلك
الانفاق والوابل كالكفر الذى يحبط عمل الكافر وكالمن والاذى اللذين يحبطان عمل هذا المنفق فكما ان الوابل
ازال التراب الذى وقع على الصفوان فكذا المن والاذى يجب ان يكونا مبطلين لاجر الانفاق بعد حصوله وذلك
صريح فى القول بالاحباط والتكفير كما ذهب اليه المعتزلة القائلون بان الاعمال الصالحة توجب الثواب
وان الكبائر تحبط ذلك الثواب واما اصحابنا القائلون بان الثواب تفضل محض فانهم قالوا ليس المراد بقوله
لا تبطلوا النهى عن ازالة هذا الثواب بعد ثبوته بل المراد النهى عن ان يأتى بهذا العمل باطلا وبيانه ان المن
والاذى يخرجانه من ان يترتب عليه الاجر الموعود لان العمل انما يؤدى الى الاجر الموعود اذا اتى به العامل
تعبدا وطاعة وابتغاء لما عند الله تعالى من الاجر والرضوان وعملا بقوله تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير
تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا وبقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
فمن كان حامله على العمل ابتغاء ما عند الله مما وعده للمخلصين فقد جرى على سنن المبادلة التى وقعت بين العمل
والثواب الذى وعده الله تعالى لمن اخلص عمله لله تعالى فلما كانت معاملته فى الحقيقة مع الله تعالى لم يبق وجه
لان يمن على الفقير الذى تصدق عليه ولا لان يؤذيه بان يقول له مثلا خذه بارك الله لك فيه ومن من عليه او آذاه
فقد اعرض عن جهة المبادلة مع الله ومال الى جهة التبرع على الفقير من غير ابتغاء وجه الله واتى بعمله
من الابتداء على نعت البطلان فيكون محروما من البدل الذى وعده الله لمن اقرض الله قرضا حسنا اذ لم يقع
عمله على وجه الاقراض (والله لا يهدى القوم الكافرين) الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان كلا من الرياء والمن
والاذى من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين ان يجتنبوها روى عن بعض العلماء انه قال مثل من يعمل الطاعة
للرياء والسمعة كمثل رجل خرج الى السوق وملأ كيسه حصى فيقول الناس ما املأ كيس هذا الرجل
ولا منفعة له سوى مقالة الناس فلو اراد ان يشترى به شيأ لا يعطى به شيأ وقد بالغ السلف فى اخفاء صدقتهم عن
اعين الناس حتى طلب بعضهم فقيرا اعمى لئلا يعلم احد من المتصدق وبعضهم ربط فى ثوب الفقير نائما وبعضهم
القى فى طريق الفقير ليأخذها وبذلك يتخلص من الرياء (وفى المثنوى) كفت پيغمبر يك صاحب ريا *

صل انك لم تصل يا فتى * ازبراى چارهٔ اين خوفها * آمد اندر هر نمازى اهدنا * كين نمازم را
ميامیز اى خدا * با نماز ضالين واهل ريا * قال النبى صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك
الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء يقول الله لهم يوم يجازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذى
كنتم تراؤون لهم فانظروا هل تجدون عندهم جزاء وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اذا كان يوم القيامة
ينزل الى العباد ليقضى بينهم وكل امة جاثية فاول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل قتل فى سبيل الله ورجل
كثير المال فيقول الله للقارئ الم اعلمك ما انزلت على رسولى قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما علمت قال كنت
اقرأ آناء الليل واطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال
فلان قارئ فقد قيل ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد قال بلى
يا رب قال فما عملت فيما آتيتك قال كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول
الله بل اردت ان يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ويؤتى بالذى قتل فى سبيل الله فيقول له فيماذا قتلت فيقول
يا رب امرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله
بل اردت ان يقال فلان جرئ فقد قيل ذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك الثلاثة اول خلق الله
تسعر بهم النار يوم القيامة (قال السعدى) طريقت همينست كاهل يقين * نكوكار بودند وتقصير بين *
بروى ريا خرقه سهلست دوخت * كرش با خدا در توانى فروخت * همان به كرابستن كوهرى *
كه همچون صدف سر بخود در برى * در آوازه خواهى در اقليم فاش * برون حله كن كو درون
حشو باش * اكر مسك خالص ندارى مكوى * وكر هست خود فاش كردد ببوى * چه زنار مغ
در ميانت چه دلق * كه در پوشى از بهر پندار خلق * والاشارة فى الاية ان المعاملات اذا كانت مشوبة
بالاغراض ففيها نوع من الاعراض ومن اعرض عن الحق فقد اقبل على الباطل ومن اقبل على الباطل فقد
ابطل حقوقه فى الاعمال فماذا بعد الحق الا الضلال وقد نهينا عن ابطال اعمال البر بالاعراض عن طلب الحق
والاقبال على الباطل بقوله لا تبطلوا صدقاتكم وهى من اعمال البر بالمن اى اذا مننت بها على الفقير فقد اعرضت
عن طلب الحق لان تصدقك فى الصدقة لو كان طلب الحق لما مننت على الفقير بل كنت رهين منة الفقير حيث
كان سبب وصولك الى الحق ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لولا الفقراء لهلك الاغنياء معناه لم يجدوا وسيلة الى
الحق وقد فسر بعضهم قوله عليه السلام اليد العليا خير من اليد السفلى بان اليد العليا هى يد الفقير والسفلى يد
الغنى تعطى السفلى وتاخذ العليا والاذى هو الاقبال على الباطل لان كل شئ غير الحق فهو باطل فمن عمل عملا لله
ثم يشوبه بغرض فى الدارين فقد ابطل عمله بان يكون لله فافهم جدا كذا فى التأويلات النجمية (وفى المثنوى)
عاشقانرا شاد مانى وغم اوست * دست مزد واجرت خدمت هم اوست * غير معشوق ار تماشايى
بود * عشق نبود هرزه سودايى بود * عشق آن شعله است كو چون بر فروخت * هرچه
جز معشوق باقى جمله سوخت * فالعشق الالهى والحب الرحمانى اذا استولى على قلب العبد يقطع عنه عرق
الشركة فى الاموال والاولاد والانفس والخدمة بالاجرة لا تناسب الرجولية فان من علم ان مولاه كريم يقطع
قلبه عن ملاحظة الاجرة وتجيء اجرته اليه من ذلك الكريم على الكمال (قال الحافظ) تو بندكى چو كدايان
بشرط مزد مكن * كه دوست خود روش بنده پرورى داند * اللهم اقطع رجاءنا عن غيرك واجعلنا
من الذين لا يطلبون منك الا ذاتك (ومثل) نفقات (الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله) اى لطلب رضاه
(وتثبيتا من انفسهم) اى جعل بعض انفسهم ثابتا على الايمان والطاعة ليزول عنها رذيلة البخل وحب المال
وامساكه والامتناع عن انفاقه فان النفس وان كانت مجبولة على حب المال واستثقال الطاعات البدنية
الا انها ما عودتها تتعود (قال صاحب البردة)

والنفس كالطفل ان تهمله شب على * حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

فمتى اهملتها فقد تمرنت واعتادت الكسل والبطالة والبخل وامساك المال عن صرفه الى وجوه الطاعات
ومقتضيات الايمان ومتى كلفتها وحملتها على مشاق العبادات البدنية والمالية تتقادك وتتزكى عن عاداتها
الجبلية فمن تبعيضية كما فى قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه فان قلت كيف يكون المال بعضا من النفس

حتى تكون الطاعة بذله طاعة لبعض النفس وتثبيتا لها على الثمرة الايمانية قلت ان النفس لشدة تعلقها بالمال
كانه بعض منها فالمال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه
فقد ثبتها كلها (وفى المثنوى) دادن نان مر سخى را لايق است * دادن جان خود سخاى عاشق است *
جان دهى چون بهر حق جانت دهند * نان دهى چون بهر حق نانت دهند * آن فتوت بخش
هر بى علت است * پاكبازى خارج از هر ملت است * در شريعت مال هر كس مال اوست *
در طريقت ملك ما مملوك دوست * ويجوز ان يكون التثبيت بمعنى جعل الشئ صادقا محققا ثابتا والمعنى
تصديقا للاسلام ناشئا من اصل انفسهم وتحقيقا للجزآء فان الانفاق امارة ان الاسلام ناشئ من اصل النفس
وصميم القلب فمن لابتدآء الغاية كما فى قوله تعالى حسدا من عند انفسهم ولعل تحقيق الجزآء عبارة عن الايقان
بان العمل الصالح مما يثيب الله ويجازى عليه احسن الجزآء (كمثل جنة) بستان كائن (بربوة) مكان مرتفع
مأمون من ان يصطلمه البرد اى يفسده للطافة هوآئه بهبوب الرياح الملطفة له فان اشجار الربى تكون احسن
منظرا وازكى ثمرا واما الاراضى المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لكثافة هوآئها بركود الرياح وقال بعضهم ان
البستان اذا وقع فى موضع مرتفع من الارض لا تنفعه الانهار وتضربه الرياح كثيرا فلا يحسن ريعه الا اذا كان
على الارض المستوية التى لا تكون ربوة ولا وهدة فالمراد من الربوة حينئذ كون الارض لينة جيدة بحيث اذا
نزل المطر عليها انتفخت وربت ونمت فان الارض اذا كانت بهذه الصفة يكثر ريعها وتكمل اشجارها ويؤيد هذا
التأويل قوله تعالى وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت فان المراد من ربوها ماذكر (اصابها
وابل) اى وصل اليها مطر كبير القطر شديد الوقع (فآتت) اى اعطت صاحبها او اهلها (اكلها) ثمرتها وغلتها وهو
بضمتين الشئ المأكول ويجوز ان يكون آتت بمعنى اخرجت فيتعدى الى مفعول واحد هو اكلها (ضعفين)
اى مثلى ما كانت تثمر فى سائر الاوقات وذلك بسبب ما اصابها من الوابل قال ابن عباس حملت فى سنة من الريع
ما يحمل غيرها فى سنتين والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد فى قوله تعالى من كل زوجين اثنين ومن
فسره باربعة امثال ما كانت تثمر حمل الضعف على اصل معناه وهو مثلا الشئ فيكون ضعفين اربعة امثال
(فان لم يصبها وابل فطل) اى فطل وهو المطر الصغير القطر يكفيها لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوآئها والطل
اذا دام عمل عمل الوابل وجاز الابتدآء بالنكرة لوقوعها فى جواب الشرط وهو من جملة المسوغات للابتدآء
بالنكرة ومن كلامهم ان ذهب العير فعير فى الرباط والمعنى ان نفقات هؤلاء الذين ينفقون بسبب ما يحملهم
عليه من الابتغاء والتثبيت زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تلك النفقات تتفاوت فى زكائها بحسب
تفاوت ما ينضم اليها من احوالهم التى هى الابتغاء والتثبيت الناشئ من ينبوع الصدق والاخلاص اليها بحال
جنة نامية زاكية بسببى الربوة والوابل او الطل والجامع النمو المترتب على السبب المؤدى اليه ويجوز ان يكون
التشبيه من قبيل المفرق بان يشبه زلفاهم من الله تعالى وحسن حالهم عنده بثمرة الجنة ووجه التشبيه الزيادة
ويشبه نفقتهم الكثيرة والقليلة بالقوى من المطر والضعيف منه من حيث ان كل واحد منهما سبب لزيادة فى الجملة
لان النفقتين تزيدان حسن حالهم كما ان المطرين يزيدان ثمر الجنة (والله بما تعملون بصير) من عمل الاخلاص
والرياء لا يخفى عليه شئ وهو ترغيب فى الاخلاص مع تحذير عن الرياء ونحوه فعلى العاقل ان يعبد الله تعالى
على الاخلاص ويكون دآئما فى رجاء الخلاص عن الطاغوت الخفى وهو الشرك الخفى فان الخلاص يبتنى على
الاخلاص (قال السعدى) همينست بندت اگر بشنوى * كه گر خار كارى سمن ندروى * يعنى من
زرع الشوك لم يحصد الازهار والنبات ولا يثمر شجره السم وبالكأس الذى تسقى تشرب عصمنا الله واياكم من
ضياع العمل وكساده واختلال الاعتقاد وفساده وخالص الاعمال هو الذى تعمله لله لا تحب ان يحمدك عليه
احد واذا قارن العمل بالاخلاص يكون كنحاس طرح فيه الاكسير وجسد نفخ فيه الروح ولذا يضاعف ثوابه
وعن على ابن ابى طالب رضى الله عنه عن النبى عليه السلام ان الصدقة اذا خرجت من يد صاحبها قبل
ان تدخل فى يد السائل تتكلم بخمس كلمات اولاها تقول كنت قليلة فكثرتنى وكنت صغيرة فكبرتنى وكنت
عدوا فاحببتنى وكنت فانيا فابقيتنى وكنت محروسا الآن صرت حارسك وعن مكحول الشامى اذا تصدق
المؤمن بصدقة رضى الله عنه ونادت جهنم يارب ائذن لى بالسجود شكرا لك قد اعتقت واحدا من امة محمد من

عذابى لانى استحيى من محمد ان اعذب احدا من امته ولا بد لى من طاعتك ولفظ الصدقة اربعة احرف كل منها
اشارة الى معنى اما الصاد فالصد اى الصدقة تصد وتمنع عن صاحبها مكروه الدنيا والاخرة واما الدال فالدليل
لانها تدل صاحبها الى الجنة واما القاف فقربة الى الله تعالى واما الهاء فهداية الله تعالى (قال بعضهم) زان پيش
كه دست ساقى دهر * در جام مرارت افكند زهر * از سر بنه اين كلاه ودستار * جهدى بكن
ودلى بدست آر * كين سر همه سال با كله نيست * وين روى هميشه همچو مه نيست * فمن ساعده المال
فلينفق فى سبيل الله الملك المتعال وليشكر على غنى ومدد فلا يقطع رجاء احد وفى الحديث من قطع رجاء من
التجأ اليه قطع الله رجاءه روى ان بعض العلماء لما رأى هذا الحديث بكى بكاء شديدا وتحير رعاية لفحواه فقام وذهب
الى واحد من الصلحاء ليستفسر معنى هذا الحديث ويدفع شبهته فلما دخل عليه رأى ذلك الرجل الصالح يأخذ
بيده خبزا ويأكله الكلب من يده فسلم لكن لم يقم له كما كان يفعله قبل فلما اكل الكلب الخبز بالتمام قام ولاطف
وقال معتذرا اخذ العذر منى حيث لم اقم امتثالا لقول النبى عليه السلام من قطع رجاء الحديث وهذا الكلب
رجا منى اكل الخبز ولم اقم حتى انقطع رجاؤه فلما سمع هذا الكلام زاد تحيرا ولم يستفسر فتعجب من كرامته وقوته
فى باب الولاية واعلم ان ثمرات الاخلاص فى طلب الحق ومرضاته تكون ضعفين بالنسبة الى من ينفق ويعمل
الخيرات والطاعات لاجل الثواب الاخروى ورفعة الدرجات فى الجنان فان حظه يكون من نعيم الجنة فحسب
والمخلص فى طلب الحق يكون له ضعف من قربة الحق ودولة الوصال وشهود ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر وضعف من نعيم الجنة اوفى واوفر من ضعف طالب الجنة ونعيمها باضعاف مضاعفة
اللهم اهدنا اليك (ايود احدكم) الهمزة لانكار الوقوع كما فى قوله اضرب ابى لا لانكار الواقع كما فى قوله
اتضرب اباك اى ما كان ينبغى ان يود رجل منكم (ان تكون له جنة) كائنة (من نخيل واعناب) والجنة تطلق
على الاشجار الملتفة المتكاثفة وهو الانسب بقوله تعالى (تجرى من تحتها الانهار) اذ على كونها بمعنى الارض
المشتملة على الاشجار الملتفة لا بد من تقدير مضاف اى من تحت اشجارها (له فيها من كل الثمرات) الظرف الاول
خبر والثانى حال والثالث مبتدأ اى صفة للمبتدأ قائمة مقامه اى له رزق من كل الثمرات كما فى قوله تعالى وما منا
الا له مقام معلوم اى وما منا احد الا له الخ وليس المراد بالثمرات العموم بل انما هو التكثير كما فى قوله تعالى واوتيت
من كل شئ فان قلت كيف قال جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل والاعناب لما كانا
اكرم الشجر واكثرها نفعا خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما
على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات (و) الحال انه قد (اصابه الكبر) اى كبر السن الذى هو مظنة شدة الحاجة
الى منافعها ومئنة كمال العجز عن تدارك اسباب المعاش (وله ذرية ضعفاء) اى اصابه الكبر والحال ان له ذرية
صغارا لا يقدرون على الكسب وترتيب مبادى المعاش (فاصابها) اى تلك الجنة (اعصار) اى ريح عاصفة
تستدير فى الارض ثم تنعكس منها ساطعة الى السماء على هيئة العمود (فيه نار) شديدة (فاحترقت) فصارت
نعمها الى الذهاب واصلها الى الخراب فبقى الرجل متحيرا لا يجد ما يعود به عليها ولا قوة له ان يغرس مثلها ولا خير
فى ذريته من الاعانة لكونهم ضعفاء عاجزين عن ان يعينوه وهذا كما ترى تمثيل لحال من يفعل الافعال الحسنة
ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذآء فى الحسرة والاسف اذا كان يوم القيامة واشتدت حاجته اليها ووجدها محبطة
بحال من هذا شأنه واشبههم به من جال بسره فى عالم الملكوت وترقى بفكره الى جنات الجبروت ثم نكص على
عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا (قال الحافظ) زاهد ايمن مشو از بازى
غيرت زنهار * كه ره از صومعه تا دير مغان اين همه نيست (كذلك) اى مثل ذلك البيان الواضح الذى بين
فيما مر من الجهاد والانفاق فى سبيل الله وقصة ابراهيم وعزير وغير ذلك ايها الفريق (يبين الله لكم الايات)
اى الدلالات الواضحة فى تحقيق التوحيد وتصديق الدين (لعلكم تتفكرون) كى تتفكروا فيها وتعتبروا بما فيها
من العبر وتعملوا بموجبها قال القشيرى هذه آيات ذكرها الله على جهة ضرب المثل للمخلص والمنافق والمنفق
فى سبيل الله والمنفق فى الباطل هؤلاء يحصل لهم الخلف والشرف وهؤلاء يحصل لهم السرف والتلف وهؤلاء
ضل سعيهم وهؤلاء شكر سعيهم وهؤلاء تزكو اعمالهم وهؤلاء حبطت اعمالهم وخسرت اموالهم وختمت
بالسوء احوالهم وتضاعف عليهم وبالهم وثقل ومثل هؤلاء كالذى انبت زرعا زكا اصله وغا فضله وعلا فرعه

وكثرنفعه ومثل هؤلاء كالذى خسرت صفقته وسرقت بضاعته وضاقت على كبرسنه غلته وتواترت من كل
وجه محنته هل يستويان مثلا وهل يتقاربان شبها انتهى فلابد من اخلاص الاعمال فان الثمرات تبتنى
على الاصل وعن معاذبن جبل رضى الله عنه قال انه قال حين بعث الى اليمن يارسول الله اوصنى قال اخلص
دينك يكفك العمل القليل وعلاج الرياء على ضربين احدهما قطع عروقه واستئصال اصوله وذلك بازالة اسبابه
وتحصيل ضده واصل اسبابه حب الدنيا واللذة العاجلة وترجيحها على الاخرة والثانى دفع مايخطر من الرياء
فى الحال ودفع مايعرض منه فى اثناء العبادة فعليك فى اول كل عبادة ان تفتش قلبك وتخرج منه خواطر الرياء
وتقره على الاخلاص وتعزم عليه الى ان تتم لكن الشيطان لايتركك بل يعارضك بخضرات الرياء وهى ثلاث
مرتبة العلم باطلاع الخلق اورجاؤه ثم الرغبة فى حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم قبول النفس له والركون اليه
وعقد الضمير على تحقيقه فعليك رد كل منها (قال السعدى) قيامت كسى بينى اندر بهشت ✻
كه معنى طلب كرد دعوى بهشت ✻ كنهكاراند يشناك ازخداى ✻ بسى بهترازعابد خودنماى ✻
وفى التاتارخانية لوافتتح الصلاة خالصا لله تعالى ثم دخل فى قلبه الرياء فهو على ماافتتح والرياء انه لوخلا
عن الناس لايصلى ولوكان مع الناس يصلى فاما لوصلى مع الناس يحسنها ولوصلى وحده لايحسن فله ثواب اصل
الصلاة دون الاحسان ولايدخل الرياء فى الصوم روى عن ابى ذر الغفارى رضى عنه البارى انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ياباذر جدد السفينة فان البحر عميق واكثر الزاد فان السفر بعيد واقل من الحمولة
فان الطريق مخوف واخلص العمل فان الناقد بصير والمراد من تجديد السفينة تحقيق الايمان وتكرير التوحيد
ومن البحر هو جهنم قال تعالى ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا والمراد بالسفر سفر الاخرة والقيامة
قال تعالى فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وزاد النعيم الطاعات وزاد الجحيم السيئات والمراد بالحمولة
الذنوب والخطايا واريد باقلالها انفيهارأسا وانما كان طريق الاخرة مخوفا لان الزبانية يأخذون اصحاب
الحمل الثقيل من الطريق وليس هناك احد يعين على حمل احد وينصره وان كان من اقربائه قال تعالى وان
تدع مثقلة الى حملها لايحمل منه شئ ولوكان ذا قربى والمراد بالناقد هو الله تعالى وهو طيب لايقبل الا الطيب
الخالص عن الشرك والرياء قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا اى خالصا لوجهه تعالى
ولايشرك بعبادة ربه احدا وفى الحديث قال الله تعالى انا اغنى عن الشركاء فمن عمل لى واشرك فيه غيرى فانا برئ
منه وذكر عن وهب بن منبه انه قال امر الله تعالى ابليس ان يأتى محمدا عليه السلام ويجيبه عن كل مايسأله
فجاء على صورة شيخ وبيده عكازة فقال له من انت قال انا ابليس قال لماذا جئت قال امرنى ربى ان آتيك
واجيبك واخبرك عن كل ماتسألنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكم اعداؤك من امتى قال خمسة عشر
انت اولهم وامام عادل وغنى متواضع وتاجر صدوق وعالم متخشع ومؤمن ناصح ومؤمن رحيم القلب وثابت
على التوبة ومتورع عن الحرام ومؤمن مديم على الطهارة ومؤمن كثير الصدقة ومؤمن حسن الخلق مع الناس
ومؤمن ينفع الناس وحامل القرءآن مديم عليه وقائم الليل والناس نيام قال عليه السلام فكم رفقاؤك من امتى
قال عشر فسلطان جائر وغنى متكبر وتاجر خائن وشارب الخمر والقتات وصاحب الرياء وآكل الربا وآكل مال
اليتيم ومانع الزكاة والذى يطيل الامل وفى الحديث مامنكم من احد الاسيكلمه ربه ليس بينه وبين الله ترجمان
ولاحجاب يحجبه فينظر ايمن منه فلايرى الاما قدم وينظر اشأم منه فلايرى الاما قدم من عمله وينظر بين يديه
فلايرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا الله ولو بشق تمرة قال شيخ العلامة ابقاه الله بالسلامة قيل لى فى قلبى
احسن اخلاق المرء فى معاملته مع الحق التسليم والرضى واحسن اخلاقه فى معاملته مع الخلق العفو والسخاء
(قال السعدى) غم وشادمان نماند وليك ✻ جزاى عمل ماند ونام نيك ✻ كرم پاى دارد نه ديهيم وتخت ✻
بده كزتواين ماند اى نيكبخت ✻ مكن تكيه برملك وجاه وحشم ✻ كه پيش ازتو بودست وبعد ازتوهم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى امر المؤمنين بالانفاق ليزكى به نفوسهم عن سفساف الاخلاق وهدى العارفين الى بذل المال
والروح ليفتح لهم ابواب الفتوح والصلاة والسلام على المتخلق باخلاق مولاه سيدنا محمد الذى جاء بالشفاعة لمن
سواه وعلى آله واصحابه ممن آثر الله على ماسواه ووثق فى اجر الانفاق بربه الذى اعطاه وبعد فان العبد العليل مسمى

الذبيح اسماعيل الناصح البروسى ثم الاسكوبى اوصله الله الى غاية المقام الحبى يقول لما ابتليت بالنصح والعظة
اهتممت فى باب الموعظة فكنت التقط من التفاسير وانظم فى سلك التحرير مابه يحل عقد الايات القرءانية
والبينات الفرقانية من غير تعرض لوجوه المعانى مما يحتمله المبانى قصدا الى التكلم بقدر عقول الناس وتصديا
للاختصار الحامل على الاستئناس واضم الى كل آية ماينا سبها من الترغيب والترهيب وبعض من التأويل الذى
لايخفى على كل لبيب حتى انتهيت من سورة البقرة الى ماهنا من آيات الانفاق بعون الله الملك الخلاق فجعلت
اول هذه الاية معنونا ليكون هذا النظم مع ما يضم اليه مدونا مقطوعا عما قبله من الايات مجموعا بلطائف
العظات ومن الله استمد ان يمهلنى الى ان آخذ بهذا المنوال القرءآن العظيم واقضى هذا الوطر الجسيم واتضرع
ان يجعله منتفعا به وذخرا ليوم المعاد ونعم المسؤل والمراد (ياايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ماكسبتم)
اى من حلال ماكسبتم اوجياده لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وفسر صاحب الكشاف
الطيبات بالجياد حيث قال من طيبات ماكسبتم من جياد مكسوباتكم ذكر بعض الافاضل انما فسر الطيب
بالجيد دون الحلال لان الحل استفيد من الامر فان الانفاق من الحرام لايؤمر به ولان قوله تعالى بعده ولاتيمموا
الخبيث منه تنفقون والخبيث هو الردئ المستخبث يدل على ان المعنى انفقوا مما يستطاب من اكسابكم
(ومما) اى من طيبات ما (اخرجنا لكم من الارض) من الحبوب والثمار والمعادن (ولاتيمموا) اى لاتقصدوا
(الخبيث) اى الردئ الخسيس والخبيث نقيض الطيب ولهما جميعا ثلاثة معانى الطيب الحلال والخبيث
الحرام والطيب الطاهر والخبيث النجس والطيب مايستطيبه الطبع والخبيث مايستخبثه (منه تنفقون)
الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا اى لاتقصدوا الخبيث
قاصرين الانفاق عليه والتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة لالتسويغ انفاقه
مع الطيب عن ابن عباس رضى الله عنه انهم كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه (ولستم بآخذيه)
حال من كل حال من واو تنفقون اى تنفقون والحال انكم لاتأخذون الخبيث فى معاملاتكم فى وقت
من الاوقات او بوجه من الوجوه (الا ان تغمضوا فيه) اى الا وقت اغماضكم فيه او الا باغماضكم يعنى لوكان لكم
على رجل حق فجاء بردىء ماله بدل حقكم الطيب لاتأخذونه الا فى حال الاغماض والتساهل مخافة فوت حقكم
اولاحتياجكم اليه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع اغمض اى لاتستقص
كانك لاتبصر (واعلموا ان الله غنى) عن انفاقكم وانما يأمركم به لمنفعتكم وفى الامر بان يعلموا ذلك مع ظهور
علمهم به توبيخ لهم على مايصنعون من اعطاء الخبيث وايذان بان ذلك من آثار الجهل بشأنه تعالى فان
اعطاء مثله انما يكون عادة عند اعتقاد المعطى ان الآخذ محتاج الى مايعطيه بل مضطر اليه (حميد) مستحق
للحمد على نعمه العظام واعلم ان المتصدق كالزارع والزارع لما كان له اعتقاد بحصول الثمرة يبالغ فى الزراعة
وجودة البذر لتحققه ان جودة البذر مؤثرة لجودة الثمرة وكثرتها فكذلك المتصدق كما ازداد ايمانه بالله والبعث
والثواب والعقاب يزيد فى الصدقة وجودتها لتحققه ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت
من لدنه اجرا عظيما والعبد كما اعطى الله احب ماعنده فان الله يجازيه باحب ماعنده كما قال تعالى هل جزاء
الاحسان الا الاحسان ودلت الاية على جواز الكسب وان احسن وجوه التعيش هو التجارة والزراعة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما اكله الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وكذلك اطيب الصدقات
ماكانت من عمل اليد بقنطار زر بخش كردن زكنج ✻ نباشد چو قيراط ازدست رنج ✻ قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لايكسب عبد مالا حراما فيتصدق منه فيقبل منه فيبارك له فيه ولايتركه خلف ظهره
الا كان زاده الى النار ان الله تعالى لايمحو السيىء بالسيىء ولكن يمحو السيىء بالحسن ان الخبيث لايمحو الخبيث
ووجوه الانفاق والصدقة كثيرة قال صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يغرس غرسا اويزرع زرعا فيأكل منه
انسان اوطير اوبهيمة الا كانت له صدقة روى ان النبى صلى الله عليه وسلم حث اصحابه على الصدقة فجعل الناس
يتصدقون وكان ابوامامة الباهلى جالسا بين يدى النبى عليه السلام وهو يحرك شفتيه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انك تحرك شفتيك فماذا تقول قال انى ارى الناس يتصدقون وليس معى شئ اتصدق به فاقول
فى نفسى سبحان والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فقال صلى الله عليه وسلم هؤلاء الكلمات خير لك من مد ذهبا

تتصدق به على المساكين فعلى العاقل ان يواظب على الاذكار فى الليل والنهار ويتصدق على الفقرآء والمساكين
بخلوص النية واليقين فى كل حين * كرامت جوانمردى ونان دهيست * مقالات بيهوده طبل تهيست *
وجلس الاسكندر يوما مجلسا عاما فلم يسئل فيه حاجة فقال والله ما اعد هذا اليوم من ملكى قيل ولم ايها الملك
قال لانه لا توجد لذة الملك الا باسعاف الراغبين واغاثة الملهوفين ومكافأة المحسنين قال السرى السقطى قدس
سره فى وصف الصوفية اكلهم اكل المرضى ونومهم نوم الغرضى ومن تخليهم عن الاملاك ومفارقتهم اياها سموا
فقرآء فالصوفى ما لم يبذل ماله وروحه فى طلب الله فهو صاحب دنيا والدنيا مانعة عن الوصول فعليك بالايثار
وكمال الافتقار (الشيطان يعدكم الفقر) الوعد هو الاخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتبا على شئ من زمان
او غيره يستعمل فى الشر استعماله فى الخير قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا والمعنى ان الشيطان
يخوفكم بالفقر ويقول للرجل امسك مالك فانك اذا تصدقت به افتقرت (ويأمركم بالفحشا) اى بالخصلة الفحشاء
اى ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغرآء الآمر المأمور على فعل المأمور به والعرب تسمى البخيل فاحشا
(والله يعدكم) اى فى الانفاق (مغفرة) لذنوبكم اى مغفرة كائنة (منه) عز وجل (وفضلا) كائنا منه تعالى اى
خلفا مما انفقتم زآئدا عليه فى الدنيا وثوابا فى العقبى وفيه تكذيب للشيطان (والله واسع) قدرة وفضلا
فيحقق ما وعدكم به من المغفرة واخلاف ما تنفقونه (عليم) مبالغ فى العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم
(يؤتى الحكمة) اى مواعظ القرءآن ومعنى ايتائها تبيينها والتوفيق للعلم والعمل بها اى يبينها ويوفق للعمل بها
(من يشاء) من عباده اى يؤتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما آتاكم ما بينه فى ضمن الآى من الحكم
البالغة التى عليها يدور فلك منافعكم فاغتنموها وسارعوا الى العمل بها او الموصول مفعول اول ليؤتى قدم عليه
الثانى للعناية به (ومن يؤت الحكمة) اى يعط العلم والعمل (فقد اوتى خيرا كثيرا) اى اى خير كثير فانه قد حيز له
خير الدارين (وما يذكر) اى وما يتعظ بما اوتى من الحكمة (الا اولوا الالباب) اى العقول الخالصة من شوآئب الوهم
والركون الى متابعة الهوى فالمراد منهم الحكمآء العلماء العمال ولا يتناول كل مكلف وان كان ذا عقل لان من لا
يغلب عقله على هواه فلا ينتفع به فكانه لا عقل له قيل من اعطى علم القرءآن ينبغى ان لا يتواضع لاهل الدنيا
لاجل دنياهم لان ما اعطيه خير كثير والدنيا متاع قليل ولقوله عليه السلام القرءآن غنى لا غنى بعده والاشارة
ان الشيطان فقير يعد بالفقر ظاهرا فهو يأمر بالفحشاء حقيقة والفحشاء اسم جامع لكل سوء لان عدته بالفقر
تتضمن معانى الفحشاء وهى البخل والحرص واليأس من الحق والشك فى مواعيد الحق للخلق بالرزق والخلف
للمنفق ومضاعفة الحسنات وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه وتكذيب قول الحق ونسيان فضله وكرمه
وكفران النعمة والاعراض عن الحق والاقبال على الخلق وانقطاع الرجاء من الله تعالى وتعلق القلب بغيره
ومتابعة الشهوات وايثار الحظوظ الدنيوية وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو رأس كل خطيئة
وبذر كل بلية فمن فتح على نفسه باب وسوسته فسوف يبتلى بهذه الآفات ومن سد هذا الباب فان الله يكرمه
بانواع الكرامات ورفعة الدرجات والله واسع عليم يؤتى من اجتنب عن وساوسه الحكمة وهى من مواهبه ترد على
قلوب الانبياء والاولياء عند تجلى صفات الجلال والجمال وفناء اوصاف الخلقية بشواهد صفات الخالقية فيكاشف
الاسرار بحقائق معان اورثتها تلك الانوار سرا بسر واضمارا باضمار فحقيقة الحكمة نور من انوار صفات الحق
يؤيد الله به عقل من يشاء من عباده فهذه ليست مما تدرك بالعقول والبراهين العقلية والنقلية واما المعقولات
فهى مشتركة بين اهل الدين واهل الكفر فالمعقول ما يحكم العقل عليه ببرهان عقلى وهذا ميسر لكل
عاقل بالدراية وعالم بالقرآءة فمن صفى عقله عن شوب الوهم والخيال فيدرك عقله المعقول بالبرهان دراية عقلية
ومن لم يصف العقل عن هذه الآفات فهو يدرك المعقول قرآءة بتفهيم استاذ مرشد فاما الحكمة فليست
من هذا القبيل وما يذكر الا اولوا الالباب وهم الذين لم يقنعوا بقشور العقول الانسانية بل سعوا فى طلب لبها
بمتابعة الانبياء عليهم السلام فاخرجوهم من ظلمات قشور العقول الانسانية الى نور لب المواهب الربانية
فحقق لهم ان من لم يجعل الله له نورا فما له من نور فانتبه يا مغرور المفتون بدار الغرور فلا يغرنك بالله الغرور
(قال من قال) نكرنا قضا از كجا سير كرد * كه كورى بود تكيه بر غير كرد * فغان از بديها كه در نفس
ماست * كه ترسم شود ظن ابليس راست * قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمين الله ملأى

لايغيضها

لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ارأيتم ما انفق منذ خلق السماء والارض فانه لم يغض ما فى يمينه قال وعرشه
على الماء وبيده الاخرى القبض يرفع ويخفض فالمؤمن يتخلق باخلاق الله ويجود على الفقرآء ويدفع ما وسوس
اليه الشيطان من خوف الفقر فان الله بيده مفاتيح الارزاق وهو المعطى على الاطلاق (وما) كلمة شرط وهى
للعموم (انفقتم من نفقة) اى اى نفقة كانت فى حق او باطل فى سر او علانية قليلة او كثيرة (او نذرتم) النذر عقد
الضمير على شئ والتزامه وهو فى الشرع التزام بر له نظير فى الشرع ولهذا والنذر بسجدة مفردة لا يصح الا ان تكون
للتلاوة عند ابى حنيفة واصحابه (من نذر) اى نذر كان فى طاعة او معصية بشرط او بغير شرط متعلق بالمال
او بالافعال كالصلاة والصيام ونحوهما (فان الله يعلمه) الضمير عائد الى ما اى فانه تعالى يجازيكم عليه البتة ان خيرا
فخير وان شرا فشر فهو ترغيب وترهيب ووعد ووعيد (وما للظالمين) بالانفاق والنذر فى المعاصى او بمنع الصدقات
وعدم الوفاء بالنذور او بانفاق الخبيث او بالرياء والمن والاذى وغير ذلك مما ينتظمه معنى الظلم الذى هو عبارة
عن وضع الشئ فى غير موضعه الذى يحق ان يوضع فيه (من انصار) اى اعوان ينصرونهم من بأس الله وعقابه
لا شفاعة ولا مدافعة وايراد صيغة الجمع لمقابلة الظالمين اى وما لظالم من الظالمين من نصير من الانصار
(ان تبدوا الصدقات فنعما هى) اى ان تظهروا الصدقات فنعم شئ ابدآؤها بعد ان لم يكن رياء وسمعة وهذا
فى الصدقات المفروضة واما فى صدقة التطوع فالاخفاء افضل وهى التى اريد بقوله (وان تخفوها) اى
تعطوها خفية (وتؤتوها الفقرآء) ولعل التصريح بايتائها الفقرآء مع انه واجب فى الابدآء ايضا لما ان
الاخفاء مظنة الالتباس والاشتباه فان الغنى ربما يدعى الفقر ويقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك عند
الناس (فهو خير لكم) اى فالاخفاء خير لكم من الابدآء وكل متقبل اذا صلحت النية وهذا فى التطوع
ومن لم يعرف بالمال واما فى الواجب فبالعكس ليقتدى به كالصلاة المكتوبة فى الجماعة افضل والنافلة فى البيت
ولنفى التهمة وسوء الظن حتى اذا كان المزكى ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل خوف الظلمة عن ابن
عباس رضى الله عنه صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من
سرها بخمسة وعشرين ضعفا (و) الله (يكفر عنكم من سيئاتكم) من تبعيضية اى شيأ من سيئاتكم لانه يمحو
بعض الذنوب بالتصدق فى السر والعلانية او زآئدة على رأى الاخفش فالمعنى يمحو عنكم جميع ذنوبكم (والله
بما تعملون) من الاسرار والاعلان (خبير) فهو ترغيب فى الاسرار ذكر الامام فى ان الاسرار والاخفاء
فى صدقة التطوع افضل وجوها الاول انها ابعد من الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل من مسمع
ولا مرآئى ولا منان ولا متحدث فى صدقة لا شك انه يطلب السمعة والمعطى فى ملأ من الناس يطلب الرياء
فالاخفاء والسكوت هو المخلص منهما وقد بالغ قوم فى صدقة الاخفاء واجتهدوا ان لا يعرفهم احد فكان
بعضهم يلقيها فى يد اعمى وبعضهم يلقيها فى طريق الفقير فى موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطى وبعضهم
كان يشدها فى ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل الى يد الفقير على يد غيره وثانيها انه اذا اخفى صدقته
لم يحصل له من الناس شهرة ومدح وتعظيم فكان ذلك اشق على النفس فوجب ان يكون اكثر ثوابا وثالثها قوله
صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة جهد المقل الى فقير فى سر وقال ايضا ان العبد يعمل عملا فى السر فيكتبه
الله تعالى له سرا فان اظهره نقل من السر وكتب فى العلانية فان تحدث نقل من السر والعلانية وكتب فى الرياء
وفى الحديث سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عدل وشاب نشأ بعبادة الله تعالى ورجل قلبه
معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل ذكر الله خاليا
ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال انى اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى
لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب الرب واما الوجه فى جواز اظهار
الصدقة فهو ان الانسان اذا علم انه اذا اظهرها صار فى ذلك سببا لاقتدآء الخلق به فالاظهار افضل قال محمد
ابن على الحكيم الترمذى ان الانسان اذا اتى بعمله وهو يخفيه عن الخلق وفى نفسه شهوة ان يرى الخلق منه ذلك
وهو يدفع تلك الشهوة فههنا الشيطان يردد عليه رؤية الخلق والقلب ينكر ذلك ويدفعه فهذا الانسان
فى محاربة الشيطان فضوعف العمل فى السر سبعين ضعفا على العلانية ثم ان تقرب العبد الى الله انما يكون
بفرض اوجبه الله عليه او بنفل اوجبه العبد على نفسه فعلى كلا التقديرين ان الله عليم بهما فيجازى العبد بهما

كما قال فى حديث ربانى لن يتقرب الىّ المتقربون بمثل ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الىّ بالنوافل حتى
احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق وبى يبطش ولكن الشأن
اخلاص العمل لله من غير شوبه بعلة دنيوية واخروية فانها شرك والشرك ظلم عظيم فلا بد من الاجتناب
جورويى بخدمت نهى برزمين * خدارا نكوى وخودرا مبين * فاخفاء الصدقة اشارة فى الحقيقة
الى تخليصها عن شوب الحظوظ النفسانية لتكون خالصة لله فصاحبها يكون فى ظل الله كما قال عليه السلام
المرء يكون فى ظل صدقته يوم القيامة يعنى ان كانت صدقته لله فيكون فى ظل الله وان كانت صدقته للجنة
فيكون فى ظل الجنة وان كانت صدقته للهوى فيكون فى ظل هاوية فافهم جدا * رطب ناورد چوب خر
زهره بار * چه تخم افكنى برهمان چشم دار (ليس عليك هداهم) اى لا يجب عليك يا محمد ان تجعلهم
مهديين الى الاتيان بما امروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وانما الواجب عليك
الارشاد الى الخير والحث عليه والنهى عن الشر والردع عنه بما اوحى اليك من الايات والذكر الحكيم والخطاب
خاص والمراد عام يتناول كل اهل الاسلام (ولكن الله يهدى) هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما
(من يشاء) هدايته الى ذلك ممن يتذكر بما ذكر ويتبع ويختار الخير فهدى التوفيق على الله وهدى البيان على
النبى صلى الله عليه وسلم وقيل لما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن التصدق
على المشركين كى تحملهم الحاجة على الدخول فى الاسلام فنزلت اى ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم
الصدقة لاجل دخولهم فى الاسلام وفيه ايماء الى ان الكفر لا يمنع صدقة التطوع واختلف فى الواجب فجوزه
ابو حنيفة وابى غيره (وما تنفقوا من خير) اى اى شئ تتصدقوا كائن من مال (فلانفسكم) اى فهو لانفسكم
لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث او فنفعه الدينى لكم لا لغيركم من
الفقراء حتى تمنعوه ممن لا ينتفع به من حيث الدين من فقراء المشركين وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله
لكان لك ثواب نفقتك (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) استثناء من اعم العلل او اعم الاحوال اى ليست
نفقتكم لشئ من الاشياء الا لابتغاء وجه الله او ليست فى حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله فما بالكم
تمنون بها وتنفقون الخبيث الذى لا يوجه مثله الى الله (وما تنفقوا) اى اى شئ تنفقوا (من خير) فى اهل الذمة
وغيرهم (يوف اليكم) اى يوفر لكم اجره وثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم فى ان ترغبوا عن انفاقه على
احسن الوجوه واجملها (وانتم لا تظلمون) اى لا تنقصون شيأ مما وعدتم من الثواب المضاعف (للفقراء) اى
اجعلوا ما تنفقونه للفقراء (الذين احصروا فى سبيل الله) اى حبسوا نفوسهم فى طاعته من الغزو والجهاد
(لا يستطيعون) لاشتغالهم به (ضربا فى الارض) اى ذهابا فيها وسيرا فى البلاد للكسب والتجارة وقيل هم اصحاب
الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجرى قريش لم يكن لهم مساكن فى المدينة ولا عشائر فكانوا
فى صفة المسجد وهى سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون فى كل سرية
بعثها رسول الله فكان من عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس رضى الله عنه وقف رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوما على اصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن لقى
من امتى على النعت الذى انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائى (يحسبهم الجاهل) اى يظنهم الجاهل بحالهم
وشأنهم (اغنياء من التعفف) اى من اجل تعففهم عن المسألة وهو ترك الطلب ومنع النفس عن المراد بالتكلف
استغناء (تعرفهم) اى تعرف فقرهم واضطرارهم (بسيماهم) اى بما تعاين منهم من الضعف ورثاثة الحال
والسيما والسيماء العلامة التى تعرف بها الشئ (لا يسألون الناس الحافا) مفعول له ففيه نفى السؤال والالحاف
جميعا اى لا يسألون الناس اصلا فيكون الحافا والالحاف الالزام والالحاح وهو ان يلازم السائل المسؤل حتى
يعطيه ويجوز السؤال عند الحاجة والاثم مرفوع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يأخذ احدكم حبله
فيذهب فيأتى بحزمة حطب على ظهره فيكف بها وجهه خير له من ان يسأل الناس اشياءهم اعطوه او منعوه
وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيى الحليم المتعفف ويبغض البذى السائل الملحف (وما تنفقوا
من خير فان الله به عليم) فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو ترغيب فى التصدق لا سيما على هؤلاء ثم زاد التحريض
عليه بقوله (الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) اى يعمون الاوقات والاحوال بالخير

والصدقة فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت فى شأن
الصديق رضى الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة آلاف منها بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سرا
وعشرة علانية (فلهم اجرهم) اى ثوابهم حاضر (عند ربهم ولا خوف عليهم) من مكروه آت (ولا هم يحزنون)
من محبوب فات واعلم ان الانفاق على سادة اختاروا الفقر على الغنى محبة لله واقتداء بسنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم حرفة فانه صلى الله عليه وسلم كان يقول لى حرفتان الفقر والجهاد اولى وهم احق بها والعبد اذا انفق
من كل معاملة فيها خير من المال او الجاه او خدمة النفس او اعزاز او اكرام او اعظام او ارادة بالقلب حتى
السلام على هؤلاء السادة استحقاقا واجلالا لا استخفافا واذلالا فان الله به عليم فان تقرب اليه فى الانفاق
بشبر يتقرب هو اليه فى المجازاة بذراع وان تقرب بذراع يتقرب اليه بباع فلا نهاية لفضله ولا غاية لكرمه فطوبى
لمن ترك الدنيا بطيب القلب واختار الله على كل شئ ومن كان لله كان الله له روى ان حسن ستة اشياء فى ستة
العلم والعدل والسخاوة والتوبة والصبر والحياء العلم فى العمل والعدل فى السلطان والسخاوة فى الاغنياء
والتوبة فى الشباب والصبر فى الفقر والحياء فى النساء العلم بلا عمل كبيت بلا سقف والسلطان بلا عدل كبئر
بلا ماء والغنى بلا سخاوة كسحاب بلا مطر والشباب بلا توبة كشجر بلا ثمر والفقر بلا صبر كقنديل بلا ضياء
والنساء بلا حياء كطعام بلا ملح فعلى الغنى ان يمطر من سحاب غنى بركات الدين والدنيا ويتسبب لاحياء
قلوب ماتت بالفقر والاحتياج فان الله لا يضيع اجر المحسنين * پسنديده رأيى كه بخشيد وخورد * جهان
از پى خويشتن كرد كرد * يعنى ان الذى له رأى صائب هو الذى تمتع بماله وانعم وجمع الدنيا لاجله لا لغيره
فان من جمع مالا ولم يأكل منه ولم يعط فهو جامع لغيره فى الحقيقة اذ هو لوارثه بعده (الذين يأكلون الربوا) اى
يأخذونه وعبر عنه بالاكل لانه معظم المقصود من المال ولشيوعه فى المطعومات والربا فضل فى الكيل والوزن
خال عن العوض عند ابى حنيفة واصحابه ويجرى فى الاشياء الستة الذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر
والملح وكتب بالواو تنبيها على اصله لانه من ربا يربو وزيدت الالف تشبيها بواو الجمع (لا يقومون) اى من قبورهم
اذا بعثوا (الا كما يقوم) اى الا قياما مثل قيام (الذى يتخبطه) اى يضربه ويصرعه (الشيطان من المس)
اى الجنون متعلق بلا يقومون يعنى لا يقومون من المس الذى بهم الا كقيام المصروع المختل اى فاسد العقل
ويكون ذلك سيماهم يعرفون به عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا اكلة الربا
فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربا فارباه الله تعالى فى بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون
على الايفاض (ذلك) اى العذاب النازل بهم (بانهم قالوا) اى بسبب قولهم (انما البيع مثل الربوا) فنظموا الربا
والبيع فى سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع
ما قيمته درهم بدرهمين وحق الكلام ان يقال انما الربا مثل البيع الا انه على المبالغة اى اعتقدوه
حلالا حتى ظنوا انه اصل وقالوا انما البيع مثل الربا فلم لا يحل فان الزيادة فى اوله كما هى فى آخره روى ان اهل
الجاهلية كان احدهم اذا حل ماله على غريمه فطالبه به يقول الغريم لصاحب الاجل زدنى شيأ فى الاجل حتى
ازيدك فى المال فيفعلان ذلك ويقولان سواء علينا الزيادة فى اول البيع بالربح او عند المحل لاجل التأخير
فكذبهم الله وقال (واحل الله البيع وحرم الربوا) اى كيف يتماثلان والبيع محلل بتحليل الله والربا محرم بتحريم
الله تعالى (فمن جاءه موعظة) اى فمن بلغه وعظ وزجر كالنهى عن الربا (من ربه فانتهى) اى فاتعظ بلا تراخ
وتبع النهى (فله ما سلف) اى مضى من ذنبه فلا يؤاخذ به لانه اخذ قبل نزول التحريم وجعل ملكا له ولا يسترد
منه (وامره الى الله) يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم فى شأنه يوم القيامة
وليس من امره اليكم شئ فلا تطالبوه به (ومن عاد) الى الربا مستحلا بعد النهى كما استحل قبله (فاولئك) اشارة
الى من باعتبار المعنى (اصحاب النار) اى ملازموها (هم فيها خالدون) ماكثون ابدا (يمحق الله الربوا) المحق
نقصان الشئ حالا بعد حال حتى يذهب كله كما فى محاق الشهر وهو حال آخذ الربا فان الله يذهب بركته ويهلك
المال الذى يدخل فيه ولا ينتفع به ولده بعده (ويربى الصدقات) يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذى
اخرجت منه الصدقة روى عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربى احدكم مهره وعنه ايضا
ما نقصت زكاة من مال قط (والله لا يحب) اى لا يرضى لان الحب مختص بالتوابين (كل كفار) مصر على

تحليل المحرمات (اثيم) منهمك فى ارتكابها (ان الذين آمنوا) بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به
(وعملوا الصالحات) اى الطاعات (واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) تخصيصهما بالذكر من اندراجهما
فى الصالحات لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة (لهم اجرهم) الموعود لهم حال كونه (عند ربهم ولا خوف
عليهم) من مكروه آت (ولاهم يحزنون) من محبوب فات واعلم ان آكل الربا لحرصه على الدنيا مثله كمثل من به
جوع الكلب فيأكل ولا يشبع حتى ينتفخ بطنه ويثقل عليه فكلما يقوم يصرعه ثقل بطنه فكذا حال اهل
الربا يوم القيامة (ونعم ماقيل) تو ان بحلق فروبردن استخوان درشت * ولى شكم بدرد چون بكيرد اندر
ناف * فالعاقل لا يأكل مالا يتحمله فى الدنيا والاخرة فطوبى لمن يقتصد فى اخذ الدنيا ولا يحمله الحرص على
اخذها بغير حقها فهو ينجو من وبالها وهو مثل التاجر الذى يكسب المال بطريق البيع والشراء ويؤدى
حقه وان كان له حرص فى الطلب والجمع ولكن لما كان بامر الشرع وطريق الحل ولا يمنع ذا الحق حقه ما ضربه
كما ضر باكل الربا روى ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الدم وكسب البغى ولعن آكل الربا وموكله
وكاتبه وشاهديه والواشمة والمستوشمة والمصور وقال عليه السلام الربا بضع وسبعون بابا ادناها كاتيان الرجل
امه يعنى كالزنى بامه والعياذ بالله فمن سمع هذا القول العظيم فليبادر بالتوبة الى باب المولى الكريم ذلك لمن كان
له قلب او القى السمع وهو شهيد ومن اقرض شيأ بشرط ان يرد عليه افضل فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر
منفعة فهو ربا وكان لابى حنيفة رحمه الله على رجل الف درهم سود فرد عليه الف درهم بيض فقال ابو حنيفة
لا اريد هذا الابيض من درهمى فاخاف ان يكون هذا البياض ربا فرده واخذ مثل دراهمه قال ابو بكر لقيت
اباحنيفة على باب رجل وكان يقرع الباب ثم يتنحى ويقوم فى الشمس فسألته عنه فقال ان لى على صاحبه دينا
وقد نهى عن قرض جر منفعة فلا انتفع بظل حائطه ومنه يقرب ماروى عن ابى يزيد البسطامى قدس سره من انه
اشترى من همدان حب القرطم ففضل منه شئ فلما رجع الى بسطام رأى فيه نملتين فرجع الى همدان ووضع
النملتين فهذا هو الورع وكمال التقوى ومثل هذا لا يوجد فى هذا الزمان وان وجد فاقل من القليل واكثر
الناس ولو كانوا صوفية لا يفرقون بين الحلال والحرام والشبهات ولذا ترى امر الدين صار مهملا وعاد غريبا
هدانا الله واياكم الى سواء الطريق انه ولى التوفيق (قال جلال الدين الرومى) اى زخودت بى وقوف لاف
ترا بوف بوف * فضل نجشد تراجبه ودستار وصوف (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) اى قوا انفسكم
عقابه (وذروا ما بقى من الربوا) اى واتركوا تركا كليا ما بقى لكم غير مقبوض من مال الربا على من عاملتموه به
(ان كنتم مؤمنين) على الحقيقة فان ذلك مستلزم لامتثال ما امرتم به البتة روى انه كان لثقيف مال على
بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربا فنزلت (فان لم تفعلوا) اى ما امرتم به من الاتقاء وترك البقايا اما
مع انكار حرمته واما مع الاعتراف بها (فأذنوا) اى فاعلموا من اذن بالامر اذا علم به (بحرب) اى بنوع من الحرب
عظيم لا يقادر قدره كائن (من) عند (الله ورسوله) وحرب الله حرب ناره اى بعذاب من عنده وحرب رسوله
نار حربه اى القتال والفتنة فلما نزلت قالت ثقيف لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله (وان تبتم) من الارتباء مع
الايمان بحرمته بعدما سمعتموه من الوعيد (فلكم رؤس اموالكم) تأخذونها كملا (لا تظلمون) غرماءكم باخذ
الزيادة (ولا تظلمون) انتم من قبلهم بالمطل والنقص عن رأس المال هذا هو الحكم اذا تاب ومن لم يتب من المؤمنين
واصر على عمل الربا فان لم يكن ذا شوكة عزر وحبس الى ان يتوب وان كان ذا شوكة حاربه الامام كما يحارب
الباغية كما حارب ابو بكر رضى الله عنه مانع الزكاة وكذا القول لو اجتمعوا على ترك الاذان او ترك دفن الموتى
(وان كان ذو عسرة) اى وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة وهى بالاعدام او كساد المتاع (فنظرة) اى
فالحكم نظرة وهى من الانظار والامهال (الى ميسرة) اى الى يسار (وان تصدقوا) اى وتصدقكم باسقاط الدين
كله عمن اعسر من الغرماء او بالتأخير والانظار (خير لكم) اى اكثر ثوابا (ان كنتم تعلمون) جوابه محذوف اى ان
كنتم تعلمون انه خير لكم عملتموه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل
يوم صدقة وقال صلى الله عليه وسلم من انظر معسرا او وضع له انجاه الله من كرب يوم القيامة وفى القرض
والادانة فضائل كثيرة روى ان امامة الباهلى رضى الله عنه رأى فى المنام على باب الجنة مكتوبا القرض بثمانية
عشر امثاله والصدقة بعشر امثالها فقيل ولم هذا فاجيب بان الصدقة ربما وقعت فى يد غنى وان صاحب

القرض لا يأتيك الا وهو محتاج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن يوم القيامة مع ايمان
دخل من اى ابواب الجنة شاء وزوج من حور العين كم شاء من عفا عن قاتل وقرأ دبر كل صلاة مكتوبة قل هو الله
احد عشر مرات ومن ادان دينا لمن يطلب منه فقال ابو بكر الصديق او احداهن يا رسول الله قال او احداهن
واعلم ان الاستدانة فى احوال ثلاث فى ضعف قوته فى سبيل الله وفى تكفين فقير مات عن قلة وفقر
وفى نكاح يطلب به العفة عن فتنة العزوبة فيستدين متوكلا على الله فالله تعالى يفتح ابواب اسباب القضاء قال
صلى الله عليه وسلم من ادان دينا وهو ينوى قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه وكان
جماعة السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر اليه ولو قبل وقته وعن
النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام الشهادة تكفر كل شئ الا الدين يا محمد ثلاثا فعلى العاقل
ان يقضى ما عليه من الديون ويخاف من وبال سوء نيته يوم يبعثون وهذا حال من ادى القرض فانه يهون عليه
ان يؤدى القرض واما المرتكب وتارك القرآن فلا يبالى بالقرآن فكيف بالديون والاقراض ولذا قيل
وام شمده انكه بى نماز ست * ورخود دهنش زفاقه باز ست * كو فرض خدا نمى كزارد *
از قرض تو نيز غم ندارد * واحوال هذا الزمان مختلفة كما خوانه فطوبى لمن تمسك بالقناعة فى زمانه
ومن شرط المؤمن الحقيقى اتقاؤه بالله فى ترك زيادات لا يحتاج اليها فى امر الدين بل تكون شاغلة له عن الترقى
فى مراتب الدين كما قال عليه السلام من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه (واتقوا يوما) نصب ظرفا تقديره
واتقوا عذاب الله يوما او مفعولا به كقوله فكيف تتقون ان كفرتم يوما اى كيف تتقون هذا اليوم الذى هذا
وصفه مع الكفر بالله (ترجعون فيه) على البناء للمفعول من الرجع اى تصيرون فيه (الى الله) لمحاسبة اعمالكم
(ثم توفى كل نفس) من النفوس اى تعطى كملا (ما كسبت) اى جزاء ما عملت من خير او شر (وهم لا يظلمون)
اى لا ينقصون من ثوابهم ولا يزادون على عقابهم وهو حال من كل نفس تفيد ان المعاقبين وان كانت
عقوباتهم مؤبدة غير مظلومين فى ذلك لما انه من قبل انفسهم وعن ابن عباس رضى الله عنه هذه آخر آية نزلت
ولقى رسول الله ربه بعدها بسبعة او تسعة ايام او احد وعشرين او احد وثمانين يوما او ثلاث ساعات وقال له
جبريل عليه السلام ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة فجعلت بين آية الدين وآية الربا
تأكيدا للزجر عن الربا روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين ودخل المدينة
يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين وكان مريضا ثمانية عشر يوما يعوده الناس وكان آخر ما يقول صلى الله عليه وسلم
الصلاة وما ملكت ايمانكم الصلاة فانا لله وانا اليه راجعون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصيب
بمصيبة فليذكر مصيبته بى فانها اعظم المصائب وقال عليه السلام من كان له فرطان من امتى ادخله الله
بهما الجنة فقالت له عائشة رضى الله عنها فمن كان له فرط من امتك قال ومن كان له فرط يا موفقة قالت فمن لم
يكن له فرط من امتك قال انا فرط لامتى لن يصابوا بمثلى قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت
حياته ومماته رحمة قال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بامة رحمة قبض نبيها قبلها فجعله سلفا وفرطا لها ورثاه
صلى الله عليه وسلم بعض الانصار فقال الصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم
واعلم ان الله تعالى جمع فى هذه الاية خلاصة ما انزله فى القرآن وجعلها خاتم الوحى والانزال كما انه جمع خلاصة
ما انزل من الكتب على الانبياء فى القرآن وجعله خاتم الكتب كما ان النبى عليه السلام خاتم الانبياء عليهم السلام
وقد جمع فيه اخلاق الانبياء فاعلم ان خلاصة جميع الكتب المنزلة وفائدتها بالنسبة الى الانسان عائدة
الى معنيين احدهما نجاته من الدركات السفلى وثانيهما فوزه بالدرجات العليا فنجاته فى خروجه عن الدركات
السفلى وهى سبعة الكفر والشرك والجهل والمعاصى والاخلاق المذمومة وحجب الاوصاف وحجاب النفس
وفوزه فى ترقيه على الدرجات العليا وهى ثمانية المعرفة لله والتوحيد لله والعلم والطاعات والاخلاق الحميدة
وجذبات الحق والفناء عن انانيته والبقاء بهويته فهذه الاية تشير الى مجموعها اجمالا فقوله تعالى واتقوا هى لفظة
شاملة لما يتعلق بالسعى الانسانى من هذه المعانى لان حقيقة التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله ومباشرة
ما يقربك اليه دليله قول النبى عليه السلام جماع التقوى قول الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الاية
فيندرج تحت التقوى على هذا المعنى الخروج عن الدركات السفلى والترقى على الدرجات العليا فتقوى العوام

الخروج عن الكفر بالمعرفة وعن الشرك بالتوحيد وعن الجهل بالعلم وعن المعاصى بالطاعات وعن الاخلاق
المذمومة بالاخلاق المحمودة وههنا ينتهى سير العوام لان نهاية كسب الانسان وغاية جهد المجتهدين فى اقامة
شرائط جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فمن ههنا تقوى الخواص المجذوبين بجذبات لنهدينهم سبلنا فتخرجهم الجذبة
من حجب اوصافهم الى درجة تجلى صفات الحق فههنا ينقضى سلوك الخواص فيستظلون بظل سدرة المنتهى
عندها جنة المأوى فينتفعون من مواهب اذ يغشى السدرة ما يغشى واما تقوى خاص الخواص فبجذبة
رفرف العناية بجذب ما زاغ البصر وما طغى من سدرة منتهى الاوصاف الى قاب قوسين نهاية حجب النفس وبداية
انوار القدس فههنا لمن عرف نفسه فقد عرف ربه فبالتقوى الحقيقية يجد الايمان الحقيقى فمعنى واتقوا جاهدوا
فينا بجهدكم وطاقتكم يوما يعنى ليوم فيه لنهدينكم بجذبات العناية ترجعون الى الله اشار بلفظ الرجوع اليه
ليعلم ان الشروع كان منه هدانا الله واياكم الى مقام الجمع واليقين وشرفنا بلطائف التحقيق والتمكين انه نصير
ومعين يصيب برحمته من يشاء من عباده الصالحين (يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين) اى اذا داين بعضكم
بعضا وعامله نسيئة معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون التداين
بمعنى المجازاة والتنبيه على تنوعه الى الحال والمؤجل وانه الباعث على الكتب وتعيين المرجع للضمير المنصوب
المتصل بالامر وهو فاكتبوه (الى اجل) متعلق بتداينتم (مسمى) بالايام او الاشهر او السنة وغيرها مما يفيد العلم
ويرفع الجهالة لا بالحصاد والدياس وقدوم الحاج مما لا يرفعها (فاكتبوه) اى الدين باجله لانه اوثق وادفع للنزاع
والجمهور على استحبابه (وليكتب بينكم كاتب) بيان لكيفية الكتابة المأمور بها وتعيين لمن يتولاها اثر الامر بها
اجمالا وقوله بينكم للايذان بان الكاتب ينبغى ان يتوسط بين المتداينين ويكتب كلامهما ولا يكتفى بكلام
احدهما (بالعدل) اى كاتب كائن بالعدل اى وليكن المتصدى للكتابة من شأنه ان يكتب بالتسوية من غير ميل
الى احد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين يجيء كتابه موثقا به معدلا
بالشرع (ولا يأب كاتب) اى لا يمتنع احد من الكتاب (ان يكتب) كتاب الدين (كما علمه الله) على طريقة ما علمه
الله من كتب الوثائق (فليكتب) تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهى عن اباءتها تأكيدا لها (وليملل الذى عليه
الحق) الاملال هو الاملاء وهو القاء المعنى على الكاتب للكتابة اى ليكن الممل اى مورد المعنى على الكاتب من
عليه الحق اى الدين لانه المشهود عليه فلا بد ان يكون هو المقر (وليتق الله ربه) جمع بين الاسم الجليل والنعت
الجميل للمبالغة فى التحذير اى وليتق المملى دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى (ولا يبخس منه) اى من الحق الذى
عليه على الكاتب (شيأ) فانه هو الذى يتوقع منه البخس خاصة واما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه
البخس وانما شدد فى تكليف المملى حيث جمع فيه بين الامر بالاتقاء والنهى عن البخس لما فيه من الدواعى الى
المنهى عنه فان الانسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف ما فى ذمته (فان كان الذى عليه الحق سفيها)
ناقص العقل مبذرا مجازفا (او ضعيفا) صبيا او شيخا مختلا (او لا يستطيع ان يمل هو) اى غير مستطيع للاملاء
بنفسه لخرس او عى او جهل او غير ذلك من العوارض (فليملل وليه) اى الذى يلى امره ويقوم مقامه من قيم
او وكيل او مترجم (بالعدل) اى من غير نقص ولا زيادة (واستشهدوا شهيدين) اى اطلبوهما ليتحملا الشهادة على
ما جرى بينكما من المداينة وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف منزلة الكائن (من رجالكم) متعلق باستشهدوا اى
من اهل دينكم يعنى من الاحرار البالغين المسلمين اذ الكلام فى معاملاتهم فان خطابات الشرع لا تنتظم العبيد
بطريق العبارة واما اذا كانت المداينة بين الكفرة او كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد الكافر عندنا
(فان لم يكونا) اى الشهيدان جميعا على طريقة نفى الشمول لا شمول النفى (رجلين) اما لاعوازهما او لسبب آخر
من الاسباب (فرجل وامرأتان) اى فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال فى الاموال جائزة
بالاجماع دون الحدود والقصاص فلا بد فيهما من الرجال (ممن ترضون) متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل
وامرأتان اى كائنون مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره فى كل شهيد لقلة
اتصاف النساء به (من الشهداء) متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المحذوف الراجع الى الموصول اى ممن
ترضونهم كائنين من بعض الشهداء لعلمكم بعد التهم وثقتكم به وادراج النساء فى الشهداء بطريق التغليب (ان
تضل احداهما) اى احدى المرأتين الشاهدتين (فتذكر احداهما الاخرى) وهذا تعليل لاعتبار العدد

فى النساء والعلة فى الحقيقة هى التذكير ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته كما فى قولك اعتددت السلاح
ان يجيء عدو فادفعه فالاعداد للدفع لا لمجيء العدو ولكن قدم عليه المجيء لانه سببه كانه قيل لاجل ان تذكر
احداهما الاخرى ان ضلت الشهادة بان نسيت ثم حث الشهداء على اقامة الشهادة بقوله (ولا يأب الشهداء
اذا ما دعوا) لاداء الشهادة او لتحملها وما مزيدة (ولا تسأموا) اى لا تملوا من كثرة مداينتكم (ان تكتبوه) اى
من ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب (صغيرا او كبيرا) حال من الضمير اى حال كونه صغيرا او كبيرا
اى قليلا او كثيرا او مجملا او مفصلا (الى اجله) متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء فى تكتبوه اى مستقرا فى الذمة
الى وقت حلوله الذى اقر به المديون (ذلكم) اى كتب الحق الى اجله ايها المؤمنون (اقسط) اى اعدل (عند الله)
اى فى حكمه تعالى (واقوم للشهادة) اى اثبت لها واعون على اقامتها (وادنى ان لا ترتابوا) اى اقرب الى انتفاء
ريبكم فى جنس الدين وقدره واجله وشهوده ونحو ذلك (الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم) استثناء
منقطع من الامر بالكتابة اى لكن وقت كون تداينكم او تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها
بينكم بتعاطيها يدا بيد (فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها) اى فلا بأس بان لا تكتبوها لبعده عن التنازع
والنسيان (واشهدوا اذا تبايعتم) اى هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر الواردة فى الاية الكريمة للندب
عند الجمهور (ولا يضار) يحتمل البناء على الفاعل وعلى المفعول فعلى الاول نهى للكاتب عن ترك الاجابة
الى ما يطلب منه وعن التحريف والزيادة والنقصان اى لا يمتنع (كاتب) عن الكتابة المقصودة (ولا شهيد)
اى ولا يمتنع الشاهد عن اقامة الشهادة المعلومة وعلى الثانى النهى عن الضرار بالكاتب والشاهد اى لا يوصل
احد مضرة للكاتب والشهيد اذا كانا مشغولين بما يهمهما ويوجد غيرهما فلا يضاران بابطال شغلهما
وقد يكون اضرار الكاتب والشهيد بان لا يعطى حقهما من الجعل فيكون النهى عن ذلك (وان تفعلوا)
ما نهيتم عنه من الضرار (فانه) اى فعلكم ذلك (فسوق بكم) اى خروج عن الطاعة ملتبس بكم (واتقوا الله)
فى مخالفة اوامره ونواهيه التى من جملتها نهيه عن المضارة (ويعلمكم الله) احكامه المتضمنة لمصالحكم (والله بكل
شئ عليم) فلا يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك ثم هذه الاية اطول آية فى القرآن وابسطها شرحا وابينها
وابلغها وجوها يعلم بذلك ان مراعاة حقوق الخلق واجبة والاحتياط على الاموال التى بها امور الدين
والدنيا لازم فمن سعى بالحق فقد نجا والا فقد غوى * يكى را كه سعى قدم بيشتر * بدركاه حق منزلش بيشتر * والله
تعالى من كمال رحمته على عباده علمهم كيفية معاملاتهم فيما بينهم لئلا يجرى من بعضهم على بعض حيف ولئلا
يتخاصموا ويتنازعوا فيحقد بعضهم على بعض فامر بتحصين الحقوق بالكتابة والاشهاد وامر الشهود بالتحمل
ثم بالاقامة وامر الكاتب ان يكتب كما علمه الله بالعدل وراعى فى ذلك دقائق كثيرة كما ذكرها فيشير بهذه المعانى
الى ثلاثة احوال اولها حال الله تعالى مع عباده فيظهر آثار الطافه معهم انه تعالى كيف يرفق بهم ويعلمهم
كيفية معاملاتهم الدنيوية حتى لا يكونوا فى خسران من امر دنياهم ولا يكون فيما بينهم عداوة وخصومة تؤدى
الى تنغيص عيشهم فى الدنيا وعقوبة فى الاخرة فيستدلوا بها ان تكاليف الشرع التى امروا بها ايضا من كمال
مرحمته استعملهم بها ليفيض بها عليهم سجال نعمه كقوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد
ليطهركم وليتم نعمته عليكم الاية وثانيها حال العباد مع الله ليعلموا برعاية هذه الدقائق للامور الدنيوية الفانية
ان للامور الاخروية الباقية فيما بينهم وبين الله ايضا دقائق كثيرة والعباد بها محاسبون وعلى مثقال ذرة
من خيرها مثابون وعلى مثقال ذرة من شرها معاقبون وانها بالرعاية اولى واحرى من امور الدنيا وان الله تعالى
كما امر العباد ان يكتبوا كتاب المبايعة فيما بينهم ويستشهدوا عليهم العدول قد كتب كتاب مبايعة جرت بينه وبين
عباده فى الميثاق فان الله تعالى اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وعلى هذا عاهدهم واشهد
الملائكة الكرام عليه ثم رقم فى الكتاب ان ياقوته من الجنة وديعة وهى الحجر الاسود وثالثها حال العباد فيما بينهم
فليعتبر كل واحد منهم من ملاطفات الحق معهم وليتخلق باخلاق الحق فى مخالقتهم وليتوسل الى الله بحسن
مرافقتهم وليحفظ حدود الله فى مخالفتهم وموافقتهم وليتمسك بعروة محبتهم فى الله وجذبتهم لله ونصحهم بالله
ليحرز فى رفقتهم صراطا مستقيما ويفوز من زمرتهم فوزا عظيما وفى جميع الاحوال كونوا مع الله كما قال واتقوا
الله ويعلمكم الله اى اتقوا فى الاحوال الثلاثة كما يعلمكم الله بالعبارات والاشارات والله بكل شئ تعاونه فى جميع

الاحوال من الاقوال والافعال عليم يعلم مضمون ضمائركم ومكنون سرائركم فيجازيكم على حسن معاملاتكم بقدر خلوصكم وصفاء نياتكم وصدق طوياتكم فطوبى لمن صفى قلبه عن سفساف الاخلاق وعزم الى عالم السر والاطلاق واحسن المعاملة مع الله فى جميع الحالات ووصل الى الدرجات العاليات حقايق سرايست آراسته * هوا وهوس كرد برخاسته * نه بينى كه جايى كه برخاست كرد * نه بيند نظر كرچه بيناست مرد * يعنى ان عالم الغيب كالبيت المزين والهوى كالنقع المثار فادام لم يترك المرؤ هواه لا يرى ما يهواه فان الحجاب اذا توسط بين الرائى والمرئى يمنع عن الرؤية فارفع الموانع من البين وتشرف بوصول العين (وان كنتم على سفر) اى مسافرين اى متوجهين اليه ومقبلين (ولم تجدوا كاتبا) فى المداينة بان لا يحسن الكتابة او لا توجد الصحيفة او الدواة والقلم ولم يتعرض لحال الشاهد لما انه فى حكم الكاتب توثقا واعوازا (فرهان) جمع رهن اى فالتوثق رهن (مقبوضة) اى مسلمة الى المرتهن ولا بد من القبض حتى لو رهن ولم يسلم لا يجبر الراهن على التسليم وانما شرط السفر فى الارتهان مع ان الارتهان لا يختص به سفر دون حضر لان السفر لما كان مظنة عدم الكتب باعواز الكاتب والشاهد امر بالارتهان ليقوم مقامهما تأكيدا وتوثيقا لحفظ المال فالكلام خرج على الاعم الاغلب لا على سبيل الشرط وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه فى المدينة من يهودى بعشرين صاعا من شعير واخذه لاهله (فان امن بعضكم بعضا) اى بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به واستغنى بامانته عن الارتهان فلم يطلب منه الرهن (فليؤد الذى اؤتمن) وهو المديون والائتمان الوثوق بامانة الرجل وانما عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقا للاعلام وحمله على الاداء (امانته) اى فليقض المطلوب الامين ما فى ذمته من الدين من غير رهن منه وسمى الدين امانة لتعلقه بالذمة كتعلق الامانة (وليتق الله ربه) فى رعاية حقوق الامانة واداء الدين من غير مطل (ولا تكتموا الشهادة) ايها الشهود اذا دعيتم الى الحاكم لادائها على وجهها (ومن يكتمها فانه آثم قلبه) فاعل آثم كانه قيل فانه يأثم قلبه فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هى الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان الاثم مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التى يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عينى ومما سمعته اذنى ومما عرفه قلبى ولان القلب هو رأس الاعضاء والمضغة التى ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم فى اصل نفسه وملك اشرف مكان منه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح وهى لها كالاصول التى تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضى الله عنهما اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة (والله بما تعملون عليم) فيجازيكم به ان خيرا فخير وان شرا فشر وكتمان الشهادة وشهادة الزور من الاعمال التى تجر صاحبها الى النار فانهما من علامات مسخ القلب قال تعالى فانه آثم قلبه والمراد مسخ القلب ونعوذ بالله من ذلك وهما اسهل وقوعا بين الناس والحوامل عليهما كثيرة كالعداوة وغيرها واعلم ان اهل الدين طائفتان الواقفون والسائرون فالواقف من لزم عتبة الصورة ولم يفتح له باب الى عالم المعنى فهو كالفرخ المحبوس فى قشر البيضة فيكون مشربه من عالم المعاملات البدنية فلا سبيل له الى عالم القلب ومعاملاته فهو محبوس فى سجن الجسد وعليه موكلان من الكرام الكاتبين يكتبان عليه اعماله الظاهرة بالنقير والقطمير والسائر من لم يقم ولم ينزل فى منزل فهو مسافر من عالم الصورة الى عالم المعنى ومن مضيق الاجساد الى متسع الارواح وهم صنفان صنف سيار وصنف طيار فالسائر من يسير بقدم الشرع والعقل على جادة الطريقة والطيار من يطير بجناحى العشق والهمة فى فضاء الحقيقة وفى رجله جلجلة الشريعة فالاشارة فى قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا الى السيار الذى تخلص من سجن الجسد وقيد الحواس وزحمة التوكيل فلم يجد له كاتبا يكتب عليه كما قال بعضهم ما كتب على صاحب الشمال منذ عشرين سنة وقال بعضهم كاشف لى صاحب اليمين وقال لى امل على شيأ من معاملات قلبك لاكتبه فانى اريد ان اتقرب به الى الله قال فقلت له حسبك الفرائض فالحبس والقيد

والتوكيل لمن لم يؤد حق صاحب الحق او يكون هاربا منه فيحبس ويقيد ويوكل عليه فاما الذى آناء الليل واطراف النهار يغدو ويروح فى طلب غريمه ومابرح فى حريمه فلا يحتاج الى التوكيل والتقييد فقوله ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة اشارة الى السيار الذى له قلب فيرهنه عند الله فالرهان هى القلوب التى ليس فيها غير الله المقبوضة بين اصبعين من اصابع الرحمن فاما الطيار الذى هو عاشق مفقود القلب مسلوب العقل مجذوب السر فلا يطالب بالرهن فانه مبطوش ببطشه الشديد (مستهام ضاق مذهبه * فى هوى من عز مطلبه كل امر فى الهوى عجب * وخلاصى منه اعجبه) (فلم يوجد فى السموات والارض ولا فى الدنيا والاخرة امين يؤتمن لحمل اعباء امانته الا العاشق المسكين (لله ما فى السموات وما فى الارض) من الامور الداخلة فى حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من اولى العلم وغيره اى كلها له تعالى خلقا وملكا وتصرفا لا شركة لغيره فى شئ منها بوجه من الوجوه فلا تعبدوا احدا سواه ولا تعصوه فيما يأمركم وينهاكم (وان تبدوا) اى تظهروا (ما فى انفسكم) اى فى قلوبكم من السوء والعزم عليه وذلك بالقول او الفعل (او تخفوه) اى تكتموه عن الناس ولا تظهروه باحد الوجهين ككتمان الشهادة وموالاة المشركين وغيرهما من المناهى ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه البشر من الوساوس واحاديث النفس التى لا عقد ولا عزيمة فيها اذ التكليف بحسب الوسع ودفع ذلك مما ليس فى وسعه (يحاسبكم به الله) اى يجازيكم به يوم القيامة وهو حجة على منكرى الحساب من المعتزلة والروافض (فيغفر) اى فهو يغفر بفضله (لمن يشاء) ان يغفر له وان كان ذنبه كبيرا (ويعذب) بعدله (من يشاء) ان يعذبه وان كان ذنبه حقيرا حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ويعذب الكفار لا محالة لانه لا يغفر الشرك وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه (والله على كل شئ قدير) فكمال قدرته تعالى على جميع الاشياء موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب قال فى التيسير دل ظاهر قوله او تخفوه على المؤاخذة بما يكون من القلب وجملته ان عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من غير عزم مغفورة وعزم الذنوب اذا ندم عليه ورجع عنه واستغفر منه مغفور فاما الهم بالسيئة ثم يمتنع عنه بمانع لا باختياره وهو ثابت على ذلك فانه لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله يعنى بالعزم على الزنى لا يعاقب عقوبة الزنى وهل يعاقب على الخاطر عقوبة عزم الزنى قيل هو معفو عنه لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله عفا لامتى عما حدثت به انفسها ما لم يعمل او يتكلم واكثرهم على ان الحديث فى الخطرة دون العزمة وان المؤاخذة فى العزمة ثابتة وكذا قال الامام ابو منصور رحمه الله انتهى ما فى التيسير وربما يكون للانسان شركة فى الاثم مثل القتل والزنى وغيرهما اذا رضى به من عامله واشتد حرصه على فعله وفى الحديث من حضر معصية فكرهها فكانما غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن حضرها وفى حديث آخر من احب قوما على اعمالهم حشر فى زمرتهم اى جماعتهم وحوسب يوم القيامة بحسابهم وان لم يعمل باعمالهم فعلى العاقل ان يرفع عن قلبه الخواطر الفاسدة ولا يجالس الجماعة الفاسقة كيلا يحشر فى زمرتهم * كر نشيند فرشته با ديو * وحشت آموزد وخيانت وريو * از بد ان نيكويى نياموزى * نه كند كرك پوستين دوزى * والاشارة فى الاية ان الله يطالب العباد باستدامة المراقبة واستصحاب المحاسبة لئلا يغفلوا عن حفظ حركات الظاهر وضبط خطرات الباطن فيقعوا فى آفة ترك ادب من آداب العبودية فيهلكوا بسطوات الالوهية واعلم ان الانسان مركب من عالمى الامر والخلق فله روح نورانى من عالم الامر وهو الملكوت الاعلى وله نفس ظلمانية سفلية من عالم الخلق ولكل واحدة منهما ميل الى عالمها فقصد الروح الى جوار رب العالمين وقربه وقصد النفس الى اسفل السافلين وغاية البعد عن الحق فبعث النبى صلى الله عليه وسلم ليزكى النفوس عن ظلمة اوصافها لتستحق بها جوار رب العالمين فتزكيتها فى اخفاء ظلمة اوصافها بابداء انوار اخلاق الروح عليها فى تحليتها بها فهذا مقام الاولياء مع الله يخرجهم من الظلمات الى النور وبعث الشيطان الى اوليائه وهم اعداء الله ليخرج ارواحهم من النور الروحانى الى الظلمات النفسانية باخفاء انوار اخلاقها فى ابداء ظلمات اخلاق النفس عليها لتستحق بها دركة اسفل السافلين فمعنى الاية فى التحقيق ان تبدوا ما فى انفسكم مودع من ظلمات الاوصاف النفسانية فى الظاهر بمخالفات الشريعة وفى الباطن بموافقات الطبيعة او تخفوه بتصرفات الطريقة فى موافقات الشريعة ومخالفات الطبيعة يحاسبكم به الله بطهارة النفس لقبول انوار الروح واخلاقه او بتلوث الروح لقبول ظلمات النفس واخلاقها فيغفر لمن يشاء فينور نفسه

بانوار الروح وروحه بانوار الحق ويعذب من يشاء فيعاقب نفسه بنار دركات السعير وروحه بنار فرقة العلى الكبير والله على كل شئ من اظهار اللطف والقهر على تركيب عالمى الخلق والامر قدير كذا فى تأويلات الكامل نجم الدين دايه قدس سره (آمن الرسول) اى صدق النبى عليه السلام (بما انزل) اى بكل ما انزل (اليه من ربه) من آيات القرءآن ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرآئع والاحكام والقصص والمواعظ واحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى والايمان بحقيقة احكامه وصدق اخباره ونحو ذلك من فروع الايمان به من الحيثية المذكورة ولم يرد به حدوث الايمان فيه بعد ان لم يكن كذلك لانه كان مؤمنا بالله وبوحدانيته قبل الرسالة منه ولا يجوز ان يوصف بغير ذلك لكن اراد به الايمان بالقرءآن فانه قبل انزال القرءآن اليه لم يكن عليه الايمان به وهو معنى قوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان اى ولا الايمان بالكتاب فانه قال وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب (والمؤمنون) اى الفريق المعروفون بهذا الاسم وهو مبتدأ (كل) مبتدأ ثان (آمن) خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والرابط بينهما الضمير الذى ناب منابه التنوين وتوحيد الضمير فى آمن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما ان المراد بيان ايمان كل فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع وتغيير سبك النظم عما قبله لتأكيد الاشعار بما بين ايمانه صلى الله عليه وسلم المبنى على المشاهدة والعيان وبين ايمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلى كانهما متخالفان من كل وجه حتى فى الهيئة الدالة عليهما اى كل واحد منهم آمن (بالله) وحده من غير شريك له فى الالوهية والمعبودية هذا ايمان اثبات وتوحيد (وملائكته) اى من حيث انهم عباد مكرمون له تعالى من شأنهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحى وهذا ايمان تصديق انهما من عند الله وتحليل ما احله وتحريم ما حرمه (وكتبه ورسله) اى من الحيثية المذكورة وهذا ايمان اتباع واطاعة ولم يذكر الايمان باليوم الآخر لاندراجه فى الايمان بكتبه وهذا على تقدير ان يوقف على قوله تعالى من ربه ويجعل والمؤمنون كلاما مبتدأ آتيا واختاره ابو السعود العمادى ويجوز ان يكون قوله والمؤمنون معطوفا على الرسول فيوقف عليه والضمير الذى عوض عنه التنوين راجع الى المعطوفين معا كانه قيل آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنين آمن بالله خلا انه قدم المؤمن به على المعطوف اعتناء بشأنه وايذانا باصالته صلى الله عليه وسلم فى الايمان به واختار الكواشى هذا الوجه حيث قال والاختيار الوقف على المؤمنون وهو حسن ليكون المؤمنون داخلين فيما دخل النبى صلى الله عليه وسلم فيه اى الايمان (لا نفرق) اى يقولون يعنى الرسل والمؤمنون لا نميز (بين احد من رسله) بان نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما قال اليهود والنصارى واحد ههنا بمعنى الجمع اى الآحاد فلذلك اضيف اليه بين لانه لا يضاف الا الى المتعدد والاحد وضع لنفى ما يذكر معه من العدد والواحد اسم لمفتتح العدد والواحد الذى لا نظير له والوحيد الذى لا نصير له (وقالوا) عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار المعنى وهو حكاية لامتثالهم الاوامر اثر حكاية ايمانهم (سمعنا) اى فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته (واطعنا) ما فيه من الاوامر والنواهى قيل لما نزلت هذه الآية قال جبرآئيل عليه السلام للرسول صلى الله عليه وسلم ان الله قد اثنى عليك وعلى امتك فسل تعط فقال الرسول عليه السلام (غفرانك ربنا) اى اغفر لنا غفرانك كما قال فضرب الرقاب اى فاضربوا او نسألك غفرانك ذنوبنا المتقدمة او ما لا يخلو عنه البشر من التقصير فى مراعاة حقوقك وهذا الوجه اولى لئلا يتكرر الدعاء بقوله فى آخر السورة واغفر لنا وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما ان تقديم الوسيلة على المسئول ادعى الى الاجابة والقبول (واليك المصير) اى الرجوع بالموت والبعث لا الى غيرك قال القاشانى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه اى صدقه بقبوله والتخلق به كما قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرءآن ومجرد قرآءة القرءآن بغير عمل لا يفيد قال فى تفسير الحنفى مثاله ان السلطان اذا وهب لاحد من مماليكه امارة واعطى له رياسة او نيابة وكتب له توقيعا ان يطيعه اهل البلد كلها فاذا جاء الى البلد وقعد على المملكة واطاعه الخلق ثم ان السلطان كتب له كتابا وامر له فيه ان يبنى له قصرا او دارا واسعة حتى لو حضر السلطان وجاء الى تلك المدينة ينزل فى تلك الدار والقصر فوصل الكتاب اليه وهو لا يبنى ما امر به فى الكتاب لكنه يقرأه كل يوم فلو حضر السلطان ولم يجد ما امره به حاضرا اهل يستحق ذلك الامير خلعة من السلطان او ثناء اولا بل ظاهره انه يستحق الضرب والشتم

والحبس وكذلك القرءآن انما هو مثل ذلك المنشور وقد امر الله فيه لعبيده ان يعمروا اركان الدين كما قال لداود عليه السلام فرغ الى بيتا اسكنه وبين لهم بما يكون عمارة الدين فقال الله تعالى اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة كتب عليكم الصيام ولله على الناس حج البيت فصارت قرآءة القرءآن كقراءة منشور السلطان ولا تحصل الجنة بمجرد القرءآن لانه قال جزآء بما كانوا يعملون (كما قيل) مراد از نزول قرأن تحصيل سيرت خوبست نه ترتيل سوره بمكتوب بتجويد * ثم فى قوله غفرانك ربنا اشارة الى ان من نتايج الايمان وآثار العبودية ان يرى العبد نفسه اهلا لكل شر ومولاه اهلا لكل خير فينسب كل ما يستحسنه لسيده مستعملا حسن الادب معه فى كل اوقاته وذلك بان يحمده على ما دق وجل ويستغفره من تقصيره فى شكره له عليه ويتبرأ من حوله وقوته له فى ذلك كله وبحسب هذا يكون شعاره الحمد لله استغفر الله لا حول ولا قوة الا بالله فى جميع اوقاته وهو الذكر المنجى من عذاب الله فى الدنيا والآخرة المقرب للفتح لمن لازمه واعلم انك لا تصل الى التحقيق الا بمراقبة الاوقات باحكامها من التوبة والاستغفار عند العصيان وشهود المنة فى الطاعة ووجود الرضى فى البلية ووجود الشكر فى النعمة ولن تصل الى ذلك الا بتعلق قلبك بصلاح قلبك واتهام نفسك حتى فى خروج نفسك وتصل الى هذا باحد اربعة اوجه نور يقذفه الله فى قلبك بلا واسطة او علم متسع فى عقل كامل او فكرة سالمة من الشواغل او صحبة شيخ اواخ هذه حاله وقد قال الشيخ ابو مدين قدس سره الشيخ من هذبك باخلاقه وادبك باطراقه وانار باطنك باشراقه الشيخ من جمعك فى حضوره وحفظك فى مغيبه فاعمل ايها العبد على تخليص نفسك من عالم جسمك حتى تخرج عن دآئرة رسمك وتصل الى تحقيق فهمك وعلمك ازهستى خويش تا تو غافل نشوى * هرگز بمراد خويش واصل نشوى * از بحر ظهور تا بساحل نشوى * در مذهب اهل عشق كامل نشوى * (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) اخبار من الله تعالى وليس من كلام المؤمنين روى انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم فاتوه عليه السلام ثم بركوا على الركب فقالوا اى رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والحج والجهاد وقد انزل اليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقرأها القوم فانزل الله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه الى قوله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير فسؤالهم الغفران المعلق بمشيئته تعالى فى قوله تعالى فيغفر لمن يشاء ثم انزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها ثم وبنا للخطب عليهم ببيان ان المراد بما فى انفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يعم الخواطر التى لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه اى سنته ان لا يكلف نفسا من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها او يتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود فضلا منه تعالى ورحمة لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه اما الاول فلانه لو كان وقع لزم الكذب فى كلامه تعالى عن ذلك علوا كبيرا واما الثانى فلانه تعالى نفى مطلقا ولا يلزم منه نفى المقيد الذى هو الامتناع لان العام من حيث هو عام لا يدل على الخاص بوجه من الدلالات (لها) اى للنفس ثواب (ما كسبت) من الخير الذى كلفت فعله لا لغيرها استقلالا او اشتراكا ضرورة شمول كلمة ما لكل جزء من اجزآء مكسوبها (وعليها) لا على غيرها باحد الطريقين المذكورين عقاب (ما اكتسبت) من الشر الذى كلفت تركه وايراد الاكتساب فى جانب الشر لان الشر فيه اعمال اى اجتهاد فى العمل فانه لما كان مشتهى النفس فيه جد وسعى بخلاف الخير وصيغة الافتعال للتكلف (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا) شروع فى حكاية بقية دعواتهم اثر بيان سر التكليف اى يقولون ربنا لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الامور المؤدية الى النسيان او الخطأ من تفريط وقلة مبالاة ونحوهما مما يدخل تحت التكليف ودل هذا على جواز المؤاخذة فى النسيان والخطأ فان التحرز عنهما فى الجملة ممكن ولولا جواز المؤاخذة فى النسيان والخطأ لم يكن للسؤال معنى وخفف الله عن هذه الامة فرفع عنها المؤاخذة وقال النبى صلى الله عليه وسلم رفع عن امتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فدل انهم مخصوصون بهما والامم السالفة كانوا مؤاخذين فيهما (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) عطف على ما قبله وتوسيط الندآء بينهما لابراز مزيد الضراعة والاصر العبء الثقيل الذى يأصر صاحبه اى يحبسه مكانه والمراد به

التكاليف الشاقة (كما حملته على الذين من قبلنا) اى حملا مثل حملك اياه على من قبلنا وهو ما كلفه بنو اسرآئيل من قتل النفس فى التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة وقطع موضع النجاسة وعدم التطهير بغير الماء وخمسين صلاة فى يوم وليلة وعدم جواز صلاتهم فى غير المسجد وحرمة اكل الصائم بعد النوم ومنع بعض الطيبات عنهم بالذنوب وكون الزكاة ربع مالهم وكتابة ذنب الليل على الباب بالصبح وغير ذلك من التشديدات وقد عصم الله عز وجل ورحم هذه الامة عن امثال ذلك وانزل فى شأنهم ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنفية السهلة السمحة وعن العقوبات التى عوقب بها الاولون من المسخ والخسف وغير ذلك قال صلى الله عليه وسلم رفع عن امتى الخسف والمسخ والغرق (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) عطف على ما قبله واستعفاء من العقوبات التى لا تطاق بعد الاستعفاء عما يؤدى اليها من التكاليف الشاقة التى لا يكاد من كلفها يخلو عن التفريط فيها كانه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا فى المحافظة عليها فيكون التعبير عن انزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدى اليها قال فى التيسير اى لا تكلفنا ما يشق علينا الدوام عليه ولم يرد به عدم الطاقة اصلا فانه لا يكون فلا يسأل (واعف عنا) اى آثار ذنوبنا (واغفر لنا) واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤس الاشهاد قال فى التيسير وليس بتكرار فان الاول تركه حتى لا يؤاخذ به ومحوه حتى لا يبقى والثانى ستره حتى لا يظهر وقد يتجاوز عن الشئ فلا يؤاخذ بجزآئه لكن يذكر ذلك ويظهر والمؤمنون امروا ان يسألوا التجاوز عنها واخفاءها حتى لا يظهر حالهم لاحد فلا يفتضحوا به (وارحمنا) وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما ان التخلية سابقة على التحلية (انت مولانا) سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولى امورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) اى اعنا عليهم وادفع عنا شرهم فان من حق المولى ان ينصر عبيده ومن يتولى امره على الاعداء والنصرة على الكفار تكون بالظفر وتكون بالحجة وتكون بالدفع وهو سؤال العصمة من الشياطين ايضا لانهم منهم روى انه لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة اليها ينتهى ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال فاعطى رسول الله عليه السلام ثلاثا اعطى الصلوات الخمس واعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيأ من امته المقحمات قال صلى الله عليه وسلم فى خبر المعراج قربنى الله وادنانى الى سند العرش ثم الهمنى الله ان قلت آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله كما فرقت اليهود والنصارى قال فما قالوا قلت قالوا سمعنا وعصينا والمؤمنون قالوا سمعنا واطعنا فقال صدقت فسل تعط فقلت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال قد رفعت عنك وعن امتك الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فقلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا يعنى اليهود قال لك ذلك ولامتك قلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال قد فعلت قلت واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت وعنه صلى الله عليه وسلم انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفى عام من قرأهما بعد العشاء الاخيرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ آيتين من آخر سورة البقرة كفتاه اى من قيام الليل او من حساب يوم القيامة وهو حجة على من استكره ان يقول سورة البقرة وقال ينبغى ان يقال السورة التى تذكر فيها البقرة كما قال صلى عليه وسلم السورة التى تذكر فيها البقرة فسطاط القرءآن اى مصره الجامع فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال عليه السلام السحرة اى لا تستطيع البطلة ان تسحر قاريها ولا تقرأ فى دار ثلاث ليال فيقربها شيطان وكان معاذ اذا ختم سورة البقرة يقول آمين عن ابى الاسلم الديلى قلت لمعاذ بن جبل اخبرنى عن قصة الشيطان حين اخذته فقال جعلنى رسول الله عليه السلام على صدقة المسلمين فجعلت التمر فى غرفة فوجدت فيه نقصانا فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال هذا الشيطان يأخذه فدخلت الغرفة واغلقت الباب فجاءت ظلمة عظيمة فغشيت الباب ثم تصور فى صورة اخرى فدخل من شق الباب فشددت ازارى على فجعل يأكل من التمر فوثبت اليه فقبضته فالتقت يداى عليه فقلت يا عدو الله فقال خل عنى فانى كبير ذو عيال كثير وانا فقير من جن نصيبين وكانت لنا هذه القرية قبل ان يبعث صاحبكم فلما بعث اخرجنا منها فخل عنى

فلن اعود اليك فخليت وجاء جبريل عليه السلام فاخبر رسول الله عليه السلام بما كان فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى مناديه ما فعل اسيرك فاخبرته فقال اما انه سيعود فعد قال فدخلت الغرفة واغلقت على الباب فجاء فدخل من شق الباب فجعل يأكل من التمر فصنعت به كما صنعت فى المرة الاولى فقال خل عنى فانى لن اعود اليك فقلت يا عدو الله الم تقل انك لن تعود قال فانى لن اعود وآية ذلك انه لا يقرأ احد منكم خاتم البقرة فيدخل احد منا فى بيته تلك الليلة

(سورة آل عمران مدنية وهى مائتا آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) الالف اشارة الى الله واللام الى اللطيف والميم الى المجيد (الله) مبتدأ (لا اله الا هو) خبره اى هو المستحق للمعبودية لا غير (الحى القيوم) خبر آخر له اى الباقى الذى لا سبيل عليه للموت والفناء والدآئم القيام بتدبير الخلق وحفظه روى عنه صلى الله عليه وسلم اسم الله الاعظم فى ثلاث سور فى سورة البقرة الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى آل عمران الم الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى طه وعنت الوجوه للحى القيوم وهذا رد على من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربا فانه روى ان وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم ثلاثة منهم اكابر اليهم يؤول امرهم احدهم اميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الايهم وثالثهم حبرهم واسقفهم وصاحب مدارسهم ابو حارثة بن علقمة احد بنى بكر بن وآئل وقد كان ملوك الروم شرفوه وموّلوه واكرموه لما شاهدوا من علمه واجتهاده فى دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه فبينا بغلة ابى حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعسا للابعد يريد به رسول الله عليه السلام فقال له ابو حارثة بل تعست امك فقال كرز ولم يا اخى قال انه والله النبى الذى كنا ننتظر فقال له كرز فما يمنعك عنه وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنا به لاخذوها منا كلها فوقع ذلك فى قلب كرز واصره الى ان اسلم فكان يحدث بذلك فاتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله عليه السلام بعد صلاة العصر عليهم ثياب الحبرات جبب واردية فاخرة يقول بعض من رآهم من اصحاب النبى عليه السلام ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا ليصلوا فى المسجد فقال عليه السلام دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلم اولئك الثلاثة مع رسول الله عليه السلام فقالوا تارة عيسى هو الله لانه كان يحيى الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير وتارة اخرى هو ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلاثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقلت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قبلك قال عليه السلام كذبتم يمنعكم من الاسلام دعاؤكم لله تعالى ولدا قالوا ان لم يكن ولد الله فمن ابوه فقال عليه السلام ألستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه فقالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان ربنا حى لا يموت وان عيسى يأتى عليه الفناء قالوا بلى قال عليه السلام ألستم تعلمون ان ربنا قيوم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم فهل يملك عيسى من ذلك شيأ قالوا لا فقال عليه السلام ألستم تعلمون ان الله تعالى لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء قالوا بلى قال عليه السلام فهل يعلم عيسى شيأ من ذلك الا ما علم قالوا لا قال صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء وان ربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأبوا الا الجحود فانزل الله تعالى من اول السورة الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليه السلام عليهم واجاب به عن شبههم وتحقيقا للحق الذى فيه يمترون (نزل عليك الكتاب) اى القرءآن عبر عنه باسم الجنس ايذانا بكمال تفوقه على بقية الافراد فى حيازة كمالات الجنس كانه هو الحقيق بان يطلق عليه اسم الكتاب فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل قلت لان التنزيل للتكثير والقرءآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وذكر فى آخر الاية الانزال واراد به من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا جملة فى ليلة القدر فى شهر رمضان والمراد هنا هو تنزيله الى الارض ففى القرءآن جهتا الانزال والتنزيل (بالحق) ملتبسا ذلك الكتاب بالعدل فى احكامه او بالصدق فى اخباره التى من جملتها خبر التوحيد وما يليه او فى وعده

ووعيده (مصدقا لما بين يديه) اى فى حال كونه مصدقا للكتب قبله والتوحيد والنبوات والاخبار وبعض
الشرائع قبله (وانزل التوراة والانجيل) اسمان اعجميان الاول عبرى والثانى سريانى (من قبل) اى انزلهما
جملة على موسى وعيسى عليهما السلام من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور الامر للمبالغة فى البيان
(هدى للناس) علة للانزال اى انزلهما لهداية الناس وفيه لف بدون النشر لعدم اللبس لان كون التوراة
هدى للناس فى زمان موسى وكون الانجيل هدى لهم فى زمان عيسى معلوم فاختصر لذلك (وانزل الفرقان)
اى جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل او هو القرآن كرر ذكره تعظيما لشأنه
واظهارا لفضله (ان الذين كفروا بآيات الله) اى بالقرآن ومعجزات النبى عليه السلام (لهم) بسبب كفرهم بها
(عذاب شديد) لا يقادر قدره (والله عزيز) لا يغالب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (ذو انتقام) عظيم لا يقدر على
مثله منتقم (ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء) اى مدرك الاشياء كلها يعنى هو مطلع على كفر
من كفر به وايمان من آمن به وعلى جميع اعمالهم فيجازيهم يوم القيامة (هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء)
اى يجعلكم على هيئة مخصوصة فى ارحام امهاتكم من ذكر وانثى واسود وابيض وتام وناقص وطويل وقصير
وحسن وقبيح وهو رد على الذين قالوا عيسى الله او ابن الله لان من صور فى الرحم يمتنع ان يكون الها وولدا لله
لكونه مركبا وحالا فى المركب وفى عرض الفناء والزوال (لا اله الا هو) نزه نفسه ان يكون عيسى ابنا له (العزيز
الحكيم) المتناهى فى القدرة والحكمة وربكم يخلقكم على النمط البديع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خلق
احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه الملك
باربع كلمات فيكتب رزقه وعمله واجله وشقى او سعيد قال وان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه
وبينها غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى
ما يكون بينه وبينها غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وقال عليه السلام يدخل
الملك على النطفة بعد ما تستقر فى الرحم باربعين او بخمس واربعين ليلة فيقول يا رب أشقى ام سعيد فيكتبان
فيقول اى رب اذكر ام انثى فيكتبان ويكتب عمله واثره واجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص
ثم يقول الملك يا رب ما اصنع بهذا الكتاب فيقول علقه فى عنقه الى قضائى عليه فذلك قوله تعالى وكل انسان
الزمناه طائره فى عنقه اى عمله من خير وشر الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كانه طار اليه من وكر الغيب
والقدر وقال القاضى المراد بكتبه هذه الاشياء اظهارها للملك والا فقضاؤه تعالى سابق على ذلك وكل ميسر
لما خلق له فعلى العاقل ان لا يتكاسل عن الاعمال فى جميع الاحوال ولا يفوت ايام الفرصة والليال ٭ خبردارى
اى استخوانى قفس ٭ كه جان تومرغيست نامش نفس ٭ چو مرغ از قفس رفت وبكسست قيد ٭
دكره نكردد بسعى توصيد ٭ نكه دار فرصت كه عالم دميست ٭ دمى پيش دانا به از عالميست ٭
والاشارة ان الله تعالى كما يصور الجنين بصورة الانسانية على نطفة سقطت فى الرحم بتدبير الاربعينات فكذلك
اذا سقطت من صلب ولاية رجل من رجاله نطفة ارادة فى رحم قلب مريد صادق والمريد يستسلم لتصرفات ولاية
الشيخ وهى بمثابة ملك الارحام ويضبط احوال ظاهره وباطنه على وفق امر الشيخ ويختار الخلوة والعزلة كيلا
يصدر منه حركة عنيفة او يجد رائحة غريبة يلزم منها سقوط النطفة وفسادها ويقعد بامر الشيخ وتدبيره فالله
تعالى يصرف ولاية الشيخ المؤيد بتأييد الحق بمرور كل اربعين عليه بشر آنطهاية قولها من حال الى حال ويتقلها
من مقام الى مقام الى ان يرجع الى حظائر القدس ورياض الانس التى منها صدر الى عالم الانس بقدم الاربعينات
الاولى فلما وصل الى مقامه الاول ايضا بقدم الاربعينات كما جاء تم خلق الجنين فى رحم القلب وهو يجعل خليفة
الله فى ارضه فيستحق الآن ان ينفخ فيه الروح المخصوص بانبياء اوليائه وهو روح القدس الذى هو متولى
القائه كقوله تعالى يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده وقال كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح
منه والهذه الفائدة العظيمة والنعمة الجسيمة اهبط الارواح من اعلى عليين القرب الى اسفل سافلين البعد كما قال
اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاذا نفخ فيه الروح
يكون آدم وقته فيسجد له بالخلافة الملائكة كلهم اجمعون تفهم ان شاء الله تعالى كذا فى تأويلات الشيخ
الكامل نجم الدين الكبرى اذا ض الله علينا من سجال معارفه وحقائقه ولطائفه امين (هو الذى انزل عليك

الكتاب) اى القرآن (منه) اى من الكتاب (آيات محكمات) اى قطعية الدلالة على المعنى المراد محكمة العبارة
محفوظة من الاحتمال والاشتباه (هن ام الكتاب) اى اصل فيه وعمدة يرد اليها غيرها بالتأويل فالمراد بالكتاب
كله والاضافة بمعنى فى (واخر) اى ومنه آيات اخر (متشابهات) اى محتملات لمعان متشابهة لا يمتاز بعضها
من بعض فى استحقاق الارادة بها ولا يتضح الامر الا بالنظر الدقيق والتأمل الانيق فالتشابه فى الحقيقة وصف
للمعانى وصف به الايات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول واعلم ان اللفظ اما ان لا يحتمل غير معنى واحد
او يحتمل والاول هو النص كقوله تعالى والهكم اله واحد والثانى اما ان تكون دلالته على مدلوليه او مدلولاته
متساوية اولا والاول هو المجمل كقوله تعالى ثلاثة قروء واما الثانى فهو بالنسبة الى الراجح ظاهر كقوله تعالى
ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وبالنسبة الى المرجوح مؤول كقوله تعالى يد الله فوق ايديهم والنص
والظاهر كلاهما محكم والمجمل والمؤول متشابه وهو كقوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله قد رد الى قوله تعالى
وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ثم ان الله تعالى جعل القرآن كله محكما فى قوله الر كتاب احكمت آياته
ومعناه ان كله حق لا عبث فيه ومتقن لا تناقض فيه ومحفوظ من اعتراء الخلل او من النسخ وجعل كله
متشابها فى قوله كتابا متشابها مثانى ومعناه يشبه بعضه بعضا فى صحة المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول
وجعل بعضه محكما وبعضه متشابها فى هذه الاية وقد سبق وانما لم يجعل الله القرآن كله محكما لما فى المتشابه
من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه كابتلاء بنى اسرائيل بالنهر فى اعتقاد نبيهم ولان النظر
فى المتشابه والاستدلال لكشف الحق يوجب عظم الاجر ونيل الدرجات عند الله (فاما الذين فى قلوبهم زيغ)
اى ميل عن الحق الى الاهواء الباطلة (فيتبعون ما تشابه منه) معرضين عن المحكمات اى يتعلقون بظاهر
المتشابه من الكتاب او بتأويل باطل لا تحريا للحق بعد الايمان بكونه من عند الله تعالى بل (ابتغاء الفتنة)
اى طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه (وابتغاء تأويله) اى طلب
ان يؤولوه حسبما يشتهونه من التأويلات الزائغة والحال انهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل (وما يعلم
تأويله) اى تأويل المتشابه (الا الله والراسخون فى العلم) لا يهتدى الى تأويله الحق الذى يجب ان يحمل عليه
الا الله وعباده الذين رسخوا فى العلم اى ثبتوا فيه وتمكنوا او فوضوا فيه لنص قاطع ومنهم من يقف على قوله
الا الله ويبتدئ بقوله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة
فيه من آياته كعدد الزبانية فى قوله عليها تسعة عشر ومدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة والصوم وعدد
الركعات فى الصلوات الخمس والاول هو الوجه فان الله تعالى لم ينزل شيأ من القرآن الا لينتفع به عباده
ويدل به على معنى اراده فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره للزمنا للطاعن مقال وهل يجوز ان يقال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف المتشابه واذا جاز ان يعرفه مع قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله جاز
ان يعرفه الربانيون من صحابته وان لم يعرفه النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته والعلماء الراسخون وقالوا علمه
عند ربنا لم يكن لهم فضل على الجهال لانهم جميعا يقولون ذلك قالوا ولم يزل المفسرون الى يومنا هذا يفسرون
ويؤولون كل آية ولم نرهم وقفوا عن شئ من القرآن فقالوا هذا متشابه لا يعلمه الا الله بل فسروا نحو حروف
التهجى وغيرها (يقولون آمنا به) اى بالمتشابه والجملة على الاول استئناف موضح لحال الراسخين وعلى الثانى
خبر لقوله والراسخون (كل) واحد من المحكم والمتشابه (من عند ربنا) منزل من عنده تعالى لا مخالفة
بينهما (وما يذكر) حق التذكر (الا اولوا الالباب) اى العقول الخالصة عن الركون الى الاهواء الزائغة وهو
مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما به استعدوا للاهتداء الى تأويله من تجرد العقل عن
غواشى الحس (ربنا لا تزغ قلوبنا) اى يقولون لا تمل قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه
(بعد اذ هديتنا) الى الحق والتأويل الصحيح او الى الايمان (وهب لنا من لدنك) اى من عندك (رحمة) واسعة
تزلفنا اليك ونفوز بها عندك (انك انت الوهاب) واطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على ان
الهدى والضلال من قبله وانه متفضل بما ينعم به على عباده من غير ان يجب عليه شئ (ربنا انك جامع الناس)
بعد الموت (ليوم) اى لجزاء يوم وحسابه وهو يوم القيامة (لا ريب فيه) اى فى وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر
والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم الى الرحمة وانها المقصد الاسنى عندهم (ان الله لا يخلف

المعاد) اى الوعد يعنى الالوهية تنافى خلف الوعد فى البعث واستجابة الدعاء وهذا حال الراسخين فى الدعاء
فانظر كيف لا يأمنون سوء الخاتمة واداهم الخوف والخشية الى الرجاء فاياك والزيغ عن الصراط المستقيم
باتباع الهوى والشهوات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قلب الا وهو بين اصبعين من اصابع الرحمن
اذا شاء ان يقيمه اقامه واذا شاء ازاغه يعنى قلب المؤمن بين توفيقه وخذلانه وانما قال من اصابع الرحمن ولم يقل
من اصابع الله اشعارا بانه هو المتمكن من قلوب العباد والمتصرف فيها كيف يشاء ولم يكلها الى احد من ملائكته
رحمة منه وفضلا لئلا يطلع على سرائرهم غيره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم يا مقلب القلوب
والابصار ثبت قلوبنا على دينك والميزان بيد الرحمن يرفع قوما ويضع آخرين الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه
وسلم مثل القلب كريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن قال الجنيد رحمه الله من اراد ان يسلم له دينه
ويستريح فى بدنه وقلبه فليعتزل الناس فان هذا زمان وحشة والعاقل من اختار الوحدة قال عليه السلام
لاصحابه اين تنبت الحبة قالوا فى الارض قال فكذلك الحكمة انما تنبت فى قلب مثل الارض فدفن حبة الفؤاد
والوجود فى ارض الخمول مما ينتج ويتم نتاجه جدا فانبت مما لم يدفن لم يتم نتاجه وان ظهر نوره وانتاجه كالذى
نبت فى حميل السيل فعليك بتزكية النفس واصلاح الوجود كى تدرك نور الشهود وتقبل الى الاستقامة
وتخلص من الزيغ والضلال فى جميع الاحوال وكم من زائغ قلبه وهو صورة مستقيم وكم من مستقيم فؤاده وهو
فى الظاهر غير مستقيم (كما قيل) بس قامت خاشاك كه برجا باشد * جون باد برآنها بوزد نا باشد *
والقلب هو محل النظر لا الصورة كما قال عليه السلام ان الله لا ينظر الى صوركم بل الى قلوبكم واعمالكم فاى فائدة
فى القلب الزائغ عن الحق فنعوذ بالله منه (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم) اى لن تنفعهم (اموالهم) التى يبذلونها
فى جلب المنافع ودفع المضار قدم الاموال على الاولاد لانها اول عدة يفزع اليها عند نزول الخطوب (ولا اولادهم)
الذين بهم يتناصرون فى الامور المهمة وعليهم يعولون فى الخطوب الملمة وتوسيط حرف النفى لعراقة الاولاد
فى كشف الكروب (من الله) اى عذابه تعالى (شيأ) اى شيأ من الاغناء ومعناه لا يصرف عنهم كثرة الاموال
والاولاد والتناصر بهما عذابه وكانوا يقولون نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين قال تعالى فى ردهم
وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا (واولئك) اى اولئك المتصفون بالكفر
(هم وقود النار) حطب النار وحصبها الذى تسعر به (كدأب آل فرعون) الدأب مصدر دأب فى العمل
اذا كدح فيه وتعب غلب استعماله فى معنى الشان والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على انه خبر لمبتدأ
محذوف اى دأب هؤلاء فى الكفر وعدم النجاة من اخذ الله تعالى وعذابه كدأب آل فرعون (والذين من قبلهم)
اى آل فرعون من الامم الكافرة كقوم نوح وثمود وقوم لوط وهو عطف على ما قبله (كذبوا باياتنا) بيان
وتفسير لدأبهم الذى فعلوا على الاستئناف المبنى على السؤال كانه قيل كيف كان دأبهم فقيل كذبوا باياتنا
اى بكتبنا ورسلنا (فاخذهم الله بذنوبهم) تفسير لدأبهم الذى فعل بهم اى فاخذهم الله تعالى وعاقبهم ولم يجدوا
من بأس الله تعالى محيصا فدأب هؤلاء الكفرة ايضا كدأبهم والذنب فى الاصل التلو والتابع وسميت الجريمة ذنبا
لانها تتلو اى يتبع عقابها فاعلها (والله شديد العقاب) لمن كفر بالآيات والرسل (قل للذين كفروا) المراد بهم
اليهود لما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان يهود المدينة لما شاهدوا غلبة رسول الله صلى الله عليه
وسلم على المشركين يوم بدر قالوا والله انه النبى الامى الذى بشرنا به موسى وفى التوراة نعته وهموا باتباعه فقال
بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة له اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه
وسلم عهد الى مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الاشرف فى ستين راكبا الى اهل مكة فاجمعوا امرهم على قتال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (ستغلبون) البتة عن قريب فى الدنيا وقد صدق الله وعده بقتل بنى قريظة
واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من اوضح شواهد النبوة (وتحشرون) اى
فى الآخرة (الى جهنم) والحشر السوق والجمع اى يغلبون فى الدنيا ويساقون فى الآخرة مجموعين الى جهنم
(وبئس المهاد) اى بئس الفراش والمقر جهنم (قد كان لكم) جواب قسم محذوف وهو من تمام القول المأمور به
اى والله قد كان لكم ايها اليهود المغترون بعددهم وعددهم (آية) عظيمة دالة على صدق ما اقول لكم انكم
ستغلبون (فى فئتين) اى جماعتين فان المغلوبة منهما كانت مدلة بكثرتها معجبة بعزتها وقد لقيها ما لقيها

فسيصيبكم ما يصيبكم (التقتا) اى تلاقيا بالقتال يوم بدر (فئة) خبر مبتدأ محذوف اى احداهما فئة (تقاتل)
تجاهد (فى سبيل الله) وهم لا كثرة فيهم ولا شوكة وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (واخرى) اى وفئة اخرى
(كافرة) بالله ورسوله (يرونهم) اى ترى الفئة الاخيرة الكافرة الفئة الاولى المؤمنة والجملة صفة للفئة الاخيرة
(مثليهم) اى مثلى عدد الرائين قريبا من الف كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس
وفيهم ابو سفيان وابو جهل وكان فيهم من الخيل والابل مائة فرس وسبعمائة بعير ومن اصناف الاسلحة عدد
لا يحصى وعن سعد بن اوس انه قال اسر المشركون رجلا من المسلمين فسألوه كم كنتم قال ثلثمائة وبضعة عشر
قالوا ما كانوا كم الا تضعفون علينا اى مثلى عدد المرئيين اى ستمائة ونيفا وعشرين حيث كانوا ثلثمائة وثلاثة
عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون من الانصار رضى الله عنهم وكان
صاحب راية النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وصاحب راية
الانصار سعد بن عبادة الخزرجى رضى الله عنه وكان فى العسكر تسعون بعيرا وفرسان احدهما للمقداد
ابن عمرو والآخر لمرثد بن ابى مرثد وست ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ من المسلمين اربعة
عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار اراهم الله عز وجل كذلك مع قلتهم ليهابوهم ويتجنبوا عن
قتالهم مددا الهم منه سبحانه كما امدهم بالملائكة عليهم السلام فان قلت فهذا مناقض لقوله فى سورة الانفال
ويقللكم فى اعينهم قلت قللهم اولا فى اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا فى اعينهم حتى غلبوا فكان
التقليل والتكثير فى حالين مختلفين وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى ابلغ فى القدرة واظهار الآية (رأى العين)
نصب على المصدر يعنى رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات (والله يؤيد) اى يقوى
(بنصره من يشاء) اى يريد من غير توسيط الاسباب العادية كما ايد الفئة المقاتلة فى سبيله بما ذكر من النصر
وهو من تمام القول المأمور به (ان فى ذلك) اشارة الى ما ذكر من رؤية القليل كثيرا المستتبعة لغلبة القليل العديم
العدة على الكثير الشاكى السلاح (لعبرة) من العبور كالجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فانه نوع
من العبور اى لعبرة عظيمة كائنة (لاولى الابصار) لذوى العقول والبصائر فعلى العاقل ان يعتبر بالآيات ولا يغتر
بكثرة الاعداد من الاموال والاولاد وعدم اجتهاده لمعاده فان الله يمتعه قليلا ثم يضطره الى عذاب غليظ واعلم
ان المبتلى بالكفر مغلوب الحكم الازلى بالشقاوة ثم مغلوب الهوى والنفس والشيطان ولذات الدنيا فغلبات
الهوى والنفس ترد الى اسفل سافلين الطبيعة فيعيش فيها ثم يموت على ما عاش فيه ويحشر على ما مات عليه
فى قعر جهنم وبئس المهاد مهاده فانه مهده فى معاشه والنار ناران نار الله ونار الجحيم فاما نار الله فهى نار حسرة
القطيعة عن الله فيها يعذب قلوب المحجوبين عن الله كقوله تعالى نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة واما نار
الجحيم فهى نار الشهوات والمعاملات على الغفلات من المخالفات فهى تحرق قشور الجلود كما قال تعالى كلما
نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب بما كانوا يعملون ولا يتخلص من هذه النار الا لب القلوب
وان عذاب حرقة الجلد بالنسبة الى عذاب حرقة القلوب كنسيم الحياة وسموم الممات فلابد من تزكية النفس
فانها سبب للخلاص من عذاب الفرقة قيل لبعضهم بم يتخلص العبد من نفسه قال بربه انتهى فاذا اراد الله ان
ينصر عبده على ما طلب منه امده بجنود الانوار فكلما اعترته ظلمة قام لها نور فاذهبها وقطع عنه مواد الظلم
والاغيار فلم يبق للهوى مجال ولا للشهوة والاخلاق الذميمة مقال ولا قال فالنور جند القلب كما ان الظلمة جند
النفس والمراد بالنور حقائق ما يستفاد من معانى الاسماء والصفات وبالظلمة معانى ما يستفاد من الهوى
والعوائد الرديئة قال تعالى ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها اى غيروا حالها عما هى عليه وكذلك اذا وردت
الواردات الربانية على القلوب الممتلئة اخرجت منها كل صفة رديئة وكستها كل خلق زكية فهذه الدولة انما
تنال بترك الدنيا والعقبى فكيف يمتلئ بالانوار قلب من خالط الاغيار واحب المال والاولاد ولم يخف من رب
العباد وقدم على الاستاذ ابى على الدقاق رحمه الله فقير وعليه مسح وقلنسوة فقال له بعض اصحابه بكم اشتريت
هذا المسح على وجه المطايبة فقال اشتريته بالدنيا فطلب منى بالآخرة فلم ابعه قال ابو بكر الوراق رحمه الله طوبى
للفقراء فى الدنيا والآخرة فسألوه عنه فقال لا يطلب السلطان منه فى الدنيا الخراج ولا الجبار فى الآخرة الحساب
قناعت سرافراز داى مرد هوش * سر پر طمع برنيايد ز دوش * كر آزاده برزمين خسب وبس *

مكن بهر مالى زمين بوس كس * حققنا الله واياكم بحقائق التوحيد (زين للناس) اى حسن لهم والمزين
هو الله لقوله تعالى زينا لهم اعمالهم وذلك على جهة الامتحان او هو الشيطان لقوله تعالى وزين لهم الشيطان
اعمالهم وذلك على جهة الوسوسة (حب الشهوات) اى محبة مرادات النفوس والشهوة نزوع النفس الى
ماتريده وهى مصدر اريد به المفعول اى المشتهيات لان الاعيان التى ذكرها كلها مشتهيات وانما عبر عنها
بالمصدر مبالغة فى كونها مشتهاة مرغوبا فيها كانها نفس الشهوات والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها
شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية قالوا خلق الله الملائكة
عقولا بلا شهوة والبهائم ذات شهوات بلا عقل وجعلهما فى الانسان فمن غلب عقله شهوته فهو افضل من
الملائكة ومن غلب عليه شهوته فهو ارذل من البهائم (من النساء) حال من الشهوات اى حال كونها من طائفة
النساء وانما بدأ بهن لعراقتهن فى معنى الشهوة فانهن حبائل الشيطان (والبنين) والفتنة بهم ان الرجل يحرص
بسببهم على جمع المال من الحلال والحرام ولانهم يمنعونه عن محافظة حدود الله قيل اولادنا فتنة ان عاشوا
فتنونا وان ماتوا احزنونا وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد فى حبهن (والقناطير المقنطرة) جمع قنطار وهو
المال الكثير اى الاموال الكثيرة المجتمعة او هو مائة الف دينار او ملء مسك ثور او سبعون الفا او اربعون الف
مثقال او ثمانون الفا او مائة رطل او الف ومائتا مثقال او الف دينار او مائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة
درهم اودية النفس وفى الكشاف المقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدر مبدرة
(من الذهب والفضة) بيان للقناطير اى من هذين الجنسين وانما سمى الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة
لانها تنفض اى تتفرق (والخيل) عطف على القناطير والخيل جمع لا واحد له من لفظه واحده فرس وهو مشتق
من الخيلاء لاختيالها فى مشيها او من التخيل فانه لم يتخيل فى عين صاحبها اعظم منها لتمكنها من قلبه (المسومة)
اى المعلمة وهى التى جعلت فيها العلامة بالسمة واللون او بالكى او المرعية من سامت السائمة اى رعت (والانعام)
اى الابل والبقر والغنم جمع نعم (والحرث) اى الزرع قيل كل منها فتنة للناس اما النساء والبنون ففتنة للجميع
والذهب والفضة فتنة للتجار والخيل فتنة للملوك والانعام فتنة لاهل البوادى والحرث فتنة لاهل الرساتيق
(ذلك) اى ماذكر من الاشياء المعهودة (متاع الحياة الدنيا) اى ما يتمتع به فى الحياة الدنيا اياما قلائل فيفنى
سريعا (والله عنده حسن المآب) اى حسن المرجع وهو الجنة وفيه دلالة على ان ليس فيما عدد عاقبة جيدة
وهذا تزهيد فى طيبات الدنيا الفانية وترغيب فيما عند الله من النعيم المقيم فعلى العاقل ان يأخذ من الدنيا قدر
البلغة ولا يستكثر بالاستكثار الذى يورط صاحبه فى المحظور ويورثه المحذور (قل) يا محمد (أؤنبئكم بخير
من ذلكم) الهمزة للتقرير اى اخبركم بما هو خير مما فصل من تلك المستلذات المزينة لكم (للذين) خبر مبتدأه
قوله جنات (اتقوا) والمراد بالتقوى هو التبتل الى الله تعالى والاعراض عما سواه كما ينبئ عنه النعوت الآتية
(عند ربهم) نصب على الحالية من قوله (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) حال مقدرة (وازواج
مطهرة) اى زوجات مبرأة من العيوب الظاهرة كالحيض والامتخاط واتيان الخلاء ومن الباطنة كالحسد
والغضب والنظر الى غير ازواجهن روى عن النبى عليه السلام شبر من الجنة خير من الدنيا وما فيها (ورضوان)
اى رضوان واى رضوان لا يقادر قدره كائن (من الله) قال الحكماء والجنات بما فيها اشارة الى الجنة الجسمانية
والرضوان اشارة الى الجنة الروحانية واعلى المقامات الجنة الروحانية وهى عبارة عن تجلى نور جلال الله تعالى
فى روح العبد واستغراق العبد فى معرفة الله ثم يصير فى اول هذه المقامات راضيا عن الله وفى آخرها مرضيا
عنده تعالى واليه الاشارة بقوله راضية مرضية (والله بصير بالعباد) وباعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها
(الذين) كانه قيل من اولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين (يقولون ربنا اننا آمنا)
اى صدقناك ونبيك وفى ترتيب الدعاء بقولهم (فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) على مجرد الايمان دلالة
على كفايته فى استحقاق المغفرة والوقاية من النار (الصابرين) نصب على المدح باضمار اعنى والمراد بالصبر
هو الصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء والضراء وحين البأس (والصادقين) فى اقوالهم ونياتهم وعزائمهم
(والقانتين) اى المداومين على الطاعات المواظبين على العبادات (والمنفقين) اموالهم فى سبيل الله
(والمستغفرين بالاسحار) وتوسط الواو بين الصفات المذكورة موذن ان كل صفة مستقلة بالمدح او موذنة

بان منهم صابر ومنهم صادق ثم الصبر حبس النفس عن شهواتها المحظورة فى الشرع وجميع اجناس الصبر ثلاثة
الصبر على الطاعة والصبر على المعصية والصبر على المكروه قال النبى صلى الله عليه وسلم من صبر على مصيبة فله
ثلثمائة درجة وبين الدرجتين كما بين السماء والارض ومن صبر على الطاعة فله ستمائة درجة ما بين الدرجتين
كما بين السماء والارض ومن صبر على المعصية فله تسعمائة درجة بين الدرجتين كما بين العرش والكرسى
والصدق يجرى فى القول وهو مجانبة الكذب وفى الفعل وهو اتيانه وترك الانصراف عنه قبل تمامه وفى النية
وهو العزم عليه حتى يفعل والانفاق يتناول الانفاق على نفسه واهله واقاربه وصلة رحمه وفى الجهاد وسائر وجوه
البر والاستغفار سؤال المغفرة من الله وتخصيص الاسحار بالاستغفار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة
اذ العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروح اجمع لاسيما للمجتهدين قال مجاهد فى قول يعقوب عليه السلام
سأستغفر لكم ربى اخره الى وقت السحر فان الدعاء فيه مستجاب وقال ان الله تعالى لا يشغله صوت عن صوت
لكن الدعاء فى السحر دعوة فى الخلوة وهى ابعد من الرياء والسمعة فكانت اقرب الى الاجابة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ينزل الله تعالى الى السماء الدنيا كل ليلة حتى يبقى ثلث الليل فيقول انا الملك من ذا الذى يدعونى
فاستجيب له من ذا الذى يسألنى فاعطيه من ذا الذى يستغفرنى فاغفر له ومعنى ينزل محمول على نزول ملكه
او على الاستعارة فمعناه الاقبال على الداعين باللطف والاجابة ولهذا قال الى السماء الدنيا اى القربى وفى هذا
الكلام توبيخ لهم على غفلتهم فى الدعاء والسؤال عنه والاستغفار قال لقمان لابنه يا بنى لا تكونن اعجز من هذا
الديك يصوت بالاسحار وانت نائم على فراشك * دلا برخيز وطاعت كن كه طاعت به زهر كار است *
سعادت آن كسى دارد كه وقت صبح بيدارست * خروسان در سحر كويند كه قم يا ايها الغافل *
تو از مستى نمى دانى كسى داندكه هشيارست * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسرى بى الى
السموات رأيت عجائب من عجائب الله تعالى فمن ذلك ان فى السماء الدنيا ديكا له زغب اخضر وريش ابيض
وبياض ريشه كاشد بياض رأيته قط وزغبه تحت ريشه كاشد خضرة رأيتها قط فاذا رجلاه فى تخوم الارض
السابعة السفلى فاذا رأسه عند عرش الرحمن ثان عنقه تحت العرش له جناحان فى منكبيه اذا نشرهما جاوز
المشرق والمغرب فاذا كان فى بعض الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح لله يقول سبحان الملك
القدوس سبحان الكريم او قال الكبير المتعال لا اله الا الله الحى القيوم فاذا فعل ذلك سبحت ديكة الارض كلها
وخفقت باجنحتها فاذا سكن ذلك الديك سكنت ديكة الارض كلها ثم اذا كان فى بعض الليل نشر جناحيه
فجاوزتهما المشرق والمغرب وخفق بهما ثم صرخ بالتسبيح لله يقول سبحان الله العلى العظيم سبحان العزيز
القهار سبحان الله رب العرش الرفيع فاذا فعل ذلك سبحت ديكة الارض بمثل قوله وخفقت باجنحتها واخذت
فى الصراخ واذا سكن ذلك الديك سكنت ديكة الارض ثم اذا هاج بنحو فعله فى السماء هاجت الديكة فى الارض
يجاوبونه تسبيحا لله تعالى بنحو قوله والمقصود من هذا ان التسبيح اذا كان من فعل اهل السماء والارض
خصوصا الحيوانات العجم بل النباتات كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده فان الانسان اولى بان يشتغل
بالدعاء والتسبيح خصوصا فى الخلوات واوقات الاسحار قال الامام القشيرى رحمه الله الصابرين على ما امر الله
والصادقين فيما عاهدوا الله والقانتين بالاستقامة فى محبة الله والمنفقين فى سبيل الله والمستغفرين من جميع
ما فعلوا لرؤية تقصيرهم (شهد الله انه) بانه (لا اله الا هو) نزلت حين جاء رجلان من احبار الشام فقالا للنبى عليه
السلام انت محمد قال نعم فقالا انت احمد قال انا محمد واحمد قالا اخبرنا عن اعظم الشهادة فى كتاب الله فاخبرهما
اى ابت الله بالحجة القطعية واعلم بمصنوعاته الدالة على توحيده انه واحد لا شريك له فى خلقه الاشياء
اذ لا يقدر واحد ان ينشئ شيأ منها قال ابن عباس خلق الله تعالى الارواح قبل الاجساد باربعة آلاف سنة
وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة آلاف سنة فشهد لنفسه قبل خلق الخلق حين كان ولم يكن سماء ولا ارض
ولا بر ولا بحر فقال شهد الله الاية (والملائكة) عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازى شامل
للاقرار والايمان بطريق عموم المجاز اى اقرت الملائكة بذلك لما عاينت من عظم قدرته (واولوا العلم) اى آمنوا به
واحتجوا عليه بالادلة التكوينية والتشريعية وهم الانبياء والمؤمنون الذين علموا توحيده واقروا به اعتقادا
صحيحا فشبه دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة التى لا يقدر عليها غيره تعالى واقرار الملائكة واولى العلم

بذلك بشهادة الشاهد فى البيان والكشف (قائما بالقسط) نصب على الحال المؤكدة من هو دون من ذكر
معه لأمن اللبس اذ القيام بالقسط من الصفات الخاصة به تعالى ومثله جاء زيد وهندا راكبا جاز لاجل التذكير
ولو قلت جاء زيد وعمرو راكبا لم يجز للبس اى مقيما بالعدل فى قسمة الارزاق والآجال والاثابة والمعاقبة
وما يأمر به عباده وينهاهم عنه من العدل والتسوية فيما بينهم ودفع الظلم عنهم (لا اله الا هو العزيز الحكيم) كرر
المشهود به لتأكيد التوحيد اى يوحدوه ولا يشركوا به شيأ لانه ينتقم عمن لا يوحده بما لا يقدر على مثله منتقم
ويحكم ما يريد على جميع خلقه لامعقب لحكمه لغلبته عليهم (ان الدين عند الله الاسلام) جملة مستأنفة
مؤكدة للاولى اى لادين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذى هو التوحيد والتورع بالشريعة الشريفة
وهو الدين الحق منذ بعث الله آدم عليه السلام وما سواه من الاديان فكلها باطل قال شيخنا العلامة فى بعض
تحريراته المقصود من انزال الكلام مطلق الدعوة الى دين الحق ودين الحق تعالى من زمن آدم الى نبينا عليهما
الصلاة السلام الاسلام كما قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام وحقيقة دين الاسلام التوحيد وصورته
الشرائع التى هى الشروط وهذا الدين من ذلك الزمان الى يوم القيام واحد بحسب الحقيقة وسواء بين الكل
ومختلف بحسب الصورة والشروط وهذا الاختلاف الصورى لا ينافى الاتحاد الاصلى والوحدة الحقيقية
انتهى وعن قتادة ان الاسلام شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله وعن غالب القطان قال اتيت
الكوفة فى تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت اختلف اليه فلما كنت ذات ليلة اردت ان احدر الى البصرة
قام من الليل متهجدا فمر بهذه الاية شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز
الحكيم قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة ان الدين
عند الله الاسلام قالها مرارا قلت لقد سمع فيها شيأ فصليت معه وودعته ثم قلت آية سمعتك ترددها فما بلغك
فيها قال والله لا احدثك بها الى سنة فلبثت على بابه ذلك اليوم فاقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد
قد مضت السنة قال حدثنى ابو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم
القيامة فيقول الله ان لعبدى هذا عندى عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة ويناسب هذا
ما يقال عهدنا لله عن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم
ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة انى اعهد اليك بانى اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك
ورسولك وانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لا اثق الا برحمتك فاجعل لى عهدا
توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع اى ختم عليه بخاتم ووضع تحت العرش
فاذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة فلابد من الدعاء فى الصبح والمساء
لله الذى هو خالق الارض والسماء ومن الاخلاص الذى هو ملاك الامر كله فى طاعة المرء وعمله * عبادت
باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد زبى مغز پوست (وما اختلف الذين اوتوا الكتاب) نزلت
فى اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام الذى جاء به النبى عليه السلام وانكروا نبوته (الا من بعد ما جاءهم
العلم) استثناء مفرغ من اعم الاحوال واعم الاوقات اى وما اختلفوا فى دين الله الاسلام ونبوة محمد عليه السلام
فى حال من الاحوال او فى وقت من الاوقات الا بعد ان علموا بانه الحق الذى لا محيد عنه او بعد ان علموا حقيقة
الامر وتمكنوا من العلم بها بالحجج والايات الباهرة وفيه من الدلالة على ترامى حالهم فى الضلالة ما لا مزيد عليه
فان الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل (بغيا بينهم) مفعول له لقوله اختلف اى حسدا
كائنا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء فى الامر وهو تشنيع اثر تشنيع (ومن يكفر بآيات الله) الناطقة
بما ذكر من ان الدين عند الله الاسلام ولم يعمل بمقتضاها (فان الله سريع الحساب) قائم مقام جواب الشرط
علة له اى ومن يكفر باياته تعالى فانه يجازيه ويعاقبه عن قريب فانه سريع الحساب اى يأتى حسابه عن قريب
او سريع فى محاسبة جميع الخلائق لانه يحاسبهم فى اقل من لمحة بحيث يظن كل احد منهم انه اى الله يحاسب
نفسه فقط (فان حاجوك) اى فى كون الدين عند الله الاسلام (فقل اسلمت وجهى) اى اخلصت نفسى وقلبى
وجملتى (لله) وحده لم اجعل فيه لغيره شركا بان اعبده وادعوه الها معه يعنى دين التوحيد وهو القديم الذى

ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندى وما جئت بشئ بديع حتى تجادلونى فيه (ومن اتبعن) عطف على المتصل
فى اسلمت وحسن ذلك لمكان الفصل الجارى مجرى التأكيد بالمنفصل اى واسلم من اتبعنى وجوههم ايضا
(وقل للذين اوتوا الكتاب) اى من اليهود والنصارى (والاميين) الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب
(أأسلمتم) متبعين لى كما فعل المؤمنون فانه قد اتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة فهل اسلمتم وعملتم
بقضيتها ام انتم بعد على كفركم وهو استفهام بمعنى الامر اى اسلموا وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق
من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته فهل فهمتها (فان اسلموا) اى كما اسلمتم واخلصتم (فقد اهتدوا) اى
فازوا بالحظ الاوفر ونجوا عن مهاوى الضلال (وان تولوا) اى اعرضوا عن الاتباع وقبول الاسلام (فانما عليك
البلاغ) قائم مقام الجواب اى لم يضروك شيأ اذ ما عليك الا البلاغ اى التبليغ بالرسالة دون الهداية وقد فعلت
على ابلغ وجه روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الاية على اهل الكتاب قالوا اسلمنا فقال صلى
الله عليه وسلم لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال صلى الله عليه وسلم
للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا وذلك قوله عز وجل
وان تولوا (والله بصير بالعباد) عالم بجميع احوالهم وهو وعد ووعيد (ان الذين يكفرون بآيات الله) اى آية
كانت فيدخل فيهم الكافرون بالايات الناطقة بحقية الاسلام (ويقتلون النبيين بغير حق) هم اهل الكتاب
قتل اولوهم الانبياء عليهم السلام وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حاولوا قتل النبى صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين لولا عصمهم الله وقد اشير اليه بصيغة الاستقبال قال فى سورة البقرة بغير الحق اى بغير الحد الذى
حده الله واذن فيه والنكرة ههنا على معنى ان القتل يكون بوجوه من الحق فمعناه يقتلون بغير حق من تلك
الحقوق (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط) اى بالعدل (من الناس) عن عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قلت
يا رسول الله اى الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها
ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول نهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا
من عباد بنى اسرائيل فامروا قاتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار (فبشرهم بعذاب
اليم) اى وجيع دائم جعل لهم بدل البشارة وهو الاخبار السار الاخبار بالنار وهو كقول القائل تحية بينهم
ضرب وجيع (اولئك) المتصفون بتلك الصفات القبيحة (الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة) الذين بطلت
اعمالهم التى عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها اثر فى الدارين بل بقى لهم اللعنة والخزى فى الدنيا وعذاب اليم
فى الآخرة (وما لهم من ناصرين) ينصرونهم من بأس الله وعذابه فى احدى الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع
فى مقابلته لا لنفى تعدد الانصار من كل واحد منهم كما فى قوله تعالى وما للظالمين من انصار ففى الاية ذم لمن قتل
الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بئس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون بالمعروف والناهين عن المنكر
بئس القوم لا يقومون بالقسط بين الناس بئس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فعليك
بالعدل والانصاف واياك الجور والظلم والاعتساف فاصدع باوامر الحق ونواهيه ولا تخف غير الله فيما انت فيه
وانما عليك البلاغ * كرچه دانى كه نشنوند بكوى * هرچه مى دانى از نصيحت وپند * زود باشد كه
خيره سر بينى * بدو پاى اوفتاده اندر بند * دست بر دست مى زند كه دريغ * نشنيدم حديث
دانشمند * ولا يسقط الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ابدا ولكنه لا ينفع الوعظ والزجر فى آخر الزمان
حين تشتد القلوب قساوة وتكون الانفس مولعة بلذات الدنيا روى ان يهوديا قال لهرون الرشيد فى سيره
مع عسكره اتق الله فلما سمع هرون قول اليهودى نزل عن فرسه وكذا العسكر نزلوا تعظيما لاسم الله العظيم
ومن اكبر الذنوب ان يقول الرجل لاخيه اتق الله فيقول فى جوابه عليك نفسك أانت تأمرنى بهذا ومن الله
العظة والتوفيق الى سواء الطريق (ألم تر) تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من تتأتى منه الرؤية
من حال اهل الكتاب وسوء صنيعهم اى ألم تنظر (الى الذين اوتوا نصيبا) حظا وافرا (من الكتاب) اى
التوراة والمراد بما اوتوه منها ما بين لهم فيها من العلوم والاحكام التى من جملتها ما علموه من نعوت النبى عليه
السلام وحقية الاسلام (يدعون الى كتاب الله) الذى اوتوا نصيبا منه هو التوراة كانه قيل ماذا يصنعون
حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله فالجملة استئناف (ليحكم) ذلك الكتاب (بينهم) وفى الكتاب

بيان الحكم فاضيف اليه الحكم كما فى صفة القرءآن بشيرا ونذيرا لان فيه بيان التبشير والانذار وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارس اليهود فدعاهم الى الايمان فقال له رئيسهم نعيم بن عمرو على اى دين انت
قال صلى الله عليه وسلم على ملة ابراهيم قال ان ابراهيم كان يهوديا قال صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينكم
التوراة فهاتوها فابوا وقال الكلبى نزلت الاية فى الرجم فجر رجل وامرأة من اهل خيبر وكانا فى شرف منهم
وكان فى كتابهم الرجم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء رخصته عنده فحكم عليهم بالرجم فقالوا جرت
علينا ليس عليهما الرجم فقال صلى الله عليه وسلم بينى وبينكم التوراة قالوا قد انصفتنا قال فمن اعلمكم بالتوراة
قالوا ابن صوريا فارسلوا اليه فدعاه النبى عليه السلام بشئ من التوراة فيه الرجم دله على ذلك ابن سلام
فقال له اقرأ فلما اتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقام ابن سلام فرفع اصبعه عنها ثم قرأ على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود بان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المرأة حبلى
تربص حتى تضع ما فى بطنها وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك ورجعوا
كفارا فانزل الله هذه الاية (ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه ولم يصف به
الكل لانه قال فى هذه السورة من اهل الكتاب امة قائمة وقال تعالى امة يهدون بالحق وبه يعدلون (وهم
معرضون) اما حال من فريق لتخصصه بالصفة اى يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم او اعتراض اى وهم
قوم دينهم الاعراض عن الحق والاصرار على الباطل (ذلك) اى التولى والاعراض (بانهم) اى حاصل بسبب
انهم (قالوا لن تمسنا النار) باقتراف الذنوب وركوب المعاصى (الا اياما معدودات) اربعين يوما وهى مدة الايام
التى عبدوا فيها العجل ورسخ اعتقادهم على ذلك وهونوا عليهم الخطوب (وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون)
من قولهم ذلك وما اشبهه من قولهم ان آباءنا الانبياء يشفعون لنا او ان الله تعالى وعد يعقوب عليه السلام
ان لا يعذب اولاده الا فى تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبايح قال ابن عباس رضى الله عنه زعمت
اليهود انهم وجدوا فى التوراة ان ما بين طرفى جهنم اربعون سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم وانما نعذب حتى
نأتى الى شجرة الزقوم فتذهب جهنم وتهلك واصل الجحيم سقر وفيها شجرة الزقوم فاذا اقتحموا من باب جهنم
تسادروا فى العذاب حتى انتهوا الى شجرة الزقوم وملؤا البطون قال لهم خازن سقر زعمتم ان النار لن تمسكم
الا اياما معدودات قد خلت اربعون سنة وانتم فى الابد (فكيف) اى فكيف يصنعون فكيف يكون حالهم
وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة فى دفعه والتخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم
وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون (اذا جمعناهم ليوم) اى لجزاء يوم (لا ريب فيه) اى فى وقوعه
ووقوع ما فيه روى ان اول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفرة راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس
الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار (ووفيت كل نفس ما كسبت) اى جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون
وفيه دلالة على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد فى النار لان توفية جزاء ايمانه وعمله لا يكون فى النار
ولا قبل دخولها فاذن هى بعد الخلاص منها (وهم) اى كل الناس المدلول عليهم بكل نفس (لا يظلمون) بزيادة
عذاب او بنقص ثواب بل يصيب كلا منهم مقدار ما كسبه فالله تعالى ليس من شأنه العظيم ان يظلم عباده
ولو مثقال ذرة فيجازى المؤمنين بايمانهم والكافرين بكفرهم فعلى العاقل ان لا يقطع رجاءه من الله تعالى وان
كانت ذنوبه مثل زبد البحر فالله تعالى عند حسن ظن العبد به روى انه اذا كان يوم القيامة وسكن اهل الجنة
الجنة واهل النار النار اذا بصوت حزين ينادى من داخل النار يا حنان يا منان يا ذا الجلال والاكرام فيقول
الله تعالى يا جبريل اخرج هذا العبد الذى فى النار قال فيخرجه اسود كفرخ الحمام قد تناثر لحمه وذاب جسمه
فينادى يا جبريل لا توقفنى بين يدى الله فافزع فيؤتى به الى الله فيقول له عبدى اتذكر ذنب كذا وكذا فى سنة
كذا وكذا فيقول نعم يا رب فيقول الله اذهبوا بعبدى الى النار فيكون من العبد التفات فيقول الله ردوا عبدى
الى فيرد اليه فيقول له عبدى ما كان التفاتك وهو اعلم فيقول يا رب اذنبت ولم اقطع رجائى منك وحاسبتنى
ولم اقطع رجائى منك وادخلتنى النار ولم اقطع رجائى منك واخرجتنى منها اليك ولم اقطع رجائى منك ثم رددتنى
اليها ولم اقطع رجائى منك فيقول الله تبارك وتعالى وعزتى وجلالى وارتفاعى فى علو مكانى لا كون عند ظن
عبدى بى ولا حققن رجاءه فى اذهبوا بعبدى الى الجنة * خدايا بعزت كه خوارم مكن * بذل بزه

شر

شرمسارم مكن * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة عند الموت
ولا فى قبورهم ولا فى منشرهم كأنى باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم وهم يقولون الحمد لله الذى
اذهب عنا الحزن فالواجب على من كان مؤمنا وليس من اهل البدع ان يحمد الله على ما هداه وجعله مسلما
من الامة الشريفة ولذا قيل من علامات سوء العاقبة ان لا يشكر العبد على ما هدى به من الايمان والتوحيد
واهل الغرور فى الدنيا مخدوع بهم فى الاخرة فليس لهم عناية رحمانية وانما يقبل رجاء العبد اذا قارنه العمل
والكاملون بعدان بالغوا فى تزكية النفس ما زالوا يخافون من سوء العاقبة ويرجون رحمة الله فكيف بنا ونحن
متورطون فى آبار الاوزار لا توبة لنا ولا استغفار غير العناد والاصرار قال الامام الهمام محمد الغزالى رحمه الله
فى منهاج العابدين مقدمات التوبة ثلاث احداها ذكر غاية قبح الذنوب والثانية ذكر غاية عقوبة الله تعالى واليم
سخطه وغضبه الذى لا طاقة لك به الثالثة ذكر ضعفك وقلة حيلتك فى ذلك فان من لا يحتمل حر الشمس ولطمة
شرطى وقرص نملة كيف يحتمل حر نار جهنم وضرب مقامع الزبانية ولسع حيات كاعناق البخت وعقارب
كالبغال خلقت من النار فى دار الغضب والبوار نعوذ بالله من سخطه وعذابه * مرا مى بباید چو طفلان
كريست * نه شرم كناهان نه طفلان زيست * نكو كفت لقمان كه نازيستن * به از سالها
بر خطا زيستن * هم از بامدادان در كلبه بست * به از سود وسرمايه دادن زدست (قل اللهم) اصله
يا الله فالميم عوض من حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل وشددت لقيامها مقام
حرفين وقيل اصله يا الله أمنا بخير اى اقصدنا به فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته (مالك
الملك) اى مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث يتصرف فيه كيف ما يشاء له ايجادا واعداما
واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية
لانه ليس فى الاسماء الموصوفة شئ على حد اللهم (تؤتى الملك) بيان لبعض وجوه التصرف الذى يستدعيه
مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تعالى وكون مالكية الغير بطريق المجاز كما ينبئ عنه ايثار الايتاء الذى
هو مجرد الاعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة (من تشاء) ايتاءه اياه (وتنزع الملك ممن تشاء) نزعه
منه فالملك الاول حقيقى عام ومملوكيته حقيقية والآخران مجازيان خاصان ونسبتهما الى صاحبهما مجازية
(وتعز من تشاء) ان تعزه فى الدنيا او فى الاخرة او فيهما بالنصر والتوفيق (وتذل من تشاء) ان تذله فى احداهما
او فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة (بيدك الخير) وتعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص
اى بقدرتك الخير كله لا بقدرة احد من غيرك تتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما تقتضيه مشيئتك وتخصيص الخير
بالذكر لان الكلام انما وقع فى الخير الذى يسوقه الى المؤمنين وهو الذى انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه
اولياءك على رغم من اعدائك ولان كل افعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله
كايتاء الملك ونزعه او لمراعاة الادب فان فى الخطاب بان الشر منك وبيدك ترك ادب وان كان الكل من الله تعالى
روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة وجميع
من وافى الخندق من القبائل عشرة آلاف اربعين ذراعا واخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق صخرة كالقل
العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه السلام واخذ
المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها مقدار ثلثها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها كانه مصباح فى جوف
بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال
اضاءت لى منها القصور الحمر فى ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لى قصور صنعاء واخبرنى جبريل
عليه السلام ان امتى ظاهرة على الامم كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه
يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون
ان تبرزوا فنزلت (انك على كل شئ قدير) من الاعزاز والاذلال (تولج) اى تدخل (الليل فى النهار) بنقص الاول
وزيادة الثانى حتى يصير النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات (وتولج النهار فى الليل) حتى يكون الليل
خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات (وتخرج الحى من الميت) اى تظهر الحيوان من النطفة او الطير من
البيضة او العالم من الجاهل او المؤمن من الكافر او النبات من الارض اليابسة (وتخرج الميت من الحى)

وهذا عكس الاول (وترزق من تشاء بغير حساب) قال ابو العباس المقرى ورد لفظ الحساب فى القرءآن على ثلاثة اوجه بمعنى التعب قال تعالى وترزق من تشاء بغير حساب وبمعنى العدد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن او امسك بغير حساب والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق او من مفعوله وفيه دلالة على ان من قدر على امثال هاتيك الافاعيل العظام المحيرة للعقول فقدرته على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم اهون من كل هين عن على رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب وآية الكرسى وآيتين من آل عمران شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم الى قوله تعالى بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب قلن يارب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله عزوجل انى حلفت انه لا يقرأكن احد دبر كل صلاة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه واسكنته فى حظيرة القدس ونظرت اليه بعينى كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين حاجة ادناها المغفرة واعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم وفى بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد اطاعونى جعلتهم لهم رحمة وان العباد عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم معناه ان كنتم من اهل الطاعة يول عليكم اهل الرحمة وان كنتم من اهل المعصية يول عليكم اهل العقوبة وجاء فى الخبر ان موسى عليه السلام قال فى مناجاته يارب انت فى السماء ونحن فى الارض فما علامة سخطك من رضاك فاوحى الله اليه اذا استعملت على الناس خيارهم فهو علامة رضاى واذا استعملت شرارهم فهو علامة سخطى عليهم قال الحجاج بن يوسف حين قيل له لم لا تعدل مثل عمر رضى الله عنه وانت قد ادركت خلافته افلم تر عدله وصلاحه فقال فى جوابهم تبادروا انعمر لكم اى كونوا كابى ذر فى الزهد والتقوى اعاملكم معاملة عمر فى العدل والانصاف وفيه اشارة الى ان الولاة انما يكونون على حسب اعمال الرعايا واحوالهم صلاحا وفسادا فعلى كل واحد من المسلمين التضرع لله تعالى والانابة اليه بالتوبة والاستغفار عند فشو الظلم وشمول الجور ويظهر جور الوالى وعدله فى الضرع والزرع والاشجار والاثمار والمكاسب والحرف يعنى يحبط لبن الضرع وتنزع بركة الزرع وتنقص ثمار الاشجار وتكسد معاملة التجار واهل الحرف فى الامصار التى ملك فيها ذلك الملك الجائر بشؤم ظلمه وسوء فعله ويكون الامر على العكس اذا عدل ولما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب اليه طاووس ان اردت ان يكون عملك خيرا كله فاستعمل اهل الخير فقال كفى بها موعظة * بندم اكر بشنوى اى پادشاه * درهمه دفتر به ازين پند نيست * جز بخرد مند مفرما عمل * كرچه عمل كار خرد مند نيست * قال النبى صلى الله عليه وسلم سيأتى زمان لامتى يكون امراؤهم على الجور وعلماؤهم على الطمع وعبادهم على الرياء وتجارهم على اكل الربا ونساؤهم على زينة الدنيا (لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء) نهوا عن موالاتهم لقرابة اوصداقة جاهلية اوجوار ونحوها من اسباب المصادقة والمعاشرة حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم الا لله تعالى اوعن الاستعانة بهم فى الغزو وسائر الامور الدينية (من دون المؤمنين) فى موضع الحال اى متجاوزين المؤمنين اليهم استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان فى موالاتهم مندوحة عن موالاة الكافرين اى استغناء فلا تؤثروهم عليهم فى الولاية (ومن يفعل ذلك) اى اتخاذهم اولياء (فليس من الله) اى من ولايته تعالى (فى شئ) يصح ان يطلق عليه اسم الولاية يعنى انه منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا امر معقول فان موالاة الولى وموالاة عدوه متنافيان قال

تود عدوى ثم تزعم اننى * صديقك ليس النوك عنك بعازب

النوك الحمق والعازب البعيد والمعنى الصديق هو من يودك ويبغض عدوك والاعداء ايضا ثلاثة عدوك وعدو صديقك وصديق عدوك * بشنوى اى خرد مندازان دوست دست * كه با دشمنانت بود هم نشست * (الا ان تتقوا) استثناء من اعم الاحوال كانه قيل لا تتخذوهم اولياء ظاهرا وباطنا فى حال من الاحوال الا حال اتقائكم (منهم) اى من جهتهم (تقاة) اى اتقاء بان تغلب الكفار اويكون المؤمن بينهم فان اظهار الموالاة حينئذ مع اطمئنان النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من شق العصا واظهار ما فى الضمير كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا اى كن فيما بينهم صورة وتجنب عنهم سيرة ولا تخالطهم

مخالطة الاوداء ولا تسير بسيرتهم وهذا رخصة فلو صبر حتى قتل كان اجره عظيما (ويحذركم الله نفسه) اى يخوفكم الله ذاته المقدسة كقوله تعالى فاتقون واخشون اى من سخطى وعقوبتى فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد (والى الله المصير) اى الى جزاء الله مرجع الخلق فيجزى كلا بعمله (قل ان تخفوا ما فى صدوركم) من الضمائر التى من جملتها ولاية الكفرة (او تبدوه) فيما بينكم (يعلمه الله) فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم اليه (ويعلم ما فى السموات وما فى الارض) لا يخفى عليه منه شئ قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم وهو من باب ايراد العام بعد الخاص تأكيدا له وتقريرا (والله على كل شئ قدير) فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه وهذا بيان لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه لان نفسه وهى ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتى لا يختص بمعلوم دون معلوم فهى متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهى قادرة على المقدورات كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا يجسر احد على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة ولاحق به العذاب ولو علم بعض عبيد السلطان انه اراد الاطلاع على احواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن اموره لاخذ حذره وتيقظ فى امره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم ان الله الذى يعلم السر واخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم انا نعوذ بك من اغترار بالستر كذا فى الكشاف فالعاقل يخاف من الله ويكون حبه وبغضه لله يوالى المؤمنين ويعادى الكافرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة من الكبائر لبس الصوف لطلب الدنيا وادعاء محبة الصالحين وترك فعلهم وذم الاغنياء والاخذ منهم ورجل لا يرى الكسب ويأكل من كسب الناس * كرآنها كه من كفتمى كردمى * نكوسيرت وپارسا بودمى * والحب فى الله والبغض فى الله باب عظيم واصل من اصول الايمان وخلق سنى والمحبة الصادقة لا تكون الا عند المصافاة فى الباطن وهى مبنية على اتفاق العقيدة والوجهة لان القلوب تتناسب فتتصافى فان لم يكن بينها التوافق المعنوى واتفق بين اربابها المصالحة والمؤانسة بحسب المماثلة النوعية والالفة النفسية والجنسية الصورية اعدت الرذائل صاحب الفضائل باستغراق النفس فتتشابه تتخالق كما قيل

عن المرء لا تسأل وابصر قرينه * وكل قرين بالمقارن يقتدى

وقال على رضى الله عنه

فلا تصحب اخا الجهل * فاياك واياه * فكم من جاهل اردى * حليما حين آخاه

يقاس المرء بالمرء * اذا ما هو ماشاه * وللقلب على القلب * دليل حين يلقاه

واذا كان الرجل مبتلى بصحبة الفجار فى سفره للحج اوللغزاء لا يترك الطاعة بصحبتهم ولكن يكره بقلبه ولا يرضى به فلعل الفاسق يتوب ببركة كراهة قلبه حكى ان حاتما وشقيقا خرجا فى سفر فصحبهما شيخ فاسق وكان يضرب بالمعزف فى الطريق ويضطرب ويغنى وكان حاتم ينظران ينهاه شقيق فلم يفعل ذلك فلما كان فى آخر الطريق وارادوا ان يتفرقوا قال لهما ذلك الشيخ الفاسق لم ار اثقل منكما قد طربت بين ايديكما كل الطرب فلم تنظرا الى طربى فقال له حاتم ياشيخ اعذرنا فان هذا شقيق وانا حاتم فتاب الرجل وكسر ذلك المعزف وجعل يتلمذ عندهما ويخدمهما فقال شقيق لحاتم رأيت صبر الرجال * نه آنكه بردرد عوى نشيند از خلق * كه كر خلاف كندش بجنك برخيزد * وكر زكوه فرو غلطد آسياسنكى * نه عارفست كه از راه سنك برخيزد * وينبغى ان يعلم ان المؤمن كما يلزم له ان يقطع الموالاة عن الكفار كذلك يقطع ذلك عن الاقرباء الفجار كما قيل * چون نبود خويش را ديانت وتقوى * قطع رحم بهتر از مودت قربى * فان قلت هذا مخالف للقرءآن فانه ناطق بصلة الارحام مطلقا قلت موافق كما قال تعالى وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما فمن تسبب بشقاوتك يجب ان تقطع عنه وان كان ذا قرابتك * هزار خويش كه بيكانه از خدا باشد * فداى يك تن بيكانه كاشنا باشد * فعليك بقطع التعلق من الاغيار وتقتدى بهدى الانبياء الاخيار قال خليل الله عليه السلام فانهم عدو لى الا رب العالمين ومن موالاة الكفار المواكلة معهم بغير عذر واقتضاها ومن القول الشنيع ان يقال لهم چلبى كما يقوله اهم سفهاء زماننا فان معنى چلبى منسوب الى چلب وچلب اسم الله تعالى وهم نارى دون نورى فكيف يصح نسبتهم الى الله والعياذ بالله (يوم) منصوب بتود (تجد كل نفس)

اى من النفوس المكلفة (ما عملت من خير محضرا) عندها بامر الله تعالى (وما عملت من سوء) عطف على ماعملت والاحضار معتبر فيه ايضا الا انه خص بالذكر فى الخير للاشعار بكون الخير مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية (تود) اى تحب وتتمنى يوم تجد صحائف اعمالها من الخير والشر او اجزيتها محضرة (لو ان بينها وبينه) اى بين النفس وبين ذلك اليوم وهوله او بين العمل السوء (امدا بعيدا) اى مسافة واسعة كما بين المشرق والمغرب ولم تحضر ذلك اليوم اولم تعمل ذلك السوء قط (ويحذركم الله نفسه) اى يقول الله اياكم ونفسى يعنى احذروا من سخطى وهو تكرير لما سبق ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه (والله بصير بالعباد) يعنى ان تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه فيحذرهم تحذير الوالد المشفق ولده عما يوبقه قال القشيرى رحمه الله هذا للمستأنفين وقوله ويحذركم الله نفسه للعارفين اولئك اصحاب التخفيف والتسهيل وهؤلاء اصحاب التخويف والتهويل ونظيره بشر المذنبين وانذر الصديقين فالله تعالى يمهل ولا يهمل فيجب ان لا يغتر العبد بامهاله بل يتأهب ليوم حسابه وجزائه

درخير بازست وطاعت وليك ✻ نه هركس توانا ست برفعل نيك ✻

واعلم ان ما يعمله الانسان او يقوله ينتقش فى صحائف النفوس السماوية واذا تكرر صار ملكة راسخة لكنه مشغول عن تلك الهيئات الثابتة فى نفسه ونقوشها بالشواغل الحسية والوهمية والفكرية فاذا فارقت الجسد وقامت قيامتها وجدت ماعملت من خير وشر محضرا لارتفاع الشواغل المانعة كقوله تعالى احصاه الله ونسوه فان كان شرا تمنى البعد فيما بينها وما بين ذلك اليوم او ذلك العمل لتعذبها به فتصير تلك الهيئات صورتها ان كانت راسخة والا صورا تعذبها او تعذبت بحسبها ومن الله العصمة (قال مولانا جلال الدين الرومى قدس سره)

هر خيالى كاو كند در دل وطن ✻ روز محشر صورتى خواهد بدن ✻

ميرتى كاندر وجودت غالبست ✻ هم بر آن تصوير حشرت واجبست ✻

فعلى العاقل ان يزكى نفسه عن الاخلاق الذميمة ويطهر قلبه عن لوث العلائق الدنيوية ويجتهد فى تحصيل مرضاة الله بالاعمال الصالحة والاقوال الحقة كى يجدها عند ربه يوم احتياجه ويفوز بالسعادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة اجوع ما كانوا قط واظمأ ما كانوا قط واعرى ما كانوا قط وانصب ما كانوا قط فمن اطعم لله اطعمه الله ومن سقى لله سقاه الله ومن كسا لله كساه الله ومن عمل لله كفاه الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياحنان يامنان ياذا الجلال والاكرام باعد بينى وبين خطيئتى كما باعدت بين المشرق والمغرب ونقنى من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس واغسلنى بماء الثلج والبرد سبحان الله وبحمده استغفر الله العظيم واتوب اليه ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الى اصحابه حوله فقال ايها الناس لا تعجبوا بانفسكم وبكثرة اعمالكم وبقلة ذنوبكم ولا تعجبوا بامر حتى تعلموا بم يختم له قال عليه السلام فانما الاعمال بخواتيمها ولو ان احدكم جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لتمنى الزيادة لهول ما يقدم عليه يوم القيامة (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى) اثبت فيه الياء لانه اصل ولم يثبت فى فاتقون واطيعون لانه ختم آية ينوى بها الوقف (يحببكم الله) نزلت حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن الاشرف ومن تابعه الى الايمان فقالوا نحن ابناء الله واحباؤه فقال تعالى لنبيه عليه السلام قل لهم انى رسول الله ادعوكم اليه فان كنتم تحبونه فاتبعونى على دينه وامتثلوا امرى يحببكم الله ويرض عنكم والمحبة ميل النفس الى الشىء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقى ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او من غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فى طاعته والحرص على مطاوعته (ويغفر لكم ذنوبكم) اى يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم فى جوار قدسه عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة او المشاكلة (والله غفور رحيم) اى لمن كان يتحبب النصارى ويتبع عيسى ابن مريم فنزل قوله تعالى (قل اطيعوا الله والرسول) اى فى جميع الاوامر والنواهى فيدخل فى ذلك الطاعة فى اتباعه صلى الله عليه وسلم دخولا اوليا (فان تولوا) اما من تمام مقول القول فهى صيغة المضارع المخاطب بحذف احدى التاءين اى تتولوا وتعرضوا واما كلام متفرع مسوق من جهته تعالى فهى

صيغة الماضى الغائب وفى ترك ذكر احتمال الاطاعة كما فى قوله تعالى فان اسلموا تلويح الى انه غير محتمل عنهم (فان الله لا يحب الكافرين) نفى المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم اى لا يرضى عنهم ولا يثنى عليهم ودلت الآية على شرف النبى عليه السلام فانه جعل متابعته متابعة حبيب نفسه وقارن طاعته بطاعته فمن ادعى محبة الله وخالف سنة نبيه فهو كذاب بنص كتاب الله تعالى قيل

تعصى الاله وانت تظهر حبه ✻ هذا محال فى الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته ✻ ان المحب لمن يحب مطيع

وانما كان من ادعى محبة الله وخالف سنة رسوله كاذبا فى دعواه لان من احب آخر يحب خواصه والمتصلين به من عبيده وغلمانه وبيته وبنيانه ومحله ومكانه وجداره وكلبه وحماره وغير ذلك فهذا هو قانون العشق وقاعدة المحبة والى هذا المعنى اشار المجنون العامرى حيث قال

امر على الديار ديار ليلى ✻ اقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبى ✻ ولكن حب من سكن الديارا

قال الامام القشيرى رحمه الله قطع الله اطماع الكل ان يسلم لاحدهم نفسه الا ومقتداهم سيد الاولين والآخرين وقال القاشانى محبة النبى عليه السلام انما تكون بمتابعته وسلوك سبيله قولا وعملا وخلقا وحالا وسيرة وعقيدة ولا تتمشى دعوى المحبة الا بهذا فانه قطب المحبة ومظهرها وطريقته صلى الله عليه وسلم المحبة فمن لم يكن له من طريقته نصيب لم يكن له من المحبة نصيب واذا تابعه حق المتابعة ناسب باطنه وسره وقلبه ونفسه باطن النبى وسره وقلبه ونفسه وهو مظهر المحبة فلزم بهذه المناسبة ان يكون لهذا التابع قسط من محبة الله بقدر نصيبه من المتابعة فيلقى الله محبته عليه ويسرى من روح النبى نور تلك المحبة ايضا الى قلبه اسرع ما يكون اذ لولا محبة الله لم يكن محبا له ثم نزل عن هذا المقام لانه اعز من الكبريت الاحمر ودعاهم الى ما هو اعم من مقام المحبة وهو مقام الارادة فقال قل اطيعوا الله والرسول اى ان لم تكونوا محبين ولم تستطيعوا متابعة حبيبى فلا اقل من ان تكونوا مريدين مطيعين لما امرتم به فان المريد يلزمه طاعة المراد وامتثال امره فان تولوا اى ان اعرضوا عن ذلك ايضا فهم كفار محجوبون انتهى وروى البخارى عن عبد الله بن هشام انه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال عمر يا رسول الله انت احب الى من كل شىء الا نفسى فقال عليه السلام والذى نفس محمد بيده لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر فانه الآن والله انت احب الى من نفسى فقال عليه السلام الآن يا عمر صار ايمانك كاملا وقال صلى الله عليه وسلم كل امتى يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى وعن جابر بن عبد الله انه يقول جاءت ملائكة الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعى دخل الدار واكل من المأدبة ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا اولوها له يفقهها فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا فالدار الجنة والداعى محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس فبمتابعة النبى صلى الله عليه وسلم تحصل الجنة والقربة والوصلة روى ان محمودا الغازى دخل على الشيخ الربانى ابى الحسن الخرقانى قدس سره لزيارته وجلس ساعة ثم قال يا شيخ ما تقول فى حق ابى يزيد البسطامى قدس سره فقال الشيخ هو رجل من اتبعه اهتدى واتصل بسعادة لا تخفى فقال محمود وكيف ذلك وابو جهل رأى رسول الله عليه السلام ولم يخلص من الشقاوة فقال الشيخ فى جوابه ان ابا جهل ما رأى رسول الله انما رأى محمد بن عبد الله حتى لو كان رأى رسول الله عليه السلام لخرج من الشقاوة ودخل فى السعادة ثم قال ومصداق ذلك قول الله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فالنظر بعين الرأس لا يوجب هذه السعادة بل النظر بعين السر والقلب والمتابعة التامة يورث ذلك وامته صلى الله عليه وسلم من اتبعه ولا يتبعه الا من اعرض عن الدنيا فانه عليه السلام ما دعا الا الى الله واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما اعرضت عنها واقبلت على الله وصرفت الاوقات لاعمال الآخرة فقد سلكت سبيله الذى سلكه وبقدر ما اتبعته صرت من

امته وبقدر ما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله واعرضت عن متابعته ولحقت بالذين قال الله تعالى فيهم
فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى ولو خرجت عن مكمن الغرور وانصفت من نفسك يا رجل
وكنا ذلك الرجل لعلمت انك من حين غمسى الى حين تصبح لا تسعى الا فى الحظوظ العاجلة ولا تتحرك الا برجل
الدنيا الفانية ثم تطمع فى ان تكون غدا من امته واتباعه ويحك ما ابعد ظننا وما اخش طمعنا قال الله تعالى
أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون (ان الله اصطفى آدم) الاصطفاء اخذ ما صفا من الشئ
كالاستصفاء اى اختار آدم بالنفس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية والكمالات الجسمانية المستتبعة
للرسالة فى نفس المصطفى كما فى كافة الرسل عليهم السلام اوفيمن يلابسه وينشأ منه كما فى مريم او اصطفاه بان خلقه
بيده فى احسن تقويم وبتعليم الاسماء واسجاد الملائكة اياه واسكانه الجنة (و) اصطفى (نوحا) بما ذكر من الوجه
الاول او اصطفاه بكونه اول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبل ذلك تزويج المحارم حراما وباطالة عمره وجعل ذريته
هم الباقين واستجابة دعوته فى حق الكفرة والمؤمنين وحمله على متن الماء (و) اصطفى (آل ابراهيم) وهو اسماعيل
واسحق والانبياء من اولادهما الذين من جملتهم النبى صلى الله عليه وسلم ويفهم من اصطفائهم اصطفاء ابراهيم
بطريق الاولوية (و) اصطفى (آل عمران) وهو عيسى وامه مريم ابنة عمران بن ماثان بن العادر بن ابى هود بن
رب بابل بن الياقيم بن يوحنا بن اوشا بن اومودر بن ميشك بن خارقا بن يونام بن عزريا بن يوزان بن ساقط
ابن ايشا بن راجقيم بن سليمان بن داود عليهما السلام ابن ايشا بن عويل بن سلمون ابن باعز بن عمشون بن عمياد
ابن دام بن حضروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام وقيل آل عمران هو موسى وهارون عليهما
السلام ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة فيكون
اصطفاء عيسى عليه السلام بالاندراج فى آل ابراهيم والاول هو الاظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم واصطفاء
موسى وهارون عليهما السلام بالانتظام فى سلك آل ابراهيم انتظاما ظاهرا (على العالمين) جمع عالم وهو اسم
النوع من المخلوقين فيه علامة يمتاز بها عن خلافه من الانواع كالملك والجن والانس يقال عالم البر والبحر وعالم
الارض وعالم السماء والمراد بالعالمين اهل زمان كل واحد منهم اى اصطفى كل واحد منهم على عالمى زمانه (ذرية)
نصب على البدلية من الآلين والذر بفتح الذال البث والتفريق وسمى نسل الثقلين ذرية لان الله تعالى قد بثهم
فى الارض اولان الله اخرج نسل آدم عليه السلام من صلبه كهيئة الذر وهو جمع ذرة وهى اصغر النمل والذرء
ايضا الخلق والله تعالى خلقهم واظهرهم من العدم الى الوجود (بعضها من بعض) فى محل النصب على انه صفة
لذرية يعنى ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض فان آل ابراهيم اعنى اسماعيل واسحق
متشعبان من ابراهيم المتشعب من نوح المتشعب من آدم واولادهما الى آخر انبياء بنى اسرائيل والى خاتم
الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين متشعبون منهما وآل عمران وهو موسى وهارون من ذرية ابراهيم
ونوح وآدم وكذا عيسى وامه مريم عليهما السلام (والله سميع) لاقوال العباد (عليم) باعمالهم البادية
والخافية فيصطفى من بينهم لخدمته من يظهر استقامته قولا وفعلا على نهج قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل
رسالته ودلت الاية على صحة انكحة الكفار حيث ثبت نسب بعضهم من بعض بها قال صلى الله عليه وسلم ولدت
من نكاح لا من سفاح واعلم ان الاصطفاء اعم من المحبة والخلة فيشمل الانبياء كلهم لانهم خيرة الله وصفوته
وتتفاضل فيه مراتبهم كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فاخص المراتب هو المحبة المشار اليها
بقوله ورفع بعضهم درجات فلذلك كان افضلهم حبيب الله محمدا عليه السلام ثم الخلة التى هى صفة ابراهيم
عليه السلام واعمها الصفاء الذى هو صفة آدم صفى الله عليه السلام ذرية بعضها من بعض فى الدين
والحقيقة اذ الولادة قسمان صورية ومعنوية فكل نبى يتبع بنبى آخر فى التوحيد والمعرفة وما يتعلق بالباطن
من اصول الدين فهو ولده كاولاد المشايخ فى زماننا هذا وكما قيل الاباء ثلاثة اب ولدك واب رباك واب علمك
وكما ان وجود البدن فى الولادة الصورية يتولد فى رحم امه من نطفة ابيه فكذلك وجود القلب فى الولادة
الحقيقية يظهر فى رحم استعداد النفس من نفخة الشيخ والمعلم والى هذه الولادة اشار عيسى عليه السلام بقوله
لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين ثم اعلم ان الولادة المعنوية اكثرها تتبع الصورية فى التناسل ولذلك
كان الانبياء فى الظاهر ايضا نسلا واحدا ثمرة شجرة واحدة وسببه ان الروح فى الصفاء والكدورة يناسب المزاج

فى القرب من الاعتدال الحقيقى وعدمه وقت التكون فلكل روح مزاج يناسبه ويخصه اذ الفيض يصل
بحسب المناسبة وتتفاوت الارواح فى الازل بحسب صفوتها ومراتبها فى القرب والبعد عن الحضرة الاحدية
فتتفاوت الامزجة بحسبها فى الابد لتتصل بها والابدان المتناسلة بعضها من بعض متشابهة فى الامزجة على
الاكثر اللهم الا لامور عارضة اتفاقية فكذلك الارواح المتصلة بها متقاربة فى الرتبة متناسبة فى الصفة
وهذا مما يقوى ان المهدى يكون من نسل محمد عليه السلام والاغذية مؤثرة فى البدن فمن كان غذاؤه حلالا
طيبا وهيئات نفسه فاضلة نورانية ونياته صادقة حقانية جاء ولده مؤمنا صديقا ووليا اونبيا ومن كان غذاؤه
حراما وهيئات نفسه خبيثة ظلمانية ونياته فاسدة رديئة جاء ولده فاسقا اوكافرا زنديقا اذ النطفة التى يكون
الولد منها متولدة من ذلك الغذاء مرباة بتلك النفس فيناسبها ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد
سر ابيه وكان صدق مريم ونبوة عيسى ببركة صدق نيتها (اذ) منصوب باذكر (قالت امرأة عمران) وهى امرأة
عمران بن ماثان ام مريم البتول جدة عيسى عليه السلام وهى حنة بنت فاقوذا فان قلت كانت لعمران
ابن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهارون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما ادراك ان عمران هذا
هو ابو مريم البتول دون عمران ابى مريم التى هى اخت موسى وهارون قلت كفى بكفالة زكريا دليلا على انه
عمران ابو البتول لان زكريا بن اذن وعمران بن ماثان كانا فى عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته ايشاع اخت مريم
فكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابنى خالة روى انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينا هى فى ظل شجرة
بصرت بطائر يطعم فرخاله فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا شكرا ان رزقتنى ولدا ان
اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهى حامل وذلك قوله تعالى
(رب انى نذرت لك) والنذر ما يوجبه الانسان على نفسه (ما فى بطنى) عبر عن الولد بما لابهام امره وقصوره
عن درجة العقلاء (محررا) اى معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لى عليه ولا استخدمه ولا اشغله بشئ او خالصا لله
ولعبادته لا يعمل عمل الدنيا ولا يتزوج فيتفرغ لعمل الآخرة وكان هذا النذر مشروعا عندهم لان الامر فى دينهم
ان الولد اذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمة الابوين فكانوا بالنذر يتركون ذلك النوع من
الانتفاع ويجعلونهم محررين لخدمة المسجد ولم يكن احد من الانبياء الا ومن نسله محرر لبيت المقدس ولم يكن
يحرر الا الغلمان ولا تصلح له الجارية لما يصيبها من الحيض والاذى فتحتاج الى الخروج ولكن حررت حنة
ما فى بطنها مطلقا اما لانها بنت الامر على تقدير الذكورة اولانها جعلت ذلك النذر وسيلة الى طلب الولد الذكر
(فتقبل منى) اى ما نذرته والتقبل اخذ الشئ على وجه الرضى وهذا فى الحقيقة استدعاء للولد اذ لا يتصور
القبول بدون تحقق المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى (انك انت السميع) لجميع المسموعات التى من
جملتها تضرعى ودعائى (العليم) لكل المعلومات التى من زمرتها ما فى ضميرى لا غير (فلما وضعتها) اى ولدت
النسمة وهى انثى (قالت) حنة وكانت ترجو ان تكون غلاما (رب انى) التأكيد للرد على اعتقادها الباطل
(وضعتها انثى) تحسرا على ما رأته من خيبة رجائها وعكس تقديرها والضمير المتصل عائد الى النسمة وانثى حال منه
(والله اعلم بما وضعت) تعظيم من جهته تعالى لموضوعها فانها انما تحسرت وتحزنت على ان ولدت انثى قال الله
تعالى انها لا تعلم قدر هذا الموهوب والله هو العالم بالشئ الذى وضعته وما علق به من العجائب وعظائم الامور فانه
تعالى سيجعله وولده آية للعالمين وهى جاهلة بذلك لا تعلم به فلذلك تحسرت وتحزنت (وليس الذكر كالانثى)
مقول الله ايضا مبين لتعظيم موضوعها ورفع منزلته واللام فيهما للعهد اى ليس الذكر الذى كانت تطلبه وتتخيل
فيه كمالا قصاراه ان يكون كواحد من السدنة كالانثى التى وهبت لها فان ذا آثرة علمها وامنيتها لا تكاد تحيط
بما فيها من جلائل الامور فهى افضل من مطلوبها وهى لا تعلم وهاتان الجملتان من مقول الله تعالى اعتراضان
بين قول ام مريم انى وضعتها انثى وقولها وانى سميتها مريم وفائدتهما التسلية لنفس حنة والتعظيم لوضعها
(وانى سميتها مريم) من مقول حنة عطف على قوله انى وضعتها اى انى جعلت اسمها مريم وغرضها من عرضها
على علام الغيوب التقرب اليه تعالى واستدعاء العصمة لها فان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة وخادم الرب واظهار
انها غير راجعة فى نيتها وان كان ما وضعته انثى وانها ان لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات
فيه وظاهر هذا الكلام يدل على ان عمران كان قد مات قبل وضع حنة مريم والا لما تولت الام تسمية المولود

لان العادة ان التسمية يتولاها الاباء (وانى اعيذها بك) اى اجيرها بحفظك (وذريتها) عطف على الضمير المنصوب اى اولادها (من الشيطان الرجيم) اى المطرود واصل الرجم الرمى بالحجارة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع فى اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة (فتقبلها) اى اخذ مريم ورضى بها فى النذر مكان الذكر (ربها) مالكها ومبلغها الى كمالها اللائق (بقبول حسن) بوجه حسن يقبل به النذائر وهو قبول تلك الانثى مع انوثتها وصغرها فان المعتاد فى تلك الشريعة ان لا يجوز التحرير الا فى حق غلام عاقل قادر على خدمة المسجد وههنا لما علم الله تعالى تضرع حنة قبل بنتها حال صغرها وعدم قدرتها على خدمة المسجد (وانبتها نباتا حسنا) مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلح فى جميع احوالها ثم ان الله تعالى ذكر قبولها منها وذلك لضعفها وصدق نيتها فى الابتداء وحياتها فى الانتهاء وكان فى ذلك الزمان اربعة آلاف محرر لم يشتهر خبر احد منهم اشتهار خبرها وفيه تنبيه للعبد على ان يرى من نفسه التقصير بعد جهدها ليقبل الله عملها الا ظهار افلاسها واضمار اخلاصها رزقنا الله واياكم ✱ طريقت همينست كاهل يقين ✱ نكوكار بودند وتقصيرين ✱ واعلم انه سبحانه قطع السائرين له وهم المريدون والواصلين اليه وهم المرادون عن رؤية اعمالهم وشهود احوالهم اما السائرون فلانهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها فانقطعوا اليه برؤية تقصيرهم واما الواصلون فلانه غيبتهم شهوده عنها لانه الفعال وهم آلة مسخرة ولما دخل الواسطى نيسابور سأل اصحاب الشيخ ابى عثمان المغربى بم يأمركم شيخكم قالوا كان يأمرنا بالتزام الطاعة ورؤية التقصير فيها فقال امركم بالمجوسية المحضة هلا امركم بالغيبة عنها بشهود منشئها ومجريها قال القشيرى وانما اراد الواسطى صيانتهم عن محل الاعجاب لا تعريجا فى اوطان التقصير او تجويزا للاخلال بادب من الآداب قال النهرجورى من علامة من تولاه الله فى اعماله ان يشهد التقصير فى اخلاصه والغفلة فى اذكاره والنقصان فى صدقه والفتور فى مجاهدته وقلة المراعاة فى فقره فتكون جميع احواله عنده غير مرضية ويزداد فقرا الى الله فى فقره وسيره حتى يفنى عن كل ما دونه قال الشيخ ابو العباس رضى الله عنه فى اشارة قوله تعالى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل يولج المعصية فى الطاعة ويولج الطاعة فى المعصية يطيع العبد الطاعة فيعجب بها ويعتمد عليها ويستصغر من لم يفعلها ويطلب من الله العوض عليها فهذه حسنة احاطت بها سيئات ويذنب الذنب فيلجأ الى الله فيه ويستصغر نفسه ويستعظم من لم يفعله فهذه سيئة احاطت بها حسنات فايتهما الطاعة وايتهما المعصية فعلى السالك ان يجتهد فى الطاعات ولا يغتر بالعبادات لعله يصل الى غاية الغايات فى روضات الجنات ✱ چه زرها بخاك سيه دركنند ✱ كه باشد كه روزى مسى زركنند ✱ يعنى ان المشتغلين بتحصيل صنعة الكيمياء يجعلون دنانير كثيرة تحت التراب اى يبذلونها لتحصيلها ويفرقونها فى اسبابها كى يصير النحاس فى ايديهم ذهبا بخنا وتشرفوا بوصالها زرازبهر چيزى خريدن نكوست ✱ چه خواهى خريدن به از وصل دوست ✱ فالسعى فى الاعمال انما هو لطلب رضى الله ووصول جنابه وهو الذى يبذل فى طريقه المال والروح لينفتح باب الفتوح قال الشيخ الشاذلى قدس سره فى لطائف المنن واعلموا ان الله اودع انوار الملكوت فى اصناف الطاعات فاى من فاته من الطاعات صنف او اعوزه من الموافقات جنس فقد فقد من النور بمقدار ذلك ولا تهملوا شيأ عن الطاعات ولا تستغنوا من الاوراد بالواردات ولا ترضوا لانفسكم بما رضى به المدعون بجر الحقائق على السنتهم وخلوا انوارها من قلوبهم انتهى فينبغى للعبد ان يواظب على اصناف الطاعات وينساها بعد ما عملها كيلا يبطلها العجب لانه يقال حفظ الطاعة اشد من فعلها لان مثلها كمثل الزجاج يسرع اليه الكسر ولا يقبل الجبر وكذا الخيرات اذا ازيلت بالمخالفات (وكفلها زكريا) الفعل لله تعالى بمعنى وضمنها الله الى زكريا وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها قائما بتدبير امورها والكافل هو الذى ينفق على انسان ويهتم باصلاح مصالحه وفى الحديث انا وكافل اليتيم كهاتين وهو زكريا بن اذن بن مسلم بن صدون من اولاد سليمان عليه السلام ابن داود عليه السلام روى ان حنة حين ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة اى خذوها فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم

فقال لهم زكريا انا احق بها عندى خالتها فقالوا لا حتى نقرع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر قيل هو نهر الاردن فالقوا فيه اقلامهم التى كانوا يكتبون بها الوحى على ان كل من ارتفع قلمه فهو الراجح فالقوا ثلاث مرات ففى كل مرة يرتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها قال الشيخ فى تفسيره وهو معنى قوله فتقبلها ربها الاية (كلما) اى كل وقت (دخل عليها) اى على مريم (زكريا) فاعل دخل (المحراب) اى فى المحراب قيل بنى لها محرابا فى المسجد اى غرفة تصعد اليها بسلم او المحراب اشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس او كانت مساجدهم تسمى المحاريب روى انه لا يدخل عليها الا هو وحده فاذا خرج غلق عليها سبعة ابواب فكلما دخل (وجد عندها رزقا) اى نوعا منه غير معتاد اذ كان ينزل ذلك من الجنة وكان يجد عندها فى الصيف فاكهة الشتاء وفى الشتاء فاكهة الصيف ولم ترضع ثديا قط (قال) كأنه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام عند مشاهدة هذه الاية فقيل قال (يا مريم انى لك هذا) اى من اين يجيء لك هذا الذى لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت فى غير حينه والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك (قالت) مريم وهى صغيرة لا قدرة لها على فهم السؤال ورد الجواب قيل تكلمت وهى صغيرة كما تكلم عيسى وهو فى المهد (هو من عند الله) فلا تعجب ولا تستبعد (ان الله يرزق من يشاء) ان يرزقه (بغير حساب) اى بغير تقدير لكثرته او بلا محاسبة او من حيث لا يحتسب وهو تعليل لكونه من عند الله اما من تمام كلامها فيكون فى محل النصب واما من كلامه عز وجل فهو مستأنف وفى الاية دليل على جواز الكرامة للاولياء ومن انكرها جعل هذا ارهاصا وتأسيسا لرسالته عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وسلم انه جاع فى زمن قحط فاهدت له فاطمة رضى الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمى يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه وسلم انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعلك شبيهة بسيدة بنى اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا والحسنين رضى الله عنهم وجميع اهل بيته عليه فاكلوا وشبعوا وبقى الطعام كما هو فاوسعت فاطمة رضى الله عنها على جيرانها وقد ظهر على السلف رضى الله عنهم من الصحابة والتابعين ثم على من بعدهم من الكرامات قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه اكبر الكرامات ان تبدل خلقا مذموما من اخلاقك قال الشيخ ابو العباس رحمه الله ليس الشان من تطوى له الارض فاذا هو بمكة وغيرها من البلدان انما الشأن من تطوى عنه اوصاف نفسه وقيل لابى يزيد ان فلانا يمشى على الماء قال الحوت اعجب منه اذ هو شأنه فقيل له ان فلانا يمشى فى الهواء قال الطير اعجب من ذلك اذ هو حاله قيل له كان فلان يمشى الى مكة ويرجع من يومه قال ابليس اعجب من ذلك اذ هو حاله تطوى له الارض كلها فى لحظة وهو فى لعنة الله فالطى الحقيقى ان تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة هى اقرب اليك منك لان الارض تطوى لك فاذا انت حيث شئت من البلاد لان هذا ربما جر الى الاغترار وذلك يؤدى للتعلق بالواحد القهار وحكى عن ابى عنوان الواسطى قال انكسرت السفينة وبقيت انا وامرأتى اياما على لوح وقد ولدت فى تلك الحالة صبية فصاحت بى فقالت يقتلنى العطش فقلت هو ذا يرين حالنا فرفعت رأسى فاذا رجل فى الهواء جالس وفى يده سلسلة من ذهب وفيها كوز من ياقوت احمر وقال هاك اشربا قال فاخذت الكوز وشربنا منه فاذا هو اطيب من المسك واحلى من العسل فقلت من انت يرحمك الله قال انا عبد لمولاك فقلت بم وصلت الى هذا فقال تركت هواى لمرضاته فاجلسنى فى الهواء ثم غاب عنى فلم اره وحج سفيان الثورى مع شيبان الراعى رضى الله عنهما فعرض لهما سبع فقال سفيان لشيبان اما ترى هذا السبع فقال لا تخف واخذ شيبان اذنيه فعركهما فتبصبص وحرك ذنبه فقال سفيان ما هذه الشهرة فقال لولا مخافة الشهرة لما وضعت زادى الا على ظهره حتى آتى مكة ✱ تو هم كردن از حكم داور مپيچ ✱ كه كردن نه پيچد ز حكم تو هيچ ✱ محالست چون دوست دارد ترا ✱ كه در دست دشمن كذارد ترا (هنالك) اى حيث كان قاعدا عند مريم فى المحراب ولما رأى زكريا عليه السلام حال مريم فى كرامتها على الله ومنزلتها رغب فى ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة فى النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت اختها كذلك (دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك) اى اعطنى من محض قدرتك من غير وسط معتاد (ذرية طيبة) اى ولدا صالحا مباركا تقيا رضيا مرضيا

والذرية النسل تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد هنا ولد واحد والطيب هو الذى تستطاب افعاله واخلاقه فلا يكون فيه امر يستخبث ويعاب (انك سميع الدعاء) اى مجيبه كما فى قولهم سمع الله لمن حمده وهذا الان من لم يجب فكانه لم يسمع فان قيل ان زكريا كان عالما ان فى قدرة الله ذلك قبل رؤية حال مريم فهلا سأل قبل ذلك قلنا قد يزداد الانسان رغبة فى الشئ اذا عاينه وان كان عالما به قبله (فنادته الملائكة) اى جبرائيل وحكم الواحد من الجنس قد ينسب الى الجنس نفسه نحو فلان يركب الخيل وانما يركب واحدا من افرادها ولما كان جبرائيل رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيما له (وهو) حال من مفعول النداء اى والحال ان زكريا عليه السلام (قائم يصلى فى المحراب) اى فى المسجد او فى غرفة مريم (ان الله) مفعول ثان لنادته اى بان الله تعالى (يبشرك بيحيى) اى بولد اسمه يحيى لانه حيى به رحم امه ولانه يحيى به المجالس من وعظه والتقدير بولادة ولد اسمه يحيى فان التبشير لا يتعلق بالاعيان (مصدقا بكلمة من الله) اى بعيسى عليه السلام وانما سمى كلمة لانه وجد بكلمة كن من غير اب فشابه البديعيات التى هى عالم الامر وهو اول من آمن بعيسى وصدق بانه كلمة الله وروح منه ويسمى روحا ايضا لانه تعالى احيى به من الضلالة كما يحيى الانسان بالروح قال السدى لقيت ام يحيى ام عيسى فقالت يا مريم أشعرت بحبلى فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت فانى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا الخ وكان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر ثم قتل يحيى قبل ان رفع عيسى الى السماء (وسيدا) عطف على مصدقا اى رئيسا يسود قومه ويفوقهم فى الشرف وكان فائقا للناس قاطبة فانه لم يلم بخطيئة ولم يهم بمعصية فيالها ما اسناها (وحصورا) اى مبالغا فى حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة روى انه مر فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت والحصور الممتنع من النساء مع القدرة عليهن وقد تزوج مع ذلك ليكون اغض لبصره (ونبيا) اى يوحى اليه اذا بلغ هو مبلغه (من الصالحين) اى ناشئا منهم لانه كان من اصلاب الانبياء عليهم السلام والصلاح صفة تنتظم الخير كله والمراد به هنا ما فوق الصلاح الذى لا بد منه فى منصب النبوة البتة من اقاصى مراتبه (قال) عند نداء الملائكة اياه وبشارتهم له بالولد بالاستفهام متعجبا من حيث العادة ومسرورا بالولد (رب انى يكون لى) اى كيف يحصل لى (غلام) وفيه دلالة على انه اخبر بكونه غلاما عند التبشير (وقد بلغنى الكبر) اى ادركنى كبر السن واثر فى وفيه دلالة على ان كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت طالب للانسان لا يكاد يتركه قيل كان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون (وامرأتى عاقر) اى ذات عقر وعقيم لا تلد (قال) اى الله (كذلك) اشارة الى مصدر يفعل فى قوله تعالى (الله يفعل ما يشاء) اى ما يشاء ان يفعله من تعاجيب الافاعيل الخارقة للعادات فالله مبتدأ ويفعل خبره والكاف فى محل النصب على انها فى الاصل نعت لمصدر محذوف اى الله يفعل ما يشاء ان يفعله فعلا مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذى هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر (قال رب اجعل لى آية) اى علامة تدلنى على تحقق المسئول او وقوع الحبل وانما سألها لان العلوق امر خفى لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة منه حين حصولها بالشكر ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادا (قال آيتك) اى علامة حدوث الولد (ان لا تكلم الناس) اى ان لا تقدر على تكليمهم (ثلاثة ايام) اى متوالية مع لياليها فان ذكر الليالى او الايام يقتضى دخول الاخرى فيه لغة وعرفا وانما جعلت آيته ذلك لتخليص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة (الا رمزا) اى اشارة بيد او رأس او نحوهما وسمى الرمز كلاما لانه يؤدى ما يؤدى الكلام ويفهم منه ما يفهم من الكلام فلهذا جاز الاستثناء المتصل منه ثم امره تعالى بذكره لعدم منعه عن ذكر الله فقال (واذكر ربك) اى فى ايام الحبسة شكرا لحصول التفضل والانعام (كثيرا) اى ذكرا كثيرا (وسبح بالعشى) اى سبحه تعالى اى من الزوال الى الغروب (والابكار) من طلوع الفجر الى الضحى قال الامام فى قوله تعالى واذكر ربك كثيرا فيه قولان احدهما انه تعالى امر بحبس لسانه عن امور الدنيا الا رمزا فاما فى الذكر والتسبيح فقد كان لسانه جيدا وكان ذلك من المعجزات الباهرة والقول الثانى ان المراد منه الذكر بالقلب وذلك لان المستغرقين فى بحار معرفة الله تعالى عادتهم فى اول الامر ان يواظبوا على الذكر اللسانى مدة فاذا امتلأ القلب من نور ذكر الله سكتوا باللسان وبقى الذكر بالقلب ولذلك قالوا من عرف الله كل لسانه فكان زكريا عليه السلام امر بالسكوت باللسان وبالاستحضار معانى الذكر والمعرفة واستدامتها انتهى واعلم ان الذكر على مراتب والذكر

اللسانى بالنسبة الى الذكر القلبى تنزل روى ان عيسى عليه السلام حين ترقى الى اعلى مراتب الذكر جاءه ابليس فقال يا عيسى اذكر الله فتعجب عيسى من امره بالذكر مع ان جبلته على المنع منه ثم ظهر انه اراد ان يغويه وينزله من مرتبة الذكر القلبى الى مرتبة الذكر اللسانى وذلك كان تنزلا بالنسبة الى مقامه عليه السلام فعلى العاقل ان يداوم على الاذكار آناء الليل واطراف النهار فان الذكر يدفع هوى النفس فاذا اطرد ذلك من الباطن فلا سبيل للشيطان ايضا فى الظاهر فتغلق ابواب المنهيات بالكليات ويتصفى القلب ولا يتكدر

بيابى بنفشان آرايينه كرد * كه صيقل نكير وچو زنكار خورد *

قال القشيرى فذكر اللسان به يصل العبد الى استدامة ذكر القلب والتأثير للذكر فاذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل فى وصفه فى حال سلوكه قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه ما من يوم الا والجليل سبحانه ينادى عبدى ما انصفتنى اذكرك وتنسانى وادعوك الى وتذهب الى غيرى واذهب عنك البلايا وانت معتكف على الخطايا يا ابن آدم ما تقول غدا اذا جئتنى وقال الحسن افتقدوا الحلاوة فى ثلاثة اشياء فى الصلاة والذكر والقراءة فان وجدتم والا فاعلموا ان الباب مغلق قيل اذا تمكن الذكر من القلب فان دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الانسان اذا دنا منه الشيطان فيجتمع عليه الشياطين فيقولون ما لهذا فيقول قد مسه الانس قال بعضهم وصف لى ذاكر فى اجمة فاتيته فبينما هو جالس اذا سبع عظيم ضربه ضربة واستلب منه قطعة فغشى عليه وعلى فلما افقت قلت ما هذا فقال قيض الله هذا السبع لى فكلما داخلتنى فترة عضنى كما رأيت اوصلنا الله واياكم الى مرتبة اليقين وشرفنا بمقام التمكين واذاقنا حلاوة الذكر فى كل حين وادخلنا الجنة المعنوية مع عباده الصالحين اجمعين (واذ قالت الملائكة) اى اذكر وقت قول الملائكة وهو جبريل بدلالة قوله تعالى فى سورة مريم فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا اى سوى الخلق لتستأنس به وانما جمع تعظيما له لانه كان رئيس الملائكة (يا مريم) وكلام جبريل معها لم يكن وحيا اليها فان الله تعالى يقول وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم ولا نبوة فى النساء بالاجماع فكلمها شفاها كرامة لها وكرامات الاولياء حق او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام وهو من الرهص بالكسر وهو الصف الاسفل من الجدار وفى الاصطلاح ان يتقدم على دعوى النبوة ما يشبه المعجزة كاظلال الغمام لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم الحجر والمدر والرمى بالشهب وقصة الفيل وغير ذلك (ان الله اصطفاك) اولا حيث تقبلك من امك بقبول حسن ولم يتقبل غيرك انثى وربالك فى حجر زكريا عليه السلام ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات السنية (وطهرك) من الكفر والمعصية ومن الافعال الذميمة والعادات القبيحة ومن مسيس الرجال ومن الحيض والنفاس قالوا كانت مريم لا تحيض ومن تهمة اليهود وكذبهم بانطاق الطفل (واصطفاك) آخرا (على نساء العالمين) بانه وهب لك عيسى عليه السلام من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء وجعلكما آية للعالمين (يا مريم اقنتى لربك) اى قومى فى الصلاة واطيلى القيام فيها له تعالى (واسجدى واركعى مع الراكعين) امرت بالصلاة بالجماعة بذكر اركانها القنوت وهو طول القيام والسجود والركوع مبالغة فى ايجاب رعايتها وايذانا بفضيلة كل منها واصالته وتقديم السجود على الركوع اما لكون الترتيب فى شريعتهم كذلك واما لكون السجود افضل اركان الصلاة واقصى مراتب الخضوع ولا يقتضى ذلك كون الترتيب الخارجى كذلك بل اللائق به الترقى من الادنى الى الاعلى واما لتقترن اركعى بالراكعين للاشعار بان من لا ركوع فى صلاتهم ليسوا مصلين قيل لما امرت بذلك قامت فى الصلاة حتى تورمت قدماها وسالت دما وقيحا (ذلك) اى ما ذكرنا فى القصص من حديث حنة ومريم وعيسى وزكريا ويحيى (من انباء الغيب) اى من اخبار الغيب لا يوقف عليها الا بمشاهدة او قراءة كتاب او تعلم من عالم او بوحى من عند الله تعالى وانعدمت الثلاثة الاول فتعينت الرابعة وهو الوحى (نوحيه اليك) اى ننزله عليك دلالة على صحة نبوتك والزاما على من يحاجونك من الكفار والوحى فى القرآن لمعان للارسال الى الانبياء قال تعالى نوحى اليهم والالهام قال تعالى واوحينا الى ام موسى والقاء المعنى المراد قال تعالى بان ربك اوحى لها وللاشارة قال تعالى فاوحى اليهم ان سبحوه بكرة وعشيا واصل ذلك كله الاعلام فى خفاء (وما كنت لديهم) اى عند الذين اختلفوا وتنازعوا فى تربية مريم وهو تقرير لكونه وحيا على طريقة التهكم بمنكريه اى انهم عالمون لا يشكون انك لم تقرأ كتابا ولم تصحب من علم تلك الانباء حتى تسمع منهم فلم يبق الا المشاهدة وهى منتفية بالضرورة فكانهم

ادّعوا هذا المحال لكونه يلزم من انكارهم الوحى اى ان لم يكن بالوحى كما زعموا فلابد من دعوى المشاهدة
ولم يمكن قال ابن الشيخ فى حواشيه كانه قيل ايها المنكرون لان اوحى اليه والمتهمون فى دعوى نبوته ليس لكم
فى سبب الاتهام سوى احتمال المشاهدة والعيان وانه غاية السفاهة ونهاية الخذلان ومن اضل ممن عدل
عن الاحتمال الثابت بالمعجزات الساطعة والبراهين القاطعة الى احتمال لايذهب اليه وهم احد واى حالة ادعى
الى الضحك والاستهزآء والسخرية من حال هؤلاء انتهى (اذ يلقون اقلامهم) التى كانوا يكتبون بها التوراة
اختاروها للقرعة تبركا بها (ايهم يكفل مريم) متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اى يلقونها ينظرون
اوليعلموا ايهم يكفلها (وما كنت لديهم اذ يختصمون) اى فى شأنها تنافسا فى كفالتها وقد ذكر فيما سبق وفى الاية
دلالة على فضيلة مريم حيث اصطفاها الله على نساء العالمين فان جميع ماذكر من التربية الجسمانية اللائقة بحال
صغرها والتربية الروحانية الشرعية المتعلقة بحال كبرها لم يتفق لغيرها من الاناث وعن ابن عباس رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية حديث حسن يوافق
الاية فى الدلالة على ان مريم افضل من جميع نساء العالمين وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد عليه السلام وآسية امرأة
فرعون وهو يدل على ان هؤلاء الاربع افضل من سائر النساء واعلم ان اهل الكمال من الرجال كثير ولم يكمل من
النساء غير هذه الاربع ومعنى الكمال التناهى فى الفضائل والبر والتقوى وحسن الخصائل والكمال فى شئ
مايكون حصوله للكامل اولى من غيره والنبوة ليست اولى للنساء لان مبناها على الظهور والدعوة وحالهن
الاستتار ولا تكون النبوة فى حقهن كمالا بل الكمال فى حقهن الصديقية وهى قريب من النبوة والصديق من
صدق فى جميع اقواله وافعاله واحواله فمن النساء كاملات عارفات واصلات الى مقام الرجال فهن رجال فى المعنى
وسئل بعضهم عن الابدال فقال اربعون نفسا فقيل له لم لاتقول اربعون رجلا فقال لان فيهم النساء قال بعضهم

ولو كان النساء كمن ذكرنا ＊ لفضلت النساء على الرجال
فلا التأنيث لاسم الشمس عيب ＊ ولا التذكير فخر للهلال

ويناسب هذا ماحكى ان ام محمد والدة الشيخ ابى عبد الله ابن الخفيف رحمهما الله تعالى كانت من العابدات
القانتات وكان ابنها ابو عبد الله يحيى العشر الاخيرة من رمضان ليدرك ليلة القدر ومن دأبه الملازمة الى
الصلاة فوق البيت وكانت والدته متوجهة الى الله فى البيت فليلة اخذ ان تظهر انوار ليلة القدر فنادت
لابنها ان يا محمد ان الذى تطلبه هو عندنا فتعال فنزل الشيخ فرأى الانوار فخر على قدم امه وكان يقول علمت قدر
والدتى منذ شاهدت فهذه هى حال والدته فانظر كيف ارشدت ابنها وكيف تفوقت عليه فى الفضل والشرف
مع كثرة رياضته واجتهاده ايضا فظهر ان من النساء من هى افضل من الرجال وذلك بالوصول الى جناب القدس
وليس ذلك الا بحسن الاستعداد والهداية الخاصة من الله تعالى اسعدنا الله واياكم ونعوذ بالله من نساء زماننا
حيث لايرى فيهن من هى من اهل التقوى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صنفان من اهل النار لم ارهما)
يعنى فى عصره عليه السلام لطهارة ذلك العصر بل حدثا بعده (قوم معهم سياط) يعنى احدهما قوم فى ايديهم
سياط جمع سوط (كاذناب البقر يضربون بها الناس) وهم الذين يضربون بها السارقين عراة اوالطوافون على
ابواب الظلمة كالكلاب يطردون الناس عنها بالضرب والسباب (ونساء) يعنى ثانيهما نساء (كاسيات) فى الحقيقة
(عاريات) فى المعنى من لباس التقوى (مميلات) اى قلوب الرجال الى الفساد (مائلات) اى الى الرجال (رؤسهن
كاسنمة البخت) يعنى يعظمن رؤسهن بالخمر والقلنسوة حتى تشبه اسنمة البخت (المائلة) من الميل لان اعلى السنام
يميل لكثرة شحمه (لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) اى يوجد من مسيرة
اربعين عاما (اذ قالت الملائكة) بدل من واذ قالت الملائكة منصوب بناصبه والمراد بالملائكة جبريل وجمع
تعظيما له وقدمر (يامريم ان الله يبشرك) اى يفرحك (بكلمة) كائنة (منه) عزوجل واطلق على عيسى لفظ
الكلمة بطريق اطلاق السبب على المسبب لان سبب ظهوره وحدوثه هو الكلمة الصادرة منه تعالى وهى كن
وحدوث كل مخلوق وان كان بسبب هذه الكلمة لكن السبب المتعارف للحدوث لما كان مفقودا فى حق عيسى
عليه السلام كان استناد حدوثه الى الكلمة اتم واكمل فجعل عليه السلام بهذا الاعتبار كانه نفس الكلمة (اسمه)

اى اسم المسمى بالكلمة فالكلمة عبارة عن مذكر (المسيح) لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق
واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك (عيسى) بدل من المسيح معرب من ايشوع (ابن مريم) صفة لعيسى
وتوجه الخطاب الى مريم يقتضى ان يقال عيسى ابنك الا انه قيل عيسى ابن مريم تنبيها على ان الابناء ينسبون
الى الاباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت
على نساء العالمين فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح
والابن فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذى يعرف به ويتميز ممن
سواه مجموع هذه الثلاثة وفى التيسير اللقب اذا عرف صار كالاسم (وجيها) حال من الكلمة وصح انتصاب الحال
من النكرة لكونها موصوفة والوجيه ذوالجاه وهو القوة والمنعة والشرف (فى الدنيا) بالنبوة والتقدم على الناس
(والآخرة) بالشفاعة وعلو الدرجة فى الجنة (ومن المقربين) اى عند ربه بارتفاعه الى السماء وصحبة الملائكة فيها
(ويكلم الناس فى المهد وكهلا) اى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء عليهم السلام من غير تفاوت يعنى
ان تكلمه فى حالة الطفولية والكهولة على حد واحد وصفة واحدة من غير تفاوت بان يكون كلامه فى حال
الطفولية مثل كلام الانبياء والحكماء لاشك انه من اعظم المعجزات قال مجاهد قالت مريم اذا خلوت انا وعيسى
حدثنى وحدثته فاذا شغلنى عنه انسان يسبح فى بطنى وانا اسمع وتكلمه معهم دليل على حدوثه لحدوث
الاصوات والحروف روى انه لما بلغ عمره ثلاثين سنة ارسله الله الى بنى اسرآئيل فمكث فى رسالته ثلاثين شهرا
ثم رفع الى السماء اوجاءه الوحى على رأس ثلاثين سنة فمكث فى نبوته ثلاث سنين واشهرا ثم رفع والكهل من
تجاوز الثلاثين الى الاربعين وقارب الشيب من اكتهل النبت قارب اليبس فعلى هذا صح ان يقال انه بلغ سن
الكهولة وكلم الناس فيه ثم رفع واما على قول من يقول ان اول سن الكهولة اربعون سنة فلابد ان يقال انه رفع
شابا ولايكلم الناس كهلا الا بعد ان ينزل من السماء فى آخر الزمان فانه حينئذ يكلم الناس ويقتل الدجال
(ومن الصالحين) هذه الاربعة احوال مقدرة من كلمة والمعنى يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وذكر قوله ومن
الصالحين بعد ذكر الاوصاف المتقدمة دليل على انه لارتبة اعظم من كون المرء صالحا لانه لايكون المرء
كذلك الا بان يكون فى جميع الافعال والتروك مواظبا على النهج الاصلح والطريق الاكمل ومعلوم ان ذلك يتناول
جميع المقامات فى الدين والدنيا فى افعال القلوب وفى افعال الجوارح (قالت) مريم متضرعة الى ربها
(رب انى يكون) اى كيف يكون اومن اين يكون (لى ولد) على وجه الاستبعاد العادى والتعجب من استعظام
قدرة الله فان البشرية تقتضى التعجب مما وقع على خلاف العادة اذ لم تجر عادة بان يولد ولد بلا اب (ولم يمسسنى
بشر) آدمى وسمى بشرا لظهوره وهو كناية عن الجماع اى والحال انى على حالة منافية للولد (قال) اى الله
عزوجل او جبريل عليه السلام (كذلك) اشارة الى مصدر يخلق فى قوله عزوجل (الله يخلق مايشاء) ان يخلقه
اى الله يخلق مايشاء ان يخلقه خلقا مثل ذلك الخلق العجيب والاحداث البديع الذى هو خلق الولد من غير اب
فالكاف فى محل النصب على انها فى الاصل نعت لمصدر محذوف (اذا قضى امرا) اى اراد شيأ واصل القضاء
الاحكام اطلق على الارادة الالهية القطعية المتعلقة بوجود الشئ لايجابها اياه البتة (فانما يقول له كن فيكون)
من غير ريث وهو تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة تأتى المقدورات حسبما تقتضيه مشيئته وتصوير لسرعة
حدوثها بما علم فيها من اطاعة المأمور المطيع للآمر القوى المطاع وبيان لانه تعالى كما يقدر على خلق الاشياء
مدرجا باسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة الى شئ من الاسباب والمواد قال ابن عباس
رضى الله عنه ان مريم رضى الله عنها كانت فى غرفة قد ضربت دونها سترا اذا هى برجل عليه ثياب بيض وهو
جبريل تمثل لها بشرا سويا اى تام الخلق فلما رأته قالت اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ثم نفخ فى جيب
درعها حتى وصلت النفخة الى الرحم فاشتملت قال وهب وكان معها ذو قرابة يقال له يوسف النجار وكان يوسف
هذا يستعظم ذلك فاذا اراد ان يتهمها ذكر صلاحها واذا اراد ان يبرئها رأى ماظهر عليها فكان اول ما كلمها
ان قال انها قد دخل فى صدرى شئ اردت كتمانه فغلبنى ذلك فرأيت الكلام اشفى لصدرى قالت قل قال
فحدثينى هل ينبت الزرع من غير بذر قالت نعم قال فهل ينبت شجر من غير اصل قالت نعم قال فهل يكون ولد
من غير ذكر قالت نعم الم تعلم ان الله انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر يومئذ انما صار من الزرع الذى انبت

الله من غير بذر الم تعلم ان الله خلق آدم وحوآء من غير انثى ولا ذكر فلما قالت له ذلك وقع فى نفسه ان الذى بها شئ
اكرمها الله به روى ان عيسى عليه السلام حفظ التوراة وهو فى بطن امه وكانت مريم تسمع عيسى وهو يدرس
فى بطنها ثم لما شرف عالم الشهود اعطاه الله الزهادة فى الدنيا فانه كان يلبس الشعر ويتوسد الحجر ويستنير القمر
وكان له قدح يشرب فيه الماء ويتوضأ فيه فرأى رجلا يشرب بيده فقال لنفسه يا عيسى هذا ازهد منك فرمى
القدح وكسره واستظل يوما فى ظل خيمة عجوز فكان قد لحقه حر شديد فخرجت العجوز فطردته فقام وهو يضحك
فقال يا امة الله ما انت اقمتنى وانما اقامنى الذى لم يجعل لى نعيما فى الدنيا ولما رفع الى السماء وجد عنده ابرة كان
يرقع بها ثوبه فاقتضت الحكمة الالهية نزوله فى السماء الرابعة وفيه اشارة الى ان السالك لا بد وان ينقطع عن كل
ما سوى الله ويتجرد عن العوآئق حتى يسير مع الملأ الاعلى ويطير الى مقام قاب قوسين او ادنى وروى ان موسى
عليه السلام ناجى ربه فقال اللهم ارنى وليا من اوليائك فاوحى الله تعالى اليه ان اصعد الى جبل كذا وادخل
زاوية كذا فى كهف كذا حتى ترى وليى ففعل فرأى فيه رجلا ميتا توسد بلبنة وفوق عورته خرقة وليس فيه
شئ غيره فقال اللهم سألتك ان ترينى وليك فاريتنى هذا فقال هذا هو وليى فوعزتى وجلالى لا ادخله الجنة
حتى احاسبه باللبنة والخرقة من اين وجدها فحال اولياء الله الافتخار بالفقر وترك الدنيا والصبر على ما قدره الله

صبر باشد مشتهاى زيركان * هست حلوا آرزوى كودكان * هركه صبر آورد كردون بررود * هركه حلوا خورد واپس تررود *

فالقوة الروحانية التى بها يصير الانسان كالملائكة انما تحصل بالصبر
عن المشتهيات فانظر الى حال عيسى عليه السلام يكفيك فى هذا اعتبارا ومن الله التوفيق الى الاعراض
عن حطام الدنيا وقطع التعلق من الدارين قطعا (ويعلمه) كلام مستأنف اى ويعلم الله عيسى (الكتاب)
اى الكتابة والخط بالقلم بالالهام والوحى وكان احسن الناس خطا فى زمانه (والحكمة) اى العلوم
العقلية والشرعية وتهذيب الاخلاق لان كمال الانسان فى ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به
ومجموعهما هو المسمى بالحكمة (والتوراة والانجيل) فيحفظهما عن ظهر القلب وهذا الكلام اعنى يعلمه الخ
سيق تطييبا لقلب مريم وازاحة لما اهمها من خوف اللائمة لما علمت انها تلد من غير زوج (و) يجعله (رسولا
الى بنى اسرآئيل) اى يكلمهم وقال بعض اليهود انه كان مبعوثا الى قوم مخصوصين وكان اول انبياء
بنى اسرآئيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما السلام (انى قد جئتكم) معمول لرسول لما فيه من معنى النطق
اى رسولا ناطقا بانى قد جئتكم ملتبسا (بآية) عظيمة كائنة (من ربكم) وهى ما ذكر بعده من خلق الطير وغيره
(انى اخلق) بدل من انى قد جئتكم اى اقدر واشكل لانه قد ثبت ان العبد لا يكون خالقا بمعنى التكوين والابداع
فوجب ان يكون بمعنى التقدير والتسوية (لكم) اى لاجلكم بمعنى التحصيل لايمانكم ورفع تكذيبكم اياى
(من الطين) شيأ (كهيئة الطير) اى مثل صورة الطير (فانفخ فيه) الضمير للكاف اى فى ذلك الشئ المماثل
لهيئة الطير (فيكون طيرا) حيا طيارا كسائر الطيور (باذن الله) بامره تعالى اشار بذلك الى ان احياءه من الله
تعالى لا منه لان الله هو الذى خلق الموت والحياة فهو يخلق الحياة فى ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى
عليه السلام فيه على سبيل اظهار المعجزات روى ان عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر المعجزات طالبوه
بخلق خفاش فاخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس
ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق من فعل الله قيل انما طلبوا خلق الخفاش
لانه اعجب من سائر الخلق ومن عجائبه انه لحم ودم يطير بغير ريش ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما يبيض سائر
الحيوان من الطيور ويكون له الضرع ويخرج منه اللبن ولا يبصر فى ضوء النهار ولا فى ظلمة الليل وانما يرى
فى ساعتين ساعة بعد غروب الشمس وساعة بعد طلوع الفجر قبل ان يسفر جدا ويضحك كما يضحك الانسان
وله اسنان ويحيض كما تحيض المرأة ولما دل القرءآن على ان عيسى عليه السلام انما تولد من نفخ جبريل فى مريم
وجبريل روح محض وروحانى محض فلا جرم كانت نفخة عيسى سببا للحياة والروح (وابرئ) اى اشفى واصحح
(الاكمه) اى الذى ولد اعمى قال الزمخشرى لم يوجد فى هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسى صاحب
التفسير (والابرص) وهو الذى به برص اى بياض فى الجلد يتطير به واذا استحكم فلا برء له ولا يزول بالعلاج ولم
تكن العرب تنفر من شئ نفرتها منه وانما خصهما بالذكر لاشفاء لانهما مما اعيى الاطباء فى تداويهما وكانوا فى غاية

الحذاقة فى زمن عيسى عليه السلام وسألوا الاطباء عنهما فقال جالينوس واصحابه اذا ولد اعمى لا يبرأ بالعلاج
وكذا الابرص اذا كان بحال لو غرزت الابرة فيه لا يخرج منه الدم لا يقبل العلاج فرجعوا الى عيسى وجاؤا
بالاكمه والابرص فمسح بيده بعد الدعاء عليهما فابصر الاعمى وبرئ الابرص فامن به البعض وجحد البعض وقالوا
هذا سحر روى انه ابرأ فى يوم واحد خمسين الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام
وكان يداويهم بالدعاء وحده على شرط الايمان ثم قال عيسى عليه السلام (واحيى الموتى باذن الله) فسألوا
جالينوس عنه فقال الميت لا يحيى بالعلاج فان كان هو يحيى الموتى فهو نبى وليس بطبيب فطلبوا ان يحيى الموتى
فاحيى اربعة انفس احيى العازر وكان صديقا له فارسل اخته الى عيسى ان اخاك العازر يموت فأته فكان بينه
وبينه مسيرة ثلاثة ايام فاتاه هو واصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة ايام فقال لاخته انطلقى بنا الى قبره فانطلقت
معهم الى قبره وهو فى صخرة مطبقة فقال عيسى عليه السلام اللهم رب السموات السبع والارضين السبع انك
ارسلتنى الى بنى اسرآئيل ادعوهم الى دينك واخبرهم انى احيى الموتى فاحى العازر فقام العازر وودكه يقطر
فخرج من قبره وبقى وولد له واحيى ابن عجوز مر به ميتا على عيسى على سرير يحمل فدعا الله عيسى فجلس على
سريره ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع الى اهله فبقى وولد له واحيى ابنة العاشر
الذى يأخذ العشور قيل له احيها وقد ماتت امس فدعا الله تعالى فعاشت وبقيت وولد لها فقالوا يحيى من كان
قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا بل اصابتهم سكتة فاحى لنا سام بن نوح فقال عيسى دلونى على قبره فخرج
والقوم معه حتى انتهى الى قبره فدعا الله تعالى بالاسم الاعظم فخرج من قبره وقد شاب رأسه فقال عيسى كيف
شاب رأسك ولم يكن فى زمانك شيب قال يا روح الله لما دعوتنى سمعت صوتا يقول اجب روح الله فظننت
ان القيامة قد قامت فمن هول ذلك شاب رأسى فسأله عن النزع فقال يا روح الله ان مرارته لم تذهب من
حنجرتى وقد كان من وقت موته اكثر من اربعة آلاف سنة فقال للقوم صدقوه فانه نبى فامن به بعضهم وكذبه
آخرون ثم قال له مت قال بشرط ان يعيذنى الله من سكرات الموت فدعا الله ففعل ثم طلبوا آية اخرى دالة على
صدقه فقال (وانبئكم بما تأكلون) من انواع المآكل (وما تدخرون) اى وما تخبئون للغد (فى بيوتكم) فكان
يخبر الرجل بما اكل قبل وبما يأكل بعد ويخبر الصبيان وهو فى المكتب بما يصنع اهلهم وبما يأكلون ويخبئون
لهم وكان الصبى ينطلق الى اهله ويبكى عليهم حتى يعطوه ما خبأوا له ثم قالوا للصبيان لا تلعبوا مع هذا الساحر
وجمعوهم فى بيت فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا ليسوا فى هذا البيت فقال فمن فى هذا البيت قالوا خنازير
فقال عليه السلام كذلك يكونون فاذاهم خنازير (ان فى ذلك) اى ما ذكر من الخوارق والامور العظام (لآية)
عظيمة (لكم) دالة على صحة رسالتى دلالة واضحة (ان كنتم مؤمنين) انتفعتم بها (ومصدقا) اى قد
جئتكم ملتبسا باية الخ ومصدقا (لما بين يدى) اى لما تقدمنى (من التوراة) اى موافقا على ما كان قبلى
(و) جئتكم (لاحل لكم) لان ارخص لكم (بعض الذى حرم عليكم) اى فى شريعة موسى عليه السلام من لحوم
السمك ولحوم الابل والشحوم والثروب جمع ثرب وهو شحم رقيق يتصل بالامعاء ولحم كل ذى ظفر فاحل لهم
عيسى من السمك والطير ما لا صيصية له وهى شوكة الحائك التى بها يسوى السدا واللحمة (وجئتكم)
ملتبسا (باية من ربكم) ببرهان بين شاهد على صحة رسالتى (فاتقوا الله) فى عدم قبولها ومخالفة مدلولها
(واطيعون) فيما آمركم به وانهاكم عنه بامر الله تعالى وتلك الآية هى قوله (ان الله ربى وربكم فاعبدوه)
ولا تعصوه بالشرك (هذا) اى الايمان بالله ورسوله والطاعة (صراط مستقيم) طريق سوى يؤدى صاحبه
الى الجنة وهو الحق الصريح الذى اجمع عليه الرسل قاطبة فتكون آية بينة على انه عليه السلام من جملتهم فقوله
ان الله ربى وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة
الى استكمال القوة العملية فانه يلازم الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهى ثم قرر ذلك بان
بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم قل آمنت
ثم استقم فالعلم والعمل من مبادى الاستقامة فعليك بالتمسك بالحجة القوية وسئل الجنيد كيف السبيل
الى الانقطاع الى الله فقال بتوبة تزيل الاصرار وخوف يزيل التسويف ورجاء يبعث على مسالك العمل وذكر
الله تعالى على اختلاف الاوقات واهانة النفس بقربها من الاجل وبعدها من الامل قيل له فبماذا يصل العبد

الى هذا فقال بقلب مفرد فيه توحيد مجرد وقال الحسن البصرى رضى الله عنه ما طلب رجل هذا الخير يعنى
الجنة الا اجتهد ونحل وذبل واستمر واستقام حتى يلقى الله تعالى اما ترى الى قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا واعلم ان الاستقامة لا يطيقها الا الاكابر لانها الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم
والعادات والقيام بين يدى الله تعالى على حقيقة الصدق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكونن احدكم
كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل قيل ولا يصح رفع الهمة عن الحظوظ جملة
لان ذلك مكابرة مع الربوبية وانما المراد ان لا يطلب بالعمل فعلامة العبد الاديب ان يستمر على الطاعة فى باب
مولاه ولا ينظر الى شئ سواه لا الى الجنة ولا الى النار فاذا جرد عمله وتوحيده عن الاغراض فقد استقام واتخذ
الصراط المستقيم مذهبا والارشاد الى هذا الطريق انما يفيد لمن كان له استعداد ازلى وقابلية اصلية فبالتربية
يصير العبد قابل انوار الصفات الالهية ويخرج من الظلمات البشرية فعليك بخدمة الكاملين والاستقامة
فى طريق اليقين * زخود بهترى جوى وفرصت شمار * كه باجون خودى كم كنى روزكار * وفى الاتباع
شرف عظيم قال تعالى مخاطبا لحبيبه عليه السلام فبهداهم اقتده وطاعة الرسول واتباعه من لوازم تقوى الله
تعالى الا ترى الى قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام فاتقوا الله واطيعون فاذا داوم العبد الاتباع يصل
الى الاستقامة فانها ليست مما يحصل فى اول الامر (قال مولانا جلال الدين الرومى قدس سره العزيز)
سالها بايدكه اندر آفتاب * لعل يابد رنك ورخشانى وتاب (فلما) الفاء فصيحة تفصح عن تحقق جميع
ما قالته الملائكة وخروجه من القوة الى الفعل كانه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت
(احس عيسى) احس استعارة للعلم اليقينى الذى لا شبهة فيه كالاحساس وهو وجدان الشئ بالحاسة كانه قيل
فلما علم (منهم الكفر) علما لا شبهة فيه كما يدرك بالحواس من الضروريات منهم الكفر اى من بنى اسرائيل
وارادوا قتله وانهم لا يزدادون على رؤية الآيات الا الاصرار على الجحود (قال) لخلص اصحابه مستنصرا على
الكفار (من انصارى) الانصار جمع نصير (الى الله) متعلق بمحذوف وقع حالا من الياء اى من انصارى متوجها
الى الله ملتجئا اليه ومن اعوانى على اقامة الدين (قال الحواريون) جمع حوارى يقال فلان حوارى فلان
اى صفوته وخاصته وهم اثنا عشر بعضهم من الملوك وبعضهم من صيادى السمك وبعضهم من القصارين
وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عليه السلام واعوانه والمخلصين
فى محبته وطاعته (نحن انصار الله) اى انصار دينه ورسوله قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم والله ينصر من
ينصر دينه ورسله (آمنا بالله) استئناف جارى مجرى العلة لما قبله فان الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه
والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه (واشهد بانا مسلمون) مخلصون فى الايمان منقادون لما تريد من امر
نصرتك طلبوا منه عليه السلام الشهادة بذلك يوم القيامة يوم تشهد الرسل عليهم السلام لاممهم ايذانا بان
مرمى غرضهم السعادة الاخروية (ربنا آمنا بما انزلت) من الانجيل على عيسى وهو تضرع الى الله تعالى وعرض
لحالهم عليه تعالى بعد عرضها على الرسول مبالغة فى اظهار امرهم (واتبعنا الرسول) اى عيسى على دينه
فى كل ما يأتى ويذر من امور الدين فيدخل فيه الاتباع فى النصرة دخولا اوليا (فاكتبنا مع الشاهدين)
اى مع الذين يشهدون بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد صلى الله عليه وسلم
فانهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال من مفعول اكتبنا وفيه اشارة الى ان كتاب الابرار انما يكون
فى السموات مع الملائكة قال تعالى كلا ان كتاب الابرار لفى عليين فاذا كتب الله ذكرهم مع الشهداء المؤمنين
كان ذكرهم مشهورا فى الملأ الاعلى وعند الملائكة المقربين (ومكروا) اى الذين علم عيسى كفرهم من اليهود
بان وكلوا به من يقتله غيلة وهو ان يخدعه فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله (ومكر الله) بان رفع
عيسى عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل (والله خير الماكرين) اقواهم مكرا وانفذهم كيدا
واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب روى ان ملك بنى اسرائيل لما قصد قتله عليه السلام امره
ان يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه جبريل عليه السلام من تلك الروزنة الى السماء وكساه الله الريش والبسه النور
وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة حول العرش وكان انسيا ملكيا سماويا ارضيا ثم قال الملك لرجل
خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقى الله عز وجل شبهه عليه السلام عليه فخرج يخبرهم انه ليس

فى البيت فقتلوه وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين
صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم ولما صلب المصلوب جاءت مريم ومعها امرأة
ابرأها الله من الجنون بدعاء عيسى وجعلتا تبكيان على المصلوب فانزل الله عيسى عليه السلام فجاءهما فقال
على من تبكيان قالتا عليك فقال ان الله رفعنى ولم يصبنى الا خير وان هذا شئ شبه لهم فلما كان بعد سبعة ايام
قال الله لعيسى اهبط الى المجدلانية على موضع فى جبلها فانه لم يبك عليك احد بكاءها ولم يحزن احد حزنها
ثم استجمع الحواريين فبثهم اى فاجعلهم متفرقين فى الارض دعاة الى الله فاهبطه الله عليها فاشتعل الجبل
حين هبط نورا فجمعت له الحواريين فبثهم فى الارض دعاة ثم رفعه الله اليه وتلك الليلة هى الليلة التى تدخن فيها
النصارى فلما اصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله ومكروا ومكر
الله والله خير الماكرين والمكر من المخلوقين الخبث والخديعة والحيلة والمكر من الله استدراج العبد واخذه
بغتة من حيث لا يعلم فيا ايها العبد خف من وجود احسان مولاك اليك ودوام اساءتك معه فى دوام لطفه
بك وعطفه عليك ان يكون ذلك استدراجا لك حتى تقف معها وتغتربها فتفرح بما اوتيت فتؤخذ بغتة
قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال سهل رضى الله عنه فى معنى هذه الآية نمدهم بالنعم
وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم اخذوا وقال ابو العباس ابن عطاء يعنى كلما احدثوا
خطيئة جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة ومن جهل المريد بنفسه وبحق ربه ان يسئ
الادب باظهار دعوى او تورط فى بلوى فتؤخر العقوبة عنه امهالا له فيظن انه اهمالا فيقول لو كان هذا سوء ادب
لقطع الامداد واوجب الابعاد اعتبارا بالظاهر من الامر من غير تعريج على ما وراء ذلك وما ذاك الا لفقد نور
بصيرته او ضعف نورها والا فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر حتى ربما ظن انه متوفر فى عين تقصير
ولو لم يكن من قطع المدد الا منع المزيد لكان قطعا لان من لم يكن فى زيادة فهو فى نقصان قال عليه السلام من
استوى يوماه فهو مغبون ولو لم يكن من الابعاد الا ان يخليك وما تريد فيصرفك عنه بمرادك هذا والعياذ بالله
مكر وخسران وعن ابن حنبل انه كان يوصى بعض اصحابه فقال خف سطوة العدل وارج رقة الفضل ولا تأمن
من مكره تعالى ولو ادخلك الجنة ففى الجنة وقع لابيك آدم ما وقع وقد يقطع باقوام فيها فقال لهم كلوا واشربوا
هنيأ بما اسلفتم فى الايام الخالية فقطعهم بالاكل والشرب عنه واى مكر فوق هذا واى خسران اعظم منه
(اذ قال الله) اى اذكر وقت قول الله (يا عيسى انى متوفيك) اى مستوفى اجلك ومعناه انى عاصمك من ان
يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم (ورافعك) الآن (الى) اى الى
محل كرامتى ومقر ملائكتى وجعل ذلك رفعا اليه للتعظيم ومثله قوله انى ذاهب الى ربى وانما ذهب ابراهيم عليه
السلام من العراق الى الشام وقد يسمى الحاج زوار الله والمجاورون جيران الله وكل ذلك للتفخيم فانه تعالى
يمتنع كونه فى المكان (ومطهرك) اى مبعدك ومنجيك (من الذين كفروا) اى من سوء جوارهم وخبث
صحبتهم ودنس معاشرتهم قيل سينزل عيسى عليه السلام من السماء على عهد الدجال حكما عدلا يكسر
الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية فيفيض المال حتى لا يقبله احد ويهلك فى زمانه الملل كلها الا الاسلام
ويقتل الدجال ويتزوج بعد قتله امرأة من العرب وتلد منه ثم يموت هو بعد ما يعيش اربعين سنة من نزوله فيصلى
عليه المسلمون لانه سأل ربه ان يجعله من هذه الامة فاستجاب الله دعاءه (وجاعل الذين اتبعوك) وهم المسلمون
لانهم متبعوه فى اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى
(فوق الذين كفروا) وهم الذين مكروا به عليه السلام ومن يسير بسيرتهم من اليهود فان اهل الاسلام فوقهم
ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة (الى يوم القيامة) غاية للجعل لا على معنى ان الجعل ينتهى حينئذ ويتخلص الكفرة
من الذلة بل على معنى ان المسلمين يعلونهم الى تلك الغاية فاما بعدها فيفعل الله تعالى بهم ما يريد (ثم الى مرجعكم)
اى رجوعكم بالبعث والضمير لعيسى عليه السلام وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على
الغائب فى ضمن الالتفات فانه ابلغ فى التبشير والانذار (فاحكم بينكم) يومئذ اثر رجوعكم الى (فيما كنتم فيه
تختلفون) من امور الدين (فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا) بالسيف والسبى واخذ الجزية
وايصال الامراض والمصائب فانها من العقوبات فى حق الكافر ومن المثوبات فى حق المؤمن لانها ابتلاء

محض له (والآخرة) بعذاب النار (ومالهم من ناصرين) يخلصونهم من عذاب الله فى الدارين وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع اى ليس لواحد منهم ناصر واحد (واما الذين آمنوا) بما ارسلت به (وعملوا الصالحات) كما هو ديدن المؤمنين (فيوفيهم اجورهم) اى يعطيهم اجور اعمالهم كاملة ولعل الالتفات الى الغيبة للايذان بما بين مصدرى التعذيب والاثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال (والله لا يحب الظالمين) اى يبغضهم ولا يرضى عنهم (ذلك) اشارة الى ما سلف من نبأ عيسى عليه السلام وغيره (نتلوه عليك) اى نقرأه عليك يا محمد واسند تلاوته الى نفسه مع ان التالى هو الملك المأمور بها على طريق اسناد الفعل الى السبب الآمر وفيه تعظيم بليغ وتشريف عظيم للملك وانما حسن ذلك لان تلاوة جبريل لما كان بامره تعالى من غير تفاوت اصلا اضيف ذلك اليه تعالى (من الآيات) حال من الضمير المنصوب اى من العلامات الدالة على ثبوت رسالتك لانها اخبار لا يعلمها الا قارئ الكتاب او من يوحى اليه فظاهر انك لا تكتب ولا تقرأ فبقى ان ذلك من الوحى (والذكر) اى القرآن (الحكيم) اى المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه والاشارة ان الله تعالى قال لعيسى عليه السلام يا عيسى انى متوفيك عن الصفات النفسانية والاوصاف الحيوانية ورافعك الىّ بجذبات العناية فمن لم يصر فانيا عما سوى الله لا يكون له وصول الى مقام معرفة الله فعيسى لما رفع الى السماء صارت له حالة كحال الملائكة فى زوال الشهوات والغضب والاخلاق الذميمة فعلى السالك ان ينهى نفسه عن الهوى ويتبع طريق الهدى ويعتبر بالآيات والذكر الحكيم كى يصل الى النعيم المقيم ويجتنب الظلم فان الله تعالى قال والله لا يحب الظالمين اى الذين يظلمون على انفسهم بانقضاء العمر فى طلب غير الله خلاف طريقت بود كاوليا * تمنا كنند از خدا جز خدا * فاهل الطريقة هم الذين يمحون نقش الغير عن صفحات القلب ويزكون نفوسهم عن الاوصاف المذمومة فانها مانعة من العروج الى سماء المعرفة وعلو الوصال (قال مولانا جلال الدين الرومى قدس سره)

آن يكى نحوى بكشتى در نشست * رو بكشتيبان نهاد
آن خود پرست * كفت هيچ از نحو خواندى كفت لا * كفت نيم عمر تو شد در فنا * دل شكسته
كشت كشتيبان زتاب * ليك آن دم كرد خامش از جواب * باد كشتى را بكردابى فكند *
كفت كشتيبان بآن نحوى بلند * هيچ دانى آشنا كردن بكو * كفت نى اى خوش جواب خوب رو *
كفت كل عمرت اى نحوى فناست * زانكه كشتى غرق اين كردابهاست * محو مى بايد نه نحو اينجا بدان *
كر تو محوى بى خطر در آب ران * آب دريا مرده را بر سر نهد * ور بود زنده زدريا كى رهد * چون
بمردى تو زاوصاف بشر * بحر اسرارت نهد بر فرق سر *

فقد ظهر ان الذين يطلبون غير الله هم غرقى فى بحر الهوى والشهوات لا يقدرون على التصعد الى الاعلى واما الذين تخلصوا عن قشر الوجود ووصلوا بالفناء عن ذواتهم الى عالم الشهود فهم يطيرون باجنحة انوار حالهم مع الملائكة المقربين لتخلصهم عن الاثقال الدنيوية والاشغال القالبية والبدنية قال تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض اى بالتجرد عن الهيئات الجسمانية والتعلقات البدنية فانفذوا والتخرطوا فى سلك الارادة الملكوتية والنفوس الجبروتية وتصلوا الى الحضرة العلية لا تنفذون الا بسلطان اى بحجة بينة هى التوحيد والتجريد والتفريد بالعلم والعمل والفناء فى الله تعالى قال عيسى عليه السلام لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين والولادة نوعان اضطرارى بخلق الله تعالى ولا دخل فيه للكسب والاختيار وذلك ظاهر واختيارى يحصل بالكسب وهو الذى اشار اليه عيسى عليه السلام وفقنا الله واياكم لما يحب ويرضى ويداوى بدواء افضاله هذه النفوس المرضى انه بكل شئ قدير وبتيسيره يسهل كل امر عسير (ان مثل عيسى) اى شأنه البديع المنتظم لغرابته فى سلك الامثال (عند الله) اى فى تقديره وحكمه (كمثل آدم) اى كحاله العجيبة التى لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع (خلقه من تراب) تفسير للمثل لا محل له من الاعراب اى خلق قالب آدم من تراب فان قيل الضمير فى خلقه راجع الى آدم وحين كان ترابا لم يكن آدم موجودا قلنا لما كان ذلك الهيكل بحيث سيصير آدم عن قريب سماه آدم قبل ذلك تسمية لما سيقع بالواقع (ثم قال له كن) اى انشأ بشرا (فيكون) والمقتضى ان يقال فكان اى كان كما امره الله الا انه عدل الى المضارع حكاية للحال التى كان آدم عليها اى تصويرا لذلك الايجاد الكامل بصورة المشاهد الذى يقع الآن روى ان وفد نجران قدموا المدينة وهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم منهم السيد وهو كبيرهم

واسمه اهيب والعاقب الذى بعده وهو صاحب رأيهم واسمه عبد المسيح والثالث ابو حارثة ابن علقمة الاسقف وكان فى شرف وخطر عظيم وكان ملك الروم بنى له الكنائس وكان يبعث له بالكرامات فاقبلوا حتى قدموا على النبى عليه السلام فى مسجد المدينة بعد العصر عليهم ثياب حسان ولهم وجوه جسام فقاموا وصلوا واستقبلوا قبلتهم واراد اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان يمنعوهم فقال صلى الله عليه وسلم دعوهم وقد كان نزل على النبى عليه السلام قبل قدومهم صدر آل عمران لمحاجتهم ثم انتهى ابو حارثة هذا وآخر معه الى النبى عليه السلام فقال لهما صلى الله عليه وسلم اسلما فقالا اسلمنا قبلك فقال صلى الله عليه وسلم كذبتما يمنعكما عن الاسلام ثلاث عبادتكما الصليب واكلكما الخنزير وزعمكما ان لله ولدا فقالوا يا محمد فلم تشتم صاحبنا عيسى قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا من غير اب فحيث سلمت انه لا اب له من البشر وجب ان يكون هو الله فقال صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه السلام ما كان له اب ولا ام ولم يلزم من ذلك كونه ابنا لله تعالى فكذا حال عيسى عليه السلام فالوجود من غير اب وام اخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع لشبهة الخصم اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه (الحق) اى ما قصصنا عليك من نبأ عيسى وامه هو الحق كائنا (من ربك) لا قول النصارى انه ابن الله وقولهم ولدت مريم الها ونحو ذلك (فلا تكن من الممترين) اى من الشاكين فى ذلك الخطاب للنبى عليه السلام على طريقة الالهاب والتهييج لزيادة التثبيت لان النهى عن الشئ حقيقة يقتضى ان يتصور صدور المنهى عنه من المنهى ولا يتصور كونه عليه السلام شاكا فى صحة ما انزل عليه والمعنى دم على يقينك وعلى ما انت عليه من الاطمئنان على الحق والتنزه عن الشك فيه قال الامام ابو منصور رحمه الله العصمة لا تزيل المحنة ولا ترفع النهى (فمن حاجك) اى من النصارى اذ هم المتصدون للمحاجة (فيه) اى فى شأن عيسى عليه السلام وامه زعما منهم انه ليس على الشأن المحكى (من بعد ما جاءك من العلم) اى ما يوجبه ايجابا قطعيا من الآيات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا عما هم عليه من الضلال والغى (فقل) اى فاقطع الكلام معهم وعاملهم بما يعامل به المعاند وهو ان تدعوهم الى الملاعنة فقل لهم (تعالوا) التعالى فى الاصل التصاعد كأن الداعى فى علو والمدعو فى سفل فامره ان يتعالى اليه ثم صار ذلك لكل مدعو اين كان اى هلموا بالرأى والعزيمة لا بالابدان لانهم مقبلون وحاضرون عنده باجسادهم (ندع ابناءنا وابناءكم) اكتفى بهم عن ذكر البنات لظهور كونهم اعز منهن واما النساء فتعلقهن من جهة اخرى (ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم) اى ليدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحملهم عليها (ثم نبتهل) اى نتباهل بان نلعن الكاذب ونقول لعنة الله على الكاذب منا ومنكم (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) عطف على نبتهل مبين لمعناه روى انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها رضى الله عنه وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران اى اعلمهم بامور دينهم وهو ابو حارثة يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو شاء الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى الى يوم القيامة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نترك على دينك ونثبت على ديننا فقال صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا فقال فانى احاربكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام الفى حلة الف فى صفر والف فى رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وكتب لهم كتابا بذلك وقال والذى نفسى بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا (ان هذا) اى ما قص من نبأ عيسى عليه السلام وامه (لهو القصص الحق) دون ما عداه من اكاذيب النصارى (وما من اله) ما اله (الا الله)

صرح فيه بمن الاستغراقية تأكيدا للرد على النصارى فى تثليثهم (وان الله لهو العزيز الحكيم) القادر على جميع
المقدورات الحكيم المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه فى القدرة والحكمة ليشاركه فى الالوهية (فان تولوا) اى
اعرضوا عن قبول التوحيد والحق الذى قص عليك بعدما عاينوا تلك الحجج النيرة والبراهين الساطعة (فان الله
عليم بالمفسدين) اى فاقطع كلامك عنهم وفوض امرهم الى الله فان الله عليم بفساد المفسدين مطلع على ما فى
قلوبهم من الاغراض الفاسدة قادر على مجازاتهم واعلم ان لمباهلة الانبياء تأثيرا عظيما سببه اتصال نفوسهم
بروح القدس وتأييد الله اياهم به وهو المؤثر باذن الله فى العالم العنصرى فيكون انفعال العالم العنصرى منه
كانفعال بدننا من روحنا بالهيئات الواردة عليها كالغضب والخوف والسرور والفكر فى احوال المعشوق
وغير ذلك من تحريك الاعضاء عند حدوث الارادات والعزائم وانفعال النفوس الملكية كان تأثيرها فى العالم
عند التوجه الاتصالى تأثير ما يتصل به فينفعل اجرام العناصر والنفوس الناقصة الانسانية فيه بما اراد
الم تر كيف انفعلت نفوس النصارى من نفسه عليه السلام قبل المباهلة بالخوف واحجمت عن المباهلة فطلبت
الموادعة بالجزية كذا فى التأويلات القاشانية وكذا حال الولى اذا دعا على انسان يكون له تأثير بالمرض او الموت
او غير ذلك من البلايا روى ان الشاعر البساطى رأى يوما الشيخ كمال الخجندى فى مجلس الشعراء فقال از كجايى
از كجايى اى لوند (فقال الشيخ فى جوابه على الفور) از خجندم از خجندم از خجند * ولكنه تأذى من سوء
ادبه ومعاملته معه هكذا وحمله على سكره فقال الغالب ان هذا الشاب سكران فسمعه البساطى وقال بالبداهة
سبه چه نيست هر دم كش خراب غمزه اوييم * از ان درعين هشيارى چنين مستانه ميگوييم (ثم قال
بطريق الهجو له) اى ملحد خجندى ريش بزرك دارى * كرغايت بزركى دهريش ميتوان كفت *
فلما سمعه الشيخ تألم منه تألما شديدا فدعا عليه فى ذلك المجلس فمات من ساعته من تأثير نفسه الشريف فى حقه
فليجانب العاقل اذية الصلحاء فان مكره يعود اليه دونهم قال تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله قيل ونعم ما قيل
ناى كند ناله بدين قول راست * از نفس پير بترس اى جوان * فحفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف
عليهم سبب للترقى الى المطالب العالية وباعث الاحترام والاكرام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اكرم
شاب شيخا لسنه الا قيض الله له من يكرمه عند سنه قال المشايخ عقوق الاستاذين لا توبة عنه ويحكى عن ابى
الحسن الهمذانى قال كنت ليلة عند جعفر الخالدى وكنت امرت فى بيتى ان يعلق لى طير فى التنور وكان قلبى
معه فقال لى جعفر اقم عندنا الليلة فتعللت بشىء ورجعت الى منزلى فاخرج الطير من التنور ووضع بين يدى
فدخل كلب من الباب وحمل الطير عند تغافل الحاضرين واتى بالجوذاب الذى تحته فتعلق به ذيل الخادمة
فانصب فلما اصبحت دخلت على جعفر فحين وقع بصره على قال من لم يحفظ قلوب المشايخ يسلط عليه كلب
يؤذيه قال الشيخ ابو على الدقاق قدس سره لما نفى اهل بلخ محمد بن الفضل من البلد دعا عليهم وقال اللهم امنعهم
الصدق فلم يخرج من بلخ بعده صديق عصمنا الله واياكم من المخالفة آمين (قل يا اهل الكتاب) اى اليهود
والنصارى (تعالوا) كان عليه السلام حريصا على ايمانهم فامره الله تعالى بان يعدل عن طريق المجادلة
والاحتجاج الى نهج يشهد كل عقل سليم انه كلام مبنى على الانصاف وترك الجدال لا ميل فيه الى جانب حتى يكون
فيه شائبة التعصب فهو كلام ثابت فى المركز نسبته الينا واليكم على سواء واعتدال فقال يا اهل الكتاب تعالوا
اى هلموا والمراد تعيين ما دعوا اليه والتوجه الى النظر فيه وان لم يكن انتقالا من مكان الى مكان لان اصل اللفظ
مأخوذ من التعالى وهو الارتفاع من موضع هابط الى مكان عال ثم كثر استعماله حتى صار دالا على طلب التوالى
حيث يدعى اليه (الى كلمة سواء بيننا وبينكم) لا يختلف فيها الرسل والكتب فيها انصاف من بعضنا لبعض
ولا ميل فيها لاحد على صاحبه وهى (ان لا نعبد الا الله) اى نوحده بالعبادة ونخلص فيها (ولا نشرك به شيأ)
ولا نجعل غيره شريكا فى استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان نعبده (ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) بان
نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا وبشر
مثلنا وعن الفضيل لا ابالى اطعت مخلوقا فى معصية الخالق او صليت لغير القبلة (فان تولوا) عما دعوتم اليه من
التوحيد وترك الاشراك (فقولوا) اى قل انهم انت والمؤمنون (اشهدوا بانا مسلمون) اى لزمتكم الحجة فاعترفوا
بانا مسلمون دونكم روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى قيصر من محمد رسول الله الى هرقل عظيم

الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم اى من السبى فى الدنيا ومن
العذاب فى الآخرة واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان توليت فان عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى
كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ الى قوله فقولوا اشهدوا بانا مسلمون وجاء فى الخبر الصحيح
ان هرقل سأل عن حال النبى عليه السلام وعرفها ممن جاء بكتابه فقال لو كنت عنده لقبلت قدميه لمعرفته
صدق النبى عليه السلام لعلاماته المعلومة له من الكتب القديمة لكن خاف من ذهاب الرياسة ثم انه كتب
جواب كتابه عليه السلام انا نشهد انك نبى ولكنا لا نستطيع ان نترك الدين القديم الذى اصطفاه الله لعيسى عليه
السلام فعجب النبى عليه السلام فقال لقد ثبت ملكهم الى يوم القيامة ابدا وكتب الى كسرى ملك فارس فمزق
كتابه ورجع الرسول بعدما اراد قتله فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خرق الله ملكهم فلا ملك لهم
ابدا فكان كذلك والاشارة فى الآية ان اصول الاديان كلها اخلاص العبودية كما قال تعالى الا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيأ يعنى كما لا نعبد الا الله لا نطلب منه غيره ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فى طلب الرزق
ورؤية الامور من الوسائط فان تولوا يعنى من اعرض عن هذا الاصل فقولوا انتم لهم بانا مسلمون مستسلمون
لما دعانا الله اليه من التوحيد والاخلاص فى العبودية ونفى الشرك والسر فى الاشهاد على الاسلام ليشهد الكفار
لهم يوم القيامة على الاسلام والتوحيد كما يشهد لهم المؤمنون كما قال النبى عليه السلام لابى سعيد الخدرى
رضى الله عنه انى اراك تحب الغنم والبادية فاذا كنت فى غنمك وباديتك فاذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء
فانه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شىء الا شهد له يوم القيامة فيكون شهادة الكفار لهم بالتوحيد
يوم القيامة حجة على انفسهم فالتوحيد هى العروة الوثقى واصل الاصول يهب من جانب الغيب لمن اخلصه
قبول القبول فعلى العاقل ان لا يخالف كتاب الله بالاعراض عن فحاويه وعدم التدبر فى معانيه بل يسلك سبيل
العلم والاعمال ويجتنب الجهل والغى والضلال قبل ان يهال عليه التراب ويلف فى الاكفان من الاثواب
(قال الفاضل عبد الرحمن الجامى قدس سره) پيش كسرى ز خردمند حكيمان ميرفت * سخن از سخت
ترين موج درين لجه غم * آن يكى كفت كه بيمارى واندوه دراز * وان دكر كفت كه نادانى وپيريست بهم *
سيومين كفت كه قرب اجل وسوء عمل * عاقبت رفت بترجيح سوم حكم حكم * يعنى اجتمع يوما
فى مجلس انوشروان ثلاثة من الحكماء فانجر الكلام الى ان اشد الشدائد ما هو فقال الحكيم الرومى هو
الشيخوخة مع الفقر وقال الحكيم الهندى المرض وعلة البدن مع كثرة الغموم والهموم وقال الحكيم بزرجمهر
هو قرب الاجل وسوء العمل فاتفقوا على قوله رزقنا الله واياكم حلاوة الطاعات وايدنا بتوفيقه قبل قدوم هاذم
اللذات آمين (يا اهل الكتاب) من اليهود والنصارى (لم تحاجون) تجادلون (فى) ملة (ابراهيم) وشريعته
تنازعت اليهود والنصارى فى ابراهيم عليه السلام وزعم كل واحد منهم انه عليه السلام منهم وترافعا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى لم تدعون انه عليه السلام كان منكم (وما انزلت التوراة) على موسى
عليه السلام (والانجيل) على عيسى عليه السلام (الا من بعده) اى من بعد موته وانتم سميتم باليهودية
والنصرانية بعد نزول الكتاب (افلا تعقلون) اى الا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم فتجادلون بالجدال
المحال لان بين ابراهيم وموسى الف سنة وبين موسى وعيسى الفى سنة فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث
الا بعد عهده بازمنة متطاولة (ها انتم هؤلاء) جملة من مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم بينت بجملة
مستأنفة اشعارا بكمال غفلتهم اى انتم هؤلاء الحمقى حيث (حاججتم فيما لكم به علم) من التوراة والانجيل
من نبوة محمد عليه السلام (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) فيما لا ذكر له فى كتابكم ولا علم لكم به من دين ابراهيم
اذ لا ذكر لدينه عليه السلام فى احد الكتابين قطعا (والله يعلم) ما حاججتم فيه فيعلمنا (وانتم لا تعلمون) اى محل
النزاع (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) تصريح بما نطق به البرهان المقرر (ولكن كان حنيفا)
اى مائلا عن العقائد الزائغة كلها (مسلما) اى منقادا لله تعالى وليس المراد انه كان على ملة الاسلام
والا لاشترك الالزام (وما كان من المشركين) تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله
ورد لادعاء المشركين انهم على ملته عليه السلام (ان اولى الناس بابراهيم) اى ان احق الناس بدعواه انه على
دين ابراهيم (للذين اتبعوه) فى زمانه (وهذا النبى) اى محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اتبعه

(والذين آمنوا) بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم من هذه الامة لموافقتهم فى اكثر ماشرعه لهم على الاصالة
(والله ولى المؤمنين) ينصرهم ويجازيهم الحسنى بايمانهم (ودت طائفة من اهل الكتاب) اى احبت
(لو) اى ان (يضلونكم) يصرفونكم عن دين الاسلام الى دين الكفر وانما قال طائفة لان من اهل الكتاب امة قائمة
يتلون آيات الله (وما يضلون الا انفسهم) جملة حالية جىء بها للدلالة على كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم على ماهم
عليه من الدين القويم اى وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا اليهم لما انه يضاعف به عذابهم (وما يشعرون)
اى باختصاص وباله وضرره بهم اعلم انه تعالى لما بين ان من طريقة اهل الكتاب العدول عن الحق والاعراض
عن قبول الحجة بين انهم لا يقتصرون على هذا القدر بل يجتهدون فى اضلال من آمن بالرسول عليه السلام
بالقاء الشبهات فعلى العاقل ان لا يضل عن الطريق القويم بالقاآت كل شيطان رجيم من ضلال الانس والجان
اصلحهم الله الملك المنان وماذا بعد الحق الا الضلال قال ابن مسعود رضى الله عنه لما دنا فراق رسول الله
صلى الله عليه وسلم جمعنا فى بيت امنا عائشة رضى الله عنها ثم نظر الينا فدمعت عيناه وقال مرحبا بكم حياكم
الله رحمكم الله اوصيكم بتقوى الله وطاعته قد دنا الفراق وحان المنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة
المأوى يغسلنى رجال اهل بيتى ويكفنونى فى ثيابى هذه ان شاؤا اوفى حلة يمانية فاذا غسلتمونى وكفنتمونى
ضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير لحدى ثم اخرجوا عنى ساعة فاول من يصلى علىّ حبيبى جبريل عليه
السلام ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنودهم ثم ادخلوا علىّ فوجا فوجا فصلوا علىّ فلما سمعوا فراقه
صاحوا وبكوا وقالوا يا رسول الله انت رسول ربنا وشمع جمعنا وسلطان امرنا اذا ذهبت عنا فالى من نراجع
فى امورنا قال تركتكم على المحجة البيضاء اى على الطريق الواسع الواضح ليلها كنهارها فى الوضوح ولا يزيغ
بعدها الى غيرها الا هالك وتركت لكم واعظين ناطقا وصامتا فالناطق القرآن والصامت الموت فاذا اشكل
عليكم امر فارجعوا الى القرآن والسنة واذا قسا قلبكم فلينوه بالاعتبار فى احوال الاموات * جهان
اى پسر ملك جاويد نيست * ز دنيا وفادارى اميد نيست * والناس فى الاعتقاد والعمل متفاوتون
فمنهم من هو متين كالحصن الحصين لا يزول عما هو عليه وان اتفق الناس فى اضلاله وهو المرتبة القصوى فى باب
الدين التى نالها الانبياء والاولياء والافراد من المؤمنين قال على كرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا
ولا يطرأ الشك فى المحسوس فكذا ما هو فى حكمه ومنهم من هو ضعيف لا متانة فيه تذروه رياح الهوى حيث
شاء بعد ان لم تساعده العناية الازلية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس كمعادن الذهب والفضة يعنى ان
الناس معادن الاعمال والاخلاق والاقوال ولكن يتفاوتون فيها كما تتفاوت معادن الذهب والفضة الى ان تنتهى
الى الادنى فالادنى قال فى شرح المصباح وفيه اشارة الى ان ما فى معادن الطباع من جواهر مكارم الاخلاق
ينبغى ان تستخرج برياضة النفوس كما يستخرج الجواهر من المعادن بالمقاسات والتعب ولقد اجاد من قال

بقدر الكد تكتسب المعالى * ومن طلب العلى سهر الليالى
تروم العز ثم تنام ليلا * يغوص البحر من طلب اللآلى

فلا بد من الاجتهاد والاستمداد من الابدال والاوتاد لعل الله يسهل سلوك هذا الطريق ويخلص من خطر هذا
البحر العميق باری كه آسمان وزمين سر كشيد از آن * مشكل بود بياورئ جسم وجان كشيد *
همت قوى كن از مدد رهروان عشق * كان بار را بقوت همت توان كشيد (يا اهل الكتاب
لم تكفرون بآيات الله) اى بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وانتم تشهدون)
اى والحال انكم تشهدون انها آيات الله (يا اهل الكتاب لم تلبسون) اى تخلطون (الحق بالباطل) المراد بالحق
كتاب الله انزله على موسى وعيسى عليهما السلام وبالباطل ما حرفوه وكتبوه بايديهم ويخلط احدهما بالآخر
ابراز باطلهم فى صورة الحق بان يقولوا الكل من عند الله تعالى (وتكتمون الحق) اى نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم ونعته (وانتم تعلمون) انه حق ثابت فى كتابكم (وقالت طائفة من اهل الكتاب) وهم رؤساؤهم ومقتدوهم
لاعقابهم (آمنوا بالذى) اى اظهروا الايمان بالقرآن الذى (انزل على الذين آمنوا) اى على المسلمين (وجه
النهار) اى فى اوله لان اول النهار هو اول ما ظهر منه كما ان الوجه اول ما يظهر من اعضاء الانسان عند الملاقاة
(واكفروا آخره) اى اظهروا ما انتم عليه من الكفر به فى آخر النهار مرآئين لهم انكم آمنتم به بادى الرأى

من غير تأمل ثم تأملتم فيه فوقفتم على خلل رأيكم الاول فرجعتم عنه (لعلهم) اى المؤمنين (يرجعون) عما هم
عليه من الايمان به كما رجعتم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك ابن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت
القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون
هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون (ولا تؤمنوا) اى لا تقروا بتصديق قلبى (الا لمن تبع دينكم) اى لاهل دينكم
لا لمن تبع محمدا واسلم لما قالت الطائفة المتقدمة لاتباعهم اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار كان من بقية كلامها
لهم انكم لا تصدقوا بحقيقة الاسلام والقرآن بقلوبكم لكن لا تظهروه للمسلمين ولا تقروا بذلك الا لاهل دينكم
(قل) يا محمد للرؤساء (ان الهدى هدى الله) يهدى به من يشاء الى الايمان ويثبته عليه فاذا كانت الهداية
والتوفيق من الله فلا يضر كيدكم وحيلكم وهو اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجدى لطائل (ان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم) علة بتقدير اللام لفعل محذوف اى قلتم ذلك القول ودبرتم الكيد لان يعطى احد مثل ما اعطيتم من
فضل الكتاب والعلم لا لشئ آخر يعنى ما بكم من الحسد صار داعيا لكم الى ان قلتم ما قلتم (او يحاجوكم) عطف
على ان يؤتى وضمير الجمع عائد الى احد لانه فى معنى الجمع اى دبرتم ما دبرتم لذلك ولان يحاجوكم عند كفركم بما يؤتى
احد من الكتاب مثل كتابكم (عند ربكم) يوم القيامة فيغلبوكم بالحجة فان من آتاه الله الوحى لا بد ان يحاج
مخالفيه عند ربه (قل ان الفضل) اى الهدى والتوفيق وايتاء العلم والكتاب (بيد الله) اى بقدرته ومشيئته
(يؤتيه من يشاء) من عباده (والله واسع) اى كامل القدرة (عليم) اى كامل العلم فلكمال القدرة يصح
ان يتفضل على اى عبد يشاء باى تفضل شاء ولكمال علمه لا يكون شئ من افعاله الا على وجه الحكمة والصواب
(يختص برحمته) اى يجعل رحمته مقصورة على (من يشاء والله ذو الفضل العظيم) كلاهما تذييل لما قبله مقرر
لمضمونه والاشارة فى تحقيق الآيات ان الحسد وان كان مركوزا فى جبلة الانسان ولكن له اختصاص بعالم
يتعلم العلم ليمارى به السفهاء ويباهى به العلماء ويجعله وسيلة لجمع المال وحصول الجاه والقبول عند ارباب الدنيا
فيحسد على كل عالم آتاه الله كلمة فهو ينشرها ويفيد الخلق كما قال عليه السلام لا حسد الا فى اثنين رجل آتاه الله
مالا فسلطه على هلكه فى حق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها اى لا حسد كحسد الحاسد على هذين
الرجلين وكان حسد احبار اليهود على النبى عليه السلام من هذا القبيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ستة يدخلون النار قبل الحساب قيل يا رسول الله من هم قال الامراء من بعدى بالجور والعرب بالعصبية
والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهل واهل العلم بالحسد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاث هن اصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن اياكم والكبر فان ابليس حمله الكبر على ان لا يسجد لآدم
(قال المولى الجامى) لاف بى كبرى مزن كان از نشان پاى مور * در شب تاريك بر سنك سيه پنهان ترست *
وز درون كردن برون از امكبر آسان كزان * كوه را كندن بسوزن از زمين آسان ترست * واياكم والحرص
فان آدم حمله الحرص على ان اكل من الشجرة (وقال ايضا) در هر دلى كه عز قناعت نهاد پاى * از هر چه بود
حرص وطمع را ببست دست * هر جا كه عرضه كرد قناعت متاع خويش * بازار حرص ومعركهٔ
آز را شكست * واياكم والحسد فان ابنى آدم انما قتل احدهما صاحبه حسدا (قال الشيخ السعدى)
توانم آنكه نيازارم اندرون كسى * حسود را چه كنم كو ز خود برنج درست * بمير تا برهى اى حسود كين
رنجيست * كه از مشقت آن جز بمرك نتوان رست * وقال الاصمعى رأيت اعرابيا اتى عليه مائة وعشرون
سنة فقلت ما طول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وفى بعض الآثار ان فى السماء الخامسة ملكا يمر به عمل
عبد له ضوء كضوء الشمس فيقول قف فانا ملك الحسد اضربوا به وجه صاحبه فانه حاسد وقيل من علامات
الحاسد ان يتملق اذا شهد ويغتاب اذا غاب ويشمت بالمصيبة اذا نزلت وانشدوا) (واذا اراد الله نشر فضيلة
طويت اتاح لها لسان حسود * لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود) (فالحسد من
الاخلاق المذمومة للنفس فلا بد من ازالته عنها بكثرة التوحيد والاذكار ورؤية الآثار من الله الجبار فان تباين
مقامات افراد الانسان فى العلم والعمل والخلق وسائر الصفات الفاضلة رحمة لهم ولم يكن ذلك الا بتقدير العزيز
العليم فى الازل فالحاسد يسفه الحق سبحانه وانه انعم على من لا يستحق تعالى الله عما يقول الظالمون وقد ذم الله
الحاسدين فى كتابه قال تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله واما الغبطة فهى محمودة نسأل الله

ان يحلينا بالصفات الشريفة والاخلاق اللطيفة ويخلينا عن الرذآئل النفسية آمين يارب العالمين (ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار) يقال امنته بكذا فالباء للالصاق بالامانة فان من ائتمن على شئ صار ذلك الشئ فى معنى الملصق به لقربه منه واتصاله بحفظه والمراد بالقنطار ههنا العدد الكثير (يؤده اليك) من غير جحد ونقص كعبد الله بن سلام استودعه قرشى الفا ومائتى اوقية ذهبا فاداها اليه فاهل الامانة من اهل الكتاب هم الذين اسلموا (ومنهم من ان تأمنه بدينار) والمراد بالدينار ههنا العدد القليل (لا يؤده اليك) وهو كعب ابن الاشرف استودعه رجل من قريش دينارا فلم يؤده وجحده فذمه تعالى فاهل الخيانة منهم هم الذين بقوا على اليهودية والنصرانية والمعنى ان فيهم من هو فى غاية الامانة حتى لو اؤتمن على الاموال الكثيرة ادى الامانة فيها ومنهم من هو فى غاية الخيانة حتى لو اؤتمن فى الشئ القليل فانه يخون (الا مادمت عليه قائما) استثناء مفرغ من اعم الاحوال والاوقات اى لا يؤديه اليك فى حال من الاحوال او فى وقت من الاوقات الا فى حال دوام قيامك او فى وقت قيامك على رأسه مبالغا فى مطالبته بالتقاضى واقامة البينة (ذلك) اى تركهم اداء الحقوق (بانهم) اى بسبب انهم (قالوا ليس علينا فى الاميين) اى فى شأن من ليس من اهل الكتاب (سبيل) اى عقاب ومؤاخذة ونفى السبيل نفى المطالبة فان المطالب لا يتمكن من المطالبة الا اذا وجد السبيل الى المطلوب والامى منسوب الى الام وسمى النبى عليه السلام اميا لانه كان لا يكتب وذلك لان الام اصل الشئ فمن لا يكتب فقد بقى على اصل حاله فى ان لا يكتب وقيل لانه عليه السلام نسب الى مكة وهى ام القرى (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم ان ذلك فى كتابهم (وهم يعلمون) انهم كاذبون مفترون على الله وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل فى التوراة فى حقهم حرمة فقد كذبوا فى ذلك على الله فان اداء الامانة واجب فى الاديان كلها وحبس مال الغير والاضرار به والخيانة اليه حرام (بلى) اثبات لما نفوه اى بلى عليهم فى الاميين سبيل (من اوفى بعهده) الضمير راجع الى من اى من اتم بعهد الوافى او بعهد الله الذى عهده اليهم فى التوراة واخذ ميثاقهم عليه من الايمان بمحمد واداء الامانة (واتقى) اى الشرك والخيانة وجواب الشرط وهو من قوله (فان الله يحب المتقين) عن الغدر والخيانة ونقض العهد اى فان الله يحبه فقام عموم المتقين مقام الضمير الراجع من الجزاء الى من يعنى التقوى تم وفاء ما عاهدوا الله عليه من الايمان بمحمد عليه السلام وبما جاء به مما يتعلق بتكميل القوة النظرية والعملية ودلت الاية على تعظيم امر الوفاء بالعهد وذلك لان الطاعات مقصورة على امرين التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله فالوفاء بالعهد مشتمل عليهما معا اذ ذلك سبب لمنفعة الخلق فهو شفقة على خلق الله ولما امر الله به كان الوفاء به تعظيما لامر الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن اى جعل امينا ووضع عنده امانة خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر اى ترك الوفاء واذا خاصم فجر اى مال عن الحق قال صاحب التحفة وليس الغرض ان آية المنافق محصورة فيها بل كل من ابطن خلاف ما اظهر فهو من المنافقين فصدور العدد من خير الانام يكون باعتبار اقتضاء المقام والوفاء بالعهد كما يمكن ان يكون فى حق الغير يمكن ايضا فى حق النفس لان الوافى بعهد النفس هو الاتى بالطاعات والتارك للمحرمات لانه عند ذلك تفوز النفس بالثواب وتبعد عن العقاب فعلى العاقل ان يوفى بعهده فى السرآء والضرآء ويجتهد فى محافظته حكى ان شابا عقد مع الله عقدا ان لا ينظر الى شئ من مستحسنات الدنيا فمر يوما بسوق فرأى منطقة مرصعة بالدر والجوهر فنظر اليها فاعجبته ثم مضى عنها وقد نظر اليه صاحبها فلما ذهب عنه افتقدها فلم يجدها فوثب مسرعا حتى تعلق بالشاب وقال يا عيار انت سارق منطقتى فحمله الى السلطان فلما نظر اليه قال ليس هذا من اهل السرقات فقال بل هو سارق منطقتى وصفتها كيت وكيت فامر بتفتيشه فوجدوها على وسطه فقال له السلطان يا فتى اما تستحيى تلبس لباس الاخيار وتعمل عمل الفجار فنظر الفتى الى المنطقة فقال مولاى الاقالة الاقالة الهى لا اعود الى مثلها فامر السلطان ان يضرب فجرد ليضربوه فاذاهم بصوت يسمع ولا يرى يقول دعوه ولا تضربوه انما اردنا تأديبه فوثب السلطان الى الفتى وقبله بين عينيه ثم قال اخبرنى عن قصتك فاخبره فتعجب من ذلك ثم قرأ والموفون بعهدهم اذا عاهدوا فقال صاحب المنطقة اسألك بالله الا ما قبلت امرى واجعلنى فى حل فقال اليك عنى ليس هذا من صنعتك انما الصنع لصاحب الصنع ولا مؤثر فى الوجود غير الحق وليس فى الدار غيره * ديارچه خوش

كفت بهلول فرخنده خوى * چو بكذشت برعارفى جنك جوى * كراين مدعى دوست بشناختى * به پيكار دشمن نپرداختى * كرازهستى حق خبرداشتى * همه خلق رانيست پنداشتى * فاذا وقفت على هذا الخبر فقم فى تربية نفسك الى ان تصل الى الهوية المطلقة مميطا لثام الاثنينية مشاهدا وجود الحق فى كل شئ رزقنا الله واياكم مشاهدته (ان الذين يشترون) اى يستبدلون ويأخذون (بعهد الله) اى بدل ما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء بالامانات (وايمانهم) وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن به ولننصرنه (ثمنا قليلا) هو حطام الدنيا (اولئك) الموصوفون بتلك الصفات القبيحة (لا خلاق) لا نصيب (لهم فى الاخرة) ولا فى نعيمها (ولا يكلمهم الله) وهو كناية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله من ذلك (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) وهو مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم (ولا يزكيهم) اى لا يثنى عليهم كما يثنى على اوليائه مثل ثناء المزكى للشاهد والتزكية من الله تعالى قد تكون على السنة الملائكة كقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقد تكون بغير واسطة اما فى الدنيا فكقوله تعالى التائبون العابدون واما فى الاخرة فكقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم (ولهم عذاب عظيم) على ما فعلوه من المعاصى والاية نزلت فى اليهود الذين حرفوا التوراة وبدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذوا الرشوة على ذلك (وان منهم) اى من اليهود المحرفين (لفريقا) ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف واحزابهما (يلوون) من اللى وهو الفتل (السنتهم بالكتاب) اى يفتلونها بقرآءته فيميلونها من المنزل الى المحرف (لتحسبوه) اى المحرف المدلول عليه بقوله يلوون (من الكتاب) اى من جملته (وما هو من الكتاب) حال من الضمير المنصوب اى والحال انه ليس منه فى نفس الامر وفى اعتقادهم ايضا (ويقولون) مع ما ذكر من اللى والتحريف على طريقة التصريح لا بالتورية والتعريض (هو) اى المحرف (من عند الله) اى منزل من عند الله (وما هو من عند الله) اى والحال انه ليس من عنده تعالى فى اعتقادهم ايضا (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) انهم كاذبون ومفترون على الله وهو تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه وعن ابن عباس رضى الله عنه هم اليهود الذين قدموا على كعب ابن الاشرف وغيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب الاشارة فى الايتين ان الذين يشترون بعهد الله الذى عاهدهم الله به يوم الميثاق فى التوحيد وطلب الوحدة وايمانهم التى يحلفون بها ههنا ثمنا قليلا من متاع الدنيا وزخارفها مما يلائم الحواس الخمسة والصفات النفسانية لا خلاق لهم فى الاخرة الروحانية من نسيم روآيح الاخلاق الربانية ولا يكلمهم الله تقريبا وتكريما وتفهيما ولا ينظر اليهم بنظر العناية والرحمة فيرحمهم ويزكيهم عن الصفات التى بها يستحقون دركات جهنم ولا يزكيهم عن الصفات الذميمة التى هى وقود النار بالنار الى الابد ولا يتخلصون منها ابدا ولهم عذاب اليم فيما لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم وان من مدعى اهل المعرفة لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب اى بكلمات اهل المعرفة لتحسبوه من المعرفة وما هو من الكتاب الذى كتب الله فى قلوب العارفين يقولون هو من عند الله يعنى من العلم اللدنى وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب باظهار الدعاوى عند فقدان المعانى وهم يعلمون ولا يعلمون انهم يقولون ما لا يفعلون (قال السعدى) كرا جامه پاكست وسيرت پليد * در دوزخش را نبايد كليد * يعنى يدخل جهنم من قبل ان يحاسب على ما فعله لان ماله الى النار والمحاسبة وان كانت نوعا من التعذيب الا ان عذاب جهنم اشد منها * اكر مردى از مردئ خود مكوى * نه هر شهسوارى بدر برد كوى * يعنى كل عابد لا يخلص ايمانه فى عاقبته بل من المتعيشين بالصلاح من يموت على الطلاح والعياذ بالله كسى سر بزركى نباشد بچيز * كدو سر بزركست وبى مغز نيز * ميفراز كردن بدستار وريش * كه دستار پنبه است وسبلت حشيش * اى النبات اليابس فيا ارباب الدعاوى اين المعانى ويا ارباب المعرفة اين المحبة ويا ارباب المحبة اين الطاعة روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ليلة المعراج نساء بيد كل واحدة منهن مقراض تقرض صدرها وتقطعه قطعة قطعة فسأل جبريل عليه السلام عنهن فقال هن اللاتى ولدن اولادا من الزنى مع وجود ازواجهن واولادهن (قال الشيخ الصفى قدس سره) ان الذين يدعون المعرفة وتمكنهم فى مقام الارشاد ويرآؤن جلبا لحطام الدنيا عذابهم اشد من عذاب هؤلاء النساء سبعين مرة فمن جعل القرآن وسيلة لجلب زخارف الدنيا اولى منه من يجلبها بالمعازف وآلات

اللهو مثلا اذا كان فى محل رفيع خبز لا تصل اليه اليد وليس هناك غير مصحف وطنبور فالاولى ان يجعل الطنبور تحت القدم للوصول دون المصحف وهكذا فيما نحن فيه قيل * دين فروشى مايه كردن هست خسران مبين * سود مند انكس كه دنيا صرف كرد ودين خريد * فلو نظرت الى شيوخ الزمان وجدت اكثرهم مدعين مالم يتحققوا به يضلون الناس باكاذيب ويروون اساليب ليس فيها اثر من المعانى والحقيقة فعلى العاقل ان لا يغتر بظاهرهم ولا يخرج عن المنهاج مقتفيا باثارهم بل يجتهد الى ان يميز بين الحق والباطل والعارف والجاهل وماذا بعد الحق الا الضلال عصمنا الله واياكم من الزيغ وسيئات الاعمال آمين يا متعال (ما كان لبشر) بيان لافترائهم على الانبياء عليهم السلام حيث قال نصارى نجران ان عيسى عليه السلام امرنا ان نتخذه ربا حاشاه عليه السلام وجاء رجل من المسلمين فقال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نأمر بعبادة غير الله اى ما صح وما استقام لاحد سواء كان بشرا اولا وانما قيل لبشر اشعارا بعلة الحكم فان البشرية منافية للامر الذى اسنده الكفرة اليهم (ان يؤتيه الله الكتاب) الناطق بالحق الآمر بالتوحيد الناهى عن الاشراك كالتوراة والانجيل والقرآن (والحكم) اى الفهم والعلم (والنبوة) وايتاء الكتاب يستلزم ايتاء الحكم وهو الحكمة المعبر عنها باتقان العلم والعمل فلذلك قدم الكتاب على الحكم لان المراد بالحكم هو العلم بالشريعة وفهم مقاصد الكتاب واحكامه فان اهل اللغة والتفسير اتفقوا على ان هذا الحكم هو العلم قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا يعنى العلم والفهم فالكتاب السماوى ينزل اولا ثم انه يحصل فى عقل النبى فهم ذلك الكتاب واسراره وبعد ما حصل فهم الكتاب يبلغ النبى ذلك المفهوم الى الخلق وهو النبوة والاخبار فما احسن هذا الترتيب (ثم يقول) ذلك البشر بعد ما شرفه تعالى بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق واطلعه على شؤونه العالية (للناس كونوا عبادا) كائنين (لى من دون الله) من متعلق بلفظ عبادا لما فيه من معنى الفعل (ولكن) يقول لهم (كونوا ربانيين) الربانى منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحيانى اذا وصف بطول اللحية ففيه الدلالة على الكمال فى هذه الصفة واذا نسب الى اللحية من غير قصد المبالغة يقال لحوى فالربانى هو الكامل فى العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله تعالى ودينه كما يقال رجل الهى اذا كان مقبلا على معرفة الاله وطاعته (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) اى بسبب مثابرتكم على تعليم الكتاب ودراسته اى قراءته وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا) بالنصب عطف على ثم يقول ولا مزيدة لتأكيد معنى النفى فى قوله تعالى ما كان لبشر اى ما كان لبشر ان يستنبئه الله تعالى ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا كما قال قريش والصابئون الملائكة بنات الله واليهود والنصارى عزير ابن الله والمسيح ابن الله (أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) انكار لما نفى عن البشر والضمير له يعنى ايأمركم بعبادة الملائكة والسجدة للانبياء بعد كونكم مخلصين بالتوحيد لله فانه لو امركم بذلك لكفر ونزع منه النبوة والايمان ومن آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة يكون اعلم الناس وافضلهم فيمنعه ذلك من ادعاء الالوهية فانه تعالى لا يؤتى الوحى والكتاب الا نفوسا طاهرة وارواحا طيبة فلا يجمع بشر بين النبوة وبين دعاء الخلق الى عبادة غير الله واعلم ان العلم والدراسة جعلا سببا للربانية التى هى قوة التمسك بطاعة الله وكفى هو دليلا على خيبة سعى من جهد نفسه وكد روحه فى جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثل من غرس شجرة حسناء تونقه اى تعجبه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها فالعمل بغير العلم والعلم بغير العمل لا يثبت كل منهما بانفراده النسبة الى الرب فعلم ان العالم الذى لا يعمل بعلمه منقطع النسبة بينه وبين ربه كالعامل الجاهل فكل منهما ليس من الله فى شئ حيث لم تثبت النسبة الا للمتمسك بالعمل المبنى على العلم قال على رضى الله عنه قصم ظهرى رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك لان العالم ينفر الناس عن العلم بتهتكه والجاهل يرغب الناس فى الجهل بتنسكه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع فعلى المعلم والمتعلم ان يطلب بعلمه مرضاة الله وبعمله الربانية فمن اشتغل بالتعليم والتعلم لا لهذا المقصد ضاع سعيه وخاب عمله والاشارة ان من دأب اهل الحقيقة تربية الاتباع والمريدين ليكونوا ربانيين متخلقين باخلاق الربانية العاملين بما يعلمون من الكتاب وبما كانوا يدرسون من العلوم ولا يقنعون على دراستها ولا يغترون بمقالات اخذوها من افواه القوم وبعض مدعى هذا

الشان الذين غلبت عليهم اهواؤهم وصفات بشريتهم يدعون الشيخوخة من رعونة النفس قبل اوانها ويخدعون الخلق بانواع الحيل ويستتبعون بعض الجهلة ويصيدونهم بكلمات اخذوها من الافواه ويمكرون ببعض اهل الصدق من الطلبة ويقطعون عليهم طريق الحق بان يمنعوهم من صحبة اهل الحق ومشايخ الطريقة ويأمرونهم بالتسليم والرضى فيما يعاملونهم ولا يعرفون غيرهم فيعبدونهم من دون الله كما هو دأب اكثر مشايخ زماننا هذا فانه ليس من دأب من يؤتى الكتاب والحكم والنبوة (قال السعدى فى ذم امثال هؤلاء المشايخ) دمادم بشو بند چون كربه روى * طمع كرده در صيد موشان كوى * رياضت كش از بهر نام وغرور * كه طبل تهى را رود بانك دور * يعنى يصل صوت الطبل الى البعيد ويسمع من البعيد لكونه خاليا فكذلك امثالهم يشتهر ذكرهم بين الناس وليس ذلك الا لكونهم خالين عن الحقيقة اذ المرء الصادق فى طلبه والواصل الى ربه يحب الخمول والنفرة عن الخلق فشأنه التجنب من كل شئ سوى الله دون تشهير نفسه وجلب المال من ايدى الناس بل من الناس من يرغب عنه وهو مرغوب كسى را كه نزديك ظنت بد اوست * چه دانى كه صاحب ولايت خود اوست * در معرفت بر كسانيست باز * كه درهاست برروى ايشان فراز (واذ اخذ الله ميثاق النبيين) قال قوم ان الله تعالى اخذ الميثاق من النبيين خاصة ان يصدق بعضهم بعضا واخذ العهد على كل نبى ان يؤمن بمن يأتى بعده من الانبياء وينصره ان ادركه وان لم يدركه ان يأمر قومه بالايمان به وبنصرته ان ادركوه فاخذ الميثاق من موسى ان يؤمن بعيسى ومن عيسى ان يؤمن بمحمد عليه السلام واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم بذلك اولى واحرى اى اذكر يا محمد وقت اخذ الله ميثاق الانبياء واممهم (لما آتيتكم) اللام موطئة لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما مبتدأ موصولة وآتيتكم صلتها والعائد محذوف تقديره للذى آتيناكموه (من كتاب وحكمة) وهى بيان احكام الحلال والحرام والحدود حال من الموصول (ثم جاءكم رسول) عطف على الصلة والمعطوف على الصلة صلة فلابد من الرابط فالتقدير رسول به (مصدق لما معكم) من الكتاب (لتؤمنن به ولتنصرنه) جواب قسم مقدر وهذا القسم المقدر وجوابه خبر للمبتدأ اى والله لتصدقنه برسالته ولتنصرنه على اعدائه لاظهار دين الحق فان قيل ما وجه قوله تعالى ثم جاءكم رسول والرسول لا يجيء الى النبيين وانما يجيء الى الامم والجواب ان حملنا قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين على اخذ ميثاق اممهم فقد اندفع الاشكال وان حملناه على اخذ ميثاق النبيين انفسهم كان معنى قوله ثم جاءكم اى جاء فى زمانكم (قال) اى الله تعالى بعد ما اخذ الميثاق (أأقررتم) اى بالايمان والنصر له والاستفهام للتقرير والتأكيد عليهم لاستحالة حقيقة الاستفهام فى حقه تعالى (واخذتم على ذلكم) الميثاق (اصرى) اى عقدى الذى عقدته عليكم والاصر الثقل الذى يلحق الانسان لاجل ما يلازمه من العمل والاصر ههنا العهد الثقيل لانه ثقل على صاحبه من حيث انه يمنع عن مخالفته اياه (قالوا اقررنا) بذلك واكتفى به عن ذكر اخذهم الاصر (قال) سبحانه وتعالى (فاشهدوا) ايها الانبياء والامم باقرار بعضكم على بعض (وانا معكم من الشاهدين) اى وانا ايضا شاهد على اقراركم ذلك مصاحبا لكم وادخال مع على المخاطبين لما انهم المباشرون للشهادة حقيقة والمقصود منه التأكيد والتحذير من الرجوع اذا علموا شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض (فمن تولى) اى اعرض عما ذكر (بعد ذلك) الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة (فاولئك هم الفاسقون) المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فان الفاسق من كل طائفة من كان متجاوزا عن الحد قال فى التيسير والتولى لا يقع من الانبياء ولا يوصفون بالفسق لكن له وجهان احدهما ان الميثاق كان على الانبياء واممهم على التبعية والتولى من الامم خاصة والثانى ان العصمة لا تزيل المحنة انتهى وهذا الميثاق لما كان مذكورا فى كتبهم وهم كانوا عارفين بذلك فقد كانوا عالمين بصدق محمد عليه السلام فى النبوة فلم يبق لكفرهم سبب الا مجرد العداوة والحسد فصاروا كابليس الذى دعاه الحسد الى الكفر فاعلمهم الله تعالى انهم متى كانوا كذلك كانوا طالبين دينا غير دين الله ومعبودا سوى الله بقوله تعالى (أفغير دين الله يبغون) عطف على مقدر اى ايتولون فيبغون غير دين الله ويطلبونه (وله اسلم) اى لله اخلص وانقاد (من فى السموات والارض) اى اهلهما (طوعا) وهم الموحدون (وكرها) اى باباء وهم الجاحدون بما فيهم من آثار الصنع ودلائل الحدوث وتصريفهم كيف يشاء الى صحة ومرض وغنى وفقر وسرور وحزن وسائر الاحوال فلا يمكنهم دفع قضائه وقدره (واليه يرجعون) اى من فيهما

والمراد ان من خالفه فى العاجل فسيكون مرجعه اليه الى حيث لا يملك الضر والنفع سواه وهذا وعيد عظيم
لمن خالف الدين الحق فعلى العاقل ان يطيع ربه ولا يعصيه بنقض ما عهد اليه يوم الميثاق فعهد الله مع الانبياء
والاولياء والمؤمنين التوحيد واقامة الدين وعدم التفرق فيه وتصديق بعضهم بعضا ودعوة الخلق الى الطاعة
وتخصيص العبادة بالله فالله تعالى لا يطلب من العبد الا الصدق فى العبودية والقيام بحقوق الربوبية قال الشيخ
الشاذلى قدس سره متى رزقك الله الطاعة والغناء به عنها فقد اسبغ عليك نعمه ظاهرة اذا راح ظاهرك
من مخالفة امره وباطنة اذ رزقك الاستسلام لقهره وهذا هو مطلب الحق منك قيل لابراهيم بن ادهم قدس
سره لو جلست لنا فى المسجد حتى نسمع منك شيأ فقال انى مشغول عنكم باربعة اشياء فلو تفرغت منها لجلست
معكم قيل وما هى يا ابا اسحق قال اولها انى تذكرت حين اخذ الله الميثاق على آدم فقال هؤلاء الى الجنة ولا ابالى
وهؤلاء الى النار ولا ابالى فلم ادر من اى الفريقين كنت الثانى انى تذكرت ان الولد اذا قضى الله سبحانه بخلقه
فى بطن امه ونفخ فيه الروح فيقول الملك الموكل به يا رب اشقى ام سعيد فلم ادر كيف خرج جوابى فى ذلك الوقت
الثالث حين ينزل ملك الموت فاذا اراد ان يقبض الروح فيقول يا رب اقبضها مع الاسلام او مع الكفر فلا ادرى
كيف يخرج جوابى فى ذلك الوقت الرابع تفكرت فى قوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون فلا ادرى من اى الفريقين
اكون ففى هذا شغل شغلنى عن الجلوس لكم والحديث معكم ففى هذا الاشارة الى ان العبد مع كونه مستسلما القضاء
الله لا بد وان يراعى وظيفة التكليف اذ الخير او الشر مقضى فى حقه ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قال اعملوا
فكل ميسر لما خلق له فليجاهد العاقل فى تزكية نفسه ولا تنم الوصية الى عباد الله ولا يكلف المرء الا بقدر وسعه
والناس فى المراتب مختلفون فطوبى لمن وصل الى اعلى المطالب * بقدر حوصله خويش دانه چيند مرغ *
بصعوه نتوان داد طعمه شهباز * وقيل للشيخ الصفى قدس سره اذا قطع الطالب المنازل فهل يبقى بعد ذلك
مرتبة لم يصل اليها بعد قال بلى يبقى علم انه هل كان مقبولا للرب تعالى اولا وفى القشيرى ما حاصله ان الولى
فى الحال يجوز ان يتغير حاله فى المآل ويجوز ان يكون من جملة كرامات الولى ان يعلم انه مأمون العاقبة عصمنا الله
واياكم بحسن الخاتمة * همه عالم همى كويند هر آن * كه يا رب عاقبت محمود كردان (قل آمنا بالله) امر للرسول
صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه بالايمان بما ذكر وجمع الضمير فى آمنا لاظهار جلالة قدره صلى الله عليه وسلم
ورفعة محله بامره بان يتكلم عن نفسه على ديدن الملوك (وما انزل علينا) وهو القرآن والنزول كما يعدى بالى
لانتهائه الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق (وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) من
الصحف والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام وابناؤه الاثنا عشر وذراريهم
فانهم حفدة ابراهيم عليه السلام (وما اوتى موسى وعيسى) من التوراة والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة
بايديهما وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى (والنبيون) اى وما اوتى النبيون من المذكورين
وغيرهم (من ربهم) من الكتب والمعجزات (لا نفرق بين احد منهم) كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض
وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة كل منهم وبحقية ما انزل اليهم فى زمانهم قال الامام فى تفسيره اختلف العلماء
فى كيفية الايمان بالانبياء المتقدمين الذين نسخت شرائعهم وحقيقة الخلاف ان شرعه لما صار منسوخا فهل
تصير نبوته منسوخة فمن قال ان نبوته منسوخة قال نؤمن بانهم كانوا انبياء ورسلا ولا نؤمن بانهم انبياء ورسل
فى الحال ومن قال ان نسخ الشريعة لا يقتضى نسخ النبوة قال نؤمن بانهم انبياء ورسل فى الحال فتنبه لهذا
الموضع (ونحن له مسلمون) اى منقادون على ان يكون الاسلام بمعنى الاستسلام وهو الانقياد او مخلصون له
تعالى انفسنا لا نجعل له شريكا فيها على ان يكون من السلامة وفيه تعريض بايمان اهل الكتاب فانه بمعزل
عن ذلك (ومن يبتغ غير الاسلام) اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحا والمدعين
للتوحيد مع اشراكهم كاهل الكتابين (دينا) ينتحل اليه وهو نصب على انه مفعول ليبتغ وغير الاسلام حال
منه لانه فى الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا (فلن يقبل) ذلك (منه) ابدا بل يرد اشد رد واقبحه (وهو فى الآخرة
من الخاسرين) اى الواقعين فى الخسران بحرمان الثواب وحصول العقاب ويدخل فيه ما يلحقه من التأسف
والتحسر على ما فاته فى الدنيا من العمل الصالح وعلى ما تحمله من التعب والمشقة فى الدنيا فى تقرير ذلك الدين
الباطل والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع فى الخسران بابطال الفطرة السليمة التى

فطر الناس عليها واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غير الاسلام لوجب ان لا يكون
الايمان مقبولا لقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه والجواب انه ينفى قبول كل دين يغايره
لا قبول كل ما يغايره (كيف يهدى الله) الى الحق (قوما كفروا بعد ايمانهم) قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد ما
امنوا ولحقوا بمكة وهو استبعاد لان يهدى قوما هم معاندون للحق مكابرون فيه غير خاضعين له بان يخلق فيهم
الاهتداء ويوفقهم لاكتساب الاهتداء وانما يخلق الاهتداء ويوفق على كسب ذلك ويقدرهم عليه اذا كانوا
خاضعين متواضعين للحق راغبين فيه فالمراد من الهداية خلق الاهتداء وقد جرت سنة الله فى دار التكليف على
ان كل فعل يقصد العبد الى تحصيله فان الله تعالى يخلقه عقيب قصد العبد فكانه تعالى قال كيف يخلق فيهم المعرفة
والاهتداء وهم قصدوا تحصيل الكفر وارادوه (وشهدوا ان الرسول حق) اى صادق فيما يقول (وجاءهم البينات)
اى الشواهد من القرآن على صدقه قوله وشهدوا عطف على ايمانهم باعتبار انحلاله الى جملة فعلية فانه فى قوة
ان يقال بعد ان آمنوا وبعد ان شهدوا وهو دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان ضرورة ان
المعطوف مغاير للمعطوف عليه (والله لا يهدى القوم الظالمين) اى الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع
الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه. فان قيل ظاهر الآية يقتضى ان من كفر بعد
اسلامه لا يهديه الله ومن كان ظالما لا يهديه الله وقد رأينا كثيرا من المرتدين اسلموا وهداهم وكثيرا من الظالمين
تابوا عن الظلم فالجواب ان معناه لا يهديهم ما داموا مقيمين على الرغبة بالكفر وفى الثبات عليه ولا يقبلون على
الاسلام واما اذا تحروا اصابة الحق والاهتداء بالادلة المنصوبة فحينئذ يهديهم الله بخلق الاهتداء فيهم (اولئك)
المذكورون باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الشنيعة (جزاؤهم ان عليهم لعنة الله) وهو ابعاده من الجنة
وانزال العقوبة والعذاب (والملائكة) ولعنهم بالقول كالناس (والناس اجمعين) والمراد بالناس المؤمنون
لانه لو اريد به جميع الناس لزم ان يلعن كل واحد منهم جميع من يوافقهم ويخالفهم ولا وجه لان يلعن الانسان
من يوافقه ويحتمل ان يراد به الجميع بناء على ان جميع الخلق يلعنون المبطل والكافر ولكنه يعتقد فى نفسه
انه ليس بمبطل ولا كافر فاذا لعن الكافر وكان هو فى علم الله كافرا فقد لعن نفسه وان كان لا يعلم ذلك (خالدين
فيها) حال من الضمير فى عليهم اى فى اللعنة والعقوبة ومعنى الخلود فى اللعن انهم يوم القيامة لا تزال تلعنهم
الملائكة والمؤمنون ومن معهم فى النار ولا يخلو شئ من احوالهم من اللعنة (لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون) الانظار التأخير اى لا يجعل عذابهم اخف ولا يؤخر العقاب من وقت الى وقت فان العذاب
الحق بالكفار مضرة خالصة عن شوائب المنافع دائمة غير منقطعة نعوذ بالله من ذلك وما يؤدى اليه (الا الذين
تابوا من بعد ذلك) اى من بعد الارتداد (واصلحوا) اى ما افسدوا (فان الله غفور رحيم) فيقبل توبتهم ويتفضل
عليهم وعطف قوله واصلحوا على قوله الا الذين تابوا يدل على ان التوبة وحدها وهى الندم على ما مضى من
الارتداد والعزم على تركه فى المستقبل لا تكفى حتى ينضاف اليها العمل الصالح اى واصلحوا باطنهم مع الحق
بالمراقبات ومع الخلق بالمعاملات وهذا الندم والتوبة انما يحصل لمن لم ترسخ فيه بعد هيئة استيلاء النفس
الامارة على قلبه ولم تصر رينا وبقى فيه من وراء حجاب صفات النفس مسكة من نور استعداده فيتداركه الله برحمته
وتوفيقه فيندم ويواظب على الرياضات من باب التزكية والتصفية يحكى عن السرى السقطى قدس سره انه قال
قلت يوما عجبت من ضعيف عصى قويا فلما كان الغداة وصليت الغداة اذا انا بشاب قد وافى وخلفه ركبان على
دواب بين يديه غلمان وهو راكب على دابته فنزل وقال ايكم السرى السقطى فاومأ جلسائى الى فسلم على
وجلس وقال سمعتك تقول عجبت من ضعيف عصى قويا فما اردت به فقلت ما ضعيف اضعف من ابن آدم
ولا قوى اقوى من الله تعالى وقد تعرض ابن آدم مع ضعفه الى معصية الله قال فبكى ثم قال يا سرى هل يقبل
ربك غريقا مثلى قلت ومن ينقذ الغرقى الا الله تعالى قال يا سرى ان على مظالم كثيرة كيف اصنع قال اذا صححت
الانقطاع الى الله ارضى عنك الخصوم بلغنا عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة واجتمع الخصوم
على ولى الله تقول الملائكة لهم لا تروعون ولى الله فان الحق اليوم على الله فيهب الله لهم مقامات عالية
بدل حقوقهم فيتجاوزون عن الولى قال فبكى ثم قال صف لى الطريق الى الله فقلت ان كنت تريد طريق
المقتصدين فعليك بالصيام والقيام وترك الآثام وان كنت تريد طريق الاولياء فاقطع العلائق واتصل بخدمة

الخالق فعلى السالك ان يتوب من جميع الآثام ولا يشتغل سره سوى مشاهدة الله العلام * بهشت تن آسانى انكه
خورى * كه بر دوزخ نيستى بكذرى * يعنى لا تصل الى الحضور الباقى والحياة الابدية الا بافناء
وجودك فى وجود الحق وتبديل الاخلاق الذميمة بالاخلاق الحميدة فاذا جاوزت هذا الصراط الادق وصلت
الى الجناب المطلق اوعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه انه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله كن
فى الدنيا كانك غريب اوعابر سبيل اى لا تركن اليها ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا
بالاعتناء بها ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب فى غير وطنه ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذى يريد
الذهاب الى اهله وعد نفسك من اصحاب القبور وفيه اشارة الى الفناء عن اضافة الوجود الى نفسه بل الوجود
كله لله تعالى فالبدن للروح بمنزلة القبر للميت فكما ان الميت فى قبره يسلم لامر مولاه ولا يتعرض الى شئ اصلا
كذلك ينبغى ان لا يتعرض العبد لشئ من الافات البدنية والقلبية بل يدور حيث اوقفه الله من الفطرة الاصلية
والشهود التام وقل من سلم عن هذه الافات الا ان العبد بالتوبة يتدارك ما فات فاياك ان ترخص نفسك فى فعل
شر فاذا قد فتحت بابه فاول الشر الخطرة كما ان اول السيل القطرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام
يشرفون المسرفين ويستخفون بالعابدين يعملون بالقرآن ما وافق اهواءهم وما خالف اهواءهم تركوه فعند
ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك من القدر المحتوم والرزق المقسوم والاجل المكتوب
ولا يسعون فيما لا يدرك الا بالسعى من الاجر الموفور والسعى المشكور والتجارة التى لا تبور فاذا وقفت على هذا
جعلت سعيك للآخرة لا للدنيا بل لم تطلب من الله الا الله رزقنا الله واياكم ذلك آمين (ان الذين) كاليهود (كفروا)
بعيسى والانجيل (بعد ايمانهم) بموسى والتوراة (ثم ازدادوا كفرا) حيث كفروا بمحمد عليه السلام والقرآن
اوكفروا به عليه السلام بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار عليه والطعن فيه والصد عن
الايمان ونقض الميثاق (لن تقبل توبتهم) لانهم لا يتوبون الا عند اشرافهم على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم
بعدم قبولها تغليظا فى شأنهم وابرازا لحالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة اولان توبتهم لا تكون
الا نفاقا لارتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك لم تدخل فيه الفاء (واولئك هم الضالون) على سبيل الكمال فهو من
قبيل حصر الكمال والا فكل كافر ضال سواء كفر بعد الايمان اوكان كافرا فى الاصل ومن جهات كمالهم
فى الضلال ثباتهم عليه وعدم كون الاهتداء متوقعا منهم (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل) لما كان
الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية دخلت الفاء ههنا ايذانا بسببية المبتدأ لخبره (من احدهم) فدية
(ملء الارض ذهبا) تمييز اى ما يملأها من شرقها الى غربها (ولو افتدى به) اى بملء الارض ذهبا فان قيل نفى
قبول الافتداء يوهم ان الكافر يملك يوم القيامة من الذهب ما يفتدى به وهو لا يملك فيه نقيرا ولا قطميرا فضلا
عن ان يملك ملء الارض ذهبا كناية عن كونه فى غاية الكثرة والتقدير لو ان الكافر يوم القيامة قدر على اعز
الاشياء بالغالى غاية الكثرة وقدر على بذله لنيل اعز المطالب لا يقدر على ان يتوسل بذلك الى تخليص نفسه من
عذاب الله تعالى والمقصود بيان انهم آيسون من تخليص انفسهم من العقاب (اولئك) اشارة الى المذكورين
باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة (لهم عذاب اليم) اى مؤلم (وما لهم من ناصرين) فى دفع العذاب
عنهم اوفى تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لمراعاة الضمير اى ليس لواحد منهم ناصر واحد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله لاهون اهل النار عذابا يوم القيامة لو ان لك ما فى الارض من شئ
اكنت تفدى به فيقول نعم فيقول اردت منك اهون من هذا وانت فى صلب آدم ان لا تشرك بى شيأ فابيت
الا ان تشرك بى قال الامام اعلم ان الكافر على ثلاثة اقسام احدها الذى يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة
وهو الذى ذكره الله فى قوله الا الذين تابوا واصلحوا فان الله غفور رحيم وثانيها الذى يتوب عن ذلك الكفر توبة
فاسدة وهو الذى ذكره الله تعالى فى الاية المتقدمة وقال لن تقبل توبتهم وثالثها الذى يموت على الكفر من غير توبة
البتة وهو المذكور فى هذه الاية ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الاية انتهى وهم الذين رسخت هيئة استيلاء
النفوس الامارة على قلوبهم وتمكنت وصارت رينا وتناهوا فى الشر والغى وتمادوا فى العناد والبغى فلن يقبل
من احدهم ملء الارض اذ لا يقبل هناك الا الامور النورانية الباقية لان الآخرة هى عالم النور والبقاء فلا وقع
ولا خطر للامور الظلمانية الفانية فيها وهل كان سبب كفرهم واحتجابهم الا محبة هذه العوائق الفانية فكيف

تكون فداءهم وسبب نجاتهم وقربهم وقبولهم وهى بعينها سبب هلاكهم وبعدهم وخسرانهم وحرمانهم فاياك
من اوصاف الكفر وهى حب الدنيا واتباع الهوى والاقبال على شهوات النفس والاعراض عن الحق
ترا شهوت وكبر وحرص وحسد * چو خون در رك اندو چو جان در جسد * يعنى كما ان الدم سارى فى العروق
وجارى فيها وكذا الروح فى الجسد فكذلك هذه الصفات الذميمة محيطة بك * كراين دشمنان تقويت يافتند *
سر از حكم ورأى تو برتافتند * هوا وهوس را نماند ستيز * چو بينند سر پنجهٔ عقل تيز * يعنى
اذا كان المرء تابعا للشرع وقضية العقل يكون غالبا على هواه فلا تجادله الصفات السبعية الشيطانية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتى اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فيصد
عن الحق واما طول الامل فينسى الآخرة قال ذو النون المصرى مفتاح العبادة الفكرة وعلامة الاصابة مخالفة
النفس والهوى ومخالفتها ترك شهواتها قال جعفر بن نصر دفع الىّ الجنيد درهما فقال اشتر به التين الوزيرى
فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة ووضعها فى فيه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له فى ذلك فقال هتف فى قلبى
اما تستحيى شهوة تركتها من اجلى ثم تعود اليها قال ابو سليمان الدارانى رحمه الله من احسن فى ليله كوفى فى نهاره
ومن احسن فى نهاره كوفى فى ليله ومن صدق فى ترك شهوة كفى مؤنتها والله اكرم من ان يعذب قلبا ترك شهوة
لاجله واعلم ان النفس عين لطيفة هى معدن الاخلاق الذميمة مودعة بين جنبى الانسان اى جميع جسده
وهى امارة بالسوء وهى مجبولة على ضد الروحانية المخلوقة من الملكوت الاعلى فانهم يأمرون بالخير وينهون
عن الشر وهى مخلوقة من الملكوت السفلى كالشياطين وهم لا يأمرون الا بالشر ومن طبعهم التمرد والاباء
والاستكبار ولهذا تأبى النفس عن قبول الموعظة وتظهر التمرد كما قال الشيخ فى قصيدة البردة

فان امارتى بالسوء ما اتعظت * من جهلها بنذير الشيب والهرم

يعنى ان النفس الامارة بالسوء والعيب ما قبلت الوعظ من نذير الشيب فتمادت فى غواية الجهل بعد الهرم
وما كبحت عنان جماح الشهوة بايدى الندم وقد خلق الله النفس على صورة جهنم وخلق بحسب كل دركة فيها
صفة لها وهى باب من جهنم يدخل فيها من هذا الباب الى دركة من دركاتها السبع وهى سبع صفات الكبر
والحرص والشهوة والحسد والغضب والبخل والحقد فمن زكى نفسه من هذه الصفات فقد عبر عن هذه الدركات
السفلية ووصل الى درجات الجنان العلوية كما قال الله تعالى قد افلح من زكاها ومن لم يزك نفسه عن هذه الصفات
بقى فى دركات جهنم خائبا خاسرا كما قال تعالى وقد خاب من دساها عصمنا الله واياكم من كيد النفس الامارة
وشر الشيطان واصلح حالنا ما دامت الارواح فى الابدان آمين يا مستعان (لن تنالوا البر) من ناله نيلا اذا اصابه
اى لن تبلغوا ايها المؤمنون حقيقة البر الذى يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شأوه ولن تلحقوا بزمرة الابرار
اولن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته (حتى تنفقوا) اى فى سبيل الله رغبة فيما عنده (مما تحبون)
اى بعض ما تهوونه ويعجبكم من كرائم اموالكم واحبها اليكم اوما يعمها وغيرها من الاعمال والمهجة على
ان المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى (وما تنفقوا من شئ) اى اى شئ
تنفقوا طيب تحبونه اوخبيث تكرهونه فمحل الجار والمجرور النصب على التمييز (فان الله به عليم) تعليل
لجواب الشرط واقع موقعه اى فيجازيكم بحسبه جيدا كان اوردئيا فانه تعالى عليم بكل شئ تنفقونه علما كاملا
بحيث لا يخفى عليه شئ من ذاته وصفاته وفيه من الترغيب فى انفاق الجيد والتحذير عن انفاق الردى ما لا يخفى
فالوصول الى المطلوب لا يحصل الا بانفاق المحبوب ولذلك كان السلف اذا احبوا شيأ جعلوه لله ذخيرة ليوم
يحتاجون اليه والانسان لا ينفق محبوبه الا اذا ايقن انه يتوصل بذلك الى وجدان محبوب اشرف من الاول
فالانسان لا ينفق محبوبه فى الدنيا الا اذا تيقن بوجود الصانع العالم القادر وتيقن بالبعث والحساب والجزاء
وان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولزم منه ان الانسان لا يمكنه انفاق محبوبه
فى الدنيا الا اذا كان مستجمعا لجميع الخصال المحمودة فى الدين فلا تقتضى الاية ان من انفق ما احب وصل
الى الثواب العظيم وان لم يأت بسائر الطاعات روى انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالى
الى بيرحاء وهو ضيعة له فى المدينة مستقبل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فضعها يا رسول الله حيث اراك الله
فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح اورايح فانى ارى ان تجعلها فى الاقربين فقسمها فى اقاربه وفيه

الخالق فعلى السالك ان يتوب من جميع الآثام ولا يشغل سره سوى مشاهدة الله العلام بهشت نزا سانى انكه
خورى * كه بردوزخ نيستى بكذرى * يعنى لاتصل الى الحضور الباقى والحياة الابدية الا بافناء
وجودك فى وجود الحق وتبديل الاخلاق الذميمة بالاخلاق الحميدة فاذا جاوزت هذا الصراط الادق وصلت
الى الجناب المطلق او عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه انه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله كن
فى الدنيا كانك غريب او عابر سبيل اى لاتركن اليها ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا
بالاعتناء بها ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب فى غير وطنه ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذى يريد
الذهاب الى اهله وعد نفسك من اصحاب القبور وفيه اشارة الى الفناء عن اضافة الوجود الى نفسه بل الوجود
كله لله تعالى فالبدن للروح بمنزلة القبر للميت فكما ان الميت فى قبره يسلم لامر مولاه ولا يتعرض الى شئ اصلا
كذلك ينبغى ان لا يتعرض العبد لشئ من الافات البدنية والقلبية بل يدور حيث اوقفه الله من الفطرة الاصلية
والشهود التام وقل من سلم عن هذه الافات الا ان العبد بالتوبة يتدارك ما فات فاياك ان ترخص نفسك فى فعل
شر فاذا قد فتحت بابه فاول الشر الخطرة كما ان اول السيل القطرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام
يشرفون المسرفين ويستخفون بالعابدين يعملون بالقرءآن ما وافق اهوآءهم وما خالف اهوآءهم تركوه فعند
ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك من القدر المحتوم والرزق المقسوم والاجل المكتوب
ولا يسعون فيما لا يدرك الا بالسعى من الاجر الموفور والسعى المشكور والتجارة التى لا تبور فاذا وقفت على هذا
جعلت سعيك للآخرة لا للدنيا بل لم تطلب من الله الا الله رزقنا الله واياكم ذلك آمين (ان الذين) كاليهود (كفروا)
بعيسى والانجيل (بعد ايمانهم) بموسى والتوراة (ثم ازدادوا كفرا) حيث كفروا بمحمد عليه السلام والقرءآن
او كفروا به عليه السلام بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار عليه والطعن فيه والصد عن
الايمان ونقض الميثاق (لن تقبل توبتهم) لانهم لا يتوبون الا عند اشرافهم على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم
بعدم قبولها تغليظا فى شأنهم وابرازا لحالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة اولان توبتهم لاتكون
الا نفاقا لارتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك لم تدخل فيه الفاء (واولئك هم الضالون) على سبيل الكمال فهو من
قبيل حصر الكمال والافكل كافر ضال سوآء كفر بعد الايمان او كان كافرا فى الاصل ومن جهات كمالهم
فى الضلال ثباتهم عليه وعدم كون الاهتدآء متوقعا منهم (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل) لما كان
الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية دخلت الفاء ههنا ايذانا بسببية المبتدأ لخبره (من احدهم) فدية
(ملء الارض ذهبا) تمييز اى ما يملأها من شرقها الى غربها (ولو افتدى به) اى بملء الارض ذهبا فان قيل نفى
قبول الافتدآء يوهم ان الكافر يملك يوم القيامة من الذهب ما يفتدى به وهو لا يملك فيه نقيرا ولا قطميرا فضلا
عن ان يملك ملء الارض ذهبا كناية عن كونه فى غاية الكثرة والتقدير لو ان الكافر يوم القيامة قدر على اعز
الاشياء بالغا الى غاية الكثرة وقدر على بذله لنيل اعز المطالب لا يقدر على ان يتوسل بذلك الى تخليص نفسه من
عذاب الله تعالى والمقصود بيان انهم آيسون من تخليص انفسهم من العقاب (اولئك) اشارة الى المذكورين
باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة (لهم عذاب اليم) اى مؤلم (وما لهم من ناصرين) فى دفع العذاب
عنهم او فى تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لمراعاة الضمير اى ليس لواحد منهم ناصر واحد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله لاهون اهل النار عذابا يوم القيامة لو ان لك ما فى الارض من شئ
اكنت تفدى به فيقول نعم فيقول اردت منك اهون من هذا وانت فى صلب آدم ان لا تشرك بى شيأ فابيت
الا ان تشرك بى قال الامام اعلم ان الكافر على ثلاثة اقسام احدها الذى يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة
وهو الذى ذكره الله فى قوله الا الذين تابوا واصلحوا فان الله غفور رحيم وثانيها الذى يتوب عن ذلك الكفر توبة
فاسدة وهو الذى ذكره الله تعالى فى الآية المتقدمة وقال لن تقبل توبتهم وثالثها الذى يموت على الكفر من غير توبة
البتة وهو المذكور فى هذه الآية ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية انتهى وهم الذين رسخت هيئة استيلاء
النفوس الامارة على قلوبهم وتمكنت وصارت رينا وتناهوا فى الشر والغى وتمادوا فى العناد والبغى فلن يقبل
من احدهم ملء الارض اذ لا يقبل هناك الا الامور النورانية الباقية لان الآخرة هى عالم النور والبقاء فلا وقع
ولا خطر للامور الظلمانية الفانية فيها وهل كان سبب كفرهم واحتجابهم الا محبة هذه العوآئق الفانية فكيف

تكون فدآءهم وسبب نجاتهم وقربهم وقبولهم وهى بعينها سبب هلاكهم وبعدهم وخسرانهم وحرمانهم فاياك
من اوصاف الكفر وهى حب الدنيا واتباع الهوى والاقبال على شهوات النفس والاعراض عن الحق
تراشهوت وكبر وحرص وحسد * چو خون در رك اندوچو جان در جسد * يعنى كما ان الدم سارى فى العروق
وجارى فيها وكذا الروح فى الجسد فكذلك هذه الصفات الذميمة محيطة بك * كر اين دشمنان تقويت يافتند *
سر از حكم ورأى تو بر تافتند * هوا وهوس را نماند ستيز * چو بينند سر پنجهٔ عقل تيز * يعنى
اذا كان المرء تابعا للشرع وقضية العقل يكون غالبا على هواه فلا تجادله الصفات السبعية الشيطانية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتى اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فيصد
عن الحق واما طول الامل فينسى الآخرة قال ذو النون المصرى مفتاح العبادة الفكرة وعلامة الاصابة مخالفة
النفس والهوى ومخالفتها ترك شهواتها قال جعفر بن نصير دفع الى الجنيد درهما فقال اشتر به التين الوزيرى
فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة ووضعها فى فيه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له فى ذلك فقال هتف فى قلبى
اما تستحيى شهوة تركتها من اجلى ثم تعود اليها قال ابو سليمان الدارانى رحمه الله من احسن فى ليله كوفى فى نهاره
ومن احسن فى نهاره كوفى فى ليله ومن صدق فى ترك شهوة كفى مؤنتها والله اكرم من ان يعذب قلبا ترك شهوة
لاجله واعلم ان النفس عين لطيفة هى معدن الاخلاق الذميمة مودعة بين جنبى الانسان اى جميع جسده
وهى امارة بالسوء وهى مجبولة على ضد الروحانية المخلوقة من الملكوت الاعلى فانهم يأمرون بالخير وينهون
عن الشر وهى مخلوقة من الملكوت السفلى كالشياطين وهم لا يأمرون الا بالشر ومن طبعهم التمرد والاباء
والاستكبار ولهذا تأبى النفس عن قبول الموعظة وتظهر التمرد كما قال الشيخ فى قصيدة البردة

فان امارتى بالسوء ما اتعظت * من جهلها بنذير الشيب والهرم

يعنى ان النفس الامارة بالسوء والعيب ما قبلت الوعظ من نذير الشيب فتمادت فى غواية الجهل بعد الهرم
وما كبحت عنان جماح الشهوة بايدى الندم وقد خلق الله النفس على صورة جهنم وخلق بحسب كل دركة فيها
صفة لها وهى باب من جهنم يدخل فيها من هذا الباب الى دركة من دركاتها السبع وهى سبع صفات الكبر
والحرص والشهوة والحسد والغضب والبخل والحقد فمن زكى نفسه عن هذه الصفات فقد عبر عن هذه الدركات
السفلية ووصل الى درجات الجنان العلوية كما قال الله تعالى قد افلح من زكاها ومن لم يزك نفسه عن هذه الصفات
بقى فى دركات جهنم خائبا خاسرا كما قال تعالى وقد خاب من دساها عصمنا الله واياكم من كيد النفس الامارة
وشر الشيطان واصلح حالنا ما دامت الارواح فى الابدان آمين يا مستعان (لن تنالوا البر) من ناله نيلا اذا اصابه
اى لن تبلغوا ايها المؤمنون حقيقة البر الذى يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شأوه ولن تلحقوا بزمرة الابرار
او لن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته (حتى تنفقوا) اى فى سبيل الله رغبة فيما عنده (مما تحبون)
اى بعض ما تهوونه ويعجبكم من كرآئم اموالكم واحبها اليكم او ما يعمها وغيرها من الاعمال والمهجة على
ان المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى (وما تنفقوا من شئ) اى اى شئ
تنفقوا طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فمحل الجار والمجرور النصب على التمييز (فان الله به عليم) تعليل
لجواب الشرط واقع موقعه اى فيجازيكم بحسبه جيدا كان او رديئا فانه تعالى عليم بكل شئ تنفقونه علما كاملا
بحيث لا يخفى عليه شئ من ذاته وصفاته وفيه من الترغيب فى انفاق الجيد والتحذير عن انفاق الردى ما لا يخفى
فالوصول الى المطلوب لا يحصل الا بانفاق المحبوب ولذلك كان السلف اذا احبوا شيأ جعلوه لله ذخيرة ليوم
يحتاجون اليه والانسان لا ينفق محبوبه الا اذا ايقن انه يتوصل بذلك الى وجدان محبوب اشرف من الاول
فالانسان لا ينفق محبوبه فى الدنيا الا اذا تيقن بوجود الصانع العالم القادر وتيقن بالبعث والحساب والجزآء
وان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولزم منه ان الانسان لا يمكنه انفاق محبوبه
فى الدنيا الا اذا كان مستجمعا لجميع الخصال المحمودة فى الدين فلا تقتضى الآية ان من انفق ما احب وصل
الى الثواب العظيم وان لم يأت بسائر الطاعات روى انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالى
الى بيرحاء وهو ضيعة له فى المدينة مستقبل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فضعها يا رسول الله حيث اراك الله
فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او رآيح فانى ارى ان تجعلها فى الاقربين فقسمها فى اقاربه وفيه

دلالة على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وروى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كانت
لزوجته جارية بادعة الجمال وكان عمر راغبا فيها وكان قد طلبها منها مرارا فلم تعطها اياه ثم لما ولى الخلافة
زينتها وارسلتها اليه فقالت وهبتكها يا امير المؤمنين فلتخدمك قال من اين ملكتها قالت جئت بها
من بيت ابى عبد الملك ففتش عن تملكه اياها فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفى اخذت من تركته
ففتش عن حال العامل واحضر ورثته وارضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه الى الجارية وكان يهواها هوى
شديدا فقال انت حرة لوجه الله فقيل لم يا امير المؤمنين وقد ازحت عن امرها كل شبهة قال لست اذن ممن نهى
النفس عن الهوى (يحكى) ان الربيع ضربه الفالج فكان السائل يقوم على بابه فيسأل فيقول الربيع
اطعميه السكر فان الربيع يحب السكر يتأول قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وطال به وجعه فاشتهى
لحم دجاج فكف نفسه اربعين يوما فابت فقال لزوجته قد اشتهيت لحم دجاج منذ اربعين يوما فكففت نفسى
رجاء ان تكف فابت فقالت امرأته سبحان الله واى شئ هذا تكف نفسك عنه وقد احله الله تعالى لك فارسلت
امرأته الى السوق فاشترت له دجاجة بدرهم ودانقين فذبحتها وشوتها وخبزت له خبزا وجعلت له اصباغا ثم جاءت
بالخوان فوضعته بين يديه فقام سائل على الباب فقال تصدقوا على بارك الله فيكم فكف عن الاكل وقال
لامرأته خذى هذا وادفعيه اليه فقالت له امرأته سبحان الله قال افعلى ما آمرك به قالت فاصنع ما هو خير له
قال وما هو قالت نعطيه ثمن هذا وتأكل انت شهوتك قال قد احسنت ائتنى بثمنه فجاءت بثمنه فقال ضعيه
على هذا وخذيه وادفعيه جميعا ففعلت باحسانى آسوده كردن دلى * به از الف ركعت بهر منزلى * وقيل
فى هذا المعنى دل بدست آوركه حج اكبرست * ازهزاران كعبه يك دل بهترست * كعبه بنياد خليل
آزرست * دل نظركاه جليل اكبرست * ويقال اذا كنت لا تصل الى البر الا بانفاق محبوبك فمتى تصل الى البار
وانت تؤثر عليه حظوظك قال القشيرى من اراد البر فلينفق بعض ما يحبه ومن اراد البار تعالى فلينفق جميع
ما يحبه قال نجم الدين الكبرى فى قوله تعالى فان الله به عليم فبقدر ما تكونون له يكون لكم كما قال من كان لله كان
الله له فان الفراش ما نال من بر الشمع وهو شعلته حتى انفق مما احبه وهو نفسه قال القاشانى كل فعل يقرب
صاحبه من الله فهو بر ولا يمكن التقرب اليه الا بالتبرى عما سواه فمن احب من دون الله شيأ فقد حجب به عن
الله واشرك شركا خفيا لتعلق محبته بغير الله ترا هرچه مشغول دارد ز دوست * اكر راست خواهى
دلارامت اوست * فلا يزول البعد ولا يحصل القرب الا ببذل المال والمهجة وقطع محبة غير الله وافناء النفس
بالكلية عن صفاتها الرذيلة اكر يارى از خويشتن دم مزن * كه شرك است با يار وبا خويشتن (كل الطعام)
لما نزل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الاية وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذى ظفر الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم انكر اليهود وغاظهم ذلك وبرأوا ساحتهم من الظلم وجحدوا ما نطق به
القرآن وقالوا لسنا باول من حرمت عليه تلك المطعومات وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وابراهيم
ومن بعده وهلم جرا حتى انتهى التحريم الينا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغى والظلم والصد عن سبيل الله
واكل الربا وما عدد من مساويهم التى كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم فقيل
كل المطعومات او كل انواع الطعام والطعام المطلق البر والعرف يشهد لكل ما يطعم حتى الماء (كان حلا لبنى
اسرائيل) اى حلالا لهم والمراد اكله اذ لا يوصف بنحو الحل والحرمة الا افعال المكلف لا الاعيان فشرب
الخمر حرام بالذات ونفسها حرام بالعرض (الا ما حرم اسرائيل على نفسه) استثناء متصل من اسم كان اى
كان كل المطعومات حلالا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل اى يعقوب عليه السلام على نفسه وهو الابل
والبانها روى ان يعقوب عليه السلام كان نذر ان وهب الله له اثنى عشر ولدا واتى بيت المقدس صحيحا ان يذبح
آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة فقال له يا يعقوب انك رجل قوى فهل لك فى الصراع فعالجه فلم يصرع واحد
منهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال اما انى لو شئت ان اصرعك لفعلت ولكن
غمزتك هذه الغمزة لانك كنت نذرت ان اتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت آخر ولدك وجعل الله لك بهذه الغمزة
مخرجا عن ذلك الذبح ثم ان يعقوب عليه السلام لما قدم بيت المقدس اراد ذبح ولده ونسى قول الملك فاتاه الملك
فقال انما غمزتك للمخرج وقد وفى نذرك فلا سبيل لك الى ولدك ثم انه حين ابتلى بذلك المرض اتى من ذلك بلاء

وشدة

وشدة وكان لا ينام الليل من الوجع فحلف لئن شفاه الله لا يأكل احب الطعام اليه فحرم لحوم الابل والبانها
اما حمية الدين او حمية النفس وتحريم الحلال على نفسه جائز لا كل وفيه كفارة اليمين (من قبل ان تنزل التوراة)
متعلق بقوله كان حلا ولا ضير فى توسيط الاستثناء بينهما المعنى ان المطعومات كانت حلالا لهم قبل نزول التوراة
ثم حرمت بسبب بغيهم وظلمهم فكيف يكون ذلك حراما على نوح وابراهيم وغيرهما وظاهر الاية يدل على ان
الذى حرمه اسرائيل على نفسه قد حرم الله على بنى اسرائيل وهو رد على اليهود فى دعواهم البرآءة من الظلم
وتبكيت لهم فى منع النسخ والطعن فى دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقته لابراهيم عليه السلام بتحليله
لحوم الابل والبانها (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها) امره عليه السلام بان يحاجهم بكتابهم الناطق بان تحريم ما حرم
تحريم حادث مرتب على ظلمهم وبغيهم ويكلفهم اخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم (ان كنتم
صادقين) فأتوا بالتوراة فاتلوها فان صدقكم مما يدعوكم الى ذلك البتة روى انهم لم يجترئوا على اخراج التوراة
فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفى ذلك من الحجة النيرة على صدق النبى صلى الله عليه وسلم وجواز النسخ الذى
يجحدونه ما لا يخفى (فمن افترى على الله الكذب) اى اختلق عليه سبحانه بزعمه انه حرم ما ذكر قبل نزول التوراة
على بنى اسرائيل ومن تقدمهم من الامم (من بعد ذلك) اى من بعد ما ذكر من امرهم باحضار التوراة وتلاوتها
وما ترتب عليه من التبكيت والالزام (فاولئك) المصرون على الافترآء بعد ان ظهرت حقيقة الحال وضاقت
عليهم حيلة المحاجة والجدال (هم الظالمون) المفرطون فى الظلم والعدوان المبعدون فيهما (قل صدق الله) اى
ظهر وثبت صدقه تعالى فيما انزل فى شان التحريم (فاتبعوا ملة ابراهيم) اى ملة الاسلام التى هى فى الاصل ملة
ابراهيم عليه السلام فانكم ما كنتم متبعين لملته كما تزعمون (حنيفا) حال من ابراهيم اى مائلا عن الاديان
الزائغة كلها (وما كان من المشركين) اى فى امر من امور دينهم اصلا وفرعا وفيه تعريض باشراك اليهود
وتصريح بانه عليه السلام ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعا والغرض بيان ان النبى عليه السلام على دين
ابراهيم فى الاصول لانه لا يدعو الا الى التوحيد والبرآءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى قال نجم الدين
فى التأويلات الاشارة فى تحقيق الايات ان الله تعالى خلق الخلق على ثلاثة اصناف صنف منها الملك الروحانى
العلوى اللطيف النورانى وجعل غذآءهم من جنسهم الذكر وخلقهم للعبادة وصنف منها الحيوان الجسمانى
السفلى الكثيف الظلمانى وجعل غذآءهم من جنسهم الطعام وخلقهم للعبرة والخدمة وصنف منها الانسان
المركب من الملكى الروحانى والحيوانى الجسمانى وجعل غذآءهم من جنسهم لروحانيهم الذكر ولجسمانيهم الطعام
وخلقهم للعبادة والمعرفة والخلافة فمنهم ظالم لنفسه وهو الذى غلبت حيوانيته على روحانيته فبالغ فى غذاء
جسمانيته وقصر فى غذآء روحانيته حتى مات روحه واستولت اولئك كالانعام بل هم اضل * مرو در پى
هرچه دل خواهدت * كه تمكين تن نور جان كاهدت * ز دوران بسى نامرادى برى * اكر هرچه
باشد مرادت خورى * كند مرد را نفس اماره خوار * اكر هوشمندى عزيزش مدار * دريغ
آدمى زاده پرمحل * كه باشد چو انعام بل هم اضل * ومنهم مقتصد وهو الذى تساوت روحانيته
وحيوانيته فغذى كل واحدة منهما غذآءها خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ومنهم
سابق بالخيرات وهو الذى غلبت روحانيته على حيوانيته فبالغ فى غذآء روحانيته وهو الذكر وقصر فى غذآء
حيوانيته وهو الطعام حتى ماتت نفسه واستوت قوى روحه اولئك هم خير البرية فكان كل الطعام حلالا
كما كان حلالا للحيوان الا ما حرم الانسان السابق بالخيرات على نفسه بموت النفس وحياة القلب واستيلاء
الروح من قبل ان ينزل عليه الوحى والالهام كما قيل المجاهدات تورث المشاهدات فمن افترى على الله الكذب من
بعد ذلك بان يهتدى الى الحق من غير جهاد النفس فاولئك هم الظالمون الذين يضعون الشئ فى غير موضعه
وقد قال تعالى وجاهدوا فى الله حق جهاده قل صدق الله فيما قال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاتبعوا ملة
ابراهيم حنيفا وكان ملته انفاق المال على الضيفان وبذل الروح عند الامتحان وتسليم القربان وهذه ملة الخلة
وما كان من المشركين الذين يتخذون مع الله خليلا آخر ويجعلون الشركة فى الخلة * اكر جز بحق ميرود جاده ات *
در آتش فشانند سجاده ات * فالاولياء هم الذين يحبون الله ومن يحبه الله فان محبة اهل الحق محبة
الله وليس فيها شرك قال الفضيل بن عياض قدس سره يقول الله تعالى يوم القيامة يا ابن آدم اما زهدك فى الدنيا

فانما طلبت الراحة لنفسك فى الآخرة واما انقطاعك الى فانما طلبت العز لنفسك ولكن هل عاديت لى عدوا اووالیت لى وليا فى الله فعلامة اتباع ملة ابراهيم هو الاطاعة للحق والتبرى عن كل دين سوى الاسلام ومحبة الاولياء وعداوة الاعداء ولوكان المرؤ آتيا بجميع الطاعات وليس فى قلبه خلوص المحبة فانما يضرب حديدا باردا والله تعالى لا يحب القلب المشترك بمحبة غيره من شهوة اوغيرها قال محمد بن حسان رحمه الله بينما انا ادور فى جبل لبنان اذ خرج على شاب قد احرقته السموم والرياح فلما رآنى ولى هاربا فتبعته وقلت عظنى بكلمة انتفع بها قال احذره تعالى فانه غيور لا يحب ان يرى فى قلب عبد سواه فعلى العاقل ان يجتهد فى سلوك هذا الطريق الى ان يصل الى منزل التحقيق ومن الله التوفيق فى كل امر خفى وجلى ودقيق (ان اول بيت) البيت ما يبيت فيه احد ثم استعمل فى المكان مطلقا (وضع للناس) روى انه لما حولت القبلة الى الكعبة طعن اليهود فى نبوته عليه السلام وقالوا ان بيت المقدس افضل من الكعبة واحق بالاستقبال لانه وضع قبل الكعبة وهو ارض المحشر ومهاجر الانبياء وقبلتهم والارض المقدسة التى بارك الله فيها للعالمين وفيها الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام فتحويل القبلة منه الى الكعبة باطل فنزلت اى ان اول بيت وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى (للذى ببكة) خبر لان اى للبيت الذى فى بكة وهو علم للبلد الحرام من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيه ولانها تبك اعناق الجبابرة اى تدقها لم يقصدها جبار الاقصمه الله عز وجل وماروى ان الحجاج حبس عبد الله بن الزبير رضى الله عنه فى المسجد الحرام وضرب المنجنيق على ابى قبيس ورمى به داخل المسجد وقتل عبد الله فليس ذلك اضرارا بالبيت وقصدا بالسوء لان مقصود الحجاج كان اخذ عبد الله روى انه صلى الله عليه وسلم سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة روى ان الله وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وامر الملائكة ان يطوفوا به ثم امر الملائكة الذين هم سكان الارض ان يبنوا فى الارض بيتا على مثاله فبنوا وامر من فى الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور وروى ان الملائكة بنوه قبل خلق آدم بالفى عام فلما اهبط آدم الى الارض قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا حوله قبلك بالفى عام فطاف به آدم ومن بعده الى زمن نوح عليه السلام فلما اراد الله الطوفان حمل الى السماء الرابعة وهو البيت المعمور بحيال الكعبة يطوف به ملائكة السموات وعن ابن عباس رضى الله عنه انه اول بيت بناه آدم فى الارض فنسبة بناء الكعبة الى ابراهيم على هذه الروايات ليس لانه عليه السلام بناها ابتداء بل لرفعه قواعدها واظهاره ما درس منها فان موضع الكعبة اندرس بعد الطوفان وبقى مختفيا الى ان بعث الله جبريل الى ابراهيم عليه السلام ودله على مكان البيت وامره بعمارته ولما كان الآمر بالبناء هو الله والمبلغ والمهندس هو جبريل عليه السلام والبانى هو الخليل والتلميذ المعين له اسماعيل عليهما السلام قيل ليس فى العالم بناء اشرف من الكعبة (مباركا) حال من المستكن فى الظرف لان التقدير للذى ببكة هو اى كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف به وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب (وهدى للعالمين) لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة دالة على عظيم قدرته وبالغ حكمته كما قال (فيه آيات بينات) واضحات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار ومخالطة ضوارى السباع الطيور فى الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كاصحاب الفيل (مقام ابراهيم) اثر قدميه عليه السلام فى الصخرة التى كان عليه السلام يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه اوعند غسل رأسه على ماروى انه عليه السلام جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسماعيل عليه السلام انزل حتى اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقى اثر قدميه عليه وهو بدل من آيات بدل البعض من الكل (ومن دخله) اى حرم البيت (كان آمنا) من التعرض له وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لوجر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب ولذلك قال ابو حنيفة رحمه الله من لزمه القتل فى الحل بقصاص اوردة اوزنى فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وهذا فى حق من جنى فى الحل ثم التجأ الى الحرم واما اذا اصاب الحد فى الحرم فيقام عليه فيه فمن سرق فيه قطع ومن قتل فيه قتل قال تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام

حتى

حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم اباح لهم القتل عند المسجد الحرام اذا قاتلونا فعلى ذلك يقام الحد اذا اصاب وهو فيه واذا اصاب فى غيره ثم لجأ اليه لم يقم كما لا نقاتل اذا لم يقاتلونا او المعنى ومن دخله كان آمنا من النار وفى الحديث من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه صلى الله عليه وسلم الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران فى الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضى الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم فى سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعنه صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتى عام (ولله على الناس) وهم المؤمنون دون الكفار فانهم غير مخاطبين باداء الشرائع عندنا خلافا للشافعى اى استقر لله عليهم (حج البيت) اللام للعهد والحج بالفتح لغة اهل الحجاز والكسر لغة نجد وايا ما كان فهو القصد للزيارة على الوجه المخصوص المعهود يعنى انه حق واجب لله فى ذمم الناس ولا انفكاك لهم عن ادائه والخروج عن عهدته (من استطاع اليه سبيلا) فى محل الجر على انه بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه فالضمير العائد الى المبدل منه محذوف اى من استطاع منهم وقدر واطاق الى البيت سبيلا اى قدر على الذهاب اليه واراد به قدرة سلامة الالات والاسباب فالزاد والراحلة من اسباب الوصول وهذه القدرة تتقدم على الفعل والاستطاعة التى هى شرط لوجوب الفعل هى الاستطاعة بهذا المعنى لا الاستطاعة التى هى شرط حصول الفعل وهى لا تكون الا مع الفعل لانها علة وجود الفعل وسببه فلا تكون الا معه فالاستطاعة الاولى شرط الوجوب والثانية شرط حصول الفعل (ومن كفر) وضع من كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتشديدا لتاركه اى من لم يحج مع القدرة عليه فقد قارب الكفر وعمل ما يعمله من كفر بالحج (فان الله غنى عن العالمين) وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من جملتهم داخلا فيهم دخولا اوليا اكتفى بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحبسه حاجة ظاهرة او مرض حابس او سلطان جائر ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وانما خص هذين لان اليهود والنصارى هم الذين لا يرون الحج ولا فضل الكعبة واعلم انه لا يؤثر الاكثار من التردد الى تلك الآثار الا حبيب مختار روى عن على بن الموفق رحمه الله انه حج ستين حجة قال فلما كنت بعد ذلك فى الحجر افكر فى حالى وكثرة ترددى الى ذلك المكان ولا ادرى هل قبل حجى ام لا نمت فرأيت قائلا يقول يا ابن الموفق هل تدعو الى بيتك الا من تحب فاستيقظت وقد سرى عنى ففيه اشارة الى ان من لم يحج مع القدرة عليه فقد ترك عن الدعوة الى ضيافة الله تعالى ولا يترك عنها الا من لا استحقاق له بها وفيه تقبيح لحاله حيث لم يجتهد فى تحصيل الاستعداد بل اقام على البغى والفساد واقتضت حكمة الله تعالى توقان النفس كل عام الى تلك الاماكن النفيسة والمعاهد المقدسة المحروسة لاجابة دعوة ابراهيم عليه السلام حيث قال فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم اى تحن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال ايمان بالله ورسوله ثم جهاد فى سبيله ثم حج مبرور وقيل مغفرة الذنوب بالحج ودخول الجنة به مترتب على كون الحج مبرورا وانما يكون مبرورا باجتماع امرين فيه الاول الاتيان فيه باعمال البر والبر هو الاحسان للناس واطعام الطعام وافشاء السلام والثانى ما يكمل به الحج وهو اجتناب افعال الاثم فيه من الرفث والفسوق والمعاصى قال ابو جعفر الباقر ما يعبأ من يؤم هذا البيت اذا لم يأت بثلاث ورع يحجزه اى يمنعه عن محارم الله وحلم يكف به غضبه وحسن الصحابة لمن يصحبه من المسلمين فهذه الثلاث يحتاج اليها من يسافر خصوصا الى الحج فمن كملها فقد كمل حجه فعلى السالك ان يخالق الناس بخلق حسن

ازمن بكوى حاجئ مردم كزا را * كاو پوستين خلق بآزار مى درد * حاجى تو نيستى شتراست از براى آنك * بيچاره خار ميخورد وبار ميبرد *

قال بعض المشايخ علامة الحج المبرور ان يرجع زاهدا فى الدنيا راغبا فى الاخرة قال نجم الدين الكبرى فى تأويلاته والاشارة ان الله تعالى جعل البيت والحج اليه واركان الحج والمناسك كلها اشارات الى اركان السلوك وشرائط السير الى الله وآدابه فمن اركانه الاحرام وهو اشارة الى الخروج عن الرسوم وترك المألوف والتجرد عن الدنيا وما فيها والتطهر عن الاخلاق وعقد احرام العبودية بصحة التوجه ومنها الوقوف بعرفة وهو اشارة الى الوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عقبة جبل الرحمة بصدق الالتجاء وحسن العهد والوفاء ومنها الطواف وهو

اشارة الى الخروج عن الاطوار البشرية السبعية بالاطواف السبعة حول كعبة الربوبية ومنها السعى وهو
اشارة الى السير بين صفا الصفات ومروة الذات ومنها الحلق وهو اشارة الى محو آثار العبودية بموسى انوار
الالهية وعلى هذا فقس المناسك كلها والحج يشير الى عين الطلب والقصد الى الله بخلاف سائر اركان الاسلام
فان كل ركن منه يشير الى طرف من استعداد الطلب فالله تعالى خاطب العباد بقوله ولله على الناس حج البيت
وما قال فى شئ آخر من الاركان والواجبات ولله على الناس وفائدته ان المقصود المشار اليه من الحج هو الله
وفى سائر العبادات المقصود هو النجاة والدرجات والقربات والمقامات والكرامات والاستطاعة فى قوله من
استطاع اليه سبيلا هى جذبة الحق التى توازى عمل الثقلين ولا يمكن السير الى الله والوصول اليه الا بها ومن
كفر اى لا يؤمن بوجدان الحق ولا يتعرض لنفحات الطاف الرب ولا يتقرب بجذبات الالوهية كما يشير اليها
اركان الحج فان الله غنى عن العالمين بان يستكمل بهم وانما الاستكمال للعالمين به ولا غنى بهم عنه تعالى جعلنا
الله واياكم من الكاملين والواصلين الى كعبة اليقين والتمكين (قل يا اهل الكتاب) هم اليهود والنصارى سموا
بذلك فان الكتاب لا يختص بالمنزل فنسبوا الى ما كتبوا سوآء كان من القاء الروح الامين او تلقاء النفس
(لم تكفرون بآيات الله) توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم بها سبب من الاسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب
عنه بالكلية والمراد بآياته تعالى ما يعم الآيات القرءآنية التى من جملتها ما تلى فى شأن الحج وغيره وما فى التوراة
والانجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم (والله شهيد على ما تعملون) حال من فاعل تكفرون والمعنى لاى
سبب تكفرون باياته عز وجل والحال انه تعالى مبالغ فى الاطلاع على جميع اعمالكم وفى مجازاتكم عليها ولا ريب
فى ان ذلك يسد جميع انحاء ما تأتونه ويقطع اسبابه بالكلية (قل يا اهل الكتاب لم تصدون) اى تصرفون (عن
سبيل الله) اى دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو التوحيد وملة الاسلام (من آمن) مفعول تصدون
كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون ان صفته صلى
الله عليه وسلم ليست فى كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم (تبغونها) بحذف الجار وايصال الفعل الى الضمير
اى تبغون لها لان البغى لا يتعدى الا الى مفعول يقال بغيت المال والضمير للسبيل وهو يذكر ويؤنث اى تطلبون
سبيل الله التى هى اقوم السبل (عوجا) اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة بان تلبسوا على الناس حتى
توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون والعوج بكسر العين وفتحها الميل والانحراف لكن المكسور
يختص بالمعانى والمفتوح بالاعيان تقول فى دينه وكلامه عوج بالكسر وفى الجدار والقناة والشجر عوج بالفتح
(وانتم شهدآء) حال من فاعل تصدون باعتبار تقيده بالحال الاولى اى والحال انكم شهدآء تشهدون بانها
سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وان الصد عنها اضلال (وما الله بغافل عما تعملون) اى من الصد عن
سبيله وكتمان الشهادة لنبيه ولما وبخ اهل الكتاب بصد المؤمنين نهى المؤمنين عن اتباع هؤلاء الصادين فقال
(يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا) طائفة وانما خص فريقا لان منهم من آمن (من الذين اوتوا الكتاب
يردوكم بعد ايمانكم كافرين) قوله كافرين مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير قال عكرمة نزلت
فى شاس بن قيس اليهودى رأى منتدى محتويا على زحام من اوس وخزرج فغاظه الفتهم فارسل شابا ينشدهم
اشعار يوم بعاث وكان ذلك يوما عظيما اقتتل فيه الحيان المذكوران وكان الظفر فيه للاوس فنعر عرق الدآء
الدفين فتشاجروا فاخبر النبى عليه السلام فخرج يصلح ذات بينهم (وكيف تكفرون) انكار وتعجب (وانتم تتلى
عليكم آيات الله) اى القرءآن (وفيكم رسوله) والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان القرءآن المعجز يتلى
عليكم على لسان الرسول غضا طريا وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم فالعدول
عن الايمان والدخول فى الكفر مع تحقق هذه الامور ابعد واعجب (ومن يعتصم بالله) اى ومن يتمسك بدينه
الحق الذى بينه باياته على لسان رسوله عليه السلام وهو الاسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله
(فقد هدى) جواب الشرط وقد لافادة معنى التحقق كأن الهدى حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع
فيه ظاهر فان المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للندى اى وفق وارشد (الى صراط
مستقيم) موصل الى المطلوب واعلم ان ظاهر الخطاب مع اهل الكتاب وباطنه مع العلماء السوء الذين يبيعون

الدين بالدنيا ولا يعملون بما يعلمون فهم الذين يكفرون بما جاء به القرءان من الزهد فى الدنيا والورع والتقوى
ونهى النفس عن الهوى وايثار ما يفنى على ما يبقى والاعراض عن الخلق والتوجه الى الحق وبذل الوجود لنيل
المقصود والله شهيد على ما تعملون حاضر معهم ناظر الى نياتهم فى اعمال الخير والشر فيجازيهم بها وهم يصرفون
بحرصهم على الدنيا واتباعهم الهوى المؤمنين الذين يتبعونهم بحسن الظن ويحسبون ان اعمالهم واحوالهم
على قاعدة الشريعة ومنهاج الطريقة عن سبيل الله وطريق الحق الذى امر الانبياء بدعوة الحق اليه وهم
يطلبون اعوجاج طريق الحق بالسير فى طريق الباطل وقد وصى الله المؤمنين بقوله يا ايها الذين آمنوا الآية
حتى لا يرتدوا عن طريق الهداية بعد الايمان بالاتباع بسيرتهم وهواهم قال تعالى ولا تتبعوا اهوآء قوم
قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سوآء السبيل قال بعض المشايخ خير العلم ما كانت الخشية معه
وذلك لان الخشية انما تنشأ عن العلم بصفات الحق فشاهد العلم الذى هو مطلوب الله الخشية وشاهد الخشية
موافقة الامر واما العلم الذى تكون معه الرغبة فى الدنيا والتملق لاربابها وصرف الهمة لاكتسابها والجمع
والادخار والمباهاة والاستكثار وطول الامل ونسيان الآخرة فما ابعد من هذا العلم علمه من ان يكون من ورثة
الانبياء وهل ينتقل الشئ الموروث الى الوارث الا بالصفة التى كان بها عند الموروث وما مثل من هذه الاوصاف
اوصافه من العلماء الا كمثل الشمعة تضئ على غيرها وهى تحرق نفسها * ترك دنيا بمردم آموزند * خويشتن
سيم وغله اندوزند * عالمى را كه گفت باشد وبس * چون بگويد نگيرد اندر كس * عالم آنكس بود كه بد نكند *
نه بگويد بخلق وخود نكند * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان لا يبقى من الاسلام
الا اسمه ولا من القرءآن الا رسمه قلوبهم خربة من الهدى ومساجدهم عامرة بابدانهم شر من تظل السماء يومئذ
علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود وعن فضيل بن عياض بلغنا ان الفسقة من العلماء ومن حملة القرءآن يبدأ
بهم يوم القيامة قبل عبدة الاوثان فعلى العاقل ان لا يغتر بظاهر حالهم بل ينظر الى وهن اعتقادهم وفساد بالهم
فيعتبر كل الاعتبار ويتجنب من هذه سيرتهم ويسلك طريق الاخيار ويعتصم بالله بالانقطاع عما سواه ويتمسك
بالتوحيد الحقيقى حتى يهتدى الى الصراط المستقيم فمن انقطع اليه بالفناء فى الوحدة كان صراطه صراط الله
فلا يصده عنه احد ولا يضره شئ ولا يضله كيد عدوه وشره فان من كان مع الله كان الله معه فهو حافظه
وناصره وهذا الاستمساك ليس من شأن كل السلاك لكن الله تعالى قادر على ان يأخذ بيد عبده ويوصله الى مراده
واذا صح الطلب من العبد فلا يحرم الاجابة البتة فان من طلب وجد وجد ومن قرع بابا ولج ولج عصمنا الله واياكم
من كيد الشيطان ومكر النفس الامارة بالسوء وكل آن آمين يا مستعان (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) الاتقاء
افتعال من الوقاية وهى فرط الصيانة (حق تقاته) اى حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع فى القيام
بالواجب والاجتناب عن المحارم ونحوها فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا فى التقوى حتى لا تتركوا
من المستطاع منها شيأ (ولا تموتن الا وانتم مسلمون) اى مخلصون نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة
لما سواه اصلا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا تموتن على حال من الاحوال الا حال تحقق اسلامكم
وثباتكم عليه فهو فى الصورة نهى عن موتهم على غير هذه الحالة والمراد دوامهم على الاسلام (واعتصموا
بحبل الله) اى بدين الاسلام او بكتابه فلفظ الحبل مستعار لاحد هذين المعنيين فان كل واحد منهما يشبه الحبل
فى كونه سببا للنجاة عن الردى والوصول الى المطلوب فان من سلك طريقا صعبا يخاف ان يزلق رجله فيه
فاذا تمسك بحبل مشدود الطرفين بجانبى ذلك الطريق امن من الخوف كذلك طريق السعادة الابدية ومرضاة
الرب طريق زلق ودواعى الضلال عنها متكثرة زلق رجل اكثر الخلق فيها فمن اعتصم بالقرءآن العظيم وبقوانين
الشرع القويم وبينات الرب الكريم فقد هدى الى صراط مستقيم وأمن من الغواية المؤدية الى نار الجحيم كما يأمن
المتمسك بالحبل من العذاب الاليم (جميعا) حال من فاعل اعتصموا اى مجتمعين فى الاعتصام (ولا تفرقوا)
اى لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب (واذكروا نعمة الله عليكم) متعلق بنعمة
(اذ كنتم) ظرف له اى اذكروا انعامه عليكم وقت كونكم (اعدآء) فى الجاهلية بينكم الاحن والعداوة
والحروب المتواصلة وقيل هم الاوس والخزرج كانوا اخوين لاب وام فوقعت بين اولادهما العداوة والبغضاء
وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة (فالف بين قلوبكم) بتوفيقكم للاسلام (فاصبحتم) اى فصرتم (بنعمته)

التى هى ذلك التأليف (اخوانا) خبراصبحتم اى اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة فى الله متراحمين متناصحين
متفقين على كلمة الحق (وكنتم على شفا حفرة من النار) شفا الحفرة وشفتها حرفها وجانبها اى كنتم مشرفين على
الوقوع فى نار جهنم لكفركم اذ لوادرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها تمثيل لحياتهم التى يتوقع بعدها الوقوع
فى النار بالقعود على حرفها مشرفين على الوقوع فيها (فانقذكم) اى خلصكم ونجاكم بان هداكم للاسلام (منها)
اى الحفرة (كذلك) اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده اى مثل ذلك التبيين الواضح (يبين الله لكم آياته) اى
دلائله (لعلكم تهتدون) طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه والاشارة ان اهل الاعتصام طائفتان
احداهما اهل الصورة وهم المتعلقون بالاسباب لان مشربهم الاعمال والثانية اهل المعنى وهم المنقطعون
عن الاسباب لان مشربهم الاحوال فقال تعالى لهم واعتصموا بالله هو مولاكم اى مقصودكم وقال للمتعلقين
بالاسباب واعتصموا بحبل الله جميعا وهو كل سبب يتوسل به الى الله فالمعتصم بحبل الله هو المتقرب الى الله
باعمال البر ووسائط القربة واذا وجد الاعتصام وجد عدم التفرق بخلاف عدم الاعتصام فانه سبب للتفرق
فى الظاهر والباطن فامافى الظاهر فيلزم منه مفارقة الجماعة فاقتلوه كائنا من كان واما فى الباطن فيظهر منه
الاهوآء المختلفة التى توجب تفرق الامة كما قال عليه السلام ستفترق امتى اثنتين وسبعين فرقة الناجية منهم
واحدة قالوا يا رسول الله ومن الفرقة الناجية قال من كانوا على ما انا عليه واصحابى واعلم انه تعالى امر المؤمنين اولا
بالتقوى وثانيا بالاعتصام وثالثا بذكر النعمة لان فعل الانسان لابد وان يكون معللا اما بالرهبة واما بالرغبة
والرهبة متقدمة على الرغبة لان دفع الضرر مقدم على جلب النفع كما ان التخلية قبل التحلية فقوله اتقوا الله
حق تقاته اشارة الى التخويف من عقاب الله ثم جعله سببا للامر بالتمسك بدين الله ثم اردفه بالرغبة وهى قوله
تعالى واذكروا نعمة الله عليكم فعلى العاقل الانقياد لامر الله والطاعة لحكمه والاعتصام بحبله وعدم التفرق
فى الدين والتقوى حق التقى من الله سبحانه قيل ونعم ماقيل متقى رابود چهار نشان ✻ حفظ احكام شرع
اول دان ✻ ثانيا انچه دست رس باشد ✻ برفقيران و بيكسان بخشد ✻ عهدرا باوفا كند پيوند ✻
هرچه باشد ازان شود خرسند ✻ وهذا معنى قول الشيخ النصرابادى علامة المتقى اربعة حفظ الحدود وبذل
المجهود والوفاء بالعهود والقناعة بالموجود قال القشيرى رحمه الله حق التقوى ان يكون على وفق الامر
لا يزيد من قبل نفسه ولا ينقص وحق التقوى اولا اجتناب الزلة ثم اجتناب الفضلة ثم التوقى عن كل خلة
ثم التنقى عن كل علة فاذا انقيت عن شهود تقواك بعد اتصافك بتقواك فقد اتقيت حق تقواك انتهى فمن بقى فيه
شئ من اثر الوجود فقد اشرك شركا خفيا ولم يصل الى حقيقة الشهود ✻ حضورى گرهمى خواهى ازو غائب
مشو حافظ ✻ متى ماتلق من تهوى ✻ دع الدنيا واهملها ✻ قال ابو مدين رحمه الله شتان بين من همته الحور
والقصور ومن همته رفع الستور ودوام الحضور فطوبى لمن سار اليه بالجذبات الالهية على قدم التحقيق وطار
بتجلى الصفات الربانية وجناح التوفيق قال سهل رضى الله عنه ليس للعبد الا مولاه واحسن احواله ان يرجع
الى مولاه اذا عصى قال يارب استر على فاذا ستر عليه قال يارب تب على فاذا تاب عليه قال يارب وفقنى حتى اعمل
فاذا عمل قال يارب وفقنى حتى اخلص فاذا اخلص قال يارب تقبل منى فعلى العاقل ان يتمسك بهذا الحبل المتين
(ولتكن منكم) اى لتوجد منكم (امة يدعون الى الخير) جماعة داعية الى الخير اى الى ما فيه صلاح دينى ودنيوى
فالدعاء الى الخير عام فى التكليف من الافعال والتروك ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله فقال (ويأمرون
بالمعروف) وهو ما استحسنه الشرع والعقل وهو الموافقة (وينهون عن المنكر) وهو ما استقبحه الشرع والعقل
وهو المخالفة (واولئك) الموصوفون بتلك الصفات الكاملة والافراد فى كاف الخطاب لان المخاطب كل من يصلح
للخطاب (هم المفلحون) اى هم الاخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفيد اختصاص المسند بالمسند اليه
ثم ان من فى قوله منكم للتبعيض وتوجيه الخطاب الى الكل مع اسناد الدعوة الى البعض لتحقيق معنى فرضيتها
على الكفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض سقطت عن الباقين ولو اخل بها الكل اثموا
جميعا لا بحيث يتحتم على الكل اقامتها ولانها من عظائم الامور وعزآئمها التى لا يتولاها الا العلماء باحكامه
تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم
فى مذهبه وجهله فى مذهب صاحبه فنهاه عن منكر وقد يغلظ فى موضع اللين ويلين فى موضع الغلظة وينكر على

من لا يريده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم
وقيل من للتبيين وكان ناقصة اى كونوا امة يدعون الاية ولا يقتضى ذلك كون الدعوة فرض عين فان الجهاد
من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطاب للعامة عن النبى عليه السلام انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال
آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم وقال عليه السلام من امر بالمعروف ونهى
عن المنكر فهو خليفة الله فى ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن حذيفة يأتى على الناس زمان يكون فيهم
جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثورى اذا كان الرجل
محببا فى جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المداهن فى حدود الله
والواقع فيها كمثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم فى اسفلها وصار بعضهم فى اعلاها فكان الذى فى اسفلها
يمر بالماء على الذين فى اعلاها فتأذوا به فاخذ فاسا فجعل ينقر اسفل السفينة فاتوه فقالوا مالك قال تأذيتم بى ولابد
لى من الماء فان اخذوا على يديه انجوه ونجوا انفسهم وان تركوه اهلكوه واهلكوا انفسهم قال صلى الله عليه
وسلم ان الناس اذا رأوا منكرا فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله بعذابه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر
يوم القيامة ناس من امتى من قبورهم الى الله على صورة القردة والخنازير بما داهنوا اهل المعاصى وكفوا
عن نهيهم وهم يستطيعون فلابد من توطين النفس على الصبر وتقليل العلائق وقطع الطمع عن الخلائق حتى
تزول عنه المداهنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا عملهم عمل الانبياء
عليهم السلام قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر
ثم الامر بالمعروف تابع للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهى عن المنكر فواجب كله
لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح وطريق الوجوب السمع والعقل وعند البعض السمع وحده وشرط
النهى بعد معرفة المنهى عنه ان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهى عنه وانما يحسن الذم عليه
والنهى عن المعاودة الى مثله وان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد
آلاته وان لا يغلب على ظنه ان انكر لحقته مضرة عظيمة فان قلت كيف يباشر الانكار قلت يبدأ بالسهل فان لم
ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا والمباشر كل مسلم تمكن منه
واختص بشرآئطه وقد اجمعوا ان من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد
واما الانكار الذى بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى
قلت كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى
لا يتعودوها كما يؤمرون بالصلاة ليمرنوا عليها والعاصى يجب عليه النهى عما ارتكبه اذ يجب عليه تركه
والانكار لا يجب فلا يسقط بترك احدهما وجوب شئ منهما قال النبى عليه السلام ان الله ليؤيد هذا الدين باهل
الفسوق والتوبيخ فى قوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انما هو على نسيان انفسهم لا على
امرهم بالبر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن بعض الصحابة ان الرجل اذا لم يستطع الانكار على منكر
رآه فليقل ثلاث مرات اللهم ان هذا منكر واذا قال ذلك فقد فعل ما عليه گرت نهى منكر برايد زدست ✻
نشايد چو بى دست و پايان نشست ✻ چودست وزبانرا نماند مجال ✻ بهمت نمايند مردى رجال ✻
يعنى اذا لم يستطع ان يغير المنكر بلسانه ويده فلينكره بقلبه فان الرجال يرون الرجولية بالهمة
ويتضرعون الى الله فى دفع ما لا يقدرون على دفعه والاشارة فى الاية ان الامة التى يدعون الى الخير بالافعال
دون الاقوال هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون من وعيد من يأمر بالمعروف
ولا يأتيه والذى يدل عليه ما روى اسامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعته يقول يجاء بالرجل يوم
القيامة فيلقى فى النار فتندلق اقتابه فى النار فيدور بها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع اهل النار عليه فيقولون
اى فلان ما شأنك ألست تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه والداعى الى
الخير فى الحقيقة شيوخ الطريقة فان من لم يعرف الله لم يعرف الخير اذ الخير المطلق هو الكمال المطلق الذى
يكون للانسان بحسب النوع من معرفة الحق والوصول اليه كما كان للنبى عليه السلام والاضافى ما يتوصل به
الى المطلق فالخير المدعو اليه اما الحق واما طريق الوصول اليه والمعروف كل ما يقرب اليه والمنكر كل ما يبعد عنه

فمن لم يكن له التوحيد والاستقامة لم يكن له مقام الدعوة فغير المستقيم وان كان موحدا ربما امر بما هو معروف
عنده منكر فى نفس الامر وربما نهى عما هو منكر عنده معروف فى نفس الامر لكن بالغ فى مقام الجمع واحتجب
بالحق عن الخلق فكثيرا ما يستحل محرما ويحرم حلالا فهم اهل الحجاب واهل الفلاح المطلق هم الذين لم يبق لهم
حجاب وهم خلفاء الله فى ارضه اوصلنا الله واياكم الى معرفة حقيقة الحال وشرفنا بالوصول الى جنابه المتعال
(ولا تكونوا كالذين تفرقوا) هم اهل الكتابين حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى فرقا (واختلفوا) باستخراج
التأليفات الزائغة وكتم الآيات الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية قال الامام تفرقوا
بابدانهم بان صار كل واحد من اولئك الاحبار رئيسا فى بلد ثم اختلفوا بان صار كل واحد منهم يدعى انه على الحق
وان صاحبه على الباطل واقول انك اذا انصفت علمت ان اكثر علماء هذا الزمان صاروا موصوفين بهذه
الصفة فنسأل الله العفو والرحمة انتهى (من بعد ما جاءتهم البينات) اى الايات الواضحة المبينة للحق الموجبة
للاتفاق عليه واتحاد الكلمة (واولئك لهم عذاب عظيم) فى الآخرة بسبب تفرقهم فانه يدوم ولا ينقطع ولما امر
الله هذه الامة بان يكونوا آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر وذلك لا يتم الا اذا كان الآمر بالمعروف قادرا
على تنفيذ هذا التكليف على الظلمة والمتغلبين ولا تحصل هذه القدرة الا اذا حصلت الالفة والمحبة بين اهل الحق
والدين فلا جرم حذرهم الله عن التفرقة والاختلال لكيلا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف
فعلى المؤمنين ان لا يكونوا اناشين بمقتضى طباعهم غير متابعين لامام ولا متفقين على كلمة واحدة باتباع مقدم
يجمعهم على طريقة واحدة فان لم يكن لهم مقتدى وامام تتحد عقائدهم وسيرهم وآراؤهم بمتابعته وتتفق كلمتهم
فى الآخرة على محسوس اوضح من ظهوره فى الدنيا ممن دعا الى الله على بصيرة كالرسول واتباعه الذين الحقهم
الله بدرجات الدنيا فى الدعاء اليه على بصيرة كلماتهم وعاداتهم واهواءهم لمحبته وطاعته كانوا مهملين متفرقين
فرائس للشيطان كشريدة الغنم تكون للذئب ولهذا قال امير المؤمنين على رضى الله عنه لابد للناس من امام
بار او فاجر ولم يرسل نبى الله رجلين فصاعدا لشأن الا وامر احدهما على الآخر وامر الآخر بمتابعته وطاعته
ليتحد الامر وينتظم والا وقع الهرج والمرج واضطرب امر الدين والدنيا واختل نظام المعاش والمعاد قال عليه
السلام من فارق الجماعة قيد شبر لم ير بحبوحة الجنة وقال يد الله مع الجماعة فان الشيطان مع الفذ وهو من
الاثنين ابعد الا ترى ان الجمعية الانسانية اذا لم تنضبط برياسة القلب وطاعة العقل كيف اختل نظامها وآلت
الى الفساد والتفرق الموجب لخسار الدنيا والآخرة ولما نزل قوله تعالى وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الرشد ثم خط
عن يمينه وشماله خطوطا فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه فعلى العاقل ان يسلك الى صراط
التوحيد ولوازمه وحقوقه ويجتنب من سبل الشيطان واسباب الدخول فيها قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم امرت ان اقاتل الناس الى ان قال وحسابهم على الله اراد بقوله وحسابهم على الله انه لا يعلم انهم قالوها
معتقدين لها فالمشرك لا قدم له على صراط التوحيد وله قدم على صراط الوجود والمعطل لا قدم له على صراط
الوجود فالمشرك ما وحد الله هنا فهو من الموقف الى النار مع المعطلة ومن هو من اهل النار الا المنافقين
فلابد لهم ان ينظروا الى الجنة وما فيها من النعيم فيطمعون فذلك نصيبهم من الجنان ثم يصرفون الى النار
وهذا من عدل الله فقد بلوا باعمالهم فالشرع هنا هو الصراط المستقيم ولا نزال فى كل ركعة من الصلاة نقول
اهدنا الصراط المستقيم فهو احد من السيف وادق من الشعر وظهوره على علم وكشف قال على كرم الله
وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فمن تمسك بالشرع المتين والقرآن المبين واهتدى الى هذا الصراط
المستقيم وتخلص من التفرق الموجب للعذاب الاليم فليس عليه حساب ولا صراط فى الآخرة بل هو مع الانبياء
والاولياء فى النعيم المقيم ومن زلت قدمه عن الشرع فى الدنيا بارتكاب المحظورات زلت فى الآخرة ايضا
اذ من كان فى الدنيا اعمى محجوبا غير واصل كان فى الآخرة ايضا كذلك والعياذ بالله قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الزالون على الصراط كثير واكثر من يزل عنه النساء وقال رأيت النار واكثر اهلها النساء فانهن يكثرن
اللعن ويكفرن العشير فلو احسنت الى احداهن الدهر كله ثم اذا رأت منك شيأ قالت ما رأيت منك خيرا قط
فانظر كيف زلت اقدامهن عن الصراط فى الآخرة وما ذلك الا لكونهن ازالة عن صراط الشرع فى الدنيا

بالاعتقاد والاعمال ونعم ما قال الجامى عقل زن ناقص است ودينش نيز * هر كزش كامل اعتقاد مكن *
كر بدست ازوى اعتبار مكير * ورنكو بروى اعتماد مكن * فاذا وقفت على هذا التفصيل فاجتهد
ايها العبد الذليل فى طريق المتابعة والموافقة للانبياء والكاملين وتمسك بذيل شيخ واصل الى اليقين لعله يجمع
باذن الله شملك بعد ما تبدد وصلك وتفرق حالك فان الطريق المجهول لابد له من مرشد والا فالهلاك عصمنا الله
واياكم من الخلاف والاختلاف واسلكنا طريق الاخيار من الاسلاف وثبتنا فيه الى آخر الآجال وحشرنا
باهل الفضل والكمال (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) اى اذكروا ايها المؤمنون يوم تبيض وجوه كثيرة وتسود
وجوه كثيرة وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكمون الخوف فيه يقال لمن نال بغيته
وفاز بمطلوبه ابيض وجهه اى استبشر ولمن وصل اليه مكروه اغبر لونه وتبدلت صورته فمعنى الاية ان المؤمن يرد
يوم القيامة على ما قدمت يداه فان كان ذلك من الحسنات استبشر بنعم الله وفضله واذا رأى الكافر اعماله
القبيحة اشتد حزنه وغمه وقيل بياض الوجه وسواده حقيقتان فيوسم اهل الحق ببياض الوجوه والصحيفة
واشراق البشرة وسعى النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك والحكمة فى ظهورهما فى الوجوه حقيقة
ان السعيد يفرح بان يعلم قومه انه من اهل السعادة قال تعالى مخبرا عنه ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى
وجعلنى من المكرمين والشقى يغتم بعكس ذلك (فاما الذين اسودت وجوههم) فيقال لهم (اكفرتم بعد ايمانكم)
الهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتابين وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه عليه السلام او جميع الكفرة حيث كفروا بعد ما اقروا بالتوحيد
يوم الميثاق (فذوقوا العذاب) المعهود الموصوف بالعظم (بما كنتم تكفرون) بالقرآن ومحمد عليه السلام
(واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله) اى الجنة والنعيم المقيم المخلد عبر عنها بالرحمة تنبيها على ان المؤمن
وان استغرق عمره فى طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى (هم فيها خالدون) كانه قيل كيف
يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون (تلك) اشارة الى الايات المشتملة على تنعيم الابرار
وتعذيب الكفار وهو مبتدأ (آيات الله) خبره (نتلوها) جملة حالية من الايات (عليك) اى نقرؤها عليك يا محمد
بواسطة جبريل (بالحق) حال مؤكدة من فاعل نتلوها او من مفعوله اى ملتبسين او ملتبسة بالحق والعدل
ليس فى حكمها شائبة جور بنقص ثواب المحسن او بزيادة عقاب المسيء او بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك
موفى لهم حسب استحقاقهم باعمالهم بموجب الوعد والوعيد (وما الله يريد ظلما) اى شيأ من الظلم (للعالمين)
لاحد من خلقه كيف والظلم تصرف فى ملك الغير وهو تعالى انما يتصرف فى ملك نفسه او انه وضع الشئ فى غير
موضعه وذلك قد يكون بمنع حق المستحق عنه وقد يكون بفعل ما منع منه ولا ينبغى له ان يفعله وكل ذلك
لا يتصور فى حقه تعالى فيستحيل تصور الظلم من الله فانه لا حق لاحد فيظلم بمنعه ولا يمنع عن شئ فيظلم بفعله
بل هو المالك على الاطلاق وافعاله محض حكمة وعدل (ولله ما فى السموات وما فى الارض) اى له تعالى وحده
من غير شركة اصلا ما فيهما من المخلوقات الفائتة للحصر ملكا وخلقا احياء واماتة واثابة وتعذيبا وايراد كلمة ما
اما لتغليب غير العقلاء على العقلاء واما لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا لحقارتهم فى مقام بيان عظمته تعالى
(والى الله) اى الى حكمه وقضائه لا الى غيره شركة واستقلالا (ترجع الامور) اى امورهم فيجازى كلا منهم
بما وعد له واوعده من غير دخل فى ذلك لاحد قط فان قيل الرجوع اليه يكون بعد الذهاب عنه ولم يكن فلم قال
ذلك قلنا كانت كالذاهبة بهلاكها ثم اعادتها الان فى الدنيا ملك بعض الخلق بالتدبير وفى القيامة يكون كل ذلك
لله تعالى والاشارة ان الذين تبيض وجوههم يوم القيامة هم الذين ابيضت قلوبهم اليوم بنور الايمان والجمعية
والوفاق مع الله والذين تسود وجوههم يومئذ هم الذين اسودت قلوبهم بالكفر والتفرق والاختلاف من الله
وذلك لان الوجوه تحشر بلون القلوب كقوله تعالى يوم تبلى السرائر اى يجعل ما فى الضمائر على الظواهر
زر اندود كانرا باتش برند * بديد آيد آنكه كه مس يا زرند * فاما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم
اكفرتم بعد ايمانكم وهم ارباب الطلب السائرون الى الله الذين انقطعوا فى بادية النفس واتبعوا غول الهوى
وارتدوا على اعقابهم القهقرى فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون تسترون الحق بالباطل وتعرضون عن الحق
فى طلب الباطل وكنتم معذبين بنار الهجران والقطيعة فى الدنيا ولكن ما كنتم تذوقون عذابها لان الناس

نيام والنائم لا يذوق الم الجراحات حتى ينتبه فاذا ماتوا انتبهوا فيذوقوا الم جراحات الانقطاع والاعراض عن الله واما الذين ابيضت وجوههم فهم فى رحمة الجمعية والوفاق مع الله فى الدنيا وهم فيها خالدون فى الاخرة لانه يموت المرؤ على ما عاش فيه ويحشر على ما مات عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه وقال من مات سكران فانه يعاين ملك الموت سكران ويعاين منكرا ونكيرا سكران ويبعث يوم القيامة سكران الى خندق فى وسط جهنم يسمى السكران فيه عين يجرى ماؤها دما لا يكون له طعام ولا شراب الا منه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرنى جبريل عليه السلام ان لا اله الا الله انس للمسلم عند موته وفى قبره وحين يخرج من قبره يا محمد لو تراهم حين يمرقون من قبورهم وينفضون عن رؤسهم التراب هذا يقول لا اله الا الله والحمد لله فيبيض وجهه وهذا ينادى يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله مسودة وجوههم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النياحة على الميت من امر الجاهلية وان النائحة اذا لم تتب قبل ان تموت فانها تبعث يوم القيامة عليها سرابيل من قطران ثم يعلى عليها بدرع من لهب النار وفى التنزيل الذين يأكلوا الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان قال اهل التأويل كلهم يبعث كالمجنون عقوبة لهم وتمقيتا عند اهل الحشر فجعل الله هذه العلامة لاكلة الربا وذلك انه ارباه فى بطونهم فاثقلهم فهم اذا خرجوا من قبورهم يقومون ويسقطون لعظم بطونهم وثقلها عليهم نسأل الله الستر فى الدنيا والاخرة وهو الموفق للصالحات من الاعمال والافعال (كنتم خير امة) كنتم من كان الناقصة التى تدل على تحقق شئ بصفة فى الزمان الماضى من غير دلالة على عدم سابق او لاحق ويحمل على الدوام او الانقطاع بحسب معونة المقام ودلالة القرآئن فقولك كان زيد قائما محمول على الانقطاع وقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما محمول على الدوام ومنه قوله تعالى كنتم خير امة (اخرجت للناس) صفة لامة اظهرت لاجلهم ومصلحتهم ونفعهم (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) جملة مستأنفة بين بها كونهم خير امة كانه قيل السبب فى كونكم خير الامم هذه الخصال الحميدة والمقصود بيان علة تلك الخيرية كقولك زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم لان ذكر الحكم مقرونا بالوصف المناسب له يشعر بالعلية (وتؤمنون بالله) اى ايمانا متعلقا بكل ما يجب ان يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء (ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم) اى لو آمنوا كايمانكم لكان ذلك خيرا لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين (منهم المؤمنون) كانه قيل هل منهم من آمن او كلهم على الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام واصحابه (واكثرهم الفاسقون) المتمردون فى الكفر الخارجون عن الحدود (لن يضروكم الا اذى) استثناء مفرغ من المصدر العام اى لن يضروكم ابدا ضررا ما الا ضرر اذى لا يبالى به من طعن وتهديد لا اثر له (وان يقاتلوكم) اى ان يخرجوا الى قتالكم (يولوكم الادبار) مفعول ثان ليولوكم اى يجعلوا ظهورهم مما يليكم ويرجعوا الى ادبارهم منهزمين من غير ان ينالوا منكم شيأ من قتل او اسر (ثم لا ينصرون) عطف على الشرطية وثم للتراخى فى المرتبة اى لا ينصرون من جهة احد ولا يمنعون منكم قتلا واحدا وفيه تثبيت لمن آمن منهم فانهم كانوا يؤذونهم بالتلهى بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بانهم لا يقدرون على ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يعبأ به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فلا ينهضون بجناح ولا ترجع اليهم قوة ونجاح كما كان من حال بنى قريظة والنضير وقينقاع ويهود خيبر (ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا) اى فى اى مكان واى زمان وجدوا فى دار الاسلام الزموا الذل اى هدر النفس والمال والاهل بحيث صار كشئ يضرب على الشئ فيحيط به (الا بحبل من الله وحبل من الناس) استثناء من اعم الاحوال اى ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على من هى عليه فى جميع الاحوال الا حال كونهم معتصمين بذمة الله وذمة المسلمين واستعير الحبل للعهد لانه سبب للنجاة والفوز بالمراد وعطف قوله وحبل من الناس على قوله بحبل من الله يقتضى المغايرة قال الامام فى وجهه الامان الحاصل للذمى قسمان احدهما الذى نص الله عليه وهو الامان الحاصل له باعطاء الجزية عن يد وقبوله اياها والثانى الامان الذى فوض الى رأى الامام واجتهاده فيعطيهم الامان مجانا تارة وببدل زآئد او ناقص اخرى على حسب اجتهاده فالاول هو المسمى بحبل الله والثانى هو المسمى بحبل المؤمنين فالامانان واقعان بمباشرة

المسلمين الا انهما متغايران بالاعتبار (وباؤا بغضب من الله) اى رجعوا بغضب كائن منه تعالى مستوجبين له (وضربت عليهم المسكنة) اى زى الافتقار فهى محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود فى غالب الامر فقرآء اما فى نفس الامر واما انهم يظهرون من انفسهم الفقر وان كانوا اغنياء موسرين فى الواقع (ذلك) اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم (بانهم كانوا يكفرون بآيات الله) اى ذلك الذى ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بآيات الله الناطقة بنبوة محمد عليه السلام وتحريفهم لها ولسائر الآيات القرآنية (ويقتلون الانبياء بغير حق) اى فى اعتقادهم ايضا وهؤلاء المتأخرون وان لم يصدر عنهم قتل الانبياء لكنهم كانوا راضين بفعل اسلافهم مصوبين لهم فى تلك الافعال القبيحة وطالبين للقتل لو ظفروا به فكانوا بذلك كانهم فعلوها بانفسهم فلذا اسند القتل اليهم (ذلك) اشارة الى ما ذكر من الكفر والقتل (بما عصوا وكانوا يعتدون) اى كان بسبب عصيانهم واعتدآئهم حدود الله تعالى على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر يفضى الى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يؤدى الى الكفر فان من توغل فى المعاصى والذنوب واستمر عليها لاجرم تتزايد ظلمات المعاصى على قلبه حالا فحالا ويضعف نور الايمان فى قلبه حالا فحالا ولم يزل الامر كذلك الى ان يبطل نور الايمان وتحصل ظلمة الكفر نعوذ بالله من ذلك واليه الاشارة بقوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فقوله تعالى ذلك بما عصوا اشارة الى علة العلة ولهذا المعنى قال ارباب المعاملات من ابتلى بترك الادب وقع فى ترك السنن ومن ابتلى بترك السنن وقع فى ترك الفريضة ومن ابتلى بترك الفريضة وقع فى استحقار الشريعة ومن ابتلى بذلك وقع فى الكفر فعلى المؤمن ان لا يفتح باب المعصية على نفسه خوفا مما يؤدى اليه بل ويترك ايضا بعض ما ابيح له فى الشرع وذلك هو كمال التقوى قال عليه السلام لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به البأس وقال صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات فمن اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه الحديث فمنع من الاقدام على الشبهات مخافة الوقوع فى المحرمات وذلك سد للذريعة والعارف متى قصد مخالفة امره تعالى يجد من قلبه استحياء منه تعالى فينتهى عما نوى وعزم ويجتهد فى عبادة ربه قال الجنيد رحمه الله العبادة على رؤس العارفين كالتيجان على رؤس الملوك ورؤى فى يده سبحة فقيل له انت مع شرفك تأخذ فى يدك سبحة فقال طريق وصلنا به الى ما وصلنا لا نتركه ابدا قال الشيخ ابو طالب رحمه الله مداومة الاوراد من اخلاق المؤمنين وطريق العابدين وهى مزيد الايمان وعلامة الايقان قال الشيخ ابو الحسن رحمه الله سألت استاذى عن ورد المحققين فقال اسقاط الهوى ومحبة المولى ابت المحبة ان تستعمل محبا لغير محبوبه وقال الورد رد النفس بالحق عن الباطل فى عموم الاوقات فليواظب العبد على الاوراد والطاعات وليجانب المعاصى والسيئات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم لاصحابه استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحيى يا رسول الله والحمد لله قال ليس ذلك ولكن من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى وليحفظ البطن وما وعى وليذكر الموت والبلى ومن اراد الاخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء

مبر طاعت نفس شهوت پرست ✲ كه هر ساعتى قبلهٔ ديكرست ✲

قال بعض المشايخ لو ان رجلا عاش مائتى سنة ولا يعرف هذه الاربعة فليس شئ احق به من النار احدها معرفة الله تعالى فى السر والعلانية ان لا معطى ولا مانع غيره والثانى معرفة عمل الله بان يعرف ان الله تعالى لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا لرضى الله تعالى والثالث معرفة نفسه بان يعرف ضعفه انه لا يستطيع ان يرد شيأ مما قضى الله عليه والرابع معرفة عدو الله وعدو نفسه فيحاربه بالمعرفة حتى يكسره فان المعرفة سلاح العارف فمن كان عنده المعرفة الحقيقية كان غالبا على اعدآئه الظاهرة والباطنة ووصل الى مراده والنفس عين العدو فعليك بالاحتراز من سره ومحاربته كل آن بالذكر والفكر والعمل الصالح عصمنا الله واياكم من الشرور (ليسوا سوآء) اى ليس اهل الكتاب جميعا مستوين متعادلين فى المساوى والقبائح والمراد نفى المساواة نفى المشاركة فى اصل الاتصاف بالقبائح المذكورة لا نفى المساواة فى مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة فى اصل الاتصاف بها (من اهل الكتاب امة قائمة) كلام مستأنف لبيان عدم استوآئهم وتمام الكلام يقتضى ان يقال ومنهم امة مذمومة الا انه اضمر بناء على ان ذكر احد الضدين يغنى عن الآخر اى من اهل الكتاب جماعة قائمة اى مستقيمة

عادلة من اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام وغيره نزلت حين قالت احبار
اليهود لعبد الله بن سلام وغيره من الذين اسلموا من اليهود ما آمن بمحمد الا شرارنا ولو كانوا اخيارنا ماتركوا
دين آبائهم اونزلت فى قوم يصلون صلاة الاوابين وهى اثنتا عشرة ركعة بعد صلاة المغرب (يتلون آيات الله) اى
القرآن صفة اخرى لامة (آناء الليل) ظرف ليتلون اى فى ساعاته جمع انى كعصا (وهم يسجدون) الجملة حال من
فاعل يتلون اى يصلون اذ لا تلاوة فى السجود وقال عليه السلام الا انى نهيت ان اقرأ راكعا وساجدا
وتخصيص السجود بالذكر من بين سائر اركان الصلاة لكونه ادل على كمال الخضوع والمراد بصلاتهم
التهجد اذ هو ادخل فى مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فانها فى المكتوبة وظيفة للامام واعتبار حالهم عند
الصلاة على الانفراد يأباه مقام المدح (يؤمنون بالله واليوم الآخر) على الوجه الذى نطق به الشرع تعريض بان
ايمان اليهود به مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته ليس
من الايمان بهما فى شئ اصلا (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) تعريض بمداهنتهم فى الاحتساب بل
بتعكيسهم فى الامر باضلال الناس وصدهم عن سبيل الله فانه امر بالمنكر ونهى عن المعروف (ويسارعون
فى الخيرات) المسارعة فى الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب فى الامر سارع فى توليه والقيام به وآثر الفور على
التراخى اى يبادرون مع كمال الرغبة فى فعل اصناف الخيرات اللازمة والمتعدية تعريض بتباطئ اليهود فيها
بل بمبادرتهم الى الشر (واولئك) المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها (من الصالحين) اى من
جملة من صلحت احوالهم عند الله تعالى واستحقوا رضاه وثناءه (وما يفعلوا من خير) كائنا ما كان مما ذكر اولم
يذكر (فلن يكفروه) فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة وسمى منع الثواب ونقصه كفرانا مع انه لا يجوز ان يضاف
الكفران الى الله تعالى اذ ليس لاحد عليه تعالى نعمة حتى يكفرها نظرا الى انه تعالى سمى ايصال الجزاء والثواب
شكرا حيث قال فان الله شاكر عليم فلما جعل الشكران مجازا عن توفية الثواب جعل الكفران مجازا عن منعه
وتعديته الى مفعولين وهما ما قام مقام الفاعل والهاء لتضمنه معنى الحرمان (والله عليم بالمتقين) بشارة لهم
بجزيل الثواب واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى والاشارة
فى قوله وما تفعلوا من خير اى من خير يقربهم اليه فالله يشكره بتقربه اليهم اكثر من تقربهم اليه كما قال من تقرب
الى شبرا تقربت اليه باعا وقال انا جليس من ذكرنى وانيس من شكرنى ومطيع من اطاعنى اى كما اطعتمونى
بتصفية الاستعداد والتوجه نحوى اطعتكم بافاضة الفيض على حسبه والاقبال اليكم والله عليم بالذين اتقوا
ما يحجبهم عنه فتجلى لهم بقدر زوال الحجاب قال ابو بكر الكتانى رأيت فى المنام شابا لم ار احسن منه فقلت من انت
فقال التقوى قلت فاين تسكن قال فى كل قلب حزين ثم التفت الى فاذا امرأة سوداء اوحش ما يكون فقلت
من انت فقالت الضحك فقلت اين تسكنين فقالت فى كل قلب فرح مرح قال فانتبهت واعتقدت ان لا اضحك
الا غلبة فعلى السالك ان يتمسك بحبل التقوى ويأنس به فى الدنيا لعل الله يجعله انيساله فى قبره وحشره
فالتقوى من ديدن الصلحاء وهم الذين يسارعون الى الخيرات ما داموا فى الحياة قال الشيخ ابو الحسن رحمه الله
افضل ما يسأل العبد من الله خيرات الدين ففى خيرات الدين خيرات الاخرة وفى خيرات الاخرة خيرات الدنيا
وفى خيرات الدنيا ظهور خصائص الاولياء وهى اربعة اوصاف العبودية ونعوت الربوبية والاشراف على ما كان
ويكون والدخول على الله فى كل يوم سبعين مرة والخروج كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليغان
على قلبى فاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة واستغفاره عليه السلام من نقص ما رقى عنه باعتبار ما ترقى اليه
اذ ذلك الاستغفار من مقتضى البشرية التى لا يمكن دفعها ووجه الاستغفار منه عليه السلام التفريق بين حالين
كان فيهما بالعبودية اذ لا يلحق النبى نقص بوجه ولا فتور بحال لثبوت عصمته ولكن حسنات الابرار سيئات
المقربين فينبغى للانسان ان يأخذ على نفسه ان لا يضيع لحظة حتى يأخذها بالذكر والشكر ومتى رأى خللا
رفعه بالاستغفار وذكر الله تعالى علم الايمان وبراءة من النفاق وحصن من الشيطان وحرز من النار قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما بعث الله يحيى بن زكريا عليهما السلام الى بنى اسرائيل امره ان يأمرهم بخمس خصال
ويضرب لكل خصلة مثلا امرهم ان يعبدوا الله ولا يشركوا به شيأ وضرب لهم مثل الشرك كرجل اشترى عبدا
من ماله ثم اسكنه دارا وزوجه ودفع اليه مالا وامره ان يتجر فيه ويأكل منه ما يكفيه ويؤدى اليه فضل الربح

فعمد العبد الى فضل الربح فجعل يعطيه لعدو سيده ويعطى لسيده منه شيأ يسيرا فايكم يرضى بفعال هذا العبد
وامرهم بالصلاة وضرب لهم مثلا للصلاة كمثل رجل استأذن على ملك من الملوك فاذن له فدخل عليه فاقبل
عليه الملك بوجهه ليستمع مقالته ويقضى حاجته فالتفت يمينا وشمالا ولم يهتم لقضاء حاجته فاعرض عنه
الملك فلم يقض حاجته وامرهم بالصيام وضرب لهم مثلا فقال مثل الصائم كمثل رجل لبس جبة للقتال واخذ
سلاحه فلم يصل اليه عدوه ولم يعمل فيه سلاح عدوه وامرهم بالصدقة وضرب لهم مثلا للمتصدق فقال مثل
المتصدق كمثل رجل اسره عدوه فاشترى منهم نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل فى بلادهم ويؤدى اليهم من كسبه
القليل والكثير حتى يفتدى منهم نفسه فعتق وفك رقبته وامرهم بذكر الله تعالى وضرب لهم مثلا للذكر فقال
مثل الذكر كمثل قوم لهم حصن وبقربهم عدو لهم فدخلوا حصنهم واغلقوا بابه وحصنوا انفسهم من العدو
ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم وانا آمركم بالخصال الخمس التى امر الله بها يحيى عليه السلام وآمركم بخمس
اخرى امرنى الله بها عليكم بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد فليسارع العبد الى الخيرات والحسنات
وجميع الحالات ولا يتيسر ذلك الا لارباب الارادات واصحاب المجاهدات * نيايد نكوكارى ازبد ركان
محالست دوزندكى ازسكان * توان پاك كردن زرنك آينه * وليكن نيايد زسنك آينه *
بكوشش نرويد كل ازشاخ بيد * نه زنكى بكرمابه كردد سفيد (ان الذين كفروا) اى بما يجب
ان يؤمن به (لن تغنى عنهم) اى لن تدفع عنهم (اموالهم ولا اولادهم من الله) اى من عذابه تعالى (شيأ) اى شيأ
يسيرا منه اوشيأ من الاغناء رد للكفار كافة حيث فاخروا بالاموال والاولاد قائلين نحن اكثر اموالا واولادا
وما نحن بمعذبين وكانوا يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه بالفقر ويقولون لو كان محمد على الحق ما تركه
ربه فى الفقر والشدة وخص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة
بالاستعانة بالاولاد فانفع الجمادات هو المال وانفع الحيوانات هو الولد فالكافر اذا لم ينتفع بهما فى الاخرة البتة
دل ذلك على عدم انتفاعه بسائر الاشياء بالطريق الاولى (واولئك اصحاب النار) اى مصاحبوها على الدوام
وملازموها (هم فيها خالدون) ابدا ولما بين ان اموال الكفار لا تغنى عنهم شيأ ثم انهم ربما انفقوا اموالهم فى وجوه
الخيرات فيخطر ببال الانسان انهم ينتفعون بذلك فازال الله بهذه الاية تلك الشبهة وبين انهم لا ينتفعون بتلك
الانفاقات وان كانوا قد قصدوا بها وجه الله فقال (مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا) اى حال ما ينفقه الكفرة
قربة اومفاخرة وسمعة وطلبا لحسن الذكر بين الناس وعداوة لاهل الاسلام كما انفق ابو سفيان واصحابه مالا كثيرا
على الكفار يوم بدر واحد (كمثل ريح فيها صر) اى برد شديد مهلك فانه فى الاصل مصدر وان شاع اطلاقه
على الريح الباردة كالصرصر (اصابت حرث قوم) اى زرع قوم (ظلموا انفسهم) بالكفر والمعاصى فباؤا
بغضب من الله وانما وصفوا بذلك لان الاهلاك عن سخط اشد وافظع (فاهلكته) عقوبة لهم ولم تدع منه اثرا
ولا عثيرا والمراد تشبيه ما انفقوا فى ضياعه وذهابه بالكلية من غير ان يعود اليهم نفع ما بحرث كفار ضربته صر
فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة بوجه من الوجوه فهو من التشبيه المركب (وما ظلمهم الله) بما بين من ضياع
ما انفقوا من الاموال (ولكن انفسهم يظلمون) لما انهم اضاعوها بانفاقها لا على ما ينبغى وتقديم المفعول لرعاية
الفواصل لا للتخصيص واعلم ان انفاق الكفار اما ان يكون لمنافع الدنيا اولمنافع الاخرة فان كان لمنافع الدنيا
لم يبق منه اثر البتة فى الاخرة فى حق المسلم فضلا عن الكافر وان كان لمنافع الاخرة ولعلهم انفقوا اموالهم
فى الخيرات ببناء الرباطات والقناطر والاحسان الى الضعفاء والايتام والارامل وكان ذلك المنفق يرجو من ذلك
الانفاق خيرا كثيرا فاذا قدم الاخرة رأى كفره مبطلا لآثار الخيرات وكان كمن زرع زرعا وتوقع منه نفعا كثيرا
فاصابه ريح فاحرقه ولا يبقى معه الا الحزن والاسف هذا اذا انفقوا الاموال فى وجوه الخيرات اما اذا انفقوها
فيما ظنوا انه من الخيرات لكنه كان من المعاصى مثل انفاق الاموال فى ايذاء الرسول وفى قتل المؤمنين وتخريب
ديارهم فالذى قلنا فيه اشد واشد ونظير هذه الاية وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ويدخل فيه
ما ينفقه بعض صاحب الغرض لنفى رجل صالح من بلده اوقتله اوايذائه ونعوذ بالله من ذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيم افناه وعن جسده فيم ابلاه
وعن علمه ما عمل فيه وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه فليبادر العاقل الى الانفاق من ماله والاخلاص

فى عمله قال عليه السلام يجاء يوم القيامة بصحف مختومة فتنصب بين يدى الله عزوجل فيقول الله تعالى لاملائكة القوا هذا واقبلوا هذا فتقول الملائكة وعزتك ما رأينا الا خيرا فيقول وهو اعلم ان هذا كان لغيرى ولا اقبل اليوم من العمل الا ما ابتغى به وجهى * زعمرواى پسر چشم اجرت مدار * چو در خانهٔ زيد باشى بكار * چه قدر آورد بندهٔ حورديس * كه زير قباد ارد اندام پس * قال منصور بن عمار رحمه الله كان لى اخ فى الله يعتقد فى ويزورنى فى شدتى ورخائى وكان كثير العبادة والتهجد والبكاء ففقدته اياما فقيل لى هو ضعيف مريض فاتيت بابه فطرقته فخرجت ابنته فدخلت فوجدته فى وسط الدار وهو مضطجع على فراشه وقد اسود وجهه وازرقت عيناه وغلظت شفتاه فقلت له يا اخى اكثر من قول لا اله الا الله ففتح عينيه ونظر الى شزرا ثم وثم حتى قلت له لئن لم تقلها لا غسلتك ولا كفنتك ولا صليت عليك فقال يا اخى منصور هذه كلمة قد حيل بينى وبينها فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فاين تلك الصلاة والصيام والتهجد والقيام فقال يا اخى كل ذلك كان لغير وجه الله انما كنت افعل ذلك ليقال واذكر به واذا خلوت بنفسى غلقت الابواب وارخيت الستور وبارزت ربى بالمعاصى * وراوازه خواهى دراقليم فاش * برون حله كن كو درون حشو باش * فلا غرور للعاقل بكثرة الاعمال والاولاد والاموال اذا لم تكن نيته صحيحة فيما يجرى عليه من الاحوال فاين الذين آثروا العقبى بل المولى على كل ما سواه فوجدوا الفقر اعز من الغنى والذل الذ من العزة وبذلوا اموالهم وارواحهم فى سبيل الله لعمرى قوم عزيز الوجود وقليل ما هم وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ثم قال يقول ابن آدم مالى وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت قال عليه السلام يا عائشة ان اردت اللحوق بى فيكفيك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلقى ثوبا حتى ترقعيه وقال عليه السلام اللهم من احبنى فارزقه العفاف والكفاف ومن ابغضنى فاكثر ماله وولده فقد وقفت ايها العبد على حقيقة الحال وان المال لا يغنى عن المرء شيأ فعليك بالقناعة وتقليل الدنيا ولا تغتر باصحاب الاموال والجاه * ازبى ذكر وشوق حق مارا * درد وعالم دل وزبانى بس * وزطعام ولباس اهل جهان * كهنه دلقى ونيم نانى بس * (يا ايها الذين آمنوا) نزلت فى قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهاهم الله عن ذلك بقوله (لا تتخذوا بطانة) بطانة الرجل صاحب وليجته من يعرف اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب التى تلى بطنه كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار (من دونكم) اى من دون المسلمين متعلق بلا تتخذوا (لا يألونكم خبالا) يقال الا فى الامر اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين فى قولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع اى لا امنعك نصحا والخبال الفساد اى لا يقصرون لكم فى الفساد بالمكر والخديعة ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر (ودوا ما عنتم) اى تمنوا عنتكم اى مشقتكم وشدة ضرركم فى دينكم ودنياكم والفرق بين الجملة الاولى وبين هذه ان معناهما انهم لا يقصرون ضررا فى اموردينكم ودنياكم فان عجزوا عن ذلك لحب ذلك وتمنيه غير زائل عن قلوبهم (قد بدت البغضاء من افواههم) البغضاء شدة البغض اى قد ظهرت علامة العداوة فى كلامهم الخارج من افواههم لما انهم لا يتمالكون مع مبالغتهم فى ضبط انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين (وما تخفى صدورهم اكبر) مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص فى الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين (ان كنتم تعقلون) ما بينا لكم فتعملون به والظاهر ان الجمل من قوله لا يألونكم الى هنا تكون مستأنفات على وجه التعليل للنهى عن اتخاذهم بطانة (ها انتم اولاء) اى انتم ايها المؤمنون اولاء المخطئون فى موالاتهم (تحبونهم ولا يحبونكم) لما بينكم من مخالفة الدين (وتؤمنون بالكتاب كله) اى بجنس الكتاب جميعا وهو حال من الضمير المفعول فى لا يحبونكم والمعنى لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم فى باطلهم اصلب منكم فى حقكم (واذا لقوكم قالوا آمنا) نفاقا (واذا خلوا) فكان بعضهم مكان بعض (عضوا عليكم الانامل من الغيظ) اى من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفى سبيلا والانامل جمع انملة بفتح الميم وهو الطرف الاعلى من الاصبع والغيظ شدة الغضب قال الامام والمعنى انه اذا خلا بعضهم ببعض اظهروا شدة الغيظ على المؤمنين حتى تبلغ تلك الشدة الى عض الانامل كما يقول ذلك احدنا اذا اشتد غيظه وعظم حزنه على فوات مطلوبه ولما كثر هذا الفعل من الغضبان صار

ذلك كناية عن الغضب حتى يقال فى الغضبان انه يعض يده غيظا وان لم يكن هناك عض وانما حصل لهم هذا الغيظ الشديد لما رأوا من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم (قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله الى ان يهلكوا به او باشتداده الى ان يهلككم فالمراد اللعن والطرد لا على وجه الايجاب والا لماتوا من ساعتهم (ان الله عليم بذات الصدور) اى قل لهم ان الله عليم بعداوة الصدور فيعلم ما فى صدوركم من البغضاء والحنق (ان تمسسكم حسنة) اى تصبكم ايها المؤمنون حسنة بظهوركم على عدوكم وغنيمة تنالونها وتتابع الناس فى الدخول فى دينكم وخصب فى معاشكم (تسؤهم) اى تحزنهم حسدا الى ما نلتم من خير ومنفعة (وان تصبكم سيئة) مساءة باخفاق سرية لكم او اصابة عدو منكم او اختلاف يكون بينكم او جدب ونكبة (يفرحوا بها) يشمتون بما اصابكم من ضرر وشدة وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة للايذان بان مدار مساءتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة السيئة (وان تصبروا) على عداوتهم او على مشاق التكاليف (وتتقوا) ما حرم الله عليكم ونهاكم عنه (لا يضركم كيدهم) مكرهم وحيلتهم التى دبروها لاجلكم والكيد حيلة لطيفة تقرب وقوع المكيد به فيها (شيأ) نصب على المصدرية اى لا يضركم شيأ من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد فى الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون جريئا على الخصم (ان الله بما يعملون) فى عداوتكم من الكيد (محيط) علما فيعاقبهم على ذلك والاحاطة ادراك الشئ بكماله فينبغى للمرء ان يجانب اعداء الله ويصبر على اذاهم فانه امتحان له من الله مع انهم لا يقدرون على غير القدح باللسان كما قال تعالى لن يضروكم الا اذى والطعن لم يتخلص منه الانبياء والاولياء فكيف انت يا رجل وكفى بذلك الرجل * تو روى از پرستيدن حق مپيچ * بهل تا نكيرند خلقت بهيچ * رهايى نيابد كس از دست كس * كرفتار را چاره صبرست وبس * وفى قوله تعالى لا تتخذوا بطانة من دونكم اشارة الى ان الحامل لاسرار الرجل ينبغى ان يكون من جنسه معتمدا عليه مؤتمنا وربما يفشى الرجل سره الى من لم يجربه فى كل حاله فيفتضح عند الناس (ان الرجال صناديق مقفلة * وما مفاتيحها الا التجاريب) فلا تغتر بظاهر انسان حتى تعرف سريرته قال الامام الغزالى ولا تعول على مودة من لم تختبره حق الخبرة بان تصحبه مدة فى دار او موضع واحد فتجربه فى عزله وولايته وغناه وفقره او تسافر معه او تعامله فى الدينار والدرهم او تقع فى شدة فتحتاج اليه فان رضيته فى هذه الاحوال فاتخذه ابا لك ان كان كبيرا او ابنا ان كان صغيرا او اخا ان كان مثلا لك واذا بلغك من الاخوان غيبة او رأيت منهم شرا او اصابك منهم ما يسوءك فكل امرهم الى الله ولا تشغل نفسك بالمكافاة فيزيد الضرر ويضيع العمر اشتغاله ومن بلاغات الزمخشرى ما قدع السفيه بمثل الاعراض وما اطلق عنانه بمثل العراض اى المعارضة ونعم ما قيل

اصبر على مضض الحسو * د فان صبرك قاتله
والنار تأكل نفسها * ان لم تجد ما تأكله

فالمجاملة من سير الصالحين وكان ابراهيم بن ادهم فى جماعة من اصحابه فكان يعمل بالنهار وينفق عليهم ويجتمعون بالليل فى موضع وهم صيام فكان يبطئ فى الرجوع من العمل فقالوا ليلة تعالوا ننجعل فطورنا دونه حتى يعود بعد هذا اسرع فافطروا وناموا فلما رجع ابراهيم وجدهم نياما فقال مساكين لعلهم لم يكن لهم طعام فعمد الى شئ من الدقيق هناك فعجنه واوقد النار وطرح الملة فانتبهوا وهو ينفخ فى النار واضعا محاسنه على التراب فقالوا له فى ذلك فقال قلت لعلكم لم تجدوا فطورا فنمتم فاحببت ان تستيقظوا والملة قد ادركت فقال بعضهم لبعض ابصروا اى شئ عملنا وما الذى به يعاملنا * بدى را بدى سهل باشد جزا * اكر مردى احسن الى من اساء * قال ذو النون رحمه الله لا تصحب مع الله الا بالموافقة ولا مع الخلق الا بالمناصحة ولا مع النفس الا بالمخالفة ولا مع الشيطان الا بالعداوة فليسارع العبد الى تحصيل حسن الخلق وتوطين النفس على الصبر على المكاره حتى يفوز مع الفائزين قال بعضهم كنت بمكة فرأيت فقيرا طاف بالبيت واخرج من جيبه رقعة ونظر فيها ومر فلما كان بالغد فعل مثل ذلك فترقبته اياما وهو يفعل مثله فيوما من الايام طاف ونظر فى الرقعة وتباعد قليلا وسقط ميتا فاخرجت الرقعة من جيبه واذا فيها واصبر لحكم ربك فانك باعيننا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصيته لابن عباس رضى الله

تعالى عنه ان استطعت ان تعمل لله بالرضى فى اليقين فافعل والا ففى الصبر على ما تكره خير كثير ومقاساة
المجاهدات ومخالفة النفس وترك الشهوات واللذات والتزام الفقر والصبر على المكروهات من ديدن السلف
الصالحين واهل النفس الامارة وان كان يبدو من فمه علامات البغض لامثال هؤلاء الاخيار لكنه فى الحقيقة
يعود ضرره الى نفسه والمرء بالصبر على ما جاء من مكاره اعتراضه الفاسد يكون مأجورا ومثابا عند الله تعالى
وتباين الناس بالصلاح والفساد وغير ذلك خير محض يعتبره العاقل ويزكى نفسه به فيا ايها الصلحاء ان الاشرار
متسلطون على الاخيار بالطعن وقصد الاضرار ولكن المتقى فى حصن الله الملك الجبار (واذ غدوت) اى
اذكر لهم يا محمد وقت خروجك غدوة اى اول النهار الى احد ليتذكروا ما وقع فيه من الاحوال الناشئة
عن عدم الصبر فيعلموا انهم ان لزموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة (من اهلك) من منزل عائشة رضى
الله عنها فى المدينة وهذا نص على ان عائشة رضى الله عنها كانت اهلا للنبى صلى الله عليه وسلم قال تعالى
الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فدل هذا على انها كانت مطهرة مبرأة عن كل قبيح الا يرى ان ولد
نوح لما كان كافرا قال انه ليس من اهلك وكذا امرأة لوط (تبوئ المؤمنين) اى تنزلهم (مقاعد) كائنة
ومهيئة (للقتال) او متعلق بقوله تبوئ اى لاجل القتال والمقاعد جمع مقعد وهو اسم لمكان القعود عبر
عن تلك الاماكن التى عينت لكل واحد من الصحابة ان يبيت فى ما عين له من تلك الاماكن امابان يتسع
فى استعمال القعود لمجرد المكان مع قطع النظر عن كونه مكان القعود كما فى قوله تعالى فى مقعد صدق
واما لان كل مكان انما عين لصاحبه لان يقعد وينتظر فيه الى ان يجيء العدو فيقوموا عند الحاجة الى المحاربة
فسميت تلك الاماكن بالمقاعد لهذا الوجه روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى
الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابى بن سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله واكثر
الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا
الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم
ورماهم الصبيان والنساء بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء
الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام انى رأيت فى منامى بقرا مذبحة حولى اى قطيعا منها فاولتها
خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما اى كسرا فاولته هزيمة ورأيت كانى ادخلت يدى فى درع حصينة فاولتها
المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة
يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا طلبا لسعادة الشهادة وطمعا فى الحسنى والزيادة فلم يزالوا به عليه السلام حتى
دخل ولبس لامته اى درعه فلما رأوا ذلك ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحى يأتيه وقالوا
اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال ما ينبغى لنبى ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل وكان قد اقام المشركون
باحد يوم الاربعاء والخميس فخرج رسول الله عليه السلام يوم الجمعة بعد ما صلى الجمعة وصلى على رجل من
الانصار مات فيه فاصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة فمشى على
راحلته فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله فى عدوة
الوادى اى طرفه وجانبه وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا
بالنبل اى ادفعوا العدو عنا بالسهم حتى لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فاذا عاينتموهم وولوكم الادبار
فلا تطلبوا المدبرين ثم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما خالف رأى عبد الله ابن ابى وكان من قدماء اهل
المدينة ورئيس المنافقين شق عليه ذلك وقال اطاع الولدان وعصانى ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوه
بكم وقد وعد اصحابه ان اعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رأيتم اعداءهم فانهزموا فيتبعونكم ويصير الامر
على خلاف ما قاله محمد عليه السلام فلما التقى الفريقان انهزم عبد الله بالمنافقين وكان عليه السلام قد
خرج فى الف رجل او تسعمائة وخمسين رجلا فلما بلغوا الشوط رجع ابن ابى بثلثمائة وبقيت سبعمائة فقال
لقومه يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم ابو جابر السلمى وقال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم فقال
عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم وكان الحيان من الانصار بنو اسلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس جناحى
عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقواهم الله تعالى حتى هزموا المشركين فلما رأى المؤمنون انهزام القوم طمعوا ان تكون هذه الواقعة كواقعة
بدر فطلبوا المدبرين فتركوا الموضع الذى امرهم النبى عليه السلام بالثبات فيه ثم اشتغلوا بطلب الغنائم
وخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم فاراد الله ان يفطمهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مخالفة الرسول
صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان ظفرهم انما حصل يوم بدر ببركة طاعتهم لله ولرسوله ومتى تركهم الله مع عدوهم
لم يقوموا لهم فنزع الله الرعب من قلوب المشركين وكانوا ثلاثة آلاف رجل فحملوا على المؤمنين وتفرق العسكر
عن رسول الله عليه السلام حتى بقى معه سبعة من الانصار ورجلان من قريش فلما قصد الكفار النبى عليه
السلام شجوا رأسه وكسروا رباعيته وثبت معه عليه السلام يومئذ طلحة ووقاه بيده فشلت اصبعاه وصار
مجروحا فى اربعة وعشرين موضعا ولما اصابه عليه السلام ما اصاب من الشجة وكسر الرباعية وغلب عليه
الغشى احتمله طلحة ورجع القهقرى وكلما ادركه واحد من المشركين كان يضعه عليه السلام ويقاتله حتى اوصله
الى الصخرة وكان عليه السلام يقول اوجب طلحة ووقعت الصيحة فى العسكر ان محمدا قد قتل وكان فى جملة
الصحابة رجل من الانصار يكنى ابا سفيان نادى الانصار وقال هذا رسول الله فرجع اليه المهاجرون والانصار
فشمل عز الشهادة اثنين وسبعين من المؤمنين واختص بشرائف نعم الله وجلائل كرمه حمزة سيد الشهداء
وهنيئا له ان مثل به اذ مثل به وكثر فيهم الجراح فقال عليه السلام رحم الله رجلا ذب عن اخوانه وشد على
المشركين بمن معه حتى كشفهم عن القتلى والجرحى واعانهم الله حتى هزموا الكفار ثم ان كل ذلك يؤكد قوله
تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ وان المقبل من اعانه الله والمدبر من خذله الله ومن الله العصمة
(والله سميع عليم) لما شاور النبى عليه السلام اصحابه فى ذلك الحرب وقال بعضهم اقم بالمدينة وقال آخرون
اخرج اليهم وكان لكل احد غرض فى قوله فمن موافق ومن منافق قال تعالى انا سميع لما يقولون عليم بما
يسرون (اذ همت) بدل من اذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير والهم تعلق الخاطر بما له قدر (طائفتان
منكم) ايها المؤمنون وهما بنو اسلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس (ان تفشلا) اى بان تجبنا وتضعفا وترجعا
لظنهما الصواب فيه والفشل الضعف والظاهر ان همهما ليس بمعنى العزم والقصد المصمم وانما هو خطرات
وحديث نفس كما لا تخلو النفس عند الشدائد من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على
احتمال المكروه (والله وليهما) اى عاصمهما عن اتباع تلك الخطرات والجملة اعتراض (وعلى الله) وحده دون
ما عداه مطلقا استقلالا واشتراكا (فليتوكل المؤمنون) فى جميع امورهم فانه حسبهم وفيه اشعار بان وصف
الايمان من دواعى التوكل وموجباته والتوكل الاعتماد على الغير واظهار العجز قال الامام وفى الاية اشارة الى انه
ينبغى ان يدفع الانسان ما يعرض له من مكروه وآفة بالتوكل على الله وان يصرف الجزع عن نفسه بذلك
التوكل قال سهل بن عبد الله التسترى جملة العلوم ادنى باب من التعبد وجملة التعبد ادنى باب من الورع وجملة
الورع ادنى باب من الزهد وجملة الزهد ادنى باب من التوكل وقال ايضا علامة المتوكل ثلاث لا يسأل ولا يرد
ولا يحبس وكان ابراهيم الخواص رحمه الله مجردا فى التوكل وكان لا يفارقه ابرة وخيوط وركون ومقراض
فقيل له يا ابا اسحق لم تحمل هذا وانت ممتنع من كل شئ فقال مثل هذا لا ينقص التوكل لان لله علينا فرائض
والفقير لا يكون عليه غير ثوب واحد فربما يتمزق ثوبه فاذا لم يكن معه ابرة وخيوط تبدو عورته فتفسد
عليه صلاته قال ابو حمزة الخراسانى حججت سنة من السنين فبينما انا امشى فى الطريق اذ وقعت فى بئر فنازعتنى
نفسى ان استغيث فقلت لا والله لا استغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال احدهما
للآخر تعال حتى نسد رأس هذه البئر لئلا يقع فيها احد فاتوا بقصب وطموا البئر فهممت ان اصيح ثم قلت
فى نفسى اشكو الى من هو اقرب منهما فسكت فبينما انا بعد ساعة اذا انا بشئ قد جاء وكشف عن رأس البئر
وادخل رجله وكأنه يقول لى تعلق بى فى همهمة له كنت اعرف ذلك منها فتعلقت به فاخرجنى فاذا هو سبع
فمر وهتف بى هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت قال بعضهم من وقع
فى ميدان التفويض يزف اليه المراد كما تزف العروس الى اهلها ولما زج بابراهيم عليه السلام فى المنجنيق واتاه
جبريل فقال الك حاجة قال اما اليك فلا واما الى الله فبلى قال سله قال حسبى من سؤالى علمه بحالى وقد قال
نبينا عليه السلام يقول الله تعالى من شغله ذكرى عن مسألتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين فعلى السالك

ان يتوكل على الله ويفوض امره اليه فان كل ماقضى وقدر لا يرد البتة وان تعدت نفسك فى ذلك
قضا كشتى آنجا كه خواهد برد * وكرناخدا جامه برتن برد * يكفيك علم الله بحالك فاقطع نظرك عن
الاسباب والفتح ليس الامن مفتح الابواب مكن سعديا ديده بردست كس * كه بخشنده پروردكارست
وبس * اكر حق پرستى زدرها بست * كه كروى بداند نخواند كسست (ولقد نصركم الله ببدر)
تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر بئرماء بين مكة والمدينة حافرها رجل اسمه بدر فسمى به وكانت
وقعة بدر فى السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنين من الهجرة (وانتم اذلة) حال من الضمير جمع ذليل
وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل بجمع الكثرة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال
وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد
وما كان معهم الا فرس واحد للمقداد بن الاسود وهو اول من قاتل على فرس فى سبيل الله وتسعون
بعيرا وست ادرع وثمانية سيوف وقلتهم انهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ستة وسبعون من المهاجرين
وبقيتهم من الانصار وكان عدوهم فى حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة وكان
صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب رضى الله عنه وصاحب راية الانصار سعد بن
عبادة رضى الله عنه (فاتقوا الله) فى الثبات مع رسوله كما اتقيتم يومئذ (لعلكم تشكرون) اى راجين ان تشكروا
بما ينعم به عليكم بتقواكم من النصرة (اذ تقول) ظرف لنصركم وقت قولك (للمؤمنين) حين اظهروا العجز
عن المقاتلة (الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة) الكفاية سد الخلة والقيام بالامر والامداد
اعانة الجيش بالجيش والمعنى انكار عدم كفاية الامداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة ان للاشعار بانهم كانوا حينئذ
كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرته (منزلين) اى حال كونهم نازلين من السماء باذنه
تعالى قيل امدهم الله اولا بالف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى
قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله (بلى) ايجاب لما بعد ان وتحقيق له اى بلى يكفيكم ذلك ثم وعدهم
الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثا لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال (ان تصبروا) على لقاء العدو ومناهضتهم
(وتتقوا) معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم (ويأتوكم) اى ان يجيئكم المشركون (من فورهم هذا)
اى من ساعتهم هذه (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فى حال اتيانهم لا يتأخر نزولهم عن اتيانهم يريد
ان الله يعجل نصرتكم ويسهل فتحكم ان صبرتم واتقيتم (مسومين) من التسويم الذى هو اظهار سيما الشئ اى
معلمين انفسهم او خيلهم فى اذنابها ونواصيها بالصوف الابيض قال عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة
قد تسومت روى ان الملائكة كانوا بعمائم بيض الا جبريل عليه السلام فانه كان بعمامة صفراء على مثال الزبير
ابن العوام ونزلوا على الخيل البلق موافقة لفرس المقداد اكراما له (وما جعله الله) عطف على مقدر اى
فامدكم به وما جعل الله ذلك الامداد بانزال الملائكة عيانا بشئ من الاشياء (الا بشرى لكم) بانكم تنصرون
(ولتطمئن قلوبكم به) اى بالامداد وتسكن اليه من الخوف كما كانت السكينة لبنى اسرائيل (وما النصر الا)
كائن (من عند الله) لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة فى نصرهم الى مدد وانما امدهم بشارة لهم
وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر فينبغى للمؤمن ان لا يركن الى شئ من ذلك
فان ترتب النصر عليها ليس الا بطريق جرى العادة (العزيز) الذى لا يغالب فى حكمه وقضيته (الحكيم) الذى
يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة (ليقطع) متعلق بنصركم اى نصركم الله يوم بدر ليهلك وينقص
(طرفا من الذين كفروا) اى طائفة منهم بقتل واسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون
واسر سبعون (او يكبتهم) اى يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فان الكبت شدة غيظ او وهن يقع فى القلب من كبته
بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وأو للتنويع دون الترديد (فينقلبوا خائبين) غير ظافرين بمبتغاهم
وينهزموا منقطعى الآمال والخيبة هو الحرمان من المطلوب والفرق بينها وبين اليأس ان الخيبة لا تكون الا بعد
التوقع واما اليأس فانه قد يكون بعد التوقع وقبله فنقيض اليأس الرجاء ونقيض الخيبة الظفر (ليس لك من
الامر شئ) اعتراض (او يتوب عليهم او يعذبهم) عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم على
الاطلاق فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم تعذيبا شديدا اخرويا ان اصروا وليس

لك من امرهم شئ وانما انت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم (فانهم ظالمون) قد استحقوا التعذيب بظلمهم
(ولله ما فى السموات وما فى الارض) من الموجودات خلقا وملكا لا مدخل فيه لاحد اصلا فله الامر كله
(يغفر لمن يشاء) ان يغفر له مشيئة مبنية على الحكم والمصالح (ويعذب من يشاء) ان يعذبه وقدم المغفرة لسبق
رحمته تعالى غضبه وهذا صريح فى نفى وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافى له (والله غفور رحيم)
لعباده والمقصود بيان انه وان حسن كل ذلك منه الا ان جانب الرحمة والمغفرة غالب لا على سبيل الوجوب بل على
سبيل الفضل والاحسان فليبادر العاقل الى الاعمال التى يستوجب بها رحمة الله تعالى ولا ييأس من روح الله
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود بشر المذنبين وانذر
الصديقين قال يا رب فكيف ابشر المذنبين وانذر الصديقين قال بشر المذنبين بانى لا يتعاظمنى ذنب الا اغفره وانذر
الصديقين ان لا يعجبوا باعمالهم وانى لا اضع عدلى وحسابى على احد الا اهلكه وروى عن عمر رضى الله تعالى
عنه انه دخل على النبى عليه السلام فوجده يبكى فقال ما يبكيك يا رسول الله قال جاءنى جبريل فقال ان الله
يستحيى ان يعذب احدا قد شاب فى الاسلام فكيف لا يستحيى من شاب فى الاسلام ان يعصى الله فالواجب على
الشيخ ان يعرف هذه الكرامة ويشكر الله ويستحيى منه ومن الكرام الكاتبين ويمتنع من المعاصى ويكون
مقبلا على طاعة ربه فانه فى ساحل بحر المنون روى ان الحجاج لما اقام بالعراق يرهب ويفتك حتى استوثقت له
الامور خرج عليه عبد الرحمن بن الاشعث باهل العراق فامده عبد الملك باهل الشام فكانوا اشيعته واستمرت
بينه وبين ابن الاشعث الوقائع حتى هزمه الحجاج بدير الجماجم بعد ثمانين وقعة فى ستة اشهر وكان مع ابن الاشعث
اكثر من مائتى الف فلما هزموا قال الحجاج لاصحابه اتركوهم فليتبددوا ولا تتبعوهم ثم نادى مناديه من رجع
فهو آمن ودخل الكوفة وجاء الناس من المنهزمين يبايعونه فكان يقول لمن جاء يبايعه اشهد على نفسك
بالكفر وخروجك عن الجماعة ثم تب فان شهد والا قتله فاتاه رجل من خثعم فقال اشهد على نفسك بالكفر
فقال ان كنت عبدت ربى ثمانين سنة ثم اشهد على نفسى بالكفر لبئس العبد انا والله ما بقى من عمرى الا ظمئ
حمار وانى انتظر الموت صباحا ومساء فامر به فضربت عنقه وقدم بعده شيخ فقال الحجاج ما اظن الشيخ يشهد
على نفسه بالكفر فقال يا حجاج اتخادعنى عن نفسى انا اعرف بها منك وانى لا كفر من فرعون وهامان
فضحك الحجاج وخلى سبيله فانظر الى ضعف ايمانه كيف ارتكب هذا القبح بعد ما جاوز حد الشباب الذى
ليس بعده الا انتظار الموت صباحا ومساء من اقراره بالكفر مع غاية شيبه ومن لم تتداركه العناية الازلية لم يجئ
منه شئ فعلى السالك ان يطمئن قلبه بالايمان ويجتهد الى ان يصل الى قوة اليقين ومن قوة اليقين التوحيد وهو
ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ويرى الوسائط مسخرة لحكمه ولا ريب ان قوة اليقين بتصفية القلب
عن كدورات النفس * چو پاك آفريدت بهش باش وپاك * كه ننكست ناپاك رفتن بخاك * پيابى
بيفشان از آينه كرد * كه صيقل نكيرد چو زنكار خورد * وجلاء القلب انما يحصل بذكر الله وتلاوة
القرآن والصلاة على النبى عليه السلام وخير الاذكار كلمة التوحيد وهى العروة الوثقى قال ابراهيم الخواص
قدس سره دواء القلب خمسة تلاوة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع الى الله تعالى عند
السحر ومجالسة الصالحين فعليك بالمواظبة لهذه الخصال لعلك تصل الى التزكية ودرجة الكمال بعون الله
الملك العزيز المتعال (يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا) والمراد باكله اخذه وانما عبر عنه بالاكل لانه معظم
ما يقصد بالاخذ ولشيوعه فى المأكولات مع ما فيه من زيادة التشنيع (اضعافا مضاعفة) زيادات مكررة كان
الرجل فى الجاهلية اذا كان له على انسان مائة درهم الى اجل ولم يكن المديون واجدا لذلك المال قال زدنى
فى المال حتى ازيد فى الاجل فربما جعله مائتين ثم اذا حل الاجل الثانى فعل مثل ذلك ثم الى آجال كثيرة فيأخذ
بسبب تلك المائة اضعافها واضعافا جمع ضعف حال من الربا اى متضاعفا ولما كان جمع قلة والمقصود الكثرة
اتبعه بما يدل على الكثرة حيث وصفه بقوله مضاعفة وهى اسم مفعول لا مصدر وهذه الحال ليست لتقييد
النهى بها حيث تنتفى الحرمة عند انتفائها بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم على ذلك (واتقوا
الله) فيما نهيتم عنه خصوصا الربا وعمله (لعلكم تفلحون) راجين الفلاح (واتقوا النار التى اعدت للكافرين)
بالتحرز عن متابعتهم وتعاطى ما يتعاطونه وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة وكان

ابو حنيفة رحمه الله يقول هى اخوف آية فى القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه
فى اصناف محارمه (واطيعوا الله) فى كل ما امركم به ونهاكم عنه (والرسول) الذى يبلغكم اوامره ونواهيه
(لعلكم ترحمون) راجين لرحمته ولعل وعسى فى امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبراله قال القاشانى
ولا يخفى على الفطن ما فيه من المبالغة فى التهديد على الربا حيث انى بلعل فى فلاح من اتقاه واجتنبه لان تعليق
امكان الفلاح ورجاءه بالاجتناب منه يستلزم امتناع الفلاح لهم اذا لم يجتنبوه ويتقوه مع ايمانهم ثم اوعد عليه
بالنار التى اعدت للكافرين مع كونهم مؤمنين فما اعظمها من مصيبة توجب عقاب الكفار للمؤمنين
وما اشده من تغليظ عليه ثم امد التغليظ بالامر بطاعة الله ورسوله تعريضا بان آكل الربا منهمك فى المعصية
لا طاعة له ثم علق رجاء المؤمنين بطاعة الله ورسوله اشعارا بانه لا رجاء للرحمة مع هذا النوع من العصيان فهو
يوجب اليأس من رحمته للمؤمنين لامتناعها لهم معه فانظر كيف درج التغليظ فى التهديد حتى الحقه
بالكفار فى الجزاء والعقاب انتهى بعبارته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده
وكاتبه والمحلل والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال على الوجه الذى نهى الله عنه وهو قسمان ربا النسيئة
وربا الفضل اما ربا النسيئة فهو ما كان يتعارفه اهل الجاهلية ويتعاملون به وقد سبق آنفا واما ربا الفضل
اى اخذ الفضل عند مقابلة الجنس بالجنس نقدا فهو ان يباع منّ من الحنطة بمنين منها وما اشبه ذلك وقد اتفق
جمهور العلماء على تحريم الربا فى القسمين واعلم ان الربا يؤدى الى الحرص على طلب الدنيا اضعافا مضاعفة
الى ما لا يتناهى كما قال عليه السلام لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن
آدم الا التراب والحرص دركة من دركات النيران فلذا قال واتقوا النار التى اعدت للكافرين * قناعت كن اى
نفس بداندكى * كه سلطان ودرويش بينى يكى * فالحرص على الدنيا وسعيها وجمعها مذموم منهى عنه
والبذل والايثار وترك الدنيا والقناعة فيها محمود مأمور به يدل عليه قوله تعالى يمحق الله الربا ويربى الصدقات
فمن اخذ الربا لتكثير المال بلا احتياج كان كمن يقع على امه نعوذ بالله روى عن عبد الله بن سلام للربا اثنان
وسبعون حوبا اصغرها كمن اتى امه فى الاسلام كذا فى تنبيه الغافلين واذا اخذه بوجه شرعى مع الاحتياج
يجوز فى الفتوى ولكن التقوى فوق امر الفتوى والحيلة الشرعية فيه ذكرها قاضى خان حيث قال رجل له
على رجل عشرة دراهم فاراد ان يجعلها ثلاثة عشر قال يشترى من المدين شيأ بتلك العشرة ويقبض المبيع
ثم يبيعه من المدين بثلاثة عشر الى سنة فيقع التحرز عن الحرام ومثل هذا مروى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم واذا احتاج الى الاستقراض فاستقرض من رجل فلم يعطه الا بالربا فالاثم على آخذ الربا دون معطيه
لان له فيه ضرورة وهذا اذا كان الآخذ غنيا كما عرفت فالمرء الصالح يتباعد عن مثل هذه المعاملات فان
الربا يضر بايمان المؤمنين وهو وان كان زيادة فى الحال لكنه نقصان فى الحقيقة فان الفقراء الذين يشاهدون
ان المرابى يأخذ اموالهم بسبب الربا يلعنونه ويدعون عليه وذلك يكون سببا لزوال الخير والبركة عنه فى نفسه
وماله بل عما يتفرع من نقص عرضه وقدره وتوجه مذمة الناس اليه وسقوط عدالته وزوال امانته وفسق
القلب وغلظته وآخذ الربا لا يقبل الله منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلاة وقد ثبت فى الحديث ان الاغنياء
يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام فاذا كان الغنى من الوجه الشرعى الحلال كذلك فما ظنك بالغنى من
الوجه الحرام فالانسان مع فقره وحاجته اذا توكل على الله واحسن الى عبيده فالله تعالى لا يتركه ضائعا جائعا
فى الدنيا بل يزيد كل يوم فى جاهه وذكره الجميل ويميل قلوب الناس اليه واما اذا كان بخلاف ذلك فيكون امره
عسيرا فى الدنيا والآخرة والعمل السوء ينزع به الايمان عند الموت فيستحق به صاحبه الخلود فى النار كالكفار
نعوذ بالله من ذلك وروى ابو بكر الوراق عن ابى حنيفة رحمه الله اكثر ما ينزع الايمان لاجل الذنوب من العبد
عند الموت واسرعها نزعا للايمان ظلم العباد فاتق ايها المؤمن من الله ولا تظلم عباد الله باخذ اموالهم من ايديهم
بغير حق فانه حوب كبير عصمنا الله واياكم من سوء الحال (وسارعوا) اى بادروا واقبلوا (الى مغفرة) كائنة
(من ربكم وجنة) الى ما يستحقان به كالاسلام والتوبة والاخلاص واداء الواجبات وترك المنهيات (عرضها
السموات والارض) اى كعرضهما صفة لجنة وذكر العرض للمبالغة فى وصفها بالسعة على طريقة التمثيل
فان العرض فى العادة ادنى من الطول (اعدت للمتقين) اى هيئت لهم صفة اخرى لجنة وفيه دليل على ان

الجنة مخلوقة الآن وانها خارجة عن هذا العالم اما الاول فلدلالة لفظ الماضى واما الثانى فلان ما يكون عرضه
كعرض جميع هذا العالم لا يكون داخلا فيه روى ان رسول هرقل سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
انك تدعو الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال عليه السلام سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار
والمعنى والله اعلم اذا دار الفلك حصل النهار فى جانب من العالم والليل فى ضد ذلك الجانب فكذا الجنة فى جهة
العلو والنار فى جهة السفل (الذين ينفقون) كل ما يصلح للانفاق وهو صفة مادحة للمتقين (فى السراء
والضراء) اى فى حالتى الرخاء والشدة اى الغنى والفقر واليسر والعسر وفى الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن
مسرة او مضرة اى لا يخلون فى حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير (والكاظمين الغيظ) عطف على
الموصول والكظم الحبس والغيظ توقد حرارة القلب من الغضب اى الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع
القدرة عليه (والعافين عن الناس) اى التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته (والله يحب المحسنين) الذين عمت
فواضلهم وتمت فضائلهم واللام يصلح للجنس فيدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون الاشارة اليهم واعلم
ان الاحسان الى الغير اما ان يكون بايصال النفع اليه او بدفع الضرر عنه اما ايصال النفع اليه فهو المراد بقوله
الذين ينفقون فى السراء والضراء ويدخل فيه انفاق العلم وذلك بان يشتغل بتعليم الجاهلين وهداية الضالين
ويدخل فيه انفاق المال فى وجوه الخيرات والعبادات قال عليه السلام السخى قريب من الله قريب
من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار واما دفع الضرر
عن الغير فهو اما فى الدنيا وهو ان لا يشتغل بمقابلة تلك الاساءة باساءة اخرى وهو المراد بكظم الغيظ قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا واما فى الآخرة وهو ان
يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات فى الآخرة وهو المراد بقوله والعافين عن الناس روى انه ينادى مناد يوم
القيامة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء فى امتى
قليل الا من عصمه الله وقد كانوا كثيرا فى الامم التى مضت فهذه الآية دالة على جميع جهات الاحسان الى
الغير ولما كانت هذه الامور الثلاثة مشتركة فى كونها احسانا الى الغير ذكر ثوابها فقال والله يحب المحسنين فان
محبة الله العبد اعظم درجات الثواب قال الفضيل بن عياض الاحسان بعد الاحسان مكافأة والاساءة بعد
الاساءة مجازاة والاحسان بعد الاساءة كرم وجود والاساءة بعد الاحسان لؤم وشؤم (حكى) ان خادما كان قائما
على رأس الحسن بن على رضى الله عنه وهو مع اضيافه فى المائدة فانحرفت قصعة كانت فى يد الخادم فسقط
منها شئ على الحسن فقال والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك فقال والله يحب المحسنين
قال انت حر لوجه الله وقد زوجتك فلانة فتاتى وعلىّ ما يصلحكما (قال الفاضل الجامى) جوانمردا جوانمردى
بياموز * ز مردان جهان مردى بياموز * درون از كين كين جويان نكه دار * زبان از طعن بدكويان
نكه دار * نكويى كن با آن كو با تو بد كرد * كز آن بد رخنه در اقبال خود كرد * چو آيين نكوكارى كنى ساز *
نكردد جز بتو آن نكويى باز * فعلى العاقل ان يسارع الى العمل بالحسنات من الاحسان وانواع الخيرات
سريعا قبل الفوات لان فى التأخير آفات * كنون وقت تخمست اكر پرورى * كر اميد دارى كه
خرمن برى * يعنى ان كنت تأمل الجنة فاعبد ربك بانواع العبادات ما دمت فى الحياة فان الفرصة غنيمة
والمتأخر عن السير الى الله مغبون قيل بيا ساقى كه در التأخير آفات ومن اضاع عمره فى الهوى فلا يلحقه
يوم القيامة الا الحسرة والندامة * بمايه توان اى پسر سود كرد * چه سود آيد آنرا كه سرمايه خورد *
والله تعالى خلق الانسان لدخول الجنة ودرجاتها والنار ودركاتها ثم ارسل المرسلين مبشرين بالجنة
ومنذرين بالنار وحث بالاتقاء والحذر عن النار كما قال واتقوا النار التى اعدت للكافرين وحرض على
المسارعة الى الجنة بقوله وسارعوا الى مغفرة من ربكم اى سارعوا بقدم التقوى الى مقام من مقامات قرب
ربكم وجنة عرضها السموات والارض يعنى طولها فوق السموات والارض والاشارة فيه ان الوصول اليها
بعد العبور من ملك السموات والارض وهو المحسوسات التى تدركها الحواس الخمس والعبور عنها انما يكون
بقدم التقوى الذى هو تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة كما قال اعدت للمتقين فان قدم التقوى الذى
يولج به فى عالم الملكوت هو التزكية ويدل عليه ما قال عيسى عليه السلام ان يلج ملكوت السموات

والارض من لم يولد مرتين فالولادة الثانية هى الخروج عن الصفات الحيوانية بتزكية النفس عنها وولوج الملكوت وهو التحلية بالصفات الروحانية وقوله اعدت للمتقين اى هم مخصوصون بها ومراتبهم فى الدرجات العلى وهو بقدر تقوى النفوس وتزكيتها عصمنا الله واياكم من الشرور والاوزار وشرفنا بمقامات الابرار والاخيار (والذين اذا فعلوا فاحشة) اى فعلة بالغة فى القبح كالزنى (او ظلموا انفسهم) بان اذنبوا اى ذنب كان مما يؤخذ به الانسان او الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك (ذكروا الله) تذكروا حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء او وعيده (فاستغفروا لذنوبهم) بان ندموا على ما مضى مع العزم على ترك مثله فى المستقبل واما مجرد الاستغفار باللسان فلا اثر له فى ازالة الذنب وانما هو حظ اللسان من الاستغفار وهو توبة الكذابين (ومن) استفهام انكارى اى لا (يغفر الذنوب) اى جنس الذنوب احد (الا الله) بدل من الضمير المستكن فى يغفر وهو اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه تصويبا للتائبين وتطييبا لقلوبهم وبشارة لهم بوصف ذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة واجلالا لهم واعلاء لقدرهم بانهم علموا ان لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان من كرمه ان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وان العبد اذا التجأ اليه فى الاعتذار والتنصل باقصى ما يقدر عليه عفا عنه وتجاوز عن الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم وتحريضا للعباد على التوبة وبعثا عليها وعلى الرجاء وردعا عن اليأس والقنوط (ولم يصروا) عطف على فاستغفروا اى لم يقيموا (على ما فعلوا) من الذنوب فاحشة كانت او ظلما غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة ولا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار اى الصغيرة مع الاصرار كبيرة (وهم يعلمون) حال من فاعل يصروا اى لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه وبالنهى عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لما انه قد يعذر من لا يعلم ذلك اذا لم يكن عن تقصير فى تحصيل العلم به (اولئك) اى اهل هذه الصفات (جزاؤهم) اى ثوابهم (مغفرة) كائنة (من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) اى لهم ذخر لا يبخس واجر لا يوكس وجنات لا تنقضى ولذات لا تمضى (ونعم اجر العاملين) المخصوص بالمدح محذوف اى ونعم اجر العاملين ذلك اى ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما تستحقان بمقابلة العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب فى الطاعات والزجر عن المعاصى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك قال ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك ما كان منك ابن آدم انك ان تلقنى بقراب الارض خطايا لقيتك بقرابها مغفرة بعد ان لا تشرك بى شيأ ابن آدم انك ان تذنب حتى يبلغ ذنبك عنان السماء ثم تستغفرنى اغفر لك قال ثابت البنانى بلغنى ان ابليس بكى حين نزلت هذه الاية وهى قوله والذين الاية وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم ويصلى ثم يستغفر الله الا غفر الله له روى ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ما اقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل يا موسى كيف اجود برحمتى على من يبخل بطاعتى وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليبس

قال القشيرى رحمه الله اوحى الله سبحانه الى موسى عليه السلام قل للظلمة حتى لا يذكرونى فانى اوجبت ان اذكر من يذكرنى وذكرى للظلمة باللعنة واعلم ان العمدة هى الايمان وذلك انما يحصل بالتوحيد المنافى للشرك وهو المؤدى الى التوبة والاستغفار ولكونه عمدة عد المؤمن الموحد من المتقين وصار سببا لدخول الجنة فينبغى للعبد ان يصرف اختياره الى جانب الامتثال للامر والاجتناب عن النهى فالله تعالى خالقه وان كان التوفيق الى جانب العمل ايضا من عنايته تعالى * نخست او ارادت بدل درنهاد * پس اين بنده بر آستان سرنهاد * وفقنى الله واياكم الى ما يحب ويرضى ويداوى بلطفه وكرمه هذه القلوب المرضى فان بيده مفاتيح الاصلاح والفوز بالبغية والظفر بالفلاح * شنيدستم كه ابراهيم ادهم * شبى بر تخت دولت خفت خرم * ز سقف خود شنيد آواز پايى * ز جا برجست چون آشفته رايى * بتندى كفت اوكين كيست بر بام * كه دارد بر سر قصر ما كام * جواب آمد كه اى شاه جهانكير * شترگم كرده مردم مفلسم پير * ز خنده

كشت شه برجاى خود سست * كه بربام آدمى هركز شتر جست * دكربارش ندا آمد كه اى جوان بخت * خداجويى كسى كردست برتخت * خداجويى و خورد و خواب و آرام * شترجويى بود بر كوشهٔ بام * چو بشنيد اين پيام از هاتف غيب * فراغت كرد از دنيا بلا ريب * رسيد از راه تجريدى بمنزل * پس از ادبار شد مقبول ومقبل * فالواجب على طالب الحق ان يحفظ الادب حتى يرتقى بذلك الى اعلى الرتب الا ترى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان يستغفر كل يوم سبعين مرة مع ان ذنبه كان مغفورا وبكمال ادبه وصل الى ما وصل حتى صار اتباعه سببا لمحبة الله تعالى كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ومع ذلك كان خوفه واجلاله فى غاية الكمال وهكذا ينبغى لمن اقتدى به وورثة المحسن وان كانت اولى ولكن التدارك احسن من الاصرار فطوبى لمتدارك وصل الى الاحسان واجبر نال الى المحبوبية عند الله الرحمان (قد خلت من قبلكم سنن) اصل الخلو الانفراد والمكان الخالى هو المنفرد عمن يسكن فيه ويستعمل ايضا فى الزمان الماضى لان ما مضى انفرد عن الوجود وخلا عنه وكذا الامم الخالية والسنن الوقائع اى قد مضت من قبل زمانكم وقائع سنها الله فى الامم المكذبة اى وضعها طريقة يسلكها على وفق الحكمة فالمراد بسنن الله تعالى معاملات الله فى الامم المكذبة بالهلاك والاستئصال بدليل قوله تعالى فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (فسيروا فى الارض) اى ان شككتم فى ذلك فسيروا وليس المراد الامر بالمسافرة فى الارض بسير الاقدام لا محالة بل المقصود تعرف احوالهم فان حصلت المعرفة بغير السير حصل المقصود ولعل اختيار لفظ سيروا مبنى على ان اثر المشاهدة اقوى من اثر السماع كما قيل ليس الخبر كالمعاينة وفى هذا المعنى قيل

ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

(فانظروا) بنظر العين والمشاهدة (كيف) خبر مقدم لكان معلق لفعل النظر والجملة فى محل النصب بعد نزع الخافض لان الاصل استعماله بالجار (كان عاقبة المكذبين) رسلى واوليائى (هذا) اشارة الى ما سلف من قوله قد خلت الخ (بيان للناس) وهم المكذبون اى ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فان الامر بالسير والنظر وان كان خاصا بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين ايضا على ان ينظروا الى عواقب ما قبلهم من اهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينون من آثار دمارهم وان لم يكن الكلام مسوقا لهم والبيان هو الدلالة على الحق فى اى معنى كان بازالة ما فيه من الشبهة (وهدى) اى زيادة بصيرة وهو مختص بالدلالة والارشاد الى طريق الدين القويم والصراط المستقيم ليتدين به ويسلك (وموعظة) وهو الكلام الذى يفيد الزجر عما لا ينبغى فى الدين (للمتقين) اى لكم والاظهار للايذان بعلة الحكم فان مدار كونه هدى وموعظة لهم انما هو تقواهم واعلم ان الامم الماضية خالفوا الانبياء والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم اثر وبقى عليهم اللعن فى الدنيا والعقاب فى الآخرة فرغب الله تعالى امة محمد صلى الله عليه وسلم المصدقين فى تأمل احوال هؤلاء الماضين ليصير ذلك داعيا لهم الى الانابة والاعراض عن الاغترار بالحظوظ الفانية واللذات المنقضية فان الدنيا لا تبقى لا مع المؤمن ولا مع الكافر فالمؤمن يبقى له بعد موته الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى والكافر بخلافه فاللائق ان يجتهد فيما هو خير وابقى ولا ينظر الى زخارف الدنيا ثم فى هذا تسلية للمؤمنين فيما اصابهم يوم احد فان الكفار وان نالوا من المؤمنين بعض النيل لحكمة اقتضته فالعاقبة للمؤمنين قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وان الارض يرثها عبادى الصالحون ولو كانت الغلبة كل مرة للمؤمنين لصار الايمان ضروريا وهو خلاف ما تقتضيه الحكمة الالهية فعلى العاقل ان يفوض الامر الى الله ويعتبر بعين البصيرة فى الامور الخفية والجلية وقد قال الله تعالى فاعتبروا يا اولى الابصار * نرود مرغ سوى دانه فراز * چون دكر مرغ بيند اندر بند * پند كير از مصائب دكران * تا نكيرند ديكران ز تو پند * والخوف من العاقبة من الصفات السنية للصلحاء روى انه يعذب الرجل فى النار الف سنة ثم يخرج منها الى الجنة قال الحسن البصرى رحمه الله ياليتنى كنت ذلك الرجل وانما قال الحسن ذلك لانه يخاف عاقبة امره وهكذا كان الصالحون يخافون عاقبة امرهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبى على طاعتك قالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله انك لتكثر القول بهذا الدعاء فهل تخشى قال صلى الله عليه وسلم ما يؤمننى يا عائشة

وقلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن فاذا اراد ان يقلب قلبا قلبه قال السدى انى لانظر فى المرآة
كل يوم مرارا مخافة ان يكون قد اسود وجهى والاشارة فى الآيتين ان الله خص السائرين الى الله بالمهاجرة عن
الاوطان والمسافرة الى البلدان بمفارقة الخلان والاخدان ومصاحبة الاخوان غير الخوان ليعتبروا من سنن
اهل السنن فقال تعالى قد خلت من قبلكم سنن اى امم لهم سنن فسيروا على سنن اهل السنة فى ارض نفوسكم
الحيوانية بالعبور عن اوصافها الدنيئة واخلاقها الرديئة لتبلغوا سماء قلوبكم الروحانية وتتخلقوا بالاخلاق
الربانية فانظروا كيف صار حاصل امر النفوس المكذبة بهذه المقامات الروحانية والمكاشفات الربانية عند
الوصول اليها هذا بيان للناس اى لاهل الغفلة والغيبة الناسين عهد الميثاق وهدى وموعظة للمتقين اى وعيان
لاهل الهداية والشهود الذاكرين للعهود الذين اتعظوا بالتجارب والتقوى عما سوى الله تعالى قال بعض العلماء
يا مغرور امسك وقس يومك بامسك واتعظ بمن مضى من ابناء جنسك فانك بك قد حلت فى رمسك اين من احتظ
مولاه بنيل ما يهواه اين من افنى عمره فى خطاياه فتذكرانت ايها الغافل مصارعهم وانظر مواضعهم هل نفعهم
رفيق رافقوه او منعهم اما خلوا بخلالهم اما انفردوا باعمالهم فستصير فى مصيرهم فتدبر امرك وستسكن
فى مثل مساكنهم فاعمر قبرك يا مسرورا بمنزله الرحب الانيق ستفارقه يا مشعثرا من التراب ستعانقه اعتبر بمن
سبقك فانت لاحقه واذكر العهد الازلى فزك نفسك حياء من الله لعلك تصل الى ما تهواه من جنات وعيون
ومقام كريم ووصال الى رب رحيم قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا فاذا يقعدك عن رفقة
الصالحين وهل ترضى لنفسك يا مسكين ان تقف فى مقام الجهال المعتدين اما علمت انك غدا تدان كما تدين
اصلح الله احوالنا وصحح اقوالنا وافعالنا واعطانا آمالنا وختمنا بالخير اذ بلغنا آجالنا (ولا تهنوا) من الوهن
وهو الضعف اى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم من الجراح يوم احد (ولا تحزنوا) على من قتل منكم وهى صيغة
نهى ورد للتسكين والتصبير لا النهى عن الحزن (وانتم الاعلون) اى والحال انكم الاعلون الغالبون دون عدوكم
فان مصير امرهم الى الدمار حسبما شاهدتم فى احوال اسلافهم لان الباطل يكون زهوقا واصله اعليون
فكرهوا الجمع بين اخت الكسرة والضمة (ان كنتم مؤمنين) والجواب محذوف دل عليه المذكور اى ان كنتم
مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدآئه ولا يتعلق
بالنهى المذكور لان الجزآء لا يتقدم على الشرط لكونهما كالكلمة الواحدة (ان يمسسكم) اى يصبكم (قرح)
فتحا وضما اى جراحة (فقد مس القوم) اى الكفار ببدر (قرح مثله) قيل قتل المسلمون من الكافرين يوم بدر
سبعين واسروا سبعين وقتل الكافرون من المسلمين باحد سبعين واسروا سبعين والمعنى ان نالوا منكم يوم احد
فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى بان لا تضعفوا
فانكم ترجون من الله ما لا يرجون (وتلك الايام) اشارة الى الايام الجارية فيما بين الامم الماضية والآتية كافة
لا الى المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم احد بل هى داخلة فيها دخولا اوليا والمراد بها اوقات الظفر والغلبة
(نداولها بين الناس) ونصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقول من قال

فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نسر

والمداولة نقل الشئ من واحد الى واحد وقالوا تداولته الايدى اى تناقلته وليس المراد من هذه المداولة
ان الله تعالى تارة ينصر المؤمنين واخرى ينصر الكافرين وذلك لان نصره تعالى منصب شريف فلا يليق
بالكافر بل المراد انه تعالى تارة يشدد المحنة على الكفار واخرى على المؤمنين وانه لو شدد المحنة على الكفار
فى جميع الاوقات وازالها عن المؤمنين فى جميع الاوقات لحصل العلم الضرورى والاضطرارى بان الايمان
حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا المعنى تارة يسلط الله المحنة على
اهل الايمان واخرى على اهل الكفر لتكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر فى الدلائل
الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه عند الله ولان المؤمن قد يقدم على بعض المعاصى فيكون تشديد المحنة
عليه فى الدنيا ادبا له واما تشديد المحنة على الكافر فانه يكون غضبا من الله (وليعلم الله الذين آمنوا) عطف على
علة محذوفة اى نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيما فعل غير واحدة
وانما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم وهو اما من باب التمثيل اى ليعاملكم معاملة من يريد ان يعلم

المخلصين الثابتين على الايمان من غيرهم او العلم فيه مجاز عن التمييز بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اى
ليميز الثابتين على الايمان من غيرهم او هو على حقيقة معتبرة من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث انه موجود
بالفعل اذ هو الذى يدور عليه فلك الجزآء لا من حيث انه موجود بالقوة فالمعنى ليعلم الله الذين آمنوا علما
يتعلق به الجزآء (ويتخذ منكم شهدآء) جمع شهيد اى ويكرم ناسا منكم بالشهادة وهم شهدآء احد (والله لا يحب
الظالمين) ونفى المحبة كناية عن البغض اى يبغض الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض
وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين
(وليمحص الله الذين آمنوا) عطف على يتخذ اى ليصفيهم ويطهرهم عن الذنوب ان كانت الدولة عليهم (ويمحق
الكافرين) ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشئ قليلا قليلا والمراد بهم الذين حاربوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم احد واصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعا قال القاشانى ومن فوآئد الابتلاء خروج
ما فى استعداداتهم من الكمالات الى الفعل كالصبر والشجاعة وقوة اليقين وقلة المبالاة بالنفس واستيلاء القلب
عليها والتسليم لامر الله وامثالها قال نجم الدين فى الكبرى ولا تهنوا يا سائرين الى الله فى السير اليه ولا تحزنوا
على ما فاتكم من التنعمات الدنيوية والكرامات الاخروية وانتم الاعلون من اهل الدنيا والآخرة فى المقام عند
ربكم ان كنتم مصدقين بهذه الاخبار تصديق الائتمار به ان يمسسكم قرح فى اثناء السير من المجاهدات وانواع
البلاء والابتلاء فقد مس القوم من الانبياء والاولياء قرح من المحن مثله وايام المحن والبلاء والابتلاء والامتحان
نداولها بين السائرين يوما نعمة ويوما نقمة ويوما منحة ويوما محنة واخبرهم بالامتحان ويجعلهم مستعدين
لمقام الشهادة ويتخذ منكم يا مبتلين بالنعمة والنقمة فى اثناء السير ارباب الشهود والمشاهدة والله لا يحب
الذين يصرفون استعدادهم فى طلب غير الحق والسير اليه وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين يعنى ان
كل غم وهم ومصيبة تصيب المؤمنين فى الله يكون تكفيرا لذنوبهم وتطهيرا لقلوبهم وتخليصا لارواحهم وتمحيصا
لاسرارهم وما يصيب الكافرين من نعمة ودولة وحبور يكون سببا لكفرانهم ومزيد الطغيانهم وعمى لقلوبهم
وتمرد النفوسهم ومحقا لارواحهم ومحقا لاسرارهم فاهل المحبة والمعرفة لا يخلون عن الابتلاء بقلة اوذلة
اوعلة فان مقتضى الحكمة ذلك الاترى الى قوله عليه السلام اشد البلاء على الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل
فالامثل حكى ان عيسى عليه السلام اجتاز جبلا فيه عابد يعبد الله عند عين من ماء لطهارته وشربه وبستان
ينبت له الهندباء لقوته فسلم عليه المسيح فرد السلام عليه فقال له منذ كم انت ههنا تعبد الله قال منذ ثمانين
سنة اسأل حاجة من الله فلم يقضها الى فقال عيسى وما هى قال ان يسكن قلبى ذرة من معرفته ومحبته فلا يفعل
وانت نبيه فسل لى هذه الحاجة فتوضأ عيسى من العين وصلى ركعتين وسأل حاجته ثم مضى وبقى ما بقى فى سفره
فلما رجع الى ذلك المكان رآه خاليا والعين غائرة والبستان خراب فقال يا رب سألتك له المعرفة والمحبة فقبضت
روحه فاوحى الله اليه يا عيسى اما علمت ان خراب الدنيا فى محبتى ومعرفتى ومن عرفنى واحبنى لا يسكن الا الى
ولا يقر قرارا فان احببت ان تراه فاشرف عليه فى هذا الوادى فاشرف عليه فاذا هو جالس قد ذهل وتحير وخرج
لسانه على صدره شاخصا بصره نحو السماء فناداه عيسى والعابد لا يسمع فناداه وحركه فلم يشعر فاوحى الله الى
عيسى فوعزتى وجلالى لو قطعته بالسيف ما شعر به لانى اسكنت قلبه معرفتى ومحبتى وهو اقل من ذرة ولو زدته
ادنى شئ لطار بين السماء والارض وطاش فانظر الى اهل الله كيف تكون دنياهم خرابا لا يخلون
من البلايا فاجتهد انت ايضا ايها العبد فى تصحيح الدين لعلك تصل الى مقام اليقين والتمكين والمجاهدة تورث
المشاهدة * چو يوسف كسى در صلاح وتميز * بسى سال بايد كه گردد عزيز (ام حسبتم) ام منقطعة
والهمزة للانكار والاستبعاد والحسبان الظن والخطاب للذين انهزموا يوم احد اى بل أظننتم (ان تدخلوا
الجنة) وتفوزوا بنعيمها (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) حال من ضمير تدخلوا مؤكدة للانكار فان رجاء
الاجر بغير عمل بعيد ممن يعلم انه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم اى لما تجاهدوا
لان وقوع الشئ يستلزم كونه معلوما لله ونفى اللازم يستلزم نفى الملزوم فنزل نفى العلم منزلة نفى الجهاد للتأكيد
والمبالغة لان انتفاء اللازم برهان على انتفاء الملزوم وفيه اشعار بان علمه تعالى بالاشياء على ما هى عليه ضرورى
يقول الرجل ما علم الله فى فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفى

الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل تقول وعدنى ان يفعل كذا ولما يفعل اى لم يفعل وانا اتوقع فعله (ويعلم الصابرين) نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع والمعنى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر على الشدآئد اى الجمع بينهما فلا ينبغى ان تحسبوا دخولها كما دخل الذين قتلوا وبذلوا مهجتهم وثبتوا على الم الجراح والضرب من غير ان تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم ومن البعيد ان يصل الانسان الى السعادة والجنة مع عدم اعمال هذه الطاعة (ولقد كنتم تمنون الموت) اى الحرب فانها من مبادى الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ماناله شهدآء بدر من الكرامة فالحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك (من قبل ان تلقوه) اى من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته (فقد رأيتموه) اى ما تتمنونه من اسباب الموت او الموت بمشاهدة اسبابه (وانتم تنظرون) معاينين مشاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم لا على تمنى الشهادة بناء على ان فى تمنيها تمنى غلبة الكافر المسلم لان قصد متمنى الشهادة الى نيل كرامة الشهدآء من غير ان يخطر بباله شئ غير ذلك فلا يستحق العتاب من تلك الجهة كما ان من يشرب دوآء الطبيب النصرانى يقصد الى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله ان فيه جر منفعة واحسانا الى عدو الله وتنفيقا لصناعته واعلم ان حاصل الكلام ان حب الدنيا لا يجتمع مع سعادة الآخرة فبقدر ما يزداد احدهما ينتقص الآخر وذلك لان سعادة الدنيا لا تحصل الا باشتغال القلب بطلب الدنيا وسعادة الآخرة لا تحصل الا بفراغ القلب من كل ما سوى الله وامتلائه من حب الله وهذان الامران مما لا يجتمعان فلهذا السر وقع الاستبعاد الشديد فى هذه الاية من اجتماعهما وايضا حب الله وحب الآخرة لا يتم بالدعوى فليس كل من اقر بدين الله كان صادقا ولكن الفصل فيه تسليط المكروهات والمحرمات فان الحب هو الذى لا ينتقص بالجفاء ولا يزداد بالوفاء فان بقى الحب عند تسلط اسباب البلاء ظهر ان ذلك الحب كان حقيقيا فلهذه الحكمة قال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بمجرد تصديقكم الرسول قبل ان يبتليكم الله بالجهاد وتشديد المحنة قال القشيرى رحمه الله من ظن انه يصل الى محل عظيم دون مقاساة الشدآئد القته امانيه فى مهواة الهلاك وان من عرف قدر مطلوبه سهل عليه بذل مجهوده قال الشاعر

وما جاد دهر بلذاته * على من يضن بخلع العذار

فالدولة العظمى هى سعادة الآخرة فانها باقية ودولة الدنيا فانية كما قيل * جهان مثال چراغيست در گذرگه باد * غلام همت آنم كه دل برو ننهاد * وسئل الشبلى عن نعت العارف فقال لسانه بذكر الله ناطق وقلبه بمحبة الله صادق وسره بوعد الله واثق وروحه الى سبيل الله سابق وهو ابدا على الله عاشق فلابد لان يكون المرؤمن العارفين من ترك الدعوى والاقبال الى المولى وبذل الروح فى طريقه (حكى) عن حاتم الاصم انه قال لقينا الترك وكان بيننا صولة فرمانى تركى بوهق فاقلبنى عن فرسى ونزل عن دابته وقعد على صدرى واخذ بلحيتى هذه الوافرة واخرج من خفه سكينا ليذبحنى قال فوحق سيدى ما كان قلبى عنده ولا عند سكينه وانا ساكت متحير اقول سيدى اسلمت نفسى اليك ان قضيت على ان يذبحنى هذا فعلى الرأس والعين انما انا لك وملكك فبينا انا اخاطب سيدى وهو قاعد على صدرى اذ رماه بعض المسلمين بسهم فما اخطأ حلقه فسقط عنى فقمت انا اليه فاخذت السكين من يده وذبحته بها فيا هؤلاء لتكن قلوبكم عند السيد حتى ترون من عجائب لطفه ما لا ترون من الآباء والامهات واعلموا ان من صبر واستسلم ظفر ومن فر اتبع فلم يتخلص ونعم العون الصبر عند الشدآئد * تحمل چو زهرت نمايد نخست * ولى شهد گردد چو در طبع رست * زعلت مدار اى خردمند بيم * چو داروى تلخت فرستد حكيم * ثبتنا الله واياكم (وما محمد) هو المستغرق لجميع المحامد لان الحمد لا يستوجبه الا الكامل والتحميد فوق الحمد فلا يستحقه الا المستولى على الامد فى الكمال واكرم الله نبيه وصفيه باسمين مشتقين من اسمه جل جلاله محمد واحمد (الا رسول) روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى الشعب من احد فى سبعمائة رجل جعل عبد الله بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين راجلا وقال اقيموا باصل الجبل وادفعوا عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ولا تنتقلوا من مكانكم حتى ارسل اليكم فلا نزال

غالبين ما دمتم فى مكانكم فجاء المشركون ودخلوا فى الحرب مع النبى عليه السلام واصحابه حتى حميت الحرب فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا وقال من يأخذه بحقه فاخذه ابو دجانة فقاتل فى نفر من المسلمين قتالا شديدا وقاتل على بن ابى طالب حتى التوى سيفه وقاتل سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه وكان النبى عليه السلام يقول لسعد ارم فداك ابى وامى فحمل هو واصحابه على المشركين فانزل الله نصره عليهم فهزموا المشركين فلما نظر الرماة الى قوم هاربين اقبلوا على النهب بترك مركزهم فقال لهم عبد الله بن جبير لا تبرحوا مكانكم فقد عهد اليكم نبيكم فلم يلتفتوا الى قوله فجاؤا لاجل الغنيمة فبقى عبد الله بن جبير مع ثمانية نفر فخرج خالد بن الوليد مع خمسين ومائتى فارس من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقى من الرماة ودخلوا خلف اقفية المسلمين فهزموهم ورمى ابن قميئة النبى عليه السلام بحجر فكسر رباعيته وشجه وفيه يقول حسان ابن ثابت

الم تر ان الله ارسل عبده * ببرهانه والله اعلى وامجد

وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وتفرق عنه اصحابه وحمل ابن قميئة لقتل النبى عليه السلام فذب عنه مصعب بن عمير صاحب الراية يومئذ فقتله ابن قميئة ورجع فظن انه كان قتل النبى عليه السلام فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل وكان ذلك ابليس فرجع اصحابه منهزمين متحيرين فاقبل انس بن النضر عم انس بن مالك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وطلحة بن عبد الله فى رجال من المهاجرين والانصار فقال لهم ما يحبسكم قالوا قتل محمد صلى الله عليه وسلم فقال ما تصنعون فى الحياة بعده موتوا كراما على ما مات عليه نبيكم ثم اقبل نحو العدو فقاتل حتى قتل قال كعب ابن مالك انا اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين رأيت عينيه من تحت المغفر تزهران ينادى باعلى صوته الى عباد الله الى عباد الله فاجتمعوا اليه فلامهم رسول الله على هزيمتهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا خبر سوء فرعبت قلوبنا له فولينا مدبرين فوبخهم الله تعالى بقوله وما محمد الا رسول كسائر الرسل (قد خلت من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه (أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم) انكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين بخلوه عليه السلام بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به (ومن ينقلب على عقبيه) بادباره عما كان يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر الجهاد وغيره (فلن يضر الله) بما فعل من الانقلاب (شيأ) اى شيأ من الضرر وانما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب والله منزه عن النفع والضرر (وسيجزى الله الشاكرين) اى الثابتين على دين الاسلام الذى هو اجل نعمة واعز معروف سموا بذلك لان الثبات عليه شكر له وايفاء لحقه وفيه ايماء الى كفران المنقلبين ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اضطرب المسلمون فمنهم من دهش ومنهم من اقعد فلم يطق القيام ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام ومنهم من انكر موته بالكلية حتى غفل عمر رضى الله عنه عن هذه الاية الكريمة عند وفاته صلى الله عليه وسلم وقام فى الناس فقال ان رجالا من المنافقين يزعمون انه عليه السلام توفى ان رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاقطعن ايدى رجال وارجلهم يزعمون ان رسول الله مات ولم يزل بكر ذلك الى ان قام ابو بكر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول قال الراوى والله لكأن الناس لم يعلموا ان هذه الاية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها ابو بكر رضى الله عنه فاستيقن الناس كلهم بموته صلى الله عليه وسلم وكانت الجمادات تتصدع من الم مفارقة الرسول فكيف بقلوب المؤمنين ولما فقده الجذع الذى يخطب عليه قبل اتخاذ المنبر حن اليه وصاح كما يصيح الصبى فنزل اليه فاعتنقه فجعل يهدى كما يهدى الصبى الذى يسكن عند بكائه وقال لو لم اعتنقه لحن الى يوم القيامة ما امر عيش من فارق الاحباب خصوصا من كانت رؤيته حياة الالباب ولما ثقل النبى عليه السلام جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة رضى الله عنها واكرب ابتاه فقال لها لا كرب على ابيك بعد اليوم فلما مات قالت يا ابتاه اجاب ربا دعاه يا ابتاه جنة الفردوس مأواه فلما دفن قالت فاطمة يا انس اطابت انفسكم ان تحثوا على نبيكم التراب وعاشت فاطمة بعد موته صلى الله

عليه وسلم ستة اشهر ثم مات جهان اى برادر نماند بكس * دل اندر جهان آفرين بند وبس * فعلى العاقل ان يتدارك حاله قبل منيته حتى لا يفتضح عند رؤس الخلائق يوم القيامة وكيف لا يسارع الى الاعمال الصالحة من يعلم ان يوم القيامة يوم يفزع فيه الانبياء والاولياء دران روز كز فعل پرسند وقول * اولوا العزم را تن بلرزد ز هول * بجايى كه وحشت خورد انبيا * تو عذر كنه راچه دارى بيا * يعنى باى عذر ترتكب الآثام ولا تبالى بحالك ثم ان الخلاص والفوز بالمرام فى الايمان التحقيقى قال الشيخ نجم الدين الكبرى الاشارة فى الآية ان الايمان التقليدى لا اعتبار له فينقلب المقلد عن ايمانه عند عدم المقلد به فمن كان ايمانه بتقليد الوالدين او الاستاذ او اهل البلد ولما يدخل الايمان فى قلبه ولم ينشرح صدره بنور الاسلام فعند انقطاعه بالموت عن هذه الاسباب المقلدة يعجز عن جواب سؤال الملكين فى قولهما من ربك فيقول هاه لا ادرى واذ يقولان ما تقول فى هذا الرجل فيقول هاه لا ادرى كنت اقول فيه ما قال الناس فيقولان له لا دريت ولا تليت زد انديكان بشنوا مى ز قول * كه فردا نكيرت بپرسد بهول * غنيمت شمار اين كرامى نفس * كه بى مرغ قيمت ندارد قفس * يعنى البدن ليس له قدر بدون الروح فلابد ان يغتنم العاقل انفاسه قبل ان يخرج الروح من قفصه (وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله) استثناء مفرغ من اعم الاسباب اى وما كان الموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الاسباب الا بمشيئته تعالى او الا باذنه لملك الموت فى قبض روحها والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى فى علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد الرسول بالحفظ وتأخير الاجل ورد على المنافقين قولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فالمجاهد لا يموت بغير اجله والمتخلف عنه لا يسلم مع حضور اجله * برو زاجل نيزه جوشن درد * زپيراهن بى اجل نكذرد (كتابا) مصدر مؤكد لما قبله اذ المعنى كتب الموت كتابا (مؤجلا) موقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ولو ساعة وبعد تحقيق ان مدار الموت والحياة على محض مشيئة الله من غير ان يكون فيه مدخل لاحد اصلا اشير الى ان توفية ثمرات الاعمال دائرة على ارادتهم ليصرفوها عن الاغراض الدنية الى المطالب السنية فقيل (ومن يرد) اى بعمله (ثواب الدنيا نؤته منها) اى من ثوابها ما نشاء ان نؤتيه اياه وفيه تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم احد (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) اى من ثوابها ما نشاء من الاضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم (وسنجزى الشاكرين) نعمة الاسلام الثابتين عليه الصارفين ما آتاهم الله من القوى والقدر الى ما خلقت هى لاجله من طاعة الله لا يلويهم عن ذلك صارف اصلا ويدخل فى جنس الشاكرين المجاهدون المعهودون من الشهداء فى احد وغيرهم والآية وان وردت فى الجهاد خاصة لكنها عامة فى جميع الاعمال وذلك لان المؤثر فى طلب الثواب والعقاب المقصود والدواعى لا ظواهر الاعمال فان من وضع الجبهة على الارض فى صلاة الظهر والشمس قدامه فان قصد بذلك السجود عبادة الله كان ذلك من اشرف دعائم الاسلام وان قصد به عبادة الشمس كان ذلك من اعظم دعائم الكفر وروى ابو هريرة عنه عليه السلام ان الله تعالى يقول يوم القيامة لمن قتل فى سبيل الله فيماذا قتلت فيقول امرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان محارب وقد قيل ذلك ثم ان الله تعالى يأمر به الى النار فالمقاتل فى سبيل الله تحقيقا هو الذى يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا لا للذكر الجميل وارائة المكان واصابة الغنيمة عبادت باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد زبى مغز پوست * بروى ريا خرقه سهلست دوخت * كرش با خدا در توانى فروخت * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا وهى راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه شمله ولا يأتيه منها الا ما كتب له وقال ايضا انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فمن عمل شوقا الى الجنة فقد رأى نعمة الجنة فثوابه فى الآخرة ومن عمل شوقا الى الحق فقد رأى نعمة وجود المنعم فثوابه فى الدنيا لانه حاضر لا غيبة له قريب لا يبعد وهو معكم اينما كنتم وقال ألا من طلبنى وجدنى ومن تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا

خليلى هل ابصرتما او سمعتما * باكرم من مولى تمشى الى عبد

الى

اتى زائرا من غير وعد وقال لى * اجلك عن تعذيب قلبك بالوعد

فعلى السالك ان يهاجر الى الله ويجاهد من غير ان يخاف لومة لائم حتى يصل الى الله ويتخلص من الاضطرار قال القاشانى فى تأويلاته من كان موقنا بسر القدر شاهد المعنى قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كان من اشجع الناس (حكى) عن حاتم الاصم انه شهد مع شقيق البلخى بعض غزوات خراسان قال فلقينى شقيق وقد حمى الحرب فقال كيف تجد قلبك يا حاتم قلت كليلة الزفاف لا افرق بين الحالتين فوضع سلاحه وقال اما انا فهكذا ووضع رأسه على ترسه ونام بين المعركة حتى سمع غطيطه وهذا غاية فى سكون القلب الى الله تعالى ووثوقه به انتهى فاذا صحح العبد باطنه يسهل الله عليه كل عسير ويسخر له كل ما يخاف منه (حكى) عن ابراهيم الرقى انه قال قصدت ابا الخير الخراسانى مسلما عليه فصلى صلاة المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستويا فقلت فى نفسى ضاعت سفرتى فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدنى السبع فعدت اليه وقلت ان الاسد قصدنى فخرج وصاح على الاسد وقال الم اقل لك لا تتعرض لاضيافى فتنحى فتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الاسد * اوليا محبوب اللهست دان * كس نيازارد حبيبش در جهان (وكأين) اصله اى دخلت الكاف عليها فحدث فيها معنى التكثير فهى بمعنى كم الخبرية (من نبى) تمييز لها والغالب فى تمييزها ان يكون مجرورا بمن ولم يجئ فى التنزيل الا كذا وحرمت لان آخره تنوين وهو لا يثبت مع الاضافة (قاتل معه ربيون كثير) خبر لقوله كأين لانها مبتدأ والفعل مسند الى ظاهره والربى منسوب الى الرب كالربانى وكسر الراء من تغييرات النسب فان العرب اذا نسبت شيأ الى شئ غيرت كما قالوا بصرى فى النسبة الى بصرة او منسوب الى الربة وهى الجماعة والمعنى كثير من الانبياء قاتل معه لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه علماء اتقياء او جماعات كثيرة (فما وهنوا) عطف على قاتل اى فما فتروا وما انكسرت همتهم (لما اصابهم) فى اثناء القتال وهو علة للمنفى دون النفى (فى سبيل الله) ان جعل الضمير ان لجميع الربيين فما فى ما اصابهم عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره اللاحقة للكل وان جعلا للبعض الباقين بعد ما قتل الآخرون فهى عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل اخوانهم والخوف والحزن وغير ذلك (وما ضعفوا) عن العدو او الجهاد او فى الدين (وما استكانوا) اى وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف لاشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والارجاف بقتل النبى عليه السلام وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بابن ابى المنافق فى طلب الامان من ابى سفيان (والله يحب الصابرين) اى على مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره فى سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم (وما كان قولهم) بالنصب خبر لكان واسمها ان وما بعدها فى قوله تعالى (الا ان قالوا) والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء اى ما كان قولا لهم عند لقاء العدو واقتحام مضايق الحرب واصابة ما اصابهم من فنون الشدائد والاهوال شئ من الاشياء الا ان قالوا (ربنا اغفر لنا ذنوبنا) اى صغائرنا (واسرافنا فى امرنا) اى تجاوزنا الحد فى ارتكاب الكبائر اضافوا الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين برآء من التفريط فى جنب الله هضما لها واستقصارا لهم واسنادا لما اصابهم الى اعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الاهم بحسب الحال من الدعاء بقولهم (وثبت اقدامنا) اى فى مواطن الحرب بالتقوى والتأييد من عندك او ثبتنا على دينك الحق (وانصرنا على القوم الكافرين) تقريبا له الى حيز القبول فان الدعاء المقرون بالخضوع الصادر عن زكاء وطهارة اقرب الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين على هذا الدعاء من غير ان يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والتزلزل فى مواقف الحرب ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى (فآتاهم الله) بسبب دعائهم ذلك (ثواب الدنيا) اى النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل (وحسن ثواب الآخرة) اى وثواب الآخرة الحسن وهى الجنة والنعيم المخلد وتخصيص وصف الحسن به للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد به عنده تعالى (والله يحب المحسنين) ومحبة الله للعبد عبارة عن رضاه عنه وارادة الخير به فهى مبدأ لكل سعادة والاشارة ان الله تعالى لما زاد لخواص عباده كرامة التخلق باخلاقه ابتلاهم بقتال العدو وثبتهم عند الملاقاة فاستخرج من معادن ذواتهم جواهر صفاته المكنونة فيها المكرمة بها بنوا آدم والصبر والاحسان من صفات الله

والله تعالى يحب صفاته ويحب من تخلق بصفاته ولهذا قال والله يحب الصابرين والله يحب المحسنين قال الامام في قوله تعالى والله يحب المحسنين فيه لطيفة دقيقة وهي ان هؤلاء اعترفوا بكونهم مسيئين حيث قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا فلما اعترفوا بذلك سماهم الله محسنين كانه تعالى يقول لهم اذا اعرفت باساءتك وعجزك فانا اصفك بالاحسان واجعلك حبيبا لنفسي حتى يعلم انه لا سبيل للعبد الى الوصول الى حضرة الله الا باظهار الذلة والمسكنة والعجز كنون بايدت عذر تقصير كفت * نه چون نفس ناطق زكفتن بخفت * تو پيش از عقوبت در عفو كوب * كه سودى ندارد فغان زير چوب * حكى ان آصف بن برخيا اذنب ذنبا يوما من الايام فاتى سليمان بن داود عليهما السلام فقال له ادع الله ان يغفر لى فدعا فغفر له ثم فعل ثانيا فغفر له بدعائه ثانيا ثم وثم الى ان اوحى الله الى سليمان عليه السلام ان لا اجيب دعوتك فى حقه ان عاد بعد فلم يمكث ان فعل مرة اخرى فجاء الى سليمان عليه السلام لكى يدعو فاخبره بان الله لا يغفر له فرفع الرجل العصا وخرج الى الصحراء وضرب العصا الى الارض ورفع يده وقال يارب انت انت وانا انا انت العائد بالمغفرة وانا العائد بالمعصية انا الضعيف المجرم وانت الغفور الرحيم ان لم تعصمنى من الذنوب فلاعودن ثم لاعودن كررها حتى غشى عليه فاوحى الله تعالى الى سليمان عليه السلام ان قل لابن خالتك ان عدت فاغفر لك ثم اغفر لك ثم اغفر لك وانا الغفار * كنونت كه چشمست اشكى ببار * زبان در دهانست عذرى بيار * فراشو چو بينى در صلح باز * كه ناكه در توبه كردد فراز * مرو زير بار كنه اى پسر * كه حمال عاجز بود در سفر * فلا يغرنك الشيطان بتزيين الدنيا عليك فانك تعلم فناءها واوحى الله الى داود عليه السلام انى منزلك وذريتك الى دار بنيتها على اربعة اركان احدها ان اخرب ما تعمرون والثانى ان اقطع ما تصلون والثالث ان اميت ما تلدون والرابع ان افرق ما تجمعون ومن الله العصمة والتوفيق الى سواء الطريق (يا ايها الذين آمنوا) نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان نبيا ما غلب وقتل فقال تعالى ايها المؤمنون (ان تطيعوا الذين كفروا) وهم المنافقون وصفوا بالكفر قصدا الى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم (يردوكم على اعقابكم) بدخولكم فى دينهم اضاف الرد اليهم لدعائهم اليه والارتداد على العقب علم فى انتكاس الامر ومثل فى الحور بعد الكور (فتنقلبوا خاسرين) كرامة الدنيا وسعادة الاخرة اما الاولى فلان اشق الاشياء على العقلاء فى الدنيا الانقياد للعدو والتذلل له واظهار الحاجة اليه واما الثانية فلانه يحرم عن الثواب المؤبد ويقع فى العذاب المخلد (بل الله مولاكم) اى ليسوا انصاركم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره فاطيعوه واستغنوا به عن موالاتهم (وهو خير الناصرين) فخصوه بالطاعة والاستعانة (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) وهو ما قذف فى قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة والرعب خوف يملأ القلب (بما اشركوا بالله) اى بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم (ما لم ينزل به) اى باشراكه (سلطانا) اى حجة وبرهانا وما مفعول بوقوع اشركوا عليه اى آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطانا واصل السلطان القوة فسلطان الملك قوته وسلطان المدعى حجته وبها يقوى على دفع المبطل وفيه ايذان بان المتبع فى الباب هو البرهان السماوى دون الآراء والاهواء الباطلة (ومأواهم) اى ما يأوون اليه فى الاخرة (النار) لا ملجأ لهم غيرها (وبئس مثوى الظالمين) والمخصوص بالذم محذوف اى النار وفى جعلها مثواهم بعد جعلها مأواهم نوع رمز الى خلودهم فيها فان المثوى مكان الاقامة المنبئة عن المكث واما المأوى فهو المكان الذى يأوى اليه الانسان والاشارة ان الله تعالى هو الذى يلقى الرعب والامن والرغبة والرهبة وغير ذلك فى قلوب العباد كما قال عليه السلام قلوب العباد بيد الله يقلبها كيف يشاء وقال ما من قلب الا بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه وان شاء ازاغه فعلى العبد ان يتضرع الى الله ويسأل منه الغلبة على النفوس الكافرة خصوصا النفس الامارة فانه ان اتبع هواها واطاعها فى مشتهاها تردها الى اسفل سافلين البشرية فينقلب خاسرا نمى تازد اين نفس سركش چنان * كه عقلش تواند كرفتن عنان * كه با نفس وشيطان برآيد بزور * مصاف پلنكان نيايد ز مور * قال الشيخ ابو على الروذبادى قدس سره دخلت الآفة من ثلاثة سقم الطبيعة وملازمة العادة وفساد الصحبة فقيل له ما سقم الطبيعة قال اكل الحرام فقيل وما ملازمة العادة قال النظر والاستماع بالحرام والغيبة فقيل

فما فساد الصحبة قال كلما هاج فى النفس شهوة تتبعها ومن لم يصحبه فى هذا الباب توفيق من ربه كان متروكا فى ظلمة نفسه الا ترى الى قوله تعالى بل الله مولاكم اى يخرجكم من ظلمات البشرية الى انوار الربوبية فمن اتبع هواه وجعله مولى لنفسه فكيف يصاحبه الخروج من الظلمات وانما ينبه ان ينقطع العبد الى مولاه الحقيق ولا يعبد الا اياه (حكى) عن الاصمعى انه قال ان فتى يجب ان لا يخرج فى سفر له فوقع فى فلاة من الارض وصاحبته امرأة فعشقته فقالت ايها الفتى هل تحسن شيأ من الشعر قال نعم قالت قل فانشد

ولست من النساء ولسن منى * ولا ابغى الفجور الى الممات

فلا لا تطمعى فيما لدينا * ولو قد طال سير فى الفلاة

فان الله يبصر فوق عرش * ويغضب للفعال الموبقات

قالت دعنا من شعرك هل تقرأ شيأ من القرآن قال نعم قالت قل فقرأ قول الله تعالى الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قالت دعنى من قراءتك هذه فرجعت وهى خائبة فانظر الى حال الفتى وتوقيه عن شهوته كيف صبر عن المعصية والله يحب الصابرين جوان جست مى بايد كه از شهوت بپرهيزد * كه پير سست رغبت را خود آلت برنمى خيزد * ولذلك قال بعض المشايخ من لم يكن فى بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة وذلك لان الزهد بعد الاربعين بارد لا يثمر نفعا كثيرا ولا يغرنك هذا الخبر ويحملك على التكاسل فان المرء لا يصل الى حيث يسقط عنه الامر والنهى والغرض هو العبادة الى ان يأتى اليقين فالشبان والشيوخ فى باب التكليف متساوون وربما يتدارك فى الشيخوخة ما لا يتدارك فى الشباب قال الحافظ الشيرازى * اى دل شباب رفت ونچيدى كلى ز عمر * پيرانه سر بكن هنرى ننك ونام را (ولقد صدقكم الله وعده) نصب على انه مفعول ثان لصدق صريحا او بنزع الجار اى فى وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين عند رجوعهم الى المدينة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله بالنصر وهو ما وعدهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من النصر حيث قال للرماة لا تبرحوا مكانكم فانا لا نزال غالبين ما دمتم فى هذا المكان وقد كان كذلك فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقون نبلهم والباقون يضربون بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعا وذلك قوله تعالى (اذ تحسونهم) اى تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه اذا ابطل حسه وذلك يكون بالقتل وهو ظرف لصدقكم (باذنه) ملتبسين بمشيئته وتيسيره وتوفيقه حال من فاعل تحسونهم (حتى) ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية (اذا فشلتم) اى جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف القلب (وتنازعتم فى الامر) اى فى امر الرسول صلى الله عليه وسلم فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون وولوا هاربين والمسلمون على اعقابهم قتلا وضربا فما موقفنا هذا وقال رئيسهم عبد الله بن جبير لا نخالف امر الرسول عليه السلام فثبت مكانه فى نفر دون العشرة من اصحابه ونفر الباقون للنهب وذلك قوله تعالى (وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون) اى من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما رأى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب وقتلوا امير الرماة ومن معه من اصحابه وقد سيق وقيد العصيان بما بعده تنبيها على عظم المعصية لانهم لما شاهدوا ان الله تعالى اكرمهم بانجاز الوعد كان من حقهم ان يمتنعوا عن المعصية وجواب اذا محذوف وهو منعكم نصره (منكم من يريد الدنيا) وهم الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب قال ابن مسعود رضى الله عنه ما علمت ان احدا منا يريد الدنيا حتى نزلت هذه الاية (ومنكم من يريد الآخرة) وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة (ثم صرفكم عنهم) عطف على الجواب المحذوف كما اشير اليه اى ردكم عن الكفار وكفكم بالهزيمة بعد ان اظفركم عليهم فحالت الريح دبورا بعد ما كانت صبا (ليبتليكم) اى يعاملكم معاملة من يمتحنكم ليظهر ثباتكم على الايمان عندها (ولقد عفا عنكم) تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة (والله ذو فضل على المؤمنين) اى شأنه ان يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم فى جميع الاحوال اديل لهم او اديل عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة بحسب اقتضاء احوالهم ذلك (اذ تصعدون) متعلق بصرفكم والاصعاد الذهاب والابعاد فى الارض (ولا تلوون على احد) اى لا تلتفتون الى ما وراءكم ولا يقف واحد منكم لواحد (والرسول يدعوكم) كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة امرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وهو الانهزام وترك قتال الكفار لا استعانة بهم (فى اخراكم)

فى ساقتكم وجماعتكم الاخرى والمعنى انه عليه السلام كان يدعوهم وهو واقف فى آخرهم لان القوم بسبب الهزيمة قد تقدموه (فاثابكم) عطف على صرفكم اى فجازاكم الله بما صنعتم (غما) موصولا (بغم) من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل النبى صلى الله عليه وسلم او غما بمقابلة غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم) اى لتتمرنوا على الصبر فى الشدآئد وتعتادوا تجرع الغموم فلا تحزنوا على نفع فات او ضر آت (والله خبير بما تعملون) اى عالم باعمالكم وبما قصدتم بها واعلم ان الصبر واليقين والتوكل على الله والاتقاء عن ميل الدنيا وزخارفها ومخالفة الرسول مستلزم لامداد النصر والظفر والفشل والتنازع والميل الى الدنيا وعصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم موجب للابتلاء والصرف عن العدو فمن اراد النصرة على الاعدآء الظاهرة والباطنة لا يسلك طريقا غير ما عينه الشارع ويرضى بالابتلاء ولا يغتم لا خرته بل يجد غم طلب الحق الذى من نعيم الدنيا والاخرة ويصبر على مقاساة الشدآئد فى باب الدين * صبر آرواز زورانه شاب * صبر كن والله اعلم بالصواب * قال ذو النون قدس سره العزيز ان ادنى منازل المريد ان الله تعالى لو ادخله النار واحاط به عذابه مع هذه الارادة لم يزد قلبه الا حباله وانسابه وشوقا اليه وكانت الجنة عنده اصغر فى جنب ارادته من خردلة بين السماء والارض فعلى السالك ان يذيق نفسه مرارة الطاعة ويدخلها فى باب التسليم ليكون عند الله عمله قدر وسبق (حكى) عن على كرم الله وجهه انه قال قالت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابى بكر الصديق رضى الله عنه يا خليفة رسول الله بم بلغت هذه المنزلة حتى سبقتنا سبقا فقال بخمسة اشياء اولها وجدت الناس صنفين مريد الدنيا ومريد العقبى فكنت انا مريد المولى والثانى مذ دخلت فى الاسلام ما شبعت من طعام الدنيا لان لذة معرفة الله شغلتنى عن لذآئذ طعام الدنيا والثالث مذ دخلت فى الاسلام ما رويت من شراب الدنيا لان محبة الله شغلتنى عن شراب الدنيا والرابع كلما استقبلنى عملان عمل الدنيا والاخرة اخترت عمل الاخرة على عمل الدنيا والخامس صحبت النبى صلى الله عليه وسلم فاحسنت صحبته اقول ولذلك لم ينفك عن ملازمة صحبته ساعة حتى دخل معه فى الغار وقاسى ما قاسى من الشدآئد فى حقه صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لم يزغ قلبه عن مواصلته قط ولم يهم بمخالفته اصلا كما وقع ذلك من بعض الصحابة كما فى المنتزمين * كيست دانى صوفىء صافى ززنك تفرقه * آنكه دارد رويك رنكى درين كاخ دورنك * نكسلد سررشته مهرش ز جانان كربفرض * روبروكيرد زيك سو شير وديكر سو بلنك * اوحى الله الى ابراهيم عليه السلام ان يا ابراهيم انت خليلى وانا خليلك فانظر فى ان لا تشغل سرك بغيرى وانا انظر فى سرك فاراه مشتغلا بغيرى فيقطع خلتى منك لان الصادق فى دعوى خلتى من لو احرق بالنار لم يجعل سره الى غيرى اجلالا لحرمتى لان كل سر انفصل ساعة عن مشاهدتى لا يصلح لمحادثتى ونظرى ثم قال له اسلم قال اسلمت لرب العالمين ثم ابتلاه حين رمى بالمنجنيق فى النار ولم يجزع على ما اصابه بل فوض امره الى الله حتى شرفه الله بالخلة وجعل النار له بردا وسلاما فحسن الرضى على ما جاء من عند الله يوصل العبد الى المقامات العالية والحالات السنية والعمدة هو التوحيد وبه تسهل قوة اليقين والوصول الى مقام الولاية وسئل يحيى ابن معاذ عن صفة الولى فقال الصبر شعاره والشكر دثاره والقرآن معينه والحكمة علمه والتوكل صابونه والفقر منيته والتقوى مطيته والغربة ملازمته والحزن رفيقه والذكر جليسه والله تعالى انيسه * قوت روح اولياذ كر حقست * پيشهٔ ايشان شكر مطلقست * كر خبردارى ز اسرار خدا * روبراه ذكر وطاعت حقيا (ثم انزل عليكم) عطف على قوله فاثابكم وانزل مجاز اى اعطى ووهب لكم ايها المؤمنون (من بعد الغم) المذكور (امنة) اى امنا نصب على المفعولية (نعاسا) بدل منها وهو الوسن قال ابو طلحة رفعت رأسى يوم احد فجعلت لا ارى احدا من القوم الا وهو يميد تحت جحفته من النعاس وكنت ممن القى عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدى فاخذه ثم يسقط السوط فاخذه وفيه دلالة على ان من المؤمنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه قوله تعالى (يغشى طائفة منكم) وهم المهاجرون وعامة الانصار ولا يقدح ذلك فى عموم الانزال للكل والجملة فى محل النصب على انها صفة انعاسا (وطائفة) مبتدأ وهم المنافقون (قد اهمتهم انفسهم) اى اوقعتهم فى الهموم والاحزان او ما بهم الا هم انفسهم وقصد خلاصها (يظنون بالله) حال من ضمير اهمتهم (غير الحق) غير الظن الحق الذى يجب ان يظن به سبحانه (ظن الجاهلية) بدل منه وهو الظن المختص

بالملة

بالملة الجاهلية واهلها (يقولون) بدل من يظنون اى لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد (هل لنا من الامر) اى من امر الله تعالى ووعده من النصر والظفر (من شئ) من نصيب قط (قل ان الامر كله لله) اى الغلبة بالاخرة لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون (يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك) حال من ضمير يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب (يقولون) كانه قيل اى شئ يخفون فقيل يحدثون انفسهم او يقول بعضهم لبعض فيما بينهم خفية (لو كان لنا من الامر شئ) كما وعد محمد صلى الله عليه وسلم من ان الغلبة لله ولاوليائه وان الامر كله لله (ما قتلنا ههنا) ما غلبنا او ما قتل من قتل منا فى هذه المعركة على ان النفى راجع الى نفس القتل لا الى وقوعه فيها فقط او لو كان لنا اختيار فى الخروج وتدبير لم نبرح كما كان رأى ابن ابى وغيره (قل) يا محمد تكذيبا لهم وابطالا لمعاملتهم (لو كنتم فى بيوتكم) اى لو لم تخرجوا الى احد وقعدتم بالمدينة كما تقولون (لبرز) اى لخرج (الذين كتب عليهم القتل) اى فى اللوح المحفوظ بسبب من الاسباب الداعية الى البروز (الى مضاجعهم) الى مصارعهم التى قدره الله تعالى فيها وقتلوا هنالك البتة ولم تنفع العزيمة على الاقامة بالمدينة قطعا فان قضاء الله لا يرد وحكمه لا يعقب (وليبتلى الله ما فى صدوركم) علة لفعل مقدر قبلها معطوفة على علل لها اخرى مطوية للايذان بكثرتها كانه قيل فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلى اى ليعاملكم معاملة من يبتلى ما فى صدوركم من الاخلاص والنفاق ويظهر ما فيها من السرآئر (وليمحص ما فى قلوبكم) من مخفيات الامور ويكشفها او يخلصها من الوساوس (والله عليم بذات الصدور) اى السرآئر والضمائر اى لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها (ان الذين تولوا) اعرضوا (منكم يوم التقى الجمعان) من المسلمين والكافرين وهم الذين انهزموا يوم احد (انما استزلهم الشيطان) اى انما كان سبب انزلالهم ان الشيطان طلب منهم الزلل ودعاهم اليه (ببعض ما كسبوا) من الذنوب والمعاصى التى هى مخالفة امر النبى عليه السلام وترك المركز والحرص على الغنيمة والحياة فحرموا التأييد وقوة القلب (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم واعتذارهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والنكتة فيه ان الشيطان خلق من النار فبالشيطان ونار وسوسته استخرج من معدن الانسان حديد ما كسبوا من التولى ليجعله مرءآة ظهور صفاته العفو والمغفرة والحلم وهذا قوله عليه السلام لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم ليعلم ان الله تعالى فى كل شئ من الخير والشر اسرارا لا يبلغ كنهها الا هو ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء والشيطان لا يقدر على اغوآء المخلصين من اهل اليقين والنورانيين وما لم يكن فى القلب ظلمة وشوب من الهوى بسبب ارتكاب الذنوب لم يكن له مجال للوسوسة فالسالكون الذين نجوا من ظلمات النفس لا يقدر الشيطان ان يقرب منهم فضلا عن وسوستهم قيل رأى الجنيد ابليس فى منامه عريانا فقال الا تستحيى من الناس فقال هؤلاء ناس الناس اقوام فى مسجد الشونيزية انحلوا جسدى واحرقوا كبدى قال الجنيد فلما انتبهت غدوت الى المسجد فرأيت جماعة وضعوا رؤسهم على ركبهم متفكرين فلما رأونى قالوا لا يغرنك حديث الخبيث فاذا تنور القلب بنور المعرفة لا يحوم حوله بالوسوسة الشيطان النارى وعن ابى سعيد الخراز قدس سره قال رأيت ابليس فى المنام فاخذت عصاى لاضربه فقيل لى انه لا يفزع من هذا انما يخاف من نور يكون فى القلب قال حجة الاسلام الغزالى فى الاحياء حكى ان ابليس بث جنوده فى وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال ما شأنكم قالوا ما رأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيأ وقد اتعبونا فقال انكم لا تقدرون عليهم وقد صحبوا نبيهم وشهدوا نزول الوحى ولكن سيأتى بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسرين فقالوا ما رأينا اعجب من هؤلاء نصيب منهم الشئ بعد الشئ من الذنوب فاذا آن آخر النهار اخذوا فى الاستغفار فتبدل سيئاتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيأ لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ولكن سيأتى بعد هؤلاء قوم تقر اعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة اهوآئهم كيف شئتم لا يستغفرون فيغفر لهم فلا يتوبون فتبدل سيئاتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرون الاول فبث فيهم الاهوآء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون عنها فسلط ابليس عليهم الاعدآء وقادوهم حيث شاؤا * نه ابليس در حق ما طعنه زد * كزينان نيايد بجز كار بد * فغان از بديها كه در نفس ماست * كه ترسم شود ظن ابليس

رامت * چو ملەون پسند آمدش قهرما * خدایش براند اخت ازبهر ما * بگابرسر ادیم ازین عار وتنك * كه باوبصلحیم وباحق بجنك * من بستان السعدى (یاایها الذین امنوا لاتكونوا كالذین كفروا) وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا (وقالوا لاخوانهم) لاجل اخوانهم وفى حقهم ومعنى الاخوة اتفاقهم نسبا اومذهبا اوعقيدة (اذا ضربوا فى الارض) اى سافروا فيها وابعدوا للتجارة وسائر المهام فماتوا فى سفرهم (اوكانوا) اى اخوانهم (غزى) جمع غازى كعفى جمع عافى وسجد جمع ساجد اى اذا خرجوا الى الغزو فقتلوا (لو كانوا عندنا) اى مقيمين بالمدينة (ماماتوا) فى سفرهم (وماقتلوا) فى الغزو وليس المقصود بالنهى عدم مماثلتهم فى النطق بهذا القول بل فى الاعتقاد بمضمونه والحكم بموجبه (ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة كما فى قوله ربيته ليؤذينى وليست لام العلة والغرض لانهم لم يقولوه لذلك وانما قالوه لتثبيط المؤمنين عن الجهاد والمعنى انهم قالوا ذلك القول واعتقدوه لغرض من اغراضهم فكان عاقبة ذلك القول ومصيره الى الحسرة وهى اشد الندامة التى تقطع القوة والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك اصلا ووجه كون تكلم ذلك الكلام حسرة فى قلوبهم زاعمين ان من مات اوقتل منهم انما مات اوقتل بسبب تقصيرهم فى منع هؤلاء القتلى عن السفر والغزو ومن اعتقد ذلك لاشك انه يزداد حسرته وتلهفه واما المسلم الذى يعتقد ان الموت والحياة لايكون الا بتقدير الله وقضائه لايحصل فى قلبه هذه الحسرة (والله يحيى ويميت) رد لقولهم الباطل اى هو المؤثر فى الحياة والممات وحده من غير ان يكون للاقامة اوللسفر مدخل فى ذلك فانه تعالى قد يحيى المسافر والغازى مع اقتحامهما لموارد الحتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة اى بسا اسب تيزروكه بماند * كه خرلنك جان بمنزل برد * بس كه در خاك تن درستان را * دفن كردند وزخم خورده نمرد (والله بما تعملون بصير) فلا تكونوا مثل هؤلاء المنافقين (ولئن قتلتم فى سبيل الله اومتم) فى سبيله وانتم مؤمنون واللام هى الموطئة للقسم المحذوف وجوابه قوله تعالى (لمغفرة من الله ورحمة) وحذف جواب الشرط لسد جواب القسم مسده لكونه دالا عليه والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل اصلا ولئن وقع ذلك بامر الله تعالى لنفحة يسيرة من مغفرة ورحمة كائنتين من الله تعالى بمقابلة ذلك (خير مما يجمعون) اى الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة اعمارهم فان قيل كيف تكون المغفرة موصوفة بانها خير مما يجمعون ولا خير فيما يجمعون اصلا قلنا ان الذى يجمعونه فى الدنيا قد يكون من باب الحلال الذى يعد خيرا وايضا هذا وارد على حسب قولهم ومعتقدهم ان تلك الاموال خيرات فقيل المغفرة خير من هذه الاشياء التى تظنونها خيرات (ولئن متم اوقتلتم) اى على اى وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الارادة الالهية (لالى الله) اى الى المعبود بالحق العظيم الشان الواسع الرحمة الجزيل الاحسان (تحشرون) لا الى غيره فيوفى اجوركم ويجزل لكم عطاياكم واعلم ان هذه الآيات على ترتيب انيق فانه قال فى الآية الاولى لمغفرة من الله وهى التجاوز عن السيئات وذلك اشارة الى من يعبد الله خوفا من عقابه ثم قال ورحمة وهى التفضل بالمثوبات وهو اشارة الى من يعبده لطلب ثوابه ثم قال فى آخر الآية لالى الله تحشرون وهو اشارة الى من يعبد الله لمجرد الربوبية والعبودية وهذا اعلى المقامات قال عبد الرحمن الجامى جانا ز در تو دور نتوانم بود * قانع ببهشت وحور نتوانم بود * سر بردر تو بحكم عشقم نه بمزد * زين درجه كم صبور نتوانم بود * فبين الحشر الى مغفرة الله والحشر الى الله فرق كثير روى ان عيسى ابن مريم عليه السلام مر باقوام نحفت ابدانهم واصفرت وجوههم ورأى عليهم آثار العبادة فقال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال هو اكرم من ان لا يخلصكم من عذابه ثم مر باقوام آخرين فرأى عليهم تلك الآثار فسألهم فقالوا نطلب الجنة والرحمة فقالوا هو اكرم من ان يمنعكم رحمته ثم مر بقوم ثالث ورأى آثار العبودية عليهم اكثر فسألهم فقالوا نعبده لانه آلهنا ونحن عبيده لا لرغبة ولا لرهبة فقال انتم العبيد المخلصون والمتعبدون المحقون * كر كند جاى بدل عشق جمال ازلت * چشم اميد بحوران بهشتى نتهى * كى مسلم شودت عشق جمال ازلى * تابر آفاق همه تهمت زشتى ننهى (حكى) ان امرأة قالت لجماعة ما السخاء عندكم قالوا بذل المال قالت هو سخاء اهل الدنيا والعوام فما سخاء الخواص قالوا بذل المجهود فى الطاعة قالت ترجون الثواب قالوا نعم قالت تأخذون العشرة بواحد لقوله تعالى فمن جاء بالحسنة فله عشر امثالها

فاين السخاء قالوا فما عندك قالت العمل لله لا للجنة ولا للنار ولا للثواب وخوف العقاب وذلك لا يكون الا بالتجريد والتفريد والوصول الى حقيقة الوجود فعلى السالك ان يعرض عن الدنيا والآخرة ويقبل على الله حتى يكشف عن وجهه الحجاب ويصل الى رب الارباب قال الامام فى تفسيره الانسان اذا توجه الى الجهاد اعرض قلبه عن الدنيا واقبل على الآخرة فاذا مات فكأنه تخلص من العدو ووصل الى المحبوب واذا جلس فى بيته خائفا من الموت حريصا على جمع الدنيا فاذا مات فكأنه حجب عن المعشوق والقى فى دار الغربة ولا شك فى كمال سعادة الاول وكمال شقاوة الثانى انتهى فحشر الغافلين بالحجاب وحشر الواصلين باظهار الجناب فمن كان فى هذه الدنيا اعمى بحب المال والمنال كان فى الآخرة محجوبا عن مشاهدة الجمال (فبما رحمة من الله لنت لهم) ما مزيدة للتأكيد اى فبرحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى وهى ربطه على جاشه وتخصيصه بمكارم الاخلاق كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق والتلطف بعدما كان منهم ما كان من مخالفة امرك واسلامك للعدو (ولو) لم تكن كذلك بل (كنت فظا) جافيا فى المعاشرة قولا وفعلا (غليظ القلب) قاسيه غير رقيق فالفظ سيء الخلق وغليظ القلب هو الذى لا يتأثر قلبه من شئ فقد لا يكون الانسان سيء الخلق ولا يؤذى احدا ولكنه لا يرق لهم ولا يرحمهم فظهر الفرق بينهما (لانفضوا من حولك) اى لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا اليك وترددوا فى مهاوى الردى (فاعف عنهم) فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم (واستغفر لهم) فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم (وشاورهم فى الامر) اى استخرج آراءهم واعلم ما عندهم فى امر الحرب اذ هو المعهود اوفيه وفى امثاله مما تجرى فيه المشاورة عادة استظهارا بارائهم وتطييبا لقلوبهم ورفعا لاقدارهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة (فاذا عزمت) اى عقيب المشاورة على شئ واطمأنت به نفسك (فتوكل على الله) فى امضاء امرك على ما هو ارشد واصلح فان ما هو اصلح لك لا يعلمه الا الله لا انت ولا من تشاور (ان الله يحب المتوكلين) عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خير لهم وصلاح والتوكل تفويض الامر الى الله والاعتماد على كفايته قال الامام دلت الآية على انه ليس التوكل ان يهمل الانسان نفسه كما يقوله بعض الجهال والا فكان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل بل التوكل هو ان يراعى الانسان الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحكمة واعلم ان الله تعالى بين ان اصحاب النبى عليه السلام يتفرقون عنه لو كان فظا غليظا مع ان اتباعه دين وفراقه كفر فكيف يتوقع من يعامل الناس على خشونة اللفظ مع قسوة القلب ان ينقاد الناس كلهم له ويتابعوه ويطاوعوه فاللين فى القول انفذ فى القلوب واسرع الى الاجابة وادعى الى الطاعة ولذلك امر موسى وهرون به فقال فقولا له قولا لينا * بنرمى ز دشمن توان كند پوست * چو با دوست سختى كنى دشمن اوست * چو سندان كسى سخت رويى نبرد * كه خايسك تأديب بر سر نخورد * قال الامام فى تفسيره اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى اهمال حق من حقوق الله فاما اذا ادى الى ذلك لم يجز قال الله تعالى يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال للمؤمنين فى اقامة حد الزنى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله والتحقيق ان طرفى الافراط والتفريط مذمومان والفضيلة فى الوسط فورود الامر بالتغليظ مرة واخرى بالنهى عنه انما كان لاجل ان يتباعد عن الافراط والتفريط فيبقى على الوسط الذى هو الصراط المستقيم ولهذا السر مدح الله تعالى الوسط فقال وكذلك جعلناكم امة وسطا قال عليه السلام لا تكن مرا فتعق ولا حلوا فتسترط * چو نرمى كنى خصم كردد دلير * وكر خشم كيرى شوند از تو سير * درشتى ونرمى بهم در بهست * چو رك زن كه جراح ومرهم نهست * واعلم ان المقصود من البعثة ان يبلغ الرسول تكاليف الله الى الخلق وهذا المقصود لا يتم الا اذا مالت قلوبهم اليه وسكنت نفوسهم لديه وهذا لا يتم الا اذا كان كريما رحيما يتجاوز عن ذنبهم ويعفو عن اساءتهم ويخصهم بوجوه البر والمكرمة والشفقة فلهذه الاسباب وجب ان يكون الرسول متبرئا عن سوء الخلق وحيث يكون كذلك وجب ان يكون غير غليظ القلب بل يكون كثير الميل الى اعانة الضعفاء كثير القيام باعانة الفقراء كثير التجاوز عن سيئاتهم كثير الصفح عن زلاتهم فلهذا المعنى قال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولو انفضوا من حولك فات المقصود من البعثة والرسالة وهكذا ينبغى ان يكون علماء الآخرة الوارثون والمشايخ فان الناس على دين متبوعهم فى الظاهر والباطن وقلما يوجد من يتصف بالاخلاق الحسنة من المشايخ والعلماء فى هذا

الزمان الامن عصمه الله وهداه الى التمسك بالشريعة والتحقق بآداب الحقيقة وهذه الحال ليس الا واحد بعد واحد روى انه خلا باحنف المضروب به المثل فى الحلم رجل فسبه سبا قبيحا فقام الاحنف وهو يتبعه فلما وصل الى قومه وقف وقال يا اخى ان كان قد بقى من قولك فضلة فقل الآن ولا يسمعك قومى فتؤذى فانظر الى خلق الاحنف كيف عامل مع الرجل وجامل وقال له رجل دلنى على المروءة فقال عليك بالخلق الفسيح والكف عن القبيح قال نجم الدين الكبرى فى تأويلاته كل لين يظهر فى قلوب المؤمنين بعضهم على بعض فهو رحمة الله ونتيجة لطفه مع عباده لامن خصوصية انفسهم فان النفس لامارة بالسوء وان كانت نفس الانبياء عليهم السلام انتهى وفى هذا الكلام تنبيه على ان الانبياء وان كان سلوكهم من النفس المطمئنة الى الراضية والمرضية والصافية الى ان بلغوا مبلغ النبوة والرسالة لكن نفوسهم متصفة بالامارية كسائر الناس ولكن الله يعصمهم عن مقتضاها فافهم فانه محل اعتبار وامعان (ان ينصركم الله) النصر نوعان معونة ومنع اى ان يعنكم الله ويمنعكم من عدوكم كما فعل ذلك يوم بدر (فلا غالب لكم) فلا احد يغلبكم (وان يخذلكم) الخذلان القعود عن النصرة والاسلام للهلكة اى ان يترككم فلم ينصركم كما فعله يوم احد (فمن ذا الذى ينصركم) استفهام انكارى مفيد لانتفاء الناصر ذاتا وصفة بطريق المبالغة (من بعده) اى من بعد خذلانه وهذا تنبيه على ان الامر كله لله ولذا امر بالتوكل عليه فقال (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وامنوا به من قبل ومن التوكل ان لا تطلب لنفسك ناصرا غير الله تعالى ولا لرزقك خازنا غيره ولا لعملك شاهدا غيره وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل سبعون الفا من امتى الجنة بغير حساب قيل يا رسول الله من هم قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقال عكاشة بن محصن يا رسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم قال انت منهم ثم قال آخر فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وعن بعضهم قال كنت فى البادية فتقدمت القافلة فرأيت قدامى واحدا فسارعت حتى ادركته فاذا هو امرأة بيدها ركوة وعكازة تمشى على الرعدة فظننت انها اعيت فادخلت يدى فى جيبى فاخرجت عشرين درهما فقلت خذى هذه وامكثى حتى تلحقك القافلة فتكترى بها ثم ائتنى الليلة حتى اصلح امرك فقالت بيدها هكذا فى الهوى فاذا فى كفها دنانير فقالت انت اخذت الدراهم من الجيب وانا اخذت الدنانير من الغيب قال الحافظ الشيرازى برواز خانه كردون بدرونان مطلب * كاين سيه كاسه درآخر بكشد مهمانرا * قال القشيرى حقيقة النصر ان ينصرك على نفسك فانها اعدى عدوك وهى ان يهدم عنك دواعى فتنتها بعواصم رحمته حتى ينفض جنود الشهوات بهجوم وفور المنازلات فتبقى الولاية لله تعالى خالصة من رعونات الدواعى التى هى اوصاف البشرية وشهوات النفوس وان يخذلكم فالخذلان التخلية بينه وبين المعاصى فمن نصره قبض على يده عند الهم بتعاطى المكروه ومن خذله القى حبله على غاربه ووكله الى سوء اختياره فيهيم على وجهه فى فيافى البعد فتارة يشرق غير محتشم وتارة يغرب غير محترم ومن سيبه الحق فلا آخذ ليده ولا جابر لكسره وعلى الله فليتوكل المؤمنون فى وجدان الامان من هذه الاخطار عند صدق الابتهال واسبال ثوب العفو على الاجرام عند خلوص الالتجاء بالتبرى عن الحول والقوة ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم جهان آفرين كرنه يارى كند * كجا بنده پرهيز كارى بود (وما كان لنبى) اى وما صح لنبى من الانبياء عليهم السلام وما استقام له (ان يغل) اى يخون فى المغنم فان الغلول هو اخذ شىء من مال الغنيمة خفية والخيانة لكونهما سببا للعار فى الدنيا وللنار فى العقبى تنافى منصب النبوة التى هى اعلى المناصب الانسانية والمراد اما تنزيه ساحة رسول الله عليه السلام عما ظن به الرماة يوم احد حتى تركوا المركز وافاضوا فى الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيأ فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امرى فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم بينكم واما المبالغة فى النهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روى انه بعث طلائع فغنم النبى صلى الله عليه وسلم بعدهم فقسمها بين الحاضر ولم يترك للطلائع شيأ فنزلت والمعنى ما كان لنبى ان يعطى قوما من العسكر ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بين الكل

بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظا وتقبيحا لصورة الامر (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) اى يأت بالذى غل بعينه يحمله على عنقه فيفتضح به على رؤس الاشهاد وهو كقوله عليه السلام من غصب قدر شبر من الارض طوقه الله يوم القيامة من سبع ارضين قال عليه السلام من بعثناه على عمل فغل شيأ جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقال صلى الله عليه وسلم هدايا الولاة غلول اى قبول الولاة الهدايا غلول لانه فى معنى الرشوة وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ألا لا اعرفن احدكم يأتى ببعير له رغاء وبقرة له خوار وشاة لها ثغاء فينادى يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيأ بلغتك وقيل لابى هريرة رضى الله عنه كيف يأتى بما غل وهو كثير بان غل اموالا جمة فقال ارأيت من كان ضرسه مثل احد وفخذه مثل ورقان وساقه مثل جبل ومجلسه ما بين المدينة وربذة ان يحمل مثل هذا ويجوز ان يراد بما احتمل من وباله واثمه (ثم توفى كل نفس ما كسبت) اى تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا او شرا كثيرا او يسيرا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى (وهم) اى كل الناس المدلول عليهم بكل نفس (لا يظلمون) بزيادة عقاب او بنقص ثواب (افمن اتبع رضوان الله) الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف والتقدير امن اتقى فاتبع رضوان الله اى سعى فى تحصيله وانتحى نحوه حيثما كان يفعل الطاعات ويترك المنكرات كالنبى ومن سير بسيرته (كمن باء) اى رجع (بسخط) غضب عظيم لا يقادر قدره كائن (من الله) بسبب معاصيه كالغال ومن تدين بدينه والمراد انهما لا يستويان (ومأواه) اى مأوى من باء بسخط من الله (جهنم وبئس المصير) والفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع (هم) راجع الى الموصولين باعتبار المعنى (درجات عند الله) اى طبقات مختلفة متفاوتة فى علمه وحكمه تعالى شبهوا فى تفاوت الاحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وايذانا بان بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات ومراتب الخلق فى اعمال المعاصى والطاعات متفاوتة فوجب ان تتفاوت مراتبهم فى درجات العقاب والثواب لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره والمعنى ذو درجات (والله بصير بما يعملون) من الاعمال ودرجاتها فمجازيهم بحسبها واعلم ان الغلول من الكبائر والغال خائن ومن حاله ان يكون الغالب عليه النفس وهواها والانبياء منسلخون عن صفات البشرية متصفون بصفات الربوبية معصومون عن الرذائل وصفات النفس ودواعى الشيطان قائمون بالله فلا يمكن صدور امثال ذلك منهم فالنبى فى جنة الصفات ومقام الرضوان والغال فى جحيم النفس وهاوية الهوى فلا يساوى حال الغال احوال الانبياء ولذلك قال هم درجات عند الله فعلى العاقل ان يسارع الى تكميل الدرجات والوصول الى احسن الحالات قالوا اهل الجنة اربعة اصناف الرسل والانبياء ثم الاولياء وهم اتباع الرسل على بصيرة وبينة من ربهم ثم المؤمنون وهم المصدقون بهم عليهم السلام ثم العلماء بتوحيد الله انه لا اله الا هو من حيث الادلة العقلية وهم المراد باولى العلم فى قوله تعالى شهد الله وفيهم يقول الله يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وهؤلاء الطوائف الاربع يتميزون فى جنات عدن عند رؤية الحق فى الكثيب الابيض وهم فيه على اربعة مقامات طائفة منهم اصحاب منابر وهى الطبقة العليا الرسل والانبياء والطائفة الثانية هم الاولياء ورثة الانبياء قولا وعملا وحالا وهم اصحاب الاسرة والعرش والطبقة الثالثة العلماء بالله من طريق النظر البرهانى العقلى وهم اصحاب الكرسى والطبقة الرابعة هم المؤمنون المقلدون فى توحيدهم ولهم المراتب وهم فى المحشر مقدمون على اصحاب النظر العقلى وهم فى الكثيب يتقدمون على المقلدين * قيامت كه نيكان باعلى رسند * زقعر ثرا بر ثريا رسند * ترا خود بماند سر از ننك پيش * كه كردت برآيد عملهاى خويش * قيامت كه بازار مينو نهند * منازل باعمال نيكو نهند * والخلق متفاوتون فى الاعمال وتفاضلهم على مراتب فمنها بالسن ولكن فى الطاعة والاسلام فيفضل الكبير السن على الصغير السن اذا كانا على مرتبة واحدة من العمل ومنها بالزمان فان العمل فى رمضان وفى يوم الجمعة وفى ليلة القدر وفى عشر ذى الحجة وفى عاشوراء اعظم من سائر الايام والازمان ومنها بالمكان فالصلاة فى المسجد الحرام افضل منها فى مسجد المدينة وهى من الصلاة فى المسجد الاقصى وهى منها فى سائر المساجد ومنها بالاحوال فان الصلاة بالجماعة افضل من صلاة الشخص وحده ومنها بنفس الاعمال فان الصلاة افضل من اماطة الاذى ومنها فى العمل الواحد فالمتصدق

على رحمه صاحب صلة رحم وصدقة وكذا من اهدى هدية لشريف من اهل البيت افضل من ان يهدى لغيره
واحسن اليه ومن الناس من يجمع فى الزمن الواحد اعمالا كثيرة فيصرف سمعه وبصره ويده فيما ينبغى فى زمان
صومه وصدقته بل فى زمان صلاته فى زمان ذكره فى زمان نيته من فعل وترك فيوجر فى الزمان الواحد
من وجوه كثيرة فيفضل غيره ممن ليس كذلك بضاعت بجندانكه ارى برى * اكرمفلسى شرمسارى
برى * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من يوم يأتى على ابن آدم الا ينادى فيه يا ابن آدم انا خلق
جديد وانا فيما تعمل عليك غدا شهيد فاعمل فى خيرا اشهد لك به غدا فانى لو قد مضيت لم ترنى ابدا ويقول الليل
مثل ذلك فاعمل يا اخى عمل من يعلم انه راجع الى الله وقادم عليه يجازى على الصغير والكبير والقليل والكثير وقد
قال تعالى والله بصير بما يعملون فينبغى ان لا يغفل الانسان فى كل ساعاته (لقد من الله على المؤمنين) جواب
قسم محذوف اى والله لقد انعم الله على من آمن مع الرسول عليه السلام من قومه وتخصيصهم بالامتنان مع
عموم نعمة البعثة للاسود والاحمر لزيادة انتفاعهم بها (اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم) اى من نسبهم او من
جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة مفتخرين به وفى ذلك
شرف عظيم لهم قال الله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقرئ من انفسهم اى اشرفهم فانه صلى الله عليه وسلم
كان من اشرف قبائل العرب وبطونها (يتلو عليهم آياته) اى القرآن بعدما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحى
(ويزكيهم) اى يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال واوضار الاوزار (ويعلمهم الكتاب والحكمة)
اى القرآن والسنة (وان كانوا من قبل) اى من قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وتزكيته وتعليمه (لفى ضلال
مبين) بين لا ريب فى كونه ضلالا وان هى المخففة من الثقيلة وضمير الشان محذوف واللام فارقة بينها وبين
النافية واعلم ان الله تعالى ارسل محمدا الى اقوام عتاة اشراس فذلل منهم كل من عتا وعاس ونكس بمولده
الاصنام على الراس وانشق ايوان كسرى وسقطت منه اربع عشرة شرافة بعدد من سيملك من الناس وخمدت
نار فارس وبحيرة ساوة غاضت على غير القياس واختاره مولاه وقدمه على الخلق فهو بمنزلة العين من الراس
وايام دولته كايام التشريق وليلات الاعراس فتعجبت قريش من غنى بالفضل بعد فقر الافلاس فرماهم القرآن
بسهام الجدل لا عن اقواس اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس فهو رحمة عامة للانام وله
خطر جليل عند الخواص والعوام وفيما خطب به ابو طالب فى تزويج خديجة رضى الله عنها وقد حضر معه بنوا
هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا
حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ابن اخى هذا محمد بن
عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وعن عائشة رضى الله
عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى جبريل يا محمد قلبت الارض مشارقها ومغاربها فلم اجد
رجلا افضل من محمد ولم اجد بنى اب افضل من بنى هاشم آدم ومن دونه تحت اللوا * زانكه بهر اوست خلق
ماسوا * وعن ابن عباس رضى الله عنه ان قريشا كانت نورا بين يدى الله قبل ان يخلق آدم بالفى عام يسبح ذلك
النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم القى ذلك النور فى صلبه نور بهار عالم نوبهار آدم وذكر ان
عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم بينا هو نائم فى الحجر انتبه مذعورا قال العباس فتبعته وانا يومئذ غلام
اعقل ما يقال فاتى كهنة قريش فقال رأيت كان سلسلة من فضة خرجت من ظهرى ولها اربعة اطراف طرف
قد بلغ مشارق الارض وطرف قد بلغ مغاربها وطرف قد بلغ عنان السماء وطرف قد جاوز الثرى فبينا انا انظر
عادت شجرة خضراء لها نور فبينا انا كذلك قام على شيخان فقلت لاحدهما من انت قال انا نوح نبى رب العالمين
وقلت للآخر من انت قال ابراهيم خليل رب العالمين ثم انتبهت قالوا ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك نبى
يؤمن به اهل السموات واهل الارض ودلت السلسلة على كثرة اتباعه وانصاره وقوتهم لتداخل حلق السلسلة
ورجوعها شجرة تدل على ثبات امره وعلو ذكره وسيهلك من لم يؤمن به كما هلك قوم نوح وستظهر به
ملة ابراهيم والى هذا وقعت اشارة النبى عليه السلام يوم حنين حيث قال انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب
كانه يقول انا ابن صاحب تلك الرؤيا مفتخرا بها لما فيها من علم نبوته وعلو كلمته ثم انه لا نهاية لاوصافه الشريفة
واخلاقه الحميدة وانما الكلام فى ان يكون المرء ممتثلا بمحبته مقتفيا بآثار سنته حتى يكون من امته حقيقة

والخدمة فى عتبة بابه من جهة الشريعة والطريقة من اقوى الوسائل الى الوصول حكى ان مريدا ادعى قال
ان شيخى يعرف مقامى فى هذه الطريقة واستحقاقى للخلافة والنصب فى مقام الارشاد فما له لا يجيزنى بالخلافة
فسمع ذلك شيخه فاستخدمه اياما فاظهر ذلك الصوفى الكسل فى خدمته ولم يخدمه بالشوق والاجتهاد فرأى
حاله الشيخ فقال منكر الما ادعاه من لا يقدر على خدمة الخلق كيف يقدر على خدمة الخالق فانظر كيف
جعل خدمة الخلق من اسباب خدمة الخالق والوصول اليه رهكذا من كان فى قلبه ميل الى وصول الحق
فلا بد له ان يرجع اولا الى خدمة شريعة النبى صلى الله عليه وسلم وسنته حتى يحبه النبى عليه السلام فيحبه الله
محالست سعدى كه راه صفا * توان رفت جز در پى مصطفا * شرفنا الله واياكم برعاية سننه وآدابه
والاقتفاء بآثار آله واصحابه انه المنان جزيل الاحسان واسع الغفران فى كل زمان (اولما اصابتكم مصيبة قد
اصبتم مثليها قلتم انى هذا) الواو عاطفة لمدخولها على محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم مضاف الى ما بعده وقد
اصبتم فى محل الرفع على انه صفة المصيبة والمراد بها ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم وبمثليها ما اصاب
المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم واسر سبعين وانى هذا مقول قلتم والمعنى احين اصابكم من المشركين
نصف ما قد اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من اين اصابنا هذا فالهمزة للتقرير والتقريع على قولهم لو كان
رسولا من عند الله لما انهزم عسكره من الكفار يوم احد وادى ذلك الى ان قالوا من اين هذه المغلوبية
للمشركين فكيف صاروا منصورين علينا مع شركهم وكفرهم بالله ونحن ننصر رسول الله ودين الاسلام
وهو استفهام على سبيل الانكار فامر الله تعالى رسوله عليه السلام بان يجيب عن سؤالهم الفاسد (قل هو
من عند انفسكم) اى هذا الانهزام انما حصل بشؤم عصيانكم حيث خالفتم الامر بترك المركز والحرص على
الغنيمة (ان الله على كل شئ قدير) ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن
الطاعة اصابكم منه تعالى ما اصابكم (وما اصابكم يوم التقى الجمعان) اى جمعكم وجمع المشركين يريد يوم احد
(فبأذن الله) اى فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماه اذنا لانها من لوازمه (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين
نافقوا) اى وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء (وقيل لهم) عطف على نافقوا داخل معه
فى هذه الصلة وهم عبد الله بن ابى واصحابه حيث انصرفوا يوم احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم
عبد الله بن حرام اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك قوله تعالى (تعالوا قاتلوا فى سبيل
الله او ادفعوا) عنا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه (قالوا)
حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) اى لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم
فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء النفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا
واستهزاء (هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان) ومعنى كون قربهم الى الكفر ازيد يومئذ من قربهم الى الايمان
انهم كانوا قبل ذلك الوقت كاتمين للنفاق فكانوا فى الظاهر ابعد من الكفر فلما ظهر منهم ما كانوا يكتمون
صاروا اقرب للكفر فان كل واحد من انخذالهم برجوعهم عن معاونة المسلمين وكلامهم المحكى عنهم يدل على
انهم ليسوا من المسلمين (يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم) يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم
السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصوير فان الكلام وان كان يطلق على اللسانى والنفسانى
الا ان القول لا يطلق الا على ما يكون باللسان والفم فذكر الافواه بعده تأكيد كقوله تعالى ولا طائر يطير
بجناحيه وتصوير لحقيقة القول بصورة فرده الصادر عن آلته التى هى الفم (والله اعلم بما يكتمون) من النفاق
وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات (الذين قالوا) مرفوع على انه
بدل من واو يكتمون (لاخوانهم) لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد او اخوانهم فى النسب
وفى سكنى الدار فيندرج فيهم بعض الشهداء (وقعدوا) حال من ضمير قالوا بتقدير قد اى قالوا وقد قعدوا عن
القتال بالانخذال (لو اطاعونا) اى فيما امرناهم ووافقونا فى ذلك (ما قتلوا) كما لم نقتل وفيه ايذان بانهم
امروهم بالانخذال حين انخزلوا واغووهم كما غووا (قل) تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم (فادرؤا) اى ادفعوا
(عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين) جواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله اى ان كنتم صادقين فيما ينبئ
عنه قولكم من انكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت الذى كتب عليكم

معلقا بسبب خاص موقتا بوقت معين بدفع سببه فان اسباب الموت فى امكان المدافعة بالحيل وامتناعها سوآء وانفسكم اعز عليكم من اخوانكم وامرها اهم لديكم من امرهم والمعنى ان عدم قتلكم كان بسبب انه لم يكن مكتوبا لا بسبب انكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة والقعود مؤديا الى الموت * زبيش خطر ناتوانى كريز * وليكن مكن باقضا پنجه تيز * كرت زندكانى نبشتست دير * نه مارت كزايدنه شمشير وتير * واعلم ان الموت ليس له سن معلوم ولا اجل معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على اهبة من ذلك مستعد الذلك وكان بعض الصالحين ينادى بالليل على سور المدينة الرحيل الرحيل فلما توفى فقد صوته امير تلك المدينة فسأل عنه فقيل انه مات فقال

ما زال يلهج بالرحيل وذكره * حتى اناخ ببابه الجمال
فاصابه متيقظا متشمرا * ذا اهبة لم تلهه الآمال

روى انه مر دانيال عليه السلام ببرية فسمع مناديا يا دانيال قف ساعة ترعجبا فلم يرشيا ثم نادى الثانية قال فوقفت فاذا بيت يدعونى الى نفسه فدخلت فاذا سرير مرصع بالدر والياقوت فاذا النداء من السرير اصعد يا دانيال ترعجبا فارتقيت السرير فاذا فراش من ذهب مشحون بالمسك والعنبر فاذا عليه شاب ميت كانه نائم واذا عليه من الحلى والحلل مالا يوصف وفى يده اليسرى خاتم من ذهب وفوق رأسه تاج من ذهب وعلى منطقته سيف اشد خضرة من البقل فاذا النداء من السرير ان احمل هذا السيف واقرأ ما عليه قال فاذا مكتوب عليه هذا سيف صمصام بن عوج بن عنق بن عاد بن ارم وانى عشت الف عام وسبعمائة وافتضضت اثنى عشر الف جارية وبنيت اربعين الف مدينة وهزمت سبعين الف جيش وفى كل جيش قائد مع كل قائد اثنا عشر الف مقاتل وباعدت الحكيم وقربت السفيه وخرجت بالجور والعنف والحمق عن حد الانصاف وكان يحمل مفاتيح الخزآئن اربعمائة بغل وكان يحمل الى خراج الدنيا فلم ينازعنى احد من اهل الدنيا فادعيت الربوبية فاصابنى الجوع حتى طلبت كفا من ذرة بالف قفيز من در فلم اقدر عليه فمت جوعا يا اهل الدنيا اذكروا اموانكم ذكرا كثيرا واعتبروا بى ولا تغرنكم الدنيا كما غرتنى فان اهلى لم يحملوا من وزرى شيأ فعلى العاقل ان لا يركن الى الدنيا ويتذكر مرجعه ويجتنب عن المنافقة والظلم والجور ويتصف بالاخلاص والعدل والاحسان فانه هو المفيد قال ابن الكمال پرده دارى ميكند در طاق كسرى عنكبوت * بوم نوبت ميزند بر قلعهٔ افراسياب * تخم احسان راچه دارى بر فشان اى بى خبر * چونكه دانى دانهٔ عمرت خورد اين آسياب * جعلنا الله واياكم من المتيقظين الواصلين الى ذروة اليقين قبل حلول الاجل والحين (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا) المراد بهم شهدآء احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمرو وعثمان بن شهاب وعبد الله ابن جحش وباقيهم من الانصار قال القاشانى الافصح الابلغ ان يجعل الخطاب فى ولا تحسبن لكل احد لانه امر خطير يجب ان يبشر به كل واحد لتتوفر دواعيهم الى الجهاد وليتيقنوا بحسن الجزاء وان كان للرسول صلى الله عليه وسلم فالمراد به نهى الامة وتنبيههم على حالهم والا فرسول الله اجل مرتبة من ذلك الحسبان (بل احياء) اى بل هم احياء (عند ربهم) خبر ثان للمبتدأ المقدر والعندية المكانية مستحيلة فتعين حملها على انهم مقربون منه تعالى قرب التكريم والتعظيم (يرزقون) من ثمار الجنة وتحفها وفيه تأكيد لكونهم احياء وتحقيق لمعنى حياتهم (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والزلفى من الله تعالى والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا (ويستبشرون) معطوف على قوله فرحين عطف الفعل على الاسم لكون الفعل فى تأويل الاسم كانه قيل فرحين ومستبشرين وبناء استفعل ليس للطلب بل هو بمعنى المجرد نحو استغنى الله اى غنى وقد سمع بشر الرجل بكسر العين فيكون استبشر بمعناه وقيل هو مطاوع ابشر نحو اراحه فاستراح فان البشرى حصلت لهم بابشار الله تعالى واليه اشار الزمخشرى فى الكشاف بقوله بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به والبيضاوى بقوله يسرون بالبشارة (بالذين لم يلحقوا بهم) اى باخوانهم الذين لم يقتلوا بعد فى سبيل الله فيلحقوا بهم (من خلفهم) متعلق بيلحقوا والمعنى انهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم (ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) بدل من الذين بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال اخوانهم لا بذواتهم وان هى المخففة اى يفرحون بما تبين لهم من حسن حال اخوانهم الذين تركوهم وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا

يفوزون بحياة ابدية لا يدركها خوف وقوع محذور ولا حزن فوت مطلوب والخوف يكون بسبب توقع المكروه النازل فى المستقبل والحزن يكون بسبب فوت المنافع التى كانت موجودة فى الماضى فبين الله انه لا خوف عليهم مما سيأتيهم من اهوال القيامة واحوالها ولا حزن لهم مما فاتهم من نعم الدنيا ولذاتها (يستبشرون بنعمة) كائنة (من الله) كرر ليبان ان الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهى ثواب اعمالهم (وفضل) اى زيادة عظيمة كما فى قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة (وان الله لا يضيع اجر المؤمنين) كافة سوآء كانوا شهدآء او غيرهم وهو بفتح ان عطف على فضل منتظم معه فى سلك المستبشر به قال الامام الآية تدل على ان استبشارهم بسعادة اخوانهم من استبشارهم بسعادة انفسهم لان الاستبشار الاول فى الذكر هو باحوال الاخوان وهذا تنبيه من الله على ان فرح الانسان بصلاح حال اخوانه ومتعلقيه يجب ان يكون اتم واكمل من فرحه وصلاح احوال نفسه واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان هؤلاء المقتولين وان فارقت ارواحهم من اجسادهم الا انهم احياء فى الحال واختلف القائلون بحياتهم فى الحال انها للروح او للبدن ولا بد ههنا من تقديم مقدمة ليتضح بها المقام وهى ان الانسان المخصوص ليس عبارة عن مجموع هذه البنية المخصوصة بل هو شئ مغاير لها وذلك لان اجزآء هذه البنية فى الذوبان والانحلال والتبدل والتغير بالسمن وضده والصغر وخلافه والانسان المخصوص شئ واحد باق من اول عمره الى آخره والباقى مغاير للمتبدل فثبت ان الانسان مغاير لهذا البدن المخصوص ثم بعد هذا يحتمل ان يكون جسما مخصوصا ساريا فى هذه الجثة سريان النار فى الفحم والدهن فى السمسم وماء الورد فى الورد ويحتمل ان يكون جوهرا قائما بنفسه ليس بجسم ولا حال فى الجسم وعلى كلا المذهبين لا يبعد ان ينفصل ذلك الشئ حيا عند موت البدن فيثاب ويعذب على حسب اعماله والدلائل العقلية والنقلية الدالة على بقاء النفوس بعد موت الاجساد كثيرة متعاضدة فوجب المصير اليه وبه تزول الشبهات الواردة على القول بثواب القبر كما فى هذه الآية وعلى القول بعذاب القبر كما فى قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا اذا لم تمت النفوس بموت الابدان او قلنا بانه تعالى اماتها ثم اعاد الحياة اليها كما يدل عليها ما روى فى بعض الاخبار قال صلى الله عليه وسلم فى صفة الشهدآء ان ارواحهم فى اجواف طير خضر وانها ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح فى الجنة حيث شاءت وتأوى الى قناديل من ذهب تحت العرش فلما رأوا طيب مطعمهم ومسكنهم ومشربهم قالوا يا ليت قومنا يعلمون ما نحن فيه من النعيم وما صنع الله بنا كى يرغبوا فى الجهاد فقال الله تعالى انا مخبر عنكم ومبلغ اخوانكم ففرحوا بذلك واستبشروا فانزل الله هذه الآية والذين اثبتوا هذه الحياة للاجساد اختلفوا فقال بعضهم انه تعالى يصعد اجساد هؤلاء الشهدآء الى السموات الى قناديل تحت العرش ويوصل انواع السعادات والكرامات اليها ومنهم من قال يتركها فى الارض ويحييها ويوصل هذه السعادات اليها كذا فى تفسير الامام ولابن سينا رسالة فى علم النفس ولعمرى قد بلغ القصوى فى التحقيق فليطلبها من اراد وفضائل الشهدآء لا نهاية لها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهيد لا يجد الم القتل الا كما يجد احدكم الم القرصة وله سبع خصال يغفر له فى اول قطرة قطرت من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويؤمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار لياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج بثلاث وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من اقربائه ويروى انه اذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى ادعوا الى خيرتى من خلقى فيقولون يا رب من هم فيقول الشهدآء الذين بذلوا دماءهم واموالهم وانفسهم فيمرون على رب العزة وسيوفهم على اعناقهم فيدخلون مساكنهم فى الجنة وينصب يوم القيامة لوآء الصدق لابى بكر وكل صديق يكون تحت لوآئه ولوآء العدل لعمر وكل عادل يكون تحت لوآئه ولوآء السخاوة لعثمان وكل سخى يكون تحت لوآئه ولوآء الشهدآء لعلى وكل شهيد يكون تحت لوآئه وكل فقيه تحت لوآء معاذ بن جبل وكل زاهد تحت لوآء ابى ذر وكل فقير تحت لوآء ابى الدردآء وكل مقرئ تحت لوآء ابى بن كعب وكل مؤذن تحت لوآء بلال وكل مقتول ظلما تحت لوآء الحسين بن على رضى الله عنهما فذلك قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم قيل ارواح الشهدآء وان كانت فى عليين الا انها تزور قبورها كل جمعة على الدوام ولذلك يستحب زيارة القبور ليلة الجمعة ويوم الجمعة قال عليه السلام ما من احد يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه قال الجنيد قدس سره من كانت حياته

بنفسه يكون مماته بذهاب روحه ومن كانت حياته بربه فانه ينتقل من حياة الطبع الى حياة الاصل وهى الحياة الحقيقية واذا كان القتيل بسيف الشريعة حيا مرزوقا فكيف من قتل بسيف الصدق والحقيقة * هركز نميرد انكه دلش زنده شد بعشق * ثبت است بر جريدهٔ عالم دوام ما * قال القاشانى المقتول فى سبيل الله صنفان مقتول بالجهاد الاصغر وبذل النفس طلب الرضى الله كما هو الظاهر ومقتول بالجهاد الاكبر وكسر النفس وقتلها بسفرة الحب وقمع الهوى كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عند رجوعه من بعض الغزو رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكلا الصنفين ليسوا باموات بل احياء عند ربهم بالحياة الحقيقية مجردين من دنس الطبائع مقربين فى حضرة القدس يرزقون فى الجنة المعنوية من الارزاق المعنوية اى المعارف والحقائق واستشراق الانوار ويرزقون فى الجنة الصورية كما يرزق الاحياء او من كليهما فان للجنان مراتب بعضها معنوية وبعضها صورية ولكل منهما درجات على حسب المعارف والعلوم والمكاسب والاعمال فالمعنوية جنة الذات وجنة الصفات وتفاضل درجاتها بحسب تفاضل المعارف والترقى فى الملكوت والجبروت والصورية جنة الافعال وتفاوت درجاتها بحسب تفاوت الاعمال والتدرج فى مراتب عالم الملك من السموات العلى والجنات المحتوية على جميع المنى وماروى من الحديث فى شهداء احد فالطير الخضر فيه اشارة الى الاجرام السماوية والقناديل هى الكواكب اى تعلقت بالنيرات من الاجرام السماوية لنزاهتها وانهار الجنة منابع العلوم ومشارعها اثمارها الاحوال والكشوف والمعارف او الانهار والثمار الصورية على حسب جنتهم المعنوية والصورية فان كل ماوجد فى الدنيا من المطاعم والمشارب والمناكح والملابس وسائر الملاذ والمشتهيات موجود فى الاخرة فى عالم المثال وفى طبقات السماء الذ واصفى مما فى الدنيا يستبشرون بنعمة الامن من العقاب اللازم للنقص والتقصير والنجاة من الحزن على فوات نعمة الدنيا لحصول ماهو اشرف واصفى والذ وابقى من جنان الافعال وفضل هو زيادة جنات الصفات المشار اليها بالرضوان او نعمة جنة الصفات وفضل جنة الذات وان اجر ايمانهم من جنة الافعال لايضيع مع ذلك انتهى كلامه فلابد للسالك من بذل المال والبدن والروح حتى يحصل لهم انواع الفتوح * دلا طمع مبر از لطف بى نهايت دوست * چو لاف عشق زدى سر بباز چابك وچست (الذين استجابوا لله والرسول) اى اجابوا واطاعوا فيما امروا به ونهوا عنه كما فى قوله تعالى فليستجيبوا (من بعد ما اصابهم القرح) اى الجرح فى غزوة احد (للذين احسنوا منهم) يدخل تحته الاتيان بجميع المأمورات (واتقوا) يدخل تحته الانتهاء عن جميع المنهيات (اجر عظيم) ثواب عظيم وجملة قوله للذين خبر مقدم مبتدأه اجر عظيم والجملة فى محل الرفع خبر الذين استجابوا وكلمة من فى قوله منهم ليست للتبعيض لان الذين استجابوا لله والرسول كلهم قد احسنوا لا بعضهم بل هى لبيان الجنس ومحصل المعنى حينئذ الذين استجابوا لله والرسول لهم اجر عظيم الا انهم وصفوا بوصفى الاحسان والتقوى مدحا لهم وتعليلا لعظم اجرهم بحسن فعالهم لا تقييدا روى ان اباسفيان واصحابه لما رجعوا من احد فبلغوا الروحاء وهو موضع بين مكة والمدينة ندموا وهموا بالرجوع حتى يستأصلوا ما بقى من المؤمنين فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج فى طلب ابى سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس اى وقعتنا والعرب تسمى الوقائع اياما وذكرهم بايام الله فخرج رسول الله عليه السلام اراءة من نفسه ومن اصحابه جلدا وقوة ومعه جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم اى حملوا المشقة على انفسهم كيلا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت فهذه هى غزوة حمراء الاسد متصلة بغزوة احد واما غزوة بدر الصغرى فقد وقعت بعدها بسنة واليها الاشارة بقوله تعالى (الذين قال لهم الناس) يعنى الركب استقبلوهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعى واطلاق الناس عليه لما انه من جنسهم وكلامه كلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله سوى فرس فرد وغير ثوب واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه (ان الناس) يعنى اباسفيان واصحابه (قد جمعوا لكم) اى اجتمعوا (فاخشوهم) روى ان اباسفيان لما عزم على ان ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى لقابل نقتتل بها ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابوسفيان فى اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله فى قلبه الرعب وبدا له ان يرجع فمر به ركب من بنى

عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين او لقى نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم انى واعدت محمدا ان نلتقى بموسم بدر الان هذا العام عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لى ان ارجع ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراءة فاذهب الى المدينة فثبطهم ولك عندى عشرة من الابل وضمنها سهيل بن عمرو فجاء نعيم المدينة فوجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم ماهذا بالرأى اتوكم فى دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد وهو الفار النافر المبعد أفترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم احد فاثر هذا الكلام فى قلوب قوم منهم فلما عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منهم قال والذى نفسى بيده لاخرجن ولو لم يخرج معى احد فخرج فى سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل (فزادهم) القول (ايمانا) والمعنى لم يلتفتوا الى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله وازداد اطمئنانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده (وقالوا حسبنا الله) اى محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه (ونعم الوكيل) اى الموكول اليه هو اى الله (فانقلبوا بنعمة من الله) الفاء فصيحة اى خرجوا اليهم ووافوا الموعد فرجعوا من مقصدهم ملتبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها كائنة من الله تعالى وهى العافية والثبات على الايمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم (وفضل) اى ربح فى التجارة عظيم (لم يمسسهم سوء) سالمين من السوء اى لم يصبهم اذى ولا مكروه روى انه صلى الله عليه وسلم وافى بجيشه بدر الصغرى وكانت موضع سوق لبنى كنانة يجتمعون فيها كل عام ثمانية ايام ولم يلق صلى الله عليه وسلم واصحابه هناك احدا من المشركين ووافوا السوق وكانت معهم نفقات وتجارات فباعوا واشتروا اربا وزبيبا وربحوا واصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابوسفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق (واتبعوا) فى كل ما اتوا من قول وفعل وهو عطف على انقلبوا (رضوان الله) الذى هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم (والله ذو فضل عظيم) حيث تفضل بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب فى الدين واظهار الجرأة على العدو وحفظهم من كل ما يسوءهم مع اصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروى انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضى عنهم (انما ذلكم) اى المثبط ايها المؤمنون وهو مبتدأ (الشيطان) خبره (يخوف اولياءه) المنافقين غلبة المشركين وقهرهم ليقعدوا عن قتالهم فهم المنافقون الذين فى قلوبهم مرض وقد تخلفوا عن رسول الله فى الخروج والمعنى ان تخويفه بالكفار انما يتعلق بالمنافقين الذين هم اولياؤه واما انتم ايها المؤمنون فاولياء الله وحزبه الغالبون لا يتعلق بكم تخويفه (فلا تخافوهم) اى الشيطان واولياءه من ابى سفيان وغيره (وخافون) فى مخالفة امرى (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضى ايثار خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعى الامن من شر الشيطان واوليائه والخوف على ثلاثة اقسام خوف العام وهو من عقوبة الله وخوف الخاص وهو من بعد الله وخوف الاخص وهو من الله والى هذه المراتب اشار النبى عليه السلام بقوله اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك فعلى السالك ان ينفى عن نفسه وصفاتها ولا يرى فى الكون وجودا غير وجوده فلا يخاف الا منه فانه هو القاهر فوق عباده وهو الكافى فى جميع الامور قال نجم الدين الكبرى قدس سره آخر مقام الخلة ان يكبر على نفسه وجميع المكونات اربع تكبيرات ويتحقق له ان الله حسبه من كل شئ وهو نعم الوكيل عن نفسه وما سواه (قال الحافظ الشيرازى) من همان دم كه وضو ساختم از چشمهٔ عشق * چار تكبير زدم يكسره برهرچه كه هست * يشير الى انه وقت قيامه بالعشق رأى وجود غير الله ميتا بمنزلة الجماد وقد قال كل شئ هالك الا وجهه وصلاة الميت باربع تكبيرات لا غير وهذا هو الفناء عن نفسه وعن المكونات حققنا الله تعالى بحقيقة التوحيد قال ابو يزيد كنت اثنتى عشرة سنة حداد النفس وخمس سنين مرآة قلبى وسنة انظر فيهما فاذا فى وسطى زنار ظاهر فعملت فى قطعه اثنتى عشرة سنة ثم نظرت فاذا فى باطنى زنار فعملت فى قطعه خمس سنين انظر كيف اقطع فكشف لى فنظرت الى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم اربع تكبيرات وقيل لابى يزيد البسطامى بعد وفاته كيف كان حالك مع منكر ونكير فقال لما قالا لى من ربك قلت لهما اسألا ربى فان قال هو عبدى يكفى والا فلو قلت انا عبده مرارا لا يفيد بلا قبوله وحقيقة العبودية

بالتبرى عن جميع ماسوى الله ولو من صومه وصلاته وسائر عباداته روى ان ابا يزيد فى آخر عمره دخل محرابه وقال الهى لااذكر صومى ولاصلاتى ولاغيرها بل اقول افنيت عمرى فى الضلالة فالآن قطعت زنارى وجئت بابك بالاسلام وهو الاسلام وهذا هو الانصاف من نفسه حقيقة قال الشيخ السعدى فى حق شيخه السهروردى شبى دائم ازهول دوزخ نخفت * بكوش آمدم صبحكاهى كه كفت * چه بودى كه دوزخ زمن پرشدى * مكر ديكر ازارها يابدى * فالعاقل لايزكى نفسه ولايراها محلا لكرامة الله بل يتواضع بحيث يرى اعماله السيئة كثيرة بالنسبة الى اعماله الصالحة بل ولايرى فى نفسه الا العدم المحض واعلم ان من شعار المسلمين وعادة المؤمنين ان يجاهدوا فى سبيل الله ولايخافوا لومة اللائمين الايرى ان الله تعالى كيف مدح قوما حالهم كذلك بقوله يجاهدون فى سبيل الله ولايخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فمن كان مع الله فهو يعصمه وينصره على اعدآئه خصوصا عدو النفس الامارة * كسى را دائم اهل استقامت * كه باشد برسر كوى ملامت * زاوصاف طبيعت بالتمرده * باطلاق هويت جان سپرده * برفته سايه وخرشيد مانده * تمام ازكرد خود دامن فشانده * اوصلنا الله واياكم الى الخلوص واليقين والتمكين آمين (ولايحزنك الذين يسارعون فى الكفر) اى يقعون فيه سريعا لغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه وهم المنافقون المتخلفون الذين يسارعون الى ماابطنوه من الكفر مظاهرة للكفار وسعيا فى اطفاء نور الله (انهم لن يضروا الله شيأ) اى لن يضروا بذلك اولياء الله ودينه البتة شيأ من الضرر (يريد الله ان لايجعل لهم حظا فى الآخرة) اى يريد الله بذلك ان لايجعل لهم فى الآخرة نصيبا ما من الثواب ولذلك تركهم فى طغيانهم يعمهون الى ان يهلكوا على الكفر وفى ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ النهاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لايكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ فى الآخرة (ولهم) مع ذلك الحرمان الكلى بدل الثواب (عذاب عظيم) لايقادر قدره (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) اى اخذوه بدلا منه رغبة فيما اخذوه واعراضا عما تركوه (لن يضروا الله شيأ ولهم عذاب اليم) ولما جرت العادة باغتباط المشترى بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتألمه عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالايلام مراعاة لذلك (ولايحسبن الذين كفروا) الموصول مع صلته فاعل لايحسبن (انما) بما فى حيزها سادة مسد مفعوليه لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبى بالنسبة بين المبتدأ والخبر وما مصدرية او موصولة حذف عائدها وكان حقها فى قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت فى مصحف عثمان رضى الله تعالى عنه متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الامام فى خط المصاحف (نملى لهم) الاملاء الامهال واطالة المدة والملى مقصورا الدهر والملوان الليل والنهار لتعاقبهما اى ان املاءنا لهم اوان ما نمليه لهم (خير لانفسهم) من منعهم عن اراداتهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم (انما) كافة حقها الاتصال (نملى لهم ليزدادوا اثما) اللام لام الارادة عند اهل السنة القائلين بانه تعالى فاعل الخير والشر مريد لهما فان الاملاء الذى هو اطالة العمر لاشك انها من افعاله تعالى وانها ليست بخير لهم لانهم يتوسلون بها الى ازدياد الاثم والطغيان فهو تعالى لما امهلهم واطال عمرهم بارادته واكتسبوا بذلك ماتم من الكفر والطغيان كان خالقا لتلك المآثم ايضا ولا تخلق الا بالارادة فهو مريد لها كما انه مريد لاسبابها المؤدية اليها وليست لام العلة لان افعاله تعالى ليست معللة بالاغراض وعند المعتزلة لام العاقبة (ولهم فى الآخرة عذاب مهين) اى يهانون به فى الاخرة قال عليه السلام خير الناس من طال عمره وحسن عمله وشر الناس من طال عمره وساء عمله ودلت الآية على ان اطالة عمر الكافر والفاسق وايصاله الى مراداته فى الدنيا ليس بخير بل هى نعمة فى الصورة ونقمة فى الحقيقة الايرى ان من اطعم انسانا خبيصا مسموما لايعد ذلك نعمة عند الحقيقة لافضائه الى الهلاك والعقوبة فينبغى للعبدان لايغتر بطول العمر وامتداده ولا بكثرة امواله ولا اولاده * غره مشو بان كه جهانت عزيز كرد * اى بس عزيز راكه جهان كرد زود خوار * مارست اين جهان وجهانجوى ماركير * وزمار كير مار برآرد كهى دمار * قال الله تعالى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج ان من نعمى على امتك انى قصرت اعمارهم كيلا تكثر ذنوبهم واقللت اموالهم كيلا يشتد فى القيامة حسابهم واخرت زمانهم كيلا يطول فى القبور حبسهم وقال ايضا يا احمد لاتتزين بلين اللباس وطيب الطعام ولين الوطاء فان النفس مأوى كل شر وهى رفيق سوء

كلما تجرها الى طاعة تجرك الى المعصية وتخالفك فى الطاعة وتطيع لك فى المعصية وتطغى اذا شبعت وتتكبر اذا استغنت وتنسى اذا ذكرت وتغفل اذا امنت وهى قرينة للشيطان وقيل مثل النفس كمثل النعامة تأكل الكثير واذا حملت عليها لاتطير واذا قيل انت طائر قالت انا بعير وهذه رجلى واذا حملت عليها شيأ قالت انا طائر وهذا جناحى فكثرة المال وكمال الاستغناء تغر النفس قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى مبر طاعت نفس شهوت پرست * كه هر ساعتش قبلهٔ ديكرست (قال السعدى) شنيده ام كه بقصاب كوسفندى كفت * دران زمانكه بخنجر سرش زتن ببريد * جزاى هر بن خارى كه خورده ام ديدم * كسى كه پهلوى چربم خورد چه خواهد ديد * وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت قلت يارسول الله الاتستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع وشد الحجر من السغب فقال يا عائشة والذى نفسى بيده لوسألت ربى ان يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكنى اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لاتنبغى لمحمد ولا لآل محمد قال عليه السلام الدنيا والاخرة ضرتان فمن يطلب الجمع بينهما فهو ممكور ومن يدعى الجمع بينهما فهو مغرور فمن رام مع متابعة الهوى البلوغ الى الدرجات العلى فهو غريق فى الغفلة فالله تعالى يمهله فى طغيان النفس بالحرص على الدنيا حتى يتجاوز فى طلبها حد الاحتياج اليها ويفتح ابواب المقاصد الدنيوية عليه ليستغنى بها وبقدر الاستغناء يزيد طغيانه * بنازونعمت دنيا منه دل * كه دل برداشتن كاريست مشكل * فيا ايها الاخوان الذين مضوا قبلنا من الامم قد عاشوا طويلا وجمعوا كثيرا فتذكروا موتهم ومصارعهم تحت التراب وتأملوا كيف تبددت اجزاؤهم فى قبورهم وكيف ارملوا نساءهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وهلكت بعدهم صغارهم وكبارهم وانقطعت آثارهم وديارهم فلم يرجع من كفر بنعمة الله الا الى العذاب والخسران ولم يصر الا الى دركات النيران فمن كانت غفلته كغفلتهم فسيصير الى ماصاروا اليه وان عاش طويلا فان الله يمهل ولايهمل قال تعالى نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ وما الحياة والتمتع بها الا قليل فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة لعلك تلحق بالجماعة من اهل الوصول وارباب القبول وجميع الطاعات من اسباب الفلاح خصوصا الصلاة افضل العبادات واعلاها واشرف الطاعات واسناها والصوم سبب للولوج فى ملكوت السموات وواسطة الخروج عن رحم مضايق الجسمانيات المعبر عنه بالنشأة الثانية كما اشير اليه بقول عيسى عليه السلام لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين بل مجاهدة الصوم رابطة مشاهدة اللقاء واليه يشير الحديث القدسى وهو قوله عليه السلام الصوم لى وانا اجزى به يعنى انا جزاؤه ولهذا اعلق سبحانه نيل سعادة الرؤية بالجوع حيث قال فى مخاطبة عيسى عليه السلام تجوع ترانى * همى آيد ازحق ندا متصل * تجوع ترانى تجرد تصل * رزقنا الله واياكم (ما كان الله) مريدا (ليذر) لان يترك (المؤمنين) المخلصين (على ما انتم عليه) الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين فى عصره (حتى يميز الخبيث من الطيب) ماز الشئ يميزه ميزا عزله وافرزه والمعنى ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التى انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لايعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميز المنافق من المخلص بالوحى الى نبيه باحوالكم اوبالجهاد اوبالهجرة (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) اى وما كان الله ليؤتى احدكم علم الغيب فيطلع على مافى القلوب من كفر وايمان (ولكن الله يجتبى) يصطفى (من رسله من يشاء) فيوحى اليه ويخبره ببعض المغيبات اوينصب له مايدل عليها (فآمنوا بالله ورسله) بصفة الاخلاص اوبان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عباد المجتبين لايعلمون الا ماعلمهم الله ولايعلمون الا ما اوحى اليهم (وان تؤمنوا) حق الايمان (وتتقوا) النفاق (فلكم) بمقابلة ذلك الايمان والتقوى (اجر عظيم) لايبلغ كنهه وهذا الاجر على قدر عظم التقوى فان السير الى المقصد الاعلى والوصول الى منازل الاجتباء لايتهيأ الا بقدمى التقى * قدم بايد اندر طريقت نه دم * كه اصلى ندارد دم بى قدم * قال ابراهيم بن ادهم بت ليلة تحت صخرة بيت المقدس فلما كان بعض الليل نزل ملكان فقال احدهما لصاحبه من ههنا فقال الاخر ابراهيم بن ادهم فقال ذلك الذى حط الله درجة من درجاته فقال لم قال لانه اشترى بالبصرة التمر فوقعت تمرة على تمره من تمر البقال قال ابراهيم فمضيت الى البصرة واشتريت التمر من ذلك الرجل واوقعت تمرة على تمره ورجعت الى بيت المقدس وبت فى الصخرة فلما كان بعض

الليل اذا انا بملكين قد نزلا من السماء فقال احدهما لصاحبه من ههنا فقال احدهما ذاك الذى رد الى مكانها
الثمرة فرفعت درجته فهذا هو التقوى على الحقيقة ومراعاة الحقوق على الوجه اللائق ولا يتيسر ذلك
الا بالتوسل الى جناب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان غيب الحقائق والاحوال لا ينكشف بلا واسطة
الرسول واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الخ وكيف يترقى الى حقيقة التقوى
وعالم الاطلاق من تقيد برأيه واختياره قال الله تعالى وابتغوا اليه الوسيلة فلا بد من متابعة النبى عليه السلام
حقا كه بى متابعت سيد رسل * هر كز كسى بمنزل مقصود ره نيافت * از هيچ او بهيچ درى ره نمى دهند *
از اكه ز آستانه او روى دل بتافت * فالايمان بالله وبرسوله هو التصديق القلبى والارادة والتمسك بالشريعة
والنجاة فيه لا فى غيره روى ان المؤمن اذا ورد النار بمقتضى قوله تعالى وان منكم الا واردها يصير الله ثواب
التوحيد سفينة والقرءآن حبلها والصلاة شراعها ويكون المصطفى عليه السلام ملاحها والمؤمنون يجلسون
عليها ويكبرون الله وتجرى السفينة على بحر نار جهنم بريح طيبة فيعبرون عنها سالمين فيا اخى لا تضيع ايامك
فان ايامك رأس مالك وانك مادمت على رأس مالك فانك قادر على طلب الربح فاجتهد فى تحصيله بالتوغل
فى الطاعات والعبادات واحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه قبل الموت والفوت فان الموتى
يتمنون ان يؤذن لهم بان يصلوا ركعتين اويقولوا مرة لا اله الا الله او يسبحوا مرة فلا يؤذن لهم ويتعجبون من
الاحياء كيف يضيعون ايامهم فى الغفلة اكر مرده مسكين زبان داشتى * بفرياد وزارى فغان داشتى *
كه اى زنده هست امكان كفت * لب از ذكر چون مرده برهم مخفت * چو ما را بغفلت بشد روزكار *
تو بارى دمى چند فرصت شمار * قال عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فتميز المنافق من المخلص
كما يكون فى الدنيا بالاقوال والافعال وغيرهما كذلك يكون فى الآخرة ببياض وجه هذا وسواد وجه ذاك
كما قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فعلى العاقل ان يتحمل مشاق الطاعات والتكاليف والامتحانات
الالهية لعله يفوز بالمرام ويظفر بالبغية يوم يخيب المعرضون والمنافقون ويخسرون * خوش بود كر محك تجربه
آمد بميان * تا سيه روى شود هر كه درو غش باشد * قال بعض الكبار وعند الامتحان يكرم الرجل او يهان
عصمنا الله واياكم من المخالفة (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله) الموصول فاعل لا يحسبن
والمفعول الاول محذوف لدلالة يبخلون عليه اى ولا يحسبن البخلاء بخلهم (هو) ضمير فصل لا محل له من
الاعراب (خيرا لهم) من انفاقهم مفعول ثان للفعل المذكور (بل هو) اى البخل (شر لهم) لاستجلاب العقاب
عليهم (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) بيان لقوله هو شر لهم اى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق اذ لا
طوق ثمة فيكون من قبيل الاستعارة التمثيلية شبه لزوم وبال البخل واثمه بهم بلزوم طوق نحو الحمامة بها فى عدم
زوال كل واحد منهما عن صاحبه فعبر عن لزوم الوبال بهم بالتطويق واشتق منه يطوقون كما يقال منه فلان
طوق فى رقبة فلان وقيل هو على حقيقته وانهم يطوقون حية او طوقا من نار استدلالا بالحديث وسيجيء
(ولله) وحده لا لاحد غيره استقلالا واشتراكا (ميراث السموات والارض) اى ما يتوارثه اهلهما من مال وغيره
من الرسالات التى يتوارثها اهل السموات فمالهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه فى سبيله اوانه يورث منهم
ما يمسكونه ولا ينفقونه فى سبيله تعالى عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة (والله بما تعملون) من المنع
والاعطاء (خبير) فيجازيكم على ذلك واعلم ان البخل عبارة عن امتناع اداء الواجب والامتناع عن التطوع
لا يكون بخلا ولذلك قرن به الوعيد والذم والواجب كثير كالانفاق على النفس والاقارب الذين يلزمه مؤنتهم
والزكاة على الغير حال المخمصة وفى حال الجهاد عند الاحتياج الى التقوية بالمال ثم ان فى الاية اشارة الى ان
البخل اكسير الشقاوة كما ان السخاء اكسير السعادة وذلك لان الله تعالى سمى المال فضله كما قال من فضله
والفضل لاهل السعادة فبا كسير البخل يصير الفضل قهرا والسعادة شقاوة كما قال هو خيرا لهم بل هو شر لهم
يعنى باكسير البخل يجعلون خيرية ما آتاهم الله من فضله شرا لهم ولو انهم طرحوا على ما هو فضله اكسير السخاء
لجعلوه خيرا لهم فصيروه سعادة واصاروا بها اهل الجنة وان يلج الجنة الشحيح ثم عبر عن آفة حب الدنيا والمال
بالطوق لانها تحيط بالقلب ومنها تنشأ معظم الصفات الذميمة مثل البخل والحرص والحسد والحقد والعداوة
والكبر والغضب وغير ذلك ولهذا قال النبى عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة فبمنع الزكاة يصير الروح

الشريف العلوى النورانى محفوفا بهذه الصفات الخبيثة السفلية الظلمانية مطوقا بآفاتها وحجبها وعذابها
يوم القيامة وبعد المفارقة فانه من مات فقد قامت قيامته نه منعم بمال از كسى بهترست * خر ار جل اطلس
بپوشد خرست * هنر بايد وفضل ودين وكمال * كه كه آيد وكه رود جاه ومال * پسنديده رايى كه
بخشيد وخورد * جهان از پى خويشتن كرد كرد * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله
مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى بشدقيه
ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون الاية وفى رواية يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها
فى عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل
يكون له ابل او بقر او غنم لا يؤدى حقها الا اتى بها يوم القيامة اعظم ما تكون واسمنه تطأه باخفافها وتنطحه
بقرونها كلما جازت اخراها ردت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس قال ابو حامد مانع زكاة الابل يحمل
بعيرا على كاهله له رغاء وثقل يعدل الجبل العظيم ومانع زكاة البقر يحمل ثورا على كاهله له خوار وثقل يعدل
الجبل العظيم ومانع زكاة الغنم يحمل شاة لها ثغاء وثقل يعدل الجبل العظيم والرغاء والخوار والثغاء كالرعد
القاصف ومانع زكاة الزرع يحمل على كاهله اعدالا قد ملئت من الجنس الذى كان يبخل به برا كان او شعيرا
اثقل ما يكون ينادى تحته بالويل والثبور ومانع زكاة المال يحمل شجاعا اقرع له زبيبتان وذنبه قد انساب
فى منخريه واستدار بجيده وثقل على كاهله كأنه طوق بكل رحى فى الارض وكل واحد ينادى ما هذا
فيقول الملائكة هذا ما بخلتم به فى الدنيا رغبة فيه وشحا عليه فمنع الزكاة سبب للعقاب فى العقبى كما ان ايتاءها
سبب للثواب فى الاخرى وحصن لماله فى الدنيا قال صلى الله عليه وسلم حصنوا اموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم
بالصدقة واستقبلوا البلايا بالدعاء قال عليه السلام لا صلاة لمن لا زكاة له روى ان موسى عليه السلام مر
برجل وهو يصلى مع حضور وخشوع فقال يارب ما احسن صلاته قال الله تعالى لو صلى فى كل يوم وليلة الف
ركعة واعتق الف رقبة وصلى على الف جنازة وحج الف حجة وغزا الف غزوة لم ينفعه حتى يؤدى زكاة ماله
وقال عليه السلام ملعون مال لا يزكى كل عام وملعون بدن لا يبتلى فى كل اربعين ليلة ومن البلاء العثرة
والنكبة والمرضة والخدشة واختلاج العين فما فوق ذلك فاذا سمعت هذه الاخبار وقفت على وزر من وقف
على الاصرار ولم يؤد زكاة ماله بطيبة النفس وصفاء البال الى ان يرجع فقيرا بينا بعد ما اعدته الاحوال
والاموال * پريشان امروز كنجينه جست * كه فردا كليدش نه در دست تست * تو با خود ببر توشه
خويشتن * كه شفقت نيايد ز فرزند وزن * بخيل توانكر بدينار وسيم * طلسميست بالاى
كنجى مقيم * ازان سالها مى بماند زرش * كه لرزد طلسمى چنين بر سرش * بسنك اجل نا كهان
بشكنند * باسودكى كنج قسمت كنند * چو در زندكانى بدى با عيال * كرت مرك خواهند
از ايشان منال * تو غافل در انديشه سود مال * كه سرمايه عمر شد پايمال * بكن سرمه غفلت از چشم
پاك * كه فردا شوى سرمه در چشم خاك (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء) قالته
اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وروى انه عليه السلام كتب مع ابى بكر
رضى الله تعالى عنه الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله
قرضا حسنا فدخل ابو بكر رضى الله عنه ذات يوم بيت مدارسهم فوجد ناسا كثيرا من اليهود قد اجتمعوا الى
رجل منهم يقال له فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال له اشيع فقال ابو بكر لفنحاص
اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة
فآمن وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم ان ربنا
يستقرض اموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغنى فان كان ما تقول حقا فان الله اذا لفقير ونحن اغنياء وانه
ينهاكم عن الربا ويعطينا ولو كان غنيا ما اعطانا الربا فغضب ابو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال
والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص الى النبى صلى الله عليه
وسلم فشكاه وجحد ما قاله فنزلت ردا عليه وتصديقا لابى بكر والجمع حينئذ مع كون القائل واحدا لرضى الباقين
بذلك والمعنى انه لم يخف عليه تعالى واعدله من العقاب كفاء والتعبير عنه بالسماع للايذان بانه من الشناعة

والسماجة بحيث لا يرضى قائله بان يسمعه سامع (سنكتب ما قالوا) اى سنكتب ما قالوه من العظيمة الشنعاء
فى صحائف الحفظة اوسنحفظه ونثبته فى علمنا لاننساه ولانهمله كما يثبت المكتوب والسين للتأكيد اى
لن يفوتنا ابدا تدوينه واثباته لكونه فى غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزآء بالقرءآن
العظيم والرسول الكريم عليه السلام (وقتلهم الانبياء) عطفه عليه ايذانا بانهما فى العظم اخوان وتنبيها على انه
ليس باول جريمة ارتكبوها بل لهم فيه سوابق وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يبعد منه امثال هذه العظائم
والمراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم (بغير حق) متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم اى كائنا
بغير حق وجرم فى اعتقادهم ايضا كما هو فى نفس الامر (ونقول) عند الموت اوعند الحشر اوعند قرآءة الكتاب
(ذوقوا عذاب الحريق) اى وننتقم منهم بعد الكتبة بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق كما اذقتم المرسلين
الغصص (ذلك) اشارة الى العذاب المذكور (بما قدمت ايديكم) بسبب ما اقترفتموه من قتل الانبياء والتفوه
بمثل تلك العظيمة وغيرها من المعاصى والتعبير عن الانفس بالايدى لان اكثر الاعمال يزاول بهن فجعل
كل عمل كالواقع بالايدى على سبيل التغليب (وان الله ليس بظلام للعبيد) محله الرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ماقبلها اى والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب
من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفى الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا
عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم
كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها
ضياعها وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بابراز ماذكر من التعذيب بغير ذنب فى صورة المبالغة فى الظلم
والاشارة فى تحقيق الآيتين ان العبد اذا غلبت عليه الصفات الذميمة واستولى عليه الهوى والشيطان ومات
قلبه تكاملت الصفة الامارية لنفسه فما ينطق الا عن الهوى ان هو الا وحى يوحيه اليه الشيطان كقوله
تعالى ان الشياطين ليوحون الى اوليائهم والنفس اذا تكملت بالهوى تدعى الربوبية كما ادعى فرعون وقال
انا ربكم الاعلى فيكون كلامها من صفات الربوبية وان من صفات الربوبية قوله والله الغنى وانتم الفقرآء
فاذا تم فساد حال النفس الامارة بالسوء اثبتت صفات الربوبية لنفسها وصفات العبودية لربها كقوله لقد سمع
الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء اثبتوا لنفسهم صفات الربوبية وهى الغنى واثبتوا لله صفة
العبودية وهى الفقر سنكتب ما قالوا اى سخيت قلوبهم باقوالهم هذه كما اخترناها بافعالهم وهى قتلهم الانبياء
بغير حق يشير الى ان جزآء هذه الاقوال فى حق الله مثل جزآء هذه الافعال فى الانبياء عليهم السلام ونقول
ذوقوا عذاب القلب الميت الحريق بنار القهر والقطيعة ذلك بما قدمت ايديكم اى بشؤم معاملاتكم
القولية والفعلية على وفق الهوى والطبيعة وخلاف الرضى والشريعة والله ليس بظلام للعبيد بان يضع
الشئ فى غير موضعه يعنى لا يجعل المصلح منهم مظهر صفة قهره ولا المفسد منهم مظهر صفة لطفه كما قال تعالى
الله اعلم حيث يجعل رسالته وهذا كما يقال * ندهد هوشمند روشن راى * بفرومايه كارهاى
خطير * بوريا باف اكرچه بافنده است * نبرندش بكاركاه حرير * واذا كان للعبد حسن الاستعداد
يتحول القهر فى حقه الى اللطف بشرط ان يجتهد ويبذل ما فى وسعه وطاقته وكم من مؤمن يصير فى مآله كافرا
وكم من عكسه فاذا جاء حين السعادة انقلب الحال وكذا الشقاوة قال بعض المشايخ العباد على قسمين
فى اعمارهم فرب عمر اتسعت آماده وقلت امداده كاعمار بنى اسرآئيل اذ كان الواحد منهم يعيش الالف
ونحوها ولم يحصل على شئ مما تحصل لهذه الامة مع قصر اعمارها ورب عمر قليلة آماده كثيرة امداده كعمر
من فتح عليه من هذه الامة فوصل الى عناية الله بلمحة فقد قال احمد بن ابى الحوارى رحمه الله قلت لابى
سليمان الدارانى انى قد غبطت بنى اسرآئيل قال باى شئ قلت بثمانمائة سنة حتى يصيروا كالشنان البالية
وكالحنايا وكالاوتار قال ماظننت الا وقد جئت بشئ والله ما يريد الله منا ان ييبس جلودنا على عظامنا ولا يريد
منا الا صدق النية فيما عنده هذا اذا صدق فى عشرة ايام نال ما ناله ذلك فى عمره الطويل فاذن من بورك له
فى عمره ادرك فى يسير من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوآئر العبارة ولا تلحقه الاشارة لكثرته وعظمه
ودقته ورفعته وقد قال الشيخ الشاذلى رحمه الله فى كتاب تاج العروس من قصر عمره فليذكر بالاذكار الجامعة

مثل

مثل سبحان الله عدد خلقه ونحو ذلك ويعنى بقصر العمر والله اعلم ان يكون رجوعه الى الله فى معترك المنايا
ونحوها من الامراض المخوفة والاعراض المهولة واذا كان الامر على ماذكر فالخذلان كل الخذلان ان
تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه اليه بصدق النية حتى يفتح عليك بما لا تصل الهمم اليه وتقل عوآئقك
ثم لا ترحل اليه عن عوالم نفسك والاستئناس بيومك وامسك فقد جاء خصلتان مغبون فيهما كثير من الناس
الصحة والفراغ ومعناه والله اعلم ان الصحيح ينبغى ان يكون مشغولا بدين اودنيا والا فهو مغبون فيهما عصمنا
الله واياكم من الغبن والخذلان والخسران مهل كه عمر به بيهوده بكذرد حافظ * بكوش وحاصل عمر عزيز را
درياب * قيل الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال (الذين) اى الذين (قالوا) وهم كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف وحى ابن اخطب وفنحاص بن عازورا ووهب بن يهوذا (ان الله عهد الينا) اى امرنا فى التوراة
واوصانا (ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) فيكون دليلا على صدقه والقربان كل ما يتقرب به
العبد الى الله من نسيكة وصدقة وعمل صالح وهو فعلان من القربة قال عطاء كانت بنوا اسرآئيل يذبحون لله
تعالى فيأخذون الثروب واطايب اللحم فيضعونها وسط البيت والسقف مكشوف فيقوم النبى عليه السلام
فى البيت ويناجى ربه وبنوا اسرآئيل خارجون واقفون حول البيت فتنزل نار بيضاء لا دخان لها ولها دوى
وحفيف حين تنزل من السماء فتأكل ذلك القربان اى تحيله الى طبعها بالاحراق فيكون ذلك علامة القبول
واذا لم يقبل بقى على حاله وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل القربان النار لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة
فهو وسائر المعجزات سوآء ولما كان محصل كلامهم الباطل ان عدم ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم
اتيانه بما قالوا ولو تحقق الاتيان به لتحقق الايمان رد عليهم بقوله تعالى (قل) اى تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم
(قد جاءكم) اى جاء اسلافكم وآباءكم (رسل) كثيرة العدد كبيرة المقدار (من قبلى بالبينات) اى المعجزات الواضحة
(وبالذى قلتم) بعينه من القربان الذى تأكله النار فقتلتموهم (فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) اى فيما يدل عليه
كلامكم من انكم تؤمنون لرسول يأتيكم بما اقترحتموه فان زكريا ويحيى وغيرهما من الانبياء عليهم السلام
قد جاؤكم بما قلتم فى معجزات اخر فما لكم لم تؤمنوا حتى اجترأتم على قتلهم (فان كذبوك) شروع فى تسلية
رسول الله صلى الله عليه وسلم (فقد كذب رسل من قبلك) تعليل لجواب الشرط اى فتسل واصبر فقد كذب الخ
(جاؤا بالبينات) اى المعجزات الواضحات صفة لرسل (والزبر) جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرته
اذا حسنته اوالزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته (والكتاب المنير) اى التوراة والانجيل والزبور والكتاب
فى عرف القرءآن ما يتضمن الشرآئع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين فى عامة المواقع والمنير
اى المضيء البين بالامر والنهى والاشارة ان الله تعالى كما قدر ان بعض الامم يغلبون بعض انبيائهم ويقتلونهم
قبل الايمان اوبعد الايمان بهم كذلك قدر ان بعض الصفات النفسانية يغلب على بعض الالهامات الربانية
والواردات الرحمانية فيمحوها كما قال تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت قبل انقيادها لها اوبعد ما انقادت لها
ليقضى الله امرا كان مفعولا وبالجملة ان الروح يصير بمجاورة الصفات النفسانية كالنفس فى الدناءة فتصير
الصفات الذميمة غالبة عليه كما تغلب على الالهامات فعلى السالك ان يتجنب عن مصاحبة المفسدين ومجاورة
صفات النفس * نفس ازهم نفس بكيرد خوى * برحذر باش ازلقاى خبيث * بادچون برفضاى
بد كذرد * بوى بد كيرد ازهواى خبيث * فطوبى لعبد طهر نفسه من الصفات الرذيلة والعناد
والاصرار ورأى الحق حقا والباطل باطلا وانقطع عن ميل الدنيا واتباع الهوى وموافقة غير الله روى ان عيسى
عليه السلام مر بقرية فاذا اهلها موتى فى الافنية والطرق فقال يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا على سخط
ولو ماتوا على غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسأل ربه فاوحى الله اليه اذا كان الليل
فنادهم يجيبوك فلما كان الليل اشرف على الموتى ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال
ما حالكم وما قصتكم قال بتنا فى عافية واصبحنا فى هاوية قال وكيف ذلك قال بحبنا الدنيا وطاعتنا اهل
المعاصى قال وكيف كان حبكم الدنيا قال كحب الصبى لامه اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت حزنا قال فما بال
اصحابك لم يجيبونى قال لانهم ملجمون بلجام من نار بايدى ملائكة غلاظ شداد قال كيف اجبتنى من بينهم
قال لانى كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابنى فانا معلق على شفير جهنم لا ادرى أأنجو منها

ام اكبكب فيها واعلم ان الانكار والتكذيب من حب الدنيا والميل اليها لان الانبياء والاولياء يدعون الى الجنة والمولى وحفت الجنة بالمكاره والانسان اذا رأى ما يكرهه يتنفر عنه ثم اذا اقدم على الاتيان به واكره يأخذ بالانكار قال الله تعالى وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وقد وصى الحكماء الالهية ان لا يجالس المريد اهل الانكار بل لا يلتفت اليهم اصلا اذ للمجاورة تأثير عظيم كما قيل عدوى البليد الى الجليد سريعة والجمر يوضع فى الرماد فيخمد بابدان يار كشت همسر لوط * خاندان نبوتش كم شد * سك اصحاب كهف روزى چند * پى مردم كرفت ومردم شد * قال مولانا جلال الدين قدس سره فى هذا المعنى كر تو سنك وصخره ومرمر شوى * چون بصاحب دل رسى كوهر شوى * ساقنا الله واياكم الى طريقة اوليائه ومجالسة احبائه آمين (كل نفس ذائقة الموت) اى تخرج وتنفك من البدن بادنى شئ من الموت فكنى بالذوق عن القلة وهو وعد ووعيد للمصدق والمكذب من حيث انه كناية عن ان هذه الدار بعدها دار اخرى يتميز فيها المحسن من المسيء ويتوفر على كل احد ما يليق به من الجزاء وفى الحديث لما خلق الله آدم اشتكت الارض الى ربها لما اخذ منها فوعدها ان يرد فيها ما اخذ منها فما من احد الا ويدفن فى التربة التى خلق منها (وانما توفون اجوركم) اى تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا (يوم القيامة) اى يوم قيامكم من القبور وفى لفظ التوفية اشارة الى ان بعض اجورهم يصل اليهم قبله كما ينبئ عنه قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران (فمن زحزح عن النار) اى بعد عنها يومئذ ونحى والزحزحة فى الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة (وادخل الجنة فقد فاز) بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبى صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتى الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه (وما الحياة الدنيا) اى لذاتها وزخارفها (الا متاع الغرور) شبهها بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة ومن آثر الآخرة عليها فهى له متاع بلاغ اى تبليغ الى الآخرة وايصال اليها فلذلك سماه الله خيرا حيث قال وانه لحب الخير لشديد فالعاقل لا يغتر بالدنيا فانها لين مسها قاتل سمها ظاهرها مطية السرور وباطنها مطية الشرور * ترا دنيا همى كويد شب وروز * كه هان ازصحبتم پرهيز و پرهيز * مده خود را فريب از رنك وبويم * كه هست اين خندهٔ من كريه آميز * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها واقرأوا ان شئتم وظل ممدود ولموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما عليها واقرأوا ان شئتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور * بناز ونعمت دنيا منه دل * كه دل برداشتن كاريست مشكل * فمن اتى بالطاعات واجتنب عن السيئات واعرض عن الدنيا ولذاتها فاز بالجنة ودرجاتها ومن عكس الامر عوقب بالحرمان فى دركات النيران روى ان جبريل عليه السلام جاء النبى صلى الله عليه وسلم متغير اللون فسأله النبى صلى الله عليه وسلم عن تغير لونه فقال جئتك وقد امر الله ان ينفخ فى نار جهنم فقال عليه السلام صف لى جهنم فقال لما خلق الله جهنم اوقد عليها الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اصفرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت والذى بعثك بالحق نبيا لو ان جمرة منها وقعت لاحترقت اهل الدنيا ولو ان ثوبا من اثوابها علق بين السماء والارض لماتوا من نتن رائحتها لها سبعة ابواب بعضها اسفل من بعض فقال صلى الله عليه وسلم من سكان هذه الابواب فقال الباب الاول فيه المنافقون واسمه الهاوية والباب الثانى فيه المشركون واسمه الجحيم والباب الثالث فيه الصابئون واسمه سقر والباب الرابع فيه ابليس واتباعه والمجوس واسمه لظى والباب الخامس فيه اليهود واسمه الحطمة والباب السادس فيه النصارى واسمه السعير والباب السابع فيه عصاة الموحدين واسمه النار يدخلونها ثلاثة ايام فاخبر سلمان حال النبى عليه السلام لفاطمة فسألت النبى فاخبرها النبى عليه السلام فقالت فاطمة رضى الله عنها كيف يدخلونها فقال صلى الله عليه وسلم اما الرجال فباللحى واما النساء فبالذوائب ثم انهم يخرجون من النار بشفاعة النبى عليه السلام فتبين ان من زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وانزل الله على بعض انبيائه يا ابن آدم تشترى النار بثمن غال ولا تشترى الجنة بثمن رخيص قيل فى معناه ان فاسقا يتخذ ضيافة للفساق

بمائة درهم او مائتين فيشترى النار ولو اتخذ ضيافة للفقراء بدرهم او درهمين يكون ثمن الجنة غم وشادمانى نماند وليك * جزاى عمل ماند ونام نيك * كرم پاى داردنه ديهيم وتخت * بده كز تو اين ماند اى نيكبخت * مكن تكيه بر ملك وجاه وحشم * كه پيش از تو بودست وبعد از تو هم * واعلم ان البعد عن النار ودخول الجنة بالاجتناب عن المعاصى والمسارعة الى الطاعة وذلك بالهرب عن مقام النفس والدخول فى مقام القلب فان من دخل حرم القلب كان آمنا كما قال تعالى ومن دخله كان آمنا فمن وصل الى ذلك الحرم فقد خلص عن انواع الالم فهو جنة عاجلة قال بعضهم للعارف جنة عاجلة وهى جنة المعرفة ثم ان اعظم اسباب دخول الجنة كلمة الاخلاص والتوحيد وفقنا الله واياكم ثم اعلم ان النفوس على ثلاثة اقسام قسم منها يموت ولا حشر له للبقاء كسائر الحيوانات وقسم يموت فى الدنيا ويحشر فى الآخرة كنفوس الانسان والملائكة والجن والشياطين وقسم منها يموت فى الدنيا ويحشر فى الدنيا والآخرة جميعا وهى نفوس خواص الانسان كما قال عليه السلام المؤمن حى فى الدارين على ان لها موتا معنويا فى الدنيا كما اشار اليه عليه السلام بقوله موتوا قبل ان تموتوا وهو الفناء فى الله بالله لله ولها حياة معنوية فى الدنيا كما قال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس وهو البقاء بنور الله ففى قوله كل نفس ذائقة الموت اشارة الى ان كل نفس مستعدة للفناء فى الله فلا بد لها من موت فمن كان موته بالاسباب تكون حياته بالاسباب ومن كان فناؤه فى الله يكون بقاؤه بالله وانما توفون اجوركم على قدر تقواكم وفجوركم فمن زحزح عن نار القطيعة واخرج من جحيم الطبيعة على قدمى الشريعة والطريقة وادخل الجنة الحقيقية فقد فاز فوزا عظيما وما الحياة الدنيا ونعيمها الا متاع الغرور اى متاع يغتر بها المغرور والممكور (لتبلون) اصل الابتلاء الاختبار اى تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا ملابسة او مفارقة وذلك انما يتصور ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من جهة العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين او الامور قبل ان يرتب عليه شيأ هو من مباديه العادية والجملة جواب قسم محذوف اى والله لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والاعمال الحسنة (فى اموالكم) بما يقع فيها من ضروب الآفات المؤدية الى الهلاك (وانفسكم) بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من اصناف المتاعب والمخاوف والشدائد ونحو ذلك (ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) اى من قبل ايتائكم القرآن وهم اليهود والنصارى (ومن الذين اشركوا) من العرب كابى جهل والوليد وابى سفيان وغيرهم (اذى كثيرا) من الطعن فى الدين الحنيف والقدح فى احكام الشرع الشريف وصد من اراد ان يؤمن وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف واصحابه من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على مضادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما لا خير فيه اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال على المكروه ويستعدوا للقائها فان هجوم الاوجال مما يزلزل اقدام الرجال والاستعداد للكروب مما يهون الخطوب (وان تصبروا) على تلك الشدائد والبلوى عند ورودها وتقابلوها بحسن التقابل (وتتقوا) اى تتبتلوا الى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث يتساوى عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه (فان ذلك) يعنى الصبر والتقوى (من عزم الامور) من معزوماتها التى تنافس فيها المتنافسون اى مما يجب ان يعزم عليه كل احد لما فيه من كمال المزية والشرف او مما عزم الله تعالى عليه وامر به وبالغ فيه يعنى ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد ان تصبروا وتتقوا واعلم ان مقابلة الاساءة تفضى الى ازدياد الاساءة فامر بالصبر تقليلا لمضار الدنيا وامر بالتقوى تقليلا لمضار الآخرة فالآية جامعة لآداب الدنيا والآخرة فعلى العاقل ان يتخلق باخلاق الانبياء والاولياء ويتأدب بآدابهم فانهم كانوا يصبرون على الاذى ولا يقابلون السفيه بمثل مقابلته واذا مروا باللغو مروا كراما * بدى را بدى سهل باشد جزا * اكر مردى احسن الى من اساء * وقد مدح الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله انك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلق النبى صلى الله عليه وسلم القرآن يعنى تأدب بآداب القرآن قيل مدار عظم الخلق بذل المعروف وكف الاذى اى احتماله ورسول الله عليه السلام كان موصوفا بهما وقد انزل الله فى معروفه ولا تبسطها كل البسط وتحمل الاذى انما يكون بصبر قوى وهو عليه السلام كان صبورا لتحمل الاذى اكثر من ان يحصى قال عليه السلام صل من قطعك واعف عمن ظلمك واحسن الى من اساء

اليك وما امر عليه السلام غيره بها الابعد ان تخلق بها وامته لابد ان تتبعه فى تحمل الاذى وغيره لاتسع بدون
الجنة القوية والابتلاآت التى ترد من طرف الحق كلها لتصفية النفس وتوجيهها من الخلق الى الخالق
ولهذا قال عليه السلام ما اوذى نبى مثل ما اوذيت كانه قال ما صفى نبى مثل ما صفيت وقيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ادع الله على المشركين فقال انما بعثت رحمة ولم ابعث عذابا فالابتلاء رحمة ونعمة
(قال جلال الدين قدس سره) درد بشتم داد حق تامن زخواب * برجهم در نيم شب باسوز وتاب *
دردها بخشيد حق از لطف خويش * تانخسبم جمله شب چون كاوميش * والاشارة فى الاية
لتبلون فى اموالكم وانفسكم بالجهاد الاصغر هل تجاهدون بها وتنفقونها فى سبيل الله وبالجهاد الاكبر
اما الاموال فهل تؤثرون على انفسكم ولو كان بكم خصاصة واما الانفس فهل تجاهدون فى الله حق جهاده
ام لا ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب يعنى اهل العلم الظاهر ومن الذين اشركوا اى اهل الرياء من القرآء
والزهاد اذى كثيرا بالغيبة والملامة والانكار والاعتراض وان تصبروا على جهاد النفس وبذل المال واذية الخلق
وتتقوا بالله عما سواه فان ذلك من عزم الامور الذى هو من امور اولى العزم كما قال فاصبر كما صبر اولوا العزم من
الرسل ومن لم يحافظ على هذه الامور كان من المدعين * مشكل آيد خلق را تغيير خلق * انكه بالذات است
كى زائل شود * اصل طبع است وهمه اخلاق فرع * فرع لابد اصل را مائل شود * فظهر ان
من لم يهده الله لايهتدى الى مكارم الاخلاق وحسان الخصال وسنيات الاحوال (واذ اخذ الله) اى اذكر
يا محمد وقت اخذه تعالى (ميثاق الذين اوتوا الكتاب) وهم علماء اليهود والنصارى وذلك الاخذ على
لسان الانبياء عليهم السلام (لتبيننه) حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب قسم ينبىء عنه اخذ
الميثاق كانه قيل لهم بالله لتبيننه (للناس) وتظهرن جميع ما فيه من الاحكام والاخبار التى من جملتها امر نبوته
صلى الله عليه وسلم وهو المقصود بالحكاية (ولا تكتمونه) عطف على الجواب وانما لم يؤكد بالنون لكونه منفيا
كما فى قولك والله لا يقوم زيد (فنبذوه) النبذ الرمى والابعاد اى طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق الموثوق بفنون
التأكيد والقوة (وراء ظهورهم) ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه اصلا فان نبذ الشىء وراء الظهر مثل فى الاستهانة به
والاعراض عنه بالكلية كما ان جعله نصب العين علم فى كمال العناية (واشتروا به) اى بالكتاب الذى امروا ببيانه
ونهوا عن كتمانه والاشتراء مستعار لاستبدال متاع الدنيا بما كتموا اى تركوا ما امروا به واخذوا بدله (ثمنا قليلا)
اى شيأ تافها حقيرا من حطام الدنيا واعراضها وهو ما تناولوه من سفلتهم فلما كرهوا ان يؤمنوا فينقطع ذلك
عنهم كتموا ما علموا من ذلك وامره وهم ان يكذبوه (فبئس ما يشترون) ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس
ويشترون صفة والمخصوص بالذم محذوف اى بئس شيأ يشترونه ذلك الثمن وظاهر الاية وان دل على نزولها
فى حق اليهود والنصارى الذين كانوا يخفون الحق ليتوسلوا بذلك على وجدان شىء من الدنيا الا ان حكمها
يعم من كتم من المسلمين احكام القرآن الذى هو اشرف الكتب وانهم اشراف اهل الكتاب قال صاحب
الكشاف وكفى به دليلا على انه مأخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيأ لغرض
فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة من حطام الدنيا او لتقيه
مما لادليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب الى غيرهم انتهى بعبارته فكل من لم يبين الحق للناس
وكتم شيأ من هذه الامور دخل تحت وعيد الاية كذا فى تفسير الامام فعلى المرء ان يحسن نيته حال الاضمار
والاظهار ويطهر سريرته عن لوث الاغراض والاوزار والانكار زيان مى كند مرد تفسيردان * كه علم
وادب ميفروشد بنان * بدين اى فرومايه دنيى مخر * چو خر بانجيل عيسى مخر * يعنى لاتشتر بالعلم
والقرآن ما تربى به نفسك من شهواتك ولا تخف من الخلق فى اظهار الاحكام واصدع بما امرت به حكى
ان الحجاج ارسل الى الحسن وقال ما الذى بلغنى عنك فقال ما كل الذى بلغك قلته ولا كل ما قلته بلغك قال
انت الذى قلت ان النفاق كان مقموعا فاصبح قد تعمم وتقلد سيفا فقال نعم فقال وما الذى حملك على هذا ونحن
نكرهه قال لان الله اخذ ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه قال قتادة مثل علم لا يقال به كمثل
كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب وكان يقول طوبى لعالم ناطق ولمستمع
واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه قال صلى الله عليه وسلم من كتم علما على اهله الجم بلجام من نار قال

الفضيل رحمه الله لو ان اهل العلم اكرموا انفسهم وشحوا على دينهم واعزوا العلم وصانوه وانزلوه حيث انزله الله
لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعا وعز الاسلام واهله ولكنهم اذلوا انفسهم ولم يسألوا
ما نقص من دينهم اذا سلمت لهم دنياهم فبذلوا علمهم لابناء الدنيا ليصيبوا بذلك مما فى ايدى الناس فذلوا وهانوا
على الناس وعن الفضيل ايضا قال بلغنى ان الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل
عبدة الاصنام فيقولون ربنا ما بالنا يتقدمون الينا فيقول الله ليس من يعلم كمن لا يعلم فمن اشترى الدنيا بالدين
فقد وقع فى خسران مبين ولا يخفى ان مداره على حب الدنيا اقذنا الله واياكم الى طريق القناعة (حكى)
ان ذا القرنين اجتاز على قوم تركوا الدنيا وجعلوا قبور موتاهم على ابوابهم يقتاتون بنبات الارض ويشتغلون
بالطاعة فارسل ذو القرنين الى رئيسهم فقال مالى حاجة الى صحبة ذى القرنين فجاء ذو القرنين فقال ما سبب
قلة الذهب والفضة عندكم قال ليس للدنيا طالب عندنا لانها لا تشبع احدا فجعلنا القبور عندنا حتى لا ننسى
الموت ثم اخذ قحفا انسان وقال هذا رأس ملك من الملوك كان يظلم الرعية ويجمع حطام الدنيا فقبضه الله تعالى
وبقى عليه السيئات ثم اخرج آخر وقال هذا ايضا رأس ملك عادل مشفق فقبضه واسكنه جنته ورفع درجته
ثم وضع يده على رأس ذى القرنين وقال من اى الرأسين يكون رأسك فبكى ذو القرنين وقال ان رغب فى صحبتى
شاطرتك مملكتى وسلمت اليك وزارتى فقال هيهات فقال ذو القرنين ولم قال لان الناس اعداؤك بسبب المال
والمملكة وجميعهم احبابى بسبب القناعة * نبرزد عسل جان من زخم نيش * قناعت نكوتر بدوشاب خويش *
كدايى كه برخاطرش بند نيست * به از پادشاهى كه خرسند نيست * اكر پادشاهست اكر پينه دوز *
چو خفتند كردد شب هر دو روز (لا تحسبن) يا محمد او الخطاب لكل احد ممن يصلح له (الذين يفرحون بما اتوا) اى
بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق (ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا) من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار
بالصدق (فلا تحسبنهم) تأكيد لقوله لا تحسبن والمفعول الثانى له قوله (بمفازة من العذاب) اى ملتبسين بنجاة
منه (ولهم عذاب اليم) بكفرهم وتدليسهم (ولله) اى خاصة (ملك السموات والارض) اى السلطان القاهر
فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيف يشاء ويريد ايجادا واعداما احياء واماتة تعذيبا واثابة من غير
ان يكون لغيره شائبة دخل فى شىء من ذلك بوجه من الوجوه وهو يملك امرهم ويعذبهم بما فعلوا لا يخرجون عن
قبضة قدرته ولا ينجون من عذابه يأخذهم متى شاء (والله على كل شىء قدير) فيقدر على عقابهم وكيف يرجو
النجاة من كان معذبه هذا المالك القادر روى انه عليه السلام سأل اليهود عن شىء مما فى التوراة فاخبروه بخلاف
ما كان فيه واروه انهم قد صدقوا وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل هم المنافقون كافة وهو الانسب بظاهر قوله
تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فانهم كانوا يفرحون بما فعلوه من اظهار الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر
ويستحمدون الى المسلمين بالايمان وهم عن فعله بالف منزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم فى الغاية القاصية
من العداوة والاولى اجراء الموصول على عمومه شاملا لكل من يأتى بشىء من الحسنات فيفرح به فرح اعجاب
ويود ان يمدحه الناس بما هو عارى منه من الفضائل وانواع البر وكون السبب خاصا لا يقدح فى عمومية حكم
الاية واعلم ان الفرح بمتاع الدنيا وحب مدح الناس من صفات ارباب النفس الامارة المغرورين بالحياة الدنيا
وتمويهات الشيطان المحجوبين عن السعادات الاخروية والقربات المعنوية قال الامام فى تفسيره وانت
اذا انصفت عرفت ان احوال اكثر الخلق كذلك فانهم يأتون بجميع وجوه الحيل فى تحصيل الدنيا ويفرحون
بوجدان مطلوبهم ثم يحبون ان يحمدوا بانهم من اهل العفاف والصدق والدين اى برادر از توبهتر هيچ كس
نشناسدت * زانچه هستى يك سر موخويش را افزون منه * كر فزون از قدر تو بشناسدت نابخردى *
قدر خود بشناس وپاى از حد خود بيرون منه * فعلى العاقل ان لا يتعدى طوره ولا يفرح بما ليس فيه فانه
لا يغنى عنه شيأ قال بعض المشايخ الناس يمدحونك لما يظنون فيك من الخير والصلاح اعتبارا بما يظهر من ستر
الله عليك فكن انت ذاما لنفسك لما تعلمه منها من القبائح والمؤمن اذا مدح استحيى من الله ان يثنى عليه بوصف
لا يشهده من نفسه واجهل الناس من يترك يقين ما عنده من صفات نفسه التى لا شك فيها لظن ما عند الناس
من صلاحية حاله قال الحارث بن المحاسبى رحمه الله الراضى بالمدح بالباطل كمن يهزأ به ويقال ان العذرة التى
تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك ويفرح بذلك ويرضى بالسخرية به * جبل ستايش فراچه مشو *

چو حاتم اصم باش وعيبت شنو * يعنى لا تغتر بالمدح حتى لا تقع فى بئر الهلاك وكن كالشيخ حاتم الاصم صورة
فان الخلق اذا ظنوك يتكلمون فى حقك ما لا ترضى به من القول لو سمعت فاذن تسمع عيوبك منهم وفى ذلك فائدة
عظيمة لك لان المرء اذا عرف عيبه يجتهد فى قمعه والتحلى بالاوصاف الجميلة والعارف هو الذى يستوى قلبه
فى المدح والذم لا ينقبض من الذم ولا ينبسط من المدح وكيف ينبسط بما يتحقق به مما يقوله الخلق من هو اعرف
بحال نفسه وان انبسط فهو المغرور والمدعى هو الذى يرى نفسه صادقا فى الاحوال والمعاملات وكل الحالات
كانه لا يتعرض لشئ من الدنيا اصلا وحاله شاهدة عليه فى هذا الباب فان المرء له محك فى اقواله وافعاله واحواله
قال عليه السلام انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشى فى الماء هل يستطيع الذى يمشى فى الماء ان لا تبتل قدماه
فمن هذا يعرف جهالة الذين يزعمون انهم يخوضون فى نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلائقها عن
بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة الشيطان بل هم لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا اعظم المتفجعين بفراقها فكما ان
المشى فى الماء يقتضى بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضى علاقة وظلمة فى القلب بل علاقة
القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة قال الشيخ ابو عبد الله القرشى رحمه الله شكا بعض الناس لرجل
من الصالحين انه يعمل البر ولا يجد حلاوته فى القلب فقال لان عندك ابنة ابليس فى قلبك وهى الدنيا ولا بد
للاب ان يزور ابنته فى بيتها وهو قلبك ولا يؤثر دخوله الا فسادا قال الله تعالى يا داود ان كنت تحبنى فاخرج
حب الدنيا من قلبك فان حبى وحبها لا يجتمعان فى قلب ابدا وروى ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه
لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قالوا ومن الموتى قال الراغبون فى الدنيا المحبون لها برو دهشيار دنيا
خسست * كه هر مدتى جاى ديگر كست * منه بر جهان دل كه بيگانه ايست * چو مطرب كه
هر روز در خانه ايست * نه لايق بود عشق با دلبرى * كه هر بامدادش بود شوهرى * عصمنا الله
واياكم (ان فى خلق السموات والارض) وذلك ان اهل مكة سألوا رسول الله عليه السلام ان يأتيهم بآية لصحة
دعواه لانه كان يدعوهم الى عبادة الله وحده فنزل ان فى خلق السموات والارض خلقين عظيمين ويقال فيما
خلق الله فى السموات من الشمس والقمر والنجوم وما خلق الله فى الارض من الجبال والبحار والاشجار
والوحوش والطيور (واختلاف الليل والنهار) يعنى ذهاب الليل ومجيء النهار ويقال فى اختلاف لونيهما
اوفى تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الاخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا
وبعدا بحسب الازمنة (لآيات لاولى الالباب) لعبرات كثيرة لذوى العقل الخالص عن شوائب الاوهام
والخيالات واللب خالص العقل فان العقل له ظاهر وله لب ففى اول الامر يكون عقلا وفى حال كماله ونهاية امره
يكون لبا (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) نعت لاولى الالباب اى يذكرونه دائما على الحالات
كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين فان الانسان لا يخلو عن هذه الهيئات غالبا (ويتفكرون فى خلق السموات
والارض) يعنى يعتبرون فى خلقهما وانما خصص التفكر بالخلق لقوله عليه السلام تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا
فى الخالق وانما نهى عن التفكر فى الخالق لان معرفة حقيقته المخصوصة غير ممكنة للبشر فلا فائدة لهم فى التفكر
فى ذات الخالق ولما كان الانسان مركبا من النفس والبدن كانت العبودية بحسب النفس وبحسب البدن
فاشار الى عبودية البدن بقوله الذين يذكرون الله الخ فان ذلك لا يتم الا باستعمال الجوارح والاعضاء واشار الى
عبودية القلب والروح بقوله ويتفكرون فى خلق السموات والارض وعن عطاء بن ابى رباح قال دخلت مع ابن عمر
وعبيد الله بن عمر على عائشة رضى الله عنها فسلمت عليها فقالت من هؤلاء فقلت عبيد الله بن عمر فقالت مرحبا
بك يا عبيد الله بن عمر ما لك لا تزورنا فقال عبيد زر غبا تزدد حبا قال ابن عمر دعونا من هذا حدثينا باعجب
ما رأيت من رسول الله عليه السلام فبكت بكاء شديدا فقالت كل امره عجيب اتانى فى ليلتى فدخل فى فراشى
حتى الصق جلده بجلدى فقال يا عائشة اتأذنين لى ان اتعبد لربى فقلت والله انى لاحب قربك وهواك قد اذنت
لك فقام الى قربة من ماء فتوضأ منها ثم قام فبكى وهو قائم حتى بلغ الدموع حقويه حتى اتكأ على شقه
الايمن ووضع يده اليمنى تحت خده الايمن فبكى حتى ادرت الدموع وبلغت الارض ثم اتاه بلال بعد ما اذن للفجر
فلما رآه يبكى قال لم تبكى يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا
ومالى لا ابكى وقد انزلت على الليلة ان فى خلق السموات والارض الى قوله فقنا عذاب النار ويل لمن قرأها

ولم يتفكر فيها وفى الحديث تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة وفى التفضيل وجهان احدهما ان التفكر
يوصلك الى الله والعبادة توصلك الى ثواب الله والذى يوصلك الى الله خير مما يوصلك الى غير الله والثانى ان التفكر
عمل القلب والطاعة عمل الجوارح والقلب اشرف من الجوارح فكان عمل القلب اشرف من عمل الجوارح
ثم شرع فى تعليم الدعاء تنبيها على ان الدعاء انما يجدى ويستحق الاجابة اذا كان بعد تقديم الوسيلة وهى اقامة
وظائف العبودية من الذكر والفكر فقال (ربنا) يعنى يتفكرون ويقولون ربنا (ما خلقت هذا) اى السموات
والارض وتذكير الضمير لما انهما باعتبار تعلق الخلق بهما فى معنى المخلوق (باطلا) اى خلقا باطلا اعتباطا عبثا
عن الحكمة خاليا عن المصلحة كما ينبئ عنه اوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم
جليلة ومصالح عظيمة من جملتها ان يكون مدارا لمعايش العباد ومنارا يرشدهم الى معرفة احوال المبدأ والمعاد
حسبما افصحت عنه الرسل والكتب الالهية (سبحانك) اى ننزهك عما لا يليق بك من الامور التى من جملتها
خلق ما لا حكمة فيه (فقنا عذاب النار) اى من عذاب النار الذى هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك وفائدة الفاء
هى الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة وفيه اشارة الى عظم ذكر الله
واشارة الى ثلاث مراتب اولاها الذكر باللسان وثانيتها التفكر بالقلب وثالثتها المعرفة بالروح لان ذكر اللسان
يوصل صاحبه الى ذكر القلب فهو التفكر فى قدرة الله وذكر القلب يوصل الى مقام الروح فيعرف فى ذلك حقائق
الاشياء ويشاهد الحكم الالهية فى خلق الله فيقول بعد المشاهدة ربنا ما خلقت هذا باطلا فينبغى للمؤمن
ان يلازم ذكر الله بلسانه فى جميع الاحوال حتى يصل بسبب الذكر باللسان الى ذكر القلب ثم الى ذكر الروح
ويحصل له اليقين والمعرفة ويخلص من ظلمة الجهل ويتنور بنور المعرفة قال بعضهم معنى لا اله الا الله للعوام
لا معبود الا الله ومعناها للخواص لا محبوب ولا مقصود الا الله ومعناها لاخص الخواص لا موجود الا الله
فانه يكون فى تلك الحالة مستهلكا فى بحر الشهود فلا يشعر بشئ سوى الله ولا يرى موجودا وفى تفسير الحنفى
منقول فى التوحيد اربع مراتب وهو ينقسم الى لب والى لب اللب والى قشر والى قشر القشر وتمثيل ذلك تقريبا
الى الافهام الضعيفة بالجوز فى قشرتيه العليا والسفلى فان له قشرتين وله لب وللب دهن وهو لب اللب
فالمرتبة الاولى من التوحيد ان يقول الانسان باللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد
المنافق والثانية ان يصدق بمعناه قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد والثالثة ان يشاهد ذلك بواسطة نور
الهى وذلك ان يرى الاشياء صادرة من الواحد القهار والرابعة ان لا يرى فى الوجود الا وجودا وهو مشاهدة
الصديقين وهو الفناء فى التوحيد بمعنى انه فنى عن رؤية نفسه فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه
فى الدنيا عن السيف والسنان والثانى موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال من التكذيب
بما انعقد عليه قلبه وهو عقد على القلب ليس فيه انشراح وانفتاح ولكنها تحفظ صاحبها عن العذاب فى الآخرة
ان توفى عليها ولم يضعف بالمعاصى عقدتها ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة والثالث
موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذا انكشف له لا فاعل بالحقيقة كما هى عليه لانه كلف قلبه ان يعقد
على مفهوم لفظ الحقيقة فان ذلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لا فرق بينهما فى الاعتقاد بل فى صفة تلفيق الكلام
والرابع موحد بمعنى انه لا يرى غير الواحد وهذه الغاية القصوى فى التوحيد فالاول كالقشرة العليا من الجوز
والثانى كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما ان القشرة العليا لا خير فيها
بل ان اكل فهو مر المذاق وان نظر الى باطنه فهو كريه المنظر وان اخذ حطبا اطفأ النار واكثر الدخان وان ترك
فى البيت ضيق المكان فلا يصلح الا ان يترك مدة على الجوز للصون ثم يرمى فكذلك التوحيد بمجرد اللسان عديم
الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة فى حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة
السفلى هى البدن فيصون من السيف وانما يتجرد عند الموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما ان القشرة السفلى
ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانه يصون اللب ويحرسه عن الفساد عند الادخار واذا فصل امكن
ان ينتفع به حطبا لكونه لا قدر له بالنسبة الى اللب فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة
الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمجاهدة التى تحصل بانشراح الصدر وانفتاحه
واشراق نور الحق فيه اذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه

وقوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وكما ان اللب نفيس بالاضافة الى القشرة لانه المقصود لكن لا يخلو عن شوب بالنسبة الى الدهن كذلك هذا التوحيد لا يخلو عن ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لم ير سوى الواحد الحق انتهى ما في الحنفي واعلم ان الاية تدل على جواز ذكر الله تعالى قائما ولهذا قال المشايخ ولا بأس ان يقوموا ترويحا لقلوبهم ولا يتحركوا في ذلك ولا يستظهروا بحال ليس عندهم منه حقيقة والحاصل ان التوحيد اذا اقترن بالآداب فليس له وضع مخصوص يجوز قائما او قاعدا او مضطجعا ولكن ورد في الاحاديث ما يدل على استحباب الاخفاء في ذكر الله وذكر شارح الكشاف ان هذا بحسب المقام والشيخ المرشد يأمر المبتدى برفع الصوت لتنقلع عن قلبه الخواطر الراسخة فيه كذا في شرح المشارق ويوافقه ما ذكر في المظهر حيث قال الذكر برفع الصوت جائز بل مستحب اذا لم يكن عن رياء ليغتنم الناس باظهار الدين ووصول بركة الذكر الى السامعين في الدور والبيوت والحوانيت وليوافق الذاكر من سمع صوته ويشهد له يوم القيامة كل رطب ويابس سمع صوته وبعض المشايخ اختار الاخفاء لانه ابعد عن الرياء وهذا يتعلق بالنية فمن كانت نيته صادقة فرفع صوته بقراءة القرآن والذكر اولى لما ذكرنا ومن خاف من نفسه الرياء فالاولى له اخفاء الذكر لئلا يقع في الرياء انتهى قيل اذا كان وحده فان كان من الخواص فالاخفاء في حقه اولى وان كان من العوام فالجهر في حقه اولى واذا كانوا مجتمعين على الذكر فالاولى في حقهم رفع الصوت بالذكر والقوة فانها اكثر تأثيرا في رفع الحجب ومن حيث الثواب فلكل واحد ثواب ذكر نفسه وسماع ذكر رفقائه قال الله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة شبه القلوب بالحجارة ومعلوم ان الحجر لا ينكسر الا بقوة فقوة ذكر جماعة مجتمعين على قلب واحد اشد من قوة ذكر شخص واحد كذا في ذخرة العابدين قال حسين الواعظ الملقب بالكاشفي * كفت وكوى عاشقان در كار رب * جوشش عشقست نه ترك ادب * هر كه كرد از جام حق يك جرعه نوش * نه ادب ماند درونه عقل وهوش * والمقصود ان السالك اذا سلب اختياره عند التوحيد بغلبة الوجد فلا دخل لشئ من اوضاعه وحركاته فانه اذا ليس في يده فلا يرد ما قيل * كار نادان كوته انديشست * ياد كردن كسى كه در پيشست * فان الجهر وحركات الموحد بالنسبة الى مقامه وحاله ممدوحة جدا واما المتصلفون المتكلفون فحركاتهم وافعالهم من عند انفسهم وقد نهى المشايخ في كتبهم عن امثال هؤلاء وافعالهم واقوالهم فعلى العاقل ان يراعى الآداب والاطوار ولا ينفك لحظة عن ذكر الملك الغفار (ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته) غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك اى المرعى الذى لا مرعى بعده والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحانى افظع (وما للظالمين من انصار) اراد بهم المدخلين وجمع الانصار بالنظر الى جمع الظالمين اى وما لظالم من الظالمين نصير من الانصار والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس في الاية دلالة على نفى الشفاعة لانها هى الدفع بطريق اللين والمسألة فنفى النصرة لا يستلزم نفى الشفاعة (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان) اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه والمراد به الرسول عليه السلام فانه ينادى ويدعو الى الايمان حقيقة قال تعالى ادع الى سبيل ربك (ان آمنوا) اى آمنوا على أن أن تفسيرية او بان آمنوا على انها مصدرية (بربكم) بمالككم ومتولى اموركم ومبلغكم الى الكمال (فآمنا) اى فامتثلنا بامره واجبنا نداءه (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) اى كبائرنا فان الايمان يجب ما قبله (وكفر عنا سيئاتنا) اى صغائرنا فانها مكفرة عن مجتنب الكبائر (وتوفنا) اى اقبض ارواحنا (مع الابرار) اى مخصوصين بصحبتهم مغتنمين بجوارهم معدودين من زمرتهم فالمراد من المعية ليس المعية الزمانية لان ذلك محال ضرورة ان توفيهم انما هو على سبيل التعاقب بل المراد المعية في الاتصاف بصفة الابرار حال التوفى وفيه اشعار بانهم كانوا يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه فمن جعله الله ممن آمن بداعى الايمان فقد اكرمه مع اوليائه في الجنان فطوبى للذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وطوبى لمن اتعظ بالموعظة الحسنة (قال الحافظ) نصيحت كوش كن جانا كه از جان دوست تر دارند * جوانان سعادتمند پند پير دانارا (قال الشيخ السعدى) بكوى آنچه دانى سخن سودمند * وكر هيچ كس را نيايد پسند * كه فردا پشيمان بر آرد خروش * كه آوخ چرا حق نكردم بكوش * قال ابو عامر الواعظ بينما انا جالس بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءنى غلام

واعطانى رقعة فاذا فيها اسعدك الله يا اخى ابا عامر بلغنى قدومك واشتقت الى رؤيتك فذهبت مع الغلام فوصلنا الى بيت في خربة له باب من جريد النخل واذا فيه شيخ مقعد مستقبل القبلة محزون من الخشية قد ذهبت عيناه من البكاء فسلمت عليه فرد على السلام فقال يا ابا عامر لم يزل قلبى الى استماع موعظتك مشتاقا وبى داء قد اعيى الواعظين علاجه فقلت ايها الشيخ ارم ببصر قلبك في ملكوت السماء وتنقل بحقيقة ايمانك الى جنة المأوى ترما اعد الله فيها للاولياء ثم انظر في نار لظى ترما اعد الله للاشقياء فشتان ما بين الدارين وليس الفريقان على السواء فلما سمع قولى أن وصاح صيحة ثم قال والله لقد وقع دواؤك على الداء زدنى رحمك الله فقلت ان الله عالم بسريرتك فيطلع عليك عند استتارك ومبارزتك فلما سمع صاح صيحة اعظم من الاولى فخر ميتا فعند ذلك خرجت جارية عليها مدرعة وخمار من صوف قد ذهب السجود بجبهتها فقالت احسنت يا مداوى قلوب العارفين ان هذا الشيخ كان والدى وهو مبتلى بالسقم منذ عشرين سنة وكان يتمنى من الله ويقول حضرت مجلس ابى عامر فاحيى قلبى وطرد عنى غفلتى وان سمعته ثانيا قتلنى فجزاك الله خيرا ثم اكبت على والدها وجعلت تقبل بين عينيه وتبكى فقلت لها يا ايتها الباكية ان اباك بحبه قد مضى وورد دار الجزاء فان كان محسنا فله الزلفى وان كان مسيئا فوارد دار من اساء فصاحت ثم ماتت فبقيت حزينا عليهما فرأيتهما في المنام في احسن مقام عليهما حلتان خضراوتان فسألت عن حالهما فقال الشيخ انت شريكى في الذى نلته شاهدا يا ابا عامر وكل من ايقظ ذا غفلة فنصف ما يعطاه للآمر ثم قال قدمت على رب كريم غير غضبان فاسكننى الجنان وزوجنى من الحور الحسان فاحرص يا ابا عامر على كثرة الدعاء والاستغفار الى الله الملك الغفار وطلب المغفرة آناء الليل واطراف النهار من شيم الاخيار والابرار واعلم ان من تنصح بكلمة فقد آمن بمنادى الحق على لسان عبده فنجا من نيرانه ووصل الى المغفرة والرحمة في جنانه روى ان حدادا كان يمسك الحديد المحمى بيده فسئل عنه فقال عشقت امرأة فراودتها وعرضت عليها مالا فقالت ان لى زوجا لا احتاج الى المال ثم مات زوجها فطلبت ان اتزوجها فامتنعت وقالت لا اريد اذلال اولادى ثم بعد زمان احتاجت فارسلت الى فقلت لا اعطيك شيأ حتى تعطى مرادى فلما دخلت معها موضعا ارتعدت فقلت ما لك فقالت اخاف الله السميع البصير فتركتها فقالت انجاك الله من النار فمن ذلك الوقت لا تحرقنى نار الدنيا وارجو من الله تعالى ان لا تحرقنى نار الآخرة فمن خشى الرحمن وذكر انه بحضرة من الله فهو لا يجترئ على الذنب والآثام فيسلم من عذاب النار ويتنعم في دار السلام عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب واما الدعاء فهو مخ العبادة وينفع في الدنيا فيدفع الآفات واما في الآخرة فان الله يعطيه هدايا على ايدى الملائكة ويقول ان هذه في مقابلة دعائك في الدنيا * از آستان حضرت حق سر چرا كشيم * دولت درين سرا وكشايش درين درست (قال الحافظ) هر كه خواهد كو بيا وهر چه خواهد كو بكو * كبر وناز وحاجب ودربان درين دركاه نيست * حقق الله رجاءنا وقبل دعاءنا واعطانا ما هو خير لنا في الدنيا والآخرة (ربنا وآتنا) اعطنا (ما وعدتنا على رسلك) على تصديق رسلك او على السنة رسلك من الثواب والكرامة (ولا تخزنا) لا تهنا (يوم القيامة) بان تعصمنا عما يقتضيه (انك لا تخلف الميعاد) اسم مصدر بمعنى الوعد وهذه الدعوات وما في تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال ليست لخوفهم من اخلاف الميعاد بل لخوفهم ان لا يكونوا من جملة الموعودين لسوء عاقبة او قصور في الامتثال فرجعها الى الدعاء بالتثبيت او للمبالغة في التعبد والخشوع ثم قوله ولا تخزنا يوم القيامة شبيه بقوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانه ربما ظن الانسان انه على الاعتقاد الحق والعمل الصالح ثم انه يوم القيامة يظهر له ان اعتقاده كان ضالا وعمله كان ذنبا فهنالك تحصل الخجالة العظيمة والحسرة الكاملة والاسف الشديد وذلك هو العذاب الروحانى وهو اشد من العذاب الجسمانى ومما يدل على هذا انه سبحانه حكى عن هؤلاء العباد المؤمنين انهم طلبوا في هذه الانواع الخمسة من الدعاء اشياء فاول مطالبهم الاحتراز عن العذاب الجسمانى وهو قوله فقنا عذاب النار وآخرها الاحتراز عن العذاب الروحانى وهو قوله ولا تخزنا يوم القيامة وذلك يدل على ما قلنا ولذلك قالوا الفرقة اشد من الحرقة (قال مولانا جلال الدين الرومى قدس سره) جور دوران وهر آن رنجى كه هست * سهلتر از بعد حق وغفلتست * كر جهاد وصوم سختست وخشن * ليك اين بهتر

زبعد ممحن * فليسارع المؤمن الى الطاعات ليدخل فى زمرة من وعدالله لهم من الكرامات عن جابر رضى الله عنه كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا احدثكم بغرف الجنة قلنا بلى يارسول الله قال ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات مالا عين رأت ولا اذن سمعت قلت يارسول الله لمن هذه الغرف قال لمن افشى السلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام وعن ابى بكر الوراق رحمه الله طلبنا اربعة فوجدناها فى اربعة وجدنا رضى الله فى طاعته وسعة الرزق فى صلاة الضحى وسلامة الدين فى حفظ اللسان ونور القبر فى صلاة الليل وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال آخر من يدخل الجنة رجل يمشى مرة ويسقط اخرى وتأخذه النار فاذا جاوزها التفت اليها ويقول سبحان من نجانى منك قد اعطانى شيأ ما اعطاه لاحد من الاولين والاخرين فيرفع له شجرة عظيمة الظل فيشتاق الى ظلها فيقول اى رب ادننى منها ولا اسألك غيرها فيدنيه منها ويشرب من مائها ثم يرفع له شجرة اعظم من الاولى فيقول اى رب ادننى منها ويعاهد ان لا يسأل غيرها فيدنيه منها فيرفع له شجرة اعظم مما تقدم فيسأله ان يدنيه فاذا ادنى سمع اصوات اهل الجنة ويقول اى رب لو اوصلتها لا اسألك فيقول الله يا ابن آدم ما اغدرك كم تعاهد وتكذب اترضى ان اعطيك مثل الدنيا ومثلها فيقول اتستهزئ بى وانت رب العالمين ثم ضحك ابن مسعود فقالوا لم تضحك فقال هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لم ضحك رسول الله قال من ضحك رب العالمين فيقول الله لا استهزئ ولكنى على ما اشاء قدير (حكى) ان والدى معروف الكرخى كانا من النصارى وكان معلم النصارى يقول لمعروف قل ثالث ثلاثة فيقول معروف بل هو الاحد الصمد فيضربه المعلم فهرب يوما فقال والداه لو جاء معروف فعلى اى دين وجدناه تبعناه فجاء على دين الاسلام فاسلما قال النبى عليه السلام ما منكم من احد الا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر عن يمينه فلا يرى الا شيأ قدمه ثم ينظر عن يساره فلا يرى الا شيأ قدمه فيستقبله النار فمن استطاع منكم ان يتقى النار ولو بشق تمرة فليفعل (حكى) ان عجوزا كافرة كانت تطعم الطير ذرة فى ايام الشتاء فرآها ذو النون المصرى فقال ان الله تعالى لا يقبل من عدو ثم رآها فى الكعبة قد اسلمت فقالت ياذا النون انه اعطانى الاسلام بما رأيته * بى كرم آدمى نه ازبشراست * ازشجر بلكه ازحجر بتراست * شجرى كان نمى دهد ثمرى * معتبر نيست لايق تبراست * عصمنا الله تعالى واياكم من النار وادخلنا الجنة مع الاصفياء والابرار (فاستجاب لهم ربهم) الى طلبتهم وهو اخص من اجاب فان اجاب معناه اعطاه الجواب وهو قد يكون بتحصيل المطلوب وبدونه واستجاب انما يقال لتحصيل المطلوب ويتعدى بنفسه وباللام (انى) اى بانى (لا اضيع عمل عامل منكم) وهو ما حكى عنهم من المواظبة على ذكر الله تعالى فى جميع حالاتهم والتفكر فى مصنوعاته استدلالا واعتبارا والثناء على الله بالاعتراف بربوبيته وتنزيهه عن العبث وخلق الباطل والاشتغال بالدعاء وجعل هذه الاعمال سببا للاستجابة يدل على ان استجابة الدعاء مشروطة بهذه الشروط وبهذه الامور فلما كان حصول هذه الشرائط عزيزا لاجرم كان الشخص الذى يكون مجاب الدعاء عزيزا (من ذكر او انثى) بيان لعامل وتأكيد لعمومه وهذا يدل على انه لا تفاوت فى الاجابة وفى الثواب بين الذكر والانثى اذا كانا جميعا فى التمسك بالطاعة على التوبة والفضل فى باب الدين بالاعمال لا بسائر صفات العاملين لان كون بعضهم ذكرا او انثى او من نسب خسيس او شريف لا تأثير له فى هذا الباب (بعضكم من بعض) لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر قال الامام فيه وجوه احسنها ان يقال من بمعنى الكاف اى بعضكم كبعض فى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية قال القفال هذا من قولهم فلان منى اى على خلقى وسيرتى وهى معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روت ام سلمة قالت يارسول الله انى اسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزل قوله تعالى انى لا اضيع الى آخره اى كما ان بعضكم من بعض كذلك انتم فى ثواب العمل تثاب المرأة العاملة كما يثاب الرجل العامل وبالعكس فلا اثيب بعضا واحرم آخر (فالذين هاجروا) تفصيل لاعمال العمال منهم وما اعد لهم من الثواب على المدح والتعظيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهى المهاجرة عن مبتدأ اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة (واخرجوا من ديارهم) اى اضطروا الى الخروج من ديارهم التى ولدوا فيها ونشأوا بايذاء المشركين

قال

قال الامام المراد من قوله الذين هاجروا الذين اختاروا المهاجرة من اوطانهم فى خدمة الرسول والمراد من اخرجوا من ديارهم الذين الجأهم الكفار ولاشك ان رتبة الاولين افضل لانهم اختاروا خدمة الرسول وملازمته على الاختيار فكانوا افضل (واوذوا فى سبيلى) فى سبيل الحق ودين التوحيد بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وهو متناول لكل اذية نالتهم من قبل المشركين (وقاتلوا) اى الكفار فى سبيل الله (وقتلوا) استشهدوا فى القتال (لاكفرن عنهم سيئاتهم) اى والله لامحون عنهم سيئاتهم (ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا) الثواب فى الاصل اسم لما يثاب به كالعطاء اسم لما يعطى الا انه قد يوضع موضع المصدر فهو مصدر مؤكد بمعنى اثابة لان تكفير السيئات وادخال الجنة فى معنى الاثابة اى لاثيبنهم بذلك اثابة (من عندالله) صفة له اى كائنة من عندالله قصد بتوصيفه به تعظيم شأنه فان السلطان العظيم الشأن اذا قال لعبده البسك خلعة من عندى دل ذلك على كون تلك الخلعة فى غاية الشرف واكد كون ذلك الثواب فى غاية الشرف بقوله (والله عنده حسن الثواب) اى حسن الجزاء على الطاعات قادر عليه وهو نعيم الجنة الباقى لا كنعيم الدنيا الفانى * نعيم آخرت باقيست اى دل * خنك انكس كه باشد عبد مقبل * ولا يخفى ان هذا الجزاء العظيم والاجر الجسيم للذين جمعوا بين المهاجرة والاخراج من الاوطان والتأذى فى سبيل الله والقتال والمقتولية فعلى السالك ان يهاجر عن وطن النفس والعمل السيء والخلق الذميم ويخرج من ديار الطبيعة الى عالم الحقيقة حتى يدخل مقام العندية الخاصة فان ثمرات المجاهدات المشاهدات والعمل الصالح يستدل به على حسن العاقبة روى ان صفوان بن سليم كان يجتهد فى العبادة والقيام وكان يبيت على السطح فى ايام الشتاء لئلا يستريح من البرد وفى الصيف ينزل الى بيته ليعذب نفسه بحر الهواء وكان عادته ذلك الى ان مات فى سجدته ووصل الى رحمة الله وجنته فهذا هو الاجتهاد فعليك به فان احتالت نفسك عليك فى ذلك فحدثها باخبار السلف واحوالهم وحكاياتهم كى ترغب فى الطاعة والاجتهاد فان فى ذلك نفعا كليا وتأثيرا عظيما (قال الفاضل الجامى قدس سره) هجوم نفس وهوا كرسپاه شيطانند * چوزوربردل مرد خداپرست آرد * بجز جنود حكايات رهنمايا * چه تاب آنكه بران رهزنان شكست آرد * فان قالت النفس انهم كانوا رجالا اقوياء كيف يداني بهم فى الطاعة من خلفهم فحدثها باخبار النساء كيف كن اناثا ومع ذلك لم يتخلفن عن مجاهدات الرجال حتى وصلن الى ما وصلوا اليه كرابعة العدوية وغيرها قال بعضهم

ولو كان النساء كمن ذكرنا * لفضلت النساء على الرجال
فلا التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

(قال الشيخ السعدى قدس سره) زنانى كه طاعت برغبت برند * زمردان ناپارسا بكذرند * ترا شرم نايد زمردى خويش * كه باشد زنانرا قبول ازتوپيش * قال الحسن البصرى رحمه الله يا عجبا لاقوام بلا زاد وقد نودوا بالرحيل وحبس اولهم لآخرهم وهم قعود يلعبون (حكى) ان ملك الموت دخل على بعض الصالحين ليقبض روحه فقال مرحبا انا والله منذ خمسين سنة اتأهب لك ولما بلغ عبدالله بن المبارك النزع فتح عينه ثم ضحك فقال لمثل هذا فليعمل العاملون قال بعض العلماء من اراد ان ينال الجنة فعليه ان يداوم على خمسة اشياء الاول ان يمنع نفسه من المعاصى قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى والثانى ان يرضى باليسير من الدنيا لانه روى فى الخبر ان ثمن الجنة الطاعة وترك الدنيا والثالث ان يكون حريصا على الطاعات ويتعلق بكل طاعة فلعل تلك الطاعة تكون سبب المغفرة ووجوب الجنة قال الله تعالى وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون الرابع ان يحب الصالحين واهل الخير ويخالطهم ويجالسهم فان الصالح اذا غفر له يشفع لاخوانه واصحابه والخامس ان يكثر الدعاء ويسأل الله تعالى ان يرزقه ويختم له بخير والحاصل انه لا بد للعاقل من التأهب لمعاده بتزكية النفس واصلاح القلب قال القاشانى فى تأويلاته عمل عامل منكم من ذكر القلب من الاعمال القلبية كالاخلاص واليقين والمكاشفة او انثى النفس من الاعمال القالبية كالطاعات والمجاهدات والرياضات بعضكم من بعض يجمعكم اصل واحد وحقيقة واحدة هى الروح اى بعضكم منشأ من بعض فلا اثيب بعضا واحرم آخر فالذين هاجروا عن اوطان مألوفات النفس واخرجوا من ديار صفاتها او هاجروا عن احوالهم التى التذوا بها واخرجوا من مقاماتهم التى يسكنون اليها واوذوا فى سبيلى اى ابتلوا

فى سلوك سبيل افعالى بالبلاء والمحن والشدآئد والفتن ليثمر ثوابا بالصبر ويفوزوا بالتوكل اوفى سلوك سبيل صفاتى بسطوات تجليات الجلال والعظمة والكبرياء ليصلوا الى مقام الرضى وقاتلوا البقية بالجهاد فى وقتلوا فى الحب فى بالكلية لاكفرن عنهم سيئاتهم كلها من صغائر ظهور افعالهم وصفاتهم وكبائر بقايا ذواتهم فى تلوينات‌هم فلادخلنهم الجنات الثلاث المذكورة ثوابا اى عوضا مما اخذت منهم من الوجودات الثلاثة والله عنده حسن الثواب ولا يكون عند غيره الثواب المطلق الذى لا ثواب ورآءه ولهذا قال والله لانه اسم الذات الجامع لجميع الصفات فلم يحسن ان يقع غيره من الرحمن اوالرحيم اوسائر الاسماء موقعه (لايغرنك) الخطاب للنبى عليه السلام لان العصمة لاتزيل النهى فانه لوزال النهى عنه بذلك لبطلت العصمة فان العصمة هى الحفظ عن الخلاف واذا زال النهى لم يكن خلافا فلا يكون عصمة فالمراد تثبيته على ماهو عليه من عدم التفاته الى الدنيا اوالخطاب له والمراد امته كما يخاطب سيد القوم ومقدمهم والمراد به كلهم كانه قيل لايغرنكم (تقلب الذين كفروا فى البلاد) والنهى فى المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب وهو التقلب منزلة المسبب وهو اغترار المخاطب للمبالغة والمعنى لاتمدن عينيك ولاتستشرف نفسك الى ماهم عليه من سعة الرزق واصابة حظوظ الدنيا ولاتغتر بظاهر حالهم من التبسط فى الارض والتصرف فى البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون روى ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين فى رخاء ولين عيش فيقولون ان اعدآء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت (متاع قليل) اى ذلك التقلب متاع قليل لاقدر له فى جنب ما اعد الله للمؤمنين قال عليه السلام ما الدنيا فى الاخرة الامثل مايجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع فاذن لايجدى وجوده لواجديه ولايضر فقدانه لفاقديه (ثم مأواهم) اى مصيرهم الذى يأوون اليه لايبرحونه (جهنم) التى لايوصف عذابها يعنى انه مع قلته سبب الوقوع فى نار جهنم ابد الآباد والنعمة القليلة اذا كانت سببا للمضرة العظيمة لم يعد ذلك نعمة (وبئس المهاد) اى بئس ما مهدون لانفسهم جهنم (لكن الذين اتقوا ربهم) اى خافوه فلم يخالفوا امره ولانهيه (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) وجه الاستدراك انه تعالى لما وصف الكفار بقلة نفع تقلبهم فى البلاد لاجل التجارة وجاز ان يتوهم متوهم ان قلة النفع من لوازم التقلب من حيث هو استدرك ان المتقين وان تقلبوا واصابوا ما اصابه الكفار اولم يصيبوا لهم مثوبات حسنى لايقادر قدرها (نزلا من عند الله) حال من جنات لتخصصها بالوصف والنزل مايعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما (وما عند الله) لكثرته ودوامه (خير للابرار) مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما من نفس برة ولافاجرة الاوالموت خير لها اما البرة فان الله تعالى يقول وما عند الله خير للابرار واما الفاجرة فانه يقول انما نملى لهم ليزدادوا اثما وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شئ وتحت رأسه وسادة من ادم حشوها ليف وان عند رجليه قرظا مصبورا وعند رأسه اهاب معلقة فرأيت اثر الحصير فى جنبه فبكيت فقال ما يبكيك فقلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هما فيه وانت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما ترضى ان يكون لهما الدنيا ولنا الاخرة * ازبى ذكروشوق حق مارا * دردوعالم دل وزبانى بس * وزطعام ولباس اهل جهان * كهنه دلقى ونيم نانى بس * ومما وجد فى خزآئن الاسكندر مكتوبا بالذهب الاحمر حركات الافلاك لاتبقى على احد نعمة فاذا اعطى العبد مالا اوجاها اورفعة فلتكن همته فى انتهاز الفرصة وتقليد المنن اعناق الرجال فان الدنيا والجاه والرفعة تزول اماندم طويل اومدح جزيل فاكرموا من له حسب فى الاصل اوقدم فى المروءة ولايغرنكم تقلب الزمان باهله فان للدهر عثرات يجبر كما يكسر ويكسر كما يجبر والامر الى الله تعالى (قال جلال الدين الرومى قدس سره) چندكويى من بكيرم عالمى * اين جهانرا پركنم ازخودهمى * كرجهان پربرف كردد سربسر * تاب خور بكدازدش بايك نظر * وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على اصحابه فقال هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب فى الدنيا وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد فى الدنيا وقصر امله اعطاه الله تعالى علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لايستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو يقدر على الغنى وصبر

على

على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لايريد بذلك الاوجه الله تعالى اعطاه تعالى ثواب خمسين صديقا قال ابن عباس رضى الله عنه يؤتى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء زرقاء وانيابها بادية مشوهة خلقها وتشرف على الخلائق فيقال اتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تفاخرتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف فى جهنم فتنادى يارب اين اتباعى واشياعى فيقول الله تعالى الحقوا بها اتباعها قال عليه السلام يحشر اقوام يوم القيامة واعمالهم كجبال تهامة ويؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون سنة من الليل فاذا عرض لهم شئ من الدنيا وثبوا عليه قالت عائشة رضى الله عنها قلت يا رسول الله الا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع وشد الحجر على بطنه من السغب فقال يا عائشة والذى نفسى بيده لو سألت ربى ان يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكنى اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لاتنبغى لمحمد ولا لآل محمد وروى انه عليه السلام عرض عليه عشار من النوق وهى الحوامل منها فاعرض عنها وغض بصره مع انها من احب الاموال اليهم وانفسها عندهم لانها كانت تجمع الظهر واللحم واللبن ولعظمتها فى قلوبهم قال الله عز وجل واذا العشار عطلت فلما لم يلتفت اليها قيل له يا رسول الله هذه انفس اموالنا فلم لم تنظر اليها قال قد نهانى الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به الآية هذا معاملته مع الدنيا وفى التوجه الى الاخرة ما كان يريد الا الرفيق الاعلى قال صلى الله عليه وسلم انا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لوآء الحمد يوم القيامة تحته آدم ومن دونه ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقرآء المؤمنين ولا فخر والمقصود ان فى الفقر والقناعة فضيلة وان الفقرآء يدخلون الجنة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الاغنياء * اى قناعت توانكرم كردان * كه وراى توهيچ نعمت نيست * كنج صبر اختيار لقمانست * هركرا صبر نيست حكمت نيست * فعلى العبد العاقل ان يجتنب عن الدنيا واخوانها ويرغب فى الاخرة وجنانها بل يترقى الى الوصول الى الله تعالى قال ابو يزيد البسطامى قدس سره فى عباد الله عبد لو اعطى الجنات بزينتها الهرب منها كما يهرب اهل النار من النار وهو الذى غلب عليه محبة الله فلا يميل الى غيره ومن ذلك المقام قال ابو يزيد غاب قلبى عنى ثمانين سنة فلما اردت ان آخذه قيل اتطلب غيرنا وحكى عن بعض الصالحين انه رأى فى المنام معروف الكرخى شاخصا ببصره نحو العرش قد اشتغل عن الحور العين وقصور الجنة فسأل رضوان من هذا قال معروف الكرخى مات مشتاقا الى الله فاباح له ان ينظر فيه فمطمح نظر العارف الجنة المعنوية وهى جنة معرفة الله ووصوله التى هى خير من جنة الفردوس واعلى عليين فليسارع السالك الى وصول هذه الجنة ودخولها قبل ادراك منيته وانقضاء عمره ومجيء اجله * حضورى كرهمى خواهى ازوغايب مشو حافظ * متى ماتلق من تهوى دع الدنيا واهملها * اوصلنا الله واياكم الى الحضور واليقين (وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله) نزلت فى عبد الله بن سلام واصحابه وقيل فى اربعين من نجران واثنين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل فى اصحمة النجاشى فانه لما مات نعاه جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذى مات فيه فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فقالوا ومن هو قال النجاشى فخرج الى البقيع وكشف له الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشى فصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى حبشى لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الاية (وما انزل اليكم) من القرآن (وما انزل اليهم) من الكتابين (خاشعين لله) اى متواضعين له من خوف عذابه ورجاء ثوابه وهو حال من فاعل يؤمن لان من فى معنى الجمع (لايشترون) لايأخذون (بآيات الله) المكتوبة فى التوراة والانجيل من نعت النبى عليه السلام (ثمنا قليلا) اى عرضا يسيرا من حطام الدنيا خوفا على الرياسة كفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم والجملة حال عما قبله (اولئك) اى اهل هذه الصفة (لهم اجرهم) اى المختص بهم الموعود لهم فى قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين (عند ربهم) نصب على الحالية من اجرهم والمراد به التشريف (ان الله سريع الحساب) لنفوذ علمه بجميع الاشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الاجر من غير حاجة الى تأمل ووعى صدر وكتب يد والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول اليهم

فان سرعة الحساب تستدعى سرعة الجزآء والاشارة فى قوله ان الله سريع الحساب ان العلماء المتقين الذين يؤمنون بالواردات والالهامات والكشوف بارباب القلوب والخواطر الرحمانية وهم الحكماء الالهية يعجل الله فى جزآء اعمالهم بحسب نياتهم لتبليغهم الى مقاماتهم فى القرب قبل وفاتهم ولا يؤجل الى بعد وفاتهم فان من كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى والانسان يموت كما يعيش ويبعث على مامات عليه وعن ابن عباس رضى الله عنه ان جبريل عليه السلام جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام وهو يقول مالى ارالك مغموما حزينا قال عليه السلام يا جبريل طال تفكرى فى امتى يوم القيامة قال فى امر اهل الكفر ام فى اهل الاسلام فقال يا جبريل فى امر اهل لا اله الا الله محمد رسول الله فاخذ بيده حتى اقامه الى مقبرة بنى سلمة ثم ضرب بجناحه الايمن على قبر ميت فقال قم باذن الله فقام رجل مبيض الوجه وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فقال جبريل عد الى مكانك فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه الايسر فقال قم باذن الله فخرج رجل مسود الوجه ازرق العينين وهو يقول واحسرتاه واندامتاه فقال له جبريل عد الى مكانك فعاد كما كان ثم قال يا محمد على هذا يبعثون يوم القيامة وعند ذلك قال رسول صلى الله عليه وسلم تموتون كما تعيشون وتبعثون كما تموتون فظهر ان الله سريع الحساب يوصل الى كل جزآء عمله فاما الواصلون فهم فى الجنة المعنوية فى الدنيا يتنعمون واما الغافلون فهم فى نار البعد والفراق ولكنهم لا يحسون الالم قبل وفاتهم فاذا ماتوا انقلب الحال من المعنى الى الحس عصمنا الله واياكم من نار البعد وعذاب السعير وشرفنا بنعيم وصاله ورؤية جماله المنير * كنون

بابداى خفته بيدار بود * چو مرك اندر آرد ز خوابت چه سود * تو پاك آمدى بر حذر باش و پاك * كه ننكست ناپاك رفتن بخاك * كنون بايد اين مرغ را پاى بست * نه آنكه كه سر رشته بردت ز دست *

وذكر ان ابراهيم بن ادهم رحمه الله اراد ان يدخل الحمام فمنعه الحمامى وقال لا تدخل الا باجرة فبكى ابراهيم وقال لا يؤذن لى ان ادخل بيت الشياطين مجانا فكيف بالدخول الى بيت النبيين والصديقين مجانا فظهر ان من كان فى الدنيا غافلا فهو فى الآخرة مع الغافلين وحسابه فى الآخرة على مقدار عمله فمن لم يعمل صالحا كان هنالك خاليا عن المثوبات * برفتند وهر كس درود آنچه كشت * نماند بجز نام نيكو وزشت *

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة حورآء يقال لها العبة لو بصقت فى البحر بصقة لعذب البحر مكتوب على نحرها من احب ان يكون له مثلى فليعمل بطاعة ربى ونعم ما قيل

بقدر الكد تكتسب المعالى * ومن طلب العلى سهر الليالى

تروم العز ثم تنام ليلا * يغوص البحر من طلب اللآلى

فلابد من تدارك امر الآخرة وتوفيت امرأة الفرزدق فخرج فى جنازتها وجوه اهل البصرة وخرج فيها الحسن البصرى فقال الحسن للفرزدق يا ابا فراس ما اعددت لهذا اليوم قال شهادة ان لا اله الا الله منذ ثمانين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها وانشد هذه الابيات

اخاف ورآء القبر ان لم يعافنى * اشد من القبر التهابا واضيقا

اذا جاءنى يوم القيامة قائد * عنيف وسواق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من اولاد آدم من مشى * الى النار مغلول القلادة ازرقا

وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة اللهم ادخله الجنة ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار اللهم اجره من النار فنسأل الله سبحانه ان يجيرنا من النار ويدخلنا الجنة مع الابرار ويوفقنا للاعمال الصالحة المنجية ويجعلنا من الفرقة الناجية بحق النبى الذى به وصل من وصل الى الله عز وجل فى المشارق والمغارب وانتهى الى منازل المقاصد والمآرب (يا ايها الذين آمنوا اصبروا) على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدآئد كالمرض والفقر والقحط والخوف وغير ذلك من المشاق (وصابروا) وغالبوا اعدآء الله فى الصبر على شدآئد الحرب واعدى عدوكم فى الصبر على مخالفة الهوى والمصابرة نوع خاص من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته وكونه اكمل وافضل من الصبر على ماسواه والصبر هو حبس النفس عما لا يرضاه الله واوله التصبر وهو التكلف لذلك ثم المصابرة وهى معارضة ما يمنعه عن ذلك ثم الاصطبار والاعتبار والالتزام ثم الصبر وهو كماله

وحصوله من غير كلفة (ورابطوا) ابدانكم وخيولكم فى الثغور مترصدين وانفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام ألا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط (واتقوا الله لعلكم تفلحون) واتقوه بالتبرى عما سواه لكى تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاثة المترتبة التى هى الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس فى رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة فعلم من هذا ان الصبر دون المصابرة والمصابرة دون المرابطة قيل تو كز سراى طبيعت نمى روى بيرون * كجا بكوى طريقت كذر توانى كرد *

ولابد من السلوك حتى يتجاوز العبد من الاحوال والمقامات الى اقصى النهايات وحكى عن ابراهيم بن ادهم انه كان يسير الى بيت الله راجلا فاذا اعرابى على ناقة فقال يا شيخ الى اين فقال ابراهيم الى بيت الله قال كيف وانت راجل لا راحلة لك فقال ان لى مراكب كثيرة فقال ما هى قال اذا نزلت على بلية ركبت مركب الصبر واذا نزلت على نعمة ركبت مركب الشكر واذا نزل بى القضاء ركبت مركب الرضى واذا دعتنى النفس الى شئ علمت ان ما بقى من العمر اقل مما مضى فقال الاعرابى انت الراكب وانا الراجل سر فى بلاد الله فالاشتغال طول العمر بالمجاهدة لازم حتى تنقلع الاخلاق الذميمة عن النفس وتتبدل بالاوصاف الشريفة من الصبر وغيره ومثل هذه المجاهدة هى المرابطة روى ان واحدا من الصلحاء كان يختم كل ليلة ويجتهد فى العبادة فقيل له انك تتعب نفسك وتوقعها فى المشقة فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة آلاف سنة فقال وكم مقدار يوم القيامة فقيل خمسون الف سنة فقال لو عمر المرء بعمر الدنيا لحق له ان يجتهد فى العبادة لهذا اليوم الطويل فانه اسهل بالنسبة اليه وكانت معاذة العدوية امرأة صالحة كانت اذا جاء النهار تقول هذا اليوم يوم موتى فتشتغل بالعبادة الى المساء فاذا جاء الليل تقول هذه الليلة ليلة موتى فتحييها الى الصباح الى ان ماتت على هذا النمط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة فهذا فى الجهاد الاصغر فكيف الحال فى الجهاد الاكبر يعنى ان المثوبات والدرجات اكثر فى حفظ النفس ومراقبتها وحبسها على الطاعات والعبادات نكه دار فرصت كه عالم دميست * دمى پيش دانا به از عالميست * سر از جيب غفلت بر آور كنون * كه فردا نماند بخجلت نكون (قال الحافظ) دانا كه زد نفرج اين چرخ حقه باز * هنكامه باز چيد ودر كفت وكو ببست * قال ابو يزيد البسطامى رحمه الله العارف من كان همه هما واحدا ولم ينتقل قلبه الى ما رأت عيناه وسمعت اذناه روى ان زاهدا كان يجتهد فى العبادة فرآه رجل قد صار لباسه ذا وسخ فقال ايها العابد لم لا تغسل ثوبك قال العابد لانه ان غسلته يتوسخ ثانيا قال الرجل فاغسله مرة اخرى قال العابد ان الله لم يخلقنا لان نغسل ثيابنا ويذهب عمرنا بهذا العمل بل للطاعة والعبادة قال مولانا جلال الدين اول استعداد جنت بايدت * تا ز جنت زندكانى زايدت *

تداركنا الله تعالى بلطفه وجاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى اصوم شهر رمضان واصلى كل يوم خمس صلوات ولا ازيد على هذا لانى فقير ليس على زكاة ولا حج فاذا قامت القيامة ففى اى دار اكون انا فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وقال اذا حفظت عينيك عن اثنين عن النظر الى المحرمات والنظر الى الخلق بعين الاحتقار وحفظت قلبك عن اثنين عن الغل والحسد وحفظت لسانك عن اثنين عن الكذب والغيبة تكون معى فى الجنة

(سورة النساء وهى مائة وخمس او ست او سبع وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها الناس) خطاب عام يتناول الموجودين فى زمان الخطاب ومن بعدهم دون المنقرضين بدليل انهم ما كانوا متعبدين بشرعنا فلو كان عاما لجميع بنى آدم لزم ان يتعبدوا بشرعنا وهو محال (اتقوا ربكم) فى حفظ ما بينكم من الحقوق وما يجب وصله ومراعاته ولا تضيعوه ولا تقطعوا ما امر تم بوصله (الذى خلقكم) اى قدر خلقكم حالا بعد حال على اختلاف صوركم والوانكم (من نفس واحدة) اى من اصل واحد وهو نفس آدم ابيكم وعقب الانتقاء بمنة الخلق كيلا يتقى الا الخالق وبين اتحاد الاب فان فى قطع التراحم حضا على التراحم

(وخلق منها) اى من تلك النفس يعنى من بعضها (زوجها) امكم حواء بالمد من ضلع من اضلاعه اليسرى روى ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام واسكنه الجنة القى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء من قصيراه فلما انتبه وجدها عنده فمال اليها والفها لانها كانت مخلوقة من جزء من اجزائه واخرت حواء فى الذكر وان كانت مقدمة فى الخلق لان الواو لا ترتيب فيها (وبث) اى فرق ونشر (منهما) من تلك النفس وزوجها المخلوقة بطريق التوالد والتناسل (رجالا كثيرا) تذكيرا للحمل على الجمع والعدد (ونساء) اى بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضى ان يكن اكثر وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لان المراد به تمهيد للامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبنى جنسه على ما دلت عليه الايات التى بعدها فكانه قيل اتقوا ربكم الذى وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا متفرعة من ارومة واحدة فيما يجب لبعضكم على بعض من حقوق المواصلة التى بينكم فحافظوا عليها ولا تغفلوا عنها (واتقوا الله) اى لا تقطعوا فى الدين والنسب اغصانا تتشعب عن جرثومة واحدة (الذى تساءلون به) فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض اسألك بالله (والارحام) اى يسأل بعضكم بعضا بالله فيقول بالله وبالرحم وانا شدك الله والرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وجرت عادة العرب على ان احدهم اذا استعطف غيره يقرن الرحم فى السؤال والمناشدة بالله ويستعطف به فقوله والارحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرو او على الله اى اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله وقال صلى الله عليه وسلم ما من عمل حسنة اسرع ثوابا من صلة الرحم وما من عمل سيئة اسرع عقوبة من البغى فينبغى للعباد مراعاة الحقوق لان الكل اخ لاب وام هما آدم وحواء سيما المؤمنين لان فيهم قرابة الايمان والدين وكذا الحال فى قرابة الطين (ان الله كان عليكم رقيبا) والرقيب هو المراقب الذى يحفظ عليك جميع افعالك اى حافظا مطلعا على جميع ما يصدر عنكم من الافعال والاقوال وعلى ما فى ضمائركم من النيات مريدا لمجازاتكم بذلك فبين الله تعالى انه يعلم السر واخفى وانه اذا كان كذلك فيجب ان يكون المرء حذرا خائفا فيما يأتى ويذر واعلم ان التقوى هى العمدة وهى سبب الكرامة العظمى فى الدنيا والعقبى (حكى) انه كان بالبصرة رجل معروف بالمسكى لانه كان يفوح منه رائحة المسك فسئل عنه فقال كنت من احسن الناس وجها وكان لى حياء فقيل لابى لو اجلسته فى السوق لانبسط مع الناس فاجلسنى فى حانوت بزاز فجاءت عجوز وطلبت متاعا فاخرجت لها ما طلبت فقالت لو توجهت معى لثمنه فمضيت معها حتى ادخلتنى فى قصر عظيم فيه قبة عظيمة فاذا فيها جارية على سرير عليه فرش مذهبة فجذبتنى الى صدرها فقلت الله الله فقالت لا بأس فقلت انى حاقن فدخلت الخلاء وتغوطت ومسحت به وجهى وبدنى فقيل انه مجنون فخلصت ورأيت الليلة رجلا قال لى اين انت من يوسف بن يعقوب ثم قال اتعرفنى قلت لا قال انا جبريل ثم مسح بيده على وجهى وبدنى فمن ذلك الوقت يفوح المسك على من رائحة جبريل عليه السلام وذلك ببركة التقوى والتقوى فى عرف الشرع وقاية النفس عما يضرها فى الآخرة وهى على مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل اثم وهو المتعارف باسم التقوى وهو المعنى بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لكفرنا والثالثة التنزه عن جميع ما يشغله وهو التقوى الحقيقى المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته ومن هذا القبيل ما حكى عن ذى النون المصرى انه لما جاء اليه بعض الوزراء وطلب الهمة واظهر الخشية من السلطان قال له لو خشيت انا من الله كما تخشى انت من السلطان لكنت من جملة الصديقين

كر بودى اميد راحت ورنج * پاى درويش برفلك بودى * وروزير از خدا بترسيدى * همچنان

كز ملك ملك بودى * فينبغى للسالك ان يتقى ربه ويراقب الله فى جميع احواله كما قال تعالى ان الله كان عليكم رقيبا والمراقبة علم العبد باطلاع الرب سبحانه عليه فاستدامته لهذا العلم مراقبة لربه وهذا اصل كل خير ولا يكاد يصل الى هذه الرتبة الا بعد فراغه عن المحاسبة فاذا حاسب نفسه على ما سلف واصلح حاله فى الوقت ولازم طريق الحق واحسن ما بينه وبين الله من مراعاة القلب وحفظه مع الله الانفاس وراقب الله سبحانه فى عموم احواله فيعلم انه عليه رقيب ومن قلبه قريب يعلم احواله ويرى افعاله ويسمع اقواله ومن تغافل عن هذه الجملة

فهو بمعزل عن بداية الوصلة فكيف عن حقائق القربة قال سليمان بن على لحميد الطويل عظنى قال لئن كنت عصيت الله خاليا وظننت انه يراك فقد اجترأت على امر عظيم ولئن كنت تظن انه لا يراك فقد كفرت اقوله تعالى ان الله كان عليكم رقيبا وكان لبعض الصالحين له تلامذة وكان يخص واحدا منهم باقباله عليه اكثر ما يقبل على غيره فقالوا له فى ذلك فقال ابين لكم فدفع الى كل واحد من تلامذته طائرا وقال له اذبحه بحيث لا يراك احد ودفع الى هذا ايضا فمضوا ورجع كل واحد منهم وقد ذبح طيره وجاء هذا بالطير حيا فقال له هلا ذبحته فقال امرتنى ان اذبحه بحيث لا يراه احد ولم اجد موضعا لا يراه احد فقال لهذا اخصه باقبالى عليه * جهان مرآت حسن شاهد ماست * فشاهد وجهه فى كل ذرات (وآتوا اليتامى اموالهم) اليتامى جمع يتيم وهو من الناس المنفرد من الاب بموته ومن سائر الحيوانات من الام وحق هذا الاسم ان يقع على الصغير والكبير لبقاء معنى الانفراد عن الاب الا انه غلب استعماله فى الصغير لاستغناء الكبير بنفسه عن الكافل فكانه خرج عن معنى اليتم وهو الانفراد والمراد بايتاء اموالهم قطع المخاطبين اطماعهم الفارغة عنها وكف اكفهم الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها غير متعرض لها بسوء حتى تأتيهم وتصل اليهم سالمة لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط بالبلوغ وايناس الرشد وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا للايذان بانه ينبغى ان يكون مرادهم بذلك ايصالها اليهم لا بمجرد ترك التعرض لها والمعنى ايها الاولياء والاوصياء احفظوا اموال اليتامى ولا تتعرضوا لها بسوء وسلموها اليهم وقت استحقاقهم تسليمها اليهم (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) تبدل الشئ بالشئ واستبداله به اخذ الاول بدل الثانى بعد ان كان حاصلا له او فى شرف الحصول اى لا تستبدلوا الحلال المكتسب بالحرام المغتصب يعنى لا تستبدلوا مال اليتامى وهو حرام بالحلال وهو ما لكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث فى الارض فتأكلوه مكانه (ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم) المراد من الاكل التصرف لان اكل مال اليتيم كما يحرم فكذا سائر التصرفات المهلكة لتلك الاموال محرمة والدليل عليه ان فى المال ما لا يصح ان يؤكل وانما ذكر الاكل لانه معظم ما يقع لاجله التصرف والى بمعنى مع قال تعالى من انصارى الى الله اى مع الله والاصح ان المعنى لا تأكلوها مضمومة الى اموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وقد خص من ذلك مقدار اجر المثل عند كون الولى فقيرا واذا اكل مال اليتيم وله مال كان ذلك اقبح ولذا ورد النهى عن اكله مع مال نفسه بعد ان قال ولا تتبدلوا الخ (انه) اى الاكل المفهوم من النهى (كان حوبا كبيرا) اى ذنبا عظيما عند الله فاجتنبوه روى ان رجلا من بنى غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبى عليه السلام فنزلت هذه الآية فلما سمع العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبى صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعنى جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه فى سبيل الله فقال عليه السلام ثبت الاجر وبقى الوزر فقالوا كيف بقى الوزر فقال ثبت الاجر للغلام وبقى الوزر على والده (قال الشيخ السعدى قدس سره) از زر وسيم راحتى برسان * خويشتن

هم تمتعى بركير * چونكه اين خانه از تو خواهد ماند * خشتى از سيم وخشتى از زر كير * قال تعالى وآتوا اليتامى اموالهم تزكية عن آفة الحرص والحسد والدناءة والخسة والطمع وتحلية بالامانة والديانة وسلامة الصدر وقال ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم تزكية عن الجور والحيف والظلم وتحلية بالعدل والانصاف فان اجتماع هذه الرذائل كان حوبا كبيرا اى حجابا عظيما فعلى العاقل ان يزكى نفسه من الاخلاق الرديئة ولا يطمع فى حق احد جل او قل بل يكون سخيا باذلا ماله على الارامل والايتام ويراعى حقوقهم بقدر الامكان وعن ابن عباس رضى الله عنه قال ست موبقات ليس لهن توبة اكل مال اليتيم وقذف المحصنة والفرار من الزحف والسحر والشرك بالله وقتل نبى من الانبياء ويقال طوبى للبيت الذى فيه يتيم وويل للبيت الذى فيه يتيم يعنى ويل لاهل البيت الذين لم يعرفوا حق اليتيم وطوبى لهم اذا عرفوا حقه بكى خار پاى يتيمى بكند * بخواب اندرش ديد صدر خجند * كه ميكفت ودر روضها مى چميد * كزان خار بر من چه كلها دميد * وروى ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال عندى يتيم مم اضربه قال مما تضرب به ولدك يعنى لا بأس ان تضربه للتأديب ضربا غير مبرح مثل ما يضرب الوالد ولده وروى عن الفضيل بن عياض انه قال رب لطمة انفع لليتيم من اكلة خبيص قال الفقيه فى تنبيه الغافلين ان كان هذا يقدر ان يؤدبه بغير ضرب ينبغى له ان يفعل

ذلك ولا تضربه فان ضرب اليتيم امر شديد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اليتيم اذا ضرب اهتز عرش
الرحمن لبكائه فيقول الله يا ملائكتى من ابكى الذى غيبت اباه فى التراب وهو اعلم به قال تقول الملائكة ربنا
لا علم لنا قال فانى اشهدكم ان من ارضاه ارضه من عندى يوم القيامة چو بينى يتيمى سرافكنده پيش *
مده بوسه برروى فرزند خويش * يتيم ار بكريدكه نازش خرد * وكر خشم كيردكه بازش برد *
الا تانه كريدكه عرش عظيم * بلرزدهمى چون بكريد يتيم * اكر سايهٔ خود برفت ازسرش * تو در سايهٔ
خويشتن پرورش * قال الله تعالى لداود النبى عليه السلام كن لليتيم كالاب الرحيم واعلم انك كما تزرع
كذلك تحصد واعلم ان المرأة الصالحة لزوجها كالملك المتوج بالذهب كلما رآها اقرت عينه والمرأة السوء لبعلها
كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير * كرا خانه آباد وهمخوابه دوست * خدا را برحمت نظر سوى اوست *
دلارام باشد زن نيك خواه * وليك از زن بد خدايا پناه * تهى پاى رفتن به از كفش تنك * بلاى
سفر به كه در خانه جنك (وان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى) الاقساط العدل والمراد بالخوف العلم عبر
عنه بذلك ايذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لا معناه الحقيقى لان الذى علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور
المخوف لا الخوف منه والا لم يكن الامر شاملا لمن يصبر على الجور ولا يخافه وسبب النزول انهم كانوا يتزوجون
من يحل لهم من اليتامى اللاتى يلونهن لكن لا لرغبة فيهن بل فى مالهن ويسيئون فى الصحبة والمعاشرة
ويتربصون بهن ان يمتن فيرثوهن وقيل هى اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى مالها وجمالها ويريد ان ينكحها
بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن فى اكمال الصداق وامروا ان ينكحوا من سواهن
من النساء والمعنى وان خفتم ان لا تعدلوا فى حق اليتامى اذا تزوجتم بهن باساءة العشرة او بنقص الصداق
(فانكحوا ما) موصولة او موصوفة اوثرت على من ذهابا بها الى الوصف اى نكاحا (طاب لكم من النساء) اى
غير اليتامى بشهادة قرينة المقام اى فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الاجنبيات (مثنى وثلاث ورباع) حال
من فاعل طاب اى فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا حسبما
تريدون على معنى ان لكل واحد منهم ان يختار اى عدد شاء من الاعداد المذكورة لا ان بعضها البعض منهم
وبعضها البعض آخر (فان خفتم ان لا تعدلوا) اى فيما بينهن ولو فى اقل الاعداد المذكورة كما خفتموه فى حق
اليتامى او كما لم تعدلوا فيما فوق هذه الاعداد (فواحدة) اى فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية
(اوما) ولم يقل من ايذانا بقصور رتبة الاماء عن رتبة العقلاء (ملكت ايمانكم) اى من السرارى بالغة ما بلغت
من مراتب العدد وهو عطف على واحدة على ان اللزوم والاختيار فيه بطريق التسرى لا بطريق النكاح كما فيما
عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين فى الموضعين وانما سوى
فى السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السرارى من غير حصر فى عدد لقلة تبعتهن وخفة مؤنتهن وعدم
وجوب القسم فيهن (ذلك) اشارة الى اختيار الواحدة (ادنى ان لا تعولوا) العول الميل من قولهم عال الميزان
عولا اذا مال وعال فى الحكم جار والمراد ههنا الميل المحظور المقابل للعدل اى ما ذكر من اختيار الواحدة
والتسرى اقرب بالنسبة الى ما عداهما من ان لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه رأسا بانتفاء محله فى الاول وانتفاء
خطره فى الثانى بخلاف اختيار العدد فى المهائر فان الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل والخطر (وآتوا
النساء) اى اللاتى امر بنكاحهن (صدقاتهن) جمع صدقة وهى المهر (نحلة) فريضة من الله لانها مما فرضه
الله فى النحلة اى الملة والشريعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات اى اعطوهن مهورهن حال
كونها فريضة من الله او تدينا فانتصابها على انه مفعول له اى اعطوهن ديانة وشرعة او هبة وعطية من الله
وتفضلا منه عليهن فانتصابها على الحالية منها ايضا او عطية من جهة الازواج من نحله اذا اعطاه اياه ووهبه له
عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا والتعبير عن ايتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الازواج لافادة معنى
الايتاء عن كمال الرضى وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء كانه قيل
وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اى اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم فالخطاب للازواج وقيل للاولياء
لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيألك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به
مالك اى تعظم (فان طبن لكم عن شئ منه) الضمير للصدقات وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانه قد يشار به

الى المتعدد واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافى والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع
صفة لشئ اى كائن من الصداق وفيه بعث لهن الى تقليل الموهوب (نفسا) تمييز والتوحيد لما ان المقصود بيان
الجنس اى وهبن لكم شيأ من الصداق متجافيا عن نفوسهن طيبات غير خبيثات بما يضطرهن الى البذل
من شكاية اخلاقكم وسوء معاشرتكم (فكلوه) اى فخذوا ذلك الشئ الذى طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه
تملكا وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات المالية (هنيئا مريئا) صفتان من هنأ الطعام
ومرأ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه ونصبهما على انهما صفتان للمصدر اى اكلا هنيئا مريئا وهذه عبارة عن
التحليل والمبالغة فى الاباحة وازالة التبعة روى ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيأ مما ساقه
اليها فنزلت وفى الآية دليل على وجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس ولذا قيل يجوز الرجوع
بما وهبن ان خدعن من الازواج وبيان لجواز معروفها وترغيب فى حسن المعاشرة بينهما فان خير الناس خيرهم
لاهله وانفعهم لعياله وفى الحديث جهاد المرأة التبعل وكانت المرأة على عهد النبى عليه السلام تستقبل
زوجها اذا دخل وتقول مرحبا بسيدى وسيد اهل بيتى وتقصد الى اخذ ردائه فتأخذه من عنقه وتعمد
الى نعله فتخلعه فان رأته حزينا قالت ما يحزنك ان كان حزنك لآخرتك فزادك الله فيها وان كان لدنياك فكفاك الله
فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا فلان أقرئها منى السلام واخبرها ان لها نصف اجر الشهيد وعلامة الزوجة
الصالحة عند الحقيقة ان يكون حسنها مخافة الله وغناها القناعة وحليها العفة اى التكفف عن الشرور
والمفاسد وعبادتها بعد الفرائض حسن الخدمة للزوج وهمتها الاستعداد للموت اكر پارسا باشد
وخوش سخن * نكه در نكويى وزشتى مكن * زن خوب وخوش طبع كنجست ومار * رها كن
زن زشت ناساز كار * يعنى لا تلتفت الى امرأة ليس لها حسن ولا موافقة لك بحسن الخلق روى ان الاسكندر
كان يوما عنده جمع من ندمائه فقال واحد منهم ان الله تعالى اعطى لك مملكة كثيرة وشوكة وافرة فاكثر من النساء
حتى يكثر اولادك ويبقى ابعدك قال الاسكندر اولاد الرجال ليست ما ذكرت بل هى العادات الحسنة والسير
المرضية والاخلاق الكريمة وليس مما يليق بالرجل الشجيع ان تغلب عليه النساء بعد ان غلب هو على اهالى
الدنيا ونعم ما قيل يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام * چو نيست پيش پدر اين قدر يقين كه پسر * زخيل
بى خردانست يا خردمندان * بسست سيرت نيكو حكيم را فرزند * زبون زن چه شود برامید فرزندان *
(قال الشيخ السعدى قدس سره فى البستان) چه نغز آمد اين يك سخن زان دو تن * كه سر كشته
بودند از دست زن * يكى كفت كس را زن بد مباد * دكر كفت زن در جهان خود مباد *
زن نو كن اى دوست هر نو بهار * كه تقويم پارين نيايد بكار * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة
من امتى يكونون فى جهنم كعمر الدنيا سبع مرات اولها سمنون مهزولون والثانى كاسون عارون والثالث
عالمون جاهلون قيل من هؤلاء يا رسول الله قال اما السمنون المهزولون فالنساء متسمنات باللحم مهزولات
فى امور الدين واما الكاسون العارون فهن النساء كاسيات من الثياب عاريات من الحياء واما العالمون
الجاهلون فهم اهل الدنيا التاجرون الكاسبون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون
فهؤلاء عالمون فى امور الدنيا جاهلون فى امور الآخرة لا يبالون من اين يجمعون المال وهم لا يشبعون من الحلال
ولا يبالون من الحرام نعوذ بالله (ولا تؤتوا) ايها الاولياء (السفهاء) اى المبذرين من الرجال والنساء والصبيان
واليتامى (اموالكم) اضاف الاموال الى الاولياء تنزيلا لاختصاصها باصحابها منزلة اختصاصها بالاولياء
فكأن اموالهم عين اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسى والنسبى مبالغة فى حملهم على المحافظة عليها
وقد ايد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش اصحابها بجعلها مناطا لمعاش الاولياء بقوله (التى جعل الله
لكم قياما) اى جعلها الله شيأ تقومون به وتنتعشون فلو ضيعتموه اضعتم ولما كان المال سببا للقيام والاستقلال
سماه بالقيام اطلاقا لاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة فكانها من فرط قيامهم بها واحتياجهم
اليها نفس قيامهم (وارزقوهم فيها واكسوهم) الرزق من الله العطية من غير حد ومن العباد اجراء موقت
محدود اى اطعموهم منها ولم يقل منها لئلا يكون ذلك امرا بان يجعلوا بعض اموالهم رزقا لهم بل امرهم
ان يجعلوا اموالهم مكانا لرزقهم بان يتجروا فيها ويثمروا فيجعلوا ارزاقهم من الارباح لا من اصول الاموال

(وقولوا لهم قولا معروفا) كلاما لينا تطيب به نفوسهم قال القفال القول المعروف هو انه ان كان المولى عليه صبيا فالولى يعرفه ان المال ماله وهو خازن له وانه اذا زال صباه فانه يرد المال اليه وان كان المولى عليه سفيها وعظه ونصحه وحثه على الصلاة ورغبه فى ترك التبذير والاسراف وعرفه ان عاقبة التبذير الفقر والاحتياج الى الخلق الى ما يشبه هذا النوع من الكلام واذا كان رشيدا فطلب ماله ومنعه الولى يأثم وفى الاية تنبيه على عظم خطر المال وعظم نفعه قال السلف المال سلاح المؤمن هيئ للفقر الذى يهلك دينه وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم فى زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلا فى جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك قال الامام وقد رغب الله فى حفظ المال فى آية المداينة حيث امر بالكتاب والشهادات والرهن والعقل ايضا يؤيد ذلك لان الانسان ما لم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بتحصيل الدنيا والاخرة ولا يكون فارغ البال الا بواسطة المال لانه به يتمكن من جلب المنافع ودفع المضار شب پراكنده خسبد انكه بديد * نبود وجه بامدادانش * مور كرد آورد بتابستان * تا فراغت بود زمستانش * فمن اراد الدنيا بهذا الغرض كانت الدنيا فى حقه من اعظم الاسباب المعينة على اكتساب سعادة الاخرة اما من ارادها لنفسها وعينها كانت من اعظم المعوقات عن كسب سعادة الاخرة نخير المال ما كان متاع البلاغ ولا ينبغى للمرء ان يسرف فى المال الذى يبلغه الى الاخرة والجنة والقربة چود خلت نيست خرج آهسته تركن * كه ملاحان همى كويند سرودى * اكر باران بكوهستان نبارد * بسالى دجله كردد خشك رودى * درخت اندر خزانها بر فشاند * زمستان لاجرم بى برك ماند * والاشارة ان الله تعالى جعل المال قياما لمصالح دين العباد ودنياهم فالعاقل منهم من يجعله قياما لمصالح دينه ما امكنه ولمصالح دنياه بقدر حاجته الضرورية اليه والسفيه من جعله لمصالح دنياه ما امكنه فهو المنهى عنه ان تؤتوا اليه اموالكم كائنا من كان ومن جملة السفهاء النفس التى هى اعدى عدوك وكل ما انفقه الرجل على نفسه بهواها ففيه مفاسد دينه ودنياه الا المستثنى منه كما اشار تعالى بقوله وارزقوهم يعنى ما يسد به جوع النفس واكسوهم يعنى ما يستر عورتها فان ما زاد على هذا يكون اسرافا فى حق النفس والاسراف منهى عنه وقولوا لهم قولا معروفا فالقول المعروف مع النفس ان يقول اكل رزق الله ونعمه فادى شكر نعمته بامتثال اوامره ونواهيه واذيب طعامك بذكر الله كما قال عليه السلام اذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر واقل ذلك ان يصلى ركعتين او يسبح مائة تسبيحة او يقرأ جزأ من القرآن عقيب كل اكلة وسببه انه اذا نام على الطعام من غير اذابته بالذكر والصلاة تبعدا كله يقسو قلبه ونعوذ بالله من قسوة القلب ففى الاذابة رفع القسوة واداء الشكر واعلم ان فى قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء الخ اشارة اخرى وهى ان اموال العلوم وكنوز المعارف لا تؤتى لغير اهلها من العوام ولا تذكر كما حكى ان بعض الكبار ذكر بعض الكرامات لولى فنقل ذلك بعض السامعين فى مجلس آخر وانكر مع رجل فلما رجع الى الاصل قال لا يباع الابل فى سوق الدجاج دريغست باسفله كفت از علوم * كه ضايع شود تخم در شوره بوم *

(وابتلوا اليتامى) اى واختبروا ايها الاولياء والاوصياء من ليس من اليتامى بين السفه قبل البلوغ بتتبع احوالهم فى صلاح الدين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فان كانوا من اهل التجارة فبان تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان كانوا ممن له ضياع واهل وخدم فبان تعطوا منه ما يصرفونه الى نفقة عبيدهم وخدمهم واجرائهم وسائر مصارفهم حتى يتبين لكم كيفية احوالهم (حتى اذا بلغوا النكاح) بان يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح (فان آنستم) اى شاهدتم وتبينتم (منهم رشدا) صلاحا فى دينهم واهتداء الى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير (فادفعوا اليهم اموالهم) من غير تأخير عن حد البلوغ وظاهر الاية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع اليه ماله ابدا وبه اخذ ابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثمانى عشرة سنة فاذا زادت عليها بسبع سنين وهى مدة معتبرة فى تغيير احوال الانسان لما قال عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله أونس منه رشد اولم يونس (ولا تأكلوها اسرافا) بغير حق حال اى مسرفين وليس فيه اباحة القليل وتحريم الاسراف بل هو بيان انه اسراف (وبدارا) اى مبادرين ومسارعين الى انفاقها مخافة (ان يكبروا) فتفرطون فى انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهى قبل ان تكبر اليتامى رشدا فينتزعوها من ايدينا ويلزم علينا

تسليمها اليهم (ومن كان غنيا) من الاولياء والاوصياء (فليستعفف) فليتنزه من اكلها وليمتنع وليقنع بما آتاه الله من الغنى والرزق اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله واستعف ابلغ من عف كانه يطلب زيادة العفة (ومن كان) من الاولياء والاوصياء (فقيرا فليأكل بالمعروف) اى بما عرف فى الشرع بقدر حاجته الضرورية واجرة سعيه وخدمته وفيه ما يدل على ان للوصى حقا لقيامه عليها (فاذا دفعتم اليهم اموالهم) بعد ما راعيتم الشرائط المذكورة (فاشهدوا عليهم) بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت منها ذممكم لما ان ذلك ابلغ من التهمة وانفى للخصومة وادخل فى الامانة وبراءة الساحة وان لم يكن واجبا عند اصحابنا فان الوصى مصدق فى الدفع مع اليمين وقال مالك والشافعى لا يصدق فى دعواه الا بالبينة (وكفى بالله) الباء صلة (حسيبا) محاسبا وحافظا لاعمال خلقه فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم واعلم ان اللائق للعاقل ان يحترز عن حق الغير خصوصا اليتيم فانه يجره الى نار الجحيم فاكل حقه من الكبائر ومن ابتلى بحق من حقوق العباد فعليه بالاستحلال قبل الانتقال الى دار السؤال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت عنده مظلمة لاخيه او شىء فليتحلله منه اليوم من قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال ارباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الاخلاص حيث لا يطلع عليه الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله فينال به لطفه الذى ادخره لارباب الايمان فى دفع مظالم العباد عنهم بارضائه اياهم قال العلماء اذا زنى بامرأة واها زوج ثم يجعل ذلك الرجل فى حل لا يغفر له لان خصمه الادمى فاذا تاب وجعله فى حل فانه يغفر له ويكتفى بحل منه ولا يذكر الزنى ولكن يقول كل حق لك علينا فقد جعلته فى حل وعن كل خصومة بينى وبينك وهذا صلح بالمعلوم على المجهول وذلك جائز كرامة لهذه الامة لان الامم السالفة ما لم يذكروا الذنب لا يغفر لهم وكذا غصب اموال عباد الله واكلها وضربهم وشتمهم وقتلهم كلها من الحقوق التى يلزم فيها ارضاء الخصماء والتوبة والمبادرة الى الاعمال الصالحة والافعال الحسنة فاذا لم يتب العبد من امثال هذه ولم يرض خصماءه كان خاسرا خاليا عن العمل عند العرض الاكبر نماند ستمكار بد روزكار * بماند بر او لعنت پايدار * چنان زى كه ذكرت بتحسين كنند * چو مردى نه بر كور نفرين كنند * نبايد برسم بد آيين نهاد * كه كويند لعنت بر ان كين نهاد * فينبغى للظالم ان يتوب عن الظلم ويتحلل من المظلوم فى الدنيا فاذا لم يقدر عليه ينبغى ان يستغفر له ويدعو له فانه يرجى ان يحلله بذلك وعن فضيل بن عياض رحمه الله انه قال قراءة آية من كتاب الله والعمل بها احب الى من ختم القرآن الف الف مرة وادخال السرور على المؤمن وقضاء حاجته احب الى من عبادة العمر كله وترك الدنيا ورفضها احب الى من التعبد بعبادة اهل السموات والارض وترك دانق من حرام احب الى من مائتى حجة من المال الحلال وقال ابو القاسم الحكيم ثلاثة اشياء تنزع الايمان من العبد اولها ترك الشكر على الاسلام والثانى ترك الخوف على ذهاب الاسلام والثالث الظلم على اهل الاسلام وعن ابى ميسرة قال اتى بسوط الى رجل فى قبره بعد ما دفن يعنى جاءه منكر ونكير فقالا له انا ضاربك مائة سوط فقال الميت انا كنت كذا وكذا يتشفع حتى حطا عنه عشرا ثم لم يزل بهما حتى صارت الى ضربة واحدة فقالا لا بد انا ضاربك ضربة واحدة فضرباه ضربة واحدة التهب القبر نارا فقال لم ضربتمانى قالا مررت برجل مظلوم فاستغاث بك فلم تغثه فهذا حال الذى لم يغث المظلوم فكيف يكون حال الظالم واعلم ان الكبار يكفون انفسهم عن المشتبهات فضلا عن الحرام فان اللقمة الطيبة لها اثر عظيم فى اجابة الدعاء ولذا قال الشيخ نجم الدين الكبرى قدس سره اول شرائط اجابة الدعاء اصلاح الباطن بلقمة الحلال وآخر شرائطها الاخلاص وحضور القلب يعنى التوجه الاحدى اذ القلب الحاضر فى الحضرة شفيع له قال تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين فحركة الانسان باللسان وصياحه من غير حضور القلب ولولة الواقف على الباب وصوت الحارس على السطح فعلى العاقل ان يحترز عن الحرام والمشتبهات كى يستجاب دعاؤه فى الخلوات (للرجال نصيب) روى ان اوس بن صامت الانصارى رضى الله عنه خلف زوجته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم فى مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعى حتى انظر ما يحدث الله فنزلت هذه الاية فبعث اليهما
لا تفرقا من مال اوس شيأ فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزل يوصيكم الله الخ فاعطى ام كحة الثمن
والبنات الثلثين والباقى لابنى العم والمعنى لذكور اولاد الميت حظ كائن (مما ترك الوالدان والاقربون) من ذوى
القرابة للميت والمراد المتوارثون منهم دون المحجوبين عن الارث وهم الابوان والزوجان والابن والبنت
(وللنساء) اى لجماعة الاناث (نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر) مما الاخرة باعادة الجار
واليها يعود الضمير المجرور وهذا البدل مراد فى الجملة الاولى ايضا محذوف للتعويل على المذكور وفائدته دفع
توهم اختصاص بعض الاموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين
حقا من كل ما جل ودق (نصيبا مفروضا) نصب على الاختصاص اى اعنى نصيبا مقطوعا مفروضا واجبا لهم
وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه (واذا حضر القسمة) اى قسمة التركة والميراث
(اولوا القربى) للميت ممن لا يرث منه (واليتامى والمساكين) من الاجانب (فارزقوهم منه) اى اعطوهم شيأ
من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة او مما ترك الوالدان والاقربون وهو امر ندب كلف به البالغون من الورثة
تطييبا للقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا عليهم وكان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة وحضرهم
هؤلاء فرضخوا لهم بالشئ من رثة المتاع فحثهم الله على ذلك تأديبا من غير ان يكون فريضة ولو كان فريضة
لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق (وقولوا لهم قولا معروفا) وهو ان يدعوا لهم ويقولوا خذوا بارك الله
عليكم ويستقلوا ما اعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم وكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه شرعا
او عقلا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه شرعا او عقلا فهو منكر وفى الحديث كل معروف صدقة
وفى المثل اصنع المعروف والقه فى الماء فان لم يعرفه السمك يعرفه من سمك السماء تو نيكى كن باب انداز اى شاه ✻
اكر ماهى نداند داند الله ✻ حكى ان حية اتت رجلا صالحا فقالت اجرنى من عدوى اجارك الله ففتح لها رداءه
فقالت يرانى فيه فان اردت المعروف فافتح فاك حتى ادخل فيه فقال اخشى ان تهلكينى قالت لا والله والله
وسكان سمواته وارضه شاهدة على ذلك ففتح فاه فدخلت ثم عارضه رجل فى ذلك فانكر فلما اندفع خوفها قالت
يا احمق اختر لنفسك كبدك او فؤادك فقال اين العهد واليمين قالت ما رأيت احمق منك اذ نسيت العداوة التى بينى
وبين ابيك آدم وما الذى حملك على اصطناع المعروف مع غير اهله فقال مهلينى حتى آتى تحت هذا الجبل ثم توجه
الى الله فظهر رجل حسن الوجه طيب الرائحة واعطاه ورقة خضراء وامره بالمضغ ففعل فلم يلبث الا خرج
قطع الحية من الاسفل فخلصه الله تعالى من شرها ثم سأل من انت فقال انا المعروف وموضعى فى السماء الرابعة
وانت لما دعوت الله ضجت الملائكة فى السموات السبع الى الله فانطلقت الى الجنة واخذت من شجرة طوبى
ورقة بامر الله فاصنع المعروف فانه لا يضيع عند الله وان ضيعه المصطنع اليه نكوكارى از مردم نيك راى ✻
يكى را بده مى نويسد خداى ✻ ومما يكتب من الصدقة الكلمة الطيبة والشفاعة الحسنة والمعونة فى الحاجة
وعيادة المريض وتشييع الجنازة وتطييب قلب مسلم وغير ذلك واعلم ان الرجال فى الحقيقة اقوياء الطلبة
والسلاك فلهم نصيب بقدر صدقهم فى الطلب ورجوليتهم فى الاجتهاد مما ترك المشايخ والاخوان فى الله
والاعوان على الطلب وتركتهم بركتهم وسيرتهم فى الدين وانوارهم همهم العلية ومواهب ولايتهم السنية والنساء
ضعفاء القوم فلهم ايضا نصيب مفروض اى قدر معلوم على وفق صدق التجائهم اليه وجدهم فى الطلب وحسن
استعدادهم لقبول فيض الولاية وهذا حال المجتهدين الذين هم ورثة المشايخ كما انهم ورثة الانبياء فاما المنتمون
الى ولايتهم بالارادة وحسن الظن والمقتبسون من انوارهم والمقتفون على آثارهم والمتشبهون بزيهم
والمتبركون بهم على تفاوت درجاتهم فهم بمثابة اولى القربى واليتامى والمساكين اذا حضروا القسمة عند محافل
صحبتهم ومجامع سماعهم ومجالس ذكرهم فانها مقاسم خيراتهم وبركاتهم فارزقوهم منه اى من مواهب ولايتهم
وآثار هدايتهم واعطاف عنايتهم والطاف رعايتهم وقولوا لهم قولا معروفا فى التشويق وارشاد الطريق والحث
على الطلب والتوجه الى الحق والاعراض عن الدنيا وتقرير هوانها على الله وخسارة اهلها وعزة اهل الله
فى الدارين وكمال سعادتهم فى المنزلين فاذا وقفت على هذا فاجتهد حتى لا تحرم من ميراث الحقيقة ونصيب المعرفة
ونعم ما قيل ميراث پدر خواهى تو علم پدر آموز ✻ كين مال پدر خرج توان كرد بده روز ✻ رزقنا الله

وايا كم ثمرات الاحوال وبلغنا الى تصفية الباطن واصلاح البال (وليخش الذين) صفتهم وحالهم انهم (لو تركوا)
اى لو شارفوا ان يتركوا (من خلفهم) اى بعد موتهم (ذرية ضعافا) اولادا عجزة لا غنى لهم وذلك عند
احتضارهم (خافوا عليهم) اى الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم والفقر والتكفف والمراد بالذين
هم الاوصياء امروا ان يخشوا الله فيخافوا على من فى حجورهم من اليتامى وليشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم
لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك فى انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة
والرحمة (فليتقوا الله) فى ذرارى غيرهم (وليقولوا قولا سديدا) اى وليقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم
بالشفقة وحسن الادب والترحيب ويدعوهم يا بنى ويا ولدى ولا يؤذوهم (ان الذين يأكلون اموال اليتامى
ظلما) ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته وانما قيد به لانه اذا اكل منه بالمعروف عند الحاجة
او بما قدر له به القاضى بقدر عمله فيه لم يعاقب عليه (انما يأكلون فى بطونهم) اى ملئ بطونهم يقال اكل فى بطنه
اذا ملأه واسرف وفى معناه اذا اقتصد فيه (نارا) اى ما يجر الى النار ويؤدى اليها فكانه نار فى الحقيقة (وسيصلون)
اى سيدخلون يوم البعث (سعيرا) اى نارا مسعرة او هائلة مبهمة الوصف روى ان آكل مال اليتيم يبعث يوم
القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم
فى الدنيا وروى انه لما نزلت هذه الاية ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الامر
على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم فى الدين الاية وفى الحديث قال النبى عليه السلام رأيت
ليلة اسرى بى قوما لهم مشافر كمشافر الابل احداهما قالصة على منخريه والاخرى على بطنه وخزنة جهنم
يلقمونه جمر جهنم وصخرها فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما كسى كز ستمگر
ظلمش دمادم ✻ چراغ عيش مظلومان بميرد ✻ نمى ترسد ازين كايزد تعالى ✻ اگرچه دير گيرد سخت گيرد ✻
وقد امر الله تعالى ان لا يؤذى اليتيم ويقال له القول السديد فكيف يكون حال من آذاه وغيره من المؤمنين
واكل اموالهم بالغصب والظلم روى ان لجهنم جبابا يعنى مواضع كساحل البحر فيها حيات كالبخاتى وعقارب
كالبغال الدلم فاذا استغاث اهل جهنم ان يخفف عنهم قيل لهم اخرجوا الى الساحل فيخرجون فتأخذ الحيات
شفاههم ووجوههم ما شاء الله فيكشطن فيستغيثون فرارا منها الى النار فيسلط عليهم الجرب فيحك احدهم
جلده حتى يبدو العظم فيقال يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقال ذلك بما كنت تؤذى المؤمنين فعلى المرء
ان يجتنب من الايذاء وايصال الالم الى الخلق فان الدعاء السوء من المظلومين يقبل البتة فى حق الظالم والمؤذى
خرابى كند مرد شمشير زن ✻ نه چندانكه دود دل طفل وزن ✻ رياست بدست كسانى خطاست ✻
كه از دستشان دستها بر هواست ✻ مكافات موذى بمالش مكن ✻ كه بيخش برآورد بايد ز بن ✻
سر گرگ بايد هم اول بريد ✻ نه چون گوسفندان مردم دريد ✻ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تقبلوا الى ستا اتقبل لكم الجنة اذا حدثتم فلا تكذبوا واذا وعدتم فلا تخلفوا واذا ائتمنتم فلا تخونوا وغضوا ابصاركم
واحفظوا فروجكم وكفوا ايديكم عن الحرام وادخلوا الجنة وروى عن ابن المبارك انه قال ترك فلس من حرام
افضل من مائة الف فلس يتصدق بها عنه وعنه انه كان بالشام يكتب الحديث فانكسر قلمه فاستعار قلما فلما فرغ
من الكتابة نسى فجعل القلم فى مقلمته فلما رجع الى مرو رأى القلم وعرفه فتجهز للخروج الى الشام قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار ما نفعكم الا بالورع
قال ابراهيم بن ادهم رحمه الله الزهد ثلاثة اصناف زهد فرض وزهد فضل وزهد سلامة فزهد الفرض هو الزهد
فى الحرام وزهد الفضل هو الزهد فى الحلال وزهد السلامة هو الزهد فى الشبهات وكان حسان بن ابى سنان
لا ينام مضطجعا ولا يأكل سمينا ولا يشرب باردا ستين سنة فرؤى فى المنام بعد ما مات فقيل له ما فعل الله بك
فقال خيرا غير انى محبوس عن الجنة بابرة استعرتها فلم اردها ومر عيسى عليه السلام بمقبرة فنادى رجلا منهم
فاحياه الله تعالى فقال من انت فقال كنت حمالا انقل للناس فنقلت يوما لانسان حطبا فكسرت منه
خلالا تخللت به فانا مطالب به مذ مت ✻ خوف دارى اگر ز قهر خدا ✻ نروى راه حرام دنيا (يوصيكم الله)
اى يأمركم ويعهد اليكم (فى اولادكم) اولاد كل واحد منكم اى فى شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله (للذكر مثل
حظ الانثيين) والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به اى يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه

(فان كن) اى الاولاد والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله تعالى (نساء) اى خلصا ليس معهن ذكر (فوق اثنتين) خبر ثان (فلهن ثلثا ما ترك) اى المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام وحكم البنتين كحكم ما فوقهما (وان كانت) اى المولودة (واحدة) اى امرأة واحدة ليس معها اخ ولا اخت (فلها النصف) مما ترك (ولابويه) اى لابوى الميت (لكل واحد منهما السدس) كائنا ذلك السدس (مما ترك) المتوفى (ان كان له) اى للميت (ولد) او ولد ابن ذكرا كان او انثى واحدا او متعددا غير ان الاب فى صورة الانوثة بعدما اخذ فرضه المذكور يأخذ ما بقى من ذوى الفروض بالعصوبة (فان لم يكن له ولد) ولا ولد ابن (وورثه ابواه) فحسب (فلامه الثلث) مما ترك والباقى للاب هذا اذا لم يكن معهما احد الزوجين اما اذا كان معهما احد الزوجين فلامه ثلث ما بقى من فرض احدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس رضى الله عنه فانه يفضى الى تفضيل الام على الاب مع كونه اقوى منها فى الارث بدليل اضعافه عليها عند انفرادهما عن احد الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع (فان كان له اخوة) اى عدد من الاخوة من غير اعتبار التثليث سواء كانت من جهة الابوين او من جهة احدهما وسواء كانوا ذكورا او اناثا او مختلطين وسواء كان لهم ميراث او محجوبين بالاب (فلامه السدس) واما السدس الذى حجبوها عنه فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور (من بعد وصية) متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اى هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية (يوصى بها) الميت وفائدة الوصف الترغيب فى الوصية والندب اليها (او دين) عطف على وصية الا انه غير مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة او الاقرار فى الصحة وانما قال باو التى للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان فى الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهى متأخرة فى الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور (آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا) الخطاب للورثة اى اصولكم وفروعكم الذين يتوفون لا تدرون ايهم انفع لكم أمن يوصى ببعض ماله فيعرضكم لثواب الآخرة بتنفيذ وصيته ام من لا يوصى بشئ فيوفر عليكم عرض الدنيا يعنى الاول انفع وان كنتم تحكمون نظرا الى ظاهر الحال بانفعية الثانى وذلك لان ثواب الآخرة لتحقق وصوله الى صاحبه ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحياة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده وفنائه ابعد واقصى (فريضة من الله) اى فرض الله ذلك الميراث فرضا (ان الله كان عليما) بالخلق ومصالحهم (حكيما) فى كل ما قضى وقدر ودبر واعلم ان فى هذه الآية تنبيها على ان العبد ينبغى ان يجانب الميل الى جانب الافراط والتفريط برأيه وعمله بل يستمسك بالعروة الوثقى التى هى العدالة فى الامور كلها وهو الميزان السوى فيما بين الضعيف والقوى وذلك لا يوجد الا باجراء اوامر الله تعالى والمحافظة على الاحكام المقضية الصادرة من العليم بعواقب الامور الحكيم الذى يضع كل شئ فى مرتبته فعليكم بالعدل الذى هو اقرب للتقوى والتجانب عن الجور بين العباد فى جميع الامور خصوصا فيما بين الاقارب فان لهم مزيد فضل على الاجانب ولمكانة صلة الرحم عند الله قرن الارحام باسمه الكريم فى قوله تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام فحافظوا على مراعاة حقوق اصولكم وفروعكم وآتوا كل ذى حق حقه فمن حقوق الوالدين على الولد ترك التأفيف والبر والتكلم بقول لطيف وفى الخبر يسأل الولد عن الصلاة ثم عن حق الوالدين وتسأل المرأة عن الصلاة ثم عن حق زوجها ويسأل العبد عن الصلاة ثم عن حق المولى ثم ان حق الوالدة اعظم من الوالد لكونها اكثر زحمة ورحمة روى ان رجلا قال يا رسول الله ان امى هرمت عندى فاطعمها بيدى واسقيها بيدى واوضيها واحملها على عاتقى فهل جازيت حقها قال لا ولا واحدا من مائة قال ولم يا رسول الله قال لانها خدمتك فى وقت ضعفك مريدة حياتك وانت تخدمها مريدا مماتها ولكنك احسنت والله يثيبك على القليل كثيرا وجاء رجل الى النبى عليه السلام ليستشيره فى الغزو فقال ألك والدة قال نعم قال عليه السلام فالزمها فان الجنة تحت رجليها ذكره فى الاحياء قيل فيه ونعم ما قيل

جنت كه سراى مادرانست ❊ زير قدمات مادرانست ❊ روزى بكن اى خداى ما را ❊ چيزى كه رضاى مادرانست ❊

ويطيع الوالدين فيما ابيح فى دين الاسلام وان كانا مشركين ويهجرهما ان امراه بشرك او معصية قال تعالى وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما

چون نبود خويش را ديانت وتقوى ❊ قطع رحم بهتر از مودت قربى ❊

قال بعضهم كل ما لا يؤمن

من الهلاك مع الجهل فطلب علمه فرض عين سواء كان من الامور الاعتقادية كمعرفة الصانع وصفاته وصدق النبى عليه السلام فى اقواله وافعاله او من الاعمال الحسنة المتعلقة بالظاهر كالصلاة والصوم وغيرهما او بالباطن كحسن النية والاخلاص والتوكل وغيرها او من السيئة المتعلقة بالظاهر كشرب الخمر واكل الربا والنظر الى اجنبية بشهوة او بالباطن كالكبر والعجب والحسد وسائر الاخلاق الرديئة للنفس فان معرفة هذه الامور فرض عين يجب على المكلف طلبها وان لم يأذن له ابواه واما ما سواها من العلوم فقيل لا يجوز له الخروج لطلبه الا باذنهما وفى فتاوى قاضى خان رجل طلب العلم وخرج بغير اذن والديه فلا بأس به ولم يكن عقوقا قيل هذا اذا كان ملتحيا فاذا كان امرد صبيح الوجه فلابويه ان يمنعاه واما حق الولد على الوالد فكالتسمية باسم حسن كاسماء الانبياء والمضاف الى اسمه تعالى لان الانسان يدعى فى الآخرة باسمه واسم ابيه قال عليه السلام انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء آبائكم فاحسنوا اسماءكم ولذا قيل يستحب تغيير الاسماء القبيحة المكروهة فان النبى صلى الله عليه وسلم سمى المسمى بالعاصى مطيعا وجاء رجل اسمه المضطجع فسماه المنبعث ومن حقه عليه الختان وهو سنة واختلفوا فى وقته قيل لا يختن حتى يبلغ لانه للطهارة ولا طهارة عليه حتى يبلغ وقيل اذا بلغ عشرا وقيل تسعا والاولى تأخير الختان الى ان يشعر الولد ويظهر سنه لما فيه من مخالفة اليهود لانهم يختنون فى اليوم السابع من الولادة ومن حقه ان يرزقه بالحلال الطيب وان يعلمه علم الدين ويربيه باداب السلف الصالحين (قال الشيخ سعدى رحمه الله فى حق الاولاد)

بخردى درش زجر وتعليم كن ❊ به نيك وبدش وعده وبيم كن ❊ بياموز پرورده را دسترنج ❊ وكر دست دارى چو قارون كنج ❊ بيايان رسد كيسهٔ سيم وزر ❊ نكردد تهى كيسهٔ پيشه ور ❊

وروى انس رضى الله عنه عن النبى عليه السلام قال يعق عنه فى اليوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين ادب واذا بلغ سبع سنين عزل فراشه واذا بلغ عشر سنين ضرب على الصلاة واذا بلغ ست عشرة زوجه ابوه ثم اخذ بيده وقال قد ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة والحاصل انه ينبغى ان لا يعتمد الانسان على رأى نفسه بل يكل امره الى الله فانه اعلم وارحم والاشارة فى الآيات ان المشايخ للمريدين بمثابة الآباء للاولاد فان الشيخ فى قومه كالنبى فى امته على ما قاله عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم انا لكم كالوالد لولده ففى قوله يوصيكم الله الآية اشارة الى وصايات المشايخ والمريدين ووراثتهم فى قرابة الدين لقوله تعالى اولئك هم الوارثون فكما ان الوراثة الدنيوية بوجهين بالسبب والنسب فكذلك الوراثة الدينية بهما اما السبب فهو الارادة ولبس خرقتهم والتبرك بزيهم والتشبه بهم واما النسب فهو الصحبة معهم بالتسليم لتصرفات ولايتهم ظاهرا وباطنا بصدق النية وصفاء الطوية مستسلما لاحكام التسليك والتربية ليتولد السالك بالنشأة الثانية فان الولادة تنقسم على النشأة الاولى وهى ولادة جسمانية بان يتولد المرء من رحم الام الى عالم الشهادة وهو الملك والنشأة الثانية وهى ولادة روحانية بان يتولد السالك من رحم القلب الى عالم الغيب وهو الملكوت كما حكى النبى عليه السلام عن عيسى عليه السلام انه قال لن يلج ملكوت السموات والارض من لم يولد مرتين فالشيخ هو الاب الروحانى والمريدون المتولدون من صلب ولايته هم الاولاد الروحانيون وهم فيما بينهم اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله كقوله تعالى انما المؤمنون اخوة وقال عليه السلام الانبياء اخوة من علات امهاتهم شتى ودينهم واحد ولهذا قال عليه السلام كل حسب ونسب ينقطع الا حسبى ونسبى لان نسبه كان بالدين كما سئل من النبى صلى الله عليه وسلم من آلك يا رسول الله قال آلى كل مؤمن تقى وانما يتوارث اهل الدين على قدر تعلقاتهم السببية والنسبية والذكورة والانوثة والاجتهاد وحسن الاستعداد وانما ميراثهم العلوم الدينية واللدنية كما قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذ به فقد اخذ بحظ وافر (قال مولانا جلال الدين الرومى قدس سره)

چون كزيدى پير نازك دل مباش ❊ سست وريزنده چو آب وكل مباش ❊ چون كرفتى پير هين تسليم شو ❊ همچو موسى زير حكم خضر رو ❊ كر تو سنك وصخره ومرمر شوى ❊ چون بصاحب دل رسى كوهر شوى ❊ يار خندان باغ را خندان كند ❊ صحبت مردانت از مردان كند

(ولكم نصف ما ترك ازواجكم) من المال اذا متن وبقيتم بعدهن (ان لم يكن لهن ولد) اى ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بنى بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى واحدا كان

اومتعددا منكم اومن غيركم والباقى لورثتهن من ذوى الفروض والعصبات اوغيرهم اولبيت المال ان لم يكن لهن وارث آخر اصلا (فان كان لهن ولد) على نحو ما فصل (فلكم الربع مما تركن) اى تركت ازواجكم من المال والباقى لباقى الورثة (من بعد وصية) متعلق بكلتا الصورتين لا بما يليه وحده (يوصين بها او) من بعد قضاء (دين) سوآء كان ثبوته بالبينة اوبالاقرار (ولهن الربع مما تركتم) ان متم وبقيت بعدكم (ان لم يكن لكم ولد) ذكرا وانثى منهن اومن غيرهن اوولد ابن والباقى لبقية ورثتكم من اصحاب الفروض والعصبات اوذوى الارحام اولبيت المال ان لم يكن لكم وارث آخر اصلا (فان كان لكم ولد) على التفصيل المذكور (فلهن الثمن مما تركتم) من المال والباقى للباقين (من بعد وصية توصون بها او دين) اى بعد اخراج الوصية وقضاء الدين هذا كله اذا لم يمنع مانع من الموانع الاربعة كقتل واختلاف دين ورق واختلاف دار (وان كان رجل) اى ذكر ميت (يورث) اى يورث منه من ورث لا من اورث صفة رجل (كلالة) خبر كان اى من لا ولد له ولا والد وهى فى الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو الاعياء فى التكلم ونقصان القوة فيه فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لضعفها بالنسبة الى القرابة من جهتهما (اوامرأة) عطف على رجل مقيد بما قيد به اى ان كان الميت انثى التى يورث منها كلالة (وله) اى وللميت الموروث منه سوآء كان رجلا اوامرأة (اخ اواخت) كلاهما من الام بالاجماع لان حكم غيرهما سيبين فى آخر السورة (فلكل واحد منهما) اى من الاخ والاخت من الام (السدس) من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة (فان كانوا) اى اولاد الام (اكثر) فى الوجود (من ذلك) اى من الاخ اوالاخت المنفردين بواحد اواكثر (فهم شركاء فى الثلث) يقتسمونه بالسوية لا يزيد نصيب ذكرهم على انثاهم والباقى لبقية الورثة من اصحاب الفروض والعصبات (من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار) قوله غير مضار نصب حالا من فاعل يوصى المقدر المدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول اى يوصى الميت بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مدخل الضرر على الورثة بما زاد على الثلث اوتكون الوصية لقصد الاضرار بهم وبان يقر فى المرض بدين كاذبا (وصية من الله) اى يوصيكم الله وصية بها لا يجوز تغيرها قال عليه السلام من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة (والله عليم) بالمضار وغيره (حليم) لا يعاجل بالعقوبة فلا يغتر بالامهال (تلك) اى الاحكام التى تقدمت فى امر اليتامى والوصايا والمواريث (حدود الله) شرآئعه التى هى كالحدود المحدودة التى لا يجوز مجاوزتها (ومن يطع الله ورسوله) فى جميع الاوامر والنواهى التى من جملتها ما فصل ههنا (يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) صيغة الجمع اى خالدين بالنظر الى جمعية من بحسب المعنى (وذلك) اى هذا الثواب (الفوز العظيم) اى النجاة الوافرة يوم القيامة والظفر الذى لا ظفر وراءه (ومن يعص الله ورسوله) ولو فى بعض الاوامر والنواهى (ويتعد حدوده) شرآئعه المحدودة فى جميع الاحكام (يدخله نارا) اى عظيمة هائلة لا يقادر قدرها (خالدا فيها وله عذاب مهين) اى وله غير عذاب الحريق الجسمانى عذاب آخر لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحانى كما يؤذن به وصفه والجملة حالية وافرد خالدا فى اهل النار وجمع فى اهل الجنة لان فى الانفراد وحشة وعذابا للنفس وذلك انسب بحال اهل النار اعلم ان الاطاعة سبب لنيل المطالب الدنيوية والاخروية ويرشدك على شرف الاطاعة ان كلب اصحاب الكهف لما تبعهم فى طاعة الله وعده دخول الجنة * بابدان يار كشت همسر لوط * خاندان نبوتش كم شد * سك اصحاب كهف روزى چند * پى مردم كرفت ومردم شد * فاذا كان من اتبع المطيعين كذلك فما ظنك بالمطيعين قال حاتم الاصم قدس سره الزم خدمة مولاك تأتك الدنيا راغمة والآخرة راغبة ومن كلامه من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب من ادعى حب الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب ومن ادعى محبة الله من غير ورع عن محارم الله فهو كذاب ومن ادعى محبة النبى عليه السلام من غير محبة الفقرآء فهو كذاب وكلما ازداد العبد فى عبادة الله وطاعته ازداد قربا منه وبعدا من كيد الشيطان قال السرى سألت معروف الكرخى عن الطائعين لله باى شئ قدروا على الطاعة قال بخروج الدنيا من قلوبهم ولو كانت فى قلوبهم ما صحت لهم سجدة (قال جلال الدين الرومى قدس سره) بند بكسل باش آزاد اى پسر * چند باشى بند سيم وبند زر * هركه از ديدار برخوردار شد * اين جهان در چشم او مردار شد * ذكر حق كن بانك غولانرا بسوز * چشم نركس را ازين كركس بدوز * ومن اكرمه الله بمعرفة عظمته

اضطر الى كمال طاعته (حكى) ان شابا من بنى اسرآئيل رفض دنياه واعتزل الناس وجعل يتعبد فى بعض النواحى فخرج اليه رجلان من مشايخ قومه ليرداه الى منزله فقالا له يا من اخذت بامر شديد لا صبر عليه فقال لهما الشاب قيامى بين يدى الله اشد من هذا فقالا ان كل اقربائك مشتاق اليك فعبادتك فيهم افضل فقال الشاب ان الله تعالى اذا رضى عنى يرضى كل قريب وبعيد فقالا له انت شاب لا تعلم وانا جربنا هذا الامر وانا نخاف العجب فقال لهما الشاب من عرف نفسه لم يضره العجب فنظر احدهما الى صاحبه فقال له قم فان هذا الشاب وجد ريح الجنة ولا يقبل قولنا وعن وهب بن منبه كان داود عليه السلام جعل نوبة عليه وعلى اهله واولاده ولا تمر ساعة من الليل الا وهو يصلى ويذكر ففى سره تحرك قلبه بالنظر الى طاعته وكان بين يديه نهر فانطق الله ضفدعا فقال والذى اكرمك بالنبوة انه منذ خلقنى الله تعالى وانا قائم على رجل ما استرحت مع انى لا ارجو الثواب ولا اخاف العقاب فما عجبك فيه يا داود فعلم ان المحسن هو الذى يعلم انه مسيء ولا يعجب بطاعته فلابد للمؤمن من العمل الصالح ومن الصون عما يطلبه من رؤيته وسائر الامراض الفاسدة ولذلك كان الكبار يختارون الوحدة قال الامام جعفر الصادق وكذا سفيان الثورى هذا زمان السكوت وملازمة البيوت فقيل لسفيان اذا الازمنا بيوتنا فمن اين يحصل لنا الرزق قال اتقوا الله فان الله يرزق المتقين من غير كسب كما قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب (قال جلال الدين الرومى) بردل خود كم نه انديشهٔ معاش * عيش كم نايد تو بردركاه باش (واللاتى) جمع التى (يأتين الفاحشة) الاتيان الفعل والمباشرة والفاحشة الفعلة القبيحة اريد بها الزنى لزيادة قبحه على كثير من القبائح اى اللاتى يفعلن الزنى كائنات (من نسائكم) اى من زوجاتكم (فاستشهدوا عليهن اربعة منكم) اى فاطلبوا ان يشهد عليهن باتيانها اربعة من رجال المؤمنين واحرارهم (فان شهدوا) عليهن بذلك (فامسكوهن فى البيوت) فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن (حتى يتوفاهن الموت) اى يأخذهن الموت ويستوفى ارواحهن وفيه تهويل للموت وابراز له فى صورة من يتولى قبض الارواح اويتوفاهن ملائكة الموت (اويجعل الله لهن سبيلا) اى طريقا يخرجن به من الحبس بان تنكح فانه مغن عن السفاح اى الزنى (واللذان) تثنية الذى (يأتيانها) اى الفاحشة (منكم) هما الزانى والزانية بطريق التغليب قال السدى اريد بهما البكران منهما كما ينبئ عنه كون عقوبتهما اخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار (فآذوهما) فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله وذلك بعد الثبوت (فان تابا) عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر الاذية وقوارع التوبيخ (واصلحا) اى لعملهما وغيرا الحال (فاعرضوا عنهما) بقطع الاذية والتوبيخ فان التوبة والاصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب (ان الله كان توابا) مبالغا فى قبول التوبة (رحيما) واسع الرحمة واعلم ان الرجل اذا زنى بامرأة وهما محصنان فحدهما الرجم لا غير وان كانا غير محصنين فحدهما الجلد لا غير وان كان احدهما محصنا والآخر غير محصن فعلى المحصن منهما الرجم وعلى الآخر الجلد والمحصن هو ان يكون عاقلا بالغا مسلما حرا دخل بامرأة بالغة عاقلة حرة مسلمة بنكاح صحيح فالرجم كان مشروعا فى التوراة ثم نسخ باية الايذآء من القرآن ثم صار الايذآء منسوخا باية الحبس وآية الايذآء وان كانت متأخرة فى الترتيب والنظم الا انها سابقة على الاولى نزولا ثم صار الحبس منسوخا بحديث عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم البكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة ثم نسخ هذا كله باية الجلد الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وصار الحد هو الجلد فى كل زان وزانية ثم صار هذا منسوخا بالرجم فى حق المحصن بحديث ماعز رضى الله عنه وبقى غير المحصن فى حكم الجلد هو الترتيب فى الآيات والاحاديث وعليه استقر الحكم عندنا كذا فى تفسير التيسير فالواجب على كل مسلم ان يتوب من الزنى وينهى الناس عن ذلك فان كل موضع ظهر فيه الزنى ابتلاهم الله بالطاعون ويزيد فقرهم قال ابن مسعود رضى الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى ذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اى قال ان تقتل ولدك خشية ان يأكل معك قلت ثم اى قال ان تزنى بحليلة جارك واشد الزنى ما هو مصر عليه وهو الرجل الذى يطلق امرأته وهو يقيم معها بالحرام ولا يقر عند الناس مخافة ان يفتضح فكيف لا يخاف فضيحة الآخرة يوم تبلى السرآئر يعنى تظهر الاسرار فاحذر فضيحة ذلك اليوم واجتنب الزنى ولا تصر عليه فانه لا طاقة

لك مع عذاب الله وتب الى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده ان الله كان توابا رحيما (قال مولانا جلال الدين
الرومى قدس سره) مركب توبه عجائب مركبست * برفلك تازد بيك لحظه زپست * چون برازند
از پشيمانى انين * عرش لرزد از انين المذنبين * عمرا كر بكذشت بيخش اين دم است * آب توبه
اش ده اكر او بى نمست * بيخ عمرترا بده آب حيات * تا درخت عمر كردد با نبات * جمله ماضيها ازين
نيكو شوند * زهر پارينه ازين كردد چو قند * والاشارة فى تحقيق الآيتين ان اللاتى يأتين الفاحشة
من نسائكم هى النفوس الامارة بالسوء والفاحشة ما حرمته الشريعة من اعمال الظاهر وحرمته الطريقة
من احوال الباطن وهى الركون الى غير الله قال عليه السلام سعد غيور وانا اغير منه والله اغير منا ولهذا
حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن فاستشهدوا على النفوس باتيان الفاحشة اربعة منكم اى من خواص
العناصر الاربعة التى انتم منها مركبون وهى التراب ومن خواصه الخسة والركاكة والذلة والطمع والمهانة
واللؤم والماء ومن خواصه اللين والعجز والكسل والانوثة والشره فى المأكل وفى المشرب والهواء ومن خواصه
الحرص والحسد والبخل والحقد والعداوة والشهوة والزينة والنار ومن خواصها التبختر والتكبر والفخر والصلف
والغضب والحدة وسوء الخلق وغير ذلك مما يتعلق بالاخلاق الذميمة ورأسها حب الدنيا والرياسة واستيفاء لذاتها
وشهواتها فان شهدوا اى ظهر بعض هذه الصفات من النفوس فامسكوهن فى البيوت فاحبسوهن فى سجن
المنع عن التمتعات الدنيوية فان الدنيا سجن المؤمن واغلقوا عليهن ابواب الحواس الخمس حتى يتوفاهن الموت
اى تموت النفس اذا انقطع عنها حظوظها دون حقوقها والى هذا اشار بقوله عليه السلام موتوا قبل ان تموتوا
او يجعل الله لهن سبيلا بانفتاح روزنة القلوب الى عالم الغيوب فتهب منها الطاف الحق وجذبات الالوهية التى
جذبة منها توازى عمل الثقلين واللذان يأتيانها منكم اى النفس والقالب يأتيان الفواحش فى ظاهر الافعال
والاعمال وباطن الاحوال والاخلاق فآذوهما ظاهرا بالحدود وباطنا بترك الحظوظ وكثرة الرياضات
والمجاهدات فان تابا ظاهرا وباطنا واصلحا لذلك فاعرضوا عنهما باللطف بعد العنف وباليسر بعد العسر
فان مع العسر يسرا ان الله كان توابا لمن تاب رحيما لمن اصلح من تفسير نجم الدين الرازى الكبرى (انما التوبة
على الله) اى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته (للذين يعملون السوء)
اى المعصية صغيرة كانت او كبيرة فقوله انما التوبة على الله مبتدأ وخبره ما بعده (بجهالة) اى يعملون
ملتبسين بها اى جاهلين سفهاء فان ارتكاب الذنب مما يدعو اليه الجهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل
حتى ينزع من جهالته وفى التيسير ليست هذه جهالة عدم العلم لانه ذنب لان ذلك عذر لكنها التغافل
والتجاهل وترك التفكر فى العاقبة كفعل من يجهله ولا يعلمه (ثم يتوبون من قريب) اى من زمان قريب
وهو ما قبل حضور الموت اى قبل ان يغرغر وسماه قريبا لان امد الحياة الدنيا قريب قال تعالى قل متاع
الدنيا قليل فعمر الدنيا قليل قريب الانقضاء فما ظنك بعمر فرد ومن تبعيضية اى يتوبون بعض زمان قريب
كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا ففى اى جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب
(فاولئك يتوب الله عليهم) اى يقبل توبتهم (وكان الله عليما) بخلقه يعلم اخلاصهم فى التوبة (حكيما) فى صنعه
والحكيم لا يعاقب التائب فعلى المؤمن ان يتدارك الزلة بالتوبة والاستغفار ويسارع فى الرجوع الى الملك الغفار
روى ان جبريل عليه السلام اتاه عند موته فقال يا محمد الرب يقرئك السلام ويقول من تاب قبل موته بجمعة
قبلت توبته قال صلى الله عليه وسلم الجمعة كثيرة فذهب ثم رجع وقال قال الله تعالى من تاب قبل موته بساعة
قبلت توبته فقال الساعة كثيرة فذهب ثم رجع وقال ان الله يقرئك السلام ويقول ان كان هذا كثيرا فلو بلغ
روحه الحلق ولم يمكنه الاعتذار بلسانه واستحيى منى وندم بقلبه غفرت له ولا ابالى قال صلى الله عليه وسلم ان الله
يقبل توبة عبده ما لم يغرغر اى لم يبلغ روحه الحلقوم وعند ذلك يعاين ما يصير اليه من رحمة او هوان ولا ينفع
حينئذ توبة ولا ايمان قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا فالتوبة مبسوطة للعبد حتى يعاين قابض
الارواح وذلك عند غرغرته بالروح وانما يغرغر به اذا قطع الوتين فشخص من الصدر الى الحلقوم فعندها المعاينة
وعندها حضور الموت فيجب على الانسان ان يتوب قبل المعاينة والغرغرة وهو معنى قوله تعالى ثم يتوبون
من قريب وانما صحت منه التوبة فى هذا الوقت لان الرجاء باق ويصح الندم والعزم على الفعل (قال السعدى

طريقى بدست آر وصلحى بجوى * شفيعى برانكيز وعذرى بكوى * كه يك لحظه صورت نبندد امان *
چو پيمانه پر شد بدور زمان * والتوبة فرض على المؤمنين ولها شروط اربعة الندم بالقلب وترك المعصية
فى الحال والعزم على ان لا يعود الى مثلها وان يكون ذلك حياء من الله تعالى وخوفا منه لا من غيره قال الحسن
البصرى استغفارنا يحتاج الى استغفار قال القرطبى فى تذكرته هذا يقوله فى زمانه فكيف فى زماننا هذا الذى
يرى فيه الانسان مكبا على الظلم حريصا عليه لا يقلع والسبحة فى يده زاعما انه يستغفر من ذنبه وذلك استهزاء منه
واستخفاف ومن اظلم ممن اتخذ آيات الله هزؤا فيلزم حقيقة الندم روى ان الملائكة تعرج الى السماء بسيئات
العبد فاذا عرضوها على اللوح المحفوظ يجدون مكانها حسنات فيخرون على وجوههم ويقولون ربنا انك تعلم
انا ما كتبنا عليه الا ما عمل فيقول الله تعالى صدقتم ولكن عبدى ندم على خطيئته واستشفع الى بدمعه فغفرت
ذنبه وجدت عليه بالكرم وانا اكرم الاكرمين (قال مولانا جلال الدين قدس سره) اخر هر كريه آخر خنده ايست *
مرد آخربين مبارك بنده ايست * هر كجا آب روان سبزه بود * هر كجا اشك روان رحمت شود *
تا نكريد طفل كى جوشد لبن * تا نكريد ابر كى خندد چمن * قال احمد بن عبد الله المقدسى سألت ابراهيم
ابن ادهم عن بدء حاله فقال نظرت من شباك قصرى فرأيت فقيرا بفناء القصر قد اكل الخبز بالماء والملح ثم نام
فدعوته وقلت له قد شبعت وتهيأت للنوم قال نعم فتبت الى الله ولبست الليلة مسوحا وقلنسوة من صوف
وخرجت حافيا الى مكة واعلم ان الله اذا اراد بعبد خيرا اصطفاه لنفسه وجعل فى قلبه سراجا يفرق بين الحق
والباطل ويبصر عيوب نفسه حتى يترك الدنيا وحطامها ويلقى عليها زمامها (قال جلال الدين الرومى)
ملك برهم زن تو ادهم وار زود * تا بيابى همچو او ملك خلود * اين جهان خود حبس جانهاى شماست *
هين رويد آن سو كه صحراى شماست (قال العطار قدس سره) نقاب از روى چون خورشيد بردار *
اكر هستى زروى خود خبردار * زكوه قاف جسمانى كذر كن * بدار الملك روحانى سفر كن *
مشو مغرور اين ملك مزور * نه عزت ماند ونه مال ونه زر * اكر رنكت فروشويند زرخسار *
خريدارت نباشد كس ببازار * عصمنا الله واياكم من الركون الى الدنيا وموت القلب بالاصرار على الهوى
فى الصبح والمساء (وليست التوبة للذين يعملون السيئات) اى الذنوب (حتى اذا حضر احدهم الموت) اى وقع
فى سكرات الموت وشاهد ملك الموت سوى علامة فان التوبة تقبل فيها (قال) عند النزع ومشاهدة ما فيه
(انى تبت الآن) من ذنوبى يعنى لا يقبل التوبة منه ثمة لانها حالة الاضطرار دون حالة الاختيار (ولا الذين
يموتون) عطف على الذين يعملون السيئات اى ليست التوبة للذين ماتوا (وهم كفار) مصرون على كفرهم
اذا تابوا عند قرب الموت او عند معاينة العذاب فى الآخرة (اولئك) اى الفريقان (اعتدنا) اصله اعددنا ابدلت
الدال الاولى تاء (لهم عذابا اليما) اى هيأنا لهم عذابا وجيعا دائما اعلم ان الله تعالى سوى بين من سوف التوبة
واخرها الى حضور الموت من الفسقة وبين من مات على الكفر فى نفى التوبة للمبالغة فى عدم الاعتداد بها فى تلك
الحالة كانه قال توبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء فى انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الآخرة فكما
ان الميت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لعدم محلها وتلك التسوية
لكيلا يهمل المذنب فى امر التوبة ولا يتأهل العاقل فى المسارعة الى طلب المغفرة (قال جلال الدين الرومى
قدس سره) كر سيه كردى تو نامه عمر خويش * توبه كن زانها كه كردستى تو پيش * توبه آريد وخدا
توبه پذير * امر او كير بدا ونعم الامير * واذا هب من الله رياح العناية تجد العبد يسرع الى التوبة ويعد
نفسه الى اسبابها ويتأثر بشئ يسير فيتوب عن قبح معاملته قال ابو سليمان الدارانى اختلفت الى مجلس قاص
فاثر فى قلبى كلامه فلما قمت لم يبق فى قلبى شئ فعدت ثانيا فبقى اثر كلامه فى قلبى حتى رجعت الى منزلى وكسرت
آلة المخالفات ولزمت الطريق فحكى هذه الحكاية ليحيى بن معاذ فقال عصفور اصطاد كركيا اراد بالعصفور
ذلك القاص وبالكركى ابا سليمان مرد بايد كه كيرد اندر كوش * ور نوشته است پند بر ديوار * قال تعالى
وسارعوا الى مغفرة من ربكم فمسارعة المذنب بالتوبة وترك الاصرار والرجوع الى باب الملك الغفار ومسارعة
المطيع بالاجتناب عن السيئات وزيادة الخيرات والحسنات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب اليمين
امين على صاحب الشمال فاذا عمل العبد حسنة يكتب له صاحب اليمين عشرا * نكوكارى از مردم نيك راى *

بكى رابده مى نو يسد خداى * واذا عمل سيئة واراد صاحب الشمال ان يكتب قال صاحب اليمين امسك
فيمسك بست ساعات او سبع ساعات فان استغفر فيها لم يكتب عليه وان لم يستغفر كتب سيئة واحدة فالواجب
على كل مسلم ان يتوب الى الله حين يصبح وحين يمسى ولا يؤخرها قال ابو بكر الواسطى قدس سره التأنى
فى كل شئ حسن الا فى ثلاث خصال عند وقت الصلاة وعند دفن الميت والتوبة عند المعصية وكان فى الامم
الماضية اذا اذنبوا حرم عليهم حلال واذا اذنب واحد منهم ذنبا وجد على بابه او على جبهته مكتوبا ان فلان
ابن فلان قد اذنب كذا وتوبته كذا فسهل الله الامر على هذه الامة فقال ومن يعمل سوأ او يظلم نفسه
ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما روى ان الله لما لعن ابليس سأله النظرة فانظره اى امهله الى قيام الساعة
فقال انظر ماذا ترى فقال وعزتك لا اخرج من صدر عبدك حتى تخرج نفسه فقال الرب وعزتى وجلالى
لا احجب التوبة عن عبدى حتى تخرج نفسه فانظر الى رحمة الله ورأفته على عباده انه سماهم مؤمنين بعد
ما اذنبوا فقال وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون واحبهم بعد التوبة فقال ان الله يحب المتطهرين (قال الحافظ)
بمهلتى كه سپهرت دهد ز راه مرو * تراكه كفت كه اين زال ترك دستان كفت * فينبغى ان لا يغتر
الانسان بشئ من الاشياء فى حال من الاحوال فانه وان كان يمهل ولكن لا يهمل فان الموت يجيئ البتة اذا فنى
العمر وامتلأ الاناء (يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها) مصدر فى موضع الحال من النساء كان
الرجل اذا مات قريبه يلقى ثوبه على امرأته او على خبائها ويقول ارث امرأته كما ارث ماله فيصير بذلك احق بها
من كل احد ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيرها واخذ صداقها ولم يعطها منه شيأ وان شاء
عضلها اى حبسها وضيق عليها لتفتدى بما ورثت من زوجها وان ذهبت المرأة الى اهلها قبل القاء الثوب
فهى احق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم ان تأخذوهن بطريق الارث على زعمكم كما تحاز المواريث
وهن كارهات لذلك (ولا تعضلوهن) عطف على ترثوا ولا لتأكيد النفى والخطاب للازواج والعضل الحبس
والتضييق وداء عضال ممتنع المحال عسر العلاج وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع
سوء العشرة والقهر وضيق عليها لتفتدى منه بمالها وتختلع فقيل لهم ولا تعضلوهن اى لا تضيقوا عليهن
(لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) اى من الصداق بان يدفعن اليكم بعضه اضطرارا فتأخذوه منهن (الا ان يأتين
بفاحشة مبينة) من بين بمعنى تبين اى القبح من النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء اى الفحش
والسلاطة اى حدة اللسان او الفاحشة الزنى وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم الاوقات او اعم العلل
اى ولا يحل لكم عضلهن فى حال من الاحوال او فى وقت من الاوقات او لعلة من العلل الا فى حال اتيانهن
بفاحشة او الا فى وقت اتيانهن بها او الا لاتيانهن بها فان السبب حينئذ يكون من جهتهن وانتم معذورون
فى طلب الخلع (وعاشروهن بالمعروف) خطاب للذين يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع
والمروءة والمراد ههنا النصفة فى المبيت والنفقة والاجمال فى القول ونحو ذلك (فان كرهتموهن) وسئمتم صحبتهن
بمقتضى الطبيعة من غير ان يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة
النفس واصبروا على معاشرتهن (فعسى ان تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) والمراد بالخير الكثير ههنا
الولد الصالح او المحبة والالفة والصلاح فى الدين وهو علة للجزاء اقيمت مقامه للايذان بقوة استلزامها اياه
كانه قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه
وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر اى فقد قربت كراهتكم شيأ وجعل الله فيه خيرا كثيرا
فان النفس ربما تكره ما هو اصلح فى الدين واحمد عاقبة وادنى الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه
خير وصلاح دون ما تهوى انفسكم اعلم ان معاشرتهن بالمعروف والصبر عليهن فيما لا يخالف رضى الله تعالى
والافارة من مواضع الغيرة واجب ثم ان الغيرة من اخلاق الله واخلاق الانبياء والاولياء قال عليه السلام
اتعجبون من غيرة سعد وانا اغير منه والله اغير منى ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن
اى ما كان من اعمال الظاهر وهو ظاهر واحوال الباطن وهو الركون الى غير الله والطريق المنبئ عن الغيرة
ان لا يدخل عليها الرجال ولا تخرج هى الى الاسواق دون الحمام قال الامام قاضى خان دخول الحمام
مشروع للرجال والنساء خلافا لما قاله البعض روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الحمام وتنور وخالد

ابن الوليد دخل حمام حمص لكن انما يباح اذا لم يكن فيه انسان كشف العورة انتهى والناس فى زماننا لا يمتنعون
عن كشف العورة اعاليهم واسافلهم فالمتقى يجتنب عن الدخول فى الحمام من غير عذر والحاصل ان المرأة
اذا برئت من مواقع الخلل واتصفت بالعفة فعلى الزوج ان يعاشرها بالمعروف ويصبر على سائر اوضاعها وسوء
خلقها او خلقها بخلاف ما اذا كانت غير ذلك (قال الشيخ السعدى قدس سره) چو مستور باشد زن
خو بروى * بديدار او در بهشت است شوى * اكر پارسا باشد وخوش سخن * نكه در نكويى
وزشتى مكن * چو زن راه بازار كيرد بزن * وكرنه تو در خانه بنشين چو زن * ز بيكانكان چشم زن
كور باد * چو بيرون شد از خانه در كور باد * شكوهى نماند دران خاندان * كه بانك خروس آيد
از ماكيان * كريز از كفش در دهان نهنك * كه مردن به از زندكانى به ننك * ثم اعلم ان معاملة
النساء اصعب من معاملة الرجال لانهن ارق دينا واضعف عقلا واضيق خلقا فحسن معاشرتهن والصبر
عليهن مما يحسن الاخلاق فلا جرم يعد الصابر من المجاهدين فى سبيل الله وكان عليه السلام يحسن المعاشرة
مع ازواجه المطهرة روى ان بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته الى ان ماتت وعرض عليه التزوج
فامتنع وقال الوحدة اروح بقلبى قال فرأيت فى المنام بعد جمعة من وفاتها كان ابواب السماء قد فتحت وكان
رجالا ينزلون ويسيرون فى الهواء يتبع بعضهم بعضا وكلما نظر الى واحد منهم يقول لمن وراءه هذا هو المشؤم
فيقول الاخر نعم ويقول الثالث كذلك فخفت ان اسألهم الى ان مر بى آخرهم فقلت له من هذا المشؤم قال انت
قال فقلت ولم قال كنا نرفع عملك مع اعمال المجاهدين فى سبيل الله فمنذ جمعة امرنا ان نضع عملك مع الخالفين
فلا ندرى ما احدثت فقال لاخوانه زوجونى فلم يكن يفارقه زوجتان او ثلاث وكثرة النساء ليست من الدنيا
لان الزهاد والعباد كانوا يتزوجون ثلاثا واربعا قال صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث النساء
والطيب وقرة عينى فى الصلاة قال بعض ارباب الاحوال كنت بمجلس بعض القصاص فقال ما سلم احد من
الهوى ولا فلان وسمى من لا يليق ذكره فى هذا المقام لعظم الشان فقلت اتق الله فقال الم يقل حبب الى فقلت
ويحك انما قال حبب ولم يقل احببت قال ثم خرجت بالهم فرأيت النبى عليه السلام فقال لا تهتم فقد قتلناه
قال فخرج ذلك القاص الى بعض القرى فقتله بعض قطاع الطريق فقال بعض العلماء اكثاره عليه السلام
فى امر النكاح بفعل بواطن الشريعة قال الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول الانبياء زيدوا فى القوة بفضل
نبوتهم وذلك ان النور اذا امتلأت منه الصدور ففاض فى العروق التذت النفس والعروق فأثار الشهوة
وقواها واما الطيب فانه يزكى الفؤاد ويقوى القلب واصل الطيب انما خرج من الجنة بهبوط آدم منها بورقة
تستر بها فتركت عليه واما الصلاة فهى مناجاة الله كما قال عليه السلام المصلى يناجى ربه فاذا عرفت حقيقة الحال
فاياك والانكار فان كل عمل عند الاخيار له سر من الاسرار ولكن عقول العوام لا تحيط به وان عاش الف عام
(قال مولانا جلال الدين قدس سره) از محقق تا مقلد فرقهاست * كين چو داودست وآن ديكر صداست *
كار درويشى وراى فهم تست * سوى درويشان بمنكر سست سست (وان اردتم استبدال زوج)
اى تزوج امرأة ترغبون فيها (مكان زوج) ترغبون عنها بان تطلقوها (وآتيتم احداهن) اى احدى الزوجات
فالمراد بالزوج هو الجنس (قنطارا) اى مالا كثيرا (فلا تأخذوا منه) اى ذلك القنطار (شيأ) يسيرا فضلا
عن الكثير (أتأخذونه) اى شيأ منه (بهتانا) باهتين او مفعول له اى للبهتان والظلم العظيم فان احدهم كان
اذا تزوج امرأة فاعجبه غيرها واراد ان يتزوجها بهت التى تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه
بما اعطاها ليصرفه الى تزويج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان فى اللغة الكذب الذى يواجه الانسان به
صاحبه على جهة المكابرة واصله من بهت الرجل اذا تحير فالبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه
ويدهشه وقد يستعمل فى الفعل الباطن ولذلك فسر ههنا بالظلم (واثما مبينا) اى آثمين عيانا او للذنب الظاهر
(وكيف تأخذونه) اى لاى وجه ومعنى تفعلون هذا (وقد) والحال انه قد (افضى بعضكم الى بعض) وقد جرى
بينكم وبينهن احوال منافية له من الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك (واخذن منكم ميثاقا
غليظا) عطف على ما قبله داخل فى حكمه اى اخذن منكم عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة والمعاشرة
او ما اوثق الله عليكم فى شأنهن بقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبى عليه

السلام بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله اعلم ان هذه المعاملات من تضييق النساء
ومنعهن من الازواج واخذ ما فى ايديهن ظلما بعد ما اخذن ميثاقا غليظا فى رعاية حقوقهن كلها وامثالها
ليست من امارة الايمان ونتايجه وثمراته لان المؤمن اخ المؤمن لا يظلمه ولا يشتمه قول عليه السلام المؤمن
للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقال الدين النصيحة وقد صرح بنفى الايمان عمن لا يحب لاخيه ما يحب
لنفسه قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه من الخير هر آنكه تخم بدى
كشت وچشم نيكى داشت ✻ دماغ بيهده پخت وخيال باطل بست ✻ ز كوش پنبه برون آر وداد خلق بده ✻
اكر تو مى ندهى داد روز دادى هست ✻ فعلى المرء ان ينصف فى جميع احواله للاجانب خصوصا الاقارب
والازواج فان تحرى العدل اهم من الواجبات واعلم ان الاية لا دلالة فيها على جواز المغالاة فى المهر لان قوله
تعالى وآتيتم احداهن قنطارا لا يدل على جواز ايتاء القنطار كما ان قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
لا يدل على حصول الالهة والحاصل انه لا يلزم من جعل الشئ شرطا لشئ آخر كون ذلك الشرط فى نفسه جائز
الوقوع كذا قال الامام فى تفسيره ويؤيده ما قيل فى مرشد المتأهلين ان المرأة التى يراد نكاحها يراعى فيها خفة
المهور قال صلى الله عليه وسلم خير نسائكم احسنهن وجوها واخفهن مهورا وتزوج رسول الله صلى الله عليه
وسلم نساءه على عشرة دراهم واثاث البيت وكان رحى وجرة ووسادة من اديم حشوها ليف وفى الخبر من بركة
المرأة سرعة تزوجها وسرعة رحمها الى الولادة ويسر مهرها ولا بد للرجل ان يوفيها صداقها كملا او ينوى ذلك
فمن نوى ان يذهب بصداقها جاء يوم القيامة زانيا كما ان من استدان دينا وهو ينوى ان لا يقضيه يصير سارقا
ولا يماطل مهرها الا ان يكون فقيرا او توجله المرأة طوعا ويعلمها احكام الطهارة والحيض والصلاة وغير ذلك
بقدر ما تؤدى به الواجب ويلقنها اعتقاد اهل السنة ويردها عن اعتقاد اهل البدعة وان لم يعلم فليسأل ولينقل
اليها جواب المفتى وان لم يسأل فلا بد لها من الخروج للسؤال ومتى علمها الفرائض فليس لها الخروج الى تعلم
او مجلس ذكر الا برضاه فمهما اهمل المرء حكما من احكام الدين ولم يؤدبها ولم يعلمها او منعها عن التعلم شاركها
فى الاثم وفى الحديث اشد الناس عذابا يوم القيامة من اجهل اهله قال عليه السلام كلكم راع وكلكم مسؤول
عن رعيته (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقوله من النساء بيان لما نكح
واسم الاباء ينتظم الاجداد مجازا كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج آبائهم فنهوا عن ذلك اى لا تنكحوا التى
نكحها آباؤكم (الا ما قد سلف) استثناء مما نكح مفيد للمبالغة فى التحريم باخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال
اى لا تنكحوا حلائل آبائكم الا من ماتت منهن والمقصود سد طريق الاباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى حتى
يلج الجمل فى سم الخياط (انه) اى نكاحهن (كان فاحشة) اى فعلة قبيحة ومعصية شديدة عند الله ما رخص
فيه لامة من الامم (ومقتا) ممقوتا عند ذوى المروءات والمقت اشد البغض (وساء سبيلا) نصب على التمييز اى بئس
السبيل سبيل من يراه ويفعله فانه يؤدى صاحبه الى النار قيل مراتب القبح ثلاث القبح العقلى واليه اشير بقوله
انه كان فاحشة والقبح الشرعى واليه اشير بقوله مقتا والقبح العادى واليه الاشارة بقوله وساء سبيلا ومتى
اجتمعت فيه هذه المراتب فقد بلغ اقصى مراتب القبح والاشارة فى الاية ان الاباء هى العلويات والامهات هى
السفليات وبازدواجهما خلق الله تعالى المتولدات منهما فيما بينهما ففى قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم
من النساء اشارة الى نهى التعلق والتصرف فى السفليات التى هى الامهات المتصرفة فيها آباؤكم العلوية
الا ما قد سلف من التدبير الالهى فى ازدواج الارواح والاشباح فالحاجات الضرورية للانسان مسيسة به
انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا يعنى التصرف فى السفليات والتعلق بها والركون اليها انما يلوث الجوهر
الروحانى بلوث الصفات الحيوانية ويجعله سفلى الطبع بعيدا عن الحضرة محبا للدنيا ناسيا للرب ممقوتا للحق وساء
سبيلا الى الهداية بالضلالة (قال الحافظ) غلام همت آنم كه زير چرخ كبود ✻ ز هرچه رنگ تعلق
پذيرد آزادست (قال مولانا الجامى) اى كه در شرع خداوندان حال ✻ ميكنى از سنت وفرضم
سؤال ✻ سنت آمد دل ز دنيا تافتن ✻ فرض راه قرب مولا يافتن ✻ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اقرب الناس مجلسا الى الله يوم القيامة من طال حزنه وجوعه فى الدنيا افترش الناس الفراش وافترشوا
الارض فالراغب من رغب فى مثل ما رغبوا والخاسر من خالفهم اكلوا الشعير ولبسوا الخرق وخرجوا من الدنيا

سالمين (قال مولانا جلال الدين) هر كه محجوب است او خود كودكيست ✻ مرد آن باشد كه بيرون از شكيست ✻
اى خنك آنكه جهادى ميكند ✻ بر بدن زجرى ودادى ميكند ✻ اى بسا كارا كه اول صعب كشت ✻
بعد از ان بكشاده شد سختى كذشت ✻ اندرين ره مى تراش ومى خراش ✻ تا دمى آخر دمى فارغ مباش ✻
قال ابو على الدقاق رحمه الله من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سريرته بالمشاهدة قال الله تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واعلم ان من لم يكن فى بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة قال
ابو الحسن الوراق كان اجل احكامنا فى مبادى امرنا فى مسجد ابى عثمان الايثار حتى يفتح علينا وان لا نبيت
على معلوم ومن استقبلنا بمكروه لا ننتقم لانفسنا بل نعتذر اليه ونتواضع له واذا وقع فى قلوبنا حقارة لاحد قمنا
فى خدمته والاحسان اليه حتى يزول قال ابو حفص ما اسرع هلاك من لا يعرف عيبه فان المعاصى بريد الكفر
عيب رندان مكن اى زاهد پاكيزه سرشت ✻ كه كناه دكران بر تو نخواهند نوشت ✻ من اكر نيكم
وكر بد تو برو خود را باش ✻ هر كسى آن درود عاقبت كار كه كشت (حرمت عليكم امهاتكم)
اى نكاحهن لان المفهوم فى العرف من حرمة كل شئ ما هو الغرض المقصود منه فيفهم من تحريم النساء
تحريم نكاحهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله والامهات تعم الجدات
وان علون من الاب والام او من قبل احدهما (وبناتكم) الصلبية وبنات الاولاد وان سفلن (واخواتكم) من قبل
الاب والام او من قبل احدهما فيتضمن الاخوات من الجهات الثلاث واعلم ان حرمة الامهات والبنات كانت
ثابتة من زمن آدم عليه السلام الى هذا الزمان ولم يثبت حل نكاحهن فى شئ من الاديان الالهية بل ان
زرادشت رسول المجوس قال بحله الا ان اكثر المسلمين اتفقوا على انه كان كذابا اما نكاح الاخوات فقد نقل
ان ذلك كان مباحا فى زمن آدم عليه السلام وانما حكم الله باباحة ذلك على سبيل الضرورة وذكر العلماء
ان السبب لهذا التحريم ان الوطئ اذلال واهانة فان الانسان يستحيى من ذكره ولا يقدم عليه الا فى الموضع
الخالى واكثر انواع الشتم لا يكون الا بذكره واذا كان الامر كذلك وجب صون الامهات عنه لان انعام الام
على الولد اعظم وجوه الانعام فوجب صونها عن هذا الاذلال والبنت جزء من الانسان وبعض منه فيجب
صونها عن هذا الاذلال لان المباشرة معها تجرى مجرى الاذلال وكذا القول فى البقية ذكره الامام فى تفسيره
(وعماتكم) العمة كل انثى ولدها من ولد والدك قريبا او بعيدا (وخالاتكم) الخالة كل انثى ولدها من ولد
والدتك قريبا او بعيدا يعنى العمات تعم اخوات الاباء والاجداد وكذا الخالات تعم اخوات الامهات والجدات
سواء كن من قبل الاب والام او من قبل احدهما (وبنات الاخ وبنات الاخت) من كل جهة ونوافلهما
وان بعدت واعلم ان الله تعالى نص على تحريم اربعة عشر صنفا من النسوان سبع منهن من جهة النسب وهن
هذه المذكورات وسبع اخرى من جهة السبب والى تعدادها شرع فقال (وامهاتكم اللاتى ارضعنكم
واخواتكم من الرضاعة) اى حرم نكاح الامهات والاخوات كلتاهما من الرضاعة كما حرمتا من النسب
نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه
وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولده من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام
المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولدها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولدها
من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهو
حكم كلى جارى على عمومه واما اخته لاخت ام اخيه لاب واخت ابنه لام وام ام ابنه وام عمه وام خاله لاب
فليست حرمتهن من جهة النسب حتى تحل بعمومه ضرورة حلهن فى صور الرضاع بل من جهة المصاهرة
الا يرى ان الاولى موطوءة ابيه والثانية بنت موطوءته والثالثة ام موطوءته والرابعة موطوءة جده الصحيح
والخامسة موطوءة جده الفاسد (وامهات نسائكم) المراد بالنساء المنكوحات على الاطلاق سواء كن
مدخولا بهن اولا وعليه جمهور العلماء وقد روى عن النبى عليه السلام انه قال فى رجل تزوج امرأة ثم طلقها
قبل الدخول بها انه لا بأس بان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها ويلحق بهن الموطوءات بوجه من
الوجوه المعدودات فيما سبق آنفا والممسوسات ونظائرهن وامهات تعم المرضعات كما تعم الجدات (وربائبكم
اللاتى فى حجوركم) اى حرم نكاح الربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمى به لانه يربه كما يرب ولده

فى غالب الامر فعيل بمعنى مفعول والتاء للنقل الى الاسمية قال الامام والحجور جمع حجر وفيه لغتان قال ابن
السكيت حجر الانسان وحجره بالفتح والكسر هو ما يجمع على نخذيه من ثوبه والمراد بقوله فى حجوركم اى فى تربيتكم
يقال فلان فى حجر فلان اذا كان فى تربيته والسبب فى هذه الاستعارة ان كل من ربى طفلا اجلسه فى حجره
فصار الحجر عبارة عن التربية كما يقال فلان فى حضانة فلان واصله من الحضن الذى هو الابط ثم ان كون
التربية فى حجر الراب ليس بشرط للحرمة عند جمهور العلماء والوصف فى الاية خرج على الاغلب لانهن كن
لا يتزوجن غالبا اذا كانت لهن اولاد كبار ويتزوجن مع الاولاد الصغار ليستعن بالازواج على تربية الاولاد
فخرج الكلام مخرج الغالب لا على الاشتراط كما فى قوله تعالى ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد والمباشرة
فى غير المساجد حالة الاعتكاف حرام ايضا (من نسائكم اللاتى دخلتم بهن) اى كائنة تلك الربائب
من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فمن متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم ومعنى الدخول بهن ادخالهن الستر
والباء للتعدية وهى كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفى حكم الدخول اللمس ونظائره
(فان لم تكونوا) اى فيما قبل (دخلتم بهن) اصلا (فلا جناح عليكم) اى فى نكاح الربائب اذا فارقتموهن
اى امهاتهن اومتن وهو تصريح بما اشعر به ما قبله (وحلائل ابنائكم) اى وحرم عليكم زوجات ابنائكم سميت
الزوجة حليلة لحلها للزوج اولحلولها فى محله وقيل لحل كل منهما ازار صاحبه وفى حكمهن مزنياتهم
ومن يجرى مجراهن من الممسوسات ونظائرهن (الذين من اصلابكم) لاخراج الادعياء دون ابناء الاولاد
والابناء من الرضاع فانهم وان سفلوا فى حكم الابناء الصلبية فالمتبنى اذا فارق امرأته يجوز للمتبنى نكاحها
وقد تزوج النبى عليه السلام زينب ابنة جحش الاسدية بنت عمته اميمة ابنة عبد المطلب حين فارقها زيد
ابن حارثة وكان قد تبناه وادعاه ابنا فعيره المشركون بذلك لان المتبنى فى ذلك الوقت كان بمنزلة الابن فانزل الله
تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقوله تعالى وما جعل ادعياءكم ابناءكم (وان تجمعوا بين الاختين)
اى وحرم عليكم الجمع بين الاختين فى النكاح لا فى ملك اليمين واما جمعهما فى الوطئ بملك اليمين فيلحق به بطريق
الدلالة لاتحادهما فى المدار (الا ما قد سلف) استثناء منقطع اى لكن ما قد مضى لا تؤاخذون به (ان الله كان
غفورا) لمن فعل ذلك فى الجاهلية (رحيما) لمن تاب من ذنوبه واطاع لامر ربه فى الاسلام (والمحصنات) هن
ذوات الازواج احصنهن التزوج اوالازواج اوالاولياء اى عفهن عن الوقوع فى الحرام وقد ورد الاحصان
فى القرآن بازاء اربعة معان الاول التزوج كما فى هذه الاية والثانى العفة كما فى قوله محصنين غير مسافحين
والثالث الحرية كما فى قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما فى قوله فاذا احصن
قيل فى تفسيره اى اسلمن وهى معطوفة على المحرمات السابقة اى وحرم عليكم ذوات الازواج كائنات
(من النساء) وفائدته تأكيد عمومها الادفع توهم شمولها للرجال بناء على كونها صفة للانفس كما توهم
(الا ما ملكت ايمانكم) يريد ما ملكت ايمانكم من اللاتى سبين ولهن الازواج فى دار الكفر فهن حلال للغزاة
المسلمين ان كن محصنات قال نجم الدين الكبرى قدس سره ان الله تعالى حرم المحصنات من النساء على الرجال
عفة للحضانة وصحة للنسب ونزاهة لعرض الرجال عن خسة الاشتراك فى الفراش علوا للهمة فان الله يحب
معالى الامور ويبغض سفسافها وقال الا ما ملكت ايمانكم يعنى ملكتم بالقوة والغلبة على ازواجهن من الكفار
وانقطاعهن من حيز الاشتراك وافساد نسب الاولاد وتخليطه ولهذا اوجب الشرع فيها الاستبراء بحيضة
(كتاب الله عليكم) مصدر مؤكد اى كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وفرضه فرضا (واحل لكم) عطف على
حرمت عليكم وتوسيط قوله كتاب الله عليكم بينهما للمبالغة فى الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة
(ما وراء ذلكم) اشارة الى ما ذكر من المحرمات المعدودة اى احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا وجمعا وخص منه
بالسنة ما فى معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها (ان تبتغوا) متعلق بالفعلين
المذكورين اى حرمت واحل على انه مفعول له لكن لا باعتبار ذاتهما بل باعتبار بيانهما واظهارهما اى بين لكم تحريم المحرمات
المعدودة واحلال ما سواهن ارادة ان تبتغوا النساء اى تطلبوهن (باموالكم) بصرفها الى مهورهن اواثمانهن
(محصنين) حال من فاعل تبتغون والاحصان العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب
(غير مسافحين) حال ثانية منه والسفاح الزنى والفجور من السفح الذى هو صب المنى سمى به لانه الغرض منه

ومفعول

ومفعول الفعلين محذوف اى محصنين فروجكم غير مسافحين الزوانى وهى فى الحقيقة حال مؤكدة لان المحصن
غير مسافح البتة والمعنى لا تضيعوا اموالكم فى الزنى لئلا يذهب دينكم ودنياكم ولكن تزوجوا بها النساء فهو خير
لكم وذكر الاموال يدل على ان غير المال لا يصلح مهرا وان القليل لا يكفى مهرا فان الدرهم ونحوه لا يسمى مالا
ثم هو عندنا لا يكون اقل من عشرة دراهم قال صلى الله عليه وسلم لا مهر اقل من عشرة (فما استمتعتم به منهن)
اى فالذى انتفعتم به من النساء بالنكاح الصحيح من جماع اوخلوة صحيحة اوغير ذلك (فآتوهن اجورهن)
مهورهن فان المهر فى مقابلة الاستمتاع (فريضة) حال من الاجور بمعنى مفروضة (ولا جناح عليكم
فيما تراضيتم به) اى فى ان تراضيتم بعد النكاح على زيادة المهر من جانب الزوج اوعلى الحط من المهر
من جانب الزوجة وان تهب لزوجها جميع مهرها (من بعد الفريضة) اى بعد المفروضة للزوجة
(ان الله كان عليما) بمصالح العباد (حكيما) فيما شرع لهم من الاحكام ولذلك شرع لكم هذه الاحكام
اللائقة بحالكم اعلم ان المحرم عندنا من حرم نكاحه على التأبيد بنسب اومصاهرة اورضاع ولو بوطئ حرام
فخرج بالاول ولد العمومة والخؤولة وبالثانى اخت الزوجة وعمتها وخالتها وشمل ام المزنى بها وبنتها واب الزانى
وابنه واحكامه تحريم النكاح وجواز النظر والخلوة والمسافرة الا المحرم من الرضاع فان الخلوة بها مكروهة
وكذا بالصهرة الشابة وحرمة النكاح على التأبيد لا مشاركة للمحرم فيها فان الملاعنة تحل اذا كذب نفسه
اوخرج من اهلية الشهادة والمجوسية تحل بالاسلام اوبتهودها اوتنصرها والمطلقة ثلاثا بدخول الثانى
وانقضاء عدته ومنكوحة الغير بطلاقها وانقضاء عدتها ومعتدة الغير بانقضائها وكذا لا مشاركة للمحرم
فى جواز النظر والخلوة والسفر واما عبدها فكالاجنبى على المعتمد لكن الزوج يشارك المحرم فى هذه الثلاثة
والنساء الثقات لا يقمن مقام المحرم والزوج فى السفر ويختص المحرم النسيب باحكام منها عتقه على قريبه
لو ملكه ولا يختص بالاصل والفرع ومنها وجوب نفقة الفقير العاجز على قريبه الغنى فلا بد من كونه رحما من
جهة القرابة فابن العم والاخ من الرضاع لا يعتق ولا تجب نفقته ويغسل المحرم قريبه ومنها انه لا يجوز التفريق
بين صغير ومحرم ببيع اوهبة الا فى عشر مسائل ومنها ان المحرمية مانعة من الرجوع فى الهبة وتختص الاصول
والفروع من بين سائر المحارم باحكام منها انه لا يقطع احدهما بسرقة مال الآخر ومنها لا يقضى ولا يشهد احدهما
للآخر ومنها تحريم موطوءة كل منهما على الآخر ولو بزنى ومنها تحريم منكوحة كل منهما على الآخر بمجرد العقد
ومنها لا يدخلون فى الوصية للاقارب وتختص الاصول باحكام منها لا يجوز له قتل اصله الحربى الا دفعا عن نفسه
وان خاف رجوعه ضيق عليه والجأه ليقتله غيره وله قتل فرعه الحربى كمحرمه ومنها لا يقتل الاصل بفرعه
ويقتل الفرع باصله ومنها لا يحد الاصل بقذف فرعه ويحد الفرع بقذف اصله ومنها لا تجوز مسافرة الفرع
الا باذن اصله دون عكسه ومنها لو ادعى الاصل ولد جارية ابنه ثبت نسبه والجد اب الاب كالاب عند عدمه
بخلاف الفرع اذا ادعى ولد جارية اصله لم يصح الا بتصديق الاصل ومنها لا يجوز الجهاد الا باذنهم بخلاف
الاصول لا يتوقف جهادهم على اذن الفروع ومنها لا تجوز المسافرة الا باذنهم ان كان الطريق مخوفا والا فان
لم يكن ملتحيا فكذلك والا فلا ومنها اذا دعاه احد ابويه فى الصلاة وجبت اجابته الا ان يكون عالما بكونه فيها
ولم ار حكم الاجداد والجدات وينبغى الالحاق ومنها كراهة حجه بدون اذن من كرهه من ابويه ان احتاج
الى خدمته ومنها جواز تأديب الاصل فرعه والظاهر عدم الاختصاص بالاب فالام والاجداد والجدات
كذلك ومنها تبعية الفرع للاصل فى الاسلام ومنها لا يحبسون بدين الفرع والاجداد والجدات كذلك واختصت
الاصول الذكور بوجوب الاعفاف واختص الاب والجد لاب باحكام منها ولاية المال فلا ولاية للام فى مال
الصغير الا الحفظ وشراء ما لا بد منه للصغير ومنها تولى طرفى العقد فلو باع الاب ماله من ابنه او اشترى وليس فيه
غبن فاحش انعقد بكلام واحد ومنها عدم خيار البلوغ فى تجويز الاب والجد فقط واما ولاية الانكاح
فلا تختص بهما فتثبت لكل ولى سواء كان عصبة اومن ذوى الارحام وكذا الصلاة فى الجنازة لا تختص بهما
وفى الملتقط من النكاح لو ضرب المعلم الولد باذن الاب فهلك لم يغرم الا ان يضربه ضربا لا يضرب مثله ولو ضربه
باذن الام غرم الدية اذا هلك والجد كالاب عند فقده الا فى ثنتى عشرة مسئلة (فائدة) يترتب على النسب اثنا عشر
حكما توريث المال والولاء وعدم صحة الوصية عند المزاحمة ويلحق بها الاقرار بالدين فى مرض موته وتحمل

الدية وولاية التزويج وولاية غسل الميت والصلاة عليه وولاية المال وولاية الحضانة وطلب الحد وسقوط
القصاص هذا كله من الاشباه والنظائر نقلته ههنا الفوائده الكثيرة وملايمته المحل على ما لا يخفى (ومن لم يستطع
منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات) من لم يستطع اى من لم يجد كما يقول الرجل لا استطيع ان احج اى لا اجد
ما احج به ومنكم حال من فاعل يستطيع اى حال كونه منكم والطول القدرة وانتصابه على انه مفعول يستطيع
وان ينكح فى موضع النصب على انه مفعول القدرة والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان
حريتهن احصنتهن عن ذل الرق والابتذال وغيرهما من صفات القصور والنقصان والمعنى ومن لم يجد طول
حرة اى ما يتزوج به الحرة المسلمة (فمما ملكت ايمانكم) فلينكح امرأة او امة من النوع الذى ملكته ايمانكم (من
فتياتكم المؤمنات) حال من الضمير المقدر فى ملكت الراجع الى ما اى من امائكم المسلمات والفتاة اصلها الشابة
والفتاء بالمد الشباب والفتى الشاب والامة تسمى فتاة والعبد يسمى فتى وان كانا كبيرين فى السن لانهما لا يوقران
للرق توقير الكبار ويعاملان معاملة الصغار (والله اعلم بايمانكم) تانيس بنكاح الاماء وازالة الاستنكاف منه اى
اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم فى الايمان فربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة وايمان المرأة من ايمان
الرجل فلا ينبغى للمؤمن ان يطلب الفضل والرجحان الا باعتبار الايمان والاسلام لا بالاحساب والانساب (بعضكم
من بعض) انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام كما قيل (الناس من جهة التمثال اكفاء
ابوهم آدم والام حواء) فبينكم وبين ارقائكم المواخاة الايمانية والجنسية الدينية لا يفضل حر عبدا الا برجحان
فى الايمان وقدم فى الدين (فانكحوهن باذن اهلهن) اى واذ قد وقفتم على جلية الامر فانكحوهن باذن
مواليهن ولا تترفعوا عنهن وفى اشتراط اذن الموالى دون مباشرتهم للعقد اشعار بجواز مباشرتهن له (وآتوهن
اجورهن بالمعروف) اى ادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى الاقتداء واللزاى المضايقة والالحاح
(محصنات) حال من مفعول فانكحوهن اى حال كونهن عفائف عن الزنى (غير مسافحات) حال مؤكدة
اى غير مجاهرات به والمسافح الزانى من السفح وهو صب المنى لان غرضه مجرد صب الماء (ولا متخذات اخدان)
جمع خدن وهو الصديق سرا والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى ان لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى
ان لا يكون لها اخدان اى غير مجاهرات بالزنى ولا مسرات له وكان زناهن فى الجاهلية من وجهين السفاح
وهو بالاجر من الراغبين فيها والمخادنة وهى مع صديق لها على الخصوص وكان الاول يقع اعلانا والثانى سرا
وكانوا لا يحكمون على ذات الخدن بكونها زانية ولذا افرد الله كل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على
حرمتهما معا (فاذا احصن) اى بالتزويج (فان اتين بفاحشة) اى فعلن فاحشة وهى الزنى (فعليهن) فثابت
عليهن شرعا (نصف ما على المحصنات) اى الحرائر الابكار (من العذاب) من الحد الذى هو جلد مائة فنصفه
خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان كتفاوت حد الحرائر ولا رجم
عليهن لان الرجم لا يتنصف وجعلوا حد العبد مقيسا على الامة والجامع بينهما الرق والاحصان عبارة عن بلوغ
مع عقل وحرية ودخول فى نكاح صحيح واسلام خلافا للشافعى فى الاسلام (ذلك) اى نكاح المملوكات عند
عدم الطول (لمن خشى العنت منكم) اى خاف الزنى وهو فى الاصل انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل
مشقة وضرر اعظم من موافقة الاثم بافحش القبائح وانما سمى الزنى به لانه سبب المشقة بالحد فى الدنيا
والعقوبة فى العقبى (وان تصبروا) اى عن نكاحهن متعففين كافين انفسكم عما تشتهيه من المعاصى (خير لكم) من
نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق ولان حق المولى فيها فلا تخلص للزوج
خلوص الحرائر ولان المولى يقدر على استخدامها كيف ما يريد فى السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر
والبادى وفيه من اختلال حال الزوج واولاده ما لا مزيد عليه ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله
ذل ومهانة سارية الى الناكح والعزة هى اللائقة بالمؤمنين ولان مهرها لمولاها فلا تقدر على التمتع به ولا على
هبته للزوج فلا ينتظم امر المنزل وقد قال صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت (والله
غفور) لمن لم يصبر (رحيم) بالرخصة والتوسعة فنكاح الامة عند الطول والقدرة على نكاح الحرة لا يحل عند
الشافعى وعند الحنفية يحل ما لم يكن عنده امرأة حرة ومحصله ان الشافعى اخذ بظاهر الاية وقال لا يجوز
نكاح الامة الا بثلاثة شرائط اثنان فى الناكح عدم طول الحرة وخشية العنت والثالث فى المنكوحة

وهى ان تكون امة مؤمنة لا كافرة كتابية وعند ابى حنيفة شئ من ذلك ليس بشرط فهو حمل عدم استطاعة
الطول على عدم ملك فراش الحرة بان لا يكون تحته حرة فحينئذ يجوز نكاح الامة وحمل النكاح على الوطئ وحمل
قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل اى نكاح الامة المؤمنة افضل من نكاح الكتابية فجعله على الندب
واستدل عليه بوصف الحرائر مع كونه ليس بشرط قال فى التيسير واما قوله من فتياتكم المؤمنات ففيه اباحة
المؤمنات وليس فيه تحريم الكتابيات فالغنى والفقير سواء فى جواز نكاح الامة سواء كانت مؤمنة او يهودية
او نصرانية اعلم ان النكاح من سنن المرسلين وشرعة المخلصين الا ان الحال يختلف فيه باختلاف احوال الناس
فهو واجب بالنسبة الى صاحب التوقان ومستحب بالنسبة الى من كان فى حد الاعتدال ومكروه بالنسبة الى
من عجز عن الوقاع والانفاق قال فى الشرعة وشرحها ويختار للتزوج المرأة ذات الدين فان المرأة الصالحة خير
متاع الدنيا فان بها يحصل تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكلف بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف
الاوانى وتهيئة اسباب المعيشة فان الانسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعسر عليه العيش فى منزله وحده
اذ لو تكفل بجميع اشغال المنزل لضاعت اكثر اوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل معينة
على الدين بهذا الطريق واختلال هذه الاسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش ولذلك قال
ابو سليمان الدارانى الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فانها تفرغك للآخرة (قال الشيخ السعدى) زن خوب
فرمان بر پارسا * كند مرد درويش را پادشا * سفر عيد باشد بران كتخداى * كه يارى زشتش
بود در سراى * ثم ان بعضهم اختاروا البكر وقالوا انها تكون لك فاما الثيب فان لم يكن لها ولد فنصفها لك
وان كان لها ولد فكلها لغيرك تأكل رزقك وتحب غيرك والحاصل ان اختيار نكاح المملوكات رخصة والصبر
عنه عزيمة ولا ريب ان العزيمة اولى لانه بالصبر يترقى العبد الى الدرجات العلى وفى الخبر يؤتى باشكر اهل الارض
فيجزيه الله تعالى جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال له اترضى ان نجزيك جزاء الشاكرين فيقول
نعم يا رب فيقول الله كلا انعمت عليك فشكرت وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى اضعاف جزاء
الشاكرين وقد يجمع العبد فضيلتى الصبر والشكر بان يصبر على مقتضى النفس زمانا ثم بعد النيل والفوز يشكر
على نعمه الجزيلة حققنا الله واياكم بحقائق الصبر والشكر نعمة حق شمار وشكر كزار * نعمتش را اگرچه
نيست شمار * شكر باشد كليد گنج مزيد * گنج خواهى منه ز دست كليد (وقيل فى حق الصبر) چون
عنانى بسته در بند خرج * صبر كن كه الصبر مفتاح الفرج * صبر كن حافظ بسختى روز وشب *
عاقبت روزى بيابى كام را * ثم ان رحمته لعباده اوسع من ان يذكر ولذلك قال والله غفور رحيم ومن جملة رحمته
بيان طرائق من سلف وتقدم من اهل الرشاد ليسلكوا مناهجهم وينالوا الى المراد وقال عليه السلام يا كريم
العفو فقال جبريل اتدرى ما معنى كريم العفو هو ان يعفو عن السيئات برحمته ثم يبدلها بحسنات بكرمه (قال
جلال الدين) توبه آريد وخدا توبه پذير * امر او گيريد او نعم الامير * سيئاتترا مبدل كرد حق * تا همه طاعت
شود آن ما سبق (يريد الله ليبين لكم) اللام مزيدة لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين
محذوف اى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفى عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم او ما تعبدكم به من الحلال
والحرام (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) اى يدلكم على مناهج من تقدمكم من الانبياء والصالحين لتقتدوا بهم
(ويتوب عليكم) يرجع بكم عن معصيته الى طاعته بالتوفيق للتوبة عما كنتم عليه من الخلاف وليس الخطاب
لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده عن ارادته فيمن لم يتب منهم بل لطائفة معينة حصلت لهم هذه التوبة (والله
عليم) بكم (حكيم) فيما يريده لكم (والله يريد ان يتوب عليكم) بيان لكمال منفعة ما اراده الله تعالى وكمال مضرة
ما يريد الفجرة بخلاف الاول فانه بيان ارادته تعالى لتوبته عليهم فلا تكرار (ويريد الذين يتبعون الشهوات)
يعنى الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطى لما سوغه الشرع من المشتهيات دون غيره فهو متبع له
لا لها وقيل المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى
قالوا فانكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع ان العمة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت
فنزلت (ان تميلوا) عن القصد والحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم
(ميلا عظيما) اى بالنسبة الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال (يريد الله ان يخفف عنكم)

مافى عهدتكم من مشاق التكاليف فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم فى المضايق كاحلال نكاح الامة وغيره من الرخص (وخلق الانسان ضعيفا) عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه فى مشاق الطاعات قال الكلبى اى لا يصبر عن النساء قال سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من ابن آدم الا اتاه من قبل النساء وقد اتى على ثمانون سنة وذهبت احدى عينى وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف على نفسى فتنة النساء وقال ابو هريرة رضى الله عنه اللهم انى اعوذ بك من ان ازنى واسرق فقيل له كبر سنك وانت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخاف على نفسك من الزنى والسرقة قال كيف آمن على نفسى وابليس حى (قال الحافظ) چه جاى من كه بلغزد سپهر شعبده باز * ازين حيل كه در انبانهٔ بهانه تست * والاشارة فى تحقيق الآيات ان الله تعالى انعم على هذه الامة بارادة اربعة اشياء اولها التبيين وهو ان يبين لهم الصراط المستقيم الى الله وثانيها الهداية وهو ان يهديهم الى الصراط المستقيم بالعيان بعد البيان وثالثها التوبة عليهم وهى ان يرجع بهم الى حضرته على صراط الله ورابعها التخفيف عنهم وهو ان يوصلهم الى حضرته بالمعونة ويخفف عنهم المؤنة وهذا انما اختص به نبينا عليه السلام وامته لوجهين احدهما ان الله اخبر عن ذهاب ابراهيم عليه السلام الى حضرته باجتهاده وهو المؤنة بقوله انى ذاهب الى ربى سيهدين واخبر عن موسى عليه السلام بمجيئه وهو ايضا المؤنة وقال ولما جاء موسى لميقاتنا واخبر عن حال نبينا عليه السلام بقوله سبحان الذى اسرى بعبده ليلا وهو المعونة تخفف عنه المؤنة واخبر عن حال هذه الامة بقوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وهو ايضا بالمعونة وهى جذبات العناية والوجه الثانى ان النبى عليه السلام وامته مخصوصون بالوصول والوصال مخففون عنهم كلفة الفراق والانقطاع فاما النبى عليه السلام فقد خص بالوصول الى مقام قاب قوسين او ادنى وبالوصال بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى وانقطع سائر الانبياء عليهم السلام فى السموات السبع كما رأى ليلة المعراج آدم فى سماء الدنيا الى ان رأى ابراهيم عليه السلام فى السماء السابعة فعبر عنهم جميعا الى كمال القرب والوصول واما الامة فقال فى حقهم من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا فهذا هو حقيقة الوصول والوصال ولكن الفرق بين النبى والولى فى ذلك ان النبى مستقل بنفسه فى السير الى الله والوصول ويكون حظه من كل مقام بحسب استعداده الكامل والولى لا يمكنه السير الا فى متابعة النبى وتسليكه فى سبيل الله قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى ويكون حظه من المقامات بحسب استعداده فينبغى ان يسارع العبد الى تكميل المراتب والدرجات برعاية السنة وحسن المتابعة لسيد الكائنات قال جنيد البغدادى قدس سره مذهبنا هذا مقيد باصول الكتاب والسنة قال على كرم الله وجهه الطرق كلها مسدودة على الخلق الا من اقتفى اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم * كرت بايد كه بينى روى ايمان * رخ از آيينهٔ امرش مكردان * زشرعش سر مپيچ از هيچ روبى * كه همچون شانه ميكرد ده بموبى (قال الشيخ السعدى) خلاف پيمبر كسى ره كزيد * كه هركز بمنزل نخواهد رسيد * محالست سعدى كه راه صفا * توان رفت جز بر پى مصطفا * ثم فى قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا اشارة الى ان الانسان لا يصبر عن الله لحظة لضعفه مهما يكون على الفطرة الانسانية فطرة الله التى فطر الناس عليها فانه يحبهم ويحبونه وهو ممدوح بهذا الضعف فان من عداه يصبرون عن الله لعدم اضطرارهم فى المحبة والانسان مخصوص بالمحبة واعلم ان هذا الضعف سبب لكمال الانسان وسعادته وسبب لنقصانه وشقاوته لانه يتغير ضعفه من حال الى حال ومن صفة الى اخرى فيكون ساعة بصفة بهيمة يأكل ويشرب ويجامع ويكون ساعة اخرى بصفة ملك يسبح بحمد ربه ويقدس له ويفعل ما يؤمر ولا يعصى فيما نهاه عنه وهذه التغيرات من نتايج ضعفه وليس هذا الاستعداد لغيره حتى الملك لا يقدر ان يتصف بصفات البهيمة والبهيمة لا تقدر ان تتصف بصفة الملك لعدم ضعف الانسانية وانما خص الانسان بهذا الضعف لاستكماله بالتخلق باخلاق الله واتصافه بصفات الله كما جاء فى الحديث الربانى انا ملك حى لا اموت ابدا عبدى اطعنى اجعلك ملكا حيا لا تموت ابدا فعند هذا الكمال يكون خير البرية وعند اتصافه بالصفات البهيمية يصير شر البرية كى شوى انسان كامل * اى دل ناقص عقل (يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا) اى لا تأخذوا وعبر عن الاخذ بالاكل لان المقصود الاعظم من الاموال الاكل فكما ان الاكل محرم فكذلك سائر وجوه

التصرفات

التصرفات (اموالكم بينكم بالباطل) اى بوجه غير شرعى كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربا والرشوة واليمين الكاذبة وشهادة الزور والعقود الفاسدة ونحوها (الا ان تكون تجارة عن تراض منكم) استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة اى الا ان تكون التجارة تجارة عن تراض او الا ان تكون الاموال اموال تجارة ويلحق بها اسباب الملك المشروعة كالهبة والصدقة والارث والعقود الجائزة لخروجها عن الباطل وانما خص التجارة بالذكر لكونها اغلب اسباب المكاسب وقوعا واوفقها لذوى المروآت والمراد بالتراضى مراضاة المتبايعين بما تعاقدا عليه فى حال المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا وعند الشافعى حالة الافتراق عن مجلس العقد (ولا تقتلوا انفسكم) بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روى ان عمرو ابن العاص رضى الله عنه تأوله فى التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبى صلى الله عليه وسلم او بارتكاب المعاصى المؤدية الى هلاكها فى الدنيا والآخرة او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقى للنفس وقيل المراد بالنفس من كان من جنسهم من المؤمنين فان كلهم كنفس واحدة (ان الله كان بكم رحيما) اى امر بما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما حيث امر بنى اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه (ومن يفعل ذلك) اى القتل او اياه وسائر المحرمات المذكورة فيما قبل (عدوانا وظلما) افراطا فى التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحقه وقيل اريد بالعدوان التعدى على الغير وبالظلم الظلم على النفس لتعريضها للعقاب ومحلها النصب على الحالية اى متعديا وظالما (فسوف نصليه) اى ندخله (نارا) اى نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب (وكان ذلك) اى اصلاء النار (على الله يسيرا) لتحقق الداعى وعدم الصارف قال الامام واعلم ان الممكنات بالنسبة الى قدرة الله على السوية وحينئذ يمتنع ان يقال ان بعض الافعال ايسر عليه من بعض بل هذا الخطاب نزل على القول المتعارف بيننا او يكون معناه المبالغة فى التهديد وهو ان احدا لا يقدر على الهرب منه ولا على الامتناع عليه فعلى العاقل ان يتجنب عن الوقوع فى المهالك ويبالغ فى حفظ الحقوق وقد جمع الله فى التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لانه شقيقها من حيث انه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفاء فضائلها ولذلك قيل توانكر از اوقفست وبذل ومهمانى * زكاة وفطره واعتاق وهدى وقربانى * تو كى بدولت ايشان رسى كه نتوانى * جز اين دو ركعت وان هم بصد پريشانى * فان وفقت للمال فاشكر له والا فلا تتعب نفسك ولا تقتلها كما يفعله بعض من يفتقر بعد الغنى لغاية المه واضطرابه من الفقر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل نفسه بشئ فى الدنيا عذب به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم جرح برجل فيمن كان قبلكم آراب فجزع منه فاخرج سكينا فجز بها يده فما رقأ الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرنى عبدى بنفسه فحرمت عليه الجنة كذا فى تفسير البغوى وكذلك حكم من قتل نفسه لفقر او لغير ذلك من الاسباب واعلم ان اكل المال بالباطل مما يفسد دين الرجل ودنياه بل يضر بنفسه ويكون سببا لهلاكه فان بعض الاعمال يظهر اثره فى الدنيا روى ان رجلا ظالما غصب سمكة من فقير فطبخها فلما ارادا كلها عضت يده فاشار اليه الطبيب بالقطع فلم يزل يقطع من كل مفصل حتى وصل الى الابط فجاء الى ظل شجرة فاخذت عيناه فقيل له لا تتخلص من هذا الا بارضاء صاحبها المظلوم فلما ارضاه سكن وجعه ثم انه تاب واقلع عما فعل فرد الله اليه يده فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام وعزتى لولا انه ارضى المظلوم لعذبته طول حياته قال العلماء حرمة مال المسلم كحرمة دمه قال عليه السلام كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله وقال عليه السلام لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيبة نفس منه فالظلم حرام شرعا وعقلا (قال الجامى) هزار كونه خصومت كنى بخلق جهان * زبس كه در هوس سيم وآرزوى زرى * تراست دوست زر وسيم خصم صاحب آن * كه كيرى از كفش از بظلم وحيله كرى * نه مقتضاى خرد باشد ونتيجهٔ عقل * كه دوست را بكذارى وخصم را ببرى * فعلى السالك ان يجتنب عن الحرام ويأكل من الحلال الطيب ولبعض الكبار دقة عظيمة واهتمام تام فى هذا الباب (حكى) ان بعض الملوك ارسل الى الشيخ ركن الدين علاء الدولة غزالا وقال انها حلال فقال الشيخ كنت بمشهد طوس فجاء الى بعض الامراء ارنب وقال كل منها فانى رميتها بيدى فقلت الارنب حرام على قول الامام جعفر الصادق رضى الله عنه قال فى حياة الحيوان يحل اكل الارنب عند العلماء كافة الا ما حكى عن عبد الله بن عمرو بن العاص

وابن ابی لیلی انهما کرهاا کلها ثم انه جاء یوما بغزال فقال کل منهما فانی رمیتها بسهم عملته بیدی علی فرس
ورثتها عن ابی فقلت خطر ببالی ان واحدا من الامر آء جاء الی مولانا الجمال باوزتین وقال کل منهما فانی
قد اخذتهما بباازی فقال مولانا لیس الکلام فی الاوزتین وانما الکلام فی قوت البازی من دجاجة ایة عجوزا کل
حتی قوی للاصطیاد فالغزال التی رمیتها علی فرسك وان کانت من الصید لکن قوت الفرس من شعیرای مظلوم
حصل فلم یأکل منها (حکی) ان خیاطا قال لبعض الکبار هل اکون معینا للظلمة بخیاطة ثیابهم فقال لیس
الکلام فیك وانما الکلام فی الحداد الذی یعمل الابرة والحاصل ان لابد من الاهتمام فی طلب الحلال وان کان
فی زماننا هذا نادرا والوصول الیه عزیزا (قال الجامی) خواهی که شوی حلال روزی ✻ همخانه مکن
عیال بسیار ✻ دانی که درین سراچه تنك ✻ حاصل نشود حلال بسیار ✻ ورزقنا الله وایاکم من
فضله انه الجواد (ان تجتنبوا) الاجتناب التباعد ومنه الاجنبی (کبائر ماتنهون عنه) کبائر الذنوب التی نهاکم
الله ورسوله عنها (نکفر عنکم) التکفیر اماطة المستحق من العقاب بثواب ازید او توبة والاحباط نقیضه وهو
اماطة الثواب المستحق بعقاب ازید او بندم علی الطاعة والمعنی نغفر لکم (سیئاتکم) صغائرکم ونمحها عنکم
(وندخلکم مدخلا) بضم المیم اسم مکان هو الجنة (کریما) ای حسنا مرضیا او مصدر میمی ادخالا مع کرامة قال
المفسرون الصلاة الی الصلاة والجمعة الی الجمعة ورمضان الی رمضان مکفرات لما بینهن من الصغائر اذا اجتنب
الکبائر واختلف فی الکبائر والاقرب ان الکبیرة کل ذنب رتب الشارع علیه الحد او صرح بالوعید فیه
قال انس بن مالك رضی الله عنه انکم تعملون الیوم اعمالا هی فی اعینکم ادق من الشعر کنا نعدها علی رسول
الله صلی الله علیه وسلم من الکبائر وقال القشیری الکبائر علی لسان اهل الاشارة الشرك الخفی ومن جملة ذلك
ملاحظة الخلق واستحلاء قبولهم والتودد الیهم والاغماض عن حق الله بعینهم واعلم ان اجتناب الکبائر یوجب
تکفیر الصغائر وعند انتفاء الصغائر والکبائر یمکن الدخول فی المدخل الکریم وهو حضرة اکرم الاکرمین
قال علیه السلام ان الله طیب لایقبل الا الطیب وجملة الکبائر مندرجة فی ثلاثة اشیاء احدها اتباع الهوی
والهوی میلان النفس الی مایستلذ به من الشهوات فقد یقع الانسان به فی جملة من الکبائر مثلا البدعة
والضلالة والارتداد والشبهة وطلب الشهوات واللذات والتنعمات وحظوظ النفس بترك الصلاة والطاعات
کلها وعقوق الوالدین وقطع الرحم وقذف المحصنات وامثال ذلك ولهذا قال تعالی ولاتتبع الهوی فیضلك عن
سبیل الله وقال علیه السلام ماعبد اله ابغض علی الله من الهوی ✻ غبار هوا چشم عقلت بدوخت ✻
سموم هوس کشت عمرت بسوخت ✻ بکن سرمهٔ غفلت از چشم پاك ✻ که فردا شوی سرمه در چشم
خاك ✻ وثانیها حب الدنیا فانه مطیة کثیر من الکبائر مثل القتل والظلم والغصب والنهب والسرقة والربا
واکل مال الیتیم ومنع الزکاة وشهادة الزور وکتمانها والیمین الغموس والحیف فی الوصیة وغیرها واستحلال
الحرام ونقض العهد وامثاله ولهذا قال تعالی ومن کان یرید حرث الدنیا نؤته منها وماله فی الاخرة من نصیب
وقال علیه السلام حب الدنیا رأس کل خطیئة وعنه صلی الله علیه وسلم اتانی جبریل وقال ان الله تعالی قال
وعزتی وجلالی انه لیس من الکبائر کبیرة هی اعظم عندی من حب الدنیا ✻ عاقلان میل بسوی تکنند
ای دنیا ✻ هم امید کرم ولطف توجاهل دارد ✻ هرکه خواهد بکند از تو مرادی حاصل ✻ حاصل آنست که
اندیشهٔ باطل دارد ✻ وثالثها رؤیة الغیر فان منها ینشئ الشرك والنفاق والریاء وامثاله ولهذا قال تعالی
ان الله لایغفر ان یشرك به ویغفر مادون ذلك لمن یشاء وقال علیه السلام الیسیر من الریاء شرك وقال بعض
المشایخ وجودك ذنب لایقاس به ذنب آخر فمن تخلص عن ذنب وجوده فلا یری غیر الله فلا ینشئ منه الشرك
ولا حب الدنیا وتخلص من الهوی فیتحقق له الوصول واللقاء قال تعالی فمن کان یرجو لقاء ربه فلیعمل عملا
صالحا ولایشرك بعبادة ربه احدا لعمری ان هذا هو المدخل الکریم والفوز العظیم والنعیم المقیم فعلی العاقل
ان یتخلص عن الاغیار ویشاهد فی المجالی انوار الواحد القهار ✻ گرچه زندانست بر صاحب دلان ✻
هرکجا بوی زوصل یار نیست ✻ هیچ زندان عاشق محتاج را ✻ تنگ تر از صحبت اغیار نیست ✻
ولذا قیل الدنیا سجن المؤمن وجنة الکافر وماسوی الحق اغیار قال ابراهیم علیه السلام فانهم عدولی الارب
العالمین فلابد للسالك ان یجتهد فی سلوکه ویتخلص عن رق الغیر کی یصل الی المراد والعاشق الصادق لایکون

فی عبودیة غیر معشوقه ولایتسلی عن الدنیا والاخرة الابوصاله فلیس له مطلب سواه ✻ عاشق که زهجر
دوست دادی خواهد ✻ یا بردر وصلش ایستادی خواهد ✻ ناکس تر از وکس نبود در عالم ✻ گر دوست
بجز دوست مرادی خواهد ✻ وهذا مقام شریف ومطلب عزیز اوصلنا الله تعالی وایاکم (ولاتتمنوا)
التمنی عبارة عن ارادة مایعلم اویظن انه لایکون (مافضل الله به بعضکم علی بعض) ای علیکم ان لاتتمنوا
مااعطاه الله بعضکم من الامور الدنیویة کالجاه والمال وغیر ذلك مما یجری فیه التنافس دونکم فان ذلك قسمة
من الله تعالی صادرة عن تدبیر لائق باحوال العباد مترتب علی الاحاطة بجلائل شؤونهم ودقائقها فعلی کل احد
من المفضل علیهم ان یرضی بماقسم له ولایتمنی حظ المفضل ولایحسده علیه لما انه معارضة لحکمة القدر
فالانصباء کالاشکال وکما ان اختلاف الاشکال مقتضی حکمة الهیة لم یطلع علی سرها احد فکذلك الاقسام
وقیل لما جعل الله تعالی فی المیراث للذکر مثل حظ الانثیین قالت النساء نحن احوج ان یکون لنا سهمان
وللرجال سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقویاء واقدر علی طلب المعاش منا فنزلت وهذا هو الانسب بتعلیل النهی
بقوله تعالی (للرجال نصیب مما اکتسبوا وللنساء نصیب مما اکتسبن) فانه صریح فی جریان التمنی بین فریقی
الرجال والنساء والمعنی لکل من الفریقین فی المیراث نصیب معین المقدار مما اصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه
بالاکتساب علی طریقة الاستعارة التبعیة المبنیة علی تشبیه اقتضاء حاله لنصیبه باکتسابه ایاه تأکیدا
لاستحقاق کل منهما لنصیبه وتقویة لاختصاصه به بحیث لایتخطاه الی غیره فان ذلك مما یوجب الانتهاء
عن التمنی المذکور (واسألوا الله من فضله) ای لاتتمنوا مایختص بغیرکم من نصیبه المکتسب له واسألوا الله تعالی
ماتریدون من خزائن نعمه التی لانفاد لها فانه یعطیکموه (ان الله کان بکل شیء علیما) فهو یعلم مایستحقه
کل انسان فیفضله عن علم وحکمة وتبیان وفی الحدیث لن یزال الناس بخیر ماتباینوا ای تفاوتوا فاذا تساووا
هلکوا وذلك لاختلال النظام المرتبط بذلك وقد یقال معناه انه یغتنم تفاوت الناس فی المراتب والصنائع
بان یکون مثلا بعضهم امیرا وبعضهم سلطانا وبعضهم وزیرا وبعضهم رئیسا وبعضهم اهل الصنائع لتوقف
النظام علیه واعلم ان مراتب السعادات اما نفسانیة کالذکاء التام والحدس الکامل والمعارف الزائدة علی
معارف الغیر بالکمیة والکیفیة وکالعفة والشجاعة وغیر ذلك واما بدنیة کالصحة والجمال والعمر الطویل فی ذلك
مع اللذة والبهجة واما خارجیة ککثرة الاولاد الصلحاء وکثرة العشائر وکثرة الاصدقاء والاعوان والریاسة
التامة ونفاذ القول وکونه محبوبا لقلوب الناس حسن الذکر فیهم فهی مجامع السعادات والانسان اذا شاهد
انواع الفضائل حاصلة لانسان ووجد نفسه خالیا عن جملتها او عن اکثرها فحینئذ یتألم قلبه ویتشوش خاطره
ثم یعرض ههنا حالتان احداهما ان یتمنی زوال تلك السعادات عن ذلك الانسان والاخری ان لایتمنی ذلك
بل یتمنی حصول مثلها له والاول هو الحسد المذموم لان المقصود الاول لمدبر العالم وخالقه الاحسان الی عبیده
والجود الیهم وافاضة انواع الکرم علیهم فمن تمنی زوال ذلك فکانه اعترض علی الله فیما هو المقصود بالقصد الاول
من خلق العالم وایجاد المکلفین وایضا ربما اعتقد فی نفسه انه احق بتلك النعم من ذلك الانسان فیکون هذا
اعتراضا علی الله وقدحا فی حکمته وکل ذلك مما یلقیه فی الکفر وظلمات البدعة ویزیل عن قلبه نور الایمان
وکما ان الحسد سبب الفساد فی الدین فکذلك هو سبب الفساد فی الدنیا فانه یقطع المودة والمحبة والموالاة وینقلب
کل ذلك الی اضدادها فلهذا السبب نهی الله عباده عنه بقوله ولاتتمنوا الایة فلابد لکل عاقل من الرضی بقضاء
الله تعالی (حکی) الرسول صلی الله علیه وسلم عن رب العزة انه قال من استسلم لقضائی وصبر علی بلائی وشکر
لنعمائی کتبته صدیقا وبعثته یوم القیامة مع الصدیقین ومن لم یرض بقضائی ولم یصبر علی بلائی ولم یشکر لنعمائی
فلیطلب ربا سوای ✻ حاشا که من از جور وجفای تو بنالم ✻ بیداد لطیفان همه لطفست وکرامت ✻
فهذا هو الکلام فیما اذا تمنی زوال تلك النعمة من ذلك الانسان ومما یؤکد ذلك ماروی ابن سیرین عن ابی هریرة
رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم لایخطب الرجل علی خطبة اخیه ولایسوم علی سوم
اخیه ولاتسأل المرأة طلاق اختها لتقوم مقامها فان الله هو رازقها والمقصود من کل ذلك المبالغة فی المنع
من الحسد اما اذا لم یتمن ذلك بل تمنی حصول مثلها له فمن الناس من جوز ذلك الا ان المحققین قالوا هذا ایضا
لایجوز لان تلك النعمة ربما کانت مفسدة فی حقه فی الدین ومضرة علیه فی الدنیا فلهذا السبب قال المحققون

انه لا يجوز للانسان ان يقول اللهم اعطنى دارا مثل دار فلان وزوجة مثل زوجة فلان بل ينبغى ان يقول اللهم اعطنى ما يكون صلاحا فى دينى ودنياى ومعادى ومعاشى واذا تأمل الانسان كثيرا لم يجد احسن مما ذكره الله فى القرآن تعليما للعباده وهو قوله ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وعن الحسن لا يتمنى احد المال فلعل هلاكه فى ذلك المال كما فى حق ثعلبه وهذا هو المراد من قوله واسألوا الله من فضله قال الشيخ كمال الدين القاشانى فلا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الكمالات المترتبة بحسب استعداد الاولية فان كل استعداد يقتضى بهويته فى الازل كمالا وسعادة تناسبه وتختص به وحصول ذلك الكمال الخاص لغيره محال ولذلك ذكر طلبه بلفظ التمنى الذى هو طلب ما يمتنع حصوله للطالب لامتناع سببه للرجال اى الافراد الواصلين نصيب مما اكتسبوا بنور استعدادهم الاصلى وللنساء اى الناقصين القاصرين عن الوصول نصيب مما اكتسبن بقدر استعدادهم واسألوا الله من فضله اى اطلبوا منه افاضة كمال يقتضيه استعدادكم بالتزكية والتصفية حتى لا يحول بينكم وبينه فتحتجبوا وتتعذبوا بنيران الحرمان منه ان الله كان بكل شئ مما يخفى عليكم كامنا فى استعدادكم بالقوة عليما فيجيبكم بما يليق بكم كما قال تعالى وآتاكم من كل ما سألتموه اى بلسان الاستعداد الذى ما دعاه احد به الا اجاب كما قال تعالى ادعونى استجب لكم انتهى وعلى هذا التأويل يكون قوله ولا تتمنوا نهيا ومنعا عن طلب المحال الذى فوق الاستعداد الازلى ويكون قوله واسألوا الله من فضله امرا وحثا على طلب الممكن الذى هو قدر استعدادكم كى لا تضيع فضيلة الانسانية فان بعض المقدورات قد يكون معلقا على الكسب فينبغى ان لا يتكاسل العبد فى العبادات وكسب الفضائل لينال الكمالات الكامنة فى خزانة الاستعداد ويسأل الله تعالى دائما من فضله فانه مجيب الدعوات وولى الهداية والرشاد فمن طلب شيأ وجد وجد ومن قرع بابا ولج ولج (قال مولانا جلال الدين قدس سره) چون در معنى زنى بازت كنند * پر فكرت زن كه شهبازت كنند * چون طلب كردى بجد آيد نظر * جد خطا نكند چنين آمد خبر * چون زچاهى ميكنى هر روز خاك * عاقبت اندر رسى با آب پاك * كفت پيغمبر كه چون كوبى درى * عاقبت زان در برون آيد سرى * در طلب زن دائما تو هر درست * كه طلب در راه نيكو رهبرست (ولكل) اى لكل تركة ومال (جعلنا موالى) جمع مولى اى ورثة متفاوتة فى الدرجة يلونها ويحرزون منها انصباءهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث (مما ترك الوالدان والاقربون) بيان لكل مع الفصل بالعامل وهو جعلنا لان لكل مفعول ثان له قدم عليه لتأكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض والموالى هم اصحاب الفرائض والعصبات وغيرهما من الوراث ويجوز ان يكون المعنى ولكل قوم جعلناهم موالى اى ورّاثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالى صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله انسانا من رزق اى حظ منه (والذين عقدت ايمانكم) هم موالى الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابى حنيفة اذا اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله ارثه ان لم يكن له وارث اصلا فهو مؤخر عن ذوى الارحام واسناد العقد الى الايمان لان المعتاد وهو المماسحة بها عند العقد والمعنى عقدت ايمانكم عهودهم حذف العهود واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف وهو مبتدأ متضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر اعنى قوله تعالى فآتوهم نصيبهم بالفاء اى حظهم من الميراث (ان الله كان على كل شئ) من الاشياء التى من جملتها الايتاء والمنع (شهيدا) اى شاهدا ففيه ترغيب على الاعطاء وتهديد على منع نصيبهم قال بعضهم المراد من الذين عقدت ايمانكم الحلفاء والمراد بقوله فآتوهم النصرة والنصيحة والمصافاة فى العشرة والمخالصة فى المخالطة فعلى كل احد ان ينصر اخاه المؤمن ويخالطه على وجه الخلوص والنصيحة لا على النفاق والعداوة قال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى * بنى آدم اعضاى يكديكرند * كه در آفرينش زيك جوهرند * چو عضوى بدرد آورد روز كار * دكر عضوها را نماند قرار * تو كز محنت ديكران بى غمى * نشايد كه نامت نهند آدمى * فالواجب ان يحب المرء للناس ما يحب لنفسه من الخير وينصح لهم فى ظاهر الامر فان النصيحة عماد الدين ويزيل ما يوجب التأذى عن ظاهرهم واعمالهم

بالموعظة والزجر اى المنع عما لا يليق ويعاملهم بالرحمة والشفقة ولا يذكر احدا بما يكره فان ملكا وكل بالعبد يرد عليه ما يقول لصاحبه ولا يستبشر بمكروه احد كائنا من كان مكن شادمانى بمرك كسى * كه دهرت نماند پس از وى بسى * ويتودد الى الناس بالاحسان الى برهم وفاجرهم والى من هو اهل الاحسان والى من ليس باهل له ويتحمل الاذى منهم وبه يظهر جوهر الانسان تحمل چو زهرت نمايد نخست * ولى شهد كردد چو در طبع رست * ويجعل من شتمه او جفاه او آذاه ابدا فى حل منه ولا يطمع فى السلامة من اذاهم فانه محال فان الله لم يقطع لسان الخلق عن نفسه فكيف يسلم مخلوق من مخلوق روى ان موسى عليه السلام قال الهى اسألك ان لا يقال لى ما ليس فى فاوحى الله اليه ما فعلت ذلك لنفسى فكيف افعل لك ويقوم بحاجات الناس ومهماتهم ففى الحديث من سعى فى حاجة لاخيه المسلم لله وله فيها صلاح فكانما خدم الله الف سنة وييسر على المعسر تيسيرا ويفرج عن المغموم فان الله تعالى فى عون العبد ما دام العبد فى عون اخيه المسلم وفى الحديث ان من موجبات المغفرة ادخال السرور على قلب اخيك المسلم قال الشيخ نجم الدين الكبرى فى قوله تعالى والذين عقدت ايمانكم يعنى الذين جرى بينكم وبينهم عقد الاخوة فى الله بان اخذتم بايمانكم ايمانهم بالارادة وصدق الالتجاء وتابوا على ايديكم فآتوهم بالنصح وحسن التربية والاهتمام بهم والقيام بمصالحهم على شرائط الشيخوخة والتسليك بهم نصيبهم الذى اودع الله تعالى لهم عندكم بعلمه وحكمته ان الله كان على كل شئ من الودائع اينما اودعه ولمن اودعه شهيدا يشهد عليهم يوم القيامة ان يخونوا فى اعطاء ودائعهم بالخيانة ويسأ لكم عنها ويشهد لكم بالامانة ويجازيكم عليها خير الجزاء انتهى فالكاملون لا يخونون فى الامانات بل يسلمون الودائع الى الارباب بحسب الاستعدادات ولا يفشون السر الى من ليس له اهلية فى هذا الباب والا يلزم الخيانة فى اسرار رب الارباب (قال مولانا جلال الدين الرومى) عارفانكه جام حق نوشيده اند * رازها دانسته وپوشيده اند * هركرا اسرار كار آموختند * مهر كردند ودهانش دوختند * بر لبش قفلست ودر دل رازها * كوش آن كس نوشد اسرار جلال * كو چو سوسن صد زبان افتاد ولال * تانكويد سر سلطانرا بكس * تا نريزد قند را پيش مكس * در خورد دريا نشد جز مرغ آب * فهم كن والله اعلم بالصواب (الرجال قوامون على النساء) قائمون بالامر بالمصالح والنهى عن القبائح قيام الولاة على الرعية مسلطون على تأديبهن وعلل ذلك بامرين وهبى وكسبى فقال (بما فضل الله بعضهم على بعض) الضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا اى بسبب تفضيله الرجال على النساء بالحزم والعزم والقوة والفتوة والمبر والرمى والحماسة والسماحة والتشمير لخطة الخطبة وكتبية الكتابة وغيرها من الخصائل المخيلة فى استدعاء الزيادة والشمائل الشاملة لجوامع السعادة (وبما انفقوا من اموالهم) اى وبسبب انفاقهم من اموالهم فى نكاحهن كالمهر والنفقة وهذا دل على وجوب نفقات الزوجات على الازواج روى ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار رضى الله عنهم نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير ورفع القصاص فلا قصاص فى اللطمة ونحوها والحكم فى النفس وما دونها مذكور فى الفروع (فالصالحات) منهن (قانتات) مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج (حافظات للغيب) اى لمواجب الغيب اى لما يجب عليهن حفظه فى حال غيبة الازواج من الفروج والاموال والبيوت وعن النبى صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الآية واضافة المال اليها للاشعار بان ماله فى حق التصرف فى حكم مالها (بما حفظ الله) ما مصدرية اى بحفظه تعالى اياهن بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او موصولة اى بالذى حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن (واللاتى تخافون نشوزهن) خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل فى القلب عند حدوث امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما اى تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم (فعظوهن) فانصحوهن بالترغيب والترهيب قال الامام ابو منصور العظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة وهى بتذكير العواقب (واهجروهن) بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ والنصيحة والهجر الترك عن قلى (فى المضاجع) اى فى المراقد

فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن جمع مضجع وهو موضع وضع الجنب للنوم (واضربوهن) ان لم ينجع
مافعلتم من العظة والهجران غير مبرح ولا شائن ولا كاسر ولا خادش فالامور الثلاثة مترتبة ينبغى ان يدرج
فيها (فان اطعنكم) بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى ما يعد زاجرا (فلا تبغوا عليهن سبيلا) بالتوبيخ والاذية
اى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له (ان الله كان
عليا) اى اعلى عليكم قدرة منكم عليهن (كبيرا) اى اعظم حكما عليكم منكم عليهن فاحذروا واعفوا عنهن
اذا رجعن لانكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن جنى
عليكم اذا رجع قال فى الشرعة وشرحها اذا وقف واطلع من زوجته على فجور اى فسق او كذب اوميل
الى الباطل فانه يطلقها الا ان لا يصبر عنها فيمسكها روى انه جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله لى امرأة لا ترد يد لامس قال طلقها قال احبها قال امسكها خوفا عليه بانه ان طلقها اتبعها
وفسد هو ايضا معها فرأى مافى دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه اولى فلابد للرجال من تحمل
المكاره الا انه لا ينبغى للمرء ان يكون ديوثا كما قال بعض العارفين كريز از كفش دردهان نهنك *
كه مردن به از زندكانى به ننك * وكان بعض العلماء يقول التحمل على اذى واحد من المرأة احتمال
فى الحقيقة من عشرين اذى منها مثلا فيه نجاة الولد من اللاطمة ونجاة القدر من الكسر ونجاة الجهل من الضرب
ونجاة الهرة من الزجر اى المنع من اكل فضول الخوان وسقاطه والثوب من الحرق والضيف من الرحيل
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وقال ايضا ايما امرأة ماتت وزوجها
عنها راض دخلت الجنة وقال ايضا لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا الا قالت زوجه من الحور العين لا تؤذيه
قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك ان يفارقك الينا قال النبى عليه السلام مخاطبا لعائشة رضى الله عنها
ايما امرأة تؤذى زوجها بلسانها الا جعل الله لسانها يوم القيامة سبعين ذراعا ثم عقد خلف عنقها يا عائشة
وايما امرأة تصلى لربها وتدعو لنفسها ثم تدعو لزوجها الا ضرب بصلاتها وجهها حتى تدعو لزوجها
ثم تدعو لنفسها يا عائشة وايما امرأة جزعت على ميتها فوق ثلاثة ايام احبط الله عملها يا عائشة وايما امرأة ناحت
على ميتها الا جعل الله لسانها سبعين ذراعا وجرت الى النار مع من تبعها يا عائشة ايما امرأة اصابتها مصيبة فلطمت
وجهها ومزقت ثيابها الا كانت مع امرأة لوط ونوح فى النار وكانت آيسة من كل خير وكل شفاعة شافع يوم
القيامة يا عائشة وايما امرأة زارت المقابر الا لعنها الله تعالى ولعنها كل رطب ويابس حتى ترجع فاذا رجعت الى
منزلها كانت فى غضب الله ومقته الى الغد من ساعته فان ماتت من وقتها كانت من اهل النار يا عائشة
اجتهدى ثم اجتهدى فانكن صواحبات يوسف وفاتنات داود ومخرجات آدم من الجنة وعاصيات نوح ولوط
يا عائشة مازال جبريل يوصينى فى امر النساء حتى ظننت انه سيحرم طلاقهن يا عائشة انا خصم كل امرأة يطلقها
زوجها ثم قال يا عائشة ومامن امرأة تحبل من زوجها حين تحبل الا ولها مثل اجر الصائم بالنهار والقائم بالليل
الغازى فى سبيل الله يا عائشة مامن امراة اتاها الطلق الا ولها بكل طلقة عتق نسمة وبكل رضعة عتق رقبة
يا عائشة ايما امرأة خففت عن زوجها من مهرها الا كان لها من العمل حجة مبرورة وعمرة متقبلة وغفر لها ذنوبها
كلها حديثها وقديمها سرها وعلانيتها عمدها وخطأها اولها وآخرها يا عائشة المرأة اذا كان لها زوج فصبرت
على اذى زوجها فهى كالمتشحطة فى دمها فى سبيل الله وكانت من القانتات الذاكرات المسلمات المؤمنات
التائبات كذا فى روضة العلماء وفيه تطويل قد اختصرته وحذفت بعضه والاشارة فى الاية ان الله تعالى جعل
الرجال قوامين على النساء لان وجودهن تبع لوجودهم وهم الاصول وهن الفروع فكما ان الشجرة فرع الثمرة بانها
خلقت منها فكذلك النساء خلقن من ضلوعهم فكما كان قيام حواء قبل خلقها وهى ضلع بادم عليه السلام وهو
قوام عليها فكذلك الرجال على النساء بمصالح امور دينهن ودنياهن قال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا واختص
الرجال باستعدادية الكمالية للخلافة والنبوة فكان وجودهم الاصل ووجودهن تبعا لوجودهم للتوالد
والتناسل قال عليه السلام كمل من الرجال كثير وما كمل من النساء الا آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم
بنت عمران وفضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ومع هذا ما بلغ كمالهن الى حد يصلحن
للخلافة اوالنبوة وانما كان كمالهن بالنسبة الى النسوة لا الى الرجال لانهن بالنسبة اليهم ناقصات عقل ودين

حتى قال فى عائشة رضى الله عنها مع فضلها على سائر النساء خذوا ثلثى دينكم من هذه الحميراء فهذا بالنسبة
الى الرجال نقصان حيث لم يقل خذوا كمال دينكم ولكن بالنسبة الى النساء كمال لانه على قاعدة قوله تعالى للذكر
مثل حظ الانثيين يكون حظ النساء من الدين الثلث فكمالها كان الثلثان بمثابة الذكور بمثل حظ الانثيين
قال الفقير جامع هذه المجالس النفيسة مرد بايد تا كه اقدامى كند * در طريقت غيرت نامى كند *
چون نه كامل زمرد دم مزن * چون نه دلبر مكو از حسن تن * زن كه كامل شد زمردان دست برد *
مرد ناقص چون زن ناقص بمرد * (وان خفتم) اى علمتم او ظننتم ايها الحكام (شقاق بينهما) اى خلافا بين
المرأة وزوجها ولا تدرون من قبل ايهما يقع النشوز والشقاق المخالفة اما لان كلا منهما يريد ما يشق على الآخر
واما لان كلا منهما فى شق الآخر قال ابن عباس رضى الله عنه والجزم بوجود الشقاق لا ينافى بعث الحكمين
لانه لرجاء ازالته لا لتعرف وجوده بالفعل (فابعثوا) اى الى الزوجين لاصلاح ذات البين (حكما) رجلا عادلا
صالحا للحكومة والاصلاح (من اهله) من اهل الزوج (وحكما) آخر على صفة الاول (من اهلها) اى اهل
الزوجة فان الاقارب اعرف ببواطن احوالهم واطلب للصلاح بينهم وانصح لهم واسكن لنفوسهم لان نفوس
الزوجين تسكن اليهما وتبرز ما فى ضمائرهما من حب احدهما الآخر وبغضه (ان يريدا) اى الزوج والزوجة
(اصلاحا) لهما اى ما بينهما من الشقاق (يوفق الله بينهما) يوقع بين الزوجين الموافقة والالفة بحسن سعى
الحكمين ويلقى فى نفوسهما المودة والرأفة وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه وفقه الله لما ابتغاه (ان الله
كان عليما خبيرا) بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق وفى الاية حث على اصلاح ذات
البين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة قالوا بلى قال
اصلاح ذات البين وقال صلى الله عليه وسلم الا انما الدين النصيحة قالها ثلاثا قالوا لمن يا رسول الله قال لله
ولرسوله ولكتابه ولائمة المؤمنين ولعامتهم فالنصيحة لله تعالى ان تؤمن بالله ولا تشرك به شيأ وتعمل بما امر الله
تعالى به وتنتهى عما نهى عنه وتدعو الناس الى ذلك وتدلهم عليه واما النصيحة لرسوله ان تعمل بسنته وتدعو
الناس اليها واما النصيحة لكتابه ان تؤمن به وتتلوه وتعمل بما فيه وتدعو الناس اليه واما النصيحة للائمة
ان لا تخرج عليهم بالسيف وتدعوهم بالعدل والانصاف وتدل الناس عليه واما النصيحة للعامة فهو ان تحب
لهم ما تحب لنفسك وان تصلح بينهم ولا تهجرهم وتدعوهم بالصلاح ولا شك ان المصلحين هم خيار الناس
بخلاف المفسدين فانهم شرار الخلق اذهم يسعون فى الارض بالفساد والتفريق وايقاظ الفتنة دون ازالتها
وقد ورد الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها * از ان همنشين تا توانى كريز * كه مر فتنه خفته را كفت خيز *
ومن المفسدين من يوصل كلام احد الى احد فيه ما يسوءه ويحزنه فالعاقل لا يصغى الى مثل هذا القائل
بدى در قفا عيب من كرد وكفت * بتر زو قرينى كه آورد وكفت * يكى تيرى افكند ودر ره فتاد *
وجودم نيازرد ورنجم نداد * تو برداشتى وآمدى سوى من * همى درسپوزى به پهلوى من *
والاشارة فى الاية انه اذا وقع الخلاف بين الشيخ الواصل والمريد المتكاسل فابعثوا متوسطين احدهما من
المشايخ المعتبرين والثانى من معتبرى السالكين لينظرا الى مقالهما ويحققا احوالهما ان يريدا اصلاحا بينهما
بما رأيا فيه صلاحهما يوفق الله بينهما بالارادة وحسن التربية ان الله كان فى الازل عليما باحوالهما خبيرا
بما آلهما فقدر لكل واحد منهما بما عليهما وبما لهما كذا فى تأويلات الشيخ العارف نجم الدين الكبرى
قدس سره وقد عرف منه ان التهاجر والمخالفة تقع بين الكاملين كما بين عوام المؤمنين ولا يمنع اختلافهم
الصورى اتفاقهم المعنوى وقد اقتضت الحكمة الآلهية ذلك فلمثل هذا سر لا يعرفه عقول العامة
(قال مولانا جلال الدين فى بيان اتحاد الاولياء والكاملين) كرازيشان مجتمع بينى دويار * هم يكى
باشند وهم شش صد هزار * بر مثال موجها اعدادشان * در عدد آورده باشد بادشان *
مؤمنان معدود ليك ايمان يكى * جسمشان معدود ليكن جان يكى * تفرقه در روح حيوانى بود *
نفس واحد روح انسانى بود * والحاصل ان اهل الحق كلهم نفس واحدة والتفرقة بحسب البشرية
والتخالف بسبب لا ينافى توافقهم فى المعنى من كل وجه وجهة (واعبدوا الله) العبادة عبارة
عن كل فعل وترك يؤتى به بمجرد امر الله تعالى بذلك وهذا يدخل فيه جميع اعمال القلوب وجميع اعمال الجوارح

(ولا تشركوا به شيأ) من الاشياء صنما اوغيره او شيأ من الاشراك جليا وهو الكفر اوخفيا وهو الرياء (وبالوالدين احسانا) اى واحسنوا اليهما احسانا فالباء بمعنى الى كما فى قوله وقد احسن بى وبدأ بهما لان حقهما اعظم حقوق البشر فالاحسان اليهما بان يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ولا يخشن فى الكلام معهما ويسعى فى تحصيل مطالبهما والانفاق عليهما بقدر القدرة (وبذى القربى) وبصاحب القرابة من اخ اوعم اوخال اونحو ذلك بصلة الرحم والمرحمة ان استغنوا اوالوصية وحسن الانفاق ان افتقروا (واليتامى) بانفاق ماهو اصلح لهم اوبالقيام على اموالهم ان كان وصيا (والمساكين) بالمبار والصدقات واطعام الطعام اوبالرد الجميل (والجار ذى القربى) اى الذى قرب جواره اوالذى له مع الجوار اتصال بنسب اودين قال عليه السلام والذى نفسى بيده لا يؤدى حق الجار الا من رحم الله وقليل ماهم اتدرون ماحق الجار ان افتقر اغنيته وان استقرض اقرضته وان اصابه خير هنأته وان اصابه شر عزيته وان مرض عدته وان مات شيعت جنازته (والجار الجنب) اى البعيد اوالذى لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد وهو حق الجوار وهو الجار من اهل الكتاب (والصاحب بالجنب) اى الرفيق فى امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك فى مسجد او مجلس اوغير ذلك من ادنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان (وابن السبيل) هو المسافر الذى سافر عن بلده وماله والاحسان بان تؤويه وتزوده اوهو الضيف الذى ينزل عليك وحقه ثلاثة ايام ومازاد على ذلك فهو صدقة ولا يحل له ان يقيم عنده حتى يخرجه (وما ملكت ايمانكم) من العبيد والاماء والاحسان اليهم بان يؤدبهم ولا يكلفهم مالا طاقة لهم ولا يكثر العمل لهم طول النهار ولا يؤذيهم بالكلام الخشن بل يعاشرهم معاشرة حسنة ويعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون اليه قال بعضهم كل حيوان فهو مملوك والاحسان اليه بما يليق به طاعة عظيمة (ان الله لا يحب من كان مختالا) اى متكبرا يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم (فخورا) بما لا يليق يتفاخر عليهم ولا يقوم بالحقوق ويقال فخورا فى نعم الله لا يشكر قال الله تعالى لموسى عليه السلام ياموسى انى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى وحدى لا شريك لى فمن لم يرض بقضائى ولم يشكر على نعمائى ولم يصبر على بلائى ولم يقنع بعطائى فليعبد ربا سواى ياموسى لولا من يسجد لى ما انزلت من السماء قطرة ولا انبت فى الارض شجرة ولولا من يعبدنى مخلصا لما امهلت من يجحدنى طرفة عين ولولا من يشكر نعمتى لحبست القطر فى الجو ياموسى لولا التائبون لخسفت بالمذنبين ولولا الصالحون لاهلكت الطالحين واعلم ان العبادة ان تعبد الله وحده بطريق اوامره ونواهيه ولا تعبد معه شيأ من الدنيا والعقبى فانك لو عبدت الله خوفا من شئ اوطمعا فى شئ فقد عبدت ذلك الشئ والعبودية طلب المولى بالمولى بترك الدنيا والعقبى والتسليم عند جريان القضاء شاكرا صابرا فى النعم والبلوى فلا بد من التوحيد الصرف وترك الشرك حتى يوصله الله الى مبتغاه (قال بعض العارفين) نقد هستى محو كن در لا اله * تا به بينى دار ملك پادشاه * غير حق هر ذره كان مقصود تست * تيغ لا بركش كه آن معبود تست * لا كه عرش وفرش را برمى درد * از فنا سوى بقا ره ميبرد * لا ترا از نورها بى ميدهد * با خدايت آشنايى ميدهد * چون تو خود را از ميان برداشتى * قصر ايمانرا درى افراشتى * فاذا حصل المقصود ووصل العابد الى المعبود فحينئذ يصح منه بالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين الاية لان الاحسان من صفات الله تعالى كقوله تعالى الذى احسن كل شئ خلقه والاساءة من صفات الانسان لقوله ان النفس لامارة بالسوء فالعبد لا يصدر منه الاحسان الا ان يكون متخلقا باخلاق نفسه كما قال تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وفيه اشارة اخرى وهى ان شرط العبودية الاقبال على الله بالكلية والاعراض عما سواه ولا يصدر منه الاحسان الا اذا اتصف باخلاق الله حتى يخرج من عهدة العبودية بالوصول الى حضرة الربوبية فتفنى عنك به وتبقى به للوالدين وغيرهما محسنا لاحسانه بلا شرك ولا رياء فان الشرك والرياء من بقاء النفس ولهذا قال عقيب الاية ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا لان الاختيال والفخر من اوصاف النفس والله تعالى لا يحب النفس ولا اوصافها لان النفس لا تحب الله ولا المحبة من اوصافها فانها تحب الدنيا وزخارفها وما يوافق مقتضاها قال صلى الله عليه وسلم الشرك اخفى فى ابن آدم من دبيب

النملة على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ومن خدم مخلوقا خوفا من مضرته اوطمعا فى منفعته فقد اشرك عملا كه داند چو در بند حق نيستى * اگر بى وضو در نماز ايستى * بروى ريا خرقه سهل است دوخت * گرش با خدا در توانى فروخت * اگر جز بحق ميرود جاده ات * در آتش فشانند سجاده ات * قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا يعنى الاعمال التى عملوها لغير وجه الله ابطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور وهو الغبار الذى يرى فى شعاع الشمس وجاء رجل الى النبى عليه السلام فقال يارسول الله انى اتصدق بالصدقة فالتمس بها وجه الله تعالى واحب ان يقال لى فيه خير فنزل قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه يعنى من خاف المقام بين يدى الله تعالى ويريد ثوابه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا رزقنا الله واياكم الاخلاص (الذين يبخلون) بما منحوا به وهو مبتدأ خبره محذوف اى احقاء بكل ملامة (ويأمرون الناس بالبخل) به اى بما منحوا به عطف على ما قبله (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) اى من المال والغنى (واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله ومن كان كافرا بنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار بطريق النصيحة لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر (والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس) اى للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا لابتغاء وجه الله وهو عطف على الذين يبخلون ورئاء الناس مفعول له وانما شاركهم فى الذم والوعيد لان البخل والسرف الذى هو الانفاق فيما لا ينبغى من حيث انه طرفا تفريط وافراط سواء فى القبح واستتباع الذم واللوم (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر) ليحوزوا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركوا مكة المنفقون اموالهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) اى فبئس الصاحب والمقارن الشيطان واعوانه حيث حملوهم على تلك القبائح وزينوها لهم (وماذا عليهم) اى على من ذكر من الطوائف (لو آمنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله) ابتغاء لوجه الله لان ذكر الايمان بالله واليوم الاخر يقتضى ان يكون الانفاق لابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البتة اى وما الذى عليهم فى الايمان بالله تعالى والانفاق فى سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشئ بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر لطلب الجواب لعله يؤدى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغى ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا كان فيه منافع لا تحصى (وكان الله بهم) وباحوالهم المحققة (عليما) فهو وعيد لهم بالعقاب فقد اخبر الله تعالى بدناءة همة الاشقياء وقصور نظرهم وانهم يقنعون بقليل من الدنيا الدنية ويحرمون عن كثير من المقامات الاخروية السنية ولا ينفقونه فى طلب الحق ورضاه بل ينفقونه فيما لا ينبغى هركه مقصودش از كرم آنست * كه برارد بعالم آوازه * باشد از مصر فضل وجود وكرم * خانه او برون دروازه * قال بعض الحكماء مثل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة كمثل رجل خرج الى السوق وملأ كيسه حصى فيقول الناس ما املأ كيس هذا الرجل ولا منفعة له سوى مقالة الناس ولو اراد ان يشترى به شيأ لا يعطى له شئ كذلك الذى عمل للرياء والسمعة قال حامد اللفاف اذا اراد الله هلاك امرء عاقبه بثلاثة اشياء اولها يرزقه العلم ويمنعه عن عمل العلماء والثانى يرزقه صحبة الصالحين ويمنعه عن معرفة حقوقهم والثالث يفتح عليه باب الطاعة ويمنعه الاخلاص وانما يكون ذلك المذكور لخبث نيته وسوء سريرته لان النية لو كانت صحيحة لرزقه الله منفعة العلم ومعرفة حقوقهم واخلاص العمل عبادت باخلاص نيت نكوست * وگرنه چه آيد زبى مغز پوست * چو زنار مغ در ميانت چه داق * كه در پوشى از بهر پندار خلق * فعلى الفتى ان يتخلص من الرياء فى انفاقه وفى كل اعماله ويكون سخيا لا شحيحا فان شكر المال انفاقه فى سبيل الله (قال الشيخ العطار قدس سره) توانگر كه ندارد پاس درويش * ز دست غيرتش برجان رسد نيش * (ويناسبه ما قال الحافظ) گنج قارون كه فرو ميرود از قهر هنوز * خوانده باشى كه هم از غيرت درويشانست * واذا كان بخيلا ومع هذا امر الناس بالبخل يكون ذلك وزرا على وزر قال صاحب الكشاف ولقد رأينا ممن بلى بداء البخل من اذا طرق سمعه ان احدا جاد على احد تشخص به وحل حبوته واضطرب وزاغت عيناه فى رأسه كانما نهب رحله وكسرت خزائنه ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده انتهى وهذا مشاهد فى كل زمان لا يعطون ويمنعون من يعطى ان قدروا والحاصل انهم يجتهدون فى منع

من قصد خيرا كبناء القناطر والجسور وحفر الآبار وسائر الخيرات وذلك لكمال دناءتهم وقصور نظرهم وعدم
شكرهم واللئيم لا يفعل الا ما يناسب طبعه * چو منعم كند سفله را روزكار * نهد بر دل تنك درويش بار *
چو بام بلندش بود خود پرست * كند بول وخاشاك بر بام پست (قال بشر بن الحارث النظر الى البخيل
يقسى القلب فلابد من مجانبة مجالسته وصحبته * جونكه باشد مجاورت لازم * همجوار كريم بايد بود *
كركنى باكسى مشاورة * آن مشاور حكيم بايد بود * ففى السخاء بركات فى الدين والدنيا والآخرة قيل
ان مجوسيا تصدق بمائة دينار فرأى الشبلى ذلك فقال ماتنفعك هذه الصدقة فبكى المجوسى ونظر الى السماء
فاذا رقعة وقعت عليه مكتوب فيها بخط اخضر

مكافأة السماحة دار خلد * وأمن من مخافة يوم بوس
وما نار بمحرقة جوادا * ولو كان الجواد من المجوس

يعنى الله تعالى يوفق السخى للايمان ان كان كافرا ولزيادة الطاعة والاخلاص فيها ان كان مؤمنا فيترقى
الى الدرجات العلى ويليق بمشاهدة ربه الاعلى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) لا ينقص من الاجر ولا يزيد فى العقاب
شيأ مقدار ذرة وهى النملة الصغيرة الحمراء التى لا تكاد ترى من صغرها او الصغير جدا من اجزاء التراب او ما يظهر
من اجزاء الهباء المنبث الذى تراه فى البيت من ضوء الشمس وهو الانسب بمقام المبالغة وهذا نفى للظلم لانه اذا نفى
القليل نفى الكثير لان القليل داخل فى الكثير (وان تك حسنة) اى وان يك مثقال الذرة حسنة انث الضمير
لتأنيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثرة
الاستعمال (يضاعفها) اى يضاعف ثوابها لان تضاعف نفس الحسنة بان يجعل الصلاة الواحدة صلاتين
مما لا يعقل (ويؤت من لدنه) ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد فى مقابلة العمل
(اجرا عظيما) عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لكونه تابعا للاجر مزيدا عليه قال فى التيسير وما وصفه الله بالعظم
فمن يعرف مقداره مع انه سمى الدنيا وما فيها قليلا وسمى هذا الفضل عظيما روى انه يؤتى يوم القيامة بالعبد
وينادى مناد على رؤس الاولين والآخرين هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له اعط
هؤلاء حقوقهم فيقول يا رب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله للملائكة انظروا فى اعماله الصالحة فاعطوه
منها فان بقى مثقال ذرة من حسنة ضعفها الله تعالى لعبده وادخله الجنة بفضله ورحمته والظاهر ان ذلك
التضعيف يكون من جنس اللذات الموعود بها فى الجنة واما هذا الاجر العظيم الذى يؤتيه من لدنه فهو اللذة
الحاصلة عند الرؤية وعند الاستغراق فى المحبة والمعرفة وانما خص هذا النوع بقوله من لدنه لان هذا النوع
من الغبطة والسعادة والكمال لا ينال بالاعمال الجسدية بل انما ينال بما يودع الله فى جوهر النفس القدسية من
الاشراق والصفاء والنور وبالجملة فذلك التضعيف اشارة الى السعادات الجسمانية وهذا الاجر العظيم اشارة الى
السعادات الروحانية وورد فى الخبر الصحيح ان الله تعالى يقول للملائكة حين دخل اهل الجنة الجنة اطعموا اوليائى
فيؤتى بالوان الاطعمة فيجدون لكل نعمة لذة غير ما يجدون للاخرى فاذا فرغوا من الطعام يقول الله تعالى
اسقوا عبادى فيؤتى باشربة فيجدون لكل شربة لذة بخلاف الاخرى فاذا فرغوا يقول الله تعالى انا ربكم قد
صدقتكم وعدى فاسألونى اعطكم قالوا ربنا نسألك رضوانك مرتين او ثلاثا فيقول رضيت عنكم ولدى المزيد
فاليوم اكرمكم بكرامة اعظم من ذلك كله فيكشف الحجاب فينظرون اليه ما شاء الله فيخرون اليه سجدا
فيكونون فى السجود ما شاء الله تعالى ثم يقول لهم ارفعوا رؤسكم ليس هذا موضع عبادة فينسون كل نعمة كانوا
فيها ويكون النظر اليه احب اليهم من جميع النعم * جان بيجمال جانان ميل جهان ندارد * وانكس كه اين ندارد
حقا كه آن ندارد * فيهب ريح من تحت العرش على تل من مسك اذفر فينثر المسك على رؤسهم ونواصى
خيولهم فاذا رجعوا الى اهليهم يرون ازواجهم فى الحسن والبهاء افضل ما تركوهن ويقول لهم ازواجهم
قد رجعتم احسن ما كنتم ومطمح نظر العارف الجنة المعنوية قال ابو يزيد البسطامى حلاوة المعرفة الالهية خير
من جنة الفردوس واعلى عليين لو قصدوا الى الجنات الثمان واعطونى الدنيا والآخرة لم يقابل انينى وقت السحر
طال انسى بالله وقال مالك بن دينار خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا اطيب الاشياء قيل وما هو قال معرفة الله
تعالى (قال جلال الدين قدس سره) اى خنك آن راكه ذات خود شناخت * اندر امن سرمدى قصرى بساخت *

پس چو آهن كرچه تيره هيكلى * صيقلى كن صيقلى كن صيقلى * دفع كن از مغز از بينى زكام *
تا كه ريح الله در آيد از مشام * هيچ مكذار از تب وصفرا اثر * تا بيابى در جهان طعم شكر *
اوصلنا الله واياكم الى معرفته وادخلنا الجنة برحمته (فكيف) محله النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال
او الظرف اى فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم (اذا جئنا) يوم القيامة (من كل امة)
من الامم (بشهيد) يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقائد وقبائح الافعال وهو نبيهم (وجئنا بك)
احضرناك يا محمد (على هؤلاء) اشارة الى الشهداء المدلول عليهم بما ذكر من قوله بشهيد (شهيدا) تشهد على
صدقهم لعلمك بعقائدهم لاستجماع شرعك لمجامع قواعدهم او اشارة الى المكذبين المستفهم عن حالهم تشهد
عليهم بالكفر والعصيان كما يشهد سائر الانبياء على اممهم (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول) بيان لحالهم
التى اشير الى شدتها وفظاعتها بقوله تعالى فكيف الخ وعصيان الرسول محمول على المعاصى المغايرة للكفر فلا يلزم
عطف الشئ على نفسه اى يتمنى الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول والمراد الذين كفروا والذين عصوا
الرسول (لو تسوى بهم الارض) لو بمعنى ان المصدرية والجملة مفعول يود اى يودون ان يدفنوا فتسوى بهم
الارض كالموتى فتسوية الارض بهم كناية عن دفنهم او يودون انهم لم يبعثوا ولم يخلقوا وكانهم والارض سواء
قال بعض الافاضل الباء للملابسة اى تسوى الارض ملتبسة بهم ولا حاجة الى الحمل على القلب لقلة الفرق
بين تسويتهم بالارض والتراب وتسويتها بهم (ولا يكتمون الله حديثا) عطف على يود اى ولا يقدرون على
كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم او الواو للحال اى يودون ان يدفنوا فى الارض وهم لا يكتمون منه تعالى حديثا
ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم
جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى نوح
يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فتقول ما جاءنا من نذير
فيقول من يشهد لك فيقول محمد وامته فيشهدون انه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيدا ثم يدعى غيره
من الانبياء عليهم السلام ثم ينادى كل انسان باسمه واحدا واحدا وتعرض اعمالهم على رب العزة قليلها وكثيرها
حسنها وقبيحها وذكر ابو حامد فى كتاب كشف علوم الآخرة ان هذا يكون بعد ما يحكم الله تعالى بين البهائم
ويقتص للجماء من القرناء ويفصل بين الوحوش والطير ثم يقول لهم كونوا ترابا فتسوى بهم الارض فحينئذ يود
الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ويتمنى الكافر فيقول يا ليتنى كنت ترابا واعلم انه يعرض على
النبى عليه السلام اعمال امته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم واعمالهم فلذلك يشهد عليهم وتعرض على الله
يوم الخميس ويوم الاثنين وعلى الانبياء والآباء والامهات يوم الجمعة فتفكر يا اخى وان كنت شاهدا عدلا بانك
مشهود عليك فى كل احوالك من فعلك ومقالك واعظم الشهود لديك المطلع عليك الذى لا يخفى عليه خائنة
عين ولا يغيب عنه زمان ولا اين فاعمل عمل من يعلم انه راجع اليه وقادم عليه يجازى على الصغير والكبير
والقليل والكثير * درخير بازست وطاعت وليك * نه هر كس تواناست بر فعل نيك * همه برك بودن
همه ساختى * بتدبير رفتن نبرداختى * فلا تضيع ايامك فان ايامك رأس مالك وانك ما دمت على رأس
مالك فانك قادر على طلب الربح لان بضاعة الآخرة كاسدة فى يومك هذا فاجتهد حتى تجمع بضاعة الآخرة
فى وقت الكساد فانما يجيء يوم تصير هذه البضاعة عزيزة فاكثر منها فى يوم الكساد ليوم العزة فانك لا تقدر على
طلبها فى ذلك اليوم روى ان الموتى يتمنون ان يؤذن لهم بان يصلوا ركعتين او يؤذن لهم ان يقولوا مرة واحدة
لا اله الا الله او يؤذن لهم فى تسبيحة واحدة فلا يؤذن لهم ويتعجبون من الاحياء انهم يضيعون ايامهم فى الغفلة
مهلكه عمر به بيهوده بكذرد حافظ * بكوش حاصل عمر عزيز را در ياب * قال القاشانى فى قوله تعالى
فكيف اذا جئنا الشهيد والشاهد ما يحضر كل احد مما بلغه من الدرجة وهو الغالب عليه فهو يكشف عن
حاله وعمله وسعيه ومبلغ جهده مقاما كان او صفة من صفات الحق اورأيا فلكل امة شهيد بحسب ما دعاهم
اليه نبيهم وعرفه اليهم ولم يبعث الا بحسب ما يقتضيه استعداد امته فادعاهم الا الى ما يطلب استعدادهم
مما وصل اليه النبى من مقامه فى المعرفة فلا يعرف احد باطن امرهم وما هم عليه من احد والههم كنبيهم ولذلك
جعل كل نبى شهيدا على امته وقد ورد فى الحديث ان الله يتجلى لعباده فى صورة معتقدهم فيعرفه كل واحد

من اهل الملل والمذاهب ثم يتحول عن تلك الصورة فيبرز فى صورة اخرى فلا يعرفه الا الموحدون الواصلون
الى حضرة الاحدية من كل باب وكما ان لكل امة شهيدا فلكل اهل مذهب شهيد ولكل احد شهيد يكشف
عن حال مشهوده واما المحمديون فهم شهدآء على الامم ونبيهم شهيد عليهم لكونهم من الامم ولكون نبيهم حبيبا
موتى بجوامع الكلم متمما لمكارم الاخلاق فلا جرم يعرفون الله عند التحول فى جميع الصور اذا تابعوا نبيهم
حق المتابعة ونبيهم يشهدهم ويعرف احوالهم انتهى بعبارته جعلنا الله واياكم من الكاملين الواصلين الى حق
اليقين (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) روى ان عبد الرحمن بن عوف
صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من افاضل الصحابة رضى الله عنهم حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا
فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا احدهم ليصلى بهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون
وانتم عابدون ما اعبد الى آخرها بطرح اللاءات فنزلت فكانوا لا يشربون فى اوقات الصلاة فاذا صلوا العشاء
شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها وتوجيه النهى الى قربان الصلاة
مع ان المراد هو النهى عن اقامتها للمبالغة فى ذلك قال فى التيسير ثم النهى ليس عن عين الصلاة فانها عبادة
فلا ينهى عنها بل هى نهى اكتساب السكر الذى يعجزه عن الصلاة على الوجه قال الامام ابو منصور رحمه الله
وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة للعبد الآبق ولا للمرأة الناشزة ليس فيه النهى عن الصلاة
لكن النهى عن الاباق والنشوز وهذا لان الاباق والنشوز والسكر ليست بالتى تعمل فى اسقاط الفرض فالمعنى
لا تقربوها حالة السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولون اذ بتلك التجربة يظهر انهم يعلمون ما سيقرؤنه فى الصلاة
والسكر اسم لحالة تعرض بين المرء وعقله واكثر ما يكون من الشراب وقد يكون من العشق والنوم والغضب
والخوف لكنه حقيقة فى الاول فيحمل عليه هنا والسكارى جمع سكران كالكسالى جمع كسلان واجمعوا على
انه لا يجوز بيع السكران وشرآؤه ويؤاخذ بالاستهلاكات والقتل والحدود وصح طلاقه وعتاقه عقوبة له عندنا
خلافا للشافعى (ولا جنبا) عطف على قوله وانتم سكارى فانه فى حيز النصب كانه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى
ولا جنبا والجنب من اصابته الجنابة يستوى فيه المؤنث والمذكر والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر واصل
الجنابة البعد والجنب مبعد عن القرآءة والصلاة وموضعها (الا عابرى سبيل) استثناء مفرغ من اعم الاحوال
محله النصب على انه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقييده بالحال الثانية دون الاولى والعامل فيه النهى
اى لا تقربوا الصلاة جنبا فى حال من الاحوال الا حال كونكم مسافرين فتعذرون بالسفر فتصلون بالتيمم
(حتى تغتسلوا) غاية للنهى عن قربان الصلاة حالة الجنابة وفى الاية الكريمة اشارة الى ان المصلى حقه ان يتحرز
عما يلهيه ويشغل قلبه وان يزكى نفسه عما يدنسها ولا يكتفى بادنى مراتب التزكية عند امكان اعاليها (وان كنتم
مرضى) جمع مريض والمرض على ثلاثة اقسام احدها ان يكون بحيث لو استعمل الماء لمات كما فى الجدرى
الشديد والقروح العظيمة وثانيها ان لا يموت باستعمال الماء ولكنه يجد الالام العظيمة ويشتد مرضه او يمتد
وثالثها ان لا يخاف الموت ولا الالام الشديدة لكنه يخاف بقاء شين اوعيب فى البدن فالفقهاء جوزوا التيمم
فى القسمين الاولين وما جوزوه فى القسم الثالث (او على سفر) عطف على مرضى اى وكنتم على سفر ما طال
او قصر وايراده مع سبق ذكره بطريق الاستثناء لبناء الحكم الشرعى عليه وبيان كيفيته وتعليق التيمم بالمرض
والسفر مع ان الحكم كذلك فى كل موضع تحقق العجز حتى قال ابو حنيفة يجوز التيمم للجنابة فى المصر اذا عدم
الماء الحار لان العجز عن استعمال الماء يقع فيهما غالبا (او جاء احد منكم من الغائط) وهو المكان المنخفض المطمئن
والمجيء منه كناية عن الحدث لان المعتاد ان من يريده يذهب اليه ليوارى شخصه عن اعين الناس (او لامستم
النساء) اى جامعتموهن يعنى اذا اصابكم المرض او السفر او الحدث او الجنابة (فلم تجدوا ماء) اى لم تقدروا على
استعماله لعدمه او لبعده او لفقد آلة الوصول اليه من الدلو والرشاء او المانع عنه من حية او سبع او عدو
(فتيمموا صعيدا طيبا) فاقصدوا شيأ من وجه الارض طاهرا قال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا او غيره
وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابى حنيفة رحمه الله
(فامسحوا بوجوهكم وايديكم) الى المرفقين لما روى انه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ولانه
بدل من الوضوء فيتقدر بقدره والباء زآئدة اى فامسحوا وجوهكم وايديكم (منه) اى من الصعيد

ان الله

(ان الله كان عفوا غفورا) تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما فان من عادته المستمرة ان يعفو عن الخطائين
ويغفر للمذنبين لا بد من ان يكون ميسرا لا معسرا والاشارة ان الصلاة معراج المؤمن وميقات مناجاته
والمصلى هو الذى يناجى ربه يعنى يا مدعى الايمان لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى اى لا تجدوا القربة فى الصلاة
وانتم سكارى من الغفلات وتتبع الشهوات لان كل ما اوجب للقلب الذهول عن الله فهو ملتحق بالسكر
ومن اجله جعل السكر على اقسام فسكر من الخمر وسكر من الغفلة لاستيلاء حب الدنيا واصعب السكر سكرك
من نفسك فان من سكر من الخمر فقضاؤه الحرقة ومن سكر من نفسه ففى الوقت على الحقيقة له القطيعة والفرقة
اى اسيرتك نام خويشتن * بستهٔ خود را بدام خويشتن * ور نكنجى با خود اندر كوى او *
كم شو از خود تا بيابى كوى او * تا تو نزديك خودى زين حرف دور * غائبى يابى اكر خواهى حضور *
تا تو از غفلت چو باده مست شدى * لا جرم از طور وصلت پست شدى * حتى تعلموا ما تقولون ولماذا
تقولون كما تقولون الله اكبر لتكبيرة الاحرام عند رفع اليدين ومعناه الله اعظم واجل من كل شئ فان كنت
تعلم عند التقول به فينبغى ان لا يكون فى تلك الحالة فى قلبك عظمة شئ آخر وامارة ذلك ان لا تجد ذكر شئ
فى قلبك مع ذكره تعالى ولا محبة شئ مع محبته ولا طلب شئ مع طلبه فانه تبارك وتعالى واحد لا يقبل الشركة
فى جميع صفاته والا كنت كاذبا فى قولك الله اكبر بالنسبة الى حالك وكنت كالسكران لا تجب القربة من صلاتك
لان القربة مشروطة بشرط السجود كما خوطب به واسجد واقترب والسجود ان تنزل من مركب اوصاف
وجودك لتحل على رفرف جوده الى قاب قوسين اوصاف وجوده لشهود جماله وجلاله وهذا هو سر التشهد
بعد السجود ثم قال ولا جنبا الا عابرى سبيل يعنى كما لا تجدون القربة وانتم سكارى من الغفلات ايضا
لا تجدونها مع جنابة استحقاق البعد وهى ملابسة الدنيا الدنية الا على طريق العبور بقدم ظاهر الشرع
فى سبيل الاوامر والنواهى كعبور طريق الاعتداد بالمطعم والمشرب لسد الرمق وحفظ القوة والاكتساء
لدفع الحر والبرد وستر العورة والمباشرة لحفظ النسل حتى تغتسلوا بماء القربة والانابة وصدق الطلب وحسن
الارادة وخلوص النية من جنابة ملامسة الدنيا وشهواتها وان كنتم مرضى بانحراف مزاج القلب فى طلب
الحق او على سفر التردد بين طلب الدنيا وطلب العقبى والمولى او جاء احد منكم من الغائط من غائط تتبع الهوى
او لامستم النساء اى لابستم الاشغال الدنيوية فاجنبتم وتباعدتم عن الله بعدما كنتم مجاورى حظائر القدس
ووقعتم فى رياض الانس فلم تجدوا ماء صدق الانابة والرجوع الى الحق بالاعراض والانقطاع عن الخلق
فتيمموا صعيدا طيبا وهو تراب اقدام الرجال الطيبين من سوء الاخلاق والاعمال فامسحوا بوجوهكم تراب
اقدامهم وتمسكوا بايديكم اذيال كرمهم مستسلمين بصدق الارادة لاحكامهم ان الله كان عفوا يعفو عنكم
التعصب وعدم الانقطاع اليه بالكلية ولعله يعفو عنكم التلوث بالدنيا الدنية بهذه الخصلة المرضية غفورا لكم آثار
الشقوة من غبار الشهوة فانهم يسعد بهم لانهم قوم لا يشقى بهم جليسهم * كليد كنج سعادت قبول
اهل دلست * مبادكس كه درين نكته شك وريب كند * شبان وادئ ايمن كهى رسد بمراد * كه چند
سال بجان خدمت شعيب كند (الم تر) الخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية من المؤمنين والرؤية بصرية لشهرة
شنائع الموصولين حتى انتظمت فى سلك الامور المشاهدة (الى الذين اوتوا نصيبا) حظا كائنا (من الكتاب)
من علم الكتاب وهو التوراة والمراد بهم احبار اليهود اى الم تنظر اليهم فانهم احقاء بان تشاهدهم وتتعجب
من احوالهم نزلت فى حبرين من احبار اليهود كانا يأتيان رئيس المنافقين عبد الله بن ابى ورهطه يثبطانهم عن
الاسلام (يشترون الضلالة) كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يأخذون الضلالة ويتركون ما اوتوه
من الهداية (ويريدون) اى لا يكتفون بضلالة انفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته صلى الله عليه وسلم
(ان تضلوا) انتم ايضا ايها المؤمنون (السبيل) المستقيم الموصل الى الحق وانما ارادوا ذلك ليكون الناس كلهم
على دينهم فتكون لهم الرياسة على الكل واخذ المرافق من الكل (والله اعلم) اى منكم (باعدآئكم) جميعا
ومن جملتهم هؤلاء وقد اخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون لكم لتكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم او هو اعلم
بحالهم وما آل امرهم (وكفى بالله) الباء مزيدة (وليا) متكفلا فى جميع اموركم ومصالحكم او محبا لكم
(وكفى بالله نصيرا) فى كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره او لا تبالوا بهم وبما يوصونكم

من السوء فانه تعالى معين يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد و وعيد والاشارة ان من رزق شيأ من علم الكتاب
ظاهرا ولم يرزق اسراره وحقائقه وهم علماء السوء المداهنون فى دين الله حرصا على الدنيا وطمعا فى المال
والجاه وحبا للرياسة والقبول يشترون الضلالة وهى المداهنة واتباع الهوى فيبيعون الدين بالدنيا ويريدون
ان تضلوا السبيل يا معشر العلماء الاتقياء وورثة الانبياء وطلاب الحق من بين الخلق عن سبيل الحق بما يحسدونكم
وينكرون عليكم ويلومونكم ويؤذونكم بطريق النصح واظهار المحبة والله اعلم باعدآئكم فلا تقبلوا نصيحتهم
فيما يقطعون عليكم طريق الحق ويردونكم عنه ويصدونكم عن الله بالتحريض على طلب غير الله ورعاية حق
غير الله واطيعوا امر الله تعالى فيما امركم به واعلم انك لا ترى حالا اسوء ولا اقبح ممن جمع بين هذين الامرين اعنى
الضلال والاضلال واكثر ما يكونان فى العلماء يطمعون فيما بين ايدى الخلق فيداهنون فيضلون فسبب
زوال المداهنة قطع الطمع روى عن بعض المشايخ انه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب فى جواره كل يوم
شيأ من الغدد لسنوره فرأى على القصاب منكرا فدخل واخرج السنور اولا ثم جاء واحتسب على القصاب
فقال له القصاب لا اعطيك بعد اليوم لسنورك شيأ فقال ما احتسب عليك الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع
منك فهو كما قال من طمع فى ان تكون قلوب الناس عليه طيبة لم يتيسر له الحسبة فعلى العاقل ان يزكى
نفسه عن الاخلاق الرديئة ويطهرها عن الخصال الذميمة * چون طهارت نبود كعبه وبتخانه يكيست *
نبود خير در آن خانه كه عصمت نبود (من الذين هادوا) خبر مبتدأ محذوف اى من الذين هادوا قوم (يحرفون
الكلم عن مواضعه) الكلم اسم جنس ولذا ذكر الضمير فى مواضعه وجمع المواضع لتكرره فى التوراة فى مواضع
بحسب الجنس اى يزيلون لانهم لما غيروه ووضعوا مكانه غيره فقد ازالوه عن مواضعه التى وضعه الله فيها
واما لوه عنها والتحريف نوعان احدهما صرف الكلام الى غير المراد بضرب من التأويل الباطل كما يفعل اهل
البدعة فى زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذاهبهم والثانى تبديل الكلمة باخرى وكانوا يفعلون ذلك نحو تحريفهم
فى نعت النبى صلى الله عليه وسلم اسمر ربعة عن موضعه فى التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم
الرجم بوضعهم الحد بدله (ويقولون) فى كل امر مخالف لاهوآئهم الفاسدة سوآء كان بحضر النبى عليه السلام
اولا بلسان المقال والحال (سمعنا) قولك (وعصينا) امرك عنادا وتحقيقا للمخالفة (واسمع) اى قولنا
(غير مسمع) حال من المخاطب وهو كلام ذو وجهين احدهما المدح بان يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروها
والثانى الذم بان يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مسمع كلاما اصلا بصمم اوموت اى مدعوا عليك بلا سمعت
لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع فكانهم قالوا ذلك تمنيا لاجابة دعوتهم عليه كانوا
يخاطبون به النبى عليه السلام مظهرين له ارادة المعنى الاول وهم مضمرون فى انفسهم ان المعنى الاخير
مطمئنون به (وراعنا) كلمة ذات جهتين ايضا محتملة للخير بحملها على معنى ارقبنا وانتظرنا واصرف سمعك
الى كلامنا نكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة اى الحمق او باجرآئها مجرى شبهها من كلمة عبرانية
اوسريانية كانوا يتسابون بها وهى راعنا كانوا يخاطبون به صلى الله عليه وسلم ينوون الشتيمة والاهانة
ويظهرون التوقير والاحترام فان قلت كيف جاؤا بالقول المحتمل ذى الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا
وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء حشمة منه
عليه السلام وخوفا من بطش المؤمنين (ليا بألسنتهم) انتصابه على العلية اى يقولون ذلك للفتل بها ولصرف
الكلام عن نهجه الى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا اسمعت مكروها واجروا راعنا المشابهة لراعينا
مجرى انظرنا اوفتلا بها وضما لما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير (وطعنا فى الدين)
اى قدحا فيه بالاستهزآء والسخرية (ولو انهم) عندما سمعوا شيأ من اوامر الله ونواهيه (قالوا) بلسان المقال
او بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا (سمعنا واطعنا) بدل قولهم واسمع غير مسمع (واسمع) ولا يلحقون به
غير مسمع وبدل قولهم راعنا (وانظرنا) ولم يدسوا تحت كلامهم شرا وفسادا اى لو ثبت انهم قالوا هذا مكان
ما قالوا من الاقوال (لكان) قولهم ذلك (خيرا لهم) مما قالوا (واقوم) اى اعدل واسد فى نفسه واصوب
من القيم اى المستقيم قالوا لما لم يكن فى الذى اختاروه خير اصلا فلم جعل هذا خيرا من ذلك وجوابه انه كذلك
على زعمهم فخوطبوا على ذلك وهو كقوله آلله خير اما يشركون (ولكن لعنهم الله بكفرهم) اى ولكن قالوا ذلك

واستمروا على كفرهم فخذلهم الله وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ذلك (فلا يؤمنون) بعد ذلك (الا قليلا)
استثناء من ضمير المفعول فى لعنهم اى ولكن لعنهم الله الا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب الايمان
وقد آمن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما وهو استثناء من ضمير لا يؤمنون
اى لا يؤمنون الا ايمانا قليلا وهو ايمانهم بموسى وكفرهم بمحمد عليهما السلام والاشارة ان العلماء السوء
من هذه الامة يحرفون الكلم عن مواضعه بالفعال لا بالمقال كما كان اهل الكتاب يحرفونه بالمقال ويقولون
سمعنا بالمقال فيما امر الله به من ترك الدنيا وزينتها واتباع الهوى ومن ايثار الآخرة على الاولى والانقطاع عن
الخلق فى طلب المولى وعصينا بالفعال اذ لا يشمون روآيح هذه المعاملات ولا يدورون حول هذه المقامات
وينكرون على اهل هذه الكرامات ويستهزئون بانواع المقالات فلا يؤمنون بالقلوب السليمة الا قليلا منهم بان
يكفروا بهوى نفوسهم ويؤمنوا بالايمان الحقيقى الذى هو من نتايج الارادة والصدق فى طلب الحق والاخلاص
فى العمل لله وترك الدنيا وزخارفها بل بذل الوجود فى طلب المعبود (قال العطار) مشو مغرور اين نطق مزور *
بنادانى مكن خودرا تو سرور * اكر علم همه عالم بخوانى * چو بى عشقى از وحرفى ندانى *
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما لا يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا
لم يجد عرف الجنة اى ريحها قال الشيخ الشاذلى العلم النافع هو الذى يستعان به على طاعة الله ويلزمك المخافة
من الله والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة بالله قال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه العلوم كالدنانير
والدراهم ان شاء نفعك بها وان شاء اضرك معها والعلم ان قارنته الخشية فلك اجره وثوابه وحصول النفع به
والا فعليك وزره وعقابه وقيام الحجة به وعلامة خشية الله ترك الدنيا والخلق ومحاربة النفس والشيطان
(قال الشيخ السعدى قدس سره) دعوى كنى كه برترم از ديكران بعلم * چون كبر كردى از همه دونان فروترى *
شاخ درخت علم ندانم بجز عمل * تا علم با عمل نكنى شاخ بى برى * علم آدميتست وجوانمردى وادب *
ورنه ددى بصورت انسان برابرى * ترك هواست كشتى درياى معرفت * عارف بذات شو نه بدين قلندرى *
هر علم را كه كار نه بندى چه فائده * چشم از براى آن بود آخر كه بنكرى (يا ايها الذين اوتوا الكتاب) اى
التوراة (آمنوا بما نزلنا) من القرءآن حال كونه (مصدقا لما معكم) من التوراة ومعنى تصديقه اياها نزوله
حسبما نعت لهم فيها او كونه موافقا لها فى القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهى
عن المعاصى والفواحش واما ما يترآءى من مخالفته لها فى جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الامم بالاعصار
فليست بمخالفة فى الحقيقة بل هى عين الموافقة من حيث ان كلا منهما حق بالاضافة الى عصره متضمن
للحكمة التى عليها يدور فلك التشريع حتى لو تأخر نزول المتقدم تنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق
المتقدم قطعا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى (من قبل ان نطمس وجوها)
الطمس محو الآثار وازالة الاعلام اى آمنوا من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها من عين وحاجب
وانف وفم (فنردها على ادبارها) فنجعلها على هيئة ادبارها وهى الاقفاء مطموسة مثلها وهذا معنى قول
ابن عباس رضى الله عنه نجعلها كخف البعير وحافر الدابة فتكون الفاء للتسبيب اى بان نردها على ادبارها
او تنكيسا بعد الطمس فنردها الى موضع الاقفاء والاقفاء الى موضعها على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب
الآخر طمسها ثم ردها على ادبارها (او نلعنهم) او نخزى اصحاب الوجوه بالمسخ (كما لعنا اصحاب السبت)
مسخناهم قردة وخنازير ووقوع الوعيد مشروط بالايمان ومعلق به وجودا وعدما يعنى ان وجد منهم الايمان
لم يقع والا وقع وقد وجد الايمان منهم حيث آمن ناس منهم فلم يقع الوعيد (وكان امر الله) اى عذابه (مفعولا)
كائنا لا محالة وهذا وعيد شديد لهم يعنى انتم تعلمون انه كان تهديد الله فى الامم السالفة واقعا لا محالة فكونوا
على حذر من هذا الوعيد وارجعوا عن الكفر الى الايمان والاقرار بالتوبة والاستغفار اعلم ان المسخ قد وقع
فى هذه الامة ايضا ومنه ما روى عن ابى علقمة انه قال كنت فى قافلة عظيمة فامرنا رجلا نرتحل بامره وننزل
بامره فنزلنا منزلا وهو يشتم ابا بكر وعمر فقلنا له فى ذلك فلم يجب الينا بشئ فلما اصبحنا واوقرنا واصلحنا الراحلة
لم ينادمناديه فجئناه ننظر ما حاله وما يصنع فاذا هو متربع وقد غطى رجليه بكساء له فكشفنا عنه فاذا قد صار
رجلاه كرجل الخنازير فهيأنا راحلته وحملناه اليها فوثب من راحلته وقام برجليه وصاح ثلاث مرات

صبحة الخنازير واختلط بالخنازير وصار خنزيرا حتى لا يعرفه منا احد كذا فى روضة العلماء وروى ان واحدا من
رواة الاحاديث تحول رأسه رأس حمار لانكاره وقوع مضمون حديث صحيح ورد فى حق المقتدى بالامام الرافع
رأسه قبله اوواضعه وحاصل الحديث ان من رفع رأسه قبل الامام اووضعه كيف لا يخاف من ان يصير رأسه
رأس حمار فوقع فيما وقع وهذا هو مسخ الصورة ومسخ المعنى اشد واصعب منه فان اعمى الصورة مثلا يمكن
ان يكون فى الآخرة بصيرا ولكن من كان فى هذه اعمى يعنى بالقلب فهو فى الاخرة اعمى واضل سبيلا وفضوح
الدنيا اهون من فضوح الآخرة فعلى السالك ان يجتهد حتى لا يرد وجهه الناطق الى الله تعالى على الدنيا واتباع
الهوى ولا يمسخ صفاته الانسانية بالسبعية والشيطانية (قال الشيخ السعدى) بانو ترسم نشود شاهد روحانى
دوست * كالتماس تو بجز عالم جسمانى نيست * سعى كن تازه مقام حيوان دركذرى * كاهنست
آينه ماداميكه نورانى نيست * خفته كاراچه خبر زمن مئه مرغ سحر * حيوانرا خبر از عالم انسانى نيست *
قال الامام فى تفسير الاية وتحقيق القول فيها ان الانسان فى مبدأ خلقته الف هذا العالم المحسوس ثم انه
عند الفكر والعبودية كانه يسافر من عالم المحسوسات الى عالم المعقولات فقدامه عالم المعقولات ووراءه عالم
المحسوسات فالمخذول هو الذى يرد من قدامه الى خلفه كما قال تعالى فى وصفهم ناكسوا رؤسهم انتهى فنعوذ
بالله من الحور بعد الكور ومن الشر بعد الخير عن عبد الله بن احمد المؤذن قال كنت اطوف حول البيت
واذا انا برجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول اللهم اخرجنى من الدنيا مسلما لا يزيد على ذلك شيأ فقلت
له لم لا تزيد على هذا الدعاء فقال لو علمت قصتى كنت تعذرنى فقلت وما قصتك قال كان لى اخوان وكان الاكبر
منهما مؤذنا اذن اربعين سنة احتسابا فلما حضره الموت دعا بالمصحف فظننا ان يتبرك به فاخذه بيده واشهد على
نفسه من حضر انه برئ مما فيه ثم تحول الى دين النصرانية فمات نصرانيا فلما دفن اذن الاخر ثلاثين سنة فلما
حضره الموت فعل كما فعل الآخر فمات على النصرانية وانى اخاف على نفسى ان اصير مثلهما فادعو الله تعالى
ان يحفظ على دينى فقلت ما كان دينهما فقال كانا يتتبعان عورات النساء وينظران الى المردان فهذا من آثار
الرد واللعن والمسخ فنسأل الله تعالى ان يوفقنا لتزكية النفس واصلاحها ويختم عاقبتنا بالخير خدايا بحب بنى
فاطمه * كه برقول ايمان كنى خاتمه (ان الله لا يغفر ان يشرك به) اى لا يغفر الكفر ممن اتصف به بلا توبة
وايمان لان الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان مما يؤدى الى فتحه ولان ظلمات
الكفر والمعاصى انما يسترها نور الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يغفر له شئ من الكفر والمعاصى (ويغفر ما دون ذلك)
اى ويغفر ما دون الشرك فى القبح من المعاصى صغيرة كانت او كبيرة تفضلا من لدنه واحسانا من غير توبة عنها
لكن لا لكل احد بل (لمن يشاء) ان يغفر له ممن اتصف به فقط اى لا بما فوقه قال شيخنا السيد الثانى معنى جامع
القرآن وهم المؤمنون الذين اتقوا من الاشراك بالله تعالى فيغفر لهم ما دون الاشراك من الصغائر والكبائر
لعدم اشراكهم به ولا يغفر للمشركين ما دون الاشراك ايضا لاشراكهم به فكما ان اشراكهم لا يغفر فكذلك
ما دون اشراكهم لا يغفر بخلاف المؤمنين فانه تعالى كما وقاهم من عذاب الاشراك بحفظهم عنه كذلك
وقاهم من عذاب ما دونه بمغفرته لهم (ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) اى من افترى واختلق مرتكبا
اثما لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعا وهذه الاية من اجل الآيات التى كانت
خيرا لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وما غربت واعظمها لانها تؤذن بان ما دون الشرك من الذنب مغفور
بحسب المشيئة والوعد المعلق بالمشيئة من الكريم محقق الانجاز خصوصا لعباده الموحدين المخلصين من
المجدين كما قال لهم ان الله يغفر الذنوب جميعا روى ان وحشيا قاتل حمزة عم النبى عليه السلام كتب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم انى اريد ان اسلم ولكن يمنعنى من الاسلام آية فى القرآن نزلت عليك وهو قوله تعالى
والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون وانى قد فعلت هذه الاشياء
الثلاثة فهل لى من توبة فنزلت هذه الاية الا من تاب وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
فكتب بذلك الى وحشى فكتب ان فى الاية شرطا وهو العمل الصالح فلا ادرى انا اقدر على العمل الصالح ام لا
فنزل قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكتب بذلك الى وحشى فكتب اليه ان فى الاية
شرطا فلا ادرى ايشاء ان يغفر لى ام لا فنزل قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا

من

من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فكتب الى وحشى فلم يجد الشرط فقدم الى المدينة واسلم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مات ولم يشرك بالله شيأ دخل الجنة ورأى ابو العباس شريح فى مرض موته كان
القيامة قد قامت واذا الجبار سبحانه وتعالى يقول اين العلماء فجاؤا فقال ماذا عملتم فيما علمتم فقلنا يا رب قصرنا
واسأنا فاعاد السؤال فكانه لم يرض به واراد جوابا آخر فقلت اما انا فليس فى صحيفتى شرك وقد وعدت ان تغفر
ما دونه فقال الله تعالى اذهبوا فقد غفرت لكم ومات شريح بعده بثلاث ليال وهذا من حسن الظن بالله تعالى
كنونت كه چشمست اشكى ببار * زبان دردهانست عذرى بيار * كنون بايدت عذر تقصير كفت *
نه چون نفس ناطق زكفتن بخفت * غنيمت شمار اين كرامى نفس * كه بى مرغ قيمت ندارد قفس *
واعلم ان للشرك مراتب وللمغفرة مراتب فمراتب الشرك ثلاث الجلى والخفى والاخفى وكذلك مراتب المغفرة
فالشرك الجلى بالاعيان وهو للعوام وذلك بان يعبد شئ من دون الله تعالى كالاصنام والكواكب وغيرها
فلا يغفر الا بالتوحيد وهو اظهار العبودية فى اثبات الربوبية مصدقا بالسر والعلانية والشرك الخفى بالاوصاف
وهو للخواص وذلك شوب العبودية بالالتفات الى غير الربوبية فى العبادة كالدنيا والهوى وما سوى المولى
فلا يغفر الا بالوحدانية وهى افراد الواحد للواحد بالواحد والشرك الاخفى وهو للاخص وذلك رؤية الاغيار
والانانية فلا يغفر الا بالوحدة وهى فناء الناسوتية فى بقاء اللاهوتية ليبقى بالهوية دون الانانية فان الله لا يغفر
بمراتب المغفرة ان يشرك به بمراتب الشرك ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اى لمن يشاء المغفرة فيستغفر الله تعالى
من مراتب الشرك فيغفر له بمراتب المغفرة ومن يشرك بالله بمراتب الشرك فقد افترى اثما عظيما اى جعل بينه
وبين الله حجابا من اثبات وجود الاشياء وانانيته وهى اعظم الحجب كما قيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب
نيستى جولانكه اهل دلست * شاهراه عاشقان كاملست * چون وجودت محو
كردى ازميان * نور وحدت چشم دل راشد عيان * شرك رهزن باشد اى دل درطريق *
ذكر توفيق خدارا كن رفيق (الم تر الى الذين يزكون انفسهم) خطاب للنبى عليه السلام على وجه التعجيب
اى الم تنظر الى اليهود الذين يطهرون نفوسهم عن الذنوب والسيئات ولم يزكوها حقيقة بقولهم نحن ابناء الله
واحباؤه وبقولهم نحن كالاولاد الصغار فهل عليهم ذنب اى انظر اليهم وتعجب من حالهم وادعائهم انهم ازكياء
عند الله مع ما هم عليه من الكفر والاثم العظيم واللفظ عام يشتمل كل من زكى نفسه ووصفها بزيادة التقوى
والطاعة والزلفى عند الله ففيه تحذير من اعجاب المرء بعمله (بل الله) يعنى هم لا يزكونها فى الحقيقة لكذبهم
وبطلان اعتقادهم بل الله (يزكى من يشاء) تزكيته ممن يستأهلها من المرتضين من عباده المؤمنين فانه
العالم بما ينطوى عليه الانسان من حسن وقبيح وقد وصفهم بما هم متصفون به من القبائح (ولا يظلمون)
اى يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون فى ذلك العقاب (فتيلا) اى ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذى
فى شق النواة يضرب به المثل فى القلة والحقارة والظلم فى حق المعاقب الزيادة على حقه وفى حق المثاب النقصان
منه (انظر كيف) اى فى اى حال او على اى حال (يفترون على الله الكذب) فى زعمهم انهم ابناء الله
وازكياء عنده والتصريح بالكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا للمبالغة فى تقبيح حالهم (وكفى به) اى
بافترائهم هذا من حيث هو افتراء عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية انفسهم وسائر آثامهم
العظام (اثما مبينا) ظاهرا بينا كونه اثما والمعنى كفى بذلك وحده فى كونهم اشد اثما من كل كفار اثيم ولو لم يكن
لهم من الذنوب الا هذا الافتراء لكان اثما عظيما ونصب اثما مبينا على التمييز قال الامام ابو منصور رحمه الله
قول الرجل انا مؤمن ليس بتزكية النفس بل اخبار عن شئ اكرم به وانما التزكية ان يرى نفسه تقيا صالحا
ويمدح به قال السرى قدس سره من تزين للناس بما ليس فيه سقط عن عين الله تعالى فيجب على العبد المؤمن
ان يمتنع عن مدح نفسه الا يرى الى قوله عليه السلام انا سيد ولد آدم كيف عقبه بقوله ولا فخر اى لست اقول
هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على انفسهم لان افتخاره عليه السلام كان بالله وتقربه من الله لا بكونه
مقدما على اولاد آدم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يكون بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقديمه على بعض
رعاياه * اكر مردى از مردئ خود مكوى * نه هر شهسوارى بدر برد كوى * كنهكار انديشناك
از خدا * بهى بهتر از عابد خودنماى * اكر مشك خالص ندارى مكوى * وكر هست خود فاش

كرديوى (ونعم ماقيل) جوزخالى درميان جوزها * مى نمايد خويشتن را ازصدا * والاشارة
فى الآيتين ان الذين يزكون انفسهم من اهل العلوم الظاهرة بالعلم ويباهون به العلماء ويمارون به السفهاء
لاتتزكى انفسهم بمجرد تعلم العلم بل تزيد صفاتهم المذمومة مثل المباهاة والمماراة والمجادلة والمفاخرة والكبر
والعجب والحسد والرياء وحب الجاه والرياسة وطلب الاستيلاء والغلبة على الاقران والامثال بل الله يزكى
من يشاء التزكية ويتهيأ لها بتسليم النفس الى ارباب التزكية وهم العلماء الراسخون والمشايخ المحققون كما يسلم
الجلد الى الدباغ ليجعله اديما فمن يسلم نفسه للتزكية الى المزكى ويصبر على تصرفاته كالميت فى يد الغسال ويصغ
الى اشاراته ولايعترض على معاملاته ويقاسى شدائد اعمال التزكية فقد افلح بما تزكى والمزكى هو النبى عليه
السلام فى ايام حياته كما قال تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم الاية وبعده
هم العلماء الذين اخذوا التزكية ممن اخذوا منه قرنا بعد قرن من الصحابة والذين اتبعوهم باحسان الى يومنا هذا
ولعمرى انهم فى هذا الزمان اعز من الكبريت الاحمر (قال الشيخ الحسينى) در طريقت رهبر دانا كزين *
زانكه ره دورست رهزن دركمين * رهبرى بايد بمعنى سربلند * ازشريعت وزطريقت بهره مند * اصل
وفرع وجزء كل آموخته * شمع ازنور علم افروخته * ظاهرش ازعلم كسبى باخدا * باطنش
ميراث دار مصطفا * هركه ازدست عنايت بركرفت * روزاول دامن رهبر كرفت * هركه
درزندان خودرأيى فتاد * بندا وراسالها نتوان كشاد * اى سليم القلب دشوارست كار *
تانينداريكه بندارست كار * فعلى السالك ان يتمسك بذيل المرشد ويتسبب به الى الوقوف على علم
التوحيد ثم الفناء عن نفسه لان مجرد العرفان غير منج مالم يحصل التحقق بحقيقة الحال ولذا قال عليه السلام
شر الناس من قامت عليه القيامة وهو حى اى وقف على علم التوحيد ونفسه لم تمت بالفناء حتى يحيى بالله فانه
حينئذ زنديق قائل بالاباحة فى الاشياء عصمنا الله واياكم من المعاصى والفحشاء (الم تر الى الذين) الى اليهود الذين
(اوتوا نصيبا من الكتاب) حظا من علم التوراة اى انظر يا محمد وتعجب من حالهم فكأنه قيل ماذا يفعلون حتى
ينظر اليهم فقيل (يؤمنون بالجبت) فى الاصل اسم صنم فاستعمل فى كل ماعبد من دون الله (والطاغوت)
الشيطان وتطلق لكل باطل من معبود او غيره روى ان حيى بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى
مكة فى سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذى
كان بينهم وبينه عليه السلام فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا
لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس
فيما فعلوا وقال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لانعلم فاينا اهدى طريقا
نحن ام محمد فقال ماذا يقول محمد قال يأمر بعبادة الله تعالى وحده وينهى عن الشرك قال ومادينكم قالوا
نحن ولاة البيت نسقى الحاج ونقرى الضيف ونفك العانى وذكروا افعالهم قال انتم اهدى سبيلا وذلك قوله تعالى
(ويقولون للذين كفروا) اى لاجلهم وفى حقهم (هؤلاء) اشارة الى الذين كفروا (اهدى من الذين آمنوا سبيلا)
اى اقوم دينا وارشد طريقة (اولئك) اشارة الى القائلين (الذين لعنهم الله) اى ابعدهم عن رحمته وطردهم
(ومن يلعن الله) اى يبعده عن رحمته تعالى (فلن تجد له نصيرا) يدفع عنه العذاب دنيويا كان او اخرويا
لابشفاعة ولابغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش (ام لهم نصيب من الملك) ام منقطعة
ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان ملك الدنيا سيصير اليهم
(فاذا لايؤتون الناس نقيرا) اى لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لايؤتون احدا مقدار نقير وهو النقرة فى ظهر
النواة يضرب به المثل فى القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كل حالهم فانهم اذا بخلوا بالنقير
وهم ملوك فما ظنك بهم اذ كانوا اذلاء متفاقرين (ام يحسدون) منقطعة ايضا (الناس) بل ايحسدون رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه (على ما آتاهم الله من فضله) يعنى النبوة والكتاب وازدياد العز والنصر يوما فيوما
(فقد آتينا) يعنى ان حسدهم المذكور فى غاية القبح والبطلان فانا قد آتينا من قبل هذا (آل ابراهيم) الذين هم
اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وابناء اعمامه (الكتاب) المنزل من السماء (والحكمة) اى النبوة والعلم
(وآتيناهم) مع ذلك (ملكا عظيما) لايقادر قدره فكيف يستبعدون نبوته صلى الله عليه وسلم ويحسدونه

على

على ايتائها قال ابن عباس رضى الله عنه الملك فى آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام (فمنهم)
من اليهود (من آمن به) بمحمد عليه السلام (ومنهم من صد عنه) اى اعرض عنه ولم يؤمن به (وكفى بجهنم
سعيرا) نارا مسعورة اى موقودة يعذبون بها اى ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعدلهم من سعير جهنم
واعلم ان الله تعالى وصف اليهود فى الآية المتقدمة بالجهل الشديد وهو اعتقادهم ان عبادة الاوثان افضل
من عبادة الله تعالى ثم وصفهم بالبخل والحسد فالبخل هو ان لايدفع الى احد شيأ مما آتاه الله من النعمة والحسد
هو ان يتمنى ان لايعطى الله غيره شيأ من النعم فالبخل والحسد يشتركان فى من يريد منع النعمة من الغير
فاما البخيل فيمنع نعمة نفسه عن غيره واما الحاسد فيريد ان يمنع نعمة الله من عباده فهما شر الرذائل وسببهما
الجهل اما البخل فلان بذل المال سبب لطهارة النفس ولحصول سعادة الاخرة وحبس المال سبب لحصول
مال الدنيا فى يده فالبخل يدعوك الى الدنيا ويمنعك عن الآخرة والجود يدعوك الى الآخرة ويمنعك عن الدنيا
ولاشك ان ترجيح الدنيا على الاخرة لايكون الامن محض الجهل واما الحسد فلان الالهية عبارة عن ايصال
النعم والاحسان الى العبيد فمن كره ذلك فكأنه اراد عزل الاله عن الالهية وذلك محض الجهل ثم ان الحسد
لايحصل الا عند الفضيلة فكلما كانت فضيلة الانسان اتم واكمل كان حسد الحاسدين عليه اعظم (قال
السعدى) شور بختان بآرزو خواهند * مقبلانرا زوال نعمت وجاه * كرنبيند بروز شپره
چشم * چشمهٔ آفتابرا چه كناه * راست خواهى هزار چشم چنان * كوربهتر كه آفتاب سياه *
ولايسود الحسود والبخيل فى جميع الزمان الاترى ان الله تعالى جعل بخل اليهود كالمانع من حصول الملك
لهم فهما لايجتمعان وذلك لان الانقياد للغير امر مكروه لذاته والانسان لايتحمل المكروه الا اذا وجد فى مقابلته
امرا مطلوبا مرغوبا فيه وجهات الحاجات محيطة بالناس فاذا صدر من انسان احسان الى غيره صارت رغبة
المحسن اليه فى ذلك المال سببا لصيرورته منقادا مطيعا له فلهذا قيل بالبر يستعبد الحر فاما اذا لم يوجد هذا بقيت
النفرة الطبيعية عن الانقياد للغير خالصا من المعارض فلايحصل الانقياد البتة (قال السعدى) خورش ده
بكنجشك وكبك وحمام * كه يك روزت افتد هماىى بدام * زرازبهر خوردن بوداى پسر *
زبهر نهادن چه سنك وچه زر * وقد شبه بعض الحكماء ابن آدم فى حرصه على الجمع وخاتمة عاقبته بدود القز
الذى يكاد ينسج على نفسه بجهله حتى لايكون له مخلص فيقتل نفسه ويصير القز لغيره فاللائق بشأن المؤمن
القناعة بما رزقه الودود وترك الحرص والبذل من الموجود وقيل لما عرج النبى عليه السلام اطلع على النار
فرأى حظيرة فيها رجل لاتمسه النار فقال عليه السلام ما بال هذا الرجل فى هذه الحظيرة لاتمسه النار فقال
جبريل عليه السلام هذا حاتم طى صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده فالجود صارف عن المرء عذاب
الدنيا والعقبى وباعث لوصول الملك فى الاولى والاخرى ثم ان الملك على ثلاثة اقسام ملك على الظواهر فقط وهذا
هو ملك الملوك وملك على البواطن فقط فهذا هو ملك العلماء وملك على الظواهر والبواطن معا وهذا هو ملك
الانبياء عليهم السلام فاذا كان الجود من لوازم الملك وجب فى الانبياء ان يكونوا فى غاية الجود والكرم والرحمة
والشفقة ليصير كل واحد من هذه الاخلاق سببا لانقياد الخلق لهم وامتثالهم لاوامرهم وكمال هذا الصفات
كان حاصلا لمحمد عليه السلام (ان الذين كفروا بآياتنا) القرآن وسائر المعجزات (سوف) كلمة تذكر للتهديد
والوعيد يقال سوف افعل وتذكر للوعد ايضا فتفيد التأكيد (نصليهم نارا) ندخلهم نارا عظيمة هائلة
(كلما نضجت جلودهم) اى احترقت (بدلناهم جلودا غيرها) غير يذكر ويراد به الضد تقول الليل غير النهار
وايضا يقال للمثل المتبدل تقول للماء الحار اذا برد هذا غيره وهو المراد هنا اى اعطيناهم مكان كل جلد محترق
عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للمحترق صورة وان كان عينه مادة والحاصل انه يعاد ذلك الجلد بعينه على
صورة اخرى كقولك صغت من خاتمى خاتما غيره فالخاتم الثانى هو الاول وانما الصياغة اختلفت فان قلت الجلود
العاصية اذا احترقت فلو خلق الله تعالى مكانها جلودا اخرى وعذبها كان ذلك تعذيبا لمن لم يعص وهو غير جائز
قلت العذاب للمادة الحساسة وهى التى عصت لا للجلد مطلقا والذات واحدة فالعذاب لم يصل الا الى العاصى
(ليذوقوا العذاب) اى ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اى ادامك على عزك وزادك فيه قال
الحسن تأكلهم النار فى كل يوم سبعين مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وروى مرفوعا

ان جلد الكافر اربعون ذراعا وضرسه مثل احد وشفته العليا تضرب سرته وبين لحمه وجلده ديدان كحمر
الوحش تركض بين جلده ولحمه وحيات كاعناق البخت وعقارب كالبغال وهذا ليس بزيادة تخلق وتعذب من
غير معصية لكن اذا زيد ذلك فى صورته كان ذلك ثقلا على العبد ويكون نفس الثقل عقوبة عليه كسائر عقوبات
جهنم من السلاسل والاغلال والعقارب والحيات فان قلت انما يقال فلان ذاق العذاب اذا ادرك شيأ قليلا منه
والله تعالى قد وصف انهم كانوا فى اشد العذاب فكيف يحسن ان يذكر بعد ذلك انهم ذاقوا العذاب قلت المقصود
من ذكر الذوق الاخبار بان احساسهم بالعذاب فى كل مرة كاحساس الذائق بالمذوق من حيث انه لا يدخله
نقصان ولا زوال بسبب ذلك الاحتراق ودوام الملابسة ولعل السر فى تبديل الجلود مع قدرته تعالى مع بقاء
ادراك العذاب وذوقه بحاله مع الاحتراق او مع ابقاء ابدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق ان النفس ربما تتوهم
زوال الادراك بالاحتراق (ان الله كان عزيزا) لا يمتنع عليه شئ مما يريده بالمجرمين (حكيما) يعاقب من يعاقب
على حكمته اعلم ان هذا العذاب والتبديل الذى فى الاخرة كان حاصلا له فى الدنيا ولكن لم يكن يذوقه كالنائم
يجرح نفسه بحديدة فى يده فتكون الجراحة حاصلة له فى الدنيا ولكن لم يذق المه حتى يتنبه فالناس نيام فاذا ماتوا
انتبهوا فعلى العبد ان يعمل على وفق الشرع وخلاف النفس والهوى حتى يجعل الله تعالى باكسير الشرع
نحاس الصفات الظلمانية النفسانية فضة الصفات النورانية الروحانية فاذا تخلص فى الدنيا عن شوب المعصية
باصلاح النفس والجريان على وفق الشرع لم يحتج فى الاخرة الى التهذيب والتنقيح بالنار روى ان اصحاب الكبائر
من موحدى الامم كلها الذين ماتوا على كبائرهم غير تائبين ولا نادمين منهم من دخل النار فى الباب الاول
فى جهنم حتى لا تزرق اعينهم ولا تسود وجوههم ولا يقرنون مع الشياطين ولا يغلون بالسلاسل ولا يجرعون
بالحميم ولا يلبسون القطران فى النار حرم الله تعالى اجسادهم ووجوههم على النار من اجل السجود فمنهم
من تاخذه النار الى قدميه ومنهم من تاخذه الى ركبتيه ومنهم من تاخذه الى عنقه قدر ذنوبهم واعمالهم
ثم ان منهم من يمكث فيها شهرا ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها واطولهم فيها مكثا كقدر الدنيا منذ
خلقت الى يوم تفنى وكان ابن السماك يقول فيما يعاتب نفسه يا نفس تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل
المنافقين وفى الجنة تطمعين ان تدخلين هيهات هيهات ان للجنة قوما آخرين ولهم اعمال غير ما تعملين ويحك
اخذت بزى كسرى وقيصر والفراعنة وتريدين ان ترافقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الجلال فاعرض
نفسك على كتاب الله فيما وصف اولياءه واعداءه فانظر من اى الصنفين انت برادر ز كاربدان شرم دار * كه
در روى نيكان شوى شرمسار * نريزد خدا آب روى كسى * كه ريزد كناه آب چشمش بسى *
وذكر عن يزيد بن مرثد انه كان لا تنقطع دموع عينيه ساعة ولا يزال باكيا فسئل عن ذلك فقال لو ان الله
تعالى ارعدنى بانى لو اذنبت لحبسنى فى الحمام ابدا لكان حقيقا على ان لا تنقطع دموعى فكيف وقد اوعدنى
ان يحبسنى فى نار اوقد عليها ثلاثة آلاف سنة اوقد عليها الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى
ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهى سوداء كالليل المظلم قال ابو هريرة رضى الله عنه لا تغبطن
فاجرا بنعمته فان وراءه طالبا حثيثا وهى جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا (قال الحافظ) قلندران حقيقت
به نيم جو نخرند * قباى اطلس انكس كه از هنر عاريست * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت
همته الاخرة جمع الله شمله وجعل غناه فى قلبه واتته الدنيا وهى راغمة ومن كانت همته الدنيا فرق الله عليه
امره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب الله له (قال السعدى) انكس از دزد بپرسد
كه متاعى دارد * عارفان جمع نكردند و پريشانى نيست * هر كرا خيمه به صحراى قناعت زده اند *
كر جهان لرزه بكيرد غم ويرانى نيست (والذين آمنوا) بالله وبمحمد والقرآن وسائر الآيات والمعجزات
(وعملوا الصالحات) التى امر الله بها (سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) اى مقيمين فيها
لا يخرجون عنها ولا يموتون (لهم فيها ازواج مطهرة) اى عما نساء الدنيا عليه من الاحوال المستقذرة البدنية
والادناس الطبيعية كالحيض والنفاس والحقد والحسد وغير ذلك (وندخلهم ظلا ظليلا) فينانا لا جوب فيه
ودائما لا تنسخه الشمس اى لا تزيله وسجسجا وهو من الزمان ما لا حر فيه ولا برد ومن المكان ما لا سهولة فيه
ولا حزونة والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك

فان قلت

فان قلت اذا لم يكن فى الجنة شمس تؤذى بحرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل وايضا نرى فى الدنيا ان المواضع
التى يدوم الظل فيها ولا يصل نور الشمس اليها يكون هواؤها عفنا فاسدا مؤذيا فما معنى وصف هواء الجنة بذلك
قلت ان بلاد العرب كانت فى غاية الحرارة فكان الظل عندهم من اعظم اسباب الراحة وهذا المعنى جعلوه كناية
عن الراحة قال عليه السلام السلطان ظل الله فى الارض فاذا كان الظل عبارة عن الراحة كان الظل الظليل
كناية عن المبالغة العظيمة فى الراحة قال الامام فى تفسيره هذا ما يميل اليه خاطرى قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة ما يقطعها اقرأوا ان شئتم وظل ممدود وفى الجنة
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين فموضع
سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرأوا ان شئتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اهل الجنة شباب جعد جرد مرد ليس لهم شعر الا فى الرأس والحاجبين واشفار العينين
يعنى ليس لهم شعر عانة ولا شعر من الابط على طول آدم عليه السلام ستون ذراعا على مولود عيسى عليه
السلام ثلاثة وثلاثون سنة بيض الالوان خضر الثياب يوضع لاحدهم مائدة بين يديه فيقبل الطائر فيقول
يا ولى الله اما انى قد شربت من عين السلسبيل ورعيت من رياض الجنة تحت العرش واكلت من ثمار كذا
فاطعم منى فيطعم فيكون احد جانبيه مطبوخا والاخر مشويا فيأكل منهما ما شاء الله وعليه سبعون حلة ليس
فيها حلة على لون آخر قال الفقيه ابو الليث من اراد ان ينال هذه الكرامة فعليه ان يداوم على خمسة اشياء الاول
ان يمنع نفسه من جميع المعاصى ونهى النفس بفرمود الله * بايدت ترك هوى ترك كناه * والثانى
ان يرضى باليسير من الدنيا لان ثمن الجنة ترك الدنيا اين زن زانيه شوى كش دنيارا * كر على وار طلاقش
ندهى نامردم * والثالث ان يكون حريصا على الطاعات فيتعلق بكل طاعة فلعل تلك الطاعة تكون سبب
المغفرة ودخول الجنة عمل بايد اندر طريقت نه دم * كه سودى ندارد دم بى قدم * والرابع ان يحب
الصالحين واهل الخير ويخالطهم ويجالسهم نخست موعظۀ پير مجلس اين حرفست * كه از مصاحب
ناجنس احتراز كنيد * فلزم ان يكون مصاحب الانسان اهل خير لان الصحبة مؤثرة وان واحدا من
الصلحاء اذا غفر الله له يشفع لاخوانه واصحابه اميدست ازانان كه طاعت كنند * كه بى طاعتانرا
شفاعت كنند * والخامس ان يكثر الدعاء ويسأل الله تعالى ان يرزقه الجنة وان يجعل خاتمته فى الخير
غنيمت شمارند مردان دعا * كه جوشن بود پيش تير بلا (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها)
نزلت فى عثمان بن عبد الدار الحجبى وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة
يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم امنعه فلوى على بن ابى طالب كرم الله وجهه يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا
ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلى اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله تعالى فى شأنك
قرءانا وقرأ عليه فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فهبط جبريل فاخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان السدانة فى اولاد عثمان ابدا ثم ان عثمان هاجر ودفع المفتاح الى ابنه شيبة فهو فى ولده الى اليوم
(واذا حكمتم) اى ويأمركم اذا قضيتم (بين الناس ان تحكموا بالعدل) والانصاف والتسوية (ان الله نعما
يعظكم به) اى نعم شيأ يعظكم به تأدية الامانة والحكم بالعدل فما نكرة بمعنى شئ ويعظكم به صفته والمخصوص
بالمدح محذوف (ان الله كان سميعا) لما يقوله الخزنة (بصيرا) بما تعمله الامناء اى اعملوا بامر الله ووعظه فانه
اعلم بالمسموعات والمبصرات يجازيكم على ما يصدر منكم اعلم ان الامانة عبارة عما اذا وجب لغيرك عليك حق
فاديت ذلك الحق اليه والحكم بالحق عبارة عما اذا وجب للانسان على غيره حق فامرت من وجب عليه ذلك
الحق بان يدفع الى من له ذلك الحق ولما كان الترتيب الصحيح ان يبذل الانسان نفسه فى جلب المنافع ودفع المضار
ثم يشتغل بحال غيره لا جرم انه تعالى ذكر الامر بالامانة اولا ثم بعده ذكر الامر بالحكم بالحق ونزول هذه الاية
عند القصة المذكورة لا يوجب كونها مخصوصة بهذه القصة بل يدخل فيه جميع انواع الامانات فاعلم ان معاملة
الانسان اما ان تكون مع ربه او مع سائر العباد او مع نفسه ولا بد من رعاية الامانة فى جميع هذه الاقسام الثلاثة

امارعاية الامانة مع الرب فهى فعل المأمورات وترك المنهيات وهذا بحر لا ساحل له قال ابن مسعود الامانة فى كل
شئ لازمة فى الوضوء والجنابة والصلاة والزكاة والصوم وغير ذلك مثلا ان امانة اللسان ان لا يستعمله فى الكذب
والغيبة والنميمة والكفر والبدعة والفحش وغيرها وامانة العينين ان لا يستعملها فى النظر الى الحرام
وامانة السمع ان لا يستعمله فى سماع الملاهى والمناهى واستماع الفحش والاكاذيب وغيرها وكذا القول
فى جميع الاعضاء (قال السعدى) زبانان از بهر شكر وسپاس * بغيبت نكرداندش حق شناس *
كذرگاه قرأن وپندست كوش * به بهتان وباطل شنيدن مكوش * دوچشم ازپى صنع بارى نكوست *
نه عيب برادر بود كبر دوست * واما القسم الثانى وهو رعاية الامانة مع سائر الخلق فيدخل فيه رد الودائع
ويدخل فيه ترك التطفيف فى الكيل والوزن ويدخل فيه ان لا يفشى على الناس عيوبهم ويدخل فيه عدل
الامراء مع رعيتهم وعدل العلماء مع العوام بان يرشدوهم الى اعتقادات واعمال تنفعهم فى دنياهم واخراهم
ويدخل فيه امانة الزوجة الزوج فى حفظ فرجها وفى ان لا تلحق بالزوج ولدا تولد من غيره وفى اخبارها عن
انقضاء عدتها واما القسم الثالث وهو امانة الانسان مع نفسه وهو ان لا يفعل الا ما هو الانفع والاصلح له
فى الدين والدنيا وان لا يتقدم بسبب الشهوة والغضب على ما يضره فى الآخرة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته قال عليه السلام لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له فعلى العبد
المؤمن ان يؤدى الامانات كلها ما استطاع ويتعظ بمواعظ الحق فى كل زمان فان الوعظ نافع جدا
امروز قدر پند عزيزان شناختم * يارب روان ناصح ما از تو شاد باد * قال الحافظ وقال فى موضع
پند حكيم محض صوابست ومحض خير * فرخنده بخت آنكه بسمع رضا شنيد * ثم ان من كان حاكما وجب
عليه ان يحكم بالعدل ويؤدى الامانات الى اهلها قال الحسن ان الله اخذ على الحكام ثلاثا ان لا يتبعوا
الهوى وان يخشوه ولا يخشوا الناس وان لا يشتروا باياته ثمنا قليلا قال صلى الله عليه وسلم ينادى مناد يوم
القيامة اين الظلمة واين اعوان الظلمة فيجمعون كلهم حتى من برى لهم قلما ولاق لهم دواة فيجمعون ويلقون فى النار
(قال السعدى) جهان نماند وآثار معدلت ماند * بخير كوش وصلاح وبعدل كوش وكرم *
كه ملك ودولت ضحاك مردمان آزار * نماند وتا بقيامت بروبماند رقم * قال عليه السلام من ولى سلطانا
على الجور كان مع هامان وكان هو والسلطان من اشد اهل النار عذابا فمقتضى الايمان هو العدل والسعى
للاصلاح ونظام العالم واجراء الشرع والاحتراز عن الرشوة فان من اخذها لا يسامح فى الشرع وغضب
الاسكندر يوما على بعض شعرائه فاقصاه وفرق ماله فى اصحابه فقيل له فى ذلك فقال اما اقصائى له فلجرمه
واما تفريق ماله فى اصحابه فلئلا يشفعوا فيه فانظر كيف كان اخذ المال سببا لعدم الشفاعة لانهم لو استشفعوا
فى حقه فشفعوا لزم الاسترداد فلما طمعوا تركوا الشفاعة * ازتو كر انصاف آيد در وجود * به كه عمرى
در ركوع ودر سجود (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) وهم امراء
الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدى بهم من المهتدين واما امراء الجور فبمعزل من استحقاق
العطف على الله والرسول فى وجوب الطاعة فانهم اللصوص المتغلبة لاخذهم اموال الناس بالقهر والغلبة
وانما افرد بالذكر طاعة الله ثم جمع طاعة الرسول مع طاعة اولى الامر حيث قال تعالى واطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولى الامر منكم ولم يقل واطيعوا اولى الامر منكم تعليما للادب وهو ان لا يجمعوا فى الذكر بين اسمه
سبحانه وبين اسم غيره واما اذا آل الامر الى المخلوقين فيجوز (فان تنازعتم فى شئ) اصل النزع الجذب
لان المتنازعين يجذب كل واحد منهما الى غير جهة صاحبه اى ان اختلفتم انتم واولوا الامر منكم فى امر من
امور الدين (فردوه الى الله) فارجعوا فيه الى كتاب الله (والرسول) اى الى سنته صلى الله عليه وسلم وتعلق
اصحاب الظواهر بظاهر هذه الاية فى ان الاجتهاد والقياس لا يجوز لان الله تعالى امر بالرجوع الى الكتاب
والسنة ولا يوجد فى كل حادثة نص ظاهر فعلم انه امر بالنظر فى مودعاته والعمل على مدلولاته ومقتضياته
ولكن الاية فى الحقيقة دليل على حجة القياس كيف لا ورد المختلف فيه الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل
والبناء عليه وهو المعنى بالقياس ويؤيده الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فانه
يدل على ان الاحكام ثلاثة ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس (ان كنتم تؤمنون بالله

واليوم الآخر) فان الايمان بهما يوجب ذلك اما الايمان بالله فظاهر واما الايمان باليوم الآخر فلما فيه من
العقاب على المخالفة (ذلك) اى الرد الى الكتاب والسنة (خير) لكم من التنازع واصلح (واحسن) فى نفسه
(تأويلا) اى عاقبة ومآلا ودلت الاية على ان طاعة الامراء واجبة اذا وافقوا الحق فاذا خالفوه فلا طاعة لهم
قال صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وقال صلى الله عليه وسلم من عامل الناس فلم يظلمهم
ومن حدثهم فلم يكذبهم ومن وعدهم فلم يخلفهم فهو من كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت اخوته ولا بد
للامراء من خوف الله وخشيته باجراء الشرائع والاحكام واتباع سنن النبى عليه السلام حتى يملأ الله
قلوب الناظرين اليهم رعبا وهيبة فحينئذ لا يحتاجون الى محافظة الصورة والهيئة الظاهرة روى ان كاتب الروم
ارسل الى عمر رضى الله عنه هدايا من الثياب والجبة فلما دخل الرسول الى المدينة قال اين دار الخليفة وبناؤه
فقيل ليس له دار عظيم كما توهمت انما له بيت صغير فدلوه عليه فاتاه فوجد له بيتا صغيرا حقيرا قد اسود بابه لطول
الزمان فطلبه فلم يصادفه وقيل انه خرج الى السوق لحاجته وحوائج المسلمين اى للاحتساب فخرج الرسول الى
طلبه فوجده نائما تحت ظل حائط قد توسد بالدرة فلما رآه قال عدلت فامنت فنمت حيث شئت وامراؤنا ظلموا
فاحتاجوا الى الحصون والجيوش (قال السعدى) پادشاهى كه طرح ظلم افكند * پاى ديوار ملك خويش
بكند * نكند جور پيشه سلطانى * كه نيايد زكرك چوپانى * ومن كلام اردشير الدين اساس الملك والعدل
حارسه فما لم يكن له اس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع وروى ان انوشروان كان له عامل على ناحية فكتب اليه
يعلمه بجودة الربع ويستأذنه فى الزيادة على الرسوم فامسك عن اجابته فعاوده العامل فى ذلك فكتب اليه قد كان
فى ترك اجابتك ما حسبتك تنزجر به عن تكليف ما لم تؤمر به فاذا قد ابيت الا تماديا فى سوء الادب فاقطع احدى
اذنيك واكفف عما ليس من شأنك فقطع العامل اذنه وسكت عن ذلك الامر وبالجملة فالظلم عار وجزاؤه نار
والاجتناب منه واجب على كل عاقل واذا كان نية المؤمن العدل فليجانب اهل الظلم وليجتنب عن اطاعتهم
فان الاطاعة لاهل الحق لا لغيرهم قال عليه السلام من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن
يطع الامير العادل فقد اطاعنى ومن يعص الامير فقد عصانى واعلم ان الولاة انما يكونون على حسب اعمال الرعايا
واحوالهم صلاحا وفسادا وروى انه قيل للحجاج بن يوسف لم لا تعدل مثل عمر وانت قد ادركت خلافته افلم تر عدله
وصلاحه فقال فى جوابهم تبادروا اى كونوا كابى ذر فى الزهد والتقوى انعمر لكم اى اعاملكم معاملة عمر فى
العدل والانصاف وفى الحديث كما تكونون يولى عليكم احدكم يعنى ان تكونوا صالحين فيجعل واليكم رجلا صالحا
وان تكونوا طالحين فيجعل واليكم رجلا طالحا وروى ان موسى عليه السلام ناجى ربه فقال يارب ما علامة رضاك
من سخطك فاوحى اليه اذا استعملت على الناس خيارهم فهو علامة رضاى واذا استعملت شرارهم فهو
علامة سخطى ثم اعلم بان المراد باولى الامر فى الحقيقة المشايخ الواصلون ومن بيده امر التربية فان اولى امر
المريد شيخه فى التربية فينبغى للمريد ان كل وارد حق يدق باب قلبه او اشارة او الهام او واقعة تنبئ عن اعمال
او احوال فى حقه يضرب على محك نظر شيخه فما يرى فيه الشيخ من المصالح ويشير اليه او يحكم عليه يكون
منقاد الاوامره ونواهيه لانه اولوا امره واما الشيخ فاولوا امره الكتاب والسنة فينبغى له ان ما سنح له من الغيب
بوارد الحق من الكشوف والشواهد والاسرار والحقائق يضرب على محك الكتاب والسنة فان صدقاه ويحكمان
عليه فيقبله والا فلا لان الطريقة مقيدة بالكتاب والسنة كذا ذكره الشيخ الكامل نجم الدين الكبرى فى تأويلاته
(الم تر الى الذين يزعمون) اى يدعون والمراد بالزعم هنا الكذب لان الاية نزلت فى المنافقين (انهم آمنوا بما انزل
اليك) اى بالقرآن (وما انزل من قبلك) اى بالتوراة وغيرها من الكتب المنزلة وكأنه قيل ماذا يفعلون فقيل
(يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت) عن ابن عباس ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى النبى عليه
السلام لانه كان يقضى بالحق ولا يلتفت الى الرشوة ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف لانه كان شديد الرغبة
الى الرشوة واليهودى كان محقا والمنافق كان مبطلا ثم اصر اليهودى على قوله فاحتكما الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحكم لليهودى فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودى لعمر قضى لى رسول الله فلم يرض
بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاشتمل على سيفه
ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى مات وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت فهبط

جبرائيل عليه السلام وقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق فالطاغوت كعب بن الاشرف سمى به لافراطه فى الطغيان وعداوة الرسول وفى معناه ومن يحكم بالباطل ويؤثر لاجله (وقد امروا ان يكفروا به) اى والحال انهم قد امروا ان يتبرؤا من الطاغوت (ويريد الشيطان) اى كعب بن الاشرف او حقيقة الشيطان عطف على يريدون (ان يضلهم ضلالا بعيدا) اى اضلالا بعيدا لا غاية له فلا يهتدون (واذا قيل لهم) اى للمنافقين (تعالوا) اى جيئوا (الى ما انزل الله) اى الى ما امره فى كتابه (والى الرسول) والى ما امره رسوله (رأيت المنافقين) اظهار المنافقين فى مقام الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم به والاشعار بعلة الحكم والرؤية بصرية (يصدون عنك) حال من المنافقين (صدودا) اى يعرضون عنك اعراضا واى اعراض (فكيف) يكون حالهم وكيف يصنعون يعنى انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردونه (اذا اصابتهم مصيبة) اى وقت اصابة المصيبة اياهم بافتضاحهم بظهور نفاقهم (بما قدمت ايديهم) بسبب ما عملوا من الجنايات التى من جملتها التحاكم الى الطاغوت وعدم الرضى بحكم الرسول (ثم جاؤك) للاعتذار عما صنعوا من القبائح وهو عطف على اصابتهم (يحلفون بالله) حال من فاعل جاؤك (ان اردنا الا احسانا وتوفيقا) اى ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا سخطا لحكمك فلا تؤاخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغنى عنهم الاعتذار (اولئك) اى المنافقون (الذين يعلم الله ما فى قلوبهم) من النفاق فلا يغنى عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب (فاعرض عنهم) اى لا تقبل اعتذارهم ولا تفرج عنهم بدعائك (وعظهم) اى ازجرهم عن النفاق والكيد (وقل لهم فى انفسهم) اى فى حق انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على الشرور التى يعلمها الله تعالى او فى انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا بالنصيحة لانها فى السر انجع (قولا بليغا) مؤثرا واصلا الى كنه المراد مطابقا لما سيق له المقصود والقول البليغ بان يقول ان الله يعلم سركم وما فى قلوبكم فلا يغنى عنكم اخفاؤه فاصلحوا انفسكم وطهروا قلوبكم من رذيلة الكفر وداووها من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك وشرا من ذلك واغلظ عسى ان ينجع فيهم الموعظة (وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) اى وما ارسلنا رسولا من الرسل لشئ من الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى فى طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عنه تعالى وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم) وعرضوها للعذاب بترك طاعتك والتحاكم الى غيرك (جاؤك) تائبين من النفاق (فاستغفروا الله) بالتوبة والاخلاص (واستغفر لهم الرسول) بان يسأل الله ان يغفر لهم عند توبتهم فان قلت لو تابوا على وجه صحيح لقبلت توبتهم فما الفائدة فى ضم استغفار الرسول الى استغفارهم قلت التحاكم الى الطاغوت كان مخالفة لحكم الله وكان ايضا اساءة الى الرسول عليه السلام وادخالا للغم الى قلبه عليه السلام ومن كان ذنبه كذلك وجب عليه الاعتذار عن ذلك الغير (لوجدوا الله) لصادفوه حال كونه تعالى (توابا) مبالغا فى قبول التوبة (رحيما) مبالغا فى التفضل عليهم بالرحمة بدل من توابا (فلا) اى ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال (وربك لا يؤمنون حتى يحكموك) اى يجعلوك حكما يا محمد ويترافعوا اليك (فيما شجر بينهم) اى فيما اختلف بينهم من الامور واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه (ثم لا يجدوا) عطف على مقدر ينساق اليه الكلام اى فتقضى بينهم ثم لا يجدوا (فى انفسهم حرجا) ضيقا (مما قضيت) اى مما قضيت به يعنى يرضون بقضائك ولا تضيق صدورهم من حكمك (ويسلموا تسليما) وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم وفى هذه الآيات دلائل على ان من رد شيأ من اوامر الله واوامر الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خارج عن الاسلام سواء رده من جهة الشك او من جهة التمرد وذلك يوجب صحة ما ذهبت الصحابة اليه من الحكم بارتداد مانعى الزكاة وقتلهم وسبى ذراريهم فاتباع الرسول عليه السلام فرض عين فى الفرائض العينية وفرض كفاية فى الفروض على سبيل الكفاية وواجب فى الواجبات وسنة فى السنن وهكذا ومخالفته تزيل نعمة الاسلام * خلاف پيمبر كسى ره كزيد * كه هركز بمنزل نخواهد رسيد * فالنبى عليه السلام هو الدليل فى طريق الحق ومخالفة الدليل ضلالة (قال الحافظ) بكوى عشق منه بى دليل راه قدم * كه من بخويش نمودم صد اهتمام ونشد * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون

هواه تابعا لما جئت به وقال عليه السلام من ضيع سنتى اى جعلها ضائعة بعدم اتباعها حرمت عليه شفاعتى وقال صلى الله عليه وسلم من حفظ سنتى اكرمه الله تعالى باربع خصال المحبة فى قلوب البررة والهيبة فى قلوب الفجرة والسعة فى الرزق والثقة فى الدين فانما امته من اتبعه ولا يتبعه الا من اعرض عن الدنيا فانه عليه السلام ما دعى الا الى الله تعالى واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما اعرضت عنها واقبلت على الله وصرفت الاوقات لاعمال الآخرة فقد سلكت سبيله الذى سلكه وبقدر ذلك اتبعته وبقدر ما اتبعته صرت من امته ولو انصفنا لعلمنا اننا من حين نمسى الى حين نصبح لا نسعى الا فى الحظوظ العاجلة ولا نتحرك الا لاجل الدنيا الفانية ثم نطمع فى ان نكون غدا من امته واتباعه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليأتى على الناس زمان تخلق سنتى فيه وتتجدد فيه البدعة فمن اتبع سنتى يومئذ صار غريبا وبقى وحيدا ومن اتبع بدع الناس وجد خمسين صاحبا او اكثر فقال الصحابة يا رسول الله عليك السلام هل بعدنا احد افضل منا قال بلى قالوا افيرونك يا رسول الله قال لا قالوا فكيف يكونون فيها قال كالملح فى الماء تذوب قلوبهم كما يذوب الملح فى الماء قالوا فكيف يعيشون فى ذلك الزمان قال كالدود فى الخل قالوا فكيف يحفظون دينهم يا رسول الله قال كالفحم فى اليدان وضعته طفئ وان امسكته او عصرته احرق اليد وعن ابى نجيح العرباض بن سارية رضى الله عنه قال وعظنا رسول الله موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كانها موعظة مودع فاوصنا قال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تامر عليكم عبد وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة فعلى المؤمن ان يتبع سنة الرسول ويجتنب عن كل ما هو بدعة وضلالة ويصلح ظاهره بالشريعة وباطنه بالطريقة حتى ينال شفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ويتخلص من عذاب النار ويدخل الجنة مع الابرار فالمؤمن فى الآخرة فى الجنات كشجرة مثمرة لا تنفك عن البستان والمنافق فى الدركات كشجرة غير مثمرة تقلع عن البستان وتوقد بها النار (قال الفردوسى) درختى كه شيرين بود بار او * نكردد كسى كرد آزار او * وكر زانك شيرين نباشد برش * زپاى اندر آرند تا كه سرش * بماند بباغ آن ودر آتش اين * تو خواهى چنان باش وخواهى چنين (ولو انا كتبنا عليهم) اى اوجبنا او فرضنا على هؤلاء المنافقين (ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم) كما اوجبناه على بنى اسرائيل حين طلبوا التوبة من ذنوبهم (ما فعلوه) اى المكتوب المدلول عليه بكتبنا (الا قليل منهم) الا ناس قليل منهم وهم المخلصون (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به) من متابعة الرسول وطاعته والمشى تحت رايته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهرا وباطنا وسميت اوامر الله ونواهيه مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب (لكان) اى فعلهم ذلك (خيرا لهم) اى احمد عاقبة فى الدارين (واشد تثبيتا) لهم على الايمان وابعد من الاضطراب فيه (واذا) كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا (لآتيناهم من لدنا) من عندنا (اجرا عظيما) ثوابا كثيرا فى الآخرة لا ينقطع (ولهديناهم صراطا مستقيما) يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح لهم ابواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم واعلم ان قتل النفس فى الحقيقة قمع هواها التى هى حياتها وافناء صفاتها والخروج من الديار خروج من المقامات التى سكنت القلوب بها والفتها من الصبر والتوكل والرضى والتسليم وامثالها لكونها حاجبة عن التوحيد والفناء فى الذات كما قال الحسين بن منصور لابراهيم بن ادهم حين سأله عن حاله واجابه بقوله ادور فى الصحارى واطوف فى البرارى بحيث لا ماء ولا شجر ولا روض ولا مطر هل حالى فى التوكل ام لا فقال اذا افنيت عمرك فى عمران باطنك فاين الفناء فى التوحيد جان عارف دوست را طالب شده * نور حق با هستيش غالب شده * پرتو ذات از حجاب كبريا * كرده او را غرقهٔ بحر فنا * وعن ابراهيم بن ادهم قال دخلت جبل لبنان فاذا انا بشاب قائم وهو يقول يا من شوقى اليه وقلبى محب له ونفسى له خادم وكلى فناء فى ارادتك ومشيئتك فانت ولا غيرك متى تنجينى من هذه العذرة قلت رحمك الله ما علامة حب الله قال اشتهاء لقائه قلت فما علامة المشتاق قال لا له قرار ولا سكون فى ليل ونهار من شوقه الى ربه قلت فما علامة الفانى قال لا يعرف الصديق من العدو ولا الحلو من المر من فنائه عن رسمه ونفسه وجسمه قلت فما علامة الخادم قال انه يرفع قلبه وجوارحه وطمعه من ثواب الله (قال الحافظ) تو بندكى چو كدايان

بشرط مزدمکن * که دوست خود روش بنده پروری داند * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لايكونن احدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل وبالجملة انه لابد للسالك من
اقامة وظائف العبادات والاوراد فان الله اودع انوار الملكوت فى اصناف الطاعات فان من فاته صنف
اواعوزه من الموافقات جنس فقد من النور بمقدار ذلك وليس للوصول سبيل ولا الى الفناء دليل غير العبودية
وترك ما سوى الحق بشب حلاج راديدند درخواب * بريده سر بكف برجام جلاب * بدو كفتند
چون سر بريده * بكو تا چيست اين جام كزيده * چنين كفت اوكه سلطان نكونام * بدست
سر بريده ميدهد جام * كسى اين جام معنى ميكند نوش * كه كرد اول سر خود را فراموش * كما قيل
من لم يركب الاهوال لم ينل الاموال فيا ايها العبد الذى لا يفعل ما يوعظ به ولا يخاف من ربه كيف تركت
ما هو خير لك واعرضت عما ينفعك فليس لك الآن الا التوبة عما وقعك فى المعاصى والمنهيات والرجوع الى
الله بالطاعات والعبادات والفناء عن الذات بالاصغاء الى المرشد الرشيد الواصل الى سر التفريد وقبول امره
وعظته وتسليم النفس الى تربيته ودوام المراقبة فى الطريق ومن الله التوفيق (ومن يطع الله والرسول) والمراد
بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل بجميع الاوامر والنواهى روى ان ثوبان مولى رسول الله
اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بى من وجع غير انى اذا لم ارك اشتقت اليك
واستوحشت وحشة شديدة على لقائك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لانى عرفت انك ترفع مع
النبيين وان ادخلت الجنة كنت فى منزل دون منزلتك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله
عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين
(فاولئك) اشارة الى المطيعين (مع الذين انعم الله عليهم) اى اتم الله عليهم النعمة وهذا ترغيب للمؤمنين
فى الطاعة حيث وعدوا مرافقة اقرب عباد الى الله وارفعهم درجات عنده (من النبيين) بيان للمنعم عليهم وهم
الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل (والصديقين) المبالغين فى الصدق
والاخلاص فى الاقوال والافعال الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر فى الحجج والآيات واخرى بمعارج
التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هى عليها (والشهداء) الذين
ادى بهم الحرص على الطاعة والجد فى اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم فى اعلاء كلمة الله (والصالحين) الذين
صرفوا اعمارهم فى طاعته واموالهم فى مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد فى الدرجة لان التساوى بين
الفاضل والمفضول لا يجوز ولا مطلق الاشتراك فى دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم
من رؤية الآخر وزيارته متى اراد وان بعد ما بينهما من المسافة (وحسن اولئك رفيقا) فى معنى التعجب كانه قيل
وما احسن اولئك رفيقا اى النبيين ومن بعدهم ورفيقا تمييز وافراده لما انه كالصديق والخليط والرسول يستوى
فيه الواحد والمتعدد والرفيق الصاحب مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة فى المعاشرة قولا وفعلا
(ذلك الفضل) مبتدأ والفضل صفته وهو اشارة الى ما للمطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء
المنعم عليهم (من الله) خبره اى لا من غيره (وكفى بالله عليما) بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله
وهذه الآية عامة فى جميع المكلفين اذ خصوص السبب لا يقدح فى عموم اللفظ فكل من اطاع الله واطاع
الرسول فقد فاز بالدرجات والمراتب الشريفة عند الله تعالى روى عن بعض الصالحين انه قال اخذتنى ذات
ليلة سنة فنمت فرأيت فى منامى كأن القيامة قد قامت وكأن الناس يحاسبون فقوم يمضى بهم الى الجنة
وقوم يمضى بهم الى النار قال فاتيت الى الجنة فناديت يا اهل الجنة بماذا نلتم سكنى الجنان فى محل الرضوان
فقالوا لى بطاعة الرحمن ومخالفة الشيطان ثم اتيت الى باب النار فناديت يا اهل النار بماذا نلتم النار قالوا
بطاعة الشيطان ومخالفة الرحمن بكام سر برازيم ازين عاروتنك * كه با او بصلحيم وباحق بجنك * نظر
دوست نادر كند سوى تو * چو در روى دشمن بود روى تو * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتى
يدخلون الجنة الا من ابى قيل ومن ابى قال من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى فعلى المرء ان يتبع
الرسول ويتبع اولياء الله فان الانبياء الهمهم وحى الهى والاولياء الهمهم الهام ربانى والاتباع لهم لا يخلو عن
الاتباع الى الرسول قال عليه السلام المرء مع من احب فان احب الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين

كان معهم فى الجنة وفى الآية تنبيه على انه ينبغى للعبد ان لا يتأخر عن مرتبة الصلاح بل يسعى فى تكميل
الصلاح ثم يترقى الى مرتبة الشهادة ثم الى الصديقية وليس بين النبوة وبين الصديقية واسطة رزقنا الله واياكم
الفوز بهذا النعيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله
صديقا ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا واقل الصدق استواء السر والعلانية والصادق
من صدق فى اقواله والصديق من صدق فى جميع اقواله وافعاله واحواله وكان جعفر الخواص يقول الصادق
لا تراه الا فى فرض يؤديه او فضل يعمل فيه وثمرات الصدق كثيرة فمن بركاته فى الدنيا انه حكى عن ابى عمر الزجاجى
انه قال ماتت امى فورثت دارا فبعتها بخمسين دينارا وخرجت الى الحج فلما بلغت بابل استقبلنى واحد من
القافلة وقال اى شئ معك فقلت من نفسى الصدق خير ثم قلت خمسون دينارا فقال ناولنيها فناولته الصرة فحلها
فاذا هى خمسون وقال لى خذها فلقد اخذنى صدقك ثم نزل عن الدابة فقال اركبها فقلت لا اريد فقال لا والح
فركبتها فقال وانا على اثرك فلما كان العام القابل لحق بى ولازمنى حتى مات (قال الحافظ) بصدق كوش كه
خورشيد زايد از نفست * كه از دروغ سيه روى كشت صبح نخست * يعنى ان الصبح الكاذب تعقبه
الظلمة والصبح الصادق يعقبه النور فمن صدق فقد يرمنه النور (يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم) اى تيقظوا
واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر
آلته التى يقى بها نفسه ويعصم بها روحه (فانفروا) فاخرجوا الى جهاد العدو (ثبات) جماعات متفرقة سرية
بعد سرية الى جهات شتى وذلك اذا لم يخرج النبى عليه السلام جمع ثبة وهى جماعة من الرجال فوق العشرة
ومحلها النصب على الحالية (او انفروا جميعا) مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وذلك
اذا خرج النبى عليه السلام (وان منكم) خطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم المؤمنين والمنافقين
(لمن) الذى اقسم بالله (ليبطئن) ليتأخرن عن الغزو ويتخلفن متثاقلا من بطأ لازم بمعنى ابطأ او ليبطئن غيره
ويثبطه عن الجهاد وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن ابى وهو الذى ثبط الناس يوم احد والاول انسب
لما بعده وهو قوله تعالى حكاية يا ليتنى كنت معهم وبالجملة المراد بالمبطئين المنافقون من العسكر لانهم كانوا
يغزون نفاقا (فان اصابتكم مصيبة) نالتكم نكبة من الاعداء كقتل وهزيمة (قال) اى المبطئ فرحا بصنعه
وحامدا لرايه (قد انعم الله على) اى بالقعود والتخلف عن القتال (اذ لم اكن معهم شهيدا) اى حاضرا
فى المعركة فيصيبنى ما اصابهم (ولئن اصابكم فضل) كائن (من الله) كفتح وغنيمة (ليقولن) ندامة على تثبيطه
وقعوده وتهالكا على حطام الدنيا وتحسرا على فواته (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) اعتراض وسط بين الفعل
ومفعوله الذى هو (يا) قوم (ليتنى كنت معهم) فى تلك الغزوة (فافوز فوزا عظيما) اى آخذ حظا وافرا من
الغنيمة وانما وسطه بينهما للايذان من مطلع كلامه ان تمنيه معية المؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما يقتضيه
ما فى البين من المودة بل هو للحرص على المال كما ينطق به آخره وليس اثبات المودة فى البين بطريق التحقيق
بل بطريق التهكم (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) اى يبيعونها بها ويأخذون الآخرة
بدلها وهم المؤمنون فالفاء جواب شرط مقدر اى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون
انفسهم فى طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون فالفاء للتعقيب اى ليتركوا
ما كانوا عليه من التثبيط والنفاق والقعود بالقتال فى سبيل الله (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف
نؤتيه اجرا عظيما) لا يقادر قدره وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا فى القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله
على اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغى ان يثبت فى المعركة حتى يعز
نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة ولا يخطر بباله القسم الثالث اصلا وان لا يكون قصده بالذات الى القتل
بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكفل الله لمن جاهد فى سبيله لا يخرجه
الا جهاد فى سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من اجر وغنيمة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا المشركين باموالكم وانفسكم والسنتكم وذلك بان تدعوا عليهم
بالخذلان والهزيمة وللمسلمين بالنصر والغنيمة وتحرضوا القادرين على الغزو وفى الحديث من جهز غازيا فى سبيل
الله فقد غزا ومن خلف غازيا فى سبيل الله بخير فقد غزا اى كان خلفا لاهل بيته فى اقامة حوائجهم وتهيم

مصالحهم وفضائل الجهاد لاتكاد تضبط فعلى المؤمن ان يكون فى طاعة ربه باى وجه كان من الوجوه التعبدية فان الآية الاولى وهى قوله يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم الآية وان نزلت فى الحرب لكن يقتضى اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات ❋ مكن عمر ضايع بافسوس وحيف ❋ كه فرصت عزيزست والوقت سيف ❋ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال قبل ان تجيء فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا او يمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وعن الزبير بن عدى قال اتينا انس بن مالك فشكونا اليه مانلقى من الحجاج فقال اصبروا فانه لايأتى زمان الا والذى بعده اشد منه شرا حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم (قال الحافظ) روزى اكر غمى رسدت تنك دل مباش ❋ روشكر كن مباد كه ازبد بتر شود ❋ واعلم ان العدة والسلاح فى جهاد النفس والشيطان يعنى آلة قتالهما ذكر الله وبه يتخلص الانسان عن كونه اسير الهوى النفسانى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وعن ابى واقد الحرث بن عوف رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس فى المسجد والناس معه اذ اقبل ثلاثة نفر فاقبل اثنان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما احدهما فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها واما الآخر فجلس خلفهم واما الثالث فادبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم عن النفر الثلاثة اما احدهم فاوى الى الله فآواه الله واما الآخر فاستحيى فاستحيى الله منه واما الآخر فاعرض فاعرض الله عنه ❋ بذكرش هرچه بينى درخروشست ❋ دلى داند درين معنى كه كوشست ❋ نه بلبل بركلش تسبيح خوانيست ❋ كه هرخارى بتوحيدش زبانيست (وما لكم) اى اى شئ حصل لكم من العلل ايها المؤمنون حال كونكم (لا تقاتلون فى سبيل الله) اى تاركين القتال يعنى لا عذر لكم فى ترك المقاتلة وهذا استفهام بمعنى التوبيخ ولا يقال ذلك الا عند سبق التفريط (والمستضعفين) عطف على السبيل بحذف المضاف لا على اسم الله وان كان اقرب لان خلاص المستضعفين سبيل الله لا سبيلهم والمعنى فى سبيل الله وفى خلاص الذين استضعفهم الكفار بالتعذيب والاسر وهم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد وانما خصهم بالذكر مع ان سبيل الله عام فى كل خير لان تخليص ضعفة المسلمين من ايدى الكفار من اعظم الخير واخصه (من الرجال والنساء والولدان) بيان للمستضعفين والولدان الصبيان جمع ولد وانما ذكرهم معهم تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم فى دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم فى الاستسقاء ودلت الآية على ان استنقاذ الاسارى من المسلمين من ايدى الكفار واجب بما قدروا عليه من القتال واعطاء المال (الذين) صفة للمستضعفين (يقولون) يعنى لا حيلة لهؤلاء المستضعفين ولا ملجأ الا الله فيقولون داعين (ربنا اخرجنا من هذه القرية) مكة (الظالم اهلها) بالشرك الذى هو ظلم عظيم وباذية المسلمين (واجعل لنا من لدنك وليا) اى ولى علينا واليا من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا يحفظ علينا ديننا وشرعنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) ينصرنا على اعدائنا ولقد استجاب الله دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج الى المدينة قبل الفتح وجعل لمن بقى منهم الى الفتح خير ولى واعز ناصر ففتح مكة على يدى نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم اى تولية ونصرهم اى نصرة ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فجعل يضعف قدر الضعيف للحق ويعز العزيز بالحق فرأوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا حتى صاروا اعز اهلها (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله) اى المؤمنون انما يقاتلون فى دين الله الحق الموصل لهم الى الله عز وجل فى اعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة (والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) اى فيما يوصلهم الى الشيطان فلا ناصر لهم سواه (فقاتلوا اولياء الشيطان) كأنه قيل اذا كان الامر كذلك فقاتلوا يا اولياء الله اولياء الشيطان (ان كيد الشيطان) الكيد السعى فى فساد الحال على جهة الاحتيال (كان ضعيفا) اى ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله بالكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شئ واوهنه وهذا كما يقال للحق دولة

وللباطل جولة قالوا ادخال كان فى امثال هذه المواقع لتأكيد بيان انه منذ كان كان كذلك فالمعنى ان كيد الشيطان منذ كان كان موصوفا بالضعف قال الامام فى تفسيره ان كيد الشيطان كان ضعيفا لان الله ينصر اولياءه والشيطان ينصر اولياءه ولا شك ان نصرة الشيطان لاوليائه اضعف من نصرة الله لاوليائه الا ترى ان اهل الخير والدين يبقى ذكرهم الجميل على وجه الدهر وان كانوا حال حياتهم فى غاية الفقر والذلة واما الملوك والجبابرة فاذا ماتوا انقرضوا ولا يبقى فى الدنيا رسمهم ولا طللهم قيل النار حفت بالشهوات وان فى كل نفس شيطانا يوسوس اليها وملكا يلهمها الخير فلا يزال الشيطان يزين ويخدع ولا يزال الملك يمنعها ويلهمها الخير فايهما كانت النفس معه كان هو الغالب قيل ان كيد الشيطان والنفس بمثابة الكلب ان قاومته مزق الاهاب وقطع الثياب وان رجعت الى ربه صرفه عنك برفق فالله تعالى جعل الشيطان عدوا للعباد ليوحشهم به اليه وحرك عليهم النفس ليدوم اقبالهم عليه فكلما تسلطا عليهم رجعوا اليه بالافتقار وقاموا بين يديه على نعت اللجأ والاضطرار قال احمد بن سهل اعداؤك اربعة الدنيا وسلاحها لقاء الخلق وسجنها العزلة والشيطان وسلاحه الشبع وسجنه الجوع والنفس وسلاحها النوم وسجنها السهر والهوى وسلاحه الكلام وسجنه الصمت واعلم ان كيد الشيطان ضعيف فى الحقيقة فان الله ناصر لاوليائه كل حين ويظهر ذلك الامداد فى نفوسهم بسبب تزكيتهم النفس وتخلية القلب عن الشواغل الدنيوية وامتلاء اسرارهم بنور التوحيد فان الشيطان ظلمانى يهرب من النورانى لا محالة روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استأذن يوما على النبى عليه السلام وعنده نساء من قريش يسألنه ويستكثرنه عالية اصواتهن على صوته فلما دخل ابتدرن الحجاب فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك فقال ما اضحكك يا رسول الله بابى انت وامى فقال صلى الله عليه وسلم عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى فلما سمعن صوتك بادرن الحجاب فقال عمر انت احق ان يهبن يا رسول الله ثم اقبل عليهن فقال اى عدوات انفسهن اتهبننى ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن انت افظ واغلظ من رسول الله فقال عليه السلام يا ابن الخطاب فوالذى نفسى بيده مالقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وروى عن وهب بن منبه انه قال كان عابد فى بنى اسرائيل اراد الشيطان ان يضله فلم يستطع من اى جهة اراده من الشهوة والغضب وغير ذلك فاراده من قبل الخوف وجعل يدلى الصخرة من الجبل فاذا بلغه ذكر الله فتباعد عنه ثم تمثل بالحية وهو يصلى فجعل يلتوى على رجليه وجسده حتى يبلغ رأسه وكان اذا اراد السجود التوى فى موضع رأسه فجعل ينحيه بيده حتى يتمكن من السجود فلما فرغ من صلاته وذهب جاء اليه الشيطان فقال له فعلت لك كذا وكذا فلم استطع منك على شئ فاريد ان اصادقك اى ان اكون صديقا لك فانى لا اريد ضلالتك بعد اليوم فقال العابد مالى حاجة فى مصادقتك فقال الشيطان الا تسألنى باى شئ اضل بنى آدم قال نعم قال بالشح والحدة والسكر فان الانسان اذا كان شحيحا قللنا ماله فى عينه فيمنعه من حقوقه ورغب فى اموال الناس كريمانرا بدست اندر درم نيست ❋ خداوندان نعمت راكرم نيست ❋ وقيل فى بعض الاشعار ❋ باشد جوابر بى مطر وبحر بى كهر ❋ ازاكه باجمال نكو جود بار نيست ❋ واذا كان الرجل حديدا ادرناه بيننا كما تدير الصبيان الاكرة ولو كان يحيى الموتى لم نبال به اكر آيد زدوستى كنهى ❋ بكناهى نشايد آزردن ❋ ورزبان ابعذر بكشايد ❋ بايدت خشم رافروخردن ❋ زانكه نزديك عاقلان بترست ❋ عفو نا كردن ازكنه كردن ❋ واما اذا سكر قدناه الى كل شئ كما تقاد العنز باذنها مى مزيل عقل شداى ناخلف ❋ تابجندى مخورى در روزكار ❋ آدمى راعقل بايد دربدن ❋ ورنه جان دركالبد دارد حمار ❋ فعلى العاقل ان يجاهد فى سبيل الله فان المجاهدة على حقيقتها تقوى الروح الضعيف الذى استضعفه النفس بالاستيلاء عليه ويتضرع الى الله بالصدق والثبات حتى يخرج من قرية البدن الظالم اهلها وهو النفس الامارة بالسوء ويتشرف بولاية الله تعالى فى مقام الروح رزقنا الله واياكم فتح باب الفتوح والتذوق بنعيم القلب آمين يا ميسر كل عسير (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم) روى ان ناسا اتوا النبى صلى الله عليه وسلم بمكة قبل ان يهاجر الى المدينة وشكوا اليه ما يلقون من اذى المشركين قالوا كنا فى عز فى حالة الجاهلية والآن صرنا اذلة فلو اذنت لنا قتلنا هؤلاء المشركين على فرشهم فقال صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم اى امسكوا عن القتال (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) واشتغلوا بما امرتم به فانى لم اومر

بقتالهم وكانوا فى مدة اقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة فلما هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
المدينة وامروا بالقتال فى وقت بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شكا فى الدين ولا رغبة عنه بل نفورا
عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة البشرية لان حب الحياة والنفرة عن القتل من لوازم
الطباع وذلك قوله تعالى (فلما كتب عليهم القتال) اى فرض عليهم الجهاد (اذا فريق) اذا للمفاجأة وفريق
مبتدأ (منهم) صفته (يخشون الناس) خبره والجملة جواب لما اى فاجاء فريق منهم ان يخشوا الكفار
ان يقتلوهم (كخشية الله) مصدر مضاف الى المفعول محله النصب على انه حال من فاعل يخشون اى يخشونهم
كخشية بعضهم متشبهين باهل خشية الله تعالى (او اشد خشية) عطف عليه بمعنى او اشد خشية من اهل
خشية الله وكلمة او للتنويع على معنى ان خشية بعضهم كخشية الله وخشية بعضهم اشد منها (وقالوا) عطف
على جواب لما اى فلما كتب عليهم القتال فاجأ فريق منهم خشية الناس وقالوا (ربنا لم كتبت علينا القتال)
فى هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والانكار لايجابه بل على طريقة تمنى التخفيف
(لولا اخرتنا الى اجل قريب) اى هلا امهلتنا وتركتنا الى الموت حتى نموت باجالنا على الفراش وهذا استزادة
فى مدة الكف واستمهال الى وقت آخر حذرا عن الموت وحبا للحياة (قل) اى تزهيدا لهم فيما يؤملونه بالقعود
من المتاع الفانى وترغيبا فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقى (متاع الدنيا قليل) اى ما يتمتع وينتفع به
فى الدنيا سريع النقض وشيك الانصرام وان اخرتم الى ذلك الاجل ولو استشهدتم فى القتال صرتم احياء فتتصل
الحياة الفانية بالحياة الباقية (والآخرة) اى ثوابها الذى من جملته الثواب المنوط بالقتال (خير) لكم من ذلك
المتاع القليل لكثرته وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات وانما قيل (لمن اتقى) حثا لهم على اتقاء العصيان
والاخلاص بمواجب التكليف (ولا تظلمون فتيلا) عطف على مقدر اى تجزون ولا تنقصون ادنى شئ من
اجور اعمالكم التى من جملتها مسعاتكم فى شأن القتال فلا ترغبوا عنه اعلم ان الآخرة خير من الدنيا لان نعم الدنيا
قليلة ونعم الآخرة كثيرة ونعم الدنيا منقطعة ونعم الآخرة مؤبدة ونعم الدنيا مشوبة بالهموم والغموم والمكاره
ونعم الآخرة صافية عن الكدورات ونعم الدنيا مشكوكة فان اعظم الناس تنعما لا يعرف انه كيف تكون عاقبته
فى اليوم الثانى ونعم الاخرة يقينية فعلى العاقل ان يختار ما هو خير من كل وجه وهو الآخرة على ما هو شر من
كل جهة وهو الدنيا (قال السعدى فى بعض قصائده) عمارت با سراى دبكر انداز ✻ كه دنيارا اساسى
نيست محكم ✻ فريدون را سرآمد باد شاهى ✻ سليمان را برفت ازدست خاتم ✻ وفادارى مجوى
ازدهر خونخوار ✻ محالست انكبين دركام ارقم ✻ مثال عمر سر بركرده شمعيست ✻ كه كوته
بازمى باشد دمادم ✻ ويا برفى كذاران بر سركوه ✻ كزو هر لحظه جزئى ميشود كم ✻ روى ان رجلا
اشترى دارا فقال لعلى رضى الله عنه اكتب القبالة فكتب بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد اشترى مغرور من
مغرور دارا دخل فيها فى سكة الغافلين لا بقاء لصاحبها فيها الحد الاول ينتهى الى الموت والثانى الى القبر والثالث
الى الحشر والرابع الى الجنة او الى النار والسلام فقرأ على الرجل فرد الدار وتصدق بالدنانير كلها وتزهد فى الدنيا
فهذا هو حال العارفين حقيقة الحال قال القشيرى رحمه الله مكنك من الدنيا ثم قللها فلم يعدها لك شيأ
ثم لو تصدقت منها بشق تمرة استكثر منك وهذا غاية الكرم وشرط المحبة وهو استقلال الكثير من نفسه واستكثار
القليل من حبيبه واذا كان قيمة الدنيا قليلة فاخس من الخسيس من رضى بالخسيس بدلا من النفيس وقال ان
الله تعالى اختطف المؤمن من الكون بالتدريج فقال اولا قل متاع الدنيا قليل فاختطفهم عن الدنيا بالعقبى
ثم استلبهم عن الكونين بقوله والله خير وابقى فلا بد للسالك ان يترقى الى اعلى المنازل ويسعى من غير فتور وكلال
(قال مولانا جلال الدين) اى برادر بى نهايت دركهيست ✻ هر كجا كه مى رسى بالله مايست ✻ وثمرة
المجاهدة لا تضيع البتة بل تجزى كل نفس بما عملت قال بعض المشايخ انما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء
عباده المؤمنين لان هذه الدار لا تسع ما يريد ان يعطيهم ظاهرا وباطنا وكل ما فى الجنة لا يوافق ما فى الدنيا
الا من حيث التسمية ولانه تعالى اجل اقدارهم عن ان يجازيهم فى دار لا بقاء لها قال تعالى وما عند الله خير
وابقى ثم الجزاء فى تلك الدار له علامة فى هذه الدار وهى انه من وجد ثمرة عمله عاجلا وهى الحلاوة فيه والتوفيق
لغيره والشكر عليه فهو دليل على وجود القبول لان الجزاء على ذلك مقصور قال ابراهيم بن ادهم لو يعلم الملوك

ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف وقال بعضهم ليس شئ من البر الا ودونه عقبة يحتاج الى الصبر فيها فمن صبر
على شدتها افضى الى الراحة والسهولة وانما هى مجاهدة النفس ثم مخالفة الهوى ثم المكابدة فى ترك الدنيا ثم اللذة
والتنعم وانما يطيع العبد ربه على قدر منزلته منه فمن سره ان يعرف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله فى قلبه
وقيل لبعضهم هل تعرف الله فغضب وقال ترانى اعبد من لا اعرف فقال له السائل اوتعصى من تعرف
(قال السعدى) عمرى كه ميرود بهمه حال سعى كن ✻ نادر رضاى خالق بيجون بسر برى ✻ وقال ايضا
پيربودى وره ندانستى ✻ تونه پيرى كه طفل كتابى (اينما تكونوا يدرككم الموت) المقدر بالاجل
او العذاب وفى لفظ الادراك اشعار بانهم فى الهرب منه وهو مجد فى طلبهم وهو كلام مبتدأ لا محل له من الاعراب
(ولو كنتم فى بروج مشيدة) اى وان كنتم فى قصور عالية الى السماء محكمة بالشيد وهو الجص لا يصعد عليها
بنو آدم قال مجاهد فى هذه الاية كان فيمن قبلكم امرأة وكان لها اجير فولدت جارية فقالت لاجيرها اقتبس
لنا نارا فخرج فوجد بالباب رجلا فقال له الرجل ما ولدت هذه المرأة قال جارية قال اما هذه الجارية لا تموت
حتى تزنى بمائة ويتزوجها اجيرها ويكون موتها بالعنكبوت فقال الاجير فى نفسه فانا اريد هذه بعد ان تفجر
بمائة لاقتلنها فاخذ شفرة فدخل فشق بطن الصغيرة وخرج على وجهه وركب البحر وخيط بطن الصبية
فعولجت وبرئت وشبت فكانت تزنى فاتت ساحلا من ساحل البحر فاقامت عليه تزنى ولبث الرجل ما شاء الله
ثم قدم ذلك الساحل ومعه مال كثير فقال لامرأة من اهل الساحل اطلبى لى امرأة من اجمل النساء اتزوجها
فقالت ههنا امرأة من اجمل النساء ولكنها تفجر فقال ائتينى بها فاتتها فقالت قد قدم رجل له مال كثير
وقال لى كذا وكذا فقالت انى تركت الفجور ولكن ان اراد ان يتزوجنى تزوجته قال فتزوجها فوقعت منه
موقعا فبينما هو يوما عندها اذ اخبرها بامره فقالت انا تلك الجارية وارته الشق فى بطنها وقد كنت افجر
فما ادرى بمائة او اقل او اكثر فقال زوجها فى نفسه ان الرجل الذى كان خارج الباب قال يكون موتها
بالعنكبوت ثم اخبرها بذلك قال فبنى لها برجا فى الصحراء وشيده فبينما هى يوما فى ذلك البرج اذا عنكبوت
فى السقف فقالت هذا يقتلنى لا قتلنه اذ لا يقتله احد غيرى فحركته فسقط فاتته فوضعت ابهام رجلها عليه
فشدخته فساح سمه بين ظفرها واللحم فاسودت رجلها فماتت وفى ذلك نزلت هذه الاية اينما تكونوا يدرككم
الموت واجمعت الامة على ان الموت ليس له سن معلوم ولا اجل معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء
على اهبة من ذلك مستعدا لذلك قال عليه السلام اكثروا ذكر هادم اللذات يعنى الموت وهو كلام مختصر وجيز
قد جمع التذكرة وابلغ فى الموعظة فان من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه اللذة الحاضرة ومنعه من تمنيها
فى المستقبل وزهده فيما كان منها يؤمل ولكن النفوس الراكدة والقلوب الغافلة تحتاج الى تطويل الوعاظ
وتزويق الالفاظ والا ففى قوله عليه السلام اكثروا ذكر هادم اللذات مع قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت
ما يكفى السامع ويشغل الناظر فيه (قال الحافظ) سپهر برشده پرويزنست خون افشان ✻ كه ريزه اش
سر كسرى وتاج پرويزست (قال السعدى) جهان اى پسر ملك جاويد نيست ✻ ز دنيا وفادارى
اميد نيست ✻ نه بر باد رفتى سحركاه وشام ✻ سرير سليمان عليه السلام ✻ باخر نديدى كه بر باد رفت ✻
خنك آنكه با دانش وداد رفت ✻ والاشارة فى الاية ان يا اهل البطالة فى زى الطلبة الذين غلب عليكم
الهوى وحبب اليكم الدنيا فاقعدكم عن طلب المولى ثم رضيتم بالحياة الدنيا واطمأننتم بها اينما تكونوا يدرككم
الموت اضطرارا ان لم تموتوا قبل ان تموتوا اختيارا ولو كنتم فى بروج مشيدة اى اجساد مجسمة قوية امزجتها
اوصلنا الله واياكم الى حقيقة الفناء والبقاء امين (وان تصبهم حسنة) اى نعمة كخصب (يقولوا هذه من
عند الله) نسبوها الى الله (وان تصبهم سيئة) بلية كقحط (يقولوا هذه من عندك) اضافوها اليك يا محمد وقالوا
ان هى الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها (قل كل) من الحسنة
والسيئة (من عند الله) يبسط ويقبض حسب ارادته (فما لهؤلاء القوم) اى اى شئ حصل لليهود والمنافقين
من العلل حال كونهم (لا يكادون يفقهون حديثا) اى لا يقربون من فهم حديث عن الله تعالى كالبهائم
ولو فهموا لعلموا ان الكل من عند الله والفقه هو الفهم ثم اختص من جهة العرف بعلم الفتوى (ما اصابك)
يا انسان (من حسنة) من خير ونعمة (فمن الله) تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة

الوجود فكيف يقتضى غيره ولذلك قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته (وما اصابك من سيئة) من بلية وشئ تكرهه (فمن نفسك) لانها السبب فيها لاستجلابها المعاصى وهو لا ينافى قوله كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضى الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يغفر الله اكثر واعلم ان للاعمال اربع مراتب منها مرتبتان لله تعالى وليس للعبد فيهما مدخل وهما التقدير والخلق ومنها مرتبتان للعبد وهما الكسب والفعل فان الله تعالى منزه عن الكسب وفعل السيئة وانهما يتعلقان بالعبد ولكن العبد وكسبه مخلوق خلقه الله تعالى كما قال والله خلقكم وما تعملون فهذا تحقيق قوله قل كل من عند الله اى خلقا وتقديرا لا كسبا وفعلا فافهم واعتقد فانه مذهب اهل الحق وارباب الحقيقة كذا فى التأويلات النجمية قال الضحاك ما حفظ الرجل القرءآن ثم نسيه الا بذنب ثم قرأ وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم قال فنسيان القرءآن من اعظم المصائب (وارسلناك للناس رسولا) اى رسولا للناس جميعا لست برسول للعرب وحدهم بل انت رسول العرب والعجم كقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس فرسولا حال قصد بها تعميم الرسالة والجار متعلق بها قدم عليها للاختصاص (وكفى بالله شهيدا) على رسالتك بنصب المعجزات وفى التأويلات النجمية يشير بقوله تعالى وارسلناك للناس رسولا اى الناس الذين قد نسوا الله ونسوا ما شاهدوا منه وما عاهدوا عليه الله وارسلناك اليهم لتبلغهم كلامنا وتذكرهم ايامنا وتجدد لهم عهودنا وترغبهم فى شهودنا وتدعوهم الينا وتهديهم الى صراطنا وتكون لهم سراجا منيرا يهتدون بهداك ويتبعون خطاك الى ان توصلهم الى الدرجات العلى وتنزلهم فى المقصد الاعلى وكفى بالله شهيدا اى شاهدا لاحبائه واوليائه لئلا يكتفوا براحة دون لقائه انتهى (قال الحافظ) يوسف عزيزم رفت اى برادران رحمى * كز غمش عجب ديدم حال پير كنعانى * وفى الآية تعليم الادب ورؤية التأثير من الله تعالى روى ان ابا بكر رضى الله عنه ابتلى بوجع السن سبع سنين فاعلمه جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأل عليه السلام عن حاله فقال لم تذكر يا ابا بكر فقال كيف اشكو مما جاء من الحبيب فلا بد من التخلق بالاخلاق الحسنة لان الكل من عند الله وانما ارسل الله رسوله لاخراج الناس من الظلمات الى النور فاذا تأدبوا بالآداب النبوية وصلوا الى الحقيقة المحمدية (قال الشيخ العطار) دعوتش فرمود بهر خاص وعام * نعمت خودرا بروكرده تمام * مبعث او سر نكونى بتان * امت او بهترين امتان * برميان دو كتف خورشيد وار * داشته مهر نبوت آشكار * وكان خاتم النبوة بين كتفيه صلى الله عليه وسلم اشارة الى عصمته من وسوسة الشيطان لان الخناس يجيء من بين الكتفين فيدخل خرطومه قبل قلب الانسان فيوسوس اليه فاذا ذكر الله خنس وراءه وكان حول خاتم النبوة شعرات مائل الى الخضرة مكتوب عليه محمد نبى امين وقيل غير ذلك والتوفيق بين الروايات بتعدد الخطوط وتنوعها بحسب الحالات والتجليات او بالنسبة الى انظار الناظرين ثم انه قد اتفق اهل العلم على افضلية شهر رمضان لانه انزل فيه القرءآن ثم شهر ربيع الاول لانه مولد حبيب الرحمن واما افضل الليالى فقيل ليلة القدر لنزول القرءآن فيها وقيل ليلة المولد المحمدى لولاه ما انزل القرءآن ولا تعينت ليلة القدر فعلى الامة تعظيم شهر المولد وليلته كى ينالوا منه شفاعته ويصلوا الى جواره (من يطع الرسول فقد اطاع الله) لانه فى الحقيقة مبلغ والآمر هو الله تعالى روى انه عليه السلام قال من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت (ومن تولى) اى اعرض عن طاعته (فما ارسلناك عليهم حفيظا) تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب قوله حفيظا حال من كاف ارسلناك وعليهم متعلق بحفيظا (ويقولون) اظاهرتهم بامر (طاعة) اى امرنا وشأننا طاعة (فاذا برزوا من عندك) اى خرجوا (بيت طائفة منهم غير الذى تقول) اى زورت خلاف ما قلت لها يا محمد فالضمير للخطاب او ما قالت لك من ضمان الطاعة فالضمير للغيبة واشتقاق البيت من البيتوتة ولما كان غالب الافكار التى يستقصى فيه الانسان واقعا فى الليل اذ هناك يكون الخاطر اصفى والشواغل اقل سمى الفكر المستقصى مبيتا (والله يكتب ما يبيتون) يثبته فى صحائف اعمالهم للمجازاة (فاعرض عنهم) قال المبالاة بهم (وتوكل على الله) فى الامور كلها سيما فى شأنهم (وكفى بالله وكيلا)

يكفيك

يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوى امر الاسلام وعز انصاره والوكيل هو العالم بما يفوض اليه من التدبير (افلا يتدبرون القرءآن) يتأملون فى معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر فى ادبار الشئ وما يؤول اليه فى عاقبته ومنتهاه ثم استعمل فى كل تأمل (ولو كان من عند غير الله) اى ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية وهل يجوز ان يقال بعض كلام الله ابلغ من بعض قال الامام السيوطى فى الاتقان جوزه قوم لقصور نظرهم فينبغى ان يعلم ان معنى قول القائل هذا الكلام ابلغ من هذا الكلام ان هذا فى موضعه له حسن ولطف وبلاغة وذاك فى موضعه له حسن ولطف وهذا الحسن فى موضعه اكمل وابلغ من ذلك فى موضعه فلا ينبغى ان يقال ان قل هو الله احد ابلغ من تبت بل ينبغى ان يقال تبت يدا ابى لهب دعاء عليه بالخسران فهل توجد عبارة للدعاء بالخسران احسن من هذه وكذلك فى قل هو الله احد لا توجد عبارة تدل على وحدانيته ابلغ منها فالعالم اذا نظر الى تبت يدا ابى لهب فى باب الدعاء بالخسران ونظر الى قل هو الله احد فى باب التوحيد لا يمكنه ان يقول احدهما ابلغ من الآخر وقال بعض المحققين كلام الله فى الله افضل من كلامه فى غيره فقل هو الله احد افضل من تبت يدا ابى لهب لانه فيه فضيلة الذكر وهو كلام الله وفضيلة المذكور وهو اسم ذاته وتوحيده وصفاته الايجابية والسلبية وسورة تبت فيها فضيلة الذكر فقط وهو كلام الله تعالى قال الغزالى فى جوهر القرءآن ومن توقف فى تفضيل الآيات اول قوله عليه السلام افضل سورة واعظم سورة اراد فى الاجر والثواب لا ان بعض القرءآن افضل من بعض فالكل فى فضل الكلام واحد والتفاوت فى الاجر لا فى كلام الله تعالى من حيث هو كلام الله القديم القائم بذاته تعالى انتهى يقول الفقير جامع هذه المجالس النفيسة قولهم ان هذه الآية فى غاية الفصاحة كما قال القاضى عند قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعى ماءك الآية يشعر بجواز القول بالتفاوت فى طبقات الفصاحة كما عليه علماء البلاغة ومن هنا (قال من قال) در بيان ودر فصاحت كى بود يكسان سخن * كرچه كوينده بود چون جاحظ وچون اصمعى * در كلام ايزدى بيچون كه وحى منزلست * كى بود تبت يدا مانند يا ارض ابلعى * قال العلماء القرءآن يدل على صدقه عليه السلام من ثلاثة اوجه احدها اطراد الفاظه فى الفصاحة وثانيها اشتماله على الاخبار عن الغيوب والثالث سلامته عن الاختلاف وسبب سلامته عنه على ما ذهب اليه اكثر المتكلمين ان القرءآن كتاب كبير مشتمل على انواع كثيرة من العلوم فلو كان ذلك من عند غير الله لوقع فيه انواع من الكلمات المتناقضة لان الكتاب الكبير الطويل لا ينفك عن ذلك ولما لم يوجد فيه ذلك علمنا انه ليس من عند غير الله وانما هو وحى اوحى اليه عليه السلام من عند الله بواسطة جبرائيل فمن اطاعه فيه فقد اطاع الله والاطاعة سبب لنيل المطالب الدنيوية والاخروية ويرشدك على شرف الاطاعة ان كلب اصحاب الكهف لما تبعهم فى طاعة الله وعده دخول الجنة (كما قال السعدى) سك اصحاب كهف روزى چند * پى مردم كرفت ومردم شد * فاذا كان من تبع المطيعين كذلك فما ظنك بالمطيعين وكما ان من صلى ولم يؤد الزكاة لم تقبل منه الصلاة ومن شكر الله فى نعمائه ولم يشكر الوالدين لا يقبل منه فكذلك من اطاع الله ولم يطع الرسول لا يقبل منه والاشارة ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان لو صفه بالفناء فانيا فى الله باقيا بالله قائما مع الله فكان خليفة الله على الحقيقة فيما يعامل الخلق حتى قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وكان الله خليفته فيما يعامله الخلق حتى قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولهذا كان يقول صلى الله عليه وسلم الله خليفتى على امتى فمن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا فانك لست لك حافظا فكيف لهم فانهم تولوا عنى لا عنك فانما على حسابهم لا عليك وفى قوله تعالى ويقولون طاعة اشارة الى احوال اكثر مريدى هذا الزمان اذا كانوا حاضرين فى الصحبة ينعكس تلألؤ اشعة انوار الولاية فى مرءآة قلوبهم فيزدادون ايمانا مع ايمانهم وارادة مع ارادتهم فيصغون باذانهم الواعية الى الحكم والمواعظ الحسنة ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ويقولون السمع والطاعة فيما يسمعون ويخاطبون به فاذا برزوا من عندك ذهب بهم رياح الهوى وشهوة الحرص وتمايلت قلوبهم عن مجازات القرار على الولاية وعاد المشئوم الى طبعه بيت طائفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون اى يغير عليهم ما يغيرون

على انفسهم لان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فاعرض عنهم فاصفح عنهم واصبر معهم وتوكل على الله
ان الله يصلح بالهم ولا يجعل التغيير وبالهم ويحسن عاقبتهم ومالهم وكفى بالله وكيلا للمتوكلين عليه والملتجئين
اليه ثم اخبر عن الدوآء كما اخبر عن الدآء بقوله افلا يتدبرون القرءآن والاشارة ان العباد لو كانوا يتدبرون القرءآن
ويتفكرون فى آثار معجزاته وانوار هداياته ونظم آياته وكمال فصاحته وجمال بلاغته وجزالة الفاظه ورزانة معانيه
ومتانة مبانيه وفى اسراره وحقائقه ودقة اشاراته ولطائفه وانواع معالجاته لامراض القلوب من اصابة ضرر
الذنوب لوجدوا فيه لكل دآء دوآء ولكل مرض شفاء ولكل عين قرة ولكل وجه غرة ولرأوا كأسه موصوفا
بالصفاء محفوظا عن القذر بحرا لا تنقضى عجائبه وبرا لا تنتهى غرائبه روحا لا تناغض فيه ولا خلاف وجنة
لا تناقض فيها ولا اختلاف ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولم يجدوا فيه نقيرا وقطميرا التحتة
من التأويلات النجمية (وفى المثنوى) چون تو در قرآن حق بكريختى * با روان انبيا آميختى * هست قرآن
حالهاى انبيا * ماهيان بحر پاك كبريا * ور بخوانى ونه قرءآن پذير * انبيا واوليا را ديده كير (واذا جاءهم)
اى بلغ ضعفة المسلمين (امر من الامن او الخوف) اى خبر من السرايا الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ظفر وغنيمة اونكبة وهزيمة (اذاعوا به) اى افشوا ذلك الخبر واظهروه لعدم خبرتهم بالاحوال واستنباطهم
للامور وكانت اذاعتهم مفسدة يقال اذاع السر واذاع به والباء مزيدة (ولو ردوه) اى ذلك الخبر (الى الرسول والى
اولى الامر منهم) بترك التعرض له وجعله بمنزلة غير المسموع وتفويض امره الى رأى الرسول صلى الله عليه وسلم
ورأى كبار اصحابه كالخلفاء الاربعة اورأى امرآء السرايا وكبار الصحابة اولوا امر على معنى انهم البصرآء بالامور
وان لم يكن لهم امر على الناس والامرآء اولوا الامر على الناس مع كونهم بصرآء بالامور (لعلمه) اى لعلم تدبير
ما اخبروا به على اى وجه يذكرونه (الذين) اى الرسول واولوا الامر الذين (يستنبطونه منهم) اى يستخرجون
تدبيره بتجاربهم وانظارهم الصحيحة ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء
يخرج من البئر اول ما تحفر يقال انبط الحفار اذا بلغ الماء وسمى القوم الذين ينزلون بالبطايح بين العراقين
نبطا لاستنباطهم الماء من الارض وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولى الامر على امن
ووثوق بالظهور على بعض الاعدآء او على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعدآء فتعود اذاعتهم
مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلمه الذين يستنبطون
تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون منه فالمراد بالمستنبطين منهم على كلا الوجهين الرسول واولوا الامر
ومن فى قوله يستنبطونه منهم اما تبعيضية واما بيانية تجريدية وفى الآية نهى عن افشاء السر قيل لبعض الادباء
كيف حفظك للسر قال انا قبره ومن هذا قيل صدور الابرار قبور الاسرار (وفى المثنوى) ور بكويى با يكى
دو الوداع * كل سر جاوز الاثنين شاع * نكته كان جست ناكه از زبان * همچو تيرى دان كه
جست آن از كمان * وآن كرده از ره آن تير اى پسر * بند بايد كرد سيلى را ز سر * وفى الآية اشارة الى
ارباب السلوك اذا فتح لهم باب من الانس او الهيبة او الحضور او الغيبة من آثار صفات الجمال والجلال اشاعوه
الى الاغيار ولو كان رجوعهم فى حل هذه المشكلات الى سنن الرسول صلى الله عليه وسلم والى سير اولى الامر
منهم وهم المشايخ البالغون الواصلون ومن كان له شيخ كامل فهو ولى امره لعلمه الذين يستنبطونه منهم وهم
ارباب الكشوف بحقائق الاشياء فهم الغواصون فى بحار اوصاف البشرية المستخرجون من اصداف العلوم
درر حقائق المعرفة (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بارسال الرسول وانزال الكتاب (لاتبعتم الشيطان)
بالكفر والضلال (الا قليلا) اى الا قليلا منكم فان من خصه الله بعقل راجح وقلب غير متكدر بالانهماك فى اتباع
الشهوات يهتدى الى الحق والصواب ولا يتبع الشيطان ولا يكفر بالله وان فرض عدم انزال القرءآن وبعثة
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهما ممن كان على دين المسيح قبل بعثته
وقال الشيخ نجم الدين قدس سره فى تأويلاته لعل الاستثناء راجع الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه فانه كان
قبل مبعث النبى عليه السلام يوافقه فى طلب الحق قالت عائشة رضى الله عنها لم اعقل ابوى قط الا وهما يدينان
الدين ولم يمر علينا يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشيا وروى عن النبى عليه
السلام كنت وابو بكر كفرسى رهان سبقته فتبعنى ولو سبقنى لتبعته وفى الحقيقة كان النبى عليه السلام فضل الله

ورحمته يدل عليه قوله تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو الى قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
وقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلولا وجود النبى عليه السلام وبعثته لبقوا فى تيه الضلالة تائهين
كما قال تعالى ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين يعنى قبل بعثته وكانوا
قد اتبعوا الشيطان الى شفا حفرة من النار وكان عليه السلام فضلا ورحمة عليهم فانقذهم منها كما قال
تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها (قال الشيخ العطار قدس سره) خويشتن را خواجه
عرصات كفت * انما انا رحمة مهداة كفت * (وقال حضرة الهدايى قدس سره) سرمايهٔ سعادت
عالم محمد است * مقصود از ين طينت آدم محمد است * در صورت آدم آمد اكر چه مقدما *
در معنى پيشوا و مقدم محمد است * كرچه هدايى رسالت مكرم است * محبوب حق محمد و خاتم محمد است *
قال بعض الحكماء ان الله تعالى خلق محمدا صلى الله عليه وسلم فجعل رأسه من البركة وعينيه من الحياء واذنيه
من العبرة ولسانه من الذكر وشفتيه من التسبيح ووجهه من الرضى وصدره من الاخلاص وقلبه من الرحمة
وفؤاده من الشفقة وكفيه من السخاوة وشعره من نبات الجنة وريقه من عسل الجنة فلما اكمله بهذه الصفة ارسله
الى هذه الامة فقال هذا هديتى اليكم فاعرفوا قدر هديتى وعظموه كذا فى زهرة الرياض وقيل فى وجه عدم
ارتحال جسده الشريف النظيف من الدنيا مع ان عيسى عليه السلام قد عرج الى السماء بجسده انه انما بقى
جسمه الطاهر هنا لاصلاح عالم الاجساد وانتظامه فانه مظهر الذات وطلسم الكائنات فجميع الانتظام
بوجوده الشريف كذا فى الواقعات المحمودية نقلا عن حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس الله سره
آمين آمين يا رب العالمين (فقاتل فى سبيل الله) الفاء جزائية والجملة جواب لشرط مقدر اى ان تثبط المنافقون
وقصر الآخرون وتركوك وحدك فقاتل انت يا محمد وحدك فى الطريق الموصل الى رضى الله وهو الجهاد ولا تبال
بما فعلوا (لا تكلف الا نفسك) مفعول ثان للفعل المخاطب المجهول اى الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم
وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود والتكلف اسم لما يفعل بمشقة
او بتصنع فالمحمود منه ما فعل بمشقة حتى الف ففعل بمحبة كالعبادات والمذموم منه ما يتعاطى تصنعا ورياء
(وحرض المؤمنين) على القتال اى رغبهم فيه بذكر الثواب والعقاب او بوعد النصرة والغنيمة وما عليك فى شأنهم
الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد ابا سفيان بعد حرب احد موسم
بدر الصغرى فى ذى القعدة وهى سوق من المدينة على ثمانية اميال وبقال لها حمرآء الاسد ايضا فلما بلغ الميعاد
دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله هذه الآية فخرج صلى الله عليه وسلم فى سبعين راكبا فكفاهم
الله القتال كما قال (عسى الله ان يكف) اى يمنع (بأس الذين كفروا) البأس فى الاصل المكروه ثم وضع
موضع الحرب والقتال قال تعالى لا يأتون البأس الا قليلا وعسى من الله واجب لانه فى اللغة الاطماع والكريم
اذا اطمع انجز وقد فعل حيث القى فى قلوب الكفرة الرعب حتى رجعوا من مر الظهران ويروى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وافى بجيشه بدرا واقام بها ثمانى ليال وكان معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا
وقد مر فى سورة آل عمران (والله اشد بأسا) اى من قريش (واشد تنكيلا) اى تعذيبا وعقوبة ينكل من
يشاهدها عن مباشرة ما يؤدى اليها ويجوز ان يكونا جميعا فى الدنيا وان يكون احدهما فى الدنيا والآخر
فى العقبى ثم له ثلاثة اوجه احدها ان معناه ان عذاب الله تعالى اشد من جميع ما ينالكم بقتالهم لان مكروههم
ينقطع ثم تصيرون الى الجنة وما يصل الى الكفار والمنافقين من عذاب الله يدوم ولا ينقطع والثانى لما كان عذاب
الله اشد فهو اولى ان يخاف ولا يجرى فى امره بالقتال منكم خلاف وهذا وعيد والثالث لما كان عذاب الله
اشد فهو يدفعهم عنكم ويكفيكم امرهم وهذا وعد وانما جبن المتقاعدون لشدة بأس الكفار وصولتهم ولكن الله
قاهر فوق عباده وقوة اليقين رأس مال الدين والموت تحفة المؤمن الكامل خصوصا اذا كان فى طريق الجهاد
والدنيا سريعة الزوال ولا تبقى على كل حال وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كثيرا ما ينشد هذه الابيات

لا شئ مما نرى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويردى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزآئنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجرى الرياح له * والانس والجن فيما بينها ترد

اين الملوك التى كانت لعزتها * من كل اوب اليها وافد يفد
حوض هنا لك مورود بلا كذب * لابد من ورده يوما كما وردوا

وفى التأويلات النجمية فقاتل فى سبيل الله لاتكلف الانفسك المعنى فجاهد فى طلب الحق نفسك فان فى طلب الحق لاتكلف نفسا اخرى الانفسك وفيه معنى آخر لاتكلف نفس اخرى بالجهاد لاجل نفسك لان جهادك من نفسك لامن نفس اخرى فدع نفسك وتعال فانك صاحب يوم لا تملك نفس لنفس شيأ وذلك لانه صلى الله عليه وسلم اختص بهذا المقام من جميع الانبياء والمرسلين ان يكون فانى النفس والذى يدل عليه ان الانبياء يوم القيامة يقولون لبقاء نفوسهم نفسى نفسى ويقول النبى عليه السلام لفناء نفسه امتى امتى فافهم جدا ثم قال وحرض المؤمنين على القتال يعنى فى الجهاد الاصغر والجهاد الاكبر عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا ظاهرا وباطنا فالظاهر الكفار والباطن النفس والله اشد بأسا واشد تنكيلا فى استيلاء سطوات صفات قهره عند تجلى صفة جلاله للنفس من بأس الكافر عليها انتهى (وفى المثنوى) اندرين ره مى تراش ومى خراش * تادمى آخر دمى فارغ مباش * اى شهان كشتيم ما خصمى برون * ماند خصمى زو بتر در اندرون * كشتن اين كار عقل وهوش نيست * شير باطن سخرۀ خركوش نيست * سهل شيرى دانكه صفها بشكند * شير آنست آنكه خودرا بشكند (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها والشفاعة الحسنة هى التى روعى بها حق مسلم ودفع بها عنه شرا وجلب اليه خيرا وابتغى بها وجه الله تعالى ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت فى امر جائز لافى حد من حدود الله ولافى حق من الحقوق (ومن يشفع شفاعة سيئة) وهى ما كانت بخلاف الحسنة (يكن له كفل منها) اى نصيب من وزرها مساو لها فى المقدار من غير ان ينقص منه شئ وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما فى قلبك لما تكلمت فى حاجتك لا اتكلم فيما بقى منها ومن بلاغات الزمخشرى شيئان شينان فى الاسلام الشفاعة فى الحدود والرشوة فى الاحكام والحدود عقوبة مقدرة يجب على الامام اقامتها حقا لله تعالى لئلا يتضرر العباد فالتعزير ليس بحد اذ ليس له قدر معين فان اكثره تسعة وثلاثون سوطا واقله ثلاثة وكذا القصاص لايسمى حدا لانه حق العبد وهو ولى القصاص ولهذا سقط بالعفو والاعتياض فحد الزنى لغير المحصن مائة جلدة وللعبد نصفها وحد شرب الخمر ثمانون سوطا للحر واربعون للعبد مفرقا على بدنه كما فى حد الزنى وحد القذف كحد الشرب فمن قذف محصنا او محصنة بصريح الزنى حد بطلب المقذوف المحصن لان فيه حق العبد من حيث دفع العار عنه وكذا طلب المسروق منه شرط القطع فى السرقة فهذه حدود لايجرى فيها الشفاعة اذا لحق علم القاضى بالواقعة ولهذا قال فى ترجمة وصايا الفتوحات المكية ونزديك حاكم در حدود الله شفاعت مكن * ابن عباس رضى الله عنه درخواست كردند درباب دزدى شفاعت كند * ابن عباس رضى الله عنه كفت هركه شفاعت كند وهركه قبول كند * هردو درلعنت اندا كرپيش ازانكه بحاكم معلوم نشود ميكفتيد مى شد * انتهى ولما كانت الشفاعة فى القصاص غير الشفاعة فى الحدود قال صلى الله عليه وسلم مامن صدقة افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم ويجر بها المنفعة الى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر ذكره الامام الغزالى رحمه الله وافصح الحديث عن ان الشفاعة هى التوسط بالقول فى وصول شخص فى منفعة من المنافع الدنيوية او الاخروية وخلاصه عن مضرة ما كذلك واذا كانت فى امر غير مشروع لاتكون صدقة بل سيئة وذكر فى ترجمة الوصايا ايضا چون براى كسى شفاعت كنى وكار او ساخته شود زنهار هديۀ او قبول مكن كه رسول الله صلى الله عليه وسلم انرا از جملۀ ربوا نهاده است شيخ اكبر قدس سره الاطهر فرمود كه در بعض بلاد عرب يكى از اعيان مرا بخانۀ خود دعوت كرد وترتيبى كرده بود وكرامتى مهيا داشته چون طعام احضار كردند اورا بسلطان بلند حاجتى بود ازمن طلب شفاعت كرد وسخن من نزد سلطان درغايت قبول بود شيخ فرمود كه اورا كفتم نعم وبرخاستم وطعام نخوردم وهدايا قبول نكردم وحاجت او پيش سلطان كذاردم واملال وى بوى بازكشت ومرا هنوز حديث نبوى وقوف نبود ولكن مروت من چنين تقاضا كرد واستنكاف كردم كه كسى را بمن حاجتى باشد وازوى بمن نفعى عائد شود ودرحقيقت

آن

آن عنايت وعصمت حق بود * انتهى وبالجملة ينبغى للمؤمن ان يتشفع للجانى الى المجنى عليه بل ومن حقوق الاسلام ان يشفع لكل من له حاجة من المسلمين الى من له عنده منزلة ويسعى فى قضاء حاجته بما يقدر عليه (قال السعدى) كراز حق نه توفيق خيرى رسد * كى از بنده خيرى بغيرى رسد * اميدست ازانانكه طاعت كنند * كه بى طاعتانرا شفاعت كنند * ومن الشفاعة الحسنة الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى الله تعالى وعن النبى عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود والدعوة على المسلم بضد ذلك وانما يستجاب الدعاء بظهر الغيب لبعده عن شائبة الطمع والرياء بخلاف دعاء الحاضر للحاضر لانه قلما يسلم عن ذلك فالغائب لايدعو للغائب الالله خالصا فيكون مقبولا والصلاة على النبى عليه السلام فى الصلاة وغيرها دعاء من العبد المصلى لمحمد صلى الله عليه وسلم عن ظهر الغيب فشرع ذلك رسول الله وامر الله به فى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ليعود هذا الخير من الملك على المصلى ولهذا جوز الحنفية قراءة الفاتحة لروحه المطهر عليه السلام ومنعها الشافعية لان الدعاء بالترحم يوهم التقصير ولذا لايقال عند ذكر الانبياء رحمة الله عليهم بل عليهم السلام والجواب ان نفع القراءة يعود على القارئ فاى ضرر فى ذلك (وكان الله على كل شئ مقيتا) اى مقتدرا مجازيا بالحسنة والسيئة من اقات على الشئ اذا اقتدر عليه او شهيدا حفيظا قال الامام الغزالى فى شرح الاسماء الحسنى معنى المقيت خالق الاقوات وموصلها الى الابدان وهى الاطعمة والى القلوب وهى المعرفة فيكون بمعنى الرازق الا انه اخص منه اذ الرزق يتناول القوت وغير القوت والقوت ما يكتفى به فى قوام البدن او يكون معناه المستولى على الشئ القادر عليه والاستيلاء يتم بالقدرة والعلم وعليه يدل قوله تعالى وكان الله على كل شئ مقيتا اى مطلعا قادرا فيكون معناه راجعا الى العلم والقدرة فوصفه بالمقيت اتم من وصفه بالقادر وحده وبالعالم وحده لانه دال على اجتماع المعنيين وبذلك يخرج هذا الاسم عن الترادف والاشارة فى الآية ان من يشفع شفاعة حسنة لايصال نوع من الخيرات الى الغير يكن له نصيب منها فانها من خصوصيتها ان يكون له نصيب منها اى فيه نصيب من هذه الحسنة من تلك الخصوصية قد يشفع شفاعة حسنة ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له اى فى جبلته كفل منها يعنى من تلك السيئة التى هى ايصال نوع من الشر فيها قد يشفع شفاعة سيئة كما قال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لايخرج الا نكدا ان الله كان فى الازل على كل شئ مقيتا شهيدا فى ايجاد المحسن والمسيء مقتدرا حليما حفيظا يعطيهما استعداد شفاعة حسنة وسيئة لايقدران اليوم على تبديل استعدادهما لقابلية الخير والشر فافهم جدا (قال الحافظ) نقش مستورى ومستى نه بدست من وتست * آنچه استاد ازل كفت بكن آن كردم (وقال السعدى) كرت صورت حال بد يا نكوست * نكاريدۀ دست تقدير اوست * (واذا حييتم بتحية) التحية مصدر من حى كالتسمية من سمى اصلها تحيية كتفعلة واصل الاصل تحيى بثلاث ياآت فحذفت الاخيرة وعوض عنها تاء التأنيث وادغمت الاولى فى الثانية بعد نقل حركتها الى الحاء واصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت فى كل دعاء لان الدعاء بالخير لايخلو شئ منه عن الدعاء بنفس الحياة او بما هو السبب المؤدى الى قوتها او كمالها او بما هو الغاية المطلوبة منها وكانت العرب اذا لقى بعضهم بعضا يقول حياك الله اى جعل الله لك حياة واطال حياتك ويقول بعضهم عش الف سنة ثم استعملها الشرع فى السلام وهى تحية الاسلام قال تعالى فسلموا على انفسكم تحية من عند الله قيل تحية النصارى وضع اليد على الفم وتحية اليهود الاشارة بالاصابع وتحية المجوس الانحناء وفى السلام مزية على تحية العرب وهى حياك الله لما انه دعاء بالسلامة عن الآفات الدينية والدنيوية فانه اذا قال الانسان لغيره السلام عليك فقد دعا فى حقه بالسلامة عنها او يتضمن الوعد بسلامة ذلك الغير وامانه منه كانه قال انت سليم منى فاجعلنى سليما منك والسلامة مستلزمة لطول الحياة وليس فى الدعاء بطول الحياة ذلك ولان السلام من اسمائه تعالى فالبداية بذكره مما لاريب فى فضله ومزيته ومعنى الآية اذا سلم عليكم من جهة المؤمنين (فحيوا باحسن منها) اى بتحية احسن منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ان اقتصر المسلم على الاول وبان تزيدوا وبركاته ان جمعهما المسلم وهو ان يقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته منتهى الامر فى السلام لكونه مستجمعا لجميع فنون المطالب

التى هى السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها ونمائها ولهذا اقتصر على هذا القدر فى التشهد روى عنه
عليه السلام انه قال من قال السلام عليكم كتب له عشر حسنات ومن قال السلام عليكم ورحمة الله كتب له
عشرون حسنة ومن قال السلام عليكم ورحمة الله و بركاته كتب له ثلاثون حسنة والمبتدئ بالسلام ان شاء
يقول السلام عليكم وان شاء يقول سلام عليكم لان كل واحد من التعريف والتنكير وارد فى الفاظ القرءآن
قال الله تعالى والسلام على من اتبع الهدى وسلام على عباده الذين اصطفى لكن التنكير اكثر والكل جائز واما
التحليل من الصلاة فلا بد فيه من الالف واللام بالاتفاق ومعنى الجمع فى السلام عليكم الخطاب الى الرجل
والملكين الحافظين معه فانهما يردان السلام ومن سلم عليه الملك فقد سلم من عذاب الله تعالى (اوردوها)
اى ردوا امثلها واجيبوا به لان ردّ عينها محال لحذف المضاف نحو واسأل القرية قال فى الكشاف ردّ السلام
ورجعه جوابه بمثله لان المجيب يردّ قول المسلم ويكرره وروى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام
ورحمة الله وبركاته وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتنى فاين ما قال
الله وتلا الآية اى اين ردّ الاحسن المذكور فى الآية فقال عليه السلام انك لم تترك لى فضلا فرددت عليك
مثله فيكون قوله عليه السلام وعليك اى وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من قبيل ردّ المثل وجواب التسليم
واجب وانما التخيير بين الزيادة وتركها قال ابو يوسف من قال لآخر اقرئ فلانا منى السلام وجب عليه ان يفعل
واذا ورد سلام فى كتاب فجوابه واجب بالكتاب للآية (ان الله كان على كل شئ حسيبا) الحسيب بمعنى المحاسب
على العمل كالجليس بمعنى المجالس اى انه تعالى كان على كل شئ من اعمالكم سيما ردّ السلام بمثله او باحسن منه
محاسبا مجازيا فحافظوا على مراعاة التحية حسبما امرتم به فالجمهور على ان الآية فى السلام فالسنة ان يسلم
الراكب على الماشى وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير ويسلم على الصبيان
وهو افضل من تركه قال فى البستان وبه نأخذ ويسلم على اهل بيته حين يدخله فان دخل بيتا ليس فيه احد
فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فان الملائكة تردّ عليه السلام ويسلم على القوم حين يدخل عليهم
وحين يفارقهم ايضا فمن فعل ذلك شاركهم فى كل خير عملوه بعده قال القرطبى ولا يسلم على النساء الشابات
الاجانب خوف الفتنة من مكالمتهن بنزغة شيطان او خائنة عين واما السلام على المحارم والعجائز فحسن ويسلم
على اهل الاسلام من عرف منهم ومن لم يعرف ولا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغنى والقاعد لحاجته ومطير
الحمام والعارى فى الحمام وغيره قال ابن الشيخ فى حواشيه ومن دخل الحمام ورأى الناس متزرين يسلم عليهم
وان لم يكونوا متزرين لا يسلم عليهم لانه لا يسلم على المشتغل بمعصية انتهى لكن قال الامام الغزالى فى الاحياء
لا يسلم عند الدخول اى فى الحمام وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره وان احب
ان يجيب قال عافاك الله ولا بأس ان يفتح الداخل ويقول عافاك الله لابتداء الكلام انتهى ولا يرد فى الخطبة
وتلاوة القرءآن جهرا ورواية الحديث وعند دراسة العلم والاذان والاقامة وكذا لا يردّ القاضى اذا سلم عليه
الخصمان وكذا لا يسلم القاضى على الخصوم اذا جلس للحكم لتبقى الهيبة وتكثر الحشمة وبهذا جرى الرسم
ان الولاة والامرآء لا بأس بان لا يسلموا اذا دخلوا فالمحتسب لا يسلم على اهل السوق فى طوافه للحسبة ليبقى
على الهيبة وقال بعضهم لا يسع للقاضى والوالى والامير ترك السلام اذا دخلوا لانه سنة فلا يسعهم ترك السنة
بسبب تقلد العمل وكذا المتصدق اذا سلم عليه السائل اوان سؤاله لا يرد وكذا من له ورد من القرءآن والدعوات
فسلم عليه احد فى حال ورده لا يرده وكذا اذا جلس فى المسجد للتسبيح اوللقرآءة اولانتظار الصلاة واذا دخل
الزائر فى المسجد فسلم عليه احد من الداخلين فى المسجد يجوز واذا لم يكن فى المسجد احد الا من يصلى ينبغى
ان يقول الداخل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ولا يسلم فانه تكليف جواب فى غير محله حتى لا يرده
قبل الفراغ وبعده وهو الصحيح ولا يبادر بالسلام على الذمى الا لضرورة اوحاجة له عنده ولا بأس بالدعاء للكافر
والذمى بما يصلحه فى دنياه قال ابن الملك الدعاء لاهل الكتاب بمقابلة احسانهم غير ممنوع لما روى ان يهوديا
حلب للنبى عليه السلام لقحة فقال عليه السلام اللهم جمله فبقى سواد شعره الى قريب من سبعين سنة قال
النووى الصواب ان ابتدآء اهل الكتاب بالسلام حرام لانه اعزاز ولا يجوز اعزاز الكفار وقال الطيبى المختار

ان المبتدع لا يبدأ بالسلام ولو سلم على من لا يعرفه فظهر ذميا اومبتدعا يقول استرجعت سلامى تحقيرا له
واما الاكل مع الكافر فان كان مرة اومرتين لتأليف قلبه على الاسلام فلا بأس فانه صلى الله عليه وسلم اكل
مع كافر مرة فحملناه على انه كان لتأليف قلبه على الاسلام ولكن تكره المداومة عليه كما فى نصاب الاحتساب
وفيه ايضا هل يحتسب على المسلم اذا شارك ذميا الجواب نعم امافى المفاوضة فلانها غير جائزة بين المسلم والذمى
فكان الاحتساب عليه لدفع التصرف الفاسد واما فى العنان فلانها مكروهة بين المسلم والذمى من شرح
الطحاوى فكان الاحتساب لدفع المكروه واذا سلم الذمى فقل عليك بلا واو وهو الرواية من الثقات
اوعليك مثله قال فى الكشف ولا يقال لاهل الذمة وعليكم بالواو لانها للجمع وقال عليه السلام اذا سلم عليكم
احد من اليهود فانما يقول السام عليكم فقل عليك اى عليك مثله روى انه عليه السلام اتاه ناس من اليهود
فقالوا السام عليكم يا ابا القاسم فقال عليكم فقالت عائشة بل عليكم السام والزام فقال عليه السلام يا عائشة
ان الله لا يحب الفحش والتفحش قالت فقلت اما سمعت ما قالوا فقال اوليس قد رددت عليهم فيستجاب لى فيهم
ولا يستجاب لهم فىّ والسنة الجهر فى السلام لقوله عليه السلام افشوا السلام وعن ابى حنيفة رحمة الله عليه
لا يجهر بالرد يعنى الجهر الكثير وحكى ان سياحا دخل على عالم فسلم عليه فردّ عليه السلام وخافت ثم دخل عليه
غنىّ فسلم فردّ عليه الجواب وجهر فصاح السياح وقال رحمك الله ما تقول فى السلام على نوعين او على ثلاثة
انواع فقال لا بل على نوع واحد فقال ايد الله الفقيه ارى السلام ههنا على نوعين فتحير الفقيه وخجل فى نفسه
فقال ايد الله الفقيه اسألك مسئلة ما تقول فيمن حلف لا يدخل الدار بنيت بغير سنة فدخل دارك هذه يحنث
ام لا فسكت الفقيه فلم يجبه فقال تلاميذ الفقيه للسياح اخرج فانك اشغلتنا فقال ايها الشبان ما مثلى ومثلكم
الا كمثل ضال ضل طريقه فجعل يسترشد من ضال مثله ارشده ام لا فهذا استاذكم ضل طريق الآخرة وانتم
جئتم تطلبون منه ان يرشدكم فأنى يرشدكم ثم خرج كذا فى روضة العلماء (قال الصائب) زبى دردان علاج
درد خود جستن بآن ماند ❋ كه خار از پا برون آرد كسى با نيش عقربها ❋ الى هنا سلام الاحياء فاذا
بلغ المقابر ومر بها قال وعليكم السلام اهل الديار من المسلمين والمؤمنين رحم الله المستقدمين منكم
والمستأخرين منا انتم لنا سلف ونحن لكم تبع وانا ان شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية
وفى الحديث ما من عبد يمر بقبر رجل كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه الا عرفه وردّ عليه السلام قال ابن السيد على
فى شرح الشرعة ولعل المراد انه يردّ السلام بلسان الحال لا بلسان المقال يؤيده ما ورد فى بعض الاخبار
من انهم يتأسفون على انقطاع الاعمال عنهم حتى يتحسرون على ردّ السلام وثوابه انتهى قال الامام السيوطى
رحمه الله الاحاديث والآثار تدل على ان الزائر متى جاء علم به المزور وسمع بكلامه وانس به وردّ عليه وهذا عام
فى حق الشهدآء وغيرهم وانه لا توقيت فى ذلك وهو الاصح لان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرع لامته
ان يسلموا على اهل القبور سلام من يخاطبون ممن يسمع ويعقل قال ارباب الحقيقة للروح اتصال بالبدن بحيث
يصلى فى قبره ويردّ على المسلم عليه وهو فى الرفيق الاعلى ومقره فى عليين ولا تنافى بين الامرين فان شأن
الارواح غير شأن الابدان وانما يأتى الغلط ههنا من قياس الغائب على الشاهد فيعتقد ان الروح مما يعهد
من الاجسام التى اذا شغلت مكانا لم يمكن ان تكون فى غيره وقد مثل بعضهم بالشمس فى السماء وشعاعها
فى الارض كالروح المحمدى يردّ على من يصلى عليه عند قبره دآئما مع القطع بان روحه فى اعلى عليين وهو لا ينفك
من قبره كما قال عليه السلام ما من مسلم يسلم علىّ الا ردّ الله علىّ روحى حتى اردّ عليه السلام فان قلت هل يلزم
تعدد الحياة من ذلك وكيف يكون ذلك قلت يؤخذ من هذا الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم حىّ على الدوام
فى البرزخ الدنيوى لانه محال عادة ان يخلو الوجود كله من واحد يسلم على النبى عليه السلام فى ليل اونهار
فقوله صلى الله عليه وسلم ردّ الله علىّ روحى اى ابقى الحق فىّ شعور حياتى الحسى فى البرزخ وادراك حواسى من
السمع والنطق فلا ينفك الحس والشعور الكلى من الروح المحمدى الكلى ليس له غيبة عن الحواس والاكوان
لانه روح العالم الكلى وسره السارى (قال العطار قدس سره فى نعت النبى المختار) خواجهٔ كز هرچه گويم
بيش بود ❋ در همه چيزى همه در پيش بود ❋ وصف او در گفت چون آيد مرا ❋ چون عرق از شرم
خون آيد مرا ❋ او فصيح عالم ومن لال او ❋ كى توانم داد شرح حال او ❋ وصف او كى لايق اين ناكسست ❋

واصف اوخالق عالم بست ✱ انبيا از وصف توحيران شده ✱ سرشناسان نيز سركردان شده ✱
والاشارة فى الاية واذا حييتم بتحية من الخير والشر فحيوا باحسن منها اما الخير فبخير احسن منه واما الشر فحلم
وعفو او مكافاة بالخير اوردوها يعنى كافئوا المحسن بمثل احسانه والمسيىء بمثل اساءته يدل عليه قوله تعالى
وجزآء سيئة سيئة مثلها وقال وان تعفوا اقرب للتقوى وقد ورد عن النبى عليه السلام عن جبريل عن الله تعالى
فى تفسير قوله خذ العفو وأمر بالمعروف واعرض عن الجاهلين وقال النبى عليه السلام تعفو عمن ظلمك وتصل
من قطعك وتعطى من حرمك ان الله كان على كل شىء من العفو والاحسان حسيبا محاسبا فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره كذا فى التأويلات النجمية (الله) مبتدأ وخبره قوله (لا اله الا هو) اى
لا اله فى الارض ولا فى السماء غيره (ليجمعنكم) جواب قسم محذوف اى والله ليحشرنكم من قبوركم (الى
حساب (يوم القيامة) والقيامة بمعنى القيام والتاء للمبالغة لشدة ما يقع فيه من الهول (لا ريب فيه) حال من
اليوم اى حال كون ذلك اليوم لا شك فيه انه كائن لا محالة او صفة مصدر محذوف اى جمعا لا ريب فيه فضمير فيه
يرجع الى الجمع (ومن اصدق من الله حديثا) انكار لان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره
بوجه لانه نقص وهو على الله محال دون غيره وفى الحديث (كذبنى ابن آدم) اى نسبنى الى الكذب (ولم يكن له
ذلك) يعنى لم يكن التكذيب لائقا به بل كان خطأ (وشتمنى) الشتم وصف الغير بما فيه نقص وازرآء (ولم يكن له ذلك
فاما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى) يعنى لن يحيينى الله تعالى بعد موتى (وليس اول الخلق باهون على
من اعادته) بل اعادته اسهل لوجود اصل البنية وهذا مذكور على طريق التمثيل لان الاعادة بالنسبة الى قوانا
ايسر من الانشاء واما بالنسبة الى قدرة الله تعالى فلا سهولة له فى شىء ولا صعوبة (واما شتمه اياى فقوله اتخذ الله
ولدا) وانما صار هذا شتما لان التولد هو انفصال الجزء على الكل بحيث ينمو وهذا انما يكون فى المركب وكل مركب
محتاج (وانا الاحد) اى المنفرد بصفات الكمال من البقاء والتنزه وغيرهما (الصمد) بمعنى المصمود يعنى المقصود
اليه فى كل الحوآئج (الذى لم يلد) هذا نفى للتشبيه والمجانسة (ولم يولد) هذا وصف بالقدم والاولية (ولم يكن له كفوا
احد) هذا تقرير لما قبله كذا فى شرح المشارق لابن الملك واعلم ان القيامة ثلاث الصغرى وهى موت كل احد قال
النبى عليه السلام من مات فقد قامت قيامته والوسطى وهى موت جميع الخلائق بالنفخة الاولى والكبرى وهى
حشر الاجساد والسوق الى المحشر للجزآء بالنفخة الثانية (وفى المثنوى) سازد اسرافيل روزى ناله را ✱ جان
دهد پوسيدهٔ صد ساله را ✱ هين كه اسرافيل وقتند اوليا ✱ مرده را زيشان حياتست ونما ✱ وانما
تحصل الحياة الباقية بعد الفناء عن النفس واوصافها وطريقه ذكر الله تعالى بالاخلاص فاذا تجلى معنى لفظ
الجلالة الذى هو الاسم الاعظم يضمحل العالم والوجود ويحصل الاستغراق فى بحر التوحيد فاذا استغرق فيه
يغيب عنه ما سوى الله تعالى كما ان الانسان اذا استغرق فى الماء لا يرى الغير اصلا قال الشيخ ابو يزيد البسطامى
ومن قال الله وقلبه غافل عن الله فخصمه الله وحكى ان بعض الصلحاء دخل ليلة بقبولجة فى بلدة بروسة فرأى
انه قد وضع سرير على الحوض وعليه بنت سلطان الجن ومعها جماعة كثيرة من هذه الطائفة فسألهم عن اصل
ماء قبولجة فارسلت بعض جماعتها الى اصله فرأى انه ماء بارد فقال كيف يكون هذا اصله وهو حار فقالوا
جماعتنا يذكرون فى رأس هذا الماء فى كل اسبوع الاسم الله والاسم هو فبحرارته يسخن الماء فتأثير الذكر غير
منكر خصوصا من لسان ارباب التزكية والتصفية (وفى المثنوى) ذكر حق كن بانك غولانرا بسوز ✱
چشم نركس را ازين كركس بدوز ✱ والاشارة فى الاية الله لا اله الا هو يعنى كان الله فى الازل لا اله اى لم يكن
معه احد يوجد الخلق من العدم الا هو ليجمعنكم فى العدم مرة اخرى الى يوم القيامة فيفرقكم فيها فريق
فى الجنة وفريق فى السعير وفريق فى مقعد صدق عند مليك مقتدر لا ريب فيه اى لا شك فى الرجوع الى هذه
المنازل والمقامات ومن اصدق من الله حديثا يحدثكم بصالح دينكم ودنياكم ومفاسد اخراكم واولاكم
ويهديكم الى الهدى وينجيكم من الردى كذا فى التأويلات النجمية (فما لكم) ايها المؤمنون والمراد بعضهم قوله
ما مبتدأ ولكم خبره والاستفهام للانكار والنفى (فى المنافقين) متعلق بما تعلق به الخبر اى اى شىء كائن لكم فيهم
اى فى امرهم وشأنهم (فئتين) اى فرقتين وهو حال من الضمير المجرور فى لكم والمراد انكار ان يكون للمخاطبين
شىء مصحح لاختلافهم فى امر المنافقين وبيان وجوب بت القول بكفرهم واجرآئهم مجرى المجاهرين بالكفر

فى جميع

فى جميع الاحكام وذلك ان ناسا من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى البدو
لاجتوآء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين بمكة فاختلف المسلمون
فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون فانزل الله تعالى الاية (والله اركسهم) حال من المنافقين
اى والحال انه تعالى ردهم الى الكفر واحكامه من الذل والصغار والسبى والقتل والاركاس الرد والرجع يقال
ركست الشىء واركسته لغتان اذا رددته وقلبت آخره على اوله (بما كسبوا) اى بسبب ما كسبوا من الارتداد
واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلى الله عليه وسلم (اتريدون) ايها المخلصون القائلون بايمانهم
(ان تهدوا من اضل الله) اى تجعلوه من المهتدين ففيه توبيخ لهم على زعمهم ذلك واشعار بانه يؤدى الى محالة
المحال الذى هو هداية من اضل الله تعالى وذلك لان الحكم بايمانهم وادعاء اهتدآئهم وهم بمعزل من ذلك سعى
فى هدايتهم وارادة لها (ومن يضلل الله) اى ومن يخلق فيه الضلال كائنا من كان (فلن تجد له سبيلا) من السبل
فضلا عن ان تهديه اليه وتوجيه الخطاب الى كل واحد من المخاطبين للاشعار بشمول عدم الوجدان للكل
على طريق التفصيل والجملة حال من فاعل تريدون او تهدوا والرابط هو الواو (ودوا لو تكفرون) بيان لغلوهم
وتماديهم فى الكفر وتصديهم لاضلال غيرهم اثر بيان كفرهم وضلالهم فى انفسهم وكلمة لو مصدرية فلا جواب
لها اى تمنوا ان تكفروا (كما كفروا) نصب على انه نعت لمصدر محذوف اى كفرا مثل كفرهم فما مصدرية
(فتكونون سوآء) عطف على تكفرون والتقدير ودوا كفركم وكونكم مستوين معهم فى الضلال وفيه اشارة
الى ان من ود الكفر لغيره فذلك من امارات الكفر فى باطنه وان كان يظهر الاسلام لانه يريد تسوية الاعتقاد
فيما بينهما وهذا من خاصية الانسان يحب ان يكون كل الناس على مذهبه واعتقاده ودينه وقال صلى الله عليه
وسلم الرضى بالكفر كفر (فلا تتخذوا منهم اولياء) اى اذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم فلا توالوهم (حتى
يهاجروا فى سبيل الله) اى حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة كائنة لله تعالى ورسوله عليه السلام لا لغرض
من اغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه (فان تولوا) اى عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة
(فخذوهم) اذا قدرتم عليهم (واقتلوهم حيث وجدتموهم) من الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين
اسرا وقتلا (ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) اى جانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة ابدا والاشارة
فى الاية الى ارباب الطلب السائرين الى الله تعالى فانهم نهوا عن اتخاذ اهل الدنيا احباء وعن مخالطتهم حتى
يهاجروا عما هم فيه من الحرص والشهوة وحب الدنيا ويوافقوهم فى طلب الحق وامروا بان يعظوهم بالوعظ
البليغ ويقتلوهم اى انفسهم وصفاتها الغالبة كما رأوهم (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق)
استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اى الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الاسلميون
فانه عليه السلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمى على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من
وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذى لهلال (او جاؤكم) عطف على الصلة اى والذين جاؤكم
كافين من قتالكم وقتال قومهم استثنى من المأمور باخذهم وقتلهم فريقان احدهما من ترك المحاربين ولحق
بالمعاهدين والاخر من اتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين (حصرت صدورهم) حال باضمار قد اى وقد
ضاقت صدورهم فان الحصر بفتحتين الضيق والانقباض (ان يقاتلوكم) اى ضاقت عن ان يقاتلوكم مع قومهم
(او يقاتلوا قومهم) معكم والمراد بالجائين الذين حصرت صدورهم عن المقاتلة بنو مدلج وهم كانوا عاهدوا
ان لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ان لا يقاتلوهم فضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذى بينكم ولانه تعالى
قذف الرعب فى قلوبهم وضاقت صدورهم عن قتال قومهم لكونهم على دينهم نهى الله تعالى عن قتل هؤلاء
المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد للمؤمنين لان من انضم الى قوم ذوى عهد فله حكمهم فى حقن الدم (ولو شاء الله
لسلطهم) اى بنى مدلج (عليكم) بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم قال فى الكشاف فان قلت
كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب فى قلوبهم ولو شاء
لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط (فلقاتلوكم)
عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب لو على التكرير (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم) اى فان لم يتعرضوا لكم
مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشيئة الله تعالى (والقوا اليكم السلم) اى الانقياد والاستسلام (فما جعل الله

لكم عليهم سبيلا) اى طريقا بالاسر او بالقتل فان مكافتهم عن قتالكم وان لم يقاتلوا قومهم ايضا والقاءهم اليكم السلم وان لم يعاهدوكم كافية فى استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم قال بعضهم الاية منسوخة بآية القتال والسيف وهى قوله تعالى اقتلوا المشركين وقال آخرون انها غير منسوخة وقال اذا حملنا الآية على المعاهدين فكيف يمكن ان يقال انها منسوخة قال الحدادى فى تفسيره لا يجوز مهادنة الكفار وترك احد منهم على الكفر من غير جزية اذا كان بالمسلمين قوة على القتال واما اذا عجزوا عن مقاومتهم وخافوا على انفسهم وذراريهم جاز لهم مهادنة العدو من غير جزية يؤدونها اليهم لان حظر الموادعة كان بسبب القوة فاذا زال السبب زال الحظر (ستجدون) قوما (آخرين يريدون ان يأمنوكم) اى يظهرون لكم الصلح يريدون ان يأمنوا منكم بكلمة التوحيد يظهرونها لكم (ويأمنوا قومهم) اى من قومهم بالكفر فى السر وهم قوم من اسد وغطفان اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليأمنوا قومهم (كلما ردوا الى الفتنة) دعوا من جهة قومهم الى قتال المسلمين (اركسوا فيها) عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا فيها اشرا من كل عدو شرير (فان لم يعتزلوكم) بالكف عن التعرض لكم بوجه ما (ويلقوا اليكم السلم) اى لم يلقوا اليكم الصلح والعهد بل نبذوه اليكم (ويكفوا ايديهم) اى لم يكفوها عن قتالكم (فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم) اى تمكنتم منهم (واولئكم) الموصوفون بما عد من الصفات القبيحة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) اى حجة واضحة فى التعرض لهم بالقتل والسبى لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر وغدرهم واضرارهم باهل الاسلام والاشارة فى الاية الاولى ان الاختلاف واقع بين الامة فى ان خذلان المنافقين انما هو امر من عند انفسهم او امر من عند الله وقضائه وقدره فبين الله بقوله فما لكم فى المنافقين فئتين اى صرتم فرقتين فرقة يقولون الخذلان فى النفاق منهم وفرقة يقولون من الله وقضائه وقدره والله اركسهم بما كسبوا يعنى ان الله اركسهم بقدره وردهم بقضائه الى الخذلان بالنفاق ولكن بواسطة كسبهم ما ينبت النفاق فى قلوبهم ليهلك من هلك عن بينة ولهذا مثال وهو ان القدر كتقدير النقاش الصورة فى ذهنه والقضاء كرسمه تلك الصورة لتلميذه بالاسرب ووضع التلميذ الاصباغ عليها متبعا لرسم الاستاذ كالكسب والاختيار فالتلميذ فى اختياره لا يخرج عن رسم الاستاذ وكذلك العبد فى اختياره لا يمكنه الخروج عن القضاء والقدر ولكنه متردد بينهما ومما يؤكد هذا المثال والتأويل قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وقال واصبر وما صبرك الا بالله وذلك مثل ما ينسب الفعل الى السبب الاقرب تارة والى السبب الابعد اخرى فالاقرب كقولهم قطع السيف يد فلان والابعد كقولهم قطع الامير يد فلان ونظيره قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت وفى موضع الله يتوفى الانفس حين موتها قال ابن نباتة (اذا ما الاله قضى امره * فانت لما قد قضاه السبب) فعلى هذه القضية من زعم ان لا عمل للعبد اصلا فقد عاند وجحد ومن زعم انه مستبد بالعمل فقد اشرك فاختيار العبد بين الجبر والقدر لان اول الفعل وآخره الى الله فالعبد بين طرفى الاضطرار مضطر الى الاختيار فافهم جدا كذا فى التأويلات النجمية واعلم ان الجبرية ذهبت الى انه لا فعل للعبد اصلا ولا اختيار وحركته بمنزلة حركة الجمادات والقدرية الى ان العبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصى بتقدير الله تعالى ومذهب اهل السنة والجماعة الجبر المتوسط وهو اثبات الكسب للعبد واثبات الخلق لله تعالى واما مشاهدة الآثار فى الافعال من الله تعالى كما عليه اهل المكاشفة فذلك ليس من قبيل الجبر (قال فى المثنوى) كر بپرانيم تيران نى زماست * ما كمان وتيراندازش خداست * اين نه جبر اين معنىء جباريست * ذكر جبارى براى زاريست * زارئ ما شد دليل اضطرار * خجلت ما شد دليل اختيار * (وما كان لمؤمن) اى وما صح له ولا لاق بحاله (ان يقتل مؤمنا) بغير حق فان الايمان زاجر عن ذلك (الا خطأ) اى ليس من شأنه ذلك فى حال من الاحوال الا حال الخطأ فانه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية فالمؤمن مجبول على ان يكون محلا لان يعرض له الخطأ كثيرا والخطأ ما لا يقارنه القصد الى الفعل او الى الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمى مسلم فى صف الكفار مع الجهل باسلامه روى ان عياش بن ابى ربيعة وكان اخا ابى جهل لامه اسلم وهاجر الى المدينة خوفا من اهله وذلك قبل هجرة النبى عليه السلام فاقسمت امه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابى انيسة فاتياه وهو فى اطم اى جبل ففتل منه ابو جهل فى الذروة والغارب وقال

اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت علينا ان لا نكرهك على شئ ولا نحول بينك وبين دينك حتى نزل وذهب معهما فلما بعدا من المدينة شدا يديه الى خلف بحبل وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخى فمن انت يا حارث لله على ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل وثاقه حتى يرجع عن دينه ففعل بلسانه مطمئنا قلبه على الايمان ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء فانحنى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت (ومن قتل مؤمنا خطأ) صغيرا كان او كبيرا (فتحرير رقبة) اى فعليه اعتاق نسمة عبر عن النسمة بالرقبة كما يعبر عنها بالرأس (مؤمنة) محكوم باسلامها سواء تحققت فيها فروع الايمان وثمراته بان صلت وصامت اولم يتحقق فدخل فيها الصغير والكبير والذكر والانثى وهذا التحرير هو الكفارة وهى حق الله تعالى الواجب على من قتل مؤمنا مواظبا على عبادة الله تعالى والرقيق لا يمكنه المواظبة على عبادة الله تعالى فاذا اعتقه فقد اقامه مقام ذلك المقتول فى المواظبة على العبادات (ودية مسلمة الى اهله) اى مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث بعد قضاء الدين منها وتنفيذ الوصية واذا لم يبق وارث فهى لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال صلى الله عليه وسلم انا وارث من لا وارث له (الا ان يصدقوا) اى يتصدق اهله عليه سمى العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وفى الحديث كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه المقدر عند قوله ودية مسلمة او بمسلمة اى تجب الدية ويسلمها الى اهله الا وقت تصدقهم عليه لان الدية حق الورثة فيملكون اسقاطها بخلاف التحرير فانه حق الله تعالى فلا يسقط بعفو الاولياء واسقاطهم واعلم ان الدية مصدر من ودى القاتل المقتول اذا اعطى وليه المال الذى هو بدل النفس وذلك المال يسمى الدية تسمية بالمصدر والتاء فى آخرها عوض عن الواو المحذوفة فى الاول كما فى العدة وهى اى الدية فى الخطأ من الذهب الف دينار ومن الفضة عشرة آلاف درهم وهى على العاقلة فى الخطأ وهم الاخوة وبنو الاخوة والاعمام وبنو الاعمام يسلمونها الى اولياء المقتول ويكون القاتل كواحد من العاقلة يعنى يعطى مقدار ما اعطاه واحد منهم لانه هو الفاعل فلا معنى لاخراجه ومؤاخذة غيره وسميت الدية عقلا لانها تعقل الدماء اى تمسكه من ان يسفك الدم لان الانسان يلاحظ وجوب الدية بالقتل فيجتنب عن سفك الدم فان لم تكن له عاقلة كانت الدية فى بيت المال فى ثلاث سنين فان لم يكن ففى ماله (فان كان) اى المقتول (من قوم عدو لكم) كفار محاربين (وهو مؤمن) ولم يعلم به القاتل لكونه بين اظهر قومه بان اسلم فيما بينهم ولم يفارقهم بالهجرة الى دار الاسلام او بان اسلم بعد ما فارقهم لمهم من المهمات (فتحرير رقبة مؤمنة) اى فعلى قاتله الكفارة دون الدية اذ لا وراثة بينه وبين اهله لكونهم كفارا ولانهم محاربون (وان كان) اى المقتول المؤمن (من قوم) كفرة (بينكم وبينهم ميثاق) اى عهد موقت او مؤبد (فدية) اى فعلى قاتله دية (مسلمة الى اهله) من اهل الاسلام ان وجدوا (وتحرير رقبة مؤمنة) كما هو حكم سائر المسلمين (فمن لم يجد) اى رقبة لتحريرها بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها وهو ما يصلح ان يكون ثمنا للرقبة فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وسائر حوائجه الضرورية من المسكن وغيره (فصيام) اى فعليه صيام (شهرين متتابعين) وايجاب التتابع يدل على ان المكفر بالصوم لو افطر يوما فى خلال شهرين او نوى صوما آخر فعليه الاستئناف الا ان يكون الفطر بحيض او نفاس او نحوهما مما لا يمكن الاحتراز عنه فانه لا يقطع التتابع والاطعام غير مشروع فى هذه الكفارة بدليل الفاء الدالة على ان المذكور كل الواجب واثبات البدل بالرأى لا يجوز فلا بد من النص (توبة) كائنة (من الله) ونصبه على المفعول له اى شرع لكم ذلك توبة اى قبولا لها من تاب الله عليه اذا قبل توبته فان قيل قتل الخطأ لا يكون معصية فما معنى التوبة قلت ان فيه نوعا من التقصير لان الظاهر انه لو بالغ فى الاحتياط لما صدر عنه ذلك فقوله توبة من الله تنبيه على انه كان مقصرا فى ترك الاحتياط (وكان الله عليما) بحاله اى بانه لم يقصد القتل ولم يتعمد فيه (حكيما) فيما امر فى شأنه والاشارة فى قوله تعالى فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ان تربية النفس وتزكيتها ببذل المال وترك الدنيا مقدم على تربيتها بالجوع والعطش وسائر المجاهدات فان حب الدنيا رأس كل خطيئة وهى عقبة لا يقتحمها الا الفحول من الرجال كقوله تعالى فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة الاية وان اول قدم السالك ان يخرج من الدنيا وما فيها وثانيه ان يخرج من النفس وصفاتها كما قال دع نفسك وتعال والامساك عن المشارب كلها من الدنيا والآخرة على الدوام انما هو بجذبة من الله تعالى

واعطائه القابلية لذلك (كما قيل) داد حق را قابليت شرط نيست * بلكه شرط قابليت داد حق *
حكى ان اولاد هارون الرشيد كانوا زهادا لا يرغبون فى الدنيا والسلطنة فلما ولد له ولد قيل له ادخله فى بيت من زجاج يعيش فيه مع التنعم والترنم والاغانى حتى يليق للسلطنة ففعل فلما كبر كان يوما يأكل اللحم فوقع عظم من يده فانكسر الزجاج فرأى السماء والارض فسأل عنهما فاجابوا على ما هو فطلب منهم ان يخرجوه من البيت فلما خرج رأى ميتا وجاء اليه وتكلم له فلم يتكلم فسأل عنه فقالوا هو ميت لا يتكلم وقال وانا اكون كذلك قالوا كل نفس ذائقة الموت فتركهم وذهب الى الصحرآء فذهبوا معه فاذا خمسة فوارس جاؤا اليه ومعهم فرس ليس عليه احد فاركبوه واخذوه وغابوا وليس كل قلب يصلح لمعرفة الرب كما ان كل بدن لا يصلح لخدمته ولهذا قال تعالى وكان الله عليما اى بمن يصلح للجذبة والخدمة (قال الصائب) در سر هر خام طينت نشئهٔ منصور نيست * هر سفالى راصداى كاسهٔ فغفور نيست * وهذا لا يكون بالدعوى فان المحك يميز بين الجيد والزيوف وعالم الحقيقة لا يسعه القيل والقال الا يرى ان من كان سلطانا اعظم لا يرفع صوته بالتكلم لانه فى عالم المحو وكان امر سليمان عليه السلام لآصف بن برخيا باتيان عرش بلقيس مع انه فى مرتبة النبوة لذلك اى لما انه كان فى عالم الاستغراق فلم يرد التنزل وقوله عليه السلام لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل اشارة الى تلك المرتبة اللهم اجعلنا من الواصلين الى جناب قدسك والمتنعمين فى محاضر قولك وانسك (ومن يقتل مؤمنا) حال كون ذلك القاتل (متعمدا) فى قتله اى قاصدا غير مخطئ روى ان مقيس بن صبابة الكنانى كان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه قتيلا فى بنى النجار فاتى رسول الله عليه السلام وذكر له القصة فارسل عليه السلام معه الزبير بن عياض الفهرى وكان من اصحاب بدر الى بنى النجار يأمرهم بتسليم القاتل الى مقيس ليقتص منه ان علموه وباداء الدية ان لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى ولرسوله عليه السلام ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدى ديته فاتوه بمائة من الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق اتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اتقبل دية اخيك فتكون مسبة عليك اى عارا اقتل هذا الفهرى الذى معك فتكون نفس مكان نفس وتبقى الدية فضلة فرماه بصخرة فشدخ رأسه فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها الى مكة كافرا وهو يقول

قتلت به فهرا وحملت عقله * سراة بنى النجار اصحاب قارع
وادركت ثارى واضطجعت موسدا * وكنت الى الاوثان اول راجع

فنزلت الآية وهو الذى استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ممن آمنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة (ونعم ما قيل) هركه كند بخود كند * كر همه نيك وبد كند (فجزآؤه) الذى يستحقه بجنايته (جهنم) وقوله تعالى (خالدا فيها) حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه مقام الكلام كانه قيل فجزآؤه ان يدخل جهنم خالدا فيها (وغضب الله عليه) عطف على مقدر تدل عليه الشرطية دلالة واضحة كانه قيل بطريق الاستئناف تقريرا وتأكيدا لمضمونها حكم الله بان جزآءه ذلك وغضب عليه اى انتقم منه (ولعنه) اى ابعده عن الرحمة بجعل جزآئه ما ذكر (واعدله) فى جهنم (عذابا عظيما) لا يقادر قدره واعلم ان العبرة بعموم اللفظ دون خصوص السبب والكلام فى كفر من استحل دم المؤمن وخلوده فى النار حقيقة فاما المؤمن اذا قتل مؤمنا متعمدا غير مستحل لقتله فلا يكفر بذلك ولا يخرج من الايمان فان اقيد ممن قتله كذلك كان كفارة له وان كان تائبا من ذلك ولم يكن مقادا كانت التوبة ايضا كفارة له لان الكفر اعظم من هذا القتل فاذا قبلت توبة الكافر فتوبة هذا القاتل اولى بالقبول وان مات بلا توبة ولا قود فامره الى الله تعالى ان شاء غفر له وارضى خصمه وان شاء عذبه على فعله ثم يخرجه بعد ذلك الى الجنة التى وعده بايمانه لان الله لا يخلف الميعاد فالمراد بالخلود فى حقه المكث الطويل لا الدوام مع ان هذا اخبار منه تعالى بان جزآءه ذلك لا بانه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله عز وجل وجزآء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا اخبارا بانه تعالى يجزى كل سيئة مثلها لعارضه قوله تعالى ويعفو عن كثير وقد يقول الانسان لمن يزجره عن امر ان فعلته فجزآؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا فهذا التشديد والتغليظ الذى هو سنة الله تعالى لا يتعلق بالقاتل التائب ولا بمن قتل عمدا بحق كما فى القصاص بل يتعلق بمن لم يتب وبمن قتل ظلما وعدوانا وفى الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضى بالمغرب لاشترك فى دمه وفيه من اعان على قتل

مسلم بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وقد روى ان داود عليه السلام اراد بنيان بيت المقدس فبناه مرارا فكلما فرغ منه تهدم فشكا الى الله تعالى فاوحى الله اليه ان بيتى هذا لا يقوم على يدى من سفك الدماء فقال داود يا رب الم يك ذلك القتل فى سبيلك قال بلى ولكنهم أليسوا من عبادى فقال يا رب فاجعل بنيانه على يدى من فاوحى الله اليه ان ابنك سليمان يبنيه والغرض من هذه الحكاية مراعاة هذه النشأة الانسانية وان اقامتها اولى من هدمها الا ترى الى اعدآء الدين انه قد فرض الله فى حقهم الجزية والصلح ابقاء عليهم وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من امتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل انقضاء ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار وفى الحديث اول ما يحاسب عليه العبد الصلاة واول ما يقضى بين الناس فى الدماء ثم يحاسب العبد ويقضى عليه فى حق زكاته وغيرها هل منعها ام اداها الى غير ذلك من الاحوال الجزئية ثم اعلم ان المقتول اذا اقتص منه الولى فذلك جزآؤه فى الدنيا وفيما بين القاتل والمقتول الاحكام باقية فى الآخرة لان الولى وان قتله فانما اخذ حق نفسه للتشفى ودرء الغيظ فاما المقتول فلم يكن له فى القصاص منفعة كذا فى تفسير الحدادى ولا كفارة فى القتل العمد لقوله عليه السلام خمس من الكبائر لا كفارة فيهن الاشراك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وقتل النفس عمدا واليمين الغموس والولى مخير بين ثلاث فى القتل العمد القصاص والدية والعفو وذلك لان فى شرع موسى عليه السلام القصاص وهو القتل فقط وفى دين عيسى عليه السلام العقل او العفو فحسب وفى ملتنا للتشفى القصاص وللترفه الدية وللتكرم العفو وهو افضل (قال السعدى) بدى را بدى سهل باشد جزا * اكر مردى احسن الى من اسا * والاشارة فى الآية ان القلب مؤمن فى اصل الفطرة والنفس كافرة فى اصل الخلقة وبينهما عداوة جبلية وقتال اصلى وتضاد كلى فان فى حياة القلب موت النفس وفى حياة النفس موت القلب فلما كانت نفوس الكفار حية كانت قلوبهم ميتة فسماهم الله الموتى ولما كانت نفس الصديق ميتة وقلبه حيا قال النبى عليه السلام من اراد ان ينظر الى ميت يمشى على وجه الارض فلينظر الى الصديق فالاشارة فى قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا اى القلب والنفس يعنى النفس الكافرة اذا قتلت قلبا مؤمنا متعمدة للعداوة الاصلية باستيلاء صفاتها البهيمية والسبعية والشيطانية على القلب الروحانى وغلبة هواها عليه حتى يموت القلب بسمها القاتل فجزآؤه اى جزآء النفس جهنم وهى سفل عالم الطبيعة خالدا فيها لان خروج النفس عن سفل الطبيعة انما كان بحبل الشريعة والتمسك بحبل الشريعة انما كان من خصائص القلب المؤمن كقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فالايمان والعمل الصالح من شأن القلب وصنيعه فاذا مات القلب وانقطع عمله تخلد النفس فى جهنم سفل عالم الطبيعة ابدا وغضب الله عليها ولعنها بان يبعدها ويطردها عن الحضرة والقربة ويحرمها من ايصال الخير والرحمة اليها بخطاب ارجعى الى ربك واعد لها عذابا عظيما هجرانا عن حضرة العلى العظيم وحرمانا من جنات النعيم كذا فى التأويلات النجمية (يا ايها الذين آمنوا) نزلت الآية فى شأن مرداس بن نهيك من اهل فدك وكان اسلم ولم يسلم من قومه غيره وكان عليه السلام بعث سرية الى قومه كان عليها غالب بن فضالة الليثى فلما وصلت السرية اليهم هربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما وصلوا فدك كبروا وكبر مرداس معهم وكان فى سفح جبل ومعه غنمه فنزل اليهم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد وساق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه وهو يقول لا اله الا الله فقال اسامة انه قال بلسانه دون قلبه وفى رواية انما قالها خوفا من السلاح فقال عليه السلام هلا شققت عن قلبه فنظرت اصادق هو ام كاذب ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لى فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لى وامر برد الاغنام وتحرير رقبة مؤمنة والمعنى ايها المؤمنون (اذا ضربتم فى سبيل الله) اى سافرتم وذهبتم للغزو من قول العرب ضربت فى الارض اذا سرت لتجارة او غزو او نحوهما (فتبينوا)

النفعل بمعنى الاستفعال الدال على الطلب اى اطلبوا بيان الامر فى كل ماتأتون وماتذرون ولاتعجلوا فيه بغير تدبر وروية (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام) اى لمن حياكم بتحية الاسلام (لست مؤمنا) وانما اظهرت ما اظهرت متعوذا بل اقبلوا منه ما اظهره وعاملوه بموجبه (تبتغون عرض الحياة الدنيا) حال من فاعل لاتقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التأنى لكن لا على ان يكون النهى راجعا الى القيد فقط كما فى قولك لاتطلب العلم تبتغى به الجاه بل اليهما جميعا اى لاتقولوا له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذى هو حطام سريع النفاد وعرض الدنيا ما يتمتع به فيها من المال نقدا كان او غيره قليلا كان او كثيرا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وتسميته عرضا تنبيه على انه سريع الفناء قريب الانقضاء (فعند الله مغانم كثيرة) تغنيكم عن قتل امثاله لماله وهو تنبيه على ان ثواب الله تعالى موصوف بالدوام والبقاء (كذلك) اى مثل ذلك الذى القى اليكم السلام (كنتم) انتم ايضا (من قبل) اى فى مبادى اسلامكم لايظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام ونحوها (فمن الله عليكم) بان قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم واموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرآئركم الفاء للعطف على كنتم (فتبينوا) الفاء فصيحة اى اذا كان الامر كذلك فاطلبوا بيان هذا الامر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم فى اوآئل اموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطئ الظاهر والباطن (ان الله كان بما تعملون) من الاعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها (خبيرا) فيجازيكم بحسبها ان خيرا فخير وان شرا فشر فلا تتهافتوا فى القتل واحتاطوا فيه قال الامام الغزالى رحمه الله الخبير هو الذى لاتعزب عنه الاخبار الباطنة ولايجرى فى الملك والملكوت شئ ولاتتحرك ذرة ولاتسكن ولاتضطرب نفس ولاتطمئن الا ويكون عنده خبره وهو بمعنى العليم لكن العلم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة سمى خبرة ويسمى صاحبه خبيرا وحظ العبد من ذلك ان يكون خبيرا بما يجرى فى عالمه وعالمه قلبه وبدنه والخفايا التى يتصف القلب بها من الغش والخيانة والتطواف حول العاجلة واضمار الشر واظهار الخير والتجمل باظهار الاخلاص والافلاس عنه ولايعرفها الا ذو خبرة بالغة قد خبر نفسه ومارسها وعرف مكرها وتلبيسها وخدعها فحاربها وتشمر لمعاداتها واخذ الحذر منها فذلك من العباد جدير بان يسمى خبيرا انتهى كلام الامام (قال السعدى) نمى تازد اين نفس سركش چنان * كه عقلش تواند كرفتن عنان * كه بانفس وشيطان برايد بزور * مصاف پلنكان نيايد زمور * ودلت الآية على ان المجتهد قد يخطئ كما اخطأ اسامة وان خطأه قد كان مغتفرا حيث لم يقتص منه وعلى ان الذكر اللسانى معتبر كما ان ايمان المقلد صحيح لكن ينبغى للمؤمن ان يترقى من الذكر اللسانى الى الذكر القلبى ثم الى الذكر الروحى ويحصل له التعين والمعرفة ويخلص من ظلمة الجهل ويتنور بنور المعرفة لان الانسان يموت كما يعيش عن ابن عباس ان جبريل عليه السلام جاء الى النبى عليه السلام فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام وهو يقول مالى اراك مغموما حزينا قال عليه السلام يا جبريل طال تفكرى فى امتى يوم القيامة قال فى امر اهل الكفر ام اهل الاسلام فقال يا جبريل فى امر اهل لا اله الا الله محمد رسول الله فاخذ بيده حتى اقامه الى مقبرة بنى سلمة ثم ضرب بجناحه الايمن على قبر ميت قال قم باذن الله فقام الرجل مبيض الوجه وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فقال جبريل عد الى مكانك فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه الايسر فقال قم باذن الله فخرج رجل مسود الوجه ازرق العينين وهو يقول واحسرتاه واندامتاه فقال له جبريل عد الى مكانك فعاد كما كان ثم قال يا محمد على هذا يبعثون يوم القيامة وعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تموتون كما تعيشون وتبعثون كما تموتون هركسى آن درود عاقبت كاركه كشت * والاشارة فى الآية الى البالغين الواصلين بالسير الى الله ان يا ايها الذين آمنوا ووفقوا بمجرد الايمان بالغيب اذا ضربتم فى سبيل الله يعنى سرتم بقدم السلوك فى طلب الحق حتى صار الايمان ايقانا والايقان احسانا والاحسان عيانا والعيان غيبا وصار الغيب شهادة والشهادة شهودا والشهود شاهدا والشاهد مشهودا وبه اقسم الله بقوله وشاهد ومشهود فافهم جدا وهذا مقام الشيخوخية فتبينوا عن حال المريدين وتثبتوا فى الرد والقبول وفى قوله ولاتقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا اشارة الى ارباب الطلب فى البدء والارادة اى اذا تمسك احد بذيل ارادتكم والقى اليكم السلام بالانقياد والاستسلام لكم فلا تقولوا لست مؤمنا اى صادقا مصدقا فى التسليم لاحكام الصحبة وقبول التصرف فى المال والنفس على شرط الطريقة ولاتردوه

ولا تنفروه

ولا تنفروه بمثل هذه التشديدات وقولوا له كما امر الله موسى وهرون عليهما السلام فقولا له قولا لينا فانتم اعز من الانبياء ولا المريد المبتدئ اذل من فرعون ولايهولنكم امر رزقه فتجتنبون منه طلبا للتخفيف والى هذا المعنى اشار بقوله تبتغون عرض الحياة الدنيا فلا تهتموا لاجل الرزق فعند الله مغانم كثيرة ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب كذلك كنتم من قبل اى كذلك كنتم ضعفاء بالصدق والطلب محتاجين الى الصحبة والتربية بدوآء الارادة فمن الله عليكم بصحبة المشايخ وقبولهم اياكم والاقبال على تربيتكم وايصال رزقكم اليكم وشفقتهم وعطفهم عليكم فتبينوا ان تردوا اصادقا اهتماما لرزقه او تقبلوا كاذبا حرصا على تكثير المريدين ان الله كان فى الازل بما تعملون اليوم من الرد والقبول والاحتياج الى الرزق الذى تهتمون له خبيرا بتقدير امور قدرها فى الازل وفرغ منها كما قال عليه السلام ان الله فرغ من الخلق والرزق والاجل وقال الضيف اذا نزل نزل برزقه واذا ارتحل ارتحل بذنوب مضيفه كذا فى التأويلات النجمية (لايستوى القاعدون) عن الجهاد (من المؤمنين) حال من القاعدين اى كائنين من المؤمنين وفائدتها الايذان من اول الامر بعدم اخلال وصف القعود بايمانهم والاشعار بعلة استحقاقهم كما سيأتى من الحسنى (غير اولى الضرر) بالرفع صفة للقاعدون فان قلت كلمة غير لاتتعرف بالاضافة فكيف جاز كونها صفة للمعرفة قلت اللام فى القاعدون للعهد الذهنى فهو جار مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم باعيانهم والاظهر انه بدل من القاعدون والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او شلل او زمانة او نحوها وفى معناه العجز عن الاهبة عن زيد بن ثابت رضى الله عنه انه قال كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذى حتى خشيت ان ترضها اى تكسرها ثم سرى عنه واذيل ما عرض له من شدة الوحى فقال اكتب فكتبت لايستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لايستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سرى عنه فقال اكتب لايستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها فالمراد بالقاعدين هم الاصحاء الذين اذن لهم فى القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية قال ابن عباس رضى الله عنه هم القاعدون عن بدر والخارجون اليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول (والمجاهدون) عطف على القاعدون (فى سبيل الله باموالهم وانفسهم) اى لامساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة فى الاجر والثواب فان قلت معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لايستويان فما فائدة نفى الاستوآء قلت فائدته تذكير ما بينهما من التفاوت العظيم ليرغب القاعد فى الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته (فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم) جملة موضحة لما نفى الاستوآء فيه فان انتفاء الاستوآء بينهما يحتمل ان يكون بزيادة درجة احدهما على درجة الاخر وبنقصانها فبين الله تعالى بهذه الجملة ان انتفاء استوآئهما انما هو بانه تعالى فضل المجاهدين كانه قيل ما لهم لايستوون فاجيب بذلك (على القاعدين) غير اولى الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف (درجة) تنوينها للتفخيم كما سيأتى ونصبها بنزع الخافض اى بدرجة او على المصدرية لانه لتضمنه معنى التفضيل ووقوعه موقع المرة من التفضيل كان بمنزلة ان يقال فضلهم تفضيلة واحدة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة (وكلا) من القاعدين والمجاهدين (وعد الله الحسنى) اى المثوبة الحسنى وهى الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت فى زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب قوله كلا مفعول اول لوعد والحسنى مفعوله الثانى وتقديم الاول على الفعل لافادة القصر تأكيدا للوعد اى كلا منهما وعد الله الحسنى لا احدهما فقط والجملة اعتراض جيئ بها تداركا لما عسى يوهمه تفضيل احد الفريقين على الاخر من حرمان المفضول قال الفقهاء وهذا يدل على ان الجهاد فرض كفاية وليس مفروضا على كل احد بعينه لانه تعالى وعد القاعدين عنه الحسنى كما وعد المجاهدين ولو كان الجهاد واجبا على كل احد على التعيين لما كان القاعد اهلا لوعد الله تعالى اياه بالحسنى (وفضل الله المجاهدين على القاعدين) عطف على قوله فضل الله (اجرا عظيما) نصب على المصدر لان فضل بمعنى آجر اى آجرهم اجرا عظيما وايثاره على ما هو مصدر من فعله للاشعار بكون ذلك التفضيل اجرا لاعمالهم او مفعول ثان لفضل لتضمنه معنى الاعطاء اى واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما وقيل نصب بنزع الخافض اى فضلهم باجر عظيم (درجات) بدل من اجرا بدل الكل مبين لكمية التفضيل

(منه) صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة قدرها اى درجات كائنة منه تعالى وهى سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا او سبعمائة درجة وفى الحديث ان فى الجنة مائة درجة اعدها الله تعالى للمجاهدين فى سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض ويجوز ان يكون انتصاب درجات على المصدرية كما فى قولك ضربه اسواطا اى ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات (ومغفرة) بدل من اجرا بدل البعض لان بعض الاجر ليس من باب المغفرة اى مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التى لا يكفرها سائر الحسنات التى لا يأتى بها القاعدون ايضا حتى تعد من خصائصهم (ورحمة) بدل الكل من اجرا مثل درجات ويجوز ان يكون انتصابهما باضمار فعلهما اى غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبئ عن المغايرة وتقييده تارة بدرجة واخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه اللام ويستدعيه حسن الانتظام اما لتنزيل الاختلاف العنوانى بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف الذاتى تمهيدا لسلوك طريقة الابهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق والتقرير كما فى قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كانه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يفهم كنهها وحيث كان تحقق هذا العنوان البعيد بينهما موهما لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم اريد تفسير ما افاده التنكير بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شأن التنزيل واما للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على ان المراد بالتفضيل الاول ما خولهم الله تعالى عاجلا فى الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل الثانى ما انعم به فى الآخرة من الدرجات العالية الفائتة للحصر كما ينبئ عنه تقديم الاول وتأخير الثانى وتوسيط الوعد بالجنة بينهما كانه قيل فضلهم عليهم فى الدنيا درجة واحدة وفى الآخرة درجات لا تحصى وقد وسط بينهما فى الذكر ما هو متوسط بينهما فى الوجود اعنى الوعد بالجنة توضيحا لحالهما ومسارعة الى تسلية المفضول والله سبحانه اعلم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (وكان الله غفورا) لذنوب من جاهد فى سبيله (رحيما) يدخله الجنة برحمته وهو تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة قال القشيرى رحمه الله ان الله سبحانه جمع اولياءه فى الكرامات لكنه غاير بينهم فى الدرجات فمن غنى وغيره اغنى منه ومن كبير وغيره اكبر منه هذه الكواكب منيرة لكن القمر فوقها واذا طلعت الشمس بهرت اى غلبت جميعها بنورها انتهى فالجنة مشتركة بين الواصلين البالغين والطالبين المنقطعين بعذر وعوام المؤمنين القاعدين عن الطلب بلا عذر لكن الطائفة الاولى فى واد والاخريان فى واد آخر لا يستوون عند الله تعالى (قال المولى الجامى) اى كمند بدن چو طفل صغير ✻ مانده در دست خواب غفلت اسير ✻ پيش ازان كت اجل كند بيدار ✻ كر نمردى زخواب سر بردار ✻ انما السائرون كل رواح ✻ يحمدون السرى لدى الاصباح ✻ ودلت الآية على ان اولى الضرر مساوون للمجاهدين فى الاجر والثواب روى عنه عليه السلام انه لما رجع من غزوة تبوك ودنا من المدينة قال ان فى المدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم حابس العذر وهم الذين صحت نياتهم وتعلقت قلوبهم بالجهاد وانما منعهم عن الجهاد الضرر هر كسى از همت والاى خويش ✻ سود برد در خور كالاى خويش ✻ قال عليه السلام اذا مرض العبد قال الله تعالى اكتبوا لعبدى ما كان يعمله فى الصحة الى ان يبرأ وقال المفسرون فى قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان من صار هرما كتب الله له اجر عمله قبل هرمه غير منقوص وقالوا فى تفسير قوله عليه السلام نية المؤمن خير من عمله ان المؤمن ينوى الايمان والعمل الصالح لو عاش ابدا فيحصل له ثواب تلك النية ابدا قالوا هذه المساواة مشروطة بشريطة اخرى سوى الضرر قد ذكرت فى قوله تعالى فى اواخر سورة التوبة ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله والنصيحة لهما اطاعة لهما والطاعة لهما فى السر والعلن وتوليهما فى السراء والضراء والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالى الناصح بصاحبه كذا فى تفسير الارشاد واعلم ان الجهاد من افاضل المكاسب واماثل الحرف فلا ينبغى للعاقل ان يترك الجهاد او التحدث به فان من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه فقد مات ميتة

جاهلية ومعنى التحدث طلبه الغزو واخطاره بالبال قال بعض الكبار السبق بالهم لا بالقدم وفى الحديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ومعناه ان من انعم الله عليه بهاتين النعمتين وهما صحة الجسد بالعافية التى هى كالتاج على رؤس الاصحاء لا يراه الا السقيم والفراغ من شواغل الدنيا وعلقها فمن حصل له هاتان النعمتان واشتغل عن القيام بواجب حق الله تعالى فهذا هو الذى غبن بضياع حظه ونصيبه من طاعة الله وبذل النفس فى الخدمة وتحصيل ما ينفعه لآخرته من انواع الطاعات والقربات اللهم اجعلنا من المنتفعين بحياتهم والمتوجهين اليك فى مرضهم وصحتهم ولا تقطعنا عنك ولو لحظة عين ولا تشغلنا عن الوصل بالبين انك انت الغفور الرحيم (ان الذين توفاهم الملائكة) يحتمل ان يكون ماضيا فيكون اخبارا عن احوال قوم معينين انقرضوا ومضوا وان يكون مضارعا قد حذف منه احدى التاءين واصله تتوفاهم وعلى هذا تكون الآية عامة فى حق كل من كان بهذه الصفة والظاهر ان لفظ المضارع ههنا على حكاية الحال الماضية والقصد الى استحضار صورتها بشهادة كون خبران فعلا ماضيا وهو قالوا والمراد بتوفى الملائكة اياهم قبض ارواحهم عند الموت والملك الذى فوض اليه هذا العمل هو ملك الموت وله اعوان من الملائكة واسناد التوفى الى الله تعالى فى قوله الله يتوفى الانفس وفى قوله هو الذى يحييكم ثم يميتكم مبنى على ان خالق الموت هو الله تعالى (ظالمى انفسهم) فى حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور الدين فانها نزلت فى ناس من مكة قد اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة فانه تعالى لم يكن يقبل الاسلام بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة الا بالهجرة اليها ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله عليه السلام لا هجرة بعد الفتح قال الله تعالى فيمن آمن وترك الهجرة الذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وهو حال من ضمير توفاهم فانه وان كان مضافا الى المعرفة وحق الحال ان يكون نكرة الا ان اصله ظالمين انفسهم فتكون الاضافة لفظية (قالوا) اى الملائكة للمتوفين تقريرا لهم بتقصيرهم فى اظهار اسلامهم واقامة احكامه من الصلاة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك (فيم كنتم) اى فى اى شئ كنتم من امور دينكم كانه قيل فماذا قالوا فى الجواب فقيل (قالوا) متجانفين عن الاقرار الصريح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجبه على زعمهم (كنا مستضعفين فى الارض) اى فى ارض مكة عاجزين عن القيام بواجب الدين فيما بين اهلها (قالوا) ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم (الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها) الى قطر آخر منها تقدرون فيه على اقامة امور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة والى الحبشة وقيل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين الى بدر فقتلوا فيها فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريعا وتوبيخا لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم فى عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بانهم كانوا مقهورين تحت ايديهم وانهم اخرجوهم اى الى بدر كارهين فرد عليهم بانهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة (فاولئك) الذين حكيت احوالهم الفظيعة (مأواهم) اى فى الآخرة (جهنم) كما ان مأواهم فى الدنيا دار الكفر لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وكون جهنم مأواهم نتيجة لما قبله وهو الجملة الدالة على ان لا عذر لهم فى ذلك اصلا فعطف عليه عطف جملة على اخرى (وساءت مصيرا) مصيرهم جهنم (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) الاستثناء منقطع فان المتوفين ظالمى انفسهم اما مرتدون او عصاة بتركهم الهجرة مع القدرة عليها وهؤلاء المستضعفون اى المستذلون المقهورون تحت ايدى الكفار ليسوا بقادرين عليها فلم يدخلوا فيهم فكان الاستثناء منقطعا والجار والمجرور حال من المستضعفين اى كائنين منهم فان قلت المستثنى المنقطع وان لم يكن داخلا فى المستثنى منه لكن لا بد ان يتوهم دخوله فى حكم المستثنى منه ومن المعلوم ان لا يتوهم دخول الاطفال فى الحكم السابق وهو كون مأواهم جهنم فكيف ذكر فى عداد المستثنى قلت للمبالغة فى التحذير عن ترك الهجرة وايهام انها لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة تجب عليهم كما بلغوا حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت (لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه فيكون فى حكم المنكر واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه بنفسه او بدليل (فاولئك) اشارة الى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز (عسى الله

ان يعفو عنهم) ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه (وكان الله عفوا غفورا) معنى كونه عفوا صفحه واعراضه عن العقوبة ومعنى كونه غفورا ستر القبائح والذنوب فى الدنيا والآخرة فهو كامل العفو تام الغفران (قال السعدى) پس پرده بيند عملهاى بد * هم او پرده پوشد بالاى خود * وفى الآية الكريمة ارشاد الى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة امور دينه باى سبب كان وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليه السلام قال الحدادى فى تفسيره فى قوله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها دليل انه لا عذر لاحد فى المقام على المعصية فى بلده لاجل المال والولد والاهل بل ينبغى ان يفارق وطنه ان لم يمكنه اظهار الحق فيه ولهذا روى عن سعيد بن جبير انه قال اذا عمل بالمعاصى بارض فاخرج منها * سعديا حب وطن كرچه حديث است صحيح * نتوان مرد بسختى كه من اينجا زادم * والاشارة فى الآية ان المؤمن عام وخاص وخاص الخاص كقوله فمنهم ظالم لنفسه وهو العام ومنهم مقتصد وهو الخاص ومنهم سابق بالخيرات وهو خاص الخاص فالذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم هم العوام الذين ظلموا انفسهم بتدنيتها من غير تزكيتها عن اخلاقها الذميمة وتحليتها بالاخلاق الحميدة ليفلحوا فخابوا وخسروا كما قال تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها قالوا فيم كنتم اى قالت الملائكة حين قبضوا ارواحهم فى اى غفلة كنتم تضيعون اعماركم وتبطلون استعدادكم الفطرى وفى اى واد من اودية الهوى تهيمون وفى اى روضة من رياض الدنيا كنتم تؤثرون الفانى على الباقى وتنسون الطهور والساقى واخوانكم يجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم ويهاجرون عن الاوطان ويفارقون الاخوان والاخدان قالوا كنا مستضعفين فى الارض اى عاجزين فى استيلاء النفس الامارة وغلبة الهوى ماسورى الشيطان فى حبس البشرية قالوا الم تكن ارض الله اى ارض القلب واسعة فتهاجروا فيها فتخرجوا عن مضيق ارض البشرية فتسلكوا فى فسحة عالم الروحانية بل تطيروا فى هواء الهوية فاولئك يعنى ظالمى انفسهم مأواهم جهنم البعد عن مقامات القرب وساءت مصيرا جهنم البعد لتاركى القرب والمتقاعدين عن جهاد النفس الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين صفتهم لا يستطيعون حيلة فى الخروج عن الدنيا لكثرة العيال وضعف الحال ولا على قهر النفس وغلبة الهوى ولا على قمع الشيطان فى طلب الهدى ولا يهتدون سبيلا الى صاحب ولاية يتمسكون بعروته الوثقى ويعتصمون بحبل ارادته فى طلب المولى فيخرجهم من ظلمات ارض البشرية الى نور سماء الربوبية على اقدام العبودية وهم المقتصدون المشتاقون ولكنهم بحجب الانانية محجوبون وعن شهود جمال الحق محرومون فعذرهم بكرمه ووعدهم رحمته وقال فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم السكون عن الله والركون الى غير الله وكان الله فى الازل عفوا ولعفوه امكنهم التقصير فى العبودية غفورا ولغفرانه امهلهم فى اعطاء حق الربوبية كذا فى التأويلات النجمية (ومن يهاجر فى سبيل الله) ترغيب فى المهاجرة وتأنيس لها وسبيل الله ما امر بسلوكه (يجد فى الارض مراغما كثيرا) اى متحولا يتحول اليه ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تأكيدا للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل المهاجر بما فيه من الخير والنعمة الى ما يكون سببا لرغم انف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال ارغم الله انفه اى الصقه بالرغام ولما كان الانف من جملة الاعضاء فى غاية العزة والتراب فى غاية الذلة جعل قولهم رغم انفه كناية عن الذلة (وسعة) فى الرزق واظهار الدين (ومن يخرج من بيته مهاجرا) اى مفارقا قومه واهله وولده (الى الله ورسوله) اى الى طاعة الله وطاعة رسوله (ثم يدركه الموت) اى قبل ان يصل الى المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة (فقد وقع اجره على الله) الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب (وكان الله غفورا) مبالغا فى المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التى من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج (رحيما) مبالغا فى الرحمة فيرحمه باكمال ثواب هجرته روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث بالآيات المحذرة عن ترك الهجرة الى مسلمى مكة قال جندب ابن ضمرة من بنى الليث لبنيه وكان شيخا كبيرا لا يستطيع ان يركب الراحلة احملونى فانى لست من المستضعفين وانى لاهتدى الطريق ولى من المال ما يبلغنى المدينة وابعد منها والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير

متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم وهو موضع قريب من مكة اشرف على الموت فاخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فلما بلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لو توفى بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فانزل الله هذه الآية فمن هذا قالوا المؤمن اذا قصد طاعة ثم اعجزه العذر عن اتمامها كتب الله له ثواب تمام تلك الطاعة وفى الكشاف قالوا كل هجرة لغرض دينى من طلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهدا فى الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهى هجرة الى الله ورسوله وان ادركه الموت فى طريقه فاجره واقع على الله انتهى قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره من مات قبل الكمال فمراده يجىء اليه كما ان من مات فى طريق الكعبة يكتب له اجر حجين يقول الفقير سمى الذبيح المتخلص بحقى سمعت مرة شيخى العارف العلامة ابقاه الله بالسلامة وهو يقول عند تفسير هذه الآية ان الطالب الصادق اذا سافر من ارض بشريته الى مقام القلب فمات قبل ان يصل الى مراده فله نصيب من اجر البالغين الى ذلك المقام لصدق طلبه وعدم انقطاعه عن الطريق الى حد الموت بل الله يكمله فى عالم البرزخ بوساطة روح من ارواحه او بوساطة فيضه ومثل هذا جاء فى حق بعض السلاك وله نظير فى الشريعة كما روى عن الحسن البصرى رحمه الله انه قال بلغنى ان المؤمن اذا مات ولم يحفظ القرآن امر حفظته ان يعلموه القرآن فى قبره حتى يبعثه الله تعالى يوم القيامة مع اهله فاذا كان طالب القرآن الرسمى بالغا الى مراده وان فى البرزخ لحرصه على التحصيل فليس يبدع ان يكون طالب القرآن الحقيقى واصلا الى مرامه فى عالم المثال المقيد لشغفه على التكميل اقول واما ما قال الشيخ الكبير صدر الدين القنوى قدس سره فى الفلك الاخير من الفلوك من المتفق شرعا وعقلا وكشفا ان كل كمال لم يحصل للانسان فى هذه النشأة وهذه الدار فانه لا يحصل له بعد الموت فى الدار الآخرة انتهى فلعله فى حق اهل الحجاب الذين قعدوا عن الطلب رأسا لا فى حق اهل الحجاب الذين سلكوا لكن ماتوا قبل الوصول الى مكاشفة الافعال ومشاهدة الصفات ومعاينة الذات قال المولى الجامى فى شرح الكلمة الشعيبية من الفصوص الحكمية فما يدل على عدم الترقى بعد الموت من قوله تعالى ومن كان فى هذه اعمى الآية انما هو بالنسبة الى معرفة الحق لا لمن لا معرفة له اصلا فانه اذا انكشف الغطاء ارتفع العمى بالنسبة الى الدار الآخرة ونعيمها وجحيمها والاحوال التى فيها واما قوله عليه السلام اذا مات ابن آدم انقطع عمله فهو يدل على ان الاشياء التى يتوقف حصولها على الاعمال لا تحصل وما لا يتوقف عليها بل يحصل بفضل الله ورحمته فقد يحصل وذلك من مراتب التجلى انتهى كلامه فعلى السالك ان لا ينقطع عن الطريق ويرجو من الله التوفيق كى يصل الى منزل التحقيق (قال الحافظ الشيرازى) كاروان رفت وتو در راه كمين كاه بخواب * وه كه بس بيخبر از غلغل چندين جرسى * بال بكشا اى صفير از شجر طوبى زن * حيف باشد چو تو مرغى كه اسير قفسى * تا چو مجمر نفسى دامن جانان كيرم * جان نهاديم بر آتش زبى خوش نفسى * چند پويد بهواى تو بهر سو حافظ * يسر الله طريقا بك يا ملتمسى * وفى التأويلات النجمية ان الاشارة فى الآية من غاية ضعف الانسان وحياته الحيوانية واستهواء الشيطان يكون الخوف غالبا على الطالب الصادق فى بدء طلبه فكلما اراد ان يسافر عن الاوطان ويهاجر عن الاخوان طالبا فوائد اشارة سافروا لتصحوا وتغنموا لازالة مرض القلب ونيل صحة الدين والفوز بغنيمة صحبة شيخ كامل مكمل وطبيب حاذق مشفق ليعالج مرض قلبه ويبلغه كعبة طلبه فتسول له النفس اعداد الرزق وعدم الصبر ويعده الشيطان بالفقر فقال تعالى على قضية والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ومن يهاجر فى سبيل الله اى طلب الله يجد فى الارض مراغما كثيرا اى بلادا اطيب من بلاده واخوانا فى الدين احسن من اخوانه وسعة فى الرزق وفيه اشارة اخرى وهى ومن يهاجر عن بلد البشرية فى طلب حضرة الربوبية يجد فى ارض الانسانية مراغما كثيرا اى متحولا ومنازل مثل القلب والروح والسر وسعة اى وسعة فى تلك العوالم الوسيعة اوسعة من رحمة الله كما اخبر الله تعالى على لسان نبيه عليه السلام عن تلك الوسعة والسعة بقوله لا يسعنى ارضى ولا سمائى وانما يسعنى قلب عبدى المؤمن فافهم يا كثير الفهم قصير النظر قليل العبر ثم قال دفعا للهواجس النفسانية والوساوس الشيطانية فى التخويف بالموت والايعاد بالفوت ومن يخرج من بيته اى بيت بشريته بترك الدنيا وقمع الهوى وقهر النفس بهجرانه صفاتها وتبديل اخلاقها مهاجرا الى الله طالبا له فى متابعة رسوله

ثم يدركه الموت قبل وصوله فقد وقع اجره على الله يعنى فقد اوجب الله تعالى على ذمة كرمه بفضله ورحمته ان يبلغه
الى اقصى مقاصده واعلى مراتبه فى الوصول بناء على صدق نيته وخلوص طويته اذا كان المانع من اجله ونية
المؤمن خير من عمله وكان الله غفورا لذنب بقية انانية وجوده رحيما عليه بتجلى صفة جوده ايبلغ العبد الى
كمال مقصوده بمنه وكرمه وسعة جوده انتهى كلام التأويلات (واذا ضربتم فى الارض) شروع فى بيان كيفية
الصلاة عند الضرورات من السفر ولقاء العدو والمطر والمرض اى اذا سافرتم اى مسافرة كانت للهجرة اوللجهاد
اولغيرهما (فليس عليكم جناح) اى حرج ومأثم فى (ان تقصروا) شيأ (من الصلاة) فهو صفة لمحذوف والقصر
خلاف المد يقال قصرت الشئ اى جعلته قصيرا بحذف بعض اجزآئه اواوصافه فمتعلق القصر حقيقة انما
هو ذلك الشئ لا بعضه فانه متعلق الحذف دون القصر وعلى هذا فقوله من الصلاة ينبغى ان يكون مفعولا
لتقصروا على زيادة من حسبما رآه الاخفش واما على تقدير ان تكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفا
كما هو رأى سيبويه اى شيأ من الصلاة فينبغى ان يصار الى وصف الجزء بصفة الكل والمراد قصر الرباعيات
بالتنصيف فانه اتصلى فى السفر ركعتين فالقصر انما يدخل فى صلاة الظهر والعصر والعشاء دون المغرب والفجر
وادنى مدة السفر الذى يجوز فيه القصر عند ابى حنيفة رحمه الله مسيرة ثلاثة ايام ولياليها الايام للمشى والليالى
للاستراحة بسير الابل ومشى الاقدام بالاقتصاد ولا اعتبار بابطاء الضارب اى المسافر السائر واسراعه فلو سار
مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن فى يوم قصر ولو سار مسيرة يوم فى ثلاثة ايام لم يقصر ثم تلك المسيرة ستة برد جمع بريد كل
بريد اربعة فراسخ وكل فرسخ ثلاثة اميال باميال هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى قدر اميال
البادية كل ميل اثنا عشر الف قدم وهى اربعة آلاف خطوة فان كل ثلاثة اقدام خطوة وظاهر الاية الكريمة
التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام افضل لكن عندنا يجب القصر لا محالة خلا ان بعض مشايخنا سماه عزيمة
وبعضهم رخصة اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام لا رخصة توفيه اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم صدقة تصدق الله بها عليكم وهو يدل على عدم جواز الاكمال لان التصدق بما لا يحتمل
التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد فليس لنا الا التدين بما شرع الله والعمل بما حكم قال فى الاشباه القصر
للمسافر عندنا رخصة اسقاط بمعنى العزيمة بمعنى ان الاتمام لم يبق مشروعا حتى اثم به وفسدت لو اتم ومن لم يقعد
على رأس الركعتين فسدت صلاته لاتصال النافلة بها قبل كمال اركانها وان قعد فى آخر الركعة الثانية قدر التشهد
اجزأته الاخريان نافلة ويصير مسيئا بتأخير السلام قال فى تفسير الحدادى المسافر اذا صلى الظهر اربعا ولم يقعد
فى الثانية قدر التشهد فسدت صلاته كمصلى الفجر اربعا انتهى فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح
ان تقصروا فلم ورد ذلك بنفى الجناح قلت لما انهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا
فى القصر فصرح بنفى الجناح عنهم لتطيب به نفوسهم ويطمئنوا اليه كما فى قوله تعالى فمن حج البيت او اعتمر
فلا جناح عليه ان يطوف بهما مع ان ذلك الطواف واجب عندنا ركن عند الشافعى ثم ان العاصى كالمطيع
فى رخصة السفر حتى ان الآبق وقاطع الطريق يقصران لان المقيم العاصى يمسح يوما وليلة كالمقيم المطيع فكذا
المسافر ولان السفر ليس بمعصية فلا يعتبر غرض العاصى (ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا) جوابه محذوف
لدلالة ما قبله عليه اى ان خفتم ان يتعرضوا لكم بما تكرهون من القتال وغيره فليس عليكم جناح ان تقصروا
من الصلاة والقصر ثابت بهذا النص فى حال الخوف خاصة واما فى حال الامن فبالسنة قال المولى ابو السعود
فى تفسيره وهو شرط معتبر فى شرعية ما يذكر بعده من صلاة الخوف المؤداة بالجماعة واما فى حق مطلق القصر
فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن على مشروعيته ثم قال بعد كلام بل نقول ان الاية الكريمة مجملة فى حق مقدار
القصر وكيفيته وفى حق ما يتعلق به من الصلاة وفى مقدار مدة القصر الذى نيط به القصر فكل ما ورد عنه صلى
الله عليه وسلم من القصر فى حال الامن وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف وبالضرب فى المدة المعينة
بيان لاجمال الكتاب انتهى وعن ابن عباس رضى الله عنه قال سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة
والمدينة لا يخاف الا الله فصلى ركعتين كذا فى الوسيط (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) اى ظاهر العداوة
وكمال عداوتهم من موجبات التعرض لكم بقتال اوغيره (واذا كنت) يا محمد (فيهم) اى مع المؤمنين الخائفين
(فاقمت لهم الصلاة) اى اذا اردت ان تقيم بهم الصلاة قال ابن عباس لما رأى المشركون رسول الله صلى الله

عليه وسلم واصحابه قاموا الى صلاة الظهر وهو يؤمهم وذلك فى غزوة ذات الرقاع ندموا على تركهم الاقدام
على قتالهم فقال بعضهم دعوهم فان لهم بعدها صلاة هى احب اليهم من آبائهم واولادهم واموالهم يريدون
صلاة العصر فان رأيتموهم قاموا اليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبرائيل عليه السلام بهؤلاء الآيات بين
الصلاتين فعلمه كيفية اداء صلاة الخوف واطلعه الله على قصدهم ومكرهم ذهب الجمهور الى ان صلاة الخوف
ثابتة مشروعة بعده صلى الله عليه وسلم فى حق كل الامة غايته انه تعالى علم رسول الله صلى الله عليه وسلم كيفية
اداء الصلاة حال الخوف لتقتدى به الامة فيتناولهم الخطاب الوارد له عليه السلام قال فى الكشاف ان الائمة
نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل امام
يكون حاضرا بجماعة فى حال الخوف عليه ان يؤمهم كما ام رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعات التى كان
يحضرها الا يرى ان قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم لم يوجب كونه عليه السلام مخصوصا بها دون
غيره من الائمة بعده فكذا صلاة الخوف فاندفع قول من قال صلاة الخوف مخصوصة بحضرة الرسول عليه
السلام حيث شرط كونه بينهم (فلتقم طائفة منهم معك) بعد ان جعلتهم طائفتين ولتقف الطائفة الاخرى
بازآء العدو ليحرسوكم منهم (وليأخذوا) اى الطائفة القائمة معك وهم المصلون (اسلحتهم) اى لا يضعوها
ولا يلقوها وانما عبر عن ذلك بالاخذ للايذان بالاعتناء باستصحابها كانهم يأخذونها ابتداء (فاذا سجدوا)
اى القائمون معك واتموا الركعة (فليكونوا من ورآئكم) اى فلينصرفوا الى مقابلة العدو للحراسة (ولتأت
طائفة اخرى لم يصلوا) بعد وهى الطائفة الواقفة تجاه العدو للحراسة (فليصلوا معك) الركعة الباقية ولم يبين
فى الاية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روى عن ابن عمر وابن
مسعود ان النبى عليه السلام حين صلى صلاة الخوف صلى بالطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة
كما فى الاية ثم جاءت الطائفة الاولى وذهبت هذه الى العدو حتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قرآءة وسلموا
ثم جاءت الطائفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى بقرآءة حتى صار لكل طائفة ركعتان هذا اذا كان مسافرا
او فى الفجر لان الركعة الواحدة شطر صلاته واما اذا كان مقيما او فى المغرب فيصلى بالطائفة الاولى الركعتين
لانهما الشطر وفى الكافى لو اخطأ الامام فصلى بالاولى ركعة وبالثانية ركعتين اى فى المغرب فسدت صلاة
الطائفتين وتفصيل كيفية الصلاة عند الخوف من عدو او سبع كفى مؤنته باب صلاة الخوف فى الفروع فارجع
اليه (وليأخذوا) اى هذه الطائفة (حذرهم) وهو التحذر والتيقظ (واسلحتهم) ان قلت الحذر من قبيل المعانى
فكيف يتعلق به الاخذ الذى لا يتعلق الا بما هو من قبيل الاعيان كالسلاح قلت انه من قبيل الاستعارة بالكناية
فانه شبه الحذر بآلة يستعملها الغازى وجعل تعلق الاخذ به دليلا على هذا التشبيه المضمر فى النفس فيكون
استعارة تخييلية ولا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز من حيث ان اسناد الاخذ الى الاسلحة حقيقة والى الحذر
مجاز وذلك لان الاخذ على حقيقته وانما المجاز ايقاعه فافهم ولعل زيادة الامر بالحذر فى هذه المرة كونها مظنة
لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبى عليه السلام فى شغل شاغل واما قبلها فربما يظنونهم قائمين
للحرب وتكليف كل من الطائفتين باخذ الحذر والاسلحة لما ان الاشتغال بالصلاة مظنة لالقاء السلاح
والاعراض عن ذكرها ومئنة لهجوم العدو كما ينطق به ما بعد الآية قال الامام الواحدى فى قوله تعالى
وليأخذوا حذرهم رخصة للخائف فى الصلاة لان يجعل بعض فكره فى غير الصلاة (ود الذين كفروا لو تغفلون
عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) الخطاب للفريقين بطريق الالتفات اى تمنوا ان ينالوا
منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع به فى الحرب لا مطلقا (ولا جناح
عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم) رخصة لهم فى وضع الاسلحة ان ثقل
عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر او يضعفهم من مرض وهذا يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون
الاستحباب وقال الفقهاء حمل السلاح فى صلاة الخوف مستحب لان الحمل ليس من اعمال الصلاة والامر
فى قوله تعالى وليأخذوا حذرهم واسلحتهم محمول على الندب (وخذوا حذركم) امرهم مع ذلك باخذ الحذر اى
بالتيقظ والاحتياط لئلا يهجم عليهم العدو غيلة قال ابن عباس رضى الله عنه غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم
محاربا بنى انمار فهزمهم الله تعالى فنزل النبى عليه السلام والمسلمون ولا يرون من العدو احدا فوضعوا

اسلحتهم وخرج رسول الله يمشى لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادى والسماء ترش فحال الوادى بينه
عليه السلام وبين اصحابه فجلس فى اصل شجرة فبصر به غورث بن الحرث المحاربى فانحدر من الجبل ومعه
السيف وقال لاصحابه قتلنى الله ان لم اقتل محمدا فلم يشعر رسول الله الا وهو قائم على رأسه وقد سل سيفه من
غمده فقال يا محمد من يعصمك منى الآن فقال عليه السلام الله عز وجل ثم قال اللهم اكفنى غورث بن الحرث
بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله ليضربه فانكب على وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه فندر سيفه
فقام رسول الله فاخذه ثم قال يا غورث من يمنعك منى قال لا احد قال عليه السلام تشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا عبده ورسوله واعطيك سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه سيفه
فقال غورث والله لانت خير منى فقال عليه السلام انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقص عليهم
قصته فامن بعضهم قال وسكن الوادى فرجع رسول الله الى اصحابه واخبرهم بالخبر (ان الله اعد للكافرين
عذابا مهينا) تعليل للامر باخذ الحذر اى اعد لهم عذابا مهينا بان يخذلهم وينصركم عليهم فاهتموا باموركم
ولا تهملوا فى مباشرة الاسباب كى يحل بهم عذابه بايديكم (فاذا قضيتم الصلاة) صلاة الخوف اى اديتموها
على الوجه المبين وفرغتم منها فظهر منه ان القضاء يستعمل فيما فعل فى وقته ومنه قوله تعالى فاذا قضيتم
مناسككم (فاذكروا الله) حال كونكم (قياما) اى قائمين (وقعودا) اى قاعدين (وعلى جنوبكم)
اى مضطجعين اى فداوموا على ذكر الله تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه فى جميع الاحوال حتى
فى حال المسايفة والقتال كما فى قوله تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (فاذا اطمأننتم)
سكنت قلوبكم من الخوف وأمنتم بعد ما تضع الحرب اوزارها (فاقيموا الصلاة) اى الصلاة التى دخل وقتها
حينئذ اى ادوها بتعديل اركانها ومراعاة شرائعها ومن حمل الذكر على مايعم الذكر باللسان والصلاة من
الحنفية فله ان يقول فى تفسير الاية فداوموا على ذكر الله فى جميع الاحوال واذا اردتم اداء الصلاة فصلوها
قائمين حال الصحة والقدرة على القيام وقاعدين حال المرض والعجز عن القيام ومضطجعين على الجنوب
حال العجز عن القعود (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) اى فرضا موقتا قال مجاهد وقته تعالى
عليهم فلا بد من اقامتها فى حالة الخوف ايضا على الوجه المشروع وقيل مفروضا مقدرا فى الحضر اربع ركعات
وفى السفر ركعتين فلا بد ان تؤدى فى كل وقت حسبما قدر فيه قال فى شرح الحكم العطائية ولما
علم الله تعالى ما فى العباد من وجود الشره المؤدى الى الملل القاطع عن بلوغ العمل جعل الطاعات
فى الاوقات اذ جعل فى اليوم خمسا وفى السنة شهرا وفى المائتين خمسا وفى العمر زورة رحمة بهم وتيسيرا للعبودية
عليهم ولو لم يقيد الطاعات باعيان الاوقات لمنعهم عنها وجود التسويف فاذا يترك معاملته تعاميا وبطرا
وبطالة واتباعا للهوى بغير وانما وسع الوقت كى تبقى حصة الاختيار وهذا سر الوقت وكان الواجب على
الامة ليلة المعراج خمسين صلاة فخفف الله عنهم وجازاهم بكل وقت عشرا فاجر خمسين فى خمسة اوقات قالوا
وجه كون يوم القيامة على الكافر خمسين الف سنة لانه لما ضيع الخمسين عوقب بكل صلاة الف سنة
كما اقروا على انفسهم بقولهم لم نك من المصلين وفى الحديث من ترك صلاة حتى مضى وقتها ثم قضى عذب
فى النار حقبا والحقب ثمانون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما كل يوم الف سنة مما تعدون يعنى ترك الصلاة
الى وقت القضاء اثم لو عاقب الله به يكون جزاؤه هكذا ولكن الله يتكرم بان لا يجازى به اذا تاب عنه كذا
فى مشكاة الانوار وفى الحديث خمسة لا تطفأ نيرانهم ولا تموت ديدانهم ولا يخفف عنهم من عذابها مشرك بالله
وعاق لوالديه والزانى بحليلة جاره ورجل سلم اخاه الى سلطان جائر ورجل اوامرأة سمع المؤذن يؤذن ولم يجب من
غير عذر يعنى اخرها عن وقتها بغير عذر كذا فى روضة العلماء وفى الحديث ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد
احب اليه من الصلاة ولو كان شئ احب اليه من الصلاة تعبد به ملائكته فمنهم راكع وساجد وقائم وقاعد وكان
آخر ما اوحى به الى النبى عليه السلام الصلاة وما ملكت ايمانكم واعلم ان لله عبادا قد منحهم ديمومية الصلاة فهم
فى صلاتهم دائمون من الازل الى الابد وليس هذا يدرك بالعقول القاصرة ولا يعقلها الا العالمون بالله تعالى
وفى التأويلات النجمية ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا يعنى واجبا فى جميع الاوقات حين فرضت
بقوله اقيموا الصلاة اى اديموها رخص فيها بخمس صلوات فى خمسة اوقات لضرورة ضعف الانسانية كما كانت

الصلاة الخمس خمسين صلاة حين فرضت ليلة المعراج فجعلها بشفاعة النبى عليه السلام خمسا وهذا للعوام الخلق
والا ثبت دوام الصلاة للخواص بقوله والذينهم على صلاتهم دائمون (وفى المثنوى) پنج وقت آمد نماز رهنمون *
عاشقانش فى صلاة دائمون * نيست زرغبا وظيفهٔ ماهيان * زانكه بى دريا ندارد انس جان * هيچ كس با خويش
زرغبا نمود * هيچ كس با خود بنوبت يار بود * در دل عاجز بجز معشوق نيست * در ميان شان فارق وفاروق
نيست (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم) نزلت فى بدر الصغرى وهى موضع سوق لبنى كنانة كانوا يجتمعون فيها كل
عام ثمانية ايام روى ان ابا سفيان قال عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى
الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى فلما كان القابل القى الله الرعب فى قلبه فندم على ما قال فبعث نعيم بن مسعود
ليخوف المؤمنين من الخروج الى بدر فلما اتى نعيم المدينة وجد المؤمنين يتجهزون للخروج فقال لهم ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم ففتر المؤمنين فقال عليه السلام لاخرجن ولو لم يخرج معى احد فانزل الله هذه الآية
ارشادا لمن طرأ عليهم الوهن فى ابتغاء القوم اى طلب ابى سفيان وقوله والمعنى لا تفتروا ولا تضعفوا فى طلب
الكفار بالقتال اى لا يورثنكم ما اصابكم يوم احد من القتل والجراحات فتورا وضعفا (ان تكونوا تألمون)
من الجراح (فانهم) اى القوم (يألمون كما تألمون) اى ان كان لكم صارف عن الحرب وهو انكم تألمون من الجراح
فلهم مثل ذلك من الصارف ولكم اسباب داعية الى الحرب ليست لهم كما اشار اليها بقوله (وترجون من الله)
من الثواب والنصر (ما لا يرجون) والحاصل ليس ما تقاسونه من الالام مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم
ثم انهم يصبرون على ذلك فما لكم لا تصبرون مع انكم اولى به منهم حيث ترجون من الله من اظهار دينكم على
سائر الاديان ومن الثواب فى الآخرة ما لا يخطر ببالهم قطعا (وكان الله عليما) مبالغا فى العلم فيعلم اعمالكم
وضمائركم (حكيما) فيما يأمر وينهى فجدوا فى الامتثال بذلك فان فيه عواقب حميدة وفى امره بابتغاء القوم
بالقتال لهمة بالغة كاملة ومصلحة تامة شاملة فاطلبوهم بالقتال فان الله يعذبهم فى الدنيا بايديكم وفى الآخرة
بايدى الزبانية فهل ينتظرون الا سنة الله فى الكافرين الاولين وهو انزال العذاب بهم حين كذبوا انبياءهم
فلن تجد لسنة الله تبديلا بجعل التعذيب غير تعذيب وغير التعذيب تعذيبا ولن تجد لسنة الله تحويلا بنقل
التعذيب عنهم الى غيرهم والحاصل انه لا يبدل نفس السنة ولا يحول محل السنة اذ لقد حق القول عليهم
ولا يتبدل القول لديه وفى الاية الكريمة حث على الشجاعة والتجلد واظهار الغلظة كما قال تعالى وليجدوا فيكم
غلظة قيل هست نرمى آفت جان سمور * وز درشتى ميبرد جان خار پشت * قال سلمان الفارسى
رضى الله عنه اذا اضطرب قلب المؤمن عند محاربة الكافر تحدر ذنوبه كتحدر اوراق الشجرة بهبوب النسيم
وقال عطية بن قيس اذا خرجت غازيا فان خطر ببالى كثرة العدد والعدد رجعت عن السفر خوفا
من الغرور وان خطر قلتهما قلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (ومن كلمات بهرام) هر انكه سر تاج
دارد * بايدكه دل از سر بردارد (بيت) هر انكه باى نهد در نكارخانهٔ ملك * يقين كه مال وسر وهرچه
هست دربازد (ومن كلمات السعدى) در فرا كند مرد بايد بود * بر مخنث سلاح جنك چه سود * يقول
الفقير سمعت من حضرة شيخى وسندى الذى هو بمنزلة روحى من جسدى انه قال السلطان والوزير بالنسبة
الى العساكر الاسلامية كالقلب بالنسبة الى الاعضاء والجوارح الانسانية فاذا ثبت ثبتوا كما ان القلب اذا صلح
صلح الجسد كله فان كان اقبال الامام بعشر مراتب كان اقبال قومه بمرتبة واحدة وان كان بمائة مرتبة كان
اقبالهم بعشر مراتب وهكذا اوما ادباره فعكسه فان كان بمرتبة كان ادبار القوم بعشر مراتب وان كان بعشر
مراتب كان ادبارهم بمائة مرتبة وهكذا وليس الدخول بدار من باب تفرج البلدان والخروج الى المسير والتنعم
فلا بد لكل مجاهد ان يجتهد فى خدمة الدين ويتوكل على الله ويعتمد على وعده ويصبر على البلاء حتى يبلغ الكتاب
اجله وان اتى الباب فلا يستعجل الامناء ولا يهن ولا يحزن بمكث الفتح المطلوب بل ينتظر الى فرج الله بالنصر
والفتح عن قريب فان انكسار القلوب مفتاح ابواب الغيوب ومدار انفتاح انواع الفتوح والاشارة فى الآية
ولا تهنوا فى ابتغاء القوم اى فى طلب النفس وصفاتها والجهاد معها ان تكونوا تألمون فى الجهاد معها وتتعبون
بالرياضات والمجاهدات وملازمة الطاعات والعبادات ومداومة الذكر ومراقبة القلب فى طلب الحق والقبول
والوصول الى المقامات العلية فانهم يعنى النفس والبدن فى طلب الشهوات الدنيوية واللذات الحيوانية والمرادات

الجسمانية يألمون ويتعبون فى طلبها كما انا ألمون وترجون من الله العواطف الازلية والعوارف الابدية
مالا يرجون النفوس الردية من همهما الدنية التى لا تتجاوز من قصورها عن المقاصد الدنيوية وكان الله
فى الازل عليما باستعداد كل طائفة من اصناف الخلق حكيما فيما حكم لكل واحد منهم من المقاصد والمشارب
قد علم كل اناس مشربهم وكل حزب بما لديهم فرحون (انا انزلنا اليك الكتاب) اى القرآن انزالا (بالحق)
روى ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بنى ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان فى جراب
دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخبأها عند زيد بن السمين اليهودى فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد
وحلف ما اخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى فاخذوها فقال دفعها
الى طعمة وشهد له ناس من اليهود على ذلك فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه
ان يجادل اليهودى ليدفع فضيحة البهتان عن صاحبهم طعمة وقالوا له عليه السلام ان يعاقب اليهودى ويقطع
يده بناء على شهادة قوم طعمة على برآءته وعلى ان اليهودى هو السارق ولم يظهر له عليه السلام ما يوجب القدح
فى شهادتهم بناء على كون كل واحد من الشاهد والمشهود له من المسلمين ظاهرا فلذلك مال طبعه الى نصرة
الخائن والذب عنه الا انه لم يحكم بذلك بل توقف وانتظر الوحى فنزلت الاية ناهية عنه ومنبهة على ان طعمة
وشهوده كاذبون وان اليهودى برى من ذلك الجرم (لتحكم بين الناس بما اريك الله) اى بما عرفك واوحى به اليك
فاراك ليس من الرؤية البصرية ولا من التى بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل بل هو منقول من رأيت
بمعنى الاعتقاد والمعرفة وسميت المعرفة المذكورة رؤية لكونها جارية مجرى الرؤية فى القوة والظهور والخلوص
من وجوه الريب (ولا تكن) اى فاحكم به ولا تكن (للخائنين) اى لاجلهم والذب عنهم وهم طعمة ومن
يعينه فانه روى ان قومه علموا ان تلك السرقة عمل طعمة بناء على انه سارق فى الجاهلية لكنهم بيتوا طول
ليلهم واتفقوا على ان يشهدوا بالسرقة على اليهودى دفعا عن طعمة عقوبة السرقة فلذلك وصفهم الله جميعا
بالخيانة او المراد بالخائنين هو وكل من يتسير بسيرته (خصيما) اى مخاصما للبرآء اى لا تخاصم اليهودى لاجلهم
(واستغفر الله) مما هممت به تعويلا على شهادتهم قال ابن الشيخ ولما صدر عنه عليه السلام الهم بذلك الحكم
الذى لو وقع لكان خطأ فى نفسه امر الله تعالى اياه عليه السلام بان يستغفر لهذا العذر وان كان معذورا فيه
عند الله بناء على ان حسنات الابرار سيئات المقربين (ان الله كان غفورا رحيما) مبالغا فى المغفرة والرحمة
لمن يستغفره (ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم) الاختيان والخيانة بمعنى اى يخونونها بالمعصية وانما قال
يختانون انفسهم وان كانوا خانوا انفسهم لان مضرة خيانتهم راجعة اليهم كما يقال فيمن ظلم غيره ما ظلم الا نفسه
كذا فى تفسير الحدادى والمراد بالموصول اما طعمة وامثاله واما هو ومن عاونه وشهد ببرآءته من قومه فانهم
شركاء له فى الاثم والخيانة (ان الله لا يحب) عدم المحبة كناية عن البغض والسخط (من كان خوانا) مفرطا
فى الخيانة مصرا عليها (اثيما) منهمكا فيها اطلق على طعمة لفظ المبالغة الدال على تكرر الفعل منه مع ان الصادر
منه خيانة واحدة واثم واحد لكون طبعه الخبيث مائلا الى تكثير كل واحد من الفعلين وقد روى انه هرب
الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق متاع اهله فسقط الحائط عليه فقتله قيل اذا عثرت من رجل على سيئة
فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضى الله عنه انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكى وتقول هذه اول سرقة
سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده فى اول مرة (يستخفون من الناس) يستترون منهم
حياء وخوفا من ضررهم (ولا يستخفون من الله) اى لا يستحيون منه سبحانه وهو احق بان يستحيى منه ويخاف
من عقابه (وهو معهم) عالم بهم وباحوالهم فلا طريق الى الاستخفاء منه سوى ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه
(اذ) ظرف منصوب بالعامل فى الظرف الواقع خبرا وهو معهم (يبيتون) يدبرون ويزورون (ما لا يرضى) الله
(من القول) من رمى البرى والحلف الكاذب وشهادة الزور فان طعمة قال ارمى اليهودى بانه سارق الدرع
واحلف انى لم اسرقها فتقبل يمينى لانى على دينهم ولا تقبل يمين اليهودى وقال قوم طعمة من الانصار نشهد زورا
لندفع شين السرقة وعقوبتها عمن هو واحد منا (وكان الله بما تعملون) من الاعمال الظاهرة والخافية (محيطا)
لا يفوت عنه شئ (ها انتم) مبتدأ (هؤلاء) خبره والهاء فى اول كل منهما للتنبيه والجملة التى بعد هذه الجملة مبينة
لوقوع اولاء خبرا كما تقول لبعض الاسخياء انت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك والخطاب مع قوم من

المؤمنين

المؤمنين كانوا يذبون عن طعمة وعن قومه بسبب انهم كانوا فى الظاهر من المسلمين (جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا)
المجادلة اشد المخاصمة والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وعن قومه فى الدنيا (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة)
فمن يخاصم عنهم فى الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه (ام من يكون عليهم وكيلا) حافظا وحاميا من بأس الله
وانتقامه وفى التأويلات النجمية وكيلا يتكلم بوكالتهم يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله
(قال السعدى) دران روز كز فعل پرسند وقول * اولوا العزم راتن بلرزد زهول * بجايى كه دهشت
خورد انبيا * تو عذر كنه راچه دارى بيا * فعلى العبد ان يتوب قبل الموت من كل معصية توبة
نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصيره فى فرآئض الله ويرد المظالم الى اهلها حبة حبة ويستحل كل من تعرض له
بلسانه شتما اوقذفا او استهزاء او غيبة ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه فريضة
ولا مظلمة فما اشد فرحك اليوم بتمضمضك باعراض الناس وتناولك اموالهم وما اشد حسرتك فى ذلك اليوم
اذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السيئات وانت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على ان ترد حقا
او تظهر عذرا فكيف بك يا مسكين فى يوم ترى فيه صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول
اين حسناتى فيقال نقلت الى صحيفة خصمائك فتوهم نفسك يا اخى اذا تطايرت الكتب ونصبت الموازين
وقد نوديت باسمك على رؤس الخلائق اين فلان ابن فلان هلم الى العرض على الله وقد وكلت الملائكة باخذك
فقربتك الى الله لا يمنعها اشتباه الاسماء باسمك اذا عرفت انك المراد بالدعاء اذا فزع النداء قلبك فعلمت انك
المطلوب فارتعدت فرآئصك واضطربت جوارحك وتغير لونك وطار قلبك تخطى بك الصفوف الى ربك
للعرض عليه والوقوف بين يديه وقد رفع الخلائق اليك ابصارهم وانت فى ايديهم وقد طار قلبك واشتد رعبك
لعلمك اين يراد بك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر بنفر من الناس يوم القيامة الى الجنة حتى اذا دنوا منها
واستنشقوا رآئحتها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله تعالى لاهلها ثم نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم
فيها فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الاولون والآخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان ترينا
ما اريتنا من ثواب ما اعددت لاوليائك فيقول الله تعالى ذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بى بارزتمونى بالعظائم فاذا
لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين ترون الناس خلاف ما ينطوى عليه قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى اجللتم الناس
ولم تجلونى تركتم للناس ولم تتركوا لى يعنى لاجل الناس فاليوم اذيقكم اليم عقابى مع ما حرمتكم يعنى من جزيل
ثوابى قال تعالى يخادعون الله وهو خادعهم كذا فى تنبيه الغافلين فاذا عرفت هذا فاجتهد فى ان لا تكون من
الذين لا يستخفون من الله واجعل خيانتك امانة واثمك طاعة وظلمك عدلا وتزويرك صدقا محضا واستغفر الله
فان الاستغفار دوآء الاوزار وبه ينفتح باب الملكوت الى الله الملك الغفار (ومن يعمل سوأ) عملا قبيحا متعديا
يسوء به غيره ويخزيه كما فعل طعمة بقتادة واليهودى (او يظلم نفسه) بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء
ما دون الشرك والظلم الشرك لان الشرك لظلم عظيم وقيل هما الصغيرة والكبيرة (ثم يستغفر الله) بالتوبة
الصادقة وشرطت التوبة لان الاستغفار لا يكون توبة بالاجماع ما لم يقل معه تبت واسأت ولا اعود اليه ابدا
فاغفر لى يا رب كما فى تفسير الحدادى (يجد الله غفورا) لذنوبه كائنة ما كانت (رحيما) متفضلا عليه وفيه مزيد
ترغيب لطعمة وقومه فى التوبة والاستغفار لما ان مشاهدة التائب لآثار المغفرة والرحمة نعمة زآئدة وعن على
رضى الله عنه قال حدثنى ابو بكر وصدق ابو بكر رضى الله عنه قال ما من عبد يذنب ذنبا ثم يتوضأ ويصلى
ركعتين ويستغفر الله الا غفر الله له وتلا هذه الاية ومن يعمل سوأ الخ اى كه بى حد گناه كردستى * مى نترسى
ازان فعال شنيع * توبه كن تا رضاى حق يابى * كه به از توبه نيست هيچ شفيع (ومن يكسب اثما) من الآثام
(فانما يكسبه على نفسه) بحيث لا يتعدى ضرره ووباله الى غيره فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا
وآجلا وفى التأويلات النجمية فانما يكسبه على نفسه فان رين الاثم يظهر فى الحال فى صفاء مرآة قلبه
يعميه عن رؤية الحق ويصمه عن سماع الحق كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (وكان الله عليما
حكيما) فهو عالم بفعله حكيم فى مجازاته (ومن يكسب خطيئة) صغيرة او ما لا عمد فيه من الذنوب (او اثما) كبيرة
او ما كان عن عمد (ثم يرم به) اى يقذف باحد المذكورين ويسب به (بريئا) اى مما رماه به ليحمله عقوبة العاجلة
كما فعل طعمة بزيد اليهودى (فقد احتمل) اى بما فعل من تحميل جريرته على البرى (بهتانا) لا يقادر قدره

(واثما مبينا) اى بينا فاحشا لانه بكسب الاثم آثم وبرمى البرى باهت فهو جامع بين الامرين وسمى رمى البرى
بهتانا لكون البرى متحيرا عند سماعه لعظمه فى الكذب يقال بهت الرجل بالكسر اذا دهش وتحير ويقال بهته
بهتانا اذا قال عنه مالم يقله اونسب اليه مالم يفعله روى عنه عليه السلام انه قال الغيبة ذكرك اخاك بما يكره
فقيل افرأيت ان كان فى اخى ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وفى التأويلات
النجمية فقد احتمل صاحب النفس بهتانا اثما لبهت القلوب عن العبودية والطاعة واثما مبينا بما اثمت به نفسه من
المعاصى واثم بها قلبه فيكون بمنزلة من جعل اللب وهو القلب جلدا وهو النفس وهذا من اكبر الشقاوة
فلا ينقطع عنه العذاب اذا صار كل وجوده جلودا فيكون من جملة الذين قال الله تعالى فيهم سوف نصليهم نارا
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها لانهم بدلوا الالباب بالجلود ههنا انتهى واعلم ان الاستغفار فرار
العبد من الخلق الى الخالق ومن الانانية الى الهوية الذاتية وذلك عند صدق الطلب ومن طلبه وجده كما قال
الامن طلبنى وجدنى قال موسى عليه السلام اين اجدك يارب قال ياموسى اذا قصدت الى فقد وصلت الى
فلابد من الاستغفار مطلقا ويقال سلطان بلا عدل كنهر بلا ماء وعالم بلا عمل كبيت بلا سقف وغنى بلا سخاوة
كسحاب بلا مطر وشاب بلا توبة كشجر بلا ثمر وفقير بلا صبر كقنديل بلا ضوء وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح
وتهذيب الاخلاق قبل الموت من سنن الاخيار والعمل الصالح قرين الرجل كما ان السوء كذلك * نا كهان بانك
درسراى افتاد * كه فلان را محل وعده رسيد * دوستان آمدند تالب كور * قدمى چند وبازپس كرديد *
وين كزو دستر تميدارى * مال وملك وقباله برده كايد * وين كه پيوسته با تو خواهد بود * عمل تست ونفس پاك
وپليد * نيك درياب وبد مكن زنهار * كه بد ونيك بازخواهى ديد * حكى ان الشيخ وفا المدفون بقسطنطينية
فى حريم جامعه الشريف اهدى اليه ثمانون الف درهم من قبل السلطان بايزيد الثانى ليعقد عقد النكاح
لبعض بناته فقال لا افعل ولو اعطيت الدنيا وما فيها قيل ولم قال لان لى اورادا الى الضحى لا انفك عنها ساعة
وانام من الضحى الى الظهر لا اترك منه ساعة واما بعد الظهر فانتم لا ترضونه لان النهار يكون فى الانتقاص وهكذا
يكون طالب الحق فى ليله ونهاره فان الدنيا فانية فالحى الباقى هو الله تعالى فلابد من طلبه (ولولا فضل الله
عليك ورحمته) بالعصمة (لهمت طائفة منهم) اى من بنى ظفر وهم الذابون عن طعمة (ان يضلوك) اى
بان يضلوك عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك مع علمهم بان الجانى هو صاحبهم وليس القصد فيه الى نفى همهم
بل الى نفى تأثيره (وما يضلون الا انفسهم) لان وباله عليهم (وما يضرونك من شئ) محل الجار والمجرور النصب
على المصدرية اى وما يضرونك شيأ من الضرر لان الله عاصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر
لا ميلا فى الحكم (وانزل الله عليك الكتاب) اى القرءآن (والحكمة) اى ما فى القرءآن من الاحكام وعرفك
الحلال والحرام (وعلمك) بالوحى من الغيب وخفيات الامور (ما لم تكن تعلم) ذلك الى وقت التعليم (وكان
فضل الله عليك عظيما) اذ لا فضل اعظم من النبوة العامة والرياسة التامة ومن ذلك الفضل العظيم عصمته
وتعليمه ما لم يعلم قال الحدادى فى تفسيره وفى هذه الآيات دلالة انه لا يجوز لاحد ان يخاصم لغيره فى اثبات حق
او نفيه وهو غير عالم بحقيقة امره وانه لا يجوز للحاكم الميل الى احد الخصمين وان كان احدهما مسلما والاخر كافرا
وان وجود السرقة فى يدى انسان لا يوجب الحكم بها عليه انتهى واعلم ان هذه الآية جامعة لفضائل كثيرة منها
بيان ان وبال الشر يعود على صاحبه كما ان منفعة الخير تعود على فاعله (قال الصائب) اول بظالمان اثر ظلم
ميرسد * پيش از هدف هميشه كمان ناله ميكند * حكى ان الله تعالى ايبس يد رجل بذبح عجل بقرة
بين يدى امه ثم ردها برد فرخ سقط من وكره الى امه يقال ثلاثة لا يفلحون بائع البشر وقاطع الشجر وذابح البقر
وحكى ان امرأة وضعت لقمة فى فم سائل ثم ذهبت الى مزرعة فوضعت ولدها فى موضع فاخذه الذئب فقالت
يارب ولدى فاخذ آت عنق الذئب واستخرج ولدها من غير اذى ثم قال هذه اللقمة لتلك اللقمة التى وضعتها فى فم
السائل فكل يرى اثر صنعه فى الدنيا ايضا ومنها ان العلم والحكمة من اعظم الفضائل والمراد العلم النافع المقرب
الى الله تعالى اعاذنا الله مما لم ينفع منه على ما قال عليه السلام فى دعائه واعوذ بك من علم لا ينفع فان العلم
النافع لا ينقطع مدده فى الاخرة ايضا على ما روى مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه اذا مات ابن آدم انقطع عمله
الا من ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له ومنها ان لا يرى العبد الفضائل والخيرات من نفسه

بل من فضل الله ورحمته وليس للعبد ان يزكى نفسه فان الانفس ليست بمحل التزكية فمن استحسن من نفسه
شيأ فقد اسقط من باطنه انوار اليقين والكامل لا يرى لنفسه قدرا فكيف لعمله وكل ما يعمله العبد من بدايته
الى نهايته لا يقابل لنعمة الوجود حكى عن شاه شجاع الكرمانى انه كان جالسا فى مسجد فقام فقير وسأل الناس فلم
يعطوه شيأ فقال الكرمانى من يشترى حج خمسين سنة بمن من الخبز فيعطى هذا الفقير وكان هناك فقيه فقال ايها
الشيخ قد استخففت بالشريعة فقال الكرمانى لا ارى لنفسى قيمة فكيف ارى لعملى وليس المراد التعطيل عن
العمل بل يعملون جميع الحسنات ولا يرون لها قدرا بل يرون التوفيق لها من فضل الله تعالى (قال السعدى)
كراز حق توفيق خيرى رسد * كه از بنده خيرى بغيرى رسد * چوروبى بخدمت نهى برزمين * خدارا
ثنا كوبى وخود را مبين * والاشارة فى الاية ان فضل الله موهبة من مواهب الحق يؤتيه من يشاء وليس
لاحد فيه مدخل بالكسب والاستجلاب وبذلك يهدى العبد للايمان ويوفقه للعمل الصالح والعظيم فى قوله وكان
فضل الله عليك عظيما هو الله تعالى اى ان الله العظيم هو فضل الله عليك ورحمته كما انك فضل الله ورحمته على
العالمين ولهذا قال لولاك لما خلقت الافلاك ومن فضل الله عليه انه لم يضله شئ من الروحانيات والجسمانيات عن
طريق الوصول اللهم احفظنا من الموانع فى طريق الوصول اليك آفاقية او انفسية والحقنا بفضلك بالنفوس
القدسية (لا خير فى كثير من نجواهم) اى فى كثير من تناجى الناس وهو فى اللغة سر بين اثنين وذهب الزجاج
الى ان النجوى ما تفرد به الجماعة او الاثنان سرا كان او ظاهرا قال مجاهد هذه الاية عامة فى حق جميع الناس
غير مختصة بقوم طعمة وان نزلت فى تناجى قوم السارق لتخليصه (الا من امر) اى الا فى نجوى من امر على انه
مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير فى قيامهم الا قيام زيد (بصدقة او معروف) المعروف كل ما يستحسنه
الشرع ولا ينكره العقل فينتظم اصناف الجميل وفنون اعمال البر وقد فسر هنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة
التطوع على ان المراد بالصدقة الصدقة الواجبة قال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة واول اهل الجنة
دخولا اهل المعروف وصنائع المعروف تقى مصارع السوء توئيكى كن باب انداز اى شاه * اكر ماهى
نداند داند الله * وفى الحديث عمل ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهى عن منكر او ذكر الله
(او اصلاح بين الناس) عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم من غير ان يجاوز فى ذلك حدود الشرع الشريف
وفى الحديث الا اخبركم بافضل درجة من الصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وفساد
ذات البين هى الحالقة فلا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين وعن ابى ايوب الانصارى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال له الا ادلك على صدقة خير لك من حمر النعم قال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا
وتقرب بينهم اذا تباعدوا قالوا ولعل السر فى افراد هذه الاقسام الثلاثة بالذكر ان عمل الخير المتعدى الى الناس
اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال واليه الاشارة بقوله عز وجل الا من امر
بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر فقد اشير اليه بقوله او اصلاح بين الناس
(ومن يفعل ذلك) اشارة الى الامور المذكورة اعنى الصدقة والمعروف والاصلاح فانه يشار به الى متعدد وانما بنى
الكلام على الامر حيث قال اولا الا من امر فهو كلام فى حق الآمر بالفعل ورتب الجزاء على الفعل حيث
قال ومن يفعل فهو كلام فى حق الفاعل وكان المناسب للاول ان يبين حكم الآمر ويقول ومن يأمر بذلك ليدل
على انه لما دخل الآمر فى زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر
من حيث انه وصلة اليه ففيه تحريض الآمر بالامور المذكورة على فعلها (ابتغاء مرضاة الله) اى طلب رضى
الله تعالى علة للفعل والتقييد به لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به غير الحرمان
(قال السعدى) كرت بيخ اخلاص در بوم نيست * ازين دركسى چون تو محروم نيست *
زعمرو اى پسر چشم اجرت مدار * چو در خانهٔ زيد باشى بكار (فسوف نؤتيه اجرا عظيما) يقصر عنه
الوصف ويستحقر دونه ما فات من اعراض الدنيا (ومن يشاقق الرسول) يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين
فى شق غير شق الاخر (من بعد ما تبين له الهدى) ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته (ويتبع
غير سبيل المؤمنين) اى غير ما هم مستمرون عليه من اعتقاد وعمل وهو الدين القيم (نوله ما تولى) اى نجعله واليا
لما تولاه من الضلال ونخذله بان نخلى بينه وبين ما اختار (ونصله جهنم) اى ندخله فيها (وساءت مصيرا) اى جهنم

روى ان طعمة عاند حكم الله وخالف رسول الله خوفا من فضاحة قطع اليد فهرب الى مكة واتبع دين اهلها
ومات كافرا فعلى العاقل ان لا يخالف الجماعة وهم المؤمنون فان الشاة الخارجة عن القطيع يأكلها الذئب
وسبيل المؤمنين هو السبيل الحق الموصل الى الجنة والقربة والوصلة واللقاء والاشارة انه لا خير فى كثير من
نجواهم اى الذين يتناجون من النفس والشيطان والهوى لانهم شرار ولا فيما يتناجون به لانهم يأمرون
بالسوء والفحشاء والمنكر ثم استثنى وقال الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس اى الا فيمن امر بهذه
الخيرات فان فيه الخير وهو الله تعالى فانه يأمر بالخيرات بالوحى عموما ويأمر بالخاطر الرحمانى والالهام الربانى
خواص عباده فالخاطر يكون بواسطة الملك وبغير الواسطة كما قال عليه السلام ان للملك لمة وان للشيطان لمة
فلمة الملك ايعاد بالخير ولمة الشيطان ايعاد بالشر والالهام ما يكون من الله تعالى بغير الواسطة وهو على ضربين
ضرب منه ما لا شعور به للعبد انه من الله وضرب منه ما يكون باشارة صريحة يعلم العبد انه آت من الله تعالى
لتعليم نور الالهام وتعريفه لا يحتاج الى معرفة آخر انه من الله تعالى وهذا يكون للولى وغير الولى كما قال بعض
المشايخ حدثنى قلبى عن ربى وقال عليه السلام ان الحق لينطق على لسان عمر وقال كادت فراسته ان تسبق
الوحى ثم قال ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله اى ومن يفعل بما الهمه الله طلبا لمرضاته فسوف نؤتيه اجرا
عظيما ذكر بفاء التعقيب قوله فسوف يعنى عقيب الفعل نؤتيه اجرا وهو جذبة العناية التى تجذبه عنه وتوصله
الى العظيم ثم قال ومن يشاقق الرسول اى يخالف الالهام الربانى الذى هو رسول الحق اليه من بعد ما تبين له
الهدى بتعريف الالهام ونوره ويتبع غير سبيل المؤمنين الموقنين بالالهام بان يتبع الهوى وتسويل النفس
وسبيل الشيطان نوله ما تولى اى نكله بالخذلان الى ما تولى ونصله بسلاسل معاملاته التى تولى بها الى جهنم
سفليات الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية وساءت مصيرا اى ما صار اليه من عبادة الهوى واتباع
النفس والشيطان واشراكهم بالله فى المطاوعة كذا فى التأويلات النجمية (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء) يقال جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انى شيخ منهمك فى الذنوب الا انى لم
اشرك بالله شيأ منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصى جرأة وما توقعت طرفة عين انى
اعجز الله هربا وانى لنادم تائب فما ترى حالى عند الله فنزلت هذه الآية فالشرك غير مغفور الا بالتوبة عنه وما سواه
مغفور سواء حصلت التوبة اولم تحصل لكن لا لكل احد بل لمن يشاء الله مغفرته (ومن يشرك بالله فقد ضل
ضلالا بعيدا) عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة قال الحدادى
اى فقد ذهب عن الصواب والهدى ذهابا بعيدا وحرم الخير كله والفائدة فى قوله بعيدا ان الذهاب عن الجنة
على مراتب ابعدها الشرك بالله تعالى انتهى فالشرك اقبح الرذائل كما ان التوحيد احسن الحسنات والسيئات
على وجوه كاكل الحرام وشرب الخمر والغيبة ونحوها لكن اسوء الكل الشرك بالله ولذلك لا يغفر وهو جلى
وخفى حفظنا الله منهما وكذا الحسنات على وجوه ويجمعها العمل الصالح وهو ما اريد به وجه الله واحسن
الكل التوحيد لانه اساس جميع الحسنات وقامع السيئات ولذلك لا يوزن قال عليه السلام كل حسنة
يعملها ابن آدم توزن يوم القيامة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لا توضع فى ميزانه لانها لو وضعت فى ميزان من
قالها صادقا ووضعت السموات والارضون السبع وما فيهن كان لا اله الا الله ارجح من ذلك ثم ان الله تعالى بين
كون ضلالهم ضلالا بعيدا فقال (ان) بمعنى ما النافية (يدعون) اى المشركون وهو بمعنى يعبدون لان من
عبد شيأ فانه يدعوه عند احتياجه اليه (من دونه) الضمير راجع الى الله تعالى (الا اناثا) جمع انثى والمراد
الاوثان وسميت اصنامهم اناثا لانهم كانوا يصورونها بصورة الاناث ويلبسونها انواع الحلل التى تتزين بها
النساء ويسمونها غالبا باسماء المؤنثات نحو اللات والعزى ومناة والشئ قد يسمى انثى لتأنيث اسمه اولانها
كانت جمادات لا ارواح فيها والجماد يدعى انثى تشبيها له بها من حيث انه منفعل غير فاعل ولعله تعالى ذكره
بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير
منفعل ليكون دليلا على تناهى جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة فان من المشركين من يعبد
الملائكة ويقول الملائكة بنات الله تعالى قال الله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة
تسمية الانثى مع اعترافهم بان اناث كل شئ اخسه وارذله (وان يدعون) اى وما يعبدون بعبادة الاصنام

(الا شيطانا مريدا) لانه الذى امرهم بعبادتها واغراهم عليها وكان طاعته فى ذلك عبادة له قيل كان فى كل
واحد من تلك الاوثان شيطان يتراءى للسدنة والكهنة يكلمهم وقال الزجاج المراد بالشيطان ههنا ابليس
بشهادة قوله تعالى بعد هذه الآية لاتخذن وهو قول ابليس ولا يبعد ان الذى يتراءى للسدنة هو ابليس
والمريد هو الذى لا يعلق بخير فقيل من مرد اى تجرد للشر وتعرى من الخير يقال شجرة مرداء اى لا ورق عليها
وغلام امرد اذا لم يكن على وجهه شعر (لعنه الله) صفة ثانية للشيطان اى ابعده من رحمته الى عقابه بالحكم له
بالخلود فى جهنم ويسقط بهذا قول من قال كيف يصح ان يقال لعنه الله وهو فى الدنيا لا يخلو من نعمة
تصل اليه من الله تعالى فى كل حال لانه لا يعتد بتلك النعمة مع الحكم له بالخلود فى النار (وقال) عطف عليه
اى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن الدال على فرط عداوته
للناس فان الواو الواقعة بين الصفات انما تفيد مجرد الجمعية (لاتخذن) هذه اللام واللامات الآتية كلها للقسم
(من عبادك نصيبا مفروضا) اى مقطوعا واجبا قدر لى وفرض وهو اى النصيب المفروض لابليس كل من
اطاعه فيما زين له من المعاصى قال الحسن من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون كما فى حديث المشارق يقول
الله تعالى اى فى يوم الموقف يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك فيقول اخرج بعث النار يعنى ميز اهلها
والبعث بمعنى المبعوث قال وما بعث النار ما ههنا بمعنى كم العددية ولذا اجيب عنها بالعدد قال اى الله تعالى
من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون قال النبى عليه السلام فذلك التقاول حين يشيب الصغير وتضع كل ذات
حمل حملها كنايتان عن شدة اهوال يوم القيامة وترى الناس سكارى اى من الخوف وما هم بسكارى اى من الخمر
ولكن عذاب الله شديد قال اى الراوى واشتد ذلك عليهم فقالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل الباقى من الالف
فقال ابشروا فان من يأجوج ومأجوج الفا ومنكم رجل الخطاب للصحابة وغيرهم من المؤمنين ثم قال والذى
نفسى بيده انى لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة قال الراوى فحمدنا الله وكبرنا ثم قال والذى نفسى بيده
انى لارجو ان تكونوا ثلث اهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا ثم قال والذى نفسى بيده انى لارجو ان تكونوا شطر
اهل الجنة وترقى عليه السلام فى حديث آخر من النصف الى الثلثين وقال ان اهل الجنة مائة وعشرون صنفا
وهذه الامة منها ثمانون ان مثلكم فى الامم اى الكفرة كمثل الشعرة البيضاء فى جلد الثور الاسود فلا يستبعد
دخول كل المؤمنين الجنة فان قيل كيف علم ابليس انه يتخذ من عباد الله نصيبا قيل فيه اجوبة منها ان الله تعالى
لما خاطبه بقوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين علم ابليس انه ينال من ذرية آدم ما تمناه ومنها انه
لما وسوس لآدم فنال منه طمع فى ذريته ومنها ان ابليس لما عاين الجنة والنار علم ان لهما سكانا من الناس
(ولاضلنهم) عن الحق واضلاله وسواس ودعاء الى الباطل ولو كان اليه شئ من الضلالة سوى الدعاء اليها لاضل
جميع الخلق ولكنه لما قال عليه السلام فى حقه خلق ابليس مزينا وليس اليه من الضلالة شئ يعنى انه يزين
للناس الباطل وركوب الشهوات ولا يخلق لهم الضلالة (ولامنينهم) الامانى الباطلة بان يخيل للانسان ادراك
ما يتمناه من المال وطول العمر وقيل يمنى الانسان اى يوهمه انه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا عقاب ولا حساب
وقيل بان يوهمه انه ينال فى الآخرة حظا وافرا من فضل الله ورحمته (ولآمرنهم) بالبتك اى القطع والشق
(فليبتكن آذان الانعام) اى فليقطعنها بموجب امرى ويشقنها من غير تلعثم فى ذلك ولا تأخير يقال بتكه اى
قطعه ونقل الى بناء التفعيل اى التبتيك للتكثير واجمع المفسرون على ان المراد به ههنا قطع آذان البحائر
والسوائب والانعام الابل والبقر والغنم اى لاحملنهم على ان يقطعوا آذان هذه الاشياء ويحرموها على انفسهم
بجعلها للاصنام وتسميتها بحيرة وسائبة ووصيلة وحاميا وكان اهل الجاهلية اذا انتجت ناقة احدهم خمسة ابطن
وكان آخرها ذكرا بحروا اذنها اى شقوها وامتنعوا من ركوبها وحلبها وذبحها ولا تطرد عن ماء ولا تمنع عن مرعى واذا لقيها
المعيى لم يركبها وقيل كانوا يفعلون ذلك بها اذا ولدت سبعة ابطن والسائبة المخلاة تذهب حيث شاءت وكان الرجل
منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة او يقول ان قدم غائبى من السفر او ان وصلت الى وطنى او ان ولدت امرأتى
ذكرا او نحو ذلك فناقتى سائبة فكانت كالبحيرة وكذا من كثر ماله يسيب واحدة منها تكرارا او كانت لا ينتفع
بشئ منها ولا تمنع عن ماء ومرعى الى ان تموت فيشترك فى اكلها الرجال والنساء والوصيلة هى من الغنم اذا
ولدت سبعة ابطن فان كان الولد السابع ذكرا ذبحوه لالهتهم وكان لحمه للرجال دون النساء وان كان انثى كانوا

يستعملونها وكانت بمنزلة سائر الغنم وان كان ذكرا وانثى قالوا ان الاخت وصلت اخاها فلا يذبحون اخاها من
اجلها وجرى مجرى السائبة وكانت المنفعة للرجال دون النساء فهى فعيلة بمعنى فاعلة والحامى هو البعير الذى
ولد ولد ولده وقيل هو الفحل من الابل اذا ركب ولد ولده قالوا انه قد حمى ظهره فيهمل ولا يركب ولا يمنع عن الماء
والمرعى واذا مات يأكله الرجال والنساء (ولآمرنهم) بالتغيير (فليغيرن خلق الله) عن نهجه صورة وصفة
ويندرج فيه امور منها فقء عين الحامى وكانت العرب اذا بلغت ابل احدهم الفا عوروا عين فحلها والحامى
الفحل الذى طال مكثه عندهم ومنها خصاء العبيد وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا فى خصاء
البهائم لمكان الحاجة ومنعوا فى بنى آدم وعند ابى حنيفة يكره شراء الخصيان واستخدامهم لان الرغبة فيهم
تدعو الى خصائهم قال فى نصاب الاحتساب قرأت فى بعض الكتب ان معاوية دخل على النساء ومعه خصى
مجبوب فنفرت منه امرأة فقال معاوية انما هو بمنزلة امرأة فقالت اترى ان المثلة فيه قد احلت ما حرم الله من
النظر فتعجب من فطنتها وفقهها ومنها الوشم وهو ان يغرز الجلد بابرة ثم يحشى بكحل او بنيلج وهو دخان الشحم
يعالج به الوشم حتى يخضر قال بعض اصحاب الشافعى وجبت ازالته ان امكن بالعلاج والا فبالجرح ان لم يخف
فوت عضو ومنها الوشر وهو ان تحدد المرأة اسنانها وترققها تشبها بالشواب ومنها التنمص وهو نتف شعور الوجه
يقال تنمصت المرأة اذا تزينت بنتف شعر وجهها وحاجبها والنامصة المرأة التى تزين النساء بالنمص والمنمص
والمنماص المنقاش وقد لعن النبى عليه السلام النامصة والمتنمصة والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة
والواشرة والمستوشرة والواصلة هى التى تصل شعر غيرها بنفسها والمستوصلة هى التى تأمر غيرها بان توصل
ذلك الى شعرها قال ابن الملك الواصلة هى التى تصل الشعر بشعر آخر زورا والمستوصلة هى التى تطلبه والرجل
والمرأة سواء فى ذلك هذا اذا كان المتصل شعرا الادمى لكرامته فلا يباح الانتفاع بشئ من اجزائه اما غيره
فلا بأس بوصله فيجوز اتخاذ النساء القراميل من الوبر وقيل فيه تفصيل ان لم يكن لها زوج فهو حرام ايضا
وان كان فان فعلته باذن الزوج او السيد يجوز والا فلا ثم انها ان فعلت ذلك بصغيرة تأثم فاعلته ولا تأثم المفعولة
لانها غير مكلفة ويدخل فى التنمص نتف شعر العانة فان السنة حلق العانة ونتف الابط ومنها السحق وهو لكونه
عبارة عن تشبه الانثى بالذكور من قبيل تغيير خلق الله عن وجهه صفة وفى الحديث المرفوع سحاق النساء زنى
بينهن وكذا التخنث لما فيه من تشبه الذكر بالانثى وهو اظهار اللين فى الاعضاء والتكسر فى اللسان ومنها اللواطة
لما فيها من اقامة ما خلق لدفع الفضلات مقام موضع الحراثة والنظر الى صبيح الوجه بالشهوة حرام ومجالسته
حرام لانه عورة من القرن الى القدم وجاء فى بعض الروايات ان مع كل امرأة شيطانين ومع كل غلام ثمانية عشر
شيطانا ومنها عبادة الشمس والقمر والكواكب والحجارة فان عبادتها وان لم تكن تغييرا لصورها لكنها تغيير
لصفتها فان شيأ منها لم يخلق لان يعبد من دون الله وانما خلق لينتفع به العباد على الوجه الذى خلق لاجله وكذا
الكفر بالله وعصيانه فانه ايضا تغيير خلق الله عن وجهه صفة فانه تعالى فطر الخلق على استعداد التحلى بحلية
الايمان والطاعة ومن كفر بالله وعصاه فقد ابطل ذلك الاستعداد وغير فطرة الله صفة ويؤيده قوله عليه السلام
كل مولود يولد على فطرة الاسلام فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وكذا استعمال الجوارح فى غير ما خلقت
لاجله تغيير لها عن وجهها صفة والجمل الاربع وهى لاتخذن ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم كل واحدة منها
مقول للشيطان فلا يخلو اما ان يقولها بلسان جسمه او بلسان فعله وحاله (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون
الله) بايثار ما يدعو اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته (فقد خسر خسرانا مبينا)
لانه ضيع رأس ماله بالكلية وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار (يعدهم) ما لا ينجزه من طول العمر والعافية
ونيل لذائذ الدنيا من الجاه والمال وقضاء شهوات النفس (ويمنيهم) ما لا ينالون نحو ان لا بعث ولا حساب
ولا جزاء او نيل المثوبات الاخروية من غير عمل (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر
وهذا الوعد اما بالقاء الخواطر الفاسدة او بالسنة اوليائه وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله اى
ما يعدهم بشئ الا لان يغرهم واعلم ان العمدة فى اغواء الشيطان ان يزين زخارف الدنيا ويلقى الامانى فى قلب
الانسان مثل ان يلقى فى قلبه انه سيطول عمره وينال من الدنيا امله ومقصوده ويستولى على اعدائه ويحصل له
ما تيسر لارباب المناصب والاموال وكل ذلك غرور لانه ربما لا يطول عمره وان طال فربما لا ينال امله ومطلوبه

وان طال عمره ووجد مطلوبه على احسن الوجوه فلابد ان يفارقه بالموت فيقع فى اعظم انواع الغم والحسرة
فان تعلق القلب بالمحبوب كلما كان اشد واقوى كانت مفارقته اعظم تأثيرا فى حصول الغم والحسرة ولذلك قيل
الفت مكير همچو الف هيچ باكسى ✻ تا بشنوى المنوى وقت انقطاع ✻ فنبه سبحانه وتعالى على
ان الشيطان انما يعد ويمنى لاجل ان يغر الانسان ويخدعه ويفوت عنه اعز المطالب وانفع المآرب فالعاقل
من لا يتبع وساوس الشيطان ويبتغى رضى الرحمن بالتمسك بكتابه العظيم وسنن رسوله الكريم والعمل بهما
ليفوز فوزا عظيما وكفى بذلك نصيحة (اولئك) اشارة الى اولياء الشيطان وهو مبتدأ (مأواهم) اى مستقرهم
وهو مبتدأ ثان (جهنم) خبر للثانى والجملة خبر للاول (ولا يجدون عنها محيصا) اى معدلا ومهربا من حاص
يحيص اذا عدل وعنها متعلق بمحذوف وقع حالا من محيصا اى كائنا عنها ولا يجوز ان يتعلق بيجدون لانه لا يتعدى
بعن ولا بقوله محيصا لانه اما اسم مكان وهو لا يعمل مطلقا واما مصدر ومعمول المصدر لا يتقدم عليه والاشارة
ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلا وهم السعداء وخلق النار وخلق لها اهلا وهم الاشقياء وخلق الشيطان
مزينا وداعيا وآمرا بالهوى فمن يرى حقيقة الاضلال ومشيئته من ابليس فهو ابليس وقد قال تعالى يضل
من يشاء ويهدى من يشاء والنصيب المفروض من العباد هم طائفة خلقهم الله تعالى اهل النار كقوله تعالى
ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وهم اتباع الشيطان ههنا وقد لعن الله الشيطان وابعده عن الحضرة
اذ كان سبب ضلالتهم كما قال عليه السلام الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله تعالى وما والاه وانما لعن الله
الدنيا وابغضها لانها كانت سببا للضلالة وكذلك الشيطان ولا يغتر بوعد الشيطان الا الضال بالضلال البعيد
الازلى ولذا تولد منه الشرك المقدر بمشيئة الله الازلية واما من خلقه الله اهلا للجنة فقد غفر له قبل ان خلقه
ومن غفر له فانه لا يشرك بالله شيأ وعن ابن عباس رضى الله عنه لما نزل قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ تطاول
ابليس وقال انا شئ من الاشياء فلما نزل فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة يئس ابليس وتطاولت اليهود
والنصارى ثم لما نزل قوله تعالى الذين يتبعون النبى الامى يئس اليهود والنصارى وبقيت الرحمة للمؤمنين خاصة
فهم خلقوا للرحمة ودخلوا الجنة بالرحمة ولهم الخلود فى الرحمة وبقى العذاب للشيطان واتباعه من الانس والجن
ولهم الخلود فى النار كما قال الله تعالى ولا يجدون عنها محيصا لانهم خلقوا لها فلابد من الدخول فيها قال الحافظ
پيرما كفت خطا برقلم صنع نرفت ✻ آفرين برنظر پاك خطا پوشش باد ✻ فافهم تفز ان شاء الله تعالى
(والذين آمنوا وعملوا الصالحات) صلاح الاعمال فى اخلاصها فالعمل الصالح هو ما اريد به وجه الله تعالى
وينتظم جميع انواعه من الصلاة والزكاة وغيرهما (سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار) اى انهار الماء
واللبن والخمر والعسل (خالدين فيها ابدا) اى مقيمين فى الجنة الى الابد فنصب ابدا على الظرفية وهو لاستغراق
المستقبل قال الحدادى انما ذكر الطاعة مع الايمان وجمع بينهما فقال آمنوا وعملوا الصالحات ليتبين بطلان توهم
من يتوهم انه لا تضر المعصية والاخلال بالطاعة مع الايمان كما لا تنفع الطاعة مع الكفر وليتبين استحقاق الثواب
على كل واحد من الامرين (وعد الله حقا) اى وعد الله لهم هذا وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه
لانه مضمون الجملة الاسمية التى قبل وعد لان الوعد عبارة عن الاخبار بايصال المنفعة قبل وقوعها والثانى
مؤكد لغيره لان الخبر من حيث انه خبر يحتمل الصدق والكذب (ومن اصدق من الله قيلا) استفهام انكارى
اى ليس احد اصدق من الله قولا ووعدا وانه تعالى اصدق من كل قائل فوعده اولى بالقبول ووعد الشيطان
تخييل محض ممتنع الوصول وقيلا نصب على التمييز والقيل والقال مصدران كالقول (ليس باما نيكم)
جمع امنية بالفارسية آرزو كردن (ولا امانى اهل الكتاب) اى ليس ما وعد الله من الثواب يحصل باما نيكم ايها
المسلمون ولا بامانى اهل الكتاب وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح وامانى المسلمين ان يغفر لهم جميع ذنوبهم
من الصغائر والكبائر ولا يؤاخذوا بسوء بعد الايمان وامانى اهل الكتاب ان لا يعذبهم الله ولا يدخلهم النار
الا اياما معدودة لقولهم نحن ابناء الله واحباؤه فلا يعذبنا وعن الحسن ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر
فى القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم امانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن
بالله وكذبوا لو احسنوا الظن بالله لاحسنوا العمل قال بعضهم الرجاء ما قارنه عمل والا فهو امنية والامنية
منية اى موت اذ هى موجبة لتعطيل فوائد الحياة (قال السعدى) قيامت كه بازار نيكو نهند ✻

منازل باعمال نيكو نهند * بضاعت بچند انكه آرى برى * اكر مفلسى شرمسارى برى * كسى راكه حسن عمل بيشتر * بدركاه حق منزلت بيشتر * ثم انه تعالى اكد حكم الجملة الماضية وقال (من يعمل سوأ) عملا قبيحا (يجز به) عاجلا او آجلا لما روى انه لما نزلت قال ابو بكر رضى الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه السلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللأوآء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك قال ابو هريرة رضى الله عنه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما ابقت هذه الآية من شئ قال اما والذى نفسى بيده لكما انزلت ولكن يسروا وقاربوا وسددوا اى اقصدوا السداد اى الصواب ولا تفرطوا فتجهدوا انفسكم فى العبادة لئلا يفضى ذلك بكم الى الملال فتتركوا العمل كذا فى المقاصد الحسنة (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) اى ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره فى دفع العذاب عنه (ومن يعمل من الصالحات) من للتبعيض اى بعضها وشيأ منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها وانما يعمل منها ما هو تكليفه وفى وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه الصلاة فى بعض الاحوال (من ذكر او انثى) فى موضع الحال من المستكن فى يعمل ومن للبيان (وهو مؤمن) حال شرط اقتران العمل بها فى استدعاء الثواب المذكور لانه لا اعتداد بالعمل بدون الايمان فيه (فاولئك) المؤمنون العاملون (يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) اى لا ينقصون مما استحقوه من جزآء اعمالهم مقدار النقير وهى النقرة اى الحفرة التى فى ظهر النواة ومنها تنبت النخلة وهو علم فى القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى ان لا يزاد عقاب العاصى لان المجازى ارحم الراحمين وفى الحديث ان الله وعد على الطاعة عشر حسنات وعلى المعصية الواحدة عقوبة واحدة فمن جوزى بالسيئة نقصت واحدة من عشر وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت آحاده اعشاره اى سيئاته على حسناته قال النيسابورى حكمة تضعيف الحسنات لئلا يفلس العبد اذا اجتمع الخصماء فى طاعته فيدفع اليهم واحدة ويبقى له تسعة فظالم العباد توفى من التضعيفات لا من اصل حسناته لان التضعيف فضل من الله تعالى واصل الحسنة الواحدة عدل منه واحدة بواحدة وقد ذكر الامام البيهقى فى كتاب البعث فقال ان التضعيفات فضل من الله تعالى لا تتعلق بها العباد كما لا تتعلق بالصوم بل يدخرها الحق للعبد فضلا منه سبحانه فاذا دخل الجنة اثابه بها (قال السعدى) نكوكارى از مردم نيك راى * يكى را بده مى نويسد خداى * تو وانا ره طاعت امروز كير * كه فردا جوانى نيايد ز پير * ره خير بازست وطاعت وليك * نه هركس تواناست بر فعل نيك * همه برك بودن همى ساختى * بتدبير رفتن نپرداختى * واعلم ان جميع الاعمال الصالحة يزيد فى نور الايمان فعليك بالطاعات والحسنات والوصول الى المعارف الآلهية فان العلم بالله افضل الاعمال ولذلك لما قيل يا رسول الله اى الاعمال افضل قال العلم بالله فقيل الاعمال نريد قال العلم بالله فقيل نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل وذلك انما يحصل بتصفية الباطن مع صيقل التوحيد وانواع الاذكار ولا يعقلها الا العالمون والاشارة ليس باما نيكم يعنى باما نى عوام الخلق الذين يذنبون ولا يتوبون ويطمعون ان يغفر الله لهم والله تعالى يقول وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ولا امانى اهل الكتاب يعنى العلماء السوء الذين يغرون الخلق بالرجاء المذموم ويقطعون عليهم طريق الطلب والجد والاجتهاد ومن يعمل سوأ يجز به فى الحال باظهار الرين على مرءآة قلبه بعد الذنب كما قال عليه السلام اذا اذنب عبد ذنبا نكت فى قلبه نكتة سودآء فان تاب ورجع منه صقل ولا يجد له من دون الله وليا يخرجه من ظلمات المعصية الى نور الطاعة بالتوبة ولا نصيرا سوى الله ينصره بالظفر على النفس الامارة فيزكيها عن صفاتها وعلى الشيطان فيدفع شره وكيده ومن يعمل من الصالحات اى الخالصات من ذكر او انثى يشير بالذكر الى القلب وبالانثى الى النفس وهو مؤمن مخلص فى تلك الاعمال فاولئك يدخلون الجنة المعنى ان القلب اذا عمل بما وجب عليه من التوجه الى العالم العلوى والاعراض عن العالم السفلى وغض البصر عن سوى الحق يستوجب دخول جنة القربة والوصلة والنفس اذا عملت بما وجب عليها من الانتهاء عن هواها وترك حظوظها واداء حقوق الله تعالى فى العبودية واطمأنت بها تستحق الرجوع الى ربها والدخول فى جنة عالم الارواح كما قال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية

ولا يظلمون نقيرا فيما قدر لهم الله من الاعمال الصالحات ولا من الدرجات والقربات فليس من تمنى نعمته من غير ان يتعنى فى خدمته كمن تعنى فى خدمته من غير ان يتمنى نعمته وان بينهما بونا بعيدا من اعلى مراتب القرب الى اسفل سافلين البعد كذا فى التأويلات النجمية (ومن) استفهام انكارى (احسن دينا) الدين والملة متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار فان الشريعة من حيث انها يطاع لها دين ومن حيث انها تملى وتكتب ملة والاملال بمعنى الاملاء (ممن اسلم وجهه لله) اى جعل نفسه وذاته سالمة خالصة لله تعالى بان لم يجعل لاحد حقا فيها الا من جهة الخالقية والمالكية ولا من جهة العبودية والتعظيم قوله دينا نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن دينه احسن من دين من اسلم الخ فالتفضيل فى الحقيقة جار بين الدينين لا بين صاحبيهما (وهو محسن) الجملة حال من فاعل اسلم اى والحال انه آت بالحسنات تارك للسيئات وقد فسره النبى عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والاحسان حقيقة الايمان واعلم ان دين الاسلام مبنى على امرين الاعتقاد والعمل فالله سبحانه اشار الى الاول بقوله اسلم وجهه لله والى الثانى بقوله وهو محسن اى فى الانقياد لربه بان يكون آتيا بجميع ما كلفه به على وجه الاجلال والخشوع (واتبع ملة ابراهيم) الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها وقبولها بين الاديان كلها بخلاف ملة موسى وعيسى وغيرهما من الانبياء عليهم السلام (حنيفا) حال من فاعل اتبع اى مائلا عن الاديان الزائغة ثم ان الله تعالى رغب فى اتباع ملته فقال (واتخذ الله ابراهيم خليلا) اى اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها (ولله ما فى السموات وما فى الارض) كانه قيل لم خص الله تعالى ابراهيم عليه السلام بالخلة وله عباد مكرمون فاجاب بان جميع ما فى السموات وما فى الارض من الموجودات له تعالى خلقا وملكا يختار منها ما يشاء ومن يشاء (وكان الله بكل شئ محيطا) احاطة علم وقدرة فكل واحد من علمه وقدرته محيط بجميع ما يكون داخلا فيهما وما يكون خارجا عنهما ومغايرا لهما مما لا نهاية له من الصدورات الخارجة عن هذه السموات والارضين روى ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر فى ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرآئر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام فقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصرى فقال بل من عند خليلى الله عز وجل فسماه الله خليلا وفى الخبر تعجب الملائكة من كثرة ماله وخدمه وكان له خمسة آلاف قطيع من الغنم وعليها كلاب المواشى باطواق الذهب فتمثل له ملك فى صورة البشر وهو ينظر اغنامه فى البيدآء فقال الملك سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح فقال ابراهيم عليه السلام كرر ذكر ربى ولك نصف ما ترى من اموالى فكرر الملك فنادى ثانيا كرر تسبيح ربى ولك جميع ما ترى من مالى فتعجب الملائكة فقالوا جدير ان يتخذك الله خليلا فعلى هذا انما سمى الخليل خليلا على لسان الملائكة قال القاضى فى الشفاء الخلة هنا اقوى من النبوة لان النبوة قد يكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة ومن شرط الخلة استسلام العبد فى عموم احواله لله بالله وان لا يدخر شيأ مع الله لا من ماله وجسده ولا من نفسه ولا من روحه وخلده ولا من اهله وولده وهكذا كان حال ابراهيم عليه السلام جانكه نه قربانى جانان بود * جيفهٔ تن بهتر از ان جان بود * هركه نه شد كشته بشمشير دوست * لاشهٔ مردار به از جان اوست * ومن شرط المحبة فناء المحب فى المحبة وبقاؤه فى المحبوب حتى لم تبق المحبة من المحب الا الحبيب وهذا حال محمد صلى الله عليه وسلم قيل لمجنون بنى عامر ما اسمك قال ليلى قال شيخى وسندى ومن هو بمنزلة روحى فى جسدى فى كتاب اللايحات البرقيات ان الخلة والمحبة الآلهية الاحدية تجلت لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بحقيقتها ولابراهيم عليه السلام بصورتها ولغيرهما بخصوصياتها الجزئية بحسب قابلياتهم ونبينا عليه السلام فى مقام الخلة والمحبة بمنزلة المرتبة الاحدية الذاتية وابراهيم عليه السلام بمنزلة المرتبة الواحدية الصفاتية وغيرهما بمنزلة المرتبة الواحدية الافعالية والى هذه المقامات والمراتب اشارة فى البسملة على هذا الترتيب ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه بالفعل وابراهيم عليه السلام خليل الرحمن وحبيبه بالفعل وغيرهما من الانبياء عليهم السلام اخلاء الرحيم واحباؤه

بالفعل انتهى كلام الشيخ العلامة ابقاه الله بالسلامة واعلم انه عليه السلام قال ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ
ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابابكر خليلا يعنى لو جازلى ان اتخذ صديقا من الخلق
يقف على سرى لاتخذت ابابكر خليلا ولكن لايطلع على سرى الا الله ووجه تخصيصه بذلك ان ابابكر
رضى الله عنه كان اقرب بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما روى انه عليه السلام قال ان ابابكر لم يفضل
عليكم بصوم ولا صلاة ولكن بشئ كتب فى قلبه وانفهم من عدم اتخاذه عليه السلام احدا خليلا انفصاله
عما سوى الله تعالى فكل الكائنات متصل به وهو غير متصل بشئ اصلا سوى الله سبحانه وتعالى اللهم ارزقنا
شفاعته قال الشيخ السعدى فى نعته الشريف شبى برنشست ازفلك دركذشت * بتمكين جاه ازملك
دركذشت * چنان كرم درتيه قربت براند * كه درسدره جبريل ازوبازماند * فهذا انفصاله
عن العلويات والسفليات ووصوله الى حضرة الذات (ويستفتونك) اى يطلبون منك الفتوى واشتقاق
الفتوى من الفتى وهو الشاب القوى الحدث لانها جواب فى حادثة واحداث حكم او تقوية لبيان مشكل
(فى) حق توريث (النساء) اذسبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبى عليه السلام فقال اخبرنا انك تعطى الابنة
النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام كذلك امرت
(قل الله يفتيكم فيهن) يبين لكم حكمه فى حقهن والافتاء تبيين المبهم وتوضيح المشكل (وما يتلى عليكم
فى الكتاب) عطف على اسم الله اى يفتيكم الله وكلامه فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما فى القرآن من
قوله يوصيكم الله فى اولادكم فى اوآئل هذه السورة ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين باعتبارين كما يقال
اغنانى زيد وعطاؤه فان المسند اليه فى الحقيقة شئ واحد وهو المعطوف عليه الا انه عطف عليه شئ من
احواله للدلالة على ان الفعل انما قام بذلك الفاعل باعتبار اتصافه بتلك الحال (فى) شأن (يتامى النساء)
متعلق بيتلى كما ان فى الكتاب متعلق به ايضا والاضافة بمعنى من لانها اضافة الشئ الى جنسه (اللاتى لاتؤتونهن
ما كتب لهن) اى فرض لهن من الميراث وغيره (وترغبون) عطف على لاتؤتونهن عطف جملة مثبتة على جملة
منفية (ان تنكحوهن) اى فى نكاحهن لجمالهن ومالهن وترغبون عن نكاحهن اى تعرضون لقبحهن
وفقرهن فان كانت اليتيمة جميلة موسرة رغب وليها فى تزوجها والا رغب عنها وما يتلى فى حقوقهن قوله تعالى
وآتوا اليتامى اموالهم وقوله تعالى ولا تأكلوها ونحوهما من النصوص الدالة على عدم التعرض لاموالهم (و) فى
(المستضعفين من الولدان) عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء وانما يورثون
الرجال القوامين بالامور (و) فى (ان تقوموا لليتامى) فى اموالهم وحقوقهم (بالقسط) اى العدل وهو ايضا
عطف على يتامى النساء وما يتلى فى حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم
ونحو ذلك (وما) شرطية (تفعلوا من خير) على الاطلاق سوآء كان فى حقوق المذكورين او غيرهم (فان الله
كان به عليما) فيجازيكم بحسبه فعلى العاقل ان يطيع الله تعالى فيما امر ولا يأكل مال الغير بل يجتهد
فى ان ينفق ما قدر عليه على اليتامى والمساكين قال حاتم الاصم من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب من ادعى
حب الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب ومن ادعى محبة الله من غير ورع عن محارم الله فهو كذاب ومن ادعى
محبة النبى عليه السلام من غير محبة الفقرآء فهو كذاب وفى قوله تعالى وما تفعلوا حث على فعل الخير وترغيب
حكى ان امرأة جاءت الى حانوت ابى حنيفة تريد شرآء ثوب فاخرج ابو حنيفة ثوبا جديدا قيمته اربعمائة درهم
فقالت المرأة انى امرأة ضعيفة ولى بنت اريد تسليمها الى زوجها فبعنى هذا الثوب بما يقوم عليك فقال ابو حنيفة
خذيه باربعة دراهم فقالت المرأة لم تسخر بى فقال ابو حنيفة معاذ الله ان اكون من الساخرين ولكنى كنت
اشتريت ثوبين فبعت احدهما برأس المال الذى نقدت فى الثوبين الا اربعة دراهم فبقى هذا على باربعة دراهم
فاخذت المرأة الثوب باربعة دراهم ورجعت مستبشرة فرحة (قال السعدى) بكيراى جوان دست درويش
پير * نه خودرا بيفكن كه دستم بكير * كسى نيك بودى بهردوسراى * كه نيكى رساند بخلق خداى *
واعلم ان النفس بمثابة المرأة لزوج الروح فكما اوجب الله على الرجال من الحقوق للنساء فكذلك اوجب
على العبد الطالب الصادق من الحقوق للنفس كما قال عليه السلام لعبد الله بن عمر حين جاهد نفسه بالليل
بالقيام وبالنهار بالصيام ان لنفسك عليك حقا فصم وافطر وقم ونم والرياضة الشديدة تقطع عن السير قال

عليه السلام ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق ولا تحملوا على انفسكم ولا تكلفوها ما لا تطيق فتعجز
فتترك الدين والعمل * اسب تازى دوتك همى ماند * شتر آهسته ميرود شب وروزى وكان النبى
عليه السلام يتوسط فى اعطاء نفسه حقها ويعدل فيها غاية العدل فيصوم ويفطر ويقوم وينام وينكح
النساء ويأكل فى بعض الاحيان ما يجد كالحلوى والعسل والدجاج وتارة يجوع حتى يشد الحجر على بطنه
من الجوع فيا ايها الغافل تنبه لرحلتك ومسراك واحذر ان تسأل على موافقة هواك انتقل الى الصلاح
قبل ان تنقل وحاسب نفسك على ما تقول وتفعل فان الله سبحانه بكل شئ عليم وبكل شئ محيط فاياك من الافراط
والتفريط (وان امرأة خافت من بعلها) امرأة فاعل فعل يفسره الظاهر اى خافت امرأة وتوقعت من
زوجها (نشوزا) تجافيا عنها وترفعا من صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها من النشز وهو ما ارتفع من الارض
فنشوز كل واحد من الزوجين كراهته صاحبه وترفعه عليه لعدم رضاه به (او اعراضا) بان يقل مجالستها
ومحادثتها وذلك لبعض الاسباب من طعن فى سن او دمامة او شين فى خلق او خلق او ملال او طموح عين الى
اخرى او غير ذلك قال الامام المراد بالنشوز اظهار الخشونة فى القول او الفعل او فيهما والمراد بالاعراض
السكوت عن الخير والشر والمراعاة والايذآء روى ان الاية نزلت فى خويلة ابنة محمد بن مسلمة وزوجها سعد
ابن الربيع تزوجها وهى شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
واشتكت اليه ذلك (فلا جناح عليهما) حينئذ (ان يصلحا بينهما صلحا) اى فى ان يصلحا بينهما اصلاحا بان تحط له
المهر او بعضه او القسم كما فعلت سودة رضى الله عنها وكانت كبيرة مسنة وذلك ان ام المؤمنين سودة ابنة زمعة
التمست من رسول الله حين اراد عليه السلام ان يطلقها ان يمسكها وتجعل نوبتها لعائشة رضى الله عنها
لما عرفت مكان عائشة من قلبه عليه السلام فاجازه النبى عليه السلام ولم يطلقها وكان عليه السلام بعد هذا
الصلح يقسم لعائشة يومها ويوم سودة قال الحدادى مثل هذا الصلح لا يقع لازما لانها اذا ابت بعد ذلك
الا المقاسمة على السوآء كان لها ذلك (والصلح) الواقع بين الزوجين (خير) اى من الفرقة او من سوء العشرة
او من الخصومة فاللام للعهد ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه خير من الخيور كما ان الخصومة شر من
الشرور فاللام للجنس قال السيوطى فى حسن المحاضرة فى احوال مصر والقاهرة ان شئت ان تصير من الابدال
فحول خلقك الى بعض خلق الاطفال ففيهم خمس خصال لو كانت فى الكبار لكانوا ابدالا لا يهتمون للرزق
ولا يشكون من خالقهم اذا مرضوا ويأكلون الطعام مجتمعين واذا خافوا جرت عيونهم بالدموع واذا تخاصموا
لم يتجاوزوا وتسارعوا الى الصلح ونعم ما قيل ابلهست انكه فعل اوست لجاج * ابلهى راكجا علاج بود *
تالتوانى لجاج پيشه مكير * كافت دوستى لجاج بود (واحضرت الانفس الشح) اى جعلت حاضرة
له مطبوعة عليه لا تنفك عنه ابدا فلا المرأة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع
دمامتها او كبر سنها او عدم حصول اللذة بمجالستها واصل الكلام احضر الله الانفس الشح فلما بنى للمفعول اقيم
مفعوله الاول مقام الفاعل والشح البخل مع حرص فهو اخص من البخل وعن عبد الله بن وهب عن الليث قال
بلغنى ان ابليس اتى نوحا فقال له ابليس يا نوح اتق الحسد والشح فانى حسدت آدم فخرجت من الجنة وشح آدم
على شجرة واحدة منعها حتى خرج من الجنة واتى يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس فى صورته فقال له اخبرنى
باحب الناس اليك وابغض الناس اليك قال احب الناس الى المؤمن البخيل وابغضهم الى الفاسق السخى قال
يحيى وكيف ذلك قال لان البخيل قد كفانى بخله والفاسق السخى اتخوف ان يطلع الله عليه فى سخائه فيقبله
ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لم اخبرك كذا فى آكام المرجان (وان تحسنوا) ايها الازواج بامساكهن بالمعروف
وحسن المعاشرة مع عدم موافقتهن لطباعكم (وتتقوا) ظلمهن بالنشوز والاعراض ولم تضطروهن الى بذل
شئ من حقوقهن (فان الله كان بما تعملون) من الاحسان والتقوى (خبيرا) عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم
ويثيبكم عليه البتة لاستحالة ان يضيع اجر المحسنين روى ان رجلا من بنى آدم كانت له امرأة من اجملهم
فنظرت اليه يوما فقالت الحمد لله قال زوجها ما لك فقالت حمدت الله على انى وانك من اهل الجنة لانك رزقت
مثلى فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله بالجنة للصابرين والشاكرين (قال السعدى) چو مستور
شد زن خوب روى * بديدار او دربهشتست شوى * اكر پارسا باشد وخوش سخن * نكه درنكويى

ورشى مكن (وان تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء) اى محال ان تقدروا على ان تعدلوا وتسووا بينهن بحيث لا يقع ميل ما الى جانب احداهن فى شأن من الشؤون البتة ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمى فيما املك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا املك واراد به التسوية فى المحبة وكان له فرط محبة لعائشة رضى الله عنها (ولو حرصتم) اى على اقامة العدل وبالغتم فى ذلك (فلا تميلوا كل الميل) اى فلا تجوروا على المرأة المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل انما يصح عدم تكليفكم به لا بما دونه من المراتب الداخلة تحت استطاعتكم وما لا يدرك كله لا يترك كله وفى الحديث استقيموا ولن تحصوا اى لن تستطيعوا ان تستقيموا فى كل شئ حتى لا تميلوا (فتذروها) مجزوم عطف على الفعل قبله اى فلا تتركوا التى ملتم عنها حال كونها (كالمعلقة) وهى المرأة التى لا تكون ايما فتزوج ولا ذات بعل يحسن عشرتها كالشئ المعلق الذى لا يكون فى الارض ولا فى السماء وفى الحديث من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وكان لمعاذ رضى الله عنه امرأتان فاذا كان عند احداهما لم يتوضأ فى بيت الاخرى فماتتا فى الطاعون فدفنهما فى قبر واحد (وان تصلحوا) ما كنتم تفسدون من امورهن (وتتقوا) الميل فيما يستقبل (فان الله كان غفورا) يغفر لكم ما مضى من ميلكم (رحيما) يتفضل عليكم برحمته (وان يتفرقا) اى وان يفارق كل واحد منهما صاحبه بان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح اوغيره (يغن الله كلا) منهما اى يجعله مستغنيا عن الاخر ويكفه مهماته (من سعته) من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن مفارقة احدهما رغما لصاحبه (وكان الله واسعا حكيما) اى مقتدرا متقنا فى افعاله واحكامه وله حكمة بالغة فيما يحكم من الفرقة يجعل لكل واحد منهما من يسكن اليه فيتسلى به عن الاول وتزول حرارة محبته عن قلبه وينكشف عنه هم عشقه فعلى المؤمن ترك حظ النفس والدور مع الامر الالهى فى جملة اموره واحكامه والعمل فى حق النساء بقوله تعالى فامساك بمعروف اوتسريح باحسان والميل الى جانب العدل والاعراض عن طرف الظلم والاستحلال قبل ان يجيء يوم لا بيع فيه ولا خلال قال ابن مسعود رضى الله عنه يؤخذ بيد العبد اوالامة فينصب على رؤس الاولين والاخرين ثم ينادى منادهذا فلان ابن فلان فمن كان له حق فليأت الى حقه فتفرح المرأة ان يكون لها الحق على ابنها او اخيها او على ابيها او على زوجها ثم قرأ ابن مسعود رضى الله عنه فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فيقول الرب تعالى للعبد آت هؤلاء حقوقهم فيقول رب لست فى الدنيا فمن اين اوتيهم فيقول للملائكة خذوا من اعماله الصالحة فاعطوا كل انسان منهم بقدر طلبته فان كان وليا لله فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل من خير ضاعفها حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة رب فنيت حسناته وبقى الطالبون فيقول للملائكة خذوا من اعمالهم السيئة فاضيفوها الى سيئاته وصكوا له صكا الى النار فلا بد من التوبة والاستغفار والرجوع الى الملك الغفار والمجاملة فى المعاملة مع الاخيار والاشرار ودفع الاذى عن اهل الانكار والاقرار حكى ان ابا منصور بن ذكير كان رجلا زاهدا صالحا فلما دنت وفاته اكثر البكاء فقيل له لم تبكى عند الموت قال اسلك طريقا لم اسلكه قط فلما توفى رأه ابنه فى المنام فى الليلة الرابعة فقال يا ابت ما فعل الله بك فقال يا بنى ان الامر اصعب مما نعده اى تظن لقيت ملكا عادلا اعدل العادلين ورأيت خصماء مناقشين فقال لى ربى يا ابا منصور قد عمرتك سبعين سنة فما معك اليوم فقلت يا ربى حججت ثلاثين حجة فقال الله تعالى لم اقبل منك فقلت يا رب تصدقت باربعين الف درهم بيدى فقال لم اقبل منك فقلت ستون سنة صمت نهارها وقمت ليلها فقال لم اقبل منك فقلت الهى غزوت اربعين غزوة فقال لم اقبل منك فقلت اذا قد هلكت فقال الله تعالى اليس من كرمى ان اعذب مثل هذا يا ابا منصور اما تذكر اليوم الفلانى نحيت الذرة عن الطريق كيلا يعثر بها مسلم فانى قد رحمتك بذلك فانى لا اضيع اجر المحسنين فظهر من هذه الحكاية ان دفع الاذى عن الطريق اذا كان سببا للرحمة والمغفرة فلان يكون دفع الاذى عن الناس نافعا للدافع يوم الحشر خصوصا عدم الاذية للمؤمنين وخصوصا للاهل والعيال والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده اللهم اجعلنا من النافعين لا من الضارين آمين (ولله ما فى السموات وما فى الارض) اى من الموجودات كائنا ما كان من الخلائق ارزاقهم وغير ذلك قال الشيخ نجم الدين قدس سره لله ما فى السموات من الدرجات العلى وجنات المأوى والفردوس الاعلى

وما فى الارض من نعيم الدنيا وزينتها وزخارفها والله مستغن عنها وانما خلقها لعباده الصالحين كما قال تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض وخلق العباد لنفسه كما قال واصطنعتك لنفسى (ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) اى بالله قد امرناهم فى كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام فى الكتاب للجنس يتناول الكتب السماوية ومن متعلقة بوصينا او باوتوا (واياكم) عطف على الذين اى وصيناكم يا امة محمد فى كتابكم (ان اتقوا الله) اى بان اتقوا الله فان مصدرية حذف منها حرف الجر اى امرناهم واياكم بالتقوى (و) قلنا لهم ولكم (ان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض) اى فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله (وكان الله غنيا) اى عن الخلق وعبادتهم لا تعلق له بغيره تعالى لا فى ذاته ولا فى صفاته بل هو منزه عن العلاقة مع الاغيار (حميدا) محمودا فى ذاته حمدوه اولم يحمدوه قال الغزالى فى شرح الاسماء الحسنى والله تعالى هو الحميد لحمده لنفسه ازلا ولحمد عباده له ابدا ويرجع هذا الى صفات الجلال والعلو والكمال منسوبا الى ذكر الذاكرين له فان الحمد هو ذكر اوصاف الكمال من حيث هو كمال والحميد من العباد من حمدت عقائده واخلاقه واعماله كلها من غير مثنوية وذلك هو محمد صلى الله عليه وسلم ومن يقرب منه من الانبياء ومن عداهم من الاولياء والعلماء كل واحد منهم حميد بقدر ما يحمد من عقائده واخلاقه واعماله واقواله (ولله ما فى السموات وما فى الارض) ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما فاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا فلا تكرار فان كل واحد من هذه الالفاظ مقرون بفائدة جديدة (وكفى بالله وكيلا) فى تدبير امور الكل وكل الامور فلا بد من ان يتوكل عليه لا على احد سواه (ان يشأ يذهبكم ايها الناس) اى يفنكم ويستأصلكم بالمرة (ويأت بآخرين) اى يوجد دفعة مكانكم قوما آخرين من البشر او خلقا آخرين مكان الانس ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اى ان يشأ افناءكم وايجاد آخرين يذهبكم يعنى ان ابقاءكم على ما انتم عليه من العصيان انما هو لكمال غناه عن طاعتكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ففيه تهديد للعصاة (وكان الله على ذلك) اى افنائكم بالمرة وايجاد آخرين دفعة مكانكم (قديرا) بليغ القدرة لا يعجزه مراد فاطيعوه ولا تعصوه واتقوا عقابه والاية تدل على كمال قدرته وصبوريته حيث لا يؤاخذ العصاة على العجلة وفى الحديث لا احد اصبر على اذى سمعه من الله انه يشرك به ويجعل له الولد ثم هو يعافيهم ويرزقهم يعنى يقول بعض عباد الله واماته ان له شريكا فى ملكه وينسب له ولدا ثم الله تعالى يعطيهم من انواع النعم من العافية والرزق وغيرهما فهذا كرمه ومعاملته مع من يؤذيه فما ظنك بمعاملته مع من يتحمل الاذى منه ويثنى عليه ثم ان تأخير العقوبة يتضمن لحكم منها رجوع التائب وانقطاع حجة المصر وفى الحديث ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها قال الشيخ الكلاباذى بسط اليد كناية عن الجود يعنى يجود الله لمسيء الليل ولمسيء النهار بالامهال ليتوب كما روى انه عليه السلام قال صاحب اليمين امير على صاحب الشمال واذا عمل العبد حسنة كتب له عشر امثالها واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين امسك فيمسك عنه سبع ساعات من النهار فان استغفر لم يكتب عليه وان لم يستغفر كتب سيئة واحدة انتهى كلامه (قال الصائب) برغفلت سياه دلان خنده ميزنند * غافل مشو زخنده دندان نماى صبح يقال من لم ينزجر بزواجر القرآن ولم يرغب فى الطاعات فهذا اشد قسوة من الحجارة واسوء حالا من الجمادات فان دعوة الله عباده بكتبه على لسان الانبياء لئلا يغتروا بزخارف الدنيا الدنية ويترقوا من حضيض الحظوظ النفسانية الى معارج الدرجات العلى ولقد وصاك الله تعالى بالتقوى فعليك بالاخذ بالوصية فان التقوى كنز عزيز فلئن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وخير كثير فانه جامع الخير كله قال ابن عطاء التقوى ظاهر وباطن فظاهرها حفظ حدود الشرع وباطنها الاخلاص فى النية وحقيقة التقوى الاعراض عن الدنيا والعقبى والاقبال والتوجه الى الحضرة العليا فمن وصل اليه فقد صار حرا عن رقبة الكونين وعبد الله تعالى (قال الحافظ) زير بارند درختان كه تعلق دارند * اى خوشا سرو كه از بارغم آزاد آمد (من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) اى فعنده تعالى ثوابهما له ان اراده فماله يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة اوليطلب الاشرف منهما فان من جاهد

خالصا لوجه الله تعالى لم تحطئه الغنيمة وله فى الآخرة ماهى فى جنبه كلا شئ اى فعند الله ثواب الدارين فيعطى
كلا مايريده كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله
فى الآخرة من نصيب (وكان الله سميعا بصيرا) عالما بجميع المسموعات والمبصرات عارفا بالاغراض اى يعرف
من كلامهم مايدل على انهم مايطلبون من الجهاد سوى الغنيمة ومن افعالهم مايدل على انهم لايسعون
فى الجهاد الا عند توقع الفوز بالغنيمة قال الحدادى فى الآية تهديد للمنافقين المرائين وفى الحديث ان فى النار
واديا تتعوذ منه جهنم كل يوم اربعمائة مرة اعدّ للقراء المرائين (قال السعدى) نكوسيرتى بى تكلف برون *
به ازنيك نام خراب اندرون * هر آنكه افكند تخم برروى سنك * جوى وقت دخلش نبايد بچنك *
وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه لما خلق الله تعالى جنة عدن خلق فيها مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر ثم قال لها تكلمى فقالت قد افلح المؤمنون ثلاثا ثم قالت انى حرام على كل بخيل مرآئى فينبغى
للمؤمن ان يحترز من الرياء ويسعى فى تحصيل الاخلاص فى العمل وهو ان لايريد بعمله سوى الله تعالى قال
بعضهم دخلت على سهل بن عبد الله يوم الجمعة قبل الصلاة فرأيت فى البيت حية فجعلت اقدم رجلا وأؤخر
اخرى فقال سهل ادخل لايبلغ احد حقيقة الاخلاص وعلى وجه الارض شئ يخافه ثم قال هل لك حاجة
فى صلاة الجمعة فقلت بيننا وبين المسجد مسيرة يوم وليلة فاخذ بيدى فما كان قليلا حتى رأيت المسجد فدخلنا
وصلينا الجمعة ثم خرجنا فوقف ينظر الى الناس وهم يخرجون فقال اهل لا اله الا الله كثير والمخلصون منهم قليل
عبادت باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد زبيمغز پوست * فالمخلص فى عمله لايقبل عوضا
ولو اعطى له الدنيا ومافيها (حكايه) آورده اندكه جوانمردى غلام خويش راكفت سخاوت آن نيست كه
صدقه بكسى دهندكه او رابشناسند صد دينار بستان وببازار ببر واول درويشى كه ببينى بوى ده غلام ببازار
رفت پيرى ديدكه حلاق سراو مى تراشيد زر بوى داد پير كفت كه من نيت كرده ام كه هرچه مرا فتوح شود بوى
دهم حلاق را كفت بستان حلاق كفت من نيت كرده ام سراو را ازبراى خدا بتراشم اجر خود از حق تعالى
بصد دينار نمى فروشم وهيچ كس نستاند غلام باز كشت وزر باز آورد كذا فى انيس الوحدة
وجليس الخلوة (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) مبالغين فى العدل واقامة القسط فى جميع الامور
مجتهدين فى ذلك حق الاجتهاد (شهداء لله) بالحق تقيمون شهاداتكم بوجه الله تعالى كما امرتم باقامتها وهو خبر
ثان (ولو) كانت الشهادة (على انفسكم) بان تقروا عليها لان الشهادة على النفس اقرار على ان الشهادة عبارة
عن الاخبار بحق الغير سواء كان ذلك عليه او على ثالث او بان تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة
المشهود عليه بان يكون سلطانا ظالما اوغيره (او الوالدين والاقربين) اى ولو كانت على والديكم واقاربكم
بان تقروا وتقولوا مثلا اشهد ان لفلان على والدى كذا او على اقاربى او بان تكون الشهادة وبالا عليهم على مامر
آنفا وفى هدايا ان شهادة الابن على الوالدين لاتكون عقوقا ولا يحل للابن الامتناع عن الشهادة على ابويه
لان فى الشهادة عليهما بالحق منعا لهما من الظلم واما شهادته لهما وبالعكس فلا تقبل لان المنافع بين الاولاد
والاباء متصلة ولهذا لايجوز اداء الزكاة اليهم فتكون شهادة احدهما شهادة لنفسه او لتمكن التهمة (ان يكن)
اى المشهود عليه (غنيا) يبتغى فى العادة رضاه ويتقى سخطه (او فقيرا) يترحم عليه غالبا وجواب الشرط
محذوف لدلالة قوله تعالى (فالله اولى بهما) عليه اى فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة طلبا لرضى الغنى او ترحما على
الفقير فان الله تعالى اولى بجنسى الغنى والفقير بالنظر لهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها
وفى الحديث انصر اخاك ظالما او مظلوما قيل يارسول الله كيف ينصره ظالما قال ان يرده عن ظلمه فان ذلك
نصره معنى ومنع الظالم عن ظلمه عون له على مصلحة دينه ولذا سمى نصرا (قال السعدى) بكمراه كفتن
نكو ميروى * كناه بزركست وجور قوى * بكوى آنچه دانى سخن سودمند * وكرهيچ كس را
نيايد پسند (فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا) يحتمل العدل والعدول اى فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا
بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق (وان تلووا) السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل بان تأتوا بها
لا على وجهها لى الشئ فتله وتحريفه ولى الشهادة تبديلها اوعدم اداءها على ماشاهده بان يميل فيها الى احد
الخصمين (او تعرضوا) اى عن اداءها واقامتها رأسا فالاعراض عنها كتمها (فان الله كان بما تعملون)

من لى

من لى الالسنة والاعراض بالكلية (خبيرا) فيجازيكم لامحالة على ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنه
ان المراد بالآية القاضى يتقدم عليه الخصمان فيعرض عن احدهما اويدافع فى امضاء الحق اولا يسوّى بينهما
فى المجلس والنظر والاشارة ولا يمتنع ان يكون المراد بالآية القاضى والشاهد وعامة الناس فان احتمال اللفظ
للجميع وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزول هذه الآية من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقم
شهادته على من كانت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجحد حقا هو عليه وليؤده فورا ولا يلجئه
الى سلطان وخصومة ليقطع بها حقه وايما رجل خاصم الى فقضيت له على اخيه بحق ليس عليه فلا يأخذنه
فانما اقطع له قطعة من نار جهنم كذا فى تفسير الحدادى قال فى الاشباه اى شاهد جاز له الكتمان فقل اذا كان الحق
يقوم بغيره او كان القاضى فاسقا او كان يعلم انه لايقبل انتهى قال الفقهاء وستر الشهادة فى الحدود افضل من
اداءها لقوله عليه السلام للذى شهد عنده فى الحد لو سترته بثوبك لكان خيرا لك وقوله عليه السلام من ستر
على مسلم عيبا ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة وقال عليه السلام مامن امرئ ينصر مسلما فى موضع ينتهك فيه
عرضه وتستحل حرمته الا نصره الله تعالى فى موطن يحب فيه نصرته ومامن امرئ خذل مسلما فى موضع
تنتهك فيه حرمته الا خذله الله تعالى فى موضع يحب فيه نصرته وقال عليه السلام ادرؤا الحدود ما استطعتم
يحكى ان مسلما قتل ذميا عمدا فحكم ابو يوسف بقتل المسلم فبلغ زبيدة امرأة هرون الرشيد فبعثت الى ابى يوسف
وقالت اياك ان تقتل المسلم وكانت فى عناية عظيمة بامر المسلم فلما حضر ابو يوسف وحضر الفقهاء وجيء باولياء
الذمى والمسلم قال له الرشيد احكم بقتله فقال يا امير المؤمنين هو مذهبى غير انى لست اقتل المسلم به حتى تقوم
البينة العادلة ان الذمى يوم قتله المسلم كان ممن يؤدى الجزية فلم يقدروا عليه فبطل دمه (بيت) تو روا دار بكه
من بى حجتى * بنهم اندر شهر باطل سنتى * وفى قوله تعالى شهداء لله اشارة الى عوام المؤمنين ان كونوا
شهداء لله بالتوحيد والوحدانية بالقسط يوما ما ولو كان فى آخر نفس من عمرهم على حسب ماقدر لهم الله
تعالى واشارة الى الخواص ان كونوا شهداء لله اى حاضرين مع الله بالفردانية واشارة الى خواص الخواص
ان كونوا شهداء لله فى الله غائبين عن وجودكم فى شهوده بالوحدة وفى اشارته الى الخواص شركة للملائكة
كما قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط فاما اشارته الى الاخص من الانبياء
وكبار الاولياء وهم اولوا العلم فمختصة بهم من سائر العالمين ولاولى العلم شركة فى شهود شهد الله انه لا اله الا هو
وليس للملائكة فى هذا الشهود مدخل لانهم قائمون بالقسط كذا فى التأويلات النجمية (يا ايها الذين آمنوا)
خطاب لكافة المسلمين (آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل)
اى اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه وازدادوا فيه طمأنينة ويقينا او آمنوا بما ذكر مفصلا بناء على ان ايمان
بعضهم اجمالى فان قلت لم قيل نزل على رسوله وانزل من قبل قلت لان القرآن نزل منجما مفرقا بخلاف الكتب
قبله فالمراد بالكتاب الاول القرآن وبالثانى الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه
وبالايمان به الايمان بان كل كتاب من تلك الكتب منزل منه على رسول معين لارشاد امته الى ماشرع لهم من
الدين بالاوامر والنواهى لكن لا على انه يراد الايمان بكل واحد من تلك الكتب خصوصية ذلك الكتاب ولا على
ان احكام تلك الكتب وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقى منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان الايمان
بالكل مندرج تحت الايمان بالكتاب المنزل على رسوله وان احكام كل منها كانت حقة ثابتة الى ورود نسخها
وان مالم ينسخ منها الى الآن من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب الجليل
المصون عن النسخ والتبديل وقيل الخطاب للمنافقين كأنه قيل يا ايها الذين آمنوا نفاقا وهو ماكان بالالسنة
فقط آمنوا اخلاصا وهو ماكان بها وبالقلوب وقيل الخطاب لمؤمنى اهل الكتاب اذ روى ان ابن سلام واصحابه
قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت فالمعنى حينئذ آمنوا
ايمانا عاما شاملا يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الآخر) اى بشئ من ذلك لان الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر بالايمان به جميعا
وزيادة الملائكة واليوم الآخر فى جانب الكفر لما انه بالكفر باحدها لايتحقق الايمان اصلا وجمع الكتب
والرسل لما ان الكفر بكتاب او برسول كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا

عليه وتقديم الملائكة والكتب على الرسل لانهم وسائط بين الله وبين الرسل فى انزال الكتب (فقد ضل ضلالا بعيدا) عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه قالوا اول ما يجب على المرء معرفة مولاه اى يجب على كل انسان ان يسعى فى تحصيل معرفة الله تعالى بالدليل والبرهان فان ايمان المقلد وان كان صحيحا عند الامام الاعظم لكن يكون آثما بترك النظر والاستدلال فاول الامر هو الحجة والبرهان ثم المشاهدة والعيان ثم الفناء عن سوى الرحمان فرتبة العوام فى الايمان ما قال عليه السلام ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت والجنة والنار والقدر خيره وشره وهو ايمان غيبى (وفى المثنوى) بندكى در غيب آيد خوب وكش ✱ حفظ غيب آيد در استعباد خوش ✱ طاعت وايمان كنون محمود شد ✱ بعد مرك اندر عيان مردود شد ✱ ومرتبة الخواص فى الايمان هو ايمان عيانى وكان ذلك بان الله اذا تجلى لعبده بصفة من صفاته خضع له جميع اجزاء وجوده وآمن بالكلية عيانا بعد ما كان يؤمن قلبه بالغيب ونفسه تكفر بما آمن به قلبه اذ كانت النفس عن تنسم روايح الغيب بمعزل فلما تجلى الحق للجبل جعله دكا وخر موسى النفس صعقا فالنفس فى هذا المقام تكون بمنزلة موسى فلما افاق قال تبت اليك وانا اول المؤمنين ومرتبة الاخص فى الايمان هو ايمان عيانى وذلك بعد رفع حجب الانانية بسطوات تجلى صفة الجلال فاذا افناه عنه بصفة الجلال يبقيه به بصفة الجمال فلم يبق له الاين وبقى فى العين فيكون ايمانا عينيا كما كان حال النبى عليه السلام ليلة المعراج فلما بلغ قاب قوسين كان فى حيز اين فلما جذبته العناية من كينونته الى عينونة او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى آمن الرسول بما انزل اليه اى من صفات ربه فآمنت صفاته بصفاته تعالى وذاته بذاته فصار كل وجوده مؤمنا بالله ايمانا عينيا ذاته وصفاته فاخبر عنهم وقال والمؤمنون كل آمن بالله يعنى آمنوا بهويته وجودهم كذا فى التأويلات النجمية هذا هو الايمان الحقيقى رزقنا الله واياكم اياه (وفى المثنوى) بود كبرى در زمان بايزيد ✱ كفت اورا يك مسلمان سعيد ✱ كرچه باشد كر تو اسلام آورى ✱ تا بيابى صد نجات وسرورى ✱ كفت اين ايمان اكر هست اى مريد ✱ انكه دارد شيخ عالم بايزيد ✱ من ندارم طاقت آن تاب آن ✱ كان فزون آمد ز كوششهاى جان ✱ كرچه در ايمان ودين ناموقنم ✱ ليك در ايمان اوبس مؤمنم ✱ مؤمن ايمان اويم در نهان ✱ كرچه مهرم هست محكم بر دهان ✱ باز ايمان خود كر ايمان شماست ✱ نى بدان ميلستم ونى مشتهاست ✱ انكه صد ميلش سوى ايمان بود ✱ چون شمارا ديد زان فاتر شود ✱ زانكه نامى بيند ومعنيش نى ✱ چون بيابان را مفازه كفتنى ✱ والى هذا التجريد والتفريد ينال العبد بالذكر والتوحيد قال عليه السلام فى وصيته لعلى رضى الله عنه يا على احفظ التوحيد فانه رأس مالى والزم العمل فانه حرفتى واقم الصلاة فانها قرة عينى واذكر الحق فانه نصرة فؤادى واستعمل العلم فانه ميراثى اللهم لا تحرمنا من هذا الميراث (ان الذين آمنوا) يعنى اليهود بموسى (ثم كفروا) بعبادتهم العجل (ثم آمنوا) بعد عوده اليهم (ثم كفروا) بعيسى والانجيل (ثم ازدادوا كفرا) بكفرهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وازداد كذا يجيء لازما ومتعديا يقال ازددت مالا اى زدته لنفسى ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا (لم يكن الله) مريدا (ليغفر لهم) اى ما داموا على كفرهم (ولا ليهديهم سبيلا) اى ولا ليوفقهم طريقا الى الاسلام ولكن يخذلهم مجازاة لهم على كفرهم فان قيل ان الله لا يغفر كفر مرة فما الفائدة فى قوله ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا قيل ان الكافر اذا آمن غفر له كفره فاذا كفر بعد ايمانه لم يغفر له الكفر الاول وهو مطالب بجميع كفره (بشر المنافقين) وضع بشر موضع انذر واخبر تهكما بهم (بان لهم عذابا اليما) اى وجيعا يخلص المه ووجعه الى قلوبهم وهذا يدل على ان الآية نزلت فى المنافقين وهم قد آمنوا فى الظاهر وكفروا فى السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين (الذين) اى هم الذين (يتخذون الكافرين) اى اليهود (اولياء) احباء فى العون والنصرة (من دون المؤمنين) حال من فاعل يتخذون اى متجاوزين ولاية المؤمنين المخلصين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد فتولوا اليهود (أيبتغون عندهم العزة) اى ايطلبون بموالاة الكفرة القوة والغلبة وهم اذلاء فى حكم الله تعالى (فان العزة لله جميعا) تعليل لما يفيده الاستفهام الانكارى من بطلان رأيهم وخيبة رجائهم فان انحصار جميع افراد العزة فى جنابه تعالى بحيث لا ينالها الا اولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين يقتضى بطلان التعزز بغيره سبحانه واستحالة

الانتفاع به وقوله جميعا حال من المستكن فى قوله تعالى لله لاعتماده على المبتدأ (وقد نزل عليكم) خطاب للمنافقين بطريق الالتفات والجملة حال من فاعل يتخذون قال المفسرون ان مشركى مكة كانوا يخوضون فى ذكر القرآن ويستهزؤن به فى مجالسهم فانزل الله تعالى فى سورة الانعام وهى مكية واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ثم ان احبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون ما فعله المشركون بمكة وكان المنافقون يقعدون معهم ويوافقونهم على ذلك الكلام الباطل فقال الله تعالى مخاطبا لهم وقد نزل عليكم اى والحال انه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بمكة وفيه دلالة على ان المنزل على النبى عليه السلام وان خوطب به خاصة منزل على العامة (فى الكتاب) اى القرآن الكريم (ان) مخففة اى ان الشان (اذا سمعتم آيات الله) فيه دلالة على ان مدار الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم فى آيات الله ولذلك يخبر عنه تارة بالرؤية واخرى بالسماع (يكفر بها ويستهزأ بها) حالان من آيات الله اى مكفورا ومستهزأ وبها فى محل الرفع لقيامه مقام الفاعل والاصل يكفر بها احد ويستهزئ (فلا تقعدوا) جزاء الشرط (معهم) اى الكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها (حتى يخوضوا) الخوض بالفارسية در حديث شدن (فى حديث غيره) اى غير القرآن وحتى غاية للنهى والمعنى انه تجوز مجالستهم عند خوضهم وشروعهم فى غير الكفر والاستهزاء وفيه دلالة على ان المراد بالاعراض عنهم اظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الاعراض بالقلب او بالوجه فقط (انكم اذا مثلهم) جملة مستأنفة سيقت لتعليل النهى غير داخلة تحت التنزيل واذا ملغاة عن العمل لاعتماد ما بعدها على ما قبلها اى لوقوعها بين المبتدأ والخبر اى لا تقعدوا معهم فى ذلك الوقت انكم ان فعلتموه كنتم مثلهم اى مثل اليهود فى الكفر واستتباع العذاب فان الرضى بالكفر كفر (ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) يعنى القاعدين والمقعود معهم وهو تعليل لكونهم مثلهم فى الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم فى العذاب واعلم ان الائتلاف ههنا نتيجة تعارف الارواح هنالك لقوله عليه السلام الارواح جنود مجندة الحديث فمن تعارف ارواح الكافر والمنافق هنالك يأتلفون ههنا ومن تناكر ارواحهم وارواح المؤمنين يختلفون ههنا روت عائشة رضى الله عنها ان امرأة كانت بمكة تدخل على نساء قريش تضحكهن فلما هاجرن ووسع الله تعالى دخلت المدينة قالت عائشة فدخلت على فقلت لها فلانة ما اقدمك قالت اليكن قلت فاين نزلت قالت على فلانة امرأة كانت تضحك بالمدينة قالت عائشة ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فلانة المضحكة عندكم قالت عائشة قلت نعم فقال فعلى من نزلت قالت على فلانة المضحكة قال الحمد لله ان الارواح جنود الخ ونعم ما قيل ✱ مرغان كند با جنس پرواز ✱ كبوتر با كبوتر باز با باز ✱ ولما كان الابد مرآة الازل لا يظهر فيه الا ما قدر فى الازل لذا قال الله تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا لانهم كانوا فى عالم الارواح فى صف واحد وفى الدنيا بذلك التناسب والتعارف فى فن واحد وقال عليه السلام كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون ففى اشارة الآية نهى لاصحاب القلوب عن المجالسة مع ارباب النفوس والموافقة فى شىء من اهويتهم فانهم ان يفعلوا ذلك يكونوا مثلهم يعنى يكون القلب كالنفس وصاحب القلب كصاحب النفس بالصحبة والمخالطة والمتابعة (قال الحافظ) نخست موعظه پير مجلس اين حرفست ✱ كه از مصاحب ناجنس احتراز كنيد ✱ قال الحدادى فى تفسيره اذا لم يجز جلوس المؤمنين معهم لاقامة فرض او سنة اما اذا كان جلوسه لاقامة عبادة وهو ساخط لتلك الحال لا يقدر على تغييرها فلا بأس بالجلوس كما روى عن الحسن انه حضر وابن سيرين جنازة وهناك نوح فانصرف ابن سيرين فذكر ذلك للحسن فقال ان كنا متى رأينا باطلا تركنا حقا اسرع ذلك فى ديننا ولم يرجع انتهى كلامه وذكر ان الله تعالى اوحى الى يوشع بن نون عليه السلام انى مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم قال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا بغضبى وآكلوهم وشاربوهم واذا كان الرجل مبتلى بصحبة الفجار فى سفره للحج او الغزاء لا يترك الطاعة بصحبتهم لكن يكرهه بقلبه ولا يرضى به فلعل الفاسق يتوب ببركة كراهة قلبه ومن دعى الى ضيافة فوجد ثمة لعبا او غناء يقعد ان كان غير قدوة ويمنع ان قدر وان كان قدوة كالقاضى والمفتى ونحوهما يمنع ويقعد فان عجز خرج وان كان ذلك على المائدة او كانوا يشربون الخمر خرج وان لم يكن قدوة وان علم قبل الحضور لا يحضر فى الوجوه كلها كذا فى تحفة الملوك (الذين يتربصون بكم) اى المنافقون هم الذين ينتظرون وقوع

امر لكم خيرا كان اوشرا (فان كان لكم) ايها المؤمنون (فتح من الله) اى ظفر ودولة وغنيمة (قالوا) اى لكم
(الم نكن معكم) على دينكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم (وان كان للكافرين نصيب) اى ظهور على
المسلمين (قالوا) اى للكفرة (الم نستحوذ عليكم) الاستحواذ الاستيلاء اى الم نغلبكم ونمكن من قتلكم واسركم
فابقينا عليكم اى ترحمنا (ونمنعكم من المؤمنين) بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ماضعفت به قلوبهم
اوامرجنا فى جنابكم وتوانينا فى مظاهرتهم عليكم والا لكنتم نهبة للنوآئب فهاتوا نصيبا مما اصبتم وانما سمى
ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا تعظيما لشأن المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر
عظيم تفتح له ابواب السماء حتى ينزل على اوليائه واما ظفر الكافرين فمقصور على امر دنيوى سريع الزوال
(فالله يحكم بينكم) اى بين المؤمنين والمنافقين بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين (يوم القيامة) اى يحكم
حكما يليق بشأن كل منكم من الثواب والعقاب واما فى الدنيا فقد اجرى على من تفوّه بكلمة الاسلام حكمه
ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقا (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) اى ظهورا يوم القيامة
كما قد يجعل ذلك فى الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج وبيانه ان الله تعالى يظهر اثر ايمان المؤمن يوم القيامة
ويصدق موعدهم ولا يشاركهم الكفار فى شئ من اللذات كما شاركوهم اليوم حتى يعلموا ان الحق معهم دونهم
اذ لو شاركوهم فى شئ منها لقالوا للمؤمنين ما نفعكم ايمانكم وطاعتكم شيأ لانا شركنا واستوينا معكم فى ثواب
الاخرة واما ان كان المعنى سبيلا فى الدنيا فيراد بالسبيل الحجة وحجة المسلمين غالبة على حجة الكل وليس لاحد
ان يغلبهم بالحجة وقيل معنى السبيل الدولة الدآئمة ولا دولة على الدوام للكافرين والا لكان الظهور والغلبة من
قبلهم دآئما وليس كذلك فان اكثر الظفر للمسلمين وانما ينال الكفار من المؤمنين فى بعض الاوقات استدراجا ومكرا
وهذا يستمر الى انقراض اهل الايمان فى آخر الزمان وعن كعب قال اذا انصرف عيسى ابن مريم والمؤمنون
من يأجوج ومأجوج لبثوا سنوات ثم رأوا كهيئة الهرج والغبار فاذا هى ريح قد بعثها الله لتقبض ارواح
المؤمنين فتلك آخر عصابة تقبض من المؤمنين ويبقى الناس بعدهم مائة عام لا يعرفون دينا ولا سنة يتهارجون
تهارج الحمر عليهم تقوم الساعة وفى الحديث الجهاد ماض منذ بعثنى الله الى ان يقاتل آخر امتى الدجال ثم ان الله
تعالى يحكم بينكم يوم القيامة ليعلم من اهل العزة والكرامة ومن اهل الغرة والندامة كما ان الشمع يحكم بين
الصحيح والسقيم باظهار حالهما اذا جئ به فى حمام مظلم قد دخله الاصحاء والمرضى والجرحى ولن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلا فان وبال كيدهم اليهم مصروف وجزآء مكرهم عليهم موقوف والحق من قبل
الحق تعالى منصور اهله والباطل بنصر الحق مخيب اصله وقد قيل الباطل يفور ثم يغور فعلى المؤمن صرف
علو الهمة فى الدين وفى تحصيل علم اليقين ولا يتربص للفتوحات الدنيوية ذاهلا عن الفتوحات الاخروية
بل عن فتوحات الغيب ومشاهدة الحق فان اهم الامور هو الوصول الى الرب الغفور قال ابو يزيد البسطامى
قدس سره ان لله خواص من عباده ولو حجبهم فى الجنة عن رؤيته لاستغاثوا كما يستغيث اهل النار بالخروج
عن النار ولما كان موسى كليم الله طفلا فى حجر تربية الحق تعالى ما تجاوز حده ولا تعدى قصده بل قال رب
انى لما انزلت الى من خير فقير فلما كبر وبلغ مبلغ الرجال ما رضى بطعام الاطفال بل قال رب ارنى انظر اليك
وكان غاية طلبه فى طفوليته هو الطعام والشراب وكان منتهى اربه فى رجوليته هو رفع الحجاب ومشاهدة
الاحباب فالباب مفتوح للطلاب لا حاجب عليه ولا بواب وانما المحجوب عن المسبب من وقف مع الاسباب
والمشروب حاضر والمحروم من حرم الشراب والمحبوب ناظر والمطرود من وقف ورآء الحجاب فمن انس بسواه
فهو مستوحش ومن ذكر عليه فهو غافل عنه ومن عول على سواه فهو مشرك فاذا لم يجد اليه سبيلا وفى ظله
مقيلا (ونعم ما قيل) تو محرم نيستى محروم ازانى * ره نامحرمان اندر حرم نيست * (ان المنافقين
يخادعون الله) اى يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر (وهو خادعهم) اى الله تعالى
فاعل بهم ما يفعل الغالب فى الخداع حيث تركهم فى الدنيا معصومى الدماء والاموال واعد لهم فى الاخرة
الدرك الاسفل من النار ولم يخلهم فى العاجل من فضيحة واحلال بأس ونقمة ورعب واثم وقال ابن عباس انهم
يعطون نورا يوم القيامة كما للمؤمنين فيمضى المؤمنون بنورهم على الصراط وينطفئ نور المنافقين فينادون
المؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم فتناديهم الملائكة على الصراط ارجعوا ورآءكم فالتمسوا نورا وقد علموا انهم

لا يستطيعون الرجوع قال فيخاف المؤمنون حينئذ ان يطفأ نورهم فيقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك
على كل شئ قدير (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) اى متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيأ عن كره لا عن
طيب نفس ورغبة قوله كسالى كانه قيل ما كسالى فقيل (يرآؤن الناس) اى يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة
ليحسبوهم مؤمنين (ولا يذكرون الله) عطف على يرآؤن (الا) ذكرا (قليلا) اذ المرآئى لا يفعل الا بحضرة
من يرآئيه وهو اقل احواله والمراد بالذكر التسبيح والتهليل قال فى الكشاف وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين
بالاسلام لو صحبته الايام والليالى لم تسمع منه تهليلة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق اوقاته لا يفتر عنه
(مذبذبين بين ذلك) حال من فاعل يرآؤن وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام اى مرددين
بينهما متحيرين قد ذبذبهم الشيطان والهوى بينهما وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد
اخرى (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) حال من ضمير مذبذبين اى لا منسوبين الى المؤمنين فيكونون مؤمنين
ولا الى الكافرين فيكونون مشركين (ومن يضلل الله) لعدم استعداده للهداية والتوفيق (فلن تجد له سبيلا)
موصلا الى الحق والصواب فضلا عن ان تهديه اليه والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان وكان صلى الله عليه
وسلم يضرب مثلا للمؤمنين والمنافقين والكافرين كمثل رهط ثلاثة رفعوا الى نهر فقطعه المؤمن ووقف الكافر
ونزل فيه المنافق حتى اذا توسط عجز فناداه الكافر هلم الى لا تغرق وناداه المؤمن هلم الى لتخلص فما زال المنافق
يتردد بينهما اذ اتى عليه ماء فغرقه فكان المنافق لم يزل فى شك حتى يأتيه الموت اى كه دارى نفاق
اندر دل * خار بادت خليده اندر حلق * هركه سازد نفاق پيشهٔ خويش * خوار گردد بنزد
خالق وخلق * والاشارة ان المنافقين انما يخادعون الله فى الدنيا لان الله تعالى خادعهم فى الازل عند رش
نوره على الارواح وذلك ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فلما رش نوره اصاب ارواح المؤمنين
واخطأ ارواح المنافقين والكافرين ولكن الفرق بين المنافقين والكافرين ان ارواح المنافقين رأوا رشاش النور
وظنوا انه يصيبهم فاخطأهم وارواح الكافرين ما شاهدوا ذلك الرشاش ولم يصبهم وكان المنافقين خدعوا عند
مشاهدتهم الرشاش اذ ما اصابهم فمن نتائج مشاهدتهم الرشاش واذا قاموا الى الصلاة ومن نتائج حرمانهم
اصابة النور قاموا كسالى يرآؤن الناس كيما يرونهم النور ولا يذكرون الله الا قليلا لانهم يذكرونه بلسان الظاهر
القالبى لا بلسان الباطن القلبى والقالب من الدنيا وهى قليلة قليل ما فيها والقلب من الاخرة وهى كثيرة كثير
ما فيها فالذكر الكثير من لسان القلب كثير والفلاح فى الذكر الكثير لا فى القليل لقوله تعالى واذكروا الله ذكرا
كثيرا اى بلسان القلب لعلكم تفلحون ولما كان ذكر المنافقين بلسان القالب كان قليلا فما افلحوا به وانما كان ذكر
المنافق بلسان الظاهر لانه رأى رشاش النور ظاهرا من البعد ولم يصبه فلو كان اصابه ذلك النور لكان صدره
منشرحا به كما قال تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه اى على نور مما رش به ربه ومعدن
النور هو القلب فكان قلبه ذاكرا لله بذلك النور فانه يصير لسان القلب فقليل الذكر منه يكون كثيرا فافهم جدا
فلما كانت ارواح المنافقين مترددة متحيرة بين مشاهدة رشاش النور وبين الظلمة الخلقية لا الى هؤلاء الذين اصابهم
النور ولا الى هؤلاء الذين لم يشاهدوا الرشاش لذلك كانوا مذبذبين بين ذلك المؤمنين والكافرين لا الى هؤلاء
ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله باخطاء ذلك النور كما قال ومن اخطأ فقد ضل فلن تجد له سبيلا ههنا الى ذلك
النور يدل عليه قوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور اى ومن لم يجعل الله له قسمة من ذلك النور المرشش
عليهم فما له اليوم نصيب من نور الهداية كذا فى التأويلات النجمية اللهم ارزقنا الذكر الكثير واعصمنا عن الذنب
الصغير والكبير يقال حصون المؤمن ثلاثة المسجد وذكر الله وتلاوة القرءآن والمؤمن اذا كان فى واحد من ذلك
اى من الاشياء الثلاثة فهو فى حصن من الشيطان قال على رضى الله عنه يأتى على الناس زمان لا يبقى من
الاسلام الا اسمه ومن القرءآن الا رسمه يعمرون مساجدهم وهى خراب من ذكر الله تعالى شر اهل ذلك الزمان
علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود (قال السعدى) كنون بايدت عذر تقصير گفت * نه چون نفس ناطق
ز گفتن بخفت * اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين آمين يا معين (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين
اولياء من دون المؤمنين) اى لا تتشبهوا بالمنافقين فى اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعدآء الاسلام احباء وقوله
من دون المؤمنين حال من فاعل لا تتخذوا اى متجاوزين ولاية المؤمنين (اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا

مبينا) اى اتريدون بذلك ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة على انكم منافقون فان موالاتهم اوضح ادلة
النفاق فالسلطان هو الحجة يقال للامير سلطان يراد بذلك انه حجة ويجوز ان يكون بمعنى الوالى والمعنى حينئذ
اتريدون ان تجعلوا سلطانا كائنا عليكم واليا امر عقابكم مختصا لله تعالى مخلوقا له منقادا لامره (ان المنافقين
فى الدرك الاسفل من النار) هو الطبقة التى فى قعر جهنم وهى الهاوية والنار سبع دركات سميت بذلك لانها
متداركة متتابعة بعضها فوق بعض والدركات فى النار مثل الدرجات فى الجنة كل ما كان من درجات
الجنة اعلى فثواب من فيه اعظم وما كان من دركات النار اسفل فعقاب من فيه اشد وسئل ابن مسعود عن
الدرك الاسفل فقال هو توابيت من حديد مبهمة عليهم لا ابواب لها فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا
من الكافر قلت لانه مثله فى الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالدين والخداع للمسلمين فالمنافقون اخبث الكفرة
فان قلت من المنافق قلت هو فى الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر واما تسمية من ارتكب ما يفسق به
بالمنافق فللتغليظ والتهديد والتشبيه مبالغة فى الزجر كقوله من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه
السلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا
ائتمن خان وقيل لحذيفة رضى الله عنه من المنافق فقال الذى يصف الاسلام ولا يعمل به وعن الحسن اتى على
النفاق زمان وهو مقروع فيه فاصبح قد عمم وقلد واعطى سيفا يعنى الحجاج قال عمر بن عبد العزيز لو جاءت
كل امة بمنافقيها وجئنا بالحجاج فضلناهم وعن عبد الله بن عمر ان اشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة
المنافقون ومن كفر من اصحاب المائدة وآل فرعون قال الله تعالى فى اصحاب المائدة فانى اعذبه عذابا
لا اعذبه احدا من العالمين وقال فى حق المنافقين ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وقال ادخلوا آل
فرعون اشد العذاب قيل لا يمتنع ان يجتمع القوم فى موضع واحد ويكون عذاب بعضهم اشد من بعض
الا ترى ان البيت الداخل فى الحمام يجتمع فيه الناس فيكون بعضهم اشد اذى بالنار لكونه ادنى الى موضع
الوقود وكذلك يجتمع القوم فى القعود فى الشمس وتأذى الصفراوى اشد واكثر من تأذى السوداوى والمنافق
فى اللغة مأخوذ من النفق وهو السرب اى يستتر بالاسلام كما يستتر الرجل بالسرب وقيل هو مأخوذ
من قولهم نافق اليربوع اذا دخل نافقاءه فاذا طلب من النافقاء خرج من القاصعاء واذا طلب من القاصعاء
خرج من النافقاء والنافقاء والقاصعاء جحر اليربوع (ولن تجد لهم نصيرا) اى مانعا يمنع عنهم العذاب ويخرجهم
من الدرك الاسفل من النار والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان (الا الذين تابوا) اى عن النفاق هو استثناء
من المنافقين بل من ضميرهم فى الخبر (واصلحوا) ما افسدوا من احوالهم من حال النفاق باتيان ما حسنه
الشرع من افعال القلوب والجوارح (واعتصموا بالله) اى وثقوا به وتمسكوا بدينه وتوحيده (واخلصوا دينهم)
اى جعلوه خالصا (لله) لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه (فاولئك) الموصوفون بما ذكر من الصفات الحميدة
(مع المؤمنين) اى المؤمنين المعهودين الذين لا يصدر عنهم نفاق اصلا والا فهم ايضا مؤمنون اى معهم
فى الدرجات العالية من الجنة لا يضرهم النفاق السابق وقد بين ذلك بقوله تعالى (وسوف يؤت الله المؤمنين
اجرا عظيما) لا يقادر قدره فيشاركونهم فيه ويساهمونهم وسوف كلمة ترجئة واطماع وهى من الله سبحانه
ايجاب لانه اكرم الاكرمين ووعد الكريم انجاز وانما حذفت الياء من يؤتى فى الخط كما حذفت فى اللفظ لسكونها
وسكون اللام فى اسم الله وكذلك سندع الزبانية ويدع الداع واعلم ان الكافر وان افسد برين الكفر صفاء روحه
ولكن ما اضيف الى رين كفره رين النفاق فكان لرين كفره منفذ من القلب الى اللسان فيخرج بخاره من لسانه
باظهار الكفر وكان للمنافق مع رين كفره رين النفاق زائدا ولم يكن لبخار رينه منفذ الى لسانه فكان بخارات
رين الكفر ورين النفاق تنفذ من منفذ قلبه الذى هو الى عالم الغيب فتتراكم حتى انسد منفذ قلبه بها وختم عليه
بافساد كلية الاستعداد من صفاء الروحانية فلم يتفق له الخروج عن هذا الاسفل ولا ينصره نصير باخراجه
لانه مخذول بعيد من الحق فى آخر الصفوف وقال تعالى ان ينصركم الله يعنى فى خلق ارواحكم فى صف ارواح
المؤمنين فلا غالب لكم بان يردكم الى صف ارواح الكافرين وان يخذلكم بان يخلق ارواحكم فى صف ارواح
الكافرين فمن ينصركم من بعده بان يخرجكم الى صف المؤمنين ثم استثنى منهم من كان كفره ونفاقه
عارية وروحه فى اصل الخلقة خلقت فى صف المؤمنين ثم بادنى مناسبة فى المحاذاة بين روحه وارواح الكافرين

والمنافقين ظهر عليه من نتايجها موالاة معلولة مع القوم اياما معدودة فما افسدت صفاء روحانيته بالكلية
وما انسد منفذ قلبه الى عالم الغيب فهب له من مهب العناية نفحات الطاف الحق ونبه من نومة الغفلة ونبى
عن الرجوع الى الحق بعد التمادى فى الباطل ونودى فى سره بان لا نصير لمن اختار الاسفل ولا يخرج منه
الا الذين تابوا اى ندموا على ما فعلوا ورجعوا عن تلك المعاملات الرديئة واصلحوا ما افسدوا من حسن
الاستعداد وصفاء الروحانية بترك الشهوات النفسانية والحظوظ الحيوانية واعتصموا بحبل الله استعانة على
العبودية واخلصوا دينهم لله فى الطلب لا يطلبون منه الا هو ثم قال من قام بهذه الشرائط فاولئك مع
المؤمنين يعنى فى صف ارواحهم خلق روحه لا فى صف ارواح الكافرين وسوف يؤت الله المؤمنين التائبين
ويتقرب اليهم على قضية من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن اتانى
يمشى اتيته هرولة وهذا هو الذى سماه اجرا عظيما والله العظيم كذا فى التأويلات النجمية (قال السعدى)
خلاف طريقت بود كاوليا * تمنا كنند از خدا جز خدا (ما) استفهامية بمعنى النفى فى محل النصب بيفعل
اى اى شئ (يفعل الله بعذابكم) الباء سببية متعلقة بيفعل اى بتعذيبكم (ان شكرتم وآمنتم) اى ايشتفى به
من الغيظ ام لا يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا ام يستدفع به ضررا كما هو شأن الملوك اى لا يفعل بعذاب
المؤمن الشاكر شيأ من ذلك لان كل ذلك محال فى حقه تعالى لانه تعالى غنى لذاته عن الحاجات منزه عن جلب
المنفعة ودفع المضرة واما تعذيب من لم يؤمن او آمن ولم يشكر فليس لمصلحة تعود اليه تعالى بل لاستدعاء حال
المكلف ذلك كاستدعاء سوء المزاج المرض والمقصود منه حمل المكلفين على الايمان وفعل الطاعات والاحتراز
عن القبيح وترك المنكرات فكانه قيل اذا اتيتم الحسنات وتركتم المنكرات فكيف يليق بكرمه ان يعذبكم
وتعذيبه عباده لا يزيد فى ملكه وتركه عقوبتهم على فعلهم القبيح لا ينقص من سلطانه وجواب ان شكرتم
محذوف لدلالة ما قبله عليه اى ان شكرتم وآمنتم فما يفعل بعذابكم والشكر ضد الكفر والكفر ستر النعمة فالشكر
اظهارها وانما قدم الشكر على الايمان مع ان الايمان مقدم على سائر الطاعات ولا ثبات مع عدم الايمان لما انه
طريق موصل اليه فان الناظر يدرك اولا ما عليه من النعم الانفسية والآفاقية فيشكر شكرا مبهما ثم يترقى الى
معرفة المنعم بعد امعان النظر فى الدلائل الدالة على ثبوته ووحدته فيؤمن به (وكان الله شاكرا) الشكر من العبد
هو الاعتراف بالنعمة الواصلة اليه مع ضروب من التعظيم ومن الله تعالى الرضى اى راضيا باليسير من طاعة
عباده واضعاف الثواب بمقابلة واحدة الى عشرة الى سبعمائة الى ما شاء من الاضعاف (عليما) بحق شكركم
وايمانكم فيستحيل ان لا يوفيكم اجوركم فينبغى لطالب الحق ان يخضع له خضوعا تاما ويشكره شكرا كثيرا قال
الجرجانى فى قوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم اى لئن شكرتم القرب لازيدنكم الانس وعن على رضى الله عنه
اذا وصلت اليكم اطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر معناه من لم يشكر النعم الحاصلة لديه الواصلة اليه
حرم النعم الفائتة منه القاصية عنه * چون يابى تو نعمتى در چند * خرد باشد چو نقطهء موهوم *
شكر آن يافته فرو مگذار * كه ز نايافته شوى محروم * فبالشكر والايمان يتخلص المرء من النيران
والا فقد عرض نفسه للعذاب واستحق العذاب والعتاب وجه التعذيب ان التأديب فى الحكمة واجب فخلق الله
النار ليعلم الخلق قدر جلال الله وكبريائه وليكونوا على هيبة وخوف من صنع جلاله ويؤدب بها من لم يتأدب
بتأديب رسله الى خلقه وليعتبر اهل العقل بالنظر اليها فى الدنيا وبالاستماع لها فى الاخرة ولهذا السر علق النبى
عليه السلام السوط حيث يراه اهل البيت لئلا يتركوا الادب وروى ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام
ما خلقت النار بخلا منى ولكن اكره ان اجمع اعدائى واوليائى فى دار واحدة وادخل الله بعض عصاة المؤمنين
النار ليعرفوا قدر الجنة ومقدار ما دفع الله عنهم من عظيم النقمة لان تعظيم النعمة واجب فى الحكمة والاشارة
فى الاية ان الله تعالى يذكر للعباد المؤمنين نعما من نعمه السالفة السابقة منها اخراجهم من العدم بديع فطرته
ومنها انه خلق ارواحهم قبل خلق الاشياء ومنها انه خلق ارواحهم نورانية بالنسبة الى خلق اجسادهم
الظلمانية ومنها ان ارواحهم لما كانت بالنسبة الى نور القدم ظلمانية رش عليهم من نور القدم ومنها انه لما اخطأ
بعض الارواح ذلك النور وهو ارواح الكفار والمنافقين وقد اصاب ارواح المؤمنين قال ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم هذه النعم التى انعمت بها عليكم من غير استحقاق منكم فانكم ان شكرتم هذه النعم برؤيتها ورؤية

المنعم فقد آمنتم بى ونجوتم من عذابى وهو الم الفراق فان حقيقة الشكر رؤية المنعم والشكر على وجود المنعم ابلغ من الشكر على وجود النعم وقال واشكروا لى اى اشكروا لوجودى وكان الله فى الازل شاكرا لوجوده ومن شكر لوجوده اوجد الخلق بجوده عليما بمن يشكره وبمن يكفره فاعطى جزآء شكر الشاكرين قبل شكرهم لان الله شكور واعطى جزآء كفر الكافرين قبل كفرهم لان الكافر كفور كذا فى التأويلات النجمية

(الجزء السادس من الثلاثين)

(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) عدم محبته تعالى لشئ كناية عن سخطه والباء متعلق بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا من السوء اى لا يحب الجهر من احد فى حق غيره بالسوء كائنا من القول (الا من ظلم) اى الا جهر المظلوم فان المظلوم له ان يجهر برفع صوته بالدعاء على من ظلمه اويذكر مافيه من السوء تظلما منه مثل ان يذكر انه سرق متاعى اوغصبه منى وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم يعنى لو شتمه احد ابتدآء فله ان يرد على شاتمه اى جاز ان يشتمه بمثله ولا يزيد عليه وقيل ان رجلا ضاف قوما اى اتاهم ضيفا فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب على الشكاية فنزلت (وكان الله سميعا) لكلام المظلوم (عليما) بحال الظالم (ان تبدوا خيرا) اى خير كان من الاقوال والافعال (او تخفوه او تعفوا عن سوء) لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابدآء الخير واخفائه تمهيد وتوطئة له ولذلك رتب عليه قوله (فان الله كان عفوا قديرا) فان ايراده فى معرض جواب الشرط يدل على ان العمدة هو العفو مع القدرة اى كان مبالغا فى العفو عن العصاة مع كمال قدرته على المؤاخذة والانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله وهو حث المظلوم على العفو بعد مارخص له فى الانتصار والانتقام حملا على مكارم الاخلاق وعن على رضى الله عنه لا تفرد دفع انتقام * صوات انتقام از مردم * دولت مهترى كند باطل * ازره انتقام بكسوشو * تانمانى بمهترى عاطل * واعلم ان الله تعالى لا يحب اظهار الفضايح والقبايح الا فى حق ظالم عظم ضرره وكثر كيده ومكره فعند ذلك يجوز اظهار فضايحه ولهذا قال عليه السلام اذكروا الفاسق بما فيه كى يحذره الناس وورد فى الاثر ثلاثة ليست لهم الغيبة الامام الجائر والفاسق المعلن بفسقه والمبتدع الذى يدعو الناس الى بدعته ثم ان اكثر السوء قولى فان اللسان صغير الجرم كبير الجرم وفى الحديث البلاء موكل بالمنطق يحكى ان ابن السكيت جلس مع المتوكل يوما فجاء المعتز والمؤيد ابنا المتوكل فقال ايما احب اليك ابناى ام الحسن والحسين قال والله ان قنبر خادم على رضى الله خير منك ومن ابنيك فقال سلوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات ومن العجب انه انشد قبل ذلك للمعتز والمؤيد وكان يعلمهما فقال

يصاب الفتى من عثرة بلسانه * وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته فى القول تذهب رأسه * وعثرته فى الرجل تبرا على مهل

(وفى المثنوى) اين زبان جون سنك وهم آهن وشست * وآنجه بجهد از زبان جون آتشست *
سنك وآهن رامزن برهم كزاف * كه زروى نقل وكه ازروى لاف * زانكه تاريكست وهرسو پنبه زار *
درميان پنبه جون باشد شرار * عالمى رايك سخن ويران كند * روبهان مرده را شيران كند *

والاشارة فى الاية ان الله لا يحب الجهر بالسوء من القول من العوام ولا التحدث مع النفس من الخواص ولا الخطرة التى تخطر بالبال من الاخص الا من ظلم بمعاصى دواعى البشرية من غير اختيار اوبابتلاء من اضطرار وايضا لا يحب الجهر بالسوء من القول بافشاء اسرار الربوبية واسرار مواهب الالوهية الا من ظلم بغلبات الاحوال وتعاقب كؤس عقار الجمال والجلال فاضطر الى المقال فقال باللسان الباقى لا باللسان الفانى انا الحق سبحانى وكان الله فى الازل سميعا لمقالهم قبل ابدآء حالهم عليما باحوالهم ثم قال ان تبدوا خيرا يعنى مما كوشفتم به من الطاف الحق تنبيها للخلق وافادة لهم بالحق او تخفوه صيانة لنفوسكم عن آفات الشوائب واخذا بخطامها عن المشارب او تعفوا عن سوء مما يدعوكم اليه هوى النفس الامارة بالسوء او تتركوا اعلان ماجعل الله اظهاره سوأ فان الله كان عفوا فيكون عفوا متخلقا باخلاقه متصفا بصفاته وايضا فان الله كان فى الازل عفوا عنك بان لم يجعلك من المخذولين حتى صرت عفوا عما سواه وكان هو قديرا على خذلانك حتى يقدر على ان لا يعفو عن مثقال ذرة لكفرانك ان الانسان لظلوم كفار كذا فى التأويلات النجمية (ان الذين يكفرون بالله ورسله) اى يؤدى اليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم لانهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى (ويريدون

ان يفرقوا بين الله ورسله) اى بان يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بان يصرحوا بالايمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة بل بطريق الالتزام كما يحكيه قوله تعالى (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) اى نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود نؤمن بموسى والتوراة وعزير ونكفر بما ورآء ذلك وما ذلك الا كفر بالله تعالى ورسله وتفريق بين الله ورسله فى الايمان لانه تعالى قد امرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من نبى من الانبياء الا وقد اخبر قومه بحقية دين نبينا صلى الله عليه وسلم فمن كفر بواحد منهم كفر بالكل وبالله تعالى ايضا من حيث لا يحتسب (ويريدون) بقولهم ذلك (ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) اى طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة بينهما قطعا اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا واجمالا فالكافر ببعض كالكافر بالكل فى الضلال كما قال فماذا بعد الحق الا الضلال (اولئك) الموصوفون بالصفات القبيحة (هم الكافرون) اى الكاملون فى الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه ايمانا اصلا (حقا) مصدر مؤكد لمضمون الجملة اى حق ذلك اى كونهم كاملين فى الكفر حقا اوصفة لمصدر الكافرون اى هم الذين كفروا كفرا حقا اى يقينا محققا لا شك فيه (واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) سيذوقونه عند حلوله ويهانون فيه ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بذكر وعد المؤمنين فقال (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم) بان يؤمنوا ببعضهم ويكفروا باخرين كما فعله الكفرة وانما دخل بين على احد وهو يقتضى متعددا لعمومه من حيث انه وقع فى سياق النفى فهو بمنزلة ولم يفرقوا بين اثنين اوبين جماعة (اولئك) المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة (سوف يؤتيهم) اى الله تعالى (اجورهم) الموعودة لهم وسمى الثواب اجرا لان المستحق كالاجرة وسوف لتأكيد الوعد اى الموعود الذى هو الايتاء والدلالة على انه كائن لا محالة وان تأخر (وكان الله غفورا) لما فرط منهم (رحيما) مبالغا فى الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم والاية الاولى تدل على ان الايمان لا يحصل بزعم المرء وحسبانه انه مؤمن وانما يحصل بحصول شرآئطه ونتايجه منه فمن نتايجه ماذكر فى الاية الثانية من عدم التفريق بين الرسل ومن نتايجه القبول من الله والجزآء عليه فمن اخطأه النور عند الرش على الارواح فقد كفر كفرا حقيقيا ولذلك سماهم الله فى الكفر حقا ومن اصابه النور عند ذلك فقد آمن ايمانا حقيقيا ولذلك لا ينفع الاول توسط الايمان كما لا يضر الثانى توسط العصيان (قال السعدى) قضا كشتى انجا كه خواهد برد * وكر ناخدا جامه برتن درد * يحكى انه كان شاب حسن الوجه وله احباب وكانوا فى الاكل والشرب والتنعم والتلذذ فنفدت دراهمهم فاجتمعوا يوما واجمعوا على ان يقطعوا الطريق فخرجوا الى طريق وترقبوا القافلة فلم يمر احد من هذا الطريق الى ثلاثة ايام ورأى الشاب شيخا قال له يا ولدى ليس هذا صنعتك فاستغفر الله تعالى فان طلبتنى فانا اقرأ القرآن فى جامع السيد البخارى ببروسة المحروسة فاحترق قلب الشاب من تأثير الكلام فقال لرفقائه لو تبعتم رأيى تعالوا نروح الى بروسة ونتجسس عن بعض التجار فنخرج خلفهم فنأخذ اموالهم فقبلوا قوله فلما جاؤا الى بروسة قال لهم تعالوا نصل فى جامع السيد البخارى وندعو عنده ليحصل مرادنا فلما جاء الى الجامع ورأى الشيخ هنالك يقرأ القرآن سقط على رجله وتاب وبقى عنده سنتين ثم بعد السنتين ارسله هذا الشيخ الى حضرة الشيخ اق شمس الدين فرباه وصار كاملا بعد ان كان مؤمنا ناقصا قاطع الطريق ولذا ينظر الى الخاتمة ولكن حسن العاقبة من سبق العناية فى البداية اللهم اجعلنا من المهديين امين يا معين واعلم ان الايمان والتوحيد هو اصل الاصول وهو وان كان لا يزيد ولا ينقص عند الامام الاعظم الا ان نوره يزيد بالطاعات وينقص بالسيئات فينبغى لطالب الحق ان يراعى احكام الشريعة وآداب الطريقة ليتقوى جانب روحانيته فان انوار الطاعات كالاغذية النفيسة للارواح خصوصا نور التوحيد والذكر ولذكر الله اكبر وهو العمدة فى تصفية الباطن وطهارته قال سيد الطائفة الجنيد قدس سره الادب ادبان فادب السر طهارة القلب وادب العلانية حفظ الجوارح من الذنوب فعليك بترك الشرور والايمان الكامل بالله الغفور حتى تنال الاجر الموفور والسرور فى دار الحضور (قال الصائب) از زاهدان خشك رسائى طمع مدار * سيل ضعيف واصل دريا نميشود * فلابد من العشق فى طريق الحق ليصل الطالب الى السر المطلق ومجرد الامنية منية والسفينة لا تجرى على اليبس كما قالت رابعة (يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء) نزلت فى احبار اليهود حين قالوا لرسول الله عليه السلام ان كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه

السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوى على الواح كما نزلت التوراة (فقد سألوا موسى اكبر من ذلك) جواب شرط مقدر اى ان استكبرت ما سألوه منك واستعظمت فقد سالوا موسى شيأ اكبر منه واعظم وهذا السؤال وان صدر عن اسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم فى كل ما يأتون وما يذرون اسند اليهم والمعنى ان لهم فى ذلك عرقا راسخا وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم (فقالوا) الفاء تفسيرية (ارنا الله جهرة) اى ارناه جهرة اى عيانا والجهر حقيقة فى ظهور الصوت لحاسة السمع ثم استعير لظهور المرئى بحاسة البصر ونصبها على المصدر لان المعاينة نوع من الرؤية وهم النقباء السبعون الذين كانوا مع موسى عليه السلام عند الجبل حين كلمه الله تعالى سالوه ان يرهم رؤية يدركونها بابصارهم فى الدنيا (فاخذتهم الصاعقة) نار جاءت من السماء فاحرقتهم (بظلمهم) اى بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل فى تلك الحال التى كانوا عليها وذلك لا يقتضى امتناع الرؤية مطلقا وفى التأويلات النجمية فقالوا ارنا الله جهرة وما طلبوا الرؤية على موجب التعظيم او على موجب التصديق ولا حملهم عليها شدة الاشتياق او الم الفراق كما كان لموسى عليه السلام حين قال رب ارنى انظر اليك ولعل غيرة موسى فى جواب لن ترانى كانت من شؤم القوم وما كان لنفسهم من سوء ادب هذا السؤال لئلا يطمعوا فى مطلوب لم يعطه نبيهم فما اتعظوا بحال نبيهم لانهم كانوا الاشقياء والسعيد من وعظ بغيره حتى ادركتهم الشقاوة الازلية فاخذتهم الصاعقة بظلمهم بان طمعوا فى فضيلة وكرامة ما كانوا مستحقيها ومن طبع كافرا ولو يرى الله جهرة فانه لا يؤمن به ومن طبع مؤمنا عند رشاش النور باصابته فانه يؤمن بنبى لم يره وكتاب لم يقرأه بغير معجزة او بينة كما كان الصديق رضى الله عنه حين قال النبى صلى الله عليه وسلم له بعثت فقال صدقت وكما كان حال اويس القرنى فانه لم ير النبى عليه السلام ولا المعجزة وقد آمن به (ثم اتخذوا العجل) اى عبدوه واتخذوه الها (من بعد ما جاءتهم البينات) اى المعجزات التى اظهرت لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر ونحوها لا التوراة لانها لم تنزل عليهم بعد وهذه هى الجناية الثانية التى اقترفها ايضا اوائلهم (فعفونا عن ذلك) اى تجاوزنا عنهم بعد توبتهم مع عظم جنايتهم وجريمتهم ولم نستأصلهم وكانوا احقاء به قيل هذا استدعاء لهم الى التوبة كانه قيل ان اولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا انتم ايضا حتى نعفو عنكم ودلت الآية على سعة رحمة الله ومغفرته وتمام نعمته ومنته وانه لا جريمة تضيق عنها مغفرة الله وفى هذا منع من القنوط (وآتينا موسى سلطانا مبينا) اى تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حيث امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن معصيتهم فاحتبوا بافنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيالك من سلطان مبين (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) الباء سببية متعلقة بالرفع والمعنى لاجل ان يعطوا الميثاق لقبول الدين روى ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم فابوا قبولها فامر جبرائيل عليه السلام بقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا فرفع عنهم (وقلنا لهم) على لسان موسى والطور مشرف عليهم (ادخلوا الباب) اى باب القرية وهى اريحا على ما روى من انهم دخلوا اريحا فى زمن موسى عليه السلام او باب القبة التى كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى (سجدا) اى متطامنين منحنين شكرا على اخراجهم من التيه فدخلوها زحفا وبدلوا ما قيل لهم (وقلنا لهم) على لسان داود (لا تعدوا) اى لا تظلموا باصطياد الحيتان يقال عدا يعدو عدوا وعداء وعدوانا اى ظلم وجاوز الحد والاصل لا تعدو وا بواوين الاولى لام الكلمة والثانية ضمير الفاعل صار بالاعلال على وزن لا تعفوا (فى) يوم (السبت) وكان يوم السبت يوم عبادتهم فاعتدى فيه اناس منهم فاشتغلوا بالصيد (واخذنا منهم) على الامتثال بما كلفوه (ميثاقا غليظا) اى عهدا مؤكدا غاية التأكيد وهو قولهم سمعنا واطعنا قيل انهم اعطوا الميثاق على انهم ان هموا بالرجوع عن الدين فالله تعالى يعذبهم باى انواع العذاب اراد (فبما) ما مزيدة للتأكيد (نقضهم ميثاقهم) اى فبسبب نقضهم ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم او على اعقابهم فالباء متعلقة بفعل محذوف (وكفرهم بآيات الله) اى بالقرآن او بما فى كتابهم عندهم (وقتلهم الانبياء بغير حق) كزكريا ويحيى عليهما السلام (وقولهم قلوبنا غلف) جمع اغلف اى هى مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقه ما يقوله او هو تخفيف غلف بضم الغين واللام جمع غلاف اى هى اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره (بل طبع الله عليها بكفرهم) كلام معترض بين المعطوفين جيء به على وجه

الاستطراد مسارعة على زعمهم الفاسد اى ليس كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلة بل الامر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم وليست قلوبهم كما زعموا بل هى مطبوع عليها بسبب كفرهم (فلا يؤمنون الا قليلا) منهم كعبد الله بن سلام واضرابه او ايمانا قليلا لا يعبأ به لنقصانه وهو ايمانهم ببعض الرسل والكتب دون بعض او بالايمان الغير المعتبر لا يجب ان يسموا مؤمنين فهم كافرون حقا واعلم ان نقض الميثاق صار سببا الغضب الخلاق فعلى المؤمن ان يراعى احكام عهده وميثاقه ليسلم من البلاء وعن ابن عمر رضى الله عنه قال اقبل علينا رسول الله فقال يا معشر المهاجرين خمس خصال اذا ابتليتم بهن واعوذ بالله ان تدركوهن لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الطاعون والاوجاع التى لم تكن مضت فى اسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا الكيل والميزان الا اخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة اموالهم الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فاخذ بعض ما فى ايديهم وما لم يحكم ائمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما انزل الله الا جعل الله بأسهم بينهم (قال فى المثنوى) سوى لطف بى وفايان هين مرو * كان پل ويران بود نيكو شنو * نقض ميثاق وعهود از بد كيست * حفظ ايمان ووفا كار تقيست * جرعه بر خاك وفا انكس كه ريخت * كى تواند صيد دولت زو كريخت (وبكفرهم) عطف على قولهم اى عاقبنا اليهود بسبب كذا وكذا وبسبب كفرهم بعيسى ايضا (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) يعنى نسبتها الى الزنى وبهتانا منصوب على انه مفعول به نحو قال شعرا او على المصدر الدال على النوع نحو جلست جلسة فان القول قد يكون بهتانا وغير بهتان (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) وصفهم له عليه السلام برسول الله انما هو بطريق الاستهزاء به كما فى قوله تعالى يا ايها الذى نزل عليه الذكر فانهم على عداوته وقتله فكيف يقولون فى حقه انه رسول الله ونظم قولهم هذا فى سلك سائر جناياتهم ليس لمجرد كونه كذبا بل لتضمنه لابتهاجهم وفرحهم بقتل النبى والاستهزاء به (وما) اى والحال انهم ما (قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) اى وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول فالفعل مسند الى الجار والمجرور نحو خيل اليه ولبس عليه روى ان رهطا من اليهود سبوه بان قالوا هو الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما سمع عليه السلام ذلك دعا عليهم فقال اللهم انت ربى وانا من روحك خرجت وبكلمتك خلقتنى ولم آتهم من تلقاء نفسى اللهم فالعن من سبنى وسب امى فاستجاب الله دعاءه ومسخ الذين سبوه وسبوا امه قردة وخنازير فلما رأى ذلك يهوذا رأس القوم واميرهم فزع لذلك وخاف دعوته عليه ايضا فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى عليه السلام فبعث الله تعالى جبريل فاخبره بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى بان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى عليه السلام فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى فرفع عليه السلام والقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى وقيل ان ططيانوس اليهودى دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده فالقى الله تعالى شبهه عليه فلما خرج ظنوا انه عيسى فاخذ وقتل ثم صلب وامثال هذه الخوارق لا تستبعد فى عصر النبوة وقال كثير من المتكلمين ان اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله الى السماء فخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس انه هو المسيح والناس ما كانوا يعرفون المسيح الا بالاسم لما كان قليل المخالطة مع الناس فبهذا الطريق اندفع ما يقال اذا جاز ان يقال ان الله تعالى يلقى شبه انسان على انسان آخر فهذا يفتح باب السفسطة حيث يجوز ان يقال اذا رأينا زيد العله ليس بزيد ولكنه شخص آخر القى شبه زيد عليه وعند ذلك لا يبقى الطلاق والنكاح والملك موثوقا به لا يقال ان النصارى ينقلون عن اسلافهم انهم شاهدوه مقتولا لانا نقول ان تواتر النصارى ينتهى الى اقوام قليلين لا يبعد اتفاقهم على الكذب كذا فى تفسير الامام الرازى (وان الذين اختلفوا فيه) اى فى شأن عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعضهم ان كان هذا المقتول عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فان الله تعالى لما القى شبه عيسى على المقتول القاه على وجهه دون جسده وقال من سمع منه ان الله يرفعنى الى السماء انه رفع الى السماء وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى فقال قوم منهم

انه ماقتل وماصلب بل رفعه الله الى السماء وقال قوم منهم ان اليهود قتلوه فزعمت النسطورية ان المسيح
صلب من جهة ناسوته اى جسمه وهيكله المحسوس لامن جهة لاهوته اى نفسه وروحه واكثر الحكماء
يختارون مايقرب من هذا القول قالوا لانه ثبت ان الانسان ليس عبارة عن هذا الهيكل بل هو اما جسم
لطيف فى هذا البدن واما جوهر روحانى مجرد فى ذاته وهو مدبر فى هذا البدن والقتل انما ورد على هذا الهيكل
واما النفس التى هى فى الحقيقة عيسى فالقتل ماورد عليها لايقال كل انسان كذلك فاوجه التخصيص
لانا نقول ان نفسه كانت قدسية علوية سماوية شديدة الاشراق بالانوار الالهية عظيمة القرب من ارواح الملائكة
والنفس متى كانت كذلك لم يعظم تألمها بسبب القتل وتخريب البدن ثم انها بعد الانفصال عن ظلمة البدن
تتخلص الى فسحة السموات وانوار عالم الجلال فتعظم بهجتها وسعادتها هنالك ومعلوم ان هذه الاحوال غير
حاصلة لكل الناس وانما تحصل لاشخاص قليلين من مبدأ خلق آدم الى قيام الساعة وزعمت الملكانية
من النصارى ان القتل والصلب وصل الى اللاهوت بالاحساس والشعور لا بالمباشرة وزعمت اليعقوبية منهم
ان القتل والصلب وقعا بالمسيح الذى هو جوهر متولد من جوهرين (لفى شك منه) اى لفى تردد والشك كما يطلق
على مالم يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى مايقابل العلم ولذلك اكد بقوله تعالى (مالهم به من علم
الا اتباع الظن) استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم والمعنى لكنهم يتبعون الظن (وماقتلوه) قتلا
(يقينا) كما زعموا بقولهم انا قتلنا المسيح فيقينا نعت مصدر محذوف على ان يكون فعيلا بمعنى المفعول
وهو المتيقن (بل رفعه الله اليه) رد وانكار لقتله واثبات لرفعه قال الحسن البصرى اى الى السماء التى هى محل
كرامة الله تعالى ومقر ملائكته ولا يجرى فيها حكم احد سواه فكان رفعه الى ذلك الموضع رفعا اليه تعالى لانه
رفع عن ان يجرى عليه حكم العباد ومن هذا القبيل قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله وكانت
الهجرة الى المدينة وقوله انى ذاهب الى ربى اى الى موضع لايمنعنى احد من عبادة ربى والحكمة فى الرفع
انه تعالى اراد به صحبة الملائكة ليحصل لهم بركته لانه كلمة الله وروحه كما حصل للملائكة بركة صحبة آدم ابى
البشر من تعلم الاسماء والعلم وان مثل عيسى عند الله كمثل آدم كما ذكر فى الاية وقيل رفع الى السماء لما لم يكن دخوله
الى الوجود الدنيوى من باب الشهوة وخروجه لم يكن من باب المنية بل دخل من باب القدرة وخرج من باب
العزة (وكان الله عزيزا) لايغالب فيما يريده فعزة الله تعالى عبارة عن كمال قدرته فان رفع عيسى عليه السلام
الى السموات وان كان متعذرا بالنسبة الى قدرة البشر لكنه سهل بالنسبة الى قدرة الله تعالى لايغلبه عليه
احد (حكيما) فى جميع افعاله فيدخل فيها تدبيراته تعالى فى امر عيسى عليه السلام دخولا اوليا ولما رفع الله
عيسى عليه السلام كساه الريش والبسه النور وقطعه عن شهوات المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم
حول العرش فكان انسيا ملكيا سماويا ارضيا قال وهب بن منبه بعث عيسى على رأس ثلاثين سنة ورفعه الله
وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وكانت نبوته ثلاث سنين فان قيل لم يرد الله تعالى عيسى الى الدنيا بعد رفعه
الى السماء قيل اخر رده ليكون علما للساعة وخاتما للولاية العامة لانه ليس بعده ولى يختم الله به الدورة المحمدية
تشريفا لها بختم نبى مرسل يكون على شريعة محمدية يؤمن بها اليهود والنصارى ويجدد الله تعالى به عهد
النبوة على الامة ويخدمه المهدى واصحاب الكهف ويتزوج ويولد له ويكون فى امة محمد عليه السلام وخاتم
اوليائه ووارثه من جهة الولاية واجمع السيوطى فى تفسير الدر المنثور فى سورة الكهف عن ابن شاهين اربعة
من الانبياء احياء اثنان فى السماء عيسى وادريس واثنان فى الارض الخضر والياس فاما الخضر فانه فى البحر
واما صاحبه فانه فى البر قال الامام السخاوى رحمه الله حديث اخى الخضر لو كان حيا لزارنى من كلام بعض
السلف ممن انكر حياة الخضر واعلم ان الارواح المهيمة التى من العقل الاول كلها صف واحد حصل من الله ليس
بعضها بواسطة بعض وان كانت الصفوف الباقية من الارواح بواسطة العقل الاول كما اشار صلى الله عليه وسلم
انا ابو الارواح وانا من نور الله والمؤمنون فيض نورى فاقرب الارواح فى الصف الاول الى الروح الاول والعقل
الاول روح عيسوى لهذا السر شاركه بالمعراج الجسمانى الى السماء وقرب عهده بعهده فالروح العيسوى
مظهر الاسم الاعظم وفائض من الحضرة الالهية فى مقام الجمع بلا واسطة اسم من الاسماء وروح من الارواح
فهو مظهر الاسم الجامع الالهى وراثة اولية ونبينا عليه السلام اصالة كذا فى شرح الفصوص ثم اعلم

ان قوما قالوا على مريم فذموها بالزنى وآخرين جاوزوا الحد فى تعظيمها فقالوا ابنها ابن الله وكلتا الطائفتين وقعتا
فى الضلال ويقال مريم كانت ولية الله فشقى بها فرقتان اهل الافراط واهل التفريط وكذلك كل ولى له تعالى
فذكرهم شقى بترك احترامهم وطلب اذيتهم والذين يعتقدون فيهم مالا يستوجبون يشقون بالزيادة
فى اعظامهم وعلى هذه الجملة درج الاكثرون من الاكابر كذا فى التأويلات النجمية (وفى المثنوى) تازنبى
تو ولى درحد خويش * الله الله پامنه درحد بيش * جمله عالم زين سبب كمراه شد * كم كسى زابدال هم
آكاه شد * دربايد تاكه سر آدمى * آشكارا كردد از بيش وكمى * زيردوار بدن كنجست يا * خانه مارست
وموروا ژدها (وان من اهل الكتاب) اى مامن اليهود والنصارى احد (الا ليؤمنن به) اى بعيسى (قبل موته)
اى قبل موت ذلك الاحد من اهل الكتاب يعنى اذا عاين اليهودى امر الآخرة وحضرته الوفاة ضربت
الملائكة وجهه ودبره وقالت اتاك عيسى عليه السلام نبيا فكذبت به فيؤمن حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع
وقت التكليف وتقول للنصرانى اتاك عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله فزعمت انه هو الله وابن الله فيؤمن
بانه عبد الله حين لا ينفعه ايمانه قالوا لايموت يهودى ولا صاحب كتاب حتى يؤمن بعيسى وان احترق اوغرق
اوتردى اوسقط عليه جدار او اكله سبع او اى ميتة كانت حتى قيل لابن عباس رضى الله عنه لو خر من بيته
قال يتكلم به فى الهواء قيل أرأيت لو ضرب عنق احدهم قال يتلجلج به لسانه وهذا كالوعيد لهم والتحريض
على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى ومامن اهل
الكتاب الموجودين عند نزول عيسى من السماء احد الا ليؤمنن به قبل موته وروى عن النبى عليه السلام
انه قال انا اولى الناس بعيسى لانه لم يكن بينى وبينه نبى ويوشك انه ينزل فيكم حكما عدلا فاذا رأيتموه فاعرفوه
فانه رجل مربوع الخلق الى الحمرة والبياض وكان رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقتل الخنزير ويريق الخمر
ويكسر الصليب ويذهب الصخرة ويقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك الله فى زمانه الملل كلها غير ملة
الاسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله فى زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال حتى لايبقى
احد من اهل الكتاب وقت نزوله الا يؤمن به وتقع الامنة فى زمانه حتى ترتع الابل مع الاسود والبقر مع النمور
والغنم مع الذئاب وتلعب الصبيان بالحيات لايؤذى بعضهم بعضا ثم يلبث فى الارض اربعين سنة ثم يموت
ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه وفى الحديث ان المسيح جائى فمن لقيه فليقرئه منى السلام (ويوم القيامة يكون)
اى عيسى عليه السلام (عليهم) اى على اهل الكتاب (شهيدا) فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى
بانهم دعوه ابن الله (فبظلم من الذين هادوا) اى بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال صادر
عن اليهود (حرمنا عليهم طيبات احلت لهم) ولمن قبلهم لالشئ غيره كما زعموا فانهم كانوا كلما ارتكبوا معصية
من المعاصى التى اقترفوها يحرم عليهم نوع من الطيبات التى كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم
كلحوم الابل والبانها والشحوم وفى التأويلات النجمية نكتة قال لهم حرمنا عليهم طيبات وقال لنا ويحل لهم
الطيبات وقال كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا فلم يحرم علينا شيأ بذنوبنا وكما آمنا من تحريم الطيبات فى هذه الاية
نرجوان يؤمننا فى الاخرة من العذاب الاليم لانه جمع بينهما فى الذكر فى هذه الآية وقال اهل الاشارة ارتكاب
المحظورات يوجب تحريم المباحات وانا اقول الاسراف فى ارتكاب المباحات يوجب حرمان المناجاة انتهى كلام
التأويلات (قال السعدى) مرو در پى هرچه دل خواهدت * كه تمكين تن نور جان كاهدت (وبصدهم عن سبيل
الله) اى بسبب منعهم عن دين الله وهو الاسلام ناسا (كثيرا) اوصدا كثيرا (واخذهم الربا وقد) اى والحال
انهم قد (نهوا عنه) فان الربا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على ان النهى يدل على حرمة المنهى
عنه (واكلهم اموال الناس بالباطل) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة (واعتدنا) اى خلقنا وهيأنا (للكافرين
منهم) اى للمصرين على الكفر لالمن تاب وآمن من بينهم (عذابا اليما) وجيعا يخلص وجعه الى قلوبهم
سيذوقونه فى الاخرة كما ذاقوا فى الدنيا عقوبة التحريم (لكن الراسخون فى العلم منهم) اى الثابتون من اهل
الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه وسماهم راسخين فى العلم لثباتهم فى العلم وتجردهم فيه لايضطربون ولا تميل
بهم الشبه بمنزلة الشجرة الراسخة بعروقها فى الارض (والمؤمنون) اى من غير اهل الكتاب من المهاجرين
والانصار (يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك) خبر المبتدأ وهو الراسخون وما عطف عليه قال

فى التأويلات النجمية كان عبد الله بن سلام عالما بالتوراة وقد قرأ فيها صفة النبى عليه السلام فلما كان راسخا فى العلم اتصل علم قرآنه بعلم المعرفة فقال لما رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت انه ليس بوجه كذاب فآمن به ولما لم يكن للاحبار رسوخ فى العلم وان قرؤا صفة النبى عليه السلام فى التوراة فلما رؤا النبى عليه السلام ما عرفوه فكفروا به انتهى ونعم ما قيل فى حق الشرفاء

جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم * يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

(و) اعنى (المقيمين الصلاة) فنصبه على المدح لبيان فضل الصلاة (و) هم (المؤتون الزكاة) فرفعه على المدح ايضا وكذا رفع قوله تعالى (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالاية (اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما) اى ثوابا وافرا فى الجنة على جمعهم بين الايمان والعمل الصالح وهو ما اريد به وجه الله تعالى ومن افاضل الاعمال الصلوات الخمس واقامتها وفى الحديث من حافظ منكم على الصلوات الخمس حيث كان واين ما كان جاز الصراط يوم القيامة كالبرق اللامع فى اول زمرة السابقين وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر وكان له كل يوم وليلة حافظ عليهن اجر شهيد وسر هذا الحديث مفهوم من لفظ الصلاة ووجه تسميتها بها لان اشتقاقها من الصلى وهو النار والخشبة المعوجة اذا ارادوا تقويمها يعرضونها على النار فتقوم وفى العبد اعوجاج لوجود نفسه الامارة فيه وسبحات وجه الله الكريم حارة بحيث لو كشف حجابها لاحرقت تلك السبحات من ادركته ومن انتهى اليه البصر كما ورد فى الحديث فبدخول المصلى فى الصلاة يستقبل تلك السبحات فيصيب المصلى من وهج السطوة الالهية والعظمة الربانية ما يزول به اعوجاجه بل يتحقق به معراجه فالمصلى كالمصطلى بالنار ومن اصطلى بها زال بها اعوجاجه فلا يعرض على نار جهنم الا تحلة القسم وبذلك المقدار من المرور يذهب اثر درنه ولا يبقى له احتياج الى المكث على الصراط فيمر كالبرق اللامع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ان اولياء الله المصلون ومن يقيم الصلوات الخمس التى كتبهن الله عليه ويصوم رمضان ويحتسب صومه ويؤتى الزكاة محتسبا طيبة بها نفسه ويجتنب الكبائر التى نهى الله عنها فقال رجل من اصحابه يا رسول الله وكم الكبائر قال تسع اعظمهن الاشراك بالله وقتل المؤمن بغير حق والفرار من الزحف وقذف المحصنة والسحر واكل الربا واكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين واستحلال البيت العتيق الحرام قبلتكم احياء وامواتا لا يموت رجل لم يعمل هؤلاء الكبائر ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة الا رافق محمدا فى بحبوحة جنة ابوابها مصاريع الذهب واعلم ان الراسخين فى العلم هم الذين رسخوا بقدمى العمل والعلم الى ان بلغوا معادن العلوم فاتصلت علومهم الكسبية بالعلوم العطائية اللدنية وفى الحديث اطلعت ليلة المعراج على النار فرأيت اكثر اهلها الفقراء قالوا يا رسول الله من المال قال لا من العلم وفى الحديث العلم امام العمل والعمل تابعه قال حجة الاسلام الغزالى رحمه الله منهاج العابدين ولقد صرت من علماء امة محمد صلى الله عليه وسلم الراسخين فى العلم ان انت عملت بعلمك واقبلت على عمارة معادك وكنت عبدا عالما عاملا لله تعالى على بصيرة غير جاهل ولا مقلد غير غافل فلك الشرف العظيم ولعلمك القيمة الكثيرة والثواب الجزيل وبناء امر العبادة كله على العلم سيما علم التوحيد وعلم السر فلقد روى ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام فقال يا داود تعلم العلم النافع قال الهى وما العلم النافع قال ان تعرف جلالى وعظمتى وكبريائى وكمال قدرتى على كل شئ فان هذا الذى يقربك الى وعن على رضى الله عنه ما يسرنى ان لو مت طفلا فادخلت الجنة ولم اكبر فاعرف ربى فان اعلم الناس بالله اشدهم خشية واكثرهم عبادة واحسنهم فى الله نصيحة (انا اوحينا اليك) جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بانه ليس بدعا من الرسل وانما شأنه فى حقيقة الارسال واصل الوحى كشأن سائر مشاهير الانبياء الذين لا ريب لاحدهم فى نبوتهم والوحى والايحاء كالاعلام فى خفاء وسرعة اى انزلنا جبرائيل عليك يا محمد بهذا القرآن (كما اوحينا) اى ايحاء مثل ايحائنا (الى نوح والنبيين من بعده) بدأ بذكر نوح لانه ابو البشر واول نبى عذبت امته لردهم دعوته وقد اهلك الله بدعائه اهل الارض قيل ان نوحا عليه السلام عمر الف سنة لم ينقص له سن ولا قوة ولم يشب له شعر ولم يبالغ احد من الانبياء

فى الدعوة ما بالغ ولم يصبر على اذى قومه ما صبر وكان يدعو قومه ليلا ونهارا وسرا وجهارا وكان يضرب من قومه حتى يغشى عليه فاذا افاق عاد وبلغ وقيل هو اول من تنشق عنه الارض يوم القيامة بعد محمد صلى الله عليه وسلم (واوحينا الى ابراهيم) عطف على اوحينا الى نوح داخل معه فى حكم التشبيه اى كما اوحينا الى ابراهيم (واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) وهم اولاد يعقوب عليه السلام وهم اثنا عشر رجلا (وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان) خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تشريفا لهم واظهارا لفضلهم فان ابراهيم اول اولى العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين اشراف الانبياء ومشاهيرهم وقدم ذكر عيسى على من بعده لان الواو للجمع دون الترتيب فتقديم ذكره فى الاية لا يوجب تقديمه فى الخلق والارسال والفائدة فى تقديمه فى الذكر الرد على اليهود لغلوهم فى الطعن فيه وفى نسبه فقدمه الله فى الذكر لان ذلك ابلغ فى كبت اليهود فى تبرئته مما رمى به ونسب اليه (وآتينا) اى كما آتينا (داود زبورا) فالجملة عطف على اوحينا داخلة فى حكمه لان ايتاء الزبور من باب الايحاء والزبور هو الكتاب مأخوذ من الزبر وهو الكتابة قال القرطبى كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هى حكم ومواعظ وتحميد وتمجيد وثناء على الله عز وجل وكان داود يبرز الى البرية ويقرأ الزبور فيقوم معه علماء بنى اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء ويقوم الجن خلف الناس وتجيء الدواب التى فى الجبال اذا سمعت صوت داود فيقمن بين يديه تعجبا لما يسمعن من صوته ويجيء الطير حتى يظللن على داود فى خلائق لا يحصيهن الا الله يرفرفن على رأسه وتجيء السباع حتى تحيط بالدواب والوحش لما يسمعن فلما قارف الذنب وهو تزوج امرأة اوريا من غير انتظار الوحى بجبرائيل لم يروا ذلك فقيل ذلك انس الطاعة وهذه وحشة المعصية وعن ابى موسى الاشعرى قال قال لى رسول الله لو رأيتنى البارحة وانا استمع لقراءتك لقد اعطيت مزمارا من مزامير آل داود قال فقلت اما والله يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته تحبيرا وعن ابى عثمان قال ما سمعت قط بربطا ولا مزمارا ولا عودا احسن من صوت ابى موسى وكان يؤمنا فى صلاة الغداة فنود انه يقرأ سورة البقرة من حسن صوته (قال السعدى)

به از روى زيباست آواز خوش * كه آن حظ نفس است واين قوت روح
وعند هبوب الناشرات على الحمى * تميل غصون البان لا الحجر الصلد

(ورسلا) نصب بمضمر يدل عليه اوحينا معطوف عليه داخل معه فى حكم التشبيه كما قيل اى وكما ارسلنا رسلا (قد قصصناهم عليك) اى سميناهم لك (من قبل) متعلق بقصصنا اى من قبل هذه السورة او اليوم وعرفناك قصتهم فعرفتهم (ورسلا لم نقصصهم عليك) اى لم نسمهم لك والرسل هم الذين اوحى اليهم بجبريل والانبياء هم الذين لم يوح اليهم بجبريل وانما اوحى اليهم بملك آخر او برؤيا فى المنام او بشئ آخر من الالهام وعن ابى ذر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله كم كانت الانبياء وكم كان المرسلون قال كانت الانبياء مائة الف واربعة وعشرين الفا وكان المرسلون ثلثمائة وثلاثة عشر وفى رواية سئل عن عدد الانبياء فقال مائتا الف واربعة وعشرون الفا والاولى ان لا يقتصر على عدد فى التسمية لهذه الاية وخبر الواحد لا يفيد الا الظن ولا عبرة بالظن فى الاعتقاديات (وكلم الله موسى تكليما) عطف على انا اوحينا اليك عطف القصة على القصة وتأكيد كلم بالمصدر يدل على انه عليه السلام سمع كلام الله حقيقة لا كما يقوله القدرية من ان الله تعالى خلق كلاما فى محل فسمع موسى ذلك الكلام لان ذلك لا يكون كلام الله القائم به والافعال المجازية لا تؤكد بذكر المصادر لا يقال اراد الحائط ان يسقط ارادة قال الفراء العرب تسمى ما وصل الى الانسان كلاما باى طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد به لم يكن الا حقيقة الكلام والمعنى ان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحى خص به موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحا فى نبوة سائر الانبياء فكيف يتوهم كون نزول التوراة عليه جملة قادحا فى صحة من انزل عليه الكتاب مفصلا مع ظهور ان نزولها كذلك لحكم مقتضية لذلك من جملتها ان بنى اسرائيل كانوا فى العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما آمنوا بها ومع ذلك ما آمنوا بها الا بعد اللتيا والتى وقد فضل الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم (قال العطار)

كرده در شب سوى معراجش روان * سر كل با او نهاده درميان
رفت موسى بر بساط آن جناب * خلع نعلين آمدش از حق خطاب
چون بنزديكى شد از نعلين دور * كشت در وادى المقدس غرق نور
باز در معراج شمع ذو الجلال * مى شنود آواز نعلين بلال
موسى عمران اكرچه بود شاه * هم نبود انجاش با نعلين راه

این عنایت بین که بهر جاه او * کرد حق باچاکر در کاه او * چاکرش را کرد مرد کوی خویش * داد بانعلین راهش سوی خویش * موسیٔ عمران چو آن رتبت بدید * چاکر اورا چنان قربت بدید * کفت یارب امت اوکن مرا * درطفیل همت اوکن مرا * اوست سلطان وطفیل اوهمه * اوست دائم شاه وخیل اوهمه * روی ان موسی علیه السلام لما اتی طور سیناء ازل الله الظلمة علی سبع فراسخ وطرد عنه الشیطان وطرد عنه الهوام ونحی عنه الملکین وکشف له السماء فرأی الملائکة قیاما فی الهوآء ورأی العرش بارزا وکلمه الله وناجاه حتی اسمعه کلامه من غیر واسطة وکیفیة وصوت وحرف (رسلا) نصب علی المدح اعنی رسلا (مبشرین) لاهل الطاعة بالجنة (ومنذرین) للعصاة بالنار (لئلا یکون) اللام متعلقة بارسلنا (للناس) خبر یکون (علی الله) متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله (حجة) ای کائنة علی الله وحجة اسم یکون والمعنی لئلا یکون للناس علی الله معذرة یوم القیامة یعتذرون بها قائلین لولا ارسلت الینا رسولا فیبین لنا شرآئعك ویعلمنا مالم نکن نعلم من احکامك وینبهنا من سنة الغفلة لقصور القوة البشریة عن ادراك جزئیات المصالح وعجز اکثر الناس عن ادراك کلیاتها ففیه تنبیه علی ان بعثة الانبیاء الی الناس ضرورة وانما سمیت المعذرة حجة مع استحالة ان یکون لاحد علیه سبحانه حجة فی فعل من افعاله بل له ان یفعل مایشاء کما یشاء للتنبیه علی ان المعذرة فی القبول عنده تعالی بمقتضی کرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التی لامرد لها ولذلك قال وما کنا معذبین حتی نبعث رسولا قال النبی صلی الله علیه وسلم مااحد اغیر من الله عزوجل لذلك حرم الفواحش ماظهر منها ومابطن ومااحد احب الیه المدح من الله تعالی لذلك مدح نفسه ومااحد احب الیه العذر من الله تعالی لذلك ارسل الرسل وانزل الکتاب (بعد الرسل) ای بعد ارسالهم وتبلیغ الشرآئع الی الامم علی السنتهم متعلق بحجة (وکان الله عزیزا) لایغالب فی امر من الامور من قضیة الامتناع عن الاجابة الی مسئلة المتعنتین (حکیما) فی جمیع افعاله التی من جملتها ارسال الرسل وانزال الکتب (لکن الله) استدراك عن مفهوم ماقبله من سؤالهم علی وجه التعنت ان ینزل علیهم ماوصفوه من الکتاب فهو بمنزلة قولهم لانشهد بان الله تعالی بعثك الینا رسولا حتی ینزل ماسألناه فقال تعالی انهم لایشهدون بصدقك فی دعوی الرسالة لکن الله (یشهد بما انزل الیك) من القرءآن المعجز الدال علی نبوتك ان جحدوك وکذبوك فان انزال هذا القرءآن البالغ فی الفصاحة الی حیث عجز الاولون والآخرون عن معارضته واتیان مایدانیه شهادة له علیه السلام بنبوته وصدقه فی دعوی الرسالة من الله تعالی فمعنی شهادة الله تعالی بما انزل الیه اثباته لصحته باظهار المعجزات کما تثبت الدعاوی بالبینات (انزله بعلمه) حال من الفاعل ای ملتبسا بعلمه الخاص الذی لایعلمه غیره وهو تألیف علی نمط بدیع یعجز عنه کل بلیغ اوبعلمه بحال من انزل علیه واستعداده لاقتباس الانوار القدسیة (والملائکة یشهدون) ایضا بنبوتك فان قلت من این یعلم شهادة الملائکة قلت من شهادة الله تعالی لان شهادتهم تبع لشهادته (وکفی بالله شهیدا) علی صحة نبوتك حیث نصب لها معجزات باهرة وحججا ظاهرة مغنیة عن الاستشهاد بغیرها کانه تعالی قال یامحمد ان کذبك هؤلاء الیهود فلاتبال بهم فان الله تعالی وهو اله العالمین یصدقك فی دعواك وملائکة السموات ایضا یصدقونك فی ذلك ومن صدقه رب العالمین والملائکة ای ملائکة العرش والکرسی والسموات السبع اجمعین لاینبغی له ان یلتفت الی تکذیب اخس الناس وهم هؤلاء الیهود (ان الذین کفروا) ای بما انزل الله ویشهد به وهم الیهود (وصدوا عن سبیل الله) وهو دین الاسلام من اراد سلوکه بقوله مانعرف صفة محمد فی کتابنا (قد ضلوا) بما فعلوا من الکفر والصد عن طریق الحق (ضلالا بعیدا) لانهم جمعوا بین الضلال والاضلال ولان المضل یکون اعرق فی الضلال وابعد من الانقلاع عنه (ان الذین کفروا) ای بما ذکر آنفا (وظلموا) ای محمدا صلی الله علیه وسلم بانکار نبوته وکتمان نعوته الجلیلة ووضع غیرها مکانها اوالناس بصدهم عما فیه صلاحهم فی المعاش والمعاد (لم یکن الله) مریدا (لیغفر لهم) لاستحالة تعلق المغفرة بالکافر (ولالیهدیهم طریقا الاطریق جهنم) لعدم استعدادهم للهدایة الی الحق والاعمال الصالحة التی هی طریق الجنة والمراد بالهدایة المفهومة من الاستثناء بطریق الاشارة خلق الله لاعمالهم السیئة المؤدیة بهم الی جهنم عند صرف قدرتهم واختیارهم الی اکتسابها اوسوقهم الیها یوم القیامة بواسطة الملائکة والطریق علی عمومه والاستثناء متصل وقیل خاص بطریق الحق والاستثناء منقطع (خالدین فیها) حال مقدرة من الضمیر المنصوب والعامل فیها مادل علیه الاستثناء دلالة

واضحة کانه قیل یدخلهم جهنم خالدین فیها (ابدا) نصب علی الظرفیة رافع لاحتمال حمل الخلود علی المکث الطویل (وکان ذلك) ای جعلهم خالدین فیها (علی الله یسیرا) لاستحالة ان یتعذر علیه شیٔ من مراداته تعالی واعلم ان من کان فیه ذرة من النور المرشوش علی الارواح یوم خلقها یخرج به من النار کما قال علیه السلام یخرج من النار من کان فی قلبه ذرة من الایمان ومن لم یکن فیه ذلك النور یخلد فی النار لانه وقع فی ظلمة عظیمة لایمکن الخروج عنها وقد ضل ضلالا بعیدا ای من یوم رش النور لاضلالا قریبا من هذا الیوم لان ضلال الیوم من نتایج ضلال ذلك الیوم ومثل هذا لایهتدی الی طریق الحق والقربة الی الله تعالی فیحترق فی عذاب القطیعة ابدا ولایخرج من نار الفرقة سرمدا فعلی العبد ان یشهد بما شهد الله تعالی به ویقبل قول الله وقول الرسول وقول وارثیه من العلماء العاملین فانهم ینطقون عن الله وعن الرسول قال شقیق رحمه الله الناس یقومون من مجلسی علی ثلاثة اصناف کافر محض ومنافق محض ومؤمن محض وذلك لانی افسر القرءآن واقول عن الله عزوجل وعن الرسول صلی الله علیه وسلم فمن لایصدقنی فهو کافر محض ومن ضاق قلبه فهو منافق ومن ندم علی ماصنع وعزم علی انه لایذنب کان مؤمنا مخلصا واول الامر الاعتقاد وذلك یحتاج الی العلم اولا والعمل ثانیا لانه ثمرته وسئل النبی علیه السلام عن العلم فقال دلیل العمل قیل فما العقل قال علیه السلام قائد الخیر قیل فما الهوی قال مرکب المعاصی قیل فما المال قال رداء المتکبرین قیل فما الدنیا قال سوق الآخرة (یاایها الناس) خطاب لعامة الخلق (قد جاءکم الرسول) یعنی محمدا صلی الله تعالی علیه وسلم ملتبسا (بالحق) وهو القرءآن المعجز الذی شهد اعجازه علی حقیته اوبالدعوة الی الله عبادالله وحده والاعراض عما سواه فان العقل السلیم یشهد علی انه الحق (من) عند (ربکم) متعلق بجاء ای جاء من عند الله وانه مبعوث مرسل غیر متقول له (فآمنوا) بالرسول وبما جاءکم به من الحق والفاء للدلالة علی ایجاب ماقبلها لمابعدها (خیرا لکم) منصوب علی انه مفعول لفعل واجب الاضمار ای اقصدوا اوأتوا امرا خیرا لکم مما انتم فیه من الکفر اوعلی انه نعت لمصدر محذوف ای آمنوا ایمانا خیرا لکم وهو الایمان باللسان والجنان (وان تکفروا) ای ان تصروا وتستمروا علی الکفر (فان لله ما فی السموات والارض) من الموجودات سوآء کانت داخلة فی حقیقتهما وبذلك یعلم حال انفسهما علی ابلغ وجه وآکده اوخارجة عنهما مستقرة فیهما من العقلاء وغیرهم فیدخل فی جملتهم المخاطبون دخولا اولیا ای کلها له عزوجل خلقا وملکا وتصرفا لایخرج من ملکوته وقهره شیٔ منها فمن هذا شأنه فهو قادر علی تعذیبکم بکفرکم لامحالة اوفمن کان کذلك فهو غنی عنکم وعن غیرکم لایتضرر بکفرکم ولاینتفع بایمانکم اوفمن کان کذلك فله عبید یعبدونه وینقادون لامره (وکان الله علیما) مبالغا فی العلم فهو عالم باحوال الکل فیدخل فی ذلك علمه تعالی بکفرهم دخولا اولیا (حکیما) مراعیا للحکمة فی جمیع افعاله التی من جملتها تعذیبه تعالی ایاهم بکفرهم واعلم ان النبی صلی الله علیه وسلم صورة النور الغیبی المرسل الی الاجساد فمن کان قابلا لافاضة نور دعوته فقد اهتدی ومن اخطأ فقد ضل واتفق المشایخ علی ان من القی زمامه فی ید کلب مثلا حتی لایکون تردده بحکم طبعه فبنفسه اقوم لقبول الریاضة ممن جعل زمامه فی حکم نفسه یسترسل بها حیث شاء کالبهائم فلما تیقنت ان الواجب علیك ان تکون تابعا لامسترسلا فلأن تتبع سید المرسلین محمدا صلی الله علیه وسلم الذی آدم ومن دونه من الاولیاء والانبیاء تحت لوائه خیر لك بل واجب علیك وما اعظم حماقة من یحتاط بقول المنجم فی الاختلاج والفال وینقاد الی الاحتمالات البعیدة ثم اذا آل الامر الی خبر النبوة عن الغیب انکر فلاترض لنفسك ان تصدق ابن البیطار فیما ذکره فی العقاقیر والاحجار فتبادر الی امتثال ما امرك به ولاتصدق سید البشر صلی الله علیه وسلم فیما یخبر عنه وتتوانی بحکم الکسل عن الاتیان بما امر به اوفعل واعلم انك لما اخرجك الله من صلب ادم فی مقام الست رددت الی اسفل السافلین ثم منه دعیت لترتفع بسعیك وکسبك الی اعلی علیین حیث ماقدر لك علی حسب قابلیتك ولایمکنك ذلك الا بامرین احدهما بمحبته صلی الله علیه وسلم وبان تؤثر حبه علی نفسك واهلك ومالك والثانی بمتابعته صلی الله علیه وسلم فی جمیع ماامر به ونهی عنه وبذلك تستحکم مناسبتك به وبکمال متابعتك یحصل لك الارتفاع الی اوج الکمال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم (ان مثلی ومثل مابعثنی الله به کمثل رجل اتی قوما فقال یاقوم انی رأیت الجیش بعینی) فیه اشارة الی ان هذا المثل مختص بالنبی علیه السلام لان ما انذر به من

الاهوال هى التى رآها بعينيه واما سائر الانبياء عليهم السلام فلم يكن لهم معراج ظاهر حتى يعاينوا تلك الاهوال (وانى انا النذير) وهو الذى يخوف غيره (باعلام العريان) وهو الذى لقى العدو فسلبوا ما عليه من الثياب فاتى قومه يخبرهم فصدق بعضهم لما عليه من آثار الصدق فنجوا وهذا القول مثل يضرب لشدة الامر وقرب المحذور وبرآءة المخبر عن التهمة والكل موجود فى النبى عليه السلام (فالنجاء) بالمد نصب على الاغرآء اى اطلبوا النجاء وهو الاسراع (فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا) اى ساروا من اول الليل (فانطلقوا على مهلهم) وهو بفتح الميم والهاء ضد العجلة (وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش) اى اتاهم صباحا بغير عليهم (فاهلكهم واجتاحهم) اى اهلكهم بالكلية (فذلك) اى المثل المذكور وهذا بيان لوجه المشابهة (مثل من اطاعنى واتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق) وفيه اشارة الى ان مطلق العصيان غير مستأصل بل العصيان مع التكذيب بالحق كذا فى شرح المشارق لابن الملك رحمه الله تعالى (قال السعدى) خلاف پيمبر كسى ره كزيد * كه هركز بمنزل نخواهد رسيد * محالست سعدى كه راه صفا * توان رفت جز در پى مصطفا (يا اهل الكتاب) الخطاب للنصارى خاصة (لا تغلوا فى دينكم) اى لا تتجاوزوا الحد فى دينكم بالافراط فى رفع شأن عيسى وادعاء الوهيته والغلو مجاوزة الحد واعلم ان الغلو والمبالغة فى الدين والمذهب حتى يجاوز حده غير مرضى كما كان كثيرا من هذه الامة غلوا فى مذهبهم فمن ذلك مذهب الغلاة من الشيعة فى امير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه حتى ادعوا الهيته وكذلك المعتزلة غلوا فى التنزيه حتى نفوا صفات الله وكذا المشبهة غلوا فى اثبات الصفات حتى جسموه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ولدفع الغلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا تطرونى كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم) اى لا تتجاوزوا عن الحد فى مدحى كما بالغ النصارى فى مدح عيسى حتى ضلوا وقالوا انه ولد الله (وقولوا عبد الله ورسوله) اى قولوا فى حقى انه عبد الله ورسوله وفى تقديم العبد على الرسول كما فى التحيات ايضا نفى لقول اليهود والنصارى فان اليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله فنحن نقول عبده ورسوله والغلو من العصبية وهى من صفات النفس المذمومة والنفس هى امارة بالسوء لا تأمر الا بالباطل مبر طاعت نفس شهوت پرست * كه هر ساعتش قبلهٔ ديكرست (ولا تقولوا على الله الا الحق) اى لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك قوله الا الحق استثناء مفرغ ونصبه على انه مفعول به نحو قلت خطبة اونعت مصدر محذوف اى الا القول الحق وهو قريب من المعنى الاول (انما المسيح) مبتدأ وهو لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك (عيسى) بدل منه معرب من ايشوع (ابن مريم) صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه به من بنوته له تعالى ومريم بمعنى العابدة وسميت مريم مريم ليكون فعلها مطابقا لاسمها ولكون عيسى عليه السلام منسوبا الى امه تدعى الناس يوم القيامة باسماء امهاتهم ويدل عليه حديث التلقين بعد الدفن حيث يقال يا فلان ابن فلانة وفى النسبة الى الامهات ستر منه تعالى للعباد ايضا (رسول الله) خبر للمبتدأ اى انه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها وهذا هو القول الحق (وكلمته) عطف على رسول الله اى تكون بكلمته وامره الذى هو كن من غير واسطة اب ولا نطفة فان تكوين الخلق كله وان كان بكلمة كن ولكن بالوسائط فان تعلق كن بتكوين الابناء قبل تعلقه بتكوين الاباء فلما كان تعلق امر كن بعيسى فى رحم مريم من غير تعلقه بتكوين اب له تكون عيسى بكلمة كن وكن هى كلمة الله فعبر عن ذلك بقوله وكلمته القاها الى مريم يدل عليه قوله ان مثل عيسى عند الله يعنى فى التكوين كمثل آدم خلقه من تراب يعنى سوى جسمه من تراب ثم قال له يعنى عند بعث روحه الى القالب كن فيكون وانما ضرب مثله بآدم فى التكوين لانه ايضا تكون بكلمة كن من غير واسطة اب (القاها الى مريم) اى اوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام (وروح منه) عطف على كلمته ومنه صفة لروح ومن لابتدآء الغاية مجازا لا تبعيضية كما زعمت النصارى لاستحالة التجزى على الله تعالى وروى انه كان لهرون الرشيد طبيب نصرانى وكان غلاما حسن الوجه جدا وكان كامل الادب جامعا للخصال التى يتوصل بها الى الملوك وكان الرشيد مولعا بان يسلم وهو يمتنع وكان الرشيد يمنيه الامانى ان اسلم فابى فقال له ذات يوم ما لك لا تؤمن قال ان فى كتابكم حجة على من انتحله قال وما هى قال قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه فعنى بهذا ان عيسى عليه السلام جزء منه

فضاق قلب الرشيد وجمع العلماء فلم يكن فيهم من يزيل شبهته حتى قيل له قد وفد حجاج من خراسان وفيهم رجل يقال له على بن الحسين بن واقد من اهل مرو وهو امام فى علم القرآن فدعاه فجمع بينه وبين الغلام فسأله الغلام عن ذلك فاستعجم عليه الجواب فى الوقت وقال قد علم الله يا امير المؤمنين فى سابق علمه ان هذا الخبيث يسألنى فى مجلسك هذا وانه لم يخل كتابه عن جوابه وانه ليس يحضرنى الآن ولله على ان لا اطعم ولا اشرب حتى اؤدى الذى يجب من الحق ان شاء الله تعالى ودخل بيتا مظلما واغلق عليه بابه واندفع فى قرآءة القرآن حتى بلغ من سورة الجاثية وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه فصاح باعلى صوته افتحوا الباب فقد وجدت الجواب ففتحوا ودعا الغلام فقرأ عليه الآية بين يدى الرشيد وقال ان كان قوله وروح منه يوجب ان يكون عيسى بعضا منه وجب ان يكون ما فى السموات وما فى الارض بعضا منه فانقطع النصرانى واسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل على بن الحسين الواقدى المروزى بصلة جيدة فلما عاد على بن الحسين الى مرو صنف كتابا سماه كتاب النظائر فى القرآن وهو كتاب لا يوازيه كتاب قيل معنى كونه روحا انه ذو روح صادر منه تعالى كسائر ذوى الارواح الا انه تعالى اضاف روحه الى نفسه تشريفا وقيل المراد بالروح هو الذى نفخ جبرآئيل عليه السلام فى درع مريم فدخلت تلك النفخة بطنها فحملت باذن الله من ذلك النفخ سمى النفخ روحا لانه كان ريحا يخرج من الروح واضاف تعالى نفخة جبريل الى نفسه حيث قال وروح منه بناء على ان ذلك النفخ الواقع من جبريل كان باذن الله تعالى وامره فهو منه وعن ابى بن كعب انه قال ان الله تعالى لما اخرج الارواح من ظهر آدم لاخذ الميثاق عليهم ثم ردهم الى صلبه امسك عنده روح عيسى الى ان اراد خلقه ثم ارسل ذلك الروح الى مريم فدخل فى فيها فكان منه عيسى عليه السلام قيل خلق عيسى عليه السلام من ماء مريم ومن النفخ لا من احدهما فقط وهو الاصح عند المحققين قيل خرج فى ساعة النفخ وقيل بعد المدة الكاملة بعد ثمانية اشهر والاول هو الاصح وفى التأويلات النجمية ان شرف الروح على الاشياء بانه ايضا كعيسى تكون بامر كن بلا واسطة شئ آخر فلما تكون الروح بامر كن وتكون عيسى بامر كن سمى روحا منه لان الامر منه تعالى كما قال قل الروح من امر ربى فكما ان احياء الاجسام الميتة من شأن الروح اذ ينفخ فيها فكذلك كان عيسى من شأنه احياء الموتى وابرآء الاكمه والابرص باذن الله وكذلك كان ينفخ فى الطين فيكون طيرا باذن الله تعالى واعلم ان هذا الاستعداد الروحانى الذى هو من كلمة الله مركوز فى جبلة الانسان وخلق منه اى من الامر وانما اظهره الله فى عيسى من غير تكلف منه فى السعى لاستخراج هذا الجوهر من معدنه لان روحه لم يركز فى اصلاب الاباء وارحام الامهات كما ركز ارواحنا فكان جوهره ظاهرا فى معدن جسمه غير مختفى ببشرية اب وجوهرنا مختفى فى معدن جسمنا ببشرية آبائنا الى آدم فمن ظهور انوار جوهر روحه كان الله تعالى يظهر عليه انواع المعجزات فى بدو طفوليته ونحن نحتاج فى استخراج الجوهر الروحانى من المعدن الجسمانى الى نقل صفات البشرية المتولدة من بشرية الاباء والامهات عن معادننا بامر استاذ هذه الصنعة ونواهيه وهو النبى عليه السلام كما قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فمن تخلص جوهر روحانيته من معدن بشريته وانسانيته يكون عيسى وقته فيحيى الله بانفاسه القلوب الميتة ويفتح به آذانا صما وعيونا عميا فيكون فى قومه كالنبى فى امته فافهم جدا (وفى المثنوى) عيسى اندر مهد دارد صد نفير * كه جوان نا كشته ما شيخيم وپير * پير پير عقل بايد اى پسر * نى سپيدى موى اندر ريش وسر * چون كرفتى پير من تسليم شو * همچو موسى زير حكم خضر شو * دست را مسپار جز در دست پير * پير حكمت كو عليم است وخبير * ثم اعلم انه لما كان النافخ جبرآئيل والولد سر ابيه كان الواجب ان يظهر عيسى على صورة الروحانيين والجواب انه انما كان على صورة البشر ولم يظهر على صورة الروحانيين لان الماء المحقق عند التمثل كان فى امه وهى بشر ولاجل تمثل جبريل ايضا عند النفخ بالصورة البشرية لانها اكمل الصور كما اشار صلى الله عليه وسلم فى تجلى الربوبية بصورة شاب قطط وظهور جبريل بصورة دحية فافهم والصورة التى تشهدها الام وتخيلها حال المواقعة لها تأثير عظيم فى صورة الولد حتى قيل ونقل فى الاخبار ان امرأة ولدت ولدا صورته صورة البشر وجسده جسم الحية فلما سئلت عنها اخبرت انها رأت حية عند المواقعة وسمعت ان امرأة ولدت ولدا له اعين اربع ورجلاه كرجل الدب وكانت قبطية جامعها زوجها وهى ناظرة الى دبين كانا عند زوجها

ولله امرار فى تكوين الاجساد كيف يشاء وهو على كل شئ قدير كذا فى حل الرموز (فآمنوا بالله) وخصوه
بالالوهية (ورسله) اجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه بالالوهية يعنى ان عيسى
من رسله فآمنوا به كايمانكم بسائر الرسل ولا تجعلوه آلها (ولا تقولوا ثلاثة) اى الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم
ويشهد عليه قوله تعالى ءأنت قلت للناس اتخذونى وامى آلهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله
ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثانى
العلم وبالثالث الحياة (انتهوا) اى عن التثليث (خيرا لكم) اى انتهاء خيرا لكم او ائتوا خيرا لكم من القول
بالتثليث (انما الله اله واحد) اى واحد بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدأ واله خبره وواحد
نعت اى منفرد فى الهيته (سبحانه ان يكون له ولد) اى اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد او سبحوه تسبيحا من
ذلك فانه يتصور لمن يتصور له مثل ويتطرق اليه فناء فان التوالد انما هو لحفظ النوع عن الانقراض فلذلك
لم تتوالد الملائكة ولا اهل الجنان فمن كان نشأته وتكونه للبقاء اذا لم يكن له ولد مع كونه حادثا ذا امثال فبالاولى
ان لا يتخذ الله تعالى ولدا وهو ازلى منزه عن الامثال والاشباه (وفى المثنوى) لم يلد لم يولد است او از قدم *
نى پدر دارد نه فرزند ونه عم (له ما فى السموات وما فى الارض) مستأنفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقديره اى له
ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته شئ من الاشياء التى من جملتها عيسى فكيف
يتوهم كونه ولدا له تعالى قال ابن الشيخ فى حواشيه انه تعالى فى كل موضع نزه نفسه عن الولد ذكران جميع ما فى
السموات والارض مختص به خلقا وملكا للاشارة الى ان ما زعمه المبطلون انه ابن الله وصاحبته مملوك مخلوق له
لكونه من جملة ما فى السموات وما فى الارض فلا تتصور المجانسة والمماثلة بين الخالق والمخلوق والمالك والمملوك
فكيف يعقل مع هذا توهم كونه ولدا له وزوجة (وكفى بالله وكيلا) اليه يكل كل الخلق امورهم وهو غنى عن
العالمين فانى يتصور فى حقه اتخاذ الولد الذى هو شأن العجزة المحتاجين فى تدبير امورهم الى من يخلفهم ويقوم
مقامهم او يعينهم دلت الاية على التوحيد (كل شئ ذاته لى شاهد * انما الله اله واحد) ومطلب اهل التوحيد اعلى
المطالب وهو وراء الجنات وذوقهم لا يعادله نعيم (حكى) ان وليا يقال له سكرى بابا يكون له فى بعض الاوقات
استغراق اياما حتى يظنونه ميتا ويضعون على فمه قداما فاتنبه يوما فاراد ان يطلق زوجته ويترك اولاده وقال
كنت فى مجلس النبى عليه السلام فى الملكوت مع الارواح وكان النبى عليه السلام يفسر قوله تعالى واِلهكم اله
واحد يتكلم فى مراتب التوحيد على كرسى فوا تمه اربع من الانوار الاربعة على حسب المراتب الاربع اى من
النور الاسود فى مرتبة الطبيعة ومن النور الاحمر فى مرتبة النفس ومن النور الاخضر فى مرتبة الروح ومن
النور الابيض فى مرتبة السر فقيل لى فى العرش ارسلوا سكرى بابا فان اولاده يبكون فلاجل ذلك اريد ان اترك
الكل فتضرعوا وحلفوا ان لا يفعلوا مثل ذلك ابدا فافرغ ووجه التسمية بذلك انه كان يعطى سكرا لكل من
يطلبه منه حتى طلبوا فى الحمام امتحانا له فضرب برجله رخام الحمام قال خذوه فانقلب سكرا فاعتقدوا وزالت
شبهتهم قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى الملكوت ليس فى الفوق بل الملك والملكوت عندك هنا فان الله
تعالى منزه عن الزمان والمكان والذهاب والاياب وهو معكم اينما كنتم فللسالك مرتبة ينظر فيها الى الله والى
الحق ويسمى تلك بالمعية ثم بعد ذلك اذا وصل الى الفناء الكلى واضمحل وجوده يسمى ذلك بمقام الجمع ففى ذلك
المقام لا يرى السالك ما سوى الله تعالى لكن احاطه نور لا يرى الظلمة الا يرى ان من نظر الى الشمس لا يرى غيرها
وتلك الرؤية ليست بحاسة البصر ولا كرؤية الاجسام بل كما ذكره العلماء وكل الاولياء والانبياء صلوات الله عليهم
اجمعين والموحد اذا كان موحدا يوصله التوحيد الى الملكوت والجبروت واللاهوت اعنى الموحد يتخلص عن
الاثنينية وعن التقيد بالاكوان والاجسام والارواح فيشاهد عند ذلك سر قوله تعالى انما الله اله واحد اللهم
اجعلنا من الواصلين (لن يستنكف المسيح) فى اساس البلاغة استنكف منه ونكف امتنع وانقبض انفا وحمية
(ان يكون عبدا لله) اى من ان يكون عبدا له تعالى فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف
فى عبودية غيره روى ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم
قالوا عيسى قال واى شئ اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى يعار فنزلت
(ولا الملائكة المقربون) عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا والمراد بهم

الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن فى طبقتهم (ومن يستنكف) اى يترفع
(عن عبادته) اى عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى (ويستكبر) الاستكبار دون
الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق
(فسيحشرهم اليه) اى فسيجمعهم اليه يوم القيامة (جميعا) المستنكف والمستكبر والمقر والمطيع فيجازيهم
(فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم) اى ثواب اعمالهم من غير ان ينقص منها شيأ اصلا
(ويزيدهم من فضله) بتضعيفها اضعافا مضاعفة وباعطاء ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
(واما الذين استنكفوا) اى عن عبادته تعالى (واستكبروا فيعذبهم) بسبب استنكافهم واستكبارهم
(عذابا اليما) وجيعا لا يحيط به الوصف (ولا يجدون لهم من دون الله) اى غيره تعالى (وليا) يلى امورهم ويدبر
مصالحهم (ولا نصيرا) ينصرهم من بأسه تعالى وينجيهم من عذابه واحتج بالاية من زعم فضل الملائكة على
الانبياء عليهم السلام وقال مساقه لرد النصارى فى رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضى ان يكون
المعطوف وهو ولا الملائكة المقربون اعلى درجة من المعطوف عليه وهو المسيح حتى يكون عدم استنكافهم
مستلزما لعدم استنكافه عليه السلام واجيب بان مناط كفر النصارى ورفعهم له عليه السلام عن رتبة
العبودية لما كان اختصاصه عليه السلام وامتيازه عن سائر افراد البشر بالولادة من غير اب وبالعلم بالمغيبات
وبالرفع الى السماء عطف على عدم استنكافه عن عبوديته عدم استنكاف من هو اعلى درجة منه فيما ذكر
فان الملائكة مخلوقون من غير اب ولا ام وعالمون بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقامهم السموات العلى
ولا نزاع لاحد فى علو درجتهم من هذه الحيثية وانما النزاع فى علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات كذا
فى الارشاد قال فى التأويلات النجمية عند قوله تعالى ولا الملائكة المقربون ما ذكرهم للفضيلة على عيسى
وانما ذكرهم لان بعض الكفار قالوا الملائكة بنات الله كما قالت النصارى المسيح ابن الله قال تعالى الكم الذكر
وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى بل فضل الله المسيح عليهم بتقديم الذكر لان المسيح نسب اليه بالبنوة ونسبت
الملائكة اليه بالبنتية وللذكر فضيلة وتقدم على الاناث كقوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين فقدم الله الذكر على
الانثى وجعل له سهمين وللانثى واحدا فكما ان للذكر فضيلة على الانثى فكذلك للمسيح فضيلة على الملائكة
وفضيلته على الملائكة اكبر واعظم يدل عليه ما صح عن جابر رضى الله عنه ان النبى عليه السلام قال لما خلق
الله آدم وذريته قالت الملائكة يا رب كما خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون فاجعل لهم الدنيا ولنا
الآخرة قال الله تعالى لا اجعل من خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى كمن قلت له كن فكان وانا اقول
ومن فضيلة عيسى على الملائكة انه اجتمع فيه ما كان شرفا لآدم لانه من ذريته من قبل الام وما كان شرفا
للملائكة اذ قال له ايضا كن فكان فقد وجد فى عيسى ما لم يوجد فى الملائكة ولم يوجد فى الملائكة شئ لا يوجد
فى عيسى فافهم جدا انتهى كلام التأويلات واعلم ان اعظم الاستنكاف عن عبادة الله تعالى الشرك
والاعراض عن توحيده كما ان اصل الاعمال التوحيد والايمان ثم ان الكبر من اكبر السيئات ولذا ورد فى بعض
الاحاديث مقابلا للايمان قال عليه السلام لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر
ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان (قال السعدى) ترا شهوت وكبر وحرص وحسد *
چو خون در رگند وچو جان در جسد * گراين دشمنان تقويت يافتند * سر از حكم ورأى تو
برتافتند * حكى ان قاضيا جاء الى ابى يزيد البسطامى رحمه الله يوما فقال نحن نعرف ما تعرفه ولكن لا نجد
تأثيره فقال ابو يزيد خذ مقدارا من الجوز وعلق وعاءه فى عنقك ثم ناد فى البلد كل من يلطمنى ادفع له جوزا
حتى لا يبقى منه شئ فاذا فعلت ذلك تجد التأثير فاستغفر القاضى فقال ابو يزيد قد اذنبت لانى اذكر ما يخلصك
من كبر نفسك وانت تستغفر منه (قال السعدى) كسى را كه پندار در سر بود * مپندار هرگز كه حق بشنود *
زعلمش ملال آيد از وعظ ننگ * شقايق بباران نرويد ز سنگ * فعلى العاقل ان يتواضع فان الرفعة فى التواضع
وهو من افضل العبادة (يا ايها الناس) خطاب لعامة المكلفين (قد جاءكم برهان) كائن (من ربكم وانزلنا اليكم)
بواسطة النبى عليه السلام (نورا مبينا) عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن اى جاءكم دلائل العقل وشواهد
النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة والبرهان ما يبرهن به المطلوب وسمى القرآن نورا لكونه سببا لوقوع نور الايمان

فى القلوب ولانه تتبين به الاحكام كما تتبين بالنور الاعيان (فاما الذين آمنوا بالله) حسبما يوجبه البرهان الذى اتاهم (واعتصموا به) اى امتنعوا به عن اتباع النفس الامارة وتسويلات الشيطان (فسيدخلهم فى رحمة منه) ثواب قدره بازآء ايمانه وعمله رحمة منه لاقضاء لحق واجب (وفضل) احسان زائد عليه مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ويهديهم اليه) اى الى الله (صراطا مستقيما) هو الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى الآخرة وهو مفعول ثان ليهدى لانه يتعدى الى مفعولين بنفسه كما يتعدى الى الثانى بالى يقال هديته الطريق وهديته الى الطريق ويكون اليه حالا منه مقدما عليه ولو اخر عنه كان صفة له والمعنى ويهديهم الى صراط الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى العقبى مؤديا ومنتهيا اليه تعالى والاشارة فى الاية ان الله تعالى اعطى لكل نبى آية وبرهانا ليقيم به الحجة على الامة وجعل نفس النبى عليه السلام برهانا منه وذلك لان برهان الانبياء كان فى الاشياء غير انفسهم مثل ما كان برهان موسى فى عصاه وفى الحجر الذى انفجرت منه اثنتا عشرة عينا وكان نفس النبى عليه السلام برهانا بالكلية فكان برهان عينيه ما قال عليه السلام (لا تسبقونى بالركوع والسجود فانى اراكم من خلفى كما اراكم من امامى) وبرهان بصره ما زاغ البصر وما طغى وبرهان انفه (قال انى لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن) وبرهان لسانه ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وبرهان بصاقه ما قال جابر رضى الله عنه انه امر يوم الخندق لا تخبزن عجينكم ولا تنزلن برمتكم حتى اجيء فجاء فبصق فى العجين وبارك ثم بصق فى البرمة وبارك فاقسم بالله انهم لاكلوا وهم الف حتى تركوه وانصرفوا وان برمتنا لتغط اى تغلى وان عجيننا ليخبز كما هو وبرهان تفله انه تفل فى عين على كرم الله وجهه وهى ترمد فبرئ باذن الله يوم خيبر وبرهان يده ما قال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وانه سبح الحصى فى يده (قال العطار) داعىء ذرات بودان پاك ذات * در كفش تسبيح ازان كفتى حصاة * وبرهان اصبعه انه اشار باصبعه الى القمر فانشق فلقتين حتى رؤى حراء بينهما ماه را انكشت او بشكافته * مهر از فرمانش ازپس تافته * وبرهان ما بين اصابعه انه كان الماء ينبع من بين اصابعه حتى شرب منه ورفعه خلق عظيم وبرهان صدره انه كان يصلى ولصدره ازيز كازيز المرجل من البكاء وبرهان قلبه انه تنام عيناه ولا ينام قلبه وقال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقال الم نشرح لك صدرك وقال نزل به الروح الامين على قلبك وامثال هذه البراهين كثيرة فمن اعظمها انه عرج به الى السماء حتى جاوز قاب قوسين وبلغ او ادنى وذلك برهان لنفسه بالكلية وما اعطى نبى قبله مثله قط وكان بعد ان اوحى اليه افصح العرب والعجم وكان من قبل اميا لا يدرى ما الكتاب ولا الايمان واى برهان اقوى واظهر واوضح من هذا والله اكرم هذه الامة به ومن عليهم فمن آمن به ايمانا حقيقيا بنور الله لا بالتقليد فتجذبه العناية وتدخله فى عالم الصفات فان رحمته وفضله صفته ويهديه بنور القرآن وحقيقة التخلق بخلقه الى جنابه تعالى فبالاعتصام يصعد السالك من الصراط المستقيم الى حضرة الله الكريم ولا بد للعبد من الاعمال والاكتساب فى البداية اتباعا للاوامر الواردة فى الكتب الالهية والسنن النبوية حتى ينتهى الى محض فضل الله تعالى فيكون هو المتصرف فى اموره ولذلك كان النبى عليه السلام يقول اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين ولا اقل من ذلك وقد قال بعض الكبار المريد من لا مذهب له يعنى يتمسك باشق الاقوال والمذاهب من جميع المذاهب فيتوضأ من الرعاف والفصد مثلا وان كان شافعيا ومن المس وان كان حنفيا وتنوير الباطن لا يحصل الا بانوار الذكر والعبادة والمعرفة وتعين على ذلك العبادة الخالصة اذا اديت على وجه الكمال والخدمة بمقتضى السنة تصقله بازالة خبث الشهوات والاخلاق المذمومات والتوحيد افضل الاعمال الموصلة الى السعادة وفى الحديث ان الذين لا تزال السنتهم رطبة من ذكر الله يدخلون الجنة وهم يضحكون وفى الحديث ليس على اهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم كانى انظر اليهم عند الصيحة ينفضون التراب عنهم ويقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وعلى هذا الحديث اول المشايخ هذه الاية الكريمة والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين ولا تجعلنا من الغافلين آمين (يستفتونك) اى يطلبون منك الفتوى فى حق الكلالة (قل الله يفتيكم فى الكلالة) الافتاء تبيين المبهم وتوضيح المشكل والكلالة فى الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها فى الاضافة الى

قرابتهما

قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين والمراد هنا الثانى اى الذى مات ولم يرثه احد من الوالدين ولا احد من الاولاد لما روى ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى كلالة اى لا يخلفنى ولد ولا والد فكيف اصنع فى مالى فنزلت (ان امرؤ هلك) استئناف مبين للفتيا وارتفع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله (ليس له ولد) صفة له اى ان هلك امرؤ غير ذى ولد ذكرا كان او انثى (وله اخت) عطف على قوله تعالى ليس له ولد او حال والمراد بالاخت من ليست لام فقط فان فرضها السدس فقط (فلها نصف ما ترك) اى بالفرض والباقى للعصبة او لها بالرد ان لم يكن له عصبة (وهو) اى المرؤ المفروض (يرثها) اى اخته المفروضة ان فرض هلاكها مع بقائه (ان لم يكن لها ولد) ذكرا كان او انثى فالمراد بارثه لها احراز جميع مالها اذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا ارثه لها فى الجملة فانه يتحقق مع وجود بنتها (فان كانتا اثنتين) عطف على الشرطية الاولى اى اثنتين فصاعدا (فلهما الثلثان مما ترك) الضمير لمن يرث بالاخوة والتأنيث والتثنية باعتبار المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين مع دلالة الف التثنية على الاثنينية التنبيه على ان المعتبر فى اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما (وان كانوا) اى من يرث بطريق الاخوة (اخوة) اى مختلطة (رجالا ونساء) بدل من اخوة والاصل وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر على المؤنث (فللذكر) اى فللذكر منهم (مثل حظ الانثيين) يقسمون التركة على طريقة التعصيب وهذا آخر ما نزل فى كتاب الله من الاحكام روى ان الصديق رضى الله عنه قال فى خطبته ان الاية التى انزل الله تعالى فى سورة النساء فى الفرائض فاولها فى الولد والوالد وثانيها فى الزوج والزوجة والاخوة من الام والاية التى ختم بها السورة فى الاخت لابوين او لاب والاية التى ختم بها سورة الانفال انزلها فى اولى الارحام (يبين الله لكم) اى حكم الكلالة او احكامه وشرائعه التى من جملتها حكمها (ان تضلوا) اى كراهة ان تضلوا فى ذلك فهو مفعول لاجله على حذف المضاف وهو اشيع من حذف النافية بتقدير لئلا تضلوا (والله بكل شئ) من الاشياء التى من جملتها احوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم (عليم) مبالغ فى العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم والاشارة فى الاية ان الله تعالى لم يكل بيان قسمة التركات الى النبى صلى الله عليه وسلم مع انه تعالى وكل بيان اركان الاسلام من الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج اليه واحكام الشريعة وقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واولاه بيان القرآن العظيم وقال لتبين للناس ما نزل اليهم وتولى قسمة التركات بنفسه تعالى كما قال عليه السلام ان الله لم يرض بملك مقرب ولا نبى مرسل حتى تولى قسمة التركات واعطى كل ذى حق حقه الا فلا وصية لوارث وانما لم يوله قسمة التركات لان الدنيا مزينة للناس والمال محبوب الى الطباع وجبلت النفس على الشح فلو لم ينص الله تعالى على مقادير الاستحقاق وكان القسم موكولا الى النبى عليه السلام لكان الشيطان اوقع فى بعض النفوس كراهة من النبى عليه السلام لذلك فيكون كفرا لقوله عليه السلام لا يكون احدكم مؤمنا حتى اكون اليه احب من نفسه وماله وولده والناس اجمعين كما اوقع فى نفوس بعض شبان الانصار يوم حنين اذ افاء الله على رسوله اموال هوازن فطفق النبى عليه السلام يعطى رجالا من قريش المائة من الابل كل رجل منهم فقالوا يغفر الله لرسوله يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال انس فحدث رسول الله بمقالتهم فارسل الى الانصار فجمعهم فى قبة من ادم ولم يدع معهم احدا من غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله فقال ما حديث بلغنى عنكم فقال الانصار اما ذوو آرائنا فلم يقولوا شيأ واما اناس حديثة اسنانهم فقالوا كذا وكذا للذى قالوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم انما اعطى رجالا حديث عهد بكفر فأتألفهم او قال استألفهم افلا ترضون ان يذهب الناس بالاموال وترجعوا برسول الله الى رحالكم فوالله ما تنقلبون خير مما ينقلبون به قالوا اجل يا رسول الله قد رضينا فالنبى عليه السلام ازال ما اوقع الشيطان فى نفوسهم بهذه اللطائف فلو كان قسم التركات اليه لكان للشيطان مجال الى آخر الدنيا ان يوقع الشر فى نفوس الامة ولم يمكن ازالته عن النفوس لتعذر الوصول الى الخلق كلهم فى حال الحياة وبعد الوفاة فتولى الله ذلك لانه بكل شئ عليم ولعباده غفور رحيم

بر وعلم يك ذره پوشيده نيست * كه پنهان وپيدا بنزدش يكيست *

فرو ماند كان را برحمت قريب * تضرع كنان را بدعوت مجيب *

فحسم الجملة بما نص على المقادير فى الميراث فضلا منه وقطعا لمواد الخصومات بين ذوى الارحام ورحمة على النسوان فى التوريث لضعفهن وعجزهن

عن الكسب واظهارا لتفضيل الذكور عليهن لنقصان عقلهن ودينهن وتبيانا للمؤمنين لئلا يضلوا بظن السوء بالنبى عليه السلام كما قال يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شئ عليم كذا فى التأويلات النجمية على صاحبها النفحات القدسية والبركات القدوسية

(تمت سورة النساء فى اواسط جادى الاخرة من سنة تسع وتسعين بعد الالف ويتلوها سورة المائدة وهى مائة وعشرون آية كلها مدنية الا اليوم اكملت لكم دينكم الاية فانها نزلت بعرفة عام حجة الوداع

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء يقال وفى بالعهد وفاء واوفى به ايفاء اذا اتى ما عهد به ولم يغدر والنقل الى باب افعل لا يفيد سوى المبالغة والعقد هو العهد الموثق المشبه بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما الزمه الله تعالى عباده وعقده عليهم من التكاليف والاحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن دينا ان حملنا الامر على معنى يعم الوجوب والندب واحتج ابو حنيفة رحمه الله بهذه الاية على ان من نذر صوم يوم العيد او ذبح الولد يجب عليه ان يصوم يوما يحل فيه الصوم ويذبح ما يحل ان يتقرب بذبحه لانه عهد والزم نفسه ذلك فوجب عليه الوفاء باصح الوفاء به واحتج بها ايضا على حرمة الجمع بين الطلقات لان النكاح من العقود فوجب ان يحرم رفعه لقوله تعالى اوفوا بالعقود وقد ترك العمل بعمومه فى حق الطلقة الواحدة بالاجماع فبقى فيما عداها على الاصل وفى الحديث ما ظهر الغلول فى قوم الا القى الله فى قلوبهم الرعب ولا فشا الزنى فى قوم الا كثر فيهم الموت ولا نقص قوم المكيال والميزان الا قطع عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير حق الا فشا فيهم الدم ولا ختر قوم بالعهد الا سلط الله عليهم العدو * هركه اونيك ميكند يابد * نيك وبد هرچه ميكند يابد * ثم انه تعالى لما امر المؤمنين بان يوفوا جميع ما اوجبه عليهم من التكاليف شرع فى ذكر التكاليف مفصلة فبدأ بذكر ما يحل ويحرم من المطعومات فقال عز وجل من قائل (احلت لكم بهيمة الانعام) البهيمة كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كثوب الخز وافرادها لارادة الجنس اى احل لكم اكل البهيمة من الانعام وهى الابل والبقر والضأن والمعز وذكر كل واحد من هذه الانواع الاربعة زوج باثناه واثناه زوج بذكره فكان جميع الازواج ثمانية بهذا الاعتبار من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين على التفصيل المذكور فى سورة الانعام فالبهيمة اعم من الانعام لان الانعام لا تتناول غير الانواع الاربعة من ذوات الاربع والحق بالانعام الظباء وبقر الوحش ونحوهما (الا ما يتلى عليكم) استثناء من بهيمة الانعام بتقدير المضاف اى الا محرم ما يتلى عليكم اى الا الذى حرمه المتلو من القرآن من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة بعد هذه الاية او بتقدير نائب الفاعل اى الا ما يتلى عليكم فيه آية كريمة (غير محلى الصيد) الصيد بمعنى المصدر اى الاصطياد فى البر او المفعول اى اكل صيده بمعنى مصيده وهو نصب على الحالية من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تقرير حرمته عملا واعتقادا وهو شائع فى الكتاب والسنة (وانتم حرم) اى محرمون حال من الضمير فى محلى والحرم جمع حرام بمعنى محرم يقال احرم فلان اذا دخل فى الحرم او فى الاحرام وفائدة تقييد احلال بهيمة الانعام بما ذكر من عدم احلال الصيد حال الاحرام اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم اليه فان حرمة الصيد فى حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال غيره حينئذ كانه قيل احلت لكم الانعام مطلقا حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها فى بعض الاوقات محتاجين الى احلالها (ان الله يحكم ما يريد) من تحليل وتحريم على ما توجبه الحكمة ومعنى الايفاء بهما الجريان على موجبهما عقدا وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم المحللات والاشارة فى الاية اوفوا بالعقود التى جرت بينا يوم الميثاق وعلى عهود العشاق وعقودهم على بذل وجودهم لنيل مقصودهم عاقدوا على عهد يحبهم ويحبونه ولا يحبون دونه فالوفاء بالعهد الصبر على الجفاء والجهد فمن صبر على عهوده فقد فاز بمقصوده عند بذل وجوده احلت لكم بهيمة الانعام اى ذبح بهيمة النفس التى هى كالانعام فى طلب المرام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وانتم حرم يعنى الا النفس المطمئنة اذ تليت عليها ارجعى الى ربك فانها تنفرت من الدنيا وما فيها فانها كالصيد فى الحرم وانتم حرم بالتوجه الى كعبة الوصال باحرام الشوق الى حضرة الجمال والجلال متجردين عن كل مرغوب ومرهوب متفردين من كل مطلوب

ومحبوب

ومحبوب ان الله يحكم بذبح النفس اذا كانت موصوفة بصفة البهيمة ترتع فى مراتع الحيوان السفلية ويحكم بترك ذبحها ويخاطبها بالرجوع الى حضرة الربوبية عند اطمئنانها مع ذكر الحق واتصافها بالصفات الملكية العلوية ما يريد كما يريد كذا فى التأويلات النجمية (يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) نزلت فى الحطيم واسمه شريح بن ضبيعة البكرى اتى المدينة من اليمامة وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له الى م تدعون الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فقال حسن الا ان لى امراء لا اقطع امرا دونهم لعلى اسلم وآتى بهم وقد كان النبى عليه السلام قال لاصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان ثم خرج شريح من عنده فقال عليه السلام لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح المدينة فاستاقه فانطلق فتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام المقبل خرج حاجا فى حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلدوا الهدى فقال المسلمون للنبى عليه السلام هذا الحطيم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبى عليه السلام انه قد قلد الهدى فقالوا يا رسول الله هذا شئ كنا نفعله فى الجاهلية فابى النبى عليه السلام فانزل الله هذه الاية وكان المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك والشعائر جمع شعيرة وهى اسم لما اشعر اى جعل شعارا اى علما للنسك من مواقف الحج ومرامى الجمار والمطاف والمسعى والافعال التى هى علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعى والحلق والنحر والمعنى لا تتهاونوا بحرمتها ولا تقطعوا اعمال من يحج بيت الله ويعظم مواقف الحج (ولا الشهر الحرام) اى ولا تستحلوا القتل والغارة فى الشهر الحرام وهو شهر الحج والاشهر الاربعة الحرم وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب والافراد لارادة الجنس (ولا الهدى) بان يتعرض له بالغصب او بالمنع من بلوغ محله وهو ما اهدى الى الكعبة من ابل او بقر او شاة تقربا الى الله تعالى جمع هدية (ولا القلائد) اى ذوات القلائد من الهدى بتقدير المضاف وعطفها على الهدى للاختصاص فانها اشرف الهدى اى ولا تحلوا ذوات القلائد منها خصوصا وهى جمع قلادة وهى ما يشد على عنق البعير وغيره من نعل او لحاء شجرة او غيرهما ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له (ولا آمين البيت الحرام) اى ولا تحلوا قوما قاصدين زيارة الكعبة بان تصدوهم عن ذلك باى وجه كان (يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا) حال من المستكن فى آمين اى قاصدين زيارته حال كونهم طالبين الرزق بالتجارة والرضوان اى على زعمهم لان الكافر لا نصيب له فى الرضوان اى رضى الله تعالى ما لم يسلم قال فى الارشاد انهم كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله تعالى فوصفهم الله بظنهم وذلك الظن الفاسد وان كان بمعزل من استتباع رضوانه تعالى لكن لا بعد فى كونه مدار الحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم عن المكاره العاجلة لا سيما فى ضمن مراعاة حقوق الله تعالى وتعظيم شعائره انتهى وهذه الاية الى ههنا منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز ان يحج مشرك ولا يأمن كافر بالهدى والقلائد قال الشعبى لم ينسخ من سورة المائدة الا هذه الاية (واذا حللتم فاصطادوا) تصريح بما اشير اليه بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتفاء موجبها والامر للاباحة بعد الحظر كانه قيل واذا حللتم من الاحرام فلا جناح عليكم فى الاصطياد (ولا يجرمنكم) يقال جرمنى فلان على ان صنعت كذا اى حملنى والمعنى لا يحملنكم (شنآن قوم) اى شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر شنئت اضيف الى المفعول او الفاعل فالمعنى على الاول بغضكم لبعض فحذف الفاعل وعلى الثانى بغض قوم اياكم فحذف المفعول (ان صدوكم عن المسجد الحرام) اى لان منعوكم عن زيارته والطواف به للعمرة عام الحديبية (ان تعتدوا) ثانى مفعولى يجرمنكم اى لا يحملنكم شدة بغضكم لهم لصدهم اياكم عن المسجد الحرام على اعتدائكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفى (وتعاونوا) اى ليعن بعضكم بعضا (على البر والتقوى) اى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) اى لا يعن بعضكم بعضا على شئ من المعاصى والظلم للتشفى والانتقام وليس للناس ان يعين بعضهم بعضا على العدوان حتى اذا تعدى واحد منهم على الاخر تعدى ذلك الاخر عليه لكن الواجب ان يعين بعضهم بعضا على ما فيه البر والتقوى واصل لا تعاونوا تتعاونوا فحذف منه احدى التاءين تخفيفا وانما اخر النهى عن الامر مع تقدم التخلية مسارعة الى ايجاب ما هو مقصود بالذات

فان المقصود من ايجاب ترك التعاون على الاثم والعدوان انما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى نفسك وكرهت ان يطلع عليه الناس (واتقوا الله) فى جميع الامور التى من جملتها المخالفة ماذكر من الاوامر والنواهى فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهانى (ان الله شديد العقاب) فانتقامه اشد لمن لا يتقيه واعلم ان شعائر الله فى الحقيقة هى مناسك الوصول الى الله وهى معالم الدين والشريعة ومراسم آداب الطريقة باشارة ارباب الحقيقة فان حقيقة البر هو التفرد للحق وحقيقة التقوى هو الخروج عما سوى الله تعالى فالوصول لا يمكن الا بهما لكنهما خطوتان لا يمكن للمريد الصادق ان يتخطى بهما الا بمعاونة شيخ كامل مكمل واصل موصل فانه دليل هذا الطريق (قال الحافظ) بكوى عشق منه بى دليل راه قدم * كه من بخويش نمودم صد اهتمام ونشد * (وقال ايضا) شبان وادئ ايمن كهى رسد بمراد * كه چند سال بجان خدمت شعيب كند * وفى الاية اشارة الى تعظيم ما عظمه الله من الزمان والمكان والاخوان وقد فضل الاشهر والايام والاوقات بعضها على بعض كما فضل الرسل والامم بعضها على بعض لتسارع القلوب الى احترامها وتشوق الارواح الى احيائها بالتعبد فيها ويرغب الخلق فى فضائلها وفضل الامكنة بعضها على بعض ليعظم الاجر بالاقامة فيها وخلق الله الناس سعيدا او شقيا والعبرة بالخاتمة وكل مخلوق من حيث انه مخلوق الله حسن حتى انه ينبغى ان يكون النظر الى الكافر من حيث انه مخلوق الله لا من حيث كفره وان لم يرض بكفره فعلى الناظر بنظر التوحيد ان يحسن النظر ولا يحقر احدا من خلق الله ولا يشتغل بالعداوة والبغضاء (قال السعدى) دلم خانهٔ مهر يارست وبس * ازان مى نكنجد درو كين كس * ومن كلمات اسد الله كرم الله وجهه العداوة شغل يعنى من اشتغل بالعداوة ينقطع عن الاشتغال بالامور المفيدة النافعة لان القلب لا يسع الاشتغالين المتضادين هركه بيشه كند عداوت خلق * از همه چيزها جدا كردد * كه دلش خستهٔ عنا باشد * كه تنش بستهٔ بلا كردد * وكان صلى الله عليه وسلم موصوفا بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال فعليك ان تقتدى به ولما مدح الله الانبياء عليهم السلام ووصف كل نبى بصفة قال له تعالى فبهداهم اقتده ففعل فصار مستجمعا لكمال خصال الخير وكان كل واحد منهم مخصوصا بخصلة مثل نوح بالشكر وابراهيم بالحلم وموسى بالاخلاص واسماعيل بصدق الوعد ويعقوب وايوب بالصبر وداود بالاعتذار وسليمان بالتواضع وعيسى بالزهد فلما اقتدى بهم اجتمع له الكل فانت ايها المؤمن من امة ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فاتق الله واستحى من رسول الله كى تنجو من العقاب الشديد والعذاب المديد وتظفر بالخلد الباقى والنعيم المقيم وتنال ما نال اليه ذو القلب السليم (حرمت عليكم الميتة) اى تناولها فان التحليل والتحريم انما يتعلقان بالافعال دون الاعيان والميتة ما فارقه الروح من غير ذبح (والدم) اى الدم المسفوح اى المصبوب كالدماء التى فى العروق لا الكبد والطحال وكان اهل الجاهلية يصبونها فى امعاء ويشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له اى من فصد له (ولحم الخنزير) لعينه لا لكونه ميتة حتى لا يحل تناوله مع وجود الذكاة فيه وفائدة تخصيص لحم الخنزير بالذكر دون لحم الكلب وسائر السباع ان كثيرا من الكفار الفوا لحم الخنزير فخص بهذا الحكم وذلك ان سائر الحيوانات المحرم اكلها اذا ذبحت كان لحمها طاهرا لا يفسد الماء اذا وقع فيه وان لم يحل اكله بخلاف لحم الخنزير قال فى التنوير وليس الكلب بنجس العين قال العلماء الغذاء يصير جزأ من جوهر المغتذى ولا بد وان يحصل للمغتذى اخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلا فى الغذاء والخنزير مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة فى المشتهيات فحرم اكله على الانسان لئلا يتكيف بتلك الكيفية ومن جملة خبائث الخنزير انه عديم الغيرة فانه يرى الذكر من الخنازير ينزو على انثى له ولا يتعرض له لعدم غيرته فاكل لحمه يورث عدم الغيرة (وما اهل لغير الله به) اى رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى قال الفقهاء ولو سمى الذابح النبى عليه السلام مع الله فقال باسم الله ومحمد حرمت الذبيحة وفى الحديث لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله قال النووى المراد به الذبح باسم غير الله كمن ذبح للصنم او للموسى او لغيرهما ذكر الشيخ الماوردى ان ما يذبح عند استقبال السلطان تقربا اليه افتى اهل بخارى بتحريمه لانه مما اهل به لغير الله وقال الرافعى هذا غير محرم لانهم انما يذبحونه استبشارا بقدومه فهو كذبح العقيقة لولادة المولود ومثل هذا لا يوجب التحريم كذا فى شرح المشارق لابن ملك (والمنخنقة) اى التى

ماتت

ماتت بالخنق وهو احتباس النفس بسبب انعصار الحلق واكل المنخنقة حرام سواء حصل اختناقها بفعل آدمى اولا مثل ان ينفق ان تدخل البهيمة برأسها بين عودين من شجرة فتختنق فتموت وكان اهل الجاهلية يخنقون الشاة فاذا ماتت اكلوها وهذه المنخنقة من جنس الميتة لانها ماتت من غير تذكية (والموقوذة) المضروبة بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته قال قتادة كانوا يضربونها بالعصى فاذا ماتت اكلوها وهى فى معنى المنخنقة ايضا لانها ماتت ولم يسل دمها (والمتردية) التى تردت من مكان عال او فى بئر فماتت قبل الذكاة والتردى هو السقوط مأخوذ من الردى وهو الهلاك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم اذا رديت رميتك من جبل فوقعت فى ماء فلا تأكل فانك لا تدرى اسهمك قتلها ام الماء فصار هذا الكلام اصلا فى كل موضع اجتمع فيه معنيان احدهما حاظر والآخر مبيح انه يغلب جهة الحظر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهة فدع ما يريبك الى ما لا يريبك ألا وان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وعن عمر رضى الله عنه انه قال كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة الربا (والنطيحة) التى نطحتها اخرى فماتت بالنطح وهو بالفارسية سر وزدن والتاء فى هذه الكلمات الاربع لنقلها من الوصفية الى الاسمية وكل ما لحقته هذه التاء يستوى فيه المذكر والمؤنث وقيل التاء فيها لكونها صفات لموصوف مؤنث وهو الشاة كانه قيل حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة وخصت الشاة بالذكر لكونها اعم ما يأكله الناس والكلام يخرج على الاعم الاغلب ويكون المراد الكل (وما اكل السبع) اى وما اكل منه السبع فمات وكان اهل الجاهلية يأكلونه والسبع اسم يقع على ما له ناب ويعدو على الانسان والدواب ويفترسها كالاسد وما دونه وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل (الا ما ذكيتم) اى الا ما ادركتم ذكاته من هذه الاشياء وفيه بقية حياة يضطرب اضطراب المذبوح فانه يحل لكم فاما ما صار بجرح السبع الى حالة المذبوح فهو فى حكم الميتة فلا يكون حلالا وان ذبحته وكذلك المتردية والنطيحة اذا ادركتها حية قبل ان تصير الى حالة المذبوح فذبحتها تكون حلالا ولو رمى الى صيد فى الهوى واصابه فسقط على الارض ومات كان حلالا لان الوقوع على الارض من ضرورته وان سقط على جبل او شجر ثم تردى منه فمات فلا يحل وهو من المتردية الا ان يكون السهم اصاب مذبحه فى الهواء فيحل كيف ما وقع لان الذبح قد حصل باصابة السهم المذبح واما ما ابين من الصيد قبل الذكاة فهو ميتة والذكاة فى الشرع بقطع الحلقوم والمرى وهو اسم لما اتصل بالحلقوم وهو الذى يجرى فيه الطعام والشراب واقل الذكاة فى الحيوان المقدور عليه قطع الحلقوم والمرى وكماله ان يقطع الودجان معهما ويجوز بكل محدد من حديد او قصب او زجاج او حجر او نحوها فان جمهور العلماء على ان كل ما افرى الاوداج وانهر الدم فهو من آلات الذكاة ما خلا السن والظفر والعظم ما لم يكن السن والظفر منزوعين لان الذبح بهما يكون خنقا واما المنزوعان منهما اذا افريا الاوداج فالذكاة جائزة بهما عندهم والذكاة الذبح التام الذى يجوز معه الاكل ولا يحرم لان اصل الذكاة اتمام الشئ ومنه الذكاء فى الفهم اذا كان تام العقل وفى الحديث الذكاة ما بين اللبة واللحيين فعلى هذا اللحم القديد الذى يجيء الى دار الاسلام من دار افلاق لا يجوز اكله لانهم يضربون رأس البقر ونحوه بفأس ومثله فيموت فلا توجد الذكاة (وما ذبح على النصب) النصب واحد الانصاب وهى احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة قال الامام من الناس من قال النصب هى الاوثان وهذا بعيد لان هذا معطوف على قوله وما اهل لغير الله به وذلك هو الذبح على اسم الاوثان ومن حق المعطوف ان يكون مغايرا للمعطوف عليه وقال ابن جريج النصب ليست باصنام فان الاصنام احجار مصورة منقوشة وهذه النصب احجار كانوا نصبوها حول الكعبة وكانوا يذبحون عندها للاصنام وكانوا يلطخونها بتلك الدماء ويضعون اللحوم عليها فقال المسلمون يا رسول الله كان اهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم ونحن احق ان نعظمه وكان عليه السلام لم يكره ذلك فانزل الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها الى هنا كلام الامام (وان تستقسموا بالازلام) جمع زلم وهو القدح اى وحرم عليكم الاستقسام بالقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة قداح مكتوب على احدها امرنى ربى وعلى الآخر نهانى ربى والثالث غفل اى خال عن الكتابة فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهى اجتنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بواسطة

ضرب القداح وقيل هو استقسام الجزور بالقداح على الانصباء المعلومة اى طلب معرفة كيفية قسمة الجزور
وقد تقدم تفصيله عند تفسير قوله تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر فى سورة البقرة (ذلكم) اشارة الى الاستقسام
بالازلام (فسق) اى تمرد وخروج عن الحدود دخول فى علم الغيب وضلال باعتقاد انه طريق اليه وافترآء على الله
سبحانه ان كان هو المراد بقولهم ربى وشرك وجهالة ان كان هو الصنم فظاهر هذه الآية يقتضى ان العمل على
قول المنجمين لا تخرج من اجل نجم كذا واخرج من اجل نجم كذا فسق لان ذلك دخول فى علم الغيب ولا يعلم
الغيب الا الله كذا فى تفسير الحدادى واعلم ان استعلام الغيب بالطريق الغير المشروع كاستعلام الخير والشر
من الكهنة والمنجمين منهى عنه بخلاف استعلام الغيب بالاستخارة بالقرءآن وبصلاة الاستخارة ودعائها وبالنظر
والرياضة لانه استعلام بالطريق المشروع وان طلب ما قسم له من الخير ليس منهيا عنه مطلقا بل المنهى عنه
هو الاستقسام بالازلام وفى الحديث العيافة والطرق والطيرة من الجبت والمراد بالطرق الضرب بالحصى
وفى الحديث من تكهن او استقسم او تطير طيرة تردّه من سفره لم ينظر الى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة
(اليوم) اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والآتية ونظيره قولك كنت
بالامس شابا واليوم قد صرت شيخا فانك لا تريد بالامس اليوم الذى قبل يومك ولا باليوم اليوم الذى انت فيه
وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة يوم عرفة حجة الوداع والنبى عليه السلام واقف بعرفات
على العضباء فكادت عضد الناقة تندق لثقلها فبركت واياما كانت فهو منصوب على انه ظرف لقوله تعالى
(يئس الذين كفروا من دينكم) اى من ابطالكم اياه ورجوعكم عنه بان تحللوا هذه الخبائث بعد ان جعلها الله
محرمة او من ان يغلبوكم عليه لما شاهدوا من ان الله عز وجل وفى بوعده حيث اظهره على الدين كله وهو الانسب
بقوله تعالى (فلا تخشوهم) اى من ان يظهروا عليكم (واخشون) واخلصوا الى الخشية (اليوم اكملت لكم
دينكم) بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرآئع
وقوانين الاجتهاد (واتممت عليكم نعمتى) بالهداية والتوفيق او باكمال الدين والشرآئع او بفتح مكة ودخولها
آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكها والنهى عن حج المشركين وطواف العريان (ورضيت لكم
الاسلام دينا) اى اخترته لكم من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فقوله دينا نصب حال من الاسلام ويجوز
ان يكون رضيت بمعنى صيرت فقوله دينا مفعول ثان له قال جابر بن عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول قال جبريل عليه السلام قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخاء وحسن
الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رجلا من اليهود قال له يا امير المؤمنين
آية فى كتابكم تقرؤنها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اى آية قال اليوم اكملت الخ قال
عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى نزلت فيه على النبى عليه السلام وهو قائم بعرفة يوم الجمعة اشار عمر
الى ان ذلك اليوم كان عيدا لنا قال ابن عباس رضى الله عنه كان ذلك اليوم خمسة اعياد جمعة وعرفة وعيد
اليهود والنصارى والمجوس ولم تجتمع اعياد اهل الملل فى يوم قبله ولا بعده وروى انه لما نزلت هذه الاية بكى عمر
رضى الله عنه فقال النبى عليه السلام ما يبكيك يا عمر قال ابكانى انا كنا فى زيادة من ديننا فاذا كمل فانه لم يكمل
شئ الا نقص قال صدقت فكانت هذه الاية نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاش بعدها احدا وثمانين يوما
ومات يوم الاثنين بعد ما زاغت الشمس لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة وقيل
توفى يوم الثانى عشر من شهر ربيع الاول وكانت هجرته فى الثانى عشر منه (قال السعدى) جهان اى برادر
نماند بكس * دل اندر جهان آفرين بند وبس * جهان اى پسر ملك جاويد نيست * ز دنيا وفادارى
اميد نيست * منه دل برين سال خورده مكان * كه گنبد نپايد برو گردكان (فمن اضطر) متصل
بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين
الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضى والمعنى فمن اضطر الى تناول شئ من هذه المحرمات (فى مخمصة)
اى مجاعة يخاف منها الموت او مباديه (غير متجانف لاثم) حال من فاعل الجواب المحذوف اى فليتناول مما حرم
غير مائل ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة او ينتزعها من مضطر آخر كقوله تعالى غير باغ
ولا عاد (فان الله غفور رحيم) لا يؤاخذه بأكلها وهو تعليل للجواب المقدر وروى ان رجلا قال يا رسول الله

انا نكون بارض فتصيبنا المخمصة فمتى تحل لنا الميتة فقال ما لم تصطبحوا او تغتبقوا او تحتفؤا بها بقلا فشأنكم
بها ومن امتنع من الميتة حال المخمصة او صام ولم يأكل حتى مات اثم بخلاف من امتنع من التداوى حتى
مات فانه لا يأثم لانه لا يقين بان هذا الدوآء يشفيه ولعله يصح من غير علاج والاشارة فى الايات ان ظاهرها
خطاب لاهل الدنيا والآخرة وباطنها عتاب لاهل الله وخاصته حرمت عليكم يا اهل الحق الميتة
وهى الدنيا باسرها (قال فى المثنوى) درجهان مرده شان آرام نيست * كين علف جز لايق
انعام نيست * والدم ولحم الخنزير يعنى حلالها وحرامها قليلها وكثيرها وذلك لان من الدم ما هو حلال
والخنزير كله حرام والدم بالنسبة الى اللحم قليل واللحم بالنسبة الى الدم كثير وما اهل لغير الله به يعنى كل
طاعة وعبادة وقرآءة ودراسة ورواية تظهرون به لغير الله والمنخنقة والموقوذة يعنى الذين يخنقون نفوسهم
بالمجاهدات ويقذونها بانواع الرياضات بنهيها عن المرادات وزجرها عن المخالفات للرياء والسمعة والمتردية
والنطيحة الذين يردّون نفوسهم من اعلى عليين الى اسفل سافلين بالتناطح مع الاقران والمماراة مع
الاخوان والتفاخر بالعلم والزهد بين الاخدان وفى قوله وما اكل السبع الا ما ذكيتم اشارة الى انه فيما تحتاجون
اليه من القوت الضرورى كونوا محترزين من اكيلة السباع وهم الظلمة الذين يتهاوشون فى جيفة الدنيا تهاوش
الكلاب ويتجاذبونها بمخالب الاطماع الفاسدة الا ما ذكيتم بكسب حلال ووجه صالح بقدر ضرورة الحال
وما ذبح على النصب يشير الى ما ذبح عليه النفس بانواع الجد والاجتهاد من المطالب الدنيوية والاخروية
وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق يعنى لا تكونوا مترددين متقلبين فى طلب المرام مبتغين لحصول المقصود
متهاونين فى بذل الوجود فاذا انتهيتم عن هذه المناهى وتخلصتم من هذه الدواهى واخلصتم لله فى الله بالله
وخرجتم عن سجن الانانية وسجين الانسانية بالجذبات الربانية فقد عادت ليلتكم نهارا وظلمتكم انوارا اليوم
يئس الذين كفروا من النفس وصفاتها والدنيا وشهواتها من دينكم وتيقنوا ان ما بقى لكم الرجوع الى
ملتهم ولا الصلاة الى قبلتهم فلا تخشوهم فانكم خلصتم من شبكة مكايدهم ونجوتم من عقد مصايدهم
واخشونى فان كيدى متين وصيدى مهين وبطشى شديد وحبسى مديد اليوم اشارة الى الازل اكملت لكم
دينكم اى جعلت الكمالية فى الدين من الازل نصيبا لكم من جميع اهل الملل والاديان واتممت عليكم نعمتى
التى انعمت بها عليكم فى الازل من الكمالية الان باظهار دينكم على الاديان كلها فى الظاهر واما فى الحقيقة
فسيجيئ شرحه ورضيت لكم الاسلام دينا تستكملون به الى الابد بحيث من يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل
منه وذلك لان حقيقة الدين هى سلوك سبيل الله بقدم الخروج عن الوجود المجازى للوصول الى الوجود الحقيقى
والانسان مخصوص به من سائر الموجودات ولهذه الامة اختصاص بالكمالية فى السلوك من سائر الامم
فالدين من عهد آدم عليه السلام كان فى التكامل بسلوك الانبياء سبيل الحق الى عهد النبى عليه السلام
فكل نبى سلك فى الدين مسلكا انزله بقربه من مقامات القرب ولكن ما خرج احد منهم بالكلية عن الوجود
المجازى للوصول الى الوجود الحقيقى بالكمال فقيل للنبى عليه السلام اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
فسلك النبى جميع المسالك التى سلكها الانبياء باجمعهم فلم يتحقق له الخروج ايضا بقدم السلوك عن الوجود
المجازى بالكلية حتى تداركته العناية الازلية لاختصاصه بالمحبوبية بجذبات الربوبية واخرجته من الوجود
المجازى ليلة اسرى بعد ما عبر به على الانبياء كلهم وبلغ فى القرب الى الكمالية فى الدنو وهو سر او ادنى فاستسعد
بسعادة الوصول الى الوجود الحقيقى فى سر فاوحى الى عبده ما اوحى وفى الحقيقة قيل له فى تلك الحالة اليوم
اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ولكن فى حجة الوداع فى يوم عرفة عند وقوفه بعرفات اظهر على
الامة عند اظهاره على الاديان كلها واظهور كمالية الدين بنزول القرآن والاحكام بالتمام فقال اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ويدل على هذا التأويل ما روى ابو هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل ابتنى بيوتا فاحسنها واجملها
واكملها الا موضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون الا وضعت ههنا
لبنة فيتم بناؤها قال محمد صلى الله عليه وسلم فانا اللبنة متفق على صحته فصح ما قررنا من مقامات الانبياء
وتكامل الدين بهم وكماليته بالنبى عليه السلام وبخروجه عن الوجود المجازى بالكلية وان الانبياء لم يخرجوا

منه بالكلية ويدل على هذا المعنى ايضا ان الانبياء كلهم يوم القيامة يقولون نفسى نفسى ابقية الوجود والنبى
عليه السلام امتى امتى لفناء الوجود فافهم جدا ومن كرامة هذه الامة اشتراكهم فى كمالية الدين مع النبى
بمتابعته وقال واتممت عليكم نعمتى وهى اسباب تحصيل الكمال ومعظمها بعثة النبى عليه السلام رضيت
لكم الاسلام دينا وهو استسلام الوجود المجازى الى النبى وخلفائه بعده ليطرح عليها اكسير المتابعة فيبدل
الوجود المجازى المحبى بالوجود الحقيقى المحبوبى كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم يعنى ويغفر بالوجود الحقيقى ذنوب الوجود المجازى فافهم جدا وتنبه فمن اضطر فى مخمصة يعنى
فمن ابتلى بالتفات شئ من الدنيا والآخرة مضطرا اليه فى غاية الاضطرار والابتلاء لسر التربية غير متجانف
لاثم يعنى غير مائل اليه للاعراض عن الحق ولكن من فترة تقع للصادقين اووقفة تكون للسالكين ثم يتداركونها
بصدق الالتجاء الى الحق وارواح المشايخ والاستعانة بهم وطلب الاستغفار عن ولاية النبوة واعانتهم فان الله
غفور لما ابتلاهم به رحيم بان يهديهم الى الصراط المستقيم باقامة الدين القويم كذا فى التأويلات النجمية
(يسألونك ماذا احل لهم) ما للاستفهام وذا بمعنى الذى والمعنى ما الذى احل لهم من المطاعم ان قلت مفعول
يسأل انما يكون مفردا فكيف وقع على الجملة قلت لتضمن السؤال معنى القول (قل احل لكم الطيبات)
اى ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه كما فى قوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث
والطيب فى اللغة المستلذ المشتهى فالتقدير كل ما يستلذ ويشتهى والعبرة فى الاستلذاذ والاستطابة باهل المروءة
والاخلاق الجميلة فان اهل البادية يستطيبون اكل جميع الحيوانات كذا قال الامام فى تفسيره (وما علمتم)
عطف على الطيبات بتقدير المضاف على ان ما موصولة والعائد محذوف اى وصيد ما علمتموه (من الجوارح)
حال من الموصول جمع جارحة بمعنى كاسبة قال تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار وجوارح الانسان اعضاؤه التى
يكتسب بها ويحتمل ان يكون من الجرح بمعنى تفريق الاتصال فان الجوارح تجرح الصيد غالبا والمراد
بالجوارح فى الاية كل ما يكسب الصيد على اهله من سباع البهائم كالفهد والنمر والكلب ومن سباع الطير
كالصقر والبازى والعقاب والنسر والباشق والشاهين ونحوها مما يقبل التعليم فان صيد جميعها حلال
(مكلبين) اى معلمين اياها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد ومضريها عليه مشتق من الكلب
وذكر الكلب لكونه اقبل للصيد والتأديب فيه وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم فان قلت يلزم ان يكون
المعنى وصيد ما علمتم معلمين ولا فائدة قلت فائدتها المبالغة فى التعليم لما ان اسم المكلب لا يقع الا على النحرير
فى علمه فكانه قيل وما علمتم ماهرين فى تعليم الجوارح حاذقين فيه مشتهرين به (تعلمونهن) حال ثانية
(مما علمكم الله) من الحيل وطرق التعليم والتأديب فان العلم به الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذى هو
منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وان ينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه
الصيد ولا يأكل منه قال صاحب الكشاف قوله تعالى تعلمونهن مما علمكم الله فيه تنبيه على ان كل من يأخذ
علما ينبغى ان يأخذه ممن هو متبحر فى ذلك العلم غواص فى بحار لطائفه وحقائقه وان احتاج فى ذلك ارتكاب
سفر بعيد قال عليه السلام اطلبوا العلم ولو بالصين فكم من آخذ من غير متقن ضيع ايامه وعض عند لقاء
النحارير انامله (فكلوا مما امسكن عليكم) من تبعيضية لما ان البعض مما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام
والريش وما موصولة حذف عائدها وعلى متعلقه بامسكن اى فكلوا بعض ما امسكنه عليكم وهو الذى
لم يأكل منه واما ما اكل منه فهو مما امسكن على انفسهن لقوله عليه السلام لعدى بن حاتم وان اكل منه
فلا تأكل انما امسكه على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم ومنهم ابو حنيفة يؤكل مما بقى من جوارح
الطير ولا يؤكل مما بقى من الكلب والفرق انه يمكن ان يؤدب الكلب على الاكل بالضرب ولا يؤدب البازى
على الاكل (واذكروا اسم الله عليه) الضمير لما فى ما علمتم اى سموا عليه عند ارساله او لما فى ما امسكن اى سموا
عليه اذا ادركتم ذكاته وعن ابى ثعلبة قال قلت يا نبى الله انا بارض قوم اهل كتاب افنأكل فى آنيتهم
وبارض صيد اصيد بقوسى وبكلبى الذى ليس بمعلم وبكلبى المعلم فما يصلح لى قال اما ما ذكرت من آنية اهل
الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وان لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله
فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت الله عليه فكل وما صدت بكلبك غير المعلم فادركت ذكاته فكل وعن انس

رضى

رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يضحى بكبشين املحين اقرنين يطأ على صفاحهما ويذبحهما
بيده ويقول بسم الله والله اكبر كذا فى تفسير البغوى والمستحب ان يقول بسم الله الله اكبر بلا واو لان ذكر الواو
يقطع فور التسمية كما فى شرح مختصر الوقاية وكره ترك التوجه الى القبلة وحلت كذا فى الذخيرة ومتروك التسمية
عمدا حرام لانه ميتة بخلاف متروكها نسيانا فانه حلال (واتقوا الله) فى شأن محرماته (ان الله سريع الحساب)
سريع اتيان حسابه او سريع تمامه اذا شرع فيه يتم فى اقرب ما يكون من الزمان والمعنى على التقديرين انه
يؤاخذكم سريعا فى كل ما جل ودق ودلت الاية على اباحة الصيد قال فى الاشباه الصيد مباح الا للتلهى او حرفة
كذا فى البزازية وعلى هذا فاتخاذه حرفة كصيادى السمك حرام (يحكى) عن ابراهيم بن ادهم انه قال كان ابى
من ملوك خراسان فركبت الى الصيد فاثرت ارنبا اذ هتف بى هاتف يا ابراهيم الهذا خلقت ام بهذا امرت
ففزعت ودفعت ثم اخذت ففعلت ثانيا ثم هتف هاتف من قربوس السرج والله ما لهذا خلقت ولا بهذا امرت
فنزلت فصادفت راعى ابى والبست جبته وتوجهت الى مكة ولما نزلت هذه الاية اذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى اقتناء الكلاب التى ينتفع بها ونهى عن اقتناء ما لا ينتفع بها وامر بقتل الكلب العقور وبما يضر ويؤذى
ورفع عما سواها مما لا ضرر فيه وفى الحديث من اتخذ كلبا الا كلب ماشية او صيد او زرع انتقص من اجره كل
يوم قيراط والحكمة فى ذلك انه ينبح الضيف ويروع السائل كذا فى تفسير الحدادى وفى الحديث لا تدخل
الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب والمراد بالملائكة ملائكة الرحمة والاستغفار اى النازلون بالبركة
والرحمة والطائفون على العباد للزيارة واستماع الذكر لا الكتبة فانهم لا يفارقون المكلفين طرفة عين والمراد
بالصورة صورة ذى الروح لمشابهته بيوت الاصنام وبعض الصور يعبد فابغض الاشياء الى الخواص ما عصى
الله به واما الكلب فلانه نجس فاشبه المتبرز وزاد فى بعض الاحاديث ولا جنب الا ان يتوضأ قال فى الترغيب
والترهيب ورخص للجنب اذا نام او اكل او شرب ان يتوضأ ثم قيل هذا فى حق كل من اخر الغسل لغير عذر
ولعذر اذا امكنه الوضوء فلم يتوضأ وقيل هو الذى يؤخره تهاونا وكسلا ويتخذ ذلك عادة انتهى قال فى الشرعة
وشرحها لابن السيد على وينام بعد الوطئ نومة خفيفة فانه اروح للنفس لكن السنة فيه ان يتوضأ اولا وضوءه
للصلاة ثم ينام وكذا اذا اراد الاكل جنبا ولو اراد العود فليتوضأ والمراد به التنظف بغسل الذكر واليدين
لا الوضوء الشرعى كما ذهب اليه بعض المالكية والاشارة فى الاية ان ارباب الطلب واصحاب السلوك يسألونك
ماذا احل لهم او حرم عليهم من الدنيا والآخرة كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا حرام على اهل الآخرة والآخرة
حرام على اهل الدنيا وهما حرامان على اهل الله تعالى قل احل لكم الطيبات وهى ما لا يقطع عليكم طريق
الوصول الى الله فان الله طيب لا يقبل الا الطيب وكل مأكول ومشروب وملبوس ومقول ومعقول ومعمول
طلبتموه بحظ من الحظوظ فقد لوثتموه بلوث داعى الوجود فهو من الخبيثات لا يصلح الا للخبيثين وما طلبتموه
بالحق للقيام باداء الحقوق طيبا بنفحات الشهود فهو من الطيبات لا يصلح الا للطيبين وفى قوله ان الله سريع
الحساب اشارة الى انه تعالى يحاسب العباد على اعمالهم قبل ان يفرغوا منها ويجازيهم فى الحال بالاحسان
احسان القربة ورفعة الدرجة وجذبة العناية وبالاساءة اساءة البعد والطرد الى السفل والخذلان (ونعم ما قيل)
هركه كند بخود كند ورهمه نيك بد كند (قال الصائب) چراز غير شكايت كنم كه همچو حباب * هميشه
خانه خراب هواى خويشتنم (اليوم) اراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والآتية او يوم
النزول (احل لكم الطيبات) وهى ما لم تستخبثه الطباع السليمة وهى طباع اهل المروءة والاخلاق الجميلة
او ما لم يدل نص شارع ولا قياس مجتهد على حرمته (وطعام الذين اوتوا الكتاب) اى اليهود والنصارى والمراد
بطعامهم ما يتناول ذبائحهم وغيرها (حل لكم) اى حلال وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب
فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عنده
وقال صاحباه هما صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم
فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب فى اخذ الجزية منهم دون اكل
ذبائحهم ونكاح نسائهم لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبائحهم
ولو ذبح يهودى او نصرانى على اسم غير الله كالنصرانى يذبح باسم المسيح فذهب اكثر اهل العلم الى انه يحل

فان الله قد احل ذبايحهم وهو يعلم مايقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودى اوالنصرانى فذكر اسم غيرالله
وانت تسمع فلاتأكله واذا غاب عنك فكل فقد احل الله لك (وطعامكم حل لهم) فلا عليكم ان تطعموهم
وتبيعوه منهم ولوحرم عليهم لم يجز ذلك (والمحصنات من المؤمنات) رفع على انه مبتدأ حذف خبره لدلالة
ماتقدم عليه اى حل لكم ايضا والمراد بهن الحرآئر والعفائف وتخصيصهن بالذكر للبعث على ماهو الاولى
لالنفى ماعداهن فان نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا غيرالعفائف منهن واما الاماء الكتابيات
فهن كالمسلمات عند ابى حنيفة خلافا للشافعى (والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) اى هن ايضا
حل لكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضى الله عنه لاتحل الحربيات قال الحدادى واستدل بعض الفقهاء
بظاهر الآية على انه لايجوز للمسلم نكاح الامة الكتابية والصحيح انه يجوز بظاهر قوله تعالى باذن اهلهن بدليل
حل ذبايحهن وانما خص الله المحصنات باباحة نكاحهن مع جواز نكاح غيرهن لان الاية خرجت مخرج
الامتنان والمنة فى نكاح الحرآئر العفائف اعظم واتم يدل على ذلك انه لاخلاف فى جواز النكاح بين المسلم
والامة المؤمنة وان كان فى الآية تخصيص المحصنات من المؤمنات والافضل لمن اراد النكاح ان لايعدل
عن نكاح الحرآئر الكتابيات مع القدرة عليهن وذلك ان نكاح الامة يؤدى الى ارقاق الولد لان الولد يتبع
امه فى الرق والحرية ولا ينبغى لاحد ان يختار رق ولده كما لا ينبغى ان يختار رق نفسه (اذا آتيتموهن اجورهن)
اى مهورهن وتقييد الحل بايتائها لتأكيد وجوبها والحث على الاولى واذا ظرفية عاملها احل المحذوف
(محصنين) حال من فاعل آتيتموهن اى حال كونكم اعفاء بالنكاح وكذا قوله (غير مسافحين) اى غير مجاهرين
بالزنى (ولا متخذى اخدان) اى ولا مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى قال الشعبى الزنى ضربان
السفاح وهو الزنى على سبيل الاعلان واتخاذ الخدن وهو الزنى فى السر والله تعالى حرمهما فى هذه الاية واباح
التمتع بالمرأة على جهة الاحصان (ومن يكفر بالايمان) اى ومن ينكر شرآئع الاسلام التى من جملتها مابين ههنا
من الاحكام المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها (فقد حبط عمله) اى بطل عمله الصالح الذى عمله قبل ذلك
(وهو فى الآخرة من الخاسرين) هو مبتدأ من الخاسرين خبره وفى متعلقة بما تعلق به الخبر من الكون المطلق
قال الحدادى فقد بطل ثواب عمله وهو فى الاخرة من المغبونين غبن نفسه ومنزله وصار الى النار لايغنى عن المرأة
الكتابية اسلام زوجها ولا ينفعها ذلك ولا يضر المسلم كفر زوجته الكتابية (قال السعدى) برفتند وهركس
درود آنچه كشت * نماند بجز نام نيكو وزشت * واعلم ان الكفر اقبح القبايح كما ان الايمان احسن
المحاسن وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله جنة عدن خلق فيها مالاعين
رأت ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمى فقالت قد افلح المؤمنون ثلاثا وعن كعب الاحبار
ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه ساما من بين اولاده وقال اوصيك باثنتين وانهاك عن اثنتين فاما
الاوليان فاحداهما شهادة ان لا اله الا الله فانها تخرق السموات السبع ولا يحجبها شئ ولو وضعت السموات
والارض ومافيهن فى كفة ووضعت هى فى الاخرى لرجحت واما الثانية فان تكثر من قول سبحان الله والحمد لله
فانها جامعة للثواب واما الاخريان فالشرك بالله والاتكال على غير الله قال القاضى عياض انعقد الاجماع على
ان الكفار لاتنفعهم اعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب لكن بعضهم يكون اشد من بعض بحسب
جرآئمهم واما حسناتهم فمقبولة بعد اسلامهم على ماورد فى الحديث قال فى نصاب الاحتساب مايكون كفرا
بلا خلاف يوجب احباط العمل ويلزمه اعادة الحج ان كان قد حج ويكون وطئه مع امرأته حراما والولد المتولد
فى هذه الحالة يكون ولد الزنى وان كان اتى بكلمة الشهادة بعد ذلك اذا كان الاتيان على وجه العادة ولم يرجع عما
قال لان الاتيان بكلمة الشهادة على وجه العادة لايرفع الكفر وما كان فى كونه كفرا اختلاف فان قائله يؤمر
بتجديد النكاح والتوبة والرجوع عن ذلك بطريق الاحتياط واما ما كان خطأ من الالفاظ ولا يوجب الكفر
فقائله مؤمن على حاله ولا يؤمر بتجديد النكاح ويؤمر بالاستغفار والرجوع عن ذلك انتهى كلام النصاب
والرجل والمرأة فى ذلك سوآء حتى لو تكلمت المرأة بما يكون كفرا تبين من زوجها فعلى العبد الصالح ان يختار
من النساء صالحة عفيفة متقية قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره لاتعطى الولاية لولد
الزنى قال واشكر الله تعالى على ان جعلنى اول ولد ولدته امى فانه ابعد من ان يصدر الفاظ الكفر من احد ابوى قال

وارثه

وارثه الاكبر الشيخ الشهير بالهدايى قدس سره قلت والفقير كذلك والاشارة فى الاية احل لكم يا ارباب الحقيقة
فى اليوم الذى قدر كمالية الدين فيه لكم فى الازل جميع الطيبات التى تتعلق بسعادة الدارين بل احل لكم التخلق
بالاخلاق الطيبات وهى اخلاق الله المنزهات عن الكميات والكيفيات المبرءآت من النقائص والشبهات وطعام
الذين اوتوا الكتاب وفى الحقيقة هم الانبياء عليهم السلام حل لكم اى غذيتم بلبان الولاية كما غذوا بلبان النبوة
من حلمى الشريعة والحقيقة وطعامكم حل لهم يعنى منبع لبن النبوة والولاية واحد وان كان الثدى اثنين
فشربتم لبان الطافنا من مشرب الولاية وشرب الانبياء لبان افضالنا من مشرب النبوة قد علم كل اناس
مشربهم وللنبى عليه السلام شركة فى المشارب كلها وله اختصاص فى مجلس المقام المحمود من المحبوب بمشرب
ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى لايشاركه فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل وكذلك حل لكم المحصنات من
المؤمنات وهى ابكار حقائق القرءآن التى احصنت من افهام الازواج المؤمنات بها وهى ازواج العلماء
وخواص هذه الامة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وهى ابكار حقائق الكتب المنزلة على الامة
السالفة التى احصنت من الذين انزل عليهم الكتب وادرجت فى القرءآن واخفيت لكم كما قال تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفى لهم يعنى فى القرءآن من قرة اعين وهى ابكار حقائق جميع الكتب المنزلة فافهم جدا كلها الكم
اذا آتيتموهن اجورهن اى مهور هذه الابكار وهى بذل الوجود محصنين يعنى متعففين فى بذل الوجود فيكون
على وجه الحق وبتصرف المشايخ الواصلين غير مسافحين على وفق الطبع وخلاف الشرع وبتصرف الهوى
ولا متخذى اخدان يعنى فى بذل الوجود لايكون ملتفتا الى شئ من الكونين ولا الى احد فى الدارين سوى الله
ليكون هو المشرب ومنه الشراب وهو الحريف والساقى ومن يكفر بالايمان بهذه المعاملات والكمالات اذ حرم
عن العيان من هذه السعادات فقد حبط عمله الذى عمله على العمياء والتقليد وهو فى الاخرة من الخاسرين
الذين خسروا الدنيا والعقبى والمولى كذا فى التأويلات النجمية (يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) المراد
بالقيام اما القيام الذى هو من اركان الصلاة فالتقدير اذا اردتم القيام لها بطريق اطلاق اسم المسبب على
السبب لان الجزآء لابد وان يتأخر عن الشرط يعنى صحة قيام الصلاة بالطهارة واما القيام الذى هو من
مقدمات مباشرة الصلاة فالتقدير اذا قصدتم الصلاة اطلاقا لاسم احد لازميها على لازمها الآخر فالوضوء من
شرآئط القيام الاول دون الثانى وهذا الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال فلا يلزم الوضوء على كل قائم
الى الصلاة سوآء كان محدثا اولا كما يقتضيه ظاهر الاية (فاغسلوا وجوهكم) الغسل اجرآء الماء على المحل
وتسييله سوآء وجد معه الدلك اولا والوجه ما يواجهك من الانسان وحده من قصاص الشعر الى اسفل الذقن
طولا ومن شحمة الاذن الى شحمة الاذن عرضا يجب غسل جميعه فى الوضوء ويجب ايصال الماء الى ماتحت
الحاجبين واهداب العينين والشارب والعذار والعنفقة وان كانت كثيفة وعند الامام لايجب غسل ماتحت
الشعر ففرض اللحية عنده مسح مايلاقى الوجه دون ما استرسل من الذقن لانه لما سقطت فرضية غسل ماتحت
اللحية انتقلت فرضيته الى خلفه وظاهر الاية ان المضمضة والاستنشاق غير واجبين فى الوضوء لان اسم الوجه
يتناول الظاهر دون الباطن فهما من السنن (وايديكم الى المرافق) الجمهور على دخول المرفقين فى المغسول
ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم والمرافق جمع مرفق وهو مجتمع طرفى
الساعد والعضد ويسمى مرفقا لانه الذى يرتفق به اى يتكأ عليه من اليد (وامسحوا برؤسكم) الباء
مزيدة كما فى التى بيده والمسح الاصابة وقدر الواجب عن ابى حنيفة ربع الرأس لانه عليه السلام مسح على
ناصيته وهو قريب من الربع فان للرأس جوانب اربعة ناصية وقذال وفودان والقذال مؤخر الرأس خلف
الناصية وفودا الرأس جانباه فى الواقعات المحمودية قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى انكشف لى وجه
الاختلاف فى مقدار مسح الناصية وهو ان بدن الانسان مربع فبالقياس اليه ينبغى ان يكون الممسوح ربع
الرأس وما اعتبار قدر ثلاثة اصابع فبالنظر الى حال نفس الرأس فانه سدس والسدس فيه قدر ثلاثة اصابع
قال المرحوم حضرة محمود الهدايى قلت فحينئذ ينبغى ان يكون الاعتبار الاخير اولى لانه بالنظر الى حال نفسه
بخلاف الاول لانه بالقياس الى البدن فقال حضرة الشيخ افتاده وجه اولوية الاول ان البدن اكثر من
الرأس فاتباع الاقل بالاكثر اولى انتهى قال الحدادى واما مسح الاذنين فهو سنة فيمسح ظاهر اذنيه بابهاميه

وظاهرهما بيجتيه بماء الرأس واما مسح الرقبة فمستحب وفى الحديث من مسح رقبته فى الوضوء امن من الغل
يوم القيامة (وارجلكم الى الكعبين) بالنصب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول
اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يعهد محدودا وانما جاء التحديد فى المغسولات قال فى الاشباه غسل الرجلين
افضل من المسح على الخفين لمن يرى جوازه والا فهو افضل وكذا بحضرة من لا يراه انتهى وذهبت الروافض الى
ان الواجب فى الرجلين المسح ورووا فى المسح خبرا ضعيفا شاذا قال صاحب الروضه خف الروافض مثل
فى السعة لانه لا يرى المسح على الخف ويرى المسح على الرجلين فيوسعه ليتمكن من ادخال يده فيه ليمسح
برجله وعن ابن المغيرة عن ابيه قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فى سفر فقال امعك ماء قلت نعم
فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عنى فى سواد الليل ثم جاء فافرغت عليه من الاداوة فغسل وجهه ويديه
وعليه جبة من الصوف فلم يستطع ان يخرج ذراعيه منها حتى اخرجهما من اسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح
برأسه ثم اهويت لانزع خفيه فقال دعهما فانى ادخلتهما طاهرين فمسح عليهما كذا فى تفسير البغوى
واطبق العلماء على ان وجوب الوضوء مستفاد من هذه الاية ومن سنته النية فينوى رفع الحدث او اقامة الصلاة
ليقع قربة واستعمال السواك فى غلظة الخنصر وطول الشبر حالة المضمضة تكميلا للانقاء او قبل الوضوء وعند
فقده يعالج بالاصابع وينال بالاصبع ثواب السواك وفى الهداية الاصح ان السواك مستحب وعن مجاهد قال
ابطأ جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم ثم اتاه فقال له النبى عليه السلام ما حبسك يا جبريل
قال وكيف آتيكم وانتم لا تقصون اظفاركم ولا تأخذون من شواربكم ولا تنقون براجمكم ولا تستاكون ثم قرأ
وما نتنزل الا بامر ربك والبراجم مفاصل الاصابع والعقد التى على ظاهرها يجتمع فيها من الوسخ وفى الحديث
نقوا براجمكم فامر بتنقيتها لئلا تدرن فتبقى فيها الجنابة ويحول الدرن بين الماء والبشرة وفى الحديث نظفوا
لثاتكم جمع لثة بالتخفيف وهى اللحمة التى فوق الاسنان دون الاسنان فامر بتنظيفها لئلا يبقى فيها وحل
الطعام فتتغير عليه النكهة وتتنكر الرائحة ويتأذى الملكان لانه طريق القرآن ومقعد الملكين وتنفر الملائكة
من الرائحة الكريهة وفى الحديث ان العبد اذا تسوك ثم قام يصلى قام الملك خلفه فيستمع لقرآنه فيدنو منه حتى
يضع فاه على فيه فما يخرج من فيه شئ من القرآن الا صار فى جوف الملك فطهروا افواهكم للقرآن
وفى الحديث ركعتان بسواك افضل من سبعين ركعة بغير سواك ويقول المتوضى بعد التسمية الحمد لله الذى
جعل الماء طهورا وعند المضمضة اللهم اسقنى من حوض نبيك كأسا لا اظمأ بعدها ابدا اللهم اعنى على ذكرك
وشكرك وتلاوة كتابك وعند الاستنشاق اللهم لا تحرمنى رائحة نعيمك وجنانك او يقول اللهم ارحنى من رائحة
الجنة ولا ترحنى من رائحة النار وعند غسل الوجه اللهم بيض وجهى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه او يقول
اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك ولا تسود وجهى بذنوبى يوم تسود وجوه اعدائك وعند
غسل اليد اليمنى اللهم اعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا وعند غسل اليد اليسرى اللهم لا تعطنى كتابى
بشمالى ولا من وراء ظهرى وعند مسح الرأس اللهم حرم شعرى وبشرى على النار واظلنى تحت ظل عرشك
يوم لا ظل الا ظلك اللهم غشنى برحمتك وانزل على من بركاتك وعند مسح الاذنين اللهم اجعلنى من الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه وعند مسح رقبته اللهم اعتق رقبتى من النار وعند غسل الرجل اليمنى اللهم
ثبت قدمى على الصراط يوم تزل فيه الاقدام وعند غسل الرجل اليسرى اللهم اجعل لى سعيا مشكورا وذنبا
مغفورا وعملا مقبولا وتجارة لن تبور ويقول بعد الفراغ اشهد ان لا آله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا
عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى من عبادك الصالحين الذين انعمت
عليهم واجعلنى من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والحكمة فى تخصيص الاعضاء الاربعة فى الوضوء ان
آدم عليه السلام لما توجه الى الشجرة بالوجه وتناولها باليد ومشى اليها بالرجل ووضع يده على رأسه أمره
بغسل هذه الاعضاء تكفيرا للخطايا وقد جاء فى الحديث ان العبد اذا غسل وجهه خرجت خطاياه حتى تخرج
من تحت اشفار عينيه وكذلك فى بقية الاعضاء وقيل خص بغسل هذه الاعضاء الامة المحمدية ليكونوا غرا
محجلين بين الامم كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا
ان شاء الله بكم لاحقون وددت انا قد رأينا اخواننا قالوا اولسنا اخوانك يا رسول الله قال انتم اصحابى

واخواننا الذين يأتون بعد قالوا كيف تعرف من يأتون بعد من امتك يا رسول الله فقال ارأيتم لو ان رجلا له خيل
غر محجلة بين ظهرى خيل دهم بهم الا يعرف خيله قالوا بلى يا رسول الله قال فانهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين
من الوضوء وانا فرطهم على الحوض واعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء
واحد فقال عمر رضى الله عنه صنعت شيأ لم تكن تصنعه فقال عليه السلام عمدا فعلته يا عمر يعنى بيانا للجواز
يستحب تجديد الوضوء لكل فرض وفى الحديث من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وللتجديد اثر ظاهر
فى تنوير الباطن وكان بعض اهل الله يتوضأ عند الغيبة والكذب والغضب لظهور غلبة النفس وتصرف
الشيطان فالوضوء هو النور الذى به تضمحل ظلمات النفس والشيطان وكان على وجه بعضهم قرح لم يندمل
اثنتى عشرة سنة لضرر الماء له وكان مع ذلك لم يدع تجديد الوضوء عند كل فريضة ونزل فى عين بعضهم ماء اسود
فقال الكحال لابد من ترك الوضوء اياما والا فلا يعالج فاختار ذهاب بصره على ترك الوضوء ودوام الطهارة
مستجلب لمزيد الرزق كما قال عليه السلام دم على الطهارة يوسع عليك الرزق والسنة ان يصلى بعد الوضوء
ركعتين تسمى شكر الوضوء روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال يا بلال حدثنى بارجى عمل عملته
فى الاسلام فانى سمعت دف نعليك بين يدى فى الجنة قال ما عملت عملا ارجى عندى من انى لم اتطهر طهورا
فى ساعة من ليل او نهار الا صليت بذلك الطهور ما كتب لى ان اصلى قال فى الاسرار المحمدية لابن فخر الدين
الرومى ويصلى شكر الوضوء وان كانت فى الاوقات المكروهة لا الاوقات المحرمة كما قبل صلاة الفجر وبعدها
وبعد صلاة العصر ايضا لانها من الصلوات ذوات الاسباب واما الاوقات المحرمة كطلوع الشمس وزوالها
وغروبها فلا تجوز فيه اصلا فيصبر الى وقت اباحة الصلاة فيصليها حينئذ الا اذا كان بمكة عن جبير ان النبى
عليه السلام قال يا بنى عبد مناف لا تمنعوا احدا طاف بهذا البيت وصلى اية ساعة من ليل او نهار وعن جندب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس ولا بعد العصر حتى تغرب الشمس
الا بمكة الا بمكة انتهى كلام الاسرار والاشارة فى الاية ان الخطاب فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا هو
خطاب مع الذين آمنوا ايمانا حقيقيا عند خطاب ألست بربكم بقولهم بلى وهم اهل الصف الاول يوم الميثاق
آمنوا بعد ما عاينوا واهل الصف الثانى آمنوا اذ شاهدوا واهل الصف الثالث آمنوا اذ سمعوا الخطاب
واهل الصف الرابع آمنوا تقليدا لا تحقيقا لانهم ما عاينوا ولا شاهدوا ولا سمعوا خطاب الحق بسمع الفهم
والدراية بل سمعوا اسماع القهر والنكاية فتحيروا حتى سمعوا جواب اهل الصفوف الثلاثة اذ قالوا بلى فقالوا
بتقليدهم بلى فلا جرم ههنا ما آمنوا وهم الكفار وان آمنوا ما آمنوا على التحقيق بل بالتقليد او بالنفاق وهم
المنافقون واهل الصف الثالث هم المسلمون وعوام المؤمنين فكما آمنوا هنالك بسماع الخطاب فكذلك ههنا
آمنوا بالسماع كقوله تعالى اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا واما اهل الصف الثانى وهم
خواص المؤمنين وعوام الاولياء فكما انهم آمنوا هنالك اذ شاهدوا فكذلك ههنا آمنوا بشواهد المعرفة
كما قال واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا ومن
ههنا قال بعضهم ما نظرت فى شئ الا ورأيت الله فيه واما اهل الصف الاول وهم الانبياء وخواص الاولياء فكما
آمنوا هنالك اذ عاينوا فكذلك ههنا آمنوا اذ عاينوا كقوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه وذلك فى ليلة
المعراج اذ اوحى الى عبده ما اوحى قال آمن الرسول بما انزل اليه من ربه وكان ايمان موسى عليه السلام نوعا
من هذا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين وقال على رضى الله عنه لم اعبد ربا لم اره وقال بعضهم
رأى قلبى ربى وقال آخر ما نظرت فى شئ الا ورأيت الله فيه فخاطب اهل الصف الاول يا ايها الذين آمنوا
تحقيقا انتم اهبطوا عن ممالك القرب الى مهالك البعد ومن رياض الانس الى سباخ الانس اذا قمتم عن نوم الغفلة
وانتبهتم من رقدة الفرقة الى الصلاة هى معراجكم للرجوع الى مقام قربكم كما قال واسجد واقترب فاغسلوا
وجوهكم التى توجهتم بها الى الدنيا ولطختموها بالنظر الى الاغيار بماء التوبة والاستغفار وايديكم الى المرافق
اى واغسلوا ايديكم عن التمسك بالدارين والتعلق بما فى الكونين حتى الصديق الموافق والرفيق المرافق وامسحوا
برؤسكم ببذل نفوسكم وارجلكم الى الكعبين اى واغسلوا ارجلكم عن طين طينتكم والقيام بانانيتكم كذا
فى التأويلات النجمية (قال الحافظ) من همان دم كه وضو ساختم از چشمهٔ عشق * چار تكبير زدم

بكسره برهرجه كه هست (وان كنتم جنبا فاطهروا) اى فتطهروا وادغمت تاء التفعل فى الطاء لقرب مخرجهما
واجتلبت همزة وصل ليمكن الابتداء وقيل اطهروا وهذا التطهر عبارة عن الاغتسال والاطهار هو التطهر
بالتكلف والمبالغة فلا يكون الا بغسل جميع ظاهر البدن حتى لو بقى العجين بين اظفاره ويبس لم يجز غسله لان
الماء لا يصل تحته ولو بقى الدرن جاز الا ان ما تعذر ايصال الماء اليه كداخل العين ساقط بخلاف باطن الانف والفم
حيث يمكن غسلهما ولا ضرر فيه فيجب والدلك ليس بفرض لانه متمم فيكون مستحبا وليس البدن كالثوب
لان النجاسة تخللت فيه دون البدن ففرض الغسل غسل الفم والانف وسائر البدن وسنته غسل يديه لكونهما
آلة التطهر وفرجه لانه مظنة النجاسة ونجاسة حقيقية ان كانت على سائر بدنه لئلا تتلاشى عند اصابة
الماء والوضوء وضوءه للصلاة الا انه يؤخر غسل رجليه الى ما بعد صب الماء على جميع بدنه ان كانتا فى مستنقع
الماء تحرزا عن الماء المستعمل وتثليث الغسل المستوعب هكذا حكى غسل رسول الله ويبتدئ بمنكبه
الايمن ثم الايسر ثم الرأس فى الاصح وليس على المرأة نقض ضفيرتها ولا بلها ان بل اصلها لان كون الشعر من
البدن باعتبار اصوله فيكتفى ببل اصوله فيما فيه حرج وفيما لا حرج فيه يجب ايصال الماء الى جميعه كالضفيرة
المفتولة وحكم المنقوضة ليس كذلك بل يجب ايصال الماء الى جميعها لعدم الحرج فيها والرجل يجب عليه
ايصال الماء الى جميع شعره والفرق ان حلق الشعر للمرأة مثلة دون الرجل والحرج مندفع عنه بغير الضفيرة
وادنى ما يكفى من الماء فى الغسل صاع وفى الوضوء مد والصاع ثمانية ارطال والمد رطلان لما روى ان النبى عليه
السلام كان يغتسل بالصاع ويتوضأ بالمد ثم اختلفوا هل المد من الصاع او من غيره فهذا ليس بتقدير لازم حتى
لو اسبغ الوضوء والغسل بدون ذلك جاز ولو اغتسل باكثر منه جاز ما لم يسرف فهو المكروه كذا فى الاختيار
شرح المختار والجنب الصحيح فى المصر اذا خاف الهلاك من الاغتسال جاز له التيمم فى قولهم واما المحدث
فى المصر اذا خاف الهلاك من التوضئ اختلفوا فيه على قول ابى حنيفة رحمه الله والصحيح انه لا يباح له التيمم كذا
فى فتاوى قاضى خان والمرأة اذا وجب عليها الغسل ولم تجد سترة من الرجال تؤخره والرجل اذا لم يجد سترة من
الرجال لا يؤخره ويغتسل وفى الاستنجاء اذا لم يجد سترة يتركه والفرق ان النجاسة الحكمية اقوى والمرأة بين النساء
كالرجل بين الرجال كذا فى الاشباه وفى الحديث ثلاثة لا تقربهم الملائكة جيفة الكافر والمتضمخ بالخلوف
والجنب الا ان يتوضأ وفى الحديث لا ينقع بول فى طست فى البيت فان الملائكة لا تدخل بيتا فيه بول منتقع
ولا تبولن فى مغتسلك وفى الاغتسال منافع بدنية وفوائد دينية منها فيه مخالفة الكفار فانهم لا يغتسلون وازالة
الدنس والابخرة الرديئة النفسانية التى تورث بعض الامراض وتسكين حرارة الشهوات الطبيعية قال الشيخ
النيسابورى فى كتاب اللطائف فوائد الطهارة عشر طهارة الفؤاد وهو صرفه عما سوى الله تعالى وطهارة
السر المشاهدة وطهارة الصدر الرجاء والقناعة وطهارة الروح الحياء والهيبة وطهارة البطن اكل الحلال
والعفة عن اكل الحرام والشبهات وطهارة البدن ترك الشهوات وازالة الادناس وطهارة اليدين الورع
والاجتهاد وطهارة اللسان الذكر والاستغفار قال الثعلبى فى تفسير هذه الاية قال على رضى الله عنه اقبل
عشرة من احبار اليهود فقالوا يا محمد لماذا امر الله بالغسل من الجنابة ولم يأمر من البول والغائط وهما اقذر
من النطفة فقال صلى الله عليه وسلم ان آدم لما اكل من الشجرة تحول فى عروقه وشعره فاذا جامع الانسان نزل
من اصل كل شعرة فافترضه الله على وعلى امتى تطهيرا وتكفيرا وشكرا لما انعم الله عليهم من اللذة التى يصيبونها
قال فى بدائع الصنائع فى احكام الشرائع انما وجب غسل جميع البدن بخروج المنى ولم يجب بخروج البول
والغائط وانما وجب غسل الاعضاء المخصوصة لا غير لوجوه احدها ان قضاء الشهوة بانزال المنى استمتاع بنعمة
يظهر اثرها فى جميع البدن وهى اللذة فامر بغسل جميع البدن شكرا لهذه النعمة وهذا لا يتقدر فى البول
والغائط والثانى ان الجنابة تأخذ جميع البدن ظاهره وباطنه لان الوطئ الذى هو سببها لا يكون الا باستعمال
جميع ما فى البدن من القوة حتى يضعف الانسان بالاكثار منه ويقوى بالامتناع عنه واذا اخذت الجنابة جميع
البدن الظاهر والباطن بقدر الامكان ولا كذلك الحدث فانه لا يأخذ الا الظاهر من الاطراف لان سببه يكون
بظواهر الاطراف من الاكل والشرب ولا يكون باستعمال جميع البدن فاوجب غسل ظاهر الاطراف لا سائر
البدن والثالث ان غسل الكل او البعض وجب وسيلة الى الصلاة التى هى خدمة الرب سبحانه والقيام بين يديه

وتعظيمه

وتعظيمه فيجب ان يكون المصلى على اطهر الاحوال وانظفها ليكون اقرب الى التعظيم واكمل فى الخدمة وكمال
تعظيم النظافة يحصل بغسل جميع البدن وهذا هو العزيمة فى الحدث ايضا الا ان ذلك مما يكثر وجوده فاكتفى
منه باكثر النظافة وهى تنقية الاطراف التى تنكشف كثيرا ويقع عليها الابصار ابدا واقيم ذلك مقام غسل
كل البدن دفعا للحرج وتيسيرا وفضلا من الله ورحمة ولا حرج فى الجنابة لانها لا تكثر فبقى الامر فيها على العزيمة
انتهى كلام البدائع هذا غسل الحى واما غسل الميت فشريعة ماضية لما روى ان آدم عليه السلام لما قبض
نزل جبريل بالملائكة وغسلوه وقالوا لاولاده هذه سنة موتاكم وفى الحديث للمسلم على المسلم ستة حقوق
ومن جملتها ان يغسله بعد موته ثم هو واجب عملا بكلمة على ولكن اذا قام به البعض سقط عن الباقين لحصول
المقصود واريد بالسنة فى حديث آدم الطريقة ولو تعين واحد لغسله لا يحل له اخذ الاجرة عليه وانما وجب
غسل الميت لانه تنجس بالموت كسائر الحيوانات الدموية الا انه يطهر بالغسل كرامة له ولو وجد ميت فى الماء
فلا بد من غسله لان الخطاب بالغسل توجه لبنى آدم ولم يوجد منهم فعل وقيل ان الميت اذا فارقته الروح وارتاح
من شدة النزع انزل فوجب على الاحياء غسله كذا فى حل الرموز وكشف الكنوز والفرق بين غسل
الميت والحى انه يستحب البداءة بغسل وجه الميت بخلاف الحى فانه يبدأ بغسل يديه ولا يمضمض ولا يستنشق
بخلاف الحى ولا يؤخر غسل رجليه بخلاف الحى ان كان فى مستنقع الماء ولا يمسح رأسه فى وضوء الغسل
بخلاف الحى فى رواية كذا فى الاشباه والاشارة فى الآية وان كنتم جنبا بالالتفات الى غيرنا فاطهروا بالنفوس
عن المعاصى وبالقلوب عن رؤية الطاعات وبالاسرار عن رؤية الاغيار وبالارواح عن الاسترواح من غيرنا وبسر
السر عن لوث الوجود فلا بد من الطهارة مطلقا (قال الحافظ) جون طهارت نبود كعبه وبتخانه يكيست *
نبود خير دران خانه كه عصمت نبود * وفى وجوب الغسل اشارة وتنبيه الى وجوب الغسل الحقيقى
لوجود القلب والروح ولتلوثه بحب الدنيا وشهواتها فيجب غسلها بماء التوبة والندامة والاخلاص فهو
اوجب الواجبات وآكدها واستقصاء اهل الله فى تطهير الباطن اكثر واشد من استقصائهم فى طهارة الظاهر
وقد يكون فى بعض متصوفة الزمان تشدد فى الطهارة كالوسواس يخرج ثوبه ولا يبالى بما فى باطنه من الغل
وسائر الصفات الذميمة (قال السعدى قدس سره) كراجامه پاكست وسيرت پليد * در دوزخش را نبايد كليد *
والقرآن لا يمسه الا المطهرون (وان كنتم مرضى) مرضا يخاف منه الهلاك او ازدياده باستعمال الماء
(او) كنتم مستقرين (على سفر) طال او قصر (او جاء احد منكم من الغائط) هو المكان الغائر المطمئن والمجيء
منه كناية عن الحدث لان المعتاد ان من يريده يذهب اليه ليوارى شخصه من اعين الناس (او لامستم النساء)
ملامسة النساء مماسة بشرة الرجل بشرة المرأة وهى كناية عن الجماع ومثل هذه الكناية من الآداب القرآنية
اذ التصريح مستهجن (فلم تجدوا ماء) المراد من عدم وجدان الماء عدم التمكن من استعماله لان ما لا يمكن
من استعماله كالمفقود (فتيمموا صعيدا طيبا) اى فتعمدوا شيأ من وجه الارض طاهرا فالصعيد هو وجه
الارض ترابا او غيره سمى صعيدا لكونه صاعدا طاهرا والطيب بمعنى الطاهر سواء كان منبتا او لا حتى لو فرضنا
صخرا لا تراب عليه فضرب المتيمم يده عليه ومسح كان ذلك كافيا عند ابى حنيفة رحمه الله (فامسحوا بوجوهكم
وايديكم منه) اى من ذلك الصعيد اى الى المرفقين لما روى انه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه
ولانه بدل من الوضوء فيقدر بقدره والباء مزيدة ومن لابتداء الغاية والمعنى فانقلوا بعد وضعهما على الصعيد
الى الوجوه والايدى من غير ان يتخللها ما يوجب الفصل (ما يريد الله) بالامر بالطهارة للصلاة او الامر بالتيمم
(ليجعل عليكم من حرج) اى تضييقا عليكم فى الدين (ولكن يريد ليطهركم) اى لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب
فان الوضوء مكفر لها كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل قام الى وضوئه يريد الصلاة ثم غسل
كفيه نزلت خطيئة كفيه مع اول قطرة فاذا تمضمض نزلت خطيئة لسانه وشفتيه مع اول قطرة واذا غسل
وجهه ويديه الى المرفقين ورجليه الى الكعبين سلم من كل ذنب هو عليه وكان كيوم ولدته امه او ليطهركم بالتراب
اذا اعوزكم التطهير بالماء (وليتم) بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم (نعمته عليكم) فى الدين او ليتم
برخصته انعامه عليكم بعزائمه والرخصة ما شرع بناء على الاعذار والعزيمة ما شرع اصالة (لعلكم تشكرون)
نعمته واعلم ان المقصود من طهارة الثوب وهو القشر الخارج البعيد ومن طهارة البدن وهو القشر القريب

طهارة القلب وهو لب الباطن وطهارة القلب عن نجاسات الاخلاق اهم الطهارات ولكن لا يبعد ان يكون لطهارة الظاهر ايضا تأثير فى اشراق نورها على القلب فاذا اسبغت الوضوء واستشعرت نظافة ظاهرك صادفت فى قلبك انشراحا وصفاء كنت لا تصادفه قبله وذلك لسر العلاقة التى بين عالم الملك وعالم الملكوت فان ظاهر البدن من عالم الشهادة والقلب من عالم الملكوت وكما ينحدر من معارف القلب آثار الى الجوارح فكذلك قد يرتفع من احوال الجوارح التى هى من عالم الشهادة آثار الى القلب ولذلك امر الله بالصلاة مع انها حركات الجوارح التى من عالم الشهادة ولذلك جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدنيا ومن الدنيا فقال حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة ولا يستبعد ان يفيض من الطهارة الظاهرة اثر على الباطن وان اردت لذلك دليلا من الشرع فتفكر فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس بخمس اذا اكل الربا كان الخسف والزلزلة واذا جار الحكام قحط المطر واذا ظهر الزنى كثر الموت واذا منعت الزكاة هلكت الماشية واذا تعدى على اهل الذمة كانت الدولة لهم وان كنت تطلب لهذا مثلا من المحسوسات ايضا فانظر الى ما يفيض الله من النور بواسطة المرءآة المحاذية للشمس على بعض الاجسام المحاذية للمرءآة وبالجملة ان الله تعالى جعل الوضوء والتيمم من اسباب الطهارة فلا بد من الاجتهاد فى تحصيل الطهارة مطلقا وان كان التوفيق من الله تعالى (كما قال الحافظ) فيض ازل بزور زرار آمدى بدست * آب خضر نصيبهٔ اسكندر آمدى * والاشارة فى الآية وان كنتم مرضى بمرض حب الدنيا او على سفر فى متابعة الهوى او جاء احد منكم من الغائط فى قضاء حاجة شهوة من الشهوات او لامستم النساء وهى الدنيا فى تحصيل لذة من اللذات فلم تجدوا ماء التوبة والاستغفار فتيمموا صعيدا طيبا فتمعكوا فى تراب اقدام الكرام فانه طهور للذنوب العظام وامسحوا بوجوهكم من تراب اقدامهم وشمروا الخدمتهم وايديكم لان فيه شفاء لقساوة القلوب ودواء لمرض الذنوب ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج بهذه الذلة والصغار ولكن يريد ليطهركم من الذنوب الكبار واكبر الكبائر الشرك بالله واعظم الشركاء الوجود مع وجود المعبود وهذا ذنب لا يغفر الا بالتمرغ فى هذا التراب ولوث لم يطهر الا بالالتجاء الى هذه الابواب وليتم نعمته عليكم بعد ذوبان نحاس انانيتكم بنار تصرفات هممهم العالية بطرح اكسير انوار الهوية لعلكم تشكرون اذ تهتدون بانوار الهوية الى رؤية انوار النعمة كذا فى التأويلات النجمية (واذكروا نعمة الله عليكم) بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم فى شكره فان قيل ذكر نعمة الاسلام مشعر بسبق النسيان وكيف يعقل من المسلم ان ينساها مع اشتغاله باقامة وظائف الاسلام على التوالى والدوام قلنا المواظبة على وظائف الشئ تنزل منزلة الامر الطبيعى المعتاد فينسى كونها نعمة آلهية فتكون اقامة وظائفه اتباعا لمقتضى الطبيعة فلا تكون عبادة وانما تكون شكرا لو وقع اتباعا للامر (وميثاقه الذى واثقكم به) اى عهده المؤكد الذى اخذه عليكم وقوله تعالى (اذ قلتم سمعنا واطعنا) ظرف لواثقكم به وفائدة التقييد به تأكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذى اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى حال اليسر والعسر والمنشط والمكره (واتقوا الله) فى نسيان نعمته ونقض ميثاقه (ان الله عليم بذات الصدور) اى بخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لاطلاق الصاحب عليها فيجازيكم عليها فما ظنكم بجليات الاعمال واعلم ان اول النعم التى انعم الله بها على المؤمنين اخراجهم من ظلمة العدم الى نور الوجود قبل كل موجود وخلقهم فى احسن تقويم لقبول الدين القويم وهدايتهم الى الصراط المستقيم واسماع ألست بربكم وجواب بلى وتوفيقهم للسمع والطاعة ولو لم تكن نعمة التوفيق لقالوا سمعنا وعصينا كما قال اهل الخذلان والعصيان وعن عبد الرحمن ابن عوف بن مالك الاشجعى قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقالوا الا تبايعون رسول الله وكنا حديث عهد ببيعته فقلنا قد بايعناك يا رسول الله قال الا تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلى م نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتصلوا الصلوات الخمس وتطيعوا اوامره جلية وخفية ولا تسألوا الناس فلقد رأيت بعض اولئك النفر يسقط سوط احدهم فما يسأل احدا يناوله اياه حتى يكون هو ينزل فيأخذه وعن ابى ذر رضى الله عنه قال بايعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا واوثقنى سبعا واشهد الله على سبعا ان لا اخاف فى الله لومة لائم وعنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم

اوصيك بتقوى الله بسر امرك وعلانيتك واذا اسأت فاحسن ولا تسألن احدا شيأ وان سقط سوطك ولا تقبض امانة (قال الحافظ الشيرازى) وفا وعهد نكو باشد ار بياموزى * وكرنه هركه تو بينى ستمكرى داند * اللهم اجعلنا من الموفين بعهودهم آمين (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله) مقيمين لاوامره ومتمسكين بها معظمين لها مراعين لحقوقها (شهداء بالقسط) اى بالعدل خبر بعد خبر (ولا يجرمنكم) اى ولا يحملنكم (شنآن قوم) اى شدة بغضكم للمشركين (على ان لا تعدلوا) اى على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما فى قلوبكم (اعدلوا هو) اى العدل (اقرب للتقوى) التى امرتم بها واذا كان وجوب العدل فى حق الكفار بهذه المثابة فما ظنك بوجوبه فى حق المسلمين (واتقوا الله) فانه ملاك الامر وزاد سفر الآخرة (ان الله خبير بما تعملون) من الاعمال فيجازيكم بذلك وحيث كان مضمون هذه الجملة التعليلية منبئا عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقيل (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) التى من جملتها العدل والتقوى والمفعول الثانى لوعد محذوف وهو الجنة كما صرح به فى غير هذا الموضع (لهم مغفرة) لذنوبهم (واجر عظيم) اى ثواب عظيم فى الجنة وهذه الجملة مفسرة لذلك المحذوف تفسير السبب للمسبب فان الجنة مسببة عن المغفرة وحصول الاجر فلا محل لها من الاعراب (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) التى من جملتها ما تليت من النصوص الناطقة بالامر بالعدل والتقوى (اولئك) الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب الآيات (اصحاب الجحيم) ملابسوها ملابسة مؤبدة وفيه مزيد وعد للمؤمنين لان الوعيد اللاحق باعدائهم مما يشفى صدورهم ويذهب ما كان يجدونه من اذاهم فان الانسان يفرح بان يهدد اعداؤه واعلم ان الله تعالى صرح للمؤمنين الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى لكون الحامل عليه البغض والشنآن فعلى المؤمن العدل فى حق الاولياء والاعداء خصوصا فى حق نفسك واهلك واولادك لما ورد كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ووجد فى سرير انوشروان مكتوبا الملك لا يكون الا بالامارة والامارة لا تكون الا بالرجال ولا تكون الرجال الا بالاموال ولا تكون الاموال الا بالعمارة ولا تكون العمارة الا بالعدل بين الرعايا والسلطان شريك رعاياه فى كل خير عملوه (قال الحافظ) شاه را به بود از طاعت صد ساله وزهد * قدر يك ساعته عمرى كه درو داد كند * وفى ترجمة وصايا الفتوحات لمحمد بن واسع از اكابر دين است روزى بر بلال بن برده كه والى وقت بود در آمد واو در عيش بود وپيش او برف نهاده وبتنعم تمام نشسته محمد بن واسع را كفت يا ابا عبد الله اين خانهٔ ما را چون بينى كفت اين خانهٔ خوش است وليكن بهشت ازين خوشتر است وذكر آتش دوزخ از امثال اين غافل كرداند پرسيد كه چه ميكويى درباب قدر كفت درهمراز كان تو كه درين مقابر مدفونند فكرى بكن تا از قدر پرسيدن مشغول شوى كفت براى من دعا كن كفت دعاى من چه ميكنى ور بردركاه تو چندين مظلومند همه بر تو دعا ميكنند ودعاى ايشان پيشتر بالا ميرود ظلم مكن وبدعاى من حاجت نيست ومن كلمات بهلول لهرون حين قال له من انا قال انت الذى لو ظلم احد فى المشرق وانت فى المغرب سألك الله عن ذلك يوم القيامة فبكى هرون وفى عين المعانى العالم لا يدخل على الظلمة تحاميا عن الدعاء لهم بالبقاء فورد من دعا الظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله فى ارضه فلا بد من النصيحة وترك المداهنة وفى الحديث ما ترك الحق لعمر من صديق وقال الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر

لما ادمت النصح والتحقيقا * لم يتركالى فى الوجود صديقا

(قال السعدى) بكوى انچه دانى سخن سودمند * وكر هيچ كس را نيايد پسند * وبالجملة ان العدل من احسن الاخلاق وحكى ان انوشروان لما مات كان يطاف بتابوته فى جميع مملكته وينادى مناد من له علينا حق فليأت فلم يوجد احد فى ولايته له عليه حق من درهم ولذا اشتهر بالعدل اشتهار حاتم بالجود حتى صار العادل لقباله فلفظ العادل انما يطلق عليه لعدم جوره وظهور عدله لا لمجرد المدح والثناء عليه واما سلاطين الزمان فلظهور جورهم وعدم اتصافهم بالعدل منعوا عن اطلاق العادل عليهم اذ اطلاقه عليهم حينئذ انما يكون لمجرد المدح لهم والثناء عليهم فيكون كذبا وكفرا فجواز اطلاق العادل على الكافر المنصف وعدم جواز اطلاقه على المسلمين الجائرين ليس بالنظر الى متانة العدل بل ذلك ليس الا ان العدل والجور متناقضان

فلا يجتمعان قال فى زهرة الرياض اذا كان يوم القيامة ينصب لوآء الصدق لابى بكر رضى الله عنه وكل صديق
يكون تحت لوآئه ولوآء العدل لعمر وكل عادل يكون تحت لوآئه ولوآء السخاوة لعثمان رضى الله عنه وكل سخى
يكون تحت لوآئه ولوآء الشهدآء لعلى رضى الله عنه وكل شهيد يكون تحت لوآئه وكل فقيه تحت لوآء معاذ
ابن جبل وكل زاهد تحت لوآء ابى ذر وكل فقير تحت لوآء ابى الدردآء وكل مقرئ تحت لوآء ابى بن كعب وكل
مؤذن تحت لوآء بلال وكل مقتول ظلما تحت لوآء الحسين بن على فذلك قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم
الآية والعدل فى الحقيقة هو الوسط المحمود فى كل فعل وقول وخلق وهو المأمور به فى قوله تعالى فاستقم
كما امرت ولقد صار من نال اليه كالكبريت الاحمر والمسك الاذفر ومن الله الهداية والتوفيق آمين (يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم) متعلق بنعمة الله (اذهم قوم) ظرف لنفس النعمة اى اذكروا انعامه عليكم
فى وقت همهم وقصدهم (ان يبسطوا اليكم ايديهم) اى بان يبطشوا بكم بالقتل والاهلاك يقال بسط
اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه (فكف ايديهم عنكم) عطف على هم وهو النعمة التى اريد
تذكيرها وذكر الهم ايذان بوقوعها عند مزيد الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها اى
منع ايديهم ان يمدوا اليكم عقيب همهم بذلك لانه كفها عنكم بعد ما مدوها اليكم وفيه من الدلالة على
كمال النعمة من حيث انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذى قلما يعرى عنه الكف بعد المد ما لا
يخفى مكانه وذلك ما روى ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان فى غزوة ذى انمار
وهى غزوة ذات الرقاع وهى السابعة من مغازيه عليه السلام قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركون
الا كانوا قد اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلاة هى احب لهم من آبائهم وابنائهم يعنون صلاة العصر
وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فردهم الله تعالى بكيدهم بان انزل صلاة الخوف وقيل هو ما روى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بنى قريظة ومعه الشيخان وعلى رضى الله عنهم يستقرضهم لدية مسلمين
قتلهما عمرو بن امية الضمرى خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك
ما سألت فاجلسوه فى صفة وهموا بالقتل به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله
تعالى يده ونزل جبريل فاخبر فخرج النبى عليه السلام وقيل هو ما روى انه صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق
اصحابه فى القضاء يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء اعرابى فاخذه وسله فقال
من يمنعك منى فقال عليه السلام الله فاسقطه جبريل عليه السلام من يده فاخذه الرسول عليه السلام فقال
من يمنعك منى فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله (واتقوا الله) عطف على اذكروا اى
اتقوه فى رعاية حقوق نعمته ولا تخلوا بشكرها (وعلى الله) اى عليه تعالى خاصة دون غيره استقلالا واشتراكا
(فليتوكل المؤمنون) فانه يكفيهم فى ايصال كل خير ودفع كل شر واعلم ان التوكل عبارة عن الاعتصام بالله
تعالى فى جميع الامور ومحله القلب والحركة بالظاهر لا تنافى توكل القلب بعد ما تحقق للعبد ان التقدير من قبل
الله فان تعسر شئ فبتقديره واعلى مراتب التوكل ان يكون بين يدى الله تعالى كالميت بين يدى الغاسل
تحركه القدرة الازلية وهو الذى قوى يقينه الا ترى الى ابراهيم عليه السلام لما هم نمرود وقومه ان يبسطوا
اليه ايديهم فرموه فى النار جاءه جبريل وهو فى الهوآء فقال الك حاجة قال اما اليك فلا وفاه بقوله حسبى الله
ونعم الوكيل وانظر الى حقيقة توكل النبى عليه السلام حيث كف الله عنه وعن اصحابه ايدى المشركين
رأسا فلم يقدروا ان يتعرضوا له بل ابتلوا فى اغلب الاحوال بما لا يخطر ببالهم من البلايا جزآء لهم على همهم
السوء (وفى المثنوى) قصهٔ عاد وثمود از بهر چيست * تا بدانى كه انبيا را نازكيست * فالتوكل
من معالى درجات المقربين فعلى المؤمن ان يتحلى بالصفات الحميدة ويسير فى طريق الحق بسيرة حسنة ودخل
حكيم على رجل فرأى دارا منجدة وفرشا مبسوطة ورأى صاحبها خاليا من الفضائل فتنخع فبزق على وجهه
فقال ما هذا السفه ايها الحكيم فقال بل هو عين الحكمة لان البصاق لزق الى اخس ما كان فى الدار ولم ار
فى دارك اخس منك لخلوك عن الفضائل الباطنة فنبه بذلك على دناءته وقبحه لكونه مسترسلا فى لذاته
مستغرقا اوقاته لعمارة ظاهره (قال الحافظ رحمه الله) قلندران حقيقت بنيم جو نخرند * قباى اطلس
آنكس كه از هنر عاريست * ثم اعلم ان كل شئ بقضاء الله تعالى وان الله يختبر عباده بما اراد فعليهم ان يعتمدوا

عليه فى العسر واليسر والمنشط والمكره وعن ابى عثمان قال كان عيسى عليه السلام يصلى على رأس جبل فاتاه
ابليس فقال انت الذى تزعم ان كل شئ بقضاء قال نعم قال الق نفسك من الجبل وقل قدر على قال يا لعين الله يختبر
العباد وليس العباد يختبرون الله وما على العبد الا التوكل والشكر على الانعام ومن جملة انعام الله تعالى الاخراج
من ظلمة العدم الى نور الوجود بامر كن والله يعلم ان رجوع العباد الى العدم ليس بهم ولا اليهم كما لم يكن خروجهم
بهم فان خروجهم كان بجذبة امر كن فكذلك رجوعهم لا يكون الا بجذبة امر ارجعى فعليهم ان يكونوا واثقين
بكرم الله وفضله مسارعين فى طلب مرضاة الله جاهدين على وفق الاوامر والنواهى فى الله ليهديهم الى جذبات
عنايته ولطفه (ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرآئيل) اى بالله قد اخذ الله عهد طائفة اليهود والالتفات فى قوله
تعالى (وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) للجرى على سنن الكبرياء اولان البعث كان بواسطة موسى عليه السلام
كما سيأتى اى شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها اوكفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به
وقد روى ان النبى عليه السلام جعل للانصار ليلة العقبة اثنى عشر نقيبا وفائدة النقيب ان القوم اذا علموا
ان عليهم نقيبا كانوا اقرب الى الاستقامة والنقيب والعريف نظيران وقيل النقيب فوق العريف قال فى شرح
الشرعة العريف فعيل بمعنى مفعول وهو سيد القوم والقيم بامور الجماعة من القبيلة والمحلة يلى امورهم
ويتعرف الامير منه احوالهم وهو دون الرئيس والعرافة كالسيادة لفظا ومعنى وفى الحديث العرافة حق
ولا بد للناس من عرفاء ولكن العرفاء فى النار يعنى ان سيادة القوم جائزة فى الشرع لان بها ينتظم مصالح الناس
وقضاء اشغالهم فهى مصلحة ورفق للناس تدعو اليها الضرورة وقوله ولكن العرفاء فى النار اى اكثرهم فيها
اذ المجتنب عن الظلم منهم يستحق الثواب لكن لما كان الغالب منهم خلاف ذلك اجراه مجرى الكل كذا فى شرح
المصابيح (قال السعدى) رياست بدست كسانى خطاست * كه از دستشان دستها برهواست *
مكن تا توانى دل خلق ريش * وگر ميكنى ميكنى بيخ خويش * نماند ستمكار بد روزگار *
بماند بر ولعنت پايدار * مهاز ورمندى مكن بر كهان * كه بر يك نمط مى نماند جهان *
دل دوستان جمع بهتر كه گنج * خزينه تهى به كه مردم برنج * بقومى كه نيكى پسندد خداى *
دهد خسرو عادل نيك راى * چو خواهد كه ويران كند عالمى * كند ملك در پنجهٔ ظالمى (وقال الله)
اى لبنى اسرآئيل فقط اذهم المحتاجون الى الترغيب والترهيب (انى معكم) اى بالعلم والقدرة والنصرة اسمع
كلامكم وارى اعمالكم واعلم ضمائركم فاجازيكم بذلك وتم الكلام هنا ثم ابتدأ بالجملة الشرطية فقال مخاطبا
لبنى اسرآئيل ايضا (لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى) اى بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف
(وعزرتموهم) اى نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب وهو المنع والدفع ومنه التعزير ومن نصر انسانا فقد ذب
عنه عدوه يقال عزرت فلانا اى فعلت به ما يرده عن القبيح ويمنعه عنه (واقرضتم الله) بالانفاق فى سبيل الخير
او بالتصدق بالصدقات المندوبة فظهر الفرق بين هذا الاقراض وبين اخراج الزكاة فانها واجبة (قرضا حسنا)
وهو ان يكون من حلال المال وخياره برغبة واخلاص لا يشوبه رياء ولا سمعة ولا يكدره من ولا اذى
وانتصابه يحتمل ان يكون على المصدرية لانه اسم مصدر بمعنى اقراضا كما فى انبتها نباتا حسنا بمعنى انباتا ويحتمل
ان يكون على المفعولية على انه اسم للمال المقرض (لاكفرن عنكم سيئاتكم) جواب للقسم المدلول عليه باللام
ساد مسد جواب الشرط (ولادخلنكم جنات) اى بساتين (تجرى من تحتها) اى من تحت اشجارها ومساكنها
(الانهار) الاربعة واخره لضرورة تقدم التخلية على التحلية (فمن كفر) اى برسلى وبشئ مما عدد فى حيز الشرط
والفاء لترتيب بيان حكم من كفر على بيان حكم من آمن تقوية للترغيب والترهيب (بعد ذلك) الشرط
المؤكد المعلق به الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا (منكم) متعلق بمضمر وقع حالا من فاعل كفر (فقد ضل
سوآء السبيل) اى وسط الطريق الواضح ضلالا بينا واخطأ خطأ فاحشا لا عذر معه اصلا بخلاف من كفر
قبل ذلك اذ ربما يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة روى ان بنى اسرآئيل لما استقروا بمصر بعد مهلك
فرعون امرهم الله تعالى بالمسير الى اريحا من ارض الشام وهى الارض المقدسة وكانت لها الف قرية فى كل
قرية الف بستان وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم انى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها
وجاهدوا من فيها وانى ناصركم وامر موسى عليه السلام ان يأخذ من كل سبط نقيبا امينا يكون كفيلا على

قومه بالوفاء بما امر واية توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بنى اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم
فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها فرأوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة
فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم بما رأوا وقد نهاهم موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوقنا نقيب سبط
يهوذا ويوشع بن نون نقيب سبط افراهيم بن يوسف الصديق عليه السلام قيل لما توجه النقباء الى ارضهم
للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة الاف وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع وقد عاش ثلاثة
آلاف سنة وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها
ثم يأكله ويروى ان الماء طبق ما على الارض من جبل فى طوفان نوح وما جاوز ركبتى عوج وكانت امه عنق
احدى بنات آدم وكان مجلسها جريبا من الارض فلما لقى عوج النقباء وعلى رأسه حزمة حطب اخذ الاثنى
عشر نقيبا وجعلهم فى الحزمة فانطلق بهم الى امرأته وقال انظرى الى هؤلاء الذين يزعمون قتالنا فطرحهم
بين يديها وقال الا اطحنهم برجلى فقالت لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك وروى انه جعلهم
فى كمه واتى بهم الملك فنشرهم بين يديه فقال ارجعوا الى قومكم فاخبروهم بما رأيتم وكان لا يحمل عنقودا
من عنبهم الا خمسة انفس او اربعة بينهم فى خشبة ويدخل فى شطر رمانة اذا نزع حبها خمسة انفس فجعلوا
يتعرفون باحوالهم فلما رجعوا قال بعضهم لبعض انكم ان اخبرتم بنى اسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبى الله
ولكن اكتموه الا عن موسى وهرون فيكونان هما يريان رأيهما فاخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك
ثم انصرفوا الى موسى عليه السلام وكان معهم حبة من عنبهم وقر رجل فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم ينهى
سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأى الا كالب ويوشع وكان معسكر موسى فرسخا فى فرسخ فجاء عوج حتى نظر
اليهم ثم رجع الى جبل فقور منه صخرة عظيمة على قدر العسكر ثم حملها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث الله
الهدهد فقور من الصخرة وسطها المحاذى لرأسه فانثقبت فوقعت فى عنق عوج فطوقته فصرعته واقبل
موسى عليه السلام وطوله عشرة اذرع وكذا طول العصا فترامى فى السماء عشرة اذرع فما اصابت العصا الا كعبه
الا وهو مصروع فقتله قالوا فاقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى جذوا رأسه وهكذا سنة الله فيما اراد حيث
ينصر اولياءه بما لا يخطر ببالهم ولله فى كل فعله حكمة تامة ومصلحة شاملة واعلم ان الله تعالى كما جعل
فى امة موسى من النقباء المختارين المرجوع اليهم عند الضرورة اثنى عشر كذلك جعل من كمال عنايته فى هذه
الامة من النجباء البدلاء واعزة الاولياء اربعين رجلا فى كل حال وزمان كما قال النبى عليه السلام يكون
فى الامة اربعون على خلق ابراهيم وسبعة على خلق عيسى وواحد على خلقى فهم على مراتب درجاتهم
ومناصب مقاماتهم امنة هذه الامة كما قال عليه السلام بهم ترزقون وبهم تمطرون وبهم يدفع الله البلاء قال
ابو عثمان المغربى البدلاء اربعون والامناء سبعة والخلفاء من الائمة ثلاثة والواحد هو القطب عارف بهم جميعا
ومشرف عليهم ولا يعرفه احد ولا يشرف عليه وهو امام الاولياء الثلاثة الذين هم الخلفاء من الائمة وهو
يعرفهم وهم لا يعرفونه والخلفاء الثلاثة يعرفون السبعة الذين هم الامناء ولا يعرفهم اولئك السبعة والسبعة
يعرفون الاربعين الذين هم البدلاء ولا يعرفهم البدلاء الاربعون وهم يعرفون سائر الاولياء من الامة
ولا يعرفهم من الاولياء احد فاذا نقص من الاربعين واحد بدل مكانه واحد من الاولياء واذا نقص من السبعة
واحد جعل مكانه واحد من الاربعين واذا نقص من الثلاثة واحد جعل مكانه واحد من السبعة واذا مضى
القطب الذى هو الواحد فى العدد وبه قوام اعداد الخلق جعل بدله واحد من الثلاثة هكذا الى ان يأذن الله تعالى
فى قيام الساعة كما فى التأويلات النجمية وقال الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر القطب يحفظ المركز والامام
الايمن يحفظ عالم الارواح والامام الايسر يحفظ عالم الاجساد والاوتاد الاربعة يحفظون الشرق والغرب
والجنوب والشمال والابدال السبعة يحفظون اقاليم الكرة علوا وسفلا انتهى كلامه فى كتاب العظمة ويقول الفقير
جامع هذه المجالس اللطائف سمعت من حضرة شيخى وسندى بمنزلة روحى فى جسدى ان قطب الوجود
اذا انتقل الى الدار الآخرة يكون خليفته فى الجانب الايسر من الافراد دون الجانب الايمن وذلك لان يسار
الامام يمين ويمينه يسار حين الاستقبال الى القوم واليه الاشارة بقوله تعالى واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة
واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة فان لفظة ما عند اهل التحقيق نافية واهل اليسار اهل الجلال والفناء

واهل اليمين اهل الجمال والبقاء فافهم هذا السر البديع وكن ممن القى سمعه وهو شهيد فان المنكر الغافل طريد
عن الحق بعيد * بسر وقت شان خلق كى ره برند * كه چون آب حيوان بظلمت درند (قال الصائب)
سخن عشق بانحرد كفتن * برلب مرده نيشتر زدنست * ثم تحقيق قوله تعالى لئن اقمتم الصلاة ان اقامة
الصلاة فى ادامتها بان تجعل الصلاة معراجك الى الحق وتديم العروج بدرجاتها الى ان تشاهد الحق كما شاهدت
يوم الميثاق ودرجاتها اربع القيام والركوع والسجود والتشهد على حسب دركات نزلت بها من اعلى عليين
وجوار رب العالمين الى اسفل السافلين القالب وهى العناصر الاربعة التى خلق منها قالب الانسان
فالمتولدات منها على اربعة اقسام ولكل قسم منها ظلمة وخاصية تحجبك عن مشاهدة الحق وهى الجمادية
وخاصيتها التشهد ثم النباتية وخاصيتها السجود ثم الحيوانية وخاصيتها الركوع ثم الانسانية وخاصيتها القيام يشير
اليك بالتخلص عن حجب اوصاف الانسانية واعظمها الكبر وهو من خاصية النار والركوع يشير اليك بالتخلص
عن حجب صفات الحيوانية واعظمها الشهوة وهى من خاصية الهواء والسجود يشير اليك بالتخلص عن حجب
طبع النباتية واعظمها الحرص على الجذب للشئ والنمو وهو من خاصية الماء والتشهد يشير اليك بالتخلص عن حجب
طبع الجمادية واعظمها الجمودية وهى من خاصية التراب ومن هذه الصفات الاربع تنشأ بقية صفات البشرية
فاذا تخلصت عن هذه الدركات والحجب ورجعت بهذه المدارج الاربعة الى جوار رب العالمين وقربه فقد اقمت
الصلاة مناجيا ربك مشاهدا له كما قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله كانك تراه كذا فى التأويلات النجمية (فبما
نقضهم ميثاقهم) اى فبسبب نقض اليهود عهدهم وهو انهم كذبوا الرسل بعد موسى وقتلوا الانبياء ونبذوا
الكتاب وضيعوا فرائضه وما مزيدة لتأكيد الكلام وتمكينه فى النفس (لعناهم) اى طردناهم وابعدناهم من
رحمتنا او مسخناهم قردة وخنازير او اذللناهم بضرب الجزية عليهم (وجعلنا قلوبهم قاسية) اى غليظة شديدة
بحيث لا تتأثر من الآيات والنذر وحجر قاسى اى صلب غير لين (يحرفون الكلم عن مواضعه) استئناف لبيان
قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه والمراد بالتحريف اما تبديلهم نعت النبى صلى
الله عليه وسلم واما تبديلهم بسوء التأويل وقد سبق فى سورة البقرة (ونسوا حظا) اى وتركوا نصيبا وافرا (مما
ذكروا به) من التوراة او من اتباع محمد عليه السلام والمعنى انهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما انزل عليهم
فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فتركت بشؤمه اشياء منها عن حفظهم لما روى عن ابن مسعود رضى الله
عنه قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية وروى ان الله تعالى غير العلم على امية بن ابى الصلت
وكان من بلغاء الشعراء كان نائما فاتاه طائر وادخل منقاره فى فيه فلما استيقظ نسى جميع علومه (قال
الحافظ) نه من زبى عملى در جهان ملولم وبس * ملالت علما هم زعلم بى عملست * واعلم ان العلماء
العاملين والمشايخ الواصلين لا يزالون يذكرون الناس كل عصر يوم الميثاق ومخاطبة الحق اياهم تشويقا لهم
الى تلك الاحوال فمن سامع ومن معرض فالسامع لكونه معرضا عن الدنيا والعقبى وصل الى جوار المولى
فكان مقبولا مرحوما والمعرض لكونه مقبلا على ما سوى المولى لم ينل شيأ فكان مردودا ملعونا لانه نقض
عهده مع الله سبحانه وتعالى (وفى المثنوى) بى وفايى چون سكانرا عار بود * بى وفايى چون روا دارى نمود * حق
تعالى فخر آورد از وفا * كفت من اوفى بعهد غيرنا (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) اى خيانة على انها مصدر
كاللاغية والكاذبة قال الله تعالى لا تسمع فيها لاغية اى لغوا والمعنى ان الغدر والخيانة عادة مستمرة لهم
ولاسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها او يكتمونها فلا تزال ترى ذلك منهم (الا قليلا منهم) لم يخونوا وهم الذين
آمنوا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وهو استثناء من الضمير المجرور فى منهم (فاعف عنهم واصفح) اى اعرض
عنهم ولا تتعرض لهم بالمعاقبة والمؤاخذة ان تابوا او آمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية
السيف وهو قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر (ان الله يحب المحسنين) تعليل للامر
بالصفح وحث على الامتثال وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره (قال
السعدى) عدو را بالطاف كردن به بند * كه نتوان بريدن بتيغ وكمند * چو دشمن كرم بيند ولطف وجود *
نيايد دكر خبث ازو در وجود * وكر خواجه با دشمنان نيك خوست * بسى برنيايد كه كردند دوست * وكان
عليه السلام محسنا له مكارم اخلاق يضيق نطاق بيان الواصفين عنها (ومن حكايات المولوى فى المثنوى)

كافران مهمان پیغمبر شدند * وقت شام ایشان بمسجد آمدند * کفت ای یاران من قسمت کنید * که شما
پراز من وخوی منید * هر یکی یاری یکی مهمان کزید * درمیان یک زفت بود وبی ندید * جسم ضخمی
داشت کس اورا نبرد * ماند در مسجد چو اندر جامه درد * مصطفی بردش چو واماند از همه *
هفت شیر بز بد اندر رمه * که مقیم خانه بودندی بزان * بهر دوشیدن برای وقت خوان * نان وآش
وشیران هر هفت بز * خورد آن بوقحط عوج ابن غز * جمله اهل بیت خشم آلو شدند * که همه در شیر بز
طامع شدند * معده طبلی خوار همچون طبل کرد * قسم هجده آدمی تنها بخورد * وقت خفتن رفت
ودر حجره نشست * پس کنیزک از غضب در را ببست * از برون زنجیر در را در فکند * که ازو بد خشمکین
ودردمند * کبر را در نیم شب تا صبحدم * چون تقاضا آمد ودرد شکم * از فراش خویش سوی در شتافت
* دست بر در چون نهاد او بسته یافت * در کشادن حیله کردان حیله ساز * نوع نوع وخود نشد
آن بند باز * شد تقاضا بر تقاضا خانه تنک * ماند او حیران وبی درمان ودنک * حیله کرد او بخواب
اندر خزید * خویشتن در خواب ودر ویرانه دید * زانکه ویرانه بد اندر خاطرش * شد بخواب اندر همانجا
منظرش * خویش در ویرانهٔ خالی چو دید * او چنان محتاج واندر دم برید * کشت بیدار وبدید
آن جامه خواب * پر حدث دیوانه شد از اضطراب * کفت خوابم بدتر از بیداریم * که خورم آن
سو واین سو می ریم * بانک می زد وا ثبورا وا ثبور * همچنانکه کافر اندر قعر کور * منتظر که کی
شود این شب بسر * یا بر آید در کشادن بانک در * تا کریزد او چو تیری از کمان * تا نبیند هیچ کس
اورا چنان * مصطفی صبح آمد ودر را کشاد * صبح آن کمراه را او راه داد * جامه خواب پر حدث را
یک فضول * قاصدا آورد در پیش رسول * که چنین کردست مهمانت ببین * خنده زد رحمة
للعالمین * که بیار آن مطهره اینجا به پیش * تا بشویم جمله را با دست خویش * او بجد می شست
آن احداث را * خاص ز امر حق نه تقلید وریا * که دلش می کفت کین را تو بشو * که در اینجا هست
حکمت تو بتو * کافرک را هیکل بد یادکار * یاوه دید آنرا وکشت او بی قرار * کفت آن حجره که شب جا
داشتم * هیکل آنجا بی خبر بکذاشتم * که چه شرمین بود شرمش حرص برد * حرص اژدرهاست بی چیز نیست
خرد * از پی هیکل شتاب اندر دوید * در وثاق مصطفی وانرا بدید * کان ید الله آن حدث را هم بخود * خوش
همی شوید که دورش چشم بد * هیکلش از یاد رفت وشد پدید * اندرو شوری کریبان را درید * می زد او دو دست
را بر رو وسر * کله را میکوفت بر دیوار ودر * انچنانکه خون زبینی وسرش * شد روان ورحم کرد آن مهترش *
چون زحد بیرون بلرزید وطپید * مصطفی اش در کنار خود کشید * ساکنش کرد وبسی بنواختش * دیده اش
بکشاده داد اشناختش * آب بر روز در آمد در سخن * کی شهید حق شهادت عرضه کن * کشت مؤمن
کفت اورا مصطفی * کامشب هم باش وتو مهمان ما * کفت والله تا ابد ضیف توام * هر کجا باشم بهر
جا که روم * یا رسول الله رسالت را تمام * تو نمودی همچو شمع بی غمام (ومن الذین قالوا انا نصارى اخذنا
میثاقهم) ای واخذنا من النصارى میثاقهم کما اخذنا ممن قبلهم من الیهود ومن متعلقة باخذنا والتقدیم
للاهتمام وانما قال قالوا انا نصارى ولم یقل ومن النصارى تنبیها على انهم نصارى بتسمیتهم انفسهم بهذا الاسم
ادعاء لنصرة الله بقولهم لعیسى علیه السلام نحن انصار الله ولیسوا موصوفین بانهم نصارى بتوصیف الله
اياهم بذلك ومعنى اخذ المیثاق هو ما اخذ الله علیهم فی الانجیل من العهد المؤكد باتباع محمد صلى الله علیه وسلم
وبیان صفته ونعته (فنسوا حظا) ای ترکوا ونسیاوافرا (مما ذكروا به) فی تضاعیف المیثاق من الایمان
وما یتفرع علیه من افعال الخیر (فاغرینا) ای الزمنا والصقنا من غری بالشیء اذا لزمه ولصق به واغراه غیره
(بینهم) ظرف لاغرینا (العداوة) وهی تباعد القلوب والنیات (والبغضاء) ای البغض (الى یوم القیامة)
غایة للاغراء اوللعداوة والبغضاء ای یتعادون ویتباغضون الى یوم القیامة (وسوف ینبئهم الله) ای یخبرهم
فی الآخرة (بما كانوا یصنعون) وعید شدید بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن یتوعده سأخبرك بما فعلت ای
یجازیهم بما عملوا على الاستمرار من نقض المیثاق ونسیان الحظ الوافر مما ذكروا به وسوف لتأكید الوعید
والتعبیر عن العمل بالصنع للایذان برسوخهم فی ذلك قیل الذی القى العداوة بین النصارى رجل یقال له بولس

كان بینه وبین النصارى قتال فقتل منهم خلقا كثیرا فاراد ان یحتال بحیلة یلقی بها بینهم القتال فیقتل بعضهم
بعضا فجاء الى النصارى وجعل نفسه اعور وقال لهم الا تعرفوننی فقالوا انت الذی قتلت ما قتلت منا وفعلت
ما فعلت فقال قد فعلت ذلك كله والآن تبت لانی رأیت عیسى علیه السلام فی المنام نزل من السماء فلطم
وجهی لطمة فقأ عینی فقال ای شیء ترید من قومی فتبت على یده ثم جئتكم لاكون بین ظهرانیكم واعلمكم
شرائع دینكم كما علمنی عیسى علیه السلام فی المنام فاتخذوا له غرفة فصعد تلك الغرفة وفتح كوة الى الناس فی
الحائط وكان یتعبد فی الغرفة وربما كانوا یجتمعون الیه ویسألونه ویجیبهم من تلك الكوة وربما یأمرهم حتى
یجتمعوا وینادیهم من تلك الكوة ویقول لهم بقول كان فی الظاهر منكرا وینكرون علیه فكان یفسر ذلك
القول تفسیرا یعجبهم ذلك فانقادوا كلهم له وكانوا یقبلون قوله بما یأمرهم به فقال یوما من الایام اجتمعوا عندی
فقد حضرنی علم فاجتمعوا فقال لهم الیس خلق الله تعالى هذه الاشیاء فی الدنیا كلها لمنفعة بنی آدم قالوا نعم
فقال لم تحرمون على انفسكم هذه الاشیاء یعنی الخمر والخنزیر وقد خلق لكم ما فی الارض جمیعا فاخذوا قوله
فاستحلوا الخمر والخنزیر فلما مضى على ذلك ایام دعاهم وقال حضرنی علم فاجتمعوا فقال لهم من ای ناحیة
تطلع الشمس فقالوا من قبل المشرق ومن ای ناحیة یطلع القمر والنجوم فقالوا من قبل المشرق فقال ومن
یرسلهم من قبل المشرق قالوا الله تعالى فقال فاعلموا انه تعالى فی قبل المشرق فان صلیتم له فصلوا الیه فحول
صلاتهم الى المشرق فلما مضى على ذلك ایام دعا بطائفة منهم وامرهم بان یدخلوا علیه فی الغرفة وقال لهم انی
ارید ان اجعل نفسی اللیلة قربانا لاجل عیسى وقد حضرنی علم فارید ان اخبركم فی السر لتحفظوا عنی وتدعوا
الناس الى ذلك بعدی ویقال ایضا انه اصبح یوما وفتح عینه الاخرى ثم دعاهم وقال لهم جاءنی عیسى اللیلة وقال
قد رضیت عنك فمسح یده على عینی فبرئت الان ارید ان اجعل نفسی قربانا له ثم قال هل یستطیع احد ان
یحیی الموتى ویبرئ الاكمه والابرص الا الله تعالى فقالوا لا فقال ان عیسى قد فعل هذه الاشیاء فاعلموا انه هو الله
تعالى فخرجوا من عنده ثم دعا بطائفة اخرى فاخبرهم بذلك ایضا انه كان ابنه ثم دعا بطائفة ثالثة واخبرهم بذلك
ایضا وقال انه ثالث ثلاثة واخبرهم انه یرید ان یجعل نفسه اللیلة قربانا فلما كان بعض اللیالی خرج من بین
ظهرانیهم فاصبحوا وجعل كل فریق یقول قد علمنی كذا وكذا وقال الفریق الآخر انت كاذب بل علمنی كذا
وكذا فوقع بینهم القتال فاقتتلوا وقتلوا خلقا كثیرا وبقیت العداوة بینهم الى یوم القیامة وهم ثلاث فرق منهم
النسطوریة قالوا المسیح ابن الله والثانیة الملكانیة قالوا ان الله تعالى ثالث ثلاثة المسیح وامه والله والفرقة
الثالثة الیعقوبیة قالوا ان الله هو المسیح * در تصور ذات اورا كنج كو * تا در آید در تصور مثل او * كر بغایت
نیك وكر بد كفته اند * هرچه زو كفتند از خود كفته اند * می مكن چندین قیاس ای حق شناس * زانكه ناید
ذات بیچون در قیاس * فعلى المؤمن ان یلاحظ قوله تعالى وسوف ینبئهم الله بما كانوا یصنعون وان یشتغل بنفسه
عن غیره وفی الحدیث ما منكم من احد الا سیكلمه ربه لیس بینه وبینه ترجمان فینظر ایمن منه فلا یرى الا ما قدم
وینظر اشأم منه فلا یرى الا ما قدم فینظر بین یدیه فلا یرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة فمن
لم یجد فبكلمة طیبة یعنی من لم یجد شیأ یتقی به النار فلیتق منها بقول حسن یطیب به قلب المسلم فان الكلمة
الطیبة من الصدقات والاشارة فی الآیة ان الله تعالى اخذ المیثاق من الیهود والنصارى على التوحید كما اخذ
من هذه الامة یوم المیثاق ولكنه لما وكل الفریقین الى انفسهم نسوا ما ذكروا به فما بقی لهم حظ من ذلك المیثاق
بابطال الاستعداد الفطری لكمال الانسانیة فصاروا كالانعام بل هم اضل ای بل كالسباع یتحارشون
ویتناوشون بالعداوة والبغضاء الى یوم القیامة فان ارباب الغفلة لا الفة بینهم وان اصحاب الوفاق لا وحشة بینهم
واما هذه الامة لما ایدت بتأیید الاله اذ كتب فی قلوبهم الایمان بقلم خطاب الست بربكم یوم المیثاق وایدهم
بروح منه ما نسوا حظا مما ذكروا به وقیل لنبیهم علیه السلام وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنین وقال تعالى
خطابا لهم اذلم ینسوا حظهم ولم ینقضوا میثاقهم فاذكرونی اذكركم على ان ذكره اياهم كان قبل وجودهم
وذكرهم اياه حین ذكرهم المحبة وقال یحبهم ویحبونه كذا فی التأویلات النجمیة (یا اهل الكتاب) یعنی الیهود
والنصارى والكتاب جنس شامل للتوراة والانجیل (قد جاءكم رسولنا) الاضافة للتشریف والایذان
بوجوب اتباعه (یبین لكم) حال من رسولنا ای حال كونه مبینا لكم على التدریج حسبما تقتضیه المصلحة

(كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) اى كثيرا كائنا من الذى كنتم تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب
اى التوراة والانجيل الذى انتم اهله والمتمسكون به كنعت محمد عليه السلام وآية الرجم فى التوراة وبشارة
عيسى باحمد عليهما السلام فى الانجيل (ويعفوعن كثير) مما تخفونه اى لايظهره ولايخبره اذا لم يضطر اليه امر
دينى صيانة لكم عن زيادة الافتضاح (قدجاءكم من الله نور وكتاب مبين) المراد بالنور والكتاب هو القرءآن لما
فيه من كشف ظلمات الشرك والشك وابانة ماخفى على الناس من الحق اوالاعجاز الواضح والعطف المبنى على
تغاير الطرفين لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل المراد بالاول هو الرسول صلى الله عليه وسلم
وبالثانى القرءآن (يهدى به الله) وحد الضمير لان المراد بهما واحد بالذات اولانهما فى حكم الواحد فان
المقصود منهما دعوة الخلق الى الحق احدهما رسول الهى والآخر معجزته وبيان مايدعو اليه من الحق (من
اتبع رضوانه) اى رضاه بالايمان به (سبل السلام) اى طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب على ان
يكون السلام بمعنى السلامة كاللذاذ واللذاذة والرضاع والرضاعة اوسبيل الله تعالى وهو شريعته التى
شرعها للناس على ان يكون السلام هو الله تعالى وانتصاب سبل بنزع الخافض فان يهدى انما يتعدى الى
الثانى بالى اوباللام كما فى قوله تعالى ان هذا القرءآن يهدى للتى هى اقوم (ويخرجهم) الضمير لمن والجمع باعتبار
المعنى كما ان الافراد فى اتبع باعتبار اللفظ (من الظلمات) اى ظلمات فنون الكفر والضلال (الى النور) الى الايمان
وسمى الايمان نورا لان الانسان اذا آمن ابصر به طريق نجاته فطلبه وطريق هلاكه فحذره (باذنه) اى بتيسيره
وارادته (ويهديهم الى صراط مستقيم) اى طريق هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤدى اليه لامحالة وهذه
الهداية عين الهداية الى سبل السلام وانما عطف عليها تنزيلا للتغاير الوصفى منزلة التغاير الذاتى كما فى قوله تعالى
فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ واعلم ان الله تعالى بعث النبى
صلى الله عليه وسلم نورا يبين حقيقة حظ الانسان من الله تعالى وانه تعالى سمى نفسه نورا بقوله تعالى الله نور
السموات والارض لانهما كانتا مختفيتين فى ظلمة العدم فالله تعالى اظهرهما بالايجاد وسمى الرسول نورا لان
اول شئ اظهره الحق بنور قدرته من ظلمة العدم كان نور محمد صلى الله عليه وسلم كما قال اول ماخلق الله
نورى ثم خلق العالم بما فيه من نوره بعضه من بعض فلما ظهرت الموجودات من وجود نوره سماه نورا وكل
ما كان اقرب الى الاختراع كان اولى باسم النور كما ان عالم الارواح اقرب الى الاختراع من عالم الاجسام فلذلك
سمى عالم الانوار والعلويات نورانيات بالنسبة الى السفليات فاقرب الموجودات الى الاختراع لما كان نور النبى
عليه السلام كان اولى باسم النور ولهذا كان يقول انا من الله والمؤمنون منى وقال تعالى قدجاءكم من الله نور
وروى عن النبى عليه السلام انه قال كنت نورا بين يدى ربى قبل خلق آدم باربعة عشر الف عام وكان يسبح
ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم القى ذلك النور فى صلبه وعن ابن عباس رضى الله عنهما
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله آدم اهبطنى فى صلبه الى الارض وجعلنى فى صلب نوح
فى السفينة وقذفنى فى صلب ابراهيم ثم لم يزل تعالى ينقلنى من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى
اخرجنى بين ابوى لم يلتقيا على سفاح قط قال العرفى فى قصيدته النعتية * اين بس شرف كوهر تو منشى
تقدير * آن روز كه بكذاشتى اقليم قدم را * تاحكم نزول تودرين دار نوشته است * صدره بعبث
بازتراشيد قلم را * وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعترف
آدم بالخطيئة قال يارب اسألك بحق محمد ان تغفرلى فقال الله ياآدم كيف عرفت محمدا ولم اخلقه قال لانك لما
خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لااله الا الله محمد رسول الله
فعرفت انك لم تضف الى اسمك الا اسم احب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت ياآدم انه لاحب الخلق الى
فغفرت لك ولولا محمد لما خلقتك رواه البيهقى فى دلائله (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) لاغيركما
يقال الكرم هو التقوى نزلت فى نصارى نجران وهم اليعقوبية القائلون بانه تعالى قديحل فى بدن انسان
معين اوفى روحه (قل) يامحمد تبكيتا لهم ان كان الامر كما تزعمون (فمن) استفهامية انكارية (يملك) الملك
الضبط والحفظ التام عن حزم اى يمنع (من الله) اى من قدرته وارادته (شيأ) وحقيقته فمن يستطيع ان يمسك
شيأ منها (ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا) احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان

المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية وكيف يكون الها
من لايقدر على دفع الهلاك عن نفسه ولاعن غيره والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام مطلقا لابطريق السخط
والغضب ولعل نظم امه فى سلك من فرض على ارادة اهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك لتأكيد التبكيت
وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها انموذجا لحال بقية من فرض اهلاكه كأنه قيل قل فمن يملك من الله
شيأ ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض وقد اهلك امه فهل مانعه احد فكذا حال من عداهما من
الموجودين (ولله ملك السموات والارض ومابينهما) اى مابين قطرى العالم الجسمانى لابين وجه الارض ومقعر
فلك القمر فقط فيتناول مافى السموات من الملائكة ومافى اعماق الارض والبحار من المخلوقات وهو تنصيص كون
الكل تحت قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة الى كون البعض اى من فى الارض كذلك اى له تعالى وحده ملك
جميع الموجودات والتصرف المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة لالاحد سواه استقلالا ولااشتراكا
فهو تحقيق لاختصاص الالوهية به تعالى اثر بيان انتفائها عن كل ماسواه (يخلق مايشاء) اى يخلق مايشاء
من انواع الخلق والايجاد على ان ما نكرة موصوفة محلها النصب على المصدرية لاعلى المفعولية كأنه قيل يخلق
اى خلق يشاؤه فتارة يخلق من غير اصل كخلق السموات والارض واخرى من اصل كخلق مابينهما فينشئ من
اصل ليس من جنسه كخلق آدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء اوانثى
وحدها كخلق عيسى اومنهما كخلق سائر الناس ويخلق بلاتوسط شئ من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات
وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك
فينسب كل اليه تعالى لاالى من اجرى ذلك على يده (والله على كل شئ قدير) اعتراض تذييلى مقرر لمضمون
ماقبله (وفى المثنوى) دامن اوكير اى يار دلير * كومنزه باشد از بالا وزير * نى چو عيسى سوى كردون
برشود * نى چو قارون درزمين اندر رود * ربى الاعلاست درد ان مهان * رب ادنى درخوران
ابلهان * وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبى عليه السلام قال من شهد ان لااله الا الله وحده
لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة حق
والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من عمل وعن الحارث الاشعرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله تعالى اوحى الى يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات ان يعمل بهن ويأمر بنى
اسرائيل ان يعملوا بهن فكأنه ابطأ بهن فاتاه عيسى فقال ان الله امرك بخمس كلمات ان تعمل بهن وتأمر
بنى اسرائيل ان يعملوا بهن فاما ان تخبرهم واما ان اخبرهم فقال ياأخى لاتفعل فانى اخاف ان سبقتنى بهن ان
يخسف بى اواعذب قال فجمع بنى اسرائيل ببيت المقدس حتى امتلأ المسجد وقعدوا على الشرفات ثم خطبهم
فقال ان الله اوحى الى بخمس كلمات ان اعمل بهن وآمر بنى اسرائيل ان يعملوا بهن اولاهن ان لاتشركوا بالله
شيأ فان مثل من اشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب اوورق ثم اسكنه دارا فقال اعمل وارفع
الى فجعل يعمل ويرفع الى غير سيده فايكم يرضى ان يكون عبده كذلك فان الله خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به
شيأ واذا قمتم الى الصلاة فلا تلتفتوا فان الله يقبل بوجهه الى وجه عبده مالم يلتفت وآمركم بالصيام ومثل ذلك
كمثل رجل فى عصابة معه صرة من مسك كلهم يحب ان يجد ريحها وان الصيام عند الله اطيب من ريح المسك
وآمركم بالصدقة ومثل ذلك كمثل رجل اسره العدو فوثقوا يده الى عنقه وقربوه ليضربوا عنقه فجعل يقول
هل لكم ان افدى نفسى منكم فجعل يعطى القليل والكثير حتى فدى نفسه وآمركم بذكر الله كثيرا ومثل ذلك
كمثل رجل طلبه العدو سراعا فى اثره حتى اتى حصنا حصينا فاحرز نفسه فيه وكذلك العبد لاينجو من
الشيطان الذى هو اكبر الاعداء الابذكر الله (قال فى المثنوى) ذكر حق كن بانكه غولانرا بسوز * چشم
نركس را ازين كركس بدوز * ذكر حق پاكست چون پاكى رسيد * رخت بربندد برون آيد پليد
* مى كريزد ضدها از ضدها * شب كريزد چون برافروزد ضيا * چون درآيد نام پاك اندر دهان * نى
پليدى ماند ونى اندهان * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا آمركم بخمس الله امرنى بهن بالسمع
والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فانه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا ان
يراجع والربقة بكسر الراء وفتحها وسكون الباء الموحدة واحدة الربق وهى عرى فى حبل يشد به البهم وتستعار

لغيره (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه) اى قالت اليهود نحن اشياع ابنه عزير وقالت النصارى
نحن اشياع ابنه المسيح كما يقول اقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك او المعنى نحن من الله بمنزلة الابناء للآباء
وقربنا من الله كقرب الوالد لولده وحبنا اياه كحب الوالد لولده وغضب الله علينا كغضب الرجل على ولده والوالد
اذا سخط على ولده فى وقت يرضى عنه فى وقت آخر وبالجملة انهم كانوا يدعون ان لهم فضلا ومزية عند الله على
سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قل) الزاما لهم وتبكيتا (فلم يعذبكم بذنوبكم)
اى ان صح ما زعمتم فلاى شئ يعذبكم فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانه سيعذبكم فى الآخرة
اياما معدودة بعدد ايام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع
(بل) اى لستم كذلك (انتم بشر ممن خلق) اى من جنس ما خلق الله تعالى من غير مزية لكم عليهم (يغفر لمن
يشاء) ان يغفر له من اولئكم المخلوقين وهم الذين آمنوا بالله تعالى وبرسله (ويعذب من يشاء) ان يعذبه منهم
وهم الذين كفروا به تعالى وبرسله (ولله ملك السموات والارض وما بينهما) من الموجودات لا ينتمى اليه تعالى
شئ منها الا بالمملوكية والعبودية والكل تحت مملوكيته يتصرف فيه كيف يشاء ايجادا واعداما واماتة
واثابة وتعذيبا فانى لهم ادعاء ما زعموا (واليه المصير) فى الآخرة خاصة لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا
فيجازى كلا من المحسن والمسيء بما يستدعيه عمله من غير مانع يمنعه وليست المحبة بالدعوى بل لها علامات
ولله در من قال

تعصى الاله وانت تظهر حبه * هذا لعمرى فى الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

والله تعالى لا يحب من خالف شيأ من شريعة النبى عليه السلام من سنتها وفروضها وحلالها وحرامها وانما
يحب من اطاع امره ولا فرق بين الناس من حيث الصورة البشرية وانما تفاوتهم من حيث العلم والعمل
والتقرب الى الله تعالى (قال السعدى) ره راست بايدنه بالاى راست * كه كافر هم از روى صورت چو
ماست * وانما يظهر التفاوت فى الآخرة لانها دار الجزاء فطوبى لعبد تفكر فى حاله ومصيره فرغب فى الزهد
والطاعة قبل مضى الوقت (قال فى المثنوى) كر ببينى ميل خود سوى سما * پر دولت بركشا همچون هما *
ور ببينى ميل خود سوى زمين * نوحه ميكن هيچ منشين از حنين * عاقلان خود نوحها پيشين كنند *
جاهلان آخر بسر برمى زنند * ز ابتداى كار آخر را ببين * تا نباشى تو پشيمان يوم دين * وحكى ان رجلا جاء
الى صائغ يسأل منه الميزان ليزن رضاض ذهب له فقال الصائغ اذهب فانه ليس لى غربال فقال الرجل
لا تسخر بى آت الميزان فقال الصائغ ليس لى مكنسة ثم قال اطلب منك الميزان ايها الصائغ وانت تجيبنى بما
يضحك منه فقال انما قلت ما قلت لانك شيخ مرتعش فعند الوزن يتفرق رضاضك من يدك بسبب ارتعاشك
ويسقط الى التراب فتحتاج الى المكنسة والغربال للتخليص فبسبب فكرى لعاقبة امرك قلت ما قلت * من
ز اول ديدم آخر را تمام * جاى ديكر رواز اينجا والسلام * واعلم ان احباء الله هم اولياء الله على اختلاف
درجاتهم وطبقاتهم فمنهم عوام ومنهم خواص ومنهم اخص ولكل منهم مقام معلوم من المحبة ورأى بعضهم
معروف الكرخى تحت العرش وقد قال الله تعالى للملائكة من هذا فقالوا انت اعلم يا رب فقال هذا معروف
الكرخى سكر من حبى فلا يليق الا لقائى وكمال الحب انما يحصل بعد تزكية النفس فان النفس اذا كانت
مغضوبة لا تتم الرحمة فى حقها وصاحبها انما يحب الله تعالى من وراء حجاب اللهم اجعلنا ممن يحبك حبا
شديدا ويسلك فى محبتك طريقا سديدا (يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) حال كونه (يبين لكم) الشرائع
والاحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد (على فترة) كائنة (من الرسل) مبتدئة من جهتهم وعلى متعلق بجاءكم
على الظرفية اى جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحى ومزيد احتياج الى بيان الشرائع
والاحكام الدينية يقال فتر الشئ يفتر فتورا اذا سكنت حركته وصارت اقل مما كانت عليه وسميت المدة بين
الانبياء فترة لفتور الدواعى فى العمل بتلك الشرائع ونبينا صلى الله عليه وسلم بعث بعد انقطاع الرسل لان
الرسل كانت متواترة بعضها فى اثر البعض الى وقت رفع عيسى عليه السلام (ان تقولوا) تعليل لمجيء الرسول
بالبيان على حذف المضاف اى كراهة ان تقولوا معتذرين عن تفريطكم فى مراعاة احكام الدين (ما جاءنا

من

من بشير) يبشرنا بالجنة (ولا نذير) يخوفنا بالنار وقد انطمست آثار الشرائع السابقة وانقطعت اخبارها
(فقد جاءكم بشير ونذير) متعلق بمحذوف تنبئ عنه الفاء الفصيحة وتبين انه معلل به اى لا تعتذروا بذلك فقد
جاءكم بشير اى بشير ونذير اى نذير على ان التنوين للتفخيم وفى الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست
آثار الوحى وكانوا احوج ما يكونون اليه (والله على كل شئ قدير) فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى
وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبى وعلى الارسال بعد الفترة كما فعله بين
عيسى ومحمد عليهما السلام حيث كان بينهما ستمائة سنة وتسع وتسعون سنة او خمسمائة وست واربعون سنة
واربعة انبياء على ما روى الكلبى ثلاثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسى وقيل لم يكن
بعد عيسى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بما فى تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام الامتنان
عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم اليه بسبب مضى دهر طويل بعد انقطاع الوحى ليعدوه اعظم
نعمة من الله وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يتعللوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم كذا فى
الارشاد وفى الحديث انا اولى الناس بعيسى ابن مريم فانه ليس بينى وبينه نبى قال ابن الملك بطل بهذا قول من قال
الحواريون كانوا انبياء بعد عيسى عليه السلام انتهى ومعنى قوله نبى اى نبى داع للخلق الى الله وشرعه واما خالد
ابن سنان فانه اظهر بدعواه الانباء عن البرزخ الذى بعد الموت وما اظهر نبوته فى الدنيا وقصته انه كان مع قومه
يسكنون بلاد عدن فخرجت نار عظيمة من مغارة فاهلكت الزرع والضرع فالتجأ اليه قومه فاخذ خالد يضرب
تلك النار بعصاه حتى رجعت هاربة منه الى المغارة التى خرجت منها ثم قال لاولاده انى ادخل المغارة خلف
النار لاطفئها وامرهم ان يدعوه بعد ثلاثة ايام تامة فانهم ان نادوه قبل ثلاثة ايام فهو يخرج ويموت وان صبروا
ثلاثة ايام يخرج سالما فلما دخل صبروا يومين واستفزهم الشيطان فلم يصبروا ثلاثة ايام فظنوا انه هلك فصاحوا به
فخرج خالد من المغارة وعلى رأسه الم حصل من صياحهم فقال ضيعتمونى واضعتم قولى ووصيتى واخبرهم بموته
وامرهم ان يقبروه ويرقبوه اربعين يوما فانه يأتيهم قطيع من الغنم يتقدمها حمار ابتر مقطوع الذنب فاذا حاذى
قبره ووقف فلينبشوا عليه قبره فانه يقوم ويخبرهم باحوال البرزخ والقبر عن يقين ورؤية فانتظروا اربعين يوما
فجاء القطيع وتقدمه حمار ابتر فوقف حذاء قبره فهم مؤمنوا قومه ان ينبشوا عليه فابى اولاده خوفا من العار
لئلا يقال لهم اولاد المنبوش قبره فحملتهم الحمية الجاهلية على ذلك فضيعوا وصيته واضاعوه فلما بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاءته بنت خالد فقال عليه السلام مرحبا بابنة نبى اضاعه قومه وانما امر خالد ان
ينبش عليه ليسأل ويخبر ان الحكم فى البرزخ على صورة الحياة الدنيا فيعلم بذلك الاخبار صدق الرسل كلهم بما
اخبروا به فى حياتهم الدنيا فكان غرض خالد عليه السلام ايمان العالم كله بما جاءت به الرسل من احوال
القبر والمواطن والمقامات البرزخية ليكون رحمة للجميع فانه تشرف بقرب نبوته من نبوة محمد عليه السلام وعلم
خالد ان الله ارسله رحمة للعالمين ولم يكن خالد برسول فاراد ان يحصل من هذه الرحمة فى الرسالة المحمدية على
حظ اوفر ولم يؤمر بالتبليغ فاراد ان يحظى فى البرزخ بذلك التبليغ من مقام الرسالة ليكون اقوى فى العلم فى حق
الخلق اى ليعلم قوة علمه باحوال الخلائق فى البرزخ فاضاعه قومه وانما وصف النبى قومه بانهم اضاعوا نبيهم
اى وصية نبيهم حيث لم يبلغوه مراده من اخبار احوال القبر كذا فى الفصوص وشروحه واتفق العلماء على انه
صلى الله عليه وسلم ولد بمكة عام الفيل فى عاشر شهر ربيع الاول فى ليلة يوم الاثنين منه فلما تشرف العالم بوجوده
الشريف وعنصره اللطيف اضاءت قلوب الخلق واستنارت فهداهم الله به عليه السلام فابصره من ابصر
وعمى من عمى وبقى فى الكفر والضلال * دركارخانهٔ عشق از كفر نا كزير است * آتش كرا بسوزد كر بولهب
نباشد * وانما اضاف تعالى الرسول الى نفسه وقال رسولنا وما اضاف اليهم لان فائدة رسالته لم تكن
راجعة اليهم ولما خاطب هذه الامة واخبرهم عن مجيء الرسول ما اضافه الى نفسه وانما جعله من انفسهم
فقال لقد جاءكم رسول من انفسكم لان فائدة رسالته كانت راجعة الى انفسهم كما فى التأويلات النجمية فعلى
المؤمن ان يقتفى اثر الرسول صلى الله عليه وسلم ويتفكر فى الوعد والوعيد فقد جاء البشير والنذير بحيث لم يبق
للاعتذار مجال اصلا وروى ان جبير بن مطعم قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بالجحفة فقال اليس تشهدون ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له وانى رسول الله وان القرآن جاء من عند الله فقلنا بلى قال فابشروا فان هذا

القرءآن طرفه بيد الله وطرفه بايديكم فتمسكوا به فانكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده ابدا (واذ قال موسى لقومه) اى اذكر يا محمد لاهل الكتاب ما حدث وقت قول موسى لبنى اسرآئيل ناصحا لهم (يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) اى انعامه عليكم (اذ جعل فيكم انبياء) فى وقت جعله فيما بينكم من اقربائكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث فى امة من الامم ما بعث فى بنى اسرآئيل من الانبياء وكثرة الاشراف والافاضل فى القوم شرف وفضل لهم ولا شرف اعظم من النبوة (وجعلكم ملوكا) اى جعل فيكم او منكم ملوكا كثيرة فانه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء وجعل الكل فى مقام الامتنان عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يقولون عند المفاخرة نحن الملوك وقال السدى وجعلكم احرارا تملكون انفسكم بعدما كنتم فى ايدى القبط فى مملكة فرعون بمنزلة اهل الجزية قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى اصحاب خدم وحشم وكانوا اول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وقال بعضهم من له امرأة يأوى اليها ومسكن يسكنه وخادم يخدمه فهو من الملوك وكذا من كان مسكنه واسعا وفيه ماء جارى فهو ملك (وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين) من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما آتاهم الله من الامور العظام والمراد بالعالمين الامم الخالية الى زمانهم (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة) هى ارض بيت المقدس طهرت من الشرك وجعلت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين (التى كتب الله لكم) اى كتب فى اللوح المحفوظ انها تكون مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم (ولا ترتدوا) لا ترجعوا (على ادباركم) اى مدبرين خوفا من الجبابرة فهو حال من فاعل لا ترتدوا ويجوز ان يتعلق بنفس الفعل اى ولا ترجعوا على اعقابكم بخلاف ما امر الله (فتنقلبوا) فتنصرفوا حال كونكم (خاسرين) اى مغبونين بفوت ثواب الدارين (قالوا) اى بنوا اسرآئيل عند امر موسى ونهيه غير ممتثلين لذلك (يا موسى ان فيها قوما جبارين) اى متغلبين لا تتأتى مقاومتهم والجبار العالى الذى يجبر الناس ويكرههم كائنا من كان على ما يريده كائنا ما كان فعال من جبره على الامر اى اجبره عليه وذلك ان النقباء الاثنى عشر الذين خرجوا التجسس الاخبار وانتهوا الى مدينة الجبارين لما رجعوا الى موسى واخبروه بما عاينوا من قوتهم وشوكتهم وطول قدودهم وعظم اجسامهم وان الرجل من بنى اسرآئيل ليدخل تحت قدمهم لعظمه ووسعته قال لهم موسى اكتموا شأنهم ولا تخبروا به احدا من اهل العسكر فيفشلوا فاخبر كل واحد منهم قريبه وابن عمه الا رجلان وفيا بما قال لهما موسى احدهما يوشع بن نون بن افراهيم بن يوسف فتى موسى والآخر كالب بن يوفنا ختن موسى على اخته مريم بنت عمران وكان من سبط يهوذا فشاع الخبر بين بنى اسرآئيل فلذا قالوا ان فيها قوما جبارين (وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها) من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منها (فان يخرجوا منها) بسبب من الاسباب التى لا تعلق لنا بها (فانا داخلون) حينئذ (قال رجلان) كأنه قيل هل اتفقوا على ذلك او خالفهم البعض فقيل قال رجلان وهما كالب ويوشع (من الذين يخافون) الله تعالى دون العدو ويتقونه فى مخالفة امره ونهيه وهو صفة لرجلان (انعم الله عليهما) بالتثبيت والوقوف على شؤونه تعالى والثقة بوعده وهو صفة ثانية لرجلان (ادخلوا عليهم الباب) اى باب بلد الجبارين وهو ارمحا وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به لان المقصود انما هو دخول الباب وهم فى بلدهم اى باغتوهم وضاغطوهم فى المضيق وامنعوهم من البروز الى الصحراء لئلا يجدوا للحرب مجالا (فاذا دخلتموه) اى باب بلدهم وهم فيه (فانكم غالبون) من غير حاجة الى القتال فانا قد رأيناهم وشاهدناهم ان قلوبهم ضعيفة وان كانت اجسادهم عظيمة فلا تخشوهم واهجموا عليهم فى المضايق فانهم لا يقدرون فيها على الكر والفر (وعلى الله) خاصة (فتوكلوا) بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانها بمعزل من التأثير وانما التأثير من عناية العزيز القدير (ان كنتم مؤمنين) به تعالى مصدقين لوعده فان ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما (قالوا) غير مبالين بقول ذينك الرجلين مصرين على القول الاول (يا موسى انا لن ندخلها) اى ارض الجبابرة (ابدا) اى دهرا طويلا (ما داموا فيها) اى فى ارضهم وهو بدل من ابدا بدل البعض لان الابد يعم الزمن المستقبل كله ودوام الجبارين فيها بعض منه (فاذهب) الفاء فصيحة اى فاذا كان الامر كذلك فاذهب (انت وربك فقاتلا) اى فقاتلاهم انما قالوا ذلك استهانة واستهزاء به تعالى وبرسوله وعدم مبالاة بهما لا انهم قصدوا ذهابهما حقيقة لان من هو فى صورة الانسان يستبعد منه انه يجوز حقيقة الذهاب والمجيء على الله تعالى الا ان يكون من المجسمة (انا ههنا

قاعدون

قاعدون) اراد بذلك عدم التقدم لا عدم التأخر (قال) موسى عليه السلام لما رأى منهم ما رأى من العناد على طريقة البث والحزن والشكوى الى الله تعالى مع رقة القلب التى بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة (رب انى لا املك الا نفسى واخى) اى الا طاعة نفسى واخى (فافرق بيننا) يريد نفسه واخاه والفاء لترتيب الفرق والدعاء به على ما قبله (وبين القوم الفاسقين) الخارجين عن طاعتك المصرين على عصيانك بان تحكم لنا ما نستحقه وعليهم ما يستحقون (قال) الله تعالى (فانها) اى الارض المقدسة (محرمة عليهم) تحريم منع لا تحريم تعبد وتكليف لا يدخلونها ولا يملكونها لان كتابتها لهم كانت مشروطة بالايمان والجهاد وحيث نكصوا على ادبارهم حرموا ذلك وانقلبوا خاسرين (اربعين سنة) ظرف لمحرمة فالتحريم موقت بهذه المدة لا مؤبد فلا يكون مخالفا لقوله تعالى كتب الله لكم فالمراد بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم فى هذه المدة لكن لا بمعنى ان كلهم يدخلونها بعدها بل بعضهم ممن بقى (يتيهون فى الارض) اى يتحيرون فى البرية استئناف لبيان كيفية حرمانهم (فلا تأس) فلا تحزن والاسى الحزن (على القوم الفاسقين) روى انه عليه السلام ندم على دعائه عليهم فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم فانهم احقاء بذلك لفسقهم فلبثوا اربعين سنة فى ستة فراسخ وهم ستمائة الف مقاتل وكانوا يسيرون كل يوم جادين فاذا امسوا كانوا فى الموضع الذى ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا يطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله وماؤهم من الحجر الذى يحملونه وهذه الانعامات عليهم مع انهم معاقبون لما ان عقابهم كان بطريق الفرك والتأديب واصح الاقاويل ان موسى وهرون كانا معهم فى التيه ولكن كان ذلك لهما روحا وسلامة كالنار لابراهيم وملائكة العذاب قال فى التأويلات النجمية والتعجب فى ان موسى وهرون بشؤم معاملة بنى اسرآئيل بقيا فى التيه اربعين سنة وبنوا اسرآئيل ببركة كرامتهما ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى فى التيه ليعلم اثر بركة صحبة الصالحين واثر شؤم صحبة الفاسقين انتهى (قال الحافظ) ملول همرهان بودن طريق كاردانى نيست ✽ بكش دشوارئ منزل بياد عهد آسانى ✽ روى ان موسى عليه السلام خرج من التيه بعد اربعين سنة وسار بمن بقى من بنى اسرآئيل الى اريحا وكان يوشع بن نون على مقدمته فحارب الجبابرة وفتحها واقام بها ما شاء الله ثم قبضه الله ولا يعلم قبره الا الله وهذا اصح الاقاويل لاتفاق العلماء على ان عوج بن عنق قتله موسى عليه السلام قال السدى فى وفاة هرون ان الله اوحى الى موسى انى متوفى هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فاذا هما بشجرة لم ير مثلها فاذا بيت مبنى وفيه سرير عليه فرش واذا فيه ريح طيبة فلما نظر هرون الى ذلك اعجبه وقال يا موسى انى احب ان انام على هذا السرير قال فنم عليه فلما نام جاء ملك الموت فقال يا موسى خدعتنى فلما قبض رفع البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به الى السماء فلما رجع موسى الى بنى اسرآئيل وليس معه هرون قالوا ان موسى قتل هرون وحسده على حب بنى اسرآئيل اياه فقال لهم موسى ويحكم كان اخى افترونى اقتل اخى فلما كثروا عليه صلى ركعتين ثم دعا فنزل السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال صعد موسى وهرون الجبل فقال بنوا اسرآئيل انت قتلته فآذوه فامر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بنى اسرآئيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرفت بنوا اسرآئيل انه قد مات فبرأه الله مما قالوا ثم ان الملائكة حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبره احد الا الرخمة فجعله الله اصم وابكم وقال عمرو بن ميمونة مات هرون وموسى فى التيه مات هرون قبل موسى وكانا خرجا الى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه موسى وانصرف الى بنى اسرآئيل فقالوا قتلته لحبنا اياه وكان محببا فى بنى اسرآئيل فتضرع موسى الى ربه فاوحى الله اليه ان انطلق بهم الى قبره فنادى يا هرون فخرج من قبره ينفض رأسه فقال انا قتلتك فقال لا ولكنى مت قال فعد الى مضجعك وانصرفوا واما وفاة موسى عليه السلام قال ابن اسحق كان صفى الله موسى قد كره الموت واعظمه فاراد الله ان يحبب اليه الموت فنبى يوشع بن نون فكان يغدو ويروح عليه فيقول له موسى يا نبى الله ما احدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبى الله الم اصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت اسألك عن شيء مما احدث الله اليك حتى تكون انت الذى تبتدئ به وتذكره ولا يذكر له شيأ ولما رأى موسى ذلك كره الحياة واحب الموت وفى الحديث جاء ملك الموت الى موسى

فقال له اجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها فرجع ملك الموت الى الله تعالى فقال انك ارسلتنى الى عبد لا يريد الموت وقد فقأ عينى قال فرد الله اليه عينه وقال ارجع الى عبدى فقل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعرة فانك تعيش بها سنة قال ثم ماذا قال ثم تموت قال فالآن من قريب قال رب ادننى من الارض المقدسة قدر رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انى عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال محمد بن يحيى قد صح حديث ملك الموت وموسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرده الا كل مبتدع كذا فى تفسير الثعلبى وفى حديث آخر ان ملك الموت كان يأتى الناس عيانا حتى اتى موسى ليقبضه فلطمه ففقأ عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خفية وقال وهب خرج موسى لبعض حاجاته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيأ قط احسن منه ومثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن يحفر هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد من الله بمنزل ما رأيت مضجعا احسن من هذا قالوا يا كليم الله اتحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك قال فاضطجع فيه وتوجه الى ربه ثم تنفس اسهل نفس قبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل ان ملك الموت اتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وروى ان يوشع رآه بعد موته فى المنام فقال كيف وجدت الموت قال كشاة تسلخ وهى حية وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة فلما مات موسى وانقضت الاربعون بعث الله يوشع نبيا فاخبره ان الله قد امره بقتال الجبابرة فصدقوه وتابعوه فتوجه ببنى اسرائيل الى اريحا معه تابوت الميثاق فاحاط بمدينة اريحاء ستة اشهر فلما كان السابع نفخوا فى القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة ودخلوا فقاتلوا الجبارين فهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم وكانت العصابة من بنى اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم البقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد الشمس علىّ وقال للشمس انك فى طاعة الله تعالى وانا فى طاعة الله فسأل الشمس ان تقف والقمر ان يقيم حتى ينتقم من اعداء الله قبل دخول السبت فردت عليه الشمس وزيد فى النهار ساعة حتى قتلهم اجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم احدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع ارض الشام وصارت الشام كلها لبنى اسرائيل وفرق عماله فى نواحيها وجمع الغنائم فلم تنزل النار فاوحى الله الى يوشع ان فيها غلولا فمرهم فليبايعوك فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده فقال هلم ما عندك فاتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت والجواهر وكان قد غله فجعله فى القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فاكلت الرجل والقربان ثم مات يوشع ودفن فى جبل افراهيم وكان عمره مائة وستا وعشرين سنة وتدبيره امر بنى اسرائيل بعد موت موسى سبعا وعشرين سنة

جهان اى برادر نماند بكس * دل اندر جهان آفرين بند وبس

(واتل عليهم) اى على اهل الكتاب (نبأ ابنى آدم) اى خبر ابنى ابى البشر وهما قابيل وهابيل (بالحق) اى تلاوة ملتبسة بالحق والصحة ذكر العلماء ان حواء كانت تلد فى كل بطن ولدين ذكرا وانثى الا شيثا فانها ولدته منفردا فولدت اول بطن قابيل واخته اقليما ثم ولدت فى البطن الثانية هابيل واخته ليوذا فلما ادركوا اوحى الله الى آدم انه يزوج كلا منهما توأمة الآخر لانه لم يكن يومئذ الا اختاهما وكانت توأمة قابيل اجمل فحسد عليها اخاه وسخط وزعم ان ذلك ليس من عند الله بل من جهة آدم فقال لهما قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها ففعلا فنزلت نار على قربان هابيل فاكلته ولم تتعرض لقربان قابيل فازداد قابيل حسدا وسخطا وفعل ما فعل (اذ قربا قربانا) ظرف لنبأ والقربان اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة او صدقة وتوحيده لما انه فى الاصل مصدر والتقدير اذ قرب كل منهما قربانا (فتقبل من احدهما) هو هابيل وكان صاحب ضرع وقرب جملا سمينا او كبشا او لبنا وزبدا فنزلت نار من السماء بيضاء لا دخان لها فاكلته بعد دعاء آدم عليه السلام وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار فاكلتها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار واكلتها الطير والسباع وقيل ما كان فى ذلك الوقت فقير يدفع اليه ما يتقرب به الى الله تعالى فكانت علامة قبوله ما ذكر من مجيء النار والاكل وروى سعيد بن جبير وغيره نزلت نار من السماء فاحتملت قربان هابيل ورفع بها الى الجنة فلم يزل يرعى الى ان فدى به الذبيح عليه السلام (ولم يتقبل من الآخر) وهو قابيل كان صاحب زرع وقرب اردأ ما عنده من القمح ولم تتعرض له النار اصلا لانه سخط حكم الله

ولم يخلص النية فى قربانه وقصد الى اخس ما عنده فنزلا عن الجبل الذى قربا عليه وقد غضب قابيل لرد قربانه وكان يضمر الحسد فى نفسه الى ان اتى آدم مكة لزيارة البيت فلما غاب آدم اتى قابيل هابيل وهو فى غنمه فعند ذلك (قال) اى من لم يتقبل قربانه لاخيه (لاقتلنك) اى والله لاقتلنك قال ولم قال لان الله قبل قربانك ورد قربانى وتنكح اختى الحسناء وانكح اختك الدميمة فيحدث الناس انك خير منى ويفخر ولدك على ولدى (قال) الذى تقبل قربانه وما ذنبى (انما يتقبل الله) اى القربان (من المتقين) لا من غيرهم وانما تقبل قربانى ورد قربانك لما فينا من التقوى وعدمه اى انما اتيت من قبل نفسك لا من قبلى فلم تقتلنى والتقوى من صفات القلب لقوله عليه السلام التقوى ههنا واشار الى القلب وحقيقة التقوى ان يكون العامل على خوف ووجل من تقصير نفسه فيما اتى به من الطاعات وان يكون فى غاية الاحتراز من ان يأتى بتلك الطاعة لغرض سوى طلب مرضاة الله وان يكون فيه شركة لغير الله تعالى (لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك) اى والله لئن مددت الى يدك وباشرت قتلى حسبما اوعدتنى به وتحقق ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك فى وقت من الاوقات ثم علل ذلك بقوله (انى اخاف الله رب العالمين) قيل كان هابيل اقوى ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله تعالى لان القتل للدفع لم يكن مباحا فى ذلك الوقت قال البغوى وهذا فى الشرع جائز لمن اريد قتله ان ينقاد ويستسلم طلبا للاجر كما فعل عثمان رضى الله عنه (انى اريد ان تبوء باثمى واثمك) تعليل آخر لامتناعه عن المعارضة على انه غرض متأخر عنه كما ان الاول باعث متقدم عليه وانما لم يعطف تنبيها على كفاية كل منهما فى العلية والمعنى انى اريد باستسلامى لك وامتناعى عن التعرض لك ان ترجع باثمى اى بمثل اثمى لو بسطت يدى اليك وباثمك ببسط يدك الى كما فى قوله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم اى على البادئ عين اثم سبه ومثل سبه صاحبه بحكم كونه سببا له وكلاهما نصب على الحالية اى ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعل مراده بالذات انما هو عدم ملابسته للاثم لا ملابسة اخيه له (فتكون من اصحاب النار) فى الآخرة (وذلك) اشارة الى كونه من اصحاب النار (جزاء الظالمين) اى عقوبة من لم يرض بحكم الله تعالى (فطوعت له نفسه قتل اخيه) من طاع له المرتع اذا اتسع اى وسعته وسهلته اى جعلته سهلا وهونته وتقدير الكلام فصورت له نفسه ان قتل اخيه طوع له سهل عليه ومتسع له لا ضيق فيه ولا حرج فان قتل النفس بغير حق لا سيما قتل الاخ اذا تصوره الانسان يجده شيأ عاصيا نافرا كل النفرة عن دائرة الشرع والعقل بعيدا عن الاطاعة والانقياد البتة ثم ان النفس الامارة اذا استعملت القوة السبعية الغضبية صار ذلك الفعل اسهل عليه فكأن النفس صيرته كالمطيع لها بعد ان كان كالعاصى المتمرد عليها وتم الكلام بدون اللام بان يقال فطوعته نفسه قتل اخيه الا انه جيء باللام لزيادة الربط كما فى قولك حفظت لزيد ماله مع تمام الكلام بان يقال حفظت مال زيد (فقتله) قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل ابليس واخذ طائرا او حية ووضع رأسه على الحجر ثم شدخها بحجر آخر وقابيل ينظر فتعلم منه فوضع رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم لا يستعصى عليه او اغتاله وهو نائم وغنمه ترعى وذلك عند جبل ثور او عقبة حراء او بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم وكان لهابيل يوم قتله عشرون سنة وعن بعض الكبار ان آدم لما هبط الى الارض تفكر فيما اكل فاستقاء فنبتت شجرة السم من قيئه فاكلت الحية ذلك السم ولذا صارت مؤذية مهلكة وكان قد بقى شيء مما اكل فلما غشى حواء حصل قابيل ولذا كان قاتلا باعثا للفساد فى وجه الارض (فاصبح من الخاسرين) خسر دينه ودنياه قال ابن عباس رضى الله عنهما خسر دنياه وآخرته اما الدنيا فانه اسخط والديه وبقى مذموما الى يوم القيامة واما الآخرة فهو العقاب العظيم (فبعث الله غرابا) ارسله (يبحث فى الارض) البحث بالفارسية بكندن (ليريه) المستكن الى الله تعالى او للغراب واللام على الاول متعلقة ببعث حتما وعلى الثانى بيبحث ويجوز تعلقها ببعث ايضا (كيف يوارى) يستر (سوأة اخيه) اى جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى وقيل عورته لانه كان قد سلب ثيابه وكيف حال من ضمير يوارى والجملة ثانى مفعولى يرى روى انه لما قتله تركه بالعراء اى الارض الخالية عن الاشجار ولم يدر ما يصنع به لانه كان اول ميت على وجه الارض من بنى آدم فخاف عليه السباع فحمله فى جراب على ظهره اربعين يوما او سنة حتى اروح وعفت عليه الطيور والسباع تنظر متى يرمى به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة فالقاه فيها وواراه وقابيل

ينظر اليه وكانه قيل فاذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل (قال ياويلتا) هى كلمة جزع وتحسر والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى ياويلتى احضرى فهذا اوانك والندآء وان كان اصله لمن يتأتى منه الاقبال وهم العقلاء الان العرب تتجوز وتنادى مالا يعقل اظهارا للتحسر ومثله ياحسرة على العباد والويل والويلة الهلكة (اعجزت ان اكون) اى عن ان اكون (مثل هذا الغراب فأوارى سوأة اخى) تعجب من عدم اهتدآئه الى ما اهتدى اليه الغراب وقوله فأوارى بالنصب عطف على اكون اى اعجزت عن كونى مشبها بالغراب فمواريا (فاصبح من النادمين) اى على قتله لما كان من التحير فى امره وحمله على رقبته مدة طويلة وغير ذلك فلما كان ندمه لاجل هذه الاسباب لا للخوف من الله بسبب ارتكاب المعصية لم يكن ندمه توبة ولم ينتفع بندمه روى انه لما قتل ابن آدم اخاه رجفت الارض بما عليها سبعة ايام ثم شربت الارض دمه كشرب الماء فناداه الله اين اخوك هابيل قال ما ادرى ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم اخيك ليناديني من الارض فلم قتلت اخاك قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله تعالى على الارض يومئذ ان تشرب دما بعده ابدا قال مقاتل كان قبل ذلك يستأنس السباع والطيور والوحوش فلما قتل قابيل هابيل نفروا فلحقت الطيور بالهوآء والوحوش بالبرية والسباع بالغياض واشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه وامر الماء واغبرت الارض فقال آدم قد حدث فى الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل وكان جسد قابيل ابيض قبل ذلك فاسود فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا قال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم حزينا على قتل ولده مائة سنة لا يضحك وانشأ يقول وهو اول من قال الشعر

تغيرت البلاد ومن عليها ❋ فوجه الارض مغبر قبيح

تغير كل ذى لون وطعم ❋ وقل بشاشة الوجه الصبيح

وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال ان آدم قال شعرا فقد كذب ان محمدا والانبياء كلهم فى النهى عن الشعر سوآء ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سريانى فلما قال آدم مرثية قال لشيث يا بنى انك وصيى احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو اول من خط بالعربية وكان يقول الشعر فنظر فى المرثية فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزيد فيه ابيات منها

ومالى لا اجود بسكب دمع ❋ وهابيل تضمنه الضريح

ارى طول الحياة على غما ❋ فهل انا من حياتى مستريح

وروى عن انس رضى الله عنه انه قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن يوم الثلاثاء فقال يوم الدم فيه حاضت حوآء وفيه قتل ابن آدم اخاه فلما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين ولدت له حوآء شيثا وتفسيره هبة الله يعنى انه خلف من هابيل علمه الله تعالى ساعات الليل والنهار واعلمه عبادة الخلق فى كل ساعة منها وانزل عليه خمسين صحيفة وصار وصى آدم وولى عهده واما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تأمن من تراه فاخذ بيد اخته اقليما وهرب بها الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبد النار فانصب انت ايضا نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار وهو اول من عبد النار وكان لا يمر به احد الا رماه فاقبل ابن له اعمى ومعه ابن له فقال للاعمى ابنه هذا ابوك قابيل فرمى الاعمى اباه بحجارة فقتله فقال ابن الاعمى قتلت اباك فرفع يده فلطم ابنه فمات فقال الاعمى ويل لى قتلت ابى برميتى وقتلت ابنى بلطمتى قال مجاهد فعقلت احدى رجلى قابيل الى فخذها وساقها وعلقت من يومئذ الى يوم القيامة وجهه الى الشمس حيثما دارت عليه فى الصيف حظيرة من نار وفى الشتاء حظيرة من ثلج وهو اول من عصى الله فى الارض من ولد آدم وهو اول من يساق الى النار وفى الحديث لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل وهو اب يأجوج ومأجوج شر اولاد توالدوا من شر والد قالوا واتخذ اولاد قابيل آلات اللهو من اليراع والطبول والمزامير والعيدان والطنابير وانهمكوا فى اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنى والفواحش حتى غرقهم الله بالطوفان ايام نوح وبقى نسل شيث وفى التواريخ لما ذهب قابيل الى سمت اليمن كثروا وخلفوا وطفقوا يتحاربون مع اولاد آدم يسكنون فى الجبال والمغارات

والغياض الى زمن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث ففرقهم مهلاييل الى اقطار الارض وسكن هو فى ارض بابل وكان كيومرث اخاه الصغير وهو اول السلاطين فى العالم فاخذوا يبنون المدن والحصون واستمر الحرب بينهم الى آخر الزمان واعلم ان الكدر لا يرتفع من الدنيا وانما يرتفع التكدر عن قلوب اهل الله تعالى كالنار والماء لا يرتفعان ابدا لكن يرتفع احراق النار لبعض كما وقع لابراهيم عليه السلام واغراق الماء لبعض كما وقع لموسى عليه السلام والدنيا تذهب على هذا فطوبى لمن رضى وصبر (قال الحافظ) درين چمن كل بيخار كس نچيد آرى ❋ چراغ مصطفوى باشرار بولهبيست (وله) مكن زغصه شكايت كه در طريق طلب ❋ براحتى نرسيد آنكه زحمتى نكشيد ❋ والاشارة فى الايات ان آدم الروح بازدواجه مع حوآء القلب ولد قابيل النفس وتوأمته اقليميا الهوى فى بطن اولا ثم ولد هابيل القلب وتوأمته ليوذا العقل وكان اقليميا الهوى فى غاية الحسن لان القلب يميل الى طلب المولى وما عنده وهو محبب اليه وكان ليوذا العقل فى نظر هابيل القلب فى غاية القبح والدمامة لان القلب به يعقل عن طلب الحق والفناء فى الله ولهذا قيل العقل عقيلة الرجال وفى نظر قابيل النفس ايضا فى غاية القبح لان النفس به تعقل عن طلب الدنيا والاستهلاك فيها فالله تعالى حرم الازدواج بين التوأمين كليهما وامر بازدواج توأمة كل واحد منهما الى توأم الاخرى لئلا يعقل القلب عن طلب الحق بل يحرضه الهوى على الاستهلاك والفناء فى الله ولهذا قال بعضهم لولا الهوى ما سلك احد طريقا الى الله فان الهوى اذا كان قرين النفس يكون حرصا فيه تنزل النفس الى اسفل سافلين الدنيا وبعد المولى واذا كان قرين القلب يكون عشقا فيه يصعد القلب الى اعلى عليين العقبى وقرب المولى ولهذا سمى العشق هوى كما قال الشاعر

اتانى هواها قبل ان اعرف الهوى ❋ فصادف قلبى فارغا فتمكنا

ولتعقل النفس عن طلب الدنيا بل يحرضها العقل على العبودية وينهاها عن متابعة الهوى فذكر آدم الروح لولده ما امر الله به فرضى هابيل القلب وسخط قابيل النفس وقال هى اختى يعنى اقليميا الهوى ولدت معى فى بطن وهى احسن من اخت هابيل القلب يعنى ليوذا العقل وانا احق بها ونحن من ولائد جنة الدنيا وهما من ولائد ارض العقبى فانا احق باختى فقال له ابوه انها لا تحل لك يعنى اذا كان الهوى قرينك فتهلك فى اودية حب الدنيا وطلب لذاتها وشهواتها فابى ان يقبل قابيل النفس هذا الحكم من آدم الروح وقال ان الله تعالى لم يأمر به وانما هذا من رأيه فقال لهما آدم الروح قربا قربانا فايكما يقبل قربانه فهو احق بها فخرجا ليقربا وكان قابيل النفس صاحب زرع يعنى مدبر النفس النامية وهى القوة النباتية فقرب طعاما من اردى زرعه وهو القوة الطبيعية وكان هابيل القلب راعيا يعنى مواشى الاخلاق الانسانية والصفات الحيوانية فقرب جملا يعنى الصفة البهيمية وهى احب الصفات اليه لاحتياجه بها لضرورة التغذى والبقاء ولسلامتها بالنسبة الى الصفات السبعية الشيطانية فوضعا قربانهما على جبل البشرية ثم دعا آدم الروح فنزلت نار المحبة من سماء الجبروت فاكلت جمل الصفة البهيمية لانها حطب هذه النار ولم تأكل من قربان قابيل النفس حبة لانها ليست من حطبها بل هى من حطب نار الحيوانية فهذا تحقيق قوله تعالى واتل عليهم الآية والاشارة فى قوله فطوعت له نفسه اى نفس قابيل النفس طوعت له وجوزت قتل اخيه وهو القلب لان النفس اعدى عدو القلب فقتله فاصبح من الخاسرين يعنى فى قتل القلب خسارة النفس فى الدنيا والآخرة اما فى الدنيا فتحرم عن الواردات والكشوف والعلوم الغيبية التى منشأها القلب وعن ذوق المشاهدات ولذة المؤانسات فتبقى فى خسران جهولية الانسان كقوله تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر واما فى الآخرة فتخسر الدخول فى جنات النعيم ولقاء الرب الكريم والنجاة عن الجحيم والعذاب الاليم وفى قوله فبعث الله اشارات منها ليعلم ان الله قادر على ان يبعث غرابا وغيره من الحيوان الى الانسان ليعلمه ما لم يعلم كما يبعث الملائكة الى الرسل والرسل الى الامم ليعلمهم ما لم يعلموا ومنها لئلا يعجب الملائكة والرسل انفسهم باختصاصهم تعليم الحق فانه يعلمهم بواسطة الغراب كما يعلمهم بواسطة الملائكة والرسل ومنها ليعلم الانسان انه محتاج فى التعلم الى غراب ويعجز ان يكون مثل غراب فى العلم ومنها ان لله تعالى فى كل حيوان بل فى كل ذرة آية تدل على وحدانيته واختياره حيث يبدع المعاملات المعقولة عن الحيوانات الغير العاقلة ومنها اظهار لطفه مع عباده فى اسباب التعيش حتى اذا اشكل عليهم امر كيف يرشدهم الى الاحتيال بلطائف الاسباب لحله كذا فى التأويلات النجمية (من اجل ذلك) شروع فيما هو المقصود بتلاوة

النبأ من بيان بعض آخر من جنايات بنى اسرآئيل ومعاصيهم وذلك اشارة الى عظم شأن القتل وافراط قبحه
اى من اجل كون القتل على سبيل العدوان مشتملا على انواع المفاسد من الخسارة عن جميع الفضائل الدينية
والدنيوية وعن جميع السعادات الاخروية كما هى مندرجة فى اجمال قوله فاصبح من الخاسرين ومن الابتلاء
بجميع مايوجب الحسرة والندامة من غيران يكون لشئ منها مايدفعه البتة كما هو مندرج فى اجمال قوله
فاصبح من النادمين واجل فى الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه وهيجه استعمل فى تعليل الجنايات اى فى جعل
ماجناه الغير علة لامر يقال فعلته من اجلك اى بسبب ان جنيت ذلك وكسبته ثم اتسع فيه واستعمل
فى كل تعليل ومن لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى (كتبنا على بنى اسرآئيل) وتقديمها عليه للقصر اى من ذلك
ابتدئ الكتب ومنه نشأ لامن شئ آخر اى قضينا عليهم فى التوراة وبينا (انه من قتل نفسا) واحدة من النفوس
(بغير نفس) اى بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص (اوفساد فى الارض) اى فساد اهدار دمها كالشرك وقطع
الطريق وهو عطف على ما اضيف اليه غير بمعنى نفى كلا الامرين معا كما فى قولك من صلى بغير وضوء اوتيمم بطلت
صلاته لانفى احدهما كما فى قولك من صلى بغير وضوء اوثوب بطلت صلاته (فكأنما قتل الناس جميعا) من حيث
انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه اومن حيث ان قتل الواحد والجميع سوآء فى استجلاب
غضب الله والعذاب العظيم وقوله جميعا حال من الناس اوتأكيد (ومن احياها) اى تسبب لبقاء حياتها بعفو
اومنع عن القتل اواستنقاذ من بعض اسباب الهلكة (فكأنما احيى الناس جميعا) فكأنما فعل ذلك بالناس
جميعا والمقصود من التشبيه المبالغة فى تعظيم امر القتل بغير حق والترغيب فى الاحتراز عنه (ولقد جاءتهم) اى
اهل الكتاب (رسلنا بالبينات) اى وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما ارسلناهم بالآيات الواضحة بتقرير ما كتبنا
عليهم تأكيدا لوجوب مراعاته وتأييدا لتحتم المحافظة عليهم (ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك) اى بعد ماذكر
من الكتب وتأكيدا لامر بارسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد اخرى وثم للتراخى فى الرتبة والاستبعاد
(فى الارض لمسرفون) فى القتل غير مبالين به والاسراف فى كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به
قوله بعد ذلك وقوله فى الارض يتعلقان بقوله لمسرفون وهو خبران وبهذا اى بقوله تعالى ولقد جاءتهم رسلنا
اتصلت القصة بما قبلها وفى التأويلات النجمية اعلم ان كل شئ ترى فيه آية من الله تعالى فهو فى الحقيقة رسول
من الله اليك ومعه آية بينة ومعجزة ظاهرة يدعوك بها الى الله ثم ان كثيرا من الذين شاهدوا الآيات وتحققوا
البينات بعد رؤية الآيات فى الارض لمسرفون اى فى ارض البشرية يجاوزون حد الشريعة والطريقة بمخالفة
اوامر الله ونواهيه انتهى واعلم ان اهل الغفلة يشاهدون الآثار لكن غافلون عن الحقيقة فهم كانهم لايبصرالهم
بل غيرة الحق تمنعهم عن الرؤية الصحيحة لكونهم اغيارا غير لائقين بالدخول فى المجلس الخاص (قال الحافظ)
معشوق عيان ميكذرد برتو وليكن * اغيار همى بيند ازان بسته نقابست * وكل ذرة من ذرات
الكائنات وان كانت قائمة بالحق وبنوره فى الحقيقة الا ان الدنيا خيال يحتاج السالك الى العبور عن مسالكه
الى ان ينتهى الى الحق (وفى المثنوى) اين جهانرا كه بصورت قائمست * كفت پيغمبر كه حكم نائمست *
ازره تقليد تو كردى قبول * سالكان اين ديده پيدا بى رسول * روز در خوابى مكو كين خواب نيست *
سايه فرعست اصل جز مهتاب نيست * خواب بيدارت آن دان اى عضد * كه نبيند خفته كو در
خواب شد * او كمان برده كه اين دم خفته ام * بى خبر زان كوست در خواب دوم * وهذه اى اليقظة عن
المنام على الحقيقة لاتتيسر الا لارباب المكاشفة الصحيحة واصحاب المشاهدة الواضحة اللهم افض علينا من هذا
المقام (انما جزآء الذين يحاربون الله ورسوله) اى يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما
تعظيما لهم والمراد بالمحاربة قطع الطريق وهو انما يكون من قوم اجتمعوا فى الصحرآء وتعرضوا الدماء المسلمين
واموالهم وازواجهم واماتهم ولهم قوة وشوكة تمنعهم عمن ارادهم (ويسعون فى الارض فسادا) حال من
فاعل يسعون اى مفسدين نزلت فى قوم هلال بن عويمر الاسلمى وكان وادعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ان لايعينه ولايعين عليه ومن اتاه من المسلمين فهو آمن لايهاج ومن مر بهلال الى رسول الله فهو آمن
لايهاج فمر قوم من بنى كنانة يريدون الاسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ حاضرا فقطعوا عليهم
وقتلوهم واخذوا اموالهم فان قلت بنفس ارادة الاسلام لايخرج الشخص عن كونه حربيا والحد لايجب بقطع

الطريق عليه وان كان مستأمنا قلت معناه يريدون تعلم احكام الاسلام فانهم كانوا مسلمين اويقال جاؤا على
قصد الاسلام فهم بمنزلة اهل الذمة والحد واجب بالقطع على اهل الذمة ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب
متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون اخذ المال ومن القتل مع اخذه ومن اخذه بدون قتل ومن الاخافة بدون
قتل واخذ شرعت لكل مرتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل (ان يقتلوا) اى حدا من
غير صلب ان افردوا القتل ولو عفا الاولياء لايلتفت الى ذلك لانه حق الشرع ولا فرق بين ان يكون القتل بآلة
جارحة اولا (اويصلبوا) اى يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ بان يصلبوا احياء وتبعج بطونهم
برمح الى ان يموتوا ولا يصلبوا بعد ماقتلوا لان الصلب حيا ابلغ فى الردع والزجر لغيره عن الاقدام على مثل هذه
المعصية (اوتقطع ايديهم وارجلهم من خلاف) اى ايديهم اليمنى من الرسغ وارجلهم اليسرى من الكعب
ان اقتصروا على اخذ من مسلم اوذمى وكان فى المقدار بحيث لوقسم عليهم اصاب كلا منهم عشرة دراهم
اومايساوى قيمة اما قطع ايديهم فلاخذ المال واما قطع ارجلهم فلاخافة الطريق بتفويت امنه (اوينفوا
من الارض) ان لم يفعلوا غير الاخافة والسعى للفساد والمراد بالنفى عندنا هو الحبس فانه نفى عن وجه الارض
بدفع شرهم عن اهلها ويعزرون ايضا لمباشرتهم منكر الاخافة وازالة الامن (ذلك لهم خزى) كائن (فى الدنيا)
اى ذل وفضيحة قوله ذلك مبتدأ ولهم خبر مقدم على المبتدأ وهو الخزى والجملة خبر لذلك (ولهم فى الآخرة)
غير هذا (عذاب عظيم) لايقادر قدره لغاية عظم جنايتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر
وفى الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب لانه فى الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا اى كائنا فى الآخرة
(الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم) استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله عزوجل كما ينبئ عنه قوله
تعالى (فاعلموا ان الله غفور رحيم) اما ماهو من حقوق الآدميين فانه لايسقط بهذه التوبة فان قطاع الطريق
ان قتلوا انسانا ثم تابوا قبل القدرة عليهم يسقط بهذه التوبة وجوب قتلهم حدا وكان لولى الدم على حقه
فى القصاص والعفو وان اخذوا اموالا ثم تابوا قبل القدرة عليهم يسقط بهذه التوبة وجوب قطع ايديهم وارجلهم
من خلاف وكان حق صاحب المال باقيا فى ماله ووجب عليهم رده واما اذا تاب بعد القدرة عليه فظاهر الآية
ان التوبة لاتنفعه ويقام الحد عليه فى الدنيا كما يضمن حقوق العباد وان سقط عنه العذاب العظيم فى العقبى
والآية فى قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يعنى ان المشرك المحارب لوآمن
بعد القدرة عليه فلا سبيل عليه بشئ من الحدود ولا يطالب بشئ مما اصاب فى حال الكفر من دم اومال كما لوآمن
قبل القدرة عليه واما المسلمون المحاربون فمن تاب منهم قبل القدرة عليه اى قبل ان يظفر به الامام سقطت عنه
العقوبة التى وجبت حقا لله ولايسقط ماكان من حقوق العباد فان كان قد قتل فى قطع الطريق سقط عنه
بالتوبة قبل القدرة عليه تحتم القتل ويبقى عليه القصاص لولى القتل ان شاء عفا عنه وان شاء استوفاه
وان كان قد اخذ المال يسقط عنه القطع وان كان جمع بينهما يسقط عنه تحتم القتل والصلب ويجب ضمان المال
وقال بعضهم اذا جاء تائبا قبل القدرة عليه لايكون لاحد تبعة فى دم ولا مال الا ان يوجد معه مال بعينه فيرده
على صاحبه روى عن على رضى الله عنه ان الحارث بن بدر جاءه تائبا بعدما كان يقطع الطريق ويسفك الدماء
ويأخذ الاموال فقبل توبته ولم يجعل عليه تبعة اصلا واما من تاب بعد القدرة عليه فلا يسقط عنه شئ
من الحقوق اعلم ان قطع الطريق واخافة المسافرين من اقبح السيئات كما ان دفع الاذى عن الطريق من احسن
الصالحات وفى الحديث عرضت على اعمال امتى حسنها وسيئها فوجدت فى محاسن اعمالها الاذى يماط عن
الطريق ووجدت فى مساوى اعمالها النخاعة تكون فى المسجد لاتدفن وفى الحديث من اشار الى اخيه اى اخيه
المسلم والذمى فى حكمه بحديدة اى بما هو آلة القتل لانه جاء فى رواية بسلاح مكان بحديدة فان الملائكة
تلعنه يعنى تدعو عليه بالبعد عن الجنة اول الامر لانه خوف مسلما باشارته وهو حرام لقوله عليه السلام
لايحل لمسلم ان يروع لمسلم اولانه قد يسبقه السلاح فيقتله كما صرح فى رواية مسلم لايشر احدكم الى اخيه
فانه لايدرى لعل الشيطان ينزغ فى يده وان كان اخاه اى المشير اخا المشار اليه لابيه وامه يعنى فان كان هازلا
ولم يقصد ضربه كنى به عنه لان الاخ الشقيق لايقصد قتل اخيه غالبا والاشارة فى الآية ان محاربة الله ورسوله
معاداة اولياء الله فان فى الخبر الصحيح حكاية عن الله تعالى من عادى لى وليا فقد بارزنى فى الحرب وانى لاغضب

لاولیائی کما یغضب اللیث لجروه الا یری ان بلعم بن باعوراء فی زمن موسی علیه السلام کان بحیث اذا نظر رأی العرش فلما مال الی الدنیا واهلها میلة واحدة ولم یترك لولی من اولیائه حرمة واحدة سلب الله معرفته وجعله بمنزلة الکلب المطرود فجزاء مثل هذا المحارب ان یقتل بسکین الخذلان او یصلب بحبل الهجران علی جذع الحرمان او یقطع ایدیه عن اذیال الوصال وارجله من خلاف عن الاختلاف او ینفی من ارض القربة والائتلاف ذلك فی الدنیا بعد وهوان وفی الآخرة عذاب القطیعة والهجران الا الذین تابوا الی الله واستغفروا واعتذروا عن اولیاء الله من قبل ان تقدروا علیهم بردّ الولایة ایها الاولیاء فان ردّکم ردّ الحق وقبولکم قبول الحق وان مردود الولایة مفقود العنایة (قال الحافظ) کلید کنج سعادت قبول اهل دلست * مبادکس که درین نکته شك وریب کند (وفی المثنوی) لاجرم از راه بر تو بسته شد * چون دل اهل دل از تو خسته شد * زود شان دریاب واستغفار کن * همچو ابری کریها و زارکن * تا کلستان شان سوی تو بشکفد * میوهای پخته برخود وا کفد * هم بران در کرد کم از سك مباش * باسك کهف ارشدستی خواجه تاش * (یا ایها الذین آمنوا اتقوا الله) ای اخشوا عذابه واحذروا معاصیه (وابتغوا) ای اطلبوا لانفسکم (الیه) ای الی ثوابه والزلفی منه (الوسیلة) ای القربة بالاعمال الصالحة قوله تعالی الیه متعلق بالوسیلة قدم علیها للاهتمام ولیست بمصدر حتی یمتنع ان یتقدم معمولها علیها بل هی فعیلة بمعنی ما یتوسل به ویتقرب الی الله تعالی من وسل الی کذا تقرب الیه والجمع الوسائل وقال عطاء الوسیلة افضل درجات الجنة وفی الحدیث سلوا الله لی الوسیلة فانها درجة فی الجنة لا ینالها الا عبد واحد وارجو من الله ان یکون هو انا وفی الحدیث من قال حین یسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت سیدنا محمدا الوسیلة والفضیلة وابعثه المقام المحمود الذی وعدته حلت له شفاعتی یوم القیامة قال المولی الفناری فی تفسیر الفاتحة اما الوسیلة فهی اعلی درجة فی جنة عدن وهی لرسول الله صلی الله علیه وسلم حصلت له بدعاء امته فعل ذلك الحق سبحانه لحکمة اخفاها فانا بسببه نلنا السعادة من الله وبه کنا خیر امة اخرجت للناس وبه ختم الله بنا الامم کما ختم به النبیین وهو صلی الله علیه وسلم مبشر کما امر ان یقول ولنا وجه خاص الی الله تعالی نناجیه منه ویناجینا وکذا کل مخلوق له وجه خاص الی ربه فامرنا عن امر الله ان ندعوا له بالوسیلة حتی ینزل فیها بدعاء امته وهذا من باب الغیرة الالهیة اه (وجاهدوا فی سبیله) بمحاربة الاعداء الظاهرة والباطنة (لعلکم تفلحون) بالوصول الی الله والفوز بکرامته والاشارة فی الایة ان الله تعالی جعل الفلاح الحقیقی فی اربعة اشیاء احدها الایمان وهو اصابة رشاشة النور فی بدو الخلقة وبه یخلص العبد من حجب ظلمة الکفر وثانیها التقوی وهو منشأ الاخلاق المرضیة ومنبع الاعمال الشرعیة وبه یخلص العبد من ظلمة المعاصی وثالثها ابتغاء الوسیلة وهو فناء الناسوتیة فی بقاء اللاهوتیة وبه یتخلص العبد من ظلمة اوصاف الوجود ورابعها الجهاد فی سبیل الله وهو اضمحلال الانانیة فی اثبات الهویة وبه یتخلص العبد من ظلمة الوجود ویظفر بنور الشهود فالمعنی الحقیقی یا ایها الذین آمنوا باصابة النور اتقوا الله بتبدیل الاخلاق الذمیمة وابتغوا الیه الوسیلة فی افناء الاوصاف وجاهدوا فی سبیله ببذل الوجود لعلکم تفلحون بنیل المقصود من المعبود کذا فی التأویلات النجمیة واعلم ان الایة الکریمة صرحت بالامر بابتغاء الوسیلة ولا بد منها البتة فان الوصول الی الله تعالی لا یحصل الا بالوسیلة وهی علماء الحقیقة ومشایخ الطریقة (قال الحافظ) قطع این مرحله بی همرهی خضر مکن * ظلماتست بترس از خطر کمراهی * والعمل بالنفس یزید فی وجودها واما العمل وفق اشارة المرشد ودلالة الانبیاء والاولیاء فیخلصها عن الوجود ویرفع الحجاب ویوصل الطالب الی رب الارباب قال الشیخ ابو الحسن الشاذلی کنت انا وصاحب لی قد اوینا الی مغارة نطلب الدخول الی الله واقمنا فیها ونقول یفتح لنا غدا او بعد غد فدخل علینا یوما رجل ذو هیبة وعلمنا انه من اولیاء الله فقلنا له کیف حالك فقال کیف یکون حال من یقول یفتح لنا غدا او بعد غد یا نفس لم لا تعبدین الله لله فتیقظنا وتبنا الی الله وبعد ذلك فتح علینا فلا بد من قطع التعلق من کل وجه لینکشف حقیقة الحال (قال الحافظ) فدای دوست نکردیم عمر ومال دریغ * که کار عشق زما این قدر نمی آید * وفی صحبة الاخیار والصلحاء شرف عظیم وسعادة عظمی وحکی ان خادم الشیخ ابی یزید البسطامی کان رجلا مغربیا فجری الحدیث عنده فی سؤال منکر ونکیر فقال المغربی والله ان یسألانی لاقولن لهما فقالوا له ومن این یعلم ذلك فقال اقعدوا

علی قبری حتی تسمعونی فلما انتقل المغربی جلسوا علی قبره فسمعوا المسألة وسمعوه یقول اتسألوننی وقد حملت فروة ابی یزید علی عنقی فمضوا وترکوه ولا تستبعد امثال هذا فان جواب المجیب المدقق یذهب معه من هنا فحصل مثل هذا الزاد (وفی المثنوی) کنج زری کو چو خسبی زیر ریك * با تو باشد آن نباشد مردریك * پیش پیش آن جنازت می رود * مونس کور وغریبی میشود (ان الذین کفروا لو ان لهم) ای لکل واحد منهم (ما فی الارض) ای من اصناف اموالها وذخائرها وسائر منافعها وهو اسم ان ولهم خبرها (جمیعا) توکید للموصول او حال منه (ومثله) عطف علی الموصول ای ضعفه (معه) ظرف وقع حالا من المعطوف والضمیر راجع الی الموصول (لیفتدوا به) متعلق بما تعلق به خبر ان اعنی الاستقرار المقدر فی لهم وبه متعلق بالافتداء والضمیر راجع الی الموصول ومثله معا وتوحیده لاجرائه مجری اسم الاشارة کانه قیل بذلك (من عذاب یوم القیامة) متعلق بالافتداء ایضا ای لو ان ما فی الارض ومثله ثابت لهم لجعلوه فدیة لانفسهم من العذاب الواقع یومئذ وافتدوا به (ما تقبل منهم) ذلك وهو جواب لو بما فی حیزه خبر ان والجملة تمثیل للزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة وفی الحدیث یجاء بالکافر یوم القیامة فیقال له ارأیت لو کان لك ملء الارض ذهبا اکنت تفتدی به فیقول نعم فیقال له انك کنت سئلت ما هو الایسر من ذلك ای ما هو اسهل من الافتداء المذکور وهو ترك الاشراك بالله تعالی واتیان کلمة الشهادة (ولهم عذاب الیم) وجیع یخلص وجعه الی قلوبهم (یریدون) کانه قیل فکیف یکون حالهم او ماذا یصنعون فقیل انهم یریدون (ان یخرجوا من النار) له وجوه الاول انهم یقصدون ذلك ویطلبون المخرج فیلفحهم لهب النار ویرفعهم الی فوق فهنالك یریدون الخروج ولات حین مناص والثانی انهم یکادون یخرجون منها لقوة النار وزیادة رفعها ایاهم والثالث انهم یتمنون ویریدون بقلوبهم (وما هم) ای یریدون ذلك والحال انهم لیسوا (بخارجین منها) لانهم کلما ارادوا ان یخرجوا منها اعیدوا فیها (ولهم عذاب مقیم) ای دائم لا ینقطع وهو تصریح من عدم تناهی مدته بعد بیان شدته وفی الحدیث یقال لاهل الجنة لکم خلود ولا موت ولاهل النار یا اهل النار خلود ولا موت ای لکم خلود فی النار روی ان هذین القولین یکونان بعد ان یؤتی بالموت فی صورة کبش فیذبح بین الجنة والنار وانما یمثل الموت بهذا المثال لیشاهدوا باعینهم ویستقر فی انفسهم ان الموت ارتفع فیزداد اهل الجنة فرحا واهل النار ترحا وتخصیص صورة الکبش لانه لما کان فداء عن اسماعیل الذی نبینا علیه السلام من نسله کان فی المعنی فداء عن جمیع الاحیاء فی الدنیا لانهم خلقوا لاجله فناسب ان یکون فداء عنهم فی دار الآخرة ایضا کذا فی شرح المشارق لابن الملك واعلم ان الکفر وجزاءه وهو الخلود فی النار اثر اخطاء رشاش النور الالهی فی عالم الارواح وقد انعم الله تعالی علی المؤمنین باصابة ذلك النور (وفی المثنوی) مؤمنان کان عسل زنبور وار * کافران خود کان زهری همچو مار * جنبش خلق از قضا و وعده است * تیزئ دندان زسوز معده است * نفس اول راند بر نفس دوم * ماهی از سر کنده باشد نی زدم * تو نمیدانی کزین دو کیستی * جهد کن چندانکه بینی چیستی * چون نهی بر پشت کشتی باررا * بر توکل میکنی ان کاررا * تو نمیدانی که از هردو کیی * غرقه اند رسفر یا ناجیی * چونکه بر توکلست * جمله کارها * کار دین اولی کزین یابی رها * قال بعض الصلحاء رأیت فی منامی کانی واقف علی قناطر جهنم فنظرت الی هول عظیم فجعلت افکر فی نفسی کیف العبور علی هذه فاذا قائل یقول یا عبد الله ضع حملك واعبر فقلت وما حملی قال دع الدنیا (قال الحافظ) تا کی غم دنیای دنی ای دل دانا * حیفست زخوبی که شود عاشق زشتی وفی الحدیث (یؤتی بانعم اهل الدنیا) الباء فیه للتعدیة وانعم افعل تفضیل من النعمة ای باکثرهم نعمة (من اهل النار یوم القیامة فیصبغ فی النار صبغة) یعنی یغمس فیها مرة اراد من الصبغ الغمس اطلاقا للملزوم علی اللازم لان الصبغ انما یکون بالغمس غالبا ثم اراد من غمسه فیها اصابة نفحة من النار به (ثم یقال یا ابن آدم هل رأیت خیرا قط هل مر بك نعیم قط فیقول لا والله یا رب) شدة العذاب انسته ما مضی علیه من نعم الدنیا (ویؤتی باشد الناس بؤسا) ای شدة وبلاء فی الدنیا (من اهل الجنة فیصبغ صبغة من الجنة فیقال له یا ابن آدم هل رأیت بؤسا قط هل مر بك شدة قط فیقول لا والله ما مر بی بؤس قط ولا رأیت شدة قط) کذا فی شرح المشارق لابن ملك * هر چند غرق بحر کناهم زصد جهت * کر آشنای عشق شوم زاهل رحمتم (والسارق

والسارقة) وهو مبتدأ محذوف الخبر اى حكم السارق والسارقة ثابت فيما يتلى عليكم فقوله تعالى (فاقطعوا ايديهما) بيان لذلك الحكم المقدر فما بعد الفاء مرتبط بما قبلها ولذلك اتى بها فيه لانه هو المقصود مما قبلها ولو لم يأت بالفاء لتوهم انه اجنبى وانما قدر الخبر لان الامر انشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل والمراد بايديهما أيمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما فى قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه وتفصيل ما يتعلق بالسرقة سيجيء فى آخر المجلس (جزآء بما كسبا نكالا من الله) منصوبان على المفعول له والمعنى فاقطعوهما مكافأة لهما على ما فعلا من فعل السرقة وعقوبة رادعة لهما من العود ولغيرهما من الاقتدآء بهما وبما كسبا متعلق بجزآء ومن الله صفة نكالا اى نكالا كائنا منه تعالى والنكال اسم بمعنى التنكيل مأخوذ من النكول وهو الامتناع (والله عزيز) غالب على امره يمضيه كيف يشاء من غير ند ينازعه ولا ضد يمانعه (حكيم) فى شرآئعه لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرآئع المنطوية على فنون الحكم والمصالح (فمن تاب) من السراق الى الله تعالى (من بعد ظلمه) اى من بعد ان ظلم غيره بأخذ ماله والتصريح به مع ان التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته (واصلح) اى امره بالتفصى عن تبعات ما باشره والعزم على ان لا يعود الى السرقة (فان الله يتوب عليه) اى يقبل توبته فلا يعذبه فى الاخرة واما القطع فلا تسقطه التوبة عندنا لان فيه حق المسروق منه قال الحدادى لا تقطع يده اذا رد المال قبل المرافعة الى الحاكم واما اذا رفع الى الحاكم ثم تاب فالقطع واجب فان كانت توبته حقيقية كان ذلك زيادة درجات له كما ان الله تعالى ابتلى الصالحين والانبياء بالبلايا والمحن والامراض زيادة لهم فى درجاتهم وان لم تكن توبته حقيقية كان الحد عقوبة له على ذنبه وهو مؤاخذ فى الآخرة ان لم يتب (ان الله غفور رحيم) مبالغ فى المغفرة والرحمة ولذلك يقبل التوبة (الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به الجميع والاستفهام الانكارى لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى على ما سيأتى من التعذيب والمغفرة على ابلغ وجه واتمه اى الم تعلم ان الله له السلطان القادر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة الى غير ذلك حسبما تقتضيه مشيئته (يعذب من يشاء) ان يعذبه ولو على الذنب الصغير وهو عدل منه (ويغفر لمن يشاء) ان يغفر له ولو كان الذنب عظيما وهو الفضل منه اى يعذب لمن توجب الحكمة تعذيبه ويغفر لمن توجب الحكمة مغفرته (والله على كل شيء قدير) فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة قال ابن الشيخ انه تعالى لما اوجب قطع يد السارق وعقاب الاخرة لمن مات منه قبل التوبة ثم ذكر انه يقبل توبته ان تاب اردفه ببيان انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فيعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء يحسن منه التعذيب تارة والمغفرة اخرى لانه مالك جميع المحدثات وربهم والههم والمالك له ان يتصرف فى ملكه كيف شاء واراد لا كما زعمت المعتزلة من ان حسن افعاله تعالى ليس لاجل كونه الها للخلق ومالكا بل لاجل كونها على وفق مصالح الخلق ومتضمنة لرعاية ما هو الاصلح لهم انتهى واعلم ان السرقة هى اخذ مكلف خفية قدر عشرة دراهم مضروبة من حرز لا ملك له فيه ولا شبهة فاحترز بالمكلف عن اخذ صبى ومجنون وبالخفية وهو ركن السرقة عن الغصب وقطع الطريق وقوله قدر عشرة دراهم اى عينا او قيمة وهذا نصاب السرقة فى حق القطع واما فى حق العيب فاخذ ما دون عشرة يعد سرقة ايضا شرعا ويعد عيبا حتى يرد العبد به على بائعه وعند الشافعى نصاب السرقة ربع دينار ولنا قوله عليه السلام لا قطع الا فى ربع دينار او فى عشرة دراهم والاخذ بالاكثر اولى احتيالا لدرء الحد والمعتبر فى هذه الدراهم ما يكون عشرة منها وزن سبعة مثاقيل واحترز بالمضروبة عما قيمته دونها حتى اذا سرق تبرا عشرة لا يساوى عشرة مضروبة لا يجب القطع وقوله من حرز اى من مال ممنوع من ان يصل اليه يد الغير سوآء كان المانع بناء او حافظا قال البغوى اذا سرق شيأ من غير حرز كثمر فى حائط لا حارس له او حيوان فى برية لا حافظ له او متاع فى بيت منقطع عن البيوت لا قطع عليه وقيد بقوله ولا شبهة لانه لو كان له شبهة فى المسروق كما اذا سرق من بيت المال او فى الحرز كما اذا سرق من بيت اذن الناس بالدخول فيه كالحمام والرباط لا يقطع لان القطع يندرئ بالشبهة وكذا لا قطع بسرقة مال سيده لوجود الاذن بالدخول عادة وكذا بسرقة مال زوجته او زوجها ولو من حرز خاص لاخر لا يسكنان فيه لان اليد المبسوطة لكل من الزوجين فى مال الاخر ثابتة

وهو

وهو مانع عن القطع وكذا لا قطع بسرقة مال من بينهما قرابة ولاء لجريان الانبساط بين الاصول والفروع بالانتفاع فى المال والدخول فى الحرز ولا بسرقة من بيت ذى رحم محرم ولو كان المسروق مال غيره لعدم الحرز ويقطع يمين السارق من زنده وهو مفصل الذراع فى الكف ويحسم بان يدخل فى الدهن الحار بعد القطع لقطع الدم لانه لو لم يحسم لافضى الى التلف والحد زاجر لا متلف ولهذا لا يقطع فى الحر الشديد والبرد الشديد وان سرق ثانيا بعد ما قطعت يده اليمنى تقطع رجله اليسرى من المفصل وان سرق ثالثا لا يقطع بل يحبس حتى يتوب ويظهر عليه سيما الصالحين والتائبين لقول على رضى الله عنه فيمن سرق ثلاث مرات انى لاستحيى من الله ان لا ادع له يدا يأكل بها ويستنجى ورجلا يمشى عليها وفى الحديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وفيه دليل على ان التوبة يعلم اثرها وتثبت السرقة بما يثبت به شرب الخمر اى بالشهادة او بالاقرار مرة ونصابها رجلان لان شهادة النساء غير مقبولة فى الحدود وطلب المسروق منه شرط القطع لان الخيانة على ملك الغير لا تظهر الا بخصومته ولا فرق فى القطع بين الشريف والوضيع وعن عائشة رضى الله عنها قالت سرقت امرأة مخزومية فاراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يقطع يدها فاستشفع لها اسامة بن زيد وكان النبى عليه الصلاة والسلام يحبه فلم يقبل وقال يا اسامة اتشفع فى حد من حدود الله انما اهلك الذين قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وفى الحديث نهى عن الشفاعة فى الحدود بعد بلوغ الامام ولهذا رد رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعة اسامة واما قبله فالشفاعة من المجنى عليه جائزة والستر على الذنب مندوب اذا لم يكن صاحب شر واذى (قال السعدى) پس پرده بيند عملهاى بد * هم او پرده پوشد بالاى خود * وفى الحديث ايضا دلالة على وجوب العدل فى الرعية واجرآء الحكم على السوية قال الامام ابو منصور فان قيل ما الحكمة فى قطع يد قيمتها الوف بسرقة عشرة دراهم فكيف يكون قطعها جزآء لفعل السارق وقد قال تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قلنا جزآء الدنيا محنة يمتحن بها المرء ولله تعالى ان يمتحن بما شاء ابتدآء اى من غير ان يكون ذلك جزآء على كسب العبد ولان القطع ليس بجزآء ما اخذ من المال ولكن لما هتك من الحرمة الا يرى انه قال جزآء بما كسبا فيجوز ان يبلغ جزآء هتك تلك الحرمة قطع اليد وان قصر على العشر علم ذلك لان مقادير العقوبات انما يعلمها من يعلم مقادير الجنايات واذا كان الامر كذلك فالحق التسليم والانقياد انتهى ونعم ما قال يونس بن عبيد فى باب الترهيب لا تأمن من قطع فى خمسة دراهم خير عضو منك ان يكون عذابه هكذا غدا كما فى منهاج العابدين فعلى العاقل ان يتوب عن الزلل وينقطع عن الحيل ويتوجه الى الله الاعلى الاجل (وفى المثنوى) حيلها وچارها كر اژدهاست * پيش الا الله آنها جمله لاست * قفل زفتست وكشاينده خدا * دست در تسليم زن اندر رضا * ثم ان الله تعالى انما بدأ بالسارق فى هذه الاية قبل السارقة وفى آية الزنى بدأ بالزانية لان السرقة تفعل بالقوة والرجل اقوى من المرأة والزنى يفعل بالشهوة والمرأة اكثر شهوة والمرأة ادعى من الرجل الى نفسها منه اليها ولهذا لو اجتمع جماعة على امرأة لم يقدروا عليها الا بمرادها ولهذا قيل قال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ولم يقل وعصت حوآء مع انها اكلت قبل آدم ودعته الى الاكل وقيل انما قطعت يد السارق لانها باشرت ولم يقطع ذكر الزانى للمباشرة خوفا لقطع النسل ويحصل ايضا لذة الزنى بجميع البدن قال النيسابورى قطعت يد السارق لانها اخذت المال الذى هو يد الغنى وعماده كانه اخذ يد انسان فجزوا يده لتناولها حق الغير وقيل قال الله تعالى ولله خزآئن السموات والارض فكل ما عند العبد من مال فهو خزانة الحق عنده والعبد خازنه فهما تعدى خزانة مولاه بغير اجازة استحق السياسة بقطع آلة التعدى الى خيانة خزانته وهى اليد المتعدية ثم ان السرقة كما تكون من المال كذلك تكون من العبادات وفى الحديث اسوء الناس سرقة الذى يسرق من صلاته قالوا يا رسول الله كيف يسرق من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها وفى الحديث ان الرجل ليصلى ستين سنة وما تقبل له صلاة لعله يتم الركوع ولا يتم السجود ويتم السجود ولا يتم الركوع كذا فى الترغيب والترهيب فمثل هذا المصلى يقطع يمينه عن نيل الوصال فلا يصل الى مراده بل يبقى فى الهجران والقطعية اذ هو اساء الادب بل قصر فيما امر الرب سبحانه وتعالى (يا ايها الرسول) خاطبه صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة للتشريف (لا يحزنك الذين) اى صنع الذين فان الذوات مع قطع

النظر عن العوارض لا توجب الحزن والفرح (يسارعون فى الكفر) اى يقعون فى الكفر سريعا فى اظهاره اذا وجدوا منه فرصة والمقصود نهيه عليه السلام عن ان يحزن بصنيعهم بناء على انه تعالى ناصره عليهم والمعنى لا تحزن ولا تبال بتهافتهم فى الكفر سريعا (من الذين) بيان للمسارعين فى الكفر (قالوا آمنا بافواههم) متعلق بقالوا والفائدة فى بيان تعلقه بالافواه مع ان القول لا يكون الا بالفم واللسان الاشارة الى ان السنتهم ليست معبرة عما فى قلوبهم وان ما يجرون على السنتهم لا يجاوز افواههم وانما نطقوا به غير معتقدين له بقلوبهم (ولم تؤمن قلوبهم) جملة حالية من ضمير قالوا جىء بها للتصريح بما اشار اليه بقوله بافواههم (ومن الذين هادوا) عطف على من الذين قالوا وبه يتم بيان المسارعين فى الكفر بتقسيمهم الى قسمين المنافقين واليهود (سماعون) خبر مبتدأ محذوف والتقدير هم اى المنافقون واليهود سماعون (للكذب) اللام اما لتقوية العمل واما لتضمن السماع معنى القبول واما لام كى والمفعول محذوف والمعنى هم مبالغون فى سماع الكذب او فى قبول ما تفتريه احبارهم من الكذب على الله سبحانه وتحريف كتابهم اوسماعون اخباركم واحاديثكم ليكذبوا عليكم بالزيادة والنقص والتبديل فان منهم من يسمع من الرسول عليه السلام ثم يخرج ويقول سمعت منه كذا وكذا ولم يسمع ذلك منه (سماعون لقوم آخرين) خبر ثان للمبتدأ المقدر مقرر للاول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجهين الاولين واللام مثل اللام فى سمع الله لمن حمده فى الرجوع الى معنى من اى قبل منه حمده والمعنى مبالغون فى قبول كلام قوم آخرين (لم يأتوك) صفة اخرى لقوم اى لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا فى البغضاء قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) صفة اخرى لقوم اى يميلونه ويزيلونه عن مواضعه بعد ان وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وصفه واما بحمله على غير المراد واجرائه فى غير مورده (يقولون) صفة اخرى لقوم اى يقولون لاتباعهم السماعين لهم عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة مشيرين الى كلامهم الباطل (ان اوتيتم) من جهة الرسول (هذا) المحرف (فخذوه) واعملوا بموجبه فانه الحق (وان لم تؤتوه) بل اوتيتم غيره (فاحذروا) قبوله واياكم واياه روى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين وحدهما الرجم فى التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بنى قريظة فقدم الرهط حتى نزلوا على قريظة والنضير فقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل ومعه فى بلده وقد حدث فينا حدث فلان وفلانة فجرا وقد احصنا فنحب ان تسألوا لنا محمدا عن قضائه فيه فقالت لهم قريظة والنضير اذا والله يأمركم بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وكنانة بن ابى الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزانى والزانية اذا احصنا ما حدهما فى كتابك فقال هل ترضون بقضائى قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بالرجم فاخبرهم بذلك فابوا ان يأخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال عليه السلام هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم فقال اى رجل هو فيكم قالوا هو اعلم يهودى بقى على وجه الارض بما انزل الله على موسى فى التوراة قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال له عليه السلام انت ابن صوريا قال نعم قال وانت اعلم يهودى قال كذلك يزعمون قال اتجعلونه بينى وبينكم قالوا نعم قال له النبى عليه السلام انشدك بالله الذى لا اله الا هو الذى انزل التوراة على موسى واخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وانجاكم واغرق آل فرعون والذى ظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى وانزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون فى كتابكم الرجم على من احصن قال ابن صوريا نعم والذى ذكرتنى به لولا خشيت ان تحرقنى التوراة ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هى فى كتابك يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه قد ادخله فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذى انزل التوراة على موسى هكذا انزل الله فى التوراة على موسى فقال له النبى عليه السلام فماذا كان اول ما ترخصتم به فى امر الله تعالى قال كنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنى فى اشرافنا حتى زنى ابن عم ملكنا فلم يرجم ثم زنى رجل آخر فى اسوة من الناس فاراد ذلك الملك رجمه فقام دونه قومه وقالوا والله لا ترجمه حتى ترجم فلانا ابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيأ دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلدا اربعين جلدة بحبل مطلى بالقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وجوههما من قبل دبر الحمار يطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم

فقالت

فقالت اليهود لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته به وما كنت لما اثنينا عليك باهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك فقال لهم انه قد نشدنى بالتوراة ولولا خشية التوراة ان تهلكنى لما اخبرته فامر بهما النبى صلى الله عليه وسلم فرجما عند باب المسجد وقال اللهم انى اول من احيى امرك اذ اماتوه فانزل الله تعالى يا ايها الرسول الاية (ومن) شرطية (يرد الله فتنته) اى ضلالته او فضيحته كائنا من كان (فلن تملك له) فلن تستطيع له (من الله شيأ) فى دفعها (اولئك) المنافقون واليهود (الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم) اى من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم فيهما واصرارهم عليهما واعراضهم عن صرف اختيارهم الى تحصيل الهداية بالكلية (لهم) اى للمنافقين واليهود (فى الدنيا خزى) اما المنافقون فخزيهم فضيحتهم وهتك سترهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما خزى اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم فى كتمان نص التوراة (ولهم فى الآخرة) اى مع الخزى الدنيوى (عذاب عظيم) هو الخلود فى النار (سماعون للكذب) تكرير لما قبله (اكالون للسحت) اى الحرام كالرشى من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة (فان جاؤك) الفاء فصيحة اى واذا كان حالهم كما شرح فان جاؤك متحاكمين اليك فيما شجر بينهم من الخصومات (فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم) بيان لحال الامرين اثر التخيير (فلن يضروك شيأ) من الضرر بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل الذى امرت به كما حكمت بالرجم (ان الله يحب المقسطين) العادلين فيحفظهم عن كل مكروه ومحذور ويعظم شأنهم وفى الحديث المقسطون عند الله على منابر من نور (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه فى كتابهم الذى يدعون الايمان به وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو اهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة او رفعها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه (ثم يتولون) عطف على يحكمونك داخل فى حكم التعجب ثم للتراخى فى الرتبة (من بعد ذلك) اى من بعد ما حكموك وهو تصريح بما علم قطعا لتأكيد الاستبعاد والتعجب اى ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا بحكمك (وما اولئك) الموصوفون بما ذكر (بالمؤمنين) اى بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعن حكمك الموافق لكتابهم ثانيا او بك وبه وفى الآيات ذم للظلم ومدح للعدل وقدح فى الحرام والرشوة وفى الحديث كل لحم انبته السحت فالنار اولى به وفيه لعن الله الراشى والمرتشى والرائش واراد بالرائش الذى يمشى بينهما (وفى المثنوى) اى بسا مرغى پرنده دانه جو * كه بريده حلق او هم حلق او * اى بسا ماهى در آب دوردست * كشته از حرص گلو مأخوذ شست * اى بسا مستور در پرده بده * شومى فرج وگلو رسوا شده * اى بسا قاضى حبر نيك خو * از گلو رشوتى او زرد رو * بلكه در هاروت وماروت آن شراب * از عروج چرخشان شد سد باب * ذكر فى ادب القاضى للخصاف الرشوة على اربعة اوجه اما ان يرشوه لانه قد خوفه فيعطيه الرشوة ليدفع الخوف عن نفسه او يرشوه ليسوى امره بينه وبين السلطان او يرشوه ليتقلد القضاء من السلطان او يرشو القاضى ليقضى له ففى الوجه الاول لا يحل الاخذ لان الكف عن التخويف كف عن الظلم وانه واجب حقا للشرع فلا يحل اخذه لذلك ويحل للمعطى الاعطاء لانه جعل المال وقاية للنفس وهذا جائز موافق للشرع وفى الوجه الثانى ايضا لا يحل الاخذ لان القيام بامور المسلمين واجب بدون المال فلا يحل له الاخذ وفى الوجه الثالث لا يحل له الاخذ والاعطاء واما الرابع فحرام الاخذ سواء كان القضاء بحق او ظلم اما الظلم فلوجهين احدهما انه رشوة والثانى انه سبب للقضاء بالجور واما الحق فلوجه واحد وهو انه اخذ المال لاقامة الواجب واما الاعطاء فان كان بجور لا يجوز وان كان بحق جاز قال ابن مسعود رضى الله عنه من شفع شفاعة يرد بها حقا او يدفع بها ظلما فاهدى له فقبل فهو سحت وفى نصاب الاحتساب ان المحتسب او القاضى اذا اهدى اليه ممن يعلم انه يهدى لاحتياجه الى القضاء والحسبة لا يقبل ولو قبل كان رشوة واما ممن يعرف انه يهدى للتودد والتحبب لا للقضاء والحسبة فلا بأس منه وكان الصحابة رضى الله عنهم يتوسعون فى قبول الهدايا عنهم وهذا لان الهدية كانت عادتهم وكانوا لا يلتمسون منهم شيأ وانما كانوا يهدون لاجل التودد والتحبب وكانوا يستوحشون برد هداياهم فلا يكون فيه

معنى الرشوة فلهذا كانوا يقبلونها قال قوم ان صلات السلاطين تحل للغنى والفقير اذا لم يتحقق انها حرام وانما التبعة على المعطى قالوا لان النبى صلى الله عليه وسلم قبل هدية المقوقس ملك الاسكندرية واستقرض من اليهود مع قول الله تعالى اكالون للسحت واما حال السوق فمتى علمت ان الحرام هو الاكثر فلا تشتر الا بعد التفتيش وان كان كثيرا وليس بالاكثر فلك السؤال ولقد كان النبى عليه السلام واصحابه يشترون من الاسواق مع علمهم بان فيهم اهل الربا والغصب والغلول قال الحدادى ومن السحت ثمن الخمر والخنزير والميتة وعسب الفحل واجرة النائحة والمغنية والساحر وهدية الشفاعة ومهر البغى وحلوان الكاهن هكذا قال عمر وعلى وابن عباس رضى الله عنهم قالوا والمال الذى يأخذه المغنى والقوال ونحوهما حكم ذلك اخف من الرشوة فان صاحب المال اعطاه عن غير اختيار بغير عقد قال ابن كيسان سمعت الحسن يقول اذا كان لك على رجل دين فاكلت فى بيته فهو سحت فعليك ايها المؤمن المتقى بالاحتياط فى امورك حتى لا تقع فى الشبهات بل فى الحرام وانما تحصل التصفية للقلب باكل الغذآء الحلال (قال الحافظ) صوفى شهر بين كه چون لقمهٔ شبهه ميخورد * پاردمش دراز باد آن حيوان خوش علف * والمقصود من البيت تشبيه الذى لا يحترز عن الشبهات بالحيوان فى الاكل من كل ما يجده من غير تفرقة ولان تناول الشبهات من كمال الحرص لانه لو لم يكن له حرص لكان له قناعة بالحلال ولو قليلا والحيوان يعظم من كثرة الاكل والشرب والنوم وهى حكم الطبيعة (انا انزلنا التوراة) حال كونها (فيها هدى) تهدى شرا نعها واحكامها الى الحق وترشد الناس اليه (ونور) تكشف ما انبهم من الاحكام وما يتعلق بها من المستورة بظلمات الجهل (يحكم بها النبيون) اى انبياء بنى اسرآئيل اى يحكمون باحكامها ويحملون الناس عليها (الذين اسلموا) ان قلت النبيون اعظم من الاسلام فكيف يمدح نبى بانه رجل مسلم وما الوصف به بعد الوصف بالنبوة الا تنزل من الاعلى الى الادنى قلت قد يذكر الوصف مدحا للوصف ففائدة التوصيف تنويه شان الصفة والتنبيه على عظم قدرها حيث وصف بها عظيم كما وصف الانبياء بالصلاح والملائكة بالايمان وقد قيل اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف (قال)

ما ان مدحت محمدا بمقالتى * لكن مدحت مقالتى بمحمد

(للذين هادوا) متعلق بيحكم اى يحكمون فيما بينهم واللام لبيان اختصاص الحكم بهم اعم من ان يكون لهم اوعليهم كانه قيل لاجل الذين هادوا (والربانيون والاحبار) عطف على النبيون اى هم ايضا يحكمون باحكامها وهم الزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود (بما استحفظوا من كتاب الله) اى بالذى استحفظوه من جهة النبيين وهو التوراة حيث سألوهم ان يحفظوها من التضييع والتحريف على الاطلاق ولا ريب فى ان ذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم فى اجرآء احكامها من غير اخلال بشئ منها والباء سببية متعلقة بيحكم اى ويحكم الربانيون والاحبار ايضا بسبب ما حفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم به انبياؤهم وسألوهم ان يحفظوه (وكانوا عليه شهدآء) اى رقباء لا يتركونهم ان يغيروا فهو من الشهود بمعنى الحضور (فلا تخشوا الناس) كائنا من كان ايها الرؤساء والاحبار واقتدوا فى مراعاة احكامها وحفظها بمن قبلكم من الانبياء واشياعهم (واخشون) فى الاخلال بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسوء نهوا ان يخشوا غير الله فى حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ودلالة الاية تتناول حكام المسلمين (ولا تشتروا بآياتى) الاشترآء استبدال السلعة بالثمن اى اخذها بدلا عنه ثم استعير لاخذ شئ بدلا عما كان له عينا كان او معنى اخذا منوطا بالرغبة فيما اخذ والاعراض عما اعطى وبذاى لا تستبدلوا بآياتى التى فيها بان تخرجوها منها او تتركوا العمل بها وتأخذوا لانفسكم بدلا منها (ثمنا قليلا) من الرشوة والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة فى نفسها لاسيما بالنسبة الى ما فات عنهم بترك العمل بها آن جهان جيفه است ومردار ورخيص * بر چنين مردار چون باشم حريص * پس حيات ماست موقوف فطام * اندك اندك جهد كن فهم الكلام * ولما كان الاقدام على التحريف لدفع ضرر كما اذا خشى من ذى سلطان او لجلب نفع كما اذا طمع فى الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما صريحا (ومن لم يحكم بما انزل الله) مستهينا به منكرا له كائنا من كان كما يقتضيه ما فعلوه من التحريف (فاولئك هم الكافرون) لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم بانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج

عنه (وكتبنا) فرضنا عطف على انزلنا التوراة (عليهم) اى على الذين هادوا (فيها) اى فى التوراة (ان النفس بالنفس) اى تقاد بها اذا قتلها بغير حق (والعين) تفقأ (بالعين) اذا فقئت بغير حق (والانف) تجدع (بالانف) المقطوعة بغير حق (والاذن) تصلم (بالاذن) المقطوعة ظلما (والسن) تقلع (بالسن) المقلوعة بغير حق (والجروح قصاص) اى ذات قصاص بحيث تعرف المساواة واما ما لا يمكن الاقتصاص منه من كسر عظم او جرح لحم كالجائفة ونحوها فلا قصاص فيه لانه لا يمكن الوقوف على نهايته ففيه ارش او حكومة (فمن تصدق) اى من المستحقين (به) اى بالقصاص اى فمن عفا عنه فالتعبير بالتصدق للمبالغة فى الترغيب فيه (فهو) اى التصدق (كفارة له) اى للمتصدق يكفر الله تعالى بها ما سلف من ذنبه واما الكافر اذا عفا لا يكون عفوه كفارة له مع اقامته على الكفر وفى الحديث من اصيب بشئ من جسده فتركه لله كان كفارة له وفى الحديث ثلاث من جاء بهن يوم القيامة مع الايمان دخل الجنة من اى ابواب الجنة شاء وتزوج من الحور العين حيث شاء من عفا عن قاتله ومن قرأ دبر كل صلاة مكتوبة قل هو الله احد عشر مرات ومن ادى دينا خفيا وقال بعضهم الهاء كناية عن الجارح والقاتل يعنى اذا عفا المجنى عليه عن الجانى فعفوه كفارة لذنب الجانى لا يؤخذ به فى الاخرة كما ان القصاص كفارة له فاما اجر العافى فعلى الله (ومن لم يحكم بما انزل الله) من الاحكام والشرآئع (فاولئك هم الظالمون) المبالغون فى الظلم المتعدون لحدوده تعالى الواضعون للشئ فى غير موضعه (وقفينا على آثارهم) عطف على انزلنا التوراة اى آثار النبيين المذكورين (بعيسى ابن مريم) اى ارسلناه عقيبهم وجئنا به بعدهم يقال قفوت اثره قفوا وقفوا اى اتبعته فهو يتعدى الى واحد واذا قلت قفيت على اثره بفلان يكون المعنى اتبعته اياه وحقيقة التقفية الاتيان بالشئ فى قفا غيره والتضعيف فيه ليس للتعدية فان فعل المضعف قد يكون بمعنى فعل المجرد كقدر وقدر وانما تعدى الى الثانى بالباء فمفعوله الاول محذوف اى اتبعنا النبيين الذين ذكرناهم بعيسى وجعلناه ممن يقفوهم فحذف المفعول وجعل على آثارهم كالقائم مقامه (مصدقا لما بين يديه من التوراة) حال من عيسى (وآتيناه الانجيل) عطف على قفينا (فيه هدى ونور) كما فى التوراة وهو فى محل النصب على انه حال من الانجيل اى كائنا فيه ذلك كانه قيل مشتملا على هدى ونور (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) عطف عليه داخل فى حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التوراة زيادة تقرير (وهدى وموعظة للمتقين) عطف على مصدقا منتظم معه فى سلك الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل مشتملا عليه حيث قيل فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة للمتقين لانهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه (قال الحافظ) گرانگشت سليمانى نباشد * چه خاصيت دهد نقش نگينى * فكما ان الانتفاع بالخاتم انما يكون لمن كان له مشرب سليمانى كذلك الانتفاع بالكتاب انما يكون لمن له تقوى رحمانى (وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه) اى آتيناه الانجيل وقلنا ليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه (ومن لم يحكم بما انزل الله) منكرا له مستهينا به (فاولئك هم الفاسقون) المتمردون الخارجون عن الايمان وفيه دلالة على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان عيسى عليه السلام كان مستقلا بالشرع مأمورا بالعمل بما فيه من الاحكام قلت او كثرت لا بما فى التوراة خاصة وفيه تهديد عظيم للحكام وفى الحديث يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة العذاب ما يتمنى انه لم يفصل بين احد فى تمرتين فاذا كان هذا حال القاضى العدل فما ظنك بالجائر والمرتشى بو حنيفه قضا نكرد وبمرد * تو بميرى اگر قضا نكنى * وفى الحديث القضاة ثلاثة قاضيان فى النار وقاض فى الجنة قاض قضى بغير حق وهو يعلم فذاك فى النار وقاض قضى وهو لا يعلم فاهلك حقوق الناس فذاك فى النار وقاض قضى بحق فذاك فى الجنة كذا فى المقاصد الحسنة للامام السخاوى حكى ان بنى اسرآئيل كانوا ينصبون لاجرآء الاحكام بينهم حكاما ثلاثة حتى اذا رفع الخصم الامر الى واحد منهم فلم يرض من الآخر ترافعا الى الثانى ثم الى الثالث ليطمئن قلبه فذات يوم تصور ملك بصورة انسان يريد امتحان هؤلاء الحكام فركب على رمكة وقام على رأس بئر فاذا رجل اتى ببقرة له مع عجلها ليسقيهما فلما سقاهما واراد الرجوع اشار الملك الى العجل فجاء الى جنب الرمكة فكلما نادى صاحبه ودعاه لم يستمع ولم يذهب الى الام فجاء الرجل ليسوقه باى وجه يمكن فقال الملك يا هذا الرجل ان العجل قد ولدته رمكتى هذه فاذهب وخلنى وعجلى فقال الرجل يا عجبا العجل ملكى قد ولدته بقرتى هذه فتنازعا وترافعا الى القاضى الاول فسبق الملك الرجل الى القاضى وقال ان قضيت لى بالعجل دفعت لك كذا فقبله

القاضى فلما تحاكما حكم بالعجل للملك فلم يرض به الرجل فترافعا الى الثانى فحكم هو ايضا بالعجل للملك فلم يرض به الرجل ايضا فترافعا الى الثالث فلما عرض الملك الرشوة عليه قال لا استطيع هذا الحكم فانى قد حضت فقال الملك ايش تقول هل تحيض الرجال والحيض من خواص النساء فقال القاضى له تتعجب من كلامى ولا تتعجب من كلامك فكما ان الرجال لا تحيض فكذلك الرمكة لا تلد عجلا فقال الملك هناك قاضيان فى النار وقاض فى الجنة وهذا الكلام منقول من لسانه كذا ذكر البعض نقلا عن فم حضرة الشيخ الشهير بهدآيى الاسكدارى قدس سره (وانزلنا اليك) يا محمد (الكتاب) اى القرآن حال كونه ملتبسا (بالحق) والصدق حال كونه (مصدقا لما بين يديه من الكتاب) اى مصدقا لما تقدمه من جنس الكتب المنزلة من حيث انه نازل حسبما نعت فيه وموافقاله فى التوحيد والعدل واصول الشرآئع (ومهيمنا عليه) اى رقيبا على سائر الكتب المحفوظة عن التغير لانه يشهد لها بالصدق والصحة والثبات وتقرر اصول شرآئعها وما يتأبد من فروعها وبعين احكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب فى انه تميز احكامها الباقية على المشروعية ابدا عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها من احكام كونها مهيمنا عليها (فاحكم بينهم) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اى اذا كان شأن القرآن كما ذكر فاحكم بين اهل الكتاب عند تحاكمهم اليك (بما انزل الله) اى بما انزله اليك فانه مشتمل على جميع الاحكام الشرعية الباقية فى الكتب الالهية (ولا تتبع اهوآءهم عما جاءك من الحق) بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن متعلقة بلا تتبع على تضمين معنى العدول ونحوه كانه قيل لا تعدل عما جاءك من الحق متبعا اهوآءهم (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) الخطاب بطريق الالتفات للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل للماضين ايضا بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدى لواحد وهو اخبار بجعل ماض لا انشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل والمعنى لكل امة كائنة منكم ايها الامم الباقية والخالية جعلنا اى عينا ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الامة لا تكاد امة تتخطى شرعتها التى عينت لها فالامة من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام شرعتهم التوراة والتى كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبى عليهما السلام شرعتهم الانجيل واما انتم ايها الموجودون فشرعتكم القرآن ليس الا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هى الطريقة الى الماء شبه بها الدين الذى شرعه الله اى سنه من نحو الصوم والصلاة والحج والنكاح وغير ذلك من وجوه الصلاح لكونه سبيلا موصلا الى ما هو سبب للحياة الابدية كما ان الماء سبب للحياة الفانية والمنهاج الطريق الواضح فى الدين من نهج الامر اذا وضح قيل فيه دليل على انا غير متعبدين بشرآئع من قبلنا والتحقيق انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث انها احكام شريعتنا لا من حيث انها شرعة للاولين (ولو شاء الله) ان يجعلكم امة واحدة (لجعلكم امة واحدة) اى جماعة واحدة متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الامم فى شئ من الاحكام الدينية ولا نسخ ولا تحويل (ولكن) لم يشأ ذلك اى ان يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية فيما بين الامم (ليبلوكم) اى ليعاملكم معاملة من يبتليكم (فيما آتاكم) من الشرآئع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى المشيئة الالهية المبنية على اساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم فى معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى (وفى المثنوى) كر بسوزد باغت انكورت دهد * درميان ماتمى سورت دهد * لا نسلم واعتراض ازما برفت * جون عوض مى آيد ازمفقود رفت (فاستبقوا الخيرات) اى اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير لكم فى الدارين من العقائد الحقية والاعمال الصالحة المندرجة فى القرءان الكريم وابتدروها انتهازا للفرصة واحرازا لسابقة الفضل (الى الله مرجعكم جميعا) اى مرجع من آمن ومن لم يؤمن جميعا حال من ضمير الخطاب (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) اى فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما كنتم تختلفون فيه فى الدنيا من امر الدين والشريعة وانما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التى هى وظيفة الاخبار (وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهوآءهم) عطف على الكتاب اى انزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه (واحذرهم) مخافة

(ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك) اى يضلوك ويصرفوك عن بعضه ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق فالمراد بالفتنة ههنا الميل عن الحق والوقوع فى الباطل كما فى قوله عليه السلام اعوذ بك من فتنة المحيا اى العدول عن الطريق المستقيم وكل من صرف من الحق الى الباطل واميل عن القصد فقد فتن روى ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعك اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فاقض لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله فنزلت واستدل العلماء بهذه الآية على ان الخطأ والنسيان جائز على الرسل لانه تعالى قال واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك والتعمد فى مثل هذا غير جائز على الرسل فلم يبق الا الخطأ والنسيان (فان تولوا) اى اعرضوا عن الحكم بما انزل الله واردوا غيره (فاعلم انما يريد الله) اى فاعلم ان اعراضهم من اجل ان الله يريد (ان يصيبهم ببعض ذنوبهم) اى يعجل لهم العقوبة فى الدنيا بان يسلطك عليهم ويعذبهم فى الدنيا بالقتل والجلاء والجزية ويجازيهم بالباقى فى الآخرة فالمراد ببعض ذنوبهم ذنب توليهم عن حكم الله تعالى وانما عبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع عظمه واحد من جملتها (وان كثيرا من الناس لفاسقون) اى متمردون فى الكفر مصرون عليه خارجون من الحدود المعهودة فلذا يتولون عن حكم الله (افحكم الجاهلية يبغون) انكار وتعجب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى ايتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وهى الملة الجاهلية التى هى هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحى (ومن احسن من الله حكما) انكار لان يكون احد حكمه احسن من حكمه تعالى او مساوٍ له وان كان ظاهر السبك غير متعرض لنفى المساواة وانكارها يرشدك اليه العرف المطرد والاستعمال الناشئ فانه اذا قيل من اكرم من فلان او الافضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وحكما نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن حكمه احسن من حكم الله (لقوم يوقنون) اى عندهم واللام للبيان فيتعلق بمحذوف كما فى سقيا لك فان سقيا دعاء للمخاطب بان يسقيه الله فيكون لك بيانا له اى هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم الذين يتدبرون الامور بانظارهم فيعلمون يقينا ان حكم الله عز وجل احسن الاحكام واعدلها وليست اللام متعلقة بقوله حكما لان حكم الله لا يخص قوما دون قوم فقد دلت الايات على ان الدين واحد من حيث الاصول مختلف من جهة الفروع ولله ان يحكم فى كل عصر وزمان بما اراد ففيه حكم ومصالح فعلينا بالتسليم والانقياد وترك الاعتراض والمسارعة الى الخيرات قبل الموت والفوت وفى الحديث (اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك) لان الرجل يقدر على الاعمال فى حال شبابه ما لا يقدر عليه فى حال هرمه ولان الشاب اذا تعود فى المعصية لا يقدر على الامتناع منها فى هرمه (وصحتك قبل سقمك) لان الصحيح نافذ الامر فى ماله ونفسه لانه اذا مرض ضعف بدنه عن الطاعة وقصرت يده عن ماله الا فى مقدار ثلثه (وفراغك قبل شغلك) يعنى فى الليل تكون فارغا وبالنهار تكون مشغولا فينبغى ان تصلى بالليل فى حال فراغك وتصوم فى النهار فى وقت شغلك خصوصا فى ايام الشتاء لان الصوم فى الشتاء غنيمة المؤمن كما قال عليه السلام الشتاء غنيمة المؤمن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه وفى رواية اخرى الليل طويل فلا تقصره بمنامك والنهار مضيء فلا تكدره بآثامك (وغناك قبل فقرك) يعنى اذا كنت راضيا بما اعطاك الله من القوت فاغتنم ذلك ولا تطمع فيما فى ايدى الناس (وحياتك قبل مماتك) لان الرجل ما دام حيا يقدر على العمل فاذا مات انقطع عمله ولهذا اتمنى الموتى ان يعودوا الى الدنيا فيهللوا مرة او يصلوا ركعة فالفرصة غنيمة والعمر قليل (قال الحافظ) بكذشتن فرصت اى برادر * كرم روى چو ميغ باشد * درياب كه عمر بس عزيزست * كرفوت شود دريغ باشد (وقال السيد الشريف لابنه) نصيحت همينست جان بدر * كه عمرت عزيزست ضايع مكن فينبغى للعاقل ان لا يضيع ايامه (قال الحكيم) بكودكى بازى * بجوانى مستى * به بيرى سستى * خدارا كى برستى * فاذا تم شغلك بالشريعة فاجتهد فى الطريقة وهى باطن الشريعة واقتد باولى الالباب فانه كما ان لكل نبى شرعة ومنهاجا كذلك لكل ولى طريقة مسلوكة مخصوصة وقد ضل من ضل منارهم (يا ايها الذين آمنوا) خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم وان كان سبب وروده بعضا منهم اذ روى ان عبادة بن الصامت

رضى الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم وانى ابرأ الى الله ورسوله
من ولايتهم واوالى الله ورسوله فقال عبد الله بن ابى انى رجل اخاف الدوآئر لا ابرأ من ولاية موالى وهم
يهود بنى قينقاع فقال تعالى (لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء) اى لا تتخذوا احدا منهم ولياء بمعنى لا تصافوهم
ولا تعاشروهم مصافاة الاحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم اولياء لكم حقيقة فانه امر ممتنع فى نفسه
لا يتعلق به النهى (بعضهم اولياء بعض) اى بعض كل فريق من ذينك الفريقين اولياء بعض آخر من ذلك الفريق
لا من الفريق الآخر لانه لا موالاة بين فريقى اليهود والنصارى رأسا والكل متفقون على الكفر مجمعون على
مضارتكم ومضاركم فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاة (ومن يتولهم منكم) اى من يتخذهم اولياء (فانه منهم)
اى هو على دينهم ومعهم فى النار وهذا اذا تولاهم لدينهم واما الصحبة لمعاملة شرآء شئ منهم اوطلب عمل منهم مع
المخالفة فى الاعتقاد والامور الدينية فليس فيه هذا الوعيد قال المولى ابو السعود وفيه زجر شديد للمؤمنين عن
اظهار صورة الموالاة لهم وان لم تكن موالاة فى الحقيقة (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) تعليل لكون
من يتولاهم منهم اى لا يرشد الذين ظلموا انفسهم بترك اخوانهم المؤمنين وبموالاة اعدآء الله بل يخليهم وشأنهم
فيقعون فى الكفر والضلالة اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين ولا اقل من ذلك (قال الحافظ) درره عشق
ازان سوى فنا صد خطرست * تانكوبى كه جو عمرم بسر آمد رستم (فترى) يا محمد او كل من له اهلية للخطاب
رؤية بصرية (الذين فى قلوبهم مرض) اى مرض النفاق ورخاوة العقد فى الدين (يسارعون فيهم) حال من
الموصول اى مسارعين فى موالاتهم ومعاونتهم وايثار فى على الى للدلالة على انهم مستقرون فى الموالاة وانما
مسارعتهم من بعض مراتبها الى بعض آخر منها والمراد بهم عبد الله بن ابى واضرابه الذين كانوا يسارعون
فى موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون الى المؤمنين بانهم لا يأمنون ان تصيبهم صروف الزمان كما قال
تعالى (يقولون) معتذرين (نخشى ان تصيبنا دائرة) وهو حال من ضمير يسارعون والدآئرة من الصفات الغالبة
التى لا يذكر معها موصوفها اى يدور علينا دآئرة من دوآئر الدهر ودولة من دوله بان ينقلب الامر وتكون الدولة
للكفار وقيل نخشى ان يصيبنا مكروه من مكاره الدهر كالجدب والقحط فلا يعطونا الميرة والقرض ولعلهم كانوا
يظهرون للمؤمنين انهم يريدون بالدوآئر المعنى الاخير ويضمرون فى انفسهم المعنى الاول (فعسى الله ان يأتى
بالفتح) رد من جهة الله تعالى لعللهم الباطلة وقطع لاطماعهم الفارغة وتبشير للمؤمنين بالظفر فان عسى
منه سبحانه وعد محتوم لما ان الكريم اذا اطمع اطعم لا محالة فما ظنك باكرم الاكرمين والمراد بالفتح فتح مكة
او فتح قرى اليهود من خيبر وفدك اوهو القضاء الفصل بنصره عليه السلام على من خالفه واعزاز الدين قال
الحدادى وسمى النصر فتحا لان فيه فتح الامر المغلق (اوامر من عنده) بقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء
والشأفة قرحة تخرج فى اسفل القدم فتكوى وتذهب يقال فى المثل استأصل الله شأفته اى اذهبه الله
كما ذهب تلك القرحة بالكى (فيصبحوا) اى اولئك المنافقون المتعللون بما ذكر (على ما اسروا فى انفسهم
نادمين) وهو ما كانوا يكتمون فى انفسهم من الكفر والشك فى امره صلى الله عليه وسلم (ويقول الذين آمنوا)
عند ظهور ندامة المنافقين وهو كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة اى ويقول الذين
آمنوا مخاطبين لليهود مشيرين الى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة
وعدم المفارقة فى السرآء والضرآء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا
يترقبون ويتعللون به تعجيبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم (اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم
لمعكم) اى بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكى عنهم ولئن قوتلتم لننصرنكم فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده خبره
والمعنى انكار ما فعلوه واستبعاده وتخطئتهم فى ذلك والخطاب فى معكم لليهود من جهة المؤمنين وجهد
الايمان اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجتهدون جهد ايمانهم فحذف
الفعل واقيم المصدر مقامه ولا يبالى بتعريفه لفظا لانه مؤول بنكرة اى مجتهدين فى ايمانهم او على المصدر اى
اقسموا اقسام اجتهاد فى اليمين (حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين) جملة مستأنفة مسوقة من جهته تعالى
لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاية والاقسام على المعية فى المنشط والمكره اثر الاشارة الى بطلانه
بالاستفهام الانكارى اى بطلت اعمالهم التى عملوها فى شأن الموالاة وسعوا فى ذلك سعيا بليغا حيث لم يكن

لليهود دولة فغبنوا بما صنعوا من المساعى وتحملوا من مكاره المشاق (قال الحافظ) اسم اعظم بكند كار
خود اى دل خوش باش * كه بتلبيس وحيل ديو سليمان نشود * واعلم ان للحق دولة وللباطل صولة
والباطل يفور ثم يغور فعلى المؤمن ان لا يميل الى جانب الباطل واهله اصلا كائنا من كان روى عن ابى موسى
الاشعرى انه قال قلت لعمر بن الخطاب ان لى كاتبا نصرانيا فقال ما لك قاتلك الله الا اتخذت حنيفا اما سمعت
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء قلت له دينه ولى كتابه قال لا تكرموهم اذ
اهانهم الله ولا تأمنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم الله وروى انه قال لاقوام للبصرة الابه فقال
مات النصرانى والسلام يعنى هب انه مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره
قال الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر شاهدت فى دمشق ان الرجال والنساء كانوا يوالون النصارى ويسامحون
فى المعاملة ويذهبون باطفالهم وصغارهم الى الكنائس ويرشون عليهم بطريق التبرك من ماء المعمودية وهذا
كفر والعياذ بالله والمعمودية ماء للنصارى اصفر كانوا يغمسون فيه اولادهم ويعتقدون انه تطهير للمولود
كالختان لغيرهم وقس عليه تعظيم نوروز النصارى واهدآء شئ فى ذلك اليوم اليهم والمشاركة معهم ويلزم
الحسبة فى بعض الامور قطع العرق الموالاة وفى ملتقطة الناصرى ولا ادع المشرك يضرب البربط قال محمد كل
شئ امنع من المسلم فانى امنع من المشرك الا الخمر والخنزير ولكن يمنع اهل الكفر من ادخال الخمور والخنازير
فى الاسواق على سبيل الشهرة لان فيها استخفافا للمسلمين وما صالحناهم ليستخفوا بالمؤمنين وان حضر لهم
عيد لا يخرجون فيه صليبهم ويمنعون من اظهار بيع المزامير والطنبور واظهار الغناء وغير ذلك مما منع منه
المسلم ويمنعون من احداث الكنيسة قال عليه السلام لا خصاء فى الاسلام ولا كنيسة والمراد بالخصاء
خصاء بنى آدم فيجوز خصاء البهائم وبه نقول فكما يجوز ذبح الحيوان لحاجة الناس الى لحمه فكذلك يجوز
خصى الحيوان اذا كان فى ذلك منفعة للناس فان قلت لم لا يجوز خصاء بنى آدم وفيه منفعة ايضا قيل له
لا منفعة فيه لانه لا يجوز للخصى ان ينظر الى النساء كما لا يجوز للفحل كذا فى بستان العارفين ثم اعلم ان النفس
والشيطان والقوى الشريرة فى وجود الانسان كاليهود والنصارى فكما انه يلزم مجانبتهم وعدم موالاتهم لان
الله تعالى عاداهم وامر بمعاداتهم فكذلك ما ذكر من النفس وغيرها لا يجوز موالاتها والحمل على هواها
لانها تسوق الى النار نار جهنم ونار القطيعة فالمؤمن مأمور بالمعاداة لمن عادى الله تعالى مطلقا والا لم يصح
ايمانه (وفى المثنوى) آنچه در فرعون بود اندر تو هست * ليك اژدرهات محبوس چهست * چه
خرابت ميكند نفس لعين * دور مى اندازدت سخت اين قرين * آتشت را هيزم فرعون نيست *
زانكه چون فرعون او راعون نيست * يعنى ان فرعون ساعده اسباب الدعوى والهوى ولذلك قال
ما قال وفعل ما فعل واما انت فليس لك الاسباب مساعدة ولا تجد عونا فى هواك ولذا لا تظهر صورة ما اظهره
(يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) هذا من الكائنات التى اخبر عنها القرآن قبل وقوعها روى انه
ارتد عن الاسلام احدى عشرة فرقة ثلاث فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار
وهو اسود العنسى كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده حتى اخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل معاذ بن جبل وسادات اليمن فكتب عليه السلام الى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين وامرهم ان
يحثوا الناس على التمسك بدينهم وعلى النهوض الى حرب الاسود فقتله فيروز الديلمى على فراشه قال ابن عمر فاتى
الخبر النبى عليه السلام من السماء الليلة التى قتل فيها فقال عليه السلام قتل الاسود البارحة قتله رجل
مبارك قيل ومن هو قال فيروز فبشر عليه السلام اصحابه بهلاك الاسود وقبض عليه السلام من الغد واتى
مقتل العنسى المدينة فى آخر شهر ربيع الاول وكان ذلك اول فتح جاء ابا بكر رضى الله عنه والفرقة الثانية من
المرتدين بنو حنيفة باليمامة ورئيسهم مسيلمة الكذاب وكان قد تنبأ فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
آخر سنة عشر من الهجرة زعم انه اشرك مع رسول الله فى النبوة وكتب الى النبى عليه السلام من مسيلمة رسول
الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك وبعث بذلك الكتاب رجلين من اصحابه فقال
لهما رسول الله عليه السلام لولا ان الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما ثم اجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة
الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فمرض عليه السلام وتوفى فبعث

ابو بكر خالد بن الوليد الى مسيلمة الكذاب فى جيش كثير حتى اهلكه الله على يدى وحشى غلام مطعم بن عدى
قاتل حمزة بن عبد المطلب بعد حرب شديد وكان وحشى يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس
فى الاسلام يريد فى جاهليتى واسلامى والفرقة الثالثة بنو اسد ورئيسهم طليحة بن خويلد وكان طليحة آخر من
ارتد وادعى النبوة فى حياة رسول الله عليه السلام واول من قوتل بعد وفاته عليه السلام من اهل الردة فبعث
ابو بكر خالد بن الوليد فهزمهم خالد بعد قتال شديد وافلت طليحة فمر على وجهه هاربا نحو الشام ثم انه اسلم
بعد ذلك وحسن اسلامه ثم ان الله تعالى لما قبض نبيه عليه السلام ارتد عامة العرب الا اهل مكة واهل المدينة
واهل البحرين من عبد القيس فقال المرتدون اما الصلاة فنصلى واما الزكاة فلا نغصب اموالنا فكلم ابو بكر فى ذلك
فقال والله لا افرق بين ما جمع الله تعالى بقوله اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة والله لو منعونى عقودا مما ادوا الى رسول
الله لقاتلتهم عليه فبعث الله عز وجل عصائب مع ابى بكر رضى الله عنه فقاتل على ما قاتل عليه نبى الله حتى
اقروا بالزكاة المفروضة قال انس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعى الزكاة قالوا اهل القبلة فتقلد ابو بكر سيفه
وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره وقال ابن مسعود رضى الله عنه كرهنا ذلك فى الابتداء ثم حمدناه
فى الانتهاء وقيل ما ولد بعد النبيين مولود افضل من ابى بكر لقد قام مقام نبى فى قتال اهل الردة قال الشيخ العطار
فى نعت ابى بكر رضى الله عنه * هرچه بود از بارگاه كبريا * ريخت در صدر شريف مصطفا * آن
همه در سينهٔ صديق ريخت * لا جرم تا بود از تحقيق ريخت * وقال الحسن لولا ما فعل ابو بكر لالحد
الناس فى الزكاة الى يوم القيامة قال فى الاشباه المعتمد فى المذهب عدم الاخذ كرها قال فى المحيط ومن امتنع عن
اداء الزكاة فالساعى لا يأخذ منه كرها ولو اخذ لا يقع المأخوذ عن الزكاة لكونها بلا اختيار ولكن يجبره
بالحبس ليؤدى بنفسه (فسوف يأتى الله) مكانهم بعد اهلاكهم (بقوم يحبهم) اى يريد بهم خير الدنيا والآخرة
(ويحبونه) اى يريدون اطاعته ويتحرزون عن معاصيه قيل هم اهل اليمن قال عليه السلام الايمان يمان
والحكمة يمانية وانما نسب الايمان اليهم اشعارا بكماله فيهم لان من اتصف بشئ وقوى قيامه به نسب ذلك الشئ
اليه لا ان يكون فى ذلك نفى له عن غيرهم فلا منافاة بينه وبين قوله عليه السلام الايمان فى اهل الحجاز ثم ان
المراد بذلك الموجودون منهم فى ذلك الزمان لا كل اهل اليمن فى كل احيان كذا فى شرح المشارق لابن الملك
وقيل هم الانصار رضى الله عنهم وقيل هم اهل فارس وفى الحديث لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله ابناء
فارس وفيه فضيلة لهذه القبيلة (اذلة على المؤمنين) جمع ذليل اى ارقاء ورحماء متذللين ومتواضعين لهم
واستعماله بعلى لتضمين معنى العطف والحنو (اعزة على الكافرين) اى اشداء متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه
(يجاهدون فى سبيل الله) صفة اخرى لقوم مترتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعدها الكيفية عزتهم (ولا يخافون
لومة لائم) عطف على يجاهدون بمعنى انهم جامعون بين المجاهدة فى سبيل الله وبين التصلب فى الدين وفيه تعريض
بالمنافقين فانهم اذا خرجوا فى جيش المسلمين خافوا اولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون شيأ يلحقهم فيه لوم من
جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفى تنكير لائم مبالغتان كانه قيل لا يخافون من شئ من اللومات الواقعة من
اى لائم كان فالمبالغة الاولى انتفاء الخوف من جميع اللومات والثانية انتفاء الخوف من جميع اللوام كل ذلك لان
النكرة فى سياق النفى تعم (ذلك) اشارة الى ما تقدم من الاوصاف الجليلة التى وصف بها القوم من المحبة والذلة
والعزة والمجاهدة فى سبيل الله وانتفاء خوف اللوم من كل واحد (فضل الله) اى لطفه واحسانه لا انهم مستقلون فى
الاتصاف بها (يؤتيه من يشاء) ايتاءه اياه ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة (والله واسع)
كثير الفواضل والالطاف (عليم) مبالغ فى العلم بجميع الاشياء التى من جملتها من هو اهل للفضل والتوفيق (قال
الحافظ) سكندر را نمى بخشند آبى * بزور وزر ميسر نيست اين كار * واعلم ان من السالكين من يقطع
العقبات ويخرق الحجب فى سبعين سنة ومنهم من يقطعها فى عشرين سنة ومنهم من يحصل له فى سنة ومنهم من
يقطعها فى شهر بل فى جمعة بل فى ساعة حتى ان منهم من تحصل له فى لحظة بتوفيق خاص وعناية سابقة اما تذكرة
سحرة فرعون ما كان بينهم الا لحظة حيث رأوا معجزة موسى قالوا آمنا برب العالمين فابصروا الطريق وقطعوه
حقه فصاروا من ساعة الى ساعة بل اقل من العارفين بالله وحكى ان ابراهيم بن ادهم كان على ما كان عليه
من امر الدنيا فعدل عن ذلك وقصد طريق الحق فلم يكن الا مقدار سيره من بلخ الى مرو الروذ حتى صار بحيث

اشار الى رجل سقط من القنطرة فى الماء الكثير هنالك ان قف فوقف الرجل مكانه فى الهواء فتخلص وان رابعة
البصرية كانت امة كبيرة يطاف بها فى سوق البصرة لا يرغب فيها احد لكبر سنها فرحمها بعض التجار
فاشتراها بنحو مائة درهم فاعتقها فاختارت الطريق الحق فاقبلت على العبادة فما تمت لها سنة حتى زارها قراء
البصرة وعلماؤها لعظم منزلتها واما الذى لم تسبق له العناية ولا توجهت له ولم يعامل بالفضل فيوكل الى نفسه
فربما يبقى فى شعب من عقبة واحدة من العقبات سبعين سنة ولا يقطعها وكم يصيح وكم يصرخ ما اظلم هذا
الطريق واشكله واعسر هذا الامر واعضله فان قلت لم اختص هذا بالتوفيق الخاص وحرم هذا وكلاهما
مشترك فى ربقة العبودية فعند هذا السؤال تنادى من سرادق الجلال ان الزم الادب واعرف سر الربوبية
وحقيقة العبودية فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ذلك تقدير العزيز العليم وان الفضل بيد الله يؤتيه من
يشاء والله ذو الفضل العظيم * رضا بداده بده وز جبين گره بگشاى * كه بر من وتو در اختيار نگشادست
اللهم اجعلنا ممن سبقت له العناية وتقدم فى حقه التوفيق الخاص والهداية آمين يا رب العالمين (انما وليكم
الله ورسوله والذين آمنوا) اى لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لان بعضهم اولياء بعض وليسوا باوليائكم
انما اولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون فاختصوهم بالموالاة ولا تتخطوهم الى الغير قال فى التأويلات النجمية
موالاة الله فى معاداة ما سوى الله كما قال الخليل عليه السلام فانهم عدو لى الا رب العالمين وموالاة الرسول
فى معاداة النفس ومخالفة الهوى كما قال عليه السلام لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال
لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وماله وولده والناس اجمعين وموالاة المؤمنين فى مؤاخاتهم
فى الدين كقوله تعالى انما المؤمنون اخوة وقال عليه السلام لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه
(الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) بدل من الذين آمنوا (وهم راكعون) حال من فاعل الفعلين اى يعملون
ما ذكر من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى والمقصود تمييز المؤمن المخلص عمن
يدعى الايمان ويكون منافقا لان الاخلاص انما يعرف بكونه مواظبا على الصلاة والزكاة فى حال الركوع اى
فى حال الخشوع والاخبات لله تعالى (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) اى ومن يتخذهم اولياء (فان
حزب الله هم الغالبون) اى فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه
وكانه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتشريفا لهم باضافتهم اليه تعالى
وتعريضا بمن يوالى غير هؤلاء بانه حزب الشيطان وحزب الرجل اصحابه والحزب الطائفة يجتمعون لامر
حزبهم اى اصابهم واعلم ان الغلبة على اعداء الله الظاهرة والباطنة كالهوى والنفس والشيطان انما تحصل
بنصرة الله تعالى كما قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم وليست النصرة والغلبة الا بتأثير الله تعالى
وهو المعز وكل العزة منه تعالى وروى ان الله تعالى شكا من هذه الامة ليلة المعراج شكايات الاولى انى
لم اكلفهم عمل الغد وهم يطلبون منى رزق الغد والثانية انى لا ارفع ارزاقهم الى غيرهم وهم يرفعون عملهم الى
غيرى والثالثة انهم يأكلون رزقى ويشكرون غيرى ويخونون معى ويصالحون خلقى والرابعة ان العزة لى
وانا المعز وهم يطلبون العزة من سواى والخامسة انى خلقت النار لكل كافر وهم يجتهدون ان يوقعوا انفسهم
فيها فمن اتبع هوى النفس ولم يهتم لتزكيتها فقد سعى فى الحاق نفسه بزمرة الاعداء فلم يكن منصورا البتة
اذ لا يحصل من الحجارة الا الحجارة والهوى مقتضى النفس والنفس ظلمانية ولا يتولد من الظلمانى الا الظلمة
(قال فى المثنوى) عكس نورانى همه روشن بود * عكس ظلمانى همه گلخن بود * عكس هر كس را بدان
اى يمين * پهلوى جنسى كه خواهى مى نشين * فعلى المؤمن ان يجتهد بالصوم والصلاة ووجوه العبادات
الى ان يزكى نفسه عن سفساف الاخلاق ويغلب الاعداء الباطنة والغلبة عليها مفتاح الغلبة على الاعداء
الظاهرة ولذا ترى الانبياء والاولياء منصورين مظفرين على كل حال وهذه النصرة والولاية من آثار عناية
الله السابقة فكان من رش عليه من نور الازل لم ير ظلمة ابدا كذلك من لم يهتد لذلك النور فى بداية الامر
لم يصل الى المراد الى آخر العمر (قال الحافظ) بآب زمزم وكوثر سفيد نتوان كرد * گليم بخت كسى را كه بافته اند
سياه (يا ايها الذين آمنوا) روى ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من
المؤمنين يوادونهما فنهاهم الله تعالى عن الموالاة وقال (لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزؤا ولعبا) قوله الذين

اتخذوا مفعول اول لقوله لا تتخذوا ومفعوله الثانى قوله اولياء ودينكم مفعول اول لقوله اتخذوا وهزوا
مفعوله الثانى والهزؤ السخرية والاستهزاء واللعب بالفارسية بازى ومعنى اتخاذهم دين المسلمين
مهزوا به وتلاعبهم به اظهارهم ذلك باللسان مع الاصرار على الكفر فى القلب وقد رتب النهى عن موالاتهم على
اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شأنه جدير بالمعاداة فكيف بالموالاة (من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم) بيان للمستهزئين ومن قبلكم متعلق باوتوا (والكفار) بالنصب عطف على الموصول
الاول والمراد المشركون خصوا به لتضاعف كفرهم فالنهى عن موالاة من ليس على الحق رأسا سواء من
كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين (اولياء) وجانبوهم كل
المجانبة (واتقوا الله) فى ذلك بترك موالاتهم (ان كنتم مؤمنين) اى حقا لان الايمان يقتضى الاتقاء (واذا ناديتم
الى الصلاة اتخذوها) اى الصلاة او المناداة (هزوا ولعبا) كان المؤذنون اذا اذنوا للصلاة تضاحكت اليهود فيما
بينهم وتغامزوا سفها واستهزاء بالصلاة وتجهيلا لاهلها وتنفيرا للناس عنها وعن الداعى اليها (ذلك) اى الاستهزاء
المذكور مستقر (بانهم قوم لا يعقلون) اى بسبب عدم عقلهم فان السفه يؤدى الى الجهل بمحاسن الحق
والهزء به ولو كان لهم عقل فى الجملة لما اجترؤا على تلك العظيمة (وفى المثنوى) كشتى بى لنكر آمد مرد شر *
كه زباد كژ نيابد او حذر * لنكر عقلست عاقل را امان * لنكرى دريوزه كن از عاقلان * قال العلماء ثبوت
الاذان ليس بالمنام وحده بل هو ثابت بنص هذه الآية فان المعنى اذا دعوتم الناس الى الصلاة بالاذان
والنداء الدعاء برفع الصوت وفى الاذان حكم منها اظهار شعائر الاسلام وكلمة التوحيد والاعلام بدخول
وقت الصلاة وبمكانها والدعاء الى الجماعة الى غير ذلك ولو وجد مؤذن حسن الصوت يطلب على اذانه الاجر
والرزق وآخر يتبرع بالاذان لكن غير حسن الصوت فايهما يؤخذ فيه وجهان اصحهما انه يرزق حسن الصوت
فان لحسن الصوت تأثيرا كما ان لقبحه تغييرا وتنفيرا (وفى المثنوى) يك مؤذن داشت بس آواز بد * درميان
كافرستان بانك زد * چند كفتندش مكو بانك نماز * كه شود جنك وعداوتها دراز * او ستيزه كرد وپس
بى احتراز * كفت در كافرستان بانك نماز * خلق خائف شد زفتنه عامه * خود بيامد كافرى با جامه *
شمع وحلوا با چنان جامه لطيف * هديه آورد و بيامد چون اليف * پس پرسان كين مؤذن كو كجاست *
كه صلا و بانك او راحت فزاست * دخترى دارم لطيف وبس سنى * آرزو مى بود اورا مؤمنى * هيچ اين
سودا نمى رفت از سرش * پندها مى داد چندين كافرش * هيچ چاره مى ندانستم دران * تا فرو خواند اين
مؤذن آن اذان * كفت دختر چيست اين مكروه بانك * كه بكوشم آمد اين دو چار دانك * من همه عمر اين
چنين آواز زشت * هيچ نشنيدم درين دير و كنشت * خواهرش كفتا كه اين بانك اذان * هست اعلام و شعار
مؤمنان * باورش نامد بپرسيد از دكر * ان ديكر هم كفت آرى اى پدر * چون يقين كشتش رخ او زرد
شد * از مسلمانى دل او سرد شد * باز رستم من ز تشويش وعذاب * دوش خوش خفتم دران بى خوف خواب *
راحتم اين بود از آواز او * هديه آوردم بشكر آن مرد كو * چون بديدش كفت اين هديه پذير *
كه مرا كشتى مجير ودستكير * كر بمال وكر بثروت فردمى * من دهانت را پر از زر كردمى * ورد فى التأذين
فضائل وفى الحديث اول الناس دخولا الجنة الانبياء ثم الشهداء ثم بلال مع مؤذنى الكعبة ثم مؤذنوا بيت
المقدس ثم مؤذنوا مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ثم سائر المؤذنين على قدر اعمالهم وفى الحديث ثلاثة
لا يكترثون من الحساب ولا تفزعهم الصيحة ولا يحزنهم الفزع الاكبر حامل القرآن العامل بما فيه يقدم على
الله سيدا شريفا ومؤذن اذن سبع سنين لا يأخذ على اذانه طمعا وعبد مملوك احسن عبادة ربه وادى حق مولاه
واذا اجتمع الاذان والامامة فى شخص فالامامة افضل لمواظبة النبى عليه السلام عليها اى الامامة ولم يؤذن لانه
عليه السلام لو اذن لكان كل من تخلف عن الاجابة كافرا ولانه لو كان داعيا لم يجز ان يشهد لنفسه ولانه لو اذن
وقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله لتوهم ان ثمة نبيا غيره ولان الاذان رآه غيره فى المنام فوكله الى
غيره وايضا انه عليه السلام كان اذا عمل عملا اثبته اى جعله ديمة وكان لا يتفرغ لذلك لاشتغاله بتبليغ الرسالة
وهذا كما قال سيدنا عمر رضى الله عنه لولا الخليفى لاذنت وكره اللحن فى الاذان لما روى ان رجلا جاء الى ابن عمر
رضى الله عنه فقال انى احبك فقال انى ابغضك فى الله فقال لم قال لانه بلغنى انك تغنى فى اذانك يعنى تلحن

وذلك مثل ان يقول آالله بمد الالف الاولى لانه استفهام وشك وان يقول اكبار بمد الباء لانه اسم الشيطان وغير
ذلك الى آخر كلمات الاذان واجابة المؤذن على كل من سمعه وان كان جنبا او حائضا اذا لم يكن فى الخلاء او فى الجماع
وذكر تاج الشريعة ان اجابة المؤذن سنة وقال النووى مستحبة فيقول بمثل ما يقول المؤذن وضعف تقبيل
ظفرى ابهاميه مع مسبحتيه والمسح على عينيه عند قوله محمد رسول الله لانه لم يثبت فى الحديث المرفوع
لكن المحدثين اتفقوا على ان الحديث الضعيف يجوز العمل به فى الترغيب والترهيب فقط ويقول عند حى على
الصلاة لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وعند حى على الفلاح ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وعند قوله
الصلاة خير من النوم صدقت وبالخير نطقت وفى قوله قد قامت الصلاة اقامها الله وادامها وحين ينتهى الى قوله
قد قامت الصلاة يجيب بالفعل دون القول وروى عن ميمونة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قام بين صف الرجال والنساء فقال يا معشر النساء اذا سمعتن اذان هذا الحبشى واقامته فقلن كما يقول فان لكن
بكل حرف الف درجة قال عمر رضى الله عنه هذا فى النساء فما للرجال قال ضعفان يا عمر (قال حضرة الشيخ
الشهير بافتاده افندى) حبذا الكلام وتم النداء الاذان فعند قوله الله اكبر الله اكبر لو انكشف وتجلى
عظمة الله تعالى وكبرياؤه وعند قوله اشهد ان لا اله الا الله لو انكشف وحدانيته وعند اشهد ان محمدا رسول الله
لو انكشف حقانيته وعند الحيعلتين لو ظهر الطلب من الطالب الى المطلوب وعند الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله لو
تجلى الذات وتم المقصود وحصل المراد انتهى ومن فضائل الاذان انه لو اذن خلف المسافر فانه يكون فى امان
الى ان يرجع وان اذن فى اذن الصبى واقيم فى اذنه الاخرى اذا ولد فانه امان من ام الصبيان واذا وقع هذا المرض
ايضا واذا وقع حريق او هجم سيل او برد او خاف من شئ كما فى الاسرار المحمدية والاذان اشارة الى الدعوة الى
الله حقيقة والداعى هو الوارث المحمدى يدعو اهل الغفلة والحجاب الى مقام القرب ومحل الخطاب فمن كان اصم
عن استماع الحق استهزأ بالداعى ودعوته لكمال جهالته وضلالته ومن كان ممن القى السمع وهو شهيد يقبل الى
دعوة الله العزيز الحميد وينجذب الى حضرة العزة ويدرك لذات شهود الجمال ويغتنم مغانم اسرار الوصال
جوانا سر متاب از پند پيران * كه رأى پير از بخت جوان به (قل يا اهل الكتاب) روى ان نفرا
من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دينه فقال عليه السلام اؤمن بالله وما انزل الينا وما انزل الى
ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين
احد منهم ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم اهل دين اقل حظا فى الدنيا والآخرة
منكم ولا دينا شرا من دينكم فانزل الله هذه الآية اى قل لهؤلاء اليهود الفجرة (هل تنقمون منا) من نقم منه
كذا اذا عابه وانكره وكرهه اى ما تعيبون وما تنكرون منا دينا العلة من العلل (الا ان آمنا بالله) اى الا
لان آمنا بالله فهو مفعول له لتنقمون على حذف المفعول به الذى هو الدين (وما انزل الينا) من القرآن المجيد
(وما انزل من قبل) اى من قبل انزاله من التوراة والانجيل وسائر الكتب الالهية (وان اكثركم فاسقون)
عطف على ان آمنا اى ولان اكثركم متمردون خارجون عن الايمان بما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم
الناطق بصحة كتابنا لآمنتم به واسناد الفسق الى اكثرهم مع ان كلهم فاسقون لانهم الحاملون لاعقابهم على
التمرد والفساد وقيل هو عطف على ان آمنا على انه مفعول به لكن لا على ان المستثنى مجموع المعطوفين بل هو
ما يلزمهما من المخالفة كانه قيل ما تكرهون من جهتنا الا الايمان بالله وبجميع كتبه المنزلة والا مخالفتكم
حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون عنه (قل هل انبئكم) الخطاب لليهود (بشر من ذلك) الاشارة الى المنقوم
وهو الايمان والمنقوم منهم المؤمنون اى هل اخبركم بما هو شر فى الحقيقة لا كما تعتقدون شرا وان كان فى نفسه
خيرا محضا قال ابن الشيخ ومن المعلوم قطعا انه لا شر فى دين الاسلام فالمراد الزيادة المطلقة (مثوبة عند الله) اى
جزاء ثابتا فى حكمه تعالى والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة مختصة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريق
التهكم ونصبها على التمييز من بشر (من لعنه الله وغضب عليه) خبر لمبتدأ محذوف بتقدير مضاف قبله مناسب
لما اشير اليه بكلمة ذلك اى هو دين من لعنه الله وهم اليهود وابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم
وانهماكهم فى المعاصى بعد وضوح الآيات (وجعل منهم القردة والخنازير) اى مسخ بعضهم قردة فى زمن
داود عليه السلام بدعائه عليهم حين اعتدوا فى السبت واستحلوه ومسخ بعضهم خنازير فى زمن عيسى عليه

السلام بعدا كلهم من المائدة وحين كفروا بعد ما رأوا الآيات البينة وقيل كلا المسخين فى اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة وشيوخهم خنازير ولما نزلت هذه الآية قال المسلمون لليهود يا اخوة القردة والخنازير فنكسوا رؤسهم وافتضحوا (وعبد الطاغوت) عطف على صلة من وضميره المستكن يعود الى من اى اطاع الشيطان فيما سول له (اولئك) الموصوفون بتلك القبائح والفضائح (شر مكانا) جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم (واضل عن سواء السبيل) عطف على شر مقرر له اى اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون دينهم شرا محضا بعيدا عن الحق لان ما يسلكونه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان دينهم ضلالا مبينا لا غاية وراءه وصيغة التفضيل فى الموضعين للزيادة مطلقا لا بالاضافة الى من يشاركهم فى اصل الشرارة والضلال واعلم ان كل صنف من الناس يفرح بما لديه ويبغض الآخر بما هو عليه ولكن الحق احق ان يتبع فالمؤمن يحب المؤمن فان المحبة من الاخلاق الحسنة والاوصاف الشريفة وفى الحديث ان من عباد الله عبادا ماهم بانبياء وشهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى قالوا يا رسول الله اخبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير ارحام منهم ولا اموال يتعاطون فوالله ان وجوههم انوار وانهم يعلون منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وسئل عبد الله السالمى باى شئ يعرف اولياء الله من بين عباده فقال بلطافة اللسان وحسن الخلق وبشاشة الوجه وسخاوة النفس وقلة الاعتراض وقبول الاعتذار وكمال الشفقة على عامة الخلق (قال الحافظ) تاج شاهى طلبى كوهر ذاتى بنماى * ور خود از كوهر جمشيد وفريدون باشى قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى لا تزال البغضاء بين البيراميين وبين الخلوتية وكذا بينهم وبين اتباع السيد البخارى مع ان البغضاء لا تليق باهل الحق الا يرى انا لم نسمع من دور آدم الى خاتم النبيين عليهم السلام نوع بغض بين نبيين اصلا مع انه قد يتفق فى بعض الاوقات ان يجتمع ثلاثة واربعة من الانبياء وكذا اتباعهم لا يطعنون فى واحد منهم (قال السعدى) دلم خانه مهر يارست وبس * ازان مى نكنجد درو كين كس * قال بعضهم القلوب ثلاثة قلب يطير فى الدنيا حول الشهوات وقلب يطير فى العقبى حول الكرامات وقلب يطير فى سدرة المنتهى حول المناجاة (قال الحافظ) غلام همت رندان بى سروپايم * كه هر دو كون نيرزد به پيش شان يك كاه * فعلى العاقل ان يشتغل بالتوحيد كى يتخلص عن ظلمات النفس وهواها والشيطان ووساوسه نظر عمر بن الخطاب الى شاب فقال يا شاب ان وقيت شر ثلاثة فقد وقيت شر الشيطان ان وقيت لقلقك وقبقبك وذبذبك قال الاصمعى اللقلق اللسان والقبقب البطن والذبذب الفرج (واذا جاؤكم قالوا آمنا) نزلت فى ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فالخطاب للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم اوله مع من عنده من المسلمين اى اذا جاؤكم اظهروا الاسلام (وقد) اى والحال انهم قد (دخلوا) ملتبسين (بالكفر وهم قد خرجوا) من عندك ملتبسين (به) اى بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك (والله اعلم بما كانوا يكتمون) من الكفر وصيغة التفضيل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يظن نفاقهم من اماراته اللائحة عليهم ويتوقع انه يظهره الله (وفى المثنوى) نيست بازى با مميز خاص او * كه بود تمييز عقلش غيب كو * هيچ سحر وهيچ تلبيس ودغل * مى نبندد پرده بر اهل دول (وترى) يا محمد رؤية بصرية (كثيرا منهم) اى من اليهود والمنافقين حال كونهم (يسارعون فى الاثم) اى الكذب على الاطلاق وايثار كلمة فى على كلمة الى للدلالة على انهم مستقرون فى الاثم وانما مسارعتهم من بعض مراتبه الى بعض آخر منها كقوله تعالى اولئك يسارعون فى الخيرات لانهم خارجون عنه متوجهون اليه كما فى قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة (والعدوان) اى الظلم المتعدى الى الغير (واكلهم السحت) اى الحرام (لبئس ما كانوا يعملون) اى لبئس شيأ كانوا يعملونه والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على الاستمرار (لولا) حرف تحضيض (ينهاهم الربانيون والاحبار) المراد بهم العلماء الا ان الربانى الزاهد العارف الواصل والحبر العالم العامل المقبول (عن قولهم الاثم) وهو قولهم آمنا وليسوا بمؤمنين (واكلهم السحت) مع علمهم بقبحها ومشاهدتهم لمباشرتهم اياها (لبئس ما كانوا يصنعون) هو ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون لان الصنع اقوى من العمل فان العمل انما يسمى صناعة اذا صار مستقرا راسخا متمكنا فجعل جرم من عمل الاثم والعدوان

واكل

واكل السحت ذنبا غير راسخ وذنب التاركين للنهى عن المنكر ذنبا راسخا وفى الآية مما ينعى على العلماء من توانيهم فى النهى عن المنكرات ما لا يخفى (قال الشيخ السعدى) كرت نهى منكر بر آيد ز دست * نشايد چو بى دست وپايان نشست * چو دست وزبان را نماند مجال * بهمت نمايند مردى رجال * قال عمر ابن عبد العزيز ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ولكن اذا اظهروا المعاصى فلم ينكروا استحق القوم جميعا للعقوبة ولولا حقيقة هذا المعنى فى التوبيخ على المشايخ والعلماء فى ترك النصيحة لما اشتغل المحققون بدعوة الخلق وتربيتهم لاستغراقهم فى مشاهدة الحق ومؤانستهم به قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره السالك اذا وصل الى الحقيقة اما ان يرسل للارشاد او يبقى فى حضور الوصلة ولا يريد الفرقة كالشيخ ابى يزيد البسطامى فانه لم يختر الارشاد ولكن الارشاد طريقة الانبياء عليهم السلام فانه ما من نبى الا وهو قد بعث وارسل لارشاد الخلق ولم يبق فى عالم الحضور (قال فى المثنوى) خطابا من قبل الله تعالى الى حضرة النبى عليه السلام هين بمكذار اى شفا رنجور را * تو ز خشم كور عصاى كور را * نى تو كفتى قائد اعمى براه * صد ثواب واجر يابد از اله * هر كه او چل كام كورى را كشد * كشت آمرزيده ويابد رشد * پس بكش تو زين جهان بى قرار * جوق كوران را قطار اندر قطار * كار هادى اين بود تو هادئ * ماتم آخر زمان را شادئ * هين روان كن اى امام المتقين * اين خيال انديشكان را تا يقين * خيز در دم تو بصور سهمناك * تا هزاران مرده بر رويد ز خاك * واهل الحقيقة والعلماء العاملون المتجردون عن الغرض سوى اعلاء كلمة الله تعالى محفوظون فى اقوالهم وافعالهم وحكى ان زاهدا من التابعين كسر ملاهى مروان بن الحكم الخليفة فاتى له به فامر بان يلقى بين يدى الاسد فالقى فلما دخل ذلك الموضع افتتح الصلاة فجاءت الاسد وجعلت تحرك ذنبها حتى اجتمع عليه ما كان فى ذلك الموضع من الاسد فجعلت تلحسه بالسنتها وهو يصلى ولا يبالى فلما اصبح مروان قال ما فعل بزاهدنا قيل القى بين يدى الاسد قال انظروا هل اكلته فجاؤا فوجدوا الاسد قد استأنست به فتعجبوا من ذلك فاخرجوه وحملوه الى الخليفة فقال له اما كنت تخاف منها قال لا كنت مشغولا متفكرا طول الليل لم اتفرغ الى خوفهم فقال له بماذا تتفكر قال بهذه الاسد قد جاءتنى تلحسنى بالسنتها كنت اتفكر ألعابها طاهر ام نجس فتفكرى فى هذا منعنى عن الخوف منها فتعجب منه فخلى سبيله كذا فى نصاب الاحتساب (وقالت اليهود) قال المفسرون ان الله تعالى كان قد بسط النعمة على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف الله عنهم ما بسط عليهم من النعمة فعند ذلك قالت اليهود (يد الله مغلولة) اى مقبوضة ممسكة عن العطاء وغل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد فى ذلك الى اثبات يد وغل او بسط قال الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك اى لا تمسكها عن الانفاق (غلت ايديهم) دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكنة اى امسكت ايديهم عن الانفاق فى الخير وجعلوا بخلاء واليهود ابخل الناس ولا امة ابخل منهم (ولعنوا) اى ابعدوا وطردوا من رحمة الله تعالى (بما قالوا) اى بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء وهذا الدعاء عليهم تعليم للعباد والا فهو اثر العجز تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (بل يداه مبسوطتان) اى ليس شأنه عز وجل كما وصفتموه بل هو موصوف بغاية الجود ونهاية الفضل والاحسان وهذا المعنى انما يستفاد من تثنية اليد فان غاية ما يبذله السخى من ماله ان يعطيه بيديه جميعا ويد الله من المتشابهات وهى صفة من صفات الله تعالى كالسمع والبصر والوجه ويداه فى الحقيقة عبارة عن صفاته الجمالية والجلالية وفى الحديث كلتا يديه يمين * اديم زمين سفره عام اوست * برين خوان يغما چه دشمن چه دوست (ينفق كيف يشاء) اى هو مختار فى انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من شؤم المعاصى ان يضيق عليهم (وفى المثنوى) چونكه بد كردى بترس ايمن مباش * زانكه تخمست وبروياند خداش * چند كاهى او بروياند كه تا * آيدت زان بد پشيمان وحيا * بارها پوشد پى اظهار فضل * باز كيرد از پى اظهار عدل * تا كه اين هر دو صفت ظاهر شود * آن مبشر كردد اين منذر شود (وليزيدن كثيرا منهم) وهم علماؤهم ورؤساؤهم قوله كثيرا مفعول اول ليزيدن (ما انزل اليك من ربك) وهو القرآن وما فيه من الاحكام وهو فاعل يزيدن (طغيانا وكفرا) مفعول ثان للزيادة اى ليزيدنهم طغيانا على طغيانهم

وكفرا على كفرهم القديم اما من حيث الشدة والغلو واما من حيث الكم والكثرة اذ كلما نزلت آية كفروا بها
فيزداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما ان الطعام الصالح للاصحاء يزيد المرضى مرضا (والقينا بينهم)
اى بين اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة اما الجبرية فهم الذين
ينسبون فعل العبد الى الله تعالى ويقولون لا فعل للعبد اصلا ولا اختيارا وحركته بمنزلة حركة الجمادات
واما القدرية فهم الذين يزعمون ان كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصى بتقدير الله والمرجئة فهم الذين
لا يقطعون على اهل الكبائر بشئ من عفو او عقوبة بل يرجئون الحكم فى ذلك اى يؤخرونه الى يوم القيامة
واما المشبهة فهم الذين شبهوا الله تعالى بالمخلوقات ومثلوه بالمحدثات (العداوة والبغضاء) اى جعلناهم مختلفين
فى دينهم متباغضين كما قال تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى فلا تكاد تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم
والجملة مبتدأة مسوقة لازاحة ما عسى يتوهم فى ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على امر يؤدى
الى الاضرار بالمسلمين قيل العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو مبغض بلا عكس كلى (الى يوم القيامة)
متعلق بالقينا (كلما اوقدوا نارا للحرب) اى كلما ارادوا محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم واثارة شر عليه
(اطفأها الله) اى ردهم الله وقهرهم بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم وفى المثنوى خطابا من قبل
الله تعالى الى حضرة صاحب الرسالة عليه السلام هركه در مكر تو دارد دل كرو * كردنش را من زنم تو شاد شو *
برسر كوريش كوريها نهم * او شكر پندارد وزهرش دهم * چيست خود الاحق آن تركمان *
پيش پاى ره پيلان جهان * آن چراغ او به پيش صرصرم * خود چه باشد اى مهين پيغمبرم *
(ويسعون فى الارض فسادا) اى يجتهدون فى الكيد للاسلام واهله واثارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغاير ما عبر
عنه بايقاد نار الحرب وفسادا اما مفعول له او فى موضع المصدر اى يسعون للفساد او يسعون سعى فساد (والله
لا يحب المفسدين) ولذلك اطفأ نائرة افسادهم ولا يجازيهم الا شرا واعلم ان الله تعالى مهما وكل الانسان
الى خساسة طبعه وركاكة نظره وعقله فلا يترشح منه الا ما فيه من الاقوال الشنيعة والافعال الرذيلة ولذلك
قالت اليهود يد الله مغلولة ونعم ما قال فى المثنوى درزمين كر نيشكر ور خود نى است * ترجمان هر زمين نبت
وى است * واهل الحسد يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولكن لا يزيدهم الحسد الا الطغيان
فكما ان مصائب قوم عند قوم فوائد قوم عند قوم مصائب قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده
افندى قدس سره ان جماعة السيد البخارى حسدوا الناحى قصدوا القتل بالسلاح واشتغلوا بالاسماء القهرية
على حسب طريقهم فلم اقاتل دفعا للفتنة ثم رأيت فى موضع قرب جامع السيد البخارى قد اخذ طريق ماء
عظيم فلم يبق الا طريق ضيق فلما قربت منه لم يبق اثر من الماء ثم انه مات كثير من تلك الجماعة ولكن لم اباشر انا
فى حقهم شيأ قال كيف اميل الى مشيختهم وتصرف ثمانية عشر الف عالم بيدى بقدرة الله تعالى فى الباطن
وان كنت عاجزا فى الظاهر وحكى ان مولانا جلال الدين اشتغل عند صلاح الدين شركوه بعد المفارقة من شمس
الدين التبريزى فلما سمعه بعض اتباع مولانا ارادوا قتله فارسل اليه مولانا ابنه السلطان ولد فقال الشيخ صلاح
الدين ان الله تعالى اعطانى قدرة على قلب السماء الى الارض فلو اردت اهلكتهم بقدرة الله تعالى لكن الاولى
ان ندعو لاصلاحهم فدعا الشيخ فآمن السلطان ولد فلانت قلوبهم واستغفروا اللهم بحق اصفيائك خلصنا
عن رذائل الاوصاف وسفساف الاخلاق انك انت القادر الخلاق (ولو ان اهل الكتاب) اى اليهود والنصارى
(آمنوا) بما يجب به الايمان (واتقوا) من المعاصى مثل الكذب واكل السحت ونحو ذلك (لكفرنا عنهم سيئاتهم)
اى لعفونا عنهم وسترنا عليهم ذنوبهم وهو الخلاص من العذاب (ولادخلناهم جنات النعيم) اى ولجعلناهم
خالدين فيها وهو الظفر بالثواب وفيه تنبيه على ان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابى لا يدخل الجنة
ما لم يسلم (ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل) اى عملوا بما فيهما من التصديق بسيد المرسلين والوفاء لله تعالى
بما عاهدوا فيهما واقامة الشئ عبارة عن رعاية حقوقه واحكامه كاقامة الصلاة (وما انزل اليهم من ربهم) من
القرآن المجيد المصدق لكتبهم وايراده بهذا العنوان للتصريح ببطلان ما كانوا يدعون من عدم نزوله الى بنى
اسرائيل (لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم) اى لوسع الله عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء
والارض بانزال المطر واخراج النبات وفيه تنبيه على ان ما اصابهم من الضنك والضيق انما هو من شؤم جناياتهم

لا قصور فى فيض الفياض (وفى المثنوى) هين مراقب باش كردل بايدت * كز پى هر فعل چيزى زايدت *
اين بلا از كودنى آيد ترا * كه نكردى فهم نكته رمزها * وكأنه قيل هل كلهم كذلك مصرون على عدم الايمان
والتقوى والاقامة فقيل (منهم امة مقتصدة) اى طائفة عادلة غير غالية ولا مقصرة كعبد الله بن سلام واضرابه
ممن آمن من اليهود وثمانية واربعين ممن آمن من النصارى والاقتصاد فى اللغة الاعتدال فى العمل من غير غلو
ولا تقصير (وكثير منهم) مقول فى حقهم (ساء ما كانوا يعملون) وفيه تعجب بحسب المقام اى ما اسوأ عملهم
من العناد والمكابرة وتحريف الحق والاعراض عنه وفى الاية بيان ان التقوى سبب لتوسعة الرزق واستقامة
الامر فى الدنيا والاخرة قال عبد الله القلانسى ركبت سفينة فى بعض اسفارى فبدت ريح شديدة فاشتغل
اهل السفينة بالدعاء والنذر واشاروا الى بالنذر ايضا فقلت انى مجرد عن الدنيا فالحوا على فقلت ان خلصنى الله
لا آكل لحم الفيل فقالوا من يأكل لحم الفيل حتى تكفه عن نفسك فقلت هكذا اخطر ببالى فخلصنى الله بجماعة
ورمانا الى ساحل البحر فمضى ايام لم نجد ما نأكل فبينا نحن جياع اذ ظهر جرو فيل فقتلوه واكلوا لحمه ولم آكل
رعاية لنذرى وعهدى فالحوا على فقالوا انه مقام الاضطرار فلم اقبل قولهم ثم ناموا فجاءت ام الجرو ورأت عظام
ولدها وشمت الجماعة فردا فردا فكل من وجدت رائحته اهلكته ثم جاءتنى فلما لم تجد الرائحة وجهت الى ظهرها
واشارت الى بالركوب فركبت فحملتنى واوصلتنى تلك الليلة الى موضع واشارت الى بالنزول فنزلت ولقيت
وقت السحر جماعة فاخذونى الى البيت واضافونى فاخبرتهم قصتى على لسان ترجمان فقالوا من ذلك الموضع
الى هنا مسيرة ثمانية ايام وقد قطعتها فى ليلة واحدة فظهر من هذه الحكاية ان برعاية جانب التقوى والوفاء
بالعهد يستقيم امر المرء من جهة الدين والدنيا وان شهوة واحدة من شهوات الدنيا لها حزن طويل وكيد عظيم
بل هلاك كما وقع لتلك الجماعة التى اكلوا الجرو والفيل وفى المثنوى زنبورى مورى راديد كه بهزار حيله دانه بخانه ميكشد
ودران رنج بسيارى ميديد اورا كفت اى مور اين چه رنجست كه برخود نهادۀ بيا كه مطعم ومشرب من بين
كه هر طعامى كه لطيف ولذيذتراست تا از من زياده نيايد بپادشاهان نرسد هر انجا كه خواهم نشينم وآنچه خواهم
كزينم وخورم ودرين سخن بود كه بر پريد وبدكان قصابى بر مسلوخى نشست قصاب كه كارد در دست داشت
بران زنبور مغرور زد ودو پاره كرد بر زمين انداخت ومور بيامد وپاى كشان اورا مى برد وكفت رب شهوة ساعة
اورثت صاحبها حزنا طويلا زنبور كفت مرا بجايى مبر كه نخواهم مور كفت هر كه از روى حرص وشهوت جايى
نشيند كه خواهد بجايى كشندش كه نخواهد واعلم ان قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم
اشارة الى ما يحصل بالوهب الرحمانى وما يحصل بالكسب الانسانى فمن عمل بما علم واجتهد فى طريق الحق كل
الاجتهاد ينال مراتب الاذواق والمشاهدات فيحصل له جنتان جنة العمل وجنة الفضل وهذا الرزق المعنوى
هو المقبول وفى المثنوى اين دهان بستى دهانى باز شد * كه خورنده لقمهاى راز شد * كر ز شير ديو تن
را وابرى * در فطام او بسى نعمت خورى * اللهم امدنا بفيض فضلك واحسانك (يا ايها الرسول بلغ)
جميع (ما انزل اليك من ربك) مما يتعلق بمصالح العباد فلا يرد ان بعض الاسرار الالهية يحرم افشاؤه
قال ابو هريرة حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائين من العلم فاما احدهما فقد بثثته واما الاخر
لو بثثته لقطع هذا الحلقوم والتحقيق ان ما يتعلق بالشريعة عام تبليغه وما يتعلق بالمعرفة والحقيقة خاص
ولكل منهما اهل فهو كالامانة عند المبلغ يلزم دفعها الى اربابها (وان لم تفعل) اى ان لم تبلغ جميعه خوفا
من ان ينالك مكروه (فما بلغت رسالته) لان كتمان بعضها ككتمان الكل والرسالة لا سبيل لها ان يبلغها
الا باللسان فلذلك لم يرخص له فى تركها وان خاف فهذا دليل لقولنا فى المكره على الطلاق والعتاق اذا تكلم به
عمل لان تعلق ذلك باللسان لا بالقلب والاكراه لا يمنع فعل اللسان فلا يمنع النفاذ كذا فى التيسير (والله يعصمك
من الناس) امان من الله تعالى للنبى عليه السلام كيلا يخاف ولا يحذر كما روى فى الخبر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما دخل المدينة قالت اليهود يا محمد انا ذوو عدد وبأس فان لم ترجع قتلناك وان رجعت زودناك
واكرمناك فكان عليه السلام يحرسه مائة من المهاجرين والانصار يبيتون عنده ويخرجون معه خوفا من
اليهود فلما نزل قوله تعالى والله يعصمك من الناس علم ان الله يحفظه من كيد اليهود وغيرهم فقال للمهاجرين
والانصار انصرفوا الى رحالكم فان الله قد عصمنى من اليهود فكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يخرج وحده

فى اول الليل وعند السحر الى اودية المدينة وحيث ماشاء يعصمه الله مع كثرة اعدآئه وقلة اعوانه وكان الشج
والرباعية قبل ذلك ولان المراد العصمة من القتل وقد حفظه من ذلك واماسائر البلايا والمحن فذلك مما كان
يجرى على سائر الانبياء والاولياء قال الكرمانى ماوقع من الابتلاء والسقم فى الانبياء عليهم السلام لنيل جزيل
الاجر وليعلم انهم بشر تصيبهم محن الدنيا ومايطرأ على الاجسام وانهم مخلوقون فلا يفتتن بماظهر على ايديهم
من المعجزات انتهى (ان الله لايهدى القوم الكافرين) تعليل لعصمته عليه السلام اى لا يمكنهم مما يريدون لك
من الاضرار وفيه اشارة الى ان من سنة الله تعالى أن لايهدى الى حضرته قوما جحدوا نبوة الانبياء وماقبلوا
رسالة الرسل ليبلغوا اليهم ماانزل اليهم من ربهم اوانكروا على الاولياء وما استمسكوا بعروة ولايتهم ليوصلوهم
الى الله تعالى سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وفى الآية ايضا اشارة الى ان من امتثل
لامر الخالق يعصمه من مضرة المخلوق كما عصم النبى عليه السلام وابو بكر الصديق رضى الله عنه فى الغار حين
الهجرة فاذا عصم الله من امتثل لامره يعصم ايضا من يستشفع برسوله عليه السلام ويهديه الى سوآء الصراط
حكى ان سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطأ الجيش بارض الروم واسر فانطلق هاربا يلتمس
الجيش فاذا بالاسد فقال يا ابا الحارث انا سفينة مولى رسول الله فكان مرادى كيت وكيت فاقبل الاسد
يتبصبص حتى قام الى جنبه كلما سمع صوتا اهوى اليه فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش ثم رجع الاسد
(قال السعدى فى البستان) يكى ديدم ازعرصهٔ رودبار * كه پيش آمدم برپلنكى سوار * چنان
هول ازان حال برمن نشست * كه ترسيدنم پاى رفتن ببست * تبسم كنان دست برلب كرفت *
كه سعدى مدار انچه آيد شكفت * توهم كردن ازحكم داور مپيچ * كه كردن نپيچد زحكم توهيچ *
محالست چون دوست داردترا * كه دردست دشمن كذاردترا * وعن جابر رضى الله عنه قال كان
النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الغزوات فنزل مع قومه فى واد فتفرق الناس يستظلون بالاشجار وينامون
واستظل عليه السلام بشجرة معلقا سيفه بغصنها فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فلما حضرنا رأينا
اعرابيا فقال عليه السلام (ان هذا اخترط على سيفى وانا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتا فقال من يمنعك منى
فقلت الله) يعنى يمنعنى الله منك (فسقط السيف من يده فاخذته فقلت من يمنعك منى فقال كن خير آخذ) قال
الراوى قال له النبى عليه السلام انشهد ان لا آله الا الله وانى رسول الله قال لا ولكن اعاهدك على ان لا اقاتلك
ولا اكون مع قوم يقاتلونك فخلى عليه السلام سبيله وفى الحديث كمال توكل النبى عليه السلام وتصديق قوله
والله يعصمك من الناس واستحباب مقابلة السيئة بالحسنة كذا فى شرح المشارق لابن الملك رحمه الله تعالى
(قل) يا محمد مخاطبا لليهود والنصارى (يا اهل الكتاب لستم على شئ) اى دين يعتد به ويليق بان يسمى شيأ
لظهور بطلانه ووضوح فساده (حتى تقيموا التوراة والانجيل) ومن اقامتهما الايمان بمحمد والاذعان لحكمه
فان الكتب الالهية باسرها آمرة بالايمان بما صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولهما
ومالم ينسخ من فروعهما (وما انزل اليكم من ربكم) اى القرآن المجيد بالايمان به ونسب الانزال اليهم لانهم
كانوا يدعون عدم نزوله الى بنى اسرائيل (وليزيدن كثيرا منهم) وهم علماؤهم ورؤساؤهم (ما انزل اليك من ربك)
اى القرآن (طغيانا وكفرا) على طغيانهم وكفرهم القديمين وهو مفعول ثان ليزيدن (فلا تأس على القوم
الكافرين) اى فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لايتخطاهم
وفى المؤمنين مندوحة لك عنهم وفى الآية اشارة الى ان حقيقة الدين انما هى احكام ظاهرة وباطنة والتزين
بالاعمال ظاهرا وبالاحوال باطنا وهذا لايتصور الا بمقدمتين ونتايج اربع فاما المتقدمتان فاولاهما الجذبة
الالهية وثانيتهما التربية الشيخية واما النتايج فاولاها الاعراض عن الدنيا وما يتعلق بها كلها وثانيتها التوجه
الى الحق بصدق الطلب وهما من نتايج الجذبة ثم تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة وتحلية القلب بالاخلاق
الالهية وهما من نتايج التربية الشيخية باستمداد القوة النبوية والقوم الكافرون هم اهل الانكار يتعلقون
بظاهر الدين ولا يعرفون وراءه غاية وليس الامر كذلك فان لكل ظاهر باطنا (وفى المثنوى) فائده هر ظاهرى
خود باطنست * همچو نفع اندر دواها كامنست * هيچ خطاطى نويسد خط بفن * بهر عين خط
نه بهر خواندن * كنديش مى نبيند غيراين * عقل اوبى سرچون نبت زمين * نبت راچه

خوانده چه ناخوانده * هست پاى اوبكل درمانده * كرسرش جنبد بسيرباد رو * تو بسر
جنبانيش غره مشو * آن سرش كويد سمعنا اى صبا * پاى اوكويد عصينا خلنا * والحامل
على الانكار هو الحسد كما كان لطائفة اليهود والنصارى فلا بد من تزكية النفس من مثل هذا القبيح حكى
ان تلميذ الفضيل بن عياض حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه وقرأ سورة يس فقال يا استاذ
لا تقرأ هذه ثم سكت ثم لقنه فقال لا آله الا الله فقال لا اقولها لانى برئ منها ومات على ذلك فدخل الفضيل
منزله وجعل يبكى اربعين يوما لم يخرج من البيت ثم رآه فى النوم وهو يسحب الى جهنم فقال باى شئ نزع الله
المعرفة عنك وكنت اعلم تلاميذى فقال بثلاثة اولها بالنميمة فانى قلت لاصحابى بخلاف ماقلت لك والثانى
بالحسد حسدت اصحابى والثالث كان لى علة فجئت الى الطبيب وسألته عنها فقال تشرب فى كل سنة قدحا
من الشراب فان لم تفعل بقيت بك العلة فكنت اشربه نعوذ بالله من سخطه الذى لا طاقة لنا به كذا فى منهاج
العابدين (ان الذين آمنوا) اى بالسنتهم فقط وهم المنافقون (والذين هادوا) اى دخلوا فى اليهودية
(والصابئون) اى الذين صبت قلوبهم ومالت الى الجهل وهم صنف من النصارى يقال لهم السايحون يحلقون
اوساط رؤسهم وقد سبق فى سورة البقرة (والنصارى) جمع نصران وهو معطوف على الذين هادوا وقوله
والصابئون رفع على الابتدآء وخبره محذوف والجملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الخ والتقدير
ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك وانما لم يعطف على من قبله
بل جعل مع خبره المحذوف جملة مستقلة اتى بها فى خلال الجملة الاولى على نية التأخير للدلالة على ان الصابئين
مع كونهم اشد الفرق المذكورين فى هذه الاية ضلالا اذا قبل توبتهم وغفر ذنوبهم على تقدير الايمان الصحيح
والعمل الصالح فقبول توبة باقى الفرق اولى واحرى (من آمن بالله واليوم الآخر) اى من احدث من هذه
الطوآئف ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد (وعمل صالحا) حسبما يقتضيه الايمان بهما وقوله من فى محل الرفع بالابتدآء
وخبره فلا خوف الخ والجملة خبران (فلا خوف عليهم) حين يخاف الكفار العقاب (ولا هم يحزنون) حين يحزن
المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما قال الحدادى
فى تفسيره اما نفى الحزن عن المؤمنين ههنا فقد ذهب بعض المفسرين الى انه لا يكون عليهم حزن فى الاخرة
ولا خوف ونظيره قوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وقال بعضهم ان المؤمنين يخافون
ويحزنون لقوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه
وقال صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة فقالت عائشة واسوأتاه فقال صلى الله عليه
وسلم اما سمعت قول الله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه قالوا وانما نفى الله تعالى فى هذه الاية الحزن
عن المؤمنين لان حزنهم لما كان فى معرض الزوال ولم يكن له بقاء معهم لم يعتد بذلك انتهى (وفى المثنوى)
لاتخافوا هست نزل خائفان * هست درخور از براى خائف آن * هركه ترسد مرورا ايمن كنند *
مردل ترسنده را ساكن كنند * آنكه خوفش نيست چون كويى مترس * درس چه دهى نيست
او محتاج درس * واعلم ان اولياء الله لا خوف عليهم فيما لا يكون على شئ لانهم يقيمون القرآن عملا
بالظاهر والباطن ولا هم يحزنون على ما يقاسون من شدآئد الرياضات والمجاهدات ومخالفات النفس فى ترك
الدنيا وقمع الهوى ولا على ما اصابهم من البلاء والمحن والمصيبات والآفات لانهم تخلصوا عن التقليد وفازوا
بالتحقيق وارتفع عنهم تعب التكاليف فهم مع الله فى جميع احوالهم فعلى المؤمن معالجة مرضه القلبى
من الاوصاف الرذيلة والتخلص من النفاق واللحاق باهل الاتفاق قال ابراهيم الخواص قدس سره دوآء القلب
خمسة قرآءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع الى الله عند السحر ومجالسة الصالحين
قال حضرة الشيخ الشهير بالهدايى قدس سره ونحن نقول المصلح فى الحقيقة هو الله ولكن اشد الاشياء تأثيرا
هو الذكر قال الله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال على رضى الله عنه يأتى على الناس زمان لا يبقى
من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه يعمرون مساجدهم وهى خراب من ذكر الله شر اهل ذلك الزمان
علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود (قال السعدى) علم چندانكه بيشتر خوانى * چون عمل
در تو نيست نادانى * نه محقق بود نه دانشمند * چارپايى بروكتابى چند * آن تهى مغز را چه علم و خبر *

كه برو هيزست وبادفتر * واعلم ان زبدة العلوم هى العلم بالله وماسواه فمن محسناته ومن علم فهو كامل
فى نفسه الا ان العمل هو المقصود ومجرد القراءة لا يغنى شيأ ولا يجلب نفعا فطوبى لمن صاحب رفيق التوفيق
(لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل) اى بالله قد اخذنا عهدهم بالتوحيد وسائر الشرائع والاحكام المكتوبة
عليهم فى التوراة (وارسلنا اليهم رسلا) ذوى عدد كثير واولى شأن خطير ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم (كلما
جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم) جواب شرط محذوف كانه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول
من اولئك الرسل بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف عصوه وعادوه كانه قيل كيف عصوهم
فقيل (فريقا كذبوا) اى فريقا منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم بشئ آخر من المضار (وفريقا يقتلون)
اى فريقا آخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم ايضا كزكريا ويحيى عليهما السلام (وحسبوا ان لا تكون فتنة)
اى حسب بنوا اسرائيل وظنوا ان لا يصيبهم من الله تعالى بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وجه
حسبانهم انهم وان اعتقدوا فى انفسهم انهم مخطئون فى ذلك التكذيب والقتل الا انهم كانوا يقولون نحن ابناؤه
واحباؤه وكانوا يعتقدون ان نبوة اسلافهم وآبائهم تدفع عنهم العذاب الذى يستحقونه بسبب ذلك القتل
والتكذيب (فعموا) عطف على حسبوا والفاء للدلالة على ترتيب ما بعدها على ما قبلها اى امنوا بأس الله
تعالى فتمادوا فى فنون الغى والفساد وعموا عن الدين بعد ما هداهم الرسل الى المعاملة الظاهرة وبينوا لهم
مناهجه الواضحة اى عملوا معاملة الاعمى الذى لا يبصر (وصموا) عن استماع الحق الذى القوه عليهم
اى عملوا معاملة الاصم الذى لا يسمع ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا قال المولى ابو السعود وهذا اشارة الى المرة الاولى
من مرتى افساد بنى اسرائيل حين خالفوا احكام التوراة وركبوا المحارم وقتلوا شعيبا وقيل حبسوا ارمياء
عليهما السلام (ثم تاب الله عليهم) حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد وبعدما كانوا ببابل دهرا
طويلا تحت قهر بخت نصر اسارى فى غاية الذل والمهانة فوجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس
الى بيت المقدس ليعمره ونجى بقايا بنى اسرائيل من اسر بخت نصر بعد مهلكهم وردهم الى وطنهم وتراجع
من تفرق منهم فى الاكناف فعمروه فى ثلاثين سنة فكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا عليه (ثم عموا وصموا)
وهو اشارة الى المرة الاخرى من مرتى افسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريا ويحيى وقصدهم قتل عيسى عليهم
السلام (كثير منهم) بدل من الضمير فى الفعلين قال الحدادى قوله كثير منهم تقتضى فى المرة الثانية انهم لم يكفروا
كلهم وانما كفر اكثرهم كما قال تعالى ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة وقال تعالى منهم امة مقتصدة
(والله بصير بما يعملون) فيجازيهم وفق اعمالهم ومن اين لهم ذلك الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك فى المرة
الاولى حيث سلط الله عليهم بخت نصر فاستولى على بيت المقدس فقتل من اهله اربعين الفا ممن يقرأ التوراة
وذهب بالبقية الى ارضه فبقوا هنالك على اقصى ما يكون من الذل والنكد الى ان احدثوا توبة صحيحة فردهم
الله عز وعلا الى ما حكى عنهم من حسن الحال ثم عادوا الى المرة الاخرى من الافساد فبعث الله عليهم الفرس
فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف ففعل بهم ما فعل قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه
دما يغلى فسألهم فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقمونى فقتل عليه الوفا منهم ثم قال ان لم تصدقونى
ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى عليه السلام فقال بمثل هذا ينتقم الله منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى
وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقى احدا منهم فهدأ واعلم ان من مقتضى
النفس نسيان العهد بينه وبين الله ونسيان نعمه بالكفران وكيف الكفران والانسان غريق فى بحر
كرمه ولطفه فيجب عليه شكر ذلك وارسال الرسل وتوضيح السبل ونزول المطر وانبات الارض وصحة البدن
وقوة القلب واندفاع الموانع ومساعدة الاسباب كل ذلك من النعم الجليلة وحكى ان دانيال عليه السلام
وجد خاتمه فى عهد عمر رضى الله عنه وكان على فصه اسدان وبينهما رجل يلحسانه وذلك ان بخت نصر لما تتبع
الصبيان وقتلهم وولد هو القته امه فى غيضة رجاء ان ينجو منه فقيض الله سبحانه اسدا يحفظه ولبوة ترضعه
وهما يلحسانه فلما كبر صور ذلك فى خاتمه حتى لا ينسى نعمة الله عليه ولا بد فى قطع طريق الآخرة من تحمل
المشاق والقيام بالحقوق الواجبة بينه وبين الخلاق ذكر عن الفضيل انه قال من عزم على قطع طريق الآخرة
فليجعل فى نفسه اربعة الوان من الموت الابيض والاحمر والاسود والاخضر فالموت الابيض الجوع والاسود

ذم الناس والاحمر مخالفة الشيطان والاخضر الوقائع بعضها على بعض اى المصائب والاوجاع واذا كان
المرء اعمى واصم فى هذا الطريق فلا جرم يضل ولا يهتدى (قال فى المثنوى) كور راهر كام باشد ترس چاه *
باهزاران ترس مى آيد براه * مرد بينا ديده عرض راه را * پس بداند او مغاك وچاه را * ماهيانرا
بحر نكذارد برون * خاكيانرا بحر نكذارد درون * اصل ماهى آب وحيوان از كلست *
حيله وتدبير اينجا باطلست * قفل زفتست وكشاينده خدا * دست در تسليم زن اندر رضا * والعصيان
وان كان سببا للنسيان ورين العمى والصمم الا ان ما قضاه الله وقدره لا يتغير فليبك على نفسه من ضاع
عمره فى الهوى وتتبع الشهوات فلم يجد الى طلب الحق سبيلا والى طريق الرشد دليلا اللهم انك انت الهادى
(لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) نزلت فى نصارى نجران السيد والعاقب ومن معهما
وهم المار يعقوبية قالوا ان الله حل فى ذات عيسى واتحد بذاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وقال المسيح)
اى قالوا ذلك والحال قد قال المسيح مخاطبا لهم (يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) فانى عبد مربوب
مثلكم فاعبدوا خالقى وخالقكم (انه) اى الشأن (من يشرك بالله) اى شيأ فى عبادته او فيما يختص به من الصفات
والافعال (فقد حرم الله عليه الجنة) فلن يدخلها ابدا كما لا يصل المحرم عليه الى المحرم فانها دار الموحدين
(ومأواه النار) فانها هى المعدة للمشركين (وما للظالمين) بالاشراك (من انصار) اى من احد ينصرهم بانقاذهم
من النار اما بطريق المغالبة او بطريق الشفاعة وهو من تمام كلام عيسى ثم حكى ما قاله النسطورية والملكانية
من النصارى فقال (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) اى احد ثلاثة آلهة والالهية مشتركة بينهم
وهم الله وعيسى ومريم (وما من اله الا اله واحد) اى والحال ليس فى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة
من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا الهية موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة (وان لم ينتهوا
عما يقولون) عن مقالتهم الاولى والثانية ولم يوحدوا (ليمسن الذين كفروا منهم) اى والله ليمسنهم ووضع الموصول
موضع الضمير لتكرير الشهادة عليهم بالكفر فمن بيانية حال من الذين (عذاب اليم) نوع شديد الالم من العذاب
يخاص وجعه الى قلوبهم (افلا يتوبون الى الله) اى ايصرون فلا يتوبون عن تلك العقائد الزائغة والاقاويل
الباطلة وهمزة الاستفهام لانكار الواقع واستبعاده لا لانكار الوقوع وفيه تعجيب من اصرارهم وتحضيض
على التوبة (ويستغفرونه) بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه اليه من الاتحاد والحلول (والله غفور رحيم) اى والحال
انه تعالى مبالغ فى المغفرة يغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت
من قبله الرسل) اى ما هو الا مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها كالرسل الماضية من قبله خصه الله تعالى بآيات
كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان خلقه
من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وانما موسى وعيسى
مظاهر شؤونه وافعاله (وامه صديقة) اى ما امه ايضا الا كسائر النساء اللاتى يلازمن الصدق اى صدق
الاقوال فى المعاملة مع الخلق وصدق الافعال والاحوال فى المعاملة مع الخالق لا يصدر منهن ما يكذب دعوى
العبودية والطاعة (كانا يأكلان الطعام) ويفتقران اليه افتقار الحيوانات فكيف يكون الها من لا يقيمه
الا اكل الطعام (انظر كيف نبين لهم الآيات) الباهرة المنادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم
الجبال (ثم انظر انى يؤفكون) اى كيف يصرفون عن استماعها والتأمل فيها وثم لاظهار ما بين العجبين من
التفاوت اى ان بياننا الآيات امر بديع فى بابه واعراضهم عنها مع تعاضد ما يوجب قبولها ابدع (قل) يا محمد الزاما
لهؤلاء النصارى ومن سلك طريقتهم من اتخاذ غير الله الها (اتعبدون من دون الله) اى متجاوزين اياه
(ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) يعنى عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل
ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما مع ان اصله ان يطلق على غير
العاقل نظرا الى ما هو عليه فى ذاته فانه عليه السلام فى اول احواله لا يوصف بعقل ولا بشئ من الفضائل
فكيف يكون الها (والله هو السميع العليم) بالاقوال والعقائد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر وهو حال
من فاعل تعبدون (قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق) اى غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له
الالوهية كما ادعته النصارى او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة كما زعمته اليهود (ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا

من قبل) يعنى اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث محمد عليه السلام فى شريعتهم (واضلوا كثيرا) اى من تابعهم على بدعهم وضلالهم (وضلوا عن سواء السبيل) عن قصد السبيل الذى هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وحسدوه قال الشيخ نجم الدين فى تأويلاته ان النصارى لما ارادوا ان يسلكوا طريق الحق بقدم العقل وينظروا الى احوال الانبياء بنظر العقل تاهوا فى اودية الشبهات وانقطعوا فى بوادى الهلكات جل جناب القدس عن ادراك عقول الانس هيهات هيهات وهذا حال من يحذو حذوهم ويقفو اثرهم فاطرت النصارى عيسى عليه السلام اذ نظروا بالعقل فى امره فوجدوه مولودا من ام بلا اب فحكم عقلهم ان لا يكون مولود بلا اب فينبغى ان يكون هو ابن الله واستدلوا على ذلك بانه يخلق من الطين كهيئة الطير و يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى ويخبر عما يأكلون فى بيوتهم وما يدخرون وهذا من صفات الله تعالى ولو لم يكن المسيح ابن الله لما امكنه هذا وانما امكنه لان الولد سر ابيه وقال بعضهم ان المسيح لما استكمل تزكية النفس عن صفات الناسوتية حل لاهوتية الحق فى مكان ناسوتيته فصار هو الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم اعلم ان امة محمد لما سلكوا طريق الحق باقدام جذبات الالوهية على وفق المتابعة الحبيبية اسقط عنهم كلفة الاستدلال ببراهين الوصول والوصال كما كان حال الشبلى حين غسل كتبه بالماء وكان يقول نعم الدليل انتم ولكن اشتغالى بالدليل بعد الوصول الى المدلول محال (وفى المثنوى) چون شدى بربامهاى آسمان * سرد باشد جست وجوى نردبان * آينه روشن كه شد صاف وجلى * جهل باشد برنهان صيقلى * پيش سلطان خوش نشسته پس قبول * زشت باشد جستن نامه رسول * فهذا القوم بعد ما وصلوا الى سرادقات حضرة الجلال شاهدوا بانوار صفات الجمال ان الانسان هو الذى حمل امانة الحق من بين سائر المخلوقات وهى نور فيض الالوهية بواسطة الانبياء مخصوصون باحسن التقويم فى قبول هذا الكمال فتحقق لهم ان عيسى عليه السلام صار قابلا بعد التزكية للتحلية بفيض الخالقية والمحيية كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ويبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى باذن الله لا باذنه اعنى كان صورة الفعل منه ومنشأ صفة الخالقية حضرة الالوهية وهذا كما ان لكرة البلور المخروط استعدادا فى قبول فيض الشمس اذا كانت فى محاذاتها فتقبل الفيض وتحرق المحلوج المحاذى لها بذلك الفيض فصدر الفعل المحرق من الكرة ظاهرا ومنشأ الصفة المحرقية حضرة الشمس حقيقة فصار للكرة بحسن الاستعداد قابلية لفيض الشمس وظهر منها صفات الشمس ما حلت الشمس فى كرة البلور تفهم ان شاء الله وتغتنم فكذلك حال الانبياء فى المعجزات وكبار الاولياء فى الكرامات والفرق ان الانبياء مستقلون بهذا المقام والاولياء متبعون قال الامام الغزالى فى قول ابى يزيد انسلخت من نفسى كما تنسلخ الحية من جلدها فنظرت فاذا انا هو ان من انسلخ من شهوات نفسه وهواها وهمها فلا يبقى فيه متسع لغير الله ولا يكون له هم سوى الله واذا لم يحل فى القلب الا جلال الله وجماله صار مستغرقا به صار كانه هو لا انه هو تحقيقا وقوله ايضا سبحانى ما اعظم شانى يحمل على انه قد شاهد كمال حظه من صفة القدس فقال سبحانى ورأى عظيم شأنه بالاضافة الى شأن عموم الخلق فقال ما اعظم شانى وهو مع ذلك يعلم قدسه وعظم شأنه بالاضافة الى الخلق ولا نسبة له الى قدس الرب وعظم شأنه وقول من قال من الصوفية انا الحق فوارد على سبيل التجوز ايضا كما يقول الشاعر انا من اهوى ومن اهوى انا وذلك متأول عند الشاعر فانه لا يعنى به انه هو تحقيقا بل كانه هو فانه مستغرق بالهم به كما يكون مستغرق الهم بنفسه فيعتبر هذه الحالة بالاتحاد على سبيل التجوز قال الشيخ ابو القاسم الجرجانى ان الاسماء التسعة والتسعين تصير اوصافا للعبد السالك وهو بعد فى السلوك غير واصل فان قلت ما معنى الوصول قلت معنى السلوك هو تهذيب الاخلاق والاعمال والمعارف وذلك اشتغال بعمارة الظاهر والباطن والعبد فى جميع ذلك مشغول بنفسه عن ربه الا انه مشتغل بتصفية باطنه ليستعد للوصول وانما الوصول هو ان ينكشف له جلية الحق ويصير مستغرقا به فان نظر الى معرفته فلا يعرف الا الله وان نظر الى همته فلا همة له سواه فيكون كله مشغولا بكله مشاهدة وهما لا يلتفت فى ذلك الى نفسه ليعمر ظاهره بالعبادة وباطنه بتهذيب الاخلاق وكل ذلك طهارة وهى البداءة واما النهاية فان ينسلخ عن نفسه بالكلية ويتجرد له فيكون كانه هو وذلك هو الوصول (وفى المثنوى) كاركاه گنج حق در نيستيست * غره هستى چه دانى نيست چيست * آب كوزه چون درآب جو شود * محو گردد دروى وجو او شود

(لعن الذين كفروا) حال كونهم (من بنى اسرائيل) اى طردوا وابعدوا من رحمة الله تعالى (على لسان داود) متعلق بلعن يعنى اهل ايلة لما اعتدوا فى السبت قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم آية ومثلا لخلقك فمسخوا قردة (وعيسى ابن مريم) اى على لسان عيسى ابن مريم يعنى كفار اصحاب المائدة لما اكلوا من المائدة ولم يؤمنوا قال عيسى اللهم العنهم كما لعنت اصحاب السبت واجعلهم آية فمسخوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبى كانه قيل باى سبب وقع ذلك فقيل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) اى ذلك اللعن الشنيع المقتضى للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) استئناف اى لا ينهى بعضهم بعضا عن قبيح يعملونه واصطلحوا على الكف عن نهى المنكر (لبئس ما كانوا يفعلون) تعجيب من سوء فعلهم مؤكدا بالقسم (ترى كثيرا منهم) اى من اهل الكتاب ككعب بن الاشرف واضرابه حيث خرجوا الى مشركى مكة ليتفقوا على محاربة النبى عليه السلام والرؤية بصرية (يتولون الذين كفروا) حال من كثيرا لكونه موصوفا اى يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (لبئس ما قدمت لهم انفسهم) اى لبئس شيأ قدموا ليردوا عليه يوم القيامة (ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون) هو المخصوص بالذم بتقدير المضاف اى موجب سخط الله والخلود فى العذاب لان نفس السخط المضاف الى البارى تعالى لا يقال له انه المخصوص بالذم انما المخصوص بالذم هو الاسباب الموجبة له (ولو كانوا) اى الذين يتولون المشركين من اهل الكتاب (يؤمنون بالله والنبى) اى نبيهم (وما انزل اليه) اى الى ذلك النبى من التوراة والانجيل (ما اتخذوهم) اى المشركين (اولياء) لان تحريم ذلك مصرح فى شريعة ذلك النبى وفى الكتاب المنزل اليه فالايمان يمنع من التولى قطعا (ولكن كثيرا منهم فاسقون) خارجون عن الدين والايمان بالله ونبيهم وكتابهم وفى الايات امور الاول ان الانسان الكامل الذى يصلح لخلافة الحق هو مظهر صفات لطف الحق وقهره فقبولهم قبول الحق وردهم رد الحق ولعنهم لعن الحق وصلاتهم صلاة الحق فمن لعنوه فقد لعنه الحق ومن صلوا عليه فقد صلى الحق عليه لقوله تعالى لنبيه وحبيبه عليه السلام ان صلاتك سكن لهم وقال هو الذى يصلى عليكم فظهر اللعن كان لسان داود وعيسى وكانت اللعنة من الله تعالى حقيقة لقوله كما لعنا اصحاب السبت وهم الذين لعنهم داود وصرح ههنا ان اللعن كان منه تعالى وان كان على لسان داود عليه السلام (وفى المثنوى) اين نكردى تو كه من كردم يقين * اى صفاتت در صفات ما دفين * ما رميت اذ رميت كشته * خويشتن در موج چون كف هشته (وفى محل آخر) كه ترا از تو بكل خالى كند * تو شوى پست او سخن عالى كند * گرچه قرآن از لب پيغمبر است * هر كه گويد حق نگفت او كافر است * والثانى ان الله تعالى سمى العصيان منكرا لانه يوجب النكرة كما سمى الطاعة معروفا لانها توجب المعرفة والاقدام على الفعل المنكر معصية والاصرار على المعصية كالكفر فى كونه سببا للرين المحيط بجوانب القلب ومن ذلك ترك النهى عن المنكر وفى الحديث يحشر يوم القيامة اناس من امتى من قبورهم الى الله تعالى على صورة القردة والخنازير بما داهنوا اهل المعاصى وكفوا عن نهيهم وهم يستطيعون فالمداهنة من اعمال الكفار والدعوة الى الله من اخلاق الاخيار (وفى المثنوى) هر كسى كو از صف دين سركش است * ميرود سوى صفى كان واپس است * تو ز گفتار تعالوا كم مكن * كيمياى پس شگرفست آن سخن * گر مسى گردد ز گفتارت نفير * كيميا را هيچ از وى وامگير * اين زمان گر بست نفس ساحرش * گفت تو سودش كند در آخرش * قل تعالوا قل تعالوا اى غلام * هين كه ان الله يدعو للسلام * والثالث ان المؤمن والكافر ليسا من جنس واحد وتولى الكافر موجب لسخط الله لان موالاة الاعداء توجب معاداة الاولياء فينبغى للمؤمن الكامل ان ينقطع عن صحبة الكفار والفجار واهل البدع والاهواء وارباب الغفلة والانكار (وفى المثنوى) ميل مجنون پيش آن ليلى روان * ميل ناقه پس پى طفلش دوان * گفت اين ناقه چو هر دو عاشقيم * ما دو ضد پس همره نالايقيم * نيستت بر وفق من مهر و مهار * ترك بايد از تو صحبت اختيار * جان ز هجر عرش اندر فاقه * تن ز عشق خاربن چون ناقه * جان گشاده سوى بالا بالها * در زده تن در زمين چنگالها * اللهم خلصنا من خلاف الجنس مطلقا (لتجدن) يا محمد (اشد الناس) مفعول اول للوجدان (عداوة) تمييز (للذين آمنوا) متعلق بعداوة (اليهود)

مفعول ثان للوجدان (والذين اشركوا) يعنى مشركى العرب معطوف على اليهود (ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) اعرابه كاعراب ما سبق اما عداوة اليهود والمشركين المنكرين للمعاد فلشدة حرصهم الذى هو معدن الاخلاق الذميمة فان من كان حريصا على الدنيا طرح دينه فى طلب الدنيا واقدم على كل محظور ومنكر فلا جرم تشتد عداوته مع كل من نال جاها ومالا واما مودة النصارى فلانهم فى اكثر الامر معرضون عن الدنيا مقبلون على العبادة وترك طلب الرياسة والتكبر والترفع وكل من كان كذلك فانه لا يحسد الناس ولا يؤذيهم بل يكون لين العريكة فى طلب الحق سهل الانقياد له انظر الى كفر النصارى مع كونه اغلظ من كفر اليهود لان كفر النصارى فى الالوهية وكفر اليهود فى النبوة واما قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله فانما قاله طائفة منهم ومع ذلك خص اليهود بمزيد اللعنة دونهم وما ذاك الا بسبب حرصهم على الدنيا ويؤيده قوله عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة قال البغوى لم يرد به جميع النصارى لانهم فى عداوتهم للمسلمين كاليهود فى قتلهم المسلمين واسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم واحراق مصاحفهم لا مودة ولا كرامة لهم بل الآية نزلت فيمن اسلم منهم مثل النجاشى واصحابه وكان النجاشى ملك الحبشة نصرانيا قبل ظهور الاسلام ثم اسلم هو واصحابه قبل الفتح ومات قبله ايضا وقال اهل التفسير ائتمرت قريش ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثب كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله منهم من شاء ومنع الله رسوله بعمه ابى طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل باصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد امرهم بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا واراد به النجاشى واسمه اصحمة بالمهملتين وهو بالحبشية عطية وانما النجاشى اسم الملك كقولهم قيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس فخرج اليها سرا احد عشر رجلا واربع نسوة منهم عثمان ابن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة الى ارض الحبشة بنصف دينار وذلك فى رجب فى السنة الخامسة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه هى الهجرة الاولى ثم خرج جعفر بن ابى طالب وتتابع المسلمون اليها فكان جميع من هاجر الى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان * سعديا حب وطن كرچه حديث است صحيح * نتوان مرد بسختى كه من اينجا زادم * فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه بالهدايا الى النجاشى وبطارقته ليردوهم اليهم فعصمهم الله فلما انصرفا خائبين واقام المسلمون هناك بخير دار وحسن جوار الى ان هاجر رسول الله وعلا امره وذلك فى سنة ست من الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشى على يد عمرو ابن امية الضمرى ليزوجه ام حبيبة بنت ابى سفيان وكانت قد هاجرت اليه مع زوجها فمات زوجها فارسل النجاشى الى ام حبيبة جارية يقال لها ابرهة تخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها فاعطتها اوضاحا لها سرورا بذلك وامرها ان توكل من يزوجها فوكلت خالد بن سعيد بن العاص فانكحها على صداق اربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله النجاشى فانفذ اليها على يد ابرهة اربعمائة دينار فلما جاءتها بها اعطتها خمسين دينارا فردتها وقالت امرنى الملك ان لا آخذ منك شيأ وقالت انا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صدقت محمدا صلى الله عليه وسلم وآمنت به فحاجتى منك ان تقرئيه منى السلام قالت نعم ثم امر الملك نساءه ان يبعثن الى ام حبيبة بما عندهن من عود وعنبر وكان عليه السلام يراه عليها وعندها فلا ينكر قالت ام حبيبة فخرجنا فى سفينتين وبعث معنا النجاشى الملاحين فلما خرجنا من البحر ركبنا الظهر الى المدينة ورسول الله عليه السلام بخيبر فخرج من خرج اليه واقمت بالمدينة حتى قدم النبى عليه السلام فدخلت عليه فكان يسألنى عن النجاشى فقرأت عليه من ابرهة السلام فرد عليها السلام فانزل الله عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم يعنى ابا سفيان مودة يعنى تزويج ام حبيبة ولما جاء ابا سفيان تزويج ام حبيبة برسول الله عليه السلام قال ذاك الفحل لا يقرع انفه ثم قال عليه السلام لا ادرى انا بفتح خيبر اسر ام بقدوم جعفر وبعث النجاشى بعد قدوم جعفر الى رسول الله ابنه ازهر بن اصحمة بن الحرفى ستين رجلا من الحبشة وكتب اليه يا رسول الله اشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت لله رب العالمين وقد بعثت ابنى ازهر وان شئت ان آتيك بنفسى فعلت والسلام عليك يا رسول الله فركبوا سفينة فى اثر جعفر واصحابه فلما بلغوا

اواسط البحر غرقوا وكان جعفر يوم وصل المدينة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل فى سبعين رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل الشام منهم بحيرا الراهب فقرأ عليهم رسول الله سورة يس الى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن فآمنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله تعالى هذه الآية ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى يعنى وفد النجاشى الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا اصحاب الصوامع (ذلك) اى كونهم اقرب مودة للمؤمنين (بان منهم) اى بسبب ان منهم (قسيسين) وهم علماء النصارى وعبادهم ورؤساؤهم والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشئ اذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم فى تتبع العلم قاله الراغب وقال قطرب القسيس العالم بلغة الروم وعن عروة بن الزبير انه قال ضيعت النصارى الانجيل وادخلوا فيه ما ليس منه وبقى واحد من علمائهم على الحق والدين وكان اسمه قسيسا فمن كان على مذهبه ودينه فهو قسيس (ورهبانا) هو جمع راهب كراكب وركبان وقيل انه يطلق على الواحد وعلى الجمع والترهب التعبد مع الرهبة فى صومعة والتنكير لافادة الكثرة ولا بد من اعتبارها فى القسيسين ايضا اذ هى التى تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين فان اتصاف افراد كثيرة بجنس الخصلة مظنة لاتصاف الجنس بها والا فمن اليهود ايضا قوم مهتدون الا يرى الى عبد الله ابن سلام واضرابه قال تعالى من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الخ لكنهم لما لم يكونوا فى الكثرة كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم الى جنس اليهود (وانهم لا يستكبرون) عطف على ان منهم اى وبانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه ويتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كانت فى كافر اقول ذكر عند حضرة شيخى العلامه ابقاه الله بالسلامه رجولية بعض اهل الذمم ومروءته فقال انه من آثار السعادة الازلية ويرجى ان ذلك يدعوه الى الايمان والتوحيد ويصير عاقبته الى الفلاح (قال الحافظ) كارى كنيم ورنه خجالت برآورد * روزى كه رخت جان بجهان دكر كشيم تم الجزء السادس

(الجزء السابع من الثلاثين)

(واذا سمعوا ما انزل الى الرسول) عطف على لا يستكبرون اى ذلك بسبب انهم لا يستكبرون وان اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا عند سماع القرآن وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأنفهم عنه (ترى اعينهم تفيض من الدمع) اى تمتلئ بالدمع فاستعير له الفيض الذى هو الانصباب من الامتلاء مبالغة ومن الدمع متعلق بتفيض ومن لابتداء الغاية والمعنى تفيض من كثرة الدمع والرؤية بصرية وتفيض حال من المفعول (مما عرفوا من الحق) من الاولى لابتداء الغاية متعلق بمحذوف على انها حال من الدمع والثانية لبيان الموصول فى قوله ما عرفوا اى حال كونه ناشئا ومبتدأ من معرفة الحق حاصلا من اجله وبسببه كانه قيل ماذا يقولون عند سماع القرآن فقيل (يقولون ربنا آمنا) بهذا القرآن (فاكتبنا مع الشاهدين) اى اجعلنا فى جملة الذين شهدوا بانه حق (وما لنا) اى اى شئ حصل لنا (لا نؤمن بالله) حال من الضمير فى لنا اى غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفى الى السبب والمسبب جميعا (وما جاءنا من الحق) عطف على الجلالة اى بالله وما جاءنا من الحق حال من فاعل جاءنا اى جاءنا فى حال كونه من جنس الحق او من لابتداء الغاية متعلقة بجاءنا ويكون المراد بالحق البارى تعالى (ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) حال اخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدأ اى اى شئ حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع فى صحبة الصالحين وانما قدر المبتدأ ليكون الحال هو الجملة الاسمية لان المضارع المثبت لا يقع حالا بالواو الا بتأويل تقدير المبتدأ (فاثابهم الله) اى اعطاهم وجازاهم (بما قالوا) اى عن اعتقادهم بدليل قوله مما عرفوا من الحق (جنات) اى بساتين (تجرى من تحتها الانهار) اى تجرى من تحت اشجارها ومساكنها وغرفها انهار الماء والعسل والخمر واللبن (خالدين فيها وذلك) الثواب (جزاء المحسنين) اى الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان فى الامور (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) فماتوا على ذلك عطف التكذيب بآيات الله على الكفر مع انه ضرب منه لما ان القصد الى بيان حال المكذبين (اولئك اصحاب الجحيم) اهل النار الشديدة الوقود وهم الذين استتروا بحجب اوصاف البهيمية والسبعية والشيطانية فاصمهم الله واعمى ابصارهم سمعوا ولم يستمعوا وشاهدوا ولم يبصروا بخلاف

من قال لهم الله ألست بربكم فاسمعهم كلامه ووفقهم للجواب حتى شهدوا بربوبيته فقالوا بلى شهدنا فكذلك ههنا اسمعهم كلامه وعرفهم حقيقة كلامه فاشتاقوا اليه وتذكر قلوبهم ماشاهدوا عند الميثاق من تلك المشاهدة فبكوا بكاء الشوق وبكاء المعرفة (وفى المثنوى) خوى بد در ذات تو اصلى نبود * كز بد اصلى مى نيايد جز جحود * آن بدى عاريتى باشد كه او * آرد اقرار و شود او توبه جو * همچو آدم ذلتش عاريه بود * لاجرم اندر زمان توبه نمود * چونكه اصلى بود جرم آن بليس * ره نبودش جانب توبه نفيس * حكى ان سلطانا زار قبر ابى يزيد قدس سره فسأل حاله من بعض اصحاب ابى يزيد فقال من رآه لم يدخل النار فقال السلطان ان اباجهل رأى النبى عليه السلام ومع ذلك يدخل النار وليس شيخك فوق النبى عليه السلام فقال ايها السلطان ان اباجهل لم ير النبى صلى الله عليه وسلم بل رأى يتيم ابى طالب فلو رأى انه رسول الله لآمن به وخاص عن النار بنور العرفان آمنت بلقيس فانها لما رأت كتاب سليمان شاورت قومها فقالوا نقاتله فقالت انه يدعى النبوة والانبياء عباد الله المكرمون لا يقاتلهم احد فبعد الامتحان آمنت به (قال المولوى) چون سليمان سوى مرغان سبا * يك صفيره كرد بست آن جمله را * جز مكر مرغى كه بد بى بال و پر * يا چو ماهى كنگ بد از اصل كر * نى غلط گفتم كه كر كو هر نهد * پيش وحى كبريا سمعش دهد * چونكه بلقيس از دل وجان عزم كرد * بر زمان رفته هم افسوس خورد * ترك مال وملك كرد او آنچنان * كه بترك نام وننك آن عاشقان * آن غلامان وكنيزان بناز * پيش چشمش همچو پوسيده پياز * باغها وقصرها وآب رود * پيش او از عشق او كلخن نمود * عشق در هنكام استيلا وخشم * زشت كرداند لطيفانرا بچشم * هر زمرد را نمايد كندنا * غيرت عشق اين بود معنى لا * لا اله الا هو اينست اى پناه * كه نمايد مه ترا ديك سياه * واعلم انه فى العالم العلمى وفق من وفق يجرى على ذلك التوفيق فى هذا العالم العينى الشهادى ثم لا يزال على ذلك فى جانب الابد حتى يدخل الجنة الصورية الحسية مع اذواق الروحانية المعنوية خالدا فيها فهذا هو ثمرة ذلك البذر ومحصول ذلك الزرع والحرث كما قال الله تعالى فاثابهم الله بما قالوا الخ فعلى المؤمن ان يجتهد فى تحصيل اليقين ويدخل الجنة العاجلة التى هى المعرفة الالهية كما قال مما عرفوا من الحق ويتخلص عن نار البعد والفراق كما قال اولئك اصحاب الجحيم (يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم) اى لا تمنعوا ما طاب ولذ منه انفسكم كمنع التحريم (ولا تعتدوا) اى لا تجاوزوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فان محرم ما احل الله يحل ما حرم الله او ولا تسرفوا فى تناول الطيبات فان الاسراف تجاوز الى الحرام كتناول المحرمات (ان الله لا يحب المعتدين) اى لا يرضى عمل المعتدين على انفسهم المتجاوزين حدود الله (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) اى ما احل لكم وطاب مما رزقكم الله فحلالا مفعول كلوا ومما رزقكم الله حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة قال عبد الله بن المبارك الحلال ما اخذته من وجهه والطيب ما غذى ونمى فاما الجوامد كالطين والتراب وما لا يغذى فمكروه الا على وجه التداوى (واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون) تأكيد للوصية بما امر به فان قوله كلوا حلالا وان كان المراد به ههنا الاباحة والتحليل الا انه انما اباح اكل الحلال فيفيد تحريم ضده فاكد التحريم المستفاد منه بقوله واتقوا الله وزاده تأكيدا بقوله الذى انتم به مؤمنون فان الايمان يوجب التقوى بالانتهاء عما نهى عنه وعدم التجاوز عما حد له قال الامام قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله يدل على انه تعالى قد تكفل برزق كل احد فانه لو لم يتكفل برزقه لما قال كلوا مما رزقكم الله واذا تكفل برزقه وجب ان لا يبالغ فى الطلب وان يعول على وعده واحسانه فانه اكرم من ان يخلف الوعد ولذلك قال عليه السلام فاتقوا الله واجملوا فى الطلب (قال الحافظ) ما آبروى فقر وقناعت نمى بريم * با پادشه بكوى كه روزى مقدراست (وقال الصائب) رزق اكر بر آدمى عاشق نمى باشد چرا * از زمين كندم كريبان چاك مى آيد چرا * قال اهل التفسير ذكر النبى عليه السلام يوما النار ووصف القيامة وبالغ فى الانذار فرق له الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة فى بيت عثمان ابن مظعون الجمحى وتشاوروا واتفقوا على ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويسيحوا فى الارض فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته ام حكيم بنت امية

وامها خولة وكانت عطارة احق ما بلغنى عن زوجك واصحابه فكرهت ان تكذب على رسول الله وكرهت ان تبدى خبر زوجها فقالت يا رسول الله ان كان قد اخبرك عثمان فقد صدق فرجع رسول الله فلما جاء عثمان اخبرته زوجته بذلك فمضى الى رسول الله فسأله النبى عليه السلام عن ذلك فقال نعم فقال عليه السلام اما انى لم آمر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم وقال ما بال قوم حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما انى لا آمركم ان تكونوا قسيسين ولا رهبانا فانه ليس من دينى ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتى الصوم ورهبانيتهم الاجتهاد فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من هلك قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم فى الديارات والصوامع فانزل الله هذه الآية وروى ان عثمان بن مظعون جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان نفسى تحدثنى بان اختصى فاذن لى فى الاختصاء قال مهلا يا عثمان فان اختصاء امتى الصيام (وفى المثنوى) هين مكن خودرا خصى رهبان مشو * زانكه عفت هست شهوت را كرو * بى هوا نهى از هوا ممكن نبود * غازيى بر مردكان نتوان نمود * پس كلوا از بهر دام شهوتست * بعد از ان لا تسرفوا ان عفتست * چونكه رنج صبر نبود مر ترا * شرط نبود پس فرونايد جزا * حبذا آن شرط وشادا آن جزا * آن جزاى دل نواز جان فزا * قال يا رسول الله ان نفسى تحدثنى بان اترهب فى رؤس الجبال قال مهلا يا عثمان فان ترهب امتى الجلوس فى المساجد لانتظار الصلاة قال يا رسول الله ان نفسى تحدثنى ان اخرج من مالى كله قال مهلا يا عثمان فان صدقتكم يوما بيوم وتعف نفسك وعيالك وترحم المساكين واليتيم فتعطيهما افضل من ذلك قال يا رسول الله ان نفسى تحدثنى ان اطلق امرأتى خولة قال مهلا يا عثمان فان الهجرة فى امتى من هجر ما حرم الله عليه او هاجر الىّ فى حياتى او زار قبرى بعد وفاتى او مات وله امرأة او امرأتان او ثلاث او اربع قال يا رسول الله فان نهيتنى ان لا اطلقها فان نفسى تحدثنى ان لا اغشاها قال مهلا يا عثمان فان المسلم اذا غشى امرأته او ما ملكت يمينه فلم يكن له من وقعته تلك ولد كان له وصيف فى الجنة وان كان له من وقعته تلك ولد فمات قبله كان له فرطا وشفيعا يوم القيامة وان مات بعده كان له نورا يوم القيامة قال يا رسول الله ان نفسى تحدثنى ان لا آكل اللحم قال مهلا يا عثمان فانى احب اللحم وآكله اذا وجدته ولو سألت ربى ان يطعمنيه فى كل يوم لاطعمنيه قال يا رسول الله فان نفسى تحدثنى ان لا امس الطيب قال مهلا يا عثمان فان جبرائيل عليه السلام امرنى بالطيب غبا وقال يوم الجمعة لا مترك له يا عثمان لا ترغب عن سنتى فمن رغب عن سنتى ثم مات قبل ان يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضى يوم القيامة وعن ابى موسى الاشعرى قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل لحم الدجاج ورأيته يأكل الرطب والبطيخ وعن عائشة رضى الله عنها ان النبى عليه السلام كان يأكل الدجاج والفالوذج وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة قال ان فى بطن المؤمن زاوية لا يملأها الا الحلو وجاء رجل الى الحسن فقال له ان لى جارا لا يأكل الفالوذج قال ولم قال لا يؤدى شكره قال افيشرب الماء البارد قال نعم قال ان جارك هذا جاهل ان نعمة الله عليه فى الماء البارد اكثر من نعمته فى الفالوذج وسئل فضيل عن ترك الطيبات من الجوارى واللحم والخبيص للزهد وقال ما اكل الخبيص ليتك تأكل وتتقى ان الله لا يكره ان تأكل الحلال الصرف كيف برك لوالديك وصلتك للرحم كيف عطفك على الجار كيف رحمتك للمسلمين كيف كظمك للغيظ كيف عفوك عمن ظلمك كيف احسانك الى من اساء اليك كيف صبرك واحتمالك للاذى انت الى احكام هذا احوج منك الى ترك الخبيص والحاصل ان الافراط فى الرهبانية والاحتراز التام عن اللذات والطيبات مما يوقع الضعف فى الاعضاء الرئيسة التى هى القلب والدماغ واذا وقع الضعف فيها اختلت الفكرة وباختلالها تفوت عنها الكمالات المتعلقة بالقوة النظرية رأسا وتنتقص كمالاتها المتعلقة بالقوة العملية فان تمامها وكمالها يبنى على كمال القوة النظرية وايضا الرهبانية التامة توجب خرابية الدنيا وانقطاع الحرث والنسل فلما كانت عمارة الدنيا والآخرة منوطة بترك تلك الرهبانية والمواظبة على المعرفة والمحبة والطاعة اقتضت الحكمة ان لا يحرم الانسان ما طاب ولذ مما احل الله كما نطقت الآية به ولكن اشارة

الآية ايضا الى الاعتدال كما قال ولا تعتدوا فالاعتدال فى التناول وكذا فى الرياضة ممدوح جدا ولذا ترى
المرشد الكامل يأمر المريد فى ابتداء امره بترك اللحم والدسم والجماع وغيرها ولكن على الاعتدال بحسب
مزاجه فان للرياضات تأثيرا عظيما فى اصلاح الطبيعة وهو امر مهم فى باب السلوك جدا فلا تمسك لارباب
الظاهر فى ترك الرياضة مطلقا وقد اشار النبى عليه السلام فى وصاياه لعثمان بن مظعون الى جملة من الامر
فافهم وارشد الى طريق الصواب ولا تفريط ولا افراط فى كل باب (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم)
اليمين تقوية احد الطرفين بالمقسم به واللغو فى اليمين الساقط الذى لا يتعلق به حكم وهو عند الامام
الاعظم ان يحلف على شئ يظن انه كذلك وليس كما يظن مثل ان يرى الشئ من بعيد فيظن انه كذا فيقول
والله انه كذا فاذا هو بخلافه فلا مؤاخذة فى هذا اليمين باثم ولا كفارة واما الغموس وهى حلفه على امر ماض
او حال كذبا عمدا مثل قوله والله لقد فعلت كذا وهو انه لم يفعله وعكسه ومثل والله ما لهذا على دين وهو
يعلم ان له عليه دينا فحكمهما الاثم لانها كبيرة قال عليه السلام من حلف كاذبا ادخله الله النار ولا كفارة
فيها الا التوبة قوله فى ايمانكم صلة يؤاخذكم كما ان باللغو صلة له اى لا يؤاخذكم فى حق ايمانكم بسبب
ما كان لغوا منها بان لا يتعلق بها حكم دنيوى ولا اخروى (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) اى
بتعقيدكم الايمان وتوثيقها بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتموها اذا حنثتم او بنكث اى نقض
ما عقدتم فحذف للعلم به وهذه اليمين هى اليمين المنعقدة وهى الحلف على فعل امر او تركه فى المستقبل (فكفارته)
نكثه اى الفعلة التى تذهب اثمه وتستره وعند الامام لا يجوز التكفير قبل الحنث لقوله عليه السلام من حلف
على يمين ورأى غيرها خيرا فليأت بالذى هو خير ثم ليكفر عن يمينه (اطعام عشرة مساكين من اوسط
ما تطعمون اهليكم) محل من اوسط النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين
طعاما كائنا من اوسط ما تطعمون من فى عيالكم من الزوجة والاولاد والخدم اى من اقصده فى النوع
او المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين كالفطرة ولو اطعم فقيرا واحدا عشرة ايام اجزأه ولو اعطاه دفعة
لا يجوز الا عن يوم واحد (او كسوتهم) عطف على اطعام فيكسو كل واحد من العشرة ثوبا يستر عامة بدنه وهو
الصحيح ولا يجزئ السراويل لان لابسه يسمى عريانا عرفا (او تحرير رقبة) اى او اعتاق انسان كيف ما كان
مؤمنا كان او كافرا ذكرا او انثى صغيرا او كبيرا ولا يجوز الاعمى والاصم الذى لا يسمع اصلا والاخرس لفوات
جنس المنفعة ومقطوع اليدين او ابهاميهما او الرجلين او يد ورجل من جانب واحد ومجنون مطبق لان الانتفاع
ليس الا بالعقل ومدبر وام ولد لاستحقاقهما الحرية بجهة فكان الرق فيهما ناقصا ومكاتب ادى بعضا لانه تحرير
بعوض فيكون تجارة والكفارة عبادة فلا بد ان تكون خالصة لله تعالى وكذا لا يجوز معتق بعضه لانه ليس
برقبة كاملة ومعنى او فى الآية ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وخيار التعيين للمكلف اى لا يجب
عليه الاتيان بكل واحد من هذه الامور الثلاثة ولا يجوز له تركها جميعا ومتى اتى بواحد منها فانه يخرج عن
العهدة فاذا اجتمعت هذه القيود الثلاثة فذلك هو الواجب المخير (فمن لم يجد) اى شيأ من الامور المذكورة
(فصيام) اى فكفارته صيام (ثلاثة ايام) متتابعات عند الامام الاعظم (ذلك) اى الذى ذكرت لكم وامرتكم به
(كفارة ايمانكم اذا حلفتم) وحنثتم (واحفظوا ايمانكم) بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر وبان تبروا
فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير فان عجز عن البر او رأى غير المحلوف عليه خيرا منه فله حينئذ ان يحنث ويكفر
كما قال الفقهاء من اليمين المنعقدة ما يجب فيه البر كفعل الفرائض وترك المعاصى لان ذلك فرض عليه فيتأكد
باليمين ومنها ما يجب فيه الحنث كفعل المعاصى وترك الواجبات وفى الحديث من حلف ان يطيع الله فليطعه
ومن حلف ان يعصيه فلا يعصه ومنها ما يفضل فيه الحنث كهجران المسلم ونحوه وما عدا هذه الاقسام الثلاثة
من الايمان التى يستوى فيها الحنث والبر يفضل فيه البر حفظا لليمين ولا فرق فى وجوب الكفارة بين العامد
والساهى والمكره فى الحلف والحنث لقوله عليه السلام ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق واليمين
(كذلك) اشارة الى مصدر الفعل الآتى لا الى تبيين آخر مفهوم مما سبق والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم
الاشارة من الفخامة ومحله فى الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير يبين الله تبيينا كائنا
مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة اى مثل ذلك البيان

البديع (يبين الله لكم آياته) اعلام شريعته واحكامه لا بيانا ادنى منه (لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم
ويسهل عليكم المخرج والاشارة ان من عقد اليمين على الهجران من الله تعالى فكفارته اطعامه عشرة
مساكين وهم الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة فانها مدخل الآفات وموئل الفترات من اوسط
ما تطعمون اهليكم وهم القلب والروح والسر والخفى وطعامهم الشوق والمحبة والصدق والاخلاص
والتفويض والتسليم والرضى والانس والهيبة والشهود والكشوف واوسطه الذكر والتذكر والفكر والتفكر
والتشوق والتوكل والتعبد والخوف والرجاء فاطعام الحواس الظاهرة والقوى الباطنة هذه الاطعمة
باستعمالها فى التعبد بها والتحفظ عما ينافيها او كسوتهم وهى الباس الحواس والقوى بلباس التقوى
او تحرير رقبة النفس عن عبودية الهوى والحرص على الدنيا فمن لم يجد السبيل الى هذه الاشياء فصيام ثلاثة
ايام وذلك لان الايام لا تخلو عن ثلاثة اما يوم مضى او يوم حضر او يوم قد بقى فصيام اليوم الذى قد مضى
بالامساك عما عقد عليه او قصد اليه او بالصبر على التوبة عنه وصيام الذى قد حضر بالامساك عن التغافل من
الاهم وبالصبر على الجد والاجتهاد ببذل الجهد فى طلب المراد وصيام اليوم الذى قد بقى بالامساك عن فسخ
العزيمة فى ترك الجريمة ونسخ الاخلاص فى طلب الخلاص وبالصبر على قدم الثبات فى تقديم الطاعات والمبرات
وصدق التوجه الى حضرة الربوبية بمساعى العبودية * مكن وقت ضايع بافسوس وحيف * كه فرصت
عزيزاست والوقت سيف (قال ابن الفارض قدس سره)

وكن صارما كالوقت فالمقت فى عسى * واياك على فهى اخطر علة

(وفى المثنوى) اى كه صبرت نيست ازدنياى دون * جونت صبرست ازخداى دوست جون *
جونكه بى اين شرب كم دارى سكون * جون زابرارى خداوز شربون * اعلم ان الطالب الصادق
عند غليان الشوق ووجدان الذوق يقسم عليه بجماله وجلاله ان يرزقه شطبة من اقباله ووصاله وذلك
فى شريعة الرضى لغو وفى مذهب التسليم سهو فيعفو عنه رحمة عليه لضعف حاله ولا يؤاخذه بمقاله وان الاولى
الذوبان والجمود بحسن الرضى بحسب جريان احكام المولى فى القبول والرد والاقبال والصد وايثار الاستقامة
فى اداء حقوقه على الكرامة وعلى لذة تقريبه واقباله وشهوده ووصوله ووصاله كما قال قائلهم

اريد وصاله ويريد هجرى * فأترك ما اريد لما يريد

كذا فى التأويلات النجمية (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر) هذه هى الآية الرابعة من الآيات الاربع التى نزلت
فى الخمر وقد سبق التفصيل فى سورة البقرة ويدخل فى الخمر كل مسكر (والميسر) اى القمار كله فيدخل فيه النرد
والشطرنج والاربعة عشر والكعب والبيضة وغير ذلك مما يقامرون به (والانصاب) اى الاصنام المنصوبة للعبادة
واحدها نصب بفتح النون وسكون الصاد (والازلام) هى سهام مكتوب على بعضها امرنى ربى وعلى بعضها
نهانى ربى يطلبون بها علم ما قسم من الخير والشر قال المفسرون كان اهل الجاهلية اذا اراد احدهم سفرا او غزوا
او تجارة او غير ذلك طلب علم انه خير او شر من الازلام وهى قداح كانت فى الكعبة عند سدنة البيت على بعضها
امرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى وبعضها غفل لا كتابة عليها ولا علامة فان خرج السهم الآمر مضوا على ذلك
وان خرج الناهى يجتنبون عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم لهم
دون ما لم يقسم لهم هى جمع زلم (رجس) قذر يعاف عند العقول اى تكرهه وتنفر عنه العقول السليمة والرجس
بمعنى النجس الا ان النجس يقال فى المستقذر طبعا والرجس اكثر ما يقال فى المستقذر عقلا وسميت هذه
المعاصى رجسا لوجوب اجتنابها كما يجب اجتناب الشئ المستقذر (من عمل الشيطان) صفة لرجس اى
رجس كائن من عمله اى من تزيينه لانه هو الداعى اليه والمرغب فيه والمزين له فى قلوب فاعليه (فاجتنبوه) اى
الرجس (لعلكم تفلحون) اى راجين فلاحكم امر بالاجتناب وهو تركه جانبا وظاهر الامر على الوجوب
(انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر) وهو اشارة الى المفاسد الدنيوية اما العداوة
فى الخمر فهى ان الشاربين اذا سكروا عربدوا وتشاجروا كما فعل الانصارى الذى شج سعد بن ابى وقاص بلحى
الجمل واما العداوة فى الميسر فهى ان الرجل كان يقامر على الاهل والمال ثم يبقى حزينا مسلوب الاهل والمال
مغتاظا على حرفائه والفرق بين العداوة والبغضاء ان كل عدو مبغض بلا عكس كلى وقوله تعالى فى الخمر

الآية ايضا الى الاعتدال كما قال ولا تعتدوا فالاعتدال فى التناول وكذا فى الرياضة ممدوح جدا ولذا ترى المرشد الكامل يأمر المريد فى ابتداء امره بترك اللحم والدسم والجماع وغيرها ولكن على الاعتدال بحسب مزاجه فان للرياضات تأثيرا عظيما فى اصلاح الطبيعة وهوام منهم فى باب السلوك جدا فلا تمسك لارباب الظاهر فى ترك الرياضة مطلقا وقد اشار النبى عليه السلام فى وصاياه لعثمان بن مظعون الى جملة من الامر فافهم وارشد الى طريق الصواب ولا تفريط ولا افراط فى كل باب (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم) اليمين تقوية احد الطرفين بالمقسم به واللغو فى اليمين الساقط الذى لا يتعلق به حكم وهو عند الامام الاعظم ان يحلف على شئ يظن انه كذلك وليس كما يظن مثل ان يرى الشئ من بعيد فيظن انه كذا فيقول والله انه كذا فاذا هو بخلافه فلا مؤاخذة فى هذا اليمين باثم ولا كفارة واما الغموس وهى حلفه على امر ماض او حال كذبا عمدا مثل قوله والله لقد فعلت كذا وهو انه لم يفعله وعكسه ومثل والله ماله هذا على دين وهو يعلم ان له عليه دينا فحكمها الاثم لانها كبيرة قال عليه السلام من حلف كاذبا ادخله الله النار ولا كفارة فيها الا التوبة قوله فى ايمانكم صلة يؤاخذكم كما ان باللغو صلة له اى لا يؤاخذكم فى حق ايمانكم بسبب ما كان لغوا منها بان لا يتعلق بها حكم دنيوى ولا اخروى (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) اى بتعقيدكم الايمان وتوثيقها بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتموها اذا حنثتم او بنكث اى نقض ما عقدتم فحذف للعلم به وهذه اليمين هى اليمين المنعقدة وهى الحلف على فعل امر او تركه فى المستقبل (فكفارته) نكثه اى الفعلة التى تذهب اثمه وتستره وعند الامام لا يجوز التكفير قبل الحنث لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا فليأت بالذى هو خير ثم ليكفر عن يمينه (اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم) محل من اوسط النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما كائنا من اوسط ما تطعمون من فى عيالكم من الزوجة والاولاد والخدم اى من اقصده فى النوع او المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين كالفطرة ولو اطعم فقيرا واحدا عشرة ايام اجزأه ولو اعطاه دفعة لا يجوز الا عن يوم واحد (او كسوتهم) عطف على اطعام فيكسو كل واحد من العشرة ثوبا يستر عامة بدنه وهو الصحيح ولا يجزئ السراويل لان لابسه يسمى عريانا عرفا (او تحرير رقبة) اى او اعتاق انسان كيف ما كان مؤمنا كان او كافرا ذكرا او انثى صغيرا او كبيرا ولا يجوز الاعمى والاصم الذى لا يسمع اصلا والاخرس لفوات جنس المنفعة ومقطوع اليدين او ابهاميهما او الرجلين او يد ورجل من جانب واحد ومجنون مطبق لان الانتفاع ليس الا بالعقل ومدبر وام ولد لاستحقاقهما الحرية بجهة فكان الرق فيهما ناقصا ومكاتب ادى بعضا لانه تحرير بعوض فيكون تجارة والكفارة عبادة فلا بد ان تكون خالصة لله تعالى وكذا لا يجوز معتق بعضه لانه ليس برقبة كاملة ومعنى او فى الآية ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وخيار التعيين للمكلف اى لا يجب عليه الاتيان بكل واحد من هذه الامور الثلاثة ولا يجوز له تركها جميعا ومتى اتى بواحد منها فانه يخرج عن العهدة فاذا اجتمعت هذه القيود الثلاثة فذلك هو الواجب المخير (فمن لم يجد) اى شيأ من الامور المذكورة (فصيام) اى فكفارته صيام (ثلاثة ايام) متتابعات عند الامام الاعظم (ذلك) اى الذى ذكرت لكم وامرتكم به (كفارة ايمانكم اذا حلفتم) وحنثتم (واحفظوا ايمانكم) بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر وبان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير فان عجز عن البر او رأى غير المحلوف عليه خيرا منه فله حينئذ ان يحنث ويكفر كما قال الفقهاء من اليمين المنعقدة ما يجب فيه البر كفعل الفرائض وترك المعاصى لان ذلك فرض عليه فيتأكد باليمين ومنها ما يجب فيه الحنث كفعل المعاصى وترك الواجبات وفى الحديث من حلف ان يطيع الله فليطعه ومن حلف ان يعصيه فلا يعصه ومنها ما يفضل فيه الحنث كهجران المسلم ونحوه وما عدا هذه الاقسام الثلاثة من الايمان التى يستوى فيها الحنث والبر يفضل فيه البر حفظا لليمين ولا فرق فى وجوب الكفارة بين العامد والناسى والمكره فى الحلف والحنث لقوله عليه السلام ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق واليمين (كذلك) اشارة الى مصدر الفعل الآتى لا الى تبيين آخر مفهوم مما سبق والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله فى الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير يبين الله تبيينا كائنا مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة اى مثل ذلك البيان

البديع (يبين الله لكم آياته) اعلام شريعته واحكامه لا بيانا ادنى منه (لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج والاشارة ان من عقد اليمين على الهجران من الله تعالى فكفارته اطعامه عشرة مساكين وهم الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة فانهما مدخل الآفات وموئل الفترات من اوسط ما تطعمون اهليكم وهم القلب والروح والسر والخفى وطعامهم الشوق والمحبة والصدق والاخلاص والتفويض والتسليم والرضى والانس والهيبة والشهود والكشوف واوسطه الذكر والتذكر والفكر والتفكر والتشوق والتوكل والتعبد والخوف والرجاء فاطعام الحواس الظاهرة والقوى الباطنة هذه الاطعمة باستعمالها فى التعبد بها والتحفظ عما ينافيها او كسوتهم وهى الباس الحواس والقوى بلباس التقوى او تحرير رقبة النفس عن عبودية الهوى والحرص على الدنيا فمن لم يجد السبيل الى هذه الاشياء فصيام ثلاثة ايام وذلك لان الايام لا تخلو عن ثلاثة اما يوم مضى او يوم حضر او يوم قد بقى فصيام اليوم الذى قد مضى بالامساك عما عقد عليه او قصد اليه او بالصبر على التوبة عنه وصيام الذى قد حضر بالامساك عن التغافل من الاهم وبالصبر على الجد والاجتهاد ببذل الجهد فى طلب المراد وصيام اليوم الذى قد بقى بالامساك عن فسخ العزيمة فى ترك الجريمة ونسخ الاخلاص فى طلب الخلاص وبالصبر على قدم الثبات فى تقديم الطاعات والمبرات وصدق التوجه الى حضرة الربوبية بمساعى العبودية * مكن وقت ضايع بافسوس وحيف * كه فرصت عزيزاست والوقت سيف (قال ابن الفارض قدس سره)

ـت چون *

ـالب الصادق

ـوصاله وذلك

ـمقاله وان الاولى

ـايثار الاستقامة

والفرق بين الافتراء والكذب ان الافتراء هو افتعال الكذب من قول نفسه والكذب قد يكون على وجه التقليد للغير فيه

الاربع التى نزلت

فى الخمر وقد سبق التفصيل فى سورة البقرة ويدخل فى الخمر كل مسكر (والميسر) اى القمار كله فيدخل فيه النرد والشطرنج والاربعة عشر والكعب والبضة وغير ذلك مما يقامرون به (والانصاب) اى الاصنام المنصوبة للعبادة واحدها نصب بفتح النون وسكون الصاد (والازلام) هى سهام مكتوب على بعضها امرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى يطلبون بها علم ما قسم من الخير والشر قال المفسرون كان اهل الجاهلية اذا اراد احدهم سفرا او غزوا او تجارة او غير ذلك طلب علم انه خير او شر من الازلام وهى قداح كانت فى الكعبة عند سدنة البيت على بعضها امرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى وبعضها غفل لا كتابة عليها ولا علامة فان خرج السهم الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهى يجتنبون عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم لهم هى جمع زلم (رجس) قذر يعاف عند العقول اى تكرهه وتنفر عنه العقول السليمة والرجس بمعنى النجس الا ان النجس يقال فى المستقذر طبعا والرجس اكثر ما يقال فى المستقذر عقلا وسميت هذه المعاصى رجسا لوجوب اجتنابها كما يجب اجتناب الشئ المستقذر (من عمل الشيطان) صفة لرجس اى رجس كائن من عمله اى من تزيينه لانه هو الداعى اليه والمرغب فيه والمزين له فى قلوب فاعليه (فاجتنبوه) اى الرجس (لعلكم تفلحون) اى راجين فلاحكم امر بالاجتناب وهو تركه جانبا وظاهر الامر على الوجوب (انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر) وهو اشارة الى المفاسد الدنيوية اما العداوة فى الخمر فهى ان الشاربين اذا سكروا عربدوا وتشاجروا كما فعل الانصارى الذى شج سعد بن ابى وقاص بلحى الجمل واما العداوة فى الميسر فهى ان الرجل كان يقامر على الاهل والمال ثم يبقى حزينا مسلوب الاهل والمال مغتاظا على حرفائه والفرق بين العداوة والبغضاء ان كل عدو مبغض بلا عكس كلى وقوله تعالى فى الخمر

الآية ايضا الى الاعتدال كما قال ولا تعتدوا فالاعتدال فى التناول وكذا فى الرياضة ممدوح جدا ولذا ترى
المرشد الكامل يأمر المريد فى ابتداء امره بترك اللحم والدسم والجماع وغيرها ولكن على الاعتدال بحسب
مزاجه فان للرياضات تأثيرا عظيما فى اصلاح الطبيعة وهو امر مهم فى باب السلوك جدا فلا تمسك لارباب
الظاهر فى ترك الرياضة مطلقا وقد اشار النبى عليه السلام فى وصاياه لعثمان بن مظعون الى جملة من الامر
فافهم وارشد الى طريق الصواب ولا تفريط ولا افراط فى كل باب (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم)
اليمين تقوية احد الطرفين بالمقسم به واللغو فى اليمين الساقط الذى لا يتعلق به حكم وهو عند الامام
الاعظم ان يحلف على شئ يظن انه كذلك وليس كما يظن مثل ان يرى الشئ من بعيد فيظن انه كذا فيقول
والله انه كذا فاذا هو بخلافه فلا مؤاخذة فى هذا اليمين باثم ولا كفارة واما الغموس وهى حلفه على امر ماض
او حال كذبا عمدا مثل قوله والله لقد فعلت كذا وهو انه لم يفعله وعكسه ومثل والله ماله هذا على دين وهو
يعلم ان له عليه دينا فحكمهما الاثم لانها كبيرة قال عليه السلام من حلف كاذبا ادخله الله النار ولا كفارة
فيها الا التوبة وقوله فى ايمانكم صلة يؤاخذكم كما ان باللغو صلة له اى لا يؤاخذكم فى حق ايمانكم بسبب
ما كان لغوا منها بان لا يتعلق بها حكم دنيوى ولا اخروى (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) اى
بتعقيدكم الايمان وتوثيقها بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتموها اذا حنثتم او بنكث اى نقض
ما عقدتم فحذف للعلم به وهذه اليمين هى اليمين المنعقدة وهى الحلف على فعل امر او تركه فى المستقبل (فكفارته)
نكثه اى الفعلة التى تذهب اثمه وتستره وعند الامام لا يجوز التكفير قبل الحنث لقوله عليه السلام من حلف
على يمين ورأى غيرها خيرا فليأت بالذى هو خير ثم ليكفر عن يمينه (اطعام عشرة مساكين من اوسط
ما تطعمون اهليكم) محل من اوسط النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين
طعاما كائنا من اوسط ما تطعمون من فى عيالكم من الزوجة والاولاد والخدم اى من اقصده فى النوع
او المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين كالفطرة ولو اطعم فقيرا واحدا عشرة ايام اجزأه ولو اعطاه دفعة
لا يجوز الا عن يوم واحد (او كسوتهم) عطف على اطعام فيكسو كل واحد من العشرة ثوبا يستر عامة بدنه وهو
الصحيح ولا يجزئ السراويل لان لابسه يسمى عريانا عرفا (او تحرير رقبة) اى او اعتاق انسان كيف ما كان
مؤمنا كان او كافرا ذكرا او انثى صغيرا او كبيرا ولا يجوز الاعمى والاصم الذى لا يسمع اصلا والاخرس لفوات
جنس المنفعة ومقطوع اليدين او ابهاميهما او الرجلين او يد ورجل من جانب واحد ومجنون مطبق لان الانتفاع
ليس الا بالعقل ومدبر وام ولد لاستحقاقهما الحرية بجهة فكان الرق فيهما ناقصا ومكاتب ادى بعضا لانه تحرير
بعوض فيكون تجارة والكفارة عبادة فلا بد ان تكون خالصة لله تعالى وكذا لا يجوز معتق بعضه لانه ليس
برقبة كاملة ومعنى او فى الآية ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وخيار التعيين للمكلف اى لا يجب
عليه الاتيان بكل واحد من هذه الامور الثلاثة ولا يجوز له تركها جميعا ومتى اتى بواحد منها فانه يخرج عن
العهدة فاذا اجتمعت هذه القيود الثلاثة فذلك هو الواجب المخير (فمن لم يجد) اى شيأ من الامور المذكورة
(فصيام) اى فكفارته صيام (ثلاثة ايام) متتابعات عند الامام الاعظم (ذلك) اى الذى ذكرت لكم وامرتكم به
(كفارة ايمانكم اذا حلفتم) وحنثتم (واحفظوا ايمانكم) بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر وبان تبروا
فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير فان عجز عن البر او رأى غير المحلوف عليه خيرا منه فله حينئذ ان يحنث ويكفر
كما قال الفقهاء من اليمين المنعقدة ما يجب فيه البر كفعل الفرائض وترك المعاصى لان ذلك فرض عليه فيتأكد
باليمين ومنها ما يجب فيه الحنث كفعل المعاصى وترك الواجبات وفى الحديث من حلف ان يطيع الله فليطعه
ومن حلف ان يعصيه فلا يعصه ومنها ما يفضل فيه الحنث كهجران المسلم ونحوه وما عدا هذه الاقسام الثلاثة
من الايمان التى يستوى فيها الحنث والبر يفضل فيه البر حفظا لليمين ولا فرق فى وجوب الكفارة بين العامد
والناسى والمكره فى الحلف والحنث لقوله عليه السلام ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق واليمين
(كذلك) اشارة الى مصدر الفعل الآتى لا الى تبيين آخر مفهوم مما سبق والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم
الاشارة من الفخامة ومحله فى الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير يبين الله تبيينا كائنا
مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة اى مثل ذلك البيان

البديع (يبين الله لكم آياته) اعلام شريعته واحكامه لا بيانا ادنى منه (لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم
ويسهل عليكم المخرج والاشارة ان من عقد اليمين على الهجران من الله تعالى فكفارته اطعامه عشرة
مساكين وهم الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة فانهما مدخل الآفات وموئل الفترات من اوسط
ما تطعمون اهليكم وهم القلب والروح والسر والخفى وطعامهم الشوق والمحبة والصدق والاخلاص
والتفويض والتسليم والرضى والانس والهيبة والشهود والكشوف واوسطه الذكر والتذكر والفكر والتفكر
والتشوق والتوكل والتعبد والخوف والرجاء فاطعام الحواس الظاهرة والقوى الباطنة هذه الاطعمة
باستعمالها فى التعبد بها والتحفظ عما ينافيها او كسوتهم وهى الباس الحواس والقوى بلباس التقوى
او تحرير رقبة النفس عن عبودية الهوى والحرص على الدنيا فمن لم يجد السبيل الى هذه الاشياء فصيام ثلاثة
ايام وذلك لان الايام لا تخلو عن ثلاثة اما يوم مضى او يوم حضر او يوم قد بقى فصيام اليوم الذى قد مضى
بالامساك عما عقد عليه او قصد اليه او بالصبر على التوبة عنه وصيام الذى قد حضر بالامساك عن التغافل من
الاهم وبالصبر على الجد والاجتهاد وبذل الجهد فى طلب المراد وصيام اليوم الذى قد بقى بالامساك عن فسخ
العزيمة فى ترك الجريمة ونسخ الاخلاص فى طلب الخلاص وبالصبر على قدم الثبات فى تقديم الطاعات والمبرات
وصدق التوجه الى حضرة الربوبية بمساعى العبودية * مكن وقت ضايع بافسوس وحيف * كه فرصت
عزيزاست والوق …

… واياك على فهى اخطر علة

(وفى المثنوى) … ت صبرست ازخداى دوست چون *
چونكه بى اين شر … اوز بشر بون * اعلم ان الطالب الصادق
عند غليان الش … له ان يرزقه شطبة من اقباله ووصاله وذلك
فى شريعة الرضى … عليه لضعف حاله ولا يؤاخذه بمقاله وان الاولى
الذوبان والجود … لقبول والرد والاقبال والصد وايثار الاستقامة
فى اداء حقوقه … وصوله ووصاله كما قال قائلهم

… أترك ما اريد لما يريد

كذا فى التاويلا … فى الآية الرابعة من الآيات الاربع التى نزلت
فى الخمر وقد سبق … سكر (والميسر) اى القمار كله فيدخل فيه النرد
والشطرنج والا … ن به (والانصاب) اى الاصنام المنصوبة للعبادة
واحدها نص … ام مكتوب على بعضها امرنى ربى وعلى بعضها
نهانى ربى يطلبو … كان اهل الجاهلية اذا اراد احدهم سفرا او غزوا
او تجارة او غير … ح كانت فى الكعبة عند سدنة البيت على بعضها
امرنى ربى وع … علامة فان خرج السهم الآمر مضوا على ذلك
وان خرج النا … ى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم لهم
دون ما لم يقسم … ل اى تكرهه وتنفر عنه العقول السليمة والرجس
بمعنى النجس الا … س اكثر ما يقال فى المستقذر عقلا وسميت هذه
المعاصى رجسا لوجوب اجتنابها كما يجب اجتناب الشئ المستقذر (من عمل الشيطان) صفة لرجس اى
رجس كائن من عمله اى من تزيينه لانه هو الداعى اليه والمرغب فيه والمزين له فى قلوب فاعليه (فاجتنبوه) اى
الرجس (لعلكم تفلحون) اى راجين فلاحكم امر بالاجتناب وهو تركه جانبا وظاهر الامر على الوجوب
(انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر) وهو اشارة الى المفاسد الدنيوية اما العداوة
فى الخمر فهى ان الشاربين اذا سكروا عربدوا وتشاجروا كما فعل الانصارى الذى شج سعد بن ابى وقاص بلحى
الجمل واما العداوة فى الميسر فهى ان الرجل كان يقامر على الاهل والمال ثم يبقى حزينا مسلوب الاهل والمال
مغتاظا على حرفائه والفرق بين العداوة والبغضاء ان كل عدو مبغض بلا عكس كلى وقوله تعالى فى الخمر

متعلق بيوقع على ان يكون كلمة فى هنا الافادة معنى السببية كما فى قوله عليه السلام ان امرأة دخلت النار فى هرة اى يوقع بينكم هذين الشيئين فى الخمر بسبب شربها وتخصيص الخمر والميسر ثانيا على انهما المقصودان بالبيان لان هذه الآية خطاب مع المؤمنين والمقصود نهيهم عن الخمر والميسر وانما ضم الانصاب والازلام اليهما مع ان تعاطيهما مختص باهل الجاهلية تأكيدا لقبح الخمر والميسر واظهارا لكون هذه الاربعة متقاربة فى المفسدة (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) اى يمنعكم عنهما وهو اشارة الى المفاسد الدينية فان شرب الخمر يورث الطرب واللذة الجسمانية والنفس اذا استغرقت فى اللذة غفلت عن ذكر الله وعن الصلاة وكذا من يقامر بالميسر ان كان غالبا صار استغراقه فى لذة الغلبة يورثه الغفلة عن العبادة وان صار مغلوبا صار شدة اهتمامه بان يحتال بحيلة يصيرها غالبا مانعا من ان يخطر بباله شئ سواه وتخصيص الصلاة بالافراد مع دخولها فى الذكر للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان لما انها عماده (فهل انتم منتهون) لفظه استفهام ومعناه امر اى انتهوا وهذا نهى بالطف الوجوه ليكون ادعى الى الانتهاء فلما سمعها عمر رضى الله عنه قال انتهينا يارب وحرمت الخمر فى سنة ثلاث من الهجرة بعد وقعة احد (واطيعوا الله واطيعوا الرسول) فيما امر به وهو عطف على اجتنبوه (واحذروا) عما نهيا عنه (فان توليتم) اى اعرضتم عن الامتثال والطاعة (فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين) وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة الرسالة اى خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت الاعذار وانقطعت العلل ومابقى بعد ذلك الا العقاب اعلم ان الله تعالى قرن الخمر والميسر بالاصنام ففيه تحريم بليغ لهما ولعل قوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن مستفاد من هذه الآية وفى الحديث من شرب الخمر فى الدنيا سقاه الله من سم الاساود وسم العقارب اذا شربه تساقط لحم وجهه فى الاناء قبل ان يشربها فاذا شربها انفسخ لحمه كالجيفة يتأذى به اهل الموقف ومن مات قبل ان يتوب من شرب الخمر كان حقا على الله ان يسقيه بكل جرعة شربها فى الدنيا شربة من صديد جهنم وفى الحديث لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها وفى الحديث من شرب الخمر بعد ان حرمها الله على لسانى فليس له ان يزوج اذا خطب ولا يصدق اذا حدث ولا يشفع اذا شفع ولا يؤمن على امانة فمن ائتمنه على امانة فاستهلكها فحق على الله ان لا يخلف عليه (قال الحسين الواعظ الكاشفى فى تفسيره) بى نمكى دان جكر آميخته * برجكر بى نمكان ريخته * بى خبر آن مردكه چيزى چشيد * كش قلم بى خبرى دركشيد * والاشارة يا ايها الذين امنوا ايمانا حقيقيا مستفادا من كتابة الحق بقلم العناية فى قلوبهم انما الخمر والميسر والانصاب والازلام فاما الخمر فانها تخمر العقل وهو نور روحانى علوى من الاوليات المخلوقات ومن طبعه الطاعة والانقياد والتواضع لربه كالملك وضده الهوى وهو ظلمانية نفسانية سفلية من اخريات المخلوقات ومن طبعه التمرد والمخالفة والاباء والاستكبار عن عبادة ربه كالشيطان فاذا خمر الخمر نور العقل صار مغلوبا لا يهتدى الى الحق وطريقه ثم يغلب ظلمة الهوى فتكون النفس امارة بالسوء وتستمد من الهوى فتتبع بالهوى السفلى جميع شهواتها النفسانية ومستلذاتها الحيوانية السفلية فيظفر بها الشيطان فيوقعها فى مهالك المخالفات كلها ولهذا قال عليه السلام الخمر ام الخبائث لان هذه الخبائث كلها تولدت منها واما الميسر فان فيه تهييج اكثر الصفات الذميمة وهى الحرص والبخل والكبر والغضب والعداوة والبغض والحقد والحسد واشباهها وبها يضل العبد عن سواء السبيل واما الانصاب فهى تعبد من دون الله فهى تصير العبد مشركا بالله واما الازلام فما يلتفت اليه عند توقع الخير والشر والنفع والضر من دون الله تعالى من المضلات فان الله هو الضار والنافع ثم قال تعالى رجس من عمل الشيطان يعنى هذه الاشياء اخبث شئ من اعمال الشيطان التى يغوى بها العباد ويضلهم عن صراط الحق وطريق الرشاد فاجتنبوه اى اجتنبوا الشيطان ولا تقبلوا وساوسه واتركوا هذه الاعمال الخبيثة لعلكم تفلحون تخلصون عن مكايد الشيطان وخباثة هذه الاعمال كذا فى التأويلات النجمية (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح) اى اثم وحرج (فيما طعموا) اى تناولوا اكلا او شربا فيتناول شرب الخمر واكل مال الميسر فانزل الله تعالى هذه الآية (اذا ما اتقوا) ان يكون فى ذلك شئ من المحرمات (وآمنوا وعملوا الصالحات) اى واستمروا على الايمان والاعمال الصالحة (ثم اتقوا) عطف على اتقوا داخل معه فى حيز الشرط اى اتقوا ما حرم

عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا فيما سبق (وآمنوا) اى بتحريمه (ثم اتقوا) اى ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحا من قبل على ان المشروط بالاتقاء فى كل مرة اباحة كل ما طعموه فى ذلك الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه حينئذ (واحسنوا) اى عملوا الاعمال الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الاعمال القلبية والقالبية (والله يحب المحسنين) فلا يؤاخذهم بشئ وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا ومقام المحبوبية فوق جميع المراتب ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حبيب الله وقد فسر الاحسان بان تعبد الله كانك تراه يعنى ان الاحسان مرتبة المشاهدة فاذا ترقى العبد من الايمان الغيبى الى الايمان الشهودى ثم فنى عن كل قيد حتى عن الاطلاق فقد تم امره وكان طعمه وشربه وتصرفه فى المكونات مما لا يضره لانه قد استوفى الشرائط كلها فلا يقاس عليه غيره ثم ان المحسن مطلقا يتناول كل اهل معروف ويستحق المدح والثناء (وفى المثنوى) محسنان مردند واحسانها بماند * اى خنك ان راكه مركب را براند * ظالمان مردند وماند آن ظلمها * واى جانى كه بود مكدورها * كفت پيغمبر خنك انرا كه او * شد زدنيا ماند ازو فعل نكو * مرد محسن مرد واحسانش نمرد * نزد يزدان دين واحسان نيست خرد * واى آن كو مرد وعصيانش نمرد * تا نپندارى بمركش جان ببرد * وورد فى فضائل عشر ذى الحجة ان من تصدق فى هذه الايام بصدقة على مسكين فكانما تصدق على رسل الله وانبيائه ومن عاد فيه مريضا فكانما عاد اولياء الله وبدلاءه ومن شيع جنازة فكانما شيع جنائز شهداء بدر ومن كسا مؤمنا كساه الله تعالى من حلل الجنة ومن الطف يتيما اظله الله فى القيامة تحت عرشه ومن حضر مجلسا من مجالس العلم فكانما حضر مجالس انبياء الله ورسله كذا فى روضة العلماء (قال السعدى) باحسانى آسوده كردن دلى * به از الف ركعت بهر منزلى * حكى انه وقع القحط فى بنى اسرائيل فدخل فقير سكة من السكك وكان فيها بيت غنى فقال تصدقوا على لاجل الله فاخرجت اليه بنت الغنى خبزا حارا فاستقبله الغنى فقال من دفع اليك هذا الخبز فقال ابنة من هذا البيت فدخل وقطع يد ابنته اليمنى فحول الله حاله فافتقر ومات فقيرا ثم ان شابا غنيا استحسن الابنة لكونها حسناء فتزوجها وادخلها داره فلما جن الليل احضرت مائدة فمدت اليد اليسرى فقال الفتى سمعت ان الفقراء يكونون قليلى الادب فقال مدى يدك اليمنى فمدت اليسرى ثانيا وثالثا فهتف بالبنت هاتف اخرجى يدك اليمنى فالرب الذى اعطيت الخبز لاجله رد عليك يدك اليمنى فاخرجت يدها اليمنى بامر الله تعالى واكلت معه كذا فى الروضة * تو نيكى كن بآب انداز اى شاه * اكر ماهى نداند داند الله (يا ايها الذين امنوا) نزلت عام الحديبية فى السنة السادسة من الهجرة والحديبية بتخفيف الياء الاخيرة وقد تشدد موضع قريب من مكة اراد عليه السلام زيارة الكعبة فسار مع اصحابه من المدينة وهم الف وخمسمائة واربعون رجلا فنزلوا بالحديبية فابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث كانوا متمكنين من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم فهموا باخذها فانزل الله يا ايها الذين امنوا (ليبلونكم الله) يقال بلوته بلوا اذا جربته واختبرته واللام جواب قسم محذوف اى والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم ليتعرف احوالكم (بشئ من الصيد) اى بتحريم شئ حقير هو الصيد بمعنى المصيد كضرب الامير فمن بيانية قطعا والمراد صيد البر مأكولا وغير مأكول ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد وفى الحديث خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم الحية والعقرب والغراب والفارة والكلب العقور واراد بالكلب العقور الذئب على ما ورد فى بعض الروايات (تناله ايديكم ورماحكم) اى تصل اليه ايديكم ورماحكم بحيث تأخذون بايديكم وتطعنون برماحكم فالتأكيد القسمى فى ليبلونكم انما هو لتحقيق ما وقع من ان عدم توحش الصيد عنهم ليس الا لابتلائهم لا لتحقيق وقوع المبتلى به كما لو كان النزول قبل الابتلاء وتنكير شئ للتحقير المؤذن بان ذلك ليس من الفتن الهائلة التى تزل فيها اقدام الراسخين كالابتلاء بقتل الانفس واتلاف الاموال وانما هو من قبيل ما ابتلى به اهل ايلة من صيد السمك يوم السبت وفائدته التنبيه على ان من لم يتثبت فى مثل هذا كيف يتثبت عند ما هو اشد منه من المحن (ليعلم الله من يخافه بالغيب) الخوف من الله يعنى الخوف من عقابه وبالغيب حال من مفعول يخافه وهو عقاب الله اى ليتميز الخائف من عقابه الاخروى وهو غائب مترقب لقوة ايمانه فلا يتعرض للصيد عمن لا يخاف كذلك لضعف ايمانه فيقدم عليه فعلم الله تعالى لما كان مقتضى ذاته وامتنع عليه التجدد والتغير كما امتنع ذلك على ذاته

جعل ههنا مجازا عن تميز المعلوم وظهوره على طريق اطلاق السبب على المسبب حيث قال القاضى ذكر العلم
واراد وقوع المعلوم وظهوره وابو السعود انما عبر عن ذلك بعلم الله اللازم له ايذانا بمدار الجزآء ثوابا وعقابا فانه
ادخل فى حملهم على الخوف (فمن اعتدى بعد ذلك) اى بعد بيان ان ما وقع ابتلاء من جهته تعالى بما ذكر من
الحكمة والمعنى فمن تعرض للصيد بعد ما بينا ان ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤد الى تميز
المطيع من العاصى (فله عذاب اليم) لان الاعتدآء بعد ذلك مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله وخروج
عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية والمراد عذاب الآخرة ان مات قبل التوبة والتعزير والكفارة
فى الدنيا بنزع ثيابه فيضرب ضربا وجيعا مفرقا فى اعضائه كلها ما خلا الوجه والرأس والفرج ويؤمر بالكفارة
والاشارة فى الآية ان الله تعالى جعل البلاء للولاء كاللهب للذهب فقال يا ايها الذين آمنوا ايمان المحبين الذين
تجردوا عن ملاذ الدنيا وشهواتها من الحلال واحرموا بحج الوصول وعمرة الوصال ليبلونكم الله فى اثناء السلوك
بشئ من الصيد وهو ما سنح من المطالب النفسانية الحيوانية والمقاصد الشهوانية الدنيوية تناله ايديكم
اى ما يتعلق بشهوات نفوسكم ولذات ابدانكم ورماحكم اى ما يتعلق بالمال والجاه ليعلم الله من يخافه بالغيب
وهو يعلم ويرى اى ليظهر الله ويميز بترك المطالب والمقاصد فى طلب الحق من يخافه بالغيبة والانقطاع عنه
ويحترز عن الالتفات لغيره فمن اعتدى بعد ذلك اى تعلق بالمطالب بعد الطلب فله عذاب اليم من الرد والصد
والانقطاع عن الله كذا فى التأويلات النجمية قال اوحد المشايخ فى وقته ابو عبد الله الشيرازى قدس سره
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو يقول من عرف طريقا الى الله فسلكه ثم رجع عنه عذبه الله
بعذاب لم يعذب به احدا من العالمين يقول الفقير سمى الذبيح الحقى غفر الله ذنوبه انما كان عذابه اشد لانه رجع
عن طريقه بعد معرفته انه الحق الموصل الى الله تعالى وليس من يعلم كمن لا يعلم وسبب الرجوع الامتحانات فى
الطريق (قال فى المثنوى) قاب چون آمد سیه شد در زمان * زر در آمد شد زرى او عيان * دست ويا انداخت
زر در بوته خش * در رخ آتش همى خندد رخش (قال الحافظ) ترسم كزين چمن نبرى آستين كل * كز كلشنش
تحمل خارى نميكنى * فينبغى للطالب الصادق ان يتحمل مشاق الرياضات ويزكى نفسه عن الشهوات ويحترز عن
اكل ما يجده من الحلال فضلا عما حرم الله الملك المتعال فان اصلاح الطبيعة والنفس وان كان بفضل الله
وعنايته لكن الصوم وتقليل الطعام من الاسباب القوية فى هذا الباب يحكى ان سالكا خاطب نفسه بعد
رياضات شديدة فقال من انت ومن انا فقالت له نفسه انت انت وانا انا فاشتغل بالتزكية ثانيا حتى حج ماشيا
مرات فسأل ايضا فاجابت بما اجابت به اولا فاشتغل اشد من الاول وعالجها بتقليل الطعام حتى امات نفسه
فسأل من انت فقالت انت انت وانا صرت فانية ولم يبق من وجودى اثر فاستراح بعون الله تعالى وسئل حضرة
المولوى هل يعصى الصوفى قال لا الا ان يأكل طعاما قبل الاشتهاء فانه سم له ودآء اللهم اعنا على اصلاح هذه
النفس الامارة (يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد) وهو عند ابى حنيفة اسم لكل ممتنع متوحش من الحيوانات
سوآء كان مأكول اللحم اولم يكن والمراد ما عدا الفواسق وهى العقرب والحية والغراب والفارة والكلب العقور
فانها تقتل فى الحل والحرم (وانتم حرم) جمع حرام وهو المحرم وان كان فى الحل وفى حكمه من فى الحرم وان
كان حلالا اى لابس حله فالمحرم لا يتصيد اصلا سوآء كان فى الحل او فى الحرم بالسلاح او بالجوارح من الكلاب
والطير والحلال يتصيد فى الحل دون الحرم اى حرم مكة ومقداره من قبل المشرق ستة اميال ومن الجانب
الثانى اثنا عشر ميلا ومن الجانب الثالث ثمانية عشر ميلا ومن الجانب الرابع اربعة وعشرون ميلا هكذا قال
الفقيه ابو جعفر وانما ذكر القتل دون الذبح للايذان بكونه فى حكم الميتة فكل ما يقتله المحرم من الصيد لا يكون
مذكى وغير المذكى لا يجوز اكله والمعنى لا تقتلوه والحال انتم محرمون (ومن) شرطية (قتله) اى الصيد المعهود
البرى مأكولا كان او غير مأكول حال كون القاتل كائنا (منكم) اى من المؤمنين ولعل المقصود من
التقييد بالحال توبيخ المؤمن على عدم جريانه على مقتضى ايمانه (متعمدا) حال ايضا من فاعل قتله اى ذاكرا
لاحرامه عالما بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع ان محظورات الاحرام يستوى فيها الخطأ والعمد لان
الاصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ (فجزآء) اى فعليه جزآء وفدية (مثل ما قتل) اى مماثل لما قتل
فهو صفة الجزآء والمراد به عند ابى حنيفة وابى يوسف المثل باعتبار القيمة لا باعتبار الخلقة والهيئة

فيتقوم الصيد حيث صيد او فى اقرب الاماكن اليه ان قتل فى بر لا يباع ولا يشترى فيه فان بلغت قيمته قيمة
هدى تخير الجانى بان يشترى بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه الى الحرم وبين ان يشترى بها طعاما فيعطى كل
مسكين نصف صاع من بر او صاعا من تمر وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام
مسكين تصدق به او صام عنه يوما كاملا لان الصوم مما لا يتبعض فيكون قوله تعالى (من النعم) بيانا للهدى
المشترى بالقيمة على احد وجوه التخيير فان فعل ذلك يصدق عليه انه جزى بمثل ما قتل من النعم والنعم فى اللغة
من الابل والبقر والغنم فاذا انفردت الابل قيل انها نعم واذا انفردت البقر والغنم لم تسم نعما (يحكم به) اى
بمثل ما قتل صفة لجزآء (ذوا عدل منكم) اى رجلان عدلان من المسلمين (هديا) الهدى ما يهدى الى البيت
تقربا الى الله تعالى من النعم ايسره شاة واوسطه بقرة واعلاه بدنة اى ناقة وهو حال مقدرة من الضمير فى به والمعنى
مقدرا انه يهدى (بالغ الكعبة) صفة لهديا لان الاضافة لفظية والاصل بالغا الكعبة ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه
بالحرم حتى لو دفع الهدى المماثل للمقتول الى فقرآء الحرم لم يجز بالاتفاق بل يجب عليه ذبحه فى الحرم وله ان
يتصدق به بعد ذبحه فى الحرم حيث شاء عند ابى حنيفة (او كفارة) عطف على محل من النعم على انه خبر مبتدأ
محذوف والجملة صفة ثانية لجزآء (طعام مساكين) عطف بيان لكفارة عند من لا يخصصه بالمعارف (او عدل
ذلك صياما) عطف على طعام الخ كانه قيل فعليه جزآء مماثل للمقتول هو من النعم او طعام مساكين او صيام
ايام بعددهم فحينئذ تكون المماثلة وصفا لازما للجزآء يقدر به الهدى والطعام والصيام اما الاولان فبلا واسطة
واما الثالث فبواسطة الثانى فيختار الجانى كلا منها بدلا من الآخرين قال الفرآء العدل بالكسر المثل من
جنسه والعدل بالفتح المثل من غير جنسه فعدل الشئ ما عادله من جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به
فى المقدار كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل
والخيار فى ذلك للجانى عند ابى حنيفة وابى يوسف وللحكمين عند محمد (ليذوق) متعلق بالاستقرار فى الجار
والمجرور اى فعليه جزآء ليذوق قاتل الصيد (وبال امره) اى سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال فى الاصل
المكروه والضرر الذى ينال فى العاقبة من عمل سولته نفسه (عفا الله عما سلف) من قتل الصيد محرما قبل
التحريم (ومن عاد) الى قتل الصيد بعد النهى عنه وهو محرم ومن شرطية (فينتقم الله منه) اى فهو ممن ينتقم
الله منه لان الفعل اذا وقع جزآء لا يحتاج الى الحرف بخلاف الجملة الاسمية فقدر المبتدأ لئلا تصير الفاء
الجزآئية لغوا والمراد بالانتقام التعذيب فى الآخرة واما الكفارة فعن بعضهم انها واجبة على العائد وعن بعضهم
انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر واصل الانتقام الانتصار والانتصاف واذا اضيف الى الله تعالى اريد به المعاقبة
والمجازاة (والله عزيز) غالب لا يغالب (ذو انتقام) شديد ممن اصر على العصيان والاعتدآء قال الله تعالى مخاطبا
لخليله يا ابراهيم خف منى كما تخاف من السبع الضارى يعنى ان الله تعالى اذا اراد اجرآء قضائه على احد لا يفرق
بين نبى وولى وعدو كما لا يفرق السبع المفترس بين نفاع وضرار فهو تعالى شديد البطش فكيف يتخلص
المجرمون من يد قهره وانتقامه فليحذر العاقل من المخالفة والعصيان بقدر الاستطاعة والامكان انما كان
فان الانسان لا يحصد الا ما يزرع (قال فى المثنوى) جمله دانند اين اگر تو نگروى * هر چه مى كاريش
روزى بدروى * والعجب ان الانسان الضعيف كيف يعصى الله القوى وليس الا من الانهماك فى الشهوات
والغفلة عن الله تعالى والنكتة فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم انه اباح الصيد لمن
كان حلالا وهم اهل السلو من العوام الذين رضوا من الكمالات الدينية بالاعمال البدنية من قصور هممهم
الدنية وحرم الصيد على من كان حراما وهم اهل المحبة المحرمون من الدنيا لزيارة كعبة الوصلة يعنى من قصدنا
فعليه بحسم الاطماع جملة ولا ينبغى ان يكون له مطالبة بحال من الاحوال الا طلب الوصال ويقال العارف
صيد الحق ولا يكون للصيد صيد ومن قتله منكم اى من الطلاب اذا التفت لشئ من الدنيا متعمدا وهو الذى
واقف على مضرته وعالم بعاقبته فيغلب عليه الهوى ويقع فيه بحرص النفس فجزآء مثل ما قتل من النعم يجازى
نفسه برياضة ومجاهدة وبما ثل المهالك اللذة والشهوة يحكم به ذوا عدل منكم وهو القلب والروح يحكمان على
مقدار الايمان وعلى انواع الرياضات بتقليل الطعام والشراب او ببذل المال او بترك الجاه او بالعزلة والخلوة
وضبط الحواس هديا بالغ الكعبة اى خالصا لله تعالى فيما يعمل بحيث يصلح لقبول الحق من غير ملاحظة الخلق

اوكفارة طعام مساكين وهم العقل والقلب والسر والروح والخفى فانهم كانوا محرومين من اغذيتهم الروحانية من صدق التوجه الى الحق وخلوص الاعراض عن الخلق وتجرع الصبر على المكروهات والفطام عن المألوفات والشكر على الموهوبات والرضى بالمقدرات والتسليم للاحكام الازليات اوعدل ذلك صياما والصيام هو الامساك عن ملاحظة الاغيار وطلب الاختيار والركون الى غير الملك الجبار ليذوق النفس الامارة وبال امره اى تتألم بألم هذه المعاملات التى على خلاف طبعها جزآء وكفارة لما نالت من لذآئذ الشهوات وحلاوة الغفلات عفا الله عما سلف من الطالبين قبل اقدامهم على الطلب ومن عاد الى تعلق شئ من الدنيا بعد الخروج عنها بقدم الصدق فينتقم الله منه بالخذلان فى الدنيا والخسران فى العقبى والله عزيز لا يوجد من تعلقات الكونين حتى تجرد الطالب عن القليل والكثير والصغير والكبير ذوانتقام ينتقم من احبائه باحتجاب التعزز بالكبرياء والعظمة على قدر التفاتهم الى غيره وملاحظتهم ماسواه وينتقم من اعدآئه بما قاله ونقلب افئدتهم وابصارهم الآية من التأويلات النجمية (وفى المثنوى) عاشق صنع توام درشكر وصبر * عاشق مصنوع كى باشم چوكبر * عاشق صنع خدا بافر بود * عاشق مصنوع او كافر بود * فعلى الطالب الصادق ان ينقطع عن الالتفات الى الغير ويتصل الى من بيده الخير والله الموفق والمعين (احل لكم) الخطاب للمحرمين (صيد البحر) اى ما يصاد فى المياه كلها بحرا كان اونهرا اوغديرا وهو مالا يعيش الا فى الماء مأكولا كان اوغير مأكول فما يعيش فى البر والبحر كالبط والضفدع والسرطان والسلحفاة وجميع طيور الماء لا يسمى صيد البحر بل كل ذلك صيد البر ويجب الجزآء على قاتله قال الامام جميع ما يصطاد فى البحر ثلاثة اجناس السمك وجميع انواعها حلال والضفادع وجميع انواعها حرام واختلفوا فيما سوى هذين الجنسين فقال ابو حنيفة انه حرام وقال الاكثرون انه حلال لعموم هذه الآية وقال محيى السنة جملة حيوانات الماء على قسمين سمك وغيره اما السمك فميتته حلال مع اختلاف انواعها قال النبى عليه السلام احلت لنا ميتتان السمك والجراد ولا فرق بين ان يموت بسبب اوبغير سبب وعند ابى حنيفة يحل الا ان يموت بسبب من وقوع على حجر اوانحسار الماء عنه ونحو ذلك واما غير السمك فقسمان قسم يعيش فى البر كالضفدع والسرطان ولا يحل اكله وقسم يعيش فى الماء ولا يعيش فى البر الا عيش المذبوح فاختلف فيه فذهب قوم الى ان لا يحل شئ منها الا السمك وهو قول ابى حنيفة وذهب قوم الى ان ميت الكل حلال لان كلها سمك وان اختلف صورها كالجريث يقال له حية الماء لكونه على شكل الحية واكله مباح بالاتفاق (وطعامه) اى طعام البحر وهو ما قذفه البحر ولفظه اونضب عنه الماء اى غار وبقى هو فى ارض يابسة فيؤخذ من غير معالجة فى اخذه وقال المولى ابو السعود وطعامه اى ما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد التعميم والمعنى احل لكم التعرض لجميع ما يصاد فى المياه والانتفاع به انتهى (متاعا لكم) نصب على انه مفعول له قال المولى ابو السعود مختص بالطعام كما ان نافلة فى قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة حال مختصة بيعقوب اى احل لكم طعامه تمتيعا للمقيمين يأكلونه طريا (وللسيارة) منكم يتزودونه قديدا (وحرم عليكم صيد البر) وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش فى الماء فى بعض الاوقات كطير الماء (ما دمتم حرما) ما مصدرية ظرفية اى مدة دوامكم محرمين لا خلاف فى الاصطياد انه حرام على المحرم فى البر فاما عين الصيد فظاهر الآية يوجب حرمة ما صاده الحلال على المحرم وان لم يكن له مدخل فيه لكن مذهب ابى حنيفة انه يحل له ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يشر اليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل احرامه لان الخطاب للمحرمين وكانه قيل حرم عليكم ما صدتم فى البر فيخرج منه مصيد غيرهم (واتقوا الله) فيما نهاكم عنه فى جميع المعاصى التى من جملتها اخذ الصيد فى الاحرام (الذى اليه تحشرون) لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه تعالى بالالتجاء اليه كما قال تعالى الى ربك يومئذ المساق اى المنتهى والمرجع بسوق الملائكة الى حيث امرهم الله اما الى الجنة واما الى السعير وفى الحديث من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن اشفق من عذاب جهنم كف نفسه عن المحرمات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ومن اراد سهولة الموت فليبادر الى الخيرات فمن لم يترك شهوته لم يرض عنه ربه بطاعته ومن لم يتق الله فى سره لم ينتفع بما ابداه من علامة التقوى (وفى المثنوى) كافرم من گر زيان كردست كس * درره ايمان وطاعت يكنفس * كار تقوى دارد ودين وصلاح * كه بدان باشد بدو عالم فلاح * والاشارة فى الآية احل لكم ايها المستغرقون فى بحر الحقائق صيد البحر

ما تصيدون من بحر المعرفة بالمشاهدات والكشوف وطعامه متاعا لكم وللسيارة يعنى تشبعون بما يرد عليكم من وارد الحق وتجلى الصفات كما قال عليه السلام ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى ويطعمون منه السائرين الى الله من اهل الارادة كقوله تعالى فكلوا منها واطعموا البائس الفقير وهذا حال المشايخ واهل التربية من العلماء الراسخين وحرم عليكم ايها الطلاب صيد البر وهو ما سنح فى اثناء السير الى الله من مطالب الدنيا والآخرة كما قال عليه السلام الدنيا حرام على اهل الآخرة والآخرة حرام على اهل الدنيا وكلاهما حرامان على اهل الله ما دمتم حرما اى ما دمتم محرمين الى كعبة الوصول متوجهين الى حضرة الوصال فان حكم المتوجه ينافى حكم الواصل الكامل لان من وصل صار محوا والمتوجه صاح وبون بين الصاحى والماحى فان افعال الصاحى به ومنه واحوال الماحى ليست به ولا منه والله غالب على امره فبى يسمع وبى ينطق وبى يبطش ولهذا قال تعالى واذا حللتم فاصطادوا اى اذا فرغتم من مناسك الوصول وسلكتم مسالك الاصول سقط عنكم كلف المحرمين ومؤنات المسافرين وثبت لكم لزوم العاكفين واحكام الطائفين كما قال واتقوا الله الذى اليه تحشرون يعنى اتقوا بالله الذى اليه تجمعون وتصلون عما سواه لكيلا تحوروا بعد ما تكوروا ونعوذ بالله من الحور بعد الكور كذا فى التأويلات النجمية المسماة ببحر الحقائق اللهم افض علينا من بركات اوليائك وادر علينا من كاسات احبائك واودآئك (جعل الله الكعبة) اى صيرها وانما سمى البيت كعبة لتكعبه اى لتربعه والعرب تسمى كل بيت مربع كعبة تشبيها له بكعب الرجل الذى عند ملتقى الساق والقدم فى كونه على هيئته فى التربيع وقيل سميت كعبة لارتفاعها من الارض واصلها من الخروج والارتفاع وسمى الكعب كعبا لنتوه وخروجه من جانبى القدم ومنه قيل للجارية اذا قاربت البلوغ وخرج ثدياها تكعبت والكعبة لما ارتفع ذكرها فى الدنيا واشتهر امرها فى العالم سميت بهذا الاسم وكذلك انهم يقولون لمن عظم قدره وارتفع شأنه فلان علا كعبه قال صاحب اسئلة الحكم جعل الله لبيته العتيق اربعة اركان وهى فى الحقيقة ثلاثة اركان لانه شكل مكعب ولذلك سميت بالكعبة تشبيها بالكعب فسر كونه على اربعة اركان بالوضع الحادث اشارة الى قلوب المؤمنين لان قلب المؤمن لا يخلو من اربعة خواطر الهى وملكى ونفسانى وشيطانى فركن الحجر بمنزلة الخاطر الالهى واليمانى بمنزلة الملكى والشامى بمنزلة النفسانى والركن العراقى بمنزلة الشيطانى لان الشرع شرع ان يقال عنده اعوذ بالله من الشقاق والنفاق وبالذكر المشروع تعرف مراتب الاركان واما سر كونه مثلث الشكل المكعب فاشارة الى قلوب الانبياء عليهم السلام ليميز الله رسله وانبياءه بالعصمة التى اعطاهم والبسهم اياها فليس لنبى الا ثلاثة خواطر الهى وملكى ونفسى ولغيرهم هذه وزيادة الخاطر الشيطانى فمنهم من ظهر حكمه عليه فى الظاهر وهم عامة الخلق ومنهم من يخطر له ولا يؤثر فى ظاهره وهم المحفوظون من اوليائه بالعصمة الوجوبية للانبياء والحفظ الجوازى للاولياء (البيت الحرام) عطف بيان على جهة المدح دون التوضيح كما تجيء الصفة كذلك وسمى البيت الحرام لان الله تعالى حرمه وعظم حرمته فالحرام بمعنى المحرم وفى الحديث ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض قال ابن ملك اعلم ان مكة شرفها الله حرمها ابراهيم عليه السلام لما صح عن النبى عليه السلام انه قال ان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة وما روى انه عليه السلام قال ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات فالمراد به كتابته فى اللوح المحفوظ ان ابراهيم سيحرمه انتهى كلامه يقول الفقير ان حرمته العرضية وان كانت حادثة لكن حرمته الذاتية قديمة وتلك الكتابة من الحرمة الذاتية عند الحقيقة وقد جاء فى بعض التفاسير فى قوله تعالى ائتيا طوعا اوكرها قالتا اتينا طائعين انه لم يجبه بهذه المقالة من الارض الا ارض الحرم فلذلك حرمها فصارت حرمتها كحرمة المؤمن انما حرم دمه وعرضه وماله بطاعته لربه فارض الحرم لما قالت اتينا طائعين حرم صيدها وشجرها وخلاها فلا حرمة الا لذى طاعة وفى الخبر يأكل الحيتان الكبار صغارها فى ارض الحرم فى الطوفان لحرمتها (قياما للناس) مفعول ثان للجعل ومعنى كونه قياما لهم انه مدار لقيام امر دينهم ودنياهم اما الاول فلانه يتوجه اليه الحجاج والعمار فيكون ما فى البيت من المناسك العظيمة والطاعات الشريفة سببا لحط الخطيئات وارتفاع الدرجات ونيل الكرامات واما الثانى فلانه يجبى الى الحرم ثمرات كل شئ يربح فيه التجار وكانوا يأمنون فيه من النهب والغارة ولا يتعرض لهم احد بسوء فى الحرم حتى ان الرجل اذا اصاب ذنبا فى الجاهلية والاسلام اوقتل قتيلا لجأ الى الحرم ويأمن فيه قال المحيى

فى فتوح الحرمين مدحا لحضرة الكعبة هيچ نى هيچ ولى هم نبود * كه اونه برين دررخ اميد سود * هادئ ره نيست بجز لطف دوست * امدنت راطلب ازنزد اوست * تازند سرزچمن نو كلى * نغمه سرائى كند بلبلى (والشهر الحرام) اى وجعل الشهر الحرام الذى يؤدى فيه الحج وهو ذوالحجة قياما لهم ايضا فالمفعول الثانى محذوف ثقة بما مر ووجه كون الشهر الحرام سببا لقيام الناس ان العرب كان يتعرض بعضهم لبعض بالقتل والغارة فى سائر الاشهر فاذا دخل الشهر الحرام زال الخوف وقدروا على سفر الحج والتجارات آمنين على انفسهم واموالهم فكان سببا لاكتساب منافع الدين والدنيا ومصالح المعاش والمعاد وقد فضل الله الاشهر والايام والاوقات بعضها على بعض كما فضل الرسل والامم بعضها على بعض لتبادر النفوس وتسارع القلوب الى ادراكها واحترامها وتتشوق الارواح الى احيائها بالتعبد فيها ويرغب الخلق فى فضائلها قال الامام النيسابورى عشر ذى الحجة افضل الايام واحبها عند الله تعالى بعد شهر رمضان لانها هى التى ناجى فيها كليم الله موسى ربه وفيها احرم جميع الخلق بالحج ووجد آدم التوبة فى ايام العشر واسماعيل الفداء وهود النجاة ونوح الانجاء ومحمد الرسالة واصحابه الرضوان فى البيعة وبشارة خيبر وفتح الحديبية ونزول المغفرة بقوله تعالى ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر وغير ذلك من الآيات والكرامات وصيام يوم من العشر كصيام الف يوم وقيام ليلة منها كعبادة من حج واعتمر طول سنته فصوم هذه العشر مستحب استحبابا شديدا لاسيما التاسع وهو يوم عرفة لكن يستحب الفطر يوم عرفة للحجاج لئلا يلحقهم فتور عن اداء الطاعات المشروعة فى ذلك اليوم ويؤدوها على الحضور والكمال وفى الحديث خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ماقلت انا والنبيون لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير (والهدى) اى وجعل الله الهدى ايضا قياما لهم وهو مايهدى الى البيت ويذبح هناك ويفرق لحمه بين الفقراء فانه نسك المهدى وقوام لمعيشة الفقراء فكان سببا لقيام امر الدين والدنيا بقول الفقير ومنه يعرف ان المقصود من القربان دفع حاجة الفقراء ولذا يستحب للمضحى ان يتصدق باكثر اضحيته بل بكلها هركسى ازهمت والاى خويش * سود برد اودرخور كالاى خويش * وللحجاج يوم عيد القربان مناسك الذهاب من منى الى المسجد الحرام فلغيرهم الذهاب الى المصلى موافقة لهم والطواف فلغيرهم صلاة العيد لقوله عليه السلام الطواف بالبيت صلاة واقامة السنن من الحلق وقص الاظفار ونحوها فلغيرهم ازالة البدعة واقامة السنة والقربان فلغيرهم ايضا ذلك ولكن ليس كل مال يصلح لخزانة الرب ولا كل قلب يصلح لمعرفة الرب ولا كل نفس تصلح لخدمة الرب (وفى المثنوى) آن تو كل كو خليلان ترا * تا نبرد تيغت اسماعيل را * آن كرامت چون كليمت از كجا * تا كنى شهراه قعر نيل را (والقلائد) اى وجعل الله القلائد ايضا قياما للناس وهى جمع قلادة وهى مايقلد به الهدى من نعل اولحاء شجر ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له بركوب اوحمل والمراد بالقلائد ذوات القلائد وهى البدن وهى الناقة والبقرة مما يجوز فى الهدى والاضاحى وخصت بالذكر لان الثواب فيها اكثر وبهاء الحج بها اظهر ولذا ضحى عمر رضى الله عنه بنجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ووجه كون القلائد سببا لقيام الناس ان من قلد هديا لم يتعرض له احد ورِبما كانوا يقلدون رواحلهم اذا رجعوا من مكة من لحاء شجر الحرم فيأمنون بذلك وكان اهل الجاهلية يأكل الواحد منهم القضيب والشجر من الجوع وهو يرى الهدى والقلائد فلا يتعرض تعظيما له (ذلك) اشارة الى الجعل منصوب بفعل مقدر اى شرع الله ذلك وبين (لتعلموا ان الله يعلم مافى السموات ومافى الارض) فان تشريع هذه الشرائع المستتبعة لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع الاولوية والاخروية من اوضح الدلائل على حكمة الشارع وعلى عدم خروج شئ من علمه المحيط (وان الله بكل شئ عليم) تعميم بعد تخصيص للتأكيد (اعلموا ان الله شديد العقاب) وعيد لمن انتهك محارمه واصر على ذلك (وان الله غفور رحيم) وعد لمن حافظ مراعاة حرماته تعالى اوانقلع عن الانتهاك بعد تعاطيه (ماعلى الرسول الا البلاغ) اى تبليغ الرسالة فى امر الثواب والعقاب وهو تشديد فى ايجاب القيام بما امر به اى الرسول قد اتى بما وجب عليه من التبليغ بما لامزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد فى التفريط (والله يعلم ماتبدون وماتكتمون) اى ماتظهرون من القول والعمل وماتخفون فيؤاخذكم بذلك نقيرا اوقطميرا (قال السعدى) بروعلم يك ذره

پوشيده

پوشيده نيست * كه پنهان وپيدا بنزدش يكيست * والاشارة فى الآية ان الله تعالى كما جعل الكعبة فى الظاهر قياما للعوام والخواص يلوذون به ويستنجحون بالتضرع والابتهال هنالك حاجاتهم الدنيوية والاخروية كذلك جعل كعبة القلب فى الباطن قياما للخواص وخواص الخواص ليلوذوا به بطريق دوام الذكر ونفى الخواطر بالكلية واثبات الحق بالربوبية والواحدية بان لاموجود الا هو ولا وجود الا له ولا مطلوب ولا محبوب الا هو وسماه البيت الحرام ليعلم انه بيت الله على الحقيقة وحرام ان يسكن فيه غيره فيراقبه عن ذكر ماسوى الحق وحبه وطلبه الى ان يفتح الله ابواب فضله ورحمته والشهر الحرام هو ايام الطلب والسير الى الله حرام على الطالب فيها مخالطة الخلق وملاحظة ماسوى الحق والهدى هو النفس البهيمية تساق الى كعبة القلب مع القلائد وهى اركان الشريعة فتذبح على عتبة القلب بسكين آداب الطريقة عن شهواتها ولذاتها الحيوانية وفى قوله تعالى ذلك لتعلموا الآية اشارة الى ان العبد اذا وصل الى كعبة القلب فيرى بيت الله ويشاهد انوار الجمال والجلال فبتلك الانوار يشاهد مافى السموات ومافى الارض لانه ينظر بنور الله فيعلم على التحقيق ان الله يعلم مافى السموات ومافى الارض وان الله بكل شئ عليم اعلموا ان الله شديد العقاب بسدل الحجاب لغير الاحباب ممن ركنوا الى الدنيا واغتروا بزينتها وشهواتها وان الله غفور رحيم لطالبيه وقاصدى حضرته بفتح الابواب ورفع الحجاب ماعلى الرسول الا البلاغ بالقال والحال والله يعلم ماتبدون من الايمان باقرار اللسان وعمل الاركان وماتكتمون من تصديق الجنان اوالتكذيب وصدق التوجه وخلوص النية فى طلب الحق كذا فى التأويلات النجمية (قل لا يستوى الخبيث والطيب) نزلت فى حجاج اليمامة لماهم المسلمون ان يوقعوا بهم بسبب انه كان فيهم الحطيم وقد اتى المدينة فى السنة السابقة واستاق سرح المدينة فخرج فى العام القابل وهو عام عمرة القضاء حاجا فبلغ ذلك اصحاب السرح فقالوا للنبى عليه السلام هذا الحطيم خرج حاجا مع حجاج اليمامة فخل بيننا وبينه فقال عليه السلام انه قلد الهدى ولم يأذن لهم فى ذلك بسبب استحقاقهم الامن بتقليد الهدايا فنزلت الآية تصديقا لما قاله عليه السلام فى نهيه اياهم عن تعرض الحجاج وان كانوا مشركين وقد مضت هذه القصة فى اول السورة عند قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله الآية وبقى حكم هذه الآية الى ان نزلت سورة البراءة فنسخ بنزولها الا انه قد كان فيها انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وفيها اقتلوا المشركين فنسخ حكم الهدى والقلائد والشهر الحرام والاحرام وامنهم بها بدون الاسلام وسبب النزول وان كان خاصا لكن حكمه عام فى نفى المساواة عند الله بين الردى وبين الجيد ففيه ترغيب فى الجيد وتحذير عن الردى ويتناول الخبيث والطيب امورا كثيرة فمنها الحرام والحلال فمثقال حبة من الحلال ارجح عند الله من ملئ الدنيا من الحرام لان الحرام خبيث مردود والحلال طيب مقبول فهما لا يستويان ابدا كما ان طالبهما كذلك اذ طالب الخبيث خبيث وطالب الطيب طيب والله تعالى يسوق الطيب الى الطيب كما انه يسوق الخبيث الى الخبيث كما قال الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات والطيب عند سادات الصوفية قدس الله اسرارهم ما كان بلا فكر وحركة نفسانية سواء سيق من طرف صالح اوفاسق لانه رزق من حيث لا يحتسب وهو مقبول وخلافه مردود ولابعد فى هذا لان حسنات الابرار سيئات المقربين وبينهما بون بعيد وايضا الخبيث من الاموال مالم يخرج منها حق الله والطيب ما اخرجت منه الحقوق والخبيث ماانفق فى وجوه الفساد والطيب ماانفق فى وجوه الطاعات والطيب من الاموال ماوافق نفع الفقراء فى اوقات الضرورات والخبيث مادخل عليهم فى وقت استغنائهم فاشتغلت خواطرهم بها ومنها المؤمن والكافر والعادل والفاسق فالمؤمن كالعسل والكافر كالسم والعادل كشجرة الثمرة والفاسق كشجرة الشوك فلا يستويان على كل حال ومنها الاخلاق الطيبة والاخلاق الخبيثة فمثل التواضع والقناعة والتسليم والشكر مقبول ومثل الكبر والحرص والجزع والكفران مردود لان الاول من صفات الروح والثانى من صفات النفس والروح طيب علوى والنفس خلافه (وفى المثنوى) هين مرواندر پى نفسى چو زاغ * كو بكورستان برد نه سوى باغ * نفس اكرچه زيركست وخرده دان * قبله اش دنيا است اورا مرده دان * ومن اخلاق النفس حب المال والكبار قد عد والمال الطيب حجابا فما ظنك بالخبيث منه فلا بد من تصفية الباطن وتخليته عن حب ماسوى الله تعالى ومنها العلوم النافعة والعلوم الغير النافعة فالنافعة كعلوم الشريعة وغير

النافعة كعلوم الفلاسفة علم دين فقه است وتفسير وحديث * هر كه خواند غير از ين كردد خبيث * ومنها الاعمال الصالحة والاعمال الغير الصالحة فما اريد به وجه الله تعالى فهو صالح وما اريد به الرياء والسمعة فهو غير صالح عبادت باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد زبى مغز پوست * قال فى التأويلات النجمية الخبيث ما يشغلك عن الله والطيب ما يوصلك الى الله وايضا الطيب هو الله الواحد والخبيث ما سواه وفيه كثرة (ولو اعجبك كثرة الخبيث) الواو لعطف الشرطية على مثلها المقدر اى لو لم يعجبك كثرة الخبيث ولو اعجبك وكلتاهما فى موضع الحال من فاعل لا يستوى اى لا يستويان كائنين على كل حال مفروض وجواب لو محذوف والمعنى والتقدير ان الخبيث ولو اعجبك كثرته يمتنع ان يكون مساويا للطيب فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث كان اخبث ومعنى الاعجاب السرور بما يتعجب منه يقال يعجبنى امر كذا اى يسرنى والخطاب فى اعجبك لكل واحد من الذين امر النبى عليه السلام بخطابهم (فاتقوا الله) فى تحرى الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل (يا اولى الالباب) يا ذوى العقول الصافية وهم فى الحقيقة من تخلصت قلوبهم وارواحهم عن قشور الابدان والنفوس (لعلكم تفلحون) راجين ان تنالوا الفلاح وهو سعادة الآخرة ثم ان التقوى على مراتب قال ابن عطاء التقوى فى الظاهر مخالفة الحدود وفى الباطن النية والاخلاص وقال فى قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وهو صدق قولك لا اله الا الله وليس فى قلبك شئ سواه ومن وصايا حضرة المولوى قبيل وفاته اوصيكم بتقوى الله فى السر والعلانية وبقلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام وهجر المعاصى والآثام وترك الشهوات على الدوام واحتمال الجفاء من جميع الانام وترك مجالسة السفهاء والعوام ودوام مصاحبة الصالحين الكرام فان خير الناس من ينفع الناس وخير الكلام ما قل ودل واعلم ان النافع هو التقوى والسبب المنجى هو الايمان والعمل الصالح دون الحسب والنسب فلا يغرنك الشيطان بكثرة اموالك واولادك ووفرة مفاخر آبائك واجدادك فاصل البول الماء الطيب الصافى والله تعالى يخرج الميت من الحى (يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) روى انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك أكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه فنزلت وعن ابن عباس رضى الله عنه انه عليه السلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شئ الا اجبت فقال رجل اين ابى فقال فى النار وقال آخر من ابى فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت ان تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمساءة معلقة بالابداء والابداء معلق بالسؤال فالمعنى لا تسألوا عن اشياء ان تسألوا عنها فى زمان الوحى تظهر لكم وان تظهر لكم تغمكم والعاقل لا يفعل ما يغمه قال البغوى فان من سأل عن الحج لم يأمن ان يأمر به فى كل عام فيسوءه ومن سأل عن نسبه لم يأمن ان يلحقه بغيره فيفتضح (عفا الله عنها) استئناف مسوق لبيان ان نهيهم عنها لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لانها فى نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفا عنها وفيه من حثهم على الجد فى الانتهاء عنها ما لا يخفى وضمير عنها للمسئلة المدلول عليها بلا تسألوا اى عفا الله عن مسألتكم السالفة حيث لم يفرض عليكم الحج فى كل عام جزاء بمسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الاخروية بسائر مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها (والله غفور حليم) اى مبالغ فى مغفرة الذنوب والاغضاء عن المعاصى ولذلك عفا عنكم ولم يؤاخذكم بعقوبة ما فرط منكم فالجملة اعتراض تذييلى مقرر لعفوه تعالى (قد سألها قوم) اى سألوا هذه المسألة لكن لا عينها بل مثلها فى كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة فى التحذير (من قبلكم) متعلق بسألها (ثم اصبحوا بها) اى بسببها (كافرين) فان بنى اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم فى اشياء فاذا امروا تركوها فهلكوا كما سأل قوم ثمود صالحا الناقة وسأل قوم موسى مائدة قال ابو ثعلبة ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن اشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفا عن اشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها قال الحسين الواعظ الكاشفى فى تفسيره پس نيكبخت آنست كه از حال ديكران عبرت كيرد بقول وفعل فضولى اشتغال ننمايد * ودرين باب كفته اند * بكوى انچه كفتن

ضرورت شود * دكر كفته ها را فرو بند در * بجاى آر فعلى كه لازم بود * ز افعال بى حاصل اندر كذر *
وكان رجل يحضر مجلس ابى يوسف كثيرا ويطيل السكوت فقال له يوما ما لك لا تتكلم ولا تسأل عن مسئلة قال اخبرنى ايها القاضى متى يفطر الصائم قال اذا غابت الشمس قال فان لم تغب الى نصف الليل فتبسم وتمثل ببيت جرير

وفى الصمت زين للحليم وانما * صحيفة لب المرء ان يتكلما

وفى الحديث عجبت من بنى آدم وملكاه على نابيه فلسانه قلمهما وريقه مدادهما كيف يتكلم فيما لا يعنيه والاشارة فى الآية ان الله تعالى نهى اهل الايمان ان يتعلموا العلوم اللدنية وحقائق الاشياء بطريق السؤال لانها ليست من علوم القال وانما هى من علوم الحال فقال يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء اى عن حقائق اشياء ان تبد لكم بيانها بطريق القال تسؤكم اذ لم تهتدوا الى الحقائق ببيان القال فتقع عقولكم المشوبة بآفات الهوى والوهم والخيال فى الشبهات فتهلكوا فى اوديتها كما كان حال طوائف الفلاسفة اذ طلبوا علوم حقائق الاشياء بطريق القال والبراهين المعقولة فما كانت منها مندرجة تحت نظر العقول المجردة عن شوائب الوهم والخيال اصابوها وما ضاق نطاق العقول عن دركها استزلهم الشيطان عند البحث عن الصراط المستقيم واوقعهم فى اودية الشبهات وبوادى الهلكات فهلكوا واهلكوا خلقا عظيما بتصانيفهم فى العلوم الالهية وبعضهم خلطوها بعلم الاصول وقرروا شبهاتهم فيها فضلوا واضلوا عن سواء السبيل وما علموا ان تعلم علوم الحقائق بالقال محال وان تعلمها انما يحصل بالحال كما كان حال الانبياء مع الله فقد علمهم علوم الحقائق بالارادة لا بالرواية فقال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وقال فى حق النبى عليه السلام لنريه من آياتنا وقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى وقال عليه السلام ارنا الاشياء كما هى وكما كان حال الامة مع النبى عليه السلام كان يعلمهم الكتاب بالقال والحكمة بالحال بطريق الصحبة وتزكية نفوسهم عن شوائب آفات النفس واخلاقها كقوله تعالى يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال تعالى فيمن تحقق له فوائد الصحبة على موائد المتابعة سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ثم قال وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم وان كان لا بد لكم من السؤال عن حقائق الاشياء فاسألوا عنها بعد نزول القرآن اى من القرآن اخبركم عن حقائقها على قدر عقولكم اما العوام منكم فيؤمنون بمتشابهات القرآن فانها بيان حقائق الاشياء ويقولون كل من عند ربنا ولا يتصرفون فيها بعقولهم طلبا للتأويل فانه لا يعلم تأويلها الا الله والراسخون فى العلم وهم الخواص واما اخص الخواص فيفهمون مما يشير القرآن اليه من حقائق الاشياء بالرموز والاشارات والمتشابهات ما لا يفهم غيرهم كما اشار بقصة موسى والخضر الى ان تعلم العلم اللدنى انما يكون بالحال فى الصحبة والمتابعة والتسليم وترك الاعتراض على الصاحب المعلم لا بالقال ولا بالسؤال لقوله تعالى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا يعنى فى المتابعة وترك الاعتراض قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ يعنى ان من شرط المتابعة ترك السؤال عن افعال المعلم وغيرها فلما لم يستطع موسى معه صبرا ليتعلم بالحال وفتح باب القال والسؤال فقال اخرقتها لتغرق اهلها اقتلت نفسا زكية فما واساه الخضر وقال ألم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا قال يعنى موسى ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى يشير الى ان تعلم العلم اللدنى بالحال فى الصحبة والمتابعة والتسليم لا بالقال والسؤال وفى السؤال الانقطاع عن الصحبة فافهم جدا فلما عاد فى الثالثة الى السؤال وقال لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بينى وبينك ثم قال عفا الله عنها اى عما سألتم وطلبتم من علوم الحقائق بالقال قبل نزول هذه الآية والله غفور لمن تاب ورجع الى الله فى طلب علوم الحقائق بالقال والسؤال حليم لمن يطلب بالحال يحلم عنهم فى اثناء ما يصدر منهم مما ينافى امر الطلب الى ان يوفقهم لما يوافق الطلب ثم قال قد سألها قوم من قبلكم يعنى من مقدمى الفلاسفة فقد شرعوا فى طلب العلوم الالهية بالقال ونظر العقل فوقعوا فى اودية الشبهات ثم اصبحوا بها كافرين اى بسبب الشبهات التى وقعوا فيها بتتبع القيل والقال وكثرة السؤال وترك متابعة الانبياء عليهم السلام كذا فى التأويلات النجمية (ما جعل الله) هو الجعل التشريعى يتعدى الى واحد اى ما شرع وما وضع وما سن (من) مزيدة لتأكيد النفى (بحيرة)

كان اهل الجاهلية اذا انتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اى شقوها وحرموا ركوبها
ودرها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى فهى فعيلة من البحر وهو الشق بمعنى المفعولة (ولا سائبة) كان الرجل منهم
يقول اذا قدمت من سفرى اوبرئت من مرضى فناقتى سائبة وجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها
فهى بمعنى فاعلة من قولهم ساب الماء يسيب سيبا اذا جرى على وجه الارض ويقال ايضا سابت الحية
فالسائبة هى التى تركت حتى تسيب حيث شاءت (ولا وصيلة) كانوا اذا ولدت الشاة انثى فهى لهم
وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها واستحيوا الذكر من اجل الانثى فلا يذبح
لآلهتهم فمعنى الاية ماجعل الله انثى تحلل ذكرا محرما عند الانفراد فهى فعيلة بمعنى فاعلة (ولا حام) كانوا
اذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى
فهو اسم فاعل من حمى يحمى اى منع يقال حماه يحميه اذا حفظه (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب)
اى يكذبون عمدا حيث يفعلون مايفعلون ويقولون الله امرنا بهذا وامامهم عمرو بن لحى الخزاعى فانه كان
اقدملك مكة كان اول من غير دين اسماعيل فاتخذ الاصنام ونصب الاوثان وشرع البحيرة والسائبة والوصيلة
والحامى روى انه عليه السلام قال فى حقه رايت عمرو بن لحى الخزاعى يجر قصبه فى النار يؤذى اهل النار بريح
قصبه والقصب المعى هذا شأن رؤسائهم وكبارهم (واكثرهم) وهم ارذالهم الذين يوقعونهم فى معاصى رسول
الله صلى الله عليه وسلم (لايعقلون) انه افتراء باطل حتى يخالفوهم ويهتدوا الى الحق بانفسهم فيبقون فى اسر
التقليد (واذا قيل لهم) اى للاكثر على سبيل الهداية والارشاد (تعالوا الى ما انزل الله) من الكتاب المبين للحلال
والحرام (والى الرسول) الذى انزل هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحرام من الحلال (قالوا حسبنا
ما وجدنا عليه آباءنا) بيان لعنادهم واستعصائهم على الهادى الى الحق وانقيادهم للداعى الى الضلال وحسبنا
مبتدأ وما وجدنا خبره وهو فى الاصل مصدر والمراد به اسم الفاعل اى كافينا الذى وجدنا عليه آباءنا
(اولو كان آباؤهم لايعلمون شيأ ولا يهتدون) الواو للعطف على شرطية اخرى مقدرة قبلها والتقدير ايحسبهم
ذلك اى ايكفيهم وجدان آبائهم على هذا المقال او ايقولون هذا القول ولو كان آباؤهم لايعلمون شيأ
من الدين ولا يهتدون للصواب والمعنى ان الاقتداء انما يكون بمن علم انه عالم مهتد وذلك لايعرف الا بالحجة قال
الحسين الواعظ فى تفسيره * يعنى ايشان جاهل وكمراه بودند تقليد ايشان نافع نيست بلكه تقليد عالمى
بايد تا كار بتحقيق انجامد از مقلد تا محقق فرقهاست اين يكى كوهست وان ديكر صداست دست
در بينا زنى آيى براه دست در كورى زنى افتى بچاه * قال الشيخ على دده فى اسئلة الحكم اما ماورد فى الاحاديث
النبوية فى حق الدجاجلة وظهورها بين الامة فلاشك عند اهل العلم ان الدجاجلة هم الائمة المضلون لاسيما من
متصوفة الزمان او متشيخيهم وقد شاهدناهم فى عصرنا هذا قاتلهم الله حيثما كانوا انتهى قال بعضهم قلت
لمتشبه بالصوفية ظاهرا بعنى جبتك لما اعلم من احواله فقال اذا باع الصياد شبكته فباى شئ يتصيد بروى ريا
خرقه سهلست دوخت * كرش باخدا در توانى فروخت * بنزديك من شب روراه زن * به از فاسق
پارسا پيرهن * والاشارة ان الشيطان كما سلط على قوم اغواهم على التصرف فى انعام اجسامهم ونفوسهم
مبتدعين غير متبعين وهم يزعمون ان هذه التصرفات لله وفى الله وفى قوله ماجعل الله من بحيرة اشارة الى
من يتصرف بمالم يؤمر به كمن يشق اذنه او يثقبها او يجعل فيها الحلقة من الحديد او يثقب صدره او ذكره ويجعل
عليه القفل او يجعل فى عنقه الغل او يحلق لحيته مثل مايفعل هؤلاء القلندرية قلندرى نه بريشست وموى
وبا ابرو * حساب راه قلندر بدانكه موى بموست * كذشتن از سر مو در قلندرى سهلست * چو
حافظ انكه ز سر بكذرد قلندر اوست * ولا سائبة وهم الذين يدورون فى البلاد سيبين خليعى العذار يرتعون
فى مراتع البهيمية والحيوانية بلا لجام الشريعة وقيد الطريقة وهم يدعون انهم اهل الحق قد لعب الشيطان
بهم فاتخذوا آلهتهم هواهم ولا وصيلة وهم الذين يبيحون المحرمات ويستحلون الحرمات ويتصلون بالاجانب
من طريق الاخوة والابوة كالاباحية والزنادقة فيغتر به ويظن انه بلغ مقام الوحدة وانه محى عن النقصان بكل
حال ولا يضره مخالفات الشريعة اذ هو بلغ مقام الحقيقة فهذا كله من وساوس الشيطان وهواجس
النفس ما امر الله بشئ من ذلك ولا رخص لاحد فيه فهؤلاء الذين وضعوا هذه الطريقة وابتدعوها لايعلمون

شيأ من الشريعة والطريقة ولا يهتدون الحقيقة فانهم اهل الطبيعة وارباب الخديعة ولقد شاعت فى الآفاق
فتنهم وكملت فيهم غرتهم ومالهم من دافع ولا مانع ولا وازع على ان الخرق قد اتسع على الراقع

ارى الف بانى لايقوم بهادم * فكيف بيان خلفه الف هادم

(يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم) اى الزموا اصلاح انفسكم وحفظها عما يوجب سخط الله وعذاب الآخرة
(لايضركم) ضلال (من ضل) بالفارسى زيانى نرساند شمارا بى راهى انكس كه كمراه شد (اذا اهتديتم) اذا كنتم
مهتدين والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وفيهم من الضلال بحيث
لايكادون يرعوون عنه بالامر والنهى (الى الله) لا الى احد سواه (مرجعكم) رجوعكم يوم القيامة (جميعا)
الضال والمهتدى (فينبئكم بما كنتم تعملون) فى الدنيا من اعمال الهداية والضلال اى فيجازيكم على ذلك فهو
وعد ووعيد للفريقين المهتدين والضالين وتنبيه على ان احدا لايؤاخذ بعمل غيره ولا يتوهمن ان فى الاية
رخصة فى ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا ومن جملة الاهتداء ان ينكر على المنكر
حسب الطاقة اكر بينى كه نابينا وچاهست * اكر خاموش بنشينى كناهست * وفى الحديث من رأى
منكم منكرا ان استطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وقد روى ان الصديق
قال يوما على المنبر يا ايها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ماهى وانما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله بعقاب فأمروا بالمعروف وانهوا
عن المنكر ولا تغتروا بقول الله تعالى يا ايها الذين الاية فيقول احدكم على نفسى والله لتامرن بالمعروف
وتنهون عن المنكر وليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم ليدعن خياركم فلا يستجاب لهم
ولو قيل لرجل لم لاتأمر بالمعروف قال مرا چه كارست اوقيل لرجل فلانرا امر معروف كن فقال مرا اوچه
كرده است اوقال من عافيت كزيده ام اوقال مرا با اين فضولى چه كار يخاف عليه الكفر فى هذه الصور
(قال المولوى) تو ز كفتار تعالوا كم مكن * كيمياى بس شكرفست اين سخن * كر كسى كردد ز كفتارت
نفير * كيميارا هيچ ازوى وامكير * فالامر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض لايسقط الا عند العجز
عن ذلك وكان السلف معذورين فى بعض الازمان فى ترك الانكار باليد واللسان چو دست وزبانرا
نماند مجال * بهمت نمايند مردى رجال * والحاصل ان هذا يختلف باختلاف الاشخاص والاحوال
والاوقات فعلى المحب ان لايتجاوز عن الحد ويراعى حكم الوقت فان لكل زمان دولة ورجالا والاشارة
يا ايها الذين آمنوا اى ايمان الطالبين الموقنين بان الوجدان فى الطلب كما قال تعالى الا من طلبنى وجدنى عليكم
انفسكم فاشتغلوا بتزكيتها فانه قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فلا تشتغلوا قبل تزكيتها بتزكية نفوس
الخلق ولا تغتروا بارادة الخلق وبقولهم وحسن ظنهم فيكم وتقربهم اليكم فانها للطالب سم الساعة وان مثل
السالك المحتاج الى المسلك والذى يدعى ارادته ويتمسك به كمثل غريق فى البحر محتاج الى سابح كامل فى صنعته
لينجيه من الغرق فيتشبث به غريق آخر فى البحر وهو يأخذ بيده لينجيه فيهلكان جميعا فالواجب على الطالب
المحق ان يتمسك بذيل ارادة صاحب دولة فى هذا الشان مسلك كامل ويستسلم للاحكام ولا يلتفت الى كثرة
الهالكين فانه لايهلك على الله الا هالك لايضركم ايها الطالبون من ضل من المغرقين اذا اهتديتم الى الحق به
الى الله مرجعكم جميعا ايها الطالبون بجذبات العناية على طريق الهداية والمضلون بسلاسل القهر والخذلان
على طريق المكر والعصيان فينبئكم بما كنتم تعملون اى فيذيقكم لذة ثواب اعمالكم اوالم عقوبة اعمالكم والمعنى
ليس للطالب ان يلتفت فى اثناء سلوكه الى احد من اهل الصدق والارادة بان يقبله ليربيه ويغتر بانه شيخ يقتدى به
الى ان يتم امر سلوكه بتسليك مسلك كامل واصل ثم ان يرى شيخه ان له رتبة الشيخوخة فيثبته باشارة الحق
فى مقام التربية ودعوة الخلق فحينئذ يجوز له ان يكون هاديا مرشدا للمريدين باحتياط وافر فقد قال تعالى
ولكل قوم هاد فاما فى زماننا هذا فقد آل الامر الى ان من لم يكن مريدا قط يدعى الشيخوخة ويخبر بالشيخوخة
الجهال والضلال من جهالته وضلالته حرصا لانتشار ذكره وشهرته وكثرة مريديه وقد جعلوا هذا الشان
العظيم والثناء الجسيم لعب الصبيان وضحكة الشيطان حتى يتوارثونه كلما مات واحد منهم يجلسون ابنه
مقامه صغيرا كان او كبيرا ويلبسون منه الخرق ويتبركون به وينزلونه منازل المشايخ فهذه مصيبة قد عمت

ولعل هذه طريقة قدمت فاندرست آثارها والله اعلم باخبارها الى ههنا من الاشارة من التاويلات النجمية
(ياايها الذين آمنوا) تصديره بحرف النداء والتنبيه لاظهار كمال العناية لمضمونه روى ان تميم بن اوس الدارى
وعدى بن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن ابى مريم مولى عمرو بن العاص
وكان مسلما فلما قدما الى الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه اسماء جميع مامعه وطرحه فى درج الثياب
ولم يخبرهما بذلك واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة وزنه ثلثمائة
مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع الى اهله فاصابوا فيه الكتاب فقالوا لهما هل باع صاحبكما شيأ
من متاعه قالا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق شيأ على نفسه قالا لا انما مرض حين قدم البلد فلم يلبث
ان مات قالوا فانا وجدنا فى متاعه صحيفة فيها تسمية متاعه وفيها اناء منقوش مموه بالذهب وزنه ثلثمائة
مثقال قالا ماندرى انما اوصى الينا بشئ وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا ومالنا بالاناء من علم فرفعوهما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ياايها الذين آمنوا فاستحلفهما بعد صلاة العصر عند المنبر بالله الذى
لا اله الا هو انهما لم يخونا شيأ مما دفع ولا كتما فحلفا على ذلك فخلى صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم انه وجد الاناء
فى مكة فقال من بيده اشتريته من تميم وعدى وقيل لما طالت المدة اظهراه فبلغ ذلك بنى سهم اولياء بديل فطلبوه
منهما فقالا كنا اشتريناه من بديل فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيأ فقلتما لا قالا ما كان لنا
بينة فكرهنا ان نقرا به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى فان عثر الاية فقام عمرو
ابن العاص والمطلب بن ابى وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما واتفق
العلماء على ان هذه الاية اشكل ما فى القرءآن اعرابا ونظما وحكما (شهادة بينكم) اى شهادة الخصومات الجارية
بينكم فبين ظرف اضيف اليه شهادة على طريق الاتساع فى الظروف بان يجعل الظرف كانه مفعول للفعل
الواقع فيه فيضاف ذلك الفعل اليه على طريق اضافته الى المفعول نحو ياسارق الليلة اى ياسارقا فى الليلة
وارتفاع الشهادة على انها مبتدأ (اذا حضر احدكم الموت) اى شارفه وظهرت علائمه ظرف للشهادة
(حين الوصية) بدل من الظرف وفى ابداله منه تنبيه على ان الوصية من المهمات المقررة التى لا ينبغى ان يتهاون
بها المسلم ويذهل عنها (اثنان) خبر للمبتدأ بتقدير المضاف لئلا يلزم حمل العين على المعنى اى شهادة بينكم حينئذ
شهادة اثنين اوفاعل شهادة بينكم على ان خبرها محذوف اى فيما نزل عليكم ان يشهد بينكم اثنان واختلفوا
فى هذين الاثنين فقال قوم هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصى وقال آخرون هما الوصيان لان
الاية نزلت فيهما ولانه قال تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان ولا يلزم الشاهدين الايصاء وان صح الى احد
الا انه ورد فى الاية الايصاء الى اثنين احتياطا واعتضادا احدهما بالاخر فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور
كقولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرت والشهيد الذى حضرته الوفاة فى الغزو حتى لومضى عليه وقت صلاة
وهو حى لا يسمى شهيدا لان الوفاة لم تحضره فى الغزو (ذوا عدل منكم) هما صفتان للاثنان اى صاحبا امانة
وعقل من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت وانصح له واقرب الى تحرى ماهو اصلح له اومن اهل دينكم يامعشر
المؤمنين وهذه جملة تامة تتناول حكم الشهادة على الوصية فى الحضر والسفر (او آخران من غيركم) عطف على
اثنان اى اوشهادة عدلين آخرين من غيركم اى من الاجانب اومن غير اهل دينكم اى من اهل الذمة وقد كان ذلك
فى بدأ الاسلام لعزة وجود المسلمين لاسيما فى السفر ثم نسخ بقوله تعالى واشهدوا ذوى عدل منكم فلا يقبل
شهادة الذمى على المسلم لعدم ولايته عليه والشهادة من باب الولاية ويقبل شهادة الذمى على الذمى لان اهل
الذمة بعضهم اولياء بعض (ان انتم ضربتم فى الارض) اى سرتم وسافرتم فيها (فاصابتكم مصيبة الموت) عطف
على الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اى ان سافرتم فقاربكم الاجل حينئذ وما معكم من الاقارب
اومن اهل الاسلام من يتولى لامر الشهادة كما هو الغالب المعتاد فى الاسفار فشهادة بينكم شهادة آخرين
اوفان يشهد آخران فقوله تعالى ان انتم ضربتم تقييد لقوله او آخران من غيركم (تحبسونهما) استئناف وقع
جوابا عما نشأ من اشتراط العدالة كانه قيل فكيف نصنع ان ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما اى تقفونهما
وتصبرونهما للتحليف (من بعد الصلاة) من صلة واللام للعهد الخارجى اى بعد صلاة العصر لتعينها عندهم
بالتحليف بعدها لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولان جميع اهل الايمان

يعظمون

يعظمون ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقد روى ان النبى عليه السلام وقتئذ حلف من حلف قال الشافعى
الايمان تغلظ فى الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتى درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر
بمكة بين الركن والمقام وفى المدينة عند المنبر وفى بيت المقدس عند الصخرة وفى سائر البلدان فى اشرف المساجد
وقال ابو حنيفة لا يختص الحلف بزمان ومكان (فيقسمان بالله) عطف على تحبسونهما (ان ارتبتم) شرطية
محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سيقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه
للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب اى ان ارتاب فيهما الوارث منكم بخيانة واخذ شئ
من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله (لا نشترى به ثمنا) جواب القسم اى مقسم عليه فان قوله فيقسمان
يتضمن قسما مضمرا فيه والاشتراء استبدال السلعة بالثمن اى اخذها بدلا منه ثم استعير لاخذ شئ بازالة
ما عنده عينا كان اومعنى على وجه الرغبة فى المأخوذ والاعراض عن الزائل كما هو المعتبر فى المستعار منه
والضمير فى به لله والمعنى لا نأخذ لانفسنا بدلا من الله اى من حرمته عرضا من الدنيا بان نهتكها ونزيلها
بالحلف الكاذب اى لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال وطمع الدنيا (ولو كان) اى المقسم له المدلول عليه
بفحوى الكلام وهو الميت (ذا قربى) اى قريبا منا فى الرحم تأكيد لتبرئهم من الحلف كاذبا ومبالغة فى التنزه
كانهما قالا لا نأخذ لانفسنا بدلا من حرمة اسمه تعالى مالا ولو انضم اليه رعاية جانب الاقرباء فقد انضم اليها
ما هو اقوى منها وادعى الى الحلف كاذبا وهى صيانة حظ انفسهما فلا يتحقق ما قصداه من المبالغة فى التنزه
عنه والتبرى منه قلت صيانة انفسهما وان كانت اهم من رعاية الاقرباء لكنها ليست ضميمة للمال بل راجعة
اليه (ولا نكتم شهادة الله) معطوف على لا نشترى به داخل معه فى حكم القسم وشهادة الله منصوب على انها
مفعول بها اضيفت اليه تعالى لانه هو الآمر بها وبحفظها وعدم كتمانها وتضييعها (انا اذا) اى اذ كتمناها (لمن
الآثمين) اى العاصين (فان عثر) اى اطلع بعد التحليف (على انهما استحقا اثما) اى فعلا ما اوجب اثما من تحريف
وكتم بان ظهر بايديهما شئ من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه (فآخران) اى رجلان آخران
وهو مبتدأ خبره (يقومان مقامهما) اى مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة
التى تولياها ولم يؤدياها كما هى بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لاظهار الحق (من الذين) حال
من فاعل يقومان اى من اهل الميت الذين (استحق عليهم الاوليان) من بينهم اى الاقربان الى الميت الوارثان
له الاحقان بالشهادة اى باليمين ومفعول استحق محذوف اى استحق عليهم ان يجردوهما للقيام بالشهادة
ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما فى الحقيقة الآخران القائمان مقام الاولين على وضع المظهر
مقام المضمر فاستحق مبنى للفاعل والاوليان فاعله وهو تثنية الاولى بالفتح بمعنى الاقرب وقرئ على البناء
للمفعول وهو الاظهر اى من الذين استحق عليهم الاثم اى جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته فالاوليان
مرفوع على انه خبر لمحذوف كانه قيل ومن هم فقيل الاوليان (فيقسمان بالله) عطف على يقومان (لشهادتنا)
المراد بالشهادة اليمين كما فى قوله تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات بالله اى ليميننا على انهما كاذبان على
ما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة فى نفسها (احق) بالقبول (من شهادتهما) اى من يمينهما مع
كونها كاذبة فى نفسها لما انه قد ظهر للناس استحقاقهما للاثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة
التفضيل مع انه لا حقية فى يمينهما رأسا انما هى لامكان قبولها فى الجملة باعتبار احتمال صدقهما فى ادعاء
تملكهما لما ظهر فى ايديهما (وما اعتدينا) عطف على جواب القسم اى ما تجاوزنا فيها شهادة الحق وما اعتدينا
عليهما بابطال حقهما (انا اذا) اى اذا اعتدينا فى يميننا (لمن الظالمين) انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى
وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى اولمن الواضعين الحق فى غير موضعه ومعنى النظم الكريم ان المحتضر
ينبغى ان يشهد على وصيته عدلين من ذوى نسبه اودينه فان لم يجدهما بان كان فى سفر فآخرين من غيرهم ثم ان
وقع ارتياب بهما اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيأ بالتغليظ فى الوقت فان اطلع بعد ذلك
على كذبهما بان ظهر بايديهما شئ من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بايمانهم وانما ينقل
اليمين الى الاولياء لان الوصيين ادعيا انهما ابتاعاه والوصى اذا اخذ شيأ من مال الميت وقال انه اوصى به
حلف الوارث اذا انكر ذلك وتحليف المنكر ليس بمنسوخ (ذلك) اى الحكم الذى تقدم تفصيله
(ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها) اى اقرب الى ان تؤدى الشهود الشهادة على وجهها الذى

تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الاخروى هذا كما ترى حكمة شرعية التحليف
بالتغليظ المذكور (او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم) بيان لحكمة شرعية رد اليمين على الورثة معطوف
على مقدر ينبىء عنه المقام كانه قيل ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الآخرة بسبب
اليمين الكاذبة او يخافوا الافتضاح على رؤس الاشهاد بابطال ايمانهم والعمل بايمان الورثة فينزجروا عن
الخيانة المؤدية اليه فاى الخوفين وقع حصل المقصود الذى هو الاتيان بالشهادة على وجهها (واتقوا الله)
فى شهادتكم فلا تحرفوها وفى ايمانكم فلا تحلفوا ايمانا كاذبة وفى اماناتكم فلا تخونوها وفيما بينه الله من
الاحكام فلا تخالفوا حكمه (واسمعوا) ما توعظون به كائنا ما كان سمع طاعة وقبول (والله لا يهدى القوم
الفاسقين) الخارجين عن الطاعة اى فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين اى
الى طريق الجنة او الى ما فيه نفعهم واعلم ان الشهادة فى الشرع الاخبار عن امر حضره الشهود وشاهدوه اما
معاينة كالافعال نحو القتل والزنى او سماعا كالعقود والاقرارات فلا يجوز له ان يشهد الا بما حضره وعلمه
وسمعه ولهذا لا يجوز له اداء الشهادة حتى تذكر الحادثة وفى الحديث اذا علمت مثل الشمس فاشهد والا فدع
وفى الشهادة احياء حقوق الناس وصون العقود عن التجاحد وحفظ الاموال على اربابها وفى الحديث
اكرموا شهودكم فان الله يستخرج بهم الحقوق ومن تعين للتحمل لا يسعه ان يمتنع اذا طلب لما فيه من تضييع
الحقوق الا ان يقوم الحق بغيره بان يكون فى الصك سواه ممن يقوم الحق به فيجوز له الامتناع لان الحق لا يضيع
بامتناعه وهو مخير فى الحدود بين الشهادة والستر لان اقامة الحدود حسبة والستر على المسلم حسبة والستر
افضل وفى الحديث من ستر على مسلم ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة ثم اعلم ان اليمين الفاجرة تبقى الديار بلاقع
فينبغى لطالب الآخرة ان يجتنب عن الكذب لطمع الدنيا وان يختار الصدق فى كل قول وفعل (قال الحافظ)
طريق صدق بياموز از آب صافى دل * براستى طلب آزادكى چو سرو چمن * والامانة من الاوصاف
الجميلة والله تعالى يأمر باداء الامانات وان قل اصحابها فى هذا الزمان ولله در القائل * امين مجوى ومكو
باكسى امانت عشق * درين زمانه مكر جبرئيل امين باشد * وعاقبة الخيانة الافتضاح (كما قال الصائب)
خيانتهاى پنهان ميكشد آخر برسوايى * كه دزد خانكى را شحنه در بازار ميكردد * فلا بد من التقوى
وسماع الاحكام الازلية والله لا يهدى الى حضرته القوم الفاسقين يعنى الذين كانوا خارجين عند رشاش
النور واصابته كما قال عليه السلام فمن اصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن اخطأ فقد ضل عصمنا الله واياكم
عن مخالفة امره ولا يجعلنا ممن ضاع انفاس عمره انه هو الموفق والمرشد والوهاب (يوم يجمع الله الرسل) اى
اذكروا يوم يجمع الله الرسل وهو يوم القيامة والمراد جمعهم وجمع اممهم وانما لم يذكر الامم لانهم اتباع لهم
(فيقول) اى الله تعالى للرسل (ماذا اجبتم) اى اى اجابة اجبتم من جهة الامم حين دعوتموهم الى توحيدى
وطاعتى اجابة اقرار وتصديق ام اجابة انكار وتكذيب فماذا فى محل النصب على انه مفعول مطلق للفعل
المذكور بعده وفيه اشارة الى خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبغى والا لصدر الخطاب بان يقال هل بلغتم
رسالتى ولم يقل ماذا اجابوا ابناء على كمال تحقير شأنهم وشدة الغيظ والسخط عليهم فان قلت ما وجه السؤال مع
انه تعالى لا يخفى عليه شىء قلت توبيخ القوم كما ان قوله تعالى واذا الموؤدة سئلت باى ذنب قتلت المقصود منه
توبيخ من فعل ذلك الفعل بها (قالوا) كانه قيل فماذا يقول الرسل هنالك فقيل يقولون (لا علم لنا) بما كنت انت
تعلم (انك انت علام الغيوب) تعليل لذلك اى لانك تعلم ما اضمروه وما اظهروه ونحن لا نعلم الا ما اظهروه فعلمنا
فى علمك كالمعدوم وهذا الجواب يتضمن التشكى من الامم كانه قيل علمك محيط بجميع المعلومات فتعلم بما ابتلينا
من قبلهم وكابدنا من سوء اجابتهم فنلتجئ اليك فى الانتقام منهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان هذا
الجواب انما يكون فى بعض مواطن القيامة وذلك عند زفرة جهنم وجثو الامم على الركب لا يبقى ملك مقرب
ولا نبى مرسل الا قال نفسى نفسى فعند ذلك تطير القلوب من اماكنها فيقول الرسل من شدة هول المسألة وهول
الموطن لا علم لنا انك انت علام الغيوب وترجع اليهم عقولهم فيشهدون على قومهم انهم بلغوهم الرسالة وان
قومهم كيف ردوا عليهم فان قيل كيف يصح ذهول العقل مع قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر قيل ان الفزع
الاكبر دخول جهنم (قال السعدى) دران روز كز فعل پرسند وقول * اولو العزم را تن بلرزد ز هول * بجايى

كه دهشت خورد انبيا * تو عذر كنه را چه دارى بيا * برادر ز كار بدان شرم دار * كه در روى نيكان شوى
شرمسار * سر از جيب غفلت برآور كنون * كه فردا نماند بخجلت نكون * وقيل قولهم لا علم لنا
ليس المقصود منه نفى العلم بجوابهم حال التبليغ ولا وقت حياة الانبياء بل المقصود نفى علمهم بما كان من الامم
بعد وفاة الانبياء فى العاقبة وآخر الامر الذى به الاعتبار لان الثواب والعقاب انما يدوران على الخاتمة وذلك
غير معلوم لهم فلهذا المعنى قالوا لا علم لنا وفى الحديث انى على الحوض انظر من يرد على منكم والله ليقطعن
دونى رجال فلاقولن اى ربى منى ومن امتى فيقول انك لا تدرى ما احدثوا بعدك ما زالوا يرجعون على اعقابهم
وهو عبارة عن ارتدادهم اعم من ان يكون من الاعمال الصالحة الى السيئة او من الاسلام الى الكفر
وفى الحديث يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل
بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وامته فيشهدون انه قد بلغ فذلك قوله تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس انما شهد محمد وامته بذلك مع انهم بعد نوح لعلمهم بالقرآن
ان الانبياء كلهم قد بلغوا اممهم ما ارسلوا به وقد جاء فى الرواية ثم يؤتى بمحمد فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد
بصدقهم فذلك قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا فعلى العاقل ان يجيب الى دعوة الحق وينتصح بنصيحة
الناصح الصدق * امروز قدر پند عزيزان شناختم * يا رب روان ناصح ما از تو شاد باد * واعلم
ان القيامة يوم يتجلى الحق فيه بالصفة القهارية قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قال حضرة شيخنا
العلامة ابقاه الله بالسلامة هذا ترتيب انيق فان الذات الاحدى يدفع بوحدته الكثرة ويقهره الآثار فيضمحل
الكل فلا يبقى سواه تعالى وقيامة العارفين دائمة لانهم يكاشفون الامور ويشاهدون الاقوال فى كل موطن
على ما هى عليه وهى القيامة الكبرى وحشر الخواص بل الاخص اللهم اجعلنا ممن مات بالاختيار قبل الموت
بالاضطرار (اذ قال الله يا عيسى ابن مريم) اى اذكروا ايها المؤمنون وقت قول الله تعالى لعيسى ابن مريم وهو
يوم القيامة (اذكر نعمتى) اى انعامى (عليك وعلى والدتك) وليس المراد بامره عليه السلام يومئذ بذكر النعم
تكليف الشكر اذ قد مضى وقته فى الدنيا بل ليكون حجة على من كفر حيث اظهر الله على يده معجزات كثيرة
فكذبته طائفة وسموه ساحرا وغلا آخرون فاتخذوه الها فيكون ذلك حسرة وندامة عليهم يوم القيامة والفائدة
فى ذكرامه ان الناس تكلموا فيها كما تكلموا فيه وانعم الله تعالى نعمة نعمة فقال (اذ ايدتك) ظرف لنعمتى اى اذكر
انعامى عليكما وقت تأييدى لك (بروح القدس) اى بجبريل الطاهر على ان القدس الطهور واضيف اليه الروح
مدحا له بكمال اختصاصه بالطهر كما فى رجل صدق ومعنى تأييده به ان جبريل عليه السلام يجعل حجته ثابتة
مقررة (تكلم الناس فى المهد وكهلا) استئناف مبين لتأييده عليه السلام والمعنى تكلمهم فى الطفولة والكهولة
على سواء اى من غير ان يوجد تفاوت بين كلامه طفلا وبين كلامه كهلا فى كونه صادرا عن كمال العقل وموافقا
لكمال الانبياء والحكماء فانه تكلم حال كونه فى المهد اى فى حجر الام او الذى يربى فيه الطفل بقوله انى عبد الله
آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وتكلم كهلا بالوحى
والنبوة فتكلمه فى تينك الحالتين على حد واحد وصفة واحدة من غير تفاوت معجزة عظيمة حصلت له وما حصلت
لاحد من الانبياء قبله ولا بعده وكل معجزة ظهرت منه كما انها نعمة فى حقه فكذلك هى نعمة فى حق امه لانها
تدل على براءة ساحتها مما نسبوها اليه واتهموها به وحمل مريم ما كان من الرجال كسائر النساء وانما كان
بروح منه كما قال تعالى ومريم ابنة عمران التى احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا فهذه نعمة خاصة بمريم
وكذلك ولادة عيسى وخلقته ما كانت من نطف الرجال وانما كانت كلمته القاها الى مريم وروح منه فهذه
نعمة خاصة بعيسى والكهل من الرجال الذى جاوز الثلاثين ووخطه الشيب اى خالطه وقيل المراد بتكلمه كهلا
ان يكلم الناس بعد ان ينزل من السماء فى آخر الزمان بناء على انه رفع قبل ان اكتهل فيكون قوله تعالى وكهلا
دليلا على نزوله وروى ان الله تعالى ارسله وهو ابن ثلاثين سنة فمكث فى رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى
اليه وينزل على هذا السن ثم يكهل (واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) اى اذكر نعمتى عليكما
وقت تعليمى لك جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان بالذكر مع دخولهما فى الجنس اظهارا لشرفهما والمراد
بالحكمة العلم والفهم لمعانى الكتب المنزلة واسرارها وقيل هى استكمال النفس بالعلم بها وبالعمل بمقتضاها

(واذ تخلق من الطين كهيئة الطير) اى تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير (باذنى) اى بتسهيلى وتيسيرى
(فتنفخ فيها) اى فى الهيئة المصورة (فتكون) اى تلك الهيئة (طيرا باذنى) فالخلق حقيقة لله تعالى ظاهر على يده
عليه السلام عند مباشرة الاسباب كما ان النفخ بمريم كان من جبريل والخلق من الله تعالى سألوا منه عليه السلام
على وجه التعنت فقالوا له اخلق لنا خفاشا واجعل فيه روحا ان كنت صادقا فى مقالتك فاخذ طينا وجعل
منه خفاشا ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض وانما طلبوا منه خلق خفاش لانه اعجب من سائر الخلق
ومن عجائبه انه لحم ودم يطير بغير ريش ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور وله ضرع يخرج منه
اللبن ولا يبصر فى ضوء النهار ولا فى ظلمة الليل وانما يرى فى ساعتين بعد غروب الشمس ساعة وبعد طلوع الفجر
ساعة قبل ان يسفر جدا ويضحك كما يضحك الانسان ويحيض كما تحيض المرأة فلما رأوا ذلك منه ضحكوا وقالوا هذا
سحر (وتبرئ الاكمه والابرص باذنى) الاكمه الذى ولد اعمى والابرص هو الذى به برص اى بياض فى الجلد ولو
كان بحيث اذا غرز بابرة لا يخرج منه الدم لا يقبل العلاج ولذا خصا بالذكر وكلاهما مما اعيى الاطباء (وفى المثنوى
صومعه عيسى است خوان اهل دل * هان هان اى مبتلا اين در مهل * جمع كشتندى ز هر اطراف
خلق * از ضرير وشل ولنك واهل دلق * او چو كشتى فارغ از اوراد خويش * چاشتكه بيرون شدى آن خوب
كيش * پس دعا كردى وكفتى از خدا * حاجت ومقصود جمله شد روا * بى توقف جمله شادان در امان *
ز دعاى او شدندى باروان * آزمودى تو بسى آفات خويش * يافتى صحت ازين شاهان كيش * چند آن
لنكى تو رهوار شد * چند جانت بى غم وآزار شد (واذ تخرج الموتى باذنى) اى تحيى الموتى وتخرجهم من
قبورهم احياء قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وجارية كما سبق تفصيله فى سورة آل عمران قال الكلبى كان عيسى
عليه السلام يحيى الموتى بياحى ويا قيوم وهو الاسم الاعظم عند العلماء المحققين (واذ كففت بنى اسرائيل عنك)
اى منعت اليهود الذين ارادوا بك السوء عن التعرض لك (اذ جئتهم بالبينات) بالمعجزات الواضحة ظرف لكففت
(فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين) اى ما هذا الذى جئت به الا سحر ظاهر ردوا وانكار ابقوا على
مرض الكفر ولم يعالجوا بعلاج الايمان على يد الحكيم الالهى الحاذق حكى عن الشبلى انه اعتل فحمل الى
البيمارستان وكتب على بن عيسى الوزير الى الخليفة فى ذلك فارسل الخليفة اليه مقدم الاطباء ليداويه فما
انجعت مداواته قال الطبيب للشبلى والله لو علمت ان مداواتك فى قطعة لحم من جسدى ما عسر على ذلك قال
الشبلى دوائى فيما دون ذلك قال الطبيب وما هو قال بقطعك الزنار فقال الطبيب اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان
محمدا رسول الله فاخبر الخليفة بذلك فبكى وقال نفذنا طبيبا الى مريض وما علمنا انا نفذنا مريضا الى طبيب قال
اليافعى هذا هو الطبيب الحاذق وحكمته من الحكمة التى بها العلل تزول وفيه اقول

اذا ما طبيب القلب اصبح جسمه * عليلا فمن ذا للطبيب طبيب
فقل هم اولوا علم لدنى وحكمة * الهية يشفى بذا القلوب

وكل مرشد كامل فهو عيسى وقته فان قلت ان اولياء الله هم الاطباء حقيقة ومن شأن الطبيب ان يعالج ويبرئ
دون ان يهلك ويمرض فما شأن ابراهيم الخواص اشار باصبعيه الى عينى رجل فى برية اراد ان يسلب منه
ثيابه فسقطتا قلت انما دعا ابراهيم على اللص بالعمى ودعا ابراهيم بن ادهم على الذى ضربه بالجنة لان
الخواص شهد من اللص انه لا يتوب الا بعد العقوبة فرأى العقوبة اصلح له وابن ادهم لم يشهد توبة الظالم
فى عقوبته فتفضل عليه بالدعاء فتوة منه وكرما لخصلات البركة والخير بدعائه للظالم فجاءه مستغفرا معتذرا
فقال له ابراهيم الرأس الذى تحتاج الى الاعتذار تركته ببلخ وقد كان الانبياء يدعون مطلقا بحسب الاحوال
والمصالح وكل ذلك باذن الله تعالى فهم فى دعائهم فانون عن انانيات وجودهم لا يصدر من لسانهم الا حق مطابق
للواقع والحكمة والاولياء تلو لهم فى ذلك ولكن الناس لا يعلمون (وفى المثنوى) چون يساطن بنكرى
دعوى كجاست * او ودعوى پيش آن سلطان فناست * مات زيد زيد اكر فاعل بود * ليك فاعل
نيست او عاطل بود * او ز روى لفظ نحوى فاعلست * ورنه او مفعول وموتش قاتلست (واذ اوحيت الى
الحواريين) جمع حوارى يقال فلان حوارى فلان اى صفوته وخالصته من الحور وهو البياض الخالص
سمى به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وكان بعضهم من الملوك وبعضهم من

صيادى السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين اى اذكر يا محمد وقت ان امرتهم على
السنة رسلى او الهمت اياهم والقيت فى قلوبهم (ان) مفسرة لما فى الايحاء من معنى القول (آمنوا بى)
اى بوحدانيتى فى الربوبية والالوهية (وبرسولى) اى وبرسالة رسولى ولا تزيلوه عن حيزه حطا ولا رفعا (قالوا)
كانه قيل فماذا قالوا حين اوحى اليهم ذلك فقيل قالوا (آمنا واشهد باننا مسلمون) اى مخلصون فى ايماننا من
اسلم وجهه لله اى اخلص (اذ قال الحواريون) منصوب باذكر (يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل
علينا مائدة من السماء) هذا السؤال كان فى ابتداء امرهم قبل ان يستحكم معرفتهم بالله ولذلك اساؤا
الادب مع عيسى عليه السلام حيث لم يقولوا يا رسول الله او يا روح الله وخاطبوه باسمه ونسبوه الى امه
ولو وفقوا للادب لقالوا يا روح الله ونسبوه الى الله ثم رفضوا الادب مع الله وقالوا هل يستطيع ربك كالمتشكك
فى استطاعته وكمال قدرته على ما يشاء كيف يشاء ثم اظهروا دناءة همتهم وخساسة نهمتهم اذ طلبوا بواسطة
مثل عيسى من الله تعالى مائدة دنيوية فانية وما رغبوا فى فائدة دينية باقية ولو رغبوا فى الفائدة
الدينية لنالوا المائدة الدنيوية ايضا قال الله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث
الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب والمائدة الخوان الذى عليه الطعام من ماده اذا اعطاه ورفده
كانها تميد من تقدم اليها ونظيره قولهم شجرة مطعمة قال فى الشرعة وضع الطعام على الارض احب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم على السفرة وهى على الارض والاكل على الخوان فعل الملوك اى آداب
الجبارين لئلا يتطأطؤا عند الاكل وعلى المنديل فعل العجم اى اهل فارس من المتكبرين وعلى السفرة فعل
العرب وهى فى الاصل طعام يتخذه المسافر للسفر ثم سمى به الجلد المستدير المحمول هو فيه (قال) كانه قيل فماذا
قال لهم عيسى عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال (اتقوا الله) اى من امثال هذا السؤال (ان كنتم
مؤمنين) اى بكمال قدرته تعالى او بصحة نبوتى (قالوا نريد ان نأكل منها) تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال
لا نريد بالسؤال ازالة شبهتنا فى قدرته تعالى على تنزيلها او فى صحة نبوتك حتى يقدح ذلك فى الايمان والتقوى بل
نريد ان نأكل منها اى اكل تبرك نتشفى بسببها مرضانا ونتقوى بها اصحاؤنا ويستغنى بها فقراؤنا وقيل مرادهم
اكل احتياج لانهم قالوا ذلك فى زمن المجاعة والقحط (وتطمئن قلوبنا) لكمال قدرته تعالى بانضمام علم المشاهدة
الى علم الاستدلال (ونعلم) علما يقينا (ان) مخففة اى انه (قد صدقتنا) فى دعوى النبوة وان الله يجيب دعوتنا
وان كنا عالمين بذلك من قبل (ونكون عليها من الشاهدين) نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بنى اسرائيل
ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين للعين دون
السامعين للخبر (قال عيسى ابن مريم) لما رأى عليه السلام ان لهم غرضا صحيحا فى ذلك وانهم لا يقلعون عنه ازمع
على استدعائها واستنزالها واراد ان يلزمهم الحجة بكمالها (اللهم) اى يا الله والميم عوض عن حرف النداء وهى كلمة
عظيمة من قالها فقد ذكر الله تعالى بجميع اسمائه وفى الميم سبعون اسما من اسمائه تعالى وقد اندرجت منها (ربنا)
ناداه سبحانه مرتين اظهارا لغاية التضرع ومبالغة فى الاستدعاء (انزل علينا مائدة من السماء) متعلق بانزل
(تكون لنا عيدا) صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها عيدا ولنا حال منه اى يكون يوم نزولها عيدا
نعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم مستفاد من شرفها وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمى يوم
العيد عيدا (لاولنا وآخرنا) بدل من لنا باعادة العامل اى عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روى انها نزلت يوم الاحد
ولذلك اتخذه النصارى عيدا (وآية) كائنة (منك) دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتى (وارزقنا) اى المائدة
والشكر عليها (وانت خير الرازقين) تذييل جارى مجرى التعليل اى خير من يرزق لانه خالق الارزاق ومعطيها
بلا عوض (قال الله انى منزلها عليكم) اجابة الى سؤالكم (فمن يكفر بعد) اى بعد تنزيلها (منكم) حال من فاعل
يكفر (فانى اعذبه) بسبب كفره بعد معاينة هذه الآية الباهرة (عذابا) اسم مصدر بمعنى التعذيب اى تعذيبا
(لا اعذبه) صفة لعذابا والضمير له اى اعذبه تعذيبا لا اعذب ذلك التعذيب اى مثل ذلك التعذيب (احدا من
العالمين) اى من عالمى زمانهم او من العالمين جميعا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب مثل ذلك غيرهم
روى ان عيسى عليه السلام اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأطأ رأسه وغض بصره ثم دعا فنزلت سفرة
حمراء بين غمامتين وهم ينظرون حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى

من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل الذى عليها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوكة يسيل دسمها وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من انواع البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون رأس الحواريين يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيى باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية فلبثت المائدة يوما واحدا فاكل من اكل منها ثم طارت ولم تنزل بعد ذلك اليوم وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا اى تنزل يوما ولا تنزل يوما يجتمع عليها الفقرآء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون فى ظلها ولم يأكل منها فقير الا غنى مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتى فى الفقرآء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس بذلك اى تعاظم على الاغنياء والاصحاء حتى شكوا وشككوا الناس فى شأن المائدة ونزولها من السماء حقيقة فمسخ منهم من مسخ فاصبحوا خنازير يسعون فى الطرقات والكناسات ويأكلون العذرة فى الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى وبكوا على الممسوخين فلما ابصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف به وجعل يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤسهم فلا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا وكذلك كل ممسوخ والاشارة ان الله تعالى سلخ صورة الانسانية عن حقائق صفات الحيوانية والبسهم الصور من حقائق صفاتهم فمسخوا خنازير ليعتبر الخلق ويتحقق لهم ان الناس يحشرون على صور صفاتهم يوم تبلى السرآئر يوم تبيض وجوه وتسود وجوه كما قال عليه السلام يموت الناس على ما عاشوا فيه ويحشرون على ما ماتوا عليه يعنى يحشرون على صورة صفاتهم التى ماتوا عليها (وفى المثنوى)

هر خيالى كو كند در دل وطن * روز محشر صورتى خواهد بدن * وانكه حشر حاسدان روز كزند *
بى كمان برصورت كركان كنند * حشر پر حرص وخس ومردار خوار * صورت خوكى بود روز شمار *
زانيانرا كنده اندام نهان * خمرخوارانرا همه كنده دهان * سيرتى كاندر وجودت غالبست *
هم بران تصوير حشرت واجبست * قال القاضى فى تفسيره وعن بعض الصوفية المائدة عبارة عن

حقائق المعارف فانها غذآء الروح كما ان الاطعمة غذآء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا فى حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها وقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والجواب فيها فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يتحمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا انتهى كلام القاضى قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره ان قوم عيسى عليه السلام عصوا مرة فرفعت المائدة وانا نعصى فى كل وقت مع ان نعم الله تعالى مترادفة وذلك لان المائدة التى نزلت عليهم من مرتبة الصفة والنعم الفائضة علينا من مرتبة الذات وما هو من الذات لا يتغير ولا يتبدل وانما التغير فى الصفة وقد بقى هنا شئ وهو ان الاعياد اربعة لاربعة اقوام احدها عيد قوم ابراهيم كسر الاصنام حين خرج قومه الى عيد لهم والعيد الثانى عيد قوم موسى واليه الاشارة بقوله تعالى فى سورة طه قال موعدكم يوم الزينة والعيد الثالث عيد قوم عيسى واليه الاشارة بقوله تعالى ربنا انزل علينا مائدة الآية والعيد الرابع عيد امة محمد عليه السلام وهو ثلاثة عيد يتكرر كل اسبوع وعيدان يأتيان فى كل عام مرة من غير تكرر فى السنة فاما العيد المتكرر فهو يوم الجمعة وهو عيد الاسبوع وهو مرتب على اكمال الصلوات المكتوبات لان الله فرض على المؤمنين فى اليوم والليلة خمس صلوات وان الدنيا تدور على سبعة ايام فكلما كمل دور اسبوع من ايام الدنيا واستكمل المسلمون صلواتهم شرع لهم فى يوم استكمالهم يوم الجمعة وهو اليوم الذى كمل فيه الخلق وفيه خلق آدم وادخل الجنة واخرج منها وفيه ينتهى امر الدنيا فتزول وتقوم الساعة فيه وفيه الاجتماع على سماع الذكر والموعظة وصلاة الجمعة وجعل ذلك لهم عيدا ولذلك نهى عن افراده بالصوم وفى شهود الجمعة شبه من الحج ويروى انها حج المساكين وقال سعيد بن المسيب شهود الجمعة احب الى من حجة نافلة والتكبير فيها يقوم مقام الهدى على

قدر السبق وشهود الجمعة يوجب تكفير الذنوب الى الجمعة الاخرى اذا سلم ما بين الجمعتين من الكبائر كما ان الحج المبرور يكفر ذنوب تلك السنة الى الحجة الاخرى وقد روى اذا سلمت الجمعة سلمت الايام واما العيدان اللذان يتكرران فى كل عام انما يأتى كل واحد منهما مرة واحدة فاحدهما عيد الفطر من صوم رمضان وهو مرتب على اكمال الصيام وهو الركن الثالث من اركان الاسلام ومبانيه فاذا استكمل المسلمون صيام شهرهم المفروض عليهم استوجبوا من الله المغفرة والعتق من النار فان صيامه يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب وآخره عتق من النار والعيد الثانى عيد النحر وهو اكبر العيدين وافضلهما وهو مترتب على اكمال الحج وهو الركن الرابع من اركان الاسلام ومبانيه فاذا اكمل المسلمون حجهم غفر لهم وانما يكمل الحج يوم عرفة والوقوف بعرفة فانه ركن الحج الاعظم وروى انس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال قد ابدلكم الله بهما خيرا منهما الفطر والاضحى واجتمعت الامة على هذا من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا بلا نكير منكر فهذه اعياد الدنيا تذكر اعياد الآخرة وقد قيل كل يوم كان للمسلمين عيدا فى الدنيا فهو عيد لهم فى الجنة يجتمعون فيه على زيارة ربهم ويتجلى لهم فيه فيوم الجمعة فى الجنة يدعى يوم المزيد ويوم الفطر والاضحى يجتمع اهل الجمعة فيهما للزيارة هذا لعموم اهل الجنة واما خواصهم فكل يوم لهم عيد يزورون ربهم كل يوم مرتين بكرة وعشيا والخواص كانت ايام الدنيا كلها لهم اعيادا فصارت ايامهم فى الآخرة كلها اعيادا واما اخص الخواص فكل نفس عيد لهم قال فى التأويلات النجمية ربنا انزل علينا مائدة من السماء اى مائدة الاسرار والحقائق التى تنزلها من سماء العناية عليها اطعمة الهداية تكون لنا يعنى لاهل الحق وارباب الصدق عيدا نفرح بها لاولنا وآخرنا اى لاول انفاسنا وآخرها فان ارباب الحقيقة يراقبون الانفاس اولها وآخرها التصعد مع الله وتهوى مع الله ففى صعود النفس مع الله يكون عيد اله وفى هويه مع الله يكون عيدا له كما قال بالفارسية صوفيان در همى دو عيد كنند (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم) اى اذكر يا محمد للناس وقت قول الله تعالى لعيسى عليه السلام فى الآخرة توبيخا للكفرة وتبكيتا لهم باقراره عليه السلام على رؤس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بعبادته تعالى (ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين) مفعول ثان للاتخاذ (من دون الله) حال من فاعل اتخذونى كانه قيل صيرونى وامى الهين اى معبودين متجاوزين عن الوهية الله تعالى ومعبوديته والمراد اتخاذهما بطريق اشراكهما به سبحانه كما فى قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا الا ان احدا منهم لم يذهب الى القول بالهية عيسى ومريم مع القول بنفى الهية الله تعالى ولما لم يكن المقصود انكار نفس القول بل قصد توبيخ من قال به ولى حرف الاستفهام المبتدأ ولم يقل كذا لانه يفيد انكار نفس القول قال المولى ابو السعود رحمه الله ايس مدار اصل الكلام ان القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من ايلاء الهمزة المبتدأ على الاستعمال الفاشى وعليه قوله تعالى ءانت فعلت هذا بالهتنا ونظائره بل على ان المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام لتعيين انه بامره عليه السلام او من تلقاء انفسهم كما فى قوله تعالى ءانتم اضللتم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل انتهى قال فى التأويلات النجمية الاثبات بعد الاستفهام نفى كما ان النفى بعد الاستفهام اثبات كقوله الست بربكم اى انا ربكم ونظير النفى فى الاثبات قوله تعالى ءاله مع الله اى ليس مع الله آله فمعناه ما قلت انت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله ولكنهم بجهلهم قد بالغوا فى تعظيمك حتى اطروك وجاوزوا حدك فى المدح ولهذا قال النبى عليه السلام لا تطرونى كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم انتهى فان قيل ما وجه هذا السؤال مع علمه تعالى مع ان عيسى عليه السلام لم يقله قيل ذلك لتوبيخ قومه وتعظيم امر هذه المقالة قال ابو روق اذا سمع عيسى هذا الخطاب ارتعدت مفاصله وانفجرت من اصل كل شعرة من جسده عين من دم وهذا الخطاب وان كان ظاهره مع عيسى ولكن كان حقيقة مع الامة لان سنة الله ان لا يكلم الكفار يوم القيامة ولا ينظر اليهم (قال) كانه قيل فماذا يقول عيسى حينئذ فقيل يقول (سبحانك) علم للتسبيح اى انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك او من ان يقال فى حقك ذلك (ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق) اى ما يستقيم وما ينبغى لى ان اقول قولا لا يحق لى ان اقوله (ان كنت قلته) اى هذا القول (فقد علمته) لانى لا اقدر على هذا القول الا بان توجده فى وتكونه بقولك كن فصدوره عنى مستلزم لعلمك به قطعا فحيث انتفى العلم انتفى الصدور حتما ضرورة ان عدم

اللازم مستلزم لعدم الملزوم (تعلم ما فى نفسى) اى ما اخفيه فى نفسى كما تعلم ما اعلنه (ولا اعلم ما فى نفسك) اى
ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك فعبر عما يخفيه الله من معلوماته بقوله ما فى نفسك للمشاكلة لوقوعه فى صحبة
قوله تعلم ما فى نفسى فان معلومات الانسان مختفية فى نفسه بمعنى كون صورها مرتسمة فيها بخلاف معلومات
الله تعالى فان علمه تعالى حضورى لا تنقطع صورة شئ منها فى ذاته فلا يصح ان يحمل النفس على معنى المبادر
(انك انت علام الغيوب) ما كان وما يكون (ما قلت لهم الا ما امرتنى به) تصريح بنفى المستفهم عنه بعد تقديم
ما يدل عليه اى ما امرتهم الا ما امرتنى به وانما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الادب ومراعاة لما ورد فى
الاستفهام (ان اعبدوا الله ربى وربكم) تفسير للضمير فى به وفى امرت معنى القول وليس تفسيرا لما فى قوله ما امرتنى
لانه مفعول اصريح القول والتقدير الا ما امرتنى به بلفظ هو قولك ان اعبدوا الله ربى وربكم (وكنت عليهم
شهيدا) رقيبا اراعى احوالهم واحملهم على العمل بموجب امرك وامنعهم عن المخالفة او مشاهدا لاحوالهم
من كفر وايمان (ما دمت فيهم) اى مدة دوامى فيما بينهم (فلما توفيتنى) اى قبضتنى اليك من بينهم ورفعتنى الى
السماء (كنت انت الرقيب عليهم) اى انت لا غيرك كنت الحافظ لاعمالهم والمراقب لها فمنعت من اردت عصمته
عن المخالفة بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسول وانزال الآيات وخذلت من خذلت من
الضالين فقالوا ما قالوا (وانت على كل شئ شهيد) مطلع عليه مراقب له فعلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة
الفاصلة (ان تعذبهم فانهم عبادك) اى فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه
تنبيه على انهم استحقوا التعذيب حيث عبدوا غيره تعالى (وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) اى فلا عجز
ولا استقباح فانك القادر والقوى على الثواب والعقاب الذى لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان
المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل فان قلت مغفرة المشرك قطعية الانتفاء
بحسب الوجود وتعذيبه قطعى الوجود فما معنى ان المستعمل فيما كان كل واحد من جانبى وجوده وعدمه جائزا
محتمل الوقوع قلت كون غفران المشرك قطعى الانتفاء بحسب الوجود لا ينافى كونه جائز الوجود بحسب العقل
فصح استعمال كلمة ان فيهما لانه يكفى فى صحة استعمالها مجرد الامكان الذاتى والجواز العقلى وقيل الترديد
بالنسبة الى فرقتين والمعنى ان تعذبهم اى من كفر منهم وان تغفر لهم اى من آمن منهم روى انه لما نزلت هذه
الآية احيى رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ليلته وكان بها يقوم وبها يقعد وبها يسجد ثم قال امتى امتى يا رب
فبكى فنزل جبرائيل عليه السلام فقال الله يقرئك السلام ويقول لك انا سنرضيك فى امتك ولا نسوءك (قال
الله) اى يقول الله تعالى يوم القيامة عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيرا الى صدقه فى ضمن بيان حال
الصادقين الذين هو فى زمرتهم (هذا) اى يوم القيامة وهو مبتدأ وخبره ما بعده (يوم ينفع الصادقين صدقهم)
والمراد الصدق فى الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف فالجانى المعترف يوم القيامة بجنايته لا ينفعه اعترافه
وصدقه وكذا الجانى المعترف فى الدنيا بجنايته لا ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه فانه ليس المراد كل من صدق
فى اى شئ كان بل فى الامور الدينية التى معظمها التوحيد الذى نحن بصدده والشرائع والاحكام المتعلقة به
والصادقون الرسل الناطقون بالصدق الداعون الى ذلك والامم المصدقون لهم المعتقدون بهم عقدا وعملا
(لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) كانه قيل ما لهم من النفع فقيل لهم نعيم دائم وثواب خالد
وهو الفوز الكبير قوله ابدا اى الى الابد تأكيد للخلود يعنى بالفارسية زمان بودايشان نهايت ندارد
(رضى الله عنهم) بالطاعة (ورضوا عنه) بنيل الكرامة والرضوان فيض زائد على الجنات لا غاية وراءه ولذلك
قال تعالى (ذلك) اى نيل الرضوان (هو الفوز العظيم) اى النجاة الوافرة وحقيقة الفوز نيل المراد وانما عظم
الفوز لعظم شان المطلوب الذى تعلق به الفوز وهو الرضى الذى لا مطلب وراءه اصلا (لله ملك السموات والارض
وما فيهن) تحقيق للحق وتنبيه على كذب النصارى وفساد ما زعموا فى حق المسيح وامه اى له تعالى خاصة ملك
السموات والارض وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف فيها كيف يشاء ايجادا واعداما واماتة واحياء وامرا
ونهيا من غير ان يكون لشئ من الاشياء مدخل فى ذلك (وهو على كل شئ قدير) بالغ فى القدرة منزه عن العجز
والضعف ومقدس تبارك وتعالى وتقدس * نيست خالقش رادركس مالكى * شركتش دعوى كند چون
هالكى * واحد اندر ملك اورا يارنى * بندكانش راجزاو سالارنى * واعلم ان الآية نطقت بنفع

الصدق يوم القيامة فلا ينفع الكذب والرياء بوجه من الوجوه اصلا * دلا دلالت خيرت كنم براه نجات * مكن
بفسق مباهات وزهد هم مفروش * فعلى العاقل ان يجتهد فى طريق الصدق فان الصدق بعد الايمان
يجر الى الاحسان وقبل الايمان الى الايمان كما حكى عن ابراهيم الخواص قدس سره انه كان اذا اراد سفرا لم يعلم
احدا ولم يذكره وانما يأخذ ركوته ويمشى قال حامد الاسود فبينما نحن معه فى مسجد اذ تناول ركوته ومشى
فاتبعته فلما وافينا القادسية قال لى يا حامد الى اين قلت يا سيدى خرجت بخروجك قال انا اريد مكة ان شاء الله
تعالى قلت انا اريد مكة ان شاء الله تعالى فلما كان بعد ايام اذا بشاب قد انضم الينا فمشى يوما وليلة معنا
لا يسجد لله تعالى سجدة فقربت من ابراهيم وقلت ان هذا الغلام لا يصلى فجلس وقال يا غلام ما لك لا تصلى
والصلاة اوجب عليك من الحج فقال يا شيخ ما على صلاة قلت ألست بمسلم قال لا قلت فاى شئ انت قال نصرانى
ولكن اشارتى فى النصرانية الى التوكل وادعت نفسى انها احكمت حال التوكل فلم اصدقها فيما ادعت حتى
اخرجتها الى هذه الفلاة التى ليس فيها موجود غير المعبود اثير ساكنى وامتحن خاطرى فقام ابراهيم ومشى وقال
دعه يكون معك فلم يزل سائرا معنا حتى وافينا بطن مر وفقام ابراهيم ونزع خلقانه فطهرها بالماء ثم جلس
وقال له ما اسمك قال عبد المسيح فقال يا عبد المسيح هذا دهليز مكة يعنى الحرم وقد حرم الله على امثالك الدخول
اليه قال الله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والذى اردت ان تكشف من
نفسك قد بان لك فاحذر ان تدخل مكة فان رأيناك بمكة انكرنا عليك قال حامد فتركناه ودخلنا مكة وخرجنا
الى الموقف فبينما نحن جلوس بعرفات اذا به قد اقبل عليه ثوبان وهو محرم يتصفح وجوه الناس حتى وقف
علينا فاكب على ابراهيم فقبل رأسه فقال له ما وراءك يا عبد المسيح فقال له هيهات انا اليوم عبد من المسيح عبده
فقال له ابراهيم حدثنى حديثك قال جلست مكانى حتى اقبلت قافلة الحجاج فقمت وتنكرت فى زى المسلمين
كانى محرم فساعة وقعت عينى على الكعبة اضمحل عندى كل دين سوى دين الاسلام فاسلمت فاغتسلت
واحرمت وها انا اطلبك يومى فالتفت الى ابراهيم وقال يا حامد انظر الى بركة الصدق فى النصرانية كيف هداه
الى الاسلام ثم صحبناه حتى مات بين الفقراء رحمه الله سبحانه وتعالى

سلام على السادات من كل صادق * سلام على ذى الوجد من كل عاشق
سلام على ذى الصحو من سكر غفلة * سلام على الناجين من كل كلفة
سلام على من مات من قبل موته * سلام على من فات من قبل فوته

اللهم اجعلنا من الناجين فانا من زمرة المحتاجين آمين يا معين

تمت سورة المائده مع ما فيها من الفائده والحمد لله على نعمه المتوافره والصلاة على رسوله وآله صلاة
متكاثره وذلك فى اليوم الثالث من شهر الله المحرم المنتظم فى سلك سنة الف ومائة ويتلوها سورة الانعام وهى
مكية وآيها مائة وخمس وستون وقيل ست آيات او ثلاث من قوله قل تعالوا مدنية ومن الله ارجوا تمامه
بفضله وكرمه وهو قاضى الحاجات

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الانعام نزلت بمكة جملة واحدة ليلا معها سبعون الف ملك قد سدوا ما بين الخافقين ولهم زجل اى صوت
بالتسبيح والتحميد والتمجيد حتى كادت الارض ترتج فقال النبى صلى الله عليه وسلم سبحان ربى العظيم سبحان
ربى العظيم وخر ساجدا وروى عنه مرفوعا من قرأ سورة الانعام يصلى عليه اولئك السبعون الف ملك ليله
ونهاره ثم دعا عليه السلام بالكتاب وامر بكتابتها من ليلته تلك وروى عنه عليه السلام مرفوعا من قرأ ثلاث
آيات من اول سورة الانعام الى قوله تكسبون حين يصبح وكل الله به سبعين الف ملك يحفظونه وكتب له مثل
اعمالهم الى يوم القيامة وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد كلما اراد الشيطان ان يلقى فى قلبه
شيأ من الشر ضربه بها وجعل بينه وبين الشيطان سبعين الف حجاب فاذا كان يوم القيامة قال الله تعالى يا ابن
آدم امش تحت ظلى وكل من ثمار جنتى واشرب من ماء الكوثر واغتسل من ماء السلسبيل فانت عبدى وانا ربك
لا حساب عليك ولا عذاب كذا رواه الامام الواحدى فى الوسيط (الحمد لله) الالف واللام فى الحمد لاستغراق
الجنس واللام فى لله للاختصاص لانه تعالى قال بربهم يعدلون ودفع تسوية ربهم بما جعل مقصودا بالذات

وفى التأويلات النجمية اللام لام التمليك يعنى كل حمد يحمده اهل السموات والارض فى الدنيا والآخرة ملك له
وهو الذى اعطاهم استعداد الحمد ليحمدوه بآثار قدرته على قدر استعدادهم واستطاعتهم لكن حمد الخلق له مخلوق
فان وحمده لنفسه قديم باق فان قيل أليس شكر المنعم واجبا مثل شكر الاستاذ على تعليمه وشكر السلطان على
عدله وشكر المحسن على احسانه قال عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله فالجواب ان الحمد والتعظيم
المتعلق بالعبد المنعم نظرا الى وصول النعمة من قبله وهو فى الحقيقة راجع اليه تعالى لانه تعالى لو لم يخلق نفس
تلك النعمة ولو لم يحدث داعية الاحسان فى قلب العبد المحسن لما قدر ذلك العبد على الاحسان والانعام فلا
محسن فى الحقيقة الا الله ولا مستحق للحمد الا هو تعالى وفى تعليق الحمد باسم الذات المستجمع لجميع الصفات
اشارة الى انه المستحق له بذاته سواء حمده حامد او لم يحمده قال البغوى حمد الله نفسه تعليما لعباده اى احمدوه
(وفى المثنوى) چونكه آن خلاق شكر وحمد جوست * آدمى را مدح جويى نيز خوست * خاصه مرد حق
كه در فضلست جست * پر شود زان باد چون خيك درست * ور نباشد اهل زان باد دروغ * خيك
بدريدست كى باشد فروغ (الذى خلق السموات) بما فيها من الشمس والقمر والنجوم (والارض) بما فيها من
البر والبحر والسهل والجبل والنبات والشجر خلق السموات وما فيها فى يومين يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق
الارض وما فيها فى يومين يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وفى تعليق الحمد بالخلق تنبيه على استحقاقه تعالى باعتبار
افعاله وآلائه ايضا وتخصيص خلق السموات والارض بالذكر لانهما اعظم المخلوقات فيما يرى العباد وفيهما
العبرة والمنافع لهم وجمع السموات دون الارض وهى مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار
والحركات قالوا ما بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام السماء الدنيا موج مكفوف اى متصادم بعضه على
بعض يمنع بعضه بعضا اى ممنوع من السيلان والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديدة والرابعة نحاس
او صفر والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء واما الارض فهى تراب لا غير والاكثرون
على تفضيل الارض على السماء لان الانبياء خلقوا من الارض وعبدوا فيها ودفنوا فيها وان الارض دار الخلافة
ومزرعة الآخرة وافضل البقاع على وجه الارض البقعة التى ضمت جسم الحبيب صلى الله عليه وسلم
فى المدينة المنورة لان الجزء الاصلى من التراب محل قبره صلى الله عليه وسلم ثم بقعة الحرم المكى ثم بيت المقدس
والشام منه ثم الكوفة وهى حرم رابع وبغداد منه (وجعل الظلمات والنور) الجعل هو الانشاء والابداع كالخلق
خلا ان ذلك مختص بالانشاء التكوينى وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما فى الآية الكريمة وللتشريعى
ايضا كما فى قوله ما جعل الله من بحيرة الآية اى ما شرع وما سن وجمع الظلمات لكثرة اسبابها فان سببها تخلل الجرم
الكثيف بين النير والمحل المظلم وذلك التخلل يتكثر بتكثر الاجرام المتخللة بخلاف النور فان سببه ليس الا النار
حتى ان الكواكب منيرة بنارية فيها فهى اجرام نارية وان الشهب منفصلة من نار الكوكب قال الحدادى وانما
جمع الظلمات ووحد النور لان النور يتعدى والظلمة لا تتعدى روى ان هذه الآية نزلت تكذيبا للمجوس
فى قولهم الله خالق النور والشيطان خالق الظلمات وفى التيسير انه رد على الثنوية فى اضافتهم خلق النور الى
يزدان وخلق الظلمات الى اهرمن وعلى ذلك خالق كل خير وشر (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) عطف على الجملة
السابقة وثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الآيات التكوينية ببطلانه والباء متعلقة بيعدلون
وقدم المعمول على العامل للاهتمام وتحقيق الاستبعاد ويعدلون من العدل وهو التسوية يقال عدلت هذا بهذا
اذا ساويته والمعنى انه تعالى مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ما فصل من شؤونه العظيمة الخاصة به
الموجبة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون به سبحانه اى يسوون به غيره
فى العبادة التى هى اقصى غايات الشكر الذى رأسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقا له غير متصف بشئ من
مبادى الحمد والاشارة ان الله تعالى خلق سموات القلوب وارض النفوس وجعل الظلمات فى النفوس وهى
صفاتها البهيمية والحيوانية واخلاقها السبعية والشيطانية والنور فى القلوب وهو صفاتها الملكية واخلاقها
الروحانية الباقية فمن غلب عليه النور وهو صفة الملكية الروحانية يميل الى عبودية الحق تعالى ويقبل دعوة
الانبياء ويؤمن بالله ورسوله ويتحلى بحلية الشريعة فالله تعالى يكون وليه فيخرجه من ظلمات الصفات الخلقية
الحيوانية الى الصفات الملكية كقوله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ومن غلب

عليه الظلمات البشرية الحيوانية واتبع طاغوت الهوى واستلذ بشهوات الدنيا فالطاغوت يكون وليه
فيخرجه من نور الصفات الروحانية الى ظلمات الصفات الحيوانية كقوله تعالى والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم من النور الى الظلمات فهذا معنى قوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون يعنى بعد ان خلق سموات
القلوب وارض النفوس وجعل فيهن الظلمات النفسانية والنور الروحانى مال نفوس الكفار بغلبات صفاتها الى
طاغوت الهوى فعبدوه وجعلوه عديلا لربهم كذا فى التأويلات النجمية حكى انه جاء جماعة من فقهاء اليمن الى
الشيخ العارف بالله ابى الغيث ابن جميل قدس سره يمتحنونه فى شئ فلما دنوا منه قال مرحبا بعبيد عبدى
فاستعظموا ذلك فلحقوا شيخ الطريقين وامام الفريقين ابا الذبيح اسمعيل بن محمد الحضرمى قدس سره فاخبروه بما
قاله الشيخ ابو الغيث المذكور لهم فضحك وقال صدق الشيخ انتم عبيد الهوى والهوى عبده * غلام
همت آنم كه زير چرخ كبود * ز هرچه رنگ تعلق پذيرد آزادست (هو) اى الله تعالى (الذى خلقكم)
اى ابتدأ خلقكم ايها الناس (من طين) اى تراب مخلوط بالماء فانه المادة الاولى للكل لما انه منشأ لآدم
الذى هو اصل البشر قال السدى بعث الله جبريل الى الارض ليأتيه بطائفة منها فقالت الارض انى اعوذ
بالله منك ان تنقص منى فرجع جبرائيل ولم يأخذ شيأ * معدن شرم وحيا بد جبرائيل * بست آن سوگندها
بروى سبيل * قال يا رب انها عاذت بك فبعث ميكائيل فاستعاذت كالمرة الاولى فرجع * خاك لرزيد
ودر آمد در گريز * گشت او لابه كنان واشك ريز * رفت ميكائيل سوى رب دين * خالى از مقصود دست
وآستين * گفت اسرافيل را يزدان ما * كه برو زان خاك پر كن كف بيا * آمد اسرافيل هم سوى زمين
* باز آغازيد خاكستان حنين * زود اسرافيل باز آمد بشاه * گفت عذر ما جرا نزد اله * فبعث
ملك الموت فعاذت منه بالله فقال وانا اعوذ بالله ان اخالف امره فاخذ من وجه الارض فخلط الحمراء
والسوداء والبيضاء فلذلك اختلف الوان ابن آدم ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر فلذلك اختلف اخلاقهم
فقال الله تعالى لملك الموت رحم جبرائيل وميكائيل الارض ولم ترحمها لا جرم اجعل ارواح من اخلق من هذا
الطين بيدك * گفت يزدان بعلم روشنم * كه ترا جلاد اين خلقان كنم * وروى عن ابى هريرة خلق الله آدم
من تراب وجعله طينا ثم تركه حتى كان حمأ مسنونا اى اسود متغيرا منتنا ثم خلقه وصوره وتركه حتى كان صلصالا
كالفخار اى يابسا مصوتا كالمطبوخ بالنار ثم نفخ فيه من روحه وانما خلق من تراب لان مقام التراب مقام
التواضع والمسكنة ومقام التواضع الرفعة والثبات ولذا ورد من تواضع رفعه الله وكان دعاؤه صلى الله
عليه وسلم احينى مسكينا وامتنى مسكينا والحكمة فى تعذيب الانسان بالنار لا بالماء لان الظرف المعمول
من التراب اذا تنجس ببول او قذر آخر لا يطهر بالماء فالانسان المتنجس بنجاسة المعاصى لا يطهر الا بالنار وهو
الحكمة ايضا فى التيمم عند عدم الماء ويقبر كل جسد فى الموضع الذى اخذت منه طينته التى خمرت فى اول نشأة
ابناء آدم عليه السلام قال الامام مالك لا اعرف اكبر فضل لابى بكر وعمر رضى الله عنهما من انهما خلقا من
طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقرب قبرهما من حضرة الروضة المقدسة المفضلة على الاكوان باسرها
زادها الله تشريفا وتعظيما ومهابة (ثم قضى) اى كتب لموت كل واحد منكم (اجلا) خاصا به اى حدا معينا
من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة وثم للايذان بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير آجالهم (واجل مسمى) اى
حد معين لبعثكم جميعا وهو مبتدأ خبره قوله (عنده) اى مثبت معين فى علمه لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله
احد لا مجملا ولا مفصلا واما اجل الموت فمعلوم اجمالا وتقريبا بناء على ظهور اماراته او على ما هو المعتاد
فى اعمار الانسان وتسميته اجلا انما هى باعتبار كونه غاية لمدة لبثهم فى القبور لا باعتبار كونه مبدأ لمدة القيامة
كما ان مدار التسمية فى الاجل الاول هو كونه آخر مدة الحياة لا كونه اول مدة الممات لما ان الاجل فى اللغة عبارة
عن آخر المدة لا عن اولها قال حكماء الاسلام ان لكل انسان اجلين احدهما الآجال الطبيعية والثانى الآجال
الاخترامية اما الآجال الطبيعية فهو الذى لو بقى الشخص على طبيعته ومزاجه ولم يعترضه العوارض
الخارجية والآفات المهلكة لانتهت مدة بقائه الى ان تنحل رطوبته وتنطفئ حرارته الغريزيتان واما الآجال
الاخترامية فهى التى تحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالحرق والغرق ولدغ الحشرات وغيرها من الامور
المنفصلة قال بعض الافاضل الاجل هو الوقت المضروب لطريان الزوال على كل ذى روح ولا يطرأ عليه الا عند

حلول ذلك الوقت لا يتأخر عنه ولا يسبقه كما يدل عليه قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون فان
قلت قوله تعالى واتقوا الله واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى صريح فى الدلالة على السبق
على المسمى قلت تعدد الاجل انما هو بالنسبة الينا واما بالنسبة اليه تعالى فهو واحد قطعا تحقيقه انه تعالى
عالم فى الازل كل الموجودات ومقدراتها حسبما شمله علمه فهو يقول فى الازل مثلا ان فلانا ان اتقى واطاع يبلغ
الى اجله المسمى والمراد بالاجل ههنا الاجل الثانى الاطول وتوصيفه بالمسمية ليس للتخصيص لان الاجل
المسمى على كل حال وان لم يتق ولم يطع لم يبلغ هذه المرتبة لكن يعلم انه يفعل احد الفعلين معينا فيقدر له الاجل
المعين فيكون المقدر فى علم الله الاجل المعين وانا العدم اطلاعنا فى علم الله تعالى لم نعلم ان ذلك الفلان اى الفعلين
فعل واى الاجلين قضى له فاذا فعل احدهما المعين وحل الاجل المرتب عليه علمنا ان ذلك هو المقدر المسمى
فالتردد بالنسبة الينا لا فى التقدير والا يلزم ان لا يكون علم الله تعالى بما فعل العبد قبل الوقوع وعلى هذا قول
الله للكافر اسلم تدخل الجنة ولا تكفر تدخل النار مع علمه وتقديره عدم اسلامه فى الازل والامر والنهى
لا لاظهار الاطاعة او المخالفة فى الظاهر لكن يريد اظهار عدم اطاعة عبده له للحاضرين فيأمره بشئ وهو يعلم
انه لا يفعله والعلم بعدم الاطاعة للحاضرين المترددين انما يحصل بامره وكذا صورة الطاعة وجميع المقدرات
الالهية من افعال العباد الاختيارية من هذا القبيل فظهر ان التردد بالنسبة الينا دون علم الله الا ان يطلعنا
عليه باخباره الواقع فى علمه كما اطلع نبيه عليه السلام على بعض ما وقع من حال الكفار فى زمانه بقوله أانذرتهم
ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقوله ختم الله على قلوبهم وقوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون فهذا اخبار بما فى علمه
من انهم لا يختارون الايمان هذا غاية ما يقال فى هذا المقام والعلم عند الله الملك العلام (ثم انتم تمترون) استبعاد
لامترائهم فى البعث بعد ما تبين انه تعالى خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد
وجمعها وابداع الحياة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا والمرية هى الشك المجتلب
بالشبهة اصلها من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها ليدر لبنها للحالب والمرى استخراج اللبن من الضرع قال
ابو السعود وصفهم بالامتراء الذى هو الشك وتوجيه الاستبعاد اليه مع انهم جازمون بانتفاء البعث مصرون
على انكاره كما ينبئ عنه قولهم أاذا متنا وكنا ترابا وعظاما أانا لمبعوثون ونظائره للدلالة على ان جزمهم المذكور
فى اقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار واعلم ان الانسان وقت كونه نطفة ينكر صيرورته بشرا سويا فى الزمان
الآتى وعند تصوره بصورة البشر يلزمه الحجة فانكاره الحشر انكار عين ما كان فيه * پس مثال تو چو آن
حلقه زنيست * كز درونش خواجه كويد خواجه نيست * حلقه زن زين نيست دريابد كه هست * پس ز حلقه
برندارد هيچ دست * پس هم انكارت مبين ميكند * كز جماد او حشر صدفن ميكند والاشارة ان الله تعالى
قضى للروح من حكمته اجلا لايام فراقه عن الحضرة وبعده عن وطنه الحقيقى واجل مسمى عنده وهو اجل
الوصلة بعد الفرقة فى مقام العندية كقوله فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فلاجل الفرقة مدى ومنتهى
ولاجل الوصلة لا مدى ولا منتهى وانما قال مسمى لان وقت الوصلة مسمى عنده وهو حين يجذبه اليه
بجذبة ارجعى الى ربك ولايام الوصلة ابتداء وهو حين تطلع شمس التوحيد من مشرق القلوب الى ان تبلغ
حد استواء الوحدة ثم تتسرمد فلا غروب لها ثم انتم تمترون يا اهل الوصلة كما يمترى اهل الفرقة هذا محال جدا
فعلى العاقل الاجتهاد قبل حلول الاجل والتهيؤ للوصول بحسن التوجه والعمل قال بعض المشايخ من ضيع
حكم وقته فهو جاهل ومن قصر فيه فهو غافل وفى الحديث ان لله خواص يسكنهم الرفيع من الجنان كانوا
اعقل الناس كان همهم المسابقة الى ربهم عز وجل والمسارعة الى ما يرضيه زهدوا فى الدنيا وفى فضولها
وفى رياستها ونعيمها فهانت عليهم فصبروا قليلا واستراحوا طويلا وروى ان السرى السقطى قدس سره دخل
عليه ابو القاسم الجنيد قدس سره وهو يبكى فقال له ما يبكيك قال جاءتنى البارحة الصبية فقالت يا ابت هذه
ليلة حارة وهذا الكوز تعلقه ههنا قال السرى فحملتنى عيناى فنمت فرأيت جارية من احسن الخلق قد نزلت
من السماء فقلت لمن انت قالت لمن لا يشرب الماء المبرد فى الكيزان فتناولت الكوز وضربت به الارض قال الجنيد
فرأيت الخزف المكسور ولم يرفعه حتى عفا عليه التراب يا هذا انظر الى تركهم النعيم لم يرضوا على انفسهم
ان يشربوا ماء باردا ويأكلوا طعاما لذيذا الحين راقبوا الاوقات عوضهم الله حالات خارجة عن حسابات

الساعات فلا انتهاء لاذواقهم اصلا (وهو) اى الله تعالى مبتدأ خبره قوله (الله) باعتبار المعنى الوصفى اى المعبود
ولذا تعلق به قوله (فى السموات وفى الارض) والمعنى وهو المعبود والمستحق للعبادة فيهما ولا يلزم من كونه تعالى
معبودا فيهما كونه متحيزا فيهما فانه منزه عن الزمان والمكان يروى ان امام الحرمين استاذ الامام الغزالى نزل
ببعض الاكابر ضيفا فاجتمع عنده العلماء والاكابر فقام واحد من اهل المجلس فقال ما الدليل على تنزهه عن
المكان وهو قال الرحمن على العرش استوى فقال الدليل عليه قول يونس فى بطن الحوت لا اله الا انت
سبحانك انى كنت من الظالمين فتعجب منه الناظرون فالتمس صاحب الضيافة بيانه فقال الامام ان ههنا فقيرا
مديونا بالف درهم ادّ عنه دينه حتى ابينه فقبل صاحب الضيافة دينه فقال ان رسول الله لما ذهب فى المعراج
الى ما شاء الله من العلى قال هنالك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ولما ابتلى يونس عليه السلام
بالظلمات فى قعر البحر ببطن الحوت قال لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فكل منهما خاطبه بقوله
انت وهو خطاب الحضور ولو كان هو فى مكان لما صح ذلك فدل ذلك على انه ليس فى مكان (يعلم سركم وجهركم)
خبر ثان اى ما اسررتموه وما جهرتم به من الاقوال (ويعلم ما تكسبون) اى ما تفعلون لجلب نفع او دفع ضرر من
الاعمال المكتسبة بالقلوب او بالجوارح سرا او علانية فيجازيكم على كل ذلك ان خيرا فخير وان شرا فشر
وفى التأويلات النجمية وهو الله فى سموات الوجود وفى ارض النفوس يعلم سركم الذى اودع فيكم وهو سر
الخلافة الذى اختص به الانسان لقبول الفيض الالهى وجهركم اى ما هو ظاهر منكم من الصفات الحيوانية
والاحوال النفسانية ويعلم ما تكسبون باستعمال الاستعداد السرى والجهرى فى المأمورات والمنهيات من
الخير والشر وقد خص الانسان بهذا الكسب ايضا من الملك والحيوان فان الملك لا يقدر ان يكتسب من الصفات
الحيوانية شيأ ولا الحيوان قادر على ان يكتسب من الصفات الملكية شيأ والانسان متصرف فى هاتين الصفتين
وله اكتساب التخلق باخلاق الله بالتقرب الى الله باداء ما افترض عليه والتزام النوافل واجتناب النواهى
الى ان يصير من خير البرية وله ايضا ان يكتسب من الشر ما يصير به شر البرية انتهى قال حسين الواعظ الكاشفى
فى تفسيره الفارسى در نقد النصوص فرموده كه انسان مرآتيست ذات وجهين در يك رويش خصائص
ربوبيت ودر روى ديكر نقايص عبوديت چون خصايص نكرى از همه موجودات بزركوارتر وچون
نقايص عبوديت شمارى از همه رنجورتر وبيقدارتر چون در خود از اوصاف تو يابم اثرى * حاشا كه بود
نكوتر از من دكرى * وآن دم كه فتد بحال خويشم نظرى * در هر دو جهان نباشد از من بترى *
پس حق سبحانه وتعالى مى فرمايد كه من اسرار خصائص شما در رتبه غيب ميدانم وآثار نقايص شما در عالم
شهادت مى شناسم وديكر ميدانم آنچه شما ميكنيد از عملى كه سبب ترقى باشد بر درجات انسانيه يا موجب تنزل
بدركات حيوانيه ودانستن اين داناى سالك را بران دارد كه باصلاح وتزكيه اعمال مشغول شده از حيز استيفاء
حظوظ حيوانى بر ذروه استئناس بانعيم روحانى متصاعد كردد حيف باشد كه عمر انسانى * چون بهايم
بخواب وخور كذرد * آدمى ميتواند از كوشش * كه مقام فرشته دركذرد انتهى * قال شيخنا
العلامة ابقاه الله بالسلامة عند تأويل الحديث القدسى سر الانسان سرى وسرى سره يعنى سره ظاهر سرى
وصورة سرى وسرى باطن سره وحقيقة سره ثم قال واعلم ان سر الانسان عبارة عن الحقيقة الانسانية
الظاهرة على صورة الحقيقة الالهية كما قال عليه السلام خلق الله آدم على صورته ولما نزلت تلك الحقيقة
الانسانية من مرتبة الغيب الى منزلة الشهادة وتجلى لها الحق سبحانه بجماله وجلاله اودع فى جانبها الشرقى
نور جماله وجانبها الغربى ظلمة جلاله واقام فى الاول ملكا يهدى الى الحق وفى الثانى شيطانا يدعو الى الباطل
والملك سادن قبضة الجمال ويد اللطف والشيطان خادم قبضة الجلال ويد القهر واذا اراد الحق ان يصرف تلك
الحقيقة الانسانية الى الحق يأمر الملك ان يلهمها اياه فتراه بالنور الالهى الجمالى الذى فاض من تجلى الجمال
فتتبعه وتقبله وتكون روحا ما دام وتكون على الحق ثابتة وتصير قالبها الذى هو لوحه فى اثبات الحق قلبا ترتعى
فى روضته ويتجلى لها الحق سبحانه بالتجليات الجمالية والالطاف الخالصة المورثة طمأنينتها وسكينتها وتكون
على الاستسلام والطاعة والصبر والرضى وغير ذلك من الاخلاق الحميدة واما اذا اراد ان يصرفها الى الباطل
فيخلى بينها وبين الشيطان فيلقنها اياه فلا تراه ولا تفهمه اى لا تعلم انه باطل يحجبها عن الحق لان الظلمة الحاصلة

من تجلى الجلال تمنعها عن ذلك فلا تجتنبه بل تأخذه وتصير نفسا مظلمة بعد كونها روحا نورانيا فتجر به
فى قالبها الذى هو محل لذلك ويكون ذلك القالب طبيعة مظلمة بعد كونه قلبا نورانيا فيتجلى الحق
تعالى بالتجليات الجلالية والاحوال القهرية التى تورث الاضطراب وعدم الاستسلام فتكون على المخالفة
والاعراض وتتصف بالاوصاف الذميمة بعد الاتصاف بالحميدة هكذا الى آخر الامر اذ ذلك سنته القديمة
وعادته الازلية الى ماشاء الله تعالى فانه اذا اراد بعبده خيرا يفقهه فى الدين ويجذبه الى نفسه عما سواه ولا يسلط
الشيطان عليه كما قال ان عبادى ليس لك عليهم سلطان بل للملائكة السادنة لقبضة الجمال عليهم سلطان
بسلطانى عليهم واحكام القبضتين جارية فى العوالم فى الانفس والآفاق على ايدى سدنتهما الى تمام الامر
والحكم فى التقلب للغالب انتهى كلام حضرة الشيخ قدس سره وهو الذى ماجاء مثله بعد الصدر القنوى والله اعلم
اللهم اجعلنى من تابعيه حقيقة ومتبعيه شريعة وطريقة (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) ما نافية ومن
الاولى مزيدة للاستغراق والثانية تبعيضية واقعة بمجرورها صفة لآية والمراد بالآيات اما الآيات التنزيلية
فاتيانها نزولها والمعنى ماينزل الى اهل مكة آية من الآيات القرآنية (الا كانوا عنها معرضين) غير ملتفتين
اى على وجه التكذيب والاستهزاء واما الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات
فاتيانها ظهورها لهم والمعنى مايظهر لهم آية من الآيات التكوينية الدالة على وحدانية الله تعالى الا كانوا عنها
معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدى الى الايمان بمكونها وعن متعلقة بمعرضين والجملة فى محل النصب على
انها حال من مفعول تأتى فهى دلالة على كمال مسارعتهم الى الاعراض وايقاعهم له فى آن الاتيان كما يفصح
عنه كلمة لما فى قوله تعالى (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) فان الحق عبارة عن القرآن الذى اعرضوا عنه حين
اعرضوا عن كل آية منه وعبر عنه بذلك لكمال قبح مافعلوا به فان تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن احد
والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انه شئ مغاير له فى الحقيقة واقع عقيبه او حاصل بسببه على ان
الاول عين الثانى حقيقة وانما الترتيب بسبب التغاير الاعتبارى كما فى قوله تعالى فقد جاؤا ظلما وزورا بعد قوله
تعالى وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فان ماجاؤه اى فعلوه من الظلم والزور
عين قولهم المحكى لكنه لما كان مغايرا له مفهوما واشنع منه حالا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم
تهويلا لامره كذلك مفهوم التكذيب بالحق لما كان اشنع من مفهوم الاعراض المذكور اخرج مخرج
اللازم البطلان فرتب عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه ثم قيد بذلك لكونه بلا تأمل تأكيدا لشناعته والمعنى
انهم حيث اعرضوا عن تلك الآيات عند اتيانها فقد كذبوا بما لا يمكن تكذيبه اصلا من غير ان يتدبروا فى حاله
ومآله (فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن) سوف لتأكيد مضمون الجملة والانباء جمع نبأ وهو الخبر الذى
له عظم وشان وما عبارة عن الحق المذكور وانباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة اى سيعلمون
مايؤول اليه عاقبة استهزائهم بالآيات فقتلهم الله يوم بدر بالسيف (الم يروا) لما ذكر تعالى قبايحهم من الاعراض
والتكذيب والاستهزاء اتبعه بما يجرى مجرى الموعظة فوعظهم بالقرون الماضية فقال الم يروا وهمزة الانكار
لتقرير الرؤية وهى عرفانية مستدعية لمفعول واحد والضمير لاهل مكة اى الم يعرفوا بمعاينة الآثار وسماع
الاخبار (كم) عبارة عن الاشخاص استفهامية كانت او خبرية (اهلكنا من قبلهم) من متعلقة
باهلكنا والمراد من قبل خلق اهل مكة او من قبل زمانهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
(من قرن) مميز لكم عبارة عن اهل عصر من الاعصار سموا بذلك لاقترانهم برهة من الدهر كما فى قوله صلى الله
عليه وسلم خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم واراد بالقرن الاول الصحابة وبالثانى التابعين
وبالثالث تابع التابعين وقيل هو عبارة عن مدة من الزمان ثمانين سنة او سبعين او ستين او اربعين او ثلاثين
او مائة فالمضاف على هذا محذوف اى من اهل قرن لان نفس الزمان لا يتعلق به الاهلاك (مكناهم فى الارض)
استئناف لبيان كيفية الاهلاك وتفصيل مباديه مبنى على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل كيف كان
ذلك فقيل مكناهم وتمكين الشئ فى الارض جعله قارا فيها ولما لزمه جعلها مقرا له ورد الاستعمال بكل منهما
فقيل تارة مكنه فى الارض واخرى مكن له فى الارض حتى اجرى كل منهما مجرى الآخر ومنه قوله تعالى
(ما لم نمكن لكم) بعد قوله تعالى مكناهم فى الارض كانه قيل فى الاول مكنا لهم وفى الثانى ما لم نمكن لكم

وما نكرة موصوفة بالجملة المنفية بعدها والعائد محذوف محلها النصب على المصدرية اى مكناهم تمكينا لم
نمكنه لكم ويحتمل ان يكون مفعولا به لمكناهم على المعنى لان معنى مكناهم اعطيناهم اى اعطيناهم ما لم
نعطكم (وارسلنا السماء) اى المطر والسحاب (عليهم) متعلق بارسلنا (مدرارا) مغزارا اى كثير الدرور
والصب وهو حال من السماء قال ابن الشيخ المدرار مفعال وهو من ابنية المبالغة للفاعل كامرأة مذكار ومئناث
واصله من در اللبن درورا وهو كثرة وروده على الحالب يقال سحاب مدرار ومطر مدرار اذا تتابع منه المطر
فى اوقات الاحتياج اليه (وجعلنا الانهار) اى صيرناها (تجرى من تحتهم) اى من تحت اشجارهم ومساكنهم
وقصورهم والمعنى اعطيناهم من البسط فى الاجسام والامتداد فى الاعمار والسعة من الاموال والاستظهار
باسباب الدنيا فى استجلاب المنافع واستدفاع المضار ما لم نعط اهل مكة ففعلوا ما فعلوا من الكفران والعصيان
(فاهلكناهم بذنوبهم) اى اهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب مايخصهم من الذنوب فما اغنى عنهم تلك
العدد والاسباب فسيحل بهؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب (وانشأنا من بعدهم) اى احدثنا من بعد اهلاك
كل قرن (قرنا آخرين) بدلا من الهالكين وهو لبيان كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وان ما ذكر من اهلاك الامم
الكثيرة لم ينقص من ملكه شيأ بل كلما اهلك امة انشأ بدلها اخرى يعمر بهم بلاده ومن عادته تعالى اذهاب
اهل الظلم بعد الامهال ومجيئه باهل العدل والانصاف ونفى اهل الرياء والسمعة واثبات اهل الصدق
والاخلاص ولن يزال الناس من اهل الخير فى كل عصر وعن ابى الدرداء رضى الله عنه انه قال ان لله عبادا
يقال لهم الابدال لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتخشع وحسن الحلية ولكن بلغوا بصدق الورع
وحسن النية وسلامة الصدر والرحمة بجميع المسلمين اصطفاهم الله بعلمه واستخلصهم لنفسه وهم اربعون
رجلا على مثل قلب ابراهيم عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد انشأ من يخلفه واعلم انهم
لا يسبون شيأ ولا يلعنون ولا يؤذون من تحتهم ولا يحقرونه ولا يحسدون من فوقهم اطيب الناس خبرا والينهم
عريكة واسخاهم نفسا لا تدركهم الخيل المجراة ولا الرياح العواصف فيما بينهم وبين ربهم انما قلوبهم تصعد
فى السقوف العلى ارتياحا الى الله تعالى فى استباق الخيرات اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون وهذا
بعض كلامه وفى قوله تعالى فاهلكناهم بذنوبهم اشارة الى ان الهلاك مطلقا صوريا ومعنويا بدنيا وماليا انما هو
بشؤم المعصية وكفران النعمة ونعم ما قيل شكر نعمت نعمتت افزون كند * كفر نعمت از كفت
بيرون كند * فمن اعرض عن المعجزات والكرامات والالهامات لاقباله على الدنيا وزينتها وشهواتها كانهم
الانعام بل هم اضل لان الانعام ما كذبت بالحق وهو قد كذب دريغ آدمى زاده پر محل * كه باشد
چو انعام بل هم اضل * وقوله تعالى فسوف يأتيهم اى فى الدنيا والآخرة انباء ما كانوا به يستهزؤن
اما فى الدنيا فمن استهزائهم باقوال الانبياء والاولياء واحوالهم يصمهم الله ويعمى ابصارهم فلا يهتدون
الى حق ولا الى حقيقة سبيلا واما فى الآخرة فيعذبهم بعذاب القطيعة والبعد والحرمان والخلود فى النيران
حكى ان امام الحرمين كان يدرس يوما فى المسجد بعد صلاة الصبح فمر عليه بعض شيوخ الصوفية ومعه اصحابه
من الفقراء وقد دعوا الى بعض المواضع فقال امام الحرمين فى نفسه ما شغل هؤلاء الا الاكل والرقص فلما رجع
الشيخ من الدعوة مر عليه وقال يا فقيه ما تقول فيمن صلى الصبح وهو جنب ويقعد فى المسجد ويدرس العلوم
ويغتاب الناس فذكر امام الحرمين انه كان عليه غسل ثم حسن اعتقاده بعد ذلك فى الصوفية اقول واول
الامر اعتقادهم ثم الاتباع بطريقتهم ثم الوصول الى مقاماتهم وقيل لابى القاسم الجنيد قدس سره ممن
استفدت هذه العلوم فقال من جلوسى بين يدى الله تعالى ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة واشار الى درجة
فى داره فهذه الطريقة لا تنكشف اسرارها ولا تتلألأ انوارها الا بعد اجتهاد تام وسلوك قوى والله الهادى
(ولو نزلنا عليك) روى ان بعض المشركين قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه
اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله وانك رسوله فانزل الله تعالى قوله ولو نزلنا عليك (كتابا
فى قرطاس) اى مكتوبا فى رق فالكتاب بمعنى مفعول (فلمسوه) اى الكتاب (بايديهم) بعد ما رأوه باعينهم
بحيث لم يبق لهم فى شأنه اشتباه فذكر اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا اى
سدت وذكر الايدى مع ان اللمس لا يكون عادة الا بها لدفع التجوز فانه يتجوز به للتفحص كما فى قوله تعالى

واما لمسنا السماء اى تفحصنا (لقال الذين كفروا) تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره كما هو دأب المحجوج اللجوج (ان هذا) اى هذا الكتاب (الا سحر مبين) اى بين كونه سحرا على كل احد ولا شك ان من حرم التوفيق وكذب بالحق غيبا وحدسا كذب به عيانا وحسا فلو ان اهل الانكار رأوا الاولياء والصالحين يطيرون فى الهوآء لقالوا هذا سحر وهؤلاء شياطين (وقالوا لولا انزل عليه ملك) شروع فى قدحهم فى النبوة صريحا بعد ما اشير الى قدحهم فيها ضمنا ولولا تحضيضية بمعنى الامر والضمير فى عليه للنبى عليه السلام اى هلا انزل عليه ملك بحيث نراه ويكلمنا انه نبى (ولو انزلنا ملكا لقضى الامر) ولو انزلنا ملكا على هيئة حسبما اقترحوه والحال انه من هول المنظر بحيث لا يطيق بمشاهدته قوى الاحاد البشرية لقضى الامر اى هلاكهم بالكلية (ثم لا ينظرون) اى لا يمهلون بعد نزوله طرفة العين ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار وجعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجأة العذاب اشد من نفس العذاب واشق (ولو جعلناه ملكا) الهاء للمطلوب وهو ان يكون الشاهد على نبوته عليه السلام ملكا (لجعلناه رجلا) اى لمثلنا ذلك الملك رجلا لما مر من عدم استطاعة الاحاد لمعاينة الملك على هيكله وكان جبرئيل عليه السلام يأتى النبى عليه السلام فى صورة دحية الكلبى وجاء الملكان الى داود عليه السلام فى صورة رجلين مختصمين اليه وجاءت الملائكة الى ابراهيم فى صورة الضيفان فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك وصورته وانما رأهم كذلك الافراد من الانبياء لقوتهم القدسية (وللبسنا عليهم) جواب محذوف اى ولو جعلناه رجلا لخلطنا عليهم بتمثيله رجلا (ما يلبسون) على انفسهم حينئذ بان يقولوا له انما انت بشر ولست بملك والتعبير عن تمثيله تعالى رجلا باللبس لكونه سببا للبسهم وفيه تأكيد لاستحالة جعله ملكا كانه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأننا من لبس الامر عليهم من لبست الامر على القوم البسه من باب ضرب اذا شبهت وجعلته مشكلا عليهم واصله الستر بالثوب (ولقد استهزئ برسل من قبلك) برسل متعلق باستهزئ ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل وهو تسلية لرسول الله عليه السلام عما يلقاه من قومه اى وبالله لقد استهزئ برسل اولى شأن خطير وذوى عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه (فحاق) عقيبه اى احاط او نزل او حل او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا فى الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) ما موصولة اسمية والعائد الهاء فى به وبه متعلق بيستهزؤن والموصول مع صلته فاعل حاق اى فاحاط بهم الذى كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله فاسناد الاحاطة والاهلاك الى الرسل من قبيل الاسناد الى السبب والمعنى احاط الله بهم واهلكهم بسبب استهزآئهم بالرسل وقد انجز الله ذلك يوم بدر اى انجاز (قل سيروا فى الارض) اى سافروا فى الارض لتعرف احوال الامم الماضية (ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) اى تفكروا فى انهم كيف اهلكوا بعذاب الاستئصال وثم لتفاوت ما بين الواجبين فان وجوب السير ليس الا لكونه وسيلة الى النظر ومثله قوله توضأ ثم صل والعاقبة مصدر وهى منتهى الامر وما له اعلم ان الاستهزآء من شيم النفوس المتمردة بارباب الدين من الانبياء والاولياء فى كل زمان وحين روى ان النبى عليه السلام كان جالسا فى المسجد الحرام مع جماعة من المستضعفين بلال وصهيب وعمار وغيرهم فمر بهم ابو جهل فى ملأ من قريش فقال يزعم محمد ان هؤلاء ملوك الجنة فاستهزأ بفقرآء المسلمين وقد فعل الله به ما فعل يوم بدر فنال جزآء استهزآئه وذلك محل العبرة لاولى الابصار (وفى المثنوى) نى ترا حفظ زبان ازراز كس * نى نظر كردن بعبرت پيش وپس * پيش چه بود ياد مرك نزع خويش * پس چه باشد مردن ياران زپيش * حكى ان شيعيا يقال له ابن هيلان كان يتكلم بما لا ينبغى فى حق الصحابة فبينما هو يهدم حائطا اذ سقط عليه فهلك فدفن بالبقيع مقبرة المدينة فلم يوجد ثانى يوم فى القبر الذى دفن فيه ولا التراب الذى ردم به القبر بحيث يستدل بذلك لنبشه وانما وجدوا اللبن على حاله حسبما شاهده الجم الغفير حتى كان ممن وقف عليه القاضى جمال الدين وصار الناس يجيئون لرؤيته ارسالا الى ان اشتهر امره وعد ذلك من الآيات التى يعتبر بها من شرح الله صدره نسأل الله السلامة كذا فى المقاصد الحسنة للامام السخاوى فعلم منه عاقبة الطعن والاستهزآء وان الله تعالى ينقل جيفة الفاسق من المحل المتبرك الى المكان المتشاءم منه كما ورد فى الحديث الصحيح من مات من امتى يعمل عمل قوم لوط نقله الله اليهم حتى يحشر معهم كما فى الدرر المنتثرة

للامام

للامام السيوطى وهذا صريح فى نقل جسده لان الحشر بالروح والجسد جميعا فكما ان الله تعالى ينقل اجساد الاشرار من مقام شريف الى محل وضيع كذلك ينقل اجسام الاخيار من مكان وضيع الى مقام شريف كالبقيع والحجون مقبرتى المدينة ومكة فان الله تعالى يسوق الاهل الى الاهل وهذا آخر الزمان وقلما يوجد فيه من هو متوجه الى القبلة فى الظاهر والباطن والحياة والممات ونعم ما قيل ذهب الناس وما بقى الا النسناس وهم الذين يتشبهون بالناس وليسوا بالناس وهم يأجوج ومأجوج او حيوان يجرى صورته كصورة الانسان اوخلق على صورة الناس اشبهوهم فى شئ وخالفوهم فى شئ وليسوا من بنى آدم وقيل هم من بنى آدم روى ان حيا من عاد عصوا رسولهم فمسخهم الله نسناسا لكل رجل منهم يد ورجل من شق واحد ينقز كما ينقز الطير ويرعون كما ترعى البهائم فاين الاخيار واين اولوا الابصار مضوا والله ما بقى الا القليل (قال الحافظ)

تناهى الصبر مذحات * بمأوى الاسد سرحان * وطار العقل اذ غنى * بمغنى الورق غربان

درين ظلمت سرا تاكى ببوى دوست بنشينم * كهى انكشت در دندان وكه سر بر سر زانو * بيا اى طائر فرخ بيا ور مژده دولت * عسى الايام ان يرجعن قوما كالذى كانوا * اى كالوضع الذى كانوا عليه من الانتظام مطلقا (قل لمن ما فى السموات والارض قل لله) الجاء لاهل مكة الى الاقرار بان الكل من العقلاء وغيرهم لله خلقا وملكا وتصرفا كانه يقول هل لكم سبيل الى عدم الاقرار بذلك مع كونه من الظهور بحيث لا يقدر احد على انكاره وفى تصدى السائل للجواب قبل ان يجيب غيره ايماء الى ان مثل هذا السؤال لكون جوابه متعينا ليس من حقه ان ينتظر جوابه بل حقه ان يبادر الى الاعتراف بالجواب (كتب على نفسه الرحمة) جملة مستقلة داخلة تحت الامر مسوقة لبيان انه تعالى رؤف بالعباد لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة والانابة ومعنى كتب الرحمة على نفسه التزمها واوجبها تفضلا واحسانا لانه تعالى منزه عن ان يجب عليه شئ حقيقة وفى التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى ان لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى (ليجمعنكم الى يوم القيامة) جواب قسم محذوف اى والله ليجمعنكم فى القبور مبعوثين او محشورين الى يوم القيامة فيجازيكم عن شرككم وسائر معاصيكم وان امهلكم بموجب رحمته ولم يعاملكم بالعقوبة الدنيوية (لا ريب فيه) اى فى اليوم او فى الجمع (الذين خسروا انفسهم) اى بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وهو مبتدأ وخبره قوله (فهم لا يؤمنون) والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والاشعار بان عدم ايمانهم بسبب خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان والخروج عن دآئرة الرحمة الخاصة قال القاضى والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر وفى تفسير الكاشفى * مراد رحمت ذاتيه باشد كه رحمت مطلقه كويند واين رحمتيست كه برهمه چيز فرارسيده ونتيجه آن عطاء ادنيست بى سابقهٔ سؤال واستدعا ورابطهٔ حاجت واستحقاق چنانچه در مثنوى معنوى واردست * ما نبوديم وتقاضا مان نبود * لطف تو ناكفتهٔ ما مى شنود * قال الامام الاكمل فى شرح الحديث عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فامسك عنده تسعة وتسعين وانزل فى الارض جزأ واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حوافرها عن ولدها مخافة ان تصيبه فهذا مما يدل على كمال الرجاء والبشارة للمسلمين لانه حصل فى هذه الدار من رحمة واحدة ما حصل من النعم الظاهرة والباطنة فما ظنك بمائة رحمة فى الدار الآخرة وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدم على النبى عليه السلام سبى فاذا امرأة من السبى قد تحلب ثديها تسعى فاذا وجدت صبيا فى السبى اخذته فالصقته ببطنها وارضعته فقال لنا النبى عليه السلام اترون هذه طارحة ولدها فى النار قلنا لا وهى قادرة على ان لا تطرحه فقال الله ارحم بعباده من هذه بولدها (وفى المثنوى) آتش از قهر خدا خود ذره ايست * بهر تهديد لئيمان دره ايست * با چنين قهرى كه زفت وفائقست * برد لطفش بين بروى سابقست * رحمت بيچون چنين دان اى پدر * زائد اندر وهم از وى بى اثر * قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر فى الفتوحات المكية وجدنا آية الرحمة وهى بسم الله الرحمن الرحيم تتضمن الف معنى كل معنى لا يحصل الا بعد انقضاء حول ولا بد

من حصول هذه المعانى التى تضمنها بسم الله الرحمن الرحيم لانه ماظهر الا ليعطى معناه فلا بد من كمال الفطنة لهذه الامة اللهم ارحمنا اذا عرق الجبين وكثر الانين وبكى علينا الحبيب ويئس منا الطبيب اللهم ارحمنا اذا وارانا التراب وودعنا الاحباب وفارقنا النعيم وانقطع النسيم اللهم ارحمنا اذا نسى اسمنا وبلى جسمنا واندرس قبرنا وانطوى ذكرنا اللهم ارحمنا يوم تبلى السرائر وتبدى الضمائر وتنشر الدواوين وتحشر الموازين اللهم ياحى ياقيوم يارحمن يارحيم برحمتك نستعين هذه مناجاة حضرة الشيخ المذكور ولعمرى انها مناجاة شريفة ومناداة لطيفة (وله ما سكن فى الليل والنهار) روى ان كفار مكة اتوا رسول الله فقالوا يارسول الله قد علمنا انك مايحملك على ماتدعونا اليه الا الفقر والحاجة فنحن نجمع لك من القبائل اموالا تكون اغنانا رجلا وترجع عما انت عليه من الدعوة فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى ولله تعالى خاصة جميع مااستقر فيهما واشتملا عليه فان اراد يعطى رسوله مالا كثيرا ليكون اغنى الخلق نزل الملوان منزلة المكان فعبر عن نسبة الاشياء الزمانية اليهما بالسكنى فيهما (وهو السميع) المبالغ فى سماع كل مسموع (العليم) المبالغ فى العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شئ من الاقوال والافعال وفى الخبر ان الله تعالى خلق جوهرتين احداهما مظلمة والاخرى مضيئة فاستخلص من المضيئة كل نور فخلق من نورها النهار ومن الباقى النار واستخلص من الظلمة كل ظلمة فخلق منها الليل وخلق من الباقى الجنة فالليل من الجنة والنهار من النار ولذلك كان الانس بالليل اكثر فالليل انس المحبين وقرة اعين المحبوبين وقدم الليل على النهار لان الليل لخدمة المولى والنهار لخدمة الخلق ومعارج الانبياء كانت بالليل والقدر فى الليل خير من الف شهر وليس فى الايام مثلها وكان بعض الاولياء يقول اذا جاء الليل جاء الخلق الاعظم يقول الفقير جامع هذه المجالس اما من حجب عن سر الليل وحلاوة المناجاة فيه وذوق الخلوة والوحدة فالمحبوب اليه النهار كعلماء الرسوم الاترى الى ثعلب النحوى يقول وددت ان الليل نهار حتى لاتنقطع عنى اصحابى وهذا حرص منه على الكثرة والالفة معها والا فكل معلم لم يكن اعلى حالا من المجتهدين الاترى ان امامنا الاعظم كان يدرس ويحيى الليل هر كنج سعادت كه اوداد بحافظ ✱ از يمن دعاى شب وورد سحرى بود ✱ وعلم من التقرير المذكور افضلية الليل على النهار واعلم ان الكل خلق الله تعالى ولكل منهما ملك موكل به وفى الخبر عن سلمان رضى الله عنه قال الليل موكل به ملك يقال له شراهيل فاذا حان وقت الليل اخذ خرزة سوداء فدلاها من قبل المغرب فلما نظرت اليها الشمس وجبت فى اسرع من طرفة العين وقد امرت ان لاتغرب حتى ترى الخرزة فاذا غربت جاء الليل وقد نشرت الظلمة من تحت جناحى ملك فلا تزال الخرزة معلقة حتى يجيء ملك آخر يقال له هراهيل بخرزة بيضاء فيعلقها من قبل المطلع فاذا رأتها الشمس طلعت فى طرفة عين وقد امرت ان لاتطلع حتى ترى الخرزة البيضاء فاذا طلعت جاء النهار فنشر النور من تحت جناحى ملك فلنور النهار ملك موكل ولظلمة الليل ملك موكل عند الطلوع والغروب كما وردت الاخبار (قل) يامحمد لكفار مكة ونزلت حين دعوه الى الشرك ودين آبائه (اغير الله اتخذ وليا) اى معبودا بطريق الاستقلال او الاشتراك وقد اتخذنى الله فى ازليته حبيبا كما قال عليه السلام لو كنت متخذا خليلا غير الله لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن الله اتخذ صاحبكم خليلا اى لا اتخذ فالمنكر هو اتخاذ غير الله وليا لانفس اتخاذ الولى لكن قدم المفعول لكونه مناط الانكار (فاطر السموات والارض) مبدعهما اى خالقهما ابتداء لاعلى مثال سبق وهو بدل من الجلالة (وهو) اى والحال انه (يطعم ولا يطعم) اى يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة اليه (قل انى امرت ان اكون اول من اسلم) وجهه لله مخلصا له لان النبى امام امته فى الاسلام (ولا تكونن من المشركين) اى وقيل لى لاتكونن من المشركين به تعالى فى امر من امور الدين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك وحقيقة الاسلام الاخلاص عن حبس الوجود وما خلص عنه غيره عليه السلام بالكلية ولهذا يقول الانبياء نفسى نفسى وهو يقول امتى امتى (قل انى اخاف ان عصيت ربى) اى بمخالفة امره ونهيه اى عصيان كان (عذاب يوم عظيم) اى عذاب يوم القيامة مفعول اخاف وفيه قطع لاطماعهم وتعريض بانهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم (من يصرف عنه يومئذ) اى من يصرف عنه العذاب فى ذلك اليوم العظيم ويومئذ ظرف للصرف (فقد رحمه) اى نجاه وانعم عليه (وذلك) الصرف (الفوز المبين) اى النجاة الظاهرة (وان يمسسك الله بضر) دليل آخر على انه لايجوز للعاقل ان يتخذ غير الله وليا اى بلية كمرض وفقر ونحو ذلك والباء للتعدية

وترجمته بالفارسية واكر برساند خدا بتو سختى (فلا كاشف له) اى فلا قادر على كشف ذلك الضر ورفعه عنك (الا هو) تعالى وحده (وان يمسسك بخير) من صحة ونعمة ونحو ذلك (فهو على كل شئ قدير) فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على رفعه كقوله فلا راد لفضله وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اهدى للنبى عليه السلام بغلة اهداها كسرى فركبها بحبل من شعر ثم اردفنى خلفه ثم سار بى مليا ثم التفت الى فقال ياغلام فقلت لبيك يارسول الله فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتب الله عليك ماقدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان فى الصبر على ماتكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب الفرج وان مع العسر يسرا فان قلت قد يتصور ان يكشف الانسان عن صاحبه كربة من الكرب قلت كاشف الضر فى الحقيقة هو الله تعالى اما بواسطة الاسباب او بغيرها (قال الحافظ) كر رنج پيشت آيد وكر راحت اى حكيم ✱ نسبت مكن بغير كه اينها خدا كند ✱ وكذا الاستعانة فى الحقيقة من الله تعالى فالاستعانة من الانبياء والاولياء انما هى استشفاع منهم فى قضاء الحاجة والموحد لايعتقد ان فى الوجود مؤثرا غير الله تعالى (وهو القاهر) اى القادر الذى لايعجزه شئ مستعليا (فوق عباده وهو الحكيم) فى كل مايفعله ويأمر به (الخبير) باحوال عباده وخفايا امورهم صور قهره تعالى وعلو شأنه بالعلو الحسى فعبر عنه بالفوقية بطريق الاستعارة التمثيلية فقوله وهو القاهر فوق عباده عبارة عن كمال القدرة كما ان قوله وهو الحكيم الخبير عبارة عن كمال العلم قال المولى الفنارى فى تفسيره الفوقية من حيث القدرة لامن حيث المكان لعلو شأنه تعالى عن ذلك فانه تعالى قاهر للممكنات معدومة كانت او موجودة لانه يقهر كل واحد منهما بضده فيقهر المعدومات بالايجاد والتكوين والموجودات بالافناء والافساد وفى التأويلات النجمية وقد عم قهره جميع عباده فقهر الكفار بموت القلوب وحياة النفوس اذ اخطأهم النور المرشش على الارواح فى بدو الخلقة فضلوا فى ظلمات الطبيعة وما اهتدوا الى نور الشريعة وقهر نفوس المؤمنين بانوار الشريعة فاخرجهم من ظلمات الطبيعة بالقيام على طاعته وقهر قلوب المحبين بلوعات الاشتياق فآنسها بلطف مشاهده وقهر ارواح الصديقين بسطوات تجلى صفات جلاله وبالجملة لاترى شيأ سواه الا وهو مقهور تحت اعلام عزته وذليل فى ميادين صمديته فعلى العبد ان يعرف مولاه ويشتغل بعبوديته وهو الله تعالى الذى خلق كل شئ واوجده وقهره وحكى عن الشيخ عبد الواحد بن زيد قدس سره قال كنت فى مركب فطرحتنا الريح الى جزيرة واذا فيها رجل يعبد صنما فقلنا له يارجل من تعبد فاومى الى الصنم فقلنا له ان الهك هذا مصنوع عندنا من يصنع مثله ماهذا باله يعبد قال فانتم من تعبدون قلنا نعبد الذى فى السماء عرشه وفى الارض بطشه وفى الاحياء والاموات قضاؤه تقدست اسماؤه وجلت عظمته وكبرياؤه قال ومن اعلمكم بهذا قلنا وجه الينا رسولا كريما فاخبرنا بذلك قال مافعل الرسول فيكم قلنا لما ادى الرسالة قبضه الملك اليه واختار له مالديه قال فهل ترك عندكم من علامة قلنا نعم ترك عندنا كتابا للملك قال فارونى كتاب الملك فانه ينبغى ان تكون كتب الملوك حسانا فاتيناه بالمصحف فقال مااعرف هذا فقرأنا عليه سورة فلم يزل يبكى حتى ختمنا السورة فقال ينبغى لصاحب هذا الكلام ان لايعصى ثم اسلم وحسن اسلامه ثم مات بعد ايام على احسن حال والحمد لله الملك المتعال فى الغدو والآصال انه هو المعبود المقصود واليه يؤول كل امر موجود (قل اى شئ اكبر شهادة) روى ان قريشا قالوا لرسول الله يامحمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد انك رسول الله فانهم انكروك فانزل الله تعالى هذه الآية امر حبيبه عليه السلام بان يقول لهم اى شئ اعظم من جهة الشهادة (قل الله) اى الله اكبر شهادة فشهادته اكبر من شهادة الخلق فان شهادة الخلق وعلومهم لاتحيط بحقائق الاشياء كلها والحق سبحانه هو الذى يحيط علمه بجميع حقائق الاشياء امره عليه السلام بان يتولى الجواب بنفسه للايذان بتعينه وعدم قدرتهم على ان يجيبوا بغيره (شهيد) اى هو شهيد (بينى وبينكم) على صدقى (واوحى الى) من جهته تعالى (هذا القرآن) الشاهد بصحة رسالتى (لانذركم به) اى اخوفكم بما فيه من الوعيد ايها الموجودون وقت نزول القرآن (ومن بلغ) عطف على ضمير

المخاطبين اى بلغه القرءآن من الانس والجن الى يوم القيامة قال محمد بن كعب القرظى من بلغه القرءآن فكانما رأى محمدا عليه السلام وسمع منه (أئنكم لتشهدون) الجاءلهم الى الاقرار باشراكهم اذ لا سبيل لهم الى انكاره لاشتهارهم به والاستفهام فيه للانكار والتوبيخ والمعنى بالفارسية آيا شما ميدكه كواهى ميدهيد (ان مع الله آلهة اخرى قل) لهم (لا اشهد) بذلك وان شهدتم به فانه باطل صرف (قل انما هو اله واحد) تكرير الامر للتأكيد اى بل انما اشهد انه تعالى لا اله الا هو اى متفرد بالالوهية (واننى برىء مما تشركون) به من الاصنام (الذين آتيناهم الكتاب) جواب عما سبق من قولهم لقد سألنا عنك اليهود والنصارى والمراد بالموصول اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والانجيل (يعرفونه) اى محمدا عليه السلام بحليته ونعوته فى كتابهم (كما يعرفون ابناءهم) بحلاهم المعينة لهم روى ان رسول الله لما قدم المدينة قال عمر رضى الله عنه لعبد الله بن سلام انزل الله تعالى على نبيه هذه الاية فكيف هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيته كما اعرف ابنى ولانا اشد معرفة بمحمد منى بابنى لانى لا ادرى ما صنع النساء واشهد انه حق من الله تعالى فقال عمر وفقك الله يا ابن سلام (الذين خسروا انفسهم) اى غبنوا انفسهم من اهل الكتابين والمشركين بان ضيعوا فطرة الله التى فطر الناس عليها واعرضوا عن البينات الموجبة للايمان بالكلية وهو مبتدأ خبره قوله (فهم لا يؤمنون) لما انهم مطبوع على قلوبهم والفاء السببية تدل على ان تضييع الفطرة الاصلية والعقل السليم سبب لعدم الايمان قال البغوى وذلك ان الله تعالى جعل لكل آدمى منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل اهل النار فى الجنة ولاهل النار منازل اهل الجنة فى النار وذلك الخسران (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) لوصفهم النبى المنعوت فى الكتابين بخلاف اوصافه عليه السلام فانه افتراء على الله تعالى وبقولهم الملائكة بنات وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك اى لا احد اظلم منه (او كذب بآياته) كان كذبوا بالقرءآن وبالمعجزات وسموها سحرا وحرفوا التوراة وغيروا نعوته عليه السلام فان ذلك تكذيب بآياته وكلمة او للايذان بان كلا من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الافراط فى الظلم كيف وهم قد جمعوا بينهما فاثبتوا ما نفاه الله تعالى ونفوا ما اثبته (انه) اى الشان (لا يفلح الظالمون) اى لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب واذا كان حال الظالمين هذا فما ظنك بمن فى الغاية القاصية من الظلم (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا) يوم منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر قد حذف ايذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه والحشر جمع الناس الى موضع معلوم والضمير للكل وجميعا حال منه والمعنى ويوم نحشر الناس كلهم ثم نقول للمشركين خاصة للتوبيخ والتقريع على رؤس الاشهاد ما نقول كان من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال والعطف بثم للتراخى الحاصل بين مقامات يوم القيامة فى المواقف فان فيه مواقف بين كل موقف وموقف تراخ على حسب طول ذلك اليوم (اين شركاؤكم) اى آلهتكم التى جعلتموها شركاء الله فالاضافة مجازية باعتبار اثباتهم الشركة لالهتهم (الذين كنتم تزعمون) اى تزعمونها شركاء شفعاء والزعم القول الباطل والكذب فى اكثر الكلام (ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا) الفتنة مرفوع على انه اسم تكن والخبر الا ان قالوا والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء وفتنتهم اما كفرهم مرادا به عاقبته اى لم تكن عاقبة كفرهم الذى التزموه مدة اعمارهم وافتخروا به شيأ من الاشياء الا جحوده والتبرى منه بان يقولوا (والله ربنا ما كنا مشركين) واما جوابهم عبر عنه بالفتنة لانه كذب وانما يقولون مع علمهم بانه بمعزل من النفع رأسا من فرط الحيرة والدهش كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود (انظر) يا محمد (كيف كذبوا على انفسهم) بانكار صدور الاشراك عنهم فى الدنيا وتعجب من كذبهم فانه امر عجيب (وضل عنهم ما كانوا يفترون) عطف على كذبوا داخل فى حيز انظر اى كيف زال وذهب وبطل افتراؤهم فانهم كانوا يفترون فى حق الاصنام انها شفعاؤهم عند الله تعالى فبطل ذلك بالكلية يوم القيامة وفى الايات امور الاول اطلاق لفظ الشىء على الله تعالى لكن بمعنى شائى لا بمعنى مشىء وجوده فهو الشائى المريد والثانى انه يلزمه التبرى من الشرك عقيب التوحيد قال المولى الشهير باخى جلبى فى حواشى صدر الشريعة اسلام اليهود والنصارى مشروط بالتبرى عن اليهودية والنصرانية بعد الاتيان بكلمتى الشهادة وبدون التبرى لا يكونان مسلمين ولو اتيا بالشهادتين مرارا لانهما فسرا قولهما بانه رسول الله اليكم لكن هذا فى الذين اليوم بين ظهرانى اهل الاسلام اما اذا كان فى دار الحرب وحمل عليه رجل من

المسلمين فاتى بالشهادتين او قال دخلت دين الاسلام او فى دين محمد عليه السلام فهذا دليل توبته انتهى قال فى الدر المختصر فى صفة الايمان ان يقول ما امرنى الله تعالى به قبلته وما نهانى عنه انتهيت عنه فاذا اعتقد ذلك بقلبه واقر بلسانه كان ايمانا صحيحا وكان مؤمنا بالكل انتهى وايمان المقلد صحيح عند الامام الاعظم الا انه يأثم بترك النظر والاستدلال وفى فصل الخطاب من نشأ فى بلاد المسلمين وسبح الله تعالى عند رؤية صنائعه فهو خارج عن حد التقليد والثالث ان قوله تعالى كما يعرفون ابناءهم يشير الى ان الآباء قد تحقق عندهم انهم مصادر الابناء ومبدأ وجود الابناء منهم فكذلك اهل المعرفة تحقق عندهم ان الله تعالى مصدرهم ومبدأ وجودهم منه (قال الحافظ) درمكتب حقائق وپيش اديب عشق * هان اى پسر بكوش كه روزى پدر شوى * خواب وخورت زمرتبهٔ خويش دور كرد * آنكه رسى بخويش كه بى خواب وخور شوى * فالوصول الى المبدأ القديم بعد العبور من جسر الوصف الحادث والرابع ان النافع هو الايمان والتوحيد والصدق والاخلاص دون الشرك والكذب يروى ان المشركين اذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى وتجاوزه عن اهل التوحيد قال بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع اهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالكفر فلا يفلحون وكذا اهل الرياء من اهل التوحيد يزعمون انهم على اليقين وكمال الاخلاص وافعالهم الصادرة عن جوارحهم تدل على خلاف ذلك فانما خلق الله جهنم لتطهير اهل الشرك مطلقا لكن اهل الكفر مخلدون فافهم المقام واعلم ان الله تعالى واحد وكل شىء يشهد على وحدته وعلى هذه الوحدة يعرفه ويشاهده اهل المعرفة والمشاهدة فان كثرة الآثار لا تنافى الوحدة كالنواة مع الشجرة (قال الحافظ) تا دم وحدت زدى حافظ شوريده حال * خامهٔ توحيد كش بر ورق اين وآن (ومنهم من يستمع اليك) اذا قرأت القرءآن روى انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر وكان صاحب اخبار يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذى جعلها بيته ما ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم من القرون الماضية فقال ابو سفيان انى ارى بعض ما يقول حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت فالضمير للمشركين (وجعلنا) اى انشأنا (على قلوبهم) الضمير راجع الى من باعتبار المعنى (اكنة) اى اغطية كثيرة لا يقادر قدرها خارجة عما يتعارفه الناس جمع كنان بالكسر وهو ما يستر به الشىء (ان يفقهوه) مفعول له بحذف المضاف اى كراهة ان يفقهوا ما يستمعون من القرءآن المدلول عليه بذكر الاستماع (و) جعلنا (فى آذانهم وقرا) اى صمما وثقلا كراهة ان يستمعوه حق الاستماع وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشؤون النبى عليه السلام وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرءآن الكريم ومج اسماعهم له وهذا دليل على ان الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى ويجعل بعضها فى اكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن كما هو مذهب اهل السنة وفى الآية اشارة الى ان مكافاة من يستمع الى كلام الله تعالى او الى حديث النبى عليه السلام او الى كلمات ارباب الحقائق بالانكار ليأخذوا عليها او يطعنوا فيها ان يجعل الله تعالى حجابا على قلوبهم وسمعهم حتى لا يصل اليهم انوارها ولا يجدون حلاوتها ولا يفهمون حقائقها (قال المولى الجامى) عجب نبود كه از قرآن نصيبت نيست جز حرفى * كه از خورشيد جز كرمى نبيند چشم نابينا (وان يروا كل آية) من الآيات القرءآنية اى يشاهدوها بسماعها (لا يؤمنوا بها) اى كفروا بكل واحدة منها وسموها سحرا وافتراء واساطير لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم (حتى) ابتدائية ومع هذا لا مانع من ان تفيد معنى الغاية اى بلغ بهم ذلك المنع من فهم القرءآن الى انهم (اذا جاؤك يجادلونك) اى حال كونهم مجادلين لك (يقول الذين كفروا) اى لا يكتفون بمجرد عدم الايمان بما سمعوا من الآيات الكريمة بل يقولون (ان هذا) اى هذا القرءآن (الا اساطير الاولين) اى اباطيلهم واكاذيبهم جمع اسطورة بالضم كالاضاحيك والاعاجيب جمع اضحوكة واعجوبة (وفى المثنوى) چون كتاب الله بيامد هم بران * اين چنين طعنه زدند آن كافران * كه اساطيرست وافسانه نژند * نيست تعميق وتحقيقى بلند * نور قرآن اى پسر ظاهر مبين * ديو آدم را نبيند جز كه طين (وهم) اى الكفار (ينهون) الناس (عنه) اى عن القرءآن والايمان به (وينأون عنه) اى يتباعدون عنه بانفسهم اظهارا لغاية نفورهم عنه وتأكيدا لنهيهم عنه فان اجتناب الناهى عن المنهى عنه من متممات النهى ولعل

ذلك هو السر فى تأخير النأى عن النهى والنأى البعد (وان يهلكون) اى ما يهلكون بالنهى والنأى (الا انفسهم) لان ضرره عليهم (وما يشعرون) اى والحال انهم ما يعلمون اى لا باهلاك انفسهم ولا باقتضاء ذلك عليها من غير ان يضروا بذلك شيأ من القرءآن والرسول والمؤمنين (ولو ترى اذ وقفوا على النار) الخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل المشاهدة والعيان والوقف الحبس وجواب لو ومفعول ترى محذوف اى لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرأيت ما لا يساعده التعبير (فقالوا يا) للتنبيه (ليتنا نرد) الى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا) القرءآنية (ونكون من المؤمنين) بها العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل ونصب الفعلين على جواب التمنى باضمار ان بعد الواو واجرآئها مجرى الفاء والمعنى ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) اى ليس الامر على ما قالوه من انهم لو ردوا الى الدنيا لآمنوا فان التمنى الواقع منهم يوم القيامة ليس لاجل كونهم راغبين فى الايمان بل لانه ظهر لهم فى موقفهم ذلك ما كانوا يخفون فى الدنيا وهى النار التى وقفوا عليها والمراد باخفائها تكذيبهم لها فان التكذيب بالشئ كفر به واخفاء له لا محالة (ولو ردوا) الى الدنيا فرضا (لعادوا لما نهوا عنه) من الشرك ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار انظارهم على الشاهد دون الغائب كابليس قد عاين من آيات الله تعالى ثم عاند فلا راد لما قضاه الله تعالى ولا مبدل لما حكم فى الازل (وانهم لكاذبون) اى لقوم ديدنهم الكذب فى كل ما يأتون وما يذرون وبهذه الآية يفتى بقتل اهل البغى والفساد اذ لا يؤمن من ان يعودوا لما نهوا عنه (وفى المثنوى) آن ندامت از نتيجه رنج بود * جونكه رنج نبود ندامت نيست بود * جونكه شد رنج آن ندامت شد عدم * مى نيرزد خاك آن توبه عدم * ميكند او توبه وپير خرد * بانكه لو ردوا لعادوا ميزند (وقالوا) عطف على عادوا داخل فى حيز الجواب (ان هى) اى ما الحياة فالضمير للحياة فان من الضمائر ما يذكر مبهما ولا يعلم ما يرجع اليه الا بذكر ما بعده (الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) بعد ما فارقنا هذه الحياة كأن لم يروا ما رأوا من الاحوال التى اولها البعث والنشور (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) اى حبسوا للسؤال كما يوقف العبد الجانى بين يدى سيده للعتاب والجواب محذوف اى لرأيت امرا عظيما (قال) لهم على لسان الملائكة موبخا وهو استئناف (أليس هذا) البعث والحساب (بالحق قالوا بلى وربنا) انه لحق (قال فذوقوا العذاب) الذى عاينتموه (بما كنتم تكفرون) اى بسبب كفركم فى الدنيا بذلك وخص لفظ الذوق للاشارة الى ان ما يجدونه من العذاب فى كل حال هو ما يجده الذائق لكون ما يجدون بعده اشد من الاول (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) اى قد غبن الذين كذبوا بالبعث بعد الموت (حتى اذا جاءتهم الساعة) غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدى لا حد له (بغتة) حال من فاعل جاءتهم اى باغتة مفاجئة والبغت والبغتة مفاجأة الشئ بسرعة من غير ان يشعر به الانسان حتى لو كان له شعور بمجيئه ثم جاء بسرعة لا يقال فيه بغتة والوقت الذى تقوم فيه القيامة يفجأ الناس فى ساعة لا يعلمها احد الا الله تعالى فلذلك سميت ساعة خفيفة يحدث فيها امر عظيم وسميت الساعة ساعة لسعيها الى جانب الوقوع ومسافته الانفاس والمعنى انهم قد كذبوا الى ان ظهرت الساعة بغتة فان قيل انما يكذبون الى ان يموتوا والجواب ان زمان الموت آخر زمان من ازمنة الدنيا واول زمان من ازمنة الآخرة فمن انتهى تكذيبه الى هذا الوقت صدق انه كذب الى ان ظهرت الساعة بغتة ولذلك قال عليه السلام من مات فقد قامت قيامته (قالوا) جواب اذا (يا حسرتنا) الحسرة هى شدة الندم والتألم ونداؤها مجاز لان الحسرة لا يتأتى منها الاقبال وانما المعنى على المبالغة فى شدة التحسر كأنهم نادوا الحسرة وقالوا ان كان لك وقت فهذا اوان حضورك ومثله يا ويلتنا والمقصود التنبيه على خطأ المنادى حيث ترك ما احوجه تركه الى نداء هذه الاشياء (على ما فرطنا فيها) اى على تفريطنا فى شأن الساعة وتقصيرنا فى مراعاة حقها والاستعداد لها بالايمان بها واكتساب الاعمال الصالحة فعلى متعلق بالحسرة وما مصدرية والتفريط التقصير فى الشئ مع القدرة على فعله (وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم) حال من فاعل قالوا والاوزار جمع وزر وهو فى الاصل الحمل الثقيل يقال وزرته اى حملته ثقيلا ومنه وزير الملك لانه يتحمل اعباء ما قلده الملك من مؤنة رعيته وحشمه سمى به الاثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه والحمل من توابع الاعيان الكثيفة لا من عوارض المعانى فلا يوصف به العرض الا على سبيل التمثيل والتشبيه وذكر الظهور كذكر الايدى فى قوله تعالى فبما كسبت ايديكم فان المعتاد

حمل الاثقال على الظهور كما ان المألوف هو الكسب بالايدى والمعنى انهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال انهم يحملون اوزار ما عملوا من السيئات (الا ساء ما يزرون) اى بئس شيأ يزرون اى يحملون وزرهم قال السدى وغيره ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله احسن شئ صورة واطيبه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول انا عملك الصالح فاركبنى فقد طال ما ركبتك فى الدنيا فذلك قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اى ركبانا واما الكافر فيستقبله اقبح شئ صورة وانتنه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول انا عملك الخبيث طال ما ركبتنى فى الدنيا وانا اليوم اركبك فهو معنى قوله تعالى وهم يحملون الخ فيكون الحمل على حقيقته لان للاعمال صورا تظهر فى الآخرة وان كان نفسها اعراضا واعلم ان الاوزار كثيرة لكن ذنب الوجود فوق الكل اذ هو الباعث على سائر الاوزار وهو ثقل مانع عن السلوك فعلى السالك ان يتوب عن الكل ويفنى فى طريق الحق فناء كليا (قال الحافظ) فكر خود وراى خود در عالم رندى نيست * كفرست درين مذهب خود بينى وخود رايى * قال بعضهم لا يمكن الخروج من النفس بالنفس وانما يمكن الخروج من النفس بالله تعالى قال الشيخ ابو عبد الله محمد بن على الترمذى الحكيم قدس سره ذكر الله تعالى يرطب القلب ويلينه فاذا خلا عن الذكر اصابته حرارة النفس ونار الشهوات فقسا ويبس وامتنعت الاعضاء من الطاعة فاذا مددتها انكسرت كالشجرة اذا يبست لا تصلح الا للقطع وتصير وقودا للنار اعاذنا الله منها فالذكر والتوحيد والاتباع الى اهله هو اصل الاصول حكى عن على بن الموفق انه قال حججت سنة من السنين فى محمل فرأيت رجالا فاحببت المشى معهم فنزلت واركبت واحدا فى المحمل ومشيت معهم فتقدمنا الى البرية وعدلنا عن الطريق فنمنا فرأيت فى منامى جوارى معهن طشوت من ذهب واباريق من فضة يغسلن ارجل المشاة فبقيت انا فقالت احداهن لصواحبها أليس هذا منهم قلن هذا له محمل فقالت بلى هو منهم لانه احب المشى معهم فغسلن رجلى فذهب عنى كل تعب كنت اجده هذه حال من مشى مع ولى باعتقاد صحيح فكيف مع نبى فلو ان كفار مكة ومشركى العرب استمعوا الى النبى عليه السلام واتبعوا الذكر الذى انزل اليه لنجوا واسقطوا كل حمل عن ظهورهم ومشوا الى جنة الفردوس لكن الله تعالى يهدى من يشاء (وما الحياة الدنيا) على حذف المضاف اى ما اعمال الدنيا اى الاعمال المتعلقة بها من حيث هى هى (الا لعب ولهو) يلهى الناس ويشغلهم بمنفعته الزائلة عن الايمان والعمل الصالح المؤدى الى اللذة الدائمة اللعب عمل يشغل النفس وينفرها عما تنتفع به واللهو صرفها عن الجد الى الهزل (وللدار الآخرة) التى هى محل الحياة الاخرى (خير للذين يتقون) الكفر والمعاصى لان منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منغصة بالآلام مستمرة على الدوام (أفلا تعقلون) الفاء للعطف على مقدر اى اتغفلون فلا تعقلون اى الامرين خير وسميت الدنيا بالدنيا لدنوها قبل الآخرة او لدناءتها وسميت الاخرة بالآخرة لتأخرها عن خلقها وانما جعل الله الآخرة غائبة عن الابصار لانها لو كانت حاضرة لما جحدوها ولارتفعت التكاليف والمحن فجعل ما على الارض زينة للابتلاء وحقيقة الدنيا ما يشغلك عن ربك قال اهل التحقيق السموات والارضون وما فيهما من عالم الكون والفساد يدخل فى حد الدنيا واما العرش والكرسى وما يتعلق بهما من الاعمال الصالحة والارواح الطيبة والجنة وما فيها فمن حد الآخرة وفى الخبر القدسى لما خلق الله الدنيا خاطبها بقوله يا دنيا اخدمى من خدمنى واتعبى من خدمك ولهذا كانت الدنيا تجيء لبعض اوليائه وتكنس داره فى صورة العجوز ولبعض اوليائه تجيء كل يوم برغيف فان قلت ان الله تعالى خلق هذه الدنيا للمؤمن فلم امر بالزهد فيها قلت السكر اذا نثر على رأس الختن لا يلتقطه لعلو همته ولو التقطه لكان عيبا وفى الحديث جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس والضيف اذا كان حكيما لا يشبع من الطعام رجاء الحلواء حكى ان قاضيا من اهل بغداد كان مارا بزقاق كلخان مع خدمه وحشمه كالوزير فطلع الكلخانى وهو يهودى فى صورة جهنمى كان القطران يقطر من جوانبه فاخذ بلجام بغلة القاضى فقال ايد الله القاضى ما معنى قول نبيكم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر اما ترى ان الدنيا جنة لك وانت مؤمن محمدى والدنيا سجن لى وانا كافر يهودى والحديث دلالته بالعكس فاجاب القاضى وكان من الفضلاء الدنيا وما ترى من زينتها وحشمتها سجن لى بالنسبة الى ما وعد الله فى الجنة وجنة لك بالنسبة الى الدركات الموعودة فى النيران قيل مثل الدنيا والآخرة مثل رجل له امرأتان ان ارضى احداهما اسخط الاخرى واحتضر عابد فقال ما تأسفى على دار الآخرة والغموم والخطايا والذنوب

وانما أسفى على ليلة نمتها ويوم افطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله تعالى * نه عمر خضر بماند نه ملك اسكندر * نزاع بر سر دنياى دون مكن درويش فالدنيا الانبقى والآخرة خير وابقى يحكى ان جعفر بن سليمان رحمه الله قال مررت انا ومالك بن دينار رضى الله عنه بالبصرة فبينما ندور فيها مررنا بقصر يعمر واذا بشاب حسن يأمر ببناء القصر ويقول افعلوا واصنعوا فدخلنا عليه وسلمنا فرد السلام قال مالك كم نويت ان تنفق على هذا القصر قال مائة الف درهم قال الا تعطينى هذا المال فاضعه فى حقه واضمن لك على الله تعالى قصرا خيرا من هذا القصر بولدانه وخدمه وقبابه وخيمه من ياقوتة حمراء مرصع بالجوهر ترابه الزعفران ملاطه المسك لم تمسه يدان ولم يبنه بان قال له الجليل سبحانه كن فكان فاثر فى الشاب كلامه فاحضر البدرو دعا بدواة وقرطاس ثم كتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما ضمن مالك بن دينار لفلان ابن فلان انى ضمنت لك على الله قصرا بدل قصرك صفته كما وصفت والزيادة على الله واشتريت لك بهذا المال قصرا فى الجنة افسح من قصرك فى ظل ظليل بقرب العزيز الجليل ثم طوى الكتاب ودفعه الى الشاب وانفق ما اخذه من المال على الفقراء وما اتى على الشاب اربعون ليلة حتى مات ووصى ان يجعل الكتاب بين كفنه وبدنه ووجد مالك ليلة وفاته كتابا موضوعا فى المحراب فاخذه ونشره فاذا هو مكتوب بلا مداد هذه براءة من الله العزيز الحكيم مالك بن دينار وفينا الشاب القصر الذى ضمنته له وزيادة سبعين ضعفا (وفى المثنوى) هركه پايان بين تراو مسعودتر * جدتر او كارد افزون ديد بر * زانكه داند زين جهان كاشتن * هست بهر محشر و برداشتن * آخرت قطار اشتران بملك * در تبع دنياش همچون پشم بشك * پشم بكزينى شتر نبود ترا * ور بود اشتر چه قيمت پشم را * يعنى ان اخترت الدنيا التى هى كصوف الجمل وآثرتها على الآخرة التى هى كنفس الجمل تكون محروما من الآخرة كما ان من اختار الصوف يحرم من الجمل بخلاف من كان الجمل ملكا له فانه لا قيمة عنده لصوفه ولا رغبة وقال فى محل آخر * بازكونه اى اسيران جهان * نام خود كرديد اميران جهان * اى تو بندى اين جهان محبوس جان * چند كوبى خويش را خواجه جهان * تخته بندست انكه تختش خوانده * صدر پندارى و بر در مانده * پادشاهى نيستت بر ريش خود * پادشاهى چون كنى با نيك و بد * بى مراد تو شود ريش سپيد * شرم دار از ريش خود اى كژ اميد * افتخار از رنك و بو و از مكان * هست شادى و فريب كودكان * كون ميكويد بيا من خوش پى ام * وان فسادش كفته او من لاشى ام * اى ز خوبى بهاران لب كزان * بنكران سردى و زردى خزان * روز ديدى طلعت خورشيد خوب * مرك او را ياد كن وقت غروب * بدر را ديدى برين خوش چارطاق * حسرتش را هم ببين وقت محاق * كودكى از حسن شد مولاى خلق * بعد فردا شد خرف رسواى خلق * اى بديده لوتهاى چرب و چيز * فضله آنرا ببين در آبريز * مر خبث را كوكه آن خوبيت كو * بر طبق آن زوق وآن نغزى و بو * پس انامل رشك استاد ان شده * در صناعت عاقبت لرزان شده * نركس چشم خمار همچو جان * آخر اعمش بين وآب از وى چكان * حيدرى كاندر صف شيران روند * آخر او مغلوب موشى ميشود * زلف جعد مشكبار عقل بر * آخر آن چون دنب زشت خنك و خر * خوش ببين كونش ز اول باكشاد * واخر آن رسوايى و فساد * والاشارة الحياة التى تكون بالتمتعات الدنيوية النفسانية كلعب الصبيان ولهو اهل العصيان يزيد فى الحجب والسير من البشرية الى الروحانية بترك الشهوات والاعراض عن غير الحق والاقبال الى الله خير للذين يتقون عما سوى الله بالله افلا تعقلون ان الله تعالى خلقكم لهذا الشأن لا لغيره كما قال واصطنعتك لنفسى اللهم احفظنا من تضييع العمر واهدنا الى حقيقة الامر انك انت الوهاب الهادى (قد نعلم) قد هنا للتكثير والمراد بكثرة علمه تعالى كثرة تعلقه (انه) اى الشان (ليحزنك) يا محمد (الذى يقولون) فاعل يحزنك والعائد محذوف اى الذى يقوله كفار مكة وهو ما حكى عنهم من قولهم ان هذا الا اساطير الاولين ونحو ذلك (فانهم لا يكذبونك) اى لا تعتد بما يقولون وكله الى الله تعالى فانهم فى تكذيبهم آيات الله لا يكذبونك فى الحقيقة (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) اى ولكنهم يكذبون بآيات الله وينكرونها فما يفعلون فى حقك فهو راجع الى فى الحقيقة لانك فانى عما سوى الله باقى بالله وانا انتقم منهم لا محالة اشد انتقام والمراد بالظلم جحودهم والجحود عبارة عن الانكار مع العلم بخلافه والباء متعلقة بالفعل والتقديم للقصر يقال جحد حقه وبحقه اذا انكره (ولقد كذبت رسل من قبلك) تسلية

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان البلية اذا عمت طابت اى وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولوا شأن خطير وذوو عدد كثير او كذبت رسل كانوا من زمان قبل زمانك (فصبروا على ما كذبوا واوذوا) اى على تكذيبهم وايذائهم (حتى اتاهم نصرنا) اى كان غاية صبرهم نصر الله تعالى اياهم فتأس بهم واصطبر على ما نالك من قومك والنصر الموعود للصابرين يحتمل ان يكون بطريق اظهار الحجج والبراهين ويحتمل ان يكون بطريق القهر والغلبة او باهلاك الاعداء (قال الحافظ) اى دل صبور باش ومخور غم كه عاقبت * اين شام صبح كردد واين شب سحر شود (وقال ايضا) كرت چو نوح نبى صبر هست بر غم طوفان * بلا بكردد وكام هزار ساله برآيد * (ولا مبدل لكلمات الله) اى مواعيده بالنصرة والغلبة كما قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) اى من خبرهم ما يسكن به قلبك وهو نصره تعالى اياك وقال المولى ابو السعود والجار والمجرور فى محل الرفع على انه فاعل اما باعتبار مضمونه اى بعض نبأ المرسلين او بتقدير الموصوف اى بعض من نبأ المرسلين (وان كان كبر عليك اعراضهم) اى عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القرآن وعدم عدهم له من قبيل الآيات واحببت ان تجيبهم الى ما سألوا اقتراحا لحرصك على اسلامهم (فان استطعت ان تبتغى نفقا) اى سربا ومنفذا (فى الارض) تنفذ فيه الى جوفها قال ابن الشيخ النفق سرب فى الارض له مخلص الى مكان آخر ومنه نافقاء اليربوع لان اليربوع يخرق الارض الى القعر ثم يصعد من ذلك الى وجه الارض من جانب آخر (او سلما) مصعدا (فى السماء) تعرج به فيها (فتأتيهم) منها (بآية) مما اقترحوه والجواب محذوف اى فافعل وجملة الشرطية الثانية جواب للشرطية الاولى والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء لايمانهم وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان بان ما ذكر من النفق والسلم مما لا يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه (ولو شاء الله) هدايتهم (لجمعهم على الهدى) ولكن لم يشأ ذلك لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى مع تمكنهم منه ومشاهدتهم للآيات الداعية اليه فلم يؤمنوا فلا تتهالك عليه (فلا تكونن من الجاهلين) بالحرص على ما لا يكون والجزع فى مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة بدقائق شؤونه تعالى التى من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم وفى الآية تربية وتأديب للنبى عليه السلام من الله تعالى كما قال عليه السلام ان الله ادبنى فاحسن تأديبى لئلا يبالغ فى الشفقة على غير اهلها (انما يستجيب) اى يقبل دعوتك الى الايمان (الذين يسمعون) ما يلقى اليهم سماع فهم وتدبر دون الموتى الذين هؤلاء منهم (قال الحافظ) كوهر پاك ببايد كه شود قابل فيض * ورنه هر سنك وكلى لؤلؤ ومرجان نشود (والموتى) اى الكفار شبههم بهم فى عدم السماع (يبعثهم الله) من قبورهم (ثم اليه) تعالى لا الى غيره (يرجعون) اى يردون للجزاء فحينئذ يستجيبون واما قبل ذلك فلا سبيل اليه (وقالوا) اى رؤساء قريش (لولا) تحضيضية بمعنى هلا (نزل عليه آية من ربه) كالناقة والعصا والمائدة من الخوارق الملجئة الى الايمان (قل) لهم (ان الله قادر على ان ينزل آية) كما اقترحوا (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان نزولها بلاء عليهم لوجوب هلاكهم ان جحدوها اعلم ان الناس فى الاديان على اربعة اقسام سعيد بالنفس والروح فى لباس السعادة وهم الانبياء واهل الطاعة والثانى شقى بالنفس فى لباس الشقاوة وهم الكفار والمصرون على الكبائر والثالث شقى بالنفس فى لباس السعادة مثل بلعم باعوراء وبرصيصا وابليس والرابع سعيد بالنفس فى لباس الشقاوة كبلال وصهيب وسلمان فى اوائل امرهم ثم بدل لباسهم بلباس التقوى والهداية فان قلت ما الحكمة فى ان الله تعالى خلق الخلق سعيدا وشقيا وقال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولو شاء لهداكم اجمعين قلنا قال عبد الله بن عمر رضى الله عنه ان الله تعالى علم فى الازل ان فلانا فى خلقه يعصى لعدم سبق استعداده للسعادة فجعله شقيا لسبق القضاء عليه بمقتضى استعداده فى الاعيان الثابتة ومظهريته استعداده لشؤون الجلال كانه سأل بلسان الاستعداد كونه شقيا يسأله من فى السموات والارض بلسان القال والحال والاستعداد كل يوم هو فى شان يفيض ويعطى كل شئ ما يستعده من السعادة والشقاوة على حسب الاستعدادات فى الاعيان الثابتة الغيبية العلمية وعلم سبحانه وتعالى ان عبده يطيع فجعله سعيدا اى بمقتضى استعداده للسعادة الاجمالى والقابلية المودعة فى النشأة الانسانية بقوله الست بربكم قالوا بلى فتلك الاجابة منهم تدل على الاستعداد

السعادى الازلى فلولم يكن ذلك لما صح عليهم التكليف والخطاب يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب فاذا عرفت ان الانسان سعيد وشقى فاستعداد السعيد لا يعطى الا الاقوال المرضية والافعال الحسنة والاخلاق الحميدة التى تورث الانبساط واستعداد الشقى لا يعطى الا التى تورث الانقباض فلذا امر الله تعالى حبيبه بالصبر وتحمل الايذآء من اهل الشقاوة والقهر والجلال والابتلاء فى الدنيا سبب للغفران وتكميل الدرجات التى لا تنال فى الجنان الاعلى قدر البلاء وفى الخبران فى الجنة مقامات معلقة فى الهوآء يأوى اليها اهل البلاء كالطير الى وكره ولا ينالها غيرهم وان الرجل يبتلى على حسب دينه فان كان فى دينه صلابة اشتد بلاؤه وان كان فى دينه رقة ابتلى على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى وما عليه خطيئة والبلاء سوط الله على عباده كيلا يركنوا الى الدنيا ولا يشتغلوا بها ويفروا الى الله من ضرب سوطه كما يفر الخيل الى مستقره والآخرة هى دار القرار * ما بلا را بكس عطا نكنيم * تا كه نامش ز اوليا نكنيم * وبالجملة من ابتلى بشئ من المصائب والبلايا فالعاقبة حميدة فى الصبر وبالصبر يكون من الامة المرحومة حقيقة ويدخل فى اثر النبى عليه السلام (وما من دابة فى الارض) من زآئدة لتأكيد الاستغراق وفى متعلقة بمحذوف هو وصف الدابة اى وما فرد من افراد الدواب يستقر فى قطر من اقطار الارض (ولا طائر) من الطيور فى ناحية من نواحى الجو (يطير بجناحيه) كما هو المشاهد المعتاد فقيد الطيران بالجناح تأكيد كما يقال نظرت بعينى واخذت بيدى او هو قطع لمجاز السرعة لانه يقال طار فلان فى الارض اى اسرع (الا امم امثالكم) محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها (ما فرطنا فى الكتاب من شئ) يقال فرط فى الشئ ضيعه وتركه اى ما تركنا فى القرءآن شيأ من الاشياء المهمة التى يشانه تعالى مراعاة فيها المصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغى بل قد بينا كل شئ اما مفصلا او مجملا اما المفصل فكقوله تعالى ان النفس بالنفس والعين بالعين واما المجمل فكقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا روى ان الامام الشافعى كان جالسا فى المسجد الحرام فقال لا تسألونى عن شئ الا اجيبكم فيه من كتاب الله تعالى فقال رجل ما تقول فى المحرم اذا قتل الزنبور فقال لا شئ عليه فقال اين هذا فى كتاب الله فقال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول الآية ثم ذكر اسنادا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى ثم ذكر اسنادا الى عمر رضى الله عنه انه قال للمحرم قتل الزنبور (ثم الى ربهم) اى الامم (يحشرون) يوم القيامة الى ربهم لا الى غيره فيقضى بينهم (والذين كذبوا بآياتنا) اى القرءآن (صم) لا يسمعونها سمع تدبر وفهم فلذلك يسمونها اساطير الاولين ولا يعدونها من الآيات ويقترحون غيرها وهو جمع اصم والمقصود تشبيه حالهم بحال الاصم لكن حذف حرف التشبيه للمبالغة (وبكم) لا يقدرون على ان ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوتك وهو جمع ابكم (فى الظلمات) اى ظلمات الكفر خبر ثالث للمبتدأ (من يشأ الله) اضلاله اى ان يخلق فيه الضلال (يضلله) اى يخلقه فيه لكن لا ابتدآء بطريق الجبر من غير ان يكون له دخل ما فى ذلك بل عند صرف اختياره الى كسبه وتحصيله (ومن يشأ) هدايته (يجعله على صراط مستقيم) لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه وفى الآيات امور الاول ان غير الانسان من الامم ايضا وفى الحديث لولا ان الكلاب امة لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل اسود بهيم وذلك لان الكلب الاسود شيطان فى كونه اعقر الكلاب واخبثها واقلها نفعا واكثرها نعاسا وعن هذا قال احمد بن حنبل لا يحل الصيد به والاشارة ان ما يدب فى ارض البشرية ويتحرك كالسمع والبصر واللسان والاعضاء كلها والنفس وصفاتها وكذا ما يطير بجناحى الشريعة والطريقة كالقلب والروح وصفاتها امم امثالكم فى السؤال عن افعالهم واحوالهم يدل عليه قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا والثانى ان الحشر عام كما قال ابو هريرة رضى الله عنه يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شئ فيأخذ للجماء من القرناء كما فى الحديث لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء اى يقتص للشاة التى لا قرن لها من التى لها قرن قال ابن ملك وفيه دلالة على حشر الوحوش كما قال الله تعالى واذا الوحوش حشرت لكن القصاص فيها قصاص مقابلة لا قصاص تكليف انتهى ثم يقال للبهائم والوحوش والطيور كونى ترابا فتكون ترابا مثل تراب ارض ذلك العالم وعند ذلك يتمنى الكافر ويقول يا ليتنى كنت ترابا قال الحدادى والمراد بهذا الافناء للبهائم بعد ان احياها انه افناء لا يكون فيه الم والثالث ان الذين ختم الله على قلوبهم فهم كالاصم والابكم الاصليين

ومن خاصة الابكم ان يكون اصم (كما قال فى المثنوى) دائما هر كنك اصلى كر بود * ناطق آنكس شد كه از مادر شنود * چون سليمان سوى مرغان سبا * يك صفيرى كرد بست آن جمله را * جز مكر مرغى كه بد بى بال وپر * يا چو ماهى كنك بد از اصل كر * نى غلط كفتم كه كركر سر نهد * پيش وحى كبريا سمعش دهد * فقلوب الخلق بيد الله تعالى يصرفها كيف يشاء روى ان كفار مكة اجتمعوا على قتل النبى عليه السلام فبينماهم كذلك اذ دخل عليهم ابليس فقال لماذا اجتمعتم فاخبروه بالقصة فقال لابى جهل يا ابا الحكم لو انك حملت صنمك وآلهتك الذى تعبده ووضعته بين يدى محمد وسجدت له ربما يسمع محمد منه شيأ وكان صنمه مرصعا بالجوهر والياقوت فحمل ابو جهل صنمه ووضعه بين يدى النبى عليه السلام وسجد له وقال الهى نعبدك ونتقرب اليك هذا محمد شتمنا وسبك ونطمع منك ان تنصرنا وتشتم محمدا فاخذ الصنم يتحرك ويتكلم ويشتم فدخل فى قلب النبى عليه السلام شئ ورجع الى بيت خديجة فلم يلبث ان دق الباب فاذا شاب دخل وبيده سيف فسلم وقال مرنى يا رسول الله حتى امتثل امرك فقال عليه السلام من انت قال انا من الجن قال كم تبلغ قوتك قال اقدر ان اقلع جبل حرآء وابى قبيس وارميهما فى البحر قال من اين اقبلت الساعة قال كنت فى جزيرة البحر السابع اذ اتانى جبرآئيل فقال ادرك فلانا الشيطان دخل فى الصنم وشتم النبى عليه السلام فاقتله بهذا السيف فادركته فى الارض الرابعة فقتلته فقال له عليه السلام ارجع فانى استعين بربى من عدوى وقال الشاب لى اليك حاجة هى ان ترجع الى مكان كنت فيه امس فانهم يستخبرون ذلك الصنم ثانيا فرجع فى الغد ومعه ابو بكر الصديق فجاء ابو جهل مع صنمه ففعل كما فعل بالامس فاخذ الصنم يتحرك ويقول لا اله الا الله محمد رسول الله وانا صنم لا انفع ولا اضر وويل لمن عبدنى من دون الله فلما سمعوا ذلك قام ابو جهل وكسر صنمه وقال ان محمدا سحر الاصنام فظهر ان الله تعالى يقول الحق من السنة المظاهر ولكن لا يسمع المنافق والكافر (قل) يا محمد لاهل مكة (أرأيتكم) الكاف حرف خطاب اكد به ضمير الفاعل المخاطب لتأكيد الاسناد لا محل له من الاعراب كالكاف فى اياك وذلك الكاف يدل على احوال المخاطب من الافراد والتذكير ونحوها وهو يطابق ما يراد به والتاء تبقى على حالة واحدة مفردة مفتوحة ابدا نحو أرأيتك أرأيتكما أرأيتكم ومبنى التركيب وان كان على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت او بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها اى اخبرونى فجعل العلم او الابصار الذى هو سبب الاخبار مجازا عن الاخبار وجعل الاستفهام الذى للتبكيت والالجاء الى الاقرار مجازا عن الامر بجامع الطلب (ان أتاكم عذاب الله) فى الدنيا كما اتى من قبلكم من الامم (او أتتكم الساعة) اى القيامة المشتملة على ذلك العذاب وهو العذاب الاخروى والساعة اسم لوقت تقوم فيه القيامة سمى بها لانها ساعة خفيفة يحدث فيها امر عظيم (أغير الله تدعون) هذا مناط الاستخبار ومحط التبكيت (ان كنتم صادقين) جواب الشرط محذوف اى ان كنتم صادقين فى ان اصنامكم آلهة كما انها دعواكم المعروفة فاخبرونى أغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله فان صدقهم بهذا المعنى من موجبات اخبارهم بدعائهم غيره سبحانه (بل اياه تدعون) عطف على جملة منفية كانه قيل لا غيره تعالى تدعون بل اياه تدعون (فيكشف ما تدعون اليه) اى الى كشفه عطف على تدعون اى فيكشف اثر دعائكم (ان شاء) كشفه فقبول الدعاء تابع لمشيئته تعالى فقد يقبله كما فى بعض دعواهم المتعلقة بكشف العذاب الدنيوى وقد لا يقبله كما فى بعض آخر منها وفى جميع ما يتعلق بكشف العذاب الاخروى الذى من جملته الساعة فانه تعالى لا يغفران يشرك به فلا يشاء فى الآخرة (وتنسون ما تشركون) عطف على تدعون ايضا اى تتركون ما تشركون به تعالى من الاصنام تركا كليا لما ذكر فى العقول على انه القادر على كشف العذاب دون غيره فالنسيان هنا بمعنى الترك لا بمعنى الغفلة (ولقد ارسلنا) اى وبالله لقد ارسلنا رسلا (الى امم) كثيرة (من قبلك) اى كائنة من زمان قبل زمانك فمن لابتدآء الغاية فى الزمان على مذهب الكوفية مثل نمت من اول الليل وصمت من اول الشهر الى آخره وقال المحشى سنان چلبى من زآئدة على قول من جوز زيادتها فى الموجب واما عند غيره فهى بمعنى فى كما فى قوله تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة (فاخذناهم) الفاء فصيحة تفصح ان الكلام مبنى على اعتبار الحذف اى فكذبوا رسلهم فاخذناهم (بالبأساء) اى بالشدة والفقر (والضرآء) اى الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما (لعلهم يتضرعون) اى لكى يدعوا الله فى كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا اليه من كفرهم ومعاصيهم (فلولا) هلا (اذ جاءهم بأسنا) عذابنا (تضرعوا) اى لم يفعلوا ذلك مع قيام

مقتضى له فلولا بفيد اللوم والتنديم وذلك عند قيام الداعى الى الفعل وانتفاء العذر فى تركه (ولكن قست
قلوبهم) استدراك على المعنى اى لم يتضرعوا ولكن يبست وجفت قلوبهم ولو كان فى قلوبهم رقة
وخوف لتضرعوا (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) اى حسن لهم الكفر والمعاصى بان اغواهم
ودعاهم الى اللذة والراحة دون التفكر والتدبر ولم يخطر ببالهم ان ما اعتراهم من البأساء والضراء
ما اعتراهم الا لاجله (فلما نسوا ما ذكروا به) عطف على مقدر اى فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا به من البأساء
والضراء فلما نسوه (فتحنا عليهم ابواب كل شئ) من فنون النعماء على منهاج الاستدراج (حتى) ابتدائية
ومع ذلك غاية لقوله فتحنا (اذا فرحوا بما اوتوا) اى صاروا معجبين بحالهم فالفرح فرح البطر كفرح قارون
بما اصابه من الدنيا (اخذناهم) بالعذاب (بغتة) اى فجأة ليكون اشد عليهم وقعا وافظع هولا كما قال اهل المعانى
انهم انما اخذوا فى حال الراحة والرخاء ليكون اشد تحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية
(فاذا هم مبلسون) متحسرون غاية الحسرة آيسون من كل خير راجعون فاذا للمفاجأة والابلاس بمعنى
اليأس من النجاة عند ورود المهلكة والمعنى الحسرة والحزن (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) اى آخرهم بحيث
لم يبق منهم احد فالدابر يقال للتابع للشئ من خلفه كالولد للوالد يقال دبر فلان القوم يدبر دبرا ودبورا اذا كان
آخرهم قال البغوى معناه انهم استؤصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية ووضع الظاهر موضع الضمير للاشعار
بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذى هو وضع الكفر موضع الشكر واقامة المعاصى مقام الطاعات
(والحمد لله رب العالمين) على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم
عقائدهم الفاسدة واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها لاسيما مع ما فيه من اعلاء كلمة الحق التى
نطقت بها رسلهم عليهم السلام وفى الايات امور منها ان الله تعالى هو المرجع فى كل امر حال الاختيار
والاضطرار والعاقل لا يلتجئ الى غيره تعالى لان ما سوى الله آلات واسباب والمؤثر فى الحقيقة هو الله تعالى
فشأن المؤمن هو النظر الى بابه والاستمداد من جنابه حال السراء والضراء بخلاف الكافر فانه يفتح عينيه عند
نزول الشدة والمقبول هو الرجوع اختيارا فان العبد المطيع لا يترك باب سيده على كل حال ومنها ان الله تعالى
يقلب الانسان تارة من البأساء والضراء الى الراحة والرخاء وانواع الآلاء والنعماء واخرى بعكس الامر كما يفعله
الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه والزاما للحجة وازاحة للعلة ففى هذه المعاملة
تربية له وفائدة عظيمة فى دينه ودنياه ان تفطن (قال الصائب) نهاد سخت تو سوهان بخرد نمى كيرد ✻
وكرنه پست وبلند زمان سوهانست ✻ ومنها ان الهلاك بقدر الاستدراج ونعوذ بالله تعالى من المكروه
وفى الحديث اذا رأيت الله تعالى يعطى عبدا فى الدنيا على معصية ما يحب فان ذلك منه استدراج ثم قرأ صلى الله
عليه وسلم فلما نسوا ما ذكروا به الاية وفى التأويلات النجمية فتحنا عليهم ابواب كل شئ اى من البلاء فى صورة
النعماء لارباب الظاهر بالنعمة الظاهرة من المال والجاه والقبول والصحة وامثالها ولارباب الباطن بالنعمة
الباطنة من فتوحات الغيب واراءة الايات وظواهر الكرامات ورؤية الانوار وكشف الاسرار والاشراف على
الخواطر وصفاء الاوقات ومشاهدة الروحانية واشباهها مما يربى به اطفال الطريقة فان كثيرا من متوسطى
هذه الطائفة تعتريهم الآفات فى اثناء السلوك عند سآمة النفس عن المجاهدات وملالتها من كثرة الرياضات
فيوسوسهم الشيطان وتسوّل لهم انفسهم انهم قد بلغوا فى السلوك رتبة قد استغنوا بها عن صحبة الشيخ وتسليم
تصرفاته فيخرجون من عنده ويشرعون فى الطلب على وفق انفسهم فيقعون فى ورطة الخذلان وسخرة
الشيطان فيريهم الاشياء الخارقة للعادة وهم يحسبون انها من نتايج العبادة وكان بعضهم يسير
فى البادية وقد اصابه العطش فانتهى الى بئر فارتفع الماء الى رأس البئر فرفع رأسه الى السماء وقال اعلم انك
قادر ولكن لا اطيق هذا فلو قيضت لى بعض الاعراب يصفعنى صفعا ويسقينى شربة ماء كان خيرا لى
ثم انى اعلم ان ذلك الرفق ليس من جهته وقال الشيخ ابو عبد الله القرشى قدس سره من لم يكن كارها لظهور
الآيات وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور المعاصى فهى حجاب فى حقه وسترها عنه رحمة ومنها
ان العجب مذموم مهلك وفى الحديث ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه مرد معجب
زاهل دين نبود ✻ هيچ خودبين خداى بين نبود ✻ بيخبر از جهان ومست بكيست ✻ خويشتن

بين

بين وبت پرست يكيست ✻ وعلاجه رؤية التوفيق من الله تعالى ومنها ان النعمة لابد لها من الحمد
والشكر وفى الخبر الصحيح اول من يدعى الى الجنة الحامدون لله على كل حال ولما حمد نوح عليه السلام بقوله
الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وجد السلامة حيث قال تعالى يا نوح اهبط بسلام منا فلابد من الحمد
على السلامة سواء كانت من جهة الدين او من جهة الدنيا اذ كل منهما نعمة ودخل رجل على سهل بن عبد
الله فقال ان اللص دخل دارى واخذ متاعى فقال اشكر الله لو دخل اللص قلبك وهو الشيطان وافسد
التوحيد ماذا كنت تصنع يقول الفقير جامع هذه المجالس الشريفة سئلت فى المنام عن معنى الحمد فقلت
الحمد اظهار الكمال بتهيئة اسبابه فقال السائل وهو واحد من سادات المشايخ ما تهيئة الاسباب فقلت ان ترفع
يديك الى السماء وتنظر الى جانب الملكوت وتظهر الخضوع والخشوع وان تثنى على الله تعالى ثناء حقا كما ينبغى
ثم استيقظت فجاء التفسير بحمد الله تعالى مشيرا الى مراتب الشكر (كما قال بعضهم) الشكر قيد للنعم
مستلزم دفع النقم وهو على ثلاثة قلب ويد فاعلم وفم والحمد لله تعالى ولى الانعام على الاستمرار والدوام
(قل) يا محمد لاهل مكة (أرأيتم) اى اخبرونى ايها المشركون فان الرؤية بصرية كانت او علمية سبب الاخبار
كما سبق (ان اخذ الله سمعكم) اى اصمكم (وابصاركم) اى اعماكم بالكلية (وختم على قلوبكم) بان غطى عليها
ما يزول به عقلكم وفهمكم بحيث تصيرون مجانين (من اله غير الله) من استفهامية مبتدأ واله خبره وغيره
صفة له (يأتيكم به) اى بما اخذه منكم وهى صفة اخرى له والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار اى اخبرونى
ان سلب الله عنكم اشراف اعضائكم من احد غير الله يأتيكم بها ومن المعلوم انه لا يقدر عليه الا الله سبحانه
فهو المستحق للعبادة والتعظيم وهو احتجاج آخر على المشركين (انظر) يا محمد وتعجب (كيف نصرف الآيات)
اى نكررها ونقررها مصروفة من اسلوب الى اسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب
والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين قال الحدادى التصريف توجيه المعنى فى الجهات التى
تظهرها اتم الاظهار (ثم هم يصدفون) اى يعرضون عنها فلا يؤمنون وثم لاستبعاد صدفهم اى اعراضهم
عن تلك الايات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها (قل أرأيتكم) اى اخبرونى
ايها المشركون (ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة) اى ليلا او نهارا لما ان الغالب فيما اتى ليلا البغتة اى الفجأة
وفيما اتى نهارا الجهرة وهو المناسب لما فى سورة الاعراف من قوله تعالى أفأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا
بياتا وهم نائمون او أمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون والقرآن يفسر بعضه بعضا وهو
اللائح بالبال (هل يهلك الا القوم الظالمون) الاستفهام بمعنى النفى ومتعلق الاستخبار محذوف اى اخبرونى
ان اتاكم عذابه العاجل الخاص بكم بغتة او جهرة كما اتى من قبلكم من الامم ماذا يكون الحال ثم قيل بيانا لذلك
هل يهلك الا القوم الظالمون اى ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم الا انتم ووضع المظهر موضع المضمر ايذانا بان
مناط هلاكهم ظلمهم الذى هو وضعهم للكفر موضع الايمان (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) حالان
مقدرتان من المرسلين اى ما نرسلهم الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم ففيهما معنى العلة الغائية قطعا اى لم نرسلهم
لان يقترح عليهم الآيات ويتلهى بهم بل لان يبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم بالعقاب على
المعصية التبشير الاخبار بالخبر السار والانذار الاخبار بالخبر الضار (فمن آمن) بهم (واصلح) عمله او دخل
فى الصلاح (فلا خوف عليهم) من العذاب الذى انذروه دنيويا كان او اخرويا (ولا هم يحزنون) بفوات ما بشروا
به من الثواب العاجل والآجل (والذين كذبوا بآياتنا) وهى ما ينطق به الرسل عليهم السلام عند التبشير
والانذار ويبلغونه الى الامم (يمسهم العذاب) الاليم واسند المس الى العذاب مع ان حقه ان يسند الى الاحياء
لكونه من الافعال المسبوقة بالقصد والاختيار على طريق الاستعارة بالكناية فجعل كانه حى يطلب ايلامهم
والوصول اليهم (بما كانوا يفسقون) اى بسبب فسقهم المستمر الذى هو الاصرار على الخروج عن التصديق
والطاعة وفى الآيات ترغيب وترهيب وفى الكلمات القدسية يا ابن آدم لا تأمن مكرى حتى تجوز على الصراط
روى ان الله تعالى قال يا ابراهيم ما هذا الوجل الشديد الذى اراه منك فقال يا رب كيف لا اوجل وآدم ابى
كان محله القرب منك خلقته بيدك ونفخت فيه من روحك وامرت الملائكة بالسجود له فبمعصية واحدة
اخرجته من جوارك فاوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم اما عرفت ان معصية الحبيب على الحبيب شديدة وعن مالك

ابن دينار قال دخلت جبانة البصرة فاذا انا بسعدون المجنون فقلت كيف حالك وكيف انت قال يا مالك كيف يكون حال من امسى واصبح يريد سفرا بعيدا بلا اهبة ولا زاد ويقدم على رب عدل حاكم بين العباد ثم بكى بكاء شديدا فقلت ما يبكيك فقال والله ما بكيت حرصا على الدنيا ولا جزعا من الموت والبلى لكن بكيت ليوم مضى من عمرى لم يحسن فيه عملى كارى كنيم ورنه خجالت برآورد * روزى كه رخت جان بجهان دكر كشيم * ابكانى والله قلة الزاد وبعد المفازة والعقبة الكؤود ولا ادرى بعد ذلك اصير الى الجنة ام الى النار فسمعت منه كلام حكمة فقلت ان الناس يزعمون انك مجنون فقال ما بى جنة ولكن حب مولاى خالط قلبى واحشائى وجرى بين لحمى ودمى وعظامى دررة منزل ليلى كه خطرهاست درو * شرط اول قدم آنست كه مجنون باشى * كاروان رفت وتو در خواب وبيابان در پيش * كى روى ره زكه پرسى چه كنى چون باشى * وعلى تقدير الزلة فليبادر العاقل الى التوبة والاستغفار حتى يتخلص من عذاب الملك القهار كما قال تعالى فمن آمن واصلح فلا الخ روى ان الملائكة تعرج الى السماء بسيئات العبد فاذا عرضوها على اللوح المحفوظ يجدون مكانها حسنات فيخرون على وجوههم ويقولون ربنا انك تعلم انا ما كتبنا عليه الا ما عمل فيقول الله تعالى صدقتم ولكن عبدى ندم على خطيئته واستشفع الى بدمعته فغفرت ذنبه وجدت عليه بالكرم وانا اكرم الاكرمين فالايمان واصلاح العمل والندم على الزلل سبب النجاة فى الدنيا والآخرة قال بعض الكبار ان الايمان والاسلام يمكن ان يكونا شيأ واحدا فى الحقيقة ولكن خص كل منهما بنوع مجازا عرفيا فكل ما كان فيه التصديق القلبى اطلق عليه الايمان لوجود اصل معناه فيه كما لا يخفى (قل) يا محمد للكفرة الذين يقترحون عليك تارة تنزيل الآيات واخرى غير ذلك (لا اقول لكم عندى خزائن الله) اى لا ادعى ان خزائن مقدوراته تعالى مفوضة الى انصرف فيها كيف اشاء استقلالا واستدعاء حتى تقترحوا على تنزيل الآيات او انزال العذاب او قلب الجبال ذهبا او غير ذلك مما لا يليق بشأنى فالخزائن جمع خزينة بمعنى مخزونة قال الحدادى وليس خزائن الله مثل خزائن العباد وانما خزائن الله تعالى مقدوراته التى لا توجد الا بتكوينه اياها ويجوز ان يكون جمع خزانة وهى اسم للمكان الذى يخزن فيه الشئ وخزن الشئ احرازه بحيث لا تناله الايدى وكانوا يقولون ان كنت رسولا من عند الله تعالى فوسع علينا منافع الدنيا وخيراتها فالمعنى لا ادعى ان مفاتيح الرزق بيدى فاقبض وابسط (ولا اعلم الغيب) عطف على محل عندى خزائن الله ولا مزيدة مذكرة للنفى اى ولا ادعى ايضا انى اعلم الغيب من افعاله تعالى حتى تسألونى عن وقت الساعة او وقت نزول العذاب او نحوهما (ولا اقول لكم انى ملك) من الملائكة حتى تكلفونى من الافاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيق به البشر من الرقى الى السماء ونحوه او تعدوا عدم اتصافى بصفاتهم قادحا فى امرى كما ينبئ عنه قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق والمعنى انى لا ادعى شيأ من هذه الاشياء الثلاثة حتى تقترحوا على ما هو من آثارها واحكامها وتجعلوا عدم اجابتى الى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التى لا تعلق لها بشئ مما ذكر قطعا بل انما هى عبارة عن تلقى الوحى من جهته عز وجل والعمل بمقتضاه فحسب حسبما ينبئ عنه قوله تعالى (ان اتبع الا ما يوحى الى) اى ما افعل الا اتباع ما يوحى الى من غير ان يكون لى مدخل ما فى الوحى او فى الموحى بطريق الاستدعاء او بوجه آخر من الوجوه اصلا والوحى ثلاثة ما ثبت بلسان الملك والقرآن من هذا القبيل وما ثبت باشارة الملك من غير ان يبينه بالكلام واليه الاشارة بقوله عليه السلام ان روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها والثالث ما تبدى لقلبه اى ظهر لقلبه بلا شبهة الهاما من الله تعالى بان اراه الله بنور من عنده كما قال لتحكم بين الناس بما اراك الله وابو الاشعرية واكثر المتكلمين ان يحكم عليه السلام بالاجتهاد كما تدل عليه الآية اذ ثبت بها انه لا يتبع الا الوحى والجواب انه جعل اجتهاده عليه السلام وحيا باعتبار المآل فان تقريره عليه السلام على اجتهاده يدل على انه هو الحق كما اذا ثبت بالوحى ابتداء (قل هل يستوى الاعمى والبصير) مثل للضال والمهتدى فانه عليه السلام لما وصف نفسه بكونه متبعا للوحى الالهى لزم منه ان يصف نفسه بالاهتداء ويصف من عانده واستبعد دعواه بالضلال فالعمل بغير الوحى يجرى مجرى عمل الاعمى والعمل بمقتضى الوحى يجرى مجرى عمل البصير (افلا تتفكرون) اى الا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه فتهتدوا باتباع الوحى والعمل بمقتضاه فمناط التوبيخ عدم الامرين معا اى الاستماع والتفكر (وانذر به) اى خوف

من

من العذاب بما يوحى (الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم) اى يبعثوا ويجمعوا الى ربهم اى الى موضع لا يملك احد فيه نفعهم ولا ضرهم الا الله تعالى وقيل يخافون يعلمون لان خوفهم انما كان من علمهم (ليس لهم من دونه ولى) قريب ينفعهم (ولا شفيع) يشفع لهم وجملة النفى اى ليس فى موضع الحال من ضمير يحشرون فان المخوف هو الحشر على هذه الحال وقوله من دونه حال من اسم ليس اى متجاوزا الله تعالى والمراد بالموصول المؤمنون العاصون كما فى اكثر التفاسير وانما نفى الشفاعة لغيره مع ان الانبياء والاولياء يشفعون كما هو مذهب اهل السنة لانهم لا يشفعون الا باذنه فكانت الشفاعة فى الحقيقة من الله تعالى وقال المولى ابو السعود رحمه الله المراد بالموصول المجوزون من الكفار للحشر سواء كانوا جازمين باصله كاهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين فى شفاعة آبائهم الانبياء كالاولين او فى شفاعة الاصنام كالآخرين او مترددين فيهما معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم انهم اذا سمعوا بحديث البعث يخافون ان يكون حقا واما المنكرون للحشر رأسا والقائلون به القاطعون بشفاعة آبائهم او بشفاعة الاصنام فهم خارجون ممن امر بانذارهم انتهى فالكلام على هذا ظاهر لان الظالمين ليس لهم من حميم ولا شفيع يطاع (لعلهم يتقون) تعليل للامر اى انذرهم لكى يتقوا الله بالاقلاع عما هم فيه وعمل الطاعات او يتقوا الكفر والمعاصى والاشارة ان الله تعالى امر نبيه عليه السلام ان يكلم الكفار على قدر عقولهم فقال قل لا اقول لكم عندى خزائن الله على انها عندى ولكن لا اقول لكم وهى علم حقائق الاشياء وماهياتها وقد كان عنده فى اراءة سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم وفى اجابة قوله عليه السلام ارنا الاشياء كما هى فى قوله اوتيت جوامع الكلم وما امره الله تعالى الا ان قل ليس عندى خزائن الله قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر (ولا تبذر الاسرار) يعنى بيان الحقائق الذى هو غذاء القلب والروح كالسمراء يعنى الحنطة للجسم (فى ارض عميان) يعنى فى ارض استعداد هؤلاء الطوائف الذين لا يبصرون الحق ولا يشاهدونه فى جميع الاشياء كما فى شرح الفصوص للمولى الجامى قدس سره (قال السعدى) دريغست باسفله كفت از علوم * كه ضايع شود تخم در شور بوم * ولا اعلم الغيب فانه صلى الله عليه وسلم كان يخبر عما مضى وعما سيكون باعلام الحق وقد قال عليه السلام ليلة المعراج قطرت فى حلقى قطرة علمت ما كان وما سيكون فمن قال ان نبى الله لا يعلم الغيب فقد اخطأ فيما اصاب ولا اقول لكم انى ملك وان كنت قد عبرت عن مقام الملك حين قلت لجبرائيل تقدم فقال لو دنوت انملة لاحترقت (كما قال السعدى) شبى برنشست از فلك بركذشت * بتمكين وجاه از ملك دركذشت * چنان كرم در تيه قربت براند * كه در سدره جبريل از وباز ماند * ان اتبع الا ما يوحى الى يعنى لا اخبركم عن مقاماتى واحوالى مما لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل الا بما يوحى الى ان اخبركم وكيف اخبركم عما اعمى الله بصائركم عنه وانا به بصير فلا يستوى الاعمى والبصير ثم قال وانذر به يعنى اخبر بهذه الحقائق والمعانى الذين يخافون اى يرجون ان يحشروا الى ربهم بجذبات العناية ويتحقق لهم ليس لهم فى الوصول الى الله من دونه ولى يعنى من الاولياء ولا شفيع يعنى من الانبياء لان الوصول لا يمكن الا بجذبات الحق لعلهم يتقون عما سوى الله بالله فى طلب الوصول قال السرى السقطى قدس سره خرجت يوما الى المقابر فاذا بهلول فقلت له اى شئ تصنع هنا قال اجالس قوما لا يؤذوننى وان غبت لا يغتابوننى فقلت له تكون جائعا فولى وانشأ يقول

تجوع فان الجوع من عمل التقى * وان طويل الجوع يوما سيشبع

قيل مثل الصالحين وما زينهم الله به دون غيرهم مثل جند قال لهم الملك تزينوا للعرض على غدا فمن كانت زينته احسن كانت منزلته عندى ارفع ثم يرسل الملك فى السر بزينة عنده ليس عند الجند مثلها الى خواص مملكته واهل محبته فاذا تزينوا بزينة الملك فخروا سائر الجند عند العرض على الملك فهذا مثل من وفقهم الله تعالى للاعمال الصالحة والاحوال الزكية ولا حاجة لهم الى ان يصفوا ما عندهم الى عامة الناس فان علمهم بذلك كاف وسيظهر يوم العرض الاكبر وعند الكثيب الاحمر (اولئك خدام كرام وسادة * ونحن عبيد السوء بئس عبيد) (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) روى ان رؤساء قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوا فى مجلسه الشريف فقراء المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب وبلال وسلمان وغيرهم لو طردت

هؤلاء الاعبد وارواح جبابهم وكان عليهم جباب صوف لاغير لحال السنائك وحادثناك فقال عليه السلام ما انا
بطارد المؤمنين فقالوا فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا حتى يعرف العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحيي
ان ترانا مع هؤلاء فاذا قمنا عن مجلسك فاقعدهم معك ان شئت فهم عليه السلام ان يفعل ذلك طمعا فى ايمانهم
فانزل الله تعالى هذه الاية يعلمه انه لا يجب ان تفضل غنيا على فقير ولا شريفا على وضيع لانه طريقه فيما ارسل
به الدين دون احوال الدنيا والطرد الابعاد وبالفارسية مران ازمجلس خودان درويشانراكه ميخوانند
پروردكار خودرا وذكر اوميكنند بامداد وشبانكاه والمراد بذكر الوقتين الدوام ومن دام ذكره دام جلوسه مع الله
كما قال انا جليس من ذكرنى (يريدون) بذكرهم وعبادتهم (وجهه) تعالى ورضاه لا شيأ من اغراض الدنيا
حال من ضمير يدعون اى يدعونه تعالى مخلصين له وقيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر عبادت
باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد زبى مغز پوست * واشعارا بانه من اقوى موجبات الاكرام
المنافى للابعاد (وما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ) لما لم يقتصر المشركون فى طعن
فقرآء المسلمين على وصفهم بكونهم موالى ومساكين بل طعنوا فى ايمانهم ايضا حيث قالوا يا محمد انهم انما اجتمعوا
عندك وقبلوا دينك لانهم يجدون عندك مأكولا وملبوسا بهذا السبب والا فهم عارون عن دينك والايمان بك
دفع الله تعالى ما عسى يتوهم كونه مسوغا لطردهم من اقاويلهم فقال ما عليك اى ليس عليك الا اعتبار
ظاهر حالهم وهو اتسامهم بسمة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضى كما يقوله المشركون فضرة حساب
ايمانهم لا ترجع الا اليهم لا اليك لان المضرة المرتبة على حساب كل نفس عائدة اليها لا الى غيرها فالمقصود منه
دفع طعن الكفار وتثبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على تربية الفقرآء وادنائهم وضمير حسابهم وعليهم للذين
يدعون ربهم وكلمة من فى قوله من شئ زآئدة وهو فاعل عليك وعليهم لاعتمادها على النفى ومن حسابهم ومن
حسابك صفة لشئ ثم قدمت فصارت حالا قال المولى ابو السعود وذكر قوله تعالى وما من حسابك عليهم من شئ
مع ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة فى بيان انتفاء كون حسابهم عليه عليه السلام بنظمه فى سلك ما لا شبهة
فيه اصلا وهو انتفاء كون حسابه عليه السلام عليهم على طريقة قوله تعالى لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
(فتطردهم) جواب النفى نحو ما تاتينا فتحدثنا بنصب فتحدث على ان يكون المعنى انتفاء التحديث لانتفاء سببه
الذى هو الاتيان والاية الكريمة من هذا القبيل فانه لو كانت مضرة حسابهم مستقرة على المخاطب لكان ذلك
سببا للابعاد من يتوهم الوهن فى ايمانه فحكم بان هذا السبب غير واقع حتى يقع مسببه الذى هو الطرد
(فتكون من الظالمين) جواب النهى وهو ولا تطرد الذين الاية (وكذلك فتنا) ذلك اشارة الى مصدر ما بعده
من الفعل الذى هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقرآء المؤمنين فى امر الدين بتوفيقهم للايمان مع ما هم عليه فى امر
الدنيا من كمال سوء الحال والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة والمعنى ذلك الفتون
الكامل البديع فتنا اى ابتلينا (بعضهم ببعض) اى بعض الناس ببعضهم لا فتونا غيره حيث قدمنا الاخرين
فى امر الدنيا على الاولين المتقدمين عليهم فى امر الدنيا تقدما كليا (ليقولوا) اللام للعاقبة اى ليكون عاقبة
امرهم ان يقول البعض الاولون مشيرين الى الاخرين محقرين لهم نظرا الى ما بينهما من التفاوت الفاحش
الدنيوى وتعاميا عما هو مناط التفضل حقيقة (اهؤلاء من الله عليهم من بيننا) بان وفقهم لاصابة الحق
ولما يسعدهم عنده تعالى من دوننا ونحن المتقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقرآء وغرضهم بذلك انكار وقوع
المن رأسا على طريقة قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه لا تحقير الممنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق
الاعتراض عليه تعالى قال الكلبى ان الشريف اذا نظر الى الوضيع قد اسلم قبله استنكف وانف ان يسلم
وقال قد سبقنى هذا بالاسلام فلا يسلم (أليس الله باعلم بالشاكرين) رد لقولهم ذلك وابطال له اى اليس الله باعلم
بالشاكرين لنعمه حتى تستبعدوا انعامه عليهم وفيه اشارة الى ان اولئك الضعفاء عارفون لحق نعمة الله تعالى
فى تنزيل القرءآن والتوفيق للايمان شاكرون له تعالى على ذلك وتعريض بان القائلين بمعزل من ذلك كله
قال فى التأويلات النجمية وكذلك فتنا بعضهم ببعض يعنى الفاضل بالمفضول والمفضول بالفاضل فليشكر
الفاضل وليصبر المفضول فان لم يشكر الفاضل فقد تعرض لزوال الفضل وان صبر المفضول فقد سعى فى نيل الفضل
والمفضول الصابر يستوى مع الفاضل الشاكر كما كان سليمان فى الشكر مع ايوب فى الصبر فان سليمان مع كثرة

صورة اعماله فى العبودية كان مع ايوب مع عجزه عن صورة اعمال العبودية متساويين فى مقام نعم العبد فقال
لكل واحد منهما نعم العبد ففتنة الفاضل للمفضول رؤية فضله على المفضول وتحقيره ومنع حقه عنه فى فضله
وفتنة المفضول فى الفاضل حسده على فضله وسخطه عليه فى منع حقه من فضله عنه فانه انقطع بالخلق اورأى
المنع والعطاء من الخلق وهو المعطى والمانع لا غير فعلى العاقل ان يختار ما اختاره الله ولا يريد الا ما يريده (قال
الكاشفى) فى تفسيره الفارسى دركشف الاسرار آورده كه ارادت بر سه وجه است اول ارادت دنياى محض كما
قال تعالى تريدون عرض الدنيا) ونشان آن دو چيزاست درزيادتىء دنيا بنقصان دين راضى بودن وازدرويشان
ومسلمانان اعراض نمودن ودوم ارادت آخرت محض (كما قال تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها) وآن نيزدو
علامت دارد درسلامتىء دين بنقصان دنيا رضا دادن ودرمؤانست والفت بروى درويشان كشادن سوم
ارادت حق محض كما قال تعالى يريدون وجهه) ونشان آن پاى برسركونين نهادن است وازخود وخلق آزاد
كشتن * ماراخواهى خطى بعالم دركش * دربحر فنا غرقه شو ودم دركش * فهم يريدون وجهه
تعالى فكل يريدون منه وهم يريدونه ولا يريدون منه كما قيل

وكل له سؤل ودين ومذهب * ووصلكمو سؤلى ودينى رضاكمو

وتكلم الناس فى الارادة فاكثروا وتحقيقها اهتياج يحصل فى القلب يسلب القرار من العبد حتى يصل الى الله
تعالى فصاحب الارادة لا يهدأ ليلا ولا نهارا ولا يجد من دون وصوله اليه سكونا ولا قرارا كما فى التأويلات
النجمية وفى الاية الكريمة بيان فضل الفقرآء وعن ابى سعيد الخدرى قال جلست فى نفر من ضعفاء المهاجرين
وكان بعضهم يستتر ببعض من العرى وقارئ يقرأ علينا اذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فلما قام
سكت القارئ فسلم رسول الله وقال ما كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان قارئ يقرأ علينا وكنا نستمع الى
كتاب الله تعالى فقال رسول الله الحمد لله الذى جعل من امتى من امرنى ان اصبر نفسى معهم قال ثم جلس وسطنا
ليعدل نفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم له قال فما رأيت رسول الله عرف منهم احدا
غيرى فقال ابشروا يا معاشر صعاليك المهاجرين بالفوز التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف
يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة وفى الحديث يؤتى بالعبد الفقير يوم القيامة فيعتذر الله عز وجل اليه كما يعتذر
الرجل الى الرجل فى الدنيا فيقول وعزتى وجلالى ما زويت الدنيا عنك لهوانك علىّ ولكن لما اعددت لك من
الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدى الى هذه الصفوف وانظر الى من اطعمك اوكساك واراد بذلك وجهى فخذ بيده
فهو لك والناس يومئذ قد الجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل به ذلك فى الدنيا فيأخذه بيده ويدخل
الجنة (قال الحافظ) توانكرا دل درويش خود بدست آور * كه مخزن زر وكنج ودرم نخواهد ماند * برين رواق
زبرجد نوشته اند بزر * كه جز نكوىء اهل كرم نخواهد ماند * وفى الحديث لكل شئ مفتاح ومفتاح
الجنة حب المساكين والفقرآء الصبر هم جلساء الله يوم القيامة (قال الشيخ العطار قدس سره) حب درويشان
كليد جنت است * دشمن ايشان سزاى لعنت است * اللهم اجعلنا من الاحباب ولا تطردنا خارج
الباب (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) روى ان قوما جاؤا الى النبى عليه السلام فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما
فما تدارك الاستغفار وتدبير الاعتذار فسكت عنهم ولم يرد عليهم شيأ فانصرفوا مأيوسين فنزلت قال الامام
كل من آمن بالله دخل هذا التشريف (فقل سلام عليكم) من كل مكروه وآفة والسلام بمعنى التسليم
اى الدعاء بالسلامة فمعنى سلام عليكم سلمنا عليكم سلاما اى دعوت بان يسلمكم الله من الآفات فى دينكم
ونفسكم وانما امره بان يبدأهم بالسلام مع ان العادة ان الجائى يسلم على القاعد حتى ينبسط اليهم بالسلام
عليهم لئلا يحتشموا من الانبساط اليه هذا هو السلام فى الدنيا واما فى الآخرة فتسلم عليهم الملائكة عند دخول
الجنة كقوله سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين والله يبتدئ بالسلام عليهم بقوله سلام قولا من رب رحيم
وقوله فقل سلام عليكم يشير الى السلام الذى سلمه الله على حبيبه عليه السلام ليلة المعراج اذ قال له السلام
عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته فقال فى قبول السلام السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين والذى تاب
من بعد ظلمه منتظم فى سلك اهل الصلاح فورد الاية لا ينافى هذا المعنى (كتب ربكم على نفسه الرحمة)
اى قضاها واوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والاحسان قال ابن الشيخ كلمة على تفيد الايجاب

واذا اجتمعا تأكد الايجاب وهو لا ينافى كونه تعالى فاعلا مختارا بل هو عبارة عن تأكيد وبيان لفضله وكرمه اه
قال فى التأويلات النجمية قال فى حديث ربانى للجنة انما انت رحمتى ارحم بك من اشاء من عبادى فيرحم بجنته
من شاء من عباده ويرحم بذاته من شاء من عباده (انه من عمل منكم سوأ) بدل من الرحمة والتقدير كتب على
نفسه انه من عمل الخ فان مضمون هذه الجملة لاشك انه رحمة والسوء بالفارسية كار بد (بجهالة) حال من فاعل
عمل اى عمله ملتبسا بجهالة حقيقة بان يفعله وهو لا يعلم ما يترتب عليه من المضرة والعقوبة او حكما بان يفعله
عالما بسوء عاقبته فان من عمل ما يؤدى الى الضرر فى العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو فى حكم الجاهل
فهو حال مؤكدة لانها مقررة لمضمون قوله عمل سوأ لان عمل السوء لا ينفك عن الجهالة حقيقة او حكما قال اهل
الاشارة يشير بقوله منكم الى ان عامل السوء صنفان صنف منكم ايها المؤمنون المهتدون وصنف من غيركم
وهم الكفار الضالون والجهالة جهالتان جهالة الضلالة وهى نتيجة اخطاء النور المرشش فى عالم الارواح
وجهالة الجهولية وهى التى جبل الانسان عليها فمن عمل من الكفار سوأ بجهالة الضلالة فلا توبة له بخلاف من
عمل سوأ من المؤمنين بجهالة الجهولية المركوزة فيه فان له توبة كما قال تعالى (ثم تاب) اى رجع عنه (من بعده)
اى من بعد عمله (واصلح) اى ما افسده والاصلاح هو ان لا يعود ولا يفسد (فانه) خبر مبتدأ محذوف اى فامره
ان الله تعالى (غفور) له (رحيم) به قال الكاشفى فى تفسيره الفارسى امام قشيرى رحمه الله فرموده كه
اكر ملك بر تو ذلت مى نويسد ملك براى تو رحمت مى نويسد پس تراد و كتابت است يكى ازلى ويكى وقتى مقررست كه
كتابت وقتى كتابت ازلى را باطل نمى تواند ساخت مضمون اين آيت شريف شفاست بيماران بيمارستان كناه را
وشفا بشرط پرهيزست يعنى توبه واستغفار دردمندان كنه را روز وشب * شربتى بهتر ز استغفار نيست *
آرزومندان وصال يار را * چاره غير از ناله وزار نيست (وكذلك نفصل الايات) الكاف مقحمة
لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده اى هذا التفصيل البديع
نفصل الآيات القرآنية ونبينها فى صفة اهل الطاعة واهل الاجرام المصرين منهم والاوابين ليظهر الحق
ويعمل به (ولتستبين سبيل المجرمين) اى تظهر طريقتهم فيجتنب عنها ورفع سبيل على انه فاعل فانه يذكر فى لغة
بنى تميم ويؤنث فى لغة اهل الحجاز ووجه الاستبانة والايضاح ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة
فعلى العاقل ان يسلك طريق الفوز والفلاح ويصل الى ما وصل اليه اهل الصلاح واول الطريق هو التوبة
والاستغفار قال العلماء تذكر اولا قبح الذنوب وشدة عقوبة الله ثم تذكر ضعفك وقلة حيلتك فى ذلك فمن لا يتحمل
قرص نملة وحر شمس كيف يتحمل نار جهنم واسع حيات فينبغى ان تجتهد فى الخروج عن الذنوب على اقسامها
التى بينك وبين عباد الله بالاستحلال ورد المظالم واما التى هى من ترك الواجبات من صلاة وصيام وزكاة فتقضى
ما امكن منها واما التى بينك وبين الله كشرب الخمر وضرب المزامير واكل الربا فتندم على ما مضى منها وتوطن
قلبك على ترك العود الى مثلها ابدا فاذا ارضيت الخصوم بما امكن وقضيت الفوائت بما تقدر عليه وبرأت
قلبك عن الذنوب فينبغى ان ترجع اليه بحسن الابتهال والضراعة ليكفيك ذلك بفضله فتذهب فتغتسل وتغسل
ثيابك فتصلى ركعتين كما فى الحديث الصحيح ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين
ثم يستغفر الله الا غفر له وفى حديث آخر ايما عبد او امة ترك صلاته فى جهالته فتاب وندم على تركها فليصل يوم
الجمعة بين الظهر والعصر اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل منها الفاتحة وآية الكرسى والاخلاص والمعوذتين مرة
لا يحاسبه الله تعالى يوم القيامة ووجد صحيفة سيئاته حسنات ذكره فى مختصر الاحياء يقول الفقير جامع
هذه الفوائد ان هذا الحديث على تقدير صحته لا يفهم منه ان هذه الصلاة تكون قضاء لجميع ما فات منه وتقوم
بدله كيف وقد ذكر فى اوله التوبة والندامة ومن مقتضاها قضاء ما سلف كما مر آنفا فمعنى ان الله تعالى لا يحاسبه
يوم القيامة لا يقول له لم اخرت الصلاة التى فرضت عليك عن اوقاتها وذلك ببركة هذه الصلاة الشريفة التى هى
تأكيد لتوبته وزيادة فى اعتذاره وقد عرف فى الشرع ان العبد كما يحاسب على ترك الصلوات كذلك يحاسب
على تأخيرها عن اوقاتها وبهذا البيان انحل ما اشكل على بعض من مواظبة الناس على قضاء صلوات يوم وليلة
فى آخر جمعة من شهر رمضان بين الظهر والعصر فان ما يصلونه هى الصلاة المذكورة عند الحقيقة لكنهم
يغلطون فى زعمهم وفى الكيفية والله اعلم وفى كتاب الترغيب والترهيب انه جاء رجل الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال واذنوباه واذنوباه مرتين او ثلاثا فقال له عليه السلام قل اللهم مغفرتك اوسع من ذنوبى ورحمتك
ارجى عندى من عملى فقالها ثم قال عد فعاد ثم قال عد فعاد ثم قال قم فقد غفر الله لك ومن استغفر للمؤمنين كل
يوم كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة وما الميت فى قبره الا كالغريق المتنظر ينتظر دعوة تلحقه من اب او ام
او اخ صديق فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا وما فيها وان الله تعالى ليدخل على اهل القبور من دعاء اهل
الارض امثال الجبال وان هدية الاحياء الى الاموات الاستغفار لهم ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم
يقوم الحساب فانك مرجع كل تواب واواب (قل انى نهيت) كان كفار قريش يدعونه عليه السلام الى دين
آبائه فنزلت اى صرفت وزجرت بما نصب لى من الادلة وانزل على من الآيات فى امر التوحيد (ان اعبد الذين
تدعون) اى عن عبادة ما تعبدونه (من دون الله) كائنا ما كان (قل لا اتبع اهواءكم) اشارة الى الموجب للنهى
كانهم قالوا لم نهيت عما نحن فيه ولم تمتنع عن متابعتنا اجاب بان ما انتم عليه هوى وليس بهدى فكيف اتبع
الهوى واترك الهدى (قد ضللت اذا) اى ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت اى تركت سبيل الحق (وما انا من
المهتدين) من الذين سلكوا طريق الهدى عطف على ما قبله (قل انى على بينة) كائنة (من ربى) والبينة الحجة
الواضحة التى تفصل بين الحق والباطل يقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك
بحجة واضحة وشاهد صدق والمراد بها القرآن والوحى (وكذبتم به) جملة مستأنفة سيقت للاخبار بذلك والضمير
المجرور للتنبيه والتذكير باعتبار البيان والبرهان والمعنى انى على بينة عظيمة كائنة من ربى وكذبتم بها وبما فيها
من الاخبار التى من جملتها الوعيد بمجيء العذاب (ما عندى ما تستعجلون به) روى ان رؤساء قريش كانوا
يستعجلون العذاب بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء او بطريق الالزام حتى قام
النضر بن الحارث فى الحطيم وقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا
بعذاب اليم والمعنى ليس ما تستعجلون به من العذاب الموعود فى القرآن وتجعلون تأخره ذريعة لتكذيبه
فى حكمى وقدرتى حتى اجيء به واظهر لكم صدقه اى ليس امره بمفوض الى (ان الحكم) اى ما الحكم فى ذلك
وغيره تعجيلا وتأخيرا (الا لله) وحده من غير ان يكون لى دخل ما فيه بوجه من الوجوه (يقص الحق) اى يقول
الحق ويتبعه فى بيان جميع احكامه ولا يحكم الا بما هو حق فتأخير العذاب حق ثابت جار على حكمة بليغة واصل
الحكم المنع فكأنه يمنع الباطل عن معارضة الحق او الخصم عن التعدى على صاحبه (وهو خير الفاصلين)
اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله مشير الى ان قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل
(قل لو ان عندى) اى فى قدرتى ومكنتى (ما تستعجلون به) من العذاب الذى ورد به الوعيد بان يكون امره
مفوضا الى من جهته عز وجل (لقضى الامر بينى وبينكم) اى بان ينزل ذلك عليكم اثر استعجالكم بقولكم
متى هذا الوعد ونظائره وفى بناء الفعل للمفعول من الايذان بتعين الفاعل الذى هو الله سبحانه وتهويل الامر
ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى (والله اعلم بالظالمين) اى بحالهم وبانهم مستحقون للامهال بطريق
الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الى فلم يقض الامر بتعجيل العذاب فعابد الاصنام سواء
امهل او لا يذوق العذاب ولا يتخلص عنه اصلا وكذا عابد الدنيا والنفس والشيطان والهوى فان ذلك فى نار
الجحيم وهذا فى نار الفراق العظيم فعلى العاقل ان لا يتبع الهوى كما امر الله تعالى فقال قل لا اتبع اهواءكم قال
بعضهم جزت مرة ببلاد السواد فرأيت شيخا جالسا فى الهواء فسلمت عليه فرد السلام على فقلت له بم جلست
فى الهواء قال خالفت الهوى فاسكنت فى الهواء وجاء جماعة من فقهاء اليمن الى الشيخ الكبير ابى الغيث
قدس سره يمتحنونه فى شئ فلما دنوا منه قال مرحبا بعبيد عبدى فاستعظموا ذلك فلحقوا شيخ الطريقين وامام
الفريقين العالم العارف ابا الذبيح اسماعيل بن محمد الحضرمى فاخبروه بما قاله الشيخ ابو الغيث لهم فضحك الشيخ
وقال صدق الشيخ انتم عبيد الهوى والهوى عبده وانما يتخلص المرء عن الهوى بالتقوى (وفى المثنوى)
چونكه تقوى بست دو دست هوا * حق كشايد هر دو دست عقل را * پس حواس بيره محكوم تو شد *
چون خرد سالار ومخدوم تو شد * واعلم ان الهوى من اوصاف النفس فالايات متعلقة باصلاح النفس ومن
كان على بينة من ربه وهى فى الحقيقة النور الذى ينشرح به الصدر يكون على الهدى لا على الهوى وله
علامات كما لا يخفى (حكى) ان بعض الصالحين كان يتكلم على الناس ويعظهم فمر عليه فى بعض الايام يهودى

وهو يخوفهم ويقرأ قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فقال اليهودى ان كان هذا الكلام
حقا فنحن وانتم سوآء فقال له الشيخ لا ما نحن سوآء بل نحن نرد ونصدر وانتم تردون ولا تصدرون ننجو نحن منها
بالتقوى وتبقون انتم فيها جثيا بالظلم ثم قرأ الاية الثانية ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فقال
اليهودى نحن المتقون فقال له الشيخ كلا بل نحن وتلا قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين
يتقون ويؤتون الزكاة الى قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الامى فقال اليهودى هات برهانا على
صدق هذا فقال له الشيخ البرهان حاضر يراه كل ناظر وهو ان تطرح ثيابى وثيابك فى النار فمن سلمت ثيابه فهو
الناجى منها ومن احرقت ثيابه فهو الباقى فيها فنزعا ثيابهما فاخذ الشيخ ثياب اليهودى ولفها ولف عليها ثيابه
ورمى الجميع فى النار ثم دخل النار فاخذ الثياب ثم خرج من الجانب الاخر ثم فتحت الثياب فاذا ثياب الشيخ
المسلم سالمة بيضاء قد نظفتها النار وازالت عنها الوسخ وثياب اليهودى قد صارت حراقة مع انها مستورة وثياب
الشيخ المسلم ظاهرة للنار فلما رأى ذلك اسلم والحمد لله فهذه الحكاية مناسبة لما ذكر من الايات اذ كفار قريش
كانوا من اهل الظلم والهوى فلم ينفعهم دعواهم فصاروا الى العذاب والمؤمنون كانوا من اهل العدل والبينة
والهدى فانتج تقواهم ووصلوا الى جنات مفتحة لهم الابواب ومن سلم لباسه من النار سلم وجوده بالطريق
الاولى بل الثوب فى الحقيقة هو الوجود الظاهرى الذى استتر به الروح الباطنى فلابد من تطهيره المؤدى الى
تطهير الباطن يسره الله (وعنده) اى الله تعالى خاصة (مفاتح الغيب) اى خزآئن غيوبه جمع مفتح بفتح الميم وهو
المخزن والكنز والاضافة من قبيل لجين الماء وهو المناسب للمقام كما فى حواشى سعدى چلبى المفتى ويجوز ان يكون
جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح اى آلة الفتح فالمعنى ما يتوصل به الى الغيب شبه الغيب بالخزآئن المستوثق بها
بالاقفال واثبت لها مفاتح على سبيل التخييل ولما كان عنده تلك المفاتح كان المتوصل الى ما فى الخزآئن من
المغيبات هو لا غير كما فى حواشى ابن الشيخ (لا يعلمها الا هو) تأكيد لمضمون ما قبله قال فى تفسير الجلالين وهى
الخمسة التى فى قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الآية رواه البخارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله لا يعلم ما فى الارحام الا الله ولا يعلم ما فى غد الا الله ولا يعلم متى يأتى المطر
الا الله ولا يدرى باى ارض تموت النفس الا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة الا الله (ويعلم ما فى البر والبحر)
من الموجودات مفصلة على اختلاف اجناسها وانواعها وتكثر افرادها وهو بيان لتعلق علمه تعالى
بالمشاهدات اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها على ان الكل بالنسبة الى علمه المحيط سوآء فى الجلاء
(وما تسقط من) زآئدة (ورقة الا يعلمها) يريد ساقطة وثابتة يعنى يعلم عدد ما يسقط من ورق الشجر وما يبقى عليه
وهى مبالغة فى احاطة علمه بالجزئيات (ولا حبة) عطف على ورقة وهى بالفارسية دانه (فى ظلمات الارض)
اى كائنة فى بطونها الا يعلمها (قال الكاشفى) مراد تخميست كه در زمين افتد (ولا رطب) عطف على ورقة ايضا
وهو بالفارسية تر (ولا يابس) بالفارسية خشك اى ما يسقط من شئ من هذه الاشياء الا يعلمه قال الحدادى
الرطب واليابس عبارة عن جميع الاشياء التى تكون فى السموات وفى الارض لانها لا تخلو من احدى هاتين
الصفتين انتهى فيختصان بالجسمانيات اذ الرطوبة واليبوسة من اوصاف الجسمانيات (الا فى كتاب مبين)
هو اللوح المحفوظ فهو بدل اشتمال من الاستثناء الاول او هو علمه تعالى فهو بدل منه بدل الكل وقرئ لا رطب
ولا يابس بالرفع على الابتدآء والخبر الا فى كتاب وهو الانسب بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس
من شأنه السقوط قال الحدادى فان قيل ما الفائدة فى كون ذلك فى اللوح مع ان الله تعالى لا يخفى عليه شئ
وان كان عالما بذلك قبل ان يخلقه وقبل ان يكتبه لم يكتبها لحفظها او يدرسها قيل فائدته ان الحوادث اذا حدثت
موافقة للمكتوب ازدادت الملائكة بذلك علما ويقينا بعظيم صفات الله تعالى يقول الفقير ان الملائكة ليست
من اهل الترقى والتنزل فقصر الفائدة على ذلك مما لا معنى له بل نقول ان اللوح قلب هذا التعين ككتاب الانسان
قد انتقش فيه ما كان وما سيكون وهو من مراتب التنزلات فقد ضبط الله فيه جميع المقدورات الكونية
لفوآئد ترجع الى العباد يعرفها العلماء بالله (قال الحافظ) معرفت نيست درين قوم خدايا مددى *
تا برم كوهر خود را بخريدار دكر * والاشارة فى الاية ان الله تعالى جعل لكل شئ من المكونات شهادة
تناسب ذلك الشئ وغيبا مناسبا له وجعل لغيب كل مفتاحا يفتح به باب غيب ذلك الشئ وشهادته فينفعل ذلك

الشئ كما اراده الله فى الازل وقدره وعنده مفاتح ذلك الغيب لا يعلمها الا هو لانه لا خالق الا هو وليس لنبى ولا لولى
مدخل فى علم هذه المفاتح ولا فى استعمالها الا انه مختص بالخالق فقط وسأضرب لك مثلا تدرك به هذه الحقيقة
وذلك مثل نقاش للصورة فان لكل صورة مما ينقشه شهادة هى هيئتها وغيبا هو علم التصوير ومفتاحا يفتح به
باب علم التصوير على هيئة الصورة لتنفعل الصورة كما هى ثابتة فى ذهن النقاش هو القلم والقلم بيد النقاش
لا مدخل لتصرف غيره فيه فالله تعالى هو النقاش المصور والصور هى المكونات المختلفة الغيبية
والشهادية وشهادة كل صورة منها خلقتها وتكوينها وقلم تصويرها الذى هو مفتاح يفتح به باب علم تكوينها على
صورتها وكونها هو الملكوت فبقلم ملكوت كل شئ يكون كون كل شئ وقلم الملكوت بيد الله تعالى كما قال فسبحان
الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون وكما ان الاشياء مختلفة فالمكونيات مختلفات وملكوت كل شئ من
الجماد والنبات والحيوان والانسان والملك مناسب لصورته ولهذا جمع المفاتح ووحد الغيب وقال وعنده مفاتح
الغيب لان الغيب هو علم التكوين وهو واحد فى جميع الاشياء وفى الملكوت كثرة كما فى اقلام المصور فافهم جدا
ويعلم التكوين يعلم ما فى البر والبحر لان به كون البر وهو عالم الشهادة والصورة والبحر وهو عالم الغيب والملكوت
يدل على هذا المعنى قوله عالم الغيب والشهادة وبهذا العلم ما تسقط من ورقة الا يعلمها لانه مكونها ومثبتها
ومسقطها ولا حبة فى ظلمات الارض اى حبة الروح فى ظلمات صفات ارض النفس وايضا ولا حبة فى ظلمات
الارض اى ارض القلب وظلمات صفات البشرية الا وهو ركبها ويعلم كمالها ونقصانها ولا رطب ولا يابس الرطب
هو الموجود فى الحال واليابس هو المعدوم فى الحال وسيكون موجودا وايضا الرطب الروحانيات واليابس
الجماديات وايضا الرطب المؤمن واليابس الكافر وايضا الرطب العالم واليابس الجاهل وايضا الرطب العارف
واليابس الزاهد وايضا الرطب اهل المحبة واليابس اهل السلوة وايضا الرطب صاحب الشهود واليابس صاحب
الوجود وايضا الرطب الباقى بالله واليابس الباقى بنفسه الا فى كتاب مبين وهو ام الكتاب كذا فى التأويلات
النجمية قدس سر مؤلفها العزيز الشريف (وهو الذى يتوفاكم بالليل) الخطاب عام للمؤمن والكافر اى ينيمكم
فى الليل ويجعلكم كالميت فى زوال الاحساس والتمييز ومن هنا ورد النوم اخ الموت والتوفى فى الاصل قبض
الشئ بتمامه وعن على رضى الله عنه يخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه فى الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه
من النوم عادت الروح الى الجسد باسرع من لحظة يعنى ان الذى يرى الرؤيا هو الروح الانسانى وانه يرى فى عالم
البرزخ ما صدر عن الروح الحيوانى من القبيح والحسن وهو ظل الروح الانسانى والتعبير بالحيوانى والانسانى
اصطلاح الحكماء واما اهل السلوك فيعبرون عنها بالروح وتنزله (ويعلم ما جرحتم بالنهار) اى ما كسبتم فيه
وجوارح الانسان اعضاؤه التى يكسب بها الاعمال خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على العادة
(ثم يبعثكم فيه) اى يوقظكم فى النهار عطف على يتوفاكم وتوسيط قوله ويعلم بينهما لبيان ما فى بعثهم من عظيم
الاحسان اليهم بالتنبيه على انه بعد علم ما يكتسبونه من السيئات مع كونها موجبة لابقائهم على التوفى
بل لاهلاكهم بالمرة يفيض عليهم الحياة ويمهلهم كما ينبئ عنه كلمة التراخى كانه قيل هو الذى يتوفاكم فى جنس
الليل ثم يبعثكم فى جنس النهار مع علمه بما تجترحون فيه (ليقضى اجل مسمى) اى ليبلغ المتيقظ آخر اجله
المسمى له فى الدنيا وقضاء الاجل فصل الامر على سبيل التمام فمعنى قضاء الاجل فصل مدة العمر من غيرها
بالموت والاجل آخر مدة الحياة (ثم اليه مرجعكم) اى رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا (ثم ينبئكم بما كنتم
تعملون) بالمجازاة باعمالكم التى كنتم تعملونها فى تلك الليالى والايام (وهو القاهر) مستعليا (فوق عباده)
اى المتصرف فى امورهم لا غيره يفعل بهم ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك
ويجوز ان يكون فوق خبرا بعد خبر وليس معنى فوق معنى المكان لاستحالة اضافة الاماكن الى الله تعالى
وانما معناه الغلبة والقدرة ونظيره فلان فوق فلان فى العلم اى اعلم منه (وفى المثنوى) دست بر بالاى دست
اين تا كجا * تا بيزدان كه اليه المنتهى * كان يكى درياست بى غور وكران * جمله درياها چو سيلى
پيش آن * حيلها وچارها كر اژدهاست * پيش الا الله انها جمله لاست (ويرسل عليكم حفظة)
عطف على الجملة الاسمية قبلها اى يرسل عليكم خاصة ايها المكلفون ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام
الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن

المعاصى وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه (قال الكاشفى) نه انديشى ازان روز بكه دروى * جكرها خون ودلها ريش بينى * دهندت نامهٔ اعمال وكويند * بخوان تا كردهاى خويش بينى * مكن ورميكنى بارى دران كوش * كه اندر نامه نيكى بيش بينى * ورد فى الخبران على كل واحد منا ملكين بالليل وملكين بالنهار يكتب احدهما الحسنات والآخر السيئات وصاحب اليمين امير على صاحب الشمال فاذا عمل العبد حسنة كتبت له بعشر امثالها واذا عمل سيئة فاراد صاحب الشمال ان يكتب قال له صاحب اليمين امسك فيمسك عنه ست ساعات او سبع ساعات فان هو استغفر الله لم يكتب عليه وان لم يستغفر كتب سيئة واحدة فان قلت هل تعرف هؤلاء الملائكة العزم الباطن كما يعرفون الفعل الظاهر قلت نعم لان الحفظة تنتسخ من السفرة وهى من الخزنة التى وكلت باللوح وقد كتب فيه احوال العوالم واهاليها من السرآئر والظواهر فبعد وقوفهم على ذلك يكتبون ثانيا من اول اليوم الى آخره ومن اول الليل الى آخره حسبما يصدر عن الانسان وقيل اذا هم العبد بحسنة فاح من فيه رآيحة المسك فيعلمون بهذه العلامة فيكتبونها واذا هم بسيئة فاح منه ريح النتن فان قلت الملائكة التى ترفع عمل العبد فى اليوم هم الذين يأتون غدا ام غيرهم قلت قال بعض العلماء الظاهر انهم هم وان ملكى الانسان لا يتغيران عليه مادام حيا وقال بعض المشايخ من جاء منهم لا يرجع ابدا مرة اخرى ويجيء آخرون مكانهم الى نفاد العمر واختلف فى موضع جلوس الملكين وفى الخبر النبوى نقوا افواهكم بالخلال فانها مجلس الملكين الكريمين الحافظين وان مدادهما الريق وقلمهما اللسان وليس عليهما شىء امر من بقايا الطعام بين الاسنان ولا يبعدان يوكل بالعبد ملائكة سوى هذين الملكين كل منهم يحفظه عن اذى كما جاء فى الروايات (حتى اذا جاء احدكم الموت) حتى هى التى يبتدأ بها الكلام وهى مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم حتى اذا انتهت مدة احدكم كائنا من كان وجاء اسباب الموت ومباديه (توفته رسلنا) الاخرون المفوض اليهم ذلك وهم ملك الموت واعوانه وانتهى هناك حفظ الحفظة (وهم) اى الرسل (لا يفرطون) اى لا يقصرون فيما يؤمرون بالتوانى والتأخير طرفة عين واعلم ان القابض لارواح جميع الخلق هو الله تعالى حقيقة وان ملك الموت واعوانه وسائط ولذلك اضيف التوفى اليهم وقد يكون التوفى بدون وساطتهم كما نقل فى وفاة فاطمة الزهرآء رضى الله عنها وغيرها واعوان ملك الموت اربعة عشر ملكا سبعة منها ملائكة الرحمة واليهم يسلم روح المؤمن بعد القبض وسبعة منهم ملائكة العذاب واليهم يسلم روح الكافر بعد الوفاة قال مجاهد قد جعلت الارض لملك الموت كالطشت يتناول من حيث يشاء يقول الفقير ليس على ملك الموت صعوبة فى قبض الارواح وان كثرت وكانت فى امكنة مختلفة وكيفيته لا تعرف بهذا العقل الجزئى كما لا تعرف كيفية وسوسة الشيطان فى قلوب جميع اهل الدنيا روى فى الخبران رسول الله دخل على مريض يعوده فرأى ملك الموت عند رأسه فقال يا ملك الموت ارفق به فانه مؤمن فقال ملك الموت يا محمد ابشر وطب نفسا وقر عينا فانى بكل مؤمن رفيق انى لاقبض روح المؤمن فيصرخ اهله فاعتزل فى جانب الدار فاقول مالى من ذنب وانى مأمور وان لى لعودة فالحذر الحذر ومامن اهل بيت مدر ولا وبر فى بر وبحر الا وانا اتصفحهم فى كل يوم خمس مرات حتى انى لاعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم والله لو اردت ان اقبض روح بعوضة ما قدرت عليها حتى يأمرنى الله تعالى بقبضها قال العلماء الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وانما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما وتبدل حال وانتقال من دار الى دار ولما خلق الله الموت على صورة كبش املح قال له اذهب الى صفوف الملائكة على هيئتك هذه فلم يبق ملك الا غشى عليه الى عام ثم افاقوا فقالوا يا ربنا ما هذا قال الموت قالوا لمن ذلك قال على كل نفس قالوا لم خلقت الدنيا قال ليسكنها بنوا آدم قالوا لم خلقت النساء قال ليكون النسل قالوا من يسلط عليه هذا اهل يشتغل بالنساء والدنيا قال ان طول الامل ينسيهم الموت حتى يكون منهم آخذ الدنيا وشهوة النساء ولذلك قيل الموت من اعظم المصائب واعظم منه الغفلة عنه (ثم ردوا) عطف على توفته والضمير للكل المدلول عليه باحدكم اى ردهم الملائكة بعد البعث (الى الله) اى الى حكمه وجزآئه فى موقف الحساب فالرد الى الله ليس على ظاهره لكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة بل هو عبارة عن جعلهم منقادين لحكم الله تعالى مطيعين لقضائه

بان يساقوا الى حيث لا مالك ولا حاكم فيه سواه (مولاهم) اى مالكهم الذى يلى امورهم على الاطلاق واما قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم فالمولى فيه بمعنى الناصر فلا تناقض وهو بدل من الجلالة (الحق) الذى لا يقضى الا بالعدل وهو صفة للمولى (ألا) اى اعلموا وتنبهوا (له الحكم) اى القضاء بين العباد يومئذ لا حكم لغيره فيه بوجه من الوجوه (وهو اسرع الحاسبين) يحاسب جميع الخلائق فى اسرع زمان واقصره لا يشغله حساب عن حساب ولا شأن عن شأن لا يتكلم بآلة ولا يحتاج الى فكرة وروية وعقد يد ومعنى المحاسبة تعريف كل واحد ما يستحقه من ثواب وعقاب قال بعض العلماء المحاسبة لتقدير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها فيقدم الحساب على الميزان ولهذا لا ميزان لمن يدخل الجنة بلا حساب واعلم ان الحشر والحساب لا يكون على وجه الارض وانما يكون فى الارض المبدلة وهى ارض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم ولم يظلم عليها احد فاذا ثبت الحشر والحساب وان الله تعالى هو المحاسب وجب على العاقل ان يحاسب نفسه قبل ان يناقش فى الحساب لانه هو التاجر فى طريق الآخرة وبضاعته عمره وربحه صرف عمره فى الطاعات والعبادات وخسرانه صرفه فى المعاصى والسيئات ونفسه شريكه فى هذه التجارة وهى وان كانت تصلح للخير والشر لكنها اميل واقبل الى المعاصى والشهوات فلا بد لها من مراقبتها ومحاسبتها (قال السعدى) تو غافل در انديشهٔ سود ومال * كه سرمايهٔ عمر شد پايمال (قل) يا محمد لاهل مكة (من) استفهام (ينجيكم) اى يخلصكم ويعطى لكم نجاة (من ظلمات البر والبحر) من شدآئدهما واهوالهما فى اسفاركم استعيرت الظلمة للمشقة لمشاركتهما فى الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اى اشتدت ظلمته حتى صار كالليل فى ظلمته بناء على ان الليل اذا لم يستنر بنور القمر ظهرت الكواكب صغارها وكبارها وكلما اشتدت ظلمته اشتد ظهور الكواكب (تدعونه تضرعا وخفية) اى معلنين ومسرين على ان يكون تضرعا وخفية مصدرين فى موضع الحال من فاعل تدعونه وتدعون حال من فاعل ينجيكم اى داعين اياه تعالى والتضرع اظهار الضراعة وهى شدة الفقر والحاجة الى الشىء (لئن انجانا) حال من فاعل تدعون ايضا على ارادة القول اى تدعونه قائلين والله لئن خلصنا (من هذه) الظلمات والشدآئد (لنكونن من الشاكرين) اى الراسخين فى الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة والشكر الاعتراف بالنعمة مع القيام بحقها وحق نعمة الله ان يطاع منعمها ولا يعصى فضلا عن ان يشرك به ما لا يقدر على شىء اصلا (قل) لهم (الله ينجيكم منها ومن كل كرب) اى غم سواها والكرب غاية الغم الذى يأخذ بالنفس (ثم انتم) بعد ما تشاهدون من هذه النعم الجليلة (تشركون) بعبادته تعالى غيره والمناسب لقولهم لنكونن من الشاكرين ان يقال ثم انتم لا تشكرون اى لا تعبدون لكن وضع تشركون موضعه تنبيها على ان الاشراك بمنزلة ترك الشكر رأسا (قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا) لاجل اشراككم (من فوقكم) اى عذابا كائنا من جهة الفوق كما فعل بقوم نوح عليه السلام بحيث اهلكهم بان ارسل عليهم الطوفان والصاعقة والريح والصيحة واهلك قوم لوط واصحاب الفيل بان امطر عليهم حجارة (او من تحت ارجلكم) اى من جهة السفل كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم ملوككم واكابركم ورؤسائكم ومن تحت ارجلكم عبيدكم السوء وسفلتكم وسفهائكم وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح (او يلبسكم) من لبست عليه الامر اى خلطته من باب ضرب واما لبست الثوب فمن باب علم ومصدر الاول اللبس بالفتح والثانى بالضم والمعنى او يخلطكم (شيعا) منصوب على انه حال من مفعول يلبسكم وهو جمع شيعة كسدرة وسدر والشيعة كل قوم اجتمعوا على امر اى يخلطكم حال كونكم فرقا متحزبين على اهوآء شتى ومذاهب مختلفة كل فرقة متابعة لامام فينشب بينكم القتال اى يهيج ويظهر فهذا الخلط هو خلط اضطراب لا خلط اتفاق (ويذيق بعضكم بأس بعض) يقاتل بعضكم بعضا ومن سنة الله تعالى ان يذيق الكافرين بأس المؤمنين وبالعكس وان يذيق بعض الكافرين بأس بعض وبعض المؤمنين بأس بعضهم كما هو فى اكثر الازمان والاعصار على حسب التربية المبنية على جماله وجلاله تعالى وفى الحديث سألت ربى ثلاثا فاعطانى اثنتين ومنعنى واحدة سألت ربى ان لا يهلك امتى بالسنة فاعطانيها فسألته ان لا يهلك امتى بالغرق فاعطانيها وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها اراد بالسنة قحطا يعم امته وبالغرق بفتح الراء ما يكون على سبيل العموم كطوفان نوح عليه السلام قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى البروسوى تأثير

طوفان نوح عليه السلام يظهر فى كل ثلاثين سنة مرة واحدة لكن على الخفة فيقع مطر كثير ويغرق بعض القرى
والبيوت من السيل اه كلامه واراد عليه السلام بالباس الحرب والفتن وفى الحديث فناء امتى بالطعن والطاعون
وفى آخر اذا وضع السيف فى امتى لم يرفع منها الى يوم القيامة وفيه معجزة للنبى عليه السلام حيث كان الامر
كما اخبره والبأس الشدة فى الحرب وسبب دخول البأس عدم حكم الائمة بكتاب الله تعالى وسبب تسلط العدو
نقض عهد الله وعهد رسوله كما جاء فى بعض الاحاديث (انظر) يا محمد (كيف نصرف) لهم (الآيات) القرآنية
من حال الى حال بالوعد والوعيد اى نبين لهم آية على اثر آية ونوردها على وجوه مختلفة من اول السورة الى هنا
(لعلهم يفقهون) كى يفقهوا ويقفوا على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد (وكذب به)
اى بالعذاب الموعود او القرآن المجيد الناطق بمجيئه (قومك) اى المعاندون منهم (وهو الحق) اى والحال
ان ذلك العذاب واقع لا محالة او انه الكتاب الصادق فى كل ما نطق (قل) لهم (لست عليكم بوكيل) بحفيظ
وكل الى امركم لامنعكم من التكذيب واجبركم على التصديق انما انا منذر وقد خرجت عن العهدة حيث
اخبرتكم بما سترونه (لكل نبأ) اى خبر من اخبار القرآن (مستقر) اسم زمان اى وقت يقع فيه ويستقر زمن
عذابكم (وسوف تعلمون) عند وقوعه فى الدنيا او فى الآخرة او فيهما معا فعلى العاقل ان يتضرع الى الله تعالى
فى دفع الشدائد ولا يصر على ذنبه فانه سبب للابتلاء وكل ظلمة انما تجيىء من ظلمات النفس الامارة (كما قال
فى المثنوى) هرچه بر تو آيد از ظلمات غم * آن ز بى شرمى و گستاخيست هم (قال الصائب) چرا زغير
شكايت كنم كه همچو حباب * هميشه خانه خراب هواى خويشتنم * والاشارة ان البر هو الاجسام والبحر
هو الارواح فالارواح وان كانت نورانية بالنسبة الى الاجسام لكن بالنسبة الى الحق ونور الوهيته ظلمانية
كما قال عليه السلام ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمعناه اذا خلقتكم فى ظلمة الخلقية فمن
ينجيكم من ظلمات بر البشرية وظلمات بحر الروحانية اذ تدعونه تضرعا اى بالجسم وخفية اى بالروح لئن انجانا
من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون حين تجلى لكم نور من انوار
صفاته فبعضكم يشرك ويقول انا الحق وبعضكم يقول سبحانى ما اعظم شانى قل هو القادر على ان يبعث عليكم
حين تقولون انا الحق وسبحانى عذابا من فوقكم بان يرخى حجابا بينه وبينكم يعذبكم به عزة وغيرة او من تحت
ارجلكم اى حجابا من اوصاف بشريتكم باستيلاء الهوى عليكم او يلبسكم شيعا يجعل الخلق فيكم فرقا فرقة
يقولون هم الصديقون وفرقة يقولون هم الزنادقة ويذيق بعضكم بأس بعض بالقتل والصلب وقطع الاعراق
كما فعل بابن منصور وقالوا وقد كان قد جرى من الحلاج قدس سره كلام فى مجلس حامد بن عباس وزير المقتدر
بحضرة القاضى ابى عمر فافتى بحل دمه وكتب خطه بذلك وكتب معه من حضر المجلس من الفقهاء وقال له
الحلاج ظهرى حمى ودمى حرام وما يحل لكم ان تتأولوا على بما يبيحه وانما اعتقادى الاسلام ومذهبى السنة
وتفضيل الائمة الاربعة الخلفاء الراشدين وبقية العشرة من الصحابة رضى الله عنهم ولى كتب فى السنة موجودة
فى الوراقين فالله الله فى دمى ولم يزل يردد هذا القول وهم يكتبون خطوطهم الى ان استكملوا ما احتاجوا اليه
وانفضوا من المجلس وحمل الحلاج الى السجن وكتب الوزير الى المقتدر يخبره بما جرى فى المجلس فعاد جواب
المقتدر بان القضاة اذا كانوا قد افتوا بقتله فليسلم الى صاحب الشرطة وليتقدم بضربه الف سوط فان مات والا
فيضرب الف سوط آخر ثم ليضرب عنقه فسلمه الوزير الى الشرطى وقال له ما رسم به المقتدر وقال ايضا ان لم
يتلف بالضرب يقطع يده ثم رجله ثم يحز رأسه وتحرق جثته وان خدعك وقال لك انا اجرى لك الفرات ودجلة
ذهبا وفضة فلا تقبل منه ذلك ولا ترفع العقوبة عنه فتسلمه الشرطى ليلا واصبح يوم الثلاثاء لسبع بقين من
ذى الحجة من سنة تسع وثلثمائة فاخرجه الى باب الطاق وهو يتبختر فى قيوده واجتمع من العامة خلق لا يحصى
عددهم وضربه الجلاد الف سوط ولم يتأوه ولما فرغ من ضربه قطع اطرافه الاربعة ثم حز رأسه ثم احرقت جثته
ولما صار رمادا القاه فى دجلة ونصب الرأس ببغداد على الجسر وادعى بعض اصحابه انه لم يقتل ولكن القى شبهه
على عدو من اعداء الله تعالى كما وقع فى حق عيسى عليه السلام والاولياء ورثة للانبياء يقول الفقير لهذا
التشبيه والتخييل نظائر فى حكايات المشايخ يجدها من تتبع ومرادى بيان جوازه لا اعتقاد انه كان كذلك
فان قلت من حق ولاية الحلاج ان لا يحترق ولا يكون رمادا قلت ذلك غير لازم فان الاجساد مشتركة

فى قبول العوارض والآفات الا ترى الى حال ايوب ويحيى وغيرهما من الانبياء عليهم السلام وقد ذكر
اهل التفسير فى اصحاب الرس انهم قتلوا الانبياء المبعوثين اليهم واكلوا لحومهم تمردا وعنادا ورسوا بئرهم
بعظامهم نعم قد يكون فى هذه النشأة امور خارجة عن العادة خارقة كاحوال بعض الانبياء والاولياء الذين
قتلوا امثلا ثم احياهم الله تعالى واما فى القبر فقد ثبت ان الارض لا تأكل اجساد الانبياء ومن يليهم
(واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) اذا منصوب بجوابه وهو فاعرض والمراد بالخطاب النبى عليه السلام
وامته والخوض فى اللغة الشروع فى الشئ مطلقا الا انه غلب فى الشروع فى الشئ الباطل والآيات القرآن
والمعنى اذا رأيت الذين يشرعون فى القرآن بالتكذيب والاستهزاء به والطعن فيه كما هو دأب كفار قريش
(فاعرض عنهم) بترك مجالستهم والقيام عنهم عند خوضهم فى الآيات (حتى يخوضوا فى حديث غيره) اى
استمر على الاعراض الى ان يشرعوا فى حديث غير آياتنا فالضمير الى الآيات والتذكير باعتبار كونها حديثا
او قرآنا (واما) اصله ان ما فادغمت نون ان الشرطية فى ما المزيدة (ينسينك الشيطان) اى ما امرت به من ترك
مجالستهم (فلا تقعد بعد الذكرى) اى بعد ان تذكره فهو مصدر بمعنى الذكر ولم يجئ مصدر على فعلى غير ذكرى
(مع القوم الظالمين) الذين وضعوا التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم وهذا الانساء محض احتمال
يدل عليه كلمة ان الشرطية فلا يلزم وقوعه مع ان العلماء قد اتفقوا على جواز السهو والنسيان على الانبياء عليهم
السلام والمراد بالشيطان ابليس او واحد من اكابر جنوده لان الذى هو قرينه عليه السلام فلا يأمره الا بخير
بخلاف قرين كل واحد من الامة وفى الحديث فضلت على آدم بخصلتين كان شيطانى كافرا فاعاننى الله عليه
فاسلم وكن ازواجى عونا لى وكان شيطان آدم وزوجته عونا على خطيئته ولما قال المسلمون لئن كنا نقوم كلما استهزؤا
بالقرآن لم نستطع ان نجلس فى المسجد الحرام ونطوف بالبيت لانهم يخوضون ابدا رخص الله تعالى فى
مجالستهم على سبيل الوعظ والتذكير فقال (وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ) الضمير فى حسابهم للخائضين
ومن زائدة وشئ فى محل الرفع على انه مبتدأ الخبر المقدم وهو على الذين اى وما على المؤمنين الذين يجتنبون من
قبائح اعمال الخائضين واقوالهم شئ مما يحاسبون عليه من الجرائم والآثام (ولكن ذكرى) اى ولكن عليهم ان
يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح بما امكن من العظة والتذكير ويظهروا لهم الكراهة
والنكير فنصب ذكرى على المصدرية والواو للعطف ولكن خالص للاستدراك فلا يلزم الجمع بين حرفى العطف كما
ان اللام مع سوف تخرج عن كونها للحال وتخلص للتأكيد (لعلهم يتقون) اى يجتنبون الخوض حياء
وكراهة لمساءتهم (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) المراد بالموصول الكفار الخائضون فى الآيات ودينهم
هو الذى كلفوه وامروا باقامة مواجبه وهو دين الاسلام ومعنى اتخاذه لعبا ولهوا سخروا به واستهزؤا واللعب
عمل يشغل النفس وينفرها عما تنتفع به واللهو صرفها عن الجد الى الهزل (وغرتهم الحياة الدنيا) واطمأنوا بها
حتى زعموا ان لا حياة بعدها ابدا والمعنى اعرض عنهم واترك معاشرتهم وملاطفتهم ولا تبال بتكذيبهم
واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وليس المراد ان يترك انذارهم لانه تعالى قال (وذكر به) اى بالقرآن من يصلح
للتذكير (ان تبسل نفس) اى لئلا تسلم الى الهلاك وترهن (بما كسبت) بسبب ما عملت من القبائح واصل
البسل والابسال المنع ولذا صح استعمال الابسال فى معنى الاسلام الى الهلاك لان الاسلام الى الهلاك يستلزم
المنع فانه اذا اسلم احد الى الهلاك كان المسلم اليه وهو الهلاك يمنع المسلم وهو الشخص من الخروج منه
والخلاص عنه (وفى التفسير الفارسى للكاشفى) تا تسليم كرده نشود بهلاك يا رسوا نكرده نفس هر كافرى
بسبب آنچه كرده است از بديها (ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع) استئناف مسوق للاخبار بذلك
والاظهر انه حال من نفس كانه فى قوة نفس كافرة او نفوس كثيرة كما فى قوله تعالى علمت نفس ما احضرت ومن
دون الله حال من ولى اى ليس لتلك النفس غيره تعالى من يدفع عنها العذاب (وان تعدل كل عدل) اى تفد تلك
النفس كل فداء بان جاءت مكانها بكل ما كان فى الارض جميعا (لا يؤخذ منها) اى لا يقبل فقوله كل عدل
نصب على المصدر فالعدل ههنا ليس بمعنى يفتدى به كما فى قوله تعالى لا يؤخذ منها عدل بل المراد المعنى
المصدرى فان قلت الاخذ يتعلق بالاعيان لا بالمعنى قلت نعم الا ان الامام قال الاخذ قد يستعمل بمعنى
القبول كما فى قوله تعالى ويأخذ الصدقات اى يقبلها واذا حمل الاخذ فى هذه الآية على القبول جاز اسناده

الى المصدر بلا محذور والمقصود من هذه الآية بيان ان وجوه الخلاص منسدة على تلك النفس ومن ايقن بهذا كيف لا ترتعد فرائصه اذا اقدم على المعصية (اولئك) المتخذون دينهم لعبا ولهوا والمغترون بالحياة الدنيا (الذين ابسلوا) اى اسلموا الى العذاب (بما كسبوا) بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة (وفى التفسير الفارسى) آن كروه آن كسانند كه سبرده شده اند بهلاكه عذاب بسبب آنجه كرده اند از قبايح افعال قال ابو السعود اولئك الذين اسلموا الى ما كسبوا من القبائح انتهى وهو جعل معنى الباء كما فى قوله مررت بزيد (لهم شراب) كانه قيل ماذا لهم حين ابسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب (من حميم) اى من ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم وتتقطع به امعاؤهم (وعذاب اليم) بنار تشتعل بابدانهم (بما كانوا يكفرون) اى بسبب كفرهم المستمر فى الدنيا واعلم ان التكذيب بآيات الله تعالى والاستهزاء بها هو الكفر وعاقبة الكفر هو العذاب الاليم وكذا الاصرار على المعاصى يجر كثيرا من عصاة المؤمنين الى الموت على الكفر والعياذ بالله وعن ابى اسحق الفزارى قال كان رجل يكثر الجلوس الينا ونصف وجهه مغطى فقلت له انك تكثر الجلوس الينا ونصف وجهك مغطى اطلعنى على هذا فقال وتعطينى الامان قلت نعم قال كنت نباشا فدفنت امرأة فاتيت قبرها فنبشت حتى وصلت الى اللبن ثم ضربت بيدى الى الرداء ثم ضربت بيدى الى اللفافة فمددتها فجعلت تمدها هى فقلت اتراها تغلبنى فجثيت على ركبتى فجررت اللفافة فرفعت يدها فلطمتنى وكشف وجهه فاذا اثر خمس اصابع فى وجهه فقلت له ثم مه قال ثم رددت عليها لفافتها وازارها ثم رددت التراب وجعلت على نفسى ان لا انبش ما عشت قال فكتبت بذلك الى الاوزاعى فكتب الىّ الاوزاعى ويحك سله عمن مات من اهل السنة ووجهه الى القبلة فسألته عن ذلك فقال اكثرهم حوّل وجهه عن القبلة فكتبت بذلك الى الاوزاعى فكتب الىّ انا لله وانا اليه راجعون ثلاث مرات اما من حوّل وجهه عن القبلة فانه مات على غير السنة واراد بالسنة ملة الاسلام نسأل الله تعالى العفو والمغفرة والرضوان (قال الحافظ) يارب از ابر هدايت برسان باراني * بيشتر زانكه جو كردى زميان برخيزم * وفى الآيات اشارة الى انه يصلح للطالب الصادق المجالسة مع الذين يخوضون فى احوال الرجال ولاحظ لهم منها سوى التزيى بزيهم واللبس لخرقتهم لان الطبع من الطبع يسرق * نفس ازهم نفس بكيرد خوى * برحذر باش از لقاى خبيث * باد چون بر فضاى بد كذرد * بوى بد كيرد از هواى خبيث * فلا بد من الصحبة مع الاخيار والاتعاظ بكلمات الكبار وعن عبد الله بن الاحنف قال خرجت من مصر اريد الرملة لزيارة الروذبادى قدس سره فرآنى عيسى بن يونس المصرى فقال لى هل ادلك قلت نعم قال عليك بصور فان فيها شيخا وشابا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لاغنتك باقى عمرك قال فدخلت عليهما وانا جائع عطشان وليس علىّ ما يسترنى من الشمس فوجدتهما مستقبلين القبلة فسلمت عليهما وكلمتهما فلم يكلمانى فقلت اقسمت عليكما بالله الا ما كلمتمانى فرفع الشيخ رأسه وقال يا ابن الاحنف ما اقل شغلك حتى تفرغت الينا ثم اطرق فاقمت بين يديهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب عنى الجوع والعطش فقلت للشاب عظنى بشئ انتفع به فقال نحن اهل المصائب ليس لنا لسان العظة فاقمت عندهما ثلاثة ايام بلياليها لم نأكل فيها شيأ ولم نشرب فلما كان عشية اليوم الثالث قلت فى قلبى لا بد من سؤالهما فى وصية انتفع بها باقى عمرى فرفع الشاب رأسه الىّ وقال عليك بصحبة من يذكرك الله بنظره ويعظك بلسان فعله لا بلسان قوله ثم التفت فلم ارهما وانشد لسان الحال

شدوا المطايا قبيل الصبح وارتحلوا * وخلفونى على الاطلال ابكيها

ثم ان النصيحة سهلة والمشكل قبولها ومن اراد الله تعالى هدايته وسبقت منه له عناية يجذبه لا محالة الى باب ناصح له فى ظاهره وباطنه فيهتدى بنور العظة والتذكير الى مسالك الوصول الى الله الخبير فيترقى من حضيض هوى النفس التى تلعب كالصبيان الى اوج هدى الروح الذى له وقار واطمئنان وعلو شان فهذه الايات الكريمة تنادى على داء النفس ودوائها ومن الله الاعانة فى اصلاحها (قل اندعو) انعبد والاستفهام للانكار (من دون الله) اى متجاوزين عبادة الله تعالى (ما لا ينفعنا ولا يضرنا) اى ما لا يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا على ضرنا اذا تركناه وهو الاصنام والقادر على النفع والضر هو الله تعالى (ونرد على اعقابنا) جمع عقب بالفتح وكسر القاف مؤخر القدم اى نرجع من الاسلام الى الشرك باضلال المضل (بعد اذ هدانا الله) الى الاسلام وانقذنا من الشرك

(كالذى استهوته الشياطين) حال من فاعل نرد اى انرد على اعقابنا مشبهين بالذى ذهبت به مردة الجن الى المهامه واضلته (فى الارض) متعلق باستهوته (حيران) حال من هاء استهوته وهو صفة مشبهة مؤنثه حيرى والفعل منه حار يحار حيرة اى متحيرا ضالا عن الطريق (له اصحاب) الجملة صفة حيران اى لهذا المستهوى رفقة (يدعونه الى الهدى) اى يهدونه الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر مبالغة كانه نفس الهدى (ائتنا) على ارادة القول على انه بدل من يدعونه اى يقولون له ائتنا شبه الله تعالى من اشرك وعبد غير الله مع قيام البرهان الفاصل بين الحق والباطل بشخص موصوف بثلاثة اوصاف الاول استهوته مردة الجن والغيلان فى المهامه والمفاوز والثانى كونه حيران تائها ضالا عن الجادة لا يدرى كيف يصنع والثالث ان يكون له اصحاب يدعونه قائلين له ائتنا فقد اعتسفت المهامه وضللت عن الجادة وهو لا يجيبهم ولا يترك متابعة الجن والشياطين والجن اجسام لطيفة تتشكل باشكال مختلفة وتقدر على ان تنفذ فى بواطن الحيوان نفوذ الهواء فى خلال الاجسام المتخللة (قل ان هدى الله) الذى هدانا اليه وهو الاسلام (هو الهدى) وحده وما عداه ضلال محض وغى بحت (و) قل ايضا (امرنا لنسلم لرب العالمين) اى بان نسلم فاللام بمعنى الباء والعرب تقول امرتك لتفعل وان تفعل وبان تفعل (وان) اى بان (اقيموا الصلاة واتقوه) تعالى فالاسلام رئيس الطاعات الروحانية والصلاة رئيس الطاعات الجسمانية والتقوى رئيس ما هو من قبيل التروك والاحتراز عن كل ما لا ينبغى (وهو الذى اليه تحشرون) تجمعون يوم القيامة للحساب (وهو الذى خلق السموات والارض) اى العلويات والسفليات وما فيهما (بالحق) حال من فاعل خلق اى قائما بالحق والحكمة (ويوم يقول كن فيكون قوله الحق) يوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب المعنى داخل عليها والمعنى وامره المتعلق بكل شئ يريد خلقه من الاشياء فى حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من افراد الاحيان الحق اى المشهود له بالحقية المعروف بها (وله الملك يوم ينفخ فى الصور) لا ملك فيه لغيره ولو مجازا كما فى الدنيا (عالم الغيب والشهادة) اى هو عالم ما غاب وما شوهد (وهو الحكيم) فى كل ما يفعله (الخبير) بجميع الامور الجلية والخفية وفى الحديث لما فرغ الله من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش متى يؤمر قال ابو هريرة رضى الله عنه قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قلت كيف هو قال عظيم والذى نفسى بيده ان عظم دائرة فيه كعرض السماء والارض ويقال ان فيه من الثقب على عدد ارواح الخلائق قالوا ان النفخة ثلاث اولاها نفخة الفزع فانهم اذا سمعوا النفخة يعلمون انهم يموتون يقينا ولم يبق من ايام الدنيا شئ فيأخذهم الفزع لاجل العرض والحساب والعذاب والنفخة الثانية الصعق وهو موت الخلائق اجمعين حتى لا يبقى الا الله تعالى كل شئ هالك الا وجهه والنفخة الثالثة نفخة البعث من القبور ومن النفخة الى النفخة اربعون عاما فعند موت جميع الخلائق تجعل ارواحهم فى الصور وليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظما واحدا الا انه كله الارض ابدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة ويجمع الله ما تفرق من اجساد الناس من بطون السباع وحيوانات الماء وبطن الارض وما اصاب النيران منها بالحرق والمياه بالغرق وما ابلته الشمس وذرته الرياح وذلك بعد ما انزل ماء من تحت العرش يقال له الحيوان فتمطر السماء اربعين سنة حتى يكون من الفوق اثنى عشر ذراعا ثم بأمر الله الاجساد فتنبت كنبات البقل فاذا جمعها وا كمل كل بدن منها ولم يبق الا الارواح يحيى حملة العرش ثم يحيى جبرائيل وميكائيل واسرافيل فينفخ فى الصور فتخرج الارواح من ثقب الصور كامثال النحل قد ملأت ما بين السماء والارض فيقول الله تعالى ليرجعن كل روح الى جسده فتدخل الارواح فى الارض الى الاجساد ثم تدخل فى الخياشيم فتمشى فى الاجساد مشى السم فى اللديغ ثم تنشق الارض فاول من يخرج منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الامة شبابا كلهم ابناء ثلاث وثلاثين واللسان يومئذ بالسريانية سراعا الى ربهم هذا فى المؤمنين المخلصين واما الكافرون فيقولون هذا يوم عسير فيوقفون حفاة عراة مقدار سبعين عاما لا ينظر الله اليهم فتبكى الخلائق حتى تنقطع الدموع ثم تدمع دما حتى يبلغ منهم الاذقان ويلجمهم ثم يفعل الله فيهم ما يشاء فعليك بالاسلام الحقيقى والتسليم حتى تنجو وهو ترك الوجود كالكرة فى ميدان القدر مستسلما لصولجان القضاء الجارى احكام رب العالمين وهو انما يحصل بمحض فضل الله تعالى لكن الانبياء والاولياء وسائط (كما اشار اليه صاحب المثنوى فقال) ما زداء سرافيل روزى ناله را *

جان دهد پوسيدهٔ صد ساله را * انبيارا در درون هم نغمهاست * طالبانرا زان حيات بى بهاست *
نشنود آن نغمهارا كوش حس * كز ستمها كوش حس باشد بنجس * هين كه اسرافيل وقتند اوليا * مرده را
زيشان حيات است ونما * نغمهاى اندرون اوليا * اولا كويد كه اى اجزاى لا * هين ز لاى نفى سرها
بر زنيد * اين خيال ووهم يكسو افكنيد * اى همه پوسيده در كون وفساد * جان باقيتان نروييد ونزاد
(واذ قال ابراهيم لابيه آزر) اعلم ان ابراهيم عليه السلام لما سلم قلبه للعرفان ولسانه لاقامة البرهان على
فساد طريق اهل الشرك والطغيان وسلم بدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم انه سأل ربه وقال
واجعل لى لسان صدق فى الآخرين وجب فى كرم الله تعالى انه يجيب دعاءه ويحقق مطلوبه فاجاب دعاءه وجعل
جميع الطوائف واهل الاديان والملل معترفين بفضله حتى ان المشركين ايضا يعظمونه ويفتخرون بكونهم من
اولاده ولما كانوا معترفين بفضله لاجرم جعل الله تعالى مناظرته مع قومه حجة على مشركى العرب اى واذكر
يا محمد لاهل مكة وقت قول ابراهيم لابيه آزر اى موبخا له على عبادة الاصنام فان ذلك مما يبكتهم وآزر عطف
بيان لابيه وهو تارح بفتح الراء وسكون الحاء المهملة علمان لاب ابراهيم كاسرائيل ويعقوب او آزر لقبه
وتارح اسم له وكان من قرية من سواد الكوفة يقال لها كوثى (أتتخذ اصناما آلهة) اى اتجعلها لنفسك آلهة
على توجيه الانكار الى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وانما اريد صيغة الجمع باعتبار الوقوع (انى اراك
وقومك) الذين يتبعونك فى عبادتها (فى ضلال) عن الحق (مبين) اى بين كونه ضلالا لا اشتباه فيه والرؤية اما
علمية فالظرف مفعولها الثانى واما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار والتوبيخ ثم اعلم ان
عبادة الاصنام كفر فدلت الآية على ان آزر كان كافرا وذلك لا يقدح فى شأن نسب نبينا صلى الله عليه وسلم واما
قوله عليه السلام لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات فذلك محمول على انه ما وقع فى نسبه
من ولد من الزنى ونكاح اهل الجاهلية صحيح كما يدل عليه قوله عليه السلام ولدت من نكاح لا من سفاح اى
زنى وقوله لما خلق الله تعالى آدم اهبطنى فى صلبه الى الارض وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة وقذفنى فى
صلب ابراهيم ثم لم يزل تعالى ينقلنى من الاصلاب الكريمة والارحام حتى اخرجنى بين ابوى لم يلتقيا على سفاح قط
وروى ان حواء لما وضعت شيثا انتقل النور المحمدى من جبهتها الى جبهته فلما كبر وبلغ مبلغ الرجال اخذ آدم
عليه العهود والمواثيق ان لا يودع هذا السر الا فى المطهرات المحصنات من النساء ليصل الى المطهرين من
الرجال فانتقل ذلك النور الى يانش ويقال انوش ثم الى قينان ثم الى مهلائيل ثم الى يرد ثم الى خنوخ على وزن ثمود
وهو ادريس عليه السلام ويقال اخنوخ ثم الى متوشلخ ثم الى لمك ثم الى نوح عليه السلام ثم الى سام ابى العرب
ثم الى ارفخشذ ثم الى شالخ ثم الى عابر على وزن ناصر ويقال عيبر على وزن جعفر ثم الى فالخ ويقال فالغ ثم الى
ارغو ويقال راغو ثم الى شاروخ ثم الى ناحور ثم الى تارح وهو آزر ثم الى ابراهيم عليه السلام ثم الى اسمعيل عليه
السلام وفيه لغة اخرى وهى اسمعين بالنون على ما حكاه النووى ثم الى قيدار ثم الى حمل ثم الى النبت ثم الى
سلامان ثم الى يشجب على وزن ينصر ثم الى يعرب على وزن ينصر ايضا ثم الى الهميسع ثم الى اليسع ثم الى ادد ثم
الى اد والى هنا اختلاف فى اسماء اهل النسب بخلاف ما بعده ثم الى عدنان ثم الى معد ثم الى نزار ثم الى مضر ثم الى
الياس بفتح الهمزة فى الابتداء والوصل وقيل بكسر الهمزة ضد الرجاء ثم الى مدركة ثم الى خزيمة ثم الى كنانة ثم الى
النضر ثم الى مالك ثم الى فهر ثم الى غالب ثم الى لوى ثم الى كعب ويجتمع عمر رضى الله عنه مع النبى عليه السلام
فى النسب فى كعب ثم الى مرة ويجتمع ابو بكر مع النبى عليه السلام فى النسب فى مرة ثم الى كلاب ثم الى قصى ثم
الى عبد مناف ثم الى هاشم ثم الى عبد المطلب ثم الى عبد الله اب السر المصون والدر المكنون محمد المصطفى صلى
الله عليه وسلم ولم يرض بعض اهل العلم بما اشتهر بين الناس من عبادة قريش صنما استدلالا بقوله تعالى حكاية
عن ابراهيم عليه السلام واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام فى سورة ابراهيم وقوله تعالى فى حق ابراهيم وجعلها
كلمة باقية فى عقبه فى حم الزخرف والجواب ان الآية الاولى تدل بظاهرها على الابناء الصلبية ولو سلم دلالتها
على الاحفاد ايضا وكما تدل على كل ولد من ذريته ومعنى الآية الثانية وجعل الله كلمة التوحيد كلمة باقية
فى نسله وذريته على انه لا تخلو سلسلة نسبه عن اهل التوحيد والايمان فلا تدل على ايمان كل اعقابه
واحفاده وهو اللائح بالبال والله اعلم بحقيقة الحال والاشارة فى الآية ان الله تعالى اظهر قدرته فى اخراج

الحى

الحى من الميت بقوله واذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة من دون الله اذ الاصل منهمك فى
الجحود لموت قلبه والنسل مضمحل فى الشهود لحياة قلبه والاصنام ما يعبد من دون الله انى اراك وقومك
فى ضلال مبين بما ارانى الله ملكوت الاشياء كما فى التأويلات النجمية ومن بلاغات الزمخشرى
كم يحدث بين الخبيثين ابن لايوبن والفرث والدم يخرج من بينهما اللبن (قال السعدى) چو كنعانرا
طبيعت بى هنر بود * پيمبرزادكى قدرش نيفزود * هنر بنماى اكر دارى نه كوهر * كل از خارست
وابراهيم از آزر * وقال خاكسترا كرچه نسب عالى دارد كه آتش جوهر علويست وليكن بنفس
خود چون هنرى ندارد با خاك برابراست قيمت شكر نه از نى است كه آن خاصيت وى است فظهر ان الله
تعالى من شأنه القديم اخراج الحى من الميت ولا يختص به نسب وكذا امر العكس ومن الله التوفيق
(وكذلك نرى ابراهيم) ذلك اشارة الى الاراءة التى تضمنها قوله نرى لا الى اراءة اخرى يشبه بها هذه الاراءة
كما يقال ضربته كذلك اى هذا الضرب المخصوص والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة
والمعنى ذلك التبصير نبصره عليه السلام (ملكوت السموات والارض) اى ربوبيته تعالى ومالكيته لهما
وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا له تعالى لا تبصيرا آخر ادنى منه والملكوت مصدر على زنة
المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر والاظهر انه مختص بملك الله عز سلطانه
وهذه الاراءة من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة اى عرفناه وبصرناه وصيغة الاستقبال
حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها فان قيل رؤية البصيرة حاصلة لجميع الموحدين كرؤية البصر ومقام
الامتنان يأبى ذلك والجواب انهم وان كانوا يعرفون اصل دليل الربوبية الا ان الاطلاع على آثار حكمة الله
تعالى فى كل واحد من مخلوقات هذا العالم بحسب اجناسها وانواعها واشخاصها واحوالها مما لا يحصل
الا لاكابر الانبياء ولهذا كان عليه السلام يقول فى دعائه ارنا الاشياء كما هى قال فى التأويلات النجمية اعلم ان
لكل شئ من العالم ظاهرا يعبر عنه تارة بالجسمانى لما له من الابعاد الثلاثة من الطول والعرض والعمق والتحيز
وقبول القسمة والتجزى وتارة بالدنيا لدنوها الى الحس وتارة بالصورة لقبول التشكل ولادراكه بالحس وتارة
بالشهادة لشهوده فى الحس وتارة بالملك لتملكه والتصرف فيه بالحس وباطنا يعبر عنه تارة بالروحانى لخلوه عن
الابعاد الثلاثة وعن التحيز والتجزى فى الحس وتارة بالآخرة لتأخره عن الحس وتارة بالمعنى لتعريه عن التشكل
وبعده عن الحس وتارة بالغيب لغيبوبته عن الحس وتارة بالملكوت لملك عالم الملك والصورة به فان قيام الملك
بالملكوت وقيام الملكوت بقدرة الحق كما قال تعالى فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون اى من
طريق الملكوت والملكوت من الاوليات التى خلقها الله تعالى من لا شئ بامر كن اذ كان الله ولم يكن معه شئ
يدل عليه قوله اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ فنبه على ان الملكوت لم يخلق
من شئ وما سواه خلق من شئ وقد سمى الله تعالى ما خلق بالامر امرا وما خلق من الشئ خلقا فقال الا له
الخلق والامر فالله تعالى ارى ابراهيم ملكوت الاشياء والآيات المودعة فيها الدالة على التوحيد انتهى وقد
اطلق العلماء الملك على ما يدرك بالبصر والملكوت على ما يدرك بالبصيرة فالملكوت لا ينكشف لارباب العقول
بل لاصحاب القلوب فان العقل لا يعطى الا الادراك الناقص بخلاف الكشف وتلك المكاشفة لا تحصل
الا لاهل المجاهدة فانها ثمرة المجاهدة وهى مما يعز مناله جدا اللهم اجعلنا من اهل العيان دون السامعين
للاثر (وليكون من الموقنين) اللام متعلقة بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها اى وليكون من زمرة
الراسخين فى الايقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور
لا لامر آخر فان الوصول الى تلك الغاية القاصية كمال مترتب على ذلك التبصير لا عينه وليس القصر لبيان
انحصار فائدته فى ذلك كيف لا وارشاد الخلق والزام المشركين من فوائده بل لبيان انه الاصل الاصيل
والباقى من مستتبعاته (فلما جن عليه الليل) اى ستره بظلامه (رأى كوكبا) جواب لما فان رؤيته انما تتحقق بزوال
نور الشمس عن الحس وهذا صريح فى انه لم يكن فى ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال
بنور الشمس والتحقيق انه كان قريبا من الغروب قيل كان ذلك هو الزهرة وقيل هو المشترى وكلاهما من
الكواكب السبعة السيارة (قال) كأنه قيل فماذا صنع عليه السلام حين رأى الكوكب فقيل قال على سبيل

الموافقة مع الخصم (هذا ربى) وكان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والكواكب والمستدل على فساد قول يحكيه على رأى خصمه ثم يكر عليه بالابطال (فلما افل) اى غرب (قال لا احب الآفلين) اى الارباب المنتقلين من مكان الى مكان المتغيرين من حال الى حال المحتجبين بالاستار فانهم بمعزل من استحقاق الربوبية قطعا (فلما رأى القمر بازغا) اى مبتدئا فى الطلوع اثر غروب الكوكب (قال هذا ربى فلما افل) كما افل النجم (قال لئن لم يهدنى ربى) الى جنابه (لاكونن من القوم الضالين) تعريض لقومه بانهم على ضلال ولعله عليه السلام كان اذ ذاك فى موضع كان من جانبه الغربى جبل شامخ يستتر به الكواكب والقمر وقت الظهر من النهار او بعده بقليل وكان الكوكب قريبا منه وأفقه الشرقى مكشوف والا فطلوع القمر بعد افول الكوكب ثم افوله قبل طلوع الشمس مما لا يكاد يتصور (فلما رأى الشمس بازغة) اى مبتدئة فى الطلوع (قال هذا) الجرم المشاهد (ربى هذا اكبر) من الكوكب والقمر وهو تأكيد لما رامه من اظهار النصفة بقوله لاكونن من الضالين (فلما افلت) كما افل الكوكب والقمر وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا (قال) مخاطبا للكل صادعا بالحق بين اظهرهم (يا قوم انى برىء مما تشركون) بالله تعالى من الاصنام والاجرام المحتاجة الى محدث فقالوا له ما تعبد قال (انى وجهت وجهى) اى اخلصت دينى وعبادتى وجعلت قصدى (للذى فطر السموات والارض) اى لله الذى خلقهما (حنيفا) اى مائلا عن الاديان الباطلة كلها الى الدين الحق ميلا لا رجوع فيه (وما انا من المشركين) به تعالى فى شىء من الافعال والاقوال وهذه حال من كملت صقالة مرءآة قلبه عن طبع الطبع وتنزهت عن ظلمة هوى النفس وشهواتها فانه لا يلتفت الى الاجرام والاكوان بل الى اليمين والشمال لان شوق الخلة الى الحضرة نصبه فى محاذاة ذاته المقدسة عن الجهة (قال فى المثنوى) افتاب از امر حق طباخ ماست * ابلهى باشد كه كوييم اوخداست * افتابت كر بكيرد چون كنى * ان سياهى زوتو چون بيرون كنى * نى بدركاه خدا آرى صداع * كه سياهى را ببرداده شعاع * كر كشندت نيم شب خورشيد كو * تا بنالى با امان خواهى ازو * حادثات اغلب بشب واقع شود * وان زمان معبود تو غائب شود * سوى حق كر راستانه خم شوى * وارهى از اختران محرم شوى (وحاجه قومه) اى جادلوه فى دينه وهددوه بالاصنام ان تصيبه بسوء ان تركها (قال أتحاجونى) بنون ثقيلة اصله أتحاجوننى بنونين اولاهما نون الرفع والثانية نون الوقاية فاستثقل اجتماعهما فادغم الاولى فى الثانية اى أتجادلونى (فى الله) اى فى شأنه تعالى ووحدانيته (وقد هدان) اى والحال ان الله تعالى هدانى الى الحق (ولا اخاف ما تشركون به) اى ما تشركون به تعالى من الاصنام ان يصيبنى بسوء لعدم قدرتها على شىء (الا ان يشاء ربى شيأ) استثناء متصل والمستثنى منه وقت محذوف والتقدير لا اخاف معبوداتكم فى وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى شيأ من اصابة مكروه بى من جهتها وذلك انما يكون من جهته تعالى من غير دخل لآلهتكم فيه اصلا (وسع ربى كل شىء علما) كأنه تعليل للاستثناء اى احاط بكل شىء علما فلا يبعد ان يكون فى علمه تعالى ان يحيق بى مكروه من قبلها بسبب من الاسباب لا بالطعن فيها (أفلا تتذكرون) اى أتعرضون عن التأمل فى ان آلهتكم جمادات غير قادرة على شىء ما من نفع ولا ضر فلا تتذكرون انها غير قادرة على اضرارى (وكيف اخاف ما اشركتم) بالله من الاصنام وهى لا تضر ولا تنفع والاستفهام انكار الوقوع ونفيه بالكلية (ولا تخافون انكم اشركتم بالله) حال من ضمير اخاف بتقدير مبتدأ اى وكيف اخاف انا ما لا يدخل فى حيز الخوف اصلا وانتم لا تخافون غائلة ما هو اعظم المخلوقات واهولها وهو اشراككم بالله الذى ليس كمثله شىء فى الارض ولا فى السماء ما هو من جملة مخلوقاته وانما عبر عنه بقوله (ما لم ينزل به) اى باشراكه (عليكم سلطانا) اى حجة وبرهانا على طريقة التهكم مع الايذان بان الامور الدينية لا يعول فيها الا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى (فأى الفريقين احق بالامن) انحن ام انتم قال المولى ابو السعود المراد بالفريقين الفريق الآمن فى محل الامن والفريق الآمن فى محل الخوف (ان كنتم تعلمون) من احق به فاخبرونى (الذين آمنوا) اى احد الفريقين الذين آمنوا (ولم يلبسوا ايمانهم) اى لم يخلطوه (بظلم) اى بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون انهم يؤمنون بالله تعالى وان عبادتهم للاصنام من تتمات ايمانهم واحكامه لكونها لاجل التقريب والشفاعة كما قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط (اولئك لهم الامن) فقط من العذاب (وهم مهتدون) الى الحق ومن عداهم فى ضلال مبين (وتلك) اشارة الى ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن الى قوله

وهم

وهم مهتدون (حجتنا) الحجة عبارة عن الكلام المؤلف للاستدلال على الشىء (آتيناها ابراهيم) اى ارشدناه اليها او علمناه اياها وهو حال من حجتنا لا صفة لانها معرفة بالاضافة (على قومه) متعلق بحجتنا والاشارة ان محجة السلوك الى الله تعالى انما هى تحقق بالآيات التى هى افعاله وهذه مرقاة لهم وهى الرتبة الاولى ثم شهود صفاته بارآءته لهم وهى الرتبة الثانية ثم التحقق بوجوده وذاته عند التجلى لاسرارهم وهذا مبدأ الوصول ولا غاية له فقوله وتلك اى ارآءة الملكوت وشواهد الربوبية فى مرءآة الكواكب وصدق التوجه الى الحق والاعراض والتبرى عما سواه والخلاص من شرك الانانية والايمان الحقيقى والايقان بالعيان آتيناها ابراهيم وارشدناه بذاتنا من غير واسطة حتى جعلها حجة على قومه (نرفع) الى (درجات) اى رتبا عظيمة عالية من العلم والحكمة (من نشاء) رفعه كما رفعنا درجات ابراهيم حتى فاق فى زمن صباه شيوخ اهل عصره واهتدى الى ما لم يهتد اليه الاكابر الانبياء عليهم السلام * داد حق را قابليت شرط نيست * بلكه شرط قابليت داد اوست (ان ربك حكيم) فى كل ما فعل من رفع وخفض (عليم) بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة ثم ان المقصود من المباحث الجارية بين ابراهيم وبين قومه انما هو الزام القوم وارشادهم الى طريق النظر والاستدلال وتنبيههم على ضلالهم فى امر دينهم كما هو المختار عند اجلاء المفسرين على هذا المسلك جريت فى تفسير الآيات كما وقفت وقال بعضهم المقصود مما حكى الله عن ابراهيم من الاستدلال على وحدانية الله تعالى وابطال الوهية ما سواه نظره واستدلاله فى نفسه وتحصيل المعرفة لنفسه فيحمل على ان ذلك فى زمان مراهقته واول اوان بلوغه وان المراد بالملكوت الآيات قال الحدادى وهو الاقرب الى الصحة (قال الكاشفى فى تفسيره الفارسى) (وكذلك) وچنانكه بد ونموده بوديم كمراهئ قوم اوراهمچنان (نرى ابراهيم) بنموديم ابراهيم را (ملكوت السموات والارض) عجائب وبدآئع اسمانها وزمينها از ذروهٔ عرش تا تحت الثرى بروى منكشف ساخته تا استدلال كند بدان در قدرت كاملهٔ حق تعالى (وليكون من الموقنين) وتا باشد از بى كمانان يا موفق بود در علم استدلال در معالم آورده كه نمرود بن كنعان كه پادشاهئ روى زمين تعلق بدو داشت در شهر بابل نشستى شبى در واقعه ديد كه كوكبى از افق آن بلده طلوع نمود كه در شعشعهٔ جمال او نور آفتاب وماه نابود كشت از غايت فزع بيدار شد وكاهنان وحكماء مملكت تعبير اين واقعه برين وجه كردند كه درين سال بولايت بابل مولودى خجسته طالع از خلوتخانهٔ عدم بفضاء صحراى وجود خرامد كه هلاك تو واهل مملكت تو بدو دست او باشد وهنوز اين مولود از مستقر صلب بمستودع رحم نپيوسته نمرود بفرمود تا ميان زنان وشوهران تفريق كردند وبر هر ده يكى بر ايشان موكل ساخت وآزر را كه يكى از محرمان ومقربان نمرود بود شبى با زن خود (اوفى بنت نمر) پنهان ز موكلان خلوت دست داد وحامله شد وبامدادش را كاهنان با نمرود كفتند امشب آن كودك برحم پيوسته است نمرود خشم كرفته بفرمود تا بر هر حامله يكى موكل ساختند تا اكر پسر زايد بكشند زنانى كه در تفحص احوال حامله بودند چون مادر ابراهيم را اثر حمل ظاهر نبود از وى در كذشتند وديكر كسى بدو التفات نكرد تا وقتى كه وضع حمل نزديك رسيد اوفى ترسيد كه اكر پسرى زايد ناكاه خبر بكسان نمرود رسد فى الحال اورا بكشند ببهانه از شهر بيرون رفت وغارى در ميان كوه نشان داشت دران غار ابراهيم را بزاد ودر خرقه پيچيد وهمانجا كذاشته در غار بسنك استوار كرد وآزر را كه از حمل خبر داشت كفت كه از ترس كماشتكان نمرود بصحرا رفتم وپسرى بزادم وفى الحال بمرد در خاكش دفن كردم وباز كشتم آزر باور كرد واوفى روز ديكر با غار آمد ديد كه ابراهيم انكشتان خود را از يكى شير واز ديكرى عسل بيرون ميكشد ومى نوشد اوفى چون اين حال بديد خوش وقت شد وباشهر مراجعت نمود القصه ابراهيم چون شير تربيت از پستان عنايت آلهى نوشيد بروزى چندان مى باليد كه كودك ديكر در ماهى وبماهى چندان بزرك ميشد كه ديكرى در سالى * چو ماه نو كه با روى دل افروز * بود زاينده نورش روز تا روز * چون پانزده ماهه شد با جوانان پانزده ساله مقابل كشت واز خانه بيرون آمد وكفته اند هفت سال يا سيزده سال يا هفده سال در غار بود بر هر تقدير چون ابراهيم بزرك شد اوفى با آزر كفت كه پسر تو آنروز خبر مرك او بدروغ دادم جوانى رسيده است در غايت خوب رويى ونيكو خويى پس آزر را بغار آورد وابراهيم را بوى نمود آزر بجمال پسر خوش آمد وبا او كفت اين را از غار بخانه آور كه بملازمت نمرود بريم آزر برفت واوفى از غار بدر آورد نماز شام بود در پايان غار كلهاى اسب واشتر ورمهاى كوسفند جمع بودند ابراهيم

ازمادر پرسید که هر آینه این هارا پرورد کاری خواهد بود که آفریده وروزی میدهد پس مادر را گفت که هیچ
مخلوقی را از خالقی چاره نیست آفریده کار او باشد وبعد تربیت یابد پرورد کار من کیست مادرش گفت من پرور
دکار توام ابراهیم گفت پرورد کار تو کیست گفت پدر تو ابراهیم گفت خدای او کیست گفت نمرود گفت خدای
نمرود کیست مادرش بانك بر ابراهیم زد که مثل این سخنان مکو که خطر عظیم دارد در زمان نمرود بعضی ستاره
وآفتاب وماه می پرستیدند وبرخی بت پرست بودند وجمعی پرستش نمرود می کردند ابراهیم با مادر بشهر روانه شد
(فلما جن علیه اللیل رأی کوکبا) پس بعضی که ستاره پرست بودندی روی بوی سجده کردند (قال هذا ربی) ای
اینست پرورد کار من بر سبیل استفهام یا بزعم آن قوم (فلما افل قال لا احب الافلین) پس قدری دیگر راه
رفتند وشب چهاردهم بود ماه طبق سیمین بر کنارهٔ خوان سبز فلك نمودار شد (فلما رأی القمر بازغا) جمعی ماه
پرستان پیش وی بسجده درفتادند (قال هذا ربی فلما افل) یعنی از خط نصف النهار بجانب مغرب میل کرد
(قال لئن لم یهدنی ربی لاکونن من القوم الضالین) پس از آنجا درکذشتند ونزدیك شهر رسیدند آفتاب ابتداء
طلوع کرد جمعی متوجه او شده عزم سجود کردند (فلما رأی الشمس بازغة قال هذا ربی هذا اکبر فلما افلت قال
یاقوم انی بریء مما تشرکون انی وجهت وجهی للذی فطر السموات والارض حنیفا) درحالتی که
من مائلم از همه ادیان بدین توحید (وما انا من المشرکین) در تفسیر منیر مذکور است که چون ابراهیم
علیه السلام بشهر در آمد اورا بدیدن نمرود بردند او مردی دید کریه منظر وابراهیم اورا دید بر تختی نشسته
وغلامان ماه منظر وکنیزان پری پیکر کرد تخت او صف زده از مادر پرسید که این چه کس است که مرا بدین
او آوریده اید کفتند خدای همه کس است پرسید که این ملازمان بر حوالی تخت کیانند کفت آفریدکان
اویند ابراهیم تبسم فرمود وکفت ای مادر چکونه است که این خدای شما دیکرانرا از خود خوبتر آفریده
است بایستی که او از ایشان خوبتر بودی کذا فی ذلك التفسیر للکاشفی مع اختصار (ووهبنا له) الهبة فی اللغة
التبرع والعطیة الخالیة عن تقدم الاستحقاق والضمیر لابراهیم علیه السلام (اسحق) ابنه الصلبی وهو اب انبیاء
بنی اسرائیل (ویعقوب) بن اسحق (کلا هدینا) ای کل واحد منهما وفقنا وارشدنا الی الفضائل الدینیة
والکمالات العلمیة والعملیة لا احدهما دون الآخر (ونوحا) منصوب بمضمر یفسره (هدینا من قبل) ای
من قبل ابراهیم وعد هداه نعمة علی ابراهیم من حیث انه ابوه وشرف الوالد یتعدی الی الولد (و) هدینا (من
ذریته) ای ذریة نوح ولم یرد من ذریة ابراهیم لانه ذکر فی جملتهم یونس ولوطا ولم یکونا من ذریة ابراهیم کذا قال
البغوی وقال ابن الاثیر فی جامع الاصول یونس من ذریة ابراهیم لانه کان من الاسباط فی زمن شعیب ارسله
الله الی نینوی من بلد الموصل ولا بعد فی عد لوط من ذریة ابراهیم ایضا باعتبار انه کان ابن اخیه هاجر معه الی
الشام قال سعدی چلبی المفتی ومحیی السنة یعنی البغوی اوثق من ابن الاثیر (داود) بن ایشا (وسلیمان) ابنه
وسلسلتهما تنتهی الی یهوذا بن یعقوب (وایوب) من اموص بن رازخ بن روم بن عیصا بن اسحق بن ابراهیم
(ویوسف) بن یعقوب بن اسحق بن ابراهیم (وموسی) بن عمران بن یصهر بن قاهث بن لاوی بن یعقوب (وهرون)
هو اخو موسی اکبر منه بسنة ولیس ذکرهم علی ترتیب ازمانهم (وکذلك) ای کما جزیناهم برفعة الدرجات
(نجزی المحسنین) علی احسانهم علی قدر استحقاقهم فاللام للجنس ویجوز ان یکون الکاف مقحمة واللام
للعهد والمعنی ذلك الجزاء البدیع الذی هو عبارة عما اوتی المذکورون من فنون الکرامات نجزیهم لا جزاء آخر
ادنی منه فالمراد بالمحسنین هم المذکورون والاظهار فی موضع الاضمار للثناء علیهم بالاحسان الذی هو
عبارة عن الاتیان بالاعمال الحسنة علی الوجه اللائق الذی هو حسنها الوصفی المقارن لحسنها الذاتی (وزکریا)
ای وهدیناه ایضا وهو ابن آذن وسلسلته تنتهی الی سلیمان (ویحیی) ابنه (وعیسی) ابن مریم ابنة عمران من بنی
ماثان الذین هم ملوك بنی اسرائیل وفی ذکره دلیل علی ان الذریة تتناول اولاد البنت فیکون الحسن والحسین
من ذریة سید المرسلین محمد صلی الله علیه وسلم مع انتسابهما الیه بالام ومن آذاهما فقد آذی ذریته علیه السلام
یقول الفقیر فاذا کان النسب من طرف الام صحیحا معتبرا فالذی کانت سیادته من طرفها مقبول کما هو من
طرف الاب اذ المعتبر انتهاء السلسلة الی الحسنین من ای جانب کان (والیاس) بن اخ هرون اخی موسی قال
البغوی الصحیح ان الیاس غیر ادریس لان الله تعالی ذکره فی ولد نوح وادریس هو جد ابی نوح (کل) منهم

(من الصالحین) الکاملین فی الصلاح وهو الاتیان بما ینبغی والتحرز عما لا ینبغی (واسمعیل) عطف علی نوحا
ای وهدینا اسمعیل بن ابراهیم کما هدینا نوحا ولعل الحکمة فی افراد اسمعیل عن باقی ذریة ابراهیم ان رسول
الله صلی الله علیه وسلم کان من ذریة اسمعیل والکائنات کانت تبعا لوجوده فما جعل الله اسماعیل تبعا لوجود
ابراهیم ولا هدایته تبعا لهدایته لشرف محمد صلی الله علیه وسلم فلذا افرده عنهم واخره فی الذکر * آنچه
اول شد پدید از جیب غیب * بود نور جان او بی هیچ ریب * بعد از ان آن نور مطلق زد علم * کشت
عرش وکرسی ولوح وقلم * یك علم از نور پاکش عالم است * یك علم ذریت آدم ازوست (والیسع) بن
اخطوب بن العجوز واللام زائدة لانه علم اعجمی (ویونس) بن متی (ولوطا) بن هاران بن اخی ابراهیم (وکلا) منهم
(فضلنا علی العالمین) ای عالمی عصرهم بالنبوة لا بعضهم دون بعض (ومن آبائهم) من تبعیضیة ای وفضلنا
بعض آباء المذکورین کآدم وشیث وادریس اذ من الآباء من لم یکن نبیا ولا مفضلا مهدیا (وذریاتهم) ای
وبعض ذریاتهم من بعدهم کاولاد یعقوب ومن جملة ذریاتهم نبینا محمد صلی الله علیه وسلم کما فی تفسیر الحدادی
وانما اراد ذریة بعضهم لان عیسی ویحیی لم یکن لهما ولد وکان فی ذریة بعضهم من کان کافرا (واخوانهم)
کاخوة یوسف فی عصرهم ویحتمل ان یکون المراد بهم کل من آمن معهم فانهم کلهم دخلوا فی هدایة الاسلام
(واجتبیناهم) عطف علی فضلنا ای اصطفیناهم (وهدیناهم) ای ارشدناهم (الی صراط مستقیم) لا یضل
من سلك الیه (ذلك) الهدی (هدی الله) الاضافة للتشریف (یهدی به من یشاء من عباده) وهم مستعدون
للهدایة والارشاد (ولو اشرکوا) ای لو اشرك هؤلاء الانبیاء مع فضلهم وعلو شأنهم (لحبط عنهم) ای بطل وذهب
(ما کانوا یعملون) من الاعمال المرضیة الصالحة فکیف بمن عداهم وهم هم واعمالهم اعمالهم وهذا غایة
التوبیخ والترهیب للعوام والخواص لئلا یأمنوا مکر الله (اولئك) المذکورون من الانبیاء الثمانیة عشر
(الذین آتیناهم الکتاب) ای جنس الکتاب المتحقق فی ضمن ای فرد کان من افراد الکتب السماویة والمراد بایتائه
التفهیم التام بما فیه من الحقائق والتمکین من الاحاطة بالجلائل والدقائق اعم من ان یکون ذلك بالانزال
ابتداء او بالایراث بقاء فان المذکورین لم ینزل علی کل واحد منهم کتاب معین (والحکم) ای الحکمة او فصل
الخطاب علی ما یقتضیه الحق والصواب (والنبوة) ای الرسالة (فان یکفر بها) ای بهذه الثلاثة (هؤلاء) اهل
مکة (فقد وکلنا بها) ای امرنا بمراعاتها ووفقنا للایمان بها والقیام بحقوقها (قوما لیسوا بها بکافرین) فی وقت
من الاوقات بل مستمرون علی الایمان بها وهم اصحاب النبی علیه السلام والباء صلة کافرین وفی بکافرین
لتأکید النفی (اولئك) الانبیاء المتقدم ذکرهم (الذین هدی الله) ای هداهم الله الی الحق والنهج المستقیم
(فبهداهم اقتده) ای فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغیرهم والمراد بهداهم طریقتهم فی الایمان بالله تعالی
وتوحیده واصول الدین دون الشرائع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقی هدی واحتج العلماء بهذه الآیة
علی انه علیه السلام افضل جمیع الانبیاء علیهم السلام لان خصال الکمال وصفات الشرف کانت متفرقة فیهم
فداود وسلیمان کانا من اصحاب الشکر علی النعمة وایوب کان من اصحاب الصبر علی البلیة ویوسف کان جامعا
بینهما وموسی کان صاحب المعجزات القاهرة وزکریا ویحیی وعیسی والیاس کانوا اصحاب الزهد واسمعیل
کان صاحب الصدق فکل منهم قد غلب علیه خصلة معینة فجمع الله کل خصلة فی حبیبه علیه السلام لانه
اذا کان مأمورا بالاقتداء لم یقصر فی التحصیل * هرچه بخوبان جهان داده اند * قسم تو نیکوتر از ان
داده اند * هرچه بناز اند بدان دلبران * جمله ترا هست زیادت بر ان * وفی التأویلات النجمیة
اولئك الذین هداهم الله بصفاته الی ذاته فبهداهم اقتده لانهم سلکوا مسلکا غیر مسلوك حتی انتهی سیر کل
واحد منهم الی منتهی قدر له کما اخبرت انی رأیت آدم فی السماء الدنیا ویحیی وعیسی فی السماء الثانیة ویوسف
فی السماء الثالثة وادریس فی السماء الرابعة وهرون فی السماء الخامسة وموسی فی السماء السادسة وابراهیم
فی السماء السابعة فاقتد بهم حتی تسلك مسالکهم الی ان تنتهی الی سدرة المنتهی وهو منتهی مقام الملائکة
المقربین ثم یعرج بك الی المحل الادنی والمقام الارفع حتی تخرج من نفسك وتدنو الیه به الی ان تصل الی مقام قاب
قوسین او ادنی فی مقام لم یصل الیه احد قبلك لا ملك مقرب ولا نبی مرسل (قل) لکفار قریش (لا اسألکم علیه) ای
علی القرآن (اجرا) ای جعلا من جهتکم کما لم یسأله من قبلی من الانبیاء علیهم السلام وهذا من جملة ما امر

بالاقتدآء بهم فيه (ان هو) اى ما القرءآن (الا ذكرى للعالمين) اى الا عظة وتذكير لهم من جهته سبحانه فلا
يختص بقوم دون آخرين وعلى هذا جرى الاولياء من اهل الارشاد اذ لا اجر للتعليم والارشاد اذ الاجر من الدنيا
ولا يجوز طمع الدنيا لاهل الاخرة ولا لاهل الله تعالى وانما خدمة الدين مجردة عن الاغراض مطلقا (وما قدروا
الله حق قدره) اصل القدر السبر والحزر يقال قدر الشئ يقدره بالضم قدرا اذا سبره وحزره ليعلم مقداره ثم استعمل
فى معرفة الشئ فى مقداره واحواله واوصافه فقيل لمن عرف شيأ هو يقدر قدره ولمن لم يعرفه بصفاته انه لا يقدر
قدره ونصب حق قدره على المصدرية وهو فى الاصل صفة للمصدر اى قدره الحق وضميره يرجع الى الله تعالى
واما ضمير الجمع فالى اليهود لما روى ان مالك بن الضيف من احبار اليهود ورؤسائهم خرج مع نفر الى مكة معاندين
ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء وكان رجلا سمينا فاتى رسول الله بمكة فقال له عليه السلام
انشدك بالذى انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله تعالى يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر
السمين وقد سمنت من مأكلتك التى تطعمك اليهود واستصوم اى تمسك فضحك القوم فخجل مالك بن الضيف
فقال غضبا ما انزل الله على بشر من شئ فلما رجع مالك الى قومه قالوا له ويلك ما هذا الذى بلغنا عنك اليس
ان الله انزل التوراة على موسى فلم قلت ما قلت قال اغضبنى محمد فقلت ذلك قالوا له وانت اذا غضبت تقول
على الله غير الحق وتترك دينك فاخذوا الرياسة والحبرية منه وجعلوهما الى كعب بن الاشرف فنزلت هذه الآية
والمعنى ما عرفوه تعالى حق معرفته فى اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى فى ذلك بل اخلوا
بها اخلالا فعبر عن المعرفة بالقدر لكونه سببا لها وطريقا اليها (اذ قالوا) منكرين لبعثة الرسل وانزال الكتب
كافرين بنعمه الجليلة فيهما (ما انزل الله على بشر من شئ) اى كتاب ولا وحى مبالغة فى انكار انزال القرءآن
اذ القائلون من اهل الكتاب كما مر آنفا (قل) لهم على طريق التبكيت والقام الحجر (من انزل الكتاب الذى
جاء به موسى) يعنى التوراة حال كون ذلك الكتاب (نورا) بينا بنفسه ومبينا لغيره بالفارسى روشنايى دهنده
(وهدى) بيانا (للناس) وحال كونه (تجعلونه قراطيس) اى تضعونه فى قراطيس مقطعة وورقات مفرقة
بحذف الجار بناء على تشبيه القراطيس بالظرف المبهم وهى جمع قرطاس بمعنى الصحيفة (تبدونها) صفة قراطيس
اى تظهرون ما تحبون ابدآءه منها (وتخفون كثيرا) مما فيها كنعوت النبى عليه السلام وآية الرجم وسائر
ما كتموه من احكام التوراة (وعلمتم) ايها اليهود على لسان محمد (ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم) وهو ما اخذوه من
الكتاب من العلوم والشرآئع فقوله علمتم حال من فاعل تجعلونه باضمار قد مفيد لتأكيد التوبيخ فان ما فعلوه
بالكتاب من التفريق والتقطيع للابدآء والاخفاء شناعة عظيمة فى نفسها ومع ملاحظة كونه مأخذا لعلومهم
ومعارفهم اشنع واعظم (قل الله) اى انزله الله امره عليه السلام بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين
لا يمكن غيره تنبيها على انهم بهتوا وافحموا ولم يقدروا على التكلم اصلا (ثم ذرهم) اى دعهم واتركهم
(فى خوضهم) اى فى باطلهم الذى يخوضون فيه اى يشرعون فلا عليك بعد الا التبليغ والزام الحجة (يلعبون)
حال من الضمير الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون ويقال لكل من عمل ما لا ينفعه انما انت لاعب (وهذا)
القرءآن (كتاب انزلناه) وصفه به ليعلم انه هو الذى تولى انزاله بالوحى على لسان جبريل وليس
تركيب الفاظه على هذه الفصاحة من قبل الرسول (مبارك) اى كثير الفائدة والنفع وكيف وقد احاط بالعلوم
النظرية والعملية فان اشرف العلوم النظرية هو معرفة ذات الله وصفاته وافعاله واحكامه ولا يوجد كتاب
يفيد معرفة هذه الامور مثل ما افاده القرءآن واما العلوم العملية فالمطلوب منها اما اعمال الجوارح واما اعمال
القلوب وهى المسمى بعلم الاخلاق وتزكية النفس فانك لا تجد شيأ منهما مثل ما تجده فى القرءآن العظيم
قال فى التأويلات النجمية مبارك على العوام بان يدعوهم الى ربهم وعلى الخواص بان يهديهم الى ربهم وعلى
خواص الخواص بان يوصلهم الى ربهم ويخلقهم باخلاقه وفى كتاب المحبوب شفاء لما فى القلوب كما قيل

وكتبك حولى لا تفارق مضجعى * وفيها شفاء للذى انا كاتمه

اين چه منشور كريمست كه از هر شكنش * بوى جان پرور احسان وعطا مى آيد * اين چه انفاس
روان بخش عبير افشانست * كه از و رايحهٔ مشك خطا مى آيد (مصدق الذى بين يديه) من التوراة لنزوله
حسبما وصف فيها (ولتنذر ام القرى) عطف على ما دل عليه مبارك اى للبركات ولانذارك اهل ام القرى

فالمضاف محذوف والمراد بام القرى مكة وسميت بها لان الارض دحيت من تحتها فهى اصل الارض كلها
كالام اصل النسل قال الكاشفى فى تفسيره الفارسى قرى جمع قرية است واورا از قرا كرفته اند بمعنى جمع است
پس هر جا كه مجتمعى باشد از شهر ودة از اقرية توان كفت (ومن حولها) اهل الشرق والغرب قال فى التأويلات
النجمية ام القرى هى الذرة المودعة فى القلب التى هى المخاطب فى الميثاق وقد دحيت جميع ارض القالب
من تحتها ومن حولها من الجوارح والاعضاء والسمع والبصر والفؤاد والصفات والاخلاق بان يتنوروا بانواره
وينتفعوا باسراره ويتخلقوا باخلاقه (والذين يؤمنون بالاخرة) وبما فيها من انواع العذاب (يؤمنون به) اى
بالكتاب لانهم يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتأمل حتى يؤمنون به (وهم على صلاتهم
يحافظون) يعنى المؤمنون بالكتاب يداومون على الصلوات الخمس التى هى اشرف التكاليف والطاعات
ولذا خص محافظتها من بين سائر العبادات وفى الايات امور الاول ان المخلوق لا يقدر قدر الخالق ولا يدركه
باعتبار كنه ذاته وتجرده عن التعينات الاسمائية والصفاتية (ع) بخيال در نكنجد تو خيال خود مرنجان *
فكل من عرف الله بآلة مخلوقة فهو على الحقيقة غير عارف ومن عرفه بآلة قديمة كما قال بعضهم عرفت ربى
بربى فقد عرف الله ولكن على قدر استعداده فى قبول فيض نور الربوبية الذى به عرف الله على قدره لا نهاية
ذاته وصفاته فالذى يقدر الله حق قدره هو الله تعالى لا غيره * كنه خردم در خور اثبات تو نيست * دانندهٔ
ذات تو بجز ذات تو نيست * ما للتراب ورب الارباب والثانى ذم السمن كما عرف فى سبب النزول قال ابن الملك
السمن المذموم ما يكون مكتسبا بالتوسع فى المأكل لا ما يكون خلقة وفى الحديث ليأتى الرجل العظيم السمين
يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة واقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قال العلماء معنى هذا
الحديث انه لا ثواب لهم واعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن فى موازين القيامة ومن لا حسنة له فهو
فى النار قال القرطبى فى تذكرته وفيه من الفقه ذم السمن لمن تكلفه لما فى ذلك من تكلف المطاعم والاشتغال
بها عن المكارم بل يدل على تحريم كثرة الاكل الزآئد على قدر الكفاية المبتغى به الترفه والسمن انتهى وفى الفروع
ان الاكل فرض ان كان لدفع هلاك نفسه وماجور عليه ان كان لتمكينه من صومه وصلاته قائما ومباح الى
الشبع ليزيد قوته وحرام فوق الشبع الا القصد قوة صوم الغد او لئلا يستحيى ضيفه (قال السعدى) باندازه
خور زاد اكر مردمى * چنين پر شكم آدمى يا خمى * ندارند تن پروران آكهى * كه پر معده باشد ز حكمت تهى
(قال الامام السخاوى) فى المقاصد الحسنة فى الحديث ان الله يكره الحبر السمين وفى التوراة ان الله ليبغض
الحبر السمين وفى رواية ان الله يبغض القارى السمين قال الشافعى رحمه الله ما افلح سمين قط الا ان يكون
محمد بن الحسن فقيل له ولم قال لانه لا يفكر والعاقل لا يخلو من احدى حالتين اما ان يهتم لآخرته ومعاده او لدنياه
ومعاشه والشحم مع الهم لا ينعقد فاذا خلا من المعنيين صار فى حد البهائم بعقد الشحم ثم قال الشافعى كان ملك
فى الزمان الاول كثير اللحم جدا فجمع المتطببين وقال احتالوا حيلة تخفف عنى لحمى هذا فلم يقدروا فنعت له
رجلا عاقلا اديبا متطببا وبعثوه فاشخص اليه وقال ابعالجنى ذلك الفتى قال اصلح الله الملك انا رجل متطبب
منجم دعنى انظر الليلة فى طالعك اى دواء يوافق فاشفيك فهدأ عليه فقال ايها الملك الامان قال لك الامان قال
رأيت طالعك يدل على ان عمرك شهر فان احببت حتى اعالجك وان اردت بيان ذلك فاحبسنى عندك فان كان
لقولى حقيقة فخل عنى والا فاقتص منى قال فحبسه ثم رفع الملك الملاهى واحتجب عن الناس وخلا وحده
مغتما ما يرفع رأسه بعد الايام كلما انسلخ يوم ازداد غما حتى هزل وخف لحمه ومضى لذلك ثمانية وعشرون يوما
فبعث اليه فاخرجه فقال ما ترى فقال اعز الله الملك انا اهون على الله من ان اعلم الغيب والله ما اعرف عمرى
فكيف اعرف عمرك انه لم يكن عندى دوآء الا الهم فلم اقدر اجلب اليك الهم الا بهذه العلة فاذابت شحم الكلى
فاجازه واحسن اليه والثالث فى قوله تعالى قل الله من لطائف العبارات من اهل الاشارات (قال فى التفسير
الفارسى شيخ ابو سعيد ابو الخير قدس سره در كلمهٔ قل الله ثم ذرهم فرموده كه الله بس وما سواه هوس وانقطع
النفس وشيخ الاسلام فرموده كه (قل الله) دل سوى او دار (ثم ذرهم) غير او را فرو كذار وشبلى با بعض اصحاب
خود ميكفت كه عليك بالله ودع ما سواه * چون تفرقهٔ دلست حاصل ز همه * دل را بيكى سپار وبكسل ز همه *
فالآية باشارتها تدل على ان من اراد الوصول الى الله تعالى فلينقطع عما سواه فانه لهو ولعب والملاهى

والالاعب ليس على شئ نسأل الله سبحانه ان يحفظنا عن الاشتغال بما سواه والرابع مدح القرءآن وبيان
فضيلته وفائدته قال احمد بن حنبل رأيت رب العزة فى المنام فقلت يارب ما افضل ما تقرب به المتقربون اليك
قال كلامى يا احمد فقلت يارب بفهم ام بغير فهم قال بفهم او بغير فهم والنظر الى المصحف عبادة برأسه وله اجر على
حدته ماعدا اجر القرآءة وعن حميد بن الاعرج قال من قرأ القرءآن وختمه ثم دعا امن على دعائه اربعة آلاف
ملك ثم لا يزالون يدعون له ويستغفرون ويصلون عليه الى المساء او الى الصباح فعلى العاقل ان يجتهد حتى يختم
القرءان فى اوآئل الايام الصيفية والليالى الشتائية ليستزيد فى دعائهم واستغفارهم وفى الحديث خيركم من تعلم
القرءآن وعلمه وينبغى ان يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يطلب عوضا ولا يقصد جزاء ولا شكورا
بل يعلم للتقرب الى الله تعالى ويقتدى بالانبياء حيث قدم كل واحد منهم على دعوته قوله لا اسألكم عليه اجرا
قال فى الاسرار المحمدية من اخذ الجراية ليتعلم فهى له حلال ولكن من تعلم ليأخذ الجراية فهى عليه حرام
وفيه ايضا لا يتخذ صحيفة القرءآن اذا درست وقاية للكتب بل يمحوها بالماء وكان من قبلنا يستشفى بذلك الماء
وينبغى لقارئ القرءآن ان يجوّد ويحسن صوته وفى الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرءآن وحسنوا القرءآن
باصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرءآن حسنا قيل اراد بالتغنى الاستغناء وقيل الترنم وترديد الالحان
وهو اقرب عند اهل اللغة كذا فى الاسرار ويحكى عن ظهير الدين المرغينانى انه قال من قال لمقرئ زماننا
احسنت عند قرآءته يكفر كذا فى شرح الهداية لتاج الشريعة وقال فى البزازية من يقرأ القرءآن بالالحان
لا يستحق الاجر لانه ليس بقارئ قال الله تعالى قرءآنا عربيا غير ذى عوج انتهى وسأل الحجاج بعض جلسائه
عن ارق الصوت عندهم فقال احدهم ما سمعت صوتا ارق من صوت قارئ حسن الصوت يقرأ كتاب الله تعالى
فى جوف الليل قال ذلك لحسن وقال آخر ما سمعت صوتا اعجب من ان ارتحل امرأتى ماخضا واتوجه الى المسجد
بكيرا فيأتينى آت فيبشرنى بغلام فقال واحسناه فقال شعبة بن علقمة التميمى لا والله ما سمعت اعجب الى من
ان اكون جائعا فاسمع خفخفة الخوان فقال الحجاج ابيتم يا بنى تميم الاحب الزاد والمقصود من هذه الحكاية
بيان اختلاف مشارب الناس فمن احب الله وانس بكلامه وتجرد عن الاغراض وكان القارى متحاشيا من
الانغام الموسقية والحان اهل الفسق قارئا على لحون العرب محسنا صوته فلا مجال للطعن فيه والدخل ظاهرا
وباطنا والله اعلم (ومن) استفهام مبتدأ اى لا احد (اظلم) خبره (ممن افترى على الله كذبا) مفعول افترى اى
اختلق كذبا وافتعله فزعم انه تعالى بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب والاسود العنسى او اختلق عليه احكاما كعمرو
ابن لحى وهو اول من غيردين اسمعيل عليه السلام ونصب الاوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة قال عليه السلام
فى حقه رأيته يجر قصبه فى النار قال قتادة كان مسيلمة يسجع ويتكهن كما قال فى معارضة سورة الكوثر
انا اعطيناك الجماهر فصل لربك وهاجر انا كفيناك المكابر والمجاهر فانظر كيف كان سافل الالفاظ والبنا فاسد
المعانى والمبنى فادعى النبوة وكان قد ارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولين فقال عليه السلام
اتشهدان ان مسيلمة نبى قالا نعم فقال عليه السلام لولا ان الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما وفى الحديث بينا
انا نائم اتيت بخزآئن الارض فوضع فى يدى سواران من ذهب فكبرا على واهمانى فاوحى الى ان انفخهما
فنفختهما فذهبا فاولتهما بالكذابين اللذين انا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة قال القاضى وجه تأويلهما
بالكذابين ان السوار كالقيد لليد يمنعها عن البطش فكذا الكذابان يقومان بمعارضة شريعته ويصدان عن
نفاذ امرها قتل صاحب صنعاء وهو الاسود العنسى فى مرض موت النبى عليه السلام قتله فيروز الديلمى فلما
بلغ خبر قتله النبى عليه السلام قال فاز فيروز وقتل صاحب اليمامة وهو مسيلمة فى عهد الصديق قتله الوحشى
قاتل حمزة فلما قتله قال قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى اسلامى (او قال اوحى الى) من جهته تعالى
(ولم يوح اليه) اى والحال انه لم يوح اليه (شئ) اصلا كعبد الله بن سعد بن ابى سرح كان يكتب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله
فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك
عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا اى فى قوله فكذلك نزلت لقد اوحى الى كما اوحى اليه ففى التحقيق انا اكون مثله
ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فعلى ان ادعى نزول الوحى مثله فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع الى